ألف ليلة وليلة

مقابلة وتصحيح

الشيخ محمد قطة العدوى

المجلد الثانى

الناشر

مكتبة مدبولي

ألف ليلة وليلة

مقابلة وتصحيح

الشيخ محمد قطة العدوى

المجلد الثانى

الناشر

مكتبة مدبولي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الباقي وكل من عليها فان ـ العظيم الذى حارت لإدراك كنه صفاته العقول والأذهان ـ خالق الخلق ومسبب الأسباب ومكون الأكوان ـ وصلى الله على سيدنا محمد سيد ولد عدنان ـ وعلى آله واصحابه فى كل وقت واوان ـ وبعد فان الله تعالى من عظيم قدرته ـ ولطيف صنعه وحكمته ـ دبر الأشياء والأمور ـ وحكم بتغير الأزمان والدهور ـ وجعل حديث الأولين عبرة للأمم الآخرين ـ ليعتبروا بما مضى ولينظروا إلى الفضا ـ فمن الأحاديث اللطيفة ـ والحكايات الظريفة ـ الكتاب المسمى بالف ليلة وليلة ـ وما فيه من الحكايات الغريبة ـ والنكات والنبذ العجيبة ـ التى تشتاق لسماعها النفوس ـ ولا يجالسها عبوس ـ وهو فى الحقيقة جدير بأن يكتب ولو الذهب ـ وليس فى ذلك من عجب ـ وهو هذا الكتاب النفيس الذى نحن بصدده حتى وصلنا إلى العقد الثالث من نظم درره بعد ما تمت شهرزاد بنت الوزير من الليالى بعد الخمسمائه ستا وثلاثين كملت حكايات حاسب كريم الدين قالت وليس هذا باعجب من حكاية السندباد قال وكيف ذلك قالت بلغنى أنه كان فى زمن الخليفة امير المؤمنين هارون الرشيد بمدينة بغداد رجل يقال له السندباد الحمال وكان رجلا فقير الحال يحمل باجرته على رأسه فاتفق له انه حمل فى يوم من الأيام حملة ثقيلة وكان ذلك اليوم شديد الحر فتعب من تلك الحملة وعرق واشتد عليه الحر فمر على باب رجل تاجر قدامه كنس ورش وهناك هواء معتدل وكان بجانب الباب مصطبة عريضة فحط الحمال حملته على تلك المصطبة ليستريح ويشم الهواء وأدراك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والثلاثون بعد الخمسمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الحمال لما حط حملته على تلك المصطبة ليستريح ويشم الهواء خرج عليه من ذلك الباب نسيم رائق ورايحة زكية فاستلذ الحمال لذلك وجلس على جانب المصطبة فسمع فى ذلك المكان نغم اوتار وعود واصواتا مطربة* وأنواع انشاد معربة وسمع ايضا أصوات طيور تناغى وتسبيح الله تعالى باختلاف

الاصوات وسائر اللغات من قمارى وهزاروشماريز وبلبل وفاخت وكيروان فعند ذلك تعجب فى نفسه وطرب طربا شديدا فتقدم إلى ذلك فوجد داخل البيت بستانا عظيما ونظر فيه غلمانا وعبيدا وخدما وحشماً وشيئًا لا يوجد إلا عند الملوك والسلاطين وبعد ذلك هبت عليه رايحة أطعمة طيبة زكية من جميع الألوان المختلفة والشراب الطيب فرفع طرفه إلى السماء وقال سبحانك يارب يا خالق يا رازق ترزق من تشاء بغير حساب اللهم أنى استغفرك من جميع الذنوب واتوب اليك من العيوب يارب لا اعتراض عليك فى حكمك وقدرتك فانك لا تسأل عما تفعل وأنت على كل شيء قدير سبحانك تغنى من تشاء وتفقر من تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء لا اله إلا أنت ما أعظم شانك وما اقوى سلطانك وما أحسن تدبيرك قد أنعمت على من تشاء من عبادك فهذا المكان صاحبه فى غاية النعمة وهو متلذذ بالروايح اللطيفة والمآكل اللذيذة والمشارب الفاخرة في سائر الصفات وقد حكمت فى خلقك بما تريد وما قدرته عليهم فمنهم تعبان ومنهم مستريح ومنهم سعيد ومنهم من هو مثلى في غاية التعب والذل وأنشد يقول

فكم من شقى بلاراحة ... ينعم فى خير فىء وظل
وأصبحت فى تعب زائد ... وأمرى عجيب وقد زاد حملى
وغيرى سعيد بلا شقوة ... وما حمل الدهر يوما كحملى
ينعم فى عيشه دائما ... ببسط وعز وشرب وأكل
وكل الخلائق من نطفة ... وأنا مثل هذا وهذا كمثلى
ولكن شتان ما بيننا ... وشتان ما بين خمر وخل
ولست أقول عليك افتراء ... فأنت حكيم حكمت بعدل

فلما فرغ السندباد الحمال من شعره ونظمه أراد أن يحمل حملته ويسير إذ قد طلع عليه من ذلك الباب غلام صغير السن حسن الوجه مليح القد فاخر الملابس فقبض على يد الحمال وقال له أدخل كلم سيدى فأنه يدعوك فآراد الحمال الإمتناع من الدخول مع الغلام فلم يقدر على ذلك فحط حملته عند البواب فى دهليز المكان ودخل مع الغلام داخل الدار فوجد دار مليحة وعليها أنس ووقار ونظر إلى مجلس عظيم فنظر فيه من

السادات الكرام والموالى العظام وفيه من جميع أصناف الزهر وجميع أصناف المشموم ومن أنواع النقل والفواكه وشيئا كثيرا من أصناف الأطعمة النفيسة وفيه مشروب من خواص دوالى الكروم وفيه آلات السماع والطرب من أصناف الجوارى الحسان كل منهم فى مقامه على حسب الترتيب وفى صدر ذلك المجلس رجل عظيم محترم قد لكزه الشيب فى عوارضه وهو مليح الصورة حسن المنظر وعليه هيبة ووقار وعز وافتخار فعند ذلك بهت السندباد الحمال وقال فى نفسه والله أن هذا المكان من بقع الجنان أو أنه يكون قصر ملك أو سلطان ثم انه تأدب وسلم عليهم ودعى لهم وقبل الأرض بين ايديهم ووقف وهو منكس رأسه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة الثامنة والثلاثون بعد الخمسمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن السندباد الحمال لما قبل الأرض بين أيديهم ووقف وهو منكس الرأس متخشع فإذن له صاحب المكان بالجلوس فجلس وقد قربه اليه وصار يؤانسه بالكلام ويرحب به ثم أنه قدم له شيئاً من أنواع الطعام المفتخر الطيب النفيس فتقدم السندباد الحمال وسمى وأكل حتى أكتفى وشبع وقال الحمد لله على كل حال ثم إنه غسل يديه وشكرهم على ذلك فقال صاحب المكان مرحباً بك ونهارك مبارك فما يكون إسمك وما تعانى من الصنائع فقال له سيدى اسمى السندباد الحمال وأنا أحمل على رأسى أسباب الناس بالأجرة فتبسم صاحب المكان وقال له أعلم يا حمال أن أسمك مثل اسمى فأنا السندباد البحرى ولكن يا حمال قصدى أن تسمعنى الأبيات التى كنت تنشدها وأنت على الباب فاستحى الحمال وقال له بالله عليك لا تؤاخذنى فإن التعب والمشقة وقلة ما فى اليد تعلم الإنسان قلة الأدب والسفه فقال له لا تستحى فأنت صرت أخى فأنشد الأبيات فإنها اعجبتنى لما سمعتها منك وانت تنشدها على الباب فعند ذلك انشده الحمال تلك الأبيات فاعجبته وطرب لسماعها وقال له يا حمال أعلم أن لى قصة عجيبة وسوف أخبرك بجميع ما صار لى وما جرى لى من قبل أن أصير إلى هذه السعادة وأجلس فى هذا المكان الذى ترانى فيه فأنى ما وصلت إلى هذه السعادة وهذا المكان إلا بعد تعب شديد ومشقة عظيمة وأهوال كثيرة وكم قاسيت فى الزمن الأول من التعب والنصب وقد سافرت سبع سفرات وكل سفرة لها حكاية عجيبة تحير الفكر وكل ذلك

بالقضاء والقدر وليس من المكتوب مفر ولا مهرب ـ الحكاية الأولى وهي أول السفرات أعلموا يا سادة يا كرام أنه كان لي أب تاجر وكان من أكابر الناس والتجار وكان عنده مال كثير ونوال جزيل وقد مات وأنا ولد صغير وخلف لي مالا وعقاراً وضياعا فلما كبرت وضعت يدي على الجميع وقد أكلت أكلا مليحا وشربت شربا مليحا وعاشرت الشباب وتجملت بلبس الثياب ومشيت مع الخلان والأصحاب وأعتقدت أن ذلك يدوم لي وينفعني ولم أزل على هذه الحالة مدة من الزمان ثم أني رجعت إلى عقلي وأفقت من غفلتي فوجدت مالي قد مال وحالي قد حال وقد ذهب جميع ما كان معي ولم أستفق لنفسي إلا وأنا مرعوب مدهوش وقد تفكرت حكاية كنت اسمعها سابقا وهي حكاية سيدنا سليمان بن داود عليهما السلام في قوله ثلاثة خير من ثلاثة يوم الممات خير من يوم الولادة وكلب حي خير من سبع ميت والقبر خير من القصر ثم أني قمت وجمعت ما كان عندي من أثار وملبوس وبعته ثم بعت عقاري وجميع ما تملك يدي فجمعت ثلاثة آلاف درهم وقد خطر ببالي السفر إلى بلاد الناس وتذكرت بعض كلام الشعراء حيث قال

بقدر الكد تكتسب المعالي ... ومن طلب العلا سهر الليالي
يغوص البحر من طلب اللآلي ... ويحظى بالسيادة والنوال
ومن طلب العلا من غير كد ... اضاع العمر في طلب المحال

فعند ذلك هممت فقمت واشتريت لي بضاعه ومتاعاً واسبابا وشيئًا من أغراض السفر وقد سمحت لي نفسي بالسفر في البحر فنزلت المركب وانحدرت إلى مدينة البصرة مع جماعة من التجار وسرنا في البحر مدة أيام وليال وقد مررنا بجزيرة بعد جزيرة ومن بحر إلى بحر ومن بر إلى بر وفي كل مكان مررنا به نبيع ونشتري ونقايض بالبضائع فيه وقد انطلقنا في سير البحر إلى أن وصلنا إلى جزيرة كأنها روضة من رياض الجنة فارسى بنا صاحب المركب على تلك الجزيرة ورمى مراسيها ومد السقالة فنزل جميع من كان في المركب في تلك الجزيرة وقد عملوا لهم كوانين واوقدوا فيها النار واختلفت اشغالهم فمنعهم من صار يطبخ ومنهم من صار يغسل ومنهم من صار يتفرج

وكنت أنا من جملة المتفرجين فى جوانب الجزيرة وقد اجتمعت الركاب على أكل وشرب ولهو ولعب فبينما نحن على تلك الحالة وإذا بصاحب المركب واقف على جانبها وصاح بأعلى صوته يا ركاب السلامة اسرعوا وأطلعوا إلى المركب وبادروا إلى الطلوع واتركوا اسبابكم واهربوا باروحكم وفوزوا بسلامة أنفسكم من الهلاك فإن هذه الجزيرة التى أنتم عليها ما هى جزيرة وإنما هى سمكة كبيرة وسبت فى وسط البحر فبنى عليها الرمل فصارت مثل الجزيرة وقد نبتت عليها الأشجار من قديم الزمان فلما أوقد تم عليها النار أحست بالسخونة فتحركت وفى هذا الوقت تنزل بكم فى البحر فتغرقون جميعا فاطلبوا النجاة لأنفسكم قبل الهلاك وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة التاسعة والثلاثون بعد الخمسمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن ريس المركب لما صاح على الركاب وقال لهم اطلبوا النجاة لأنفسكم قبل الهلاك واتركوا الأسباب وسمع الركاب كلام ذلك الريس اسرعوا وبادروا بالطلوع إلى المركب وتركوا الأسباب وحوايجهم ودسوتهم وكوانينهم فمنهم من لحق المركب ومنهم من لم يلحقها وقد تحركت تلك الجزيرة ونزلت إلى قرار البحر بجميع ما كان عليها وانطبق عليها البحر العجاج المتلاطم بالأمواج وكنت أنا من جملة من تخلف فى الجزيرة فغرقت فى البحر مع جملة من غرق ولكن الله تعالى انقذنى ونجانى من الغرق ورزقنى بقصعة خشب كبيرة من التى كانوا يغلسون فيها فمسكتها بيدى وركبتها من حلاوة الروح ورفصت فى الماء برجلى مثل المجاديف والأمواج تلعب بى يمينا وشمالا وقد نشر الريس قلاع المركب وسافر بالذين طلع بهم فى المركب ولم يلتفت لمن غرق منهم ومازلت انظر إلى تلك المركب حتى خفيت عن عينى وأيقنت بالهلاك ودخل على الليل وأنا على هذه الحالة فمكثت على ما أنا فيه يوما وليلة وقد ساعدنى الريح والأمواج إلى أن رست بى تحت جزيرة عالية وفيها اشجار مطلة على البحر فمسكت فرعاً من شجرة عالية وتعلقت به بعد ما أشرفت على الهلاك وتمسكت به إلى أن طلعت إلى الجزيرة فوجدت فى رجلى خدلا وأثر أكل السمك فى بطونهما ولم أدر بذلك من شدة ماكنت فيه من الكرب والتعب وقد ارتميت فى الجزيرة وأنا مثل الميت

وغبت عن وجودى وغرقت فى دهشتى ولم أزل على هذه الحالة إلى ثانى يوم وقد طلعت الشمس على وانتبهت فى الجزيرة فوجدت رجلى قد ورمتا فصرت على ما أنا فيه فتارة أزحف وتارة أحبى على ركبى وكان فى الجزيرة فواكه كثيرة وعيون من الماء العذب فصرت آكل من تلك الفواكه ولم أزل على هذه الحالة مدة أيام وليال ولقد أنتعشت نفسى وردت لى روحى وقويت حركتى وصرت أتفكر وأمشى فى جانب الجزيرة واتفرج بين الأشجار على ما خلق الله تعالى وقد عملت لى عكازاً من تلك الأشجار أتوكأ عليه ولم أزل على هذه الحالة إلى أن تمشيت يوماً من الأيام فى جانب الجزيرة فلاح لى شبح من بعد فظننت أنه وحش أوانه دابة من دواب البحر فتمشيت إلى نحوه ولم أزل اتفرج عليه وإذا هو فرس عظيم المنظر مربوط فى جانب الجزيرة على شاطىء البحر قد فوت منه فصرخ على صرخة عظيمة فارتعبت منه وأردت أن أرجع وإذا برجل خرج من تحت الأرض وصاح على وتبعنى وقال لى من أنت ومن أين جئت وما سبب وصولك إلى هذا المكان فقلت له يا سيدى أعلم أنى رجل غريب وكنت فى مركب فغرقت أنا وبعض من كان فيها فرزقنى الله بقصعة خشب فركبتها وعامت بى إلى أن رمتنى الأمواج فى هذه الجزيرة فلما سمع كلامى أمسكنى من يدى وقال لى أمش معى فسرت معه فنزل بى فى سرداب تحت الأرض ودخل بى إلى قاعة كبيرة تحت الأرض وأجلسنى فى صدر تلك القاعة وجاء لى بشىء من الطعام وأنا كنت جائعاً فأكلت حتى شبعت وأكتفيت وارتاحت نفسى ثم أنه سألنى عن حالى وما جرى لى فأخبرته بجميع ما كان من أمرى من المبتدأ إلى المنتهى فتعجب من قصتى فلما فرغت من حكايتى قلت بالله عليك يا سيدى لا تؤاخذنى فأنا قد أخبرتك بحقيقة حالى وما جرى لى وأنا أشتهى منك أن تخبرنى من أنت وما سبب جلوسك فى هذه القاعة التى تحت الأرض وما سبب ربطك هذه الفرس على جانب البحر فقال لى أعلم أننا جماعة متفرقون فى هذه الجزيرة على جوانبها ونحن سياس الملك المهرجان وتحت ايدينا جميع خيوله وفى كل شهر عند القمر نأتى بالخيل الجياد وربطها فى هذه الجزيرة من كل بكر ونختفى فى هذه القاعة تحت الأرض حتى لا يرانا أحد فيجىء حصان من خيول البحر على رايحة تلك الخيل ويطلع على البر فيلتفت فلم ير أحد فيثب عليها ويقضى منها حاجته وينزل عنها ويريد اخذها معه فلم تقدر أن تسير معه من الرباط فيصيح عليها ويضر بها برأسه ورجليه ويصيح

فنسمع صوته فنعلم أنه نزل عنها فنطلع صارخين عليه فيخاف منا وينزل البحر والفرس تحمل منه وتلد مهرا أو مهرة تساوى خزنة مال ولا يوجد لها نظير على وجه الأرض وهذا وقت طلوع الحصان وإن شاء الله تعالى آخذك معى إلى الملك المهرجان وأدرك شهرزاد الصباح فسكت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة الموفية للأربعين بعد الخمسمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن السايس قال للسندباد البحرى آخذك معى إلى الملك المهرجان وافرجك على بلادنا وأعلم أنه لولا اجتماعك علينا ماكنت ترى احداً فى هذا المكان غيرنا وكنت تموت كمدا ولا يدرى بك أحد ولكن أنا أكون سبب حياتك ورجوعك إلى بلادك فدعوت له وشكرته على فضله وإحسانه فبينما نحن في هذا الكلام وإذ بالحصان قد طلع من البحر وصرخ صرخة عظيمة ثم وثب على الفرس فلما فرغ غرضه منها نزل عنها وأراد أخذها معه فلم يقدر ورفصت وصاحت عليه وآخذ الرجل سيفا بيده ودرقه وطلع من باب تلك القاعة وهو يصيح على رفقته ويقول اطلعوا إلى الحصان ويضرب بالسيف على الدرقة فجاء جماعة بالرماح صارخين فجفل منهم الحصان وراح إلى حال سبيله ونزل فى البحر مثل الجاموس وغاب تحت الماء فعند ذلك جلس الرجل قليلا واذا هو باصحابه قد جاؤه ومع كل واحد فرس يقودها فنظرونى عنده فسألونى عن امرى فاخبرتهم بما حكيته له وقربوا منى ومدوا السماط وأكلوا وعزموا على فأكلت معهم ثم انهم قاموا وركبوا الخيول وأخذونى معهم وركبونى على ظهر فرس وسافرنا ولم نزل سائرين إلى أن وصلنا إلى مدينة الملك المهرجان وقد دخلوا عليه وأعلموه بقصتى فطلبنى فأدخلونى عليه وأوقفونى بين يديه فسلمت عليه فرد على السلام ورحب بى وحيانى باكرام وسألنى عن حالى فأخبرته بجميع ما حصل لى وبكل ما رأيته من المبتدأ إلى المنتهى فعند ذلك تعجب مما وقع لى وما جرى لى وقال لى يا ولدى والله لقد حصل لك مزيد السلامة ولولا طول عمرك ما نجوت من هذه الشدائد ولكن الحمد لله على السلامة ثم أنه احسن إلى وأكرمنى وقربنى إليه وصار يؤانسنى بالكلام والملاطفة وجعلنى عنده عاملا على مينة البحر وكاتبا على كل مركب عبرت الى البر وصرت واقفا عنده لاقضي له مصالحه وهو يحسن الي وينفعنى من كل جانب وقد كسانى كسوة مليحة

فاخرة وصرت مقدما عنده فى الشفاعات وقضاء مصالح الناس ولم أزل عنده مدة طويلة وأنا كلما أشق على جانب البحر أسأل التجار المسافرين والبحريين عن ناحية مدينة بغداد لعل أحداً يخبرنى عنها فاروح معه إليها وأعود إلى بلادى فلا يعرفها أحد ولا يعرف من يروح اليها وقد تحيرت من ذلك وسئمت من طول الغربة ولم أزل على هذه الحالة مدة من الزمان إلى أن جئت يوما من الأيام ودخلت على الملك المهرجان فوجدت عنده جماعة من الهنود فسلمت عليهم فردوا على السلام ورحبوا بى وقد سألونى عن بلادى وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة الحادية والأربعون بعد الخمسمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن السندباد البحرى قال لما سألتهم عن بلادهم ذكروا لى أنهم أجناس مختلفة فمنهم الشاكريه وهم أشرف أجناسهم لا يظلمون أحد ولا يقهرونه ومنهم جماعة تسمى البراهمة وهم قوم لا يشربون الخمر ابدا وإنما هم أصحاب حظ وصفاء ولهو وطرب وجمال وخيول ومواشى وأعلمونى أن صنف اليهود يفترق على اثنين وسبعين فرقة فتعجبت من ذلك غاية العجب ورأيت فى مملكة المهرجان جزيرة من جملة الجزائر يقال لها كابل يسمع فيها ضرب الدفوف والطبول طول الليل وقد أخبرنا أصحاب الجزائر والمسافرون بانهم أصحاب الجد والرأى ورأيت فى ذلك البحر سمكة طولها مائتى ذراع ورأيت ايضا سمكا وجهه مثل وجه البوم ورأيت فى تلك السفرة كثيرا من العجائب والغرائب مما لو حكيته لكم لطال شرحه ولم أزل اتفرج على تلك الجزائر وما فيها إلى أن وقفت يوما من الأيام على جانب البحر وفى يدى عكاز على جرى عادتى وإذا بمركب كبيرة قد أقبلت وفيها تجار كثير فلما وصلت إلى مينة المدينة وفرضتها طوى الريس قلوعها وأرساها على البرومد السقالة وأطلع البحرية جميع ما كان فى تلك المركب إلى البر وابطئوا فى تطليعة وأنا واقف أكتب عليهم فقلت لصاحب المركب هل بقى فى مركبك شىء فقال نعم يا سيدى معى بضائع فى بطن المركب ولكن صاحبها غرق منا فى البحر فى بعض الجزائر ونحن قادمون فى البحر وصارت بضائعة معنا وديعة فغرضنا أننا نبيعها ونأخذ علما بثمنها لأجل أن نوصله إلى أهله فى مدينة بغداد دار السلام فقلت للريس ما يكون اسم ذلك الرجل صاحب البضائع فقال اسمه السندباد

البحري وقد غرق منا في البحر فلما سمعت كلامه حققت النظر فيه فعرفته وصرخت عليه صرخة عظيمة وقلت يا ريس أعلم أني أنا صاحب البضائع التي ذكرتها وأنا السندباد البحري الذي نزلت من المركب في الجزيرة مع جملة من نزل من التجار ولما تحركت السمكة التي كنا عليها وصحت أنت علينا طلع من طلع وغرق الباقي وكنت أنا من جملة من غرق ولكن الله تعالى سلمني ونجاني من الغرق بقصعة كبيرة من التي كان الركاب يغسلون فيها فركبتها وصرت ارفص برجلي وساعدني الريح والموج إلى أن وصلت إلى هذه الجزيرة فطلعت فيها وأعانني الله تعالى واجتمعت بسياس الملك المهرجان فحملوني معهم الى أن أتوا بي إلى هذه المدينة وادخلوني عند الملك المهرجان فأخبرته بقصتي فأنعم علي وجعلني كاتبا على مينة هذه المدينة فصرت أنتفع بخدمته وصار لي عنده قبول وهذه البضائع التي معك بضائعي ورزقي وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة الثانية والأربعون بعد الخمسمائة

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن السندباد البحري حين قال للريس هذه البضائع التي معك بضائعي ورزقي قال الريس لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ما بقي لأحد أمانة ولا ذمة قال فقلت له يا ريس ما سبب ذلك وأنت سمعتني أخبرتك بقصتي فقال الريس لأنك سمعتني أقول أن معي بضائع صاحبهم غرق فتريد أنك تأخذها بلا حق وهذا حرام عليك فأننا رأيناه لما غرق وكان معه جماعة من الركاب كثيرون وما نجى منهم أحد فكيف تدعى أنت أنك صاحب البضائع فقلت له يا ريس اسمع قصتي وأفهم كلامي يظهر لك صدقي فأن الكذب سيمة المنافقين ثم أني حكيت للريس جميع ما كان مني حين خرجت معه من مدينة بغداد إلى أن وصلنا تلك الجزيرة التي غرقنا فيها وأخبرته ببعض أحوال جرت بيني وبينه فعند ذلك تحقق الريس والتجار صدقي فعرفوني وهنوني بالسلامة وقالوا جميعا والله ما كنا نصدق بأنك نجوت من الغرق ولكن رزقك الله عمرا جديدا ثم أنهم أعطوني البضائع فوجدنا اسمي مكتوبا عليها ولم ينقص منها شيء ففتحتها وأخرجت منها شيئاً نفيسا غالي الثمن وحملته معي بحرية المركب وطلعت به إلى الملك على سبيل الهدية وأعلمت الملك بأن هذه المركب التي كنت فيها وأخبرته أن بضائعي وصلت الي بالتمام والكمال وأن هذه الهدية منها فتعجب الملك من ذلك الأمر

غاية العجب وظهر له صدقى فى جميع ما قلته وقد أحبنى محبة شديدة وأكرمنى إكراماً زائدا وقد وهب لى شيئاً كثيراً فى نظير هديتى ثم بعت حمولى وما كان معى من البضائع وقد وهب لى شيئًا كثيرا فى نظير هديتى ثم بعت حمولتى وما كان معى من البضائع وكسبت فيها شيئًا كثيرا واشتريت بضاعة واسبابا ومتاعا من تلك المدينة ولما اراد تجار المركب السفر شحنت جميع ما كان معى فى المركب ودخلت عند الملك وشكرته على فضله وإحسانه ثم إنى أستأذنته فى السفر إلى بلادى وأهلى فودعنى وقد أعطانى شيئًا كثيرا عند سفرى من متاع تلك المدينة وقد ودعته ونزلت المركب وسافرنا بإذن الله تعالى وخدمنا السعد وساعدتنا المقادير ولم نزل مسافرين ليلاً ونهاراً إلى أن وصلنا بالسلامة إلى مدينة البصرة وطلعنا فيها فأقمنا فيها زمنا قليلا وقد فرحت بسلامتى وعودى إلى بلاد وبعد ذلك توجهت إلى مدينة بغداد دار السلام ومعى من الحمول والمتاع والأسباب شيء كثير له قيمة عظيمة ثم جئت إلى حارتى ودخلت بيتى وقد جاء جميع أهلى وأصحابى ثم أنى أشتريت لى خدما وحشما ومماليك وسرارى وعبيدا حتى صار عندى شيء كثير وقد اشتريت لى دورا وأماكن وعقارا أكثر من الأول ثم أنى عاشرت الأصحاب ورافقت الخلان وصرت أكثر ما كنت عليه فى الزمن الأول وقد نسيت جميع ما كنت قاسيت من التعب والغربه والمشقة وأهوال السفر واشتغلت باللذات والمسرات والماكل الطيبة والمشارب النفيسة ولم أزل على هذه الحالة وهذا ما كان من أول سفراتى وفى غد إن شاء الله تعالى أحكى لكم الحكاية الثانية من السبع سفرات ثم أن السندباد البحرى عشى السندباد البرى عنده وأمر له بمائه مثقال ذهباً وقال له آنستنا فى هذا النهار فشكره الحمال وأخذ منه ما وهبه له وأنصرف إلى حال سبيله وهو متفكر فيما يقع وما يجرى للناس ويتعجب غاية العجب ونام تلك الليلة فى منزله ولما أصبح الصباح جاء إلى بيت السندباد البحرى ودخل عنده فرحب به وأكرمه وأجلسه عنده ولما حضر بقية أصحابه قدم لهم الطعام والشراب وقد صفا لهم الوقت وحصل لهم الطرب فبدأ السندباد البحرى بالكلام وقال اعلموا يا أخوانى إنى كنت فى الذعيش واصفا سرور على ما تقدم ذكره لكم بالأمس وإدراك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة الثالثة والأربعون بعد الخمسمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن السندباد البحرى لما أجتمع عنده أصحابه قال لهم أنى كنت فى الذعيش إلى أن خطر ببالى يوما من الأيام السفر إلى بلاد الناس واشتاقت نفسى إلى التجارة والتفرج فى البلدان والجزائر وأكتساب المعاش فهممت فى ذلك الامر وقد أخرجت من مالى شيئًا كثيراً اشتريت به بضائع وأسبابا تصلح للسفر وحزمتها وجئت إلى الساحل فوجدت مركبا مليحة جديدة ولها قلع قماش مليح وهى كثيرة الرجال زائدة العدة ونزلت حمولى فيها أنا وجماعة من التجار وقد سافرنا فى ذلك النهار وطاب لنا السفر ولم نزل من بحر إلي بحر ومن جزيرة إلى جزيرة وكل محل رسينا عليه نقابل التجار وأرباب الدولة والبائعين والمشترين ونبيع ونشترى ونقايض بالبضائع فيه ولم نزل على هذه الحالة إلى أن ألقتنا المقادير على جزيرة مليحه كثيرة الأشجار يانعة الأثمار فايحة الأزهار مترنمة الأطيار صافية الأنهار ولكن ليس بها ديار ولا نافخ نار فارسى بنا الريس على تلك الجزيرة وقد طلع التجار والركاب الى تلك الجزيرة يتفرجون على ما بها من الأشجار والأطيار ويسبحون الله الواحد القهار ويتعجبون من قدرة الملك الجبار فعند ذلك طلعت إلى الجزيرة مع جملة من طلع وجلست على عين ماء صاف بين الأشجار وكان معى شيء من المأكل فجلست فى هذا المكان آكل ما قسم الله تعالى لى وقد طاب لنا النسيم بذلك المكان وصفا لى الوقت فأخذتنى سنة من النوم فارتحت فى ذلك المكان وقد استغرقت فى النوم واستلذذت بذلك النسيم الطيب والروايح الزكية ثم انى قمت فلم أجد فى ذلك المكان انسيا ولا جنيا وقد سارت المركب بالركاب ولم يتذكرنى منهم أحد لا من التجار ولا من البحرية فتركونى فى الجزيرة وقد التفت فيها يمينا وشمالا فلم أجد بها أحداً غيري فحصل عندى قهر شديد ما عليه من مزيد وقد كادت مرارتى تنفقع من شدة ما أنا فيه من الغم والحزن والتعب ولم يكن معى شيء من الدنيا ولا من المأكل ولا من المشرب وصرت وحيدا وقد تعبت فى نفسى وايست من الحياة وقلت ما كل مرة تسلم الجرة وأن كنت سلمت فى المرة الأولى ولقيت من أخذنى معه من الجزيرة إلى العمار ففى هذه المرة هيهات هيهات إن كنت أجد من يوصلنى إلى بلاد العمار ثم أنى صرت أبكى وأنوح على نفسى حتى تملكنى القهر ومت

نفسي على ما فعلته وعلى ما شرعت فيه من امر السفر والتعب من بعد ما كنت جالسا مرتاحاً في دياري وبلادي وأنا مبسوط ومتهن بمأكول طيب ومشروب طيب وملبوس طيب وما كنت محتاجاً شيئاً من المال ولا من البضائع وصرت أتندم على خروجي من مدينة بغداد وسفري في البحر من بعد ما قاسيت التعب في السفرة الأولى وأشرفت على الهلاك وقلت إنا لله وإنا إليه راجعون وقد صرت في حيز المجانين وبعد ذلك قمت على حيلي وتمشيت في الجزيرة يمينا وشمالا وصرت لا أستطيع الجلوس في محل واحد ثم أني صعدت على شجرة عالية وصرت انظر من فوقها يمينا وشمالا فلم أر غير سماء وماء واشجار وأطيار وجزائر ورمال وقد حققت النظر فلاح لي في الجزيرة شبح أبيض عظيم الخلقة فنزلت من فوق الشجرة وقصدته وصرت امشي إلى ناحيته ولم أزل سائرا إلى أن وصلت اليه واذبة قبة كبيرة بيضاء شاهقة في العلو كبيرة الدائرة فدنوت منها ودرت حولها فلم أجد لها بابا ولم أجد لي قوة ولا حركة إلى الصعود عليها من شدة النعومة فعلمت مكان وقوفي ودرت حول القبة أقيس دائرها فأذا هو خمسون خطوة وافية فصرت متفكراً في الحيلة الموصلة إلى دخولها وقد قرب زوال النهار وغروب الشمس وإذ بالشمس قد خفيت والجو قد أظلم واحتجبت الشمس عني فظننت أنه جاء على الشمس غمامة وكان ذلك في زمن الصيف فتعجبت ورفعت رأسي وتأملت في ذلك فرأيت طيرا عظيم الخلقة كبير الجثة عريض الإجنحة طائرا في الجو وهو الذي غطى عين الشمس وحجبها عن الجزيرة فازددت من ذلك عجبا ثم أني تذكرت حكاية وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة الرابعة والأربعون بعد الخمسمائة

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن السندباد البحري لما زاد تعجبه من الطائر الذي رآه في الجزيرة تذكر حكاية أخبره بها قديما أهل السياحة والمسافرون وهي أن في بعض الجزائر طيرا عظيم الخلقة يقال له الرخ يزق أولاده بالأفيال فتحققت أن القبة التي رأيتها إنما هي بيضة من بيض الرخ ثم أني تعجبت من خلق الله تعالى فبينما أنا على هذه الحالة وإذا بذلك الطائر نزل على تلك القبة وحضنها بجناحة ومد رجليه من خلفه على الأرض ونام عليها فسبحان من لا ينام فعند ذلك قمت وفككت عامتي من فوق رأسي

وثنيتها وفتلتها حتى صارت مثل الحبل وتحزمت بها وشددت وسطى وربطت نفسى فى رجلى ذلك الطائر وشددته شداً وثيقا وقلت فى نفسى لعل هذا يوصلنى إلى بلاد المدن والعمار ويكون ذلك أحسن من جلوسى فى هذه الجزيرة وقد بت تلك الليلة ساهرا خوفا من أن أنام فيطير بى على حين غفلة فلما طلع الفجر وبان الصباح قام الطائر من على بيضته وصاح صيحة عظيمة وأقتلع بى إلى الجو وهو يعلو ويرتفع حتى ظننت أنه وصل إلى عنان السماء وبعد ذلك تنازل بى حتى نزل بى على الأرض وحط على مكان مرتفع عال فلما وصلت إلى الأرض اسرعت وفككت الرباط من رجليه وأنا خائف منه ولم يدر بى ولم يحس بى وبعدها أفككت عمامتى منه وخلصتها من رجليه وأنا أنتفض ومشيت فى ذلك المكان ثم أنه أخذ شيئا من على وجه الأرض فى مخالبه وطار إلى عنان السماء تأملته فإذا هو حية عظيمة الخلقة كبيرة الجسم قد أخذها واقتلع بها إلى البهر فتعجبت من ذلك ثم أنى تمشيت فى ذلك المكان فوجدت نفسى فى مكان عال وتحته واد كبير واسع عميق وبجانبه جبل عظيم شاهق فى العلو لا يقدر أحد أن يرى أعلاه من فرط علوه وليس لأحد قدرة على الطلوع فوقة فلمت نفسى على ما فعلته وقلت ياليتنى مكثت فى الجزيرة فأنها أحسن من هذا المكان القفر لأن الجزيرة كان يوجد فيها شيء أكله من أصناف الفواكه واشرب من أنهارها وهذا المكان ليس فيه اشجار ولا اثمار ولا أنهار فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم أنا كل ما أخلص من مصيبة أقع فيما هو أعظم منها وأشد ثم أنى قمت وقويت نفسى ومشيت فى ذلك الوادى فرأيت أرضه من حجر الماس الذى يثقبون به المعادن والجواهر ويثقبون به الصينى والجزع وهو حجر صلب يابس لا يعمل فيه الحديد ولا الصخر ولا احد يقدران يقطع منه شيئا ولا أن يكسره إلا بحجر الرصاص وكل ذلك الوادى حيات وافاع كل واحدة مثل النخلة ومن عظيم خلقتها لو جاءها فيل لابتلعته وتلك الحيات يظهرن فى الليل ويختفين فى النهار خوفا من طير الرخ والنسران يختطفها وبعد ذلك يقطعها ولا أدرى ما سبب ذلك فاقمت بذلك الوادى وأنا متندم على ما فعلته وقلت فى نفسى والله أنى قد عجلت بالهلاك على نفسى وقد ولى النهار على فصرت أمشى فى ذلك الوادى واتلفت على محل ابيت فيه وأنا خائف من تلك الحيات ونسيت أكلى وشربى ومعاشى واشتغلت بنفسى فلاح لى مغارة بالقرب منى فمشيت فوجدت بابها ضيقا فدخلتها ونظرت الى حجر كبير عند بابها فدفعته وسددت

به باب تلك المغارة وأنا داخلها وقلت فيّ نفسى أنى أمنت لما دخلت فى هذا المكان وأن طلع على النهار وأطلع وانظر ما تفعل القدرة ثم التفت فى داخل المغارة فنظرت حية عظيمة نائمة فى صدر المغارة على بيضها فأقشعر بدنى اقمت رأسى وسلمت أمرى للقضاء والقدر وبت ساهرا طول الليل إلى أن طلع الفجر ولاح فازحت الحجر الذى سددت به باب المغارة وخرجت منها وأنا مثل السكران دايخ من شدة السهر والجوع والخوف وتمشيت فى الوادى فبينما أنا على هذه الحالة وإذا بذبيحة عظيمة قد سقطت قدامى ولم أجد أحدا فتعجبت من ذلك غاية العجب وتفكرت حكاية كنت اسمعها من قديم الزمان من بعض التجار والمسافرين وأهل السياحة فى جبال حجر الماس الأهوال العظيمة ولا يقدر أحد أن يسلك اليه ولكن التجار الذين يجلبونه يعملون حيلة فى الوصول اليه ويأخذون الشاة من الغنم ويذبحونها ويسلخونها ويشرحون لحمها ويرمونه من على ذلك الجبل إلى أرض الوادى فتنزل وهى طرية فيلتصق بها شىء من هذه الحجارة ثم تتركها التجار إلى نصف النهار فتنزل الطيور من النسور والرخم إلى ذلك اللحم وتأخذه فى مخالبها وتصعدا إلى اعلى الجبل فتأتيها التجار وتصيح عليها فتطير من عند ذلك اللحم ثم تقدم التجار إلى ذلك اللحم وتخلص منه الحجاره اللاصقة به.

ويتركون اللحم للطيور والوحوش ويحملون الحجاره إلى بلادهم ولا أحد يقدران يتوصل إلى مجىء حجر الماس إلا بهذه الحيلة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة الخامسة والأربعون بعد الخمسمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن السندباد البحرى صار يحكى لأصحابه جميع ما حصل له فى جبل الماس ويخبرهم أن التجار لا يقدرون على مجيء شىء منه إلا بحيلة مثل الذى ذكره ثم قال فلما نظرت إلى تلك الذبيحة وتذكرت هذه الحكاية قمت وجئت عند الذبيحة فنقيت من هذه الحجارة شيئاً كثيرا وأدخلته فى جيبى وبين ثيابي وصرت انقى وادخل فى جيوبى وحزامى وعمامتى وبين حوايجى فبينما أنا على هذه الحالة وإذا بذبيحة كبيرة فربطت نفسى عليها بعمامتى ونمت على ظهرى وجعلتها على صدرى وأنا قابض عليها فصارت عالية على الأرض وإذا بنسر نزل على تلك الذبيحة وقبض عليها

بمخالبه واقتلع بها إلى الجو وأنا معلق بها ولم يزل طائر إلى أن صعد بها إلى أعلى الجبل وحط بها وأراد أن ينهش منها وإذا بصيحة عظيمة عالية من خلف ذلك النسر وشيء يخبط بالخشب على ذلك الجبل فجفل النسر وخاف وطار إلى الجو ففككت نفسي من الذبيحة وقد تلوثت ثيابي من دمها ووقفت بجانبها وإذا بذلك التاجر الذى صاح على النسر تقدم إلى الذبيحة فرآني واقفا فلم يكلمني وقد فزع مني وارتعب وأتى الذبيحة وقلبها فلم يجد فيها شيئاً فصاح صيحة عظيمة وقال واخيبتاه لا حول ولا قوة إلا بالله نعوذ بالله من الشيطان الرجيم وهو يتندم ويخبط كفاً على كف ويقول واحسرتاه أى شيء هذا الحال فتقدم اليه فقال لى من أنت وما سبب مجيئك إلى هذا المكان فقلت لا تخف ولا تخش فأنى أنسي من خيار الأنس وكنت تاجرا ولي حكاية عظيمة وقصة غريبة وسبب وصولي إلى هذا الجبل وهذا الوادى له حكاية عجيبة فلا تخف فلك ما يسرك مني وأنا معي شيء كثير من حجر الماس فأعطيك منه شيئاً يكفيك وكل قطعة معي أحسن من كل شيء يأتيك فلا تجزع ولا تخف فعند ذلك شكرني الرجل ودعا لي وتحدّث معي وإذا بالتجار سمعوا كلامي مع رفيقهم فجاؤا إلى وكان كل تاجر رمى ذبيحة فلما قدموا علينا سلموا على وهنوني بالسلامة واخذوني معهم وأعلمتهم بجميع قصتي وما قاسيته فى سفرتي وأخبرتهم بسبب وصولي إلى هذا الوادى ثم إني أعطيت لصاحب الذبيحة التى تعلقت فيها شيأ كثيراً مما كان معي ففرح بي ودعا لي وشكرني على ذلك وقال لي التجار والله أنه قد كتب لك عمر جديد فما أحد وصل إلى هذا المكان قبلك ونجا منه ولكن الحمد لله على سلامتك وباتوا فى مكان مليح أمان وبت عندهم وأنا فرحان غاية الفرح بسلامتي ونجاتي من وادى الحيات ووصولي إلى بلاد العمار ولما طلع النهار قمنا وسرنا على ذلك الجبل العظيم وصرنا ننظر فى ذلك الوادى حيات كثيرة ولم نزل سائرين إلى أن أتينا بستانا فى جزيرة عظيمة مليحة وفيها شجر الكافور كل شجرة منه يستظل تحتها مائة انسان وإذا أراد أحد ان يأخذ منه شيئا يثقب من أعلى الشجرة ثقبا بشيء طويل ويتلقى ما ينزل منه فيسيل منه ماء الكافور ويعقد مثل الصمغ وهو عسل ذلك الشجر وبعد ذلك تيبس الشجرة وتصير حطبا وفى تلك الجزيرة صنف من الوحوش يقال له الكزكزان يرعى فيها رعيا مثل ما يرعى البقر والجاموس فى بلادنا ولكن جسم ذلك الوحش أكبر من جسم الجمل ويأكل العلق وهو دابة عظيمة لها قرن واحد غليظ فى

وسط رأسها طوله قدر عشر أذرع وفيه صوره إنسان وفي تلك الجزيرة شيء من صنف البقر وقد قال لنا البحريون المسافرون وأهل السياحة فى الجبل والأراضى أن هذا الوحش المسمى بالكركزان يحمل الفيل الكبير على قرنه ويرعى به فى الجزيرة والسواحل ولم يشعر به ويموت الفيل على قرنه ويسيح دهنه من حر الشمس على رأسه ويدخل فى عينيه فيعمى فيرقد فى جانب السواحل فيجيء له طير الرخ ويحمله فى مخالبه ويروح به عند أولاده ويزقهم به وبما على قرنه وقد رأيت فى تلك الجزيرة شيئا كثيرا من صنف الجاموس ليس له عندنا نظير وفى ذلك الوادى شيء كثير من حجر الماس الذى حملته معى وخبأته فى جيبى وقايضونى عليه ببضائع ومتاع من عندهم وحملوها لى معهم وأعطونى دراهم ودنانير ولم أزل سائراً معهم وأنا اتفرج على بلاد الناس وعلى ما خلق الله من واد إلى واد ومن مدينة إلى مدينة ونحن نبيع ونشترى إلى أن وصلنا إلى مدينة البصرة وقد اقمنا بها ايامً قلائل ثم جئت إلى مدينة بغداد وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة السادسة والأربعون بعد الخمسمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن السندباد البحرى لما رجع من غيبته ودخل مدينة بغداد دار السلام وجاء إلى حارته دخل داره ومعه من صنف حجر الماس شيء كثير ومعه مال ومتاع وبضائع لها صورة وقد اجتمع بأهله وأقاربه ثم تصدق ووهب وأعطى وهادى جميع أهله وأصحابه وصار يأكل طيباً ويشرب طيباً ويلبس لبساً مليحا ويعاشر ويرافق ونسى جميع ما كان قاساه ولم يزل فى هنى عيش وصفاء خاطر وانشراح صدر وهو فى لعب وطرب وصار كل من سمع بقدومه يجيء إليه ويسأله عن حال السفر وأحوال البلاد فيخبره ويحكي له ما لقيه وما قساه فيتعجب من شدة ما قاساه ويهنيه بالسلامة وهذا آخر ما جرى له وما اتفق له فى السفرة الثانية ثم قال لهم وفى غد إن شاء الله تعالى أحكى لكم حال السفر الثالثة فلما فرغ السندباد البحرى من حكايته للسندباد البرى تعجبوا من ذلك وتعشوا عنده وامر للسندباد بمائة مثقال ذهبا فاخذها وتوجه الى حال سبيله وهو يتعجب مما قاساه السندباد البحرى وشكره ودعى له فى بيته ولما اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح قام السندباد الحمال وصلى الصبح وجاء الى بيت السندباد

البحرى كما أمره ودخل اليه فصبح عليه فرحب به وجلس معه حتى اتاه باقى اصحابه وجماعته وقد اكلوا وشربوا واستلذوا وطربوا وانشرحوا فابتدأ السندباد البحرى بالكلام وقال السفرة الثالثة اعلموا يا اخوانى واسمعوا منى حكايتها فانها اعجب من الحكايات المتقدمة قبل تاريخه والله اعلم بغيبه واحكم انى فيما مضى وتقدم لما جئت من السفرة الثانية وانى فى غاية البسط والانشراح فرحان بالسلامة وقد كسبت مالا كثيرا كما حكيت لكم امس تاريخه وقد عوض الله على جميع ما راح منى اقمت بمدينة بغداد مدة من الزمان وأنا فى غاية الحظ والصفا والبسط والانشراح فاشتاقت نفسى الى السفر والفرجة وتشوقت الى المتجر والكسب والفوائد والنفس امارة بالسوء فهمت واشتريت شيئًا كثيرا من البضائع المناسبة لسفر البحر وقد حزمتها الى السفر وسافرت بها من مدينة بغداد الى مدينة البصرة وجئت الى ساحل ا لبحر فرأيت مركبا عظيمة وفيها تجار وركاب كثير أهل خيروناس ملاح طيبون اهل دين ومعروف وصلاح فنزلت معهم فى تلك المركب وسافرنا على بركة الله تعالى بعونه وتوفيقه وقد استبشرنا بالخير والسلامة ولم نزل سائرين من بحر إلى بحر ومن جزيرة الى جزيرة ومن مدينتة الى الى مدينة وفى كل مكان مررنا عليه نتفرج ونبيع ونشترى ونحن فى غاية الفرح والسرور الى ان كنا يوما من الايام سائرين فى وسط البحر العجاج المتلاطم بالامواج واذا بالريس وهو على جانب المركب ينظر الى نواحى البحر ثم انه لطم على وجهه وطوى قلوع المركب ورمى مراسيها ونتف لحيته ومزق ثيابه وصاح صياحا عظيما فقلنا له يا ريس ما الخبر فقال اعلموا يا ركاب السلامة ان الريح غلب علينا وقد عسف بنا فى وسط البحر ورمتنا المقادير لسوء بختنا الى جبل القرود وما وصل الى هذا المكان احد وسلم منه قط وقد احس قلبى بهلاكنا اجمعين فما استتم قول الريس حتى جاء القرود وما وصل الى هذا المكان احد وسلم منه قط وقد احس قلبى بهلا كنا اجمعين فما استتم قول الريس حتى جاءنا القرود وقد احتاطوا بالمركب من كل جانب وهم شيء كثير مثل الجراد المنتشر فى المركب وعلى البر فخفنا ان قتلنا منها احدا اوضربناه او طردناه ان يقتلونا لفرط كثرتهم والكثرة تغلب الشجاعة وبقينا خائفين منهم ان ينهبوا رزقنا ومتاعنا وهم اقبح الوحوش وعليهم شعور مثل اللبد الاسود ورؤيتهم تفزع ولا يفهم احد لهم كلاما ولا خبرا وهم مستوحشون من الناس صفر العيون سود الوجوه صغار الخلقة طول كل واحد منهم اربعة اشبار وقد

طلعوا على حبال المرساة وقطعوها باسنانهم وقطعوا جميع حبال المركب من كل جانب فمالت المركب من الريح ورست على جبلهم وصارت المركب فى برهم وقد قبضوا على جميع التجار والركاب وطلعوا الى الجزيرة واخذوا المركب بجميع ما كان فيها وراحوا بها الى حال سبيلهم وقد تركونا فى الجزيرة وخفيت عنا المركب ولا نعلم أين راحوا بها فبينما نحن فى تلك الجزيرة نأكل من اثمارها وبقولها وفواكهها ونشرب من الانهار التى فيها اذلاح لنا بيت عامر فى وسط تلك الجزيرة فقصدناه ومشينا اليه فاذا هو قصر مشيد الاركان عالى الاسوار له باب بضرفتين مفتوح وهو من خشب الابنوس فدخلنا باب ذلك القصر فوجدنا له حضيرا واسعا مثل الحوش الواسع الكبير فى دائرة ابواب كثيرة عالية فى صدره ومصطبة عالية كبيرة وفيها اوانى طبيخ معلقة على الكوانين وحواليها عظام كثيرة ولم نر فيها احدا فتعجبنا من ذلك غاية العجب وقد جلسنا فى حضير ذلك القصر قليلا ثم بعد ذلك نمنا ولم نزل نائمين من ضحوة النهار الى غروب الشمس واذا بالارض قد ارتجت من تحتنا وسمعنا دويا من الجو وقد نزل علينا من اعلى القصر شخص عظيم الخلقة فى صفة انسان وهو اسود اللون طويل القامة كأنه نخلة عظيمة وله عينان كانهما شعلتان من نار وله انياب مثل انياب الخنازير وله فم عظيم الخلقة مثل فم البئر وله مشافر مثل مشافر الجمل مرخية على صدره وله اذنان مثل الحرمين مرضيتان على اكتافه واظافر يديه مثل مخالب السبع فلما نظرناه على هذه الحالة غبنا عن وجودنا وقوى خوفنا واشتد فزعنا وصرنا مثل الموتى من شدة الخوف والجزع والفزع وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة السابعة والاربعون بعد الخمسمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان السندباد البحرى ورفقته لما رأوا هذا الشخص الهايل الصورة حصل لهم غاية الخوف والفزع فلما نزل على الارض جلس قليلا على المصطبة ثم انه قام وجاء عندنا ثم انه قبض على يدى من بين اصحابى التجار ورفعنى بيده عن الرض وجسنى وقلبنى فصرت فى يده مثل اللقمة الصغيرة وصار يجسنى مثل ما يجس الجزار ذبيحة الغنم فوجدنى ضعيفا من كثرة القهر هزيلا من كثرة التعب والسفر وليس فى شيء من اللحم فاطلقنى من يده واخذ واحدا غيرى من رفقتى وقلبه

كما قلبني وجسه كما جسني واطلقه ولم يزل يجسنا ويقلبنا واحدا بعد واحدا بعد واحد الى ان وصل الى ريس المركب التى كنا فيها وكان رجلا سمينا غليظا عريض الاكتاف صاحب قوة وشدة فاعجبه وقبض عليه مثل ما يقبض الجزار على ذبيحته ورماه على الارض ووضع رجله على رقبته فقصف رقبته وجاء بسيخ طويل فادخله فى حلقه حتى اخرجه من دبره واوقد نارا شديدة وركب عليها ذلك السيخ الذى مشكوك فيه الريس ولم يزل يقلبه على الجمر حتى استوى لحمه واطلعه من النار وحطه قدامه وفسخه كما يفسخ الرجل الفرخة وصار يقطع لحمه باظافره ويأكل منه ولم يزل على هذه الحالة حتى اكل لحمه ونهش عظمه ولم يبق منه شيأ ورمى باقى العظام فى جنب القصر ثم انه جلس قليلا وانطرح ونام على تلك المصطبة وصار يسخر مثل شخير الخاروف أو البهيمة المذبوحة ولم يزل نائما الى الصباح ثم قام وخرج الى حال سبيله فلما تحققنا بعده تحدثنا مع بعضنا وبكينا على ارواحنا وقلنا يا ليتنا غرقنا فى البحر أو أكلتنا القرود خير من شيّ الانسان على الجمر والله ان هذا الموت موت رديء ولكن ماشاء الله كان ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم لقد متنا كمدا ولم يدر بنا أحد وما بقى لنا نجاة من هذا المكان ثم إننا قمنا وخرجنا إلى الجزيرة لننظر لنا مكانا نختفى فيه أو نهرب وقد هان علينا أن نموت ولا يشوى لحمنا بالنار فلم نجد لنا مكانا نختفى فيه وقد أدركنا المساء فعدنا إلى القصر من شدة خوفنا وجلسنا قليلا وإذا بالأرض قد أرتجت من تحتنا وأقبل علينا ذلك الشخص الأسود وجاء عندنا وصار يقلبنا واحدا بعد واحد مثل المرة الأولى ويجسنا حتى أعجبه واحد فقبض عليه وفعل به مثل ما فعل بالريس فى أول يوم فشواه وأكله على تلك المصطبة ولم يزل نائماً فى تلك الليلة وهو يشخر مثل الذبيحة فلما طلع النهار قام وراح إلى حال سبيله وتركنا على جرى عادته فاجتمعنا ببعضنا وتحدثنا وقلنا لبعضنا والله أن نلقى انفسنا فى البحر ونموت غرقاً خير من أن نموت حرقا لأن هذه قتلة شنيعة فقال واحد منا اسمعوا كلامى أننا نحتال عليه ونقتله ونرتاح من همه ونريح المسلمين من عدوانه وظلمه فقلت لهم اسمعوا يا أخوانى إن كان ولابد من قتله فأننا نحول هذا الخشب وننقل شيئًا من هذا الحطب ونعمل لنا فلكا مثل المركب وبعد ذلك نختال فى قتله وننزل فى الفلك ونروح فى البحر إلى أى محل يريدة الله وإننا نقعد فى هذا المكان حتى تمر علينا مركب فننزل فيها وإن لم نقدر على قتله ننزل ونروح فى البحر ولو كنا نعرف

فنرتاح من شيئا على النار ومن الذبح وإن سلمنا سلمنا وإن غرقنا متنا شهداء فقالوا جميعا والله هذا رأى سديد وفعل رشيد واتفقنا على هذا الأمر وشرعنا فى فعله فنقلنا الأخشاب إلى خارج القصر وصنعنا فلكا وربطناه على جانب البحر ونزلنا فيه شيئا من الزاد وعدنا إلى القصر فلما كان وقت الماء وإذا بالأرض قد ارتجت بنا ودخل علينا الأسود وهو كأنه الكلب العقور ثم قلبنا وجسنا واحدا بعد واحد فأخذ واحدا منا وفعل به مثل ما فعل بسابقه وأكله ونام على المصطبة وصار شخيره مثل الرعد فنهضنا وقمنا واخذنا سيخين من حديد من الأسياخ المنصوبة ووضعناهما فى النار القوية حتى احمرا وصار مثل الجمر وقبضنا عليهما قبضا شديدا وجئنا بهما الى ذلك الأسود وهو نائم يشخر ووضعناهما فى عينية وأتكأنا عليهما جميعا بقوتنا وعزمنا فأدخلناهما فى عينيه وهو نائم فانطمستا وصاح صيحة عظيمة فارتعبت قلوبنا منه ثم قام من فوق تلك المصطبة بعزمه وصار يفتش علينا ونحن نهرب منه يمينا وشمالا ولم ينظرنا وقد عمى بصره فخفنا منه مخافة شديدة وايقنا فى تلك الساعة بالهلاك وآيسنا من النجاة فعند ذلك قصد الباب وهو يحسس وخرج منه وهو يصيح ونحن فى غاية الرعب منه وإذا بالأرض ترتج من تحتنا من شدة صوته فلما خرج من القصر تبعناه وراح إلى حال سبيله وهو يدور علينا ثم أنه رجع ومعه انثى أكبر منه واوحش خلقة فلما رأيناه والتى معه افظع حالة منه خفنا غاية الخوف فلما رأونا اسرعنا ونهضنا فككنا الفلك الذى صنعناه ونزلنا فيه ودفعناه فى البحر ومع كل واحد منهم صخرة عظيمة وصاروا يرجموننا بها إلى أن مات أكثرنا من الرجم وبقى منا ثلاثة أشخاص أنا وأثنان وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الثامنة والأربعون بعد الخمسمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن السندباد البحرى لما نزل فى الفلك هو وأصحابه وصار يرجمهم الأسود ورفيقته مات أكثرهم ولم يبق منهم ثلاثة أشخاص فطلع بهم الفلك إلى جزيرة قال فمشينا إلى آخر النهار فدخل علينا الليل ونحن على هذه الحالة فنمنا قليلا واستيقظنا من منامنا وإذا بثعبان عظيم الخلقه كبير الجثة واسع الجوف قد أحاط بنا وقصد واحد منا فبلعه إلى أكتافه ثم بلع باقيه فسمعنا أضلاعه تتكسر فى بطنه وراح إلى حال سبيله فتعجبنا من ذلك غاية العجب وحزنا على رفيقنا وصرنا فى غاية الخوف

على انفسنا وقلنا والله هذا أمر عجيب كل موت اشنع من سابقه وكنا فرحنا بسلامتنا من الأسود فما تمت الفرحة لا حول ولا قوة إلا بالله والله قد نجونا من الأسود ومن الغرق فكيف تكون نجاتنا من هذه الأفة المشئومة ثم اننا قمنا فمشينا فى الجزيرة وأكلنا من ثمرها وشربنا من انهارها ولم نزل فيها إلى وقت المساء فوجدنا شجرة عظيمة عالية فطلعناها ونمنا فوقها وقد طلعت أنا أعلا فروعها فلما دخل الليل وأظلم الوقت جاء الثعبان وتلفت يمينا وشمالا ثم أنه قصد تلك الشجرة التى نحن عليها ومشى حتى وصل إلى رفيقى وبلعه إلى أكتافه والتف به على الشجرة فسمعت عظمه ينكسر فى بطنه ثم بلعه بتمامه وأنا أنظر بعينى ثم أن الشعبان نزل من فوق تلك الشجرة وراح إلى حال سبيله ولم أزل على تلك الشجرة باقى تلك الليلة فلما طلع النهار وبان النور نزلت من فوق الشجرة وأنا مثل الميت من كثرة الخوف الفزع وأردت أن القى بنفسى فى البحر واستريح من الدنيا فلم تهن على روحى لأن الروح عزيزة فربطت خشبة عريضة على أقدامى بالعرض وربط واحدة مثلها على جنبى الشمال ومثلها على جنبى اليمين ومثلها على بطنى وربطت واحدة طويلة عريضة من فوق رأسى بالعرض مثل التى تحت أقادمى وصرت أنا فى وسط هذا الخشب وهو محتاط بى من كل جانب وقد شددت ذلك شدا وثيقا والقيت نفسى بالجميع على الأرض فصرت نائماً بين تلك الأخشاب وهى محيطة بى كالمقصورة فلما أمسى الليل أقبل ذلك الشعبان على جرى عادته ونظر الى وقصدنى فلم يقدر أن يبلعنى وأنا على تلك الحالة والأخشاب حولى من كل جانب فدار الشعبان حولى ولم يستطيع الوصول إلى وأنا أنظر بعينى وقد صرت كالميت من شدة الخوف والفزع وصار الثعبان يبعد عنى ويعود إلى ولم يزل على هذه الحالة وكلما أراد الوصول إلى ليبتلعنى تمنعه تلك الأخشاب المشدودة على من كل جانب ولم يزل كذلك من غروب الشمس إلى أن طلع الفجر وبان النور وأشرقت الشمس فمضى الثعبان إلى حال سبيله وهو فى غاية ما يكون من القهر والغيظ فعند ذلك مددت يدى وفككت نفسى من تلك الأخشاب وأنا فى حكم الأموات من شدة ما قاسيت من ذلك الشعبان ثم أنى قمت ومشيت فى الجزيرة حتى إنتهيت إلى آخرها فلاحت منى التفاتة إلى ناحية البحر فرأيت مركبا على بعد فى وسط اللجة فأخذت فرعا كبيرا من شجرة ولوحت به إلى ناحيتهم وأنا أصيح عليهم فلما رأونى قالوا لابد أننا ننظر ما يكون هذا لعله إنسان ثم أنهم قربوا منى وسمعوا

صياحى عليهم فجاؤا إلى واخذونى معهم فى المركب وسألونى عن حالى فأخبرتهم بجميع ما جرا لى من أوله الى آخره وما قاسيته من الشدائد فتعجبوا من ذلك غاية العجب ثم انهم البسونى من عندهم ثيابا وسترو عورتى وبعد ذلك قدموا لى شيئًا من الزاد فأكلت حتى أكتفيت وسقونى ماء بارد عذباً فانتعش قلبى وأرتاحت نفسى وحصل لى راحة عظيمة وأحيانى الله تعالى بعد موتى فحمدت الله تعالى على نعمه الوافرة وشكرته وقد قويت همتى بعد ما كنت أيقنت بالهلاك حتى تخيل لى أن جميع ما أنا فيه منام ولم نزل سائرين وقد طاب لنا الريح بأذن الله تعالى إلى أن أشرفنا على جزيرة يقال لها جزيرة السلاهطة فأوقف الريس المركب عليها وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة التاسعة والأربعون بعد الخمسمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن المركب التى نزل فيها السندباد البحرى رست على جزيرة فنزل منها جميع التجار والركاب وأطلعوا بضائعهم ليبيعوا ويشتروا قال السندباد البحرى فالتفت إلى صاحب المركب وقال لى أسمع كلامى أنت رجل غريب فقير وقد أخبرتنا أنك قاسيت أهوالا كثيرة ومرادى أنفعك بشيء يعينك على الوصول إلى بلادك وتبقى تدعو لى فقلت له نعم ولك منى الدعا فقال أعلم أنه كان معنا رجل مسافر فقدناه ولم نعلم هل هو بالحياة أم مات ولم نسمع عنه خبرا ومرادى أدفع لك حمولة لتبيعها فى هذه الجزيرة وتحفظها ونعطيك شيئًا فى نظير تعبك وخدمتك وما بقى منا نأخذه إلى نعود إلى مدينه بغداد فنسأل عن أهله وندفع إليهم بقيتها وثمن ما بيع منها فهل لك أن تتسلمها وتنزل بها هذه الجزيرة فتبيعها مثل التجار فقلت سمعا وطاعة لك يا سيدى ولك الفضل والجميل ودعوت له وشكرته على ذلك فعند ذلك أمر الحاملين والبحرية بأخراج تلك البضائع إلى الجزيرة وأن يسلموها إلى فقال كاتب المركب يا ريس ما هذا الحمول التى أطلعها البحرية والحمالون وأكتبها بأسم من من التجار فقال أكتب عليها أسم السندباد البحرى الذى كان معنا وغرق فى الجزيرة ولم يأتنا عنه خبر فنريدان هذا الغريب يبيعها ويحمل ثمنها ونعطيه شيئًا منه نظير تعبه وبيعه والباقى نحمله معنا حتى نرجع إلى مدينة بغداد فإن وجدناه أعطيناه أياه وإن لم نجده ندفعه إلى أهله فى مدينة بغداد فقال الكاتب

كلامك مليح ورأيك رجيح فلما سمعت كلام الريس وهو يذكران الحمول بأسمى قلت في نفسي والله أنا السندباد البحرى وأنا غرقت فى الجزيرة مع جملة من غرق ثم أنى تجلدت وصبرت الى أن طلع التجار من المركب واجتمعوا يتحدثون ويتذاكرون فى أمور البيع والشراء فتقدمت إلى صاحب المركب وقلت له يا سيدى هل تعرف كيف كان صاحب الحمول التى سلمتها الى لابيعها فقال لى لا أعلم له حالا ولكنه كان رجلا من مدينة بغداد يقال له السندباد البحرى وقد أرسينا على جزيرة من الجزائر فغرق منا فيها خلق كثير وفقد بجملتهم ولم نعلم له خبرا إلى هذا الوقت فعند ذلك صرخت صرخة عظيمة وقلت له يا ريس السلامة أعلم إنى أنا السندباد البحرى لم أغرق ولكن لما أرسيت على الجزيرة وطلع التجار والركاب طلعت أنا مع جملة الناس ومعى شيء آكله بجانب الجزيرة ثم أنى تلذذت بالجلوس فى ذلك المكان فأخذتنى سنة من النوم فنمت وغرقت فى النوم ثم أنى قمت أجدا المركب ولم أجد أحدا عندى وهذا المال مالى وهذه البضائع بضائعى وجميع التجار الذين يجلبون حجر الماس رأونى وأنا فى جبل الماس ويشهدون لى بأنى أنا السندباد البحرى كما أخبرتهم بقصتى وما جرى لى معكم فى المركب وأخبرتهم بأنكم نسيتونى فى الجزيرة نائما وقمت فلم أجد أحدا وجرى ما جرى فلما سمع التجار والركاب كلامى اجتمعوا على فمنهم من صدقنى ومنهم من كذبنى فبينما نحن كذلك وإذا بتاجر من التجار حين سمعنى اذكر وادى الماس نهض وتقدم عندى وقال لهم اسمعوا يا جماعة كلامى أنى لما كنت ذكرت لكم اعجب ما رأيت فى اسفارى لما القينا الذبايح فى وادى الماس والقيت ذبيحتى معهم على جرى عادتى طلع فى ذبيحتى رجل متعلق بها ولم تصدقونى بل كذبتونى فقالوا نعم حكيت لنا على هذا الأمر ولم نصدقك فقال لهم التاجر هذا الرجل الذى تعلق فى ذبيحتى وقد أعطانى شيئًا من حجر الماس الغالى الثمن الذى لا يوجد نظيره وعوضنى أكثر ما كان يطلع لى وفى ذبيحتى وقد استصحبته معى إلى أن وصلنا إلى مدينة البصرة وبعد ذلك توجه إلى بلاده وودعنا ورجعنا إلى بلادنا وهو هذا وأعلمنا أن أسمه السندباد البحرى وقد أخبرنا بذهاب المركب وجلوسه فى هذه الجزيرة وأعلموا أن هذا الرجل ما جاءنا هنا إلا لتصدقوا كلامى مما قلته لكم وهذه البضائع كلها رزقه فأنه أخبرنا بها فى وقت اجتماعه علينا وقد ظهر صدقه فى قوله فلما سمع الريس كلام ذلك التاجر قام على حيله وجاء عندى وحقق فى

النظر ساعة وقال ما علامة بضائعك فقلت له أعلم أن علامه بضائعي ما هو كذا وكذا وقد أخبرته بأمر كان بيني وبينه لما نزلت معه المركب من البصرة فتحقق أني أنا السندباد البحري فعانقني وسلم علي وهناني بالسلامة وقال والله يا سيدي أن قصتك عجيبة وأمرك غريب ولكن الحمد لله الذي جمع بيننا وبينك ورد بضائعك ومالك عليك وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة الموفية للخمسين بعد الخمسمائة

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن السندباد البحري لما تبين للريس والتجار أنه هو بعينه وقال له الريس الحمد لله الذي رد بضاعك ومالك عليك قال فعند ذلك تصرفت في بضائعي بمعرفتي وربحت بضاعتي في تلك السفرة شيئًا كثيرا وفرحت بذلك فرحاً عظيما وهنأت نفسي بالسلامة وعود مالي إلي ولم نزل نبيع ونشتري في الجزائر إلى أن وصلنا إلى بلاد السند وقد بعنا فيها واشترينا ورأيت في ذلك البحر شيئًا كثيراً من العجائب والغرائب لا يعد ولا يحصى ومن جملة ما رأيت في ذلك البحر سمكة على صفة البقرة وشيئًا على صفة الحمير ورأيت طيرا يخرج من صدف البحر ويبيض ويفرخ على وجه الماء ولا يطلع من البحر على وجه الأرض أبداً وبعد ذلك لم نزل مسافرين بإذن الله تعالى وقد طاب لنا الريح والسفر إلى أن وصلنا إلى البصرة وقد أقمت بها أياماً قلائل وبعد ذلك جئت إلى مدينة بغداد فتوجهت إلى حارتي ودخلت بيتي وسلمت على أهلي وأصحابي وأصدقائي وقد فرحت بسلامتي وعودي إلى بلادي وأهلي ومدينتي وديارى وتصدقت ووهبت وكسوت الأرامل والأيتام وجمعت أصحابي وأحبابي ولم أزل على هذه الحالة في أكل وشرب ولهو وطرب وأنا آكل طيبا وأشرب طيبا وأعاشر وأخالط وقد نسيت جميع ما كان جرى لي وما قاسيت من الشدائد والأهوال وكسبت شيئًا في هذه السفرة لا يعد ولا يحصى وهذا أعجب ما رأيته في هذه السفرة وفي غدان شاء الله تعالى تجيء إلي وأحكي حكاية السفرة الرابعة فأنها أعجب من هذه السفرات ثم أن السندباد البحري أمر بأن يدفعوا إليه مائة مثقال من الذهب على جري عادته وأمر بمد السماط فمدوه وتعشى الجماعة وهم يتعجبون من تلك الحكاية وما جرى فيها ثم أنهم

بعد العشاء انصرفوا إلى حال سبيلهم وقد أخذ السندباد الحمال ما أمر له به من الذهب وانصرف إلى حال سبيله وهو متعجب مما سمعه من السندباد البحري وبات في بيته ولما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح قام السندباد الحمال وصلى الصبح وتمشى إلى السندباد البحرى وقد دخل إليه وسلم عليه وتلقاه بالفرح والإنشراح وأجلسه عنده إلى أن حضر بقية أصحابه وقد قدموا الطعام فأكلوا وشربوا وانبسطوا فبدأهم بالكلام وحكى لهم الحكاية الرابعة قال السندباد البحرى أعلموا يا أخوانى لما عدت إلى مدينة بغداد واجتمعت على أصحابى وأهلى وأحبابى وصرت فى أعظم ما يكون من الهناء والسرور والراحة وقد نسيت ما كنت فيه لكثرة الفوائد وغرقت في اللهو والطرب ومجالسة الأحباب والأصحاب وأنا فى الذما يكون من العيش فحدثتنى نفسى الخبيثة بالسفر إلى بلاد الناس وقد اشتقت إلى مصاحبة الأجناس والبيع والمكاسب فهممت فى ذلك الأمر واشتريت بضاعة نفيسة تناسب البحر وحزمت حمولا كثيرة زيادة عن العادة وسافرت من مدينة بغداد إلى مدينة البصرة ونزلت حمولي في مركب واصطحبت بجماعة من أكابر البصرة وقد توجهنا إلى السفر وسارت بنا المركب على بركة الله تعالى فى البحر العجاج المتلاطم بالأمواج وطاب لنا السفر ولم نزل على هذه الحالة مدة ليال وأيام من جزيرة الى جزيرة ومن بحر إلى بحر أن خرجت علينا ريح مختلفة يوما من الأيام فرمى الريس مراسى المركب وأوقفها فى وسط البحر خوفاً عليها من الغرق فى وسط الأباحة فبينما نحن على هذه الحالة ندعوا ونتضرع إلى الله تعالى إذ خرج علينا عاصف ريح شديد مزق القلع وقطعه قطعاً وغرق الناس وجميع حمولهم وما معهم من المتاع والأموال وغرقت أنا بجملة من غرق وعمت فى البحر نصف نهار وقد تخليت عن نفسى فيسر الله تعالى لى قطعة خشب من الواح المركب فركبتها أنا وجماعه من التجار وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة الحادية والخمسون بعد الخمسمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن السندباد البحرى بعد أن غرقت المركب وطلع على لوح خشب هو وجماعة من التجار قال اجتمعنا على بعضنا ولم نزل راكبين على ذلك

اللوح ونرفص بارجلنا في البحر والأمواج والريح تساعدنا فمكثنا على هذه الحالة يوما وليلة فلما كان ثاني يوم ضحوة نهار ثار علينا ريح وهاج البحر وقوى الموج والريح فرمانا الماء على جزيرة ونحن مثل الموتى من شدة السهر والتعب والبرد والجوع والخوف والعطش وقد مشينا في جوانب تلك الجزيرة فوجدنا فيها نباتا كثيراً فأكلنا منه شيئًا يسد رمقنا وبقينا وبتنا تلك الليلة على جانب الجزيرة فلما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح قمنا ومشينا في الجزيرة يمينا وشمالا فلاح لنا عمارة على بعد فسرنا في تلك الجزيرة قاصدين تلك العمارة التي رأيناها من بعد ولم نزل سائرين الى أن وقفنا على بابها فبينما نحن واقفون هناك إذ خرج علينا من ذلك الباب جماعة عراة ولم يكلمونا وقد قبضوا علينا وأخذونا عند ملكهم فأمرنا بالجلوس فجلسنا وقد أحضروا لنا طعاماً لم نعرفه ولا في عمرنا رأينا مثله فلم تقبله نفسي ولم آكل منه شيئاً دون رفقتي وكان قلة أكلي منه لطفا من الله تعالى حتى عشت إلى الآن فلما أكل أصحابي من ذلك الطعام ذهلت عقولهم صاروا يأكلون مثل المجانين وتغيرت أحوالهم وبعد ذلك أحضروا لهم دهن النارجيل فسقوهم منه ودهنوهم منه فلما شرب أصحابي من ذلك الدهن زاغت عينهم في وجوههم وصاروا يأكلون من ذلك الطعام بخلاف أكلهم المعتاد فعند ذلك احترت في أمرهم وصرت اتأسف عليهم وقد صار عندي هم عظيم من شدة الخوف على نفسي من هؤلاء العرايا وقد تأملتهم فإذا هم قوم مجوس وملك مدينتهم غول وكل من وصل إلى بلادهم أو رأوه أو صادفوه في الوادي والطرقات يجيئون به إلى ملكهم ويطعمونه من ذلك الطعام ويدهنونه بذلك الدهن فيتسع جوفه لأجل أن يأكل كثيرا ويذهل عقله وتنطمس فكرته ويصير مثل الأبله فيزيدون له الأكل والشرب من ذلك الطعان والدهن حتى يسمن يغلظ فيذبحونه ويشونه ويطعمونه لملكهم وأما أصحاب الملك فيأكلون من لحم الإنسان بلا شيّ ولا طبخ فلما نظرت منهم ذلك الأمر صرت في غاية الكرب على نفسي وعلى أصحابي من فرط ما دهشت عقولهم لا يعلمون ما يفعل بهم وقد سلموهم إلى شخص فصار يأخذهم كل يوم ويخرج يرعاهم في تلك الجزيرة مثل البهائم وأما أنا فقد سرت من شدة الخوف والجوع ضعيفا سقيم الجسم وصار لحمي يابسا على عظمي

فلما رأونى على هذه الحالة تركونى ونسونى ولم يتذكرنى منهم واحد ولا خطرت لهم على بال إلى أن تحيلت يوما من الأيام وخرجت من ذلك المكان ومشيت فى تلك الجزيرة وبعدت عن ذلك المكان فرأيت رجلا راعيا جالسا على شيء مرتفع فى وسط البحر فتحققته فإذا هو الرجل الذى سلموا إليه أصحابى ليرعاهم ومعه شيء كبير من مثلهم فلما نظرنى ذلك الرجل على إنى مالك عقلى ولم يصبنى شيء مما أصاب أصحابى فأشار إلى من بعيد وقال لى أرجع إلى خلفك وأمش فى الطريق الذى على يمينك تسلك إلى الطريق السلطانية فرجعت إلى خلفى كما أشار لى هذا الرجل فنظرت إلى طريق على يمينى فسرت فيها ولم أزل سائرا وأنا ساعة أجرى من الخوف وساعة أمشى على مهلى حتى أخذت راحتى ولم أزل على هذه الحالة حتى خفيت عن عيون الرجل الذى دلنى على الطريق وسرت لا أنظره ولا ينظرنى وغابت الشمس عنى وأقبل الظلام فجلست لاستريح وأردت النوم فلم يأتنى فى تلك الليلة نوم من شدة الخوف والجوع والتعب فلما أنصف الليل قمت ومشيت فى الجزيرة ولم أزل سائرا حتى طلع النهار وأصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح وطلعت الشمس على رؤس الروابى والبطاح وقد تعبت وجعت وعطشت فصرت آكل من الحشيش والنبات الذى فى الجزيرة ولم أزل آكل من ذلك النبات حتى شبعت وانسدر مقى وبعد ذلك قمت ومشيت فى الجزيرة ولم أزل على هذه الحالة طول النهار والليل وكل ما أجوع آكل من النبات ولم أزل على هذه الحالة مدة سبعة أيام بلياليها فلما كانت صبيحة اليوم الثامن لاحت منى نظرة فرأيت شبحا من بعيد فسرت اليه ولم أزل سائر إلى أن حصلته بعد غروب الشمس فحققت النظر فيه وأنا بعيد عنه وقلبى خائف من الذى قاسيته أولا وثانيا وإذا هم جماعة يجمعون حب الفلفل فلما قربت منهم ونظرونى تسارعوا إلى وجاؤا عندى وقد أحاطوا بى من كل جانب وقالوا لى من أنت ومن اين أقبلت فقلت لهم اعلموا يا جماعة أنى رجل غريب مسكين وأخبرتهم بجميع ما كان من أمرى وما جرى لى من الأهوال والشدائد وما قاسيته وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والخمسون بعد الخمسمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن السندباد البحرى لما رأى الجماعة الذين يجمعون الفلفل فى الجزيرة وسألوه عن حاله حكى لهم جميع ما جرى له وما قاساه من الشدائد فقالوا والله هذا أمر عجيب ولكن كيف خلاصك من السودان وكيف مرورك عليهم فى هذه الجزيرة وهم خلق كثيرون ويأكلون الناس ولا يسلم منهم احد ولا يقدران يجور عليهم أحد فأخبرتهم بما جرى لى معهم وكيف أخذوا أصحابى وأطعموهم الطعام ولم آكل منه فهنونى بالسلامة وصاروا يتعجبون مما جرى لى ثم أجلسونى عندهم حتى فرغوا من شغلهم وأتونى بشىء من الطعام المليح فأكلت منه وكنت جائعاً وأرتحت عندهم ساعة من الزمان وبعد ذلك أخذونى ونزلوا بى فى مركب وجاؤا لى جزيرتهم ومساكنهم وقد أعرضونى على ملكهم فسلمت عليه ورحب بى وأكرمنى وسألنى عن حالى فأخبرته بما كان من أمرى وما جرى لى وما أتفق لى من يوم خروجى من مدينة بغداد إلى حين وصلت إليه فتعجب ملكهم من قصتى وما أتفق لى غاية العجب هو ومن كان حاضرا فى مجلسه ثم أنه أمرنى بالجلوس عنده فجلست وأمر باحضار الطعام فأحضروه فأكلت منه على قدر كفايتى وغسلت يدي وشكرت فضل الله تعالى وحمدته واثنيت عليه ثم أنى قمت من عند ملكهم وتفرجت فى مدينته فإذا هى مدينة عامرة كثيرة الأهل والمال كثيرة الطعام والأسواق والبضائع والبائعين والمشترين ففرحت بوصولى إلى تلك المدينة وأرتاح خاطرى وأستأنست بأهلها وصرت عندهم وعند ملكهم معززاً مكرماً زيادة على أهل مملكته من عظماء مدينته ورأيت جميع أكابرها وأصاغرها يركبون الخيول الجياد الملاح من غير سروج فتعجبت من ذلك ثم أنى قلت للملك لأى شيء يا مولاى لم تركب على سرج فأن فيه راحة للراكب وزيادة قوة فقال لى كيف يكون السرج هذا شيء عمرنا ما رأيناه ولا ركبنا عليه فقلت له هل لك أن تأذن لى أن أصنع لك سرجا تركب عليه وتنظر حظه فقال لى أفعل فقلت له أحضر لى شيأ من الخشب فأمر لى بأحضار جميع ما طلبته فعند ذلك طلبت نجارا شاطرا وجلست عنده وعلمته صنعة السرج وكيف يعمله ثم أنى أخذت صوفا ونفشته وصنعت منه لبدا واحضرت جلدا والبسته للسرج وصقلته ثم أنى ركبت سيوره وشددت شريحته وبعد ذلك احضرت الحداد ووصفت له كيفية الركاب

فدق ركابا عظيماً وبردته وبيضته بالقزدير ثم أني شددت له أهداباً من الحرير وبعد ذلك قمت وجئت بحصان من خيار خيول الملك وشددت عليه ذلك السرج وعلقت فيه الركاب والجمته بلجام وقدمته إلى الملك فأعجبه ولاق بخاطره وشكرني وركب فيه وقد حصل له فرح شديد بذلك السرج وأعطاني شيئاً كثيرا في نظير عملي له فلما نظرني وزيره عملت ذلك السرج طلب مني واحدا مثله فعملت له سرجا مثله وقد صار اكابر الدولة وأصحاب المناصب يطلبون مني السروج فافعل لهم وعلمت النجار صنعه السرج والحداد صنعه الركاب وصرنا نعمل السروج والركابات ونبيعها للأكابر والمخاديم وقد جمعت من ذلك مالا كثيراً وصار لي عندهم مقام كبير وحبوني محبه زائده وبقيت صاحب منزلة عاليه عند الملك وجماعته وعند أكابر البلد وأرباب الدولة إلى أن جلست يوما من الأيام عند الملك وأنا في غاية السرور والعز فبينما أنا جالس قال لي الملك أعلم يا هذا أنك صرت معززا مكرماً عندنا وواحدا منا ولم نقدر على مفارقتك ولا نستطيع خروجك من مدينتنا ومقصودي منك شيء تطيعني فيه ولا ترد قولي فقلت له وما الذى تريد مني أيها الملك فاني لا أرد قولك لأنه صار لك فضل وجميل وإحسان على والحمد لله أنا صرت من بعض خدامك فقال أريد أن أزوجك عندنا بزوجة حسنة مليحة ظريفة صاحبة مال وجمال وتصير مستوطنا عندنا وأسكنك عندي وفي قصري فلا تخالفني ولا ترد كلمتي فلما سمعت كلام الملك استحيت منه وسكت ولم أرد عليه جوابا من كثرة الحياء منه فقال لي لا ترد علي يا ولدي فقلت له يا سيدي الأمر أمرك يا ملك الزمان فأرسل من وقته وساعته وأحضر القاضي والشهود وزوجني في ذلك الوقت بامرأة شريفة القدر عالية النسب كثيرة المال والنوال عظيمة الأصل بديعة الجمال والحسن صاحبة أماكن وأملاك وعقارات وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة الثالثة والخمسون بعد الخمسمائة

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن السندباد البحري بعد أن زوجه الملك وعقد له على امرأة عظيمة قال ثم أنه أعطاني بيتا عظيما مليحا بمفرده وأعطاني خدما وحشماً ورتب لي جرايات وجوامك وصرت في غاية الراحة والبسط والإنشراح ونسيت جميع ما حصل لي من التعب والمشقة والشدة وقلت في نفسي إذا سافرت إلى بلادي آخذها معي وكل

مقدر على الإنسان لابد منه ولم يعلم أحد بما يجرى له وقد حبيتها وحبتنى محبة عظيمة ووقع الوفاق بينى وبينها وقد اقمنا فى الذعيش وارغد مورد ولم نزل على هذه الحالة مدة من الزمان فافقد الله تعالى زوجة جارى وكان صاحبا لى فدخلت اليه لاعزيه فى زوجته فرأيته فى اسوء حال وهو مهموم تعبان السر والخاطر فعند ذلك عزيته وسليته وقلت له لا تحزن على زوجتك الله يعوضك خيرا بأحسن منها ويكون عمرك طويلاان شاء الله تعالى فبكى بكاءً شديداً وقال لى يا صاحبى كيف أتزوج بغيرها أو كيف يعوضنى الله خيرا منها وأنا بقى من عمرى يوم واحد فقلت له يا أخى أرجع لعقلك ولا تبشر على روحك بالموت فانك طيب بخير وعافية فقال لى يا صاحبى وحياتك فى غد تعدمنى وما بقيت عمرك تنظرنى فقلت له وكيف ذلك فقال لى فى هذا النهار يدفنون زوجتى ويدفنوننى معها فى القبر فانها عادتنا فى بلادنا إذا ماتت المرأه يدفنون زوجها بالحياة وأن مات الرجل يدفنوا معه زوجته بالحياة حتى لا يتلذذ أحد منهم بالحياة بعد رفيقه فقلت له بالله أن هذه العادة رديئه جداً وما يقدر عليها أحد فبينما نحن فى ذلك الحديث وإذا بغالب أهل المدينة قد حضروا وصاروا يعزون صاحبى فى زوجته وفى نفسه وقد شرعوا فى تجهيزها على جرى عادتهم فأحضروا تابوتاً وحملوا فيه المرأة وذلك الرجل معهم وخرجوا بهما إلى خارج المدينة وأتوا إلى مكان فى جانب الجبل على البحر وتقدموا إلى مكان ورفعوا عنه حجرا كبيرا فبان من تحت ذلك الحجر خرزة من حجر مثل خرزة البئر فرموا تلك المرأة فيها وإذا هو جب كبير تحت الجبل ثم أنهم جاؤا بذلك الرجل وربطوه تحت صدره فى سلبة وأنزلوه فى ذلك الجب وأنزلوا عنده كوز ماء عذب كبيرا وسبعة أرغفة من الزاد ولما نزلوه فك نفسه من السلبة فسحبوا السلبة وغطوا فم البئر بذلك الحجر الكبير مثل ما كان وانصرفوا إلى حال سبيلهم وتركوا صاحبى عند زوجته فى الجب فقلت فى نفسى والله أن هذا الموت أصعب من الموت الأول ثم إنى جئت عند ملكهم وقلت له يا سيدى كيف تدفنون الحى مع الميت فى بلادكم فقال لى أعلم أن هذه عادتنا فى بلادنا إذا مات الرجل ندفن معه زوجته وإذا ماتت المرأة ندفن معها زوجها بالحياة حتى لا نفرق بينهما فى الحياة ولا فى الممات وهذه العادة عن أجدادنا فقلت يا ملك الزمان وكذلك الرجل الغريب مثلى إذا ماتت زوجته عندكم تفعلون به مثل ما فعلتم بهذا فقال لى نعم ندفنه معها ونفعل به كما رأيت فلما سمعت ذلك الكلام منه انشقت مرارتى من شدة الغم

والحزن على نفسى وذهل عقلى وصرت خائف أن تموت زوجتى قبلى فيدفنونى معها وأنا بالحياة ثم أنى سليت نفسى وقلت لعلى أموت أنا قبلها ولم يعلم أحد السابق من اللاحق وصرت أتلاها فى بعض الأمور فما مضت مدة يسيرة بعد ذلك حتى مرضت زوجتى وقد مكثت أياماً قلائل وماتت فاجتمع غالب الناس يعزوننى ويعذبون اهلها فيها وقد جاءنى الملك يعزينى فيها على جرى عادتهم ثم أنهم جاؤا لها بغاسلة فغسلوها والبسوها أفخر ما عندها من الثياب والمصاغ والقلائد والجواهر من المعادن فلما ألبسوا زوجتى وحطوها فى التابوت وحملوها وراحوا بها إلى ذلك الجبل ورفعوا الحجر عن فم الجب والقوها فيه تقدم جميع أصحابى وأهل زوجتى يودعوننى فى روحى وأنا أصيح بينهم أنا رجل غريب وليس لى صبر على عادتكم وهم لا يسمعون قولى ولا يلتفتون إلى كلامى ثم إنهم امسكوني وربطونى بالغصب وربطوا معى سبعة أقراص من الخبز وكوب ماء عذب على جرى عادتهم وأنزلونى فى ذلك البئر فاذا هو مغارة كبيرة تحت ذلك الجبل وقالوا لى فك نفسك من الحبال فلم أرض أفك نفسى فرموا على الحبال ثم غطوا فم ذلك البئر بذلك الحجر الكبير الذى كان عليه وراحوا إلى حال سبيلهم وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة الرابعة والخمسون بعد الخمسمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن السندباد البحرى لما حطوه فى المغارة مع زوجته التى ماتت وردوا باب المغارة وراحوا إلى حال سبيلهم قال وأما أنا فأنى رأيت فى تلك المغارة أمواتاً كثيرة ورايحتها منتنة كريهة فلمت نفسى على ما فعلته وقلت والله إنى استحق جميع ما يجرى لى وما يقع لى ثم أنى صرت أعرف الليل من النهار وصرت اتقوت باليسيرولا آكل حتى يكاد أن يقطعنى الجوع ولا أشرب حتى يشتدبى العطش وأنا خائف أن يفرغ ما عندى من الزاد والماء وقلت لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم أى شىء بلانى بالزواج فى هذه المدينة وكلما أقول خرجت من مصيبة أقع فى مصيبة أقوى منها والله أن موتى هذا موت مشئوم ياليتنى غرقت فى البحر أو مت فى الجبال كان أحسن لى من هذا الموت الردىء ولم أزل على هذه الحالة الوم نفسى ونمت على عظام الأموات واستعنت بالله تعالى وسرت أتمنى الموت فلم أجده من شدة ما أنا فيه ولم أزل على هذه

الحالة حتى أحرق قلبى الجوع والهبنى العطش فقعدت وحسست على الخبز وأكلت منه شيئاً قليلا وتجرعت عليه شيأ قليلا من الماء ثم أنى قمت وقفت على حيلى وصرت أمشى فى جوانب تلك المغارة فرأيتها متسعة الجوانب خالية البطون ولكن فى أرضها أموات كثيرة وعظام رميمة من قديم الزمان فعند ذلك عملت لى مكاناً فى جانب المغارة بعيدا عن الموتى الطريين وصرت أنا فيه وقد قل زادى ولم يبقى معى إلا شيء يسير وقد كنت آكل فى كل يوم أو أكثر أكلة وأشرب شربة خوفا من فراغ الماء والزاد من عندى قبل موتى ولم أزل على هذه الحالة إلى أن جلست يوما من الأيام فبينما أنا جالس متفكر فى نفسى كيف أفعل إذا فرغ زادى والماء من عندى وإذا بالصخرة قد تزحزحت عن مكانها ونزل منه النور عندى فقلت يا ترى ما الخبر وإذا بالقوم واقفون على رأس البئر وقد نزلوا رجلا ميتا وامرأة معه بالحياة وهى تبكى وتصيح على نفسها وقد نزلوا عندها شيئاً كثيرا من الزاد والماء فصرت انظر المرأة وهى لم تنظرنى وقد غطوا فم البئر بالحجر وانصرفوا إلى حال سبيلهم فقمت انا وأخذت فى يدى قصبة رجل ميت وجئت إلى المرأة وضربتها فى وسط رأسها فوقعت على الأرض مغشيا عليها فضربتها ثانيا وثالثا فماتت فأخذت خبزها وما معها ورأيت عليها شيئاً كثيرا من الحلى والحلل والقلائد والجواهر والمعادن ثم أنى أخذت الماء والزاد الذى مع المرأة وقعدت فى الموضع الذى كنت عملته فى جانب المغارة لأنام فيه وصرت آكل من ذلك الزاد شيئاً قيلا على قدر ما يقوتنى حتى لا يفرغ بسرعة فأموت من الجوع والعطش واقمت فى تلك المغارة مدة من الزمان وأنا كل من دفنوه أقتل من دفن معه بالحياة وآخذ اكله وشربه أتقوت به إلى أن كنت نائماً يوماً من الأيام فاستيقظت من منامى وسمعت شيئاً يكركب فى المغارة فقلت ما يكون هذا ثم أنى قمت ومشيت نحوه ومعى قصبة رجل ميت فلما أحس بى فر وهرب منى فإذا هو وحش فتبعته إلى صدر المغارة فبان لى نور من مكان صغير مثل النجمة تارة يبان لى وتارة يخفى عنى فلما نظرته قصدت نحوه وبقيت كلما أتقرب منه يظهر لى نور منه ويتسع فعند ذلك تحققت أنه خرق فى تلك المغارة ينفذ للخلاء فقلت فى نفسى لابد أن يكن هذا المكان حركة أما أن يكون فما ثانياً مثل الذى نزلونى منه وأما أن يكون تخريق من هذا المكان ثم أنى تفكرت فى نفسى ساعة من الزمان ومشيت الى ناحية النور واذابه نقب فى ظهر ذلك الجبل من الوحوش نقبوه وصاروا يدخلون منه إلى هذا المكان ويأكلون الموتى

حتى يشبعون ويطلعون مـن ذلك النقب فلما رأيته هدأت روحى واطمأنت نفسى وارتاح قلبى وايقنت بالحـياة بعد الممات وصـرت كأنى فى المنام ثم أنى عـالجت حتى طلعت من ذلك النقب فـرأيت نفـسى عـلى جـانب البـحر المـالح فـوق جبـل عظيم وهو قـاطع بين البحرين وبين الجزيرة والمدينة ولا يستطيع أحد الوصـول اليه فحمدت الله تعالى وشكرته وفرحت فـرحا عظيـماً وقوى قلبى ثم أنى بـعد ذلك رجعت من النقب إلـى تلك المغارة ونقلت جميع مـا فيها من الزاد والماء الذى كنت وفرته ثم أنى أخـذت من ثياب الأموات ولبست شيأ مـنها غير الذى كان على وأخذت من مـا عليهم شيئاً كثيـرا من أنواع العقود والجـواهر وقلائـد اللؤلؤ والمصاغ مـن الفضـة والذهب المرصع بأنواع المعـادن والتـحف وربطت فى ثيـابى ثياب الموتى وطلعـتهـا من النقب إلى ظهر الجـبل ووقفت علـى جانب البحر وبقيت فى كل يوم انزل المغارة وأطلع عليـها وكل من دفنوه آخذ زاده وماءه وأقتله سواء كان ذكر أو أنثى وأطلع من ذلك النقب فاجلس على جانب البحر لانتظر الفرج من الله تعـالى بمركب تجـوز على وصـرت أنقل من تلك المغـارة كل شيء رأيتـه من المصـاغ وأربطه فى ثياب الموتى ولم أزل على هذه الحـالة مدة من الزمان وأدرك شهـرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فكانت الليلة الخامسة والخمسون بعد الخمسمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن السندباد البـحرى صار ينقل من تلك المغارة ما يلقاه فيها من المصاغ وغيره ويجلس على جانب البحر مدة من الزمان قال فبينما أنا جالس يوما من الأيام على جـانب البحـر وأنا مـتفكر فى أمـرى وإذا بمركب جـائزة فى وسط البحـر العجاج المتـلاطم بالأمواج فأخذت فى يدى ثوبا أبيض من ثيـاب الموتى وربطته فى عكاز وجـريت به على شاطـيء البحـر وصرت أشـيـر إليهم بذلك الثـوب حـتى لاحت منهم التفـاته فرأونى وأنا فى رأس الجـبل فجـاؤا إلى وسمـعوا صوتى وأرسلـوا إلى زورقا من عندهم وفيه جـماعه من المركب فلما قربوا منى قـالوا لى من أنت وما سبب جلوسك فى هذا المكان وكيف وصلت إلى هذا الجبل وما فى عمرنا رأينا أحدا جاء اليه فقلت لهم أنى رجل تاجر غـرقت المركب التى كنت فيهـا فطلعت على لوح ومعى حوايجى وقـد سهل الله على بالطلوع إلى هذا المكـان وحوايجى معـى باجتهـادى وشطارتى بعد تعـب شديد

فأخذونى معهم فى الزورق وحملوا جميع ما كنت أخذته من المغارة مربوطا فى الثياب والأكفان وساروا بى إلى أن طلعونى المركب عند الريس ومعى جميع حوايجى فقال لى الريس يا رجل كيف وصولك إلى هذا المكان وهو جبل عظيم ووراءه مدينة عظيمة وأنا عمرى أسافر فى هذا البحر وأجوز على هذا الجبل فلم أر أحدا فيه غير الوحوش والطيور فقلت أنى رجل تاجر كنت فى مركب كبيرة وقد أنكسرت وغرق جميع أسبابى من هذا القماش والثياب كما تراها فوضعتها على لوح كبير من الواح المركب فساعدنى القدر والنصيب حتى طلعت على هذا الجبل وقد صرت انتظر أحداً يجوز فيأخذنى معه ولم أخبرهم بما جرى لى فى المدينة ولا فى المغارة خوفاً أن يكون معهم أحد فى المركب من تلك المدينة ثم أنى طلعت لصاحب المال شيئاً كثيراً من مالى وقلت له يا سيدى أنت سبب نجاتى من هذ الجبل فخذ هذا منى نظير جميلك الذى فعلته معى فلم يقبله منى وقال لى نحن لا نأخذ من أحد شيئاً وإذا رأينا غريقا على جانب البحر أو فى الجزيرة نحمله معنا ونطعمه ونسقيه وأن كان عرياناً نكسوه ولما نصل إلى بندر السلامة نعطيه شيئاً من عندنا هدية ونعمل معه المعروف والجميل لوجه الله تعالى فعند ذلك دعوت له بطول العمر ولم نزل مسافرين من جزيرة إلى جزيرة ومن بحر إلى بحر وأنا أرجو النجاة وصرت فرحانا بسلامتى وكلما أتفكر قعودى فى المغارة مع زوجتى يغيب عقلى وقد وصلنا بقدرة الله مع السلامة إلى مدينة البصرة فطلعت اليها وأقمت أياماً قلائل وبعدها جئت إلى مدينة بغداد فجئت إلى حارتى ودخلت داري وقابلت أهلى وأصحابى وسألت عنهم ففرحوا بسلامتى وهنونى وقد خزنت جميع ما كان معى من الأمتعة فى حواصلى وتصدقت ووهبت وكسوت الأيتام والأرامل وصرت فى غاية البسط والسرور وقد عدت لما كنت عليه من المعاشرة والمرافقة ومصاحبة الأخوان واللهو والطرب وهذا أعجب ما صار لى فى السفرة الرابعة ولكن يا أخى تعش عندى وخذ عادتك وفى غد تجىء عندى فاخبرك بما كان لى وما جرى لى فى السفرة الخامسة فأنها أعجب وأغرب مما سبق ثم أمر له بمائة مثقال ذهباً ومد السماط وتعشى الجماعة وانصرفوا إلى حال سبيلهم وهم متعجبون غاية العجب وكل حكاية أعظم من التى قبلها وقد راح السندباد الحمال إلى منزله وبات فى غاية البسط والأنشراح وهو متعجب ولما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح قام السندباد البرى وصلى الصبح وتمشى إلى أن دخل دار السندباد البحرى وصبح

عليه فرحب به وأمره بالجلوس عنده حتى جاء بقيه أصحابة فأكلوا وشربوا وتلذذوا وطربوا ودارت بينهم المحادثة فابتدأ السندباد البحرى بالكلام وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة السادسة والخمسون بعد الخمسمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن السندباد البحرى ابتدأ بالكلام فيما جرى له وما وقع له فى الحكاية الخامسة فقال اعلموا يا أخوانى انى لما رجعت من السفرة الرابعة وقد غرقت فى اللهو الطرب والإنشراح وقد نسيت جميع ما كنت لقيته وما جرى لى وما قاسيته من شدة فرحي بالمكسب والربح والفوائد فحدثتنى نفسى بالسفر والتفرج فى بلاد الناس وفى الجزائر فقمت وهممت فى ذلك وأشتريت بضاعة نفيسة تناسب البحر وحزمت الحمول وسرت من مدينة بغداد وتوجهت إلى مدينة البصرة ومشيت على جانب الساحل فرأيت مركباً كبيرة عالية مليحة فأعجبتنى فاشتريتها وكانت عدتها جديدة وأكتريت لها ريساً وبحرية ونظرت عليها عبيدى وغلمانى وأنزلت فيها حمولى وجاءنى جماعة من التجار فنزلوا حمولهم فيها ودفعوا إلى الأجرة وسرنا ونحن فى غاية الفرح والسرور وقد استبشرنا بالسلامة والكسب ولم نزل مسافرين من جزيرة إلى جزيرة ومن بحر إلى بحر ونحن نتفرج فى الجزائر والبلدان ونطلع اليها نبيع فيها ونشترى ولم نزل على هذه الحاله إلى أن وصلنا يوماً من الأيام إلى جزيرة كبيرة خالية من السكان وليس فيها أحد وهى خراب قفرا وفيها قبة عظيمة بيضاء كبيرة الحجم فطلعنا نتفرج عليها وإذا هى بيضة رخ كبيرة فلما طلع التجار اليها وتفرجوا عليها ولم يعلموا أنها بيضة رخ ضربوها بالحجارة فكسرت نزل منها ماء كثير وقد بان منها فرخ الرخ فسحبوه منها وطلعوه من تلك البيضة وذبحوه وأخذوا منه لحما كثيراً وأنا فى المركب ولم أعلم ولم يطلعونى على ما فعلوه فعند ذلك قال لى واحد من الركاب يا سيدى قم تفرج على هذه البيضة التى نحسبها قبة فقمت لاتفرج عليها فوجدت التجار يضربون البيضة فصحت عليهم لا تفعلوا هذا الفعل فيطلع طير الرخ ويكسر مركبنا ويهلكنا فلم يسمعوا كلامى فبينما هم على هذه الحالة وإذا بالشمس قد غابت عنا والنهار أظلم وصار فوقنا غمامة أظلم الجو منها فرفعنا رؤوسنا ننظر ما الذي حال بيننا وبين الشمس فرأينا أجنحة الرخ

هى التى حجبت عنا ضوء الشمس حتى أظلم الجو وذلك لما جاء الرخ ورأى بيضة أنكسرت صاح علينا فجاءت رفيقته وصارا حائمين على المركب يصرخان علينا بصوت أشد من الرعد فصحت أنا على الريس والبحرية وقلت لهم أدفعوا المركب واطلبوا السلامة قبل ما نهلك فأسرع الريس وطلع التجار وحل المركب وسرنا فى تلك الجزيرة فلما رآنا الرخ سرنا فى البحر غاب عنا ساعة من الزمان وقد سرنا وأسرعنا فى السير بالمركب نريد الخلاص منهما والخروج من أرضهما وإذا بهما قد تبعانا وأقبلا علينا وفى رجلى كل واحد منهما صخرة عظيمة من الجبل فالقى الصخرة التى كانت معه علينا فجذب الريس المركب وقد اخطئها نزول الصخرة بشىء قليل فنزلت فى البحر تحت المركب فقامت بنا المركب وقعدت من عظم وقوعها فى البحر وقد رأينا قرار البحر من شدة عزمها ثم أن رفيقة الرخ ألقت علينا الصخرة التى معها وهى أصغر من الأولى فنزلت بالأمر المقدر على مؤخر المركب فكسرته وطيرت الدفة عشرين قطعة وقد غرق جميع ما كان فى المركب فى البحر فصرت أحاول النجاة لحلاوة الروح فقدر الله تعالى لوحا من الواح المركب فشبطت فيه وركبته وصرت اقدف عليه برجلي والريح والموج يساعدانى على السير وكانت المركب غرقت بالقرب من جزيرة فى وسط البحر فرمتنى المقادير بإذن الله تعالى إلى تلك الجزيرة فطلعت عليها وأنا على آخر نفس وفى حالة الموتى من شدة ما قاسيته من التعب والمشقة والجوع والعطش ثم أنى انطرحت على شاطىء البحر ساعة من الزمان حتى أرتاحت نفسى واطمأن قلبى ثم مشيت فى تلك الجزيرة فرأيتها كأنها روضة من رياض الجنة أشجارها يانعة وأنهارها دافقة وطيورها مغردة تسبح من له العزة والبقاء وفى تلك الجزيرة شىء كثير من الأشجار والفواكه وأنواع الأزهار فعند ذلك أكلت من الفواكه حتى شبعت وشربت من تلك الأنهار حتى رويت وحمدت الله تعالى على ذلك وأثنيت عليه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة السابعة والخمسون بعد الخمسمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان السندباد البحرى لما طلع من الغرق إلى الجزيرة وأكل من فواكهها وشرب من أنهارها وحمد الله تعالى وأثنى عليه قال ولم أزل على هذه الحالة قاعدا فى الجزيرة إلى أن امسى المساء وأقبل الليل فقمت أنا مثل القتيل مما حصل لى

من التعب والخوف ولم أسمع فى تلك الجزيرة صوتا ولم أر فيها احدا ولم أزل راقدا فيها إلى الصباح ثم قمت على حيلى ومشيت بين تلك الأشجار فرأيت ساقية على عين ماء جارية وعند تلك الساقية شيخ جالس مليح وذلك الشيخ مؤزر بازار من ورق الأشجار فقلت فى نفسى لعل هذا الشيخ طلع إلى هذه الجزيرة وهو من الغرقاء الذين كسرت بهم المركب ثم دنوت منه وسلمت عليه فرد على السلام بالإشارة ولم يتكلم فقلت ياشيخ ما سبب جلوسك فى هذا المكان فحرك رأسه وتأسف وأشار لى بيده يعنى أحملنى على رقبتك وأنقلنى من هذا المكان إلى جانب الساقية الثانية فقلت فى نفسى أعمل مع هذا معروفاً وانقله إلى هذا المكان الذى يريده لعل ثوابه يحصل لى فتقدمت إليه وحملته على أكتافى وجئت إلى المكان الذى أشار لى اليه وقلت له أنزل على مهلك فلم ينزل عن أكتافى وقد لف رجليه على رقبتى فنظرت إلى رجليه فرأيتهما مثل جلد الجاموس فى السواد والخشونة ففزعت منه وأردت أن أرميه من فوق أكتافى فقرط على رقبتى برجليه وخنقنى بهما حتى أسودت الدنيا فى وجهى وغبت عن وجودى ووقعت فى الأرض مغشياً على مثل الميت فرفع ساقيه وضربنى على ظهرى وعلى أكتافى فحصل لى ألم شديد فنهضت قائما به وهو راكب على أكتافى وقد تعبت منه فأشار لى بيده أن أدخل بين الأشجار إلى أطيب الفواكه وإذا خالفته يضربنى برجليه ضرباً أشد من ضرب الأسواط ولم يزل يشير لى بيده إلى كل مكان أراده وأنا أمشى به اليه وأن توانيت أو تمهلت يضربنى وأنا معه شبه الأسير وقد دخلنا فى وسط الجزيرة بين الأشجار وصار يبول ويخرى على أكتافى ولا ينزل ليلا ولا نهارا وإذا أراد النوم يلف رجليه على رقبتى وينام قليلا ثم يقوم ويضربنى فأقوم مسرعا به ولا أستطيع مخالفته من شدة ما أقاسى منه وقد لمت نفسى على ما كان منى من حمله والشفقة عليه ولم أزل معه على هذه الحالة وأنا أشد ما يكون من التعب وقلت فى نفسى أنا فعلت مع هذا خيرا فانقلب على شرا والله ما بقيت أفعل مع أحد خير ا طول عمرى وقد صرت أتمنى الموت من الله تعالى فى كل وقت وكل ساعة من كثرة ما أنا فيه من التعب والمشقة ولم أزل على هذه الحالة مدة من الزمان إلى أن جئت به يوما من الأيام إلى مكان فى الجزيرة فوجدت فيه يقطينا كثيرا ومنه شيء كثير يابس فأخذت منه واحدة كبيرة يابسة وفتحت رأسها وصفيتها ومشيت بها الى شجرة العنب فملأتها منها وسددت رأسها ووضعتها فى الشمس وتركتها مدة أيام حتى

صارت خمرا صرفا وصرت فى كل يوم أشرب منه لاستعين به على تعبى مع ذلك الشيطان المريد وكلما سكرت منها تقوى همتى فنظرنى يوما من الأيام وأنا أشرب فأشر لى بيده ما هذا فقلت له هذا شيء مليح يقوى القلب ويشرح الخاطر ثم أنى جريت به ورقصت بين الأشجار وحصل لى نشأة من السكر فسقفت وغنيت وانشرحت فلما رآنى على هذه الحالة أشار لى أن أناوله اليقطينه ليشرب منها فخفت منه وأعطيتها له فشرب ما كان باقيا فيها ورماها على الأرض وقد حصل له طرب فصار ينهز على أكتافى ثم أنه سكر وغرق فى السكر وقد أرتخت جميع أعضائه وفرائصه وصار يتمايل من فوق أكتافى فلما علمت بسكره وأنه غاب عن الوجود مددت يدى إلى رجليه وفككتهما من رقبتى ثم ملت إلى الأرض فقعدت والقيته عليها وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة الثامنة والخمسون بعد الخمسمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن السندباد البحرى لما ألقى الشيطان عن أكتافة على الأرض قال فما صدقت أنى خلصت نفسى ونجوت من ذلك الأمر الذى كنت فيه ثم أنى خفت منه أن يقوم من سكره ويأذينى فأخذت صخرة عظيمة من بين الأشجار وجئت اليه فضربته على رأسه وهو نائم فاختلط لحمه بدمه وقد قتل فلا رحمة الله عليه وبعد ذلك مشيت فى الجزيرة وقد أرتاح خاطرى وجئت إلى المكان الذى كنت فيه على ساحل البحر ولم أزل فى تلك الجزيرة آكل من أثمارها وأشرب من أنهارها مدة من الزمان وأنا أترقب مركباً تمر على إلى أن كنت جالسا يوماً من الأيام متفكرا فيما جرى لى وما كان من أمرى وأقول فى نفسى يا ترى يبقينى الله سالما ثم أعود إلى بلادى واجتمع بأهلى وأصحابى وإذا بمركب قد أقبلت من وسط البحر والعجاج المتلاطم بالأمواج ولم تزل سائرة حتى رست على تلك الجزيرة وطلع منها الركاب إلى الجزيرة فمشيت إليهم فلما نظرونى اقبلوا على كلهم مسرعين واجتمعوا حولى وقد سألونى عن حالى وما سبب وصولى إلى تلك الجزيرة فأخبرتهم بأمرى وما جرى لى فتعجبوا من ذلك غاية العجب وقالوا لى أن هذا الرجل الذى ركب على أكتافك يسمى شيخ البحر وما أحد دخل تحت

أعضائه وخلص منه إلا أنت والحمد لله على سلامتك ثم أنهم جاؤا لى بشيء من الطعام فأكلت حتى أكتفيت فأعطونى شيئاً من الملبوس لبسته وسترت به عورتى ثم أخذونى معهم فى المركب وقد سرنا أياما وليالى فرمتنا المقادير على مدينة عالية البناء جميع بيوتها مطلة على البحر وتلك المدينة يقال لها مدينة القرود ولما يدخل الليل تأتى الناس الذين هم ساكنون فى تلك المدينة يخرجون من هذه الأبواب التى على البحر ثم ينزلون فى زوارق ومراكب ويبيتون فى البحر خوفاً من القرود أن تنزل عليهم فى الليل من الجبال فطلعت أتفرج فى تلك المدينة فسافرت المركب ولم أعلم فندمت على طلوعى إلى تلك المدينة وتذكرت رفقتي وما جرى لى مع القرود أولا وثانيا فقعدت أبكى وأنا حزين فتقدم إلى رجل من أصحاب هذه البلد وقال لى يا سيدى كأنك غريب فى هذه الديار فقلت له نعم أنا غريب ومسكين وكنت فى مركب قد رست على تلك المدينة فطلعت منها لأتفرج فى المدينة وعدت اليها فلم أراها فقال قم وسر معنا وأنزل الزورق فأنك أن قعدت فى المدينة ليلا أهلكتك القرود فقلت له سمعا وطاعة وقمت من وقتى وساعتى ونزلت معهم فى الزورق ودفعوه من البر حتى أبعدوه عن ساحل البحر مقدار ميل وباتوا تلك الليلة وأنا معهم فلما أصبح الصباح رجعوا بالزورق إلى مدينة وطلعوا وراح كل واحد منهم إلى شغله ولم تزل هذه عادتهم فى كل ليلة وكل من تخلف منهم فى المدينة بالليل جاء اليه القرود وأهلكوه وفى النهار تطلع القرود إلى خارج المدينة فيأكلون من اثمار البساتين ويرقدون فى الجبال إلى وقت المساء ثم يعودون إلى المدينة وهذه المدينة فى أقصي بلاد السودان ومن أعجب ما وقع لى من أهل هذه المدينة أن شخصا من الجماعة التى بت معهم فى الزورق قال لى يا سيدى أنت غريب فى هذه الديار فهل لك صنعة تشتغل فيها فقلت له لا والله يا أخى ليس لى صنعة ولست أعرف عمل شيء وإنما أنا رجل تاجر صاحب مال ونوال وكان لى مركب ملكى مشحونة بأموال كثيرة وبضائع فكسرت فى البحر وغرق جميع ما كان فيها وما نجوت من الغرق إلا بأذن الله فرزقنى الله بقطعة لوح ركبتها فكانت السبب فى نجاتى من الغرق فعند ذلك قام الرجل وأحضر لى مخلاة من قطن وقال لى خذ هذه المخلاة وأملأها حجارة زلط من هذه المدينة وأخرج مع جماعة من

أهل المدينة وأنا رفقك بهم وأوصيهم عليك وأفعل كما يفعلون فلعلك أن تعمل بشىء تستعين به على سفرك وعودك على بلادك ثم أن ذلك الرجل أخذنى وأخرجنى إلى خارج المدينة فنقيت حجارة صغارا من الزلط وملأت تلك المخلاة وإذا بجماعة خارجين من المدينة فارفقنى بهم وأوصاهم على وقال لهم هذا رجل غريب فخذوه معكم وعلموه اللقط فلعله يعمل بشىء يتقوت به ويبقى لكم الأجر والثواب فقالوا سمعا وطاعه ورحبوا بى وأخذونى معهم وساروا كل واحد منهم معه مخلاة مثل المخلاة التى معى مملوءة زلط ولم نزل سائرين إلى أن وصلنا إلى واد واسع فيه أشجار كثيرة عالية لا يقدر أحد أن يطلع عليها وفى ذلك الوادى قرود كثيرة فلما رأتنا هذه القرود نفرت منا وطلعت تلك الأشجار فصاروا يرجمون القرود بالحجارة التى معهم فى المخالى والقرود تقطع من ثمار تلك الأشجار وترمى بها هؤلاء الرجال فنظرت تلك الثمار التى ترميها القرود واذا هى جوز هندى فلما رأيت ذلك العمل من القوم اخترت شجرة عظيمة عليها قرود كثيرة وجئت اليها وصرت أرجم هذه القرود فتقطع من ذلك الجوز وترمينى به فأجمعه كما يفعل القوم فما فرغت الحجارة من مخلاتى حتى جمعت شيئاً كثيراً فلما فرغ القوم من هذا العمل لموا جميع ما كان معهم وحمل كل واحد منهم ما أطاقه ثم عدنا إلى المدينة فى باقى يومنا فجئت إلى الرجل صاحبى الذى أرفقنى بالجماعة وأعطيته جميع ما جمعت وشكرت فضله فقال لى خذ هذا بعه وأنتفع بثمنه ثم أعطانى مفتاح مكان فى داره وقال لى ضع فى هذا المكان هذا الذى بقى معك من الجوز وأطلع فى كل يوم مع الجماعة مثل ما طلعت هذا اليوم والذى تجىء به ميز منه الردىء وبعه وانتفع بثمنه واحفظ عندك فى هذا المكان فلعلك تجمع منه شيئاً يعينك على سفرك فقلت له اجرك على الله تعالى وفعلت مثل ما قال لى ولم أزل فى كل يوم املأ المخلاة من الحجارة وأطلع مع القوم وأعمل مثل ما يعملون وقد صاروا يتواصون بى ويدلوننى على الشجرة التى فيها الثمر الكثير ولم أزل على هذه الحالة مدة من الزمان وقد اجتمع عندى شيء كثير من الجوز الهندى الطيب وبعت شيئاً كثيراً وكثر عندى ثمنه وصرت أشترى كل شىء رأيته ولاق بخاطرى وقد صفا وقتى وزاد فى كل المدينة حظى ولم أزل على هذه

الحالة مدة فبينما أنا واقف على جانب البحر وإذا بمركب قد وردت الى تلك المدينة ورست على الساحل وفيها تجار معهم بضائع فصاروا يبيعون ويشترون ويقايضون على شيء من الجوز الهندى وغيره فجئت عند صاحبى وأعلمته بالمركب التى جاءت وأخبرته بأنى أريد السفر إلى بلادى فقال الرأى لك فودعته وشكرته على إحسانه إلى ثم أنى جئت عند المركب وقابلت الريس وأكتريت معه ونزلت ما كان معى من الجوز وغيره فى تلك المركب وقد ساروا بالمركب وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة التاسعة والخمسون بعد الخمسمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن السندباد البحرى لما نزل من مدينة القرود فى المركب وأخذ ما كان معه من الجوز الهندى وغيره وأكترى مع الريس قال وقد ساروا بالمركب فى ذلك اليوم ولم نزل سائرين من جزيرة إلى جزيرة ومن بحر إلى بحر وكل جزيرة رسينا عليها أبيع فيها من ذلك الجوز وأقايض وقد عوض الله على بازيد مما كان معى وضاع منى وقد مررنا على جزيرة فيها شيء من القرفه والفلفل وقد ذكر لنا جماعة أنهم نظروا على كل عنقود من عناقيد الفلفل ورقة كبيرة تظله وتلقى عنه المطر اذا امطرت وإذا ارتفع عنه المطر انقلبت الورقه عن العنقود ونزلت بجانبه فأخذت معى من تلك الجزيرة شيئاً كثيراً من الفلفل والقرفة مقايضه بالجوز وقد مررنا على جزيرة العسرات وهى التى فيها العود القمارى ومن بعدها على جزيرة أخرى مسيرتها خمسة أيام وفيها العود الصينى وهو أعلى من القمارى وأهل تلك الجزيرة أقبح حالة ودينا من أهل جزيرة العود القمارى فانهم يحبون الفساد وشرب الخمور ولا يعلمون الأذان ولا أمر الصلاة وجئنا بعد ذلك إلى مواطن اللؤلؤ فأعطيت الغواصين شيئاً من جوز الهند وقلت لهم غوصوا على بختى ونصيبي فغاصوا فى تلك البركة وقد طلعوا شيئاً كثيرا من اللؤلؤ الكبير الغالى وقالوا لى يا سيدى والله إن بختك سعيد فاخذت جميع ما طلعوه لى فى المركب وقد سرنا علي بركة الله تعالى ولم نزل سائرين الى أن وصلنا البصرة فطلعت فيها وأقمت بها مدة يسيرة ثم توجهت منها إلى مدينة بغداد ودخلت حارتى وجئت إلى بيتى وسلمت على أهلى وأصحابى وهنونى بالسلامة وخزنت جميع ما كان معى من

البضائع والإمتعة وكسوت الأيتام والأرامل وتصدقت ووهبت وهاديت أهلى وأصحابى وأحبابى وقد عوض الله على بأكثر مما راح منى أربع مرات وقد نسيت ما جرالى وما قاسيته من التعب بكثرة الربح والفوائد وعدت لما كنت عليه فى الزمن الأول من المعاشرة والصحبة وهذا أعجب ما كان من امرى فى السفرة الخامسة ولكن تعشوا وفى غد تعالوا أخبركم بما كان فى السفرة السادسة فانها أعجب من هذه فعند ذلك مدّوا السماط وتعشوا فلما فرغوا من العشاء أمر للسندباد الحمال بمائة مثقال من الذهب فاخذها وانصرف وهو متعجب من ذلك الأمر وبات السندباد الحمال فى بيته ولما أصبح الصباح قام على حيله وصلى الصبح ومشى إلى أن وصل إلى دار السندباد البحرى فدخل عليه وصبح عليه فأمره بالجلوس فجلس عنده ولم يزل يتحدث معه حتى جاء بقية أصحابه فتحدثوا ومدوا السماط وأكلوا وشربوا وتلذذوا وطربوا وابتدأ السندباد البحرى يحدثهم بحكاية السفرة السادسة فقال لهم اعلموا يا إخوانى واحبابى وأصحابى أنى لما جئت من تلك السفرة الخامسة ونسيت ما كنت قاسيته بسبب اللهو والطرب البسط والإنشراح وانا فى غاية الفرح والسرور ولم ازل على هذه الحالة إلى أن جلست يوماً من الايام فى حظ وسرور وانشراح زائد فبينما أنا جالس وإذا بجماعة من التجار وردوا على وعليهم آثار السفر فعند ذلك تذكرت أيام قدومى من السفر وفرحى بلقاء أهلى وأصحابى وأحبابى وفرحى بدخولى بلادى فاشتاقت نفسى الى السفر والتجارة فعزمت على السفر وأشتريت لى بضائع نفيسة فاخرة تصلح للبحر وحملت حمولى وسافرت من مدينة بغداد إلى مدينة البصرة فرأيت مركبا عظيمة فيها تجار وأكابر ومعهم بضائع نفيسة فنزلت حمولى معهم فى هذه المركب وسرنا بالسلامة من مدينة البصرة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة الموفية للستين بعد الخمسمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن السندباد البحـ ى لما جهز حموله ونزلها فى المركب من مدينة البصرة وسافر قال ولم نزل مسافرين مر, مكان إلى مكان ومن مدينة إلى مدينة ونحن نبيع ونشترى ونتفرج على بلاد الناس وقد طاب لنا السعى

والسفر واغتنمنا المعاش إلى أن كنا سائرين يوما من الأيام وإذا بريس المركب صرخ وصاح ورمى عمامته ولطم على وجهه ونتف لحيته وقع فى بطن المركب من شدة الغم والقهر فاجتمع عليه جميع التجار والركاب وقالوا له يا ريس ما الخبر فقال لهم الريس أعلموا يا جماعه أننا قد تهنا بمركبنا وخرجنا من البحر الذى كنا فيه ودخلنا بحرا لم نعرف طرقه وإذا لم يقيض الله لنا شيئاً يخلصنا من هذا البحر وإلا هلكنا باجمعنا فأدعو الله تعالى أن ينجينا من هذا الأمر ثم أن الريس قام على حيله وصعد على الصارى وأراد أن يحل القلوع فقوى الريح على المركب فردها على مؤخرها فانكسرت دفتها قرب جبل عال فنزل الريس من الصارى وقال لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم لا يقدر آحد ان يمنع المقدور والله أننا قد وقعنا فى مهلكة عظيمة ولم يبق لنا منها مخلص ولا نجاة فبكى جميع الركاب على أنفسهم وودع بعضهم بعضا لفراغ اعمارهم وأنقطع رجاؤهم ومالت المركب على ذلك الجبل فانكسرت وتفرقت الواحها فغرق جميع ما كان فيها ووقع التجار فى البحر فمنهم من غرق ومنهم من تمسك بذلك الجبل وطلع عليه وكنت أنا من جملة من طلع ذلك الجبل وإذا فيه جزيرة كبيرة عندها كثير من المراكب المكسرة وفيها أرزاق كثيرة على شاطىء البحر من الذى يطرحه البحر من المراكب التى كسرت وغرق ركابها وفيها شيء كثير يحير العقل والفكر من المتاع والأموال التى يلقيها البحر على جوانبها فعند ذلك طلعت أعلا تلك الجزيرة ومشيت فيها فرأيت فى وسطها عين ماء عذب جار خارج من تحت أول ذلك الجبل وداخل فى آخره من الجانب الثانى فعند ذلك طلع جميع الركاب على ذلك الجبل الى الجزيرة وأنتشروا فيها وقد ذهلت عقولهم من ذلك وصاروا مثل المجانين من كثرة ما رأوا فى الجزيرة من الأمتعة والأموال التى على ساحل البحر وقد رأيت فى وسط تلك العين شيئاً كثيراً من أصناف الجواهر والمعادن واليواقيت واللآلىء الكبار الملوكية وهى مثل الحصى فى مجارى الماء فى تلك الغيطان وجميع أرض تلك العين تبرق من كثرة ما فيها من المعادن وغيرها ورأينا شيئاً كثيرا فى تلك الجزيرة من أعلا العود الصينى والعود القمارى وفى تلك الجزيرة عين نابعة من صنف العنبر الخام وهو يسيل مثل الشمع على جانب تلك العين من شدة حر الشمس ويمتد على ساحل البحر فتطلع الهوايش من البحر تبلعه وتنزل به فى البحر فيحمى فى بطونها فتقذفه من أفواهها فى البحر فيجمد على وجه الماء فعند ذلك يتغير لونه واحواله

فتقذفه الأمواج إلى جانب البحر فيأخذه السياحون والتجار الذين يعرفونه فيبيعونه وأما العنبر الخام الخالص من البلع فإنه يسيل على جانب تلك العين ويتجمد بارضه وإذا طلعت عليه الشمس يسيح وتبقى منه رايحه ذلك الوادى كله مثل المسك وإذا زالت عنه الشمس يجمد وذلك المكان الذى فيه هذا العنبر الخام لا يقدر احد على دخوله ولا يستطيع سلوكه فإن الجبل محيط بتلك الجزيرة ولا يقدر أحد على صعود ذلك الجبل ولم نزل دائرين فى تلك الجزيرة نتفرج على ما خلق الله تعالى فيها من الأرزاق ونحن متحيرون فى أمرنا وفيما نراه وعندنا خوف شديد وقد جمعنا على جانب الجزيرة شيئاً قليلاً من الزاد فصرنا نوفره ونأكل منه فى كل يوم أو يومين آكلة واحدة ونحن خائفون أن يفرغ الزاد منا فنموت نكدا من شدة الجوع والخوف وكل من مات منا نغسله ونكفنه فى ثياب وقماش من الذى يطرحه البحر على جانب الجزيرة حتى مات منا خلق كثير ولم يبق منا إلا جماعة قليلة فضعفنا بوجع البطن من البحر وأقمنا مدة قليلة فمات جميع أصحابى ورفقائى واحدا بعد واحد كل من مات منهم ندفنه وبقيت فى تلك الجزيرة وحدى وبقى معى زاد قليل بعد أن كان كثيرا فبكيت على نفسى وقلت ياليتنى مت قبل رفقائى وكانوا غسلونى ودفنونى فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة الحادية والستون بعد الخمسمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن السندباد البحرى لما دفن رفقائه جميعا وصار فى الجزيرة وحده قال ثم أنى أقمت مدة يسيرة ثم قمت حفرت لنفسي حفرة عميقة فى جانب تلك الجزيرة وقلت فى نفسى إذا ضعفت وعلمت أن الموت قد أتانى أرقد فى هذا القبر فأموت فيه ويبقى الريح يسقى الرمل على فيغطينى وأصير مدفونا فيه وصرت الوم نفسى على قلة عقلى وخروجى من بلادى ومدينتى وسفرى إلى البلاد بعد الذى قاسيته أولا وثانياً وثالثاً ورابعاً وخامساً ولا سفرة من الأسفار إلا وأقاسى فيها أهوالا وشدائد أشق وأصعب من الأهوال التى قبلها وما أصدق بالنجاة والسلامة وأتوب عن السفر فى البحر وعن عودى اليه ولست محتاجا للمال وعندى شىء كثير والذى عندى لا أقدر أن أفنيه ولا أضيع نصفه فى باقى عمرى وعندى ما يكفينى وزيادة ثم أنى تفكرت فى نفسي

وقلت والله لابد أن هذا النهر له أول وآخر ولابد له من مكان مخرج منه إلى العمار والرأى السديد عندى أنى أعمل لى فلكا صغيراً على قدرما أجلس فيه وأنزل والقيه فى هذا النهر وأسير به فإن وجدت لى خلاصا أخلص وانجو بإذن الله تعالى وإن لم أجد لى مخلصا أموت داخل هذا النهر أحسن من هذا المكان وصرت اتحسر على نفسى ثم أنى قمت وسعيت فجمعت اخشابا من تلك الجزيرة من خشب العود الصينى والقمارى وشددتها على جانب البحر بحبال من حبال المراكب التى كسرت وجئت بالواح متساوية من الواح المراكب ووضعتها فى ذلك الخشب وجعلت ذلك الفلك على عرض ذلك النهر وأقل من عرضه وشدته شدا طيبا مكينا وقد أخذت معى من تلك المعادن والجواهر والأموال واللؤلؤ الكبير الذى مثل الحصى غير ذلك من الذى فى تلك الجزيرة وشيئاً من العنبر الخام الخالص الطيب ووضعته فى ذلك الفلك ووضعت فيه جميع ما جمعته من الجزيرة وأخذت معى جميع ما كان باقيا من الزاد ثم أنى القيت ذلك الفلك فى هذا النهر وجعلت خشبتين على جنبيه مثل المجاديف وعملت بقول بعض الشعراء

ترحل عن مكان فيه ضيم　　وخل الدارتنعى من بناها
فانك واجد ارضا بأرض　　ونفسك لم تجد نفسا سواها
ولا تجزع لحادثة الليالى　　فكل مصيبة يأتى انتهاها
ومن كانت منيته بأرض　　فليس يموت فى أرض سواها
ولا تبعث رسولك فى مهم　　فما للنفس ناصحة سواها

وسرت بذلك الفلك فى النهر وأنا متفكر فيما يصير إليه أمرى ولم أزل سائر إلى المكان الذى يدخل فيه النهر تحت ذلك الجبل وأدخلت الفلك فى ذلك المكان وقد صرت فى ظلمة شديدة تحت الجبل ولم يزل الفلك داخلا بى مع الماء إلى ضيق تحت الجبل وصارت جوانب الفلك تحك فى جوانب النهر ورأسى تحك فى سقف النهر ولم أقدر على أنى أعود منه وقد لمت نفسى على ما فعلته بروحى وقلت إن ضاق هذا المكان على الفلك قل أن يخرج منه ولا يمكن عوده فاهلك فى هذا المكان كمدا بلا محالة وقد أنطرحت على وجهي فى الفلك من ضيق النهر ولم أزل سائرا ولا أعلم ليلا من نهار بسبب الظلمة التى أنا فيها تحت ذلك الجبل مع الفزع والخوف على نفسى من الهلاك ولم

أزل على هذه الحالة سائرا فى ذلك النهر وهو يتسع تارة ويضيق أخرى ولكن شدة الظلمة قد اتعبتنى تبعاً شديداً فأخذتنى سنة من النوم من شدة قهرى فنمت على وجهى فى اللفلك ولم يزل سائرا بى وأنا نائم لا أدرى بكثير ولا قليل ثم أنى استيقظت فوجدت نفسى فى النور ففتحت عينى فرأيت مكانا واسعا وذلك الفلك مربوط على جزيرة وحولى جماعة من الهنود والحبشة فلما رأونى قمت نهضوا إلى وكلمونى بلسانهم فلم أعرف ما يقولون وبقيت أظن أنه حلم وأن هذا فى المنام من شدة ما كنت فيه من الضيق والقهر فلما كلمونى ولم أعرف حديثهم ولم أرد عليهم جوابا تقدم إلى رجل منهم وقال لى بلسان عربى السلام عليكم يا اخانا ما تكون أنت ومن أين جئت وما سبب مجيئك إلى هذا المكان ونحن أصحاب الزرع والغيطان وجئنا لنسقى غيطاننا وزرعنا فوجدناك نائما فى الفلك فامسكناه وربطناه عندنا حتى تقوم على مهلك فأخبرنا ما سبب وصولك إلى هذا المكان فقلت له بالله عليك يا سيدى أئتنى بشىء من الطعام فأنى جائع وبعد ذلك أسألنى عما تريد فاسرع وأتانى بالطعام فأكلت حتى شبعت وارتحت وسكن روعى وأزداد شبعى وردت لى روحى فحمدت الله تعالى على كل حال وفرحت بخروجى من ذلك النهر ووصولى إليهم وأخبرتهم بجميع ما جرالى من أوله إلى آخره وما لقيته فى ذلك النهر وضيعته وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة الثانية والستون بعد الخمسمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن السندباد البحرى لما طلع من الفلك على جانب الجزيرة ورأى فيها جماعة من الهنود والحبشة وأرتاح من تعبه سألوه عن خبره فأخبرهم بقصته ثم أنهم تكلموا مع بعضهم وقالوا لابد أننا نأخذه معنا ونعرضه على ملكنا ليخبره بما جرى له قال فأخذونى معهم وحملوا معى الفلك بجميع ما فيه من المال والنوال والجواهر والمعادن والمصاغ وقد أدخلونى على ملكهم وأخبروه بما جرى فسلم على ورحب بى وسألنى عن حالى وما اتفق لي من الأمور فأخبرته بجميع ما كان من أمرى وما لاقيته من أوله إلى آخره فتعجب الملك من هذه الحكاية غاية العجب وهنانى بالسلامة فعند ذلك الوقت قمت وأطلعت من ذلك الفلك شيئاً كثيراً من المعادن والجواهر والعود والعنبر الخام وأهديته إلى الملك فقبله منى وأكرمنى اكراماً زائداً وأنزلنى فى مكان عنده

وقد صاحبت أخيارهم وأكابرهم وعزونى معزة عظيمة وصرت لا أفارق دار الملك وصار الواردون الى تلك الجزيرة يسألوننى عن أمور بلادى فأخبرهم بها وكذلك أسألهم عن أمور بلادهم فيخبروننى بها إلى أن سألنى ملكهم يوما من الأيام عن أحوال بلادى وعن أحوال حكم الخليفة فى بلاد مدينة بغداد فأخبرته بعدله فى أحكامه فتعجب من أموره وقال لى والله أن الخليفه له أمور عقلية وأحوال مرضية وأنت قد حببتنى فيه ومرادى أن أجهز له هدية وأرسلها معك اليه فقلت سمعا وطاعة يا مولانا أوصلها اليه وأخبره أنك محب صادق ولم أزل مقيماً عند ذلك الملك وأنا فى غاية العز والاكرام وحسن معيشة مدة من الزمان إلى أن كنت جالساً يوماً من الأيام فى دار الملك فسمعت بخبر جماعة من تلك المدينة أنهم جهزوا لهم مركبا يريدون السفر فيها إلى نواحى مدينة البصرة فقلت فى نفسى ليس لى أوفق من السفر مع هؤلاء الجماعة فى المركب التى جهزوها لأنى أشتقت إلى أهلى وبلادي فقال لى الملك الرأى لك وإن شئت الإقامة عندنا فعلى الرأس والعين وقد حصل لنا انسك فقلت والله يا سيدى قد غمرتنى بجميلك وإحسانك ولكنى قد أشتقت إلى أهلى وبلادى وعيالى فلما سمع كلامى أحضر التجار الذين جهزوا المركب وأوصاهم على وقد وهب لى شيئاً كثيرا من عنده ودفع عنى اجرة المركب وأرسل معى هدية عظيمة إلى الخليفة هارون الرشيد بمدينة بغداد ثم أنى ودعت الملك وودعت جميع أصحابي الذين كنت أتردد عليهم ثم نزلت تلك المركب مع التجار وسرنا وقد طاب لنا الريح والسفر ونحن متوكلون على الله سبحانه وتعالى ولم نزل مسافرين من بحر إلى بحر ومن جزيرة إلى جزيرة إلى أن وصلنا بالسلامة بإذن الله تعالى الى مدينة البصرة طلعت من المركب ولم أزل مقيما بأرض البصرة أياما وليالى حتى جهزت نفسى وحملت حمولى وتوجهت إلى مدينة بغداد دار السلام فدخلت على الخليفة هارون الرشيد وقدمت اليه تلك الهدية واخبرته بجميع ما جرى لي ثم خزنت جميع أموالى وأمتعتى ودخلت حارتى وجاءنى أهلى وأصحابى وفرقت الهدايا على جميع أهلى وتصدقت ووهبت وبعد مدة من الزمان أرسل إلى الخليفة فسألنى عن سبب تلك الهدية ومن اين هى فقلت يا أمير المؤمنين والله لا أعرف للمدينة التى هى منها أسما ولا طريقا ولكن لما غرقت المركب التى كنت فيها طلعت على جزيرة وقد صنعت لى فلكا ونزلت فيه فى نهر وكان فى وسط جزيرة وأخبرته بما جرى لى فى السفرة وكيف

كان خلاصى من ذلك النهر إلى تلك المدينة وبما جرى لى فيها وبسبب إرسالى الهدية فتعجب الخليفة من ذلك غاية العجب وأمر المؤرخين أن يكتبوا حكايتى ويجعلوها فى خزانته ليعتبر بها كل من رأها ثم أنه أكرمنى ما زائد وقد أقمت بمدينه بغداد على ما كنت عليه فى الزمن الأول ونسيت جميع ما جرى وما قاسيته من أوله إلى آخره ولم أزل فى لذة عيش ولهو وطرب وهذا ما كان من أمرى فى السفرة السادسة يا أخوانى وإن شاء الله تعالى فى غد أحكى لكم حكاية السفرة السابعة فإنها أعجب وأغرب من هذه السفرات ثم أنه أمر بمد السماط وتعشوا عنده وأمر السندباد البحرى للسندباد الحمال بمائة مثقال من الذهب فأخذها وأنصرف إلى حال سبيله وأنصرف الجماعة وهم متعجبون فى ذلك غاية العجب وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة الثالثة والستون بعد الخمسمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن السندباد البحرى لما حكى حكاية سفرته السادسة وراح كل واحد الى حال سبيله بات السندباد البرى فى منزله ثم صلى الصبح وجاء إلى منزل السندباد البحرى وأقبل الجماعة فلما تكاملوا ابتدأ السندباد البحرى بالكلام فى حكاية السفرة السابعة وقال اعلموا يا جماعة أنى لما رجعت من السفرة السادسة وعدت لما كنت عليه فى الزمن الأول من البسط والأنشراح واللهو والطرب أقمت على تلك الحالة مدة من الزمان وأنا متواصل الهناء والسرور ليلاً ونهارا وقد حصل لى مكسب كثير وفوائد عظيمة فاشتاقت نفسى إلى الفرجة فى البلاد وإلى ركوب البحر وعشرة التجار وسماع الأخبار فهممت فى ذلك الأمر وقد حزمت أحمالا بحرية من الأمتعة الفاخرة وحملتها من مدينة بغداد إلى مدينة البصرة فرأيت مركبا محضرة للسفر وفيها جماعة من التجار العظام فنزلت معهم وأستأنست بهم وقد سرنا بسلامة وعافية قاصدين السفر وقد طاب لنا الريح حتى وصلنا الى مدينة تسمى مدينة الصين ونحن فى غاية الفرح والسرور نتحدث مع بعضنا فى أمر السفر والمتجر فبينما نحن على هذه الحالة وإذا بريح عاصف هب من مقدم المركب ونزل علينا مطر شديد حتى ابتللنا وابتلت حمولنا فغطينا الحمول باللباد والخيش خوفا على البضاعة عن التلف بالمطر وصرنا ندعوا الله تعالى ونتضرع اليه فى كشف ما نزل بنا مما نحن فيه فعند ذلك قام ريس المركب وشد

حزامه وتشمر وطلع الصـارى ثم أنه صار يلتـفت يمينا وشمالا وبعـد ذلك نظر إلى أهل المركب ولطم على وجهه ونتف لحيته فقلنا يا ريس ما الخبر فقـال لنا اطلبوا من الله تعالي النجاة مما وقعنا فيه وابكوا على أنفسكم وودعوا بعضكم وأعلموا أن الريح قد غلب علينا ورمانا فى اخر بحـار الدنيا ثم أن الريس نزل من فوق الصارى فـتح صندوقه وأخرج منه كيـسا قطنا وفكه وأخرج منه ترابا مـثل الرماد وبله بالماء وصبـر عليه قليلا ثم شـمه ثم أنه أخرج من ذلـك الصندوق كتـابا صغـيراً وقرأ فـيه وقـال لنا أعلموا يا ركـاب أن فى هذا الكتاب أمراً عجيبا يدل على أن كل من وصل إلى هذه الأرض لم ينج منها بل يهلك فإن هذه الأرض تسمى أقليم الملـوك وفيها قـبر سيـدنا سليمان بن داود عليـهما السلام وفـيه حيات عظام الخلقة هائلة المنظر فكل مـركب وصلت إلى هذا الأقليم يطلع لها حوت من البحر فيبلعهـا بجميع ما فيها فلما سمعنا هـذا الكلام من الريس تعجبنا غاية العجب من حكايته فلم يتم الريس كلامه لنا حتى صارت المركب ترتفع بنا على الماء ثم تنزل وسمعنا صرخـة عظيمة مـثل الرعد القاصف فـارتعبنا منهـا وصرنا كالأموات وايـقنا بالهلاك فى ذلك الوقت وإذا بحوت قـد أقبل على المركب كالجـبل العالى ففزعنـا منه وقد بكينا على أنفسنا بـكاء شديداً وتجهـزنا للموت وصـرنا ننظر إلى هذا الحوت ونتـعجب من خلقـته الهـائلة وإذا بحوت قـد أقبل علينا فـما رأينا أعـظم خلقة منه ولا أكـبر فـعند ذلك ودعنا بعضنا ونحن نبكى على أرواحـنا وإذا بحوت ثالث قد أقبل وهو أكـبر من الأثنين اللذين جاآنا قبـله فصرنا لا نعي ولا نعقل وقـد أندهشت عقولنا من شدة الخـوف والفزع ثم أن هذه الحيتان الثلاثة صاروا يدورون حـول المركب وقد أهوى الحوت الثالث ليبلع المركب بكل مـا فيـها وإذا بريح عظيـم ثار فقـامت المركب ونزلت على شـعب عظيم فانكسـرت وتفرقت جميع الألواح وغـرقت جميع الحمول والتجار والركـاب فى البحر فخلعت أنا جميع ما كان على من الثياب ولم يبق على غـير ثوب واحد ثم عمت قليلا فلحقت لوحا من الواح المركب وتعلقت به ثم أنى طلعت عليـه وركبته وقـد صارت الأمواج والأرياح تلعب بى على وجه الماء وأنا قابض على ذلك الـلوح والموج يرفعنى ويحطنى وأنا فى أشد ما يـكون من المشقـة والخوف والجـوع والعطش وصرت الوم نفـسى على ما فـعلتـه وقد تعبت نفسـى بعد الراحة وقلت لروحي يا سندباد يا بحرى أنت لم تتـب وكل مرة تقاسى فيهـا الشدائد والتعب ولم تتب عن سفـر البحر وأن تبت تكذب فى التوبة فـقاس كل ما

تلقاه فـأنك تستـحق جميع مـا يحصل لك وأدرك شهـرزاد الصباح فـسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة الرابعة والستون بعد الخمسمائة

قالت بلغنى أيها الملك السـعيد أن السندباد البحرى لما غرق فى البـحر ركب لوحا من الخشب وقال فى نفسـه استحق جميع ما يجرى لى وكل هذا مـقدور على من الله تعالى حتى أرجع عن ما أنافيه من الطمع وهذا الذى أقاسيـه من طمعى فإن عندي مالا كثيرا ثم أنه قال وقد رجعت لعقلى وقلت أنى فى هذه السـفرة قد تبت إلى الله تعالى توبة نصوحاً عن السفـر وما بقيت عمـرى أذكره على لسانى ولا على بالى ولم أزل اتضـرع الله تعالى وأبكى ثم أنى تذكـرت فى نفـسى مـا كنت فـيـه من الراحـة والسـرور واللهـو والطرب والإنشراح ولم أزل على هذا الحال أول يوم وثانى يوم إلى أن طلعت علـى جزيرة عظيمة وفيها شيء كـثير من الأشجار والأنهار فصرت آكل من ثمـر تلك الأشجار وأشرب من مـاء تلك الأنهار حـتى أنتـعشت وردت لى روحى وقـويت همـتى وأنشرح صـدرى ثم مشيت فى الجزيرة فـرأيت فى جانبها الثانى نهرا عظيمـاً من الماء العذب ولكن ذلك النهر يجرى جـرياً قويا فـتذكرت أمـر الفلك الذى كنت فيـه سابقا وقلت فى نـفسى لابد أنى أعمل لـي فلكاً مثله فلعلى انجـوا من هذا الأمر فـإن نجوت به حـصل المراد وتبت إلي الله تعالى من السفر وأن هلكت أرتاح قلبى من التعب والمشقـة ثم أنى قمت فجمعت أخشابا من تلك الأشجار من خشب الصندل العال الذى لا يوجد مثله وأنا لا أدرى أى شيء هو ولما جمـعت تلك الأخشاب تحيلت بأغـصان ونبات من هذه الجزيرة وفـتلتها مثـل الحبال وشددت بها الفلك وقلت أن سلمت فـمن الله ثم أنى نزلت فى ذلك الفلك وصرت به فى ذلك النهـر حـتى خرجت من آخـر الجـزيرة ثم بعدت عنـها ولم أزل سـائرا أول يوم وثانى يوم وثالث يوم بعـد مفارقة الجـزيرة وأنا نائم ولم آكل فى هذه المدة شيئاً ولكن إذا عطشت شـربت من ذلك النـهر وصـرت مـثل الفـرخ الدايخ من شـدة التـعب والجـوع والخوف حتى أنتهى بى الفلك إلى جبل عال والنهر داخل من تحته فلما رأيت ذلك خفت على نفسى من الضيق الذى كنت فيـه أول مرة فى النهر السابق وأردت أنى أوقف الفلك وأطلع منه إلى جانب الجبل فـغلبنى الماء فجذب الفلك وأنا فيـه ونزل به تحت الجبل فلما

رأيت ذلك ايقنت بالهـلاك وقلت لا حول ولا قوة إلا بـالله العلى العظيم ولم يزل الفلك سائراً مسافة يسيرة ثم طلع إلى مكان واسع وإذا هو واد كبير والماء يهدر فيه وله دوى مثل دوى الرعد وجريان مـثل جريان الريح فصرت قابضا عـلى ذلك الفلك بيدى وأنا خائف أن أقع من فـوقه والأمـواج تلعب بى يمينا وشـمالا فى وسـط ذلك المكان ولم يزل الفلك منحدرا مع الماء الجارى فى ذلك الوادى وأنا لا أقدر على منعه ولا أستطيع الدخول به فى جهة البر إلى أن رسى بى على جانب مدينة عظيمة المنظر مليحة البناء فيها خلق كثير فلما رأونى وأنا فى ذلك الفلك منحدراً فى وسط النهر مع التيار رموا على الشبكة والحبال فى ذلك الفلك ثم طلعوا الفلك من ذلك النهر إلى البر وقد سقطت بينهم وأنا مثل الميت من شدة الجوع والسهـر والخوف فتلقاني من بين هؤلاء الجماعة رجل كـبير السن وهو شيخ عظيم وقد رحب بى ورمى على ثيابا كثيرة جميلة فسترت بها عورتى ثم أنه أخذنى وسار بى وأدخلنى الحمام وجاء لى بالأشربة المنعشة والروايح الزكية ثم بعد خروجنا من الحمام أخذنى الى بيته وأدخلنى فيه ففـرح بى أهل بيته ثم أجلسنى فى مكان ظريف وهيأ لى شيئاً من الطعام الفاخر فـأكلت حتى شبعت وحمدت الله تعالـى على نجاتى وبعد ذلك قدم لى غلمـانه مـاء سـاخناً فـغسـلت يدى وجـاءتنى جـواريه بمناشف من الحـرير فنشـفت يدى ومسـحت فمى ثم أن ذلك الشيخ قام من وقـته وأخلى لى مكانا منفرداً وحـده فى جانب داره والزم غلمانه وجواريه بخدمتي وقضاء حاجتى وجميع مصالحى فصاروا يتعهدوننى ولم أزل على هذه الحالة عنده فى دار الضيافة ثلاثة أيام وأنا على أكل طيب وشرب طيب ورايحة طيـبة حتى ردت لى روحـى وسكن روعى وهدأ قلبى وأرتاحت نفسى فلمـا كان اليوم الرابع تقدم إلى الشـيخ وقال آنستنا يا ولدى والحمد الله على سـلامتك فهل لك أن تقوم معى إلى ساحل البحر وتنزل السوق فتبـيع البضاعة وتقبض ثمنها لعلك تشترى لك بها شيئاً تتجر فيه فسكت قليلا وقلت فى نفسي من أين معى بضاعة وما سبب هذا الكلام ثم قـال الشيخ يـا ولدى لا تهتم ولا تـتفكر فـقم بنا الى السـوق فإن رأيـنا من يعطيك فى بضاعتك ثمنا يرضيك أقبضـه لك وأن لم يجىء فيها شيء يرضيك أحطهالك عندى فى حواصلى حتى تجيء أيام البـيع والشرا فتفكرت فى أمرى وقلت لعـقلى طاوعه حتى تنظر أى شيء تكون هذه البضاعـة ثم أنى قلت له سمعا وطاعة يا عم الشيخ والذى تـفعله فيه البركة ولا يمكن مخالفتك فى شيء ثم أنى جـئت معه الى السوق فوجدته قد فك الفلك

الذى جئت فيه وهو من خشب الصندل وأطلق المنادى عليه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة الخامسة والستون بعد الخمسمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن السندباد البحرى لما ذهب مع الشيخ الى شاطىء البحر ورأى الفلك الذى جاء فيه من خشب الصندل مفكوكا ورأى الدلال يدلل عليه جاء التجار وفتحوا باب سعره وتزايد وافيه الى أن بلغ ثمنه ألف دينار وبعد ذلك توقف التجار عن الزيادة فالتفت الى الشيخ وقال اسمع يا ولدى هذا سعر بضاعتك فى مثل هذه الأيام فهل تبيعها بهذا السعر أو تصبر وأنا أحطهالك عندى فى حواصلى حتى يجيىء آوان زيادتها فى الثمن فنبيعها لك فقلت له يا سيدى الأمر أمرك فافعل ما تريد فقال يا ولدى أتبيعنى هذا الحطب بزيادة مائة دينار ذهباً فوق ما أعطى فيه التجار فقلت له نعم بعتك وقبضت الثمن فعند ذلك أمر غلمانه بنقل ذلك الخشب الى حواصله ثم أنى رجعت معه الى بيته فجلسنا وعدلى جميع ثمن ذلك الحطب وأحضر لي كياسا وحط المال فيها وقفل عليها بقفل حديد وأعطاني مفتاحه وبعد مدة أيام وليال قال الشيخ يا ولدى أنى أعرض عليك شيئاً وأشتهى أن تطاوعنى فيه فقلت له وما ذلك الأمر فقال لى أعلم أنى بقيت رجلا كبير السن ليس لى ولد ذكر وعندى بنت صغيرة السن ظريفة الشكل عندها مال كثير وجمال فأريد أن أزوجها لك وتقعد معها فى بلادنا ثم أنى أملكك جميع ما هو عندي وما تملكه يدى فإنى بقيت رجلاً كبيرا وأنت تقوم مقامى فسكت ولم أتكلم فقال لى أطعنى يا ولدى فى الذى أقوله لك فإن مرادى لك الخير فإن أطعتنى زوجتك ابنتى وتبقى مثل ولدى وجميع ما فى يدى وما هو ملكى يصير لك وأن أردت التجارة والسفر إلى بلادك لا يمنعك أحد وهذا مالك تحت يدك فافعل به ما تريده وما تختاره فقلت له والله يا عم الشيخ أنت صرت مثل والدى وأنا قاسيت أهوالا كثيرة ولم يبق لى رأى ولا معرفة فالأمر أمرك فى جميع ما تريده فعند ذلك أمر الشيخ غلمانه باحضار القاضى والشهود فأحضروهم وزوجنى ابنته وعمل لنا وليمة عظيمة وفرحا كبيرا وأدخلنى عليها فرأيتها فى غاية الحسن والجمال بقد واعتدال وعليها شىء كثير من أنواع الحلى والحلل والمعادن والمصاغ والعقود والجواهر الثمينة وما قيمتها إلا ألوف الألوف من

الذهب ولا يقدر أحد على ثمنها فلما دخلت عليها أعـجبتنى ووقعت المحبة بيننا وأقمت معها مدة من الزمان وأنا في غاية الأنس والأنشراح وقد توفى والدها إلى رحمة الله تعالى فجهزناه ودفناه ووضعت يدى على ما كان مـعه وصار جميع غلمانه غلمانى وتحت يدى فى خدمتى وولانى التجـار مرتبته فإنه كان كبـيرهم ولم يأخذ أحد منهم شيئـاً إلا بمعرفته وأذنه لأنه شيـخهم وصرت أنا فى مكانـه فلما خالطت أهل تلك المدينة وجـدتهم تنقلب حالتهم فى كل شهر فتظهر لهم اجنحة يطيـرون بها إلى عنان السماء ولا يبقى متخلفا فى تلك المدينة غيـر الأطفال والنساء فقلت فى نفـسى إذا جاء رأس الشهر أسـأل أحدا منهم فلعلهم يحـملونى معـهم إلى أين يروحون فلمـا جاء رأس ذلك الشـهر تغيـرت ألوانهم وانقلبت صورهم فدخلت على واحد منهم وقلت له بالله عليك أنك تحملنى معك حتى أتفـرج وأعود مـعكم فـقـال لى هذا شيء لا يمكن فلم أزل أتداخل عليـه حـتى أنعم على بذلك وقد وافقـتهم وتعلقت به فطار بى فى الهوى ولم أعلم أحـداً من أهل بيتى ولامن غلمانى ولا من أصحـابى ولم يزل طائرا بى ذلك الرجل وأنا على أكتافـة حتى علا بى فى الجو فـسمـعت تسبيـح الأملاك فى قـبه الأفـلاك فتـعجـبت من ذلك وقلت سبـحان الله والحمد الله فلم أستتم التسبيح حتى خـرجت نار من السماء فكادت تحرقهم فنزلوا جميعا وقـد القونى على جبل عال وقـد صاروا فى غـاية الغـيظ منى ورحلوا وخلونى فصـرت وحدى فى ذلك الجبـل فلمت نفسى على ما فعلت وقلت لا حـول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم أنا كلما أخلص من مصـيبة أقع فى مصيبة أقـوى منها ولم أزل فى ذلك الجبل ولا أعلم اين أذهب وإذا بغلامين سائرين كأنهما قـمران وفى يد كل واحد منهما قضيب من ذهب يتعكز علـيه فتـقدمت إليهـما وسلمت عليهـما فردا على الـسلام فقلت لهـما بالله عليكما من أنتما وما شأنكما فقالا لى نحن من عـباد الله تعالى ثم أنهما أعطيانى قضيبا من الذهب الأحمر الذى كان معهما وأنصرفا الى حـال سبيلهما وخليانى فصرت اسير على رأس ذلك الجبل وأنا أتعكز بالعكاز واتفكر فى أمر هذين الغلامين وإذا بحية قد خرجت من تحت ذلك الجـبل وفى فـمـهـا رجل بلعـتـه إلى تحت سرته وهو يصـيح ويقـول من يخلصنى يخلصـه الله من كل شدة فتقـدمت إلى تلك الحية وضـربتها بالقـضيب الذهب على رأسها فرمت الرجل من فمها وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة السادسة والستون بعد الخمسمائة

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن السندباد البحري لما ضرب الحية بالقضيب الذهب الذي كان يده والقت الرجل من فمها قال فتقدم إلى الرجل وقال حيث كان خلاصي على يديك من هذه الحية فما بقيت أفارقك وأنت صرت رفيقي في هذا الجبل فقلت له مرحبا وسرنا في ذلك الجبل وإذا بقوم اقبلوا علينا فنظرت اليهم وإذا فيهم الرجل الذي كان حملني على أكتافه وطار بي فتقدمت إليه وأعتذرت له وتلطفت به وقلت له يا صاحبي ما هكذا تفعل الأصحاب بأصحابهم فقال لي الرجل أنت الذي أهلكتنا بتسبيحك على ظهري فقلت له لا تؤاخذني فأني لم يكن لي علم بهذا الأمر ولكني لا أتكلم بعد ذلك أبدا فسمح بأخذي معه ولكنه شرط على أن لا أذكر الله ولا اسبحه على ظهره ثم أنه حملني وطار بي مثل الأول حتى أوصلني إلى منزلي فتلقتني زوجتي وسلمت على وهنئتني بالسلامة وقالت لي احترس من خروجك بعد ذلك من هؤلاء الأقوام ولا تعاشرهم فأنهم أخوان الشياطين ولا يعلمون ذكر الله تعالى فقلت لها كيف كان حال أبيك معهم فقالت لي أن أبي لم يكن منهم ولم يعمل مثلهم والرأى عندي حيث مات أبي أنك تبيع جميع ما عندنا وتأخذ بثمنه بضائع ثم تسافر إلى بلادك وأهلك وأنا أسير معك وليس لي حاجة بالقعود هنا في هذه المدينة بعد أمي وأبي فعند ذلك صرت أبيع من متاع الشيخ شيئاً بعد شيء وأنا أترقب أحدا يسافر من تلك المدينة وأسير معه فبينما أنا كذلك وإذا بجماعة في المدينة قد أرادو السفر ولم يجدوا لهم مركبا فاشتروا خشبا وقد صنعوا لهم مركبا كبيرة فأكتريت معهم ودفعت اليهم الأجرة بتمامها ثم نزلت زوجتي وجميع ما كان معنا في المركب وتركنا الأملاك والعقارات وسرنا ولم نزل سائرين في البحر من جزيرة إلى جزيرة ومن بحر إلى بحر وقد طاب لنا ريح السفر حتى وصلنا بالسلامة إلى مدينة البصرة فلم أقم بها بل أكتريت في مركب أخرى ونقلت إليها جميع ما كان معي وتوجهت الى مدينة بغداد ثم دخلت حارتي وجئت إلى داري وقابلت أهلي وأصحابي وأحبابي وخزنت جميع ما كان معي من بضائع في حواصلي وقد حسب أهلي مدة غيابي عنهم في السفرة السابعة فوجدوها سبعاً وعشرين سنة حتى قطعوا الرجاء مني فلما جئتهم وأخبرتهم بجميع ما كان من أمري وما جرى لي صاروا

كلهم يتعجبون من ذلك الأمر عجباً كبيراً وقد هنونى بالسلامة ثم أنى تبت الى الله تعالى عن السفر فى البر والبحر بعد هذه السفرة السابعة التى هى غاية السفرات وقاطعة الشهوات وشكرت الله سبحانه وتعالى وحمدته وأثنيت عليه حيث أعادنى إلى أهلى وبلادي وأوطانى فانظر يا سندباد يا برى ما جرى لى وما وقع لى وما كان من أمرى فقال السندباد البرى للسندباد البحرى بالله عليك لا تؤآخذنى بما كان منى فى حقك ولم يزالوا في عشرة ومودة مع بسط زائد وفرح وانشراح الى أن أتاهم هادم اللذات ومفرق الجماعات ومخرب القصور ومعمر القبور وهو كأس الممات فسبحان الحى الذى لا يموت وبلغنى أيضاً أنه كان فى قديم الزمان وسالف العصر والأوان بدمشق الشام ملك من الخلفاء يسمى عبد الملك بن مروان وكان جالسا يوما من الأيام وعنده أكابر دولته من الملوك والسلاطين فوقعت بينهم مباحثة فى حديث الأمم السالفة وتذكروا اخبار سيدنا سليمان بن داود عليهما السلام وما أعطاه الله تعالى من الملك والحكم فى الأنس والجن والطير والوحش وغير ذلك وقالوا قد سمعنا ممن كان قبلنا الله سبحانه وتعالى لم يعط أحدا مثل ما أعطى سيدنا سليمان وأنه وصل إلى شيء لم يصل إليه أحد حتى أنه كان يسجن الجن والمردة والشياطين في قماقم من النحاس ويسبك عليهم بالرصاص ويختم عليهم بخاتمه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة السابعة والستون بعد الخمسمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الخليفة عبد الملك بن مروان لما تحدث مع أعوانه وأكابر دولته وتذكروا سيدنا سليمان وما أعطاه الله من الملك قال أنه وصل إلى شيء لم يصل اليه أحد حتى أنه كان يسجن المردة والشياطين في قماقم من النحاس ويسبك عليهم بالرصاص ويختم عليهم بخاتمه و واخبر طالب ان رجلا نزل في مركب مع جماعة وانحدروا إلي بلاد الهند ولم يزالوا سائرين حتي طلع عليه ريح فوجههم ذلك الريح إلي أرض من أراضي الله تعالى وكان ذلك فى سواد الليل فلما أشرق النهار خرج إليهم من مغارات تلك الأرض أقوام سود الألوان عراة الاجساد كأنهم وحوش لايفقهون خطابا لهم ملك من جنسهم وليس منهم احد يعرف العربية غير ملكهم فلما رأوا المركب ومن فيها خرج اليهم في جماعة من أصحابة فسلم عليهم ورحب بهم وسألهم عن دينهم

فاخبروه بحالهم فـقال لهم لابأس عليكم وحين سألهم عن دينهم كان كل منهم علي دين من الاديان قبل ظهور الإسـلام وقبل بعث محمد ﷺ فـقالت اهل المركب نحن لانعرف ماتقـول ولانعرف شيئـا عن هذا الدين فقال لهم الملك أنه لـم يصل الينا احد من بني آدم قبلكم ثم أنه ضيفهم بلحم الطيـور والوحوش والسمك وليس لهم طعام غير ذلك ثم ان اهل المركب نزلوا يتـفرجـون في تلك المدينة فـوجدوا بعض الصـيادين ارخي شـبكة في البحر ليـصطاد سمكا ثم رفعها فـإذا فيها قمـقم من نحاس مرصص مختـوم عليه بخاتم سليمان بن داود عليـهما السلام فخرج بـه الصياد وكسره فخـرج منه دخان ازرق التحق بعنان السمـاء فسمعنا صوتـا منكرا يقول التوبة التوبة يانبي الله ثم صـار من ذلك الدخان شخص هائل المنظر مهول الخلقة تلحق رأسـه الجبل ثم غاب عن اعينهم فأما اهل المركب فكادت تنخلع قلوبهم وامـا السودان فلـم يفكروا في ذلك فرجع رجل إلي الملك وسـأله عن ذلك فـقال له أعلم ان هذا مـن الجن الذين كان سليـمـان بن داود إذا غضب عليـهم سجنهـم في هذه القماقم ورصص عـليهم ورماهم في البـحر فـإذا رمي الصياد الـشبكة تطلع بهـذه القمـاقم في غالب الاوقـات فإذا كـسرت يخـرج منها جني ويخطر ببـاله ان سليمان حيّ فيتوب ويقول التوبة يانبي الله فـتعجب امير المؤمنين عبد الملك بن مروان من هذا الكلام وقـال سبحـان الله لقد اوتي سلـيمان ملـكا عظيمـا وكان ممن حضـر في ذلك المجلس النابغة الذبياني فـقال صدق طالب فيما اخبر به والـدليل علي صدقه قول الحكيم الأول

وفي سـليــمـــان إذ قــال الالــه له   قم بالخلافـة واحكم حكم مجتـهدّ
فـمن اطاعـك فـاكـرمـه بطـاعـتـه   ومن ابي عنك فـاحـبسـه إلي الابد

وكان يجعلهم في قماقم من النحاس ويرميهم في البـحر فاستحسن امير المؤمنين هذا الكلام وقال والله اني لاشتهي ان أري شيئا من هذا القماقم فقال له طالب ابن سهل ياأمير المؤمنين انك قادر علي ذلك وانت مقيم في بلادك فارسل إليـاخيك عبد العزيز بن مروان أن يأتيك بهـا من بلاد الغـرب بإن يكتب إلي مـوسي ان يركب من بلاد الغـرب إلي هذا الجبل الذي ذكرناه ويأتيك من هذه القماقم بما تطلب فإن البر متصل من آخر ولايته بهذا الجبل فاستـصوب امير المؤمنين رأيه وقال ياطالب لقد صدقت فـيما قلته واريد ان تكون

انت رسولي إلي موسى ابن نصر في هذا الأمر ولك الراية البيضاء وكل ماتريده من مال أو جاه أو غير ذلك وانا خليفتك في اهلك قال حبا وكرامة يا امير المؤمنين فقال له سر علي بركة الله تعالي وعونه ثم امر ان يكتبوا له كتابا لاخيه عبد العزيز نائبه في مصر وكتابا آخر إلي موسي نائبه في بلاد الغرب يأمره بالسير في طلب القماقم السليمانية بنفسه ويستخلف ولده علي البلاد ويأخذ معه الأدلة وينفق المال وليستكثر من الرجال ولا يلحقه في ذلك فترة ولايحتج بحجة ثم ختم الكتابين وسلمهما إلي طالب بن سهل وأمره بالسرعة ونصب الرايات علي رأسه ثم ان الخليفة أعطاه الأموال والركاب والرجال ليكونوا اعوانا له فى طريقه وأمر بإجراء النفقة علي بيته من كل مايحتاج اليه وتوجه طالب يطلب مصر وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الثامنة والستون بعد الخمسمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان طالب بن سهل سار هو واصحابه يقطعون البلاد من الشام إلي ان دخلوا مصر فتلقاه أمير مصر وانزله عنده واكرمه غاية الاكرام في مدة اقامته عنده ثم بعث معه دليلا إلي الصعيد الأعلي حتي وصلوا إلي الأمير موسي بن نصر فلما علم به خرج إليه وتلقاه وفرح به فناوله الكتاب فاخذه وقرأه وفهم معناه ووضعه علي رأسه وقال سمعا وطاعة لامير المؤمنين ثم أنه اتفق رأيه علي ان يحضر ارباب دولته فحضروا فسألهم عن مابدا له في الكتاب فقالوا ايها الأمير ان اردت من يدلك علي طريق ذلك المكان فعليك بالشيخ عبد الصمد بن عبد القدوس الصمودي فإنه رجل عارف وقد سافر كثيرا وهو خبير بالبراري والقفار والبحار وسكانها وعجائبها والارضين واقطارها فعليك به فإنه يرشدك إلي ماتريده فامر باحضاره فحضر بين يديه وإذا هو شيخ كبير قد اهرمه تداول السنين والأعوام فسلم عليه الأمير موسي وقال له ياشيخ عبد الصمد ان مولانا امير المؤمنين عبدالملك بن مروان قد أمرنا بكذا وكذا وانا قليل المعرفة بتلك الأرض وقد قيل لي انك عارف بتلك البلاد والطرقات فهل لك رغبة في قضاء حاجة أمير المؤمنين فقال الشيخ اعلم ايها الأمير ان هذا الطريق وعرة بعيدة الغيبة قليلة المسالك فقال له الأمير كم مسير مسافتها فقال مسير سنتين واشهر ذهابا ومثلها مجيئا وفيها شدائد واهوال وغرائب وعجائب وانت رجل مجاهد وبلادنا بالقرب من العدو

فربما تخرج النصاري في غيبتك والواجب ان تستخلف في مملكتك من يدبرها قال نعم فاستخلف ولده هارون عوضا عنه فى مملكته وأخذ عليه عهدا وأمر الجنود أن لايخالفوه بل يطاوعوه في جميع ما يأمرهم به فسمعوا كلامة واطاعوه وكان ولده هارون عظيم الباس هماما جليا وبطلاكيا واظهر له الشيخ عبد الصمد ان الموضع الذي فيه حاجة أمير المؤمنين مسير اربعة اشهر وهو علي ساحل البحر وكله منازل تتصل ببعضها وفيها عشب وعيون وقال قديهون الله علينا قال له نعميأمير المؤمنين هذه الأرض للملك اسكندرية داران الرومي ثم ساروا ولم يزالوا سائرين إلي ان وصلوا إلي قصر فقال تقدم بنا إلي هذا القصر الذي هو عبرة لمن اعتبر فتقدم الأمير موسي إلي القصر ومعه الشيخ عبد الصمد وخواص اصحابة حتي وصلوا إلي بابه فوجوده مفتوحا وله اركان طويلة ودرجات وفي تلك الدرجات درجتان ممتدان وهما من الرخام الملون الذي لم يرمثله والسقوف والحيطان منقوشة بالذهب والفضة والمعدن وعلي الباب لوح مكتوب فيه باليوناني فقال الشيخ عبد الصمد هل اقرأه يا أمير فقال له تقدم واقرأ بارك الله فيك فما حصل لنا في هذا السفر الا بركتك فقرأه فإذا فيه شعر وهو.

قوم تراهم بعد ماصنعوا يبكي علي الملك الذي نزعوا
فالقصر فيه منتهي خبر عن سادة في الترب قد جمعوا
ابادهم موت وفرقهم وضيعوا في الترب ماجمعوا
كانما حطوا رحالهموا ليستريحوا سرعة رحلوا

قال فبكي الأمير موسي حتي غشى عليه وقال لا اله إلا الله الحي الباقي بالزوال ثم أنه دخل القصر فتحير من حسنه وبنائه ونظر إلي مافيه من الصور والتماثيل وإذا علي الباب الثاني ابيات مكتوبة فقال الأمير موسى تقدم أيها الشيخ واقرأ فتقدم وقرأ فاذا هي

كم معشر فى قبابها نزلو على قديم الزمان وارتحلوا
فانظر إلى ما بغيرهم صنعت حوادث الدهر إذ بهم نزلوا
تقاسموا كل مالهم جمعوا وخلفوا حظ ذاك وأرتحلوا
كم لابسوا نعمة وكم أكلوا فاصبحوا فى التراب قد أكلوا

فبكى الأمير موسى بكاء شديداً واصفرت الدنيا فى وجهه ثم قال لقد خلقنا لأمر عظيم ثم تأملوا القصر فأذا هو قد خلا من السكان وعدم الأهل والقطان دوره موحشات وجهاته مقفرات وفي وسطه قبة عالية شاهقة فى الهواء وحواليها أربعمائه قبر قال فدنى الأمير موسى إلى تلك القبور وإذا بقبر بينهم مبنى بالرخام منقوش عليه هذه الأبيات

فكم قد وقفت كم قد فتكت ... وكم قد شهدت من الكائنات
وكم قد أكلت وكم قد شربت ... وكم قد سمعت من الغانيات
وكم قد أمرت وكم قد نهيت ... وكم من حصون ترى مانعات
فحاصرتها ثم فتشتها ... وبينت منها حلى الغانيات
ولكن بجهلي تعديت في ... حصول أمان غدت فانيات
فحاسب لنفسك يا ذا الفتى ... قبيل شرابك كأس الممات
فعما قليل يهال الثرى ... عليك وأنت عديم الحياة

قال فبكى الأمير موسى ومن معه ثم دنى من القبة فاذا لها ثمانية أبواب من خشب الصندل بمسامير من الذهب مكوكبة بكواكب الفضة مرصعة بالمعادن من أنواع الجواهر مكتوب على الباب الأول هذه الأبيات

ما قد تركت فما خلفته كرما ... بل القضاء وحكم فى الورى جارى
فطال ما كنت مسرورا ومغتبطا ... أحمى حماى كمثلى الضيغم الضارى
لا استقر ولا أسخى بخردلة ... شحا عليه ولو ألقيت فى النار
حتى رميت باقدار ومقدرة ... من الا له العظيم الخالق البارى
أن كان موتى محتوما على عجل ... فلم أطق دفعه عنه باكشارى
ولا جنودى التى جمعتها نفعت ... ولم يغثنى صديق لى ولا جارى
وطول عمري متعوب على سفر ... تحت المنيه فى يسروا عسارى
عادت لغيرك قبل الصبح كاملة ... قد أتوك بحمال وحفار
ويوم عرضك تلقى الله منفردا ... بأحمال أثم واجرام واوزار
فلا تغرنك الدنيا بزينتها ... وانظر إلى فعلها بالأهل والجار

فلما سمع الأمير موسى هذه الأبيات بكى بكاء شديداً حتى غشى عليه فلما أفاق دخل القبة فرأى فيها قبرا طويلا هائل المنظرو عليه لوح من الحديد الصينى فدنى منه الشيخ عبد الصمد وقرأة فإذا فيه مكتوب بسم الله الدائم الابدى الابد بسم الله الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد بسم الله الذى العزة والجبروت باسم الحى الذى لا يموت وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة التاسعة والستون بعد الخمسمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الشيخ عبد الصمد لما قرأ ماذكرناه رأى بعده مكتوبا فى اللوح اما بعد ايها الواصل إلى هذا المكان اعتبر بما ترى من حوادث الزمان وطوارق الحدثان ولا تغتر بالدنيا وزينتها وزورها وبهتانها وغرورها وزخرفها فانها ملاقة مكارة غدارة امورها مستعارة تأخذ المعار من المستعير فهى كاضغاث النائم وحلم الحالم كانها سراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء يزخرفها الشيطان للإنسان إلي الممات فهذه صفات الدنيا فلا تثق بها ولا تمل اليها فانها تخون من استند اليها وعول فى اموره عليها لا تقع فى حبالها ولا تتعلق باذيالها فانى ملكت اربعة الاف حصان احمر فى دار وتزوجت الف بنت من بنات الملوك نواهد ابكارا كانهن الاقمار ورزقت الف ولد كانهم الليوث العوابس وعشت من العمر الف سنة منعم البال والاسرار وجمعت من الاموال مايعجز عنه ملوك الاقطار وكان ظنى ان النعيم يدوم لى بلا زوال فلم اشعر حتى نزل بناهادم اللذات ومفرق الجماعات وموحش المنازل ومخرب الدور العامرات ومفنى الكبار والصغار والاطفال والولدان والامهات وقد تركنا في هذا القصر مطمئنين حتى نزل بنا حكم رب العالمين رب السموات ورب الاراضين فاخذتنا صيحة الحق المبين فصار يموت منا كل يوم اثنان حتى فنى منا جماعة كثيرة فلما رأيت الفناء قد دخل ديارنا وقد حل بنا وفى بحر المنايا اغرقنا احضرت كاتبا وامرته ان يكتب هذه الاشعار والمواعظ والاعتبارات وقد جعلتها بالبيكار مسطرة على هذه الابواب والالواح والقبور وقد كان لي جيش الف الف عنان اهل جلاد برماح وازراد وسيوف حداد وسواعد شداد فامرتهم ان يلبسو الدروع النسابغات ويتقلدوا السيوف الباترات ويعتقلوا الرماح الهائلات ويركبوا الخيول الصافنات فلما نزل بنا حكم رب العالمين رب الارض والسموات قلت

يامعاشر الجنود والعساكر هل تقدرون ان تمنعوا مانزل بي من الملك القاهر فعجزت العساكر والجنود عن ذلك وقالوا كيف نحارب من لم يحجب عنه حاجب صاحب الباب الذى ليس له بواب فقلت لهم احضروا لي الاموال وهي الف جب في كل جب الف قنطار من الذهب الاحمر وفيها اصناف الدر والجواهر ومثلها من الفضة البيضاء والدخائر التي يعجز عنها ملوك الارض ففعلوا ذلك فلما احضروا المال بين يدى قلت لهم هل تقدرون ان تنقذونى بهذه الاموال كلها وتشتروالي بها يوما واحدا اعيشه فلم يقدروا على ذلك وصاروا مسلمين للقضاء والقدر وصبرت لله على القضاء والبلاء حتى اخذ روحى واسكننى ضريحى وان سألت عن اسمى فانى كوش بن شداد بن عاد الاكبر وفي ذلك اللوح مكتوب ايضا هذه الابيات

ان تذكروني بعد طول زماني ونقلب الايام والحد ثان
فانا ابن شداد الذى ملك الورى والارض اجمعها بكل مكان
دانت لي الزمر الصعاب باسرها والشام من مصر الى عدنان
قد كنت فى عزاذل ملوكها وتخاف اهل الارض من سلطانى
وارى القبائل والجحافل فى يدى وأرى البلاد واهلها تخشانى
واذا ركبت رأيت عدة عسكرى فوق الصواهل الف الف عنان
وملكت مالا ليس يحصر عدة ودخرته لنوائب الحدثان
وعزمت ان افدى بمالي كله روحي الى حين من الاحيان
فابى الاله سوى نفاذ مراده فانا الوحيد اذن من الاخوان
واتانى الموت المفرق للوري فنقلت من عز لدار هوان
ولقد لقيت جميع ماقدمت فانا الرهين به وكنت الجانى
فاربأ بنفسك ان تكون علي شفا واحذر هديت طوارق الحدثان

فبكى الامير موسى حتى غشى عليه لما رأى من مصارع القوم قال فبينما هم يطوفون بنواحي القصر ويتأملون فى مجالسه ومنتزهاته واذاهم بمائدة على اربع قوائم من المرمى

مكتوب عليها قد اكل على هذه المائدة الف ملك اعور والف ملك سليم العينين كلهم فارقوا الدنيا وسكنوا الارماس والقبور فكتب الامير موسى ذلك كله ثم خرج ولم يأخذ معه من القصر غير المائدة وسار العسكر والشيخ عبد الصمد امامهم يدلهم على الطريق حتي مضى ذلك اليوم كله وثانيه وثالثه واذاهم برابية عاليه فنظروا اليها فاذا عليها فارس من نحاس وفى رأس رمحه سنان عريض براق يكاد ان يخطف البصر مكتوب عليه ايها الواصل الى ان كنت لا تعرف الطريق الموصلة الى مدينة النحاس فافرك كف الفارس فانه يدور ثم يقف فاى جهة وقف اليها فاسلكها ولا خوف عليك ولا حرج فانها توصلك الى مدينة النحاس وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للسبعين بعد الخمسمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الامير موسى لما فرك كف الفارس دار كأنه البرق الخاطف وتوجه الى غير الجهة التى كانوا فيها فتوجه القوم فيها وساروا فاذا هى طريق حقيقة فسلكوها ولم يزالوا سائرين يومهم وليلتهم حتى قطعوا بلادا بعيدة فبينما هم سائرون يوما من الايام واذاهم بعمود من الحجر الاسود وفيه شخص غائص فى الارض الى ابطه وله جناحان عظيمان واربع اياد يدان منها كأيدى الادميين ويدان كأيدى السباع فيها مخالب وله شعر فى رأسه كأنه اذناب الخيل وله عينان كأنهما جمرتان وله عين ثالثة في جبهته كعين الفهد يلوح منها شرر النار وهو اسود طويل وينادى سبحان ربي حكم علي بهذا البلاء العظيم والعذاب الاليم الى يوم القيامة فلما عايزه القوم طارت عقولهم واندهشوا لما رأوا من صفته وولوا هاربين فقال الامير موسى للشيخ عبد الصمد ماهذا قال لا ادرى ماهو فقال ادن منه وابحث عن امره ولعله يكشف عن امره فلعلك تطلع على خبره فقال الشيخ عبد الصمد اصلح الله الاميرانا نخاف منه قال لا تخافوا فانه مكفوف عنكم وعن غيركم بما هو فيه فدنا منه الشيخ عبد الصمد وقال له ايها الشخص مااسمك وماشأنك وماالذى جعلك فى هذا المكان على هذه الصورة فقال له اما انا فانى عفريت من الجن واسمى داهش ابن الاعمش وانا مكفوف هاهنا بالعظمة محبوس بالقدرة معذب الى ماشاء الله عز وجل قال الامير موسى ياشيخ عبد الصمد اسأله ماسبب سجنه فى هذا العامود فسأله عن ذلك فقال له العفريت ان حديثى عجيب وذلك

انه كان لبعض اولاد ابليس صنم من العقيق الاحمر وكنت موكلا به وكان يعبده ملك من ملوك البحر جليل القدر عظيم الخطر يقود من عساكر الجان الف الف يضربون بين يديه بالسيوف ويجيبون دعوته في الشدائد وكان الجان الذين يطيعونه تحت امري وطاعتي يتبعون قولي إذا امرتهم وكانوا كلهم عصاة عن سليمان بن داود عليهما السلام وكنت ادخل في جوف الصنم فامرهم وانهاهم وكانت ابنة ذلك الملك تحت ذلك الصنم كثيرة السجود له منهمكة على عبادته وكانت احسن اهل زمانها ذات حسن وجمال وبهاء وكمال فوصفتها لسليمان عليه السلام فارسل الى ابيها يقول له زوجني بنتك واكسر صنمك العقيق واشهدان لا اله الا الله وان سليمان نبي الله فان انت فعلت ذلك كان لك مالنا وعليك ماعلينا وان انت ابيت اتيتك بجنود لا طاقة لك بها فأعد للسؤأل جوابا والبس للموت جلبابا فسوف اسير لك بجنود تملأ الفضا ونذرك كالامس الذي مضى فلما جاءه رسول سليمان عليه السلام طغى وتجبر وتعاظم في نفسه وتكبر ثم قال لوزرائه ماذا تقولون في امر سليمان بن داود فانه ارسل يطلب ابنتي وان اكسر صنمي العقيق وان ادخل في دينه فقالوا ايها الملك العظيم هل يقدر سليمان ان يفعل بك ذلك وانت في وسط هذا البحر العظيم فان هو سار اليك لا يقدر عليك فان مردة الجن يقاتلون معك وتستعين عليه بصنمك الذي تعبده فانه يعينك عليه وينصرك والصواب ان تشاور ربك في ذلك ويعنون به الصنم العقيق الاحمر وتسمع مايكون جوابه فان اشار عليك ان تقاتله فقاتله والافلا فعند ذلك سار الملك من وقته وساعته ودخل على صنمه بعد ان قرب القربان وذبح الذبايح وخر له ساجدا وجعل يبكي ويقول شعر

يارب اني عارف بقدرك وها سليمان يروم كسرك
يارب اني طالب لنصرك فامر فاني طائع لامرك

ثم قال ذلك العفريت الذي نصفه في العامود للشيخ عبد الصمد ومن حوله يسمع فدخلت انا في جوف الصنم من جهلي وقلة عقلي وعدم اهتمامي بامر سليمان وجعلت اقول شعرا

اما انا فلست منه خائف لانني بكل امر عارف
وان يرد حربي فاني زاحف وانني للروح منه خاطف

فلما سمع الملك جوابي له قوى قلبه وعزم علي حرب سليمان نبى الله عليه السلام وعلى مقاتلته فلما حضر رسول سليمان ضربه ضربا وجيعا ورد عليه ردا شنيعا وارسل يهدده ويقول له مع الرسول لقد حدثتك نفسك بالاماني اتوعدني بزور الاقوال فاما ان تسيرا لي واما ان اسير اليك ثم رجع الرسول الى سليمان واعلمه بجميع ما كان من امره وما حصل له فلما سمع نبى الله سليمان ذلك قامت قيامته وثارت عزيمته وجهز عساكره من الجن والانس والوحوش والطير والهوام وامر وزيره الدمرياط ملك الجن ان يجمع مردة الجن من كل مكان فجمع له من الشياطين ستمائة الف الف وامر آصف بن برخياء ان يجمع عساكره من الانس فكانت عدتهم الف الف او يزيدون واعد العدة والسلاح وركب هو وجنوده من الجن والانس على البساط والطير فوق رأسه طائر والوحوش من تحت البساط سائرين حتى نزل بساحته واحاط بجزيرته وقد ملأ الارض بالجنود وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة الحادية والسبعون بعد الخمسمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيدان العفريت قال لما نزل نبى الله سليمان عليه السلام بجيوشه حول الجزيرة ارسل الى ملكنا يقول له هاانا قد اتيت فاردد عن نفسك مانزل والا فادخل تحت طاعتى وقر برسالتى واكسر صنمك واعبد الواحد المعبود وزوجني بنتك بالحلال وقل انت ومن معك اشهد ان لا اله الا الله واشهدان سليمان نبى الله فان قلت ذلك كان لك الامان والسلامة وان ابيت فلا يمنعك تحصنك منى فى هذه الجزيزة فان الله تبارك وتعالي امر الريح بطاعتى فآمرها ان تحملني اليك بالبساط واجعلك عبرة ونكالا لغيرك فجاءه الرسول وبلغه رسالة نبى الله سليمان عليه السلام فقال له الملك ليس لهذا الامر الذى طلبه مني سبيل فاعلمه انى خارج اليه فعاد الرسول الى سليمان ورد عليه الجواب ثم ان الملك ارسل الى أهل ارضه وجمع له من الجن الذين كانوا تحت يده الف الف وضم اليهم غيرهم من المردة والشياطين الذين فى جزائر البحار ورؤس الجبال ثم جهز عساكره وفتح خزائن السلاح وفرقها عليهم واما نبى الله سليمان عليه السلام فانه رتب جنوده وامر الوحوش ان تنقسم شطرين على يميني القوم وعلى شمالهم وامر الطيور ان تكون فى الجزائر وامرها عند الحملة ان تخطف اعينهم بمناقيرها وان تضرب

وجوههم باجنحتها وأمر الوحوش ان تفترس خيولهم فقالوا السمع والطاعة لله ولك يانبى الله ثم ان سليمان نبي الله نصب له سريرا من المرمى مرصعا بالجواهر مصفحا بصفايح الذهب الاحمر وجعل وزيره آصف بن برخيا على الجانب الايمن ووزيره الدمرياط على الجانب الايسر وملوك الانس على يمينه وملوك الجن على يساره والوحوش والافاعى والحيات امامه ثم زحفوا علينا زحفة واحدة وتحاربنا معه فى ارض واسعة مدة يومين ووقع بنا البلاء في اليوم الثالث فنفذ فينا قضاء الله تعالى وكان اول من حمل على سليمان انا وجنودى وقلت لاصحابى الزموا مواطنكم حتى ابرز اليهم واطلب قتال الدمرياط واذا به قد برز كأنه الجبل العظيم ونيرانه تلتهب ودخانه مرتفع فاقبل ورمانى بشهاب من نار فغلب سهمه على نارى وصرخ على صرخة عظيمة تخيلت منها ان السماء انطبقت على وانهزت لصوته الجبال ثم امر اصحابه فحملوا علينا حملة واحدة وحملنا عليهم وصرخ بعضنا على بعض وارتفعت النيران وعلا الدخان وكادت القلوب ان تتفطر وقامت الحرب علي ساق وصارت الطيور تقاتل فى الهوى والوحوش تقاتل فى الثرى وانا اقاتل الدمرياط حتى اعيانى واعييته ثم بعد ذلك ضعفت وخذلت اصحابى وجنودى وانهزمت عشائرى وصاح نبى الله سليمان خذوا هذا الجبار العظيم النحس الذميم فحملت الانس على الانس والجن على الجن ووقعت بملكنا الهزيمة وكنا لسليمان غنيمة وحملت العساكر على جيوشنا والوحوش حولهم يمينا وشمالا والطيور فوق رؤوسنا تخطف ابصار القوم تارة بمخالبها وتارة بمناقيرها وتارة تضرب باجنحتها فى وجوه القوم والوحوش تنهش الخيول وتفترس الرجال حتى صار اكثر القوم على وجه الارض كجذوع النخل واما انا فطرت من بين ايادى الدمرياط فتبعنى مسيرة ثلاثة اشهر حتى لحقنى وقد وقعت كما ترونى وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الثانية والسبعون بعد الخمسمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الجنى الذى فى العامود لما حكى لهم حكايته من اولها الي ان سجن فى العامود قالوا له اين الطريق الموصلة الى مدينة النحاس فاشار لنا الى طريق المدينة واذا بيننا وبينها خمسة وعشرون بابا لا يظهر منها باب واحد ولا يعرف له اثر وصورها كأنه قطعة من جبل او حديد صب في قالب فنزل القوم ونزل الامير موسى

والشيخ عبدالصمد واجتهدوا ان يعرفوا لها بابا او يجدوا لها سبيلاً فلم يصلوا الى ذلك فقال الامير موسى يا طالب كيف الحيلة فى دخول هذه المدينة فلابد ان نعرف لها بابا تدخل منه فقال طالب اصلح الله الامير ليسترح يومين او ثلاثة وتدبر الحيلة ان شاء الله تعالى فى الوصول اليها والدخول فيها قال فعند ذلك امر الامير موسى بعض غلمانه ان يركب جملا ويطوف حول المدينة لعله يطلع على اثر باب او موضع قصر فى المكان الذى هم فيه نازلون فركب بعض غلمانه وسار حولها يومين بلياليهما يجد السير ولا يستريح فلما كان اليوم الثالث اشرف على اصحابه وهو مدهوش لما رأى من طولها وارتفاعها ثم قال ايها الامير ان اهون موضوع فيها هذا الموضوع الذى انتم نازلون فيه ثم ان الامير موسى اخذ طالب بن سهل والشيخ عبدالصمد وصعدوا على جبل مقابلها وهو مشرف عليها فلما طلعوا ذلك الجبل رأوا مدينة لم تر العيون اعظم منها قصورها عالية وقبابها زاهية ودورها عامرات وانهارها جاريات واشجارها مثمرات ورياضها يانعات وهى مدينة بابواب منيعة خالية خامدة لا حس فيها ولا انيس يصفر البوم فى جهاتها ويحوم الطير فى عرصاتها وينعق الغراب فى نواحيها وشوارعها ويبكى على من كان فيها فوقف الامير موسى يتندم على خلوها من السكان وخرابها من الاهل والقطان وقال سبحان من لا تغيره الدهور والازمان خالق الخلق بقدرته فبينما هو يسبح الله عز وجل اذا حانت منه التفاتة الى جهة واذا فيها سبعة الواح من الرخام لابيض وهى تلوح من البعد فدنا منها فاذا هى منقوشة مكتوبة فامر ان تقرأ كتابتها فتقدم الشيخ عبدالصمد وتأملها وقرأها فاذا فيها وعظ واعتبار وزجرلذوى الابصار مكتوب على اللوح الاول بالقلم اليونانى يا ابن آدم ما اغفلك عن امر هو امامك قد الهتك عنه سنينك واعوامك ما علمت ان كأس المنية لك يترع وعن قريب له تتجرع فانظر لنفسك قل دخول رمسك اين من ملك البلاد وذل العباد وقاد الجيوش نزل بهم والله هادم اللذات ومفرق الجماعات ومخرب المنازل العامرات فنقلهم من سعة القصور الى ضيق القبور وفى اسفل اللوح مكتوب هذه الابيات

اين الملوك بالارض قد عمروا قد فارقوا ما بنوا فيها وما عمروا
واصبحوا رهن قبر بالذى عملوا عادوا رميما به من بعد ما دثروا
اين العساكر ماردت وما نفعت واين ما جمعوا فيها وما ادخروا
اتاهم امر رب العرش فى عجل لم ينجهم منه اموال ولا وزر

فصعق الامير موسى وجرت دموعه على خده وقال والله ان الزهد فى الدنيا غاية التوفيق ونهاية التحقيق ثم انه احضر دواة وقرطاسا وكتب ما على اللوح الاول ثم دنا من اللوح الثانى واذا عليه مكتوب يا ابن ادم ماغرك بقديم الازل وما الهاك عن حلول الاجل الم تعلم ان الدنيا داربوار ما لاحد فيها قراروانت ناظر اليها ومكب عليها اين الملوك الذين عمرو العراق وملكوا الافاق اين من عمروا اصفهان وبلاد خراسان دعاهم داعى المنايا فاجابوه وناداهم داعى الفنا فلبوه وما نفعهم ما بنوا وشيدوا ولا ردعتهم ما جمعوا وعددوا وفى اسفل اللوح مكتوب هذه الابيات

اين الذين بنوا لذاك وشيدوا	غرفا به لم يحكها بنيان
جمعوا العساكر والجيوش مخافة	من ذل تقدير الاله فهانوا
اين الاكاسرة المناع حصونهم	تركوا البلاد كانهم ما كانوا

فبكى الامير موسى وقال والله لقد خلقنا لامر عظيم ثم كتب ما عليه ودنا من اللوح الثالث وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والسبعون بعد الخمسمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الامير موسى دنا من اللوح الثالث فوجد فيه مكتوب يا ابن آدم انت بحب الدنيا لاه عن امر ربك ساه كل يوم من عمرك ماض وانت بذلك قانع وراض فتقدم الزاد ليوم الميعاد واستعد لرد الجواب بين يدى رب العباد وفى اسفل اللوح مكتوب هذه الابيات

اين الذى عمر البلاد باسرها	سندا وهندا واعتدى وتجبرا
والزنج والحبش استقاد لامره	والنوب لما ان طغى وتكبرا
لا تنتظر خبرا بما فى قبره	هيهات ان تلقى لذلك مخبرا
فدهته من ريب المنون حوادث	لم ينجه من قصره عمرا

فبكى الامير موسى بكاء شديدا ثم دنا من اللوح الرابع فرأى مكتوبا عليه يا ابن آدم كم يمهلك مولاك وانت غائص فى بحر لهوك كل يوم خيره اليك حتى لا تموت يا ابن آدم لا

تغرنك ايامك ولياليك وساعاتك الملهية وغفلاتها واعلم ان الموت لك مراصد وعلى كتفك صاعد ما من يوم يمضي الا صبحك صباحا ومساك مساء فاحذر من هجمته واستعد له فكانى بك وقد سلبت طول حياتك وضيعت لذات اوقاتك فاسمع مقال وثق بمولى الموالى ليس للدنيا ثبوت انما الدنيا كبيت العنكبوت ورأى فى اسفل اللوح مكتوبا هذه الابيات

اين من اسس الذرى وبناها وتولى مشيدها ثم على
اين اهل الحصون من سكنوها كلهم عن تلك الصياصى تولى
اصبحوا فى القبور رهنا ليوم فيه كل السرائر تبلى
ليس يبقى سوى الاله تعالى وهو ما زال للكرامة اهلا

فبكى الامير موسى وكتب ذلك كله ونزل من فوق الجبل وقد صور الدنيا بين عينيه فلما وصل الى العسكر اقاموا يومهم يدبرون الحيلة فى دخول المدينة فقال الامير موسى لوزيره طالب بن سهل ولمن حوله من خواصه كيف تكون الحيله فى دخوله المدينة لننظر عجائبها ولعلنا نجد فيها ما تتقرب به الى امير المؤمنين فقال طالب بن سهل ادام الله نعمة الامير نعمل سلما ونصعد عليه لعلنا نصل الى الباب من داخل فقال الامير موسى هذا ما خطر ببالي وهو نعم الرأى ثم انه عاد بالنجارين والحدادين وامر ان يسووا الاخشاب ويعملوا سلما مصفحا بصفايح الحديد ففعلوا واحكموه وقعدوا فى عمله شهرا كاملا واجتمعت عليه الرجال فاقاموه والصقوة بالصور فجاء مساويا له كأنه قد عمل له قبل ذلك اليوم فتعجب الامير موسى منه وقال بارك الله فيكم كأنكم قسيتوه عليه من حسن صنعتكم ثم ان الامير موسى قال للناس من يطلع منكم على هذا السلم ويصعد فوق الصور ويمشى عليه ويتحايل فى نزوله الى اسفل المدينة لينظر كيف الامر ثم يخبرنا بكيفية فتح الباب فقال احدهم انا اصعد عليه ايها الامير وانزل إفتحه فقال له الامير موسى اصعد بارك الله فيك فصعد الرجل على السلم حتى صار فى اعلاه ثم انه قام على قدميه وشخص الى المدينة وصفق بكفيه وصاح بأعلا صوته وقال انت مليح ورمى بنفسه من داخل المدينة فانهرس لحمه على عظمه فقال الامير موسى هذا فعل العاقل فكيف يكون فعل المجنون ان كنا نفعل هكذا بجميع اصحابنا لم يبق منهم احد فنعجز عن

قضاء حاجتنا وحاجة امير المؤمنين ارحلوا فلا حاجة لنا بهذه المدينة فقال بعضهم لعل غير هذا اثبت منه فصعد ثان وثالث ورابع وخامس فمازالوا يصعدون من على ذلك السلم الى الصور واحدا بعد واحد الى ان راح منهم اثنا عشر رجلا وهم يفعلون كما فعل الأول فقال الشيخ عبدالصمد ما لهذا الامر غيرى وليس المجرب كغير المجرب فقال له الامير موسى لا تفعل ذلك ولا امكنك من الطلوع هذا الصور لانك إذا مت كنت سبباً لموتنا كلنا ولم يبقي منا احد لانك انت دليل القوم فقال له الشيخ عبدالصمد لعل ذلك يكون على يدى بمشيئة الله تعالى فاتفق القوم كلهم على صعوده ثم ان الشيخ عبدالصمد قام ونشط نفسه وقال بسم الله الرحمن الرحيم ثم انه صعد على السلم وهو يذكر الله تعالى ويقرأ آيات النجاة الى ان بلغ اعلى الصور ثم انه صفق بيديه وشخص ببصره فصاح عليه القوم جميعا وقالوا ايها الشيخ عبدالصمد لا تفعل ولا تلق نفسك وقالوا انا لله وانا اليه راجعون ان وقع الشيخ عبدالصمد هلكا باجمعنا ثم ان الشيخ عبدالصمد ضحك ضحكا زائدا وجلس ساعة طويلة يذكر الله تعالى ويتلوا ايات النجاة ثم انه قام على حيله ونادى باعلى صوته ايها الامير لا بأس عليكم فقد صرف الله عز وجل عنى كيد الشيطان ومكره ببركة بسم الله الرحمن الرحيم فقال له الامير ما رأيت ايها الشيخ قال لما حصلت على الصور ورأيت عشر جوار كانهن الاقمار وهن ينادين وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والسبعون بعد الخمسمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الشيخ عبدالصمد قال لما حصلت اعلى الصور رأيت عشر جوار كانهن الاقمار وهن يشرن بايديهن ان تعال الينا وتخيل لى ان تحتى بحرا من الماء فاردت ان القى نفسى كما فعل اصحابنا فرأيتهم موتى فتماسكت عنهم وتلوت شيئاً من كتاب الله تعالى فصرف الله عنى كيدهن وانصرفن عنى فلم ارم نفسى ورد الله عنى كيدهن وسحرهن ولا شك ان هذا سحر ومكيدة صنعها اهل تلك المدينة ليردوا عنها كل من اراد ان يشرف عليها ويروم الوصول اليها وهؤلاء اصحابنا مطروحون موتى ثم انه مشى على الصور الى ان وصل الى البرجين النحاس فرأى لهما بابين من الذهب ولا قفل عليهما وليس فيهما علامة للفتح ثم وقف الشيخ ما شاء الله وتأمل فرأى فى وسط

الباب صورة فارس من نحاس له كف ممدود كأنه يشير به وفيه خط مكتوب فقرأه الشيخ عبدالصمد فاذا فيه افرك المسمار الذى فى سرة الفارس اثنى عشرة فركة فان الباب ينفتح فتأمل الفارس فاذا في سرته مسمار محكم متقن مكين ففركه اثنى عشر فركه فانفتح الباب فى الحال وله صوت كالرعد فدخل منه الشيخ عبدالصمد وكان رجلا فاضلا عالما بجميع اللغات والاقلام فمشى الى ان دخل دهليزا طويلا نزل منه على رجات فوجد مكانا بدكك حسنة وعليها اقوام موتى وفوق رؤسهم التروس المكلفة والحسامات المرهفة والقسى الموترة والسهام المفوقة وخلف الباب عمود من حديد ومتاريس من خشب واقفال رقيقة والات محكمة فقال الشيخ عبدالصمد فى نفسه لعل المفاتيح عند هؤلاء القوم ثم نظر بعينه واذاهو بشيخ يظهر انه اكبرهم سنا وهو على دكة بين القوم الموتى فقال الشيخ عبدالصمد وما يدريك ان تكون مفاتيح هذه المدينة مع هذا الشيخ ولعله بواب المدينة وهؤلاء من تحت يده فدنا منه ورفع ثيابه واذا بالمفاتيح معلقة فى وسطه فلما رأها الشيخ عبدالصمد فرح فرحا شديدا وقد كاد عقله ان يطير من الفرحة ثم ان الشيخ عبدالصمد اخذ المفاتيح ودنا من الباب وفتح الاقفال وجذب الباب والمتاريس والالات فانفتحت وانفتح الباب بصوت كالرعد لكبره وهو له وعظم الاته فعند ذلك كبر الشيخ وكبر القوم معه واستبشروا وفرحوا وفرح الامير موسى بسلامة الشيخ عبدالصمد وفتح باب المدينة وقد شكره القوم على ما فعله فبادر العسكر كلهم بالدخول من الباب فصاح عليهم الامير موسى وقال لهم يا قوم لا نأمن اذا دخلنا كلنا من امر يحدث ولكن يدخل النصف ويتآخر النصف ثم ان الامير موسى دخل من الباب ومعه نصف القوم وهم حاملون الات الحرب فنظر القوم الى اصحابهم وهم ميتون فدفنوهم ورأوا البوابين والخدم والحجاب والنواب راقدين فوق الفراش الحرير موتى كلهم ودخلوا الى سوق المدينة فنظروا سوقا عظيماً عالى الابنية لا يخرج بعضها عن بعض والدكاكين مفتحة والموازين معلقة والنحاس مصفوفا والخانات ملآنة من جميع البضائع ورأوا التجار موتى على دكاكينهم وقد يبست منهم الجلود ونخرت منهم العظام وصاروا عبرة لمن اعتبر ونظروا الى اربعة اسواق مستقلات دكاكينها مملوءة بالمال فتركوها ومضوا الى سوق الخز واذا فيه من الحرير والديباج ما هو منسوج بالذهب الاحمر والفضة البيضاء على اختلاف الالوان واصحابه موتى رقود على انطاع الاديم يكادون ان ينطقوا فتركوهم

ومضوا الى سوق الجواهر واللؤلؤ والياقوت فتركوه ومضوا الى سوق الصيارف فوجدوهم موتى وتحتهم انواع الحرير والابريسم ودكاكينهم مملوءة من الذهب والفضة فتركوهم ومضوا الى سوق العطارين فاذا دكاكينهم مملوءة بانواع العطريات ونوافح المسك والعنبر والعود والند والكافور وغير ذلك واهلها كلهم موتى ولم يكن عندهم شيء من المأكول فلما طلعوا من سوق العطارين وجدوا قريبا منه قصرا مزخرفا مبنيا متقنا فدخلوه فوجدوا اعلاما منشورة وسيوفا مجردة وقسيا موترة وتروسا معلقة بسلاسل من الذهب والفضة وخوذا مطلية بالذهب الاحمر فى دهاليز ذلك القصر دكك من العاج المصفح بالذهب الوهاج والابريسم وعليها رجال قد يبست منهم الجلود على العظام يحسبهم الجاهل نياما ولكنهم من عدم القوت ماتوا وذاقوا الحمام فعند ذلك وقف الامير موسى يسبح الله تعالى ويقدسه وينظر الى حسن ذلك القصر ومحكم بنائه وعجيب صنعه باحسن صفة واتقن هندسة واكثر نقشه باللازورد الاخضر مكتوب على دائرة هذه الابيات

انظر الى ما ترى ايها الرجل ... وكن على حذر من قبل ترتحل
وقدم الزاد من خير تفوز به ... فكل ساكن دار سوف يرتحل
وانظر الى معشر زانوا منازلهم ... فاصبحوا فى الثرى رهنا بما عملوا
بنوا فما نفع البنيان وادخروا ... لم ينجهم ما لهم لما انقضى الاجل
كم املوا غير مقدور لهم فمضوا ... الى القبور ولم ينفعهم الامل
واستنزلوا من اعالى عز رتبتهم ... لذل ضيق لحود ساء ما نزلوا
فجاءهم صارخ من بعدما دفنوا ... اين الاسرة والتيجان والحلل
اين الوجوه التى كانت محجبة ... من دونها تضرب بالاستار والمثل
فافصح القبر عنهم حسب سائلهم ... اما الخد ودفعنها الورد منتقل
قد طال ما اكلوا يوما وما شربوا ... فاصبحوا بعد طيب الاكل قد اكلوا

فبكى الأمير موسى حتى غشى عليه وامر بكتابة هذا الشعر ودخل القصر وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الخامسة والسبعون بعدالخمسمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الأمير موسى دخل القصر فرأى حجرة كبيرة واربع مجالس عالية كبار متقابلة واسعة منقوشة بالذهب والفضة مختلفة الألوان وفى وسطها فسقية كبيرة من المرمر وعليها خيمة من الديباج وفى تلك المجالس جهات وفى تلك الجهات فساق مزخرفة وحيضان مرخمة ومجار تجرى فى تحت تلك المجالس وتلك الأنهر الأربعة تجرى وتجتمع فى بحيرة عظيمة مرخمة باختلاف الألوان ثم قال الأمير موسى للشيخ عبدالصمد ادخل بنا هذا المجالس فدخلوا المجلس الأول فوجدوه مملوأ من الذهب والفضة البيضاء واللؤلؤ الجواهر واليواقيت المعادن النفسية ووجدوا فيها صناديق مملؤة من الديباج الأحمر والأصفر والأبيض ثم انهم انتقلوا إلى المجلس الثانى ففتحوا خزانة فيه فإذا هى مملؤة بالسلاح والات الحرب من الخوذ المذهبة والدروع الداودية والسيوف الهندية والرماح الخطية والدبابيس الخوارزمية وغيرها من اصناف الات الحرب الكفاح ثم انتقلوا إلى المجلس الثالث فوجدوا فيه خزائن عليها اقفال مغلقة وفوقها ستارات منقوشة بانواع الطراز منها خزانة فوجدوها مملوءة بالسلاح المزخرف بانواع الذهب والفضة والجواهر ثم انهم انتقلوا إلى المجلس الرابع فوجدوا فيه خزائن ففتحوا منها خزانة فوجدوها مملوءة بالات الطعام والشراب من اصناف الذهب والفضة وسكارج البلور والاقداح المرصفة باللولؤ الرطب وكاسات العقيق وغير ذلك فجعلوا يأخذون ما يصلح لهم من ذلك ويحمل كل واحد من العسكر ما متداخلا فيه العاج والابنوس وهو مصفح بالذهب الوهاج فى وسط ذلك القصر وعليه ستر مبوك من جرير منقوش بانواع الطراز وعليه اقفال من الفضة البيضاء تفتح بالحيلة بغير مفتاح فتقدم الشيخ عبدالصمد إلى تلك الاقفال ففتحها بمعرفته وشجاعته وبراعته فدخل القوم من دهليز مرخم فى جوانب ذلك الدهليز براقع عليها صور من اصناف الوحوش والطيور وكل ذلك من ذهب أحمر وفضة بيضاء واعينها من الدرر واليواقيت يتحير كل من رآها ثم وصلوا إلى قاعة مصنوعة فلما رأها الأمير موسى والشيخ عبد الصمد اندهشا من صنعتها ثم انهم عبروا فوجدوا قاعه مصنوعه من رخام مسقول منقوش بالجواهر يتوهم الناظر ان فى طريقها ماء جاريا لو مر عليه احد لزلق فامر الامير موسى الشيخ عبد

الصمد ان يطرح عليها شيئاً حتى يتمكنوا من اين يمشوا عليها ففعل ذلك وتحيل حتى عبروا فوجدوا فيها قبة عظيمة مبنية بحجارة ومطلية بالذهب الأحمر لم يشاهد القوم فى جميع ما رأوه احسن منها وفى وسط تلك القبة قبة عظيمة كبيرة من المرمر بذاذرها شبابيك منقوشة مرصعة بقضبان الزمرد لايقدر عليها احد من الملوك وفيها خيمة من الديباج منصوبة على شبكة من اللؤلؤ الرطب مجللة على فسقية وموضوع على الفسقية سرير مرصع بالدر والجوهر والياقوت وعلى السرير جارية كأنها الشمس الضاحية لم يرالرأون احسن منا وعليها ثوب من اللؤلؤ الرطب وعلى رأسها تاج من الذهب الأحمر وعصابة من الجوهر وفى عنقها عقد من الجوهر وفى وسطه جواهر مشرقة وعلى جبينها جوهرتان نورهما كنور الشمس وهى كانها ناظرة اليهم تتأملهم يمينا وشمالاً وادرك شهرزاد الصباح فسكت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والسبعون بعد الخمسمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الامير موسى لما رأى هذه الجارية تعجب غاية العجب من جمالها وتحير من حسنها وحمرة خديها وسواد شعرها يظن الناظر انها بالحياة ولم تكن ميتة فقالوا لها السلام عليك ايتها الجارية فقال له طالب بن سهل اصلح الله شانك اعلم ان هذه الجارية ميتة لا روح فيها فمن اين لها ان ترد السلام ثم ان طالب بن سهل قال له ايها الامير انها صورة مدبرة بالحكمة وقد قلعت عيناها بعد موتها وجعل تحتهما زيبق واعيدتا مكانهما فهما يلمعان كانما يحركهما الهدب يتخيل للناظر انها ترمش بعينيها وهى ميتة فقال الامير موسى سبحان الله الذى قهر العباد بالموت واما السرير الذى عليه الجارية فله درج وعلى الدرج عبدان احدهما ابيض والاخر اسود وبيد احدهما الة من البولاد وبيد الاخرسيف مجوهر يخطف الابصار وبين يدى العبدين لوح من ذهب وفيه كتابة تقرأ وهى بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله خالق الانسان وهو رب الارباب ومسبب الاسباب بسم الله الباقى السرمدى بسم الله مقدر القضاء والقدر يا ابن ادم ما جهلك بطول الامل ـ وما اسهاك عن حلول الاجل ـ اما علمت ان الموت لك قد دعا والى قبض روحك قد سعى ـ فكن على اهبة الرحيل ـ وتزود من الدنيا فستفارقها عن قليل ـ ابن ادم ابو البشر اين نوح وما نسل اين الملوك الاكاسرة

والقياصرة اين ملوك الهند والعراق اين ملوك الافاق اين العمالقة اين الجبابرة خلت منهم الديار وقد فارقوا الاهل والاوطان اين ملوك العجم والعرب ماتوا باجمعهم وصاروا رمما اين السادة والرتب قد ماتوا جميعاً اين قارون وهامان اين شداد بن عاد ـ اين كنعان وذو الاوتاد ـ قرضهم والله قارض الاعمار ـ واخلى منهم الديار ـ فهل قدموا الزاد ليوم الميعاد ـ واستعدوا لجواب رب العباد ـ ياهذا ان كنت لا تعرفنى فانا اعرفك باسمى ونسبى انا ترمز ابن بنت عمالقة الملوك من الذين عدلوا فى البلاد ملكت ما لم يملكه احد من الملوك واعدلت فى القضية ـ وانصفت بين الرعية ـ واعطيت ووهبت وقد عشت زمانا طويلا فى سرور وعيش رغيد ـ واعتقت الجوارى والعبيد ـ حتى نزل بى طارق المنايا وحلت بين يدى الرزايا وذلك انه قد تواترت علينا سبع سنين لم ينزل علينا ماء من السماء ولا نبت لنا عشب على وجه الارض فاكلنا ما كان عندنا من القوت ثم عطفنا على المواشى من الدواب فاكلناها ولم يبق شىء فحينئذ احضرت المال واكتلته بمكيال وبعثته مع الثقات من الرجال فطافوا به جميع الاقطار ـ ولم يتركوا مصرا من الامصار ـ فى طلب شىء من القوت فلم يجدوه ثم عادوا الينا بالمال بعد طول الغيبة فحينئذ اظهرنا اموالنا وذخائرنا واغلقنا ابواب الحصون التى بمدينتنا وسلمنا لحكم ربنا وفوضنا امرنا لمالكنا فمتنا جميعاً كما ترانا وتركنا ما عمرنا وما ادخرنا فهذا هو الخبر وما بعد العين الا الاثر وقد نظروا فى اسفل اللوح فرأو مكتوبا فيه هذه الابيات

بنى آدم لا يهزأ بك الامل ... عن كل ما ادخرت كفاك تنتقل
اراك ترغب فى الدنيا وزينتها ... وقد سعى قبلك الماضون والاول
قد حصلوا المال من حل ومن حرم ... فلم يرد القضا لما انتهى الاجل
قادوا العساكر افواجا وقد جمعوا ... فخلفوا المال والبنيان وارتحلوا
الى قبور وضيق فى الثرى رقدوا ... وقد اقاموا به رهنا بما عملوا
كانما الركب قد حطوا رحالهم ... فى جنح ليل بدار ما بها نزل
فقال صاحبها ياقوم ليس لكم ... فيها مقام فشدوا بعد ما نزلوا
فكلهم خائف اضحى بها وجلا ... ولا يطيب له حل ومرتحل
فقدم الزاد من خير يسر غدا ... وليس الا بتقوى ربك العمل

فبكى الامير موسى لما سمع هذا الكلام وقال والله ان التقوى هى رأس الامور والتحقيق ـ والركن الوثيق ـ وان الموت هو الحق المبين ـ والوعد اليقين ـ وفيها هذا المرجع والمآب ـ واعتبر بمن سلف قبلك فى التراب وبادر الى سبيل الميعاد اما ترى الشيب الى القبر دعاك ـ وبياض شعرك على نفسك قد نعاك فكن على يقظة الرحيل والحساب يا ابن آدم ما اقسى قلبك فما غرك بربك اين الامم السالفة العبرة لمن يعتبر اين ملوك الصين اهل البأس والتمكين اين عاد ابن شداد وما بنى وعمر اين النمروذ الذى طغى وتجبر اين فرعون الذى جحد وكفر كلهم قهرهم الموت على الاثر فما ابقى صغيرا ولا كبيرا ولا انثى ولاذكر اقرضهم قارض الاعمار ومكور الليل على النهار اعلم ايها الواصل الى هذا المكان ممن رأنا انه لا يغتر بشيء من الدنيا وحطامها فانها غدارة مكارة دار بوار وغرور فطوبى لعبد ذكر ذنبه وخشى ربه واحسن المعاملة وقدم الزاد ليوم الميعاد فمن وصل الى مدينتنا ودخلها وسهل الله عليه دخولها فيأخذ من المال ما يقدر عليه ولا يمس من فوق جسدى شيأ فانه ستر لعورتى وجهازى من الدنيا فليتق الله ولا يسلب منه شيئاً فيهلك نفسه وقد جعلت ذلك نصيحة منى اليه وامانة منى لديه والسلام فاسأل الله ان يكفيكم شر البلايا والسقام وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فما كانت الليلة السابعة والسبعون بعد الخمسمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الامير موسى لما سمع هذا الكلام بكى بكاء شديدا حتى غشى عليه فما افاق كتب جميع ما رأه واعتبر بما شاهده ثم قال لاصحابه ائتوا بالاعدال واملؤها من هذه الاموال وهذه الاوانى والتحف والجواهر فقال طالب بن سهل للامير موسى ايها الامير انترك هذه الجارية بما عليها وهو شيء لا نظير له ولا يوجد فى وقت مثله وهو اوفى ما اخذت من الاموال واحسن هدية تتقرب بها الى امير الأمراء فقال الامير موسى يا هذا الم تسمع ما اوصت به الجارية فى هذا اللوح لاسيما وقد جعلته امانه وما نحن من اهل الخيانة فقال الوزير طالب وهل لاجل هذه الكلمات نترك هذه الاموال وهذه الجواهر وهى ميتة فما تصنع بهذا وهو زينة الدينا وجمال الاحياء وثوب من القطن تستر به هذه الجارية ونحن احق به منها ثم دنا من السلم وصعد على الدرج حتى صار بين العمودين وحصل بين الشخصين واذا باحد الشخصين ضربه فى

ظهره وضربه الاخر بالسيف الذى فى يده فرمى رأسه ووقع ميتا فقال الامير موسى لا رحم الله لك مضجعا لقد كان فى هذه الاموال ما فيه كفايه والطمع لاشك يزرى بصاحبه ثم أمر بدخول العساكر فدخلوا وحملوا الجمال من تلك الأموال والمعادن ثم ان الامير موسى امرهم ان يغلقوا الباب كما كان ثم ساروا على الساحل حتى اشرفوا على جبل عال مشرف على البحر وفيه مغارات كثيرة واذا فيها قوم من السودان وعليهم نطوع وعلى رؤسهم برانس من نطوع لا يعرف كلامهم فلما رأوا العسكر اجفلوا منهم وولوا هاربين الى تلك المغارات ونساؤهم واولادهم على ابواب المغارات فقال الامير موسى ياشيخ عبد الصمد ما هؤلاء القوم فقال هؤلاء طلبة امير المؤمنين فنزلوا وضربت الخيام وحطت الاموال فما استقر بهم المكان حتى نزل ملك السودان من الجبل ودنا من العسكر وكان يعرف العربية فلما وصل الى الامير موسى سلم عليه فرد عليه السلام واكرمه فقال ملك السودان للامير موسى انتم من الانس ام من الجن فقال الامير موسى اما نحن فمن الانس واما انتم فلا شك انكم من الجن لانفرادكم فى هذا الجبل المنفرد عن الخلق ولعظم خلقتكم فقال ملك السودان بل نحن قوم ادميون من اولاد حام بن نوح عليه السلام واما هذا البحر فانه يعرف بالكركر فقال له الامير موسى ومن اين لكم علم ولم يبلغكم نبى اوحى اليه فى مثل هذه الارض فقال اعلم ايها الامير انه يظهر لنا من هذا البحر شخص له نور تضيء له الآفاق فينادى بصوت يسمعه البعيد والقريب اولاد حام استحوا ممن يرى ولا يرى وقولا لا اله الا الله محمد رسول الله وانا ابو العباس الخضر وكنا قبل ذلك نعبد بعضنا فدعانا الى عبادة رب العباد ثم قال للامير موسى وقد علمنا كلمات نقولها فقال الامير موسى وما تلك الكلمات قال هى لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحى ويميت وهو على كل شيء قدير وما تتقرب الى الله عز وجل الا بهذه الكلمات ولا نعرف غيرها وكل ليلة جمعة نرى نورا على وجه الارض ونسمع صوتا يقول سبوح قدوس رب الملائكة والروح ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن كل نعمة من الله فضل ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فقال له الامير موسى نحن اصحاب ملك الاسلام عبد الملك بن مروان وقد جئنا بسبب القماقم النحاس التى عندكم فى بحركم وفيها الشياطين محبوسة من عهد سليمان بن داود عليهما السلام وقد امر ان نأتيه بشيء منها يبصره ويتفرج عليه فقال له ملك السودان حبا وكرامة ثم اضافه

بلحوم السمك وامر الغواصين ان يخرجوا من البحر شيئاً من القماقم السليمانية فاخرجوا لهم اثنى عشر قمقما ففرح الامير موسى بها والشيخ عبد الصمد والعساكر لاجل قضاء حاجة امير المؤمنين ثم ان الامير موسى وهب لملك السودان مواهب كثيره واعطاه عطايا جزيله وكذلك ملك السودان اهدى إلى الامير موسى هدية من عجائب البحر على صفة الآدميين وقال له ان ضيافتكم فى هذه الثلاثة ايام من لحوم هذا السمك فقال الامير موسى لا بد ان نحمل معنا شيئاً حتى ينظر اليه امير المؤمنين فيطمئن خاطره بذلك اكثر من القماقم السليمانية ثم ودعوه وساروا حتى وصلوا الى بلاد الشام فدخلوا على امير المؤمنين عبد الملك بن مروان فحدثه الامير موسى بجميع ما رآه وما وقع له من الاشعار والاخبار والمواعظ واخبره بخبر طالب بن سهل فقال له امير المؤمنين ليتنى كنت معكم حتى اعاين ما عاينتم ثم اخذ القماقم وجعل يفتح قمقما بعد قمقم والشياطين يخرجون منها ويقولون التوبة يا نبى الله وما نعود لمثل ذلك ابدا فتعجب عبد الملك ابن مروان من ذلك واما بنات البحر التى اضافهم بنوعها ملك السودان فانهم صنعوا لها حياضا من خشب وملؤها ماء ووضعوها فيها فماتت من شدة الحر ثم ان امير المؤمنين احضر الاموال وقسمها بين المسلمين وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الثامنة والسبعون بعد الخمسمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان امير المؤمنين عبد الملك بن مروان لما رأى القماقم وما فيها تعجب من ذلك غاية العجب وامر باحضار الاموال وقسمها بين المسلمين وقال لم يعط الله احدا مثل ما اعطى سليمان بن داود ثم ان الامير موسى سأل امير المؤمنين ان يستخلف ولده مكانه على بلاده وهو يتوجه الى القدس الشريف يعبد الله فيه فولى امير المؤمنين ولده وتوجه هو الى القدس الشريف ومات فيه وهذا اخر ما انتهى الينا من حديث مدينة النحاس على التمام والله اعلم وقد بلغنا ايضا انه كان فى قديم الزمان وسالف العصر والاوان ملك من ملوك الزمان كان كثير الجند والاعوان وصاحب جاه واموال ولكنه بلغ من العمر مدة ولم يرزق ولدا ذكرا فلما قلق لذلك توسل بالنبى صلى الله عليه وسلم الى الله تعالى وسأله بجاه الانبياء والاولياء والشهداء من عباده المقربين ان يرزقه بولد ذكر حتى يرث الملك من بعده ويكون قرة عينه ثم قام من وقته وساعته ودخل

الى قاعة جلوسه وارسل الى بنت عمه فواصلها فصارت حاملة بإذن الله تعالى فمكثت مدة حتى آن اوان وضعها فولدت ولدا ذكرا وجهه مثل دورة القمر ليلة اربعة عشر فتربى ذلك الغلام الى ان بلغ من العمر خمس سنين وكان عند ذلك الملك رجل حكيم من الحكماء الماهرين يسمى السندباد فسلم اليه ذلك الغلام فلما بلغ من العمر عشر سنين علمه الحكمة والادب الى ان صار ذلك الولد ليس احد فى هذا الزمان يناظره فى العلم والادب والفهم فلما بلغ والده ذلك احضر له جماعة من فرسان العرب يعلمونه الفروسية فمهر فيها وصال وجال فى حومة الميدان الى ان فاق اهل زمانه وسائر اقرانه ففى بعض الايام نظر ذلك الحكيم فى النجوم فرأى طالع الغلام وانه متى عاش ايام وتكلم بكلمة واحدة صار فيها هلاكه فذهب الحكيم الى الملك والده واعلمه بالخبر فقال له والده فما يكون الرأى والتدبير يا حكيم فقال له الحكيم ايها الملك الرأى والتدبير عندى ان تجعله فى سكان نزهة وسماع آلات مطربة يكون فيه الى ان تمضى السبعة ايام فارسل الملك جارية من خواصه وكانت احسن الجوارى فسلم اليها الولد وقال لها خذى سيدك فى القصر واجعليه عندك ولاينزل من القصر الا بعد سبعه ايام تمضى فاخذته الجاريه من يده واجلسته فى القصر وكان فى القصر اربعون حجرة فى كل حجرة عشر جوار كل جارية معها الة من آلات الطرب اذا ضربت واحدة منهن يرقص من نغمتها ذلك القصر وحواليه نهر جار مزروع شاطئه بجميع الفواكه والمشموم وكان ذلك الولد فيه من الحسن والجمال ما لا يوصف فبات ليلة واحدة فرأته الجارية محظية والده فطرق العشق قلبها فلم تتمالك حتى رمت نفسها عليه فقال لها الولدان شاء الله تعالى حين اخرج عند والدى اخبره بذلك فيقتلك فتوجهت الجارية إلى الملك ورمت نفسها عليه بالبكاء والنحيب فقال لها ما خبرك يا جارية كيف سيدك اما هو طيب فقالت يا مولاى ان سيدى راودنى عن نفسى واراد قتلى على ذلك فمنعته وهربت منه وما بقيت ارجع اليه ولا الى القصر ابدا فلما سمع والده ذلك الكلام حصل له غيظ عظيم فاحضر عنده الوزراء وامرهم بقتله فقالوا لبعضهم ان الملك صمم على قتل ولده وان قتله يندم عليه بعد قتله لا محالة فإنه عزيز عنده وما جاءه هذا الولد الا بعد اليأس ثم بعد ذلك يرجع عليكم باللوم فيقول لكم لم لم تدبروا الى تدبيرا يمنعنى عن قتله فاتفق رأيهم على ان يدبروا له تدبيرا يمنعه عن قتل ولده فتقدم الوزير الاول وقال انا اكفيكم شر الملك فى هذا

اليوم فقام ومضى الى ان دخل على الملك وتمثل بين يديه ثم استأذنه فى الكلام فاذن له فقال له ايها الملك لو قدر انه كان لك الف ولد لم تطع نفسك فى ان تقتل واحدا منهم بقول جارية اما ان تكون صادقة أو كاذبة ولعل هذه مكيدة منها لولدك فقال وهل بلغك شيء من كيدهن ايها الوزير قال نعم بلغنى ايها الملك انه كان ملك من ملوك الزمان مغرما بحب النساء فبينما هو مختل فى قصره يوما من الايام اذ وقعت عينه على جارية وهى فى سطح بيتها وكانت ذات حسن وجمال فلما رأها لم يتمالك نفسه من المحبة فسأل عن ذلك البيت فقالوا له هذا بيت وزيرك فلان فقام من ساعته وارسل الى الوزير فلما حضر بين يديه امره ان يسافر الى بعض جهات المملكة ليطلع عليها ثم يعود فسافر الوزير كما امره الملك فبعد ان سافر تحايل الملك حتى دخل بيت الوزير فلما رأته الجارية عرفته فوثبت قائمة على قدميها وقبلت يديه ورجليه ورحبت به ووقفت بعيدا عنه مشتغلة بخدمته ثم قالت له يا مولانا ما سبب القدوم المبارك ومثلى لا يكون له ذلك فقال سببه ان عشقك والشوق اليك اقدمانى على ذلك فقبلت الارض بين يديه ثانيا وقالت له يا مولانا لا اصلح ان اكون جارية لبعض خدام الملك فمن اين يكون لى عندى هذا الحظ العظيم حتى صرت عندك بهذه المنزلة فمد الملك يده اليها فقالت هذا الامر لا يفوتنا ولكن اصبر ايها الملك واقم عندك هذا اليوم كله حتى اصنع لك شيئاً تأكله قال فجلس الملك على مرتبة وزيره ثم نهضت قائمة واتته بكتاب فيه المواعظ والاداب ليقرأ فيه حتى تجهز له الطعام فاخذه الملك وجعل يقرأ فيه فوجد فيه من المواعظ والحكم مازجره عن الزنا وكسر همته عن ارتكاب المعاصى فلما جهزت له الطعام قدمته بين يديه وكانت عدة الصحون تسعين صحنا فجعل الملك يأكل من كل صحن ملعقة والطعام انواع مختلفة وطعمها واحد فتعجب الملك من ذلك غاية العجب ثم قال ايتها الجارية ارى هذه الانواع كثيرة وطعمها واحد فقالت له الجارية اسعد الله الملك هذا مثل ضربته لك لتعتبر به فقال لها وما سببه فقالت اصلح الله حال مولانا الملك ان فى قصرك تسعين محظية مختلفات الالوان وطعمهن واحد فلما سمع ذلك الكلام خجل منها وقام من وقته وخرج من المنزل ولم يتعرض لها بسوء ومن خجلته نسى خاتمه عندها تحت الوسادة ثم توجه الى قصره فلما جلس الملك فى قصره حضر الوزير ذلك الوقت وتقدم الى الملك وقبل الارض بين يديه واعلمه بحال ما ارسله اليه ثم سار الوزير الى ان دخل بيته وقعد على مرتبته ومد

يده تحت الوسادة فلقى خاتم الملك تحتها فرفعه الوزير وحمله على قلبه وانعزل عن الجارية مدة سنة كاملة ولم يكلمها وهى لا تعلم ما سبب غيظه وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليله التاسعة والسبعون بعد الخمسمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الوزير انعزل عن الجارية مدة سنة كاملة ولم يكلمها وهى لا تعلم ما سبب غيظه فلما طال بها المطال ولم تعلم ما سبب ذلك ارسلت الى ابيها واعلمته بما جرى لها معه من انعزاله عنها مدة سنة كاملة فقال لها ابوها انى اشكوه حين يكون بحضرة الملك فدخل يوما من الايام فوجده بحضرة الملك وبين يديه قاضى العسكر فادعى عليه فقال اصلح الله تعالى حال الملك انه كان لى روضة حسنة غرستها بيدى وانفقت عليها مالى حتى اثمرت وطاب جناها فاهديتها لوزيرك هذا فاكل منها ما طاب له ثم رفضها ولم يسقها فيبس زهرها وذهب رونقها وتغيرت حالتها فقال الوزير ايها الملك صدق هذا فى مقالته انى كنت احفظها وآكل منها فذهبت يوما اليها فرأيت اثر الاسد هناك فخفت على نفسى منه فعزلت نفسى عنها ففهم الملك ان الاثر الذى وجده الوزير هو خاتم الملك الذى نسيه فى البيت فقال الملك عند ذلك لوزيره ارجع ايها الوزير لروضتك وانت آمن مطمئن فان الاسد لم يقربها وقد بلغنى انه وصل اليها ولكن لم يتعرض لها بسوء وحرمة ابائى واجدادى فقال الوزير عند ذلك سمعا وطاعة ثم ان الوزير رجع الى بيته وارسل الى زوجته وصالحها ووثق بصيانتها وبلغنى آيها الملك ايضا ان تاجرا كان كثير الاسفار وكانت له زوجة جميلة يحبها ويغار عليها من كثرة المحبة فاشترى لها درة فكانت الدرة تعلم سيدها بما يجرى فى غيبته فلما كان فى بعض اسفاره تعلقت امرأة التاجر بغلام كان يدخل عليها فتكرمه وتواصله مدة غياب زوجها فلما قدم زوجها من سفره اعلمته الدرة بما جرى وقالت له يا سيدى غلام تركى كان يدخل على زوجتك فى غيابك فتكرمه غاية الاكرام فهم الرجل بقتل زوجته فلما سمعت زوجته ذلك قالت له يا رجل اتق الله وارجع الى عقلك هل يكون لطير عقل اوفهم وان اردت ان ابين لك ذلك لتعرف كذبها من صدقها فامض هذه الليلة ونم عند بعض اصدقائك فإذا اصبحت تعال لها واسألها حتى تعلم هى فيما تقول أو تكذب فقام الرجل وذهب

إلى بعض اصدقائه فبات عنده فلما كـان الليلة عمدت زوجة الرجل الى قطعة قطع نطع غطت به قفص الدرة وجعـلت ترش على ذلك النطع شيئاً من الماء وتروح عليـها بمروحة وتقرب اليها السراج على صورة لمعان البرق وصارت تدير الرحى الى ان اصبح الصباح فلما جاء زوجـها قالت له يا مولاى اسأل الدرة فـجاء زوجها الى الدرة يحدثهـا ويسألها عن الليلة الماضية فقالت له الدرة يا سيدى ومن كـان ينظر او يسمع فى ليلتها الماضية فقال لها لا شيء فـقالت يا سيدى من كثـرة المطر والريح والرعد والبـرق فقال لهـا كذبت ان الليلة التى مـضت ما كان فـيها شيء مـن ذلك فقالت له الدرة مـا اخبرتـك الا بما عاينت وشاهدت وسمعت فكذبها فى جميع ما قـالته عن زوجته واراد ان يصالح زوجته فقالت والله ما اصطلح حتى تذبح هذه الدرة التى كذبت على فقام الرجل الى الدرة وذبحها ثم اقام بعد ذلك مع زوجته مـدة ايام قلائل ثم رأى فى بعض الايام ذلك الغلام التركى وهو خارج مـن بيتـه فعلم صـدق قول الدرة وكـذب زوجتـه فندم على ذبح الدرة ودخل من وقته وساعـته على زوجته وذبحها واقـسم على نفسه انه لا يتزوج بعدها امـرأة مدة حياته وما اعلمتك ايها الملك الا لتعلم ان كـيدهن عظيم والعجلة ترث الندامة فرجع الملك عن قتل ولده فلما كان فى اليوم الثانى دخلت عليه الجارية وقبلت الارض بين يديه وقالت له ايها الملك كـيف اهملت حقى وقد سـمع الملوك عنك انك امرت بامر ثم نقـضه وزيرك وطاعـة الملك من نفاذ امره وكل احد يعلـم عدلك وانصـافك فأنصـفنى من ولدك فقـد بلغنى ان رجلا قصارا كـان يخرج كل يوم الى شاطيء دجلة يقصر القمـاش ويخرج معه ولده فينزل النهـر ليعوم فيه مـدة اقامته ولم ينهـه والده عن ذلك فبينما هو يـعوم يوما من الايام اذ تعبت سواعده فغرق فلما نـظر اليه ابوه وثب عليه وترامى عليه فلما امسكه ابوه تعلق به ذلك الولد فـغرق الاب والابـن جمـيعـا فكذلك انت ايهـا الملك اذا لـم تنه على ولدك وتاخذ حقى منه اخاف عليك ان يغرق كل منكما وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الموفية للثمانين بعد الخمسمائة

قـالت بلغنى ايهـا الملك السـعيـد ان الجـارية لما حكت للملك حكاية الـقصـار وولده وقالت اخاف ان تغـرق انت وولدك ايضا قالت وكذلك بلغنى من كيـد الرجال ان رجلا عشق امـرأة وكانت ذات حسن وجـمال وكان لهـا زوج يحبـها وتحبـه وكانت تلك المرأة

صالحة عفيفة ولم يجد الرجل العاشق اليها سبيلا فطال عليه الحال ففكر في الحيلة وكان لزوج المرأة غلام رباه في بيته وذلك الغلام امين عنده فجاء اليه ذلك العاشق ومازال يلاطفه بالهديه والاحسان إلى ان صار الغلام طوعا له فيما يطلبه منه فقال له يوما من الايام يا فلان اما تدخل بى منزلكم اذا خرجت سيدتك منه فقال له نعم فلما خرجت سيدته الى الحمام وخرج سيده الى الدكان جاء الغلام الى صاحبه واخذ بيده الى ان ادخله المنزل ثم عرض عليه جميع ما فى المنزل وكان العاشق مصمما على مكيدة يكيد بها المرأة فاخذ بياض بيضة معه فى اناء ودنا من فراش الرجل وسكبه على الفراش من غير ان ينظر اليه الغلام ثم خرج من المنزل ومضى الى حال سبيله ثم بعد ساعة دخل الرجل فاتى الفراش ليستريح عليه فوجد فيه بللا فأخذه بيده فلما رأه ظن فى عقله ان منى رجل فنظر الى الغلام بعين الغضب ثم قال له اين سيدتك فقال له ذهبت الى الحمام وتعود فى هذه الساعة فتحقق ظنه وغلب على عقله انه منى رجال فقال الغلام اخرج فى هذه الساعة واحضر سيدتك فلما احضرت بين يديه وثب قائما اليها وضربها ضربا عنيفا ثم كتفها وارد ان يذبحها فصاحت على الجيران فادركوها فقالت لهم هذا الرجل يريد ان يذبحنى ولا اعرف لى ذنبا فقام عليه الجيران وقالوا له ليس لك عليها سبيل اما ان تطلقها واما ان تمسكها بمعروف فانا نعرف عفافها وهى جارتنا مدة طويلة ولم نعلم عليها سوأ ابدا فقال لهم انى رأيت فى فراشى منيا كمنى الرجال وما ادرى ما سبب ذلك فقام رجل من الحاضرين وقال له ارنى ذلك فلما رأه الرجل قال احضر لى نارا ووعا فلما حضر له ذلك اخذ البياض وقلاه على النار وأكل منه الرجل واطعمه للحاضرين فتحقق الحاضرون انه بياض بيض فعلم الرجل انه ظالم لزوجته وانها بريئة من ذلك ثم دخل عليه الجيران وصالحوه هو واياها بعد ان طلقها وبطلت حيلة ذلك الرجل فيما دبره من المكيدة لتلك المرأة وهى غافلة فاعلم الملك ان هذا من كيد الرجال فامر الملك بقتل ولده فتقدم الوزير الثانى وقبل الارض بين يديه وقال له ايها الملك لا تعجل على قتل ولدك فان امه ما رزقته الا بعد يأس ونرجوا ان يكون ذلك ذخيرة فى ملكك وحافظا على مالك فتصبر ايها الملك عليه لعل له حجة يتكلم بها فان عجلت على قتله ندمت كما ندم الرجل التاجر قال له الملك وكيف كان ذلك وما حكايته يا وزير قال بلغنى ايها الملك انه كان تاجرا لطيف فى مأكله مشربه فسافر يوما من الايام الى بعض البلاد فبينما هو يمشى

فى اسواقها واذا بعجوز معها رغيفان فقال لها هل تبيعيهما فقالت له نعم فساومها بأرخص ثمن واشتراهما منها وذهب بهما الى منزله فاكلهما ذلك اليوم فلما اصبح الصباح عاد الى ذلك المكان فوجد العجوز ومعها الرغيفان فاشتراهما ايضا منها ولم يزل كذلك مدة عشرين يوما ثم غابت العجوز عنه فسأل عنها فلم يجد لها خبرا فبينما هو ذات يوم من الايام فى بعض شوارع المدينة اذ وجدها فوقف وسلم عليها وسألها عن سبب غيابها وانقطاع الرغيفين عنه فلما سمعت العجوز كلامه تكاسلت عن رد الجواب فاقسم عليها ان تخبره عن امرها فقالت له يا سيدى اسمع منى الجواب وما ذلك الا انى كنت اخدم انسانا وكانت به اكلة فى صلبه وكان عنده طبيب ياخذ الدقيق ويلته بسمن ويجعله على الموضع الذى فيه الوجع طول ليلته الى ان يصبح الصبح فآخذ ذلك الدقيق واجعله رغيفين وابيعهما لك ولغيرك وقد مات ذلك الرجل فانقطع عنى الرغيفان فلما سمع التاجر ذلك الكلام قال انا لله وانا اليه راجعون ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الحادية والثمانون بعد الخمسمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان العجوز لما اخبرت التاجر بسبب الرغيفين قال لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ولم يزل التاجر يتقايأ الى ان مرض وندم ولم يفده الندم وبلغنى ايها الملك من كيد النساء ان رجلا كان يقف بالسيف على رأس ملك من الملوك وكان لذلك الرجل جارية يهواها فبعث اليها يوما من الايام غلامه برسالة على العادة بينهما فجلس الغلام عندها ولاعبها فمالت اليه وضمته الى صدرها فطلب منها المجامعة فطاوعته فبينما هما كذلك واذا بسيد الغلام قد طرق الباب فاخذت الغلام ورمته فى طابق عندها ثم فتحت الباب فدخل وسيفه بيده فجلس على فراش المرأة فاقبلت عليه تمازحه وتلاعبه وتضمه الى صدرها وتقبله فقام الرجل اليها وجامعها واذا بزوجها يدق عليها الباب فقال لها من هذا قالت زوجى فقال لها كيف افعل وكيف الحيلة فى ذلك فقالت له قم سل سيفك وقف على الدهليز ثم سبنى واشتمنى فاذا دخل عليك زوجى فاذهب وامض الى حال سبيلك ففعل ذلك فلما دخل زوجها رأى خازندار الملك واقفا وسيفه مسلول بيده وهو يشتم زوجته ويهددها فلما رآه الخازندار استحى واغمد

سيفه وخرج من البيت فقال الرجل لزوجته ما سبب ذلك فقالت له يا رجل ما ابرك هذه الساعة التى اتيت فيها قد اعتقت نفسا مؤمنة من القتل وما ذاك الا اننى كنت فوق السطح اغزل واذا بغلام قد دخل على مطرودا ذاهب العقل وهو يلهث خوفا من القتل وهذا الرجل مجرد سيفه وهو يسرع وراده ويجد فى طلبه فوقع الغلام على وقبل يدى ورجلى وقال يا سيدتى اعتقينى ممن يريد قتلى ظلما فخبأته فى الطابق الذى عندنا فلما رأيت هذا الرجل قد دخل وسيف مسلول انكرته منه حين طلبه منى فصار يشتمنى ويهددنى كما رأيت والحمد لله الذى ساقك لى فانى كنت حائرة وليس عندى احد ينقذنى فقال لها زوجها نعم ما فعلت ياامرأة اجرك على الله فيجازيك بفعلك خيرا ثم ان زوجها ذهب الى الطابق ونادى الغلام وقال له اطلع لا بأس عليك فطلع من الطابق وهو خائف والرجل يقول له ارح نفسك لا بأس عليك وصار يتوجع لما اصابه والغلام يدعو لذلك الرجل ثم خرجا جميعا ولم يعلما بما دبرت هذه المرأة فاعلم ايها الملك ان هذا من جملة كيد النساء فاياك والركون الى قولهن فرجع الملك عن قتل ولده فلما كان فى اليوم الثالث دخلت الجارية على الملك وقبلت الارض بين يديه وقالت له ايها الملك خذلى حقى من ولدك ولا ترجع إلى وزرائك فان وزراء السوء لاخير فيهم ولاتكن كالملك الذركن إلى قول وزير السؤ من وزرائه فقال لها الملك وكيف كان ذلك قالت بلغنى ايها الملك السعيد ذو الرأى الرشيد ان ملكا من الملوك كان له ولد يحبه ويكرمه غاية الاكرام ويفضله على سائر اولاده فقال له يوما من الايام يا ابنى انى اريد ان اذهب الى الصيد والقنص فامر بتجهيزه وامر وزيرا من وزرائه ان يخرج معه فى خدمته ويقضى له جميع مهماته فى سفره فاخذ ذلك الوزير جميع ما يحتاج اليه الولد فى السفر وخرج معهما الخدم والنواب والغلمان وتوجهوا الى الصيد حتى وصلوا الى ارض مخضرة ذات عشب ومرعى ومياه والصيد فيها كثير فتقدم ابن الملك للوزير وعرفه بما اعجبه من النزه فاقاموا بتلك الأرض مدة ايام وابن الملك فى اطيب عيش وارغده ثم امرهم ابن الملك بالانصراف فاعترضته غزالة قد انفردت عن رفقتها فاشتاقت نفسه الى اقتناصها وطمع فيها فقال للوزير انى اريد ان اتبع هذه الغزاله فقال له الوزير افعل ما بدالك فتبعها الولد منفردا وحده وطلبها طول النهار إلى ان امسى الليل فصعدت الغزالة الى محل وعروا ظلم على الولد الليل واراد الرجوع فلم يعرف اين يذهب فبقى متحيراً فى نفسه ومازال

راكبا على ظهر فرسه الى ان اصبح الصباح ولم يلق فرجا لنفسه ثم صارو لم يزل سائر خائفا عطشانا وهو لا يدرى اين يذهب حتى انتصف عليه النهار وحميت عليه الرمضاء واذا هو قد اشرف على مدينة عالية البنيان مشيدة الاركان وهى قفراء خراب ليس فيها غير البوم والغراب فبينما هو واقف عند تلك المدينة يتعجب من رسومها اذلاحت منه نظرة فرأى جارية ذات حسن وجمال تحت جدار من جدرانها وهى تبكى فدنا منها وقال لها من تكونى فقال له انا بنت التميمة ابنة الطياخ ملك الارض الشهبا خرجت ذات يوم من الايام اقضى حاجة لى فاختطفنى عفريت من الجن وطار بى بين السماء والارض فنزل عليه شهاب من نار فاحترق فسقطت هاهنا ولى ثلاثة ايام بالجوع والعطش فلما نظرتك طمعت فى الحياة وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الثانية والثمانون بعد الخمسمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان ابن الملك لما خاطبته بنت الملك الطياخ وقالت له لما نظرتك طمعت فى الحياة ادركت ابن الملك عليها الرأفة فاركبها وراه على جواده وقال لها طيبى نفسا وقرى عينا ان ردنى الله سبحانها وتعالى الى قومى واهلى ارسلتك الى اهلك ثم سار ابن الملك يلتمس الفرج فقالت له الجارية التى وراه يا ابن الملك انزلنى حتى اقضى حاجتى تحت هذه الحائط فوقف وانزلها ثم انتظرها فتوارت فى الحائط ثم خرجت باشنع منظر فلما رآها ابن الملك اقشعر بدنه وطار عقله وخاف منها وتغيرت حالته ثم وثبت تلك الجارية فركبت وراء ظهره على الجواد وهى فى صورة اقبح ما يكون من الصور ثم قالت له يا ابن الملك ما لى اراك قد تغير وجهك فقال لها انى تذكرت امرا اهمنى فقالت له استعن عليه بجيوش ابيك وابطاله فقال لها ان الذى اهمنى لا تزعجه الجيوش ولا يهتم بالابطال فقالت له استعن عليه بما ابيك وذخائره فقال لها ان الذى اهمنى لا يقنع بالمال ولا بالذخائر فقالت له انكم تزعمون ان لكم فى السماء الها يرى ولا يرى وانه قادر على كل شيء فقال لها نعم ما لنا الا هو قالت له فادعوه لعله ان يخلصك منى فرفع ابن الملك طرفه الى السماء واخلص بقلبة بالدعاء وقال اللهم انى استعنت بك على هذا الامر الذى اهمنى واشار بيده اليها فسقطت على الارض محرقة مثل الفحمة فحمد الله وشكره مازال يجد فى المسير والله سبحانه وتعالى يهون عليه السير ويدله فى

الطرق الى ان اشرف على بلاده ووصل الى ملك ابيه بعد ان كان قد يئس من الحياة وكان ذلك كله برأى الوزير الذى سافر معه لاجل ان يهلكه فى سفرته فنصره الله تعالى وانما اخبرتك ايها الملك لتعلم ان وزراء السوء لا يصفون النية ولا يحسنون الطوية مع ملوكهم فكن من ذلك الامر على حذر فاقبل عليها الملك وسمع كلامها وامر بقتل ولده فدخل الوزير الثالث وقال انا اكفيكم شر الملك فى هذا النهار ثم ان ذلك الوزير دخل على الملك وقبل الارض بين يديه وقال له ايها الملك انى ناصحك وشفيق عليك وعلى دولتك ومشير عليك برأى سديد وهو ان لا تعجل على قتل ولدك وقرة عينك وثمرة فؤادك فربما كان ذنبه امرا هينا قد عظمته عندك هذه الجارية فقد بلغنى ان اهل قريتين افنوا بعضهم على قطرة عسل فقال له الملك وكيف ذلك فقال اعلم ايها الملك انه بلغنى ان رجلا صيادا كان يصيد الوحوش فى البرية فدخل يوما من ذات الايام كهفا من كهوف الجبل فوجد فيه حفرة ممتلأة عسل نحل فجمع شيئاً من ذلك العسل فى قربة كانت معه ثم حملها على كتفه واتى بها المدينة ومعه كلب صيد وكان ذلك الكلب عزيزا عليه فوقف الرجل الصياد على دكان زيات وعرض عليه العسل فاشتراه صاحب الدكان ثم فتح القربة واخرج منها العسل لينظره فقطرت من القربة قطرة عسل فسقط عليها طير وكان الزيات له قط فوثب على الطير فرآه كلب الصياد فوثبت الى القط قتله فوثب الزيات على كلب الصياد قتله فوثب الصياد على الزيات قتله وكان للزيات قرية وللصياد قرية فسمعوا بذلك فاخذوا اسلحتهم وعددهم وقاموا على بعضهم غضبا والتقى الصفان فلم يزل السيف دائرا بينهم الى ان مات منهم خلق كثير لا يعلم عددهم الا الله تعالى وقد بلغنى ايها الملك من جملة كيد النساء ان امرأة دفع لها زوجها درهما لتشترى به ارزا فاخذت منه الدرهم وذهبت به الى بياع الارز فاعطاها الارز وجعل يلاعبها ويغامزها ويقول لها ان الارز لا يطيب الا بالسكر فإن اردتيه فادخلى عندى قدر ساعة فدخلت المرأة عنده فى الدكان فقال بياع الارز لعبده زن لها بدرهم سكر واعطاه سيده رمزا فاخذا العبد المنديل من المرأة وفرغ منه الارز وجعل فى موضعه ترابا وجعل بدل السكر حجرا وعقد المنديل وتركه عندها فلما خرجت المرأة من عنده اخذت منديلها وانصرفت الى منزلها وهى تحسب ان الذى فى منديلها ارز وسكر فلما وصلت الى منزلها وضعت المنديل بين يدى زوجها فوجدت فيه ترابا وحجرا فلما احضرت القدر

قال لها زوجها هل نحن قلنا لك ان عندنا عمارة حتى جئت لنا بتراب وحجر فلما نظرت الى ذلك علمت ان عبد البياع نصب عليها وكانت قد اتت بالقدر في يدها فقالت لزوجها يا رجل من شغل البال الذى اصابني ذهبت لاجيء بالغربال فجئت بالقدر فقال لها زوجها واى شيء أشغل بالك قالت له يا رجل ان الدرهم الذى كان معى سقط منى فى السوق فاستحيت من الناس ان ادور عليه وما هان على ان الدرهم يروح منى فجمعت التراب من ذلك الموضع الذى وقع فيه الدرهم واردت ان اغربله وكنت رايحة اجيء بالغربال فجئت بالقدر ثم ذهبت واحضرت الغربال واعطته لزوجها وقالت له غربله فان عينك اصح من عينى فقعد الرجل يغربل التراب الى ان امتلأ وجه ودقنه من الغبار وهو لا يدرك مكرها وما وقع منها فهذا ايها الملك من جملة كيد النساء وانظر الى قول الله تعالى ان كيدهن عظيم وقوله سبحانه وتعالى ان كيد الشيطان كان ضعيفا فلما سمع الملك من كلام الوزير ما اقنعه وارضاه وزجره عن هواه وتأمل ما تلاه عليه من ايات الله سطعت انوار النصيحة فى سماء عقله وخلده ورجع عن تصميمه على قتل ولده فلما كان فى اليوم الرابع دخلت الجارية على الملك وقبلت الارض بين يديه وقالت له ايها الملك السعيد ذو الرأى الرشيد قد اظهرت لك حقى عيانا فظلمتنى واهملت مقاصصة غريمى لكونه ولدك ومهجة قلبك وسوف ينصرنى الله سبحانه وتعالى عليه كما نصر الله ابن الملك على وزير ابيه فقال لها الملك وكيف كان ذلك فقالت له الجارية بلغنى ايها الملك انه كان ملك من الملوك الماضية له ولد ولم يكن له من الاولاد غيره فلما بلغ ذلك الولد زوجه ابوه بابنة ملك آخر وكانت جارية ذات حسن وجمال وكان لها ابن عم قد خطبها من ابيها ولم تكن راضية بزواجها منه فلما علم ابن عمها انها تزوجت بغيره اخذته الغيرة فاتفق رأى ابن عم الجارية ان يرسل الهدايا الى وزير الملك الذى تزوج بها ابنه فارسل اليه هدايا عظيمة وانفذ اليه اموالا كثيرة وسأله ان يحتال على قتل ابن الملك بمكيدة تكون سببا لهلاكه او يتلطف به حتى يرجع عن زواج الجارية وبعث يقول له ايها الوزير لقد حصل عندى من الغيرة على ابنة عمى ما حملنى على هذا الامر فلما وصلت الهدايا الى الوزير قبلها وارسل اليه يقول طب نفسا وقر عينا فلك عندى كل ما تريده ثم ان الملك ابى الجارية ارسل الى ابن الملك بالحضور الى مكانه لاجل الدخول على ابنته فلما وصل الكتاب الى ابن الملك اذن له ابوه فى المسير وبعث معه

الوزير الذى جاءت له الهدايا وارسل معهما الف فارس وهدايا ومحامل وسرادقات وخياما فسار الوزير مع ابن الملك وفى ضميره ان يكيده بمكيدة واضمر له فى قلبه السوء فلما صاروا فى الصحراء تذكر الوزير ان فى هذا الجبل عينا جارية من الماء تعرف بالزهر وكل من شرب منها اذا كان رجلا يعود امرأة فلما تذكر الوزير أنزل العسكر بالقرب منها وركب الوزير جواده ثم قال لابن الملك هل لك ان تروح معى تتفرج على عين ماء فى هذا المكان فركب ابن الملك وسار هو ووزير ابيه وليس معهما احد وابن الملك لا يدرى ما قد جرى له فى الغيب ولم ير الا سائرين حتى وصلا الى تلك العين فنزل ابن الملك من فوق جواده وغسل يديه وشرب منها واذا به صار امرأة فلما عرف ذلك صرخ وبكى حتى غشى عليه فاقبل عليه الوزير يتوجع لما اصابه ويقول له ما الذى اصابك فأخبره الولد فلما سمع الوزير كلامه توجه له وبكى لما اصاب ابن الملك ثم قال له يعيذك الله تعالى من هذا الامر كيف قد حلت بك هذه المصيبة وعظمت بك تلك الرزية ونحن سائرون بفرحة لك حيث تدخل على ابنة الملك والان لا ادرى هل تتوجه اليها ام لا والرأى لك فما تأمرنى به فقال له الولد ارجع الى ابى واخبره بما اصابنى فانى لست ابرح من هاهنا حتى يذهب عنى هذا الامر أو اموت بحسرتى فكتب الولد كتابا لابيه يعلمه بما جرى له ثم اخذ الوزير الكتاب وانصرف راجعا الى مدينة الملك وترك العساكر والولد وما معه من الجيوش عنده وهو فرحان فى الباطن بما فعل بابن الملك فلما دخل الوزير على الملك اعلمه بقضية ولده واعطاه كتابه فحزن الملك على ولده حزنا شديدا ثم ارسل الى الحكماء اصحاب الاسرار ان يكشفوا له عن هذا الامر الذى حصل لولده فما احد رد عليه جوابا ثم ان الوزير ارسل الى ابن عم الجارية يبشره بما حصل لابن الملك فلما وصل اليه الكتاب فرح فرحا شديدا وطمع فى زواج ابنه عمه وارسل الى الوزير هدايا عظيمة واموالا كثيرة وشكره شكرا زائدا وأما ابن الملك فإنه اقام على تلك العين مدة ثلاثة ايام بلياليها لا يأكل ولا يشرب واعتمد فيما اصابه على الله سبحانه وتعالى الذى ما خاب من توكل عليه فلما كان فى الليلة الرابعة واذا هو بفارس على رأسه تاج وهو فى صفة اولاد الملوك فقال له الفارس من اتى بك ايها الغلام الى هاهنا فاعلمه الولد بما اصابه وانه كان مسافرا الى زوجته ليدخل عليها واعلمه ان الوزير اتى به الى عين الماء فشرب منها فحصل له ما حصل وكلما تحدث الغلام يغلبه البكاء فيبكى فلما سمع

الفارس كلامـه رثى لحاله وقال له ان وزير ابيك هو الذى رماك فى هذه المصيبة لان هذه العين لم يعلم بهـا احـد من البشر الا رجل واحـد ثم ان الفـارس امـره ان يركب معه فركب الولد وقال له الفـارس امضى معى الى منزلى فانت ضيـفى فى هذه الليلة فقال له الولد اعلمنى من انت حتى اسير مـعك فقال له انا ابن ملك الجان وانت ابن ملك الانس فطب نفسا وقر عـينا بما يزيل همك وغمك فهو على هين فسار مـعه الولد من اول النهار واهمل جـيوشه وعـساكـره ومازال سـائرا معـه الى نصف الليل فقـال له ابن ملك الجن اتدرى كم قطعنا فى هـذا الوقت فقـال له الغـلام لا ادرى فـقال له ابـن ملك الجن قطعنا مسيرة سنة للمجد المسافر فتعجب ابن الملك من ذلك وقال له كيف العمل والرجوع الى اهلى فقال له ليس هذا من شأنك إنما هو من شأنـى فحيث تبرء من علتك تعود الى اهلك فى اسرع من طرفة العين وذلك على هين فلما سمع الغلام من الجنى هذا الكلام طار من شدة الفرح وظن انه اضغاث احلام وقال سبحان القدير على ان يرد الشقى سعيدا وفرح بذلك فرحا شديدا وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الثالثة والثمانون بعد الخمسمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيـد ان ابن ملك الجن قال لابن ملك الانس حيث تبرء من علتك تعود الى اهلك اسـرع من طرفة عين ففرح بذلك ولـم يزالا سـائرين الى ان اصبح الصباح واذا هم بارض مخضرة نضرة ذات اشجـار باسقة واطيارها ناطقة ورياض فايقة وقصورا رايقـة فنزل ابن ملك الجن عن جواده وامر الولد بالنزول واخـذ بيده ودخلا فى بعض تلك القصور فنظر ابن الملك الى ملك عال وسلطانه له شان فاقام عنده ذلك اليوم فى اكل وشـرب الى ان اقبل الـليل فقـام ابن ملك الجن وركـب جـواده وركب ابن ملك الانس معـه وخرجـا تحت الليل مجـدين السيـر الى ان اصبح الـصباح واذا همـا بارض سوداء غـير عامرة ذات صـخور واحجـار سود كانهـا قطعة من جهنم فـقال له ابن ملك الانس ما يقال لهذه الارض فقال له يقـال لها الارض الدهماء لملك من ملوك الجن اسمه ذو الجناحين لم يقـدر احد من الملوك ان يسطـو عليه ولا يدخلهـا احد الا باذنه فـقف فى مكانك حتى نستـأذنه فوقف الشاب ثم غاب عنه ساعة وعاد اليـه وسار ولم يزالا سائرين حتى انتـهيـا الى عين ماء تسـيل من جبال سـود فقـال الشاب انزل فنزل الشـاب من فوق

جواده ثم قال له اشرب من هذه العين فـشرب منها الشاب فعاد لوقته وساعـته ذكرا كما كان اولا بقدرة الله تعالى ففرح الشاب فرحا شديدا ما عليه من مزيد ثم قال له يا اخى ما يقال لهذه العين فقال له يقال لها عين النساء لا تشـرب منها امرأة الا عادت رجلا فاحمد الله يا اخى واشكره على العـافيـة واركب جوادك فسـجد ابن الملك شكرا لله تـعالى ثم ركب وسارا يجـدان السير بقيـة يومهما حـتى رجعا الى ارض ذلك الجنى فبـات الشاب عنده فى ارغد عيش ولم يزالا فى اكل وشرب الى ان جاء الليل ثم قال له ابن ملك الجن اتريد ان ترجع الى اهلك فى هذه الليلة فـقال نعم اريد ذلك لانى محـتاج اليه فـدعا ابن ملك الجان بعـبد له من عبيـد ابيه اسمه راجـز وقال له خذ هذا الفـتى من عندى واحمله على عاتـقك ولا تخل الصبـاح يصبح عليـه الا وهو عند صهره وزوجـته فـقال له العـبد سمعا وطاعـة وحبا وكرامة ثم غاب العـبد عنه ساعة واقبل وهو فى صورة عـفريت فلما رأه الفتى طار عقله واندهش فـقال له ابن ملك الجن لا بأس عليك اركب جوادك واعلى به فوق عـاتقه فـقال الشاب بل اركـب انا واترك الجواد عندك ثم نزل الشـاب عن الجواد وركب على عـاتقه فـقال له ابن ملك الجن اغـمض عـينيك فاغـمض عينيـه وطار به بين السماء والارض ولم يزل طائرا به ولم يدر الشـاب بنفسه فما جـاء ثلث الليل الاخير الا وهو على قـصر صهـره فلما نزل عـلى قصره قـال له العفـريت انزل فنزل وقال لـه افتح عينيك فـهذا قصـر صهرك وابنتـه ثم تركه ومضى فلـما اضاء النهـار وسكن الشاب من روعه نـزل من فوق القـصر فلمـا نظره صهـره قام اليـه وتلقاه وتعـجب حيـث رأه فوق القصر ثم قـال له انا رأينا الناس تأتى من الابواب وانت تنزل من السماء فقـال له قد كان الذى اراده الله سـبحانه وتعـالى ثم تعجب المـلك من ذلك وفرح بسـلامته فلمـا طلعت الشمس امر صـهره وزيرة ان يعمل الولائم العظيمـة فعمل الولائم واستـقام العرس ثم دخل على زوجته واقام مـدة شهرين ثم ارتحل بها الى مدينة ابيه وامـا ابن عم الجارية فانه هلك من الغيـرة والحسد لما دخل بهـا ابن الملك ونصره الله سـبحانه وتعـالى عليه وعلى وزير ابيـه ووصل الى ابيـه بزوجـتـه على اتم حـال واكمل سـرور فـتلقـاه ابوه بعـسكره ووزرائه وانا ارجـو الله تعالى ان ينصـرك على وزرائك ايهـا الملك وانا اسألك ان تاخـذ حـقى من ولدك فلمـا سمـع الملك ذلك منهـا امر بقـتل ولده وادرك شـهـر زاد الصبـاح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الرابعة والثمانون بعد الخمسمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الجارية لما حكت للملك وقالت اسألك ان تأخذ حقى من ولدك امر بقتله وكان ذلك فى اليوم الرابع دخل على الملك الوزير الرابع وقبل الارض بين يديه وقال ثبت الله الملك وايده ايها الملك تأن فى هذا الامر الذى عزمت عليه لان العاقل لا يعمل عملا حتى ينظر فى عاقبته وصاحب المثل يقول من لم يتدبر العواقب ما الدهر له بصاحب ومن عمل عملا بغير تثبت اصابه ما اصاب الحمامى فى زوجته فقال له الملك وما اصاب الحمامى فى زوجته فقال له الوزير بلغنى أيها الملك ان حماميا كان يدخل عنده اكابر الناس ورؤساؤهم فدخل عنده يوما من الايام شاب حسن الصورة من اولاد الوزراء وذلك الشاب سمين ضخم الجسم فصار الحمامى واقفا فى خدمته فلما تجرد الشاب من ثيابه لم ير ذكره الحمامى لانه غاب بين فخديه من شدة السمن ولم يظهر منه الا مثل البندقة فصار الحمامى يتاسف ويضرب يده على الاخرى فلما رأه الشاب قال له مالك يا حمامى تتأسف فقال له يا سيدى تأسفى عليك لانك فى حصر شديد مع انك فى هذه النعمة والحسن والجمال العظيم وليس معك شيء تتمتع به مثل الرجال فقال له الشاب صدقت فيما قلت ولكن ذكرتنى بشيء كنت غافلا عنه فقال له الحمامى وما هو فقال له تأخذ منى هذه الدينار وتحضر لى امرأة مليحة حتى اجرب نفسى فيها فاخذ الحمامى الدينار وسار الى زوجته وقال لها يا امرأتى قد دخل عندى فى الحمام شاب من اولاد الوزراء وهو كالبدر ليلة تمامه وليس له ذكر مثل الرجال وما معه الا شيء يسير مثل البندقة وقد تأسفت على شبابه وانه اعطانى هذا الدينار وسألنى ان آتيه بامرأة يجرب نفسه فيها وانت احق بالدينار وما علينا فى ذلك من بأس وانا استر عليك فاعقد معه ساعة تضحكين عليه وخذى هذا الدينار منه فاخذت زوجة الحمامى منه ذلك الدينار ثم انها قامت وتزينت ولبست افخر ملبوسها وكانت مليحة زمانها ثم انها خرجت مع زوجها الى ان ادخلها على ابن الوزير فى موضع خال فلما حضرت عنده ورأته وجدته شابا حسنا جميل المنظر كأنه البدر فى كماله فاندهشت من حسنه وجماله ثم ان الشاب لما نظر اليها زهل عقله ولبه من وقته ومكث هو وإياها وقفلا عليهما الباب

ثم ان الشاب اخذ تلك الصبية وضمها الى صدره وتعانقا فانتشر من ذلك الشاب ذكر مثل ذكر الحمار وركب على صدر زوجة الحمامى ساعة طويلة وهى تبكى وتصرخ تحته وتهرج وتمرج فصار الحمامى يناديها ويقول لها يا ام محمد يكفيكى اخرجى قد طال النهار على ابنك الرضيع فيقول لها الشاب اخرجى الى ابنك وتعالى فتقول له انى ان خرجت من عندك طلعت روحى ومن قبل ابنى فأنا اتركه يموت من البكاء ويتربى يتيما بلا ام ومازالت عند الشاب الى ان قضى حاجته منها عشر مرات وزوجها قدام الباب ينادى ويصيح ويبكى ويستغيث فلا يغاث ومازال كذلك وهو يقول قتلت نفسى ولم يجد الى زوجته وصولا واشتد بالحمامى البلاء والغيرة فطلع على اعلا الحمام وارتمى من فوقه فمات وبلغنى ايها الملك من كيد النساء حكاية اخرى قال له الملك وما بلغك فقال له بلغنى ايها الملك ان امرأة ذات حسن وجمال وبهاء وكمال ولم يكن لها نظير فنظرها بعض الشباب الغاوين فتعلق بها شاب واحبها محبة عظيمة وكانت تلك المرأة عفيفة عن الزنا وليس لها فيه رغبة فاتفق ان زوجها سافر يوما من الايام الى بعض البلاد فصار الشاب كل يوم يرسل اليها مرات عديدة ولم تجبه فقصد الشاب عجوزا كانت ساكنة بالقرب فسلم عليها وقعد يشكو اليها ما اصابه من المحبة وما هو عليه من عشق المرأة وأخبرها ان مراده وصالها فقالت له العجوز أنا اضمن لك ذلك ولا بأس عليك وأنا ابلغك ما تريد إن شاء الله تعالى فلما سمع الشاب كلامها دفع لها دينارا ثم انصرف إلى حال سبيله فلما اصبح الصباح دخلت العجوز على المرأة وجددت معها عهدا ومعرفة وصارت العجوز تترد اليها فى كل يوم وتتغدى وتتعشى عندها وتأخذ من عندها بعض الطعام الى اولادها وصارت تلك العجوز تلاعبها وتباسطها الى ان افسدت حالها وصارت لا تقدر على مفارقة العجوز ساعة واحدة فاتفق فى بعض الايام ان العجوز وهى خارجة من عند المرأة كانت تأخذا خبزا وتجعل فيه شحما وفلفلا وتطعمه الى كلبة مدة ايام فجعلت الكلبة تتبعها من اجل الشفقة والحسنى فاخذت لها يوما شيأ كثيرا من الفلفل والشحم واطعمته للكلبة فلما اكلته صارت عيناها تدمع من حرارة الفلفل ثم تبعتها الكلبة وهى تبكى فتعجبت منها الصبية غاية العجب ثم قالت للعجوز يا أمى ما

سبب بكاء هذه الكلبة فقالت لها يا بنتى هذه لها حكاية عجيبة فانها كانت صبية وكانت صاحبتى ورفيقتى وكانت صاحبة حسن وجمال وبهاء وكمال وكان قد تعلق بها شاب فى الحارة وزاد بها حبا وشغفا حتى لزم الوسادة وارسل اليها مرات عديدة لعلها ترق له وترحمه فابت فنصحتها وقلت لها يا بنتى اطيعيه فى جميع ما قاله وارحميه واشفقى عليه فما قبلت نصيحتى فلما قل صبر هذا الشاب شكى لبعض اصحابه فعملوا سحرا وقلبوا صورتها من صورة البشر الى صورة الكلاب فلما رأت ما حصل لها وما هى فيه من الاحوال وانقلاب الصورة ولم تجد أحدا من المخلوقين يشفق عليها غيرى جاءتنى الى منزلى وصارت تستعطف بى وتقبل يدى ورجلى وتبكى وتنتحب فعرفتها وقلت لها كثيرا ما قد نصحتك فلم يفدك نصحى شيئا وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الخامسة والثمانون بعد الخمسمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان العجوز صارت تحكى للمرأة خبر الكلبة وتعرفها عن حالها بمكر وخداع لاجل موافقتها لغرض تلك العجوز وجعلت تقول لها لما جاءتنى هذه الكلبة المسحورة وبكت قلت لها كم نصحتك ولكن يا بنتى لما رأيتها فى هذه الحالة شفقت عليها وابقيتها عندى فهى على هذه الحالة وكلما تتفكر حالتها الاولى تبكى على نفسها فلما سمعت الصبية كلام العجوز حصل لها رعب كبير وقال لها يا امى والله انك خوفتينى بهذه الحكاية فقالت لها العجوز من اى شيء تخافين فقالت لها ان شابا مليحا متعلقا بحبي وارسل لى مرات وانا امتنع منه وانا اليوم اخاف ان يحصل لى مثل ما حصل لهذه الكلبة فقال لها العجوز احذرى يا ابنتى ان تخالفى فانى اخاف عليك كثيرا واذا كنت لم تعرفى محله اخبرينى بصفته وانا اجيء به اليك ولا تخل قلب احد يتغير عليك فوصفته لها وجعلت تتغافل وتريها انها لم تعرفه وقالت لها لما اقوم وانا اسأل عنه فلما خرجت من عندها ذهبت الى الشاب وقالت له طب نفسا قد لعبت بعقل الصبية فانت فى غد وقت الظهر تحضر وتقف لى عند رأس الحارة حتى اجيء فآخذك واذهب بك الى منزلها وتبسط عندها بقية النهار وطول الليل ففرح الشاب فرحا شديدا واعطاها دينارين

وقال لهـا لما اقضى حاجـتى اعطى لك عشـرة دنانير فرجع الى الصـبية وقـالت لها عرفـته وكلمتة فى شأن ذلك فرأيتـه غضبانا عليك كثيرا وعازما على ضـررك فمازلت استعطف بخاطره على حضوره فى غـد عند اذان الظهر ففرحت الصبية فرحـا شديدا وقالت لها يا أمي ان طاب خاطـره وجاءنى وقت الظهر اعـطيكى عشرة دنانيـر فقـالت لها العـجوز لا تعرفـى حضوره الامنـى فلما اصـبح الصبـاح قالت لهـا العجوز احـضرى الغـد وتزينى والبسي اعز ما عـندك حتى اذهب اليه واجيء به اليك فقامت تزين نفسـها وتهيء الطعام وأما العـجوز فإنهـا خرجت فى انتظار الشـاب فلم يأت فدارت تفتش عليـه فلم تقف له على خبـر فقالت فى نفسها كـيف العمل ايروح هذا الاكل الذى فـعلته خسـارة والوعد الذى وعـدتنى به من الدراهم ولكن مـن اخل هذه الحـيلة تروح بلا شيء بل افـتش على غيره واجيء به اليهـا فبينما هى كذلك تدور فى الشارع اذ نظرت شابا حـسنا جميلا على وجهه اثر السفـر فتقدمت اليه وسلمت عليه وقالت له هل لك فى طعـام وشراب وصبية مهيأة فقال لها الرجل واين هذا قالت عندى فى بيـتى فسار معها الرجل والعجوز وهى لا تعلم انه زوج الصبـية حتى وصلـت الى البيت ودقت الباب فـفتحت لهـا الصبيـة الباب فدخلت وهى تجرى لتتـهيأ بالملبوس والبخور فدخلته العـجوز فى قاعة الجلوس وهى فى كيد عظيم فلمـا دخلت المرأة علية ووقع بصرها عليه والعجـوز قاعدة عنده بادرت المرأة بالحيلة والمكيدة ودبرت لهـا امرا فى الوقت والساعة ثم سحـبت الخف من رجلها وقالت لزوجها ما هـكذا العهد الذى بيني وبينك فكيف تخوننى وتفعل مـعى هذا الفعل فانى لما سمعت بحضورك جربتك بـهذه العجوز فاوقعتك فيما حذرتك فـيه وقد تحققت امرك وانك نقـضت العـهـد الى بينى وبينك وكنت قـبل الان اظن انك طاهر حـتى شـاهدتك بعيني مع هذه العـجوز وانك تتردد على النسـاء الفاجرات وصـارت تضربه بالخف على رأسه وهو يتبـرأ من ذلك ويحلف لها أنه ما خانها مـدة عمره ولا فعل فعلا مما اتهـمته به ولم يزل يحلف لهـا ايمانا بالله تـعالى وهى تضـربه وتبكى وتـصرخ وتقـول تعـالو الى يا مسلمين فـيمسك فمها بيده وهى تعـضه وصار متذللا لها ويقـبل يديها ورجلها وهى لا ترضى عليـه ولا تكشف يدها عن صـفعـه ثم أنها غـمـزت العجـوز ان تمسك يدها عنه فجاءتها العجوز وصارت تقبل يديها ورجليـها الى ان اجلستهما فلما جلسا جعل الزوج يقـبل يد العجـوز ويقول لهـا جزاك الله تعـالى كل خيـر حيث خلصـتيني مـنها فـصارت

العجوز تتعجب من حيلة المرأة وكيدها وهذا ايها الملك من جملة مكر النساء وحيلهن وكيدهن فلما سمعه الملك انتصح بحكايته رجع عن قتل ولده وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الساسة والثمانون بعد الخمسمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الوزير الرابع لما حكى للملك رجع عن قتل ولده فلما كان فى اليوم الخامس دخلت الجارية على الملك وبيدها قدح فيه سم واستغاثت ولطمت خديها ووجهها وقالت له ايها الملك اما ان تنصفني وتأخذ حقي من ولدك والا اشرب هذا القدح السم واموت ويبقى ذنبي متعلقا بك الى يوم القيامة فان وزراءك هؤلاء ينسبونني الى الكيد والمكر وليس فى الدنيا أمكر منهم اما سمعت ايها الملك حديث الصائغ مع الجارية فقال لها الملك ما جرى منهما يا جارية فقالت له بلغني ايها الملك السعيد أنه كان رجل صائغ مولعا بالنساء وشرب الخمر فدخل يوما من الايام عند صديق له فنظر الى حائط من حيطان بيته فرأى فيها صورة جارية منقوشة لم ير الراؤن احسن ولا اجمل ولا اظرف منها فاكثر الصائغ من النظر اليها وتعجب من حسن هذه الصورة ووقع حب هذه الصورة فى قلبه الى ان مرض واشرف على الهلاك فجاءة بعض اصدقائه يزوره فلما جلس عنده سأله عن حالة وما يشكو منه فقال له يا اخى ان مرضى كله وجميع ما اصابني من العشق وذلك انى عشقت صورة منقوشة فى حائط فلان اخى فلامه ذلك الصديق وقال له ان هذا من قلة عقلك فكيف تعشق صورة فى حائط لاتضر ولا تنفع ولا تسمع ولا تأخذ ولا تمنع فقال له ما صورها المصور الا على مثال امرأة جميلة فقال له صديقه لعل الذى صورها اخترعها من رأسه فقال له ها أنا فى حبها ميت على كل حال وان كان لهذه الصورة شبيه فى الدنيا فأنا ارجو الله تعالى ان يمدني بالحياة الى ان اراه فلما قام الحاضرون سألوا عن من صورها فوجدوه قد سافر الى بلد من البلدان فكتبوا له كتابا يشكون له فيه حال صاحبهم ويسألونه عن تلك الصورة وما سببها هل هو اخترعها من ذهنه او رأى لها شبيها فى الدنيا فارسل اليهم انى صورت هذه الصورة على شكل جارية مغنية لبعض الوزراء وهى بمدينة كشمير باقليم الهند فلما سمع الصائغ بالخبر وكان ببلاد الفرس تجهز وسار متوجها الى بلاد الهند فوصل الى

تلك المدينة من بعد جهد فلما دخل تلك المدينة واستقر فيها ذهب يوما من الايام عند رجل عطار من اهل تلك المدينة وكان ذلك العطار حاذقا فطنا لبيبا فسأله الصائغ عن ملكهم وسيرته فقال له العطار اما ملكنا فعادل حسن السيرة محسن لاهل دولته منصف لرعيته وما يكره فى الدنيا الا السحرة فاذا وقع فى يده ساحر أو ساحرة القاهما فى جب خارج المدينة ويتركهما بالجوع الى ان يموتا ثم سأله عن وزرائه فذكر له سيرة كل وزير وما هو عليه إلى ان انجز الكلام الى الجارية المغنية فقال له عند الوزير الفلانى فصبر بعد ذلك اياما حتى اخذ فى تدبير الحيلة فلما كان فى ليلة ذات مطر ورعد ورياح عاصفة ذهب الصائغ واخذ معه عدة من اللصوص وتوجه دار الوزير سيد الجارية وعلق فيه السلم بكلاليب ثم طلع الى اعلى القصر واخذ معه عدة من اللصوص وتوجه دار الوزير سيد الجارية وعلق فيه السلم بكلاليب ثم طلع إلى أعلى القصر فلما وصل إليه ونزل بساحته فرأى جميع الجوارى نائمات كل واحدة على سريرها ورأى سريرا من المرمر عليه جارية كأنها البدر اذا اشرق فى ليلة اربعة عشر فقصدها وقعد عن رأسها وكشف الستر عنها فاذا عليها ستر من ذهب وعند رأسها شمعة وعند رجليها شمعة كل شمعة منهما فى شمعدان من الذهب الوهاج وهاتان الشمعتان من العنبر وتحت الوسادة حق من الفضة فيه جميع حليها وهو مغطى عند رأسها فاخرج سكينا وضرب بها كفل الجارية فجرحها جرحا واضحا فانتبهت فزعة مرعوبة فلما رأته خافت من الصياح فسكتت وظنت انه يريد اخذ المال فقالت له خذا الحق والذى فيه وليس لك بقتلى وانا فى جيرتك وفى حسبك فتناول الرجل الحق بما فيه وانصرف وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة السابعة والثمانون بعد الخمسمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الصائغ حين طلع قصر الوزير ضرب الجارية على كفلها جرحها وأخذ الحق الذى فيه حليها وانصرف فلما اصبح الصباح لبس ثيابه واخذ معه الحق الذى فيه الحلي ودخل به على ملك تلك المدينة ثم قبل الارض بين يديه وقال له ايها الملك اننى رجل ناصح لك وانا من ارض خرسان وقد اتيت مهاجرا الى حضرتك لما شاع من حسن سيرتك وعدلك فى رعيتك فاردت ان اكون تحت لوائك وقد

وصلت الى هذه المدينة اخر النهار فوجدت الباب مغلوقا فنمت من خارجه فبينما انا بين النائم واليقظان اذا رأيت اربع نسوة احداهن راكبة مكنسة واحداهن راكبة مروحة فعلمت ايها الملك انهن سحرة يدخلن مدينتك فدنت احداهن مني ورفصتني برجلها وضربتني بذنب ثعلب كان في يدها فاوجعتني فاخذتني الحدة من الضرب فضربتها بسكين كان معي فاصبت كفلها وهو مولية شاردة فلما جرحتها انهزمت قدامي فوقع منها هذا الحق بما فيها فاخذته وفتحته فرأيت فيه هذا الحلي النفيس فخذه فليس لي به حاجة لأني رجل سايح في الجبال وقد رفضت الدنيا عني قلبي وزهدتها بما فيها واني قاصد وجه الله تعالى ثم ترك الحق بين يدي الملك وانصرف فلما خرج من عند الملك فتح الملك ذلك الحق واخرج جميع الحلي منه وصار يقلبه بيده فوجده فيه عقدا كان انعم به على الوزير سيد الجارية فدعا الملك بالوزير فلما حضر بين يديه قال له هذا العقد الذي اهديته إليك فلما رأه الوزير عرفه وقال للملك نعم وأنا اهديته إلى جارية مغنيه عندي فقال له الملك احضر لي الجارية في هذه الساعة فاحضرها فلما حضرت الجارية بين يدي الملك قال له اكشف عن كفلها وانظر هل فيه جرح ام لا فكشف الوزير عنه فرأى فيه جرح سكين فقال الوزير للملك نعم يا مولاي فيها الجرح فقال الملك للوزير هذه ساحرة كما قال لي الرجل الزاهد بلا شك ولا ريب ثم امر الملك بان يجعلوها في جب السحرة فارسلوها الى الجب في ذلك النهار فلما جاء الليل وعرف الصائغ ان حيلته قد تمت جاء الى حارس الجب وبيده كيس فيه الف دينار وجلس مع الحارس يتحدث الى ثلث الليل الاول ثم دخل مع الحارس في الكلام وقال له اعلم يا اخي ان هذه الجارية بريئة من هذه البلية التي ذكروها عنها وانا الذي اوقعتها وقص عليه القصة من اولها الى آخرها ثم قال له يا اخي خذ هذا الكيس فان فيه الف دينار واعطني الجارية اسافر بها الى بلادي فهذه الدنانير انفع لك من حبس الجارية واغتنم اجرنا ونحن الاثنان ندعوا لك بالخير والسلامة فلما سمع حكايته تعجب غاية العجب من هذه الحيلة وكيف تمت ثم اخذ الحارس الكيس بما فيه وتركها له وشرط عليه ان لا يقيم بها في هذه المدينة ساعة واحدة فأخذها الصائغ من وقته وسار وجعل يجد في السير الى وصل بلاده وقد بلغ مراده فانظر ايها الملك الى كيد الرجال وحيلهم ووزرائك يردونك عن اخذ حقي وفي غد اقف انا وانت بين يدي حاكم عادل فيأخذ حقي منك ايها الملك فلما سمع الملك كلامها امر بقتل ولده

فـدخل عليه الوزير الخـامس وقـبل الارض بين يديه ثم قال له ايهـا الملك العظيم الشـأن تمهل ولا تعجل على قـتل ولدك فرب عجلة اعـقبت ندامة واخـاف عليك ان تندم ندامة الرجل الذى لـم يضحك بقية عمره فقال له الوزير وكيف ذلك ايها الوزير قال بلغنى ايها الملك انه كان رجل من ذوى البيوت والنعم وكان ذا مال وخدم وعبيد واملاك فمات الى رحـمة الله تعـالى وترك ولدا صغـيـر فلما كـبر الـولد اخذ فى الاكل والشـرب وسمـاع الطرب والاغانى وتكرم واعطى وانفق الاموال التى خلفها له ابوه حتى ذهب المال جميعه وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الثامنة والثمانون بعد الخمسمائة

قالت بلغنى أيهـا الملك السعيد أن الولد لما اذهب المـال الذى خلفه له ابوه ولم يبق منه شيء رجع على بيع العـبيد والجـوارى والاملاك وانفق جـميع مـا كان عنده من مـال ابيه وغيره فـافتقر حتـى صار يشتغل مع الفعلة فـمكث على ذلك مدة سنة فبيـنما هو جالس يوما من الايام تحت حائط ينتظر مـن يستأجره واذا هو برجل حسن الوجه والثـياب قد دنا من الشاب وسلم عليه فـقال له الولد يا عم هل انت تعرفنى قبل الان فـقال له لـم اعرفك يا ولدى اصلا بل أرى اثار النعمـة عليك وانت فى هذه الحالة فقال له يا عم نفـذ القضاء والقدر فهل لك يا عم يا صبيح الوجه من حاجة تستخدمنى فيها فقال له يا ولدى اريد ان استخـدمك فى شيء يسير قال له الشاب ومـا هو يا عم فقال له عندى عشـرة من الشيوخ فى دار واحدة ولبس عندنا من يقضى لنا حاجتنا ولك عندنا من المآكل والملبس ما يكفيك فتقوم بـخدمتنا ولك عندنا مايصل إليك من الخيـر والدارهم ولعل الله يرد عليك نعمتك بسببنا فقـال له الشاب ثم قال له الشيخ لي عليك شرط فقـال له الشاب وما هو شرطك يا عم قـال له يا ولدى ان تكون كاتما لسـرنا فـيمـا ترانا عليه واذا رأيتـنا نبكى فلا تسـألنا عن سبب بكائنا فـقال له الشاب نعم يا عم فقـال له الشيخ يا ولدى سر بنا عل بركـة الله تعالى فقام الشاب خلف الشيخ الى ان اوصله الى الحمام فأدخله فيه وازال عنى بدنه ما عليه من القشف ثم ارسل الشيخ رجلا فاتى له بحلة حسنة من القـماش فالبسه اياها ومضى به الى منزله عند جـماعتـه فلما دخل الشاب وجـدها دارا عالية الـبنيان مشـيدة الاركان واسـعة

بمجالس متقابلة وقاعـات فى كل قاعة فسقية من الماء عليها طيور تغـرد وشبابيك تطل من كل جهة على بستان حسن فى تلك الدار فادخله الشـيخ فى احد المجالس فوجده منقوشا بالرخام الملون ووجد سقفه منقوشا باللازورد والذهب الوهاج وهو مفروش ببسط الحرير ووجد فيه عشرة من الشيوخ قاعدين مـتقابلين وهم لابسون ثياب الحزن يبكون وينتحبون فتعـجب الشاب من امرهم وهم ان يسأل الشيخ فـتذكر الشرط فمنـع لسانه ثم ان الشيخ سلم الى الشـاب صندوقـا فـيـه ثلاثون الف ديـنار وقـال له يا ولدى انفق علـينا من هذا الصندوق وعلى نفـسك بالمعروف وانت امين واحـفظ ما استـودعتك فيـه فقـال الشاب سمـعا وطاعـة ولـم يزل الشاب ينفـق عليهم مـدة ايام وليال ثم مـات واحد منهم فـاخذه اصحابه وغسلوه وكفنوه ودفنوه فى روضة خلف الدار ولم يزل الموت يأخذ منهم واحدا بعد واحد الى ان بـقى الشيخ الذى استخدم الـشاب فاستمـر هو والشاب فى تلك الدار وليس معـهما ثالث واقاما عـلى ذلك مدة من السنين ثم مرض الشيخ فلمـا يئس الشاب من حياته اقبل عليه وتوجع له قال له يا عم انا خدمتكم ولا كنت اقصر فى خدمتكم ساعة واحدة مدة اثنى عشر سنة وانما انصح لكم واخدمكم بجهدى وطاقتى فقال له الشيخ نعم يا ولدى خـدمتنا الى ان توفـيت هذه المشايخ الى الله عـز وجل ولابد لنا من الموت فـقال الشاب يا سيدى انت على خطر واريد منك ان تعلمنى مـا سبب بكائكم ودوام انتحابكم وحزنكم وتحـسركم فقال له يا ولدى مـالك بذلك من حاجة ولا تكلفنى مـا لا اطيق فانى سألت الله تعـالى ان لا يبلى احدا ببليتى فـإن اردت ان تسلم مما وقعنا فيه فـلا تفتح ذلك الباب واشـار اليه بيـده وحذره منه وان اردت ان يصـيبك مـا اصابنا فافتـحه فانك تعلم سبب مـا رأيت منا لكونك تندم حيث لا ينفعك النـدم وادرك شهر زاد الصبـاح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة التاسعة والثمانون بعد الخمسمائة

قالت بلغنى ايها الملك السـعيد ان الشيخ الذى بقى من العشرة قـال للشاب احذر ان تفتح هذا الباب فـتندم حيث لا ينفعك الندم ثم تزايدت العلة على الشيخ فمـات فغسله الشاب بيده وكفنه ودفنه عند اصحابه وقـعد الشاب فى ذلك الموضع وهو مختوم على ما

فيه وهو مع ذلك قلق متفكر فيما كان فيه الشيوخ فبينما هو يتفكر يوما من الايام فى كلام الشيخ ووصيته له بعدم فتح الباب اذ خطر بباله انه ينظر اليه فقام الى تلك الجهة وفتش حتى رأى بابا لطيفا قد عشش عليه العنكبوت وعليه اربعة اقفال من البولاد فلما نظره تذكر ما حذره منه الشيخ فانصرف عنه وصارت نفسه تراوده على فتح الباب وهو يمنعها مدة سبعة ايام وفى اليوم الثامن غلبت عليه نفسه وقال لابد ان افتح ذلك الباب وانظر اى شيء يجرى على منه فإن قضاء الله تعالى وقدره لا يرده شيء ولا يكون امر من الامور الا بارادته فنهض وفتح الباب بعد ان كسر الاقفال فلما فتح الباب رأى دهليزا ضيقا فجعل يمشى فيه مقدار ثلاث ساعات وإذا به قد خرج على شاطىء نهر عظيم فتعجب الشاب من ذلك فصار يمشى على ذلك الشاطىء وينظر يمينا وشمالا واذا بعقاب كبير قد نزل من الجو فحمل ذلك الشاب فى مخالبه وطار به بين السماء والارض الى ان اتى به الى جزيرة فى وسط البحر فالقاه فيها وانصرف عنه ذلك العقاب فصار الشاب متحيرا فى امره لا يدرى اين يذهب فبينما هو جالس يوما من الايام واذا بقلع مركب قد لاح له فى البحر كالنجمة فى السماء فتعلق خاطر الشاب بالمركب لعل نجاته تكون فيها وصار ينظر اليها حتى وصلت الى قرية فلما وصلت رأى زورقا من العاج والابنوس ومجاديفه من الصندل والعود وهو مصفح جميعه بالذهب الوهاج وفيه عشرة من الجوارى الابكار كأنهن الاقمار فلما نظره الجوارى طلعن اليه من الزورق وقبلن يديه وقلن له انت الملك العريس ثم تقدمت اليه جارية وهى كالشمس الضاحية فى السماء الضاحية وفى يدها منديل حرير فيه خلعة ملوكية وتاج من الذهب مرصع بانواع اليواقيت فتقدمت إليه والبسته وتوجته وحملته على الايدى إلى ذلك الزورق فوجد فيه أنواعا من بسط الحرير الملون ثم نشرن القلوع وسرن فى لجج البحر قال الشاب فلما سرت معهن اعتقدت ان هذا منام ولا ادرى اين يذهبن بى فلما اشرفن على البر رأيت البر قد امتلأ بعساكر لا يعلم عدتهم الا الله سبحانه وتعالى وهم متدرعون ثم قدموا الى خمسة من الخيل المسومة بسروج من ذهب مرصعة بانواع اللآلى والفصوص الثمينة فاخذت منها فرسا فركبته والاربعة سارت معى ولما ركبت انعقدت على رأسى الرايات والاعلام ودقت الطبول وضربت الكاسات ثم ترتبت العساكر ميمنة وميسرة وسرت اتردد هل أنا نائم أم يقظان ولم أزل سائراً ولا اصدق بما انا فيه من الموكب بل اظن انه اضغاث احلام حتى اشرفنا

على مرج اخضر فيه قصور بساتين واشجار وانهار وازهار واطيار تسبح الله الواحد القهار فبينما هم كذلك واذا بعسكر قد برز من بين تلك القصور والبساتين مثل السيل اذا انحدر الى ان ملأ ذلك المرج فلما دنوا منى وقفت تلك العساكر واذا بملك منهم قد تقدم بمفرده راكب بين يديه بعض خواصه مشاة فلما قرب الملك من الشاب نزل عن جواده فلما رأى الملك نزل عن جواده نزل الاخر ثم سلما على بعضهما احسن سلام ثم ركبوا خيولهم فقال الملك للشاب سر بنا فانك ضيفى فسار معه الشاب وهم يتحدثون والمواكب مرتبة وهى تسير بين ايديهما الى قصر الملك ثم نزلوا ودخلوا القصر جميعا وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الموفية للتسعين بعد الخمسمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الملك لما اخذ الشاب وسار هو واياه بالموكب حتى دخلا فى القصر ويد الشاب فى يد الملك ثم اجلسه على كرسى من الذهب وجلس عنده فلما كشف ذلك اللثام عن وجهه واذا هو جارية كالشمس الضاحية فى السماء الصاحية ذات حسن وجمال وبهاء وكمال وعجب ودلال فنظر الشاب الى نعمة عظيمة وسعادة جسيمة وصار الشاب متعجبا من حسنها وجمالها ثم قالت له اعلم ايها الملك انى ملكة هذه الارض وكل هذه العساكر التى رأيتها وجميع من رأيته منهم من فارس اوراجل فهن نساء ليس فيهن رجال والرجال عندنا فى هذه الارض يحرثون ويزرعون ويحصدون ويشتغلون بعمارة الارض وعمارة البلاد ومصالح الناس من سائر الصناعات واما النساء فهن الحكام وارباب المناصب والعساكر فتعجب الشاب من ذلك غاية العجب فبينما هم كذلك واذا بالوزير قد دخل واذا هى عجوز شمطاء وهى محتشمة ذات هيبة ووقار فقالت لها الملكة احضرى لنا القاضى والشهود فمضت العجوز لذلك ثم عطفت الملكة على الشاب تنادمه وتؤانسه وتزيل وحشته بكلام لطيف ثم اقبلت عليه وقالت اترضى ان اكون لك زوجة فقام وقبل الارض بين يديها فمنعته فقال لها يا سيدتى انا اقل من الخدم الذين يخدمونك فقالت له اما ترى جميع ما نظرته من الخدم والعساكر والمال والخزائن والذخائر فقال لها نعم فقالت له جميع ذلك بين يديك تتصرف فيه

بحيث تعطى ما بدا لك ثم انها اشارت الى باب مغلق وقالت له جميع ذلك تتصرف فيه الا هذا الباب فلا تفتحه واذا فتحته تندم حيث لا ينفعك الندم فما استتم كلامها الا والوزيرة والقاضى والشهود معها فلما حضروا وكلهن عجائز ناشرات الشعر على اكتافهن وعليهن هيبة ووقار قال فلما حضرن بين يدى الملكة امرتهن ان يعقدن العقد بالتزويج فزوجنها الشاب وعملت الولائم وجمعت العساكر فلما اكلوا وشربوا دخل عليها ذلك الشاب فوجدها بكرا عذراء فازال بكارتها واقام معها سبعة اعوام فى الذعيش وارغده واهناه واطيبه فتذكر ذات يوم من الايام فتح الباب وقال لولا ان يكون فيه ذخائر جليلة احسن مما رأيت ما منعتنى عنه ثم قام وفتح الباب واذا داخله الطائر الذى حمله من ساحل البحر وحطه فى الجزيرة فلما نظره ذلك الطائر قال له لا مرحبا بوجه لا يفلح ابدا فلما نظره وسمع كلامه هرب منه فتبعه وخطه وطار به بين السماء والارض مسافة ساعة وحطه فى المكان الذى خطفه منه ثم غاب عنه فجلس مكانه ثم رجع الى عقله وتذكر ما نظره قبل ذلك من النعمة والعز والكرامة وركوب العسكر امامه والامر والنهى فجعل يبكى وينتحب ثم أقام على ساحل البحر الذى وضعه فيه ذلك الطائر مدة شهرين وهو يتمنى ان يعود الى زوجته فبينما هو ذات ليلة من الليالى سهران حزين متفكر واذا بقائل يقول وهو يسمع صوته ولا يرى شخصه وهو ينادى ما اعظم اللذات هيهات هيهات ان يرجع اليك ما فات فاكثر الحسرات فلما سمعه ذلك الشاب يئس من لقاء تلك الملكة ومن رجوع النعمة التى كان فيها اليه ثم دخل الدار التى كان فيها المشايخ وعلم انهم قد جرى لهم مثل ما جرى لهم مثل ما جرى له وهذا الذى كان سبب بكائهم وحزنهم فعذرهم بعد ذلك ثم ان الشاب اخذه الحزن والهم ودخل ذلك المجلس ومازال يبكى وينوح وترك المأكل والمشرب والروايح الطيبة والضحك الى ان مات ودفنوه بجانب المشايخ فاعلم ايها الملك ان العجلة ليست محمودة وانما هى تراث الندامة وقد نصحتك بهذه النصيحة فلما سمع الملك ذلك الكلام اتعظ به وانتصح ورجع عن قتل ولده وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الحادية والتسعون بعد الخمسمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الملك لما سمع حكاية الوزير رجع عن قتل ولده فلما كان فى اليوم السادس دخلت الجارية على الملك وفى يدها سكين مسلولة وقالت اعلم يا

سيدى انك ان لم تقبل شكايتى وترع حقك وحرمتك فيمن تعدى على وهم وزراؤك الذين يزعمون ان النساء صاحبات حيل ومكر وخديعة ويقصدون بذلك ضياع حقى واهمال الملك النظر فى حقى وها انا احقق بين يديك ان الرجال امكر من النساء بحكاية ابن ملك من الملوك حيث خلا بزوجة تاجر فقال لها الملك واى شيء جرى له معها فقالت بلغنى ايها السعيد انه كان تاجر من التجار غيورا وكان عنده زوجة ذات حسن وجمال فمن كثرة خوفه وغيرته عليها لم يسكن بها فى المدائن وانما عمل لها خارج المدينة قصرا منفردا وحده عن البنيان وقد اعلى بنيانه وشيد اركانه وحصن ابوابه واحكم اقفاله فاذا اراد الذهاب الى المدينة قفل الابواب واخذ مفاتيحها معه وعلقها فى رقبته فبينما هو يوما من الايام فى المدينة اذ خرج ابن ملك تلك المدينة يتنزه خارجها ويتفرج على الفضاء فنظر ذلك الخلاء وصار يتأمل فيه زمانا طويلا فلاح لعينه ذلك القصر فنظر فيه جارية عظيمة تطل من بعض طيقان القصر فلما نظرها صار متحيرا فى حسنها وجمالها ويريد الوصول اليها فلم يمكنه ذلك فدعا بغلام من غلمانه فاتاه بدواة وورقة وكتب فيها شرح حاله من المحبة وجعلها فى سنان نشابه ثم رما النشابة داخل القصر فنزلت عليها وهى تمشى فى بستان فقالت لجارية من جواريها اسرعى الى هذه الورقة وناولينيها وكانت تقرأ الخط فلما قرأتها وعرفت ما ذكر لها من الذى اصابه من المحبة والشوق والغرام كتبت له جواب ورقته وذكرت له انه قد وقع عندها من المحبة اكثر مما عنده ثم طلت له من طاقة القصر فرأته فالقت اليه الجواب واشتد بها الشوق فلما نظر اليها جاء تحت القصر وقال لها ارمى من عندك خيطا لاربط فيه هذا المفتاح حتى تأخذيه عندك فرمت له خيطا وربط فيه المفتاح ثم انصرف الى وزرائه فشكا اليهم محبة تلك الجارية وانه قد عجز عن الصبر عنها فقال له بعضهم وما التدبير الذى تأمرنى به فقال له ابن الملكة اريد منك ان تجعلنى فى صندوق وتودعه عند هذا التاجر فى قصره وتجعل ان ذلك الصندوق لك حتى ابلغ اربى من تلك الجارية مدة ايام ثم تسترجع ذلك الصندوق فقال له الوزير حبا وكرامة ثم ان ابن الملك لما توجه الى منزله جعل نفسه داخل صندوق كان عنده واغلق الوزير عليه واتى به الى قصر التاجر فلما حضر التاجر بين يدى الوزير قبل يديه ثم قال له التاجر لعل لمولانا الوزير ٠ خدمة اوحاجة نفوز بقضائها فقال له الوزير اريد منك ان تجعل هذا الصندوق في اعز مكان عندك فقال التاجر للحمالين احملوه ثم ادخله التاجر فى القصر

ووضعه فى خزانة عنده ثم بعد ذلك خرج الى بعض اشغاله فقامت الجارية إلى الصندق وفتحته بالمفتاح الذي معهـا فخرج منه شاب مثل القمر فلما رأته لبست احسن ملبوسها وذهبت به الى قاعة الجلوس وقعـدت معه فى اكل وشرب مدة سبعة ايام وكلما يحضر زوجهـا تجعله فى الصندوق وتقفل عليه فلمـا كان فى بعض الايام سأل الملك عن ولده فخـرج الوزير مسـرعا الى منزل التاجر وطلب منه الصندوق وادرك شـهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الثانية والتسعون بعد الخمسمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الوزير لما حضر الى منزل التاجر لطلب الصندوق جاء التاجر الى قـصره على خلاف العادة وهو مستعجل وطرق البـاب فحست به الجارية فاخذت ابن الملـك وادخلته فى الصندوق وذهلت عن قفله فلما وصل التـاجر الى المنزل هو والحمالون حملوا الصندوق من غطائه فانفتح فنظروا فيه فاذا فيه ابن الملك راقد فلما رأه التاجر وعرفه خرج الى الوزير وقال له ادخل انت وخذ ابن الملك فلا يستطيع احد منا ان يمسكه فدخل الوزيـر واخذه ثم انصرفـوا جميـعا فلما انصـرفوا طلق التاجـر الجارية واقـسم على نفسه الا يتـزوج ابدا وبلغنـى ايضا ايهـا الملك ان رجـلا من الظرفـاء دخل السوق فوجد غلاما ينادى عليه للبيع فاشتراه وجاء به الى منزله وقال لزوجته استوصى به فاقام الغلام مدة من الزمان فلما كان فى بعض الايام قال الرجل لزوجته اخرجى غدا الى البستان وتفرجى وتـنزهى وانشرحى فقالت حبا وكرامة فلما سـمع الغلام ذلك عمد الى طعام وجهزه فى تلك الليلة والى شراب ونقل وفاكـهة ثم توجه الى البستان وجعل ذلك الطعام تحت شـجرة وجعل ذلك الشراب تحت شـجرة والفواكه والنقل تحت شـجرة فى طريق زوجة سيـده فلما اصبح الصبـاح امر الرجل الغلام ان يتوجه مـع سيدته الى ذلك البستـان وأمر بما يحتاجـون اليه من المآكل والمشرب والفواكه ثم طـلعت الجارية وركبت فرسا والغلام معـها حتى وصلوا الى ذلك البستان فلما دخلوا نعق غـراب فقال له الغلام صدقت فقالت له سـيدته هل انت عرفت ما يقول الغراب فقا لهـا نعم يا سيدتى قالت له فما يقـول قال لها يا سيدتى يقـول ان تحت هذه الشجرة طعام تعـالوا كلوه فقالت له اراك

تعرف لغات الطير فقال لها نعم فتقدمت الجارية الى تلك الشجرة فوجدت طعاما مجهزا فلما اكلوه تعجبت منه غاية العجب واعتقدت انه يعرف لغات الطير فلما اكلوا ذلك الطعام تفرجوا فى البستان فنعق الغراب فقال له الغلام صدقت فقالت له سيدته بأي شيء يقول قال يا سيدتي يقول ان تحت الشجرة الفلانية كوز ماء ممسك وخمرا عتيقا فذهبت هي واياه فوجدا ذلك فتزايد عجبها وعظم الغلام عندها فقعدت مع الغلام يشربان فلما شربا مشيا في ناحية البستان فنعق الغراب فقال له الغلام صدقت فقالت له سيدته أي شيء يقول هذا الغراب قال يقول إن تحت الشجرة الفلانية فواكه ونقلا فذهبا الى تلك الشجرة فوجدا ذلك فاكلا من تلك الفواكه والنقل ثم مشيا فى البستان فنعق الغراب فأخذ الغلام حجرا ورماه به فقالت مالك تضربه وما الذى قاله قال يا سيدتى انه يقول كلاما ما اقدر ان اقوله لك قالت قل ولا تستحي منى انما بيني وبينك شيء فصار يقول لا وهى تقول قل ثم اقسمت عليه فقال لها انه يقول لى افعل بسيدتك مثل ما يفعل بها زوجها فلما سمعت كلامه ضحكت حتى استلقت على قفاها ثم قالت له حاجة هينة لا اقدر ان اخالفك فيها ثم توجهت نحو شجرة من الاشجار وفرشت تحتها الفرش ونادته ليقضى لها حاجتها واذا بسيده خلفه ينظر اليه فناداه وقال له يا غلام مال سيدتك راقده هنا تبكى فقال يا سيدى وقعت من فوق شجرة فماتت ومارده عليك الا الله سبحانه وتعالى فرقدت ها هنا ساعة لتستريح فلما رأت الجارية زوجها فوق رأسها قامت وهى متمرضة تتوجع وتقول آه يا ظهرى يا جنبى تعالو الى يا احبابى ما بقيت اعيش فصار زوجها مبهوتا ثم نادى الغلام وقال له هات لسيدتك الفرس وركبها فلما ركبت اخذ الزوج بركابها والغلام بركابها الثاني ويقول لهما الله يعانيك ويشفيك وهذا أيها الملك من جملة حيل الرجال ومكرهم فلا يردك وزراؤك عن نصرتى والاخذ بحقي ثم بكت فلما رأى الملك بكائها وهى عنده اعز جواريه امر بقتل ولده فدخل عليه الوزير السادس وقبل الأرض بين يديه وقل له اعز الله تعالى الملك إلى ناصحك ومشير عليك فى امر ولدك وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الثالثة والتسعون بعد الخمسمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الوزير السادس قال له ايها الملك تمهل فى امر ولدك فإن الباطل كان كالدخان والحق مشيد الاركان ونور الحق يذهب ظلام الباطل

واعلم ان مكر النساء عظيم وقد قال الله في كتابه العزيز ان كيدكن عظيم وقد بلغني حديث امرأة فعلت مع ارباب الدولة مكيدة ماسبقها بمثلها احد قط فقال الملك وكيف كان ذلك قال الوزير بلغني ايها الملك ان امرأة من بنات التجار كان لها زوج كثير الاسفار فسافر زوجها الى بلاد بعيدة واطال الغيبة فزاد عليها الحال فعشقت غلاما ظريفا من اولاد التجار وكانت تحبه ويحبها محبة عظيمة ففى بعض الايام تنازع الغلام مع رجل فشكاه الرجل الى والى تلك البلد فسجنه فبلغ خبره زوجة التاجر معشوقته فطار عقلها عليه فقامت ولبست افخر ملبوسها ومضت الى منزل الوالى فسلمت عليه ودفعت له ورقة تذكر فيها ان الذى سجنته وحبسته هو اخى فلان الذى تنازع مع فلان والجماعة الذين شهدوا عليه قد شهدوا باطلا وقد سجن في سجنك وهو مظلوم وليس عندى من يدخل على ويقوم بحالى غيره واسأل من فضل مولانا اطلاقه من السجن فلما قرأ الوالى الورقة نظر اليها فعشقها وقال لها ادخلى المنزل حتى احضره بين يدى ثم ارسل اليك فتأخذينه فقالت له يا مولانا ليس لى احد الا الله تعالى وانا امرأة غريبة لا اقدر على دخول منزل احد فقال لها الوالى لا اطلقه لك حتى تدخلى المنزل واقضى حاجتى منك فقالت له ان اردت ذلك فلابد ان تحضر عندى فى منزلى وتقعد وتنام وتستريح نهارك كله فقال لها واين منزلك فقالت له فى الموضع الفلانى ثم خرجت من عنده وقد اشتغل قلب الوالى فلما خرجت دخلت على قاضى البلد وقالت له يا سيدنا القاضى قال لها نعم قالت له انظر فى امرى واجرك على الله فقال لها من ظلمك قالت له يا سيدى لى اخ وليس لى احد غيره وهو الذى كلفنى الخروج اليك لان الوالى قد سجنه وشهدوا عليه بالباطل انه ظالم وانما اطلب منك ان تشفع لى فيه عند الوالى فلما نظرها القاضى عشقها فقال لها ادخلى المنزل عند الجوارى واستريحى معنا ساعة ونحن نرسل الى الوالى ان يطلق اخاك ولو كنا نعرف الدراهم التى عليه كنا دفعناها من عندنا لاجل قضاء حاجتنا لانك اعجبتنا من حسن كلامك فقالت له اذا كنت انت يا مولانا تفعل ذلك فما نلوم الغير فقال لها القاضى ان لم تدخلى منزلنا فاخرجى الى حال سبيلك فقالت له ان اردت ذلك يا مولانا فيكون عندى فى منزلى استر واحسن من منزلك فان الجوارى والخدم والداخل والخارج

وانا امرأة ما اعرف شيأ من هذا الامر لكن الضرورة تحوج فقال لها القاضى واين منزلك فقالت له فى الموضع الفلانى وواعدته على اليوم الذى واعدت فيه الوالى ثم خرجت من عند القاضى إلى منزل الوزير فرفعت إليه قصتها وشكت إليه ضرورة اخيها وأنه سجنه الوالى فراودها الوزير عن نفسها وقال لها نقضى حاجة منك ونطلق لك اخاك فقالت له ان اردت ذلك فيكون عندى فى منزلى فإنه استر لى ولك لان المنزل ليس بعيدا وانت تعرف ما نحتاج اليه من النظافة والظرافة فقال لها الوزير واين منزلك فقالت له فى الموضع الفلانى وواعدته على ذلك اليوم ثم خرجت من عنده الى ملك تلك المدينة ورفعت اليه قصتها وسألته اطلاق اخيها فقال لها من حبسه قالت له حبسه الوالى فلما سمع الملك كلامها رشقته بسهام العشق فى قلبه فامرها ان تدخل معه القصر حتى يرسل الى الوالى ويخلص اخاها فقالت له ايها الملك هذا امر يسهل عليك اما باختيارى واما قهرا عنى فان كان الملك اراد ذلك منى فانه من سعد حظى ولكن اذا جاء الى منزلى يشرفنى بنقل خطواته الكرام كما قال الشاعر

خليلى هل ابصرتما اوسمعتما زيارة من جلت مكارمه عندى

فقال لها الملك لا نخالف لك امرا فواعدته باليوم الذى واعدت فيه غيره وعرفته منزلها وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الرابعة والتسعون بعد الخمسمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان المرأة لما اجابت الملك عرفته منزلها وواعدته على ذلك اليوم الذى واعدت فيه الوالى والقاضى والوزير ثم خرجت من عنده فجاءت الى رجل نجار وقالت له اريد منك ان تصنع لى خزانة باربع طبقات بعضها فوق بعض كل طبقة بباب يقفل عليها واخبرنى بقدر اجرتك فاعطيكه فقال لها اربعة دنانير وان انعمت على ايها السيدة المصونة بالوصال فهو الذى اريد ولا آخذ منك شيئا فقالت له ان كان لابد من ذلك فاعمل لى خمس طبقات باقفالها فقال لها حبا وكرامة ووعداته ان يحضر لها بالخزانة فى ذلك اليوم بعينه فقال لها النجار يا سيدتى اقعدى حتى تأخذى حاجتك فى هذه الساعة وأنا بعد ذلك اجيئ على مهلى فقعدت عنده حتى عمل لها الخزانة بخمس طبقات وانصرفت الى منزلها فوضعتها فى المحل الذى فيه الجلوس ثم انها اخذت اربعة

ثياب وحملتها الى الصباغ فصبغ كل ثوب لونا وكل لون خلاف الآخر واقبلت على تجهيز المأكول والمشروب والمشموم والفواكه والطيب فلما جاء يوم الميعاد لبست افخر ملبوسها وتزينت وتطيبت ثم فرشت المجلس بانواع البسط الفاخرة وقعدت تنتظر من يأتي واذا بالقاضى قد دخل عليها قبل الجماعة فلما رأته قامت واقفة على قدميها وقبلت الارض بين يديه واخذته واجلسته على ذلك الفرش ونامت معه ولاعبته فاراد منها قضاء الحاجة فقالت له يا سيدى اخلع ثيابك وعمامتك والبس هذه الغلالة الصفراء واجعل هذا القناع على رأسك حتى نحضر بالمأكول والمشروب وبعد ذلك تقضى حاجتك فاخذت ثيابه وعمامته ولبس الغلالة والقناع واذا بطارق يطرق الباب فقال لها القاضى من هذا الذى يطرق الباب فقالت له هذا زوجى فقال لها وكيف العمل واين اروح انا فقالت له لا تخف فاني ادخلك هذه الخزانة فقال لها افعلى ما بدالك فاخذته من يده وادخلته فى الطبقة السفلى وقفلت عليه ثم انه خرجت الى الباب وفتحته واذا هو الوالى فلما رأته قبلت الارض بين يديه واخذته بيدها واجلسته على ذلك الفراش وقالت له ياسيدى ان الموضع موضعك والمحل محلك وانا جاريتك ومن بعض خدامك وانت تقيم هذا النهار كله عندى فاخلع ما عليك من الملبوس والبس هذا الثوب الاحمر فانه ثوب النوم وقد جعلت على رأسه خلقا من خرقة كانت عندها فلما اخذت ثيابه اتت اليه فى الفراش ولاعبته ولاعبها فلما مد يده اليها قالت له يا مولانا هذا النهار نهارك وما اجد ما يشاركك فيه لكن من فضلك واحسانك تكتب لى ورقة باطلاق اخى من السجن حتى يطمئن خاطرى فقال لها السمع والطاعة على الرأس والعين وكتب كتابا الى خازنداره يقول له فيه ساعة وصول هذه المكاتبة اليك تطلق فلانا من غير امهال ولا اهمال ولا تراجع حاملها بكلمة ثم ختمها واخذتها منه ثم اقبلت تلاعبه على الفراش واذا بطارق يطرق الباب فقال لها من هذا قالت زوجى قال كيف اعمل فقالت له ادخل هذه الخزانة حتى اصرفه واعود اليك فاخذته وادخلته فى الطبقة الثانية وقفلت عليه كل هذا والقاضى يسمع كلامهما ثم خرجت الى الباب وفتحته واذا هو الوزير قد اقبل فلما رأته قبلت الارض بين يديه وتلقته وخدمته وقالت له ياسيدى لقد شرفتنا بقدومك فى منزلنا يا مولانا فلا اعدمنا الله هذه الطلعة ثم اجلسته على الفراش وقالت له اخلع ثيابك وعمامتك والبس هذه التخفيفة فخلع ما كان عليه والبسته غلالة زرقاء وطرطور احمر

وقالت له يا مولانا اماهذه ثياب الوزارة فخلها لوقتها واما فى هذه الساعة فهذه ثياب المنادمة والبسط والنوم فلما لبسها الوزير لاعبته على الفراش ولاعبها وهو يريد قضاء الحاجة وهي تمنعه وتقول له يا سيدى هذا ما يفوتنا فبينما هم فى الكلام واذا بطارق يطرق الباب فقال لها من هذا فقالت له زوجي فقال لها كيف التدبير فقالت له قم وادخل هذه الخزانة حتى اصرف زوجي واعود اليك ولا تخف ثم انها ادخلته الطبقة الثالثة وقفلت عليه وخرجت ففتحت الباب واذا هو الملك قد دخل فلما رأته قبلت الأرض بين يديه واخذت بيده وادخلته فى صدر المكان واجلسته على الفراش وقالت شرفتنا ايها الملك ولو قدمنا لك الدنيا وما فيها ما تساوى خطوة من خطواتك الينا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الخامسة والتسعون بعد الخمسمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الملك لما دخل دار المرأة قالت له لواهد ينالك الدنيا وما فيها ما تساوى خطوة من خطواتك الينا فلما جلس على الفراش قالت له اعطنى اذنا حتى اكلمك كلمة واحدة فقال لها تكلمي مهما شئت فقالت له استرح يا سيدى واخلع ثيابك وعمامتك وكانت ثيابه فى ذلك الوقت تساوى الف دينار فلما خلعها البسته ثوبا خلقا قيمته عشرة دراهم بلا زيادة واقبلت تؤانسه وتلاعبه هذا كله والجماعة التى فى الخزانة يسمعون ما يحصل منهما ولا يقدر احد ان يتكلم فلما مد الملك يده الى عنقها واراد ان يقضى حاجته منها قالت له هذا الامر لا يفوتنا وقد كنت قبل الان وعدت خدمتك بهذا المجلس فلك عندى ما يسرك فبينما هما يتحدثان واذا بطارق يطرق الباب فقال لها من هذا قالت له زوجى فقال لها اصرفيه عناكر مامنه والا اطلع اليه اصرفه قهرا فقالت له لا يكون ذلك يا مولانا بل اصبر حتى اصرفه بحسن معرفتى فقال لها وكيف افعل انا فاخذته من يده وادخلته فى الطبقة الرابعة وقفلت عليه ثم خرجت الى الباب ففتحته واذا هو النجار فلما دخل سلم عليها فقالت له اى شئ هذه الخزائن التى عملتها فقال لها مالها يا سيدتى فقالت له ان هذه الطبقة ضيقة فقال لها يا سيدتى هذه واسعة فقالت له ادخل وانظرها فانها لم تسعك فقال لها هذه تسع اربعة ثم دخل النجار فلما دخل قفلت عليه الطبقة الخامسة ثم انها قامت واخذت ورقة الوالى ومضت بها الى

الخازندار فلما اخذها وقرأها قبلها واطلق لها الرجل عشيقها من الحبس فاخبرته بما فعلته فقال لها وكيف نفعل قالت له نخرج من المدينة الى مدينة اخرى وليس لنا بعد هذا الفعل اقامة هنا ثم جهزا ما كان عندهما وحملاه على الجمال وسافروا من ساعتهما الى مدينة اخرى واما القوم فانهم اقاموا فى طبقات الخزانة ثلاثة ايام بلا اكل فانحصروا لانهم ثلاثة ايام لم يبولوا فبال النجار على رأس السلطان وبال السلطان على رأس الوزير وبال الوزير على رأس الوالى وبال الوالى على رأس القاضى فصاح القاضى وقال اى شئ هذه النجاسة اما يكفينا ما نحن فيه حتى تبولوا علينا فرفع الوالى صوته وقال عظم الله اجرك ايها القاضى فلما سمعه عرفه انه الوالى ثم ان الوالى رفع صوته وقال ما بال هذه النجاسة فرفع الوزير صوته وقال عظم الله اجرك ايها الوالى فلما سمعه الوالى عرفه انه الوزير ثم ان الوزير رفع صوته وقال ما بال هذه النجاسة فرفع الملك صوته وقال عظم الله اجرك ايها الوزير ثم ان الملك لما سمع كلام الوزير عرفه ثم سكت وكتم امره ثم أن الوزير قال لعن الله هذه المرأة بما فعلته معنا احضرت جميع ارباب الدولة عندها ما عدا الملك الملك فلما سمعهم الملك قال لهم اسكتوا فانا أول من وقع فى شبكة هذه العاهرة الفاجرة فلما سمع النجار قولهم قال لهم وانا اى شئ ذنبى قد عملت لها الخزانة باربعة دنانير ذهبا وجئت اطلب الاجرة فاحتالت على وادخلتنى هذه الطبقة وقفلتها على ثم انهم صاروا يتحدثون مع بعضهم وسلوا الملك بالحديث وازالوا ما عنده من الانقباض فجاء جيران ذلك المنزل فرأوه خاليا فقال بعضهم لبعض بالامس كانت جارتنا زوجة فلان فيه والان لم نسمع فى هذا الموضع صوت احد ولانرى فيه انيسا فاكسروا هذه الابواب وانظروا حقيقة الامر لئلا يسمع الوالى او الملك فيسجننا فنكون نادمين على امر لم نفعله قبل ذلك ثم ان الجيران كسروا الابواب ودخلوا فرأوا خزانة من خشب ووجدوا فيها رجالا تئن من الجوع والعطش فقالوا لبعضهم هل جنى فى هذه الخزانة فقال واحد منهم نجمع لها حطبا ونحرقها بالنار فصاح عليهم القاضى وقال لا تفعلوا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة السادسة والتسعون بعد الخمسمائة

قـالت بلغني ايهـا الملك السعـيـد ان الجيـران لما ارادوا ان يحمـلوا الحطب ويحرقـوا الخـزانة صاح عـليهم القـاضى وقـال لا تفـعلوا ذلك فـقال الجيـران لبعـضـهم ان الجن يتصورون ويتكلمون بكلام الانـس فلما سمعهم القاضى قرأ شـيئا من القرآن العظيم ثم قال للجيـران ادنوا من الخزانة التى نحن فيهـا فلما دنوا منها قال لهـم انا فلان وانتم فلان وفلان ونحن هنا جماعـة فقال الجيران للقاضى ومن جاء بك هنا فاعلمنا بالخبر فاعلمهم بالخـبر من اوله الى اخـره فاحـضروا لهم نجـارا ففـتح للقاضى خـزانته وكـذلك الوالى والوزير والملك والنجار وكل منهم بالملبـوس الذى عليه فلما طلعوا نظر بعـضهم لبعض وصار كل منهم يضحك على الاخر ثم انهم خرجوا وطلبوا المرأة فلم يقفوا لها على خبر وقد اخذت جميع ما كان عليهم فارسل كل منهـم الى جماعته بطلب ثيابا فاحضروا لهم ملبوسا ثم خـرجوا مستورين به عنـد الناس فانظر يا مولانا الملك هذه المكيدة التى فـعلتها هذه المرأة مع هؤلاء القـوم وقد بلغـنى ايضا انه كـان رجل يتمـنى فى عمـره ان يرى ليلة القدر فنظر ليلة من الليالى الى السماء فرأى الملائكة وابواب السماء قد فتحت ورأى كل شئ سـاجدا فى مـحله فلما رأى ذلك قـال لزوجتـه يا فـلانه ان الله قداراني ليلة القـدر ونذرت ان رأيتها ان ادعو ثلاث دعوات مستجابات فانا اشاورك فماذا اقول فقالت المرأة قل اللهم كبرلى ايرى فقال ذلك فصارذكـره مثل ضرف القرع حتى صار ذلك الرجل لم يستطع القيام به وكانت زوجته اذا اراد ان يجامعها تهرب من موضع الى موضع فقال لها الرجل كيف الـعمل فهـذه منيتك لاجل شـهوتك فقـالت له انا ما اشتهى ان يبـقى بهذا الطول فـرفع الرجل رأسه الى السـمـاء وقال اللهـم انقـذنى من هذا الامـر وخلصنى منه فصـار الرجل ممسوحـا ليس له ذكر فلما رأتـه زوجته قـالت له ليس لى بك حاجـة حيث صـرت بلا ذكر فـقال لهـا هذا كله من شـؤم رأيك وسؤ تـدبيرك كـان لى عند الله ثلاث دعوات انال بها خيرى الدنيا والاخرة فذهبت دعوتان وبقيت دعوة واحدة فقالت له ادعو الله تعالى ان يردك على ما كنت عليـه اولا فدعا ربه فعاد كما كان فـهذا ايها الملك بسبب سوء تدبـير المرأة وانما ذكـرت لك ذلك لتتـحقق غـفلة النساء وسـخافـة عقولهـن وسوء تدبيرهن فلا تولها قـولها وتقتل ولدك مهجة قلبك وتمحو ذكـرك من بعدك فانتهى الملك

عن قتل ولده فلما كان فى اليوم السابع حضرت الجارية صارخة بين يدى الملك واضرمت نارا عظيمة فاتوا بها قدام الملك ماسكين باطرافها فقال لها الملك لماذا فعلت ذلك قالت له ان لم تنصفني من ولدك القيت نفسى فى هذه النار فقد كرهت الحياة وقبل حضورى كتبت وصيتى وتصدقت بمالي وعزمت على الموت فتندم كل الندم كما ندم الملك على عذاب حارسة الحمام فقال لها الملك وكيف كان ذلك فقالت له الجارية بلغنى ايها الملك ان امرأة كانت عابدة زاهدة ناسكة وكانت تدخل قصر ملك من الملوك يتبركون بها وكان لها عندهم حظ عظيم فدخلت يوما من الايام ذلك القصر على جرى عادتها وجلست بجانب زوجة الملك فناولتها عقد قيمته الف دينار وقالت لها يا جارية خذى هذا العقد عندك واحرسيه حتى اخرج من الحمام فاخذه منك وكان الحمام فى القصر فاخذته الجارية وجلست فى موضع فى منزل الملكة حتى تدخل الحمام الذى عندها فى المنزل وتخرج ثم وضعت ذلك العقد تحت السجادة وقامت تصلى فجاء طير واخذ ذلك العقد وجعله فى شق من زاويا القصر وقد خرجت الحارسة لحاجة تقضيها وترجع ولم تعلم بذلك فلما خرجت زوجة الملك من الحمام طلبت العقد من تلك الحارسة فلم تجده وجعلت تفتش عليه فلم تجد له خبرا ولم تقع له على اثر فصارت الحارسة تقول والله يا بنتى ما جاءنى احد وحين اخذته وضعته تحت السجادة ولم اعلم هل احد من الخدم عاينه واستغفلنى وانا فى الصلاة واخذه والعلم فى ذلك لله تعالى فلما سمع الملك بذلك امر زوجته ان تعذب الحارسة بالنار والضرب الشديد وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة السابعة والتسعون بعد الخمسمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الملك لما امر زوجته ان تعذب الحارسة بالنار والضرب الشديد عذبتها بانواع العذاب فلم تقر بشئ ولم تتهم احدا فبعد ذلك امر بسجنها وان يجعلوها فى القيود فحبست ثم ان الملك جلس يوما من الايام فى وسط القصر والماء محدق به وزوجته بجانبه فوقعت عينه على طير وهو يسحب ذلك العقد من شق من زاويا القصر فصاح على جارية عنده فادركت ذلك الطير واخذت العقد منه فعلم الملك ان الحارسة مظلومة فندم على ما فعل معها وامر باحضارها فلما حضرت

اخذ يقبل رأسـها ثم صار يبكي ويستغفـر ويتندم على مافعل معها ثم امـر لها بمال جزيل فابت ان تأخذه ثم سامحته وانصرفت من عنده واقسمت على نفسها انها لم تدخل منزل احد وساحت في الجبال والاودية وصارت تعبد الله تعالى الى ان ماتت وبلغني ايضا ايها الملك من كيد الرجال ان حمامتين ذكرا وانثى جمعا قمحا وشعيرا في عشهما ايام الشتاء فلما كان في زمن الصيف ضمـر الحب ونقص فقال الذكر للانثى انت اكلت ذلك الحب فصارت تقول لا والله ما اكلت منه شيئا فلم يصـدقها على ذلك وضربها باجنحته ونقرها بمنقاره الى ان قتلها فلما كان زمن البرد عاد الحب كما كان على حاله فعلم الذكر انه قتل زوجته ظلمـا وعدوانا وندم حيث لا ينفعه الندم فنـام في جانبها ينوح عليهـا ويبكي تأسفا وامتنع من الاكل والشـرب وضعف ولم يزل ضعيـفا الى ان مات وبلغني ايضا مـن كيد الرجال للنساء حكاية اعـجب من هؤلاء كلهم فقال لها الملك هات ما معك فقالت اعلم ايها الملك ان جـارية من جوار الملك ليس لها نظير في زمـانها في الحسن والجـمال والقد والاعتدال والبهـاء والدلال والاخذ بعقول الرجال وكانت تقـول ليس لي نظير في زماني وكان جمـيع اولاد الملوك يخطبونها فلم ترض ان تأخـذ واحدا منهم وكان اسمـها الدتما وكانت تقول لا يتـزوجني الا من يقهرني في حومة الميدان والضـرب والطعان فان غلبني احد تزوجته بطيب قلبي وان غلبـته اخذت فرسه وسلاحه وثيابه وكتـبت على جبهته هذا عتيق فلانة وكـان ابناء الملوك يأتون اليها من كل مكان بعيد وقريب وهي تغلبـهم وتعيبهم وتأخذ اسـلحتهـم وتسمهـم بالنار فسـمع بها ابن ملك من ملوك العـجم يقال له بـهرام فقصدها من مسـافة بعيدة واستصحب معه مالا وخـيلا ورجالا وذخائر من ذخائر الملوك حتى وصل اليها فلما حضر عندها ارسل الى والـدها هدية سنية فاقبل عليه الملك واكرمه غاية الاكرام ثم انه ارسل اليه مع وزرائه انه يريد ان يخطب بنـته فارسل اليه والدها وقال له ياولدي اما ابنتي الدتما فليس لي عليها حكم لانها اقسمت على نفسها انها لا تتزوج الا من يقهـرها في حومة الميـدان فقال له ابن الملك وانـا ما سافرت من مـدينتي الا على هذا الشرط فقال له الملك في غد تلتقي معها فلمـا جاء الغد ارسل والدها اليها واستأذنها فلما سمـعت تأهبت للحـرب ولبست آلة حـربها وخرجت الـى الميدان فخـرج ابن الملك الى لقائهـا وعزم على حربها فـتسامـعت الناس بذلك فاتت من كل مكان فحـضروا في ذلك اليوم وخـرجت الدتما وقد لبـست وتمنطقت وتنقبت فـبرز لها ابن الملـك وهو في احسن

حالة واتقن آلة من آلات الحرب واكمل عدة فحمل كل واحد منهما على الاخر ثم تجاولا طويلا واعتركا مليا فنظرت منه من الشجاعة والفروسية مالم تنظره من غيره فخافت على نفسها ان يخجلها بين الحاضرين وعلمت انه لا محالة غالبها فارادت مكيدته وعملت له الحيلة فكشفت عن وجهها واذا هو اضوء من البدر فلما نظر اليها ابن الملك اندهش فيه وضعفت قوته وبطلت عزيمته فلما نظرت ذلك منه حملت عليه واقتلعته من سرجه وصار فى يدها مثل العصفور فى مخلب العقاب وهو ذاهل فى صورتها لا يدرى ما يفعل به فاخذت جواده وسلاحه وثيابه ووسمته بالنار واطلقت سبيله فلما افاق من غشيته مكث اياما لا يأكل ولا يشرب ولا ينام من القهر وتمكن حب الجارية فى قلبه فصرف عبيده الى والده وكتب له كتابا انه لا يقدر ان يرجع الى بلده حتى يظفر بحاجته او يموت دونها فلما وصلت المكاتبة الى والده حزن عليه واراد ان يبعث اليه الجيوش والعساكر فمنعه الوزراء من ذلك وصبروه ثم ان ابن الملك استعمل فى حصول غرضه الحيلة فجعل نفسه شيخا هرما وقصد بستان بنت الملك لانها كانت اكثر ايامها تدخل فيه فاجتمع ابن الملك بالخولى وقال له اننى رجل غريب من بلاد بعيدة وكنت مدة شبابى والى الآن احسن الفلاحة وحفظ النبات والمشموم ولا يحسنه احد غيرى فلما سمعه الخولى فرح به غاية لفرح فادخله البستان ووصى عليه جماعة فاخذ فى الخدمة وتربية الاشجار والنظر فى مصالح اثمارها فبينما هو كذلك يوما من الايام واذا بالعبيد قد دخلوا الى البستان ومعهم البغال عليها الفرش والاوانى فسأل عن ذلك فقالوا له بنت الملك تريد ان تتفرج على ذلك البستان فمضى واخذ الحلى والحلل التى كانت معه من بلاده وجاء بها الى البستان وقعد فيه ووضع قدامه شيئا من تلك الذخائر وصار يرتعش ويظهر ان ذلك من الهرم وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الثامنة والتسعون بعد الخمسمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان ابن ملك العجم لما جعل نفسه شيخا كبيرا وقعد فى البستان حط بين يديه الحلى والحلل واظهر انه يرتعش من الكبر والهرم والضعف فلما كان بعد ساعة حضر الجوارى والخدم ومعهن ابنة الملك فى وسطهن كانها القمر بين النجوم فاقبلن وجعلن يدرن فى البستان ويقطعن الاثمار ويتفرجن فرأين رجلا قاعدا

تحت شجرة من الاشجـار فقصدنه وهو ابن الملك ونظرنه واذا به شيخ كبـير يرتعش بيده ورجليه وبين يديه حلى وذخائر من ذخائر الملوك فلمـا نظرنه تعجبن من امره فسألنه على هذا الحلى مـا يصنع به فقـال لهن هذا الحلى اريد ان اتزوج به واحدة منـكن فتضـاحكن عليه وقلن له اذا تزوجت ما تصنع بها فقال كنت اقبلها قبلة واحدة واطلقها فقالت له ابنة الملك قد زوجتك بهـذه الجارية فقام اليها وهو يتـوكأ على عصى ويرتعش ويتعثر فـقبلها ودفع لها ذلك الحلى والحلل ففرحت الجـارية وتضاحكن عليه ثم ذهبن الى منازلهن فلما كان فى اليوم الثانى دخلنا البستان وجئن نحـوه فوجدنه جالسا فى موضعه وبين يديه حلى وحلل اكثر من الاول فقعدن عنده وقلن له ايها الشيخ ما تصنع بهذا الحلى فقال اتزوج به واحدة منكن مثل البـارحة فقالت له ابنة الملك قد زوجـتك هذه الجارية فقام اليهـا وقبلها واعطـاها ذلك الحـلى والحلل وذهـبن الى منـزلهن فـلمـــا رأت ابنة المـلك الذى اعـطاه للجـوارى من الحلى والحلل قالت فى نفسهـا انا كنت احق بذلك ومـا على فى ذلك من باس فلما اصبح الصـباح خرجت من منزلها وحدها وهى فى صـورة جارية من الجوارى واخفت نفـسهـا الى ان اتت عند الشيخ فلمـا حضـرت بين يديه قالت له يا شـيخ انا ابنة الملك هل تريد ان تتـزوج بى فقال لـها حبـا وكرامـة واخرج لها من الحلى والحـلل ما هو اعلى قدرا واغلى ثمنا ثم دفعه اليها وقام ليقـبلها وهى آمنة مطمئنة فلما وصل اليها قبض عليهـا بشدة وضرب بها الارض وازال بـكارتها وقال لها مـا تعرفينى فـقالت له من انت فقـال لها انا بهـرام ابن ملك العجم قـد غيـرت صورتى وتغـربت عن اهلى ومملكتى من اجلك فقامت من تحته وهى ساكتـه لا ترد عليه جوابا ولاتبدى له خطابا مما اصابها وقالت فى نفسهـا ان قتلته فمـا يفيد قتله ثم تفكرت فـى نفسها وقالت مـا يسعنى فى ذلك الا ان اهرب معـه الى بلاده فجـمعت مـالها وذخائرها وارسـلت اليه واعلمتـه بذلك لاجل ان يتجـهز ايضا ويجـمع ماله وتعاهدا على ليلة يسـافران فيهـا ثم ركب الخيل الجيـاد وسارا تحت الليل فمـا اصبح الصبـاح حتى قطعا بلادا بعـيدة ولم يزالا سائرين حـتى وصلا الى بلاد العجم قرب من مدينة ابيه فلما سمع والده تلقاه بالعساكر والجنود وفرح غاية الفرح ثم بعد ايام قلائل ارسل الى والد الدتما هدية سنـية وكتب له كتابا يخبره فـيه ان بنته عنده ويطلب جهازها فلما وصـلت الهدايا اليه تلقاها واكرم من حضر بهـا غاية الاكرام وفرح بذلك فرحـا شديدا ثم اولم الولائم واحـضر القـاضى والشهود وكـتب كتابـها على ابن

الملك وخلع على الرسل الذين حضروا بالكتاب من عند ابن ملك العجم وارسل الى ابنته جهازها ثم اقام معها ابن ملك العجم حتى فرق الموت بينهما فانظر ايها الملك كيد الرجال للنساء وانا لم ارجع عن حقى الى ان اموت فامر الملك بقتل ولده فدخل عليه الوزير السابع فلما حضر بين يديه قبل الارض وقال ايها الملك امهلنى حتى اقول لك هذه النصيحة فان من صبر وتأنى ادرك الامل ونال ما تمنى ومن استعجل يحصل له الندم وقد رأيت ما تعهرته هذه الجارية من تحميل الملك على ركوب الاهوال والمملوك المغمور من فضلك وانعامك ناصح لك وانا ايها الملك اعرف من كيد النساء مالا يعرفه احد غيرى وقد بلغنى من ذلك حديث العجوز وولد التاجر فقال له الملك وكيف كان ذلك يا وزير فقال له الوزير بلغنى ايها الملك ان تاجرا كان كثير المال وكان له ولد يعز عليه فقال الولد لوالده يوما من الايام يا والدى اتمنى عليك امنية تفرج عنى بها فقال له ابوه وما هى يا ولدى حتى اعطيكها ولو كانت نور عينى لابلغك به مقصودك فقال له الولد اتمنى عليك ان تعطينى شيئا من المال اسافر به مع التجار الى بلاد بغداد لاتفرج عليها وانظر قصور الخلفاء لان اولاد التجار وصفوا لى ذلك وقد اشتقت ان انظر اليها فقال له والده يا بنى من له صبر على غيبتك فقال له الولد انا قلت لك هذه الكلمة ولابد من المسير اليها برضاء او بغير رضاء فقد وقع فى نفسى وجد لا يزول الا بالوصول اليها وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة التاسعة والتسعون بعد الخمسمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان ابن الملك قال لابيه لابد من السفر والوصول الى بغداد فلما تحقق منه ذلك جهز له متجرا بثلاثين الف دينار وسفره مع التجار الذين يثق بهم ووصى عليه التجار ثم ان والده ودعه ورجع الى منزله ومازال الولد مسافرا مع رفقائه التجار الى ان وصلوا الى مدينة بغداد دار السلام فلما بلغوها دخل الولد سوقها واكترى له دار حسنة مليحة اذهلت عقله وادهشت ناظره فيها الطيور تغرد والمجالس يقابل بعضها بعضا وارضها مرخمة بالرخام الملون وسقوفها مذهبة باللازورد المعدنى فسأل البواب عن مقدار اجرتها كم فى الشهر فقال له عشرة دنانير فقال له الولد هل انت

تقول حقا او تهزؤ بى فقال له البواب والله ما اقول الا حقا فان كل من سكن هذا الدار لا يسكنها الا جمعة أو جمعتين فقال له الولد وما السبب فى ذلك فقال له يا ولدى كل من سكنها لا يخرج منها الا مريضا او ميتا وقد اشتهرت هذه الدار بهذه الاشياء عند جميع الناس فلم يقدم احد على سكناها وقد قلت اجرتها لهذا القدر فلما سمع الولد ذلك تعجب منه غاية العجب وقال لابد ان يكون لهذا الدار سبب من الاسباب حتى يحصل فيها ذلك المرض او الموت ثم تفكر الولد فى نفسه واستعاذ بالله من الشيطان الرجيم وازال ذلك الوهم من خاطره وسكنها وباع واشترى ومضى عليه مدة ايام وهو مقيم فى الدار ولم يصبه شئ مما قاله ذلك البواب فبينما هو جالس يوما من الايام على باب الدار اذ مرت عليه عجوز شمطاء كأنها الحية الرقطاء وهى تكثر من التسبيح والتقديس وتزيل الحجارة والاذى من الطريق فرأت الولد جالسا على الباب فنظرت اليه وتعجبت من امره فقال لها الولد يامرأة هل تعرفيننى او تشبهين على فلما سمعت كلامه هرولت اليه وسلمت عليه وقالت له كم لك ساكنا فى هذه الدار فقال لها يا امى مدة شهرين فقالت من هذا تعجبت وانا يا ولدى لا اعرفك ولا تعرفنى ولا شبهت عليك بل انى تعجبت من انه لا احد غيرك يسكنها الا ويخرج منها ميتا او مريضا وما اشك فى انك يا ولدى مخاطر بشبابك هل لاطلعت القصر ولانظرت من المنظرة التى فيه ثم ان العجوز مضت الى حال سبيلها فلما فارقته العجوز صار الولد متفكرا فى كلامها وقال فى نفسه اناما طلعت اعلى القصر ولا اعلم ان به منظرة ثم دخل من وقته وساعته وجعل يطوف فى اركان البيت حتى رأى فى ركن منها بابا لطيفا معششا عليه العنكبوت بين الاشجار فلما رأه الولد قال فى نفسه لعل العنكبوت ما عشش على هذا الباب الا لان المنية داخله فتمسك بقول الله تعالى قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا ثم فتح ذلك الباب وطلع فى سلم لطيف حتى وصل الى اعلاه فرأى منظرة فجلس فيها يستريح ويتفرج فنظر الى موضع لطيف نظيف باعلاه مقعد منيف يشرف على جميع بغداد وفى ذلك المقعد جارية كأنها حورية فاخذت بمجامع قلبه وذهبت بعقله ولبه واورثته ضر ايوب وحزن يعقوب فلما نظرها الولد وتأملها بالتحقيق قال فى نفسه لعل الناس يذكرون انه لا يسكن هذه الدار واحد الا مات او مرض بسبب هذه الجارية فياليت شعرى كيف يكون خلاصى فقد ذهب عقلى ثم نزل من اعلى القصر متفكرا فى امره فجلس فى الدار فلم يستقر له قرار

حتى خرج وجلس على الباب متحيرا فى امره واذا بالعجوز ماشية وهى تذكر وتسبح فى الطريق فلما رأها الولد قام واقفا على قدميه وبدأها بالسلام والتحية وقال لها يا امى كنت بخير وعافية حتى اشرت على بفتح الباب فرأيت المنظرة وفتحتها ونظرت من اعلاها فرأيت ما ادهشني والان اظن انى هالك وانا اعلم انه ليس لى طبيب غيرك فلما سمعته ضحكت وقالت له لا بأس عليك ان شاء الله تعالى فلما كلمته بذلك الكلام قام الولد ودخل الدار وخرج لها وفى كفه مائة دينار وقال لها خذيها يا امى وعاملين معاملة السادات للعبيد وبالعجل ادركيني واذا مت فانت المطالبة بدمي يوم القيامة فقالت له العجوز حبا وكرامة وانما اريد منك يا ولدى ان تساعدنى بمعونة لطيفة فيها تبلغ مرادك فقال لها وما تريدين يا امى فقالت له اريد منك ان تعينني وتروح الى سوق الحرير وتسأل عن دكان ابى الفتح بن قيدام فاذا دلوك عليه فاقعد على دكانه وسلم عليه وقل له اعطنى القناع الذى عندك مرسوما بالذهب فان ما عنده فى دكانه احسن منه فاشتره منه يا ولدى باعلى ثمن واجعله عندك حتى احضر اليك فى غد ان شاء الله تعالى ثم ان العجوز انصرفت وبات الولد تلك الليلة ينقلب على جمر الغضا فلما اصبح الصباح اخذ الولد فى جيبه الف دينار وذهب بها الى سوق الحرير وسأل عن دكان ابى الفتح فاخبره به رجل من التجار فلما وصل اليه رأى بين يديه غلمانا وخدما وحشما ورأى عليه وقارا وهو فى سعة مال ومن تمام نعمته تلك الجارية التى ما مثلها عند ابناء الملوك ثم ان الولد لما نظره سلم عليه فرد عليه السلام ثم امره بالجلوس فجلس عنده فقال له الولد يا ايها التاجر اريد منك القناع الفلانى لانظره فامر التاجر العبدان يأتيه بربطة الحرير من صدر الدكان فاتاه بها ففتحها واخرج منها عدة قناعات فتحير الولد من حسنها ورأى ذلك القناع بعينه فاشتراه من التاجر بخمسين دينارا وانصرف به مسرورا الى داره وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الموفية للستمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الولد لما اشترى القناع من التاجر اخذه وانصرف به الى داره واذا هو بالعجوز قد اقبلت فلما رأها قام لها على قدميه واعطاها ذلك القناع ثم

قالت له احضر لى جمرة نار فاحضر الولد النار فقربت طرف القناع من الجمرة فاحرقت طرفه ثم طوته كما كان واخذته وانصرفت به الى بيت ابى الفتح فلما وصلت طرقت الباب فلما سمعت الجارية صوتها قامت وفتحت لها الباب وكان للعجوز صحبة بام الجارية وهى تعرفها وذلك بسبب انها رفيقة امها فقالت لها الجارية وما حاجتك يا امى وان والدتى خرجت من عندى الى منزلها فقالت لها العجوز يا بنتى انا عارفة ان امك ليست عندك وانا كنت عندها فى الدار وما جئت اليك الا خوف فوات وقت الصلاة فاريد الوضوء عندك فانى اعلم منك انك نظيفة ومنزلك طاهر فاذنت لها الجارية بالدخول عندها فلما دخلت سلمت عليها ودعت لها ثم اخذت الابريق ودخلت بيت الخلا ثم توضأت وصلت فى موضع وقامت بعد ذلك للجارية وقالت لها يا بنتى اظن ان هذا الموضع الذى صليت فيه مشى فيه الخدم وانه نجس فانظرى لى موضعا آخر لاصلى فيه فانى ابطلت الصلاة التى صليتها فاخذتها الجارية من يدها وقالت لها يا امى تعالى صلى على فرشى الذى يجلس عليه زوجى فلما اوقفتها على الفرش قامت تصلى وتدعو وتركع ثم غافلت الجارية وجعلت ذلك القناع تحت المخدة من غير ان تنظرهاولما فرغت من الصلاة دعت لها وقامت فخرجت من عندها فلما كان آخر النهار دخل التاجر زوجها فجلس على الفرش فاتته بطعام فاكل منه كفايته وغسل يديه ثم اتكئ على الوسادة واذا بطرف القناع خارج من تحت المخدة فاخرجه من تحتها فلما نظره عرفه فظن بالجارية الفحشاء فناداها وقال لها من اين لك هذا القناع فحلفت له ايمانا وقالت له انه لم يأتى احد غيرك فسكت التاجر خوفا من الفضيحة وقال فى نفسه متى فتحت هذا الباب افتضحت فى بغداد لان ذلك التاجر كان جليس الخليفة فلم يسعه الا السكوت ولم يخاطب زوجته بكلمة واحدة وكان اسم الجارية محظية فناداها وقال لها قد بلغنى ان امك راقدة ضعيفة من وجع قلبها وجميع النساء عندها يتباكين عليها وقد امرتك ان تخرجى اليها فمضت الجارية الى امها فلما دخلت الدار وجدت امها طيبة فجلست ساعة واذا بالحمالين قد اقبلوا عليها بنقل حوايجها من دار التاجر فنقلوا جميع ما فى الدار من الامتعة فلما رأت ذلك امها قالت يا بنتى اى شئ جرى لك فانكرت منها ذلك

ثم بكت امها وحزنت على فراق بنتها من ذلك الرجل ثم ان العجوز وبعد مدة من الايام جاءت الى الجارية وهى فى المنزل فسلمت عليها باشتياق وقالت لها مالك يا بنتى يا حبيبتى قد شوشت فكرى ودخلت على ام الجارية فقالت لها يا اختى ما الخبر وما حكاية البنت مع زوجها فانه قد بلغنى انه طلقها فاى شئ لها من الذنب يوجب هذا كله فقالت لها ام الجارية لعل زوجها يرجع اليها ببركتي فادعى لها يا اختى فانك صوامة قوامة طول ليلك ثم ان البنت لما اجتمعت هى وامها والعجوز فى البيت وتحدثن مع بعضهن قالت لها العجوز يا ابنتى لا تحملى هما ان شاء الله تعالى اجمع بينك وبين زوجك فى هذه الايام ثم خرجت الى الولد وقالت له هيئ لنا مجلسا مليحا فانى آتيك بها فى هذه الليلة فنهض الولد واحضر ما يحتجن اليه من الاكل والشرب وقعد فى انتظارهما فجاءت العجوز الى ام الجارية وقالت لها يا اختى عندنا فرح فارسلى البنت معى للتفرج ويزول ما بها من الهم والغم ثم ارجع بها اليك مثل ما اخذتها من عندك فقامت ام الجارية والبستها افخر ملبوسها وزينتها باحسن الزينة من الحلى والحلل وخرجت مع العجوز وذهبت امها معها الى الباب وصارت توصى العجوز وتقول لها احذرى ان ينظرها احد من خلق الله تعالى فانك تعلمين منزلة زوجها عند الخليفة ولا تتعوقى وارجعى بها فى اسرع وقت فاخذتها العجوز الى ان وصلت بها الى منزل الولد والجارية تظن انه منزل العرس فلما دخلت الدار ووصلت الى قاعة الجلوس وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الأولى بعد الستمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الجارية لما دخلت الدار ووصلت الى قاعة الجلوس وثب الولد اليها وعانقها وقبل يديها ورجليها فاندهشت الجارية من حسن الولد وتخيلت ان ذلك المكان وجميع ما فيه من مشموم ومأكول ومشروب منام فلما نظرت العجوز اندهاشها قالت لها اسم الله عليك يا بنتى فلا تخافى وانا قاعدة لا افارقك ساعة واحدة وانت تصلحين له ويصلح لك فقعدت الجارية وهى فى شدة الخجل فلم يزل الولد يلاعبها ويضاحكها ويؤانسها بالاشعار والحكايات حتى انشرح صدرها وانبسطت

فاكلت وشربت ولما طاب لها الشراب اخذت العود وغنت ـ ولحسن الولد مالت وحنت ـ فلما رأى الولد منها ذلك سكر من غير مدام وهانت عليه روحه وخرجت العجوز من عندهما ثم اتتهما فى الصباح وصبحت عليهما ثم قالت للجارية كيف كانت ليلتك يا سيدتى فقالت لها كانت طيبة بطول اياديك وحسن تعريصك ثم قالت لها قومى نروح الى امك فلما سمع الولد كلام العجوز اخرج لها ماثة دينار وقال لها خليها عندى هذه الليلة فخرجت العجوز من عندهما ثم ذهبت الى والدة الجارية وقالت لها بنتك تسلم عليك وام العروسة قد حلفت عليها انها تبيت عندها هذه الليلة فقامت لها امها يا اختى سلمى عليهما واذا كانت الجارية منشرحة لذلك فلا بأس ببياتها حتى تبسط وتجئ على مهلها فاتى ما اخاف عليها الامن القهر من جهة زوجها ومازالت العجوز تعمل لام الجارية حيلة بعد حيلة الى ان مكثت سبعة ايام وكل يوم تأخذ من الولد مائة دينار فلما مضت هذه الايام قالت ام الجارية للعجوز هاتى لى بنتى فى هذه الساعة فان قلبى مشغول عليها وقد طالت مدة غيبتها وتوهمت من ذلك فخرجت العجوز من عندها غضبانة من كلامها ثم جاءت الى الجارية ووضعت يدها فى يدها ثم خرجتا من عند الولد وهو نائم على فراشه من سكر المدام الى ان وصلتا الى ام الجارية فالتفتت امها اليها ببسط انشراح وفرحت بها غاية الفرح وقالت لها يا بنتى ان قلبى مشغول بك ووقعت فى حق اختى بكلام او جعتها به فقالت لها قومى وقبلى يديها ورجليها فانها كانت لى كالخادم فى قضاء حاجتى وان لم تفعلى ما امرتك به فما انا بنتك ولا انت امى فقامت من وقتها وصالحتها ثم ان الولد قام من سكره فلم يجد الجارية لكنه استبشر بماناله لما بلغ مقصودة ثم ان العجوز ذهبت الى الولد وسلمت عليه وقالت له ماذا رأيت من فعالى فقال لها نعم ما فعلتيه من الرأى والتدبير ثم قالت له تعال لنصلح ما افسدناه ونرد هذه الجارية الى زوجها فاننا كنا سبب الفراق بينهما فقال لها وكيف افعل قالت تذهب الى دكان التاجر وتقعد عنده وتسلم عليه وانا افوت على الدكان فلما تنظرنى قم الى من الدكان بسرعة واقبض على واجذبنى من ثيابى واشتمنى وخوفنى وطالبنى بالقناع وقل للتاجر انت يا مولاى ما تعرف القناع الذى اشتريته منك بخمسين دينارا فقد حصل ياسيدى ان جاريتى

لبسته فاحتـرق منها موضع من طرفه فاعطته جاريتى لهذه العجـوز تعطيه لاحد يرفوه لها فاخذته ومضت ولـم ارها من ذلك اليوم فقـال لها الولد حبا وكرامة ثم ان الولد تمشى من وقته وساعته الى دكان التاجر وجـلس عنده ساعة واذا بالعجوز جائزة على الدكان وبيدها سبحـة تسبح بها فلما رآها قـام على رجليه من الدكان وجذبها مـن ثيابها وصار يشتـمها ويسبهـا وهى تكلمه بلطافة وتقـول له يا ولدى انت معذور فاجـتمع اهل السوق عليـهما وقالوا مـا الخبـر فقال يا قـوم اننى اشتـريت من هذا التاجر قـناعا بخمـسين دينار ولبسـته الجارية سـاعة واحـدة فقعـدت تبخره فطـارت شرارة فاحـرقت طرفه فدفـعناه الى هذه العجوز على انها تعطيه لمن يرفوه وترده لنا فمن ذلك الوقت مارأيناها ابدا فقالت العجوز صدق هذا الولد نعم انى اخـذته منه ودخلت به بيتا من البيوت التـى ادخلها على عادتى فنسيته فى موضع من تلك الاماكن ولم ادر فى اى مـوضع هو وانا امرأة فقيرة خفت من صاحبـه فلم اواجهه كل هذا والتاجر زوج المرأة يسـمع كلامها وادرك شهـرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الثانية بعد الستمائة

قالت بلغنى ايهـا الملك السعيـد ان الولد لما قبض على العـجوز كلمهـا من قبل القناع كما علمتـه كان التاجر زوج المرأة يسمع الكلام من اوله الى آخره فلمـا اطلع التاجر على الخبر الذى دبرته هذه العجوزا لما كره مع الولد قام التـاجر على قدميه ثم قال الله اكبر انى استغفر الله العظيم من ذنوبى وما توهمه خاطرى وحمدا لله الذى كشف له عن الحقيقة ثم اقبل الـتاجر وقـال لها هل تدخـلين عندنا فقـالت له يا ولدى انا دخل عندك وعند غـيرك لاجل الحسنة ومن ذلك اليوم لم يعطنى احـد خبر ذلك القناع فقال لها الـتاجر هل سالت احدا عنه فى بيتنا فقالت له يا سيدى اننى رحت البيت وسالت فقالوا لى ان اهل البيت قد طلقها التـاجر فرجعت ولـم اسال احـدا بعد ذلك الى هذا اليوم فالتـفت التاجر الى الولد وقال له اطلق سبـيل هذه العجوز فان القناع عندى واخرجه من الدكـان واعطاه لرفا قدام الحاضرين ثم بعد ذلك ذهب الى زوجـته واعطاها شيئا من المال وراجعهـا الى نفسه بعد ان بالغ فى الاعتـذار اليها واستـغفر الله وهو لا يدرى بما فـعلت العجوز فهـذا من جملة

كيد النساء ايها الملك ثم قال الوزير وقد بلغني ايضا ايها الملك ان بعض اولاد الملوك خرج منفرد بنفسه ليتفرج فمر بروضة خضراء ذات اشجار واثمار واطيار وانهار تجرى خلال تلك الروضة فاستحسن الولد ذلك الموضع وجلس فيه واخرج شيئا من النقل الذى كان معه وجعل يأكل فيه فبينما هو كذلك اذراى دخانا عظيما طالعا الى السماء من ذلك المكان فخاف ابن الملك وقام فصعد على شجرة من الاشجار واختفى فيها فلما طلع فوقها راى عفريتا طلع من وسط ذلك النهر وعلى رأسه صندوق من الرخام وعليه قفل فوضعه فى تلك الروضة وفتح ذلك الصندوق فخرجت منه جارية كانها الشمس الضاحية فى السماء الصاحية وهى من الانس فاجلسها بين يديه يتفرج عليها ثم حط رأسه على حجرها فنام فاخذت رأسه وحطتها على الصندوق وقامت تتمشى فلاح منها نظرة الى تلك الشجرة فرأت ابن الملك فاومت اليه بالنزول فامتنع من النزول فاقسمت عليه وقالت له ان لم تنزل وتفعل بى الذى اقوله لك نبهت العفريت من النوم واعلمته بك فيهلكك من ساعتك فخاف الولد منها فنزل فلما نزل قبلت يديه ورجليه وراودته على قضاء حاجتها فاجابها الى سؤالها فلما فرغ من قضاء حاجتها قالت له اعطنى هذا الخاتم الذى بيدك فاعطاها الخاتم فصرته فى منديل حرير كان معها وفيه عدة من الخواتم تفوق عن ثمانين وجعلت ذلك الخاتم من جملتها فقال لها ابن الملك وما تصنعين بهذه الخواتم التى معك فقالت له ان هذا العفريت اختطفنى من قصر ابى وجعلنى فى هذا الصندوق وقفل على بقفل معه ووضعنى فيه على رأسه حيث ما توجه ولا يكاد يصبر عنى ساعة واحدة من شدة غيرته على ويمنعنى مما اشتهيه فلما رأيت ذلك منه حلفت انى لا امنع احدا من وصالى وهذه الخواتم التى معى على قدر عدة الرجال الذين واصلونى لان كل من واصلنى آخذ خاتمه فاجعله فى هذا المنديل ثم قالت له توجه الى حال سبيلك لانتظر احدا غيرك فانه لم يقم فى هذه الساعة فاصدق الولد ابن الملك بذلك وانصرف الى حال سبيله حتى وصل الى منزل ابيه والملك لم يعلم بكيد الجارية لابنه ولم تخف من ذلك ولم تحسب له حسابا فلما سمع الملك ان خاتم ولده ضاع امر ان يقتل ذلك الولد ثم قام من موضعه فدخل قصره واذا بالوزراء رجعوه عن قتل ولده فلما كان ذات ليلة

ارسل الملك الى الوزراء يدعوهم فحضروا جميعا فقام اليهم الملك وتلقاهم وشكرهم على ما كان منهم من مراجعته عن قتل ولده وكذلك شكرهم الولد وقال لهم نعم ما دبرتم الى والدى فى بقاء نفسى وسوف اجازيكم بخير ان شاء الله تعالى ثم ان الولد بعد ذلك اخبرهم بسبب ضياع خاتمه فدعوا له بطول البقاء وعلوا الارتقاء ثم انصرفوا من المجلس فانظر ايها الملك كيد النساء وما تفعله فى الرجال فرجع الملك عن قتل ولده فلما اصبح الصباح جلس والده وفى اليوم الثامن فدخل عليه ولده ويده فى يد مؤدبه السندباد وقبل الارض بين يديه ثم تكلم بافصح لسان ومدح والده ووزرائه وارباب دولته وشكرهم واثنى عليهم وكان حاضرا بالمجلس العلماء والامراء والجند واشراف الناس فتعجب الحاضرون من فصاحة ابن الملك وبلاغته وبراعته فى نطقه فلما سمع والده ذلك فرح به فرحا شديدا زائدا ثم ناداه وقبله بين عينيه ونادى مؤدبه السندباد سأله عن سبب صمت ولده مدة السبعة ايام فقال له المؤدب يا مولانا الاصلاح فى انه لا يتكلم فانى خشيت عليه من القتل فى تلك المدة وكنت يا سيدى اعرف هذا الامر يوم ولادته فانى لما رأيت طالعه دانى على جميع ذلك وقد زال عنه السوء بسعادة الملك ففرح الملك بذلك وقال لوزرائه لو كنت قتلت ولدى هل يكون الذنب على او على الجارية او على المؤدب السندباد فسكت الحاضرون عن رد الجواب فقال مؤدب الولد السندباد لولد الملك رد الجواب يا ولدى وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الثالثة بعد الستمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان السندباد لما قال لابن الملك رد الجواب يا ولدى قال ابن الملك انى سمعت رجلا من التجار حل به ضيف فى منزله فارسل جاريته لتشترى له من السوق لبنا فى جرة فاخذت اللبن فى جرتها وطلبت الرجوع إلى منزل سيدها فبينما هى فى الطريق اذ مرت عليها حدأة طائرة وفى مخلبها حية تعصرها به فقطرت نقطة من الحية فى الجرة وليس عند الجارية خبر بذلك فلما وصلت إلى المنزل اخذ السيد منها اللبن وشرب منه هو وضيوفه فما استقر اللبن فى جوفهم حتى ماتوا جميعا فانظر ايها الملك لمن كان الذنب فى هذه القضية فقال أحد الحاضرين الذنب لجماعة الذين شربوا

وقال آخر الذنب للجارية التى تركت الجرة مكشوفة من غير غطا فقال السندباد مؤدب الغلام ما تقول انت فى ذلك يا ولدى فقال ابن الملك اقول ان القوم اخطؤا ليس الذنب للجارية ولا للجماعة وانما اجال القوم فرغت مع ارزاقهم وقدرت ميتتهم بسبب ذلك الامر فلما سمع ذلك الحاضرون تعجبوا منه غاية العجب ورفعوا اصواتهم بالدعاء لابن الملك وقالوا يا له يامولانا قد تكلمت بجواب ليس له نظير وانت عالم اهل زمانك الان فلما سمعهم ابن الملك قال لهم انى لست بعالم وان الشيخ الاعمى وابن الثلاث سنين وابن الخمس سنين اعلم منى فقال له الجماعة الحاضرون حدثنا بحديث هؤلاء الثلاثة الذين هم اعلم منك يا غلام فقال لهم ابن الملك بلغنى انه كان تاجر من التجار كثير الاموال والاسفار الى جميع البلدان فاراد المسير الى بعض البلدان فسأل من جاء منها وقال لهم اى بضاعة فيها كثيرة المكسب فقالوا له حطب الصندل فانه فيها يباع غاليا فاشترى التاجر بجميع ما عنده من المال حطب صندل وسافر الى تلك المدينة فلما وصل اليها كان قدومه اليها آخر النهار واذا بعجوز تسوق غنما لها فلما رات التاجر قالت له من انت ايها الرجل فقال لها انا رجل تاجر غريب فقالت له احذر من اهل البلد فانهم قوم مكارون لصوص وانهم يخدعون الغريب ليظفروا به ويأكلوا ما كان معه وقد نصحتك ثم فارقته فلما اصبح الصباح تلقاه رجل من اهل المدينة فسلم عليه وقال له يا سيدى من اين قدمت فقال له قدمت من البلد الفلانية قال له ما حملت معك من التجارة قال له خشب صندل فانى سمعت ان له قيمة عندكم فقال له الرجل لقد اخطأ من اشار عليك بذلك فاننا لم نوقد تحت القدر الا بذلك الحطب الصندل فقيمته عندنا هو والحطب سواء فلما سمع التاجر كلام الرجل تاسف وندم وصار بين مصدق ومكذب ثم نزل ذلك التاجر فى بعض خانات المدينة يقيد بالصندل تحت القدر فلما راه الرجل قال له اتبيع هذا الصندل كل صاع بما تريده نفسك فقال له بعتك فحول الرجل جميع ما عنده من الصندل فى منزله وقصد البائع ان ياخذ ذهبا بقدر ما يأخذ المشترى فلما اصبح الصباح تمشى التاجر فى المدينة فلقيه رجل ازرق العينين من اهل تلك المدينة وهو اعور فتعلق بالتاجر وقال له انت الذى اتلفت عينى فلم اطلقك ابدا فانكر التاجر ذلك وقال له ان هذا الامر لا يتم فاجتمع الناس عليهما وسألوا الاعور المهلة الى غد ويعطيه ثمن عينه

فاقـام الرجل التاجر له ضامنا حـتى اطلقوه ثم مضى التـاجر وقد انقطع نعله من مـجاذبة الرجل الاعـور فوقف عـلى دكان الاسكافى ودفـعـه له وقال له اصلـحه ولك عندى مـا يرضيك ثم انصرف عنه واذا بقوم قاعدين يلعـبون فجلس عندهم من الهم والغم فسألوه اللعب فلعب مـعهم فاوقـعوا عليه الغلب وغلبـوه وخيروه امـا ان يشرب البحـر واما ان يخرج من ماله جميعا فقام التاجر وقال امهلونى الى غد ثم مضى التاجر وهو مغموم على ما فعل ولايدرى كيف يكون حاله فقعد فى موضع متـفكرا مغموما مهموا واذا بالعجوز جائزة عليه فنظرت نحو التاجر فقالت له لعل اهل

المدينة ظفروا بك فانى اراك مهـموما من الذى اصابك فحكى لها جـميع ما جرى من اوله الى اخره قـالت له من الذى عمل عـليك فى الصندل فان الصندل عندنا قـيمـته كل رطل بعشرة دنانير ولكن انا ادبر لك رأيا ارجوا به ان يكون خلاص نفسك وهو ان تسير نحو الباب الفلانى فان فى ذلك الموضع شـيخا اعمى مقعدا وهو عالم عارف كـبير خبير وكل الناس تحضر عنده يسألونه عن ما يريدونه فيشير اليهم بما يكون لهم فيه الصلاح لانه عارف بالمكر والسحـر والنصب وهو شاطر فـتجـتمع الشطار عنده بالليل فـاذهب عنده واخف نفـسك من غرمـائك بحـيث تسمع كـلامـهم ولا يرونك فانه يخـبـرهم بالغالبـة والمغلوبة لعلك تسمع منه حجة تخلصك من غرمـائك وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الرابعة بعد الستمائة

قالت بلغنى ايها الملك السـعيد ان العجوز قالت للتـاجر اذهب الليلة الى العالم الذى يجـتمع عليـه اهل البلد واخف نفـسك لعلك تسـمع منه حـجة تخـلصك من غرمـائك فانصـرف التاجر من عندها الى الموضع الذى اخبـرته به واخفى نفسـه ثم نظر الى الشيخ وجلس قريبا منه فما كان الا ساعة وقد حضر جماعته الذين يتحاكمون عنده فلما صاروا بين يدى الشيخ سلمـوا عليه وسلم بعضهم على بعـض وقعدوا حوله فلما رآهـم التاجر وجد غرماءه الاربعة من جملة الذين حضروا فـقدم لهم الشيخ شيئا من الاكل فاكلوا ثم قبل كل واحد منهم يخبـره بما جرى له فى يومه فتقدم صاحـب الصندل واخبر الشيخ بما جرى له فى يومه من انه اشترى صندلا من رجل بغير قيمته واستقر البيع بينهما على ملئ

صاع مما يحب فقال له الشيخ قد غلبك خصمك فقال له وكيف يغلبنى قال الشيخ فاذا قال لك انا اخذ ملأه ذهبا او فضة فهل انت تعطيه قال نعم اعطيه وانا اكون الرابح فقال له الشيخ فاذا قال لك انا اخذ ملأ صاع براغيث النصف ذكور والنصف اناث فماذا تصنع فعلم انه مغلوب ثم تقدم الاعور وقال يا شيخ انى رأيت اليوم رجلا ازرق العينين وهو غريب البلاد فتقاويت عليه وتعلقت به وقلت له انت قد اتلفت عينى وما تركته حتى ضمنه لى جماعة انه يعود الى ويرضينى فى عينى فقال له الشيخ لو اراد غلبك لغلبك قال وكيف يغلبنى قال يقول لك اقلع عينك وانا اقلع عينى ونزن كل منهما فان تساوت عينى بعينك فانت صادق فيما ادعيته ثم تغرم دية عينه وتكون انت اعمى ويكون هو بصيرا بعينه الثانية فعلم انه يغلبه بهذه الحجة ثم تقدم الاسكافى وقال له يا شيخ انى رايت اليوم رجلا اعطانى نعله وقال لى اصلحه فقلت له الم تعطنى الاجرة فقال لى اصلحه ولك عندى ما يرضيك وانا لا يرضينى الا جميع ماله فقال له الشيخ اذا اراد اخذ نعله منك ولا يعطيك شيئا اخذه فقال له وكيف ذلك قال يقول لك ان السلطان هزمت اعداؤه وضعفت اضداده وكثرت اولاده وانصاره ارضيت املافان قلت رضيت اخذ نعله منك وانصرف وان قلت لا اخذ نعله وضرب به وجهك وقفاك فعلم انه مغلوب ثم تقدم الرجل الذى لعب معه بالمراهنة وقال له يا شيخ انى لقيت رجلا فراهنته وغلبته فقلت له ان شربت هذا البحر فانا اخرج عن جميع مالى لك وان لم تشربه فاخرج عن جميع مالك لى فقال له الشيخ لو اراد غلبك لغلبك فقال له وكيف ذلك قال يقول لك امسك لى فم البحر بيدك وناوله لى وانا اشربه فلا تستطيع ويغلبك بهذه الحجة فلما سمع التاجر ذلك عرف ما يحتج به على غرمائه ثم قاموا من عند الشيخ وانصرف التاجر الى محله فلما اصبح الصباح اتاه الذى راهنه على شرب البحر فقال له التاجر ناولنى فم البحر وانا اشربه فلم يقدر فغلبه التاجر وفدى الراهن نفسه بمائة دينار وانصرف ثم جاءه الاسكافى وطلب منه ما يرضيه فقال له التاجر ان السلطان غلب اعدائه واهلك اضداده وكثرت اولاده ارضيت ام لا قال له نعم رضيت فاخذ مركوبه بلا اجرة وانصرف ثم جاءه الاعور وطلب منه دية عينه فقال له التاجر اقلع عينك وانا اقلع عينى ونزنهما فان استوتا فانت صادق فخذ دية عينك فقال له الاعور امهلنى ثم صالح التاجر على مائة دينار وانصرف ثم جاءه الذى اشترى الصندل فقال له خذ ثمن صندلك فقال له اى شئ

تعطيني فقال له قد اتفقنا على ان صاعا صندلا بصاع من غيره فان اردت خذ ملأ ذهبا اوفضة فقال له التاجر انا لا اخذ الا ملأه براغيث النصف ذكور والنصف اناث فقال له انا لا اقدر على شئ من ذلك فغلبه التاجر وفدى المشترى نفسه منه بمائة دينار وبعد ان رجع له صندله وباع التاجر الصندل كيف اراد وقبض ثمنه وسافر من تلك المدينة الى بلده وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الخامسة بعد الستمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الرجل التاجر لما باع صندله وقبض ثمنه سافر من تلك المدينة الى مدينة ثم قال ابن الملك واما ابن الثلاث سنين فانه كان رجل فاسق مغرم بالنساء قد سمع بامرأة ذات حسن وجمال وهى ساكنة فى مدينة غير مدينته فسافر الى المدينة التى هى فيها واخذ معه هدية وكتب لها رقعة يصف لها شدة ما يقاسيه من الشوق والغرام وقد حمله حبه اياها على المهاجرة اليها والقدوم عليها فاذنت له فى الذهاب اليها فلما وصل الى منزلها ودخل عليها قامت له على قدميها وقد تلقته بالاكرام والاحترام وقبلت يديه وضيفته ضيافة لا مزيد عليها من المأكول والمشروب وقد كان لها ولد صغير له من العمر ثلاث سنين فتركته واشتغلت بطهى الطبايخ فقال لها الرجل قومى بنا ننام فقالت له ان ولدى قاعد ينظرنا فقال لها هذا ولد صغير لا يفهم ولا يعرف ان يتكلم فقالت له لو علمت معرفته ما تكلمت فلما علم الولد ان الارز استوى بكى بكا شديدا فقالت له امه ما يبكيك يا ولدى فقال لها اغرفى لى من الارز واجعلى لى فيه سمنا فغرفت له وجعلت عليه السمن فاكل الولد ثم بكى ثانيا فقالت له امه ما يبكيك يا ولدى فقال لها يا اماه اجعلى لى عليه سكرا فقال له الرجل وقد اغتاظ منه ما انت الا ولد مشئوم فقال له الولد والله ما مشئوم الا انت حيث تعبت وسافرت من بلد الى بلد فى طلب الزنا واما انا فبكائى من اجل شئ كان فى عينى فاخرجته بالدموع واكلت بعد ذلك ارزا وسمنا وسكرا وقد اكتفيت فمن المشئوم منا فلما سمعه الرجل خجل من كلام ذلك الولد الصغير ثم ادركته الموعظة فتأدب من وقته وساعته ولم يتعرض لها بشئ وانصرف الى بلده ولم يزل تائبا الى ان مات ثم قال ابن الملك واما ابن الخمس سنين فانه بلغنى ايها الملك ان اربعة من التجار اشتركوا فى الف دينار وقد خلطوها بينهم وجعلوها فى كيس

واحد فذهبوا بها ليشتروا بضاعة فلقوا فى طريقهم بستانا حسنا فدخلوه وتركو الكيس عند حارسة ذلك البستان فلما دخلوا تفرجوا فى ناحية البستان فاكلوا وشربوا وانشرحوا فقال واحد منهم انا معى طيب تعالوا نغسل رؤسنا من هذا الماء الجارى ونتطيب قال اخر نحتاج الى مشط قال آخر نسأل الحارسة لعل ان يكون عندها مشط فقام واحد منهم الى الحارسة وقال لها ادفعى لى الكيس فقالت له حتى تحضروا كلكم او يأمرنى رفقاؤك ان اعطيك اياه وكان رفقاؤه فى مكان بحيث تراهم الحارسة وتسمع كلامهم فقال الرجل لرفقائه ما هى راضية ان تعطينى شيئا فقالوا لها اعطه فلما سمعت كلامهم اعطته الكيس فاخذه الرجل وخرج هاربا منهم فلما ابطأ عليهم جاؤا الى الحارسة وقالوا لها مالك لم تعطيه المشط قالت لهم ما طلب منى الا الكيس ولم اعطه اياه الا باذنكم وخرج من هنا الى حال سبيله فلما سمعوا كلام الحارسة لطموا على وجوههم وقبضوا عليها بايديهم وقالوا لها نحن ما اذناك الا باعطاء المشط فقالت لهم ما ذكر لى مشطا فقبضوا عليها ورفعوها الى القاضى فلما حضروا بين يديه قصوا عليه القصة فالزم الحارسة بالكيس والزم بها جماعة من غرمائها وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة السادسة بعد الستمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان القاضى لما لزم الحارسة بالكيس والزم بها جماعة من غرمائها خرجت وهى حيرانة لم تعرف طريقا فلقيها غلام له من العمر خمس سنين فلما رأها الغلام وهى حيرانة قال لها ما بالك يا اماه فلم ترد عليه جوابا واستحقرته لصغر سنه فكرر عليها الكلام اولا وثانيا وثالثا فقالت له ان جماعة دخلوا على البستان ووضعوا عندى كيسا فيه الف دينار وشرطوا على انى لا اعطى احد الكيس الا بحضرتهم كلهم ثم دخلوا البستان يتفرجون ويتنزهون فيه فخرج واحد منهم وقال لى اعطينى الكيس فقلت له حتى يحضر رفقاؤك فقال لى قد اخذت الاذن منهم فلم ارض ان اعطيه الكيس فصاح على رفقائه وقال لهم ما هى راضية ان تعطينى شيئا فقالوا لى اعطيه وكانوا بالقرب منى فاعطيته الكيس فاخذه وخرج الى حال سبيله فاستبطأه رفقاؤه فخرجوا الى وقالوا لاى شئ لم تعطه المشط فقلت لهم ما ذكر لى مشطا وما ذكر لى الا الكيس فقبضوا على ورفعونى الى القاضى والزمنى بالكيس فقال لها الغلام اعطينى درهما اخذ به حلاوة وانا

اقول لك شيئا يكون لك فيه الخلاص فاعطته الحارسة درهما وقالت له ما عندك من القول فقال لهـا الغلام ارجعي الى القاضي وقولي له كـان بيني وينهم اني الا اعطيهم الكيس الا بحضرتـهم الاربعة قال فرجعـت الحارسة الى القاضي وقالـت له ما قاله لها الغـلام فقال لهم القاضي اكـان بينكم وبينها هكذا قالوا نعم فقـال لهم القاضي احضروا الـى رفيقكم وخذوا الكيس فخرجت الحارسة سالمة ولم يحصـل لها ضرر وانصرفت الى حال سبيلها فلمـا سمع الملك كـلام ولده والوزراء ومن حـضر ذلك المجلس قـالوا للملك يا مـولانا الملك ان ابنك هذا ابرع اهل زمانه فدعوا له وللـملك فضم الملك ولده الى صدره وقبله بين عينيه وساله عن قضيته مع الجارية فحلف ابن الملك بالله العظيم وبنبيه الكريم انها هي التي راودته على نفسه فصدقه الملك في قوله وقال له قد حكمتك فيها ان شئت فاقتلها او فافعل فيهـا ما تشاء فقال الولد لابيه انفيهـا من المدينة وقعد ابن الملك مع والده في ارغد عيـش واهناه الى ان اتاهم هادم اللذات ومفـرق الجمـاعات وهذا آخـر ما انتـهى الينا من قصة الملك وولده والجارية والوزراء السـبعة وبلغني ايضا ان رجلا تاجرا اسمـه عمر قد خلف من الذرية ثلاثة اولاد احدهم يسمى سالما والاصغر يسمى جودرا والاوسط يسمى سليما ورباهم الى ان صاروا رجالا ولكنه كان يـحب جودرا اكثر من اخويه فلما تبين انه يحب جودرا اخـذتهما الغيـرة وكرها جودرا فبـان لابيهمـا انهما يكرهان اخاهمـا وكان والدهم كبيـر السن وخاف انه اذا مات يحصل لجودرا مشـقة من اخويه فاحضر جـماعة من اهله واحضر جماعة قسامين من طرف القاضي وجماعة من اهل العلم وقال هاتوا لي مالي وقماشي فاحضروا له جميع المال والقـماش فقال يا ناس اقسموا هذا المال والقماش اربعة اقسـام بالوضع الشرعي فقسـموه فاعطى كل ولد قسـما واخذ هو قسـما وقال هذا مـالي وقـسمتـه بينهم ولم يبق لـهم عندي ولا عند بعـضـهم شئ فاذا مـت لا يقع بينهم اختلاف لاني قـسمت بينهم الميراث في حال حيـاتي وهذا المال الذي اخذته انا فانه يكون لزوجتي ام هذه الاولاد فتـستعين به على معيـشتها وادرك شهر زاد الصـباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة السابعة بعد الستمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان التاجر لما قسم ماله وقماشه اربعة اقسام اعطى كل ولد من الاولاد الثلاثة قسما واخذ هو القسم الرابع وقال هذا القسم يكون لزوجتى ام هذه الاولاد تستعين به على معيشتها ثم بعد مدة قليلة مات والدهم فما احد رضى بما فعل والدهم عمر بل طلبوا الزيادة من جودرا وقالوا له ان مال ابينا عندك فترافع معهم الى الحكام وجاء المسلمون الذين كانوا حاضرين وقت القسمة وشهدوا بما علموا ومنعهم الحاكم عن بعضهم فخسر جودرا جانبا من المال وخسر اخوته كذلك بسبب النزاع فتركوه مدة ثم مكروا به ثانيا فترافع معهم الى الحكام فخسروا جملة من المال ايضا من اجل الحكام ومازالوا يطلبون اذيته من ظالم الى ظالم وهم يخسرون ويخسر حتى اطعموا جميع مالهم للظالمين وسار الثلاثة فقراء ثم جاءا اخواه الى امهم وضحكا عليها واخذا مالها وضرباها وطرداها فجاءت الى ابنها جودرا وقالت له قد فعل اخواك معى كذا وكذا واخذ مالى وصارت تدعو عليهما فقال جودرا يا امى لا تدعى عليهما فالله يجازى كلا منهما بعمله ولكن يا امى انا بقيت فقيرا واخواى فقيران والمخاصمة تحتاج لخسارة المال واختصمت انا واياهما كثيرا بين ايدى الحكام ولم يفدنا ذلك شيئا بل خسرنا جميع ما خلفه لنا والدنا وهتكنا الناس بسبب الشهادة وهل بسببك اختصم واياهما ونترافع الى الحكام فهذا شئ لا يكون انما تقعدين عندى والرغيف الذى آكله اخليه لك وادعى لى والله يرزقنى برزقك واتركيهما يلقيان من الله فعلهما وتسلى بقول من قال

ان يبغ ذو جهل عليك فخله وارقب زمانا لانتقام الباغى
وتجنب الظلم الوخيم فلو بغى جبل على جبل لدك الباغى

وصار يطيب خاطر امه حتى رضيت ومكثت عنده فاخذ له شبكة وصار يذهب الى البحر والبرك والى كل مكان فيه ماء وصار يذهب كل يوم الى جهة فصار يعمل يوما بعشرة ويوما بعشرين ويوما بثلاثين ويصرفها على امه وياكل طيبا ويشرب طيبا ولا صنعة ولا بيع ولا شراء لاخويه ودخل عليهما الساحق والماحق والبلاء اللاحق وقد ضيعا الذى اخذاه من امهما وصارا من الصعاليك المعاكيس عريانين فتارة يأتيان الى امهما ويتواضعان لها زيادة ويشكوان اليها الجوع وقلب الوالدة رؤف فتطعمهما عيشا معفناوان

كان هناك طبيخ بايت تقول لهما كلاه سريعا وروحا قبل ان ياتى اخوكما فانه ما يهون عليه ويقسى قلبه على وتفضحانى معه فيأكلان باستعجال ويروحان فدخلا على امهما يوما من الايام فحطت لهما طبيخا وعيشا فصارا ياكلان واذا باخيهما جودر داخل فاستحت امه وخجلت منه وخافت ان يغضب عليها واطرقت برأسها فى الارض حياء من ولدها فتبسم فى وجوههم وقال مرحبا يا اخواى نهار مبارك كيف جرى حتى زرتمانى فى هذا النهار المبارك واعتنقهما ووادهما وصار يقول ما كان رجاءى ان توحشانى ولا تجيأ عندى ولاتطلا على ولا على امكما فقالا والله يا اخانا اننا اشتقنا إليك ولا منعنا الا الحياء مما جرى بيننا وبينك ولكن ندمنا كثيرا وهذا فعل الشيطان لعنه الله تعالى ولا لنا بركة الا انت وامنا وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الثامنة بعد الستمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان جودرا لما دخل منزله ورأى اخوته رحب بهما وقال لهما مالى بركة الا انتما فقالت له امه يا ولدى بيض الله وجهك وكثر الله خيرك وانت الا كثر يا ولدى فقال مرحبا بكما أقيما عندى والله كريم والخير عندى كثير واصطلح معهما وباتا عنده وتعشيا معه وثانى يوم فطرا وجودرا حمل الشبكة وراح على باب الفتاح وراح اخواه فغابا الى الظهر واتيا فقدمت لهما امهم الغدا وفى المساء اتى اخوهم وجاء باللحم والخضار وصاروا على هذه الحالة مدة شهر وجودرا يصطاد سمكا ويبيعه ويصرف ثمنه على امه واخويه هما ياكلان ويبر جسان فاتفق يوما من الايام ان جودرا اخذ الشبكة الى البحر فرماها وجذبها فطلعت فارغة فقال فى نفسه هذا المكان ما فيه سمك ثم انتقل إلى غيره ورمى فيه الشبكة فطلعت فارغة ثم انتقل الى غيره ولم يزل يتنقل من الصباح الى المساء ولم يصطاد ولا صيرة واحدة فقال عجائب هل السمك فرغ من البحر او ما السبب ثم حمل الشبكة على ظهره ورجع مغموما مقهورا حامل هم اخويه وامه ولم يدر بأى شئ يعشيهم فاقبل على طابونة فرأى الخلق على العيش مزدحمين وبايديهم الدراهم ولا يلتفت اليهم الخباز فوقف وتحسر فقال له الخباز مرحبا بك يا جودرا هل تحتاج عيشا فسكت فقال له ان لم يكن معك دراهم فخذ كفايتك

وعليك مهل فقال له اعطني بعشرة انصاف عيشا فقال له خذ هذه عشرة انصاف اخر وفى غد هات لى بالعشرين سمكا فقال على الرأس والعين فاخذ العيش والعشرة انصاف اخذ بها لحمة وخضار وقال فى غد يفرجها المولى وراح الى منزله وطبخت امه الطعام وتعشى ونام وثانى يوم اخذ الشبكة فقالت له امه اقعد افطر قال افطرى انت واخواى ثم ذهب الى البحر ورمى الشبكة فيه اولا وثانيا وثالثا وتنقل ولازال كذلك الى العصر ولم يقع له شئ فحمل الشبكة ومشي مقهوراً وطريقه لا يكون الا على الخباز فلما وصل جودرا رأه الخباز فعدله العيش والفضة وقال له تعالى خذ ورح ان ما كان فى اليوم يكون فى غد فاراد ان يعتذر له فقال له رح ما يحتاج لعذر لو كنت اصطدت شيئا كان معك فلما رأيتك فارغا علمت انه ما حصل لك شئ وان كان فى غد لم يحصل لك شئ تعالى خذ عيشا ولا تستحى وعليك مهل ثم انه ثالث يوم تبع البرك الى العصر فلم يرفيها شيئا فراح الى الخباز واخذ منه العيش والفضة ومازال على هذه الحالة مدة سبعة ايام ثم انه تضايق فقال فى نفسه رح اليوم الى بركة قارون ثم انه اراد ان يرمى الشبكة فلم يشعر الا وقد اقبل عليه مغربى راكب على بغلة وهو لابس حلة عظيمة وعلى ظهر البغلة خرج مزركش وكل ما على البغلة مزركش فنزل من فوق ظهر البغلة وقال السلام عليك يا جودرا يا ابن عمر فقال له عليك السلام يا سيدى الحاج فقال له المغربى يا جودرا ان عندك حاجة فان طاوعتني تنال خيرا كثيرا وتكون بسبب ذلك صاحبى وتقضى لى حوايجى فقال يا سيدى الحاج قل لى اى شئ فى خاطرك وانا اطاوعك وما عندى خلاف فقال له اقرأ الفاتحة فقرأها معه وبعد ذلك اخرج له قيطانا من حرير وقال له كتفنى وشد كتافى شدا قويا وارسى فى البركة واصبر على قليلا فان رأيتنى اخرجت يدى من الماء مرتفعة قبل ان ابان فاطرح انت الشبكة على واجذبنى سريعا وان رأيتنى اخرجت رجلى فاعلم انى ميت فاتركنى وخذ البغلة والخرج وامض الى سوق التجار تجد يهوديا اسمه شميعة فاعطه البغلة وهو يعطيك مائة دينار فخذها واكتم السر ورح الى حال سبيلك فكتفه كتافا شديدا فصار يقول له شد الكتاف ثم انه قال له ادفعنى الى ان ترمينى فى البركة فدفعه ورماه فيها فغطس ووقف ينتظره ساعة من الزمان واذا بالمغربى خرجت رجلاه فعلم انه مات فاخذ البغلة وتركه وراح الى سوق التجار فرأى اليهودى جالسا على كرسى فى باب الحاصل فلما رأى البغلة قال اليهودى ان الرجل هلك ثم قال ما

أهلكه الا الطمع واخذ منه البغلة واعطاه مائة دينار واوصاه بكتم السر فاخذ جودرا الدنانير وراح فاخذ ما يحتاج اليه من العيش من الخباز وقال له خذ هذا الدينار فاخذه وحسب الذى له وقال له عندى بعد ذلك عيش يومين وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة التاسعة بعد الستمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الخباز لما حاسب جودرا على ثمن العيش وقال له بقى لك عندى من الدينار عيش يومين انتقل من عنده الى الجزار واعطاه دينارا آخر واخذ اللحمة وقال له خل عندك بقية الدينار تحت الحساب واخذ الخضار وراح فرأى اخويه يطلبان من امهم شيئا يأكلانه وهى تقول لهما اصبرا حتى يأتى اخوكما فما عندى شئ فدخل عليهم وقال لهم خذوا كلوا فوقعوا على العيش مثل الغيلان ثم ان جودرا اعطى امه بقية الذهب وقال خذى يا امى واذا جاء اخواى فاعطيهما ليشتريا وياكلا فى غيابى وبات تلك الليلة ولما اصبح اخذ الشبكة وراح الى بركة قارون ووقف واراد ان يطرح الشبكة واذا بمغربى آخر اقبل وهو راكب بغلة ومهئ اكثر من الذى مات ومعه خرج وحقان فى الخرج فى كل عين منه حق وقال السلام عليك يا جودرا فقال عليك السلام يا سيدى الحاج فقال هل جاءك بالامس مغربى راكب بغلة مثل هذه البغلة فخاف وانكر وقال ما رأيت احدا خوفا ان يقول راح الى اين فان قال له غرق فى البركة ربما يقول انت اغرقته فما ساعه الا الانكار فقال له يا مسكين هذا اخى وسبقنى قال ما معى خبر قال اما كتفته انت ورميته فى البركة وقال لك ان خرجت يداى ارم على الشبكة واسحبنى بالعجل وان خرجت رجلاى اكون ميتا وخذ انت البغلة وأديها الى اليهودى شميعة وهو يعطيك مائة دينار وقد خرجت رجلاه وانت اخذت البغلة وأديتها الى اليهودى واعطاك مائة دينار فقال حيث انك تعرف ذلك فلاى شئ تسألنى قال مرادى ان تفعل بى كما فعلت باخى واخرج له قيطانا من حرير وقال كتفنى وارمنى وان جرى لى مثل ما جرى لاخى خذ البغلة وأديها الى اليهودى وخذ منه مائة دينار فقال له قدم فتقدم فكتفه ودفعه فوقع فى البركة وغطس فانتظر ساعة فطلعت رجلاه فقال مات فى

داهية ان شاء الله كل يوم يجيئني المغاربة وانا اكتفهم ويموتون ويكفيني من كل ميت مائة دينار ثم انه اخذ البغلة وراح فلما رأه اليهودي قال له مات الاخر قال له تعيش رأسك قال له هذا جزاء الطماعين واخذ البغلة منه واعطاه مائة دينار فاخذها وتوجه الى امه فاعطاها اياها فقاله له يا ولدي من اين لك هذا فاخبرها فقالت له ما بقيت تروح بركة قارون فاني اخاف عليك من المغاربة فقال لها يا امي انا لا ارميهم الا برضاهم وكيف يكون العمل هذه صنعة يأيتنا منها كل يوم مائة دينار وارجع سريعا فوالله لا ارجع عن ذهابي الى بركة قارون حتى ينقطع اثر المغاربة ولا يبقى منهم احد ثم انه في اليوم الثالث راح ووقف واذا بمغربي راكب بغلة ومعه خرج ولكنه مهيئ اكثر من الاولين وقال السلام عليك يا جودرا يا ابن عمر فقال في نفسه من اين كلهم يعرفونني ثم رد عليه السلام فقال هل جاز على هذا المكان مغاربة قال له اثنان قال له اين راحا قال كتفتهما ورميتهما في هذه البركة فغرقا والعاقبة لك انت الاخر فضحك ثم قال يا مسكين كل حي ووعده ونزل عن البغلة وقال له يا جودرا اعمل معي كما عملت معهما واخرج القيطان الحرير فقال له جودرا ادر يديك حتى اكتفك فاني مستعجل وراح على الوقت فادار له يديه فكتفه ودفعه فوقع في البركة ووقف ينتظره واذا بالمغربي اخرج له يديه وقال له ارم الشبكة يا مسكين فرمى عليه الشبكة وجذبه واذا هو قابض في يديه سمكتين لونهما احمر مثل المرجان في كل يد سمكة وقال له افتح الحقين ففتح له الحقين فوضع في كل حق سمكة وسد عليهما فم الحقين ثم انه حضن جودرا وقبله ذات اليمين وذات الشمال في خديه وقال له الله ينجيك من كل شدة والله لولا انك رميت على الشبكة واخرجتني لكنت مازلت قابضا على هذين السمكتين وانا غاطس في الماء حتى اموت ولا اقدر ان اخرج من الماء فقال له يا سيدي الحاج بالله عليك ان تخبرني بشأن اللذين غرقا اولا وبحقيقة هاتين السمكتين وبشأن اليهودي وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة العاشرة بعد الستمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان جودرا لما سأل المغربي وقال له اخبرني عن اللذين غرقا اولا قال له يا جودرا اعلم ان اللذين غرقا اولا اخواى احدهما اسمه عبد السلام والثاني اسمه عبد الاحد وانا اسمي عبد الصمد واليهودي اخونا اسمه عبد الرحيم وما هو يهودي انما هو مسلم مالكى المذهب وكان والدنا علمنا حل الرموز وفتح الكنوز والسحر وصرنا نعالج حتى خدمتنا مردة الجن والعفاريت ونحن اربعة اخوة ووالدنا اسمه عبد الودود ومات ابونا وخلف لنا شيئا كثيرا فقسمنا الذخائر والاموال والارصاد حتى وصلنا الى الكتب فقسمناها فوقع بيننا اختلاف فى كتاب اسمه اساطير الاولين ليس له مثيل ولا يقدر له على ثمن ولا يعادل بجواهر لانه مذكور فيه سائر الكنوز وحل الرموز وكان ابونا يعمل به ونحن نحفظ منه شيئا قليلا وكل منا غرضه ان يملكه حتى يطلع على مافيه فلما وقع الخلاف بيننا حضر مجلسنا شيخ ابينا الذى كان رباه وعلمه السحر والكهانة وكان اسمه الكهين الابطن فقال لنا هاتوا الكتاب فاعطيناه الكتاب فقال انتم اولاد ولدى ولا يمكن ان اظلم منكم احد فاليذهب من اراد ان ياخذ هذا الكتاب الى معالجة فتح كنز الشمردل ويأتنى بدائرة الفلك والمكحلة والخاتم والسيف فان الخاتم له مارد يخدمه اسمه الرعد القاصف ومن ملك هذا الخاتم لا يقدر عليه ملك ولا سلطان وان اراد ان يملك به الارض بالطول العرض يقدر على ذلك واما السيف فانه لوجرد على جيش وهزه حامله لهزم الجيش وان قال له وقت هزه اقتل هذا الجيش فانه يخرج من ذلك السيف برق من نار فيقتل جميع الجيش واما دائرة الفلك فان الذى يملكها ان شاء ان ينظر جميع البلاد من المشرق الى المغرب فانه ينظرها ويتفرج عليها وهو جالس فاى جهة ارادها يوجه الدائرة اليها وينظر فى الدائرة فانه يرى تلك الجهة واهلها كأن الجميع بين يديه واذا غضب على مدينة ووجه الدائرة الى قرص الشمس واراد احتراق تلك المدينة فأنها تحترق واما المكحلة فان كل من اكتحل منها يرى كنوز الارض ولكن لى عليكم شرط وهو ان كل من عجز عن فتح هذا الكنز ليس له فى الكتاب استحقاق ومن فتح هذا الكنز واتانى بهذه الذخائر الاربعة فانه يستحق ان يأخذ هذا الكتاب فرضينا بالشرط فقال لنا يا اولادى اعلموا ان كنز الشمردل تحت حكم اولاد الملك الاحمر

وابوكم اخبرني انه كان عالج فتح ذلك الكنز فلم يقدر ولكن هرب منه اولاد الملك الاحمر الى بركة فى ارض مصر تسمى بركة قارون وعصوا فى البركة فلحقهم الى مصر ولم يقدر عليهم بسبب انسيابهم فى تلك البركة لانها مرصودة وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الحادية عشرة بعد الستمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الكهين الابطن لما اخبر الاولاد بذلك الخبر قال لهم ثم انه رجع غلبان ولم يقدر على فتح كنز الشمردل من اولاد الملك الاحمر فلما عجز ابوكم عنهم جاءني وشكا الى فضربت له تقويما فرأيت ان هذا الكنز لا يفتح الا على وجه غلام من ابناء مصر اسمه جودرا بن عمر فانه يكون سببا فى قبض اولاد الملك الاحمر وذلك الغلام يكون صيادا والاجتماع به يكون على بركة قارون ولا ينفك ذلك الرصد الا اذا كان جودرا يكتف صاحب النصيب ويرميه فى البركة فيتحارب مع اولاد الملك الاحمر وكل من كان له نصيب فانه يقبض اولاد الملك الاحمر والذى ليس له نصيب يهلك وتظهر رجلاه من الماء والذى يسلم تظهر يداه فيحتاج الى جودرا يرمى عليه الشبكة ويخرجه من البركة فقال اخوتى نحن نروح ولو هلكنا وأنا قلت اروح ايضا واما اخونا الذى فى هيئة يهودى فانه قال انا ليس لى غرض فاتفقنا معه انه يتوجه الى مصر فى صفة يهودى تاجر حتى اذا مات منا احد فى البركة ياخذ البغلة والخرج منه ويعطيه مائة دينار فلما اتاك الاول قتله اولاد الملك الاحمر وقتلوا الثانى وانا لم يقدروا على فقبضتهم فقال اين الذى قبضتهم فقال اما رايتهم قد حبستهم فى الحقين قال هذا سمك قال له المغربى ليس هذا سمكا انما هم عفاريت بهيئة السمك ولكن يا جودرا اعلم ان فتح الكنز لا يكون الا على وجهك فهل تطاوعنى وتروح معى الى مدينة فاس ومكناس ونفتح الكنز واعطيك ما تطلب وانت بقيت اخى فى عهد الله وترجع الى عيالك مجبور القلب فقال له يا سيدى الحاج انا فى رقبتى أمى واخواى وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الثانية عشرة بعد الستمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان جودرا قال للمغربي انا في رقبتي امي واخواي وانا الذي اجرى عليهم وان رحت معك من يطعمهم العيش فقال له هذه حجة بطالة فان كان من شأن المصروف فنحن نعطيك الف دينار تعطى امك اياها لتصرفها حتى ترجع الى بلادك وانت ان غبت ترجع قبل اربعة اشهر فلما سمع جودرا بالالف دينار قال هات يا حاج الالف دينار اتركها عند امي واروح معك فاخرج له الالف دينار فاخذها وراح الى امه واخبرها بالذي جرى بينه وبين المغربي وقال لها خذي هذا الالف دينار واصرفي منه عليك وعلى اخواي وانا مسافر مع المغربي الى الغرب فاغيب اربعة اشهر ويحصل لي خير كثير فادعي لي يا والدتي فقالت له يا ولدي توحشني واخاف عليك فقال يا امي ما على من يحفظه الله باس والمغربي رجل طيب وصار يشكر لها حاله فقالت الله تعطف قلبه عليك رح معه يا ولدي لعله يعطيك شيئا فودع امه وراح ولما وصل عند المغربي عبد الصمد قال له هل شاورت امك قال نعم ودعت لي فقال له اركب ورائي فركب على ظهر البغلة وسافروا من الظهر الى العصر فجاع جودرا ولم يرمع المغربي شيئا يؤكل فقال له يا سيدي الحاج لعلك نسيت ان تجئ لنا بشئ ناكله في الطريق فقال هل انت جائع قال نعم فنزل من فوق ظهر البغلة هو وجودرا ثم قال نزل الخرج فنزله قال له اى شئ تشتهي يا اخي فقال له اى شئ كان قال له بالله عليك ان تقول لي اى شئ تشتهي قال عيشا وجبنا قال يا مسكين العيش والجبن ما هو مقامك فاطلب شيئا طيبا قال جودرا انا عندي في هذه الساعة كل شئ طيب فقال له اتحب الفراخ المحمرة قال نعم قال اتحب الارز بالعسل قال نعم قال اتحب اللون الفلاني واللون الفلاني حتى سمى له من الطعام اربعة وعشرين لونا ثم قال في باله هل هو مجنون من اين يجيئ لي بالاطعمة التي سماها وما عنده مطبخ ولا طباخ لكن قل له يكفي فقال له يكفي هل انت تشهيني الالوان ولا انظر شيئا فقال المغربي مرحبا بك يا جودرا وحط يده في الخرج فاخرج صحنا من الذهب فيه فرختان محمرتان سخنتان ثم حط يده ثاني مرة فاخرج صحنا من الذهب فيه كباب ولازال يخرج من الخرج حتى اخرج الاربعة وعشرين لونا التي ذكرها بالتمام والكمال فبهت جودرا فقال له كل يا مسكين فقال يا سيدي انت جاعل في هذا الخرج مطبخا وناسا

تطبخ فضحك المغربى وقال له هذا مرصود له خادم لو نطلب فى كل ساعة الف لون يجيئ بها الخادم ويحضرها فى الوقت فقال نعم هذا الخرج ثم انهما اكلا حتى اكتفيا والذى فضل كباه ورد الصحون فارغة فى الخرج وحط يده فاخرج ابريقا فشربا وتوضئا وصليا العصر ورد الابريق فى الخرج ثم انه حط فيه الحقين وحمله على تلك البغلة وركب وقال اركب حتى نسافر ثم انه قال يا جودرا هل تعلم ما قطعنا من مصر الى هنا قال له والله لا درى فقال له قطعنا مسيرة شهر كامل قال وكيف ذلك قال له يا جودرا اعلم ان البغلة التى تحتنا مارد من مردة الجن تسافر فى اليوم مسافة سنة ولكن من شأن خاطرك مشت على مهلها ثم ركبا وسافرا الى المغرب فلما امسيا اخرج من الخرج العشاء وفى الصباح اخرج الفطور ومازالا على هذه الحالة مدة اربعة ايام وهما يسافران الى نصف الليل وينزلان فينامان ويسافران فى الصباح وجميع ما يشتهى جودرا يطلبه من المغربى فيخرجه له من الخرج وفى اليوم الخامس وصلا الى فاس ومكناس ودخلا المدينة فلما دخلا صار كل من قابل المغربى يسلم عليه ويقبل يده ولازال كذلك حتى وصل الى باب فطرقه واذا بالباب قد فتح وبان منه بنت كانها القمر فقال لها يا رحمة يا بنتى افتحى لنا القصر قالت على الرأس والعين يا ابتى ودخلت تهز اعطافها فطار عقل جودرا وقال ما هذه الا بنت ملك ثم ان البنت فتحت القصر فاخذ الخرج من فوق البغلة وقال لها انصرفى بارك الله فيك واذا بالارض انشقت ونزلت البغلة ورجعت الارض كما كانت فقال جودرا يا ستار الحمد لله الذى نجانا فوق ظهرها ثم ان المغربى قال لا تعجب يا جودرا فانى قلت لك ان البغلة عفريت لكن اطلع بنا القصر فلما دخلا ذلك القصر اندهش جودرا من كثرة الفرش الفاخر ومما رأى فيه من التحف وتعاليق الجواهر والمعادن فلما جلسا امر البنت وقال يا رحمة هاتى البقجة الفلانية فقامت واقبلت ببقجة ووضعتها بين يدى ابيها ففتحها واخرج منها حلة تساوى الف دينار وقال له البس يا جودرا مرحبا بك فلبس الحلة وصار كناية عن ملك من ملوك الغرب ووضع الخرج بين يديه ثم مد يده فيه واخرج منه اصحنا فيها الوان مختلفة حتى صارت سفرة فيها اربعون لونا فقال يا مولاى تقدم وكل ولا تؤاخذنا وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الثالثة عشرة بعد الستمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان المغربي لما ادخل جودرا القصر مد له سفرة فيها اربعون لونا وقال له تقدم كل ولا تؤاخذنا نحن لا نعرف اى شئ تشتهى من الاطعمة فقل لنا على ما تشتهي ونحن نحضره اليك من غير تأخير فقال له والله يا سيدى الحاج انى احب سائر الاطعمة ولا اكره شيئا فلا تسألنى عن شئ فهات جميع ما يخطر ببالك وناما على الاكل ثم انه اقام عنده عشرين يوما كل يوم يلبسه حلة والاكل من الخرج والمغربي لا يشترى شيئا من اللحم ولا عيشا ولا يطبخ ويخرج كل ما يحتاجه من الخرج حتى اصناف الفاكهة ثم ان المغربي في اليوم الحادى والعشرين قال يا جودرا قم بنا فان هذا هو اليوم الموعود لفتح كنز الشمردل فقام معه ومشيا الى اخر المدينة ثم خرجا منها فركب جودرا بغلة وركب المغربي بغلة ولم يزالا مسافرين الى وقت الظهر فوصلا الى نهر ماء جار فنزل عبد الصمد وقال انزل يا جودرا فنزل ثم ان عبد الصمد قال هيا واشار للعبدين بيده فاخذا البغلتين وراح كل عبد من طريق ثم غابا قليلا وقد اقبل احدهما بخيمة فنصبها واقبل الثانى بفراش وفرشه في الخيمة ووضع فى دائرها وسائد ومساند ثم ذهب واحد منهما وجاء بالحقين اللذين فيهما السمكتان والثانى جاء بالخرج فقام المغربي وقال تعال يا جودرا فأتى وجلس بجانبه واخرج المغربى من الخرج اصحن الطعام وتغذيا وبعد ذلك اخذ الحقين ثم انه عزم عليهما فصارا من داخل يقولان لبيك يا كهين الدنيا ارحمنا وهما يستغيثان وهو يعزم عليهما حتى تمزق الحقان فصار قطعا وتطايرت قطعهما فظهر منهما اثنان مكتفان يقولان الامان يا كهين الدنيا مرادك ان تعمل فينا اى شئ فقال مرادى ان احرقكما وانكما تعاهدانى على فتح كنز الشمردل فقالا نعاهدك ونفتح لك الكنز لكن بشرط ان تحضر جودرا الصياد فان الكنز لا يفتح الا على وجهه ولا يقدر احد ان يدخل فيه الا جودرا بن عمر فقال لهما الذى تذكر انه قد جئت به وهو ها هنا يسمعكما وينظركما فعاهداه على فتح الكنز واطلقهما ثم انه اخرج قصبة والواحا من العقيق الاحمر وجعلها على القصبة واخذ مجمرة ووضع فيها فحما ونفخها نفخة واحدة فاوقد فيها النار واحضر البخور وقال يا جودرا انا اتلوا العزيمة والقى البخور فاذا ابتدئت فى العزيمة لا اقدر ان اتكلم فتبطل العزيمة ومرادى ان اعلمك كيف تصنع حتى تبلغ مرادك فقال له علمنى فقال له اعلم انى متى عزمت والقيت البخور نشف الماء من النهر وبان لك باب من الذهب قدر باب المدينة بحلقتين من المعدن فانزل الى الباب واطرقه

طرقة خفيفة واصبر مدة واطرق الثانية طرقة اثقل من الاولى واصبر مدة واطرق ثلاث طرقات متتابعات وراء بعضها فتسمع قائلا يقول من يطرق باب الكنوز وهو لم يعرف ان يحل الرموز فقل انا جودرا الصياد بن عمر فيفتح لك الباب ويخرج لك شخص بيده سيف ويقول لك ان كنت ذلك الرجل فمد عنقك حتى ارمى رأسك فمد له عنقك ولا تخف فانه متى رفع يده بالسيف وضربك وقع بين يديك وبعد مدة تراه شخصا من غير روح وانت لا تتألم بالضربة ولا يجرى عليك شئ واما اذا خالفته فانه يقتلك ثم انك اذا ابطلت رصده بالامتثال فادخل حتى ترى بابا آخر فاطرقه يخرج لك فارس راكب على فرس وعلى كتفه رمح فيقول اى شئ اوصلك الى هذا المكان الذى لا يدخله احد من الانس ولا من الجن ويهز عليك الرمح فافتح له صدرك فيضربك ويقع فى الحال فتراه جسما من غير روح وان خالفت قتلك ثم ادخل الباب الثالث يخرج لك ادمى وفى يده قوس ونشاب ويرميك بالقوس فافتح له صدرك فيضربك ويقع قدامك جسما من غير روح وان خالفت قتلك ثم ادخل الباب الرابع وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الرابعة عشرة بعد الستمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان المغربى قال لجودرا ادخل الباب الرابع واطرقه يفتح لك ويخرج لك سبع عظيم الخلقة ويهجم عليك ويفتح فمه يريك انه يقصد اكلك فلا تخف ولا تهرب منه فاذا وصل اليك فاعطه يدك فمتى عض على يدك فانه يقع فى الحال ولايصيبك شئ ثم ادخل الباب الخامس يخرج لك عبد اسود ويقول لك من انت فقل له انا جودرا فيقول لك ان كنت ذلك الرجل فافتح الباب السادس فتقدم الى الباب وقل يا عيسى قل لموسى يفتح الباب فيفتح الباب فادخل تجد ثعبانين احدهما على الشمال والاخر على اليمين كل واحد منهما يفتح فاه ويهجمان عليك فى الحال فمد اليهم يديك فيعض كل واحد منهما فى يد وان خالفت قتلاك ثم ادخل الى الباب السابع واطرقه تخرج لك امك وتقول لك مرحبا يا ابنى قدم حتى اسلم عليك فقل لها خليكى بعيدا عنى واخلعى ثيابك فتقول لك يا ابنى انا امك ولى عليك حق الرضاعة والتربية كيف تعرينى فقل لها ان لم تخلعى ثيابك قتلتك وانظر جهة يمينك تجد سيفا معلقا فى الحيط

فخذه واسحبه عليها وقل لها اخلعى فتصير تخادعك وتتواضع اليك فلا تشفق عليها فكلما تخلع لك شيئا قل لها اخلعى الباقى ولم تزل تهددها بالقتل حتى تخلع لك جميع ما عليها وتسقط وحينئذ قد حللت الرموز وابطلت الارصاد وقد امنت على نفسك فادخل تجد الذهب كيمانا داخل الكنز فلا تعتن بشئ منه وانما ترى مقصورة فى صدر الكنز عليها ستارة فاكشف الستارة فانك ترى الكهين الشمردل راقدا على سرير من الذهب وعلى رأسه شئ مدور يلمع مثل القمر فهو دائرة الفلك وهو مقلد بالسيف وفى اصبعه خاتم وفى رقبته سلسلة فيها مكحلة فهات الاربع ذخائر واياك ان تنسى شيئا مما اخبرتك به ولا تخالف فتندم ويخشى عليك ثم كرر عليه الوصية ثانيا وثالثا ورابعا حتى قال حفظت لكن من يستطيع ان يواجه هذه الارصاد التى ذكرتها ويصبر على هذه الاهوال العظيمة فقال له يا جودرا لا تخف انهم اشباح من غير ارواح وصار يطمنه فقال جودرا توكلت على الله ثم ان المغربى عبد الصمد القى البخور وصار يعزم مدة واذا بالماء قد ذهب وبانت ارض النهر وظهر باب الكنز فنزل الى الباب وطرقه فسمع قائلا يقول من يطرق ابواب الكنوز ولم يعرف ان يحل الرموز فقال انا جودرا بن عمر فانفتح الباب وخرج له الشخص وجرد السيف وقال له مد عنقك فمد عنقه وضربه ثم وقع وكذلك الباب الثانى الى ان ابطل ارصاد السبعة ابواب وخرجت امه وقالت له سلامات يا ولدى فقال لها انت اى شئ قالت انا امك ولى عليك حق الرضاعة والتربية وحملتك تسعة اشهر يا ولدى فقال لها اخلعى ثيابك فقالت انت ولدى كيف تعرينى قال لها اخلعى والا ارمى رأسك بهذا السيف ومديده فاخذ السيف وشهره عليها وقال لها ان لم تخلعى قتلتك وطال بينها وبينه العلاج ثم انه لما اكثر عليها التهديد خلعت شيئا فقال اخلعى الباقى وعالجها كثيرا حتى خلعت شيئا آخر ولازال على هذه الحالة وهى تقول له يا ولدى خابت فيك التربية حتى لم يبق عليها غير اللباس فقالت يا ولدى هل قلبك حجر فتفضحنى بكشف العورة يا ولدى اما هذا حرام فقال صدقت فلا تخلعى اللباس فما نطق بهذه الكلمة صاحت وقالت قد غلط فاضربوه فنزل عليه ضرب مثل قطر المطر واجتمعت عليه خدام الكنز فضربوه علقة لم ينسها فى عمره ودفعوه فرموه خارج باب الكنز وانغلقت ابواب الكنز كما كانت فلما رموه خارج الباب اخذه المغربى فى الحال وجرت المياه كما كانت وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الخامسة عشرة بعد الستمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان جودراا لما ضربه خدام الكنوز رموه خارج الباب وانغلقت الابواب وجري النهر كما كان اولا قام عبد الصمد المغربي قرأ علي جودرا حتي افاق وصحا من سكرته فقال له اي شئ عملت يا مسكين فقال له ابطلت الموانع كلها ووصلت الي امي ووقع بين وبينها معالجة طويلة وصارت يا اخي تخلع ثيابها حتي لم يبق عليها الا اللباس فقالت لي لا تفضحني فان كشف العورة حرام فتركت لها اللباس شفقة عليها واذا بها صاحت وقالت قد غلط فاضربوه فخرج لي ناس ولا ادري اين كانوا ثم انهم ضربوني علقة حتي اشرفت علي الموت ودفعوني ولم ادر بعد ذلك ما جري لي فقال له اما قلت لك لا تخالف قد اسأتني واسأت نفسك فلو خلعت لباسها كنا بلغنا المراد ولكن حينئذ تقيم عندي الي العام القابل لمثل هذا اليوم ونادي العبدين في الحال فحلا الخيمة وحملاها ثم غابا قليلا ورجعا بالغلتين فركب كل وحدا بغلة ورجعا الي مدينة فاس فاقام عنده في اكل طيب وشرب طيب وكل يوم يلبسه حلة فاخرة الي ان فرغت السنة وجاء ذلك اليوم فقال له المغربي هذا هو اليوم الموعود فامض بنا قال له نعم فاخذه الي خارج المدينة فرءيا العبدين بالبغلتين ثم ركبا الي ان وصلا عند النهر فنصب العبدان الخيمة وفرشاها واخرج السفرة فتغديا وبعد ذلك اخرج القصبة والالواح مثل الاول واوقد النار واحضر له البخور وقال يا جودرا مرادي ان أوصيك فقال له يا سيدي الحاج ان كنت نسيت العلقة اكون نسيت الوصية فقال له هل انت حافظ الوصية قال نعم قال احفظ روحك ولا تظن ان المرأة امك وانما هي رصد في صورة امك ومرادها ان تغلطك وان كنت اول مرة طلعت حيا فانك في هذه المرة ان غلطت يرمونك مقتولا قال ان غلطت استحق ان يحرقوني ثم ان المغربي وضع البخور وعزم فنشف النهر فتقدم جودرا الي الباب وطرقه فانفتح وابطل الارصاد السبعة الي ان وصل الي امه فقالت له مرحبا يا ولدي فقال لها من اين انا ولدك يا ملعونة اخلعي فجعلت تخادعه وتخلع شيئا بعد شئ حتي لم يبقي غير اللباس فقال اخلعي يا ملعونة فخلعت اللباس وصارت شجا بلا روح فدخل ورأي الذهب كيمانا فلم يعتن بشئ ثم اتي المقصورة ورأي الكهين الشمردل راقدا متقلد بالسيف والخاتم في اصبعه والمكحلة علي صدره ورأي دائرة الفلك فوق رأسه فتقدم وفك السيف واخذ الخاتم ودائرة والفلك والمكحلة وخرج واذا

بنوبة دقت له وصار الخدام ينادون هنيت بمـا اعطيت يا جودرا ولم تزل النوبة تدق الي ان خرج من الـكنز ووصل الي المـغربي فابـطل العزيمة والـبخور وقام وحضـنه وسلم عـليه واعطاه جودرا الاربـع ذخائر فاخذها وصـاح على العبديـن فاخذا الخيمة ورداهـا ورجعا بالبغلـتين فركباهما ودخلا مـدينة فاس فاحضر الخرج وجـعل يطلع منه الصـحون وفيها الالوان وكمـلت قدامه سـفرة وقال يا اخـي يا جودرا كل فـاكل حتي اكـتفي وفرغ بـقية الاطعمـة في صحون غـير هاورد الفـوارغ في الخرج ثم ان المـغربي عبـد الصمد قـال يا جودرا انت فارقت ارضك وبلادك من اجلنا وقضيت حاجتنا وصار لك علينا امنية فتمن ما تطـلـب فان الله تعالي اعـطاك ونحن السبـب فاطلب مرادك ولا تسـتحي فانك تسـتحق فقال يا سيدي تمنيت علي الله ثم عليك ان تعطيني هذا الخرج قال هات الخرج فجاء به قال خذه فانه حقك ولو تمنـيت غيره لا اعطيناك اياه ولكن يا مسكين هـذا ما يفيدك غير الاكل وانت تعبت معنا ونحن وعدناك ان نرجـعك الي بلادك مجبور الخاطر والخرج هذا تأكل منه ونعـطيك خرجا آخر ملأنـا من الذهب والجواهر ونـوصلك الي بلادك فتصـير تاجرا واكس نفسك وعيالك ولا تحتاج الي مصروف وكـل انت وعيالك من هذا الخرج وكيفية العمل به انك تمد يـدك فيه وتقول بحق ما عليك من الاسماء الـعظام يا خادم هذا الخرج ان تأتيني بـاللون الفلاني فانه يـأتيك بما تطلبه ولـو طلبت كل يوم الف لون ثـم انه احضر عبدا ومعه بغلة ومـلأ له خرجا عينا بالذهب وعينا بالجـواهر والمعادن وقال له اركـب هذه البـغلة والعـبد يمشي قـدامك فانه يـعرفك الـطريق الي ان يـوصلك الي بـاب دارك فاذا وصلت فخذ الخرجين واعطه البغلة فانه يـأتي بها ولا تظهر احدا علي سرك واستودعناك الله فقال لـه كثر الله خيرك وحـط الخرجين علي ظهـر البغلة وركـب والعبد مشـي قدامه وصارت البغلـة تتبع العبد ذلك النهـار وطول الليل وثاني يوم في الصـباح دخل من باب النصر فرأي امـه قاعدة تقول شيئا لله فطار عـقله ونزل من فوق ظهر البـغلة ورمي روحه عليها فلما رأته بـكت ثم انه ركبها ظهر البغلة ومشي في ركـابها الي ان وصل الي البيت فنزل امه واخذ الخرجين وترك البغلة للعبد فاخذها وراح لسيده لان العبد شيطان والبغلة شيطان واما ما كان من جودرا فانه صعب عليه كـون امه تسأل فلما دخل البيت قال لها يا امي هل اخواي طيبان قالت طيبان قال لاي شئ تسألين في الطريق قالت يا ابني من جوعي قال انا اعطـيتك قبل ما اسافـر مائة دينار في اول يوم ومائـة دينار ثاني يوم واعطـيتك الف

دينار يوم سافرت فقالت يا ولدي قد مكرابي واخذاها مني وقالا مرادنا ان نشتري بها سبيا فاخذاها وطرداني فصرت اسأل في الطريق من شدة الجوع فقال يا امي ما عليك بأس حيث جئت فلا تحملي هما ابدا هذا خرج ملآن ذهبا وجواهر والخير كثير فقالت له يا ولدي انت مسعد الله يرضي عليك ويزيدك من فضله قم يا ابني هات لنا عيشا فاني بايتة بشدة الجوع من غير عشا فضحك وقال لها مرحبا بك يا امي فاطلبي اي شئ تأكلينه وانا احضره لك في هذه الساعة ولا احتاج لشراء من السوق ولا احتاج لمن يطبخ فقالت يا ولدي ما انا ناظرة معك شيئا فقال معي في الخرج من جميع الالوان فقالت يا ولدي كل شئ حضر يسد قال صدقت فعند عدم الموجود يقنع الانسان باقل الشئ واما اذا كان الموجود حاضر فان الانسان يشتهي ان يأكل من الشئ الطيب وانا عندي الموجود فاطلبي ما تشتهين قالت له يا ولدي عيشا سخنا وقطعة جبن فقال يا امي ما هذا من مقامك فقالت له انت تعرف مقامي فالذي من مقامي اطعمني منه فقال يا امي انت من مقامك اللحم المحمر والفراخ المحمرة والارز المفلفل ومن مقامك المنبار المحشي والقرع المحشي والخاروف المحشي والضلع المحشي والكنافة بالمكسرات والعسل النحل والسكر والقطائف والبقلاوة فظنت امه انه يضحك عليها ويسخر منها فقالت له يوه يوه اي شئ جري لك هل انت تحلم والا جننت فقال لها من اين علمت اني جننت قالت له لانك تذكر لي جميع الالوان الفاخرة فمن يقدر ثمنها ومن يعرف ان يطبخها فقال لها وحياتي لابد ان اطعمك من جميع الذي ذكرته لك في هذه الساعة فقالت له ما انا ناظرة شيئا فقال لها هاتي الخرج فجائت له بالخرج وجسته فرأته فارغا وقدمته اليه فصار يمد يده ويخرج صحونا ملآنة حتي انه اخرج لها جميع ما ذكره فقالت له امه يا ولدي ان الخرج صغير وكان فارغا وليس فيه شئ وقد اخرجت منه هذا كله فهذه الصحون اين كانت فقال يا امي اعلمي ان هذا الخرج اعطانيه المغربي وهو مرصود وله خادم اذا اراد الانسان شيئا وتلا عليه الاسماء وقال يا خادم هذا الخرج هات لي اللون الفلاني فانه يحضره فقالت له امه هل امد يدي واطلب منه قال مدي يدك فمدت يدها وقالت بحق ما عليك من الاسماء يا خادم هذا الخرج ان تجيء لي بضلع مجشي فرأت الصحن صار في الخرج فمدت يدها فاخذته فوجدت فيه ضلعا محشيا نفيسا ثم طلبت العيش وطلبت كل شئ ارادته من انواع الطعام فقال لها يا امي بعد ان تفرغي من الاكل افرغي بقية الاطعمة في

صحـون غير هذه الـصحون وارجعـي الفوارغ فـي الخرج فان الرصـد علي هذه الحـالة واحفظي الخرج فنقلـت الخرج وحفظته وقال لها يا امي اكتمي السر وابـقيه عندك وكلما احتجتي لشئ اخرجيه من الخرج وتصدقي واطعمي اخوي سواء كان في حضوري او في غيابي وجـعل يأكل هو واياها واذا بـاخويه داخلان عليـه وكان بلغهم الخبـر من رجل من اولاد حارته وقال لهم اخوكم اتي وهو راكب علي بغلـة وقدامه عبد وعليه حلة ليس لها نظيـر فقالا لبـعضهما يـا ليتنـا ما كنا شوشـنا علي امنـا لابد انها تـخبره بما عمـلنا فيـها يا فضيحـتنا منه فقـال واحد منهم امنـا شفيقة فان اخـبرته فان اخونا اشـفق منها علـينا واذا اعتذرنا اليه يـقبل عذرنا ثم دخلا عليه فقام لـهما علي الاقدام وسلم عليهـما غاية السلام وقال لهمـا اقعدا وكلا فقعدا واكـلاوكانا ضعيفين مـن الجوع فمازالا يأكلان حتـي شبعا فقال لهما جودرا يا اخوي خذا بقية الطعام وفرقاه علي الفقراء والمساكين فقالا له يا اخانا خله لنتعشي به فقال لهما وقت العشاء يأتـيكما اكثر منه فاخرجا بقية الاطعمة وصارا كل فقير جاز عليهـما يقولان له خذو كل حتي لـم يبق شئ ثم ردا الصحـون فقال لامه حطيها في الخرج وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة السادسة عشرة بعد الستمائة

قالت بلغني ايـها الملك السعيد ان جودراا لما خلص اخواه مـن الغداء قال لامه حطي الصحون في الخرج وعند المساء دخل القاعـة واخرج من الخرج سماطا اربعين لونا وطلع فلما جـلس بين اخويه قال لامه هـاتي العشاء فلمـا دخلت رأت الصحون ممتـلأة فحطت السفرة ونقلت الصحـون شيئا بعد شئ حتي كملت الاربعين صحنا فـتعشوا وبعد العشا قال خذوا واطعموا الفقراء والمساكين فاخذوا بقـية الاطعمة وفرقوها وبعد العشاء اخرج لهم حلويات فـاكلوا منها والذي فضل منـهم قال اطعموه الجيران وفي ثانـي يوم الفطور كذلك ومازالوا علي هذا الحالة مدة عشرة ايام ثـم قال سالم لسليم ما سبب هذا الامر ان اخانا يخرج لنـا ضيافة في الصبح وضيافـة في الظهر وضيافة في المغـرب وفي آخر الليل حلويـات وكل شئ فضـل يفرقه عـلي الفقراء وهـذا فعل السـلاطين ومن اين اتـته هذه السعادة الا تـسأل عن هذه الاطعمـة المختلفة وعن هذه الحـلويات وكل شئ فضـل يفرقه علي الفقراء والمسـاكين ولا نراه يشتري شيئا ابدا ولا يوقد نارا و ليـس له مطبخ ولا طباخ فقال له اخـوه والله لا ادري ولكن هل تعرف مـن يخبرنا بحقـيقة هنا الامر هـنا قال له لا

يخبرنا الا امنا فدبرا لهما حيلة ودخلا علي امهما في غياب اخيهما وقالا يا امنا نحن جايعان فقالت لهما ابشرا ودخلت القاعة فطلبت من خادم الخرج واخرجت لهما اطعمة سخنة فقالا يا امنا هذا الطعام سخن وانت لم تطبخي ولم تنفخي فقالت لهما انها من الخرج فقالا لها اي شئ هذا الخرج فقالت لهما ان الخرج مرصود والطلب من الرصد واخبرتهما بالخبر وقالت لهما اكتما السر فقالا لها السر مكتوم يا امنا ولكن علمينا كيفية ذلك فعلمتهما وصارا يمدان اياديهما ويخرجان الشئ الذي يطلبانه واخوهما ما عنده خبر بذلك فلما علما بصفة الخرج قال سالم لسليم يا اخي الي متي ونحن عند جودرا في صفة الخدامين ونأكل صدقته الا نعمل عليه حيلة ونأخذ هذا الخرج ونفوز به فقال كيف تكون الحيلة قال نبيع اخانا لرئيس بحر السويس فقال له وكيف نصنع حتي نبيعه فقال اروح انا وانت لذلك الرئيس ونعزمه مع اثنين من جماعته والذي اقوله لجودرا تصدقني عليه وآخر الليل اريك ما اصنع ثم اتفقا علي بيع اخيهما وراحا بيت رئيس بحر السويس ودخل سالم وسليم علي الرئيس وقالا له يا رئيس جئناك في حاجة تسرك فقال خيرا قالا له نحن اخوان ولنا اخ ثالث معكوس لا خير فيه ومات ابونا وخلف لنا جانبا من المال ثم اننا قسمنا المال واخذ هو مانابه من الميراث فصرفه في الفسق والفساد ولما افتقر تسلط علينا وصار يشكونا الي الظلمة ويقول انتما اخذتما مالي ومال ابي وبقينا نترافع الي الحكام وخسرنا المال وصبر علينا مدة واشتكانا ثانيا حتي افقرنا ولم يرجع عنا وقد قلقنا منه والمراد انك تشتريه منا فقال لهما هل تقدران ان تحتالا عليه وتأتيا به الي هنا وانا ارسله سريعا الي البحر فقالا ما نقدر ان نجئ به ولكن انت تكون ضيفنا وهات معك اثنين من غير زيادة فلما ينام نتعاون عليه نحن الخمسة فنقبضه ونجعل في فمه العقلة وتأخذه تحت الليل وتخرج به من البيت وافعل فيه ما شئت فقال لهما سمعا وطاعة اتبيعانه باربعين دينار فقالا له نعم وبعد العشاء تأتي الحارة الفلانية فتجد واحدا منا ينتظركم فقال لهما روحا فقصدا جودرا وصبرا ساعة ثم تقدم اليه سالم وقبل يده فقال له مالك يا اخي فقال له اعلم ان لي صاحبا وعزمني مرات عديدة في بيته في غيابك وله علي الف جميلة ودائما يكرمني بعلم اخي فسملت عليه اليوم فعزمني فقلت له انا ما اقدر ان افارق اخي فقال هاته معك فقلت لا يرضي بذلك ولكن ان كنت تضيفنا انت واخوتك وكانا اخوته جالسين عنده فعزمتهم وقد ظننت اني اعزمهم ويمتنعوا فلما عزمته هو واخوته رضي

وقال انتظرني علي باب الزاوية وانا اجئ باخوتي فانا خائف ان يجيئ ومستحي منك فهل تجبر خاطري وتضيفهم في هذه الليلة وانت خيرك كثير يا اخي وان كنت لم ترض فاذن لي ان ادخلهم بيت الجيران فقال له لاي شئ تدخلهم بيت الجيران فهل بيتنا ضيق او ما عندنا شئ نعشيهم به عيب عليك ان تشاورني مالك الا اطعمة طيبة وحلاويات الي ان يفضل منهم وان جئت بناس وكنت انا غائبا فاطلب من امك تخرج لك اطعمة بزيادة رح هاتهم حلت علينا البركات فقبل يده وراح فقعد علي باب الزاوية لبعد العشاء واذا بهم قد اقبلوا عليه فاخذهم ودخل بهم البيت فلما رأهم جودرا قال لهم مرحبا بكم واجلسهم وعمل معهم صحبة وهو لا يعلم ما في الغيب منهم ثم انه طلب العشاء من امه فجعلت تخرج من الخرج وهو يقول هات اللون الفلاني حتي صار قدامهم اربعون لونا فاكلوا حتي اكتفوا ورفعت السفرة والبحرية يظنون ان هذا الاكرام من عند سالم فلما مضي ثلث الليل اخرج لهم الحلاويات وسالم هو الذي يخدمهم وجودرا وسليم قاعدان الي ان طلبوا المنام فقام جودرا نام وناموا حتي غفل وقاموا وتعاونوا عليه فلم يفق الا والعقلة في فمه وكتفوه وحملوه وخرجوا به من القصر تحت الليل وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة السابعة عشرة بعد الستمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان جودرا لما اخذوه وحملوه وخرجوا به من القصر تحت الليل ارسلوه الي السويس وحطوا في رجليه القيد واقام يخدم وهو ساكت ولم يزل يخدم خدمة الاساري والعبيد سنة كاملة هذا ما كان من امر جودرا واما ما كان من امر اخويه فانهما لما اصبحا دخلا علي امهما وقالا لها يا امنا اين اخانا جودرا الم يستيقظ فقالت لهما ايقظاه قالا لها اين راقد قالت لهما عند الضيوف قالا لعله راح مع الضيوف ونحن نائمان يا امي كأن اخانا ذاق الغربة ورغب في دخول الكنوز وقد سمعناه يتكلم مع المغاربة فيقولون له نأخذك معنا ونفتح لك الكنز فقالت هل اجتمع مع المغاربة قالا لها اما كانوا ضيوفا عندنا قالت لعله راح معهم ولكن الله يرشد طريقه هذا مسعد لابد ان ياتي بخير كثير وبكت وعز عليها فراقه فقالا لها يا ملعونة اتحبين جودرا كل هذه المحبة ونحن ان غبنا او حضرنا فلا تفرحي بنا ولا تحزني علينا اما نحن ولداك كما ان جودرا ابنك فقالت انتما ولداي ولكن انتما شقيان ولا لكما علي فضل ومن يوم مات ابوكما ما رأيت

منكما خيرا واما جودرا فرأيت منه خيرا كثيرا وجبر خاطري واكرمني فيحق لي ان ابكي عليه لان خيره علي وعليكم فلما سمعا هذا الكلام شتماها وضرباها ودخلا وصارا يفتشان علي الخرج حتي عثرا به واخذا الجواهر من العين الاولي والذهب من العين الثانية والخرج المرصودة فقالا لها هذا مال ابينا فقالت لا والله انما هو مال اخيكما جودرا جاء به من بلاد المغاربة فقالا لها كذبت بل هذا مال ابينا ونحن نتصرف فيه فقسماه بينهما ووقع الاختلاف بينهما في الخرج المرصودة فقال سالم انا آخذه وقال سليم انا آخذه ووقعت بينهما المعاندة فقالت امهما يا ولداي الخرج الذي فيه الجواهر والذهب قسمتماه وهذا لا ينقسم ولا يعادل بمال وان انقطع قطعتين بطل رصده ولكن اتركاه عندي وانا اخرج لكما ما تأكلانه في كل وقت وارضي بينكما باللقمة وان كسوتماني شيئا من فضلكما وكل منكما يجعل له معاملة مع الناس وانتما ولداي وانا امكما وخلونا علي حالنا ربما ياتي اخوكما خوف الفضيحة فما قبلا كلامها وباتا يختصمان تلك الليلة فسمعهما رجل قواص من اعوان الملك كان معزوما في بيت بجنب بيت جودرا طاقته مفتوحة فظل القواص من الطاقة وسمع جميع الخصام وما قالوه من الكلام والقسمة فلما اصبح الصبح دخل ذلك الرجل القواص علي الملك وكان اسمه شمس الدولة وكان ملك مصر في ذلك العصر فلما دخل عليه القواص اخبره بما قد سمعه فارسل الملك الي اخوي جودرا وجاء بهما ورماهما تحت العذاب فأقرا واخذ الخرجين منهما ووضعهما في السجن ثم انه عين الي ام جودرا من الجرايات في كل يوم ما يكفيها هذا ما كان من امرهم واما ما كان من امر جودرا فانه اقام سنة كاملة يخدم في السويس وبعد السنة كانوا في المركب فخرج عليهم ريح رمي المركب التي هم فيها علي جبل فانكسرت وغرق جميع ما فيها ولم يحصل البر الا جودرا والبقية ماتوا فلما حصل البر سافر حتي وصل الي نجع عرب فسألوه عن حاله فاخبرهم انه كان بحريا في مركب وحكي لهم قصته وكان في النجع رجل تاجر من اهل جده فحن عليه وقال له هل تخدم عندنا يا مصري وانا اكسوك وآخذك معي الي جده فخدم عنده وسافر معه الي ان وصلا الي جده فاكرمه كثيرا ثم ان سيده التاجر طلب الحج فاخذه معه الي مكة فلما دخلاها راح جودرا ليطوف في الحرم فبينما هو يطوف واذا هو بصاحبه المغربي عبد الصمد يطوف وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الثامنة عشر بعد الستمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان جودرا لما كان ماشيا في الطواف واذا هو بصاحبه المغربي عبد الصمد يطوف فلما رآه سلم عليه وسأله عن حاله فبكي ثم اخبره بما جري له فاخذه معه الي ان دخل منزله واكرمه والبسه حلة ليس لها نظير وقال له زال عنك الشر يا جودرا وضرب له تخت رمل فبان له الذي جري لاخويه فقال له اعلم يا جودرا ان اخويك جري لهما كذا وكذا وهما محبوسان في سجن مصر ولكن مرحبا بك حتي تقضي مناسكك ولا يكون الا خيرا فقال له يا سيدي حتي اروح آخذ خاطر التاجر الذي انا عنده واجيئ اليك فقال هل عليك مال قال لا فقال رح خذ بخاطره وتعال في الحال فان العيش له حق عند اولاد الحلال فراح واخذ بخاطر التاجر وقال له اني اجتمعت علي اخي فقال له رح هاته ونعمل له ضيافة فقال له ما يحتاج فانه من اصحاب النعم وعنده خدم كثير فاعطاه عشرين دينار وقال له ابرئ ذمتي فودعه وخرج من عنده فرأي رجلا فقيرا فاعطاه العشرين دينارا ثم انه ذهب الي عبد الصمد المغربي فاقام عنده حتي قضيا مناسك الحج واعطاه الخاتم الذي اخرجه من كنز الشمردل وقال له خذ هذا الخاتم فانه يبلغك مرادك لان له خادما اسمه الرعد القاصف فجميع ما تحتاج اليه من حوايج الدنيا فادعك الخاتم يظهر لك الخادم وجميع ما تأمره به يفعله لك ودعكه قدامه فظهر له الخادم ونادي لبيك يا سيدي اي شئ تطلب فتعطي فهل تعمر مدينة خربة او تخرب مدينة عامرة او تقتل ملكا او تكسر عسكرا فقال له المغربي يا رعد هذا صار سيدك فاستوص به ثم صرفه وقال ادعك الخاتم يحضر بين يديك خادمه فأمره بما في مرادك فانه لا يخالفك وامض الي بلادك واحتفظ عليه فانك تكيد به اعدائك ولا تجهل مقدار هذا الخاتم فقال له يا سيدي عن اذنك اسير الي بلادي قال له ادعك الخاتم يظهر لك الخادم فاركب علي ظهره وان قلت له اوصلني في هذا اليوم الي بلادي فلا يخالف امرك ثم ودع جودرا عبد الصمد ودعك الخاتم فحضر له الرعد القاصف وقال له لبيك اطلب تعط فقال له اوصلني الي مصر في هذا اليوم فقال له لك ذلك وحمله وطار به من وقت الظهر الي نصف الليل ثم نزل به في وسع بيت امه وانصرف فدخل علي امه فلما رأته قامت وبكت وسلمت عليه واخبرته بما قد جري لاخويه من الملك وكيف ضربهم واخذ الخرج الموصود والخرج الذهب والجواهر فلما سمع جودرا ذلك لم يهن عليه اخواه فقال لامه

لا تحزني علي ما فاتك ففي هذه الساعة اريك ما اصنع واجيئ باخوي. ثم انه دعك الخاتم فحضر له الخادم وقال لبيك اطلب تعط فقال له امرتك ان تجيئ لي باخواي من سجن الملك فنزل الي الارض ولم يخرج الا من وسط السجن وكان سالم وسليم في اشد ضيق وكرب عظيم من الم السجن وصارا يتمنيان الموت واحدهما يقول للاخر والله يا اخي قد طالت علينا المشقة والي متي ونحن في هذا السجن فالموت فيه راحة لنا فبينما هما كذلك واذا بالارض انشقت وخرج لها الرعد القاصف وحمل الاثنين ونزل بهما في الارض فغشي عليهما من شدة الخوف فلما افاقا وجدا انفسهما في بيتهما ورأيا اخاهما جودرا جالسا وامه في جانبه فقال لهما سلامات يا اخوي آنستماني فطأطأ وجهيهما في الارض وصار يبكيان فقال لهما لا تبكيا فالشيطان والطمع الجآكما الي ذلك وكيف تبيعاني ولكن اتسلي بيوسف فانه فعل به اخوته ابلغ من فعلكم معي حيث رموه في الجب وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة التاسعة عشرة بعد الستمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان جودرا قال لاخويه كيف فعلتما معي هذا الامر ولكن توبا الي الله واستغفراه فيغفر لكما وهو الغفور الرحيم وقد عفوت عنكما ومرحبا بكما ولا بأس عليكما وجعل يأخذ بخواطرهما حتي طيب قلوبهما وصار يحكي لهما جميع ما قاساه في السويس الي ان اجتمع بالشيخ عبد الصمد واخبرهما بالخاتم فقالا يا اخانا لا تؤاخذنا في هذه المرة ان عدنا لما كنا فيه فافعل بنا مرادك فقال لا بأس ولكن اخبراني بما فعل بكما الملك فقالا ضربنا وهددنا واخذ الخرجين منا فقال اما يبالي ودعك الخاتم فحضر له الخادم فلما رأه اخواه خافا منه وظنا انه يأمر الخادم بقتلهما فذهبا الي امهما وصارا يقولان يا امنا نحن في عرضك يا امنا اشفعي فينا فقالت لهما يا ولديّ لا تخافا ثم انه قال للخادم امرتك ان تأتيني بجميع ما في خزانة الملك من الجواهر وغيرها ولا تبق فيها شيئا وتأتي بالخرج المرصود والخرج الجواهر اللذين اخذهما الملك من اخوي فقال السمع والطاعة وذهب في الحال وجمع ما في الخزانة وجاء بالخرجين باماتتهما ووضع جميع ما كان في الخزانة قدام جودرا وقال يا سيدي ما ابقيت في الخزانة شيئا فامر امه ان تحفظ خرج الجواهر وحط الخرج المرصود قدامه وقال للخادم امرتك ان تبني لي

في هذه الليلة قصرا عاليا وتزوقه بماء الذهب وتفرشه فرشا فاخرا ولا يطلع النهار الا وانت خالص من جميعه فقال له لك ذلك ونزل في الارض وبعد ذلك اخرج جودرا الاطعمة واكلوا وانبسطوا وناموا واماما كان من امر الخادم فانه جمع اعوانه وامر ببناء القصر فصار البعض منهم يقطع الاحجار والبعض يبني والبعض يبيض والبعض ينقش والبعض يفرش فما طلع النهار حتي تم انتظام القصر ثم طلع الخادم الي جودرا وقال يا سيدي ان القصر كمل وتم نظامه فان كنت تطلع تتفرج عليه فاطلع فطلع هو وامه واخواه فرأوا هذا القصر ليس له نظير يحير العقول من حسن نظامه ففرح به جودرا وكان علي قارعة الطريق ومع ذلك لم يتكلف عليه شئ فقال لامه هل تسكنين في هذا القصر فقالت يا ولدي اسكن ودعت له فدعك الخاتم واذا بالخادم يقول لبيك فقال له امرتك ان تاتيني باربعين جارية بيض ملاح واربعين جارية سود واربعين مملوكا واربعين عبدا فقال لك ذلك وذهب مع اربعين من اعوانه الي بلاد الهند والسند والعجم وصاروا كلما يروا بنتا جميلة يخطفونها او غلاما يخطفونه وانفذ اربعين فجاؤا بجوار سود ظراف واربعين جاؤا بعبيد واتي الجميع دار جودرا فملأوها ثم عرضهم علي جودرا فاعجبوه فقال هات لكل شخص حلة من افخر الملبوس قال حاضر وقال هات حلة تلبسها امي وحلة البسها انا فاتي بالجميع والبس الجواري وقال لهم هذه سيدتكم فقبلوا يدها ولا تخالفوها واخدموها بيضا وسودا ولبس المماليك وقبلوا يد جودرا ولبس اخواه وصار جودرا كناية عن ملك واخواه مثل الوزراء وكان بيته واسعا فاسكن سالما وجواريه في جهة وسليما وجواريه في جهة وسكن هو وامه في القصر الجديد وصار كل منهم في محله مثل السلطان هذا ما كان من امرهم واما ما كان من امر خازندار الملك فانه اراد ان يأخذ بعض مصالح من الخزانة فدخل فلم ير فيها شيئا بل وجدها كقول من قال

كانت خليات نحل وهي عامرة   لما خلي نحلها صارت خليات

فصاح صيحة عظيمة ووقع مغشيا عليه فلما افاق خرج من الخزانة وترك بابها مفتوحا ودخل علي الملك شمس الدولة وقال يا امير المؤمنين الذي نعلمك به ان الخزانة فرغت في هذه الليلة فقال الملك ما صنعت باموالي التي في خزانتي فقال والله ما صنعت فيها شيئا ولا ادري ما سبب فراغها بالامس دخلتها فرأيتها ممتلأة واليوم دخلتها فرأيتها فارغة

ليس فيها شئ والابواب مغلوقة ولا نقبت ولا كسرت ضبتها ولم يدخلها سارق فقال له هل راح منها الخرجان فقال نعم فطار عقله من رأسه وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الموفية للعشرين بعد الستمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان خازندار الملك لما دخل عليه واعلمه ان ما في الخزانة ضاع وكذلك الخرجان طار عقله من رأسه وقام علي قدميه ثم انه قال للخازندار امض قدامي فمضي وتبعه الملك حتي اتيا الخزانة فلم يجد فيها شيئا فانقهر الملك وقال من سطا علي خزانتي ولم يخف من سطوتي وغضب غضبا شديدا ثم خرج ونصب الديوان فجاءت اكابر العساكر وصار كل منهم يظن ان الملك غضبان عليه فقال يا عساكر اعلموا ان خزانتي انتهبت في هذه الليلة ولم أعلم من فعل هذه الفعال وسطا علي ولم يخف مني فقالوا وكيف ذلك فقال اسألوا الخازندار فسألوه قال الخازندار بالامس كانت ممتلأة واليوم دخلتها فرايتها فارغة ولم تنقب ولم يكسر بابها فتعجب جميع العسكر من هذا الكلام فلم يحصل رد الجواب من العسكر الا والقواص الذي نم سابقا علي سليم وسالم داخل علي الملك وقال يا ملك الزمان طول الليل وانا اتفرج علي بنايين يبنون فلما طلع النهار رأيت قصرا مبنيا ليس له نظير فسألت فقيل لي ان جودرا اتي وبني هذا القصر وعنده مماليك وعبيد وجاء باموال كثيرة وخلص اخويه من السجن وهو في داره كانه سلطان فقال الملك انظروا السجن فنظروه لم يروا سالما وسليما فرجعوا واعلموه بما جري فقال الملك بان غريمي فالذي خلص سالما وسليما من السجن هو الذي اخذ مالي فقال الوزير يا سيدي من هو قال اخوهم جودرا واخذ الخرجين ولكن يا وزير ارسل له امير بخمسين رجلا يقبضون عليه وعلي اخويه ويضعون الختم علي جميع ماله ويأتوني بهم حتي اشنقهم وقد غضب غضبا شديدا وقال هيا بالعجل ابعث لهم امير ياتيني بهم لاقتلهم قال له الوزير احلم فان الله حليم لا يعجل علي عبده اذا عصاه فان الذي يكون بنا قصرا في ليلة واحدة كما قالوا لم يقس عليه احد في الدنيا واني اخاف علي الامير ان يجري له مشقة من جودرا فاصبر حتي ادبر لك تدبيرا وتنظر حقيقة الامر والذي في مرادك انت لاحقه يا ملك الزمان فقال الملك دبر لي تدبيرا يا وزير قال له ارسل له الامير واعزمه ثم اني اتقيد لك به واظهر له الود واسأله عن حاله وبعد ذلك ننظر ان كان عزمه

شديدا نحتال عليه بحيلة وان كان عزمه ضعيفا فاقبض عليه وافعل به مرادك فقال الملك ارسل اعزمه فامر امير اسمه الامير عثمان ان يروح الي جودرا ويعزمه ويقول له الملك يدعوك للضيافة وقال له الملك لا تجئ الا به وكان ذلك الامير احمق متكبرا في نفسه فلما نزل رأي قدام باب القصر طواشيا جالسا علي كرسي في باب القصر فلما وصل الامير عثمان الي القصر لم يقم له وكأنه لم يكن مقبلا عليه احد ومع ذلك كان مع الامير عثمان خمسون رجلا فوصل الامير عثمان وقال له يا عبد اين سيدك قال له في القصر وصار يكلمه وهو متكئ فغضب الامير عثمان وقال له يا عبد النحس اما تستحي مني وانا اكلمك وانت مضطجع مثل العلوق فقال له امشي لا تكن كثير الكلام فما سمع منه هذا الكلام حتي امتزج بالغضب وسحب الدبوس واراد ان يضرب الطواشي ولم يعلم انه شيطان فلما رأه سحب الدبوس قام واندفع عليه واخذ منه الدبوس وضربه اربع ضربات فلما رآه الخمسون رجلا صعب عليهم ضرب سيدهم فسحبوا السيوف وارادوا ان يقتلوا العبد فقال لهم اتسحبون السيوف يا كلاب وقام عليهم وصار كل من لطشه دبوسا يهشمه ويغرقه في الدم فانهزموا قدامه ولازالوا هاربين وهو يضربهم الي ان بعدوا عن باب القصر ورجع وجلس علي كرسيه ولم يبال باحد وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الحادية والعشرون بعد الستمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الطواشي لما شتت الامير عثمان تابع الملك وجماعته الي ان ابعدهم عن باب دار جودرا رجع وجلس علي الكرسي عند باب القصر ولم يبال باحد واما ما كان من امر الامير عثمان وجماعته فانهم رجعوا منهزمين مضروبين الي ان وقفوا قدام الملك شمس الدولة واخبروه بما جري لهم وقال الامير عثمان للملك يا ملك الزمان لما وصلت الي باب القصر رأيت طواشيا جالسا في الباب علي كرسي من الذهب وهو متكبر فلما رآني مقبلا عليه اضطجع بعد ان كان جالسا واحتقرني ولم يقم لي فصرت اكلمه فيجيني وهو مضطجع فاخذتني الحدة وسحبت عليه الدبوس واردت ضربه فاخذ الدبوس مني وضربني به وضرب جماعتي وبطحهم وهربنا من قدامه ولم نقدر عليه فحصل للملك غيظ وقال ينزل اليه مائة رجل فنزلوا اليه واقبلوا عليه فقام لهم لهم بالدبوس ولازال يضرب فيهم حتي هربوا من قدامه ورجع وجلس علي الكرسي

فرجع المائة رجل ولما وصلوا الي الملك اخبروه وقالوا له يا ملك الزمان هربنا من قدامه خوفا منه فقال الملك تنزل مائتان فنزلوا فكسرهم ثم رجعوا فقال الملك للوزير الزمتك ايها الوزير ان تنزل بخمسمائة رجل وتأتيني بهذا الطواشي سريعا وتأتي بسيده جودرا واخويه فقال له يا ملك الزمان لا احتاج لعسكر بل اروح اليه وحدي من غير سلاح فقال له رح وافعل الذي تراه مناسبا فرمي الوزير السلاح ولبس حلة بيضاء واخذ في يده سبحة ومشي وحده من غير ثان حتي وصل الي قصر جودرا فراي العبد جالسا فلما رآه اقبل عليه من غير سلاح وجلس جنبه بادب ثم قال له السلاح عليكم فقال وعليك السلام يا انسي ما تريده فلما سمعه يقول يا انسي علم انه من الجن وارتعش من خوفه فقال له يا سيدي هل سيدك جودرا هنا قال نعم في القصر فقال له يا سيدي اذهب اليه وقل له ان الملك شمس الدولة يدعوك وعامل لك ضيافة ويقرؤك السلام ويقول لك شرف منزله وكل ضيافته فقال له قف انت هنا حتي اشاوره فوقف الوزير مؤدبا وطلع المارد القصر وقال لجودرا اعلم يا سيدي ان الملك ارسل اليك اميرا فضربته وكان معه خمسون رجلا فهزمتهم ثم انه ارسل مائة رجل فضربتهم ثم ارسل مئتا رجل فهزمتهم ثم ارسل اليك الوزير من غير سلاح يدعوك اليه لتأكل ضيافته فماذا تقول فقال له رح هات الوزير الي هنا فنزل من القصر وقال له يا وزير كلم سيدي فقال علي الرأس ثم انه طلع ودخل علي جودرا فرآه اعظم من الملك جالسا علي فرش لا يقدر الملك ان يفرش مثله وتحير فكره من حسن القصر ومن نقشه وفرشه حتي كأن الوزير بالنسبة اليه فقير فقبل الارض ودعا له فقال له ما شأنك ايها الوزير فقال له يا سيدي ان الملك شمس الدولة حبيبك يقرؤك السلام ومشتاق الي النظر لوجهك وقد عمل لك ضيافة فهل تجبر خاطره فقال جودرا حيث كان حبيبي فسلم عليه وقل له يجيئ هو عندي فقال له علي الرأس واخرج الخاتم ودعكه فحضر الخادم فقال له هات لي حلة من خيار الملبوس فاحضر له حلة فقال البس هذه يا وزير فلبسها ثم قال له رح اعلم الملك بما قلته فنزل لابسا تلك الحلة التي لم يلبس مثلها ثم دخل علي الملك واخبره بحال جودرا وشكر القصر وما فيه وقال ان جودرا عزمك فقال قوموا يا عسكر فقاموا كلهم علي الاقدام وقال اركبوا خيلكم وهاتوا لي جوادي حتي نروح الي جودرا ثم ان الملك ركب واخذ العساكر وتوجهوا الي بيت جودرا واما جودرا فانه قال للمارد مرادي ان تجيئ لنا من اعوانك بعفاريت في صفة

الانس يكونون عسكرا ويقفون في ساحة البيت حتي يراهم الملك فيرعبونه ويفزعونه فيرتجف قلبه ويعلم ان سطوتي اعظم من سطوته فاحضر مائتين في صفة عسكر متقلدين بالسلاح الفاخر وهم شداد غلاظ فلما وصل الملك رأي القوم الشداد الغلاظ فخاف قلبه منهم ثم انه طلع القصر ودخل علي جودرا فرآه جالسا جلسة لم يجلسها ملك ولا سلطان فسلم عليه وتمني بين يديه وجودرا لم يقم له ولا يعمل له مقاما ولم يقل له اجلس بل تركه واقفا وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الثانية والعشرون بعد الستمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان جودراا لما دخل عليه الملك لم يقم له ولم يعتبره ولم يقل له اجلس بل تركه واقفا حتي داخله الخوف فصار لا يقدر ان يجلس ولا ان يخرج وصار يقول في نفسه لو كان خائفا مني ما كان تركني عن باله وربما يؤذيني بسبب ما فعلت مع اخويه ثم ان جودراا قال يا ملك الزمان ليس شأن مثلكم ان يظلم الناس ويأخذ اموالهم فقال له يا سيدي لا تؤاخذني فان الطمع احوجني الي ذلك ونفذ القضاء ولولا الذنب ما كانت المغفرة وصار يعتذر اليه علي ما سلف منه ويطلب منه العفو والسماح حتي من جملة الاعتذار نشده هذا الشعر

يا اصيل الجدود سمح السجايا لا تلمني فيما تحصل مني
ان تكن ظالما فعنك عفونا او اكن ظالما فعفوك عني

ولازال يتواضع بين يديه حتي قال له عفا الله عنك وامره بالجلوس فجلس وخلع عليه ثياب الامان وامر اخويه بمد السماط وبعد ان اكلوا كسا جماعة الملك واكرمهم وبعد ذلك امر الملك بالمسير فخرج من بيت جودرا وصار كل يوم يأتي الي بيت جودرا ولا ينصب الديوان الا في بيت جودرا وزادت بينهما العشرة والمحبة ثم انهم اقاموا علي هذه الحالة مدة وبعد ذلك خلا بوزيره وقال له يا وزير انا خائف ان يقتلني جودرا ويأخذ الملك مني فقال له يا ملك الزمان اما من قضية اخذ الملك فلا تخف فان حالة جودرا التي هو فيها اعظم من حالة الملك واخذ الملك حطة في قدره ·ن كنت خائفا ان يقتلك فان لك بنتا فزوجها له وتصير انت واياه حالة واحد فقال له يا وزير انت تكون واسطة بيني وبينه فقال له اعزمه عندك ثم اننا نسهر في قاعة وامر ابنتك ان تتزين بافخر زينة وتمر عليه من

باب القاعة فانه متي رأها عشقها فاذا فهمنا منه ذلك فانا اميل عليه واخبره انها ابنتك وادخل واخرج معه في الكلام بحيث انه لم يكن عندك خبر بشئ من ذلك حتي يخطبها منك ومتي زوجته البنت سرت انت واياه شيئا واحدا وتأمن منه وان مات ترث منه الكثير فقال له صدقت يا وزيري وعمل الضيافة وعزمه فجاء الي سراية السلطان وقعدوا في القاعة مع انس زائد الي اخر النهار وكان الملك ارسل الي زوجته ان تزين البنت بافخر زينة وتمر بها علي باب القاعة فعملت كما قال ومرت البنت فنظرها جودرا وكانت ذات حسن وجمال وليس لها نظير فلما حقق جودرا النظر فيها قال آه وتفككت اعضاؤه واشتد به العشق والغرام واخذه الوجد والهيام واصفر لونه فقال له الوزير لا بأس عليك يا سيدي مالي اراك متغيرا متوجعا فقال يا وزير هذه البنت بنت من فانها سلبتني واخذت عقلي فقال هذه بنت حبيبك الملك فان كانت اعجبتك انا اتكلم مع الملك يزوجك اياها فقال يا وزير كلمه وانا وحياتي اعطيك ما تطلب واعطي للملك ما يطلبه في مهرها ونصير احبابا واصهارا فقال له الوزير لابد من حصول غرضك ثم ان الوزير حدث الملك سرا وقال له يا ملك الزمان ان جودرا حبيبك يريد القرب منك وقد توسل بي اليك ان تزوجه ابنتك السيدة آسية فلا تخيبني واقبل سياقي ومهما تطلبه في مهرها يدفعه فقال الملك المهر قد وصلني والبنت جارية في خدمته وانا ازوجه اياها وله الفضل في القبول وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الثالثة والعشرون بعد الستمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك شمس الدولة لما قال له وزيره ان جودر يريد القرب منك بتزويجه ابنتك قال لها المهر قد وصلني والبنت جارية في خدمته وله الفضل في القبول وباتوا تلك الليلة ثم اصبح الملك نصب ديوانا واحضر فيه الخاص والعام وحضر شيخ الاسلام وجودر خطب البنت وقال الملك المهر قد وصل وكتبوا الكتاب فارسل جودر باحضار الخرج الذي فيه الجواهر واعطاه للملك في مهر البنت ودقت الطبول وغنت الزمور وانتظمت عقود الفرح ودخل علي البنت وصار هو والملك شيئا واحدا واقاما مع بعضهما مدة من الايام ثم مات الملك فصارت العساكر تطلب جودرا

للسلطنة ولم يزالوا يـرغبونه وهو يمتنع منهم حتي رضي فجعلوه سلـطانا فامر ببناء جامع علـي قبر الملـك شمس الـدولة ورتب له الاوقـاف وهو في خط الـبندقـانيين وكان بـيت جودرا في حارة اليمانية فلما تسلطن بني ابنية وجامعا وقد سميت الحارة به وصار اسمها حارة الجودريـة واقام ملكـا مدة وجعل اخويـه وزيرين سالمـا وزير ميمنـته وسليـما وزير ميسرته فاقاموا عاما واحدا من غير زيادة ثـم ان سالما قال لسليم يا اخي الي متي هذا الحال فهل نقضي عمرنا كله ونحن خادمان لجودرا ولا نفرح بسيادة ولا سعادة مادام جودرا حيا قال وكيف نصنع حتـي نقتله ونأخذ منه الخاتم والخرج فقال سليـم لسالم انت اعرف مني فدبر لنا حـيلة لعلنا نقـتله بها فقال اذا دبرت لك حـيلة علي قتله هـل ترضي ان اكون انا سلطانا وانت وزير ميمنة ويكون الخاتم لي والخرج لك قال رضيت فاتفقا علي قتل جودر من شأن حـب الدنيا والريـاسة ثم ان سليمـا وسالما دبرا حيـلة لجودرا وقالا له يـا اخانا ان مرادنا ان نفتخر بك فتدخل بيوتنا وتأكل ضـيافتنا وتجبر خاطرنا وصارا يخادعانه ويقولان له اجبر خاطرنا وكل ضيـافتنا فقال لا بأس فالضيافة في بيت من فيـكم قال سالم في بيتي وبعد ما تأكـل ضيافتي تأكل ضيافة اخـي قال لا بأس وذهب مع سليم الي بيـته فوضع له الضيـافة وحط فيها الـسم فلما اكـل تفتت لحمـه مع عظمه فقـام سالم ليأخـذ الخاتم من اصبعه فعصي منـه فقطع اصبعه بالسكين ثم انه دعك الخاتم فحـضر له المارد وقال لبيك فاطلب ما تريد فقال له امسك اخي واقتله واحمل الاثنين المسموم والمقتول وارمهما قدام العسكر فاخذ سليما وقتله وحمل الاثنين وخرج بهما ورماهما قدام اكابر العسكر وكانوا جالسين علي الـسفرة في مقعد البيت يأكلـون فلما نظروا جودرا وسليما مـقتولين رفعوا اياديهم من الطعام وازعـجهم الخوف وقالوا للمارد من فعل بالملـك والوزير هذه الفعال فقال لهم اخوهـم سالم واذا بـسالم اقبل عليهم وقال يا عسكر كلوا وانـبسطوا فاني ملكت الخاتم من اخـي جودر وهذا المارد خادم الخاتم قـدامكم وامرته بـقتل اخي سليـم حتي لا ينازعنـي في الملك لانه خائـن وانا اخاف ان يخونني وهـذا جودر صار مقتولا وانـا بقيت سلطانـا عليكم هل تـرضون بي والا ادعك الخاتم فيقـتلكم خادمه كـبارا وصغارا وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الرابعة والعشرون بعد الستمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان سالما لما قال للعسكر هل ترضون بي عليكم سلطانا والا ادعك الخاتم فيقتلكم كبار وصغارا قالوله رضينا بك ملكا وسلطانا ثم امر بدفن اخويه ونصب الديوان وذهب ناس في تلك الجنازة وناس مشوا قدامه بالموكب ولما وصلوا الي الديوان جلس علي الكرسي وبايعوه علي الملك وبعد ذلك قال اريد ان اكتب كتابي علي زوجة اخي فقالوله حتي تنقضي العدة فقال لهم انا لا اعرف عدة ولا غيرها وحياة رأسي لا ان ادخل عليها في هذه الليلة فكتبوا له الكتاب وارسلوا اعلموا زوجة جودر بنت الملك شمس الدولة فقالت دعوه ليدخل فلما دخل عليها ظهرت له الفرح واخذته بالترحيب وحطت له السم في الماء فاهلكته ثم انها اخذت الخاتم وكسرته حتي لا يمكله احد وشقت الخرج ثم ارسلت اخبرت شيخ الاسلام وارسلت تقول لهم اختاروا لكم ملكا يكون عليكم سلطانا وهذا ما انتهي الينا من حكاية جودر بالتمام والكمال.

وبلغني ايضا انه كان في قديم الزمان ملك من الملوك العظام يقال له الملك كندمر وكان ملكا شجاعا وقرما مناعا ولكنه شيخ هرم كبير وقد رزقه الله في حال هرمه ولدا ذكرا فسماه عجيبا لحسنه وجماله وسلمه الي القوابل والمرضعات والجواري والسراري حتي نشأ وكبر حتي بلغ من العمر سبع سنين من الاعوام علي التمام فرتب له ابوه كاهنا من اهل ملته ودينه فعلمه شريعتهم وكفرهم وما يحتاج اليه في مدة ثلاث سنين كوامل الي ان مهر وقويت عزيمته وصحت فكرته وصار عارفا فصيحا فيلسوفا موصوفا يناظر العلماء ويجالس الحكماء فلما رأي ابوه ذلك منه اعجبه ثم علمه ركوب الخيل والطعن بالرمح والضرب بالسيف الي ان صار فارسا شجاعا فما تم عمره عشر سنين حتي فاق اهل زمانه في جميع الاشياء وعرف ابواب الحرب فصار جبارا عنيدا وشيطانا مريدا وكان اذا ركب للصيد والقنص يركب في الف فارس ويشن الغارات علي الفوارس ويقطع الطرق ويسبي بنات الملوك والسادات وكثرت فيه لابيه الشكايات فصاح الملك علي خمسة من العبيد فحضروا فقال لهم امسكوا هذا الكلب فهجم الغلمان علي عجيب وكتفوه وامرهم بضربه فضربوه حتي غاب عن الوجود وسجنه في قاعة لا يعرف السماء من الارض ولا الطول من العرض فمكث ليلة محبوسا فتقدم

الامراء الي الملك وقبلوا الارض بين يديه وشفعوا في عـجيب فاطلقه فصبر عجيب علي ابيه عشرة ايام ودخل عليـه في الليل وهو نائم وضربه فرمي عنـقه فـلما طلع النهار ركب عجيب علي كرسي ممـلكت ابيه وامر رجاله ان يقفوا بين يديه ويلبـسوا البولاد ويسحبوا سيـوفـهم واوقفهم ميـمنة وميسرة فـلما دخل الامراء والمقـدمون وجدوا ملكهـم مقتولا وابنه جالسـا علي كرسي مملكته فـتحيرت عقولهم فـقال لهم عجيب يا قوم لـقد رأيتم ما حصل لملككم فمن اطاعـني اكرمته ومن خالفني فعلت به مثله فلـما سمعوا كلامه خافوا منه ان يبطـش بهم فقالوا له انـت ملـكنا وابن ملكـنا وقبلوا الارض بين يـديـه فشكرهم وفرح بهم وأمر باخراج المـال والقمـاش ثـم انه خلـع عليهم الخلع السنية وغمرهم بالمال فحبـوه كلهم واطاعوه وخـلع علي النواب ومـشايخ العربان الـعاصي والطائع فـدانت له البلاد واطاعته الـعباد وحكم وامر ونهي مدة خمـسة اشهر ثم رأي في منامه رؤيا فـانتـبه فـزعا مـرعوبا ولم يأخـذه منـام حـتي اصـبح الصـباح فجلـس علي الكرسي ووقفت الجنود بين يديه ميمنـة وميسرة ثم دعا بالمعبرين والمنجمين فقال لـهم فسروا لي هذا المـنام فقالوا له وما المنام الـذي رأيته ايها الملك فقال رأيت كأن والدي قدامي وانـكشف احليلة وخرج منه شئ قدر النحلة فـكبر حتي صار كالـسبع العظيـم بمخالـب مثل الخـناجر وقد خفت منـه فبينما انا باهـت فيه اذ هجم علي وضـربني بمخالبه فـشق بطني فانتبـهت فزعا مرعوبا فنظر المعبـرون الي بعضهم وتفكروا في رد الجـواب ثـم قالوا ايـها المـلك العظيم هذا المنام يدل علي مولود لك مـن ابـيك وتقع العـداوة بينك وبيـنه ويظـهر عليك فخذ حذرك منه بسبـب هـذا المنـام فلمـا سـمع عجيب كلام المعبريـن قال ليس لي اخ اخاف منه فقولـكم هذا كذب فقالوا له مـا خبرنا الا بما علمنـا فنفر فيهم وضربـهم وقام ودخل قصر ابيه واختبـر سـراري ابيه فوجد فيهن جـارية حاملا لها سبعة اشهر فامر عبدين من عبيـده وقال لهـمـا خـذا هذه الجاريـة وامضيا بها الـي البحر واغرقـاها فاخذها مـن يدها وذهبا بهـا الي البحر واراد ان يغرقاهـا فنظرا اليها فـوجداها بديعة الحسن والجـمال فقالا لأي شـئ تغـرق هـذه الجارية وانمـا نأخـذاها الـي الغابة ونعيش بها في تعريض عجـيب فاخـذاها وسـارا ايـاما ولـيـالي حتي بـعدا عـن الـديـار فتـوجها بـهـا الي غـابة كثيرة الاشجار والاثمار والانهار واتفق رأيهم علي ان يـقضوا غرضهم منها وصـار كل واحد منهما يقول انـا افعل قبلك واختلفا مع بعضـهما فطلـع عليها نـاس مـن السـودان فسلوا

سيوفهم وحملوا علي بعضهم واشتد بينهم القتال والحرب والطعان ولم يزالوا يحاربون العبدين حتي قتلوهما في اسرع من طرفة العين وصارت الجارية تدور وحدها في الغابة وتأكل من اثمارها وتشرب من انهارها ولم تزل علي هذه الحالة حتي وضعت غلاما اسمر نظيفا ظريفا وسمته الغريب لغربته وقطعت سرته ولفته في بعض ثيابها وصارت ترضعه وهي حزينة القلب والفوائد علي ما كانت في من العز والدلال وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الخامسة والعشرون بعد الستمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الجارية صارت مقيمة في الغابة وهي حزينة القلب والفؤاد وصارت ترضع ولدها مع ما حصل لها من غاية الحزن والخوف من وحدتها فبينما هي في بعض الايام علي تلك الحالة واذا هي بفرسان ورجال مشاة ومعهم بزاة وكلاب صيد وقد حملوا خيولهم من كركي وبلشون ووزعراقي وغطاس وطير ماء ووحوش وارانب وغزلان وبقروحش وفراخ النعام وتفه وذيئاب وسباع ثم دخل هؤلاء العربان في تلك الغابة فوجدوا الجارية وابنها في حجرها ترضعه فتقربوا منها وقالوا لها هل انت انسية او جنية قالت انسية يا سادات العرب فاعلموا اميرهم وكان اسمه مرداسا سيد بني قحطان وقد خرج الي الصيد في خمسمائة امير من قومه وبني عمه فلم يزالوا يصطادون حتي وصلوا الي الجارية ونظروها واعلمتهم بما جري من اوله الي آخره فتعجب الملك من امرها وصاح علي قومه وبني عمه فلم يزالوا يصطادون حتي وصلوا الي بني قحطان فاخذها وافردها بمحل ووكل بها خمس جوار من اجل الخدمة وقد احبها حبا شديدا وقد دخل عليها وواقعها فحملت علي الدم ولما انقضت شهورها وضعت غلاما ذكرا فسمته سهيم الليل فتربي بين القوابل مع اخيه حتي نشأ ومهر في حجر الامير مرداس فسلمهما الي فقيه فعلمهما امر دينهما وبعد ذلك سلمهما الي شجعان العرب فعلمهما طعن الرمح وضرب السيف ورمي النشاب فما كملا خمس عشرة سنة حتي تعلما ما يحتاجان اليه وفاقا علي كل شجيع في الحي فكان غريب يحمل علي الف فارس وكذا اخوه سهيم الليل وكان لمرداس اعداء كثيرة وكانت عربه اشجع العرب فكلهم ابطال فرسان لا يصطلي لهم بنار وكان بجواره امير من امراء العرب يقال له حسان بن ثابت وهو صديقه وقد خطب كريمة من كرام قومه فدعي جميع اصحابه ومن جملتهم

مرداس سيد بني قحطان فاجاب واخذ معه من قومه ثلاثمائة فارس وترك اربعمائة فارس لحفظ الحريم وصار حتي وصل الي حسان فتلقاه واجلسه في احسن مكان وجاءت كل الفرسان لاجل العرس وعمل لهم والولائم وفرح بعرسه وانصرف العربان الي منازلهم فلما وصل مرداس الي حيه رأي قتيلين مطروحين والطير حائم عليهما يمينا وشمالا فارتجف قلبه ودخل الحي فتلقاه غريب وهو متدرع بالزرد وهناه بالسلامة فقال مرداس ما هذا الحال يا غريب قال هجم علينا الحمل بن ماجد وقومه في خمسمائة فارس وكان السبب في هذه الواقعة ان الامير مرداس كان له بنت تسمي مهدبة ما رأي الرائي احسن منها فسمع بها الحمل سيد بني نبهان فركب في خمسمائة فارس وتوجه الي مرداس وخطب مهدية فلم يقبله ورده خائبا فصار الحمل يرصد مرداسا حتي غاب وغرمه حسان فركب في ابطاله وهجم علي بني قحطان فقتل جماعة من الفرسان وهرب بقية الابطال في الجبال وكان غريب واخوه قد ركبا في مائة خيال وخرجا للصيد والقنص فما رجعا حتي انتصف النهار فوجد الحمل وقومه ملكوا الحي وما فيه واخذوا بنات الحي واخذ مهدية بنت مرداس وساقها مع السبي فلما نظر غريب الي هذا الحال غاب عن الصواب وصاح علي اخيه فحمل سهيم الليل وقال يا ابن الملعونة نهبوا حينا واخذوا حريمنا فدونك والاعداء وخلاص السبي والحريم فحمل سهيم وغريب بالمائة فارس علي الاعداء ولم يزدد غريب الا غيظا وصار يحصد الرؤوس ويسقي الابطال من المنوم كؤسا حتي وصل الحمل ونظر الي مهدية وهي مسبية فحمل علي الحمل وطعنه وعن جواده قلبه فما جاء وقت العصر حتي قتل اكثر الاعداء وانهزم الباقون وخلص غريب السبي ورجع الي البيوت ورأس الحمل علي رمحه وهو ينشد هذه الابيات

انا المعروف في يوم المجال وجن الارض تفزع من خيالي

ولي سيف اذا هزت يميني تبادرت المنية من شمالي

ولي رمح اذا نظروا اليه يروا فيه سنانا كالهلالي

وادعي بالغريب شجيع قومي ولا اخشي اذا قلت رجالي

فما فرغ غريب من شعره حتي وصل مرداس ونظر القتلي مطروحين والطير حائم عليهم يمينا وشمالا فطار عقله وارتجف قلبه فسلاه غريب وهناه بالسلامة واخبره بجميع ما جري للحي بعد غيابه فشكره مرداس علي ما فعل وقال ما خابت التربية فيك يا

غريب ونزل مـرداس فـي سرادقه ووقفت الـرجـال حوله وصار اهـل الحـي يثنـون علي غريب ويقولون يا اميـرنا لولا غريـب ما سلم احد من الحي فشكـره مرداس علي ما فعل وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة السادسة والعشرون بعد الستمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان مرداسا لما رجع الي حيه واقبل عليه رجاله اثنوا علي غريب فشكـره مرداس علي فعله ولما نـظر غريب الحمل سبي مـهدية خلصها منـه وقتله فرمت غريـبا بسهام لحظها فـوقع في شرك هواها وصار قـلبه لا ينساها وغرق فـي العشق والغرام وفارقه لذيذ المنام ولـم يلتذ بشراب ولاطعام وصار يركض جواده ويصعد الجبال وينشد الاشعار ويرجع آخـر النهار وقد لاح عليه اثار العشق والهيـام فافشي سره لبعض اصحابه فشـاع في الحي جميعه حتـي وصل الي مرداس فبرق ورعد وقام وقـعد وشخر ونخر وسب الشمس والقمر وقال هذا جراء مـن يربي اولاد الزنا ولكن ان لم اقتل غريبا ركبني العار ثم انه استشار رجلا من عقلاء قومـه في قتل غريب واظهر سره عليه فقال له يا امير انـه بالامس خلص بنتك مـن السبي فان كان لابد من قـتله فاجعله علـي يد غيرك حتي لا يشك احد فيك فـقال مرداس دبر لي حيلة في قتله فما اعـرف قتله الا منك فقال يا امير ارصده حتي يخرج الي الصيد والقنص وخذ معك مائة خيال واكمن له في المغارة وغافلـه حتي ينتهـي فاحملوا عـليه وقطعـوه وحينئذ تبـرء من عاره فقال مـرداس هذا هو الصـواب واختـار مرداس مـن قومـه مائـة وخمسـين فارسـا عمـالقـة شداد واوصـاهم وحرضهم علي قتل غريب ولـم يزل يرقبه حتي خرج غريب ليصطاد وقد بعد في الاوديـة والجبال فـذهب بفـرسـانه الانجاس وكمـنوا لغريـب في طريقه حـتي يرجع من الـصيد فيخرجون عـليه ليقتلوه فـبينما مرداس وقومه كـامنون بين الاشجار واذا بخمـسمائة من العمـالقة هجمـوا علـيـهم فقتلـوا منهـم ستين واسـروا التسعين وكتفـوا مرداسا وكان السـبب في ذلك انـه لما قتـل الحمل وقومـه انهزم الـباقون ولم يـزالوا في هـزيمتهم حـتي وصلوا الي اخيه واعلموه بما جري فقامت قيامته وجمع العمالقة وأختار منهم خمسمائـة فـارس طـول كل واحد منهـم خمسون ذراعا وتـوجه لطلـب ثار اخيه فوقـع بمرداس هو وابطـاله وجري بينهم ما جري فلما اسـروا مرداسا وقومه نزل اخو الحمل وقومه وامرهم بالراحة وقال يا قوم ان الاصنام هونت علينا اخـذ الثأر فاحتفظوا علي مرداس وقومه حتي امضي بهم واقتلهـم اشـنع قتلة فنظر مرداس روحه مربوطا ونـدم علي ما فعل وقال هذا

جزاء البغي ونـامت القوم فرحانين بالنـصر ومرداس واصحابه مربوطون وقـد يئسوا من الحياة وايقنوا بالوفاة هذا ما كـان مـن امر مـرداس واما سهيم الليل فانه دخل علي اخته مهدية وهـو مجروح فقامت لـه وقبلت يديه وقـالت له لا شلت يداك ولا شـمتت عداك فلـولا انت وغـريب ما خلصنا من السبي والاعداء واعلم يا اخي ان اباك ركب في مائة وخمسين فـارسـا وهـو يريد قتـل غـريب وقد علمت ان غـريبا خسـارة في الـقتل لانه صان عرضكم وخـلص اموالكـم فلما سمع سهيـم هذا الكلام صار الضيـاء في وجهه ظلاما ولبس آلة حربه وركب جواده وطلب المكـان الذي يصطاد فيه اخوه فوجده اصطاد شيئا كثيرا فتقـدم اليه وسلم عليه وقال يا اخي هل تسرح ولا تعلـمني فقال غريب والله ما منعني من ذلك الا اني رأيتك مجروحا فقـصدت راحتك فقال سهيم يا اخي خذ حذرك من ابي ثم حكي له ما جري وانه خرج في مائة وخمسين فارسا يريدون قتله قال له غريب الله يرمي كيده في نحره ورجع غريب وسـهيم طالبين الديار فـامسا عليهما المساء وسارا علي ظهور الخيل حتي وصلا الوادي الذي في القوم وسـمعا صهيل الخيل في ظلام الليل فقال سـهيم يا هـذا ابي وقومه كـامنون في هذا الـوادي فتنح بـنا عن هذا الـوادي وكان غريب قد نزل عن جواده والـقي لجامه لاخيه وقال له قف مكانك حـتي اعود اليك وسار غريب حتي رأي القوم فلم يجدهم من حيهم وسمعهم يذكرون مرداسا ويقولون ما نقتله الا في ارضنـا فعرف ان مرداسا عـمه مربوطا مـعهم فقال وحـيات مهدية مـا اروح حتي اخلص اباها ولا اشوش علـيها ولم يزل يفتش علي مرداس حتـي وقع به وهو مربوط في الحبال فـقعد بجـانبه وقال لـه سلامتك يـا عمـي مـن هـذا الـذل والاعتقال فـلمـا نـظر مـرداس غريبـا خـرج عـقله وقال يا ولدي انا في جيرتك فخلصني بـحق التربية فقال له غريب ذا خلـصتك تعطيـني مهدية فقـال له يا ولدي وحق ما اعـتـقد هي لك عـلي طول الزمان فحـله وقال له امض نحـو الخيل فان ولدك سهيـم هناك فعند ذلـك انسل مرداس حتي وصـل الي ولده سهيم فـفرح به وهنـاه بالسلامة ولـم يزل غريب يحل واحـد بعد واحد حتي حل التسعين فارسا وصار الكل بعيدا عن الاعداء وارسل غريب اليهم العدد والخيول وقال لهم اركبوا وتفرقوا حول الاعداء وصـيحوا ويكون صياحكم يا آل قحطان واذا صحا القوم فابـعدوا عـنهم وتفرقـوا حولهم وصبر غريب الي الثـلـث الاخير من الليل وصاح ياآل قحطان وصاح قومه كذلك يا آل قحطان صيحة واحدة فجاوبتهم الجبال حتي تـخيل للاعداء ان الـقوم قد هجمـوا عليهم فخـطفوا سلاحهـم جميعا ووقـعوا في بعضهم وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة السابعة والعشرون بعد الستمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان القوم لما انتبهوا من منامهم وسمعوا غريبا وقومه يصيحون ويقولون يا آل قحطان تخيل لهم ان آل قحطان هجموا عليهم فحملوا سلاحهم ووقعوا في بعضهم قتلا فتأخر غريب وقومه ولم تزل الاعداء يقتلون بعضهم الي ان طلع النهار فحمل غريب ومرداس والتسعون بطلا علي بقية الاعداء فقلتوا منهم جملة وانهزم الباقون واخذ بنو قحطان الخيل الشاردة والعدد المهيئة وتوجهوا الي حيهم وما صدق مرداس انه تخلص من الاعداء ولم يزالوا سائرين حتي وصلوا الي حيهم فلاقاهم المقيمون وفرحوا بسلامتهم ونزلوا في خيامهم ونزل غريب في خيمته واجتمعت عليه شباب الحي وحياه الكبار والصغار فلما نظر مرداس الي غريب والشباب حوله بغضه اكثر من الاول والتفت الي عشيرته وقال قد زاد بغض غريب في قلبي وما غمني الا اجتماعي هؤلاء حوله وفي غد يطلب مني مهدية فقال له المشير يا امير اطلب منه مالا يقدر عليه ففرح مرداس وبات الي الصباح فجلس في مرتبته ودارت العرب حوله وجاء غريب برجاله والشباب حوله فاقبل علي مرداس وقبل الارض بين يديه ففرح به وقام اليه واجلسه بجنبه فقال غريب يا عم قد وعدتني وعدا فانجزه فقال مرداس يا ولدي هي لك علي طول المدي ولكن انت قليل المال فقال غريب يا عم اطلب ما شئت حتي اغير علي امراء العرب في مواطنهم وعلي الملوك في مدائنهم واجيئ لك بمال يسد الخافقين فقال مرداس يا ولدي اني حلفت بجميع الاصنام اني لا اعطي مهدية الي لمن يأخذي ثاري ويكشف عني عاري فقال غريب قل لي يا عم ثارك عند من من الملوك حتي اسير اليه واكسر تخته علي رأسه فقال مرداس يا ولدي قد كان لي ولد بطل من الابطال فخرج في مائة بطل لطلب الصيد والقنص فسار من واد الي واد وقد بعد بين الجبال حتي وصل وادي الازهار وقصر حام بن شيث بن شداد بن خلد وذلك المكان يا ولدي ساكن فيه رجل اسود طويل طوله سبعون ذراعا يقاتل بالاشجار فيقتلع الشجرة من الارض ويقاتل بها فلما وصل ولدي الي ذلك الوادي خرج عليه هذا الجبار فاهلكه هو والمائة فارس فما سلم منهم الا ثلاثة ابطال اتوا اخبرونا بما جري فجمعت الابطال وسرت لقتاله فما قدرنا عليه وانا مقهور علي ثار ولدي وقد حلفت اني لا ازوج ابنتي الا لمن يأخذ ثأر ولدي فلما سمع غريب كلام مرداس قال يا عم انا اسير الي هذا العملاق وأخذ ثأر ولدك بعون الله تعالي قال مرداس يا غريب ان ظفرت به تغنم منه ذخائر واموالا لا تأكلها نيران فقال

غريب اشهد لي بالزواج حتي يقوي قلبي واسير في طلب رزقي فاعترف واشهد كبار الحي وانصرف غريب وهو فرحان ببلوغ الامال ودخل علي امه واخبرها بما تم له فقالت له يا ولدي اعلم ان مرداسا يبغضك وما بعثك لذلك الجبل الا ليعد مني حسك فخذني معك وارحل من ديار هذا الظالم قال غريب يا امي لا ارحل حتي ابلغ املي واقهر عدوي وبات غريب حتي اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح فما ركب جواده حتي اقبل اصحابه الشباب وكانوا مائتا فارس شداد وهم غارقون في السلاح وصاحوا علي غريب وقالوا له سر بنا نعاونك ونؤانسك في طريقك فـفرح غريب بهم وقال لهم جزاكم الله خيرا وقال لهم سيروا يا اصحابي فسار غريب باصحابه اول يوم وثاني يوم ثم نزلوا عند المساء تحت جبل شامخ وعلقوا علي خيولهم فغاب غريب يتمشي في ذلك الجبل حتي وصل الي مغار فطلع منه نور فسار غريب الي صدر المغار فوجد شيخا له من العمر ثلاثمائة سنة واربعين سنة حاجباه غطيا عينيه وشارباه غطيا فمه فلما نظر غريب الي ذلك الشيخ هابه واستعظم خلقته فقال له الشيخ كأنك من الكفار يا ولدي الذين يعبدون الاحجار دون الملك الجبار خالق الليل والنهار والفلك الدوار فلما سمع غريب كلام الشيخ ارتعدت فرائصه وقال يا شيخ اين يكن هذا الرب حتي اعبده واتملي برؤيته قال الشيخ يا ولدي هذا الرب العظيم لا ينظره احد في الدنيا وهو يري ولا يري وهو بالمنظر الاعلي وهو حاضر في كل مكان بأثار صنعه ومكون الا كوان ومدبر الزمان خلق الانس والجان وبعث الانبياء لهداية الخلق الي طريق الصواب فمن اطاعه ادخله الجنة ومن عصاه ادخله النار فقال غريب يا عم فما يقول من يعبد هذا الرب العظيم الذي هو علي كل شئ قدير قال الشيخ يا بني اني من قوم عاد الذين طغوا في البلاد فكفروا فارسل الله اليهم نبيا اسمه هود فكذبوه فاهلكهم بالريح العقيم وكنت انا آمنت مع جماعة من قومي فسلمنا من العذاب وحضرت قوم ثمود وما جري لهم مع نبيهم صالح وارسل الله تعالي بعد صالح نبيا اسمه ابراهيم الخليل الي نمروذ بن كنعان وجري له معه ما جري ومات قومي الذين امنوا فصرت أعبدالله في هذا المغار والله تعالي يرزقني من حيث لا احتسب فقال غريب يا عم ماذا اقول حتي اصير من حزب هذا الرب العظيم قال له الشيخ قال لا اله الا الله ابراهيم خليل الله فاسلم غريب قلبا ولسانا فقال له الشيخ ثبتت في قلبك حلاوة الاسلام والايمان ثم علمه شيئا من الفرائض وشيئا من الصحف وقال له ما اسمك قال اسمي غريب قال له الشيخ واين تقصد يا غريب فحكي له ما جري من اوله

الي آخره حتي وصل الي حديث غول الجبل الـذي جاء في طلبه وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الثامنة والعشرون بعد الستمائة

قالت بلغني ايها المـلك السعيد ان غريبا لم اسلم وحكي للشـيخ جميع ما جري له من اوله الي اخره حتي وصل الي حديث غول الجبل الذي جاء في طلبه قال له يا غريب انت مجنون حتي تسير الي غول الجبل وحدك فقال له يا مولاي معي مائتا فارس فقال له الشيخ يا غريب ولـو كان معك عشرة الاف فـارس ما تقدر عليـه فان اسمه الغول يـأكل الناس نسأل الله السلامـة وهو من اولاد حام وابوه هندي الذي عـمر الهند وسمي به وقـد خلفه وسماه سعدان الـغول فكان يا ولدي جباراً عنـيدا و شيطانا مريدا مـاله مأكول الا ابن آدم فنهاه ابوه قـبل موته عن ذلك فما انتهـي وزاد في الطغيان فطرده ابوه بعـد ذلك ونفاه من بلاد الهند بعدحروب وتعب عظيم فجاء الي هذه الارض وتحصن بها وسكن فيها وصار يقطع الطـرق علي الرايح والجائي ويرجـع الي مسكنه بهذا الـوادي ورزق بخمسة اولاد غلاظ شداد يحمل احدهم علي الف بطل وقـد جمع اموالا وغنائم وخيلا وجمالا وبقرا وغنمـا قد سدت الوادي وانا خائـف عليك منه فـاسأل الله تعالي ان ينـصرك عليه بكـلمة التوحيـد فاذا حملت علي الكـفار فقل الله اكبر فانهـا تخذل من كفر ثم ان الشـيخ اعطي غريبا عامودا من بولاد وزنه مائة رطل وفيه عشر حـلقات اذا هزه حامله طنت حلقاته مثل الرعد واعطاه سيفـا مجوهرا من صاعقة طوله ثلاثة اذرع وعـرضه ثلاثة اشبار اذا ضرب به صخرة قـدها نصفين واعطـاه درعا وترسا ومصحـفا وقال له سر الي قـومك واعرض عليـهم الاسلام فخرج غـريب وهو فرحان بـالاسلام وسار حتي وصـل الي قومه فتـلقوه بالسلام وقالـوا له ما ابطأك عنا فحكـي لهم جميع ما جري له مـن اوله الي اخره وعرض عليهم الاسلام فاسلموا جميعا وباتوا الي الصباح فركب غريب واتي الشيخ يودعه فودعه وخرج وسار حتي وصل الي قـومه واذا بفارس وهو في الحديد غاطس لم يظـهر منه غير آماق البـصر فحمل عـلي غريب وقـال له اخلع ما عـليك يا قطـاعة العرب والا رمـيتك بالعطب فحـمل غريب عليه وجري بينـهم حرب يشيب المولود ويذيب مـن هوله الحجر الجلـمود فكشـف البدوي البـرقع فاذا هو سـهيم الـليل اخو غـريب من امه ابـن مرداس وسبب خروجـه واتيانه الي ذلك المحـل ان غريبا لما سار الي غـول الجبل كان سهيـم غايبا

فلما رجع لم ينظر غريبا فدخل علي امه فوجدها تبكي فسألها عن سبب بكائها فاخبرته بما جري من سفر اخيه فما تمهل علي نفسه ليستريح فلبس آلة حربه وركب جواده وسار حتي وصل الي اخيه وجري بينهما ما جري لما كشف سهيم وجهه عرفه غريب وسلم عليه وقال ما حملك علي هذا قال له حتي عرفت طبقتي معك في الميدان وقدري في الضرب والطعان وسار فعرض غريب علي سهيم الاسلام فاسلم ولم يزالوا سائرين حتي اشرفوا علي الوادي فلما نظر غول الجبل غبار القوم قال يا اولادي اركبوا وائتوني بهذه الغنيمة فركب الخمسة وساروا نحوهم فلما رأي غريب الخمسة العمالقة قد هجموا عليهم لكز جواده وقال من انتم وما جنسكم وما تريدون فتقدم فلحون بن سعدان غول الجبل وهو اكبر اولاده وقال انزلوا عن خيولكم وكتفوا بعضكم حتي نسوقكم الي ابينا يشوي بعضكم ويطبخ بعضكم فان له زمانا طويلا ما اكل آدميا فلما سمع غريب هذا الكلام حمل علي فلحون وهز العمود حتي طنت حلقاته مثل الرعد القاصف فاندهش فلحون فضربه غريب بالعمود وكانت ضربته خفيفة وقد وقعت بين اكتافه فسقط مثل النخلة السحوق فنزل سهيم وبعض القوم علي فلحون وكتفوه ثم انهم وضعوا في رقبته حبلا وسحبوه مثل البقرة فلما رأي اخوته اخاهم اسيرا حملوا علي غريب فاسر منهم اربعة والخامس فر هاربا حتي دخل علي ابيه فقال له ابوه ما وراك واين اخوتك فقال له اسرهم صبي ما خط عذاره طوله اربعون ذراعا فلما سمع غول الجبل كلام ابنه قال لا طرحت الشمس فيكم من بركة ثم انه نزل من الحصن واقتلع شجرة عظيمة وطلب غريب وقومه وهو راجل علي قدميه لان الخيل لم تحمله لعظم جثته وتبعه ابنه وسارا حتي اشرف علي غريب وحمل علي القوم من غير كلام وضرب بالشجرة فهشم خمسة رجال وحل علي سهيم وضربه بشجرة فزاغ عنها وراحت خالية فغضب الغول ورمي الشجرة من يده وانقض علي سهيم فخطفه مثل ما يخطف الباشق العصفور فلما نظر غريب الي اخيه وهو في يد الغول صاح وقال الله اكبر يا جاه ابراهيم الخليل ومحمد ﷺ وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة التاسعة والعشرون بعد الستمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان غريبا لما نظر اخاه وهو اسير في يد الغول صاح

وقال الله اكبر يا جاه ابراهيم الخليل ومحمد ﷺ ووجه جواده الي غول الجبل وهز العمود فطنت حلقات وصاح الله اكبر وضرب غريب الغول بالعامود علي صف اضلاعه فوقع في الارض مغشيا عليه وانفلت سهيم من يديه فما افاق الغول الا وهو مكتف مقيد فلما نظره ابنه وهو اسير ولي هاربا فساق غريب جواده خلفه ثم ضربه بالعامود بين اكتافه فوقع عن جواده فكتفه عند اخوته وابيه واوثقوهم بالحبال وسحبوهم مثل الجمال وساروا حتى وصلوا إلى الحصن فوجدوه ملأنا بالخيرات والأموال والتحف ووجد آلفا ومائتي اعجمي مربوطين مقيدين فقعد غريب علي كرسي غول الجبل وكان اصله لصاص بن شيث بن شداد بن عاد واوقف سهيما اخاه علي يمينه ووقف اصحابه ميمنة وميسرة وبعد ذلك امر باحضار غول الجبل وقال له كيف رأيت روحك يا ملعون فقال له يا سيدي في اقبح حال من الذل والخبال انا واولادي مربوطون في الحبال مثل الجمال فقال غريب اريد ان تدخلوا في ديني وهو دين الاسلام وتوحد الملك العلام خالق الضياء والظلام وخالق كل شئ لا اله الا هو الملك الديان وتقروا بنبوة ابراهيم عليه السلام فاسلم غول الجبل واولاده وحسن اسلامهم فامر بحلهم فحلوهم من الرباط فبكي سعدان الغول واقبل علي اقدام غريب يقبلها وكذلك اولاده فمنعهم من ذلك فوقفوا مع الواقفين فقال غريب يا سعدان فقال لبيك يا مولاي فقال ما شأن هؤلاء الاعجام فقال يا مولانا هذا صيدي من بلاد العجم وليسو وحدهم قال غريب ومن معهم قال يا سيدي معهم بنت الملك سابور ملك العجم واسمها فخرتاج ومعها مائة جارية كأنهن الاقمار فلما سمع غريب كلام سعدان تعجب وقال كيف وصلت الي هؤلاء فقال يا امير سرحت انا واولادي وخمسة عبيد من عبيدي فما وجدنا في طريقنا صيدا فتفرقنا في البراري والقفار فما وجدنا روحنا الا في بلاد العجم ونحن ندور علي غنيمة ناخذها ولا نرجع خائبين فلاحت لنا غبرة فارسلنا عبد امن عبيدنا ليعرف الحقيقة فغاب ساعة ثم عاد وقال يا مولاي هذه الملكة فخرتاج بنت الملك سابور ملك العجم والترك والديلم ومعها الفا فارس وهم سائرون فقلت للعبد بشرت بالخير فليس غنيمة اعظم من هذه الغنيمة ثم حملت انا واولادي علي الاعجام فقتلنا منهم ثلاثمائة فارس اسرنا الفا ومائتين وغنمنا بنت سابور وما معها من التحف والاموال وجئنا بهم الي هذا الحصن فلما سمع غريب كلام سعدان قال هل فعلت بالملكة فخرتاج معصية قال لا وحيات رأسك وحق هذا الدين الذي دخلت فيه فقال غريب قد فعلت حسنا يا سعدان لان اباها ملك الدنيا

ولابد ان يجرد العساكر خلفها ويخرب ديار الذين اخذوها ومن لا يدري العواقب ما الدهر له بصاحب واين هذه الجارية يا سعدان فقال قد افردت لها قصرا هي وجواريها فقال ارني مكانها فقال سمعا وطاعة فقام غريب وسعدان الغول يمشيان حتي وصلا الي قصر الملكة فخرتاج فوجداها حزينة ذليلة تبكي بعد العز والدلال فلما نظرها غريب ظن ان القمر منه قريب فعظم الله السميع العليم ونظرت فخرتاج الي غريب فوجدته فارسا صنديدا والشجاعة تلوح بين عينيه تشهدله لا عليه فقامت له وقبلت يديه وبعد يديه انكبت علي رجليه وقالت له يا بطل الزمان انا في جيرتك فاجرني من هذا الغول فانا خائفة ان يزيل بكارتي وبعد ذلك يأكلني فخذني اخدم جواريك فقال غريب لك الامان حتي تصلي الي ابيك ومحل عزك فدعت له بالبقاء وعز الارتفاء فامر غريب بحل الاعجام فحلوهم والتفت الي فخرتاج وقال لها ما الذي اخرجك من قصرك الي هذه البراري والقفار حتي اخذك قطاع الطريق فقال له يا مولاي ان ابي واهل مملكته وبلاد الترك والديلم والمجوس يعبدون النار دون الملك الجبار وعندنا في مملكتنا دير اسمه دير النار وفي كل عيد تجتمع فيه بنات المجوس وعباد النار ويقيمون فيه شهرا مدة عيدهم ثم يعودون الي بلادهم فخرجت انا وجواري علي العادة وارسل معي ابي الفي فارس يحفظونني فخرج علينا هذا الغول فقتل بعضنا واسر الباقي وحبسنا في هذا الحصن وهذا ما جري يا بطل الشجعان كفاك الله نوائب الزمان فقال غريب لا تخافي فانا اوصلك الي قصرك ومحل عزك فدعت له وقبلت يديه ورجليه ثم خرج من عندها وامر باكرامها وبات تلك الليلة حتي اصبح الصباح فقام وتوضأ وصلي ركعتين علي ملة ابينا ابراهيم عليه السلام وكذا الغول واولاده وجماعة غريب كلهم صلوا خلفه ثم التفت غريب الي سعدان وقال له يا سعدان اما تفرجني علي وادي الازهار قال نعم يا مولاي فقام سعدان واولاده وغريب وقومه والملكة فخرتاج وجواريها وخرج الجميع فامر سعدان عبيده وجواريه ان يذبحوا ويطبخوا الغدا ويقدموه بين الاشجار وكان عنده مائة وخمسون جارية والف عبد ترعي الجمال والبقر والغنم وسار غريب والقوم معه إلى وادي الازهار فلما رآه وجد شيئا بديعا صنوانا وغير صنوان واطيار تغرد بالالحان على الاغصان والهزار يرجع بانغام الالحان والقمري قد ملأ صوته الامكنة خلقة الرحمن وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الموفية للثلاثين بعد الستمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان غريبا لما توجه هو وقومه والغول وقومه الي وادي الازهار راي فيه الطيور ومن جملتها القمري ملأ بصوته الامكنة خلقة الرحمن والبلبل يغرد بحسن صوته كالانسان والشجر يكل عن وصفه اللسان والفاخت اضحي بصوته يهيم الانسان والمطوق تجاوبه الدرة بافصح لسان والاشجار المثمرة من كل فاكهة زوجان والرمان حامض وحلو علي الافنان والمشمش لوزي وكافوري ولوز خراسان والبرقوق يختلط باشجاره اغصان البان والنارنج كأنه مشاعل النيران والكاد مالت به الاغصان والليمون دواء لكل قرفان والحامض يشفي من علة اليرقان والبلح علي امه أحمر واصفر صنع الله العظيم الشان وفي مثل هذا المكان يقول الشاعر الولهان

واذا ترنم طيره بغديره ... يشتاق الولهان في الاسحار

فكانه الفردوس في نفحاته ... ظل وفاكهة وماء جاري

فاعجب غريبا هذا الوادي فامر ان ينصبوا فيه سرادق فخرتاج الكسروية فنصبوه بين الاشجار وفرشوه بالفرش الفاخر وقعد غريب وجاءهم الطعام فاكلوا حتي اكتفوا ثم قال غريب يا سعدان قال لبيك يا مولاي قال هل عندك شئ من الخمر قال نعم عندي صهريج ملأن بالعتيق فقال ائتنا بشئ منه فارسل عشرة من العبيد فجاؤا من الخمر بشئ كثير فاكلوا وشربوا واستلذوا وطربوا وطرب غريب وتذكر مهدية فانشد هذه الابيات

تذكرت ايام الوصال بقربكم ... فهيج قلبي بالغرام لهيب

فوالله ما فارقتكم بارادتي ... ولكن تصريف الزمان غريب

سلام وتسليم والف تحية ... عليكم واني مدنف وكئيب

ولم يزلوا يأكلون ويشربون ويتفرجون ثلاثة ايام ثم رجعوا الي الحصن ودعا غريب بسهيم اخيه فحضر فقال له خذ معك مائة فارس وسر الي ابيك وامك وقومك بني قحطان فأت بهم الي هذا المكان ليعيشوا فيه بقية الزمان وانا اسير الي بلاد العجم بالملكة فخرتاج الي ابيها وانت يا سعدان اقم انت واولادك في هذا الحصن حتي نعود اليك قال له ولم لم تأخذني معك الي بلاد العجم قال له لانك اسرت بنت سابور ملك العجم

وان وقعت عينه عليك اكل من لحمك وشرب من دمك فلما سمع غول الجبل ذلك ضحك ضحكا عاليا مثل الرعد القاصف وقال يا مولاي وحيات رأسك لو تجتمع الي العجم والديلم لا سقيتهم شراب العدم فقال غريب كما تقول ولكن اقعد في حصنك حتي اعود اليك فقال سمعا وطاعة فرحل سهيم وتوجه هو الي بلاد العجم ومعه قومه من بني قحطان ومعه الملكة فخرتاج وقومها وساروا قاصدين مداين سابور ملك العجم هذا ما كان من امر هؤلاء واما ما كان من امر الملك سابور فانه انتظر مجيئ ابنته من دير النار فما عادت وفات الميعاد فالتهبت في قلبه النار وكان له اربعون وزيرا وكان اكبرهم واعرفهم واعلمهم وزيرا اسمه ديدان فقال له الملك يا وزير ان ابنتي ابطأت ولم يجئنا خبر عنها وقد فات ميعاد مجيئها فارسل ساعيا الي دير النار ليتحقق الاخبار فقال سمعا وطاعة ثم خرج الوزير ونادي مقدم السعاة وقال له سر من وقتك الي دير النار فخرج وسافر حتي وصل الي دير النار وسأل الرهبان عن بنت الملك فقالوا ما رأيناها في هذا العام فعاد علي اثره حتي وصل الي مدينة اسبانير ودخل علي الوزير اعلمه بما كان فدخل الوزير علي الملك سابور واعلمه فقامت قيامته ورمي تاجه في الارض ونتف لحيته ووقع علي الارض مغشيا عليه فرشوا عليه الماء فافاق وهو باكي العين حزين القلب فانشد قول الشاعر

ولما دعوت الصبر بعدك والبكي اجاب البكي طوعا ولم يجب الصبر
ان كانت الايام تفرق بيننا فمن عادة الايام سميتها الغدر

ثم دعا الملك بعشرة قواد وامرهم ان يركبوا بعشرة الاف فارس وكل قائد يتوجه الي اقليم ليفتشوا علي الملكة فخرتاج فركبوا وتوجه كل قائدا وجماعته الي اقليم واما ام فخرتاج فانها لبست هي وجواريها السواد وفرشوا الرماد وقعدوا في البكاء والعديد هذا ماجري لهؤلاء وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الحادية والثلاثون بعد الستمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك سابور ارسل عسكره يفتشون علي ابنته ولبست امها وجواريها السواد واما ما كان من امر غريب وما جري له في طريقه من الامر العجيب فانه سار عشرة ايام وفي اليوم الحادي عشر ظهرت له غبرة وارتفعت عنان

السماء فدعا غريب بالامير الذي يحكم العجم فحضر فقال له تحقق لنا خبر هذا الغبار الذي ظهر فقال سمعا وطاعة ثم ساق جواده حتي دخل تحت الغبار فنظر القوم وسألهم فقال واحد منهم نحن من بني هطال واميرنا الصمصام ابن الجراح ونحن دائرون علي شئ ننهبه وقومنا خمسة الاف فارس فرجع العجمي مسرعا بجواده حتي وصل الي غريب واخبره بالامر فصاح غريب علي رجال بني قحطان وعلي العجم وقال احملوا سلاحكم فحملوه وساروا فقابلتهم العربان وهم ينادون الغنيمة الغنيمة فصاح غريب وقال اخزاكم الله يا كلاب العرب ثم حمل وصدمهم صدمة بطل صنديد وهو يقول الله اكبر يالدين ابراهيم الخليل عليه السلام ووقع بينهم القتال وعظم النزال ودار السيف وكثر القيل والقال ولم يزالوا في حرب حتي ولي النهار واقبل الظلام فانفصلوا من بعضهم وتفقد غريب القوم فوجد المقتول من بني قحطان خمسة رجال ومن العجم ثلاثة وسبعين ومن قوم الصمصام ما يزيد علي خمسمائة فارس ثم نزل الصمصام ولم يطب له طعام ولا منام ثم قال لقومه عمري ما رأيت مثل قتال هذا الصبي لانه تارة يقاتل بالسيف وتارة بالعامود ولكني ابرز له غدا في حومة الميدان واطلبه الي مقام الضرب والطعان واقطع هؤلاء العربان واما غريب فانه لما رجع الي قومه لاقته الملكة فخرتاج باكية مرعوبة من هول ما جري وقبلت رجله في الركاب وقالت له لا شلت يداك ولا شمتت عداك يا فارس الزمان والحمد لله الذي سلمك في هذا النهار واعلم انني خائفة عليك من هذه العربان فلما سمع غريب كلامها ضحك في وجهها وطيب قلبها وطمنها وقال لها لا تخافي يا ملكة فلو كانت الاعداء ملئ هذه البيداء لافنيتهم بقوة العلي الاعلي فشكرته ودعت له بالنصر علي الاعداء ثم انها انصرفت الي جواريها نزل غريب فغسل يديه وما عليه من دم الكفار وباتوا يتحارسون الي الصباح ثم ركب الفريقان وطلبوا الميدان ومقام الحرب والطعان فكان السابق للميدان غريب فساق جواده حتي قرب من الكفار وصاح هل من مبارز يخرج لي غير كسلان فبرز اليه عملاق من العمالقة الشداد من نسل قوم عاد ثم حمل علي غريب وقال ياقطاعة العرب خذ ما جاءك وابشر بالهلاك وكان معه دبوس حديد وزنه عشرون رطلا فرفع يده وضرب غريبا فزاغ عنه فغاص الدبوس في الارض ذراعا وقد انثني العملاق مع الضربة فضربه غريب بالعامود الحديد فشق جبهته فخر صريعا وعجل الله بروحه الي النار ثم ان غريبا صال وجال وطلب البراز فبرز له ثان

فقتله وثالث وعاشـر وكل من برز له قتله فلما نظر الكفار الـي قتال غريب وضربه زاغوا منه وتـأخروا عنه ونظر امـيرهم اليهم وقـال لا بارك الله فيكم انـا ابرز له فلبس آلـة حربه وساق جواده حتي سـاوي غريبا في حومة الميـدان وقال له ويلك يا كلب الـعرب هل بلغ من قدرك ان تبارزنـي في الميدان وتقتل رجالـي فجاوبه غريب وقال دونك والـقتال وخذ ثار من قتل من الفرسان فحمل الصمصام علي غريب فتلقاه بصدر رحيب وقلب عجيب فتضارب الاثنـان بالعمودين حتي حيرا الـفريقين ورمقتهم كل عين وقـد جالا في الميدان وضربا بعضهما ضربتين فاما غريب فـانه خيب ضربة الصمصام في الحرب والاصطدام واما الصمـصام فسقطت علـيه ضربة غريب فخـسفت صدره واوقعته فـي الارض قتيلا فحمل قومـه علي غريب حملة واحدة وحمـل غريب عليهم وصاح الله اكبـر فتح ونصر وخذل من كفر بـدين ابراهيم الخليل علـيه السلام وادرك شهر زاد الصباح فـسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الثانية والثلاثون بعد الستمائة

قالت بلـغني ايها الملـك السعيد ان غريبـا لما حمل عليـه قوم الصمصام حـملة واحدة حمل عـليهم وصاح الله اكبـر فتح ونصر وخذل مـن كفر فلمـا سمع الكفار ذكـر الملك الجبار الواحد القهار الذي لا تدركه الابصار وهـو يدرك الابصار نظر بعضهـم الي بعض وقالوا ما هذا الكلام الذي ارعـد فرائصنا واضعف هممنا وقصر اعمارنـا فما سمعنا في عمرنا اطيب من هذا الكلام ثم انهم قالوا لبعضهم ارجعوا عن القتال حتي نسأل عن هذا الكلام فرجعوا عن القتال ونزلوا عن الخيول واجتمع كبارهم وتشاوروا وطلبوا المسير الي غريب وقالوا يمضي اليـه منا عشرة واختاروا عشرة من خيارهم فتـوجهوا الي خيام غريب واما غريب وقومه فـانهم نزلوا خيامهم وتعـجبوا من رجوع القوم عن الحرب فـبينما هم كذلك واذا بـالعشرة رجـال قد اقبلوا وطـلبوا الحضور بـين يدي غريب وقـبلوا الارض ودعوا له بالعز والـبقاء فقال لهم مالكم رجعتـم عن القتال فقالوا يا مولانا ارعبـتنا بالكلام الذي صحت به علينـا فقال لهم ما تعبدون من المصائب فقالـوا نعبدودا وسواعا ويغوث ارباب قوم نـوح قال غريب انا لا نـعبد الا الله تعالـي خالق كل شئ ورازق كـل حي وهو الذي خلق الـسموات والارض وارسي الجبال وانـبع الماء من الاحجار وانـبت الاشجار ورزق الوحوش في القفار فهو الله الواحد القهار فـلما سمع القوم كلام غريب انشرحت

صدورهم بكلمة التوحيد وقالوا ان هذا الاله رب عظيم راحم رحيم ثم قالوا فما نقول حتي نصير مسلمين قال غريب قولوا لا اله الا الله ابراهيم خليل الله فاسلم العشرة اسلاما صحيحا ثم قال غريب ان دليل حلاوة الاسلام في قلوبكم ان تمضوا الي قومكم وتعرضوا عليهم الاسلام فان اسلموا اسلموا وان ابوا نحرقهم بالنار فسار العشرة حتي وصلوا الي قومهم وعرضوا عليهم دين الاسلام وشرحوا لهم طريق الحق الايمان فاسلموا قلبا ولسانا وسعوا علي الاقدام حتي وصلوا الي غريب وقبلوا الارض بين يديه ودعوا له بالعز وعلوا الدرجات وقالوا يا مولانا نحن صرنا عبيدك فامرنا بما تريد فانا لك سامعون مطيعون وما بقينا نفارقك لان الله هدانا علي يديك فجازاهم خيرا وقال لهم امضوا الي منازلكم وارتحلوا باموالكم واولادكم واسبقونا علي وادي الازهار وحصن صاصا بن شيث حتي اشيع فخرتاج بنت الملك سابور ملك العجم واعود اليكم فقالوا سمعا وطاعة ثم انهم رحلوا من وقتهم وقصدوا حيهم وهم فرحون بالاسلام وعرضوا الاسلام علي عيالهم واولادهم فاسلموا ثم هدوا بيوتهم واخذوا اموالهم ومواشيهم ورحلوا الي وادي الازهار فخرج غول الجبل واولاده واستقبل القوم فكان غريب اوصاهم وقال لهم اذا خرج اليكم غول الجبل واراد ان يبطش بكم فاذكروا الله تعالي خالق كل شئ فانه متي سمع ذكر الله تعالي يرجع عن القتال ويلقاكم بالترحيب فلما خرج غول الجبل باولاده واراد ان يبطش بهم اعلنوا بذكر الله تعالي فتلقاهم باحسن ملتقي وسألهم عن حالهم فاخبروه بما جري لهم مع غريب ففرح بهم سعدان وانزلهم وغمرهم بالاحسان هذا ما جري لهم واما غريب فانه رحل بالملكة فخرتاج وتوجه الي مدينة اسبانير فسار خمسة ايام وفي اليوم السادس ظهر غبار فارسل رجلا من الاعجام يتحقق له الاخبار فسار اليه ثم عاد اسرع من الطير اذا طار وقال يا مولاي هذا غبار الف فارس من اصحابنا الذين ارسلهم الملك يفتشون علي الملكة فخرتاج فلما بلغ غريب ذلك امر اصحابه بالنزول وان يضربوا الخيام فنزلوا وضربوا خيامهم حتي وصل اليهم القادمون فتلقاهم رجال الملكة فخرتاج واخبروا طومان الحاكم عليهم واعلموه بالملكة فخرتاج فلما سمع طومان بذكر الملك غريب دخل عليه وقبل الارض بين يديه وسأله عن حال الملكة فارسله الي خيمتها فدخل عليها وقبل يديها ورجليها واخبرها بما جري لابيها وامها فاخبرته بجميع ما جري لها وكيف خلصها غريب من غول الجبل وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الثالثة والثلاثون بعد الستمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملكة فخرتاج لما حكت لطومان جميع ما حصل لها من غول الجبل واسرها وكيف خلصها غريب والا كان اكلها قالت فواجب علي ابي ان يعطيه نصف ملكه ثم انه قام طومان وقبل يدي غريب ورجليه وشكر احسانه وقال عن اذنك يا مولاي هل ارجع الي مدينة اسبانير فابشر الملك فقال له توجه وخذ منه البشارة فسار طومان ورحل غريب بعده فاما طومان فانه جد في السير حتي اشرف علي اسبانير المدائن فطلع القصر وقبل الارض قدام الملك سابور فقال الملك ما الخبر يا بشير الخير فقال له طومان ما اقول لك حتي تعطيني بشارتي فقال له الملك بشرني حتي ارضيك فقال يا ملك الزمان ابشر بالملكة فخرتاج فلما سمع سابور ذكر ابنته وقع مغشيا عليه فرشوا عليه ماء الورد فافاق وصاح علي طومان وقال له تقرب الي وبشرني فتقدم وشرح له ما جري للملكة فخرتاج فلما سمع الملك ذلك الكلام خبط كفيه علي بعضهما وقال مسكينة يا فخرتاج ثم انه امر لطومان بعشرة الاف دينار وانعم عليه بمدينة اصبهان واعمالها ثم صاح علي امرائه وقال اركبوا باجمعكم حتي تلاقي الملكة فخرتاج ودخل الخادم الخاص اعلم امها وكامل الحريم ففرحن بذلك وخلعت امها علي الخادم خلعة واعطته الف دينار وسمع اهل المدينة بذلك فزينوا الاسواق والبيوت وركب الملك طومان وساروا حتي رأوا غريبا فترجل الملك سابور ومشي خطوات ليستقبل غريبا وترجل غريبا ومشي اليه واعتنقا وسلما علي بعضهما وانكب سابور علي يدي غريب فقبلهما وشكر احسانه ونصبوا الخيام قبال الخيام ودخل سابور علي ابنته فقامت له واعتنقته وصارت تحدثه بما جري لها وكيف خلصها غريب من قبضة غول الجبل فقال لها ابوها وحياتك يا سيدة الملاح اني اعطيه حتي اغمره بالعطاء فقالت له صاهره يا ابتي حتي يكون لك عونا علي الاعداء فانه شجاع وما قالت هذا الكلام الا لان قلبها تعلق بغريب فقال يا بنتي اما تعلمين ان الملك خردشاه رمي الديباج ووهب مائة الف دينار وهو ملك شيراز واعمالها وهو صاحب ملك وجنود وعساكر فلما سمعت فخرتاج كلام ابيها قالت يا ابتي ما اريد ما ذكرت لي وان اكرهتني علي ما لا اريد قتلت روحي فخرج الملك وتوجه الي غريب فقام له وجلس سابور وصار لا يشبع نظره من غريب وقال في نفسه والله ان ابنتي معذورة حيث حبت هذا البدوي ثم حضر الطعام فاكلوا وباتوا ثم اصبحوا سائرين الي ان وصلوا

الي المدينة ودخل الملك وغريب ركابه في ركابه وكان لهم يوم عظيم ودخلت فخرتاج قصرها ومحل عزها وتلقتها امها وجواريها وقمن بالفرح والزغاريت وجلس الملك سابور علي كرسي مملكته واجلس غريبا علي يمينه ووقف الملوك والحجاب والامراء والنواب والوزراء ميمنة وميسرة وقد هنوا الملك بابنته فقال الملك لارباب دولته من احبني يخلع علي غريب فوقع عليه خلع مثل المطر واقام غريب في الضيافة عشرة ايام ثم اراد المسير فخلع عليه الملك وحلف بدينه انه لا يرحل الا بعد شهر فقال غريب يا ملك اني خطبت بنتا من بنات العرب واريد ان ادخل عليها فقال الملك ايتهما احسن امخطوبتك ام فخرتاج فقال غريب يا ملك الزمان اين العبد من المولي فقال الملك فخرتاج صارت جاريتك لانك خلصتها من مخالب الغول ومالها بعل سواك فقام غريب وقبل الارض وقال يا ملك الزمان انت ملك وانا رجل فقير وربما تطلب مهرا ثقيلا فقال له الملك سابور يا ولدي اعلم ان الملك خردشاه صاحب شيراز واعمالها خطبها وجعل لها مائة الف دينار وانا قد اخترتك دون الناس اجمعين وقد جعلتك سيف مملكتي وترس نقمتي ثم التفت لكبراء قومه وقال اشهدوا علي يا اهل مملكتي اني زوجت ابنتي فخرتاج لولدي غريب وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الرابعة والثلاثون بعد الستمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك سابور ملك العجم قال لكبراء قومه اشهدوا علي اني زوجت ابنتي فخرتاج لولدي غريب فعند ذلك صافحه وصارت زوجته فقال له غريب اشرط علي مهرا احمله اليك فان عندي في حصن صاصا مالا وذخائر لا تحصي فقال سابور يا ولدي ما اريد منك مالا ولا ذخائر ولا آخذ مهرها الا رأس الجمرفان ملك الدشت ومدينة الاهواز فقال يا ملك الزمان سوف امضي واجيئ بقومي واسير لعدوي واخرب دياره فجازاه الملك خيرا وانقضت القوم والاكابر وظن الملك ان غريبا اذا توجه الي الجمرفان ملك الدشت لا يعود ابدا فلما اصبح الصبح ركب الملك وركب غريب وامر العسكر بالركوب فركبوا ونزلوا الميدان فقال لهم الملك العبوا بالرماح وفرحوا قلبي فلعب ابطال العجم مع بعضهم ثم قال غريب يا ملك الزمان مرادي ان العب مع فرسان العجم على شرط فقال له وما شرطك قال له البس ثوبا رفيعا علي بدني وآخذ رمحا بلا سنان واجعل عليه خرقة مغموسة بالزعفران ويبرز لي كل شجاع وبطل رمحه بسنان فان

غلبني فقد وهبته روحي وان غلبته علمت عليه في صدره فيخرج من الميدان فصاح الملك علي نقيب الجيش ان يقدم ابطال العجم فانتخب الفا ومائتين من ملوك العجم واختارهم ابطالا شجعانا وقال لهم الملك بلسان العجم كل من قتل هذا البدوي يتمني علي حتي ارضيه فتسابقوا علي غريب وحملوا عليه وقد بان الحق من الباطل والجد من المزاح وقال توكلت علي الله اله ابراهيم الخليل واله كل شئ قدير الذي لا يخفي عليه شئ وهو الواحد القهار الذي لا تدركه الابصار فبرز له عملاق من ابطال العجم فما امهله في الثبات قدامه حتي علم عليه وملأ صدره بالزعفران ولما ولي لطشه غريب بالرمح علي رقبته فوقع في الارض وحمله غلمانه من الميدان فبرز له ثان فعلم عليه وثالث ورابع وخامس ولم يزل يبرز له بطل بعد بطل حتي علم علي الجميع ونصره الله تعالي عليهم وطلعوا من الميدان وقدم لهم الطعام فاكلوا واحضروا الشراب وشربوا فشرب غريب وطاش عقله فقام يزيل ضرورة واراد ان يعود فتاه ودخل في قصر فخرتاج فلما رأته خرج عقلها وصاحت علي جواريها وقالت اخرجن الي مواضعكن فتفرقن وتوجهن الي مواضعهن ثم قامت وقبلت يد غريب وقالت مرحبا بسيدي الذي اعتقني من الغول فانا جاريتك علي الدوام وجذبته الي فراشها واعتنقته فاشتدت شهوته وافتضها وبات عندها الي الصباح هذا ما جري والملك يظن ان غريبا مضي فلما اصبح الصباح دخل علي الملك فقام له واجلسه بجانبه ثم دخل الملوك وقبلوا الارض ووقفوا ميمنة وميسرة وصاروا يتحدثون في شجاعة غريب ويقولون سبحان من اعطاه الشجاعة علي صغر سنه فبينما هم في الكلام اذ نظرو من شباك القصر غبار خيل مقبلة فصاح الملك علي السعاة وقال ويلكم ائتوني بخبر هذا الغبار فسار فارس منهم حتي كشف الغبار وعاد وقال ايها الملك وجدنا تحت الغبار مائة فارس من الفرسان اميرهم يقال له سهيم الليل فلما سمع غريب هذا الكلام قال يا مولاي هذا اخي كنت بعثته في حاجة وانا خارج لالاقيه ثم ركب غريب في قومه المائة فارس من بني قحطان وركب معه الف من العجم وسار في موكب عظيم ولا عظمة الا لله ولم يزل غريب سائرا حتي وصل اليه فترجل الاثنان واعتنقا ثم ركبا فقال غريب يا اخي هل اوصلت قومك الي حصن صاصا ووادي الازهار فقال يأخي ان الكلب الغدار لما سمع انك ملكت حصن غول الجبل زاد به الضجر وقال ان لم ارحل من هذه الديار يجئ غريب فيأخذ بنتي مهدية

بلا صداق ثـم اخذ بنته واخـذ قومه وعيـاله وماله وقـصد ارض العراق ودخل الـكوفة واحتمي بالملك عجيبَ وهو طالـب ان يعطيه ابنـته مهدية فلمـا سـمع غريب كلام اخيه سهيم الـليل كادت روحه تزهـق من القهر وقال وحـق دين الاسلام دين الخليـل ابراهيم وحق الـرب العـظيم لاسـيرن الي ارض الـعراق واقـيم الحرب فـيها عـلي سـاق ودخل المدينـة وطلع غريـب واخـوه سهيم اللـيل الي قصـر المـلك وقبلوا الارض فقـام الملك لغريب وسهيم ثم ان غـريبا اخبر الملك بما جري فامر له بعشرة قـواد مع كل قائد عـشرة الاف فـارس مـن شجعان الـعـرب والعـجـم فجهـزوا حـالهـم في ثلاثة ايـام ثم رحل غريب وسار حتي وصل الي حصن صاصا فـخرج له غول الجبل واولاده ولاقوا غريبا ثم ترجل سعـدان واولاده وقبلوا اقدام غريـب في الركاب وحكي لـغـول الجـبل مـا جـري فـقال يا مـولاي اقعد في حصنك وانا اسير باولادي واجنادي نحو العراق واخرب مدينة الرستاق واجيئ بجميع جنودهـا مـربوطين بـين يديـك في اشـد الوثاق فشـكره غريب وقال يا سعدان نسير كلنا فجهز حاله وفعل ما امره وساروا كلهم وتركوا في الحصن الف فارس يحفظونه ورحلـوا قاصدين العـراق هذا ماكان من امر غريب واما ما كان من امر مرداس فانه سار بـقومه حتـي وصـل ارض العـراق واخـذ معه هدية حسنة ومضي بها الي الكـوفة واحضـرها قـدام عجيـب ثم قـبـل الارض ودعـا لـه بدعاء المـلـوك وقال يا سيدي اني اتيت مستجيرا بك وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الخامسة والثلاثون بعد الستمائة

قالت بلـغني ايها الملك الـسعيد ان مرداسا لما طلـع بين يدي عجيب قال لـه اني اتيت مستـجيرا بك فقـال من ظلمك حـتي اجيرك مـنه ولو كان سابـورا ملك العجـم والترك والديلم فقال مرداس يا ملك الزمان ما ظلمني الا صبي ربيته في حجري وقد وجدته في حجر امه في واد فتزوجت بامه فجائت مني بولد سميته سهيم الليل وولدها اسمه غريب فنشأ في حجري وطلع صاعقة محرقة وداهية عظيـمة فقتل حـسان سيـد بني نبهان وافتي الرجال وقهـر الفرسان وعندي بنـت ما تصلح الا لك وقد طلـبها مني فطلـبت منه رأس غول الجبل فسار له وبارزه واسره وسار من جملـة رجاله وسمعت انه اسلم وصار يدعو الناس الي دينه وخلص بنت سابور من الغول وملك حصن صاصا بن شيث بن شداد بن عاد وفيه ذخائر الاولين والاخـرين وكنوز السابقين وقد سار يشيع بـنت سابور وما يرجع

الا باموال العجم فلما سمع عجيب كلام مرداس اصفر لونه وتغير حاله وايقن بهلاك نفسه وقال يا مرداس وهل ام هذا الصبي عندك او عنده قال عندي في خيامي قال فما اسمها قال اسمها نصره قال هي اياها فارسل واحضرها فنظر عجيب اليها فعرفها فقال يا ملعونة اين العبدان اللذان ارسلتهما معك قالت قتلا بعضهما علي شأني فسل عجيب سيفه وضربها فشقها نصفين وسحبوها ورموها ودخل في قلبه الوسواس فقال يا مرداس زوجني ابنتك فقال مرداس هي من بعض جواريك وقد زوجتك بها وانا عبدك فقال عجيب مرادي انظر الي ابن الزانية غريب حتي اهلكه واذيقه اصناف العذاب وامر لمرداس بثلاثين الف دينار مهر ابنته ومائة شقة من الحرير منسوجة بطراز الذهب مزركشة ومائة مقطع بحاشية ومناديل واطواق ذهب ثم خرج مرداس بهذا المهر العظيم فاجتهد في جهاز مهدية هذا ما جري لهؤلاء واما ما كان من امر غريب فانه سار حتي وصل الي الجزيرة وهي اول بلاد العراق وهي مدينة حصينة منيعة فامر غريب بالنزول عليها فلما نظر اهل المدينة نزول العسكر عليهم اغلقوا الابواب وحصنوا الاسوار وطلعوا للملك فاعلموه فنظر من شرافاته القصر فوجد عسكرا جرارا وكلهم اعجام فقال يا قوم ما يريدون هؤلاء الاعجام فقالوا لا ندري وكان الملك اسمه الدامغ لانه كان يدمغ الابطال في حومة الميدان وكان من جملة اعوانه رجل شاطر كانه شعلة نار اسمه سبع القفار فدعاه الملك وقال له امض الي هذا العسكر وانظر أخبارهم وما يريدون منا وارجع عاجلا فخرج سبع القفار كانه الريح اذا سار حتي وصل الي خيام غريب فقام جماعة من العرب فقالوا من انت وما تريد فقال انا قاصد ورسول من عند صاحب المدينة الي صاحبكم فاخذوه وشقوا به الخيام والمضارب والاعلام حتي وصلوا به الي سرادق غريب فدخلوا علي غريب واعلموه به فقال ائتوني به فاتو به فلما دخل قبل الارض ودعا له بدوام العز والبقاء قال له غريب ما حاجتك قال انا رسول صاحب مدينة الجزيرة الدامغ اخو الملك كندمر صاحب مدينة الكوفة وارض العراق فلما سمع غريب كلام الرسول جرت دموعه مدرارا ونظر الي الرسول وقال له ما اسمك قال اسمي سبع القفار فقال له امض الي مولاك وقل له ان صاحب هذه الخيام اسمه غريب بن كندمر صاحب الكوفة الذي قتله ابنه وقداتي الي اخذ الثار من عجيب الكلب الغدار فخرج الرسول حتي وصل الي الملك الدامغ وهو فرحان ثم قبل الارض فقال الملك ما

وراءك يا سبع القفار قال يا مولاي ان صاحب هذا العسكر ابن اخيك ثم حكي له جميع الكلام فظن انه في المنام وقال يا سبع القفار فقال له نعم يا ملك قال له هل الذي قلته حق قال له وحيات رأسك انه حق فعند ذلك امر كبار قومه بالركوب فركبوا وركب الملك وساروا حتي وصلوا الي الخيام فلما علم غريب بحضور الملك الدامغ خرج اليه ولاقاه واعتنق الاثنان وسلما علي بعضهما ورجع غريب بالملك الي الخيام وجلسا علي مراتب العز وفرح الدامغ بغريب ابن اخيه ثم التفت الملك الدامغ الي غريب وقال له ان في قلبي حسرة من ثار ابيك ومالي قدرة علي الكلب اخيك لان عسكره كثير وعسكري قليل فقال غريب ياعم ها انا قد اتيت اخذ الثار وازيل العار واخلي منه الديار فقال الدامغ ياابن اخي ان لك ثأرين ثار ابيك وثار امك فقال غريب ما بال امي قال قتلها عجيب اخوك وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة السادسة والثلاثون بعد الستمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان غريبا لما سمع كلام عمه الدامغ حين قال له ان امك قتلها عجيب اخوك قال غريب يا عم وما سبب قتلها فحكي له ما جري لامه وكيف زوج مرداس بنته بعجيب وهو يريد ان يدخل عليها فلما سمع غريب كلام عمه طار عقله من رأسه وغشي عليه حتي كاد ان يهلك فلما صحا من غشيته صاح في عسكره وقال اركبوا فقال الدامغ يا ابن اخي اصبر حتي اهيئ حالي واركب في رجالي واسير معك في ركابك فقال يا عم مابقي لي صبر فجهز حالك والحقني في الكوفة ثم ان غريبا سار حتي وصل الي مدينة بابل وقد ارتعب اهلها وكان فيها ملك اسمه جمك وكان تحت يده عشرون الف فارس واجتمع عنده من القري خمسون الف فارس وضربوا الخيام قبال بابل ثم كتب غريب كتابا وارسله لصاحب بابل فسار الرسول فلما وصل الي المدينة صاح وقال اني رسول فسار بواب الباب متوجها الي الملك جمك واخبره بالرسول فقال ائتني به فخرج واتي بالرسول بين يديه فقبل الارض واعطي جمكا الكتاب ففكه وقرأه فاذا فيه الحمد لله رب العالمين رب كل شئ ورازق كل حي وهو علي كل شئ قدير من عند غريب بن الملك كندمر صاحب العراق وارض الكوفة الي جمك فساعة وصول الكتاب اليك لا يكون جوابك الا ان تكسر الاصنام وتوحد الملك العلام خالق النور والظلام وخالق كل شئ وهو علي كل شئ قدير وان لم تفعل ما امرتك به جعلت

اليوم عليك اشأم الايـام والسلام علي من اتبع الهدي وخشي عـواقب الردي واطاع الملك الاعلي رب الاخرة والاولي الذي يقـول للشئ كن فيكون فلما قرأ الـكتاب ازرقت عيناه واصفر وجهه وصاح علـي الرسول وقال له امض الي صاحبك وقل له غـدا عند الصباح يكون الحرب والكفاح ويـبان الجحجاح فمضى الرسول واعلم غريبـا بما كان فامر غريب قومه بأخذ الاهبة للقتال ثم امر جمك بنـصب الخيام قبال خيام غريب وخرج عساكر مثل البحر الزاخر وباتوا علي نية القتال فلما اصبـح الصباح ركبت الطائفتان واصطفتا صفوفا ودقوا الكاسات ورمحوا علي الصافنات فملؤا الارض والفلوات وتقدمت الابطال وكان اول من برز الي مـيدان الحرب والنزال غول الجـبل وعلي كتفـه شجرة هايلة فـصاح بين الفريقين وقال انا سـعدان الغول ونـادي هل من مبارز هل من منـاجز لا يأتني كسلان ولا عاجـز ثم صاح علـي اولاده ويلكـم فائتـوني بالحطـب والنار لانـني جايـع فصاحوا عـلي عبيدهم فجمعوا الحطب واشعلوا النـار في وسط الميدان فبرز له رجل من الكفار عملاق من العـمالقة العـتاة وعلي كتـفه عمود مثـل صاري مركب فحـمل علي سعـدان وقال يا ويلك يا سعـدان فـلما سمع كلام العملاق ساءت منه الاخلاق ولـف الشجرة فزمـرت في الهـواء وضرب بها العملاق فلاقي الضربة بالعمود فنزلت الشجرة بثقلها مع عمـود العملاق عـلي دماغه فهشـمته ووقع كالنـخلة السحوق فـصاح سعدان علي عـبيده وقال اسحبوا هذا العجـل السمين واشووه سريعا فاسرعوا وسلخـوا العملاق وشووه وقدموه لسـعدان الغول فـاكله مرمـش عظامـه فلما نـظر الكفـار الي فعــل سعدان بـصـاحبـهم اقشعـرت جلودهم وابدانهم وانعكست احوالهم وتغـيرت الوانهم وقالوا لبعضـهم كل مـن خـرج لهـذا الغـول اكله ومرمش عظامه واعدمه نسيم الدنيا فـتوقفوا عن القتال وقد فزعوا من الـغول واولاده ثم ولوا هاربين والي بلـدهم قاصدين فعند ذلـك صاح غريب علي قومه وقال عليكـم بالمنهزمين فحمل العجم والعرب علي مـلك بابل وقومه واوقعوا فيهم ضرب السيف حتي قتلوا منهم عشـرين الفا وازيد وازدحموا في الباب فقتلوا منهم خلقا كثيرا ولم يقدوروا غلق الباب فهجمت عليهم العرب والعجم واخذ سعدان عمودا من بعض الـقتلا وهزه قدام القـوم ونزل به في الميدان ثم هـجم علي قصر المـلك جمك فواجهـه وضربه بالعـمود فوقع عـلي الارض مغشيـا عليه وحمـل سعدان علـي من في القصر فجعلهم هشيما فعند ذلك صاحوا الامان الامان وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة السابعة والثلاثون بعد الستمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان سعدان الغول لما هجم علي قصر الملك جمك وهشم من فيه صاحوا الامان الامان فقال لهم سعدان كتفوا ملككم فكتفوه وحملوه وساقهم سعدان قدامه مثل الغنم بعد فناء اكثر اهل المدينة بسيوف عسكر غريب واوقفهم قدام غريب فلما افاق جمك ملك بابل من غشيته وجد نفسه مربوطا والغول يقول الليلة اتعشي بهذا الملك جمك فلما سمعه جمك التفت الي غريب وقال له انا في جيرتك قال غريب اسلم تسلم من الغول ومن عذاب الحي الذي لا يزول فاسلم جمك قلبا ولسانا فامر غريب بحل كتافه ثم عرض الاسلام علي قومه فاسلموا جميعا وقد وقفوا في خدمة غريب ودخل جمك مدينته واخرج الطعام والشراب وباتوا علي بابل حتي اصبح الصباح فامر غريب بالرحيل وساروا حتي وصلوا الي ميافارقين فرأوها خالية من اهلها وكان اصحابها قد سمعوا ما جري لبابل فاخلوا الديار وساروا حتي وصلوا الي مدينة الكوفة فاخبروا عجيبا بما جري فقامت قيامته وجمع ابطاله واخبرهم بقدوم غريب وامرهم ان يأخذوا الاهبة لقتال اخيه وقد احصي قومه فكانوا ثلاثين الف فارس وعشرة الاف راجل ثم طلب غيرهم للحضور فحضر له خمسون الف فارس وراجل ثم ركب في عسكر جرار وسار خمسة ايام فوجد عسكر اخيه نازلا بالموصل فنصب خيامه قبال خيامهم ثم كتب غريب كتابا والتفت الي رجاله وقال من فيكم يوصل هذا الكتاب الي عجيب فوثب سهيم قائما وقال يا ملك الزمان انا اروح بكتابك واجيئ بجوابك فاعطاه الكتاب وسار به حتي وصل الي سرادق عجيب فاخبروا عجيبا به فقال ائتوني به فلما احضروه بين يديه قال له من اين جئت قال جئتك من عند ملك العجم والعرب صهر كسري ملك الدنيا وقد ارسل اليك كتابا فرد جوابه فقال له عجيب هات الكتاب فاعطاه اياه ففكه وقرأه فوجد فيه بسم الله الرحمن الرحيم السلام علي الخليل ابراهيم اما بعد فساعة وصول الكتاب اليك توحد الملك الوهاب مسبب الاسباب ومسير السحاب وتترك عبادة الاصنام فان اسلمت كنت اخي والحاكم علينا واترك لك ذنب ابي وامي ولا اؤاخذك بما فعلت وان لم تفعل ما امرتك به قطعت عنقك واخربت ديارك وعجلت عليك وقد نصحتك والسلام علي من اتبع الهدي واطاع الملك الاعلى فلما قرأ عجيب كلام غريب وفهم ما فيه من التهديد صارت عينيه في ام رأسه وقرش علي

اضـراسه واشتد غضبـه ثم مزق الكتاب ورماه فصعب علي سهيم فـصاح علي عجيب وقـال له شل الله يـدك بما فعلـت فصاح عـجيب عـلي قومـه وقال امسكـوا هذا الكـلب وقطعوه بسيوفكم فهجموا علي سـهيم فسحب سهيم سيفه وبطش بهم فقتل مـنهـم ما يزيـد عـلي خمـسين بطـلا ومـرق سهيم حتي وصـل الي اخيـه وهـو غـاطس في الدم فقال له غـريب اي شـئ هذا الحال يا سهيم فـحكي له ماجري فـصاح غـريب الله اكـبر وامتـزج بالغضب ودق طبل الحرب وركب الابـطال واصـطف الرجـال واجتمع الاقران ورقصـوا الخيل فـي المجال ولـبس الرجـال الحديد والـزرد النـضيد وتـقلدوا بـالسـيوف واعتقلوا الرماح الطوال وركب عجيب بقومه وحملت الامم علي الامم وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الثامنة والثلاثون بعد الستمائة

قالت بلغني ايهـا الملك السعيد ان غريبا لما ركب هو وقومـه وركب عجيب هو وقومه حملـت الامم علي الامم وحكـم قاضي الحرب وفي حـكمه ظلم وخـتم علي فـمه ولم يتـكلم وجري الـدم وانسجم ونـقش علـي الارض طراز محكـما وشابت الامم واشـتد الحرب واحتدم وزلت القـدم وثبت الشجاع واقتحم وولي الجبان وانـهزم ولم يزالوا في حرب وقتـال حتي ولي الـنهار واقبـل الليل بالاعـتكار فدقـوا كؤوس الانفصـال وانفرق بعضهم عن بعض ورجعت كل طائفة الي خيامها وباتوا فلما اصبح الصباح دقوا كؤوس الحرب والكفـاح وقد لبسوا آلة الحـرب وتقلدوا بالسيـوف الملاح واعتقلوا سـمر الرماح وركبوا الجرد القـداح وناد اليوم لابراح واصطف العـساكر مثل البحر الـزاخر فكان اول من فتح باب الحرب سهـيم فساق جواده بين الصفين ولعب بالسيـفين والرمحين وقلب ابوابا في الحرب حتي حـيروا اولي الالباب ثم نادي هل من مبارز هل مـن مناجز لا يأتني كسلان ولا عاجز فبرز له فارس من الكفار كانه شعـلة من نار فما امهله سهيم في الثبات قدامه حتي طعـنه فالقاه فبرز له الثاني فقـتله والثالث فمزقه والرابع فاهـلكه ولم يزل كل من برز له قـتله الي نصف النهـار حتي قتل مأتي بطـل فعند ذلك صاح عجيـب في قومه وامرهم بـالحملة فـحمل الابطال عـلي الابطال وعـظم النزال وكثـر القيل والـقال ورنت السيـوف الصقال وفـتكت الرجال بـالرجال وصاروا فـي نحس حال وجـري الدم وسال وصارت الجماجم للخيل نعال ولم يزالوا في ضـرب شديد حتي ولي النهار واقبل الليل

بالاعتكار وانفصلوا من بعضهم ومضوا الي خيامهم وباتوا الي الصباح ثم ركب الطائفتان وطلبوا الحرب والكفاح وانتظر المسلمون غريبا يركب تحت الاعلام علي جري عادته فما ركب فذهب عبد سهيم الي سرادق اخيه فلم يجده فسأل الفراشين فقالوا ما لنا به علم فاغتم غما شديدا وخرج واعلم العسكر فامتنعوا من الحرب وقالوا ان غاب غريب يهلكنا عدوه وكان لغياب غريب امر عجيب نذكره علي الترتيب وهو انه لما رجع عجيب من محرب اخيه غريب دعا رجلا من اعوانه يقال له سيار وقال له يا سيار ما ادخرتك الا لمثل هذا اليوم وقد امرتك ان تدخل في عسكر غريب وتصل الي سرادق الملك وتجيئ بغريب وتريني شطارتك فقال سمعا وطاعة ثم ان سيارا سار حتي تمكن من سرادق غريب وقد اظلم الليل وانطرف كل انسان الي مرقده هذا كله وسيار واقف بسبب الخدمة فعطش غريب فطلب الماء من سيار فقدم له كوز ماء وشغله بالبنج فما فرغ غريب من الشرب حتي سبقت رأسه رجليه فلفه في ردائه وحمله وسار به حتي دخل خيام عجيب ثم وقف بين يديه ورماه قدامه فقال له ما هذا يا سيار قال له هذا اخوك غريب ففرح عجيب وقال له باركت فيك الاصنام حله ونبهه فنشقه بالخل فافاق وفتح عينيه فوجد نفسه مربوطا وهو في خيمة غير خيمته فقال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فصاح عليه اخوه وقال له اتجرد علي يا كلب وتطلب قتلي وتطالبني بثار ابيك وامك فانا اليوم الحقك بهما واريح الدنيا منك فقال له غريب يا كلب الكفار سوف ننظر من تدور عليه الدوائر يقهره الملك القاهر العالم بما في السرائر الذي يتركك في جهنم معذبا حائرا فارحم نفسك وقل معي لا اله الا الله ابراهيم خليل الله فلما سمع عجيب كلام غريب شخر ونخر وسب الهه الحجر وامر باحضار السياف ونطع الدم فنهض الوزير وقبل الارض وكان مسلما في الباطن كافرا في الظاهر وقال يا ملك امهل لا تعجل حتي نعرف الغالب من المغلوب فان كنا غالبين فنحن متمكنون من قتله وان كنا مغلوبين يكون ابقاؤه في ايدينا قوة لنا فقال الامراء صدق الوزير وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة التاسعة والثلاثون بعد الستمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان عجيبا لما اراد قتل غريب نهض الوزير وقال لا تعجل فاننا متمكنون من قتله فامر عجيب لاخيه بقيدين وغلين وجعله في خيمته وحرس عليه الف بطل شداد واصبح قوم غريب فاقدين ملكهم فلم يجدوه فلما اصبح الصباح صاروا غنما من غير راع فصاح سعدان الغول قال يا قوم البسوا آلة حربكم وتوكلوا علي ربكم يدفع عنكم فركب العرب والعجم خيولهم بعد ان لبسوا الحديد وتسربلوا الزرد النضيد وبرزت السادات وتقدم اصحاب الرايات فعند ذلك برز غول الجبل وعلي كتفه عمود وزنه مائتا رطل فجال وصال وقال يا عبدة الاصنام ابرز اليوم فانه الاصطدام من عرفني فقد اكتفي شري ومن لم يعرفني فانا اعرفه بنفسي انا سعدان غلام الملك غريب هل من مبارز هل من مناجز لا يأتني اليوم جبان ولا عاجز فبرز له بطل من الكفار كانه شعلة من نار فحمل علي سعدان فتلقاه سعدان وضربه بالعمود فكسر اضلاعه ووقع علي الارض ليس فيه روح فصاح علي اولاده وعبيده وقال لهم اشعلوا النار فكل من وقع من الكفار اشووه واصلحوا شأنه وانضجوه بالنار وقدموه الي حتي اتغدي به ففعلوا ما امرهم به واطلقوا النار في وسط الميدان وطرحوا ذلك المقتول في النار حتي استوي فقدموه لسعدان فنهش لحمه ومرمش عظمه فلما نظر الكفار ما فعل غول الجبل فزعوا فزعا شديدا فصاح عجيب علي قومه وقال ويلكم فاحملوا علي هذا الغول واضربوه بسيوفكم وقطعوه فحمل عشرون الفا علي سعدان ودارت حوله الرجل ورشقوه بالنبال والنشاب فصار فيه اربعة وعشرون جرحا وجري دمه علي الارض وصار وحده فعند ذلك حملت ابطال المسلمين علي المشركين واستغاثوا برب العالمين ولم يزالوا في حرب وقتال حتي فرغ النهار فافترقوا من بعضهم وقد اسر سعدان وهو مثل السكران من نزيف الدم وشدوا وثاقة واضافوه الي غريب فلما نظر غريب الي سعدان وهو اسير قال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وقال له يا سعدان ما هذا الحال فقال يا مولاي حكم الله سبحانه وتعالي بالشدة والفرج ولابد من هذا وهذا قال صدقت يا سعدان وبات عجيب وهو فرحان وقال لقومه اركبوا غدا واهجموا علي عسكر المسلمين حتي لا يبقي منهم بقية فقالوا سمعا وطاعة واما ما كان من امر المسلمين فانهم باتوا وهم منهزمون باكون علي ملكهم وعلي سعدان فقال له سهيم يا قوم لا تهتموا ففرج الله تعالي قريب ثم صبر

سهيم الي نصف الليل وتوجه الي عسكر عجيب ولم يزل يخترق المضارب والخيام حتي وجد عجيبا جالسا علي سرير عزه والملوك حوله كل هذا وسهيم في صفة فراش وتقدم الي الشمع الموقود وقطف زهرته واشعله بالبنج الطيار وخرج منه خارج السرادق وصبر ساعة حتي طلع دخان البنج علي عجيب وملوكه فوقعوا علي الارض كانهم موتي فتركهم سهيم واتي الي خيمة السجن فوجد فيها غريبا وسعدان ووجد عليها الف بطل وقد غلبهم النعاس فصاح عليهم سهيم وقال يا ويلكم لا تناموا واحتفظوا علي غريمكم واوقد المشاعل ثم اخذ سهيم مشعلا واشعله بالحطب وملأه بنجا وحمله ودار حول الخيمة فطلع دخان البنج ودخل في نخاشيشهم فرقدوا جميعهم وتبنج جميع العسكر من دخان البنج فرقواد وكان مع سهيم الليل الخل في سفنجه فنشقهم حتي افاقوا وقد حلهم من السلاسل والاغلال فنظر الي سهم ودعوا له وفرحا به ثم خرجوا وحملوا جميع السلاح من الحراس وقال لهم امضوا الي عسكركم فساروا ودخل سهيم الي سرادق عجيب ولفه في برده وحمله وسار قاصدا خيام المسلمين وقد ستر عليه الرب الرحيم حتي وصل الي سرادق غريب وحل البردة فنظر غريب الي ما في البردة فوجده اخاه عجيبا وهو مكتف فصاح الله اكبر ففتح ونصر ودعا غريب لسهيم وقال يا سهيم نبهه فتقدم واعطاه الخل مع الكندز فافاق من البنج وفتح عينيه فوجد روحه مكتفا مقيدا فاطرق رأسه الي الارض وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الموفية للاربعين بعد الستمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان عجيبا لما قبضه سهيم وبنجه جاء به عند اخيه غريب ونبهه ففتح عينيه فوجد نفسه مكتفا مقيدا فاطرق رأسه الي الارض فقال له يا ملعون ارفع رأسك فرفع رأسه فوجد نفسه بين عجم وعرب واخوه جالي علي سرير ملكه ومحل عزه فسكت ولم يتكلم فصاح غريب وقال اعروا هذا الكلب فاعروه ونزلوا عليه بالسياط حتي اضعفوا جسمه واخمدوا حسه وحرس عليه مائة فارس فلما فرغ غريب من عذاب اخيه سمعوا التهليل والتكبير في خيام الكفار وكان السبب في ذلك ان الملك الدامغ عم غريب لما رحل غريب من عنده من الجزيرة اقام بعد رحيله عشرة ايام ثم ارتحل بعشرين الف فارس وسار حتي صار قريبا من الوقعة فارسل ساعي ركابه يكشف له الاخبار فغاب يوما ثم عادوا خبر الملك الدامغ بما جري لغريب مع اخيه فصبر حتي

اقبل الليل ثم كبر علي عسكر الكفار ووضع فيهم الصارم فسمع غريب وقومه التكبير فصاح غريب علي اخيه سهيم الليل وقال له اكشف لنا خبر هذا العسكر وما سبب هذا التكبير فذهب سهيم حتي قرب من الواقعة وسأل الغلمان فاخبروه ان الملك الدامغ عم غريب وصل في عشرين الف فارس وقال وحق الخليل ابراهيم ما اترك ابن اخي بل اعمل عمل الشجعان واردع القوم الكافرين وارضي الملك الجبار ثم هجم بقومه في ظلام الليل علي القوم الكفرة فرجع سهيم الي اخيه غريب واخبره بما عمل عمه فصاح علي قومه وقال لهم احملوا سلاحكم واركبوا خيولكم وساعدوا عمي فركب العسكر وهجموا علي الكفار ووضعوا فيه الصارم البتار فما اصبح الصباح حتي قتلوا من الكفار نحو خمسين الفا واسروا نحو ثلاثين الفا وانهزم باقيهم في الارض طولا وعرضا ورجع المسلمون مؤيدين منصورين وركب غريب ولاقى عمه الدامغ وسلم عليه وشكره علي فعله وقال الدامغ يا تري هذا الكلب وقع في هذه الوقعة فقال غريب يا عم طب نفسا وقر عينا واعلم انه عندي مربوط ففرح الدامغ فرحا شديدا وادخلوا الخيام وترجل المكان ودخلا السرادق فما وجدا عجيبا فصاح غريب وقال يا جاه ابراهيم الخليل عليه السلام ثم قال ياله من يوم عظيم ما اشنعه وصاح علي الفراشين وقال يا ويلكم اين غريمي فقالوا لما ركبت وسرنا حولك لم تأمرنا بسجنه فقال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فقال له عمه لا تعجل ولا تحمل هما فاين يروح ونحن له في الطلب وكان السبب في هروب عجيب غلامه سيار فانه كان في العسكر كامنا فما صدق بركوب غريب وما ترك في الخيام من يحرس غريمه فصبر واخذ عجيبا وحمله علي ظهره وتوجه الي البر وعجيب مدهوش من الم العذاب ثم سار به يجد السير من اول الليل الي ثاني يوم حتي وصل به الي عين ماء عند شجرة تفاح فنزله عن ظهره وغسل وجهه ففتح عينيه فوجد سيارا فقال له يا سيار رح بي الكوفة حتي افيق واجمع الفرسان والجيوش والعساكر واقهر بها عدوي واعلم يا سيار اني جيعان فنهض سيار الي الغابة واصطاد فرخ نعام واتي به مولاه وذبحه وقطعه وجمع الحطب وقدح الزناد واشعل النار وشواه واطعمه وسقاه من العين فردت روحه ومضي سيار الي بعض احياء العرب وسرق منهم جوادا واتي به عجيبا فاركبه وقصد به الكوفة فسار اياما حتي وصلا قريبا من المدينة فخرج النائب لملتقي الملك عجيب وسلم عليه فوجده ضعيفا من العذاب الذي عذبه اياه اخوه فدخل المدينة

ودعا الملك بالحكماء فحضروا فقال لهم داووني في اقل من عشرة ايام فقالوا سمعا وطاعة وجعل الحكماء يلاطفون عجيبا حتي شفي وتعافي من المرض الذي كان فيه ومن العذاب ثم امر وزيره ان يكتب الكتب الي جميع النواب فكتب واحدا وعشرين كتابا وارسلها اليهم فجهزوا العساكر وقصدوا الكوفة مجدين السير وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الحادية والاربعون بعد الستمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان عجيبا ارسل يحضر العسكر فقصدوا الكوفة وحضروا واما غريب فانه صار متأسفا علي هروب عجيب وارسل خلفه الف بطل وفرقهم في جميع الطرق فساروا يوما وليلة فلم يجدوا له خبرا ثم رجعوا واخبروا غريبا فطلب اخاه سهيما فما وجده فخاف عليه من نوائب الزمان واغتم غما شديدا فبينما هو كذلك واذا بسهيم داخل عليه وقبل الارض بين يديه فقام غريب لما نظر اليه وقال اين كنت يا سهيم فقال له يا ملك قد وصلت الي الكوفة فوجدت الكلب عجيبا وصل الي محل عزه وامر الحكماء ان يداووه فتعافي وكتب الكتب وارسلها لنوابه فاتوه بالعساكر فامر غريب عسكره بالرحيل فهدوا الخيام وصاروا قاصدين الكوفة فلما وصلوا اليها وجدوا حولها عساكر مثل البحر الزاخر ليس لها اول من آخر فنزل غريب بعسكره مقابل عسكر الكفار ونصبوا الخيام واقاموا الاعلام ودخل علي الطائفتين الظلام فاوقدوا النيران وتحارس الفريقان حتي طلع النهار فقام الملك غريب توضأ وصلي ركعتين علي ملة ابينا الخليل ابراهيم عليه السلام وامر بدق طبول الحرب فدقت والاعلام خفقت والفرسان لدروعها لبست ولخيولها ركبت ولانفسها اشهرت ولميدان الحرب طلبت فاول من فتح باب الحرب الملك الدامغ عم الملك غريب وقد ساق جواده بين الصفين واشتهر بين الفريقين ولعب بالرمحين والسيفين حتي ير الفرسان وتعجب منه الفريقان فصاح هل من مبارز من لا يأتني كسلان ولا عاجز انا الملك الدامغ اخو الملك كندمر فبرز له بطل من فوارس الكفار كانه شعلة نار وحمل علي الدامغ من غير كلام فلاقاه الدامغ وطعنه في صدره فخرج السنان من كتفه وعجل الله بروحه الي النار وبئس القرار وبرز له الثاني فقتله والثالث فقتله لم يزل كذلك حتي قتل منهم ستة وسبعين رجلا ابطالا فعند ذلك توقفت الرجال والابطال عن المبارزه فصاح الكافر عجيب علي قومه وقال ويلكم يا

قوم ان برزتم له جميعا واحدا بعد واحد فانه لا يبقي منكم احد قائما ولا قاعدا فاحملوا عليه حملة واحدة حتي تتركوا الارض منهم خالية ورؤسهم تحت حوافر الخيل مجندلة فعند ذلك هزوا العلم المدهش وانطبقت الامم علي الامم وسال الدم علي الارض وانسجم وحكم قاضي الحرب وفي حكمه ما ظلم وثبت الشجاع في مقام الحرب راسخ القدم وولي الجبان وانهزم وما صدق ان ينقضي النهار ويقبل الليل بحندس الظلام ولم يزالوا في حرب وقتال وضرب نصال حتي ولي النهار واظلم الليل بالاعتكار فعند ذلك دق الكفار طبل الانفصال فما رضي غريب بل هجم علي المشركين وتبعه المؤمنون الموحدون فكم قطعوا رؤسا ورقاباوكم مزقوا أيادي واصلاباوكم هشموا ركبا واعصابا وكم اهلكوا كهولا وشباباً فما اصبح الصباح إلا وقد عزم الكفار علي الهروب والرواح وقد انهزموا عند انشقاق الفجر الوضاح وتبعهم المسلمون الي وقت الظهر وقد اسروا منهم ما يزيد عن عشرين الفا وقد اتوا بهم مكتفين ونزل غريب علي باب الكوفة وامر مناديا ان ينادي في المدينة المذكورة بالامان والطمان لمن يترك عبادة الاصنام ويوحد الملك العلام خالق الانام والضياء والظلام فعند ذلك نادوا في شوارع المدينة كما قال بالامن واسلم كل ما كان فيها كبارا وصغارا وخرجوا كلهم جددوا اسلامهم قدام الملك غريب وقد فرح بهم غاية الفرح واتسع صدره وانشرح ثم سأل عن مرداس وبنته مهدية فاخبروه انه كان نازلا خلف الجبل الاحمر فعند ذلك ارسل الي اخيه سهيم فحضر عنده فقال له اكشف لي عن خبر ابيك فركب جواده وما تأخر وقد اعتقل رمحه الاسمر وما قصر وسار متوجها الي الجبل الاحمر فتش فما رأي له خبرا ولا لقومه اثرا ورأي مكانهم شيخا من العرب كبير السن حطيما من كثرة السنين فسأله سهيم عن حال الرجال واين مضوا فقال له يا ولدي مرداس لما سمع بنزول غريب علي الكوفة خاف خوفا عظيما واخذ ابنته وقومه وجميع جواريه وعبيده وسار في تلك البراري والقفار ولا ادري اين توجه فلما سمع سهيم كلام الشيخ رجع الي اخيه واعلمه بذلك فاغتم غما شديدا وجلس علي سرير ملك ابيه وفتح خزاينه وفرق الاموال علي جميع الابطال واقام في الكوفة وارسل الجواسيس تكشف امر عجيب وامر باحضار ارباب الدولة فاتوه طايعين وكذلك اهل المدينة وخلع عليهم الخلع السنية واوصاهم بالرعية وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الثانية والاربعون بعد الستمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان غريبا لما خلع علي اهل الكوفة واوصاهم بالرعية ركب في بعض الايام الي الصيد والقنص وخرج في مائة فارس وسار الي ان وصل الي واد ذي اشجار واثمار كثير الانهار والاطيار ومرتع للظبي والغزلان ترتاح اليه النفوس وتنعش روائحه من فترة العكوس فاقاموا فيه ذلك اليوم وكان يوما مزهرا وباتوا فيه الي الصباح فصلي غريب ركعتين بعد الوضوء وحمد الله تعالي وشكره واذا بصراخ وهرج لهما طنين في ذلك المرج فقال غريب لسهيم اكشف لنا الاخبار فمرق من وقته وسار حتي رأي اموالا منهوبة وخيلا مجنوبة وحريما مسبيا واولادا وصياحا فسأل بعض الرعاة وقال لهم اي شئ الخبر قالوا هذا حريم مرداس سيد بني قحطان وامواله واموال الحي الذي معه فان الجمرقان بالامس قتل مرداسا ونهب امواله وسبي عياله واخذ اموال الحي جميعه والجمرقان من دأبه شن الغارات وقطع الطرقات وهو جبار عنيد ما تقدر عليه العربان ولا الملوك لانه شر مكان فلما سمع سهيم بقتل ابيه وسبي الحريم ونهب الاموال عاد الي اخيه غريب واعلمه بذلك فازداد نارا علي نار وهاجت به الحمية لكشف العار واخذ الثأر فركب في قومه طالبين الفرصة وسار الي ان وصل الي القوم فاح علي الرجال الله اكبر علي من طغي وبغي وكفر وقتل منهم في حملة واحدة واحد وعشرين بطلا ثم وقف في حومة الميدان بقلب غير جبان وقال اين الجمرقان يبرز لي حتى اذيقه كاس الهوان واخلي منه الاوطان فما فرغ غريب من كلامه حتى برز الجمرقان كانه جله من الجلل او قطعة من جبل بالحديد مسر بل وكان عملاقا طويلا جدا فصدم غريبا صدمة جبار عنيد من غير كلام ولا سلام فحمل عليه غريب ولاقاه كالاسد الضاري وكان مع الجمرقان عمود من الحديد الصيني ثقيل رزين لو ضرب به جبلا لهدمه فحمله في يده وضرب به غريبا علي رأسه فزاغ عنه غريب فنزلت في الارض فغاصة فيها نصف ذراع ثم ان غريبا تناول الدبوس وضرب الجمرقان علي مقبض كفه فهرس اصابعه فوقع العمود من يده فانحني غريب من بحر سرجه وخطفه اسرع من البرق الخاطف وضرب به الجمرقان علي صف اضلاعه فوقع علي الارض كالنخلة السحوق فاخذه سهيم وادار اكتافه وسحبه بحبل واندفعت فرسان غريب علي فرسان الجمرقان فقتلوا خمسين وولي الباقي هاربين ولم يزالوا في هزيمتهم حتي وصلوا الي حيهم واعلنوا بالصياح فركب كل

من في الحصن ولاقوهم وسألوهم عن الخبر فاعلموهم بما كان فلما سمعوا بأسر سيدهم تسابقوا الي خلاصه وساروا قاصدين الوادي وكان الملك غريب لما اسر الجمرقان وهربت ابطاله نزل عن جواده وامر باحضار الجمرقان فلما حضر خضع له وقال انا في جيرتك يا فارس الزمان فقال له غريب يا كلب العرب هل تقطع الطريق علي عباد الله تعالي ولا تخف من رب العالمين فقال له الجمرقان يا سيدي وما رب العالمين قال غريب يا كلب وما تعبد من المصايب قال له يا سيدي اعبد الها من عجوة بالسمن والعسل وفي بعض الاوقات آكله واعمل غيره فضحك غريب حتي استلقي علي قفاه وقال يا تعيس ما يعبد الا الله تعالي الذي خلقك وخلق كل شئ ورزق كل حي ولا يخفي عليه شئ وهو علي كل شئ قدير فقال الجمرقان واين هذا الاله العظيم حتي اعبده قال له غريب يا هذا اعلم ان ذلك الاله اسمه الله وهو الذي خلق السموات والارض وانبت الاشجار واجري الانهار وخلق الوحوش والاطيار والجنة والنار واحتجب عن الابصار يري ولا يري وهو بالمنظر الاعلي وهو الذي خلقنا ورزقنا سبحانه لا الله الا هو فلما سمع الجمرقان كلام غريب انفتحت مسامع قلبه واقشعر جلده وقال يا مولاي فما اقول حتي اصير منكم ويرضي علي هذا الرب العظيم قال له قل لا اله الا الله ابراهيم الخليل رسول الله فنطق الجمرقان بالشهادة فكتب من اهل السعادة فقال له هل ذقت حلاوة الاسلام قال نعم قال غريب حلوا قيوده فحلوها فقبل الارض قدام غريب وقبل رجل غريب فبينما هو كذلك اذا بغبار قد ثار حتي سد الاقطار وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الثالثة والاربعون بعد الستمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الجمرقان لما اسلم قبل الارض بين يدي غريب فبينما هم كذلك واذا بغبار قد ثار حتي سد الاقطار فقال غريب يا سهيم اكشف لنا خبر هذا الغبار فخرج مثل الطير اذا طار وغاب ساعة ثم عاد وقال يا ملك الزمان هذا غبار بني عامر اصحاب الجمرقان فقال له اركب ولاق قومك واعرض عليهم الاسلام فان اطاعوك سلموا وان ابوا اعملنا فيهم الحسام فركب الجمرقان وساق جواده حتي لاقاهم وصاح عليهم فعرفوه ونزلوا عن الخيل واتوا علي اقدامهم وقالوا قد فرحنا بسلامتك يا

مولانا فقال يا قوم من اطاعني نجا ومن خالفني قصمته بهذا الحسام فقالوا له امرنا بما شئت فاننا لا نخالف لـك امرا قال قولوا معي لا اله الا الله ابراهيم خليل الله فـقالوا يا مولانا من اين لك هذا الـكلام فحكي لهم مـا جري له مع غريب وقـال لهم يا قوم اما تعـلمون اني معادل بكم في حومـة الميدان ومقام الحرب والطعان وقد اسرني فـرد انسان واذاقني الذل والهوان فلما سمع قومـه كلامه نطقوا بكلمة التوحيد ثم توجـه بهم الجمرقان الي غريب وجددوا اسلامهم بين يديه ودعوا له بالنصـر والعز بعد ان قبلوا الارض ففرح بهم وقال لهم امضـوا الي حيكم واعرضوا علـيهم الاسلام فقال الجمـرقان وقومه يا مولانا ما بـقينا نفارقك ولكن نروح ونجـيئ باولادنا ونأتي اليك فقال غريب يا قـوم امضوا والحقوني في مديـنة الكـوفة فـركب الجمـرقان وقومـه حتـى وصلوا حـيهم وعـرضوا عـلى حريمـهم واولادهم الإسلام فـاسلموا عـن اخرهم وهدوا الـبيوت والخيـام وساقوا الخيـل والجمال والغنم وساروا الي نحو الكوفة وسار غريب فلما وصل الي الكوفة لاقاه الفرسان بموكب ثم دخل قصر المـلك وجلس علي تخت ابيه ووقـفت الابطال ميمنة وميسـرة ودخل عليه الجواسيـس واخبروه ان اخاه وصـل الي الجلنـد بن كركر صـاحب مدينـة عمان وارض اليمن فلما سمع غـريب خبر اخيه صاح علي قومه وقال يا قوم خذوا اهبـتكم للسفر بعد ثلاثة ايام واعـرض علي الثلاثين الـفا الذين اسروهم اول الـوقعة الاسلام والسيـر معهم فاسلم منهم عشرون الفا وابا عشرة الاف فقـتلهم ثم قدم الجمرقان وقومه وقبلوا الارض بين يديه وخلع عليـهم الخلع السنية وجعله مقدم الجيش وقال يـا جمرقان اركب في كبار بني عمـك وعشرين الف فارس وسر فـي مقدمة العسـكر واقصد بلاد الجلنـد بن كركر صاحب مدينة عمان فـقال السمع والطاعة فتركوا حريمهم واولادهـم في الكوفة ورحلوا ثم تفقد حريم مرداس فوقعت عينه علي مهديـة وهي بين النساء فوقع مغشيا عليه فرشوا علي وجهه ماء الورد فلـما افاق اعتنقها ودخل بها قاعة الجلوس ثم جـلس معها وناما من غير زنا حتي اصبح الصباح خرج وجلس علي سرير ملكه وخلع علي عمه الدامغ وجعله نائبا عـلي العراق جميعه واوصـاه علي مهدية حتي يـرجع من غزوة اخيه فامتـثل امره ثم رحل في عشـرين الف فارس وعشرة الاف راجـل وسار متوجها الـي ارض عمان وبلاد اليمن وكـان عجيب قد وصل مديـنة عمان بقومه وهـم منهزمون وقد ظهـر لاهل عمان غبارهم فنظر الجلند بن كركر ذلك الغبار فامـر السعاة ان يكشفوا له الخبر فغابوا ساعة ثم

عادوا واخبروه ان هذا غبار ملك يقال له عجيب صاحب العراق فتعجب الجلند من مجيئ عجيب الي ارضه فلما صح ذلك عنده قال لقومه اخرجوا ولاقوه فخرجوا ولاقوا عجيبا ونصبوا له الخيام علي باب المدينة وطلع عجيب الي الجلند وهو باك حزين القلب وكانت بنت عم عجيب زوجة الجلند وله اولاد منها فلما نظر صهره وهو في هذه الحالة قال له اعلمني ما خبرك فحكي له جميع ما جري له من اوله الي آخره مع اخيه وقال له يا ملك انه يأمر الناس بعبادة رب السماء وينهاهم عن عبادة الاصنام وغيرها من الالهة فلما سمع الجلند هذا الكلام طغي وبغي وقال وحق الشمس ذات الانوار لا ابقي من قوم اخيك ديارا فاين تركت القوم وكم هم قال تركتهم بالكوفة وهم خمسون الف فارس فصاح علي قومه وعلي وزيره جوامرد وقال له خذ معك سبعين الف فارس واذهب الي المسلمين وأتني بهم بالحياة حتي اعاقبهم بانواع العذاب فركب جوامرد بالجيش قاصد الكوفة في اول يوم وثاني يوم الي سابع يوم فبينما هم سائرون اذ نزلوا علي واد ذي اشجار وانهار واثمار فامر جوامرد قومه بالنزول وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الرابعة والاربعون بعد الستمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان جوامرد لما ارسله الجلند بالعسكر الي الكوفة مروا علي واد ذي اشجار وانهار فامر قومه بالنزول واستراحوا الي نصف الليل ثم امرهم جوامرد ان يرحلوا وركب جواده وسبقهم وسار الي وقت السحر ثم انحدروا الي واد كثير الاشجار قد فاحت ازهاره وترنمت اطياره وتمايلت اغصانه فنفخ الشيطان في معاطفه فانشد هذه الابيات

اخوض بجيشي بحر كل عجاجة ... اقود الاساري باجتهادي وقوتي
وتعلم فرسان البلاد بانني ... مهاب لدى الفرسان حامي عشيرتي
سأسبي غريبا في القيود مكبلا ... وارجع مسرورا وتكمل فرحتي
والبس درعي ثم آخذ عدتي ... وامضي إلى الهيجاء في كل وجهة

فما فرغ جوامرد من شعره حتي خرج عليه من بين الاشجار فارس اشم المعاطس في الحديد غاطس فصاح علي جوامرد وقال له قف يا شلح العرب واشلح ثيابك وعدتك وانزل عن جوادك وانج بنفسك فلما سمع جوامرد هذا الكلام صار الضياء في وجهه ظلاما وسل حسامه وهجم علي الجمرقان وقال له يا شلح العرب اتقطع الطريق علي وان مقدم جيش الجلند بن كركر لاجئ بغريب وقومه مربوطين فلما سمع الجمرقان هذا الكلام قال ما ابرده علي كبدي ثم حمل علي جوامرد وهو ينشد هذه الابيات

انا الفارس المعروف في حومة الوغي ... تخاف العدي من صارمي وسناني

انا الجمرقان المرتجي لكريهة ... وتعلم فرسان الانام طعاني

غريب اسيري بل امامي وسيدي ... همام الوغي يوم التقي الجمعان

امام له دين وزهد وسطوة ... يبيد العدي في حومة الميدان

ويدعو الي دين الخليل مرتلا ... علي رغم اوثان الجحود مثاني

ثم ان الجمرقان لما سار بقومه من مدينة الكوفة استمر علي السير عشرة ايام ثم نزلوا في الحادي عشر واقاموا الي نصف الليل ثم امرهم الجمرقان بالرحيل فرحلوا وسار قدامهم وانحدر في ذلك الوادي فسمع جوامرد وهو ينشد ما تقدم ذكره فحمل عليه حملة اسد كاسر وضربه بالسيف فشقه نصفين وصبر حتي اقبل المقدمون واعلمهم بما جري وقال تفرقوا كل خمسة منكم تأخذ خمسة الاف وتدور حول الوادي وانا ورجال بني عامر فاذا وصلني اول الاعداء احمل عليهم واصيح الله اكبر فاذا سمعتم صياحي فاحملوا وكبروا واضربوا فيهم بالسيف فقالوا سمعا وطاعة ثم داروا علي ابطالهم واعلموهم فتفرقوا في جهات الوادي عند انشقاق الفجر واذا بالقوم قد اقبلوا مثل قطيع الغنم وقد ملؤوا السهل والجبل فعند ذلك حمل الجمرقان وبنوا عامر وصاحوا الله اكبر فسمع المؤمنون والكفار وصاح المسلمون من سائر الجهات الله اكبر فتح ونصر وخذل من كفر فاوبت الجبال والتلال وكل يابس واخضر يقول الله اكبر فاندهش الكفار وضرب بعضهم بعضا بالصارم البتار وحمل المسلمون الابرار كانهم شعل النار فما يري الا رأس طائر ودم فائر وجبان حائر ولم تظهر الوجوه الا وقد فني ثلث الكفار وعجل الله

بارواحهم الي النار وبئس القرار وانهزم الباقون وتشتوا في القفار وتبعهم المسلمون يأسرون ويقتلون الي نصف النهار ثم رجعوا وقد اسروا سبعة الاف ولم يرجع من الكفار غير ستة وعشرين الفا واكثرهم مجروحون ورجع المسلمون مؤيدين منصورين وجمعوا الخيل والعدد والاثقال والخيام وارسلوها مع الف فارس الي الكوفة وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الخامسة والاربعون بعد الستمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الجمرقان لما وقع بينه وبين جوامرد القتال قتله وقتل قومه واسر منهم خلقا كثيرا واخذ اموالهم وخيلهم واثقالهم وارسلها مع الف فارس الي الكوفة واما الجمرقان وعساكر الاسلام فانهم نزلوا عن الخيل وعرضوا الاسلام علي الاساري فاسلموا قلبا ولسانا فحلوهم من الرباط وعانقوهم وفرحوا بهم وقد سار الجمرقان في جيش عظيم واراح قومه يوم وليلة ثم رحل بهم عند الصباح قاصدا بلاد الجلند بن كركر وسار الالف فارس بالغنيمة حتي وصلوا الي الكوفة واعلموا الملك غريبا بما جري ففرح فاستبشر والتفت الي غول الجبل وقال له اركب وخذ معك عشرين الفا واتبع الجمرقان فركب سعدان الغول واولاده في عشرين الف فارس وقصدوا مدينة عمان ووصل المنهزمون من الكفار الي المدينة وهم يبكون ويدعون بالويل والثبور فاندهش الجلند بن كركر وقال لهم ما مصيبتكم فاخبروه بما جري لهم فقال لهم ويلكم وكم كانوا فقالوا يا ملك كانوا عشرين علما وكل علم تحته الف فارس فلما سمع الجلند هذا الكلام قال لاطرحت الشمس فيكم بركة يا ويلكم ايغلبكم عشرون الفا وانتم سبعون الف فارس وجوامرد مقوم بثلاثة الاف في حومة الميدان ومن شدة غمه سل سيفه وصاح فيهم وقال لمن حضر عليكم بهم فسل القوم سيوفهم علي المنهزمين فافنوهم عن آخرهم ورموهم للكلاب ثم بعد ذلك صاح الجلند علي ابنه وقال له اركب في مائة الف فارس وامض الي العراق واخربه علي الاطلاق وقد كان ابن الملك الجلند اسمه القورجان ولم يكن في عسكر ابيه افرس منه وكان يحمل علي ثلاثة الاف فارس فاخرج القورجان خيامه وابتدرت الابطال وخرجت الرجال واخذوا اهبتهم ولبسوا عدتهم ورحلوا يتلو بعضهم بعضا والقورجان قدام العسكر وقد اعجب بنفسه وانشد هذه الابيات

انا القورجان وذكري اشتهر | قهرت لاهل الفلا والحضر
فكم فارس حين ارديته | يخور علي الارض مثل البقر
وكم من عساكر فرقتهم | ودحرجت هاماتهم كالاكر
فلابد اني اغزو العراق | وابدي دماء العدا كالمطر
واسبي غريبا وابطاله | فيضحوا نسكالا لاهل النظر

ثم سار القوم اثني عشر يوما فبينما هم سائرون واذا هم بغبار قد ثار حتي سد الافق فصاح القورجان علي السعاة وقال ائتوني بخبر هذا الغبار فساروا حتي عبروا تحت الاعلام وعادوا للقورجان قالوا يا ملك ان هذا غبار المسلمين ففرح وقال لهم هل احصيتموهم فقال عددنا من الاعلام عشرين علما فقال وحق ديني ما اجرد عليهم احد وانما اخرج لهم وحدي واجعل رؤسهم تحت حوافر الخيل وكان هذا الغبار غبار الجمرقان وقد نظر الي عساكر الكفار فرآهم مثل البحر الزاخر فامر قومه بالنزول ونصب الخيام فنزلوا واقاموا الاعلام وهم يذكرون الملك العلام خالق النور والظلام رب كل شئ الذي يري ولا يري وهو بالمنظر الاعلي سبحانه وتعالي لا اله الا هو ونزل الكفار ونصبوا خيامهم وقال لهم خذوا اهبتكم واحملوا عددكم ولا تناموا الا وانتم باسلحتكم فاذا كان الثلث الاخير فاركبوا ودوسوا هذه الشرذمة القليلة وكان جاسوس الجمرقان واقفا يسمع مادبرته الكفار فعاد واخبر الجمرقان فالتفت لابطاله وقال احملوا سلاحكم واذا اقبل الليل ائتوني بالبغال والجمال وائتوني بالجلاجل والقلاقل والاجراس واجعلوها في اعناق الجمال والبغال وكانت اكثر من عشرين الف جمل وبغل وصبروا علي الكفار حتي دخلوا في المنام ثم امر الجمرقان قومه بالركوب فركبوا وعلي الله توكلوا وطلبوا النصر من رب العالمين ثم قال لهم سوقوا الجمال والدواب نحو الكفار وانخسوها باسنة الرماح ففعلوا ما امرهم بسائر البغال والجمال ثم هجموا علي خيام الكفار وقد قعقعت الجلاجل والقلاقل والاجراس والمسلمون خلفهم وهم يقولون الله اكبر وقد طنت الجبال والتلال بذكر الملك المتعال من له العظمة والجلال وهجمت الخيل لما سمعت هذه الحيلة والعظيمة وداست الخيام والناس نيام وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة السادسة والاربعون بعد الستمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الجمرقان لما هجم علي الكفار بقومه وخيوله وجماله في الليل والناس نيام قام المشركون مدهوشين فخطفوا سلاحهم ووقعوا في بعضهم ضربا حتي قبل اكثرهم وقد نظروا الي بعضهم فلم يجدوا قتيلا من المسلمين بل وجدوهم راكبين متسلحين فعلموا انها حيلة عملت عليهم فصاح القورجان علي بقية قومه وقال يا بني الزواني الذي اردنا ان نفعله بهم فعلوه بنا وقد غلب مكرهم علي مكرنا فارادوا ان يحملوا واذا بغبار قد ثار حتي سد الاقطار فضربته الرياح فعلا وتسردق وفي الجو تعلق وبان من تحت الغبار لمعان الخود وبريق الزرد وما معهم الا كل بطل امجد قد تقلد بسيف مهند وقد اعتقل برمح املد فلما نظر الكفار الغبار توقفوا عن القتال وارسلت كل طائفة ساعيا فساروا تحت الغبار ثم نظروا وعادوا فاخبروا انهم مسلمون وكان الجيش القادم الذي ارسله غريب غول الجبل وكان هو سائرا قدام جيشه فوصل الي عسكر المسلمين الابرار فعندها حمل الجمرقان وقومه وقد هجموا علي الكفار كانهم شعلة نار واعملوا فيهم السيف البتار والرمح الرديني الخطا وداسوا النهار وعميت الابصار من كثرة الغبار وثبت الشجاع الكرار وهرب الجبان الفرار وطلب البراري والقفار وصار الدماء علي الارض كالتيار ولم يزالوا في حرب وقتال حتي فرغ النهار واقبل النهار الليل بالاعتكار ثم انفصل المسلمون من الكفار ونزلوا في الخيام واكلوا الطعام وباتوا حتى ولى الظلام واقبل النهار بالابتسام ثم صلي المسلمون صلاة الصبح وركبوا للحرب وكان القورجان قد قال لقومه لما انفصلوا من الحرب وقد وجدوا اكثرهم مجروحا وقد فني منهم الثلثان بالسيف والسنان فقال يا قوم غدا ابرزانا لحومة الميدان ومقام الحرب والطعان وآخذ الشجعان في المجال فلما اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح ركب الطائفتان واكثروا الصياح وشهروا السلاح ومدوا سمر الرماح واصطفوا للحرب والكفاح وكان اول من فتح باب الحرب القورجان ابن الجلند بن كركر وقال لا يأتني اليوم كسلان ولا عاجز كل هذا والجمرقان وسعدان الغول تحت الاعلام فبرز مقدم بني عامر وبارز القورجان في حومة الميدان فحمل الاثنان كانهما كبشان يتناطحان مدة من الزمان ثم بعد ذلك هجم القورجان علي المقدم ومسكه من جلباب ذراعه وجذبه فاقتلعه من سرجه وقد خبطه في الارض واشغله بنفسه فكتفه الكفار وساروا به الي الخيام ثم ان

القورجان جال وصال وطلب النزال فبرز له ثاني مقدم حتي اسر سبعة مقدمين قبل الظهر ثم صاح الجمرقان صيحة دوي لها الميدان وسمعها العسكران وهجم علي القورجان بقلب وجدان وانشد هذه الابيات

انا الجمرقان قوي الجنان   جميع الفوارس تخشي قتالي
هدمت الحصون وخليتها   تنوح وتبكي لفقد الرجال
فيا قورجان طريق الهدي   عليك وفارق طريق الضلال
ووحد الها رفيع السماء   ومجري البحور ومرسي الجبال
اذا اسلم العبد يأوي غدا   جنانا ويكفي اليم النكال

فلما سمع القورجان كلام الجمرقان شخر ونخر وسب الشمس والقمر وحمل علي الجمرقان وهو ينشد هذه الابيات

انا القورجان شجيع الزمان   وتفزع اسد الشري من خيالي
ملكت القلاع وصدت السباع   وكل الفوارس تخشي قتالي
فيا جمرقان اذا لم تثق   بقولي فدونك بارز نزالي

فلما سمع الجمرقان كلامه حمل عليه بقلب قوي وتضاربا بالسيوف حتي ضجت منهم الصفوف وتطاعنا بالرماح وكثر بينهما الصياح ولم يزالا في حرب وقتال حتي فات العصر وقد ولي النهار ثم هجم الجمرقان علي القورجان وضربه بالعمود علي صدره فالقاه علي الارض مثل جذع النخلة فكتفه المسلمين وسحبوه بحبل مثل الجمال فلما نظر الكفار الي سيدهم اسيرا اخذتهم الجاهلية فحملوا علي المسلمين يريدون خلاص مولاهم فقابلتهم ابطال المسلمين وتركتهم علي الارض مطروحين وولي بقيتهم هاربين وللنجاة طالبين والسيف في قفاهم له طنين فلم يزالوا خلفهم حتي شتتوهم في الجبال والقفار ثم رجعوا عنهم الي الغنيمة وكانت شيئأ كثيرا من خيل وخيام وغيرهما وقد غنموا غنيمة يالها من غنيمة ثم توجهوا وعرض الجمرقان الاسلام علي القورجان وهدده

وخوفه فلم يسلم فقطعوا رقبته وحملوا رأسه علي رمح ثم رحلوا قاصدين مدينة عمان واما ما كان من امر الكفار فانهم اخبروا الملك بقتل ولده وهلاك العسكر فلما سمع الجلند هذا الخبر ضرب بتاجه الارض ولطم علي وجهة حتي طلع الدم من منخريه ووقع علي الارض مغشيا عليه فرشوا علي وجهه ماء الورد فافاق وصاح علي وزيره وقال له اكتب الكتب الي جميع النواب وامرهم ان لا يتركوا ضارب سيف ولا طاعنا برمح ولا حامل قوس الا ويأتون بهم جميعا فكتب الكتب وارسلها مع السعاة فتجهز النواب وسار في عسكر جرار قدره مائة الف وثمانون الفا فهيئوا الخيام والجمال وجياد الخيل وارادوا ان يرحلوا واذ بالجمرقان وسعدان الغول قد اقبلا في سبعين الف فارس كانهم ليوث عوابس وكل منهم في الحديد غاطس فلما نظر الجلند الي المسلمين قد اقبلوا فرح وقال وحق الشمس ذات الانوار ما ابقي من الاعداء ديار اولا من يرد الاخبار واخرب العراق وآخذ ثار ولدي الفارس المغوار ولا تبرد لي نار ثم التفت الي عجيب وقال له يا كلب العراق هذه جلبتك التي جلبتها لنا فانا وحق معبودي ان لم انتصف من عدوي لاقتلنك اشر قتله فلما سمع عجيب هذا الكلام اغتم غما شديدا وصار يلوم نفسه ثم صبر حتي نزل المسلمون ونصبوا خيامهم واظلم الليل وكان منعزلا عن الخيام مع من بقي من عشيرته فقال لهم يا بني عمي اعلموا انه لما اقبلت المسلمون فزعت منهم انا والجلند غاية الفزع وقد علمت انه لم يقدر ان يحميني من اخي ولا من غيره والرأي عندي ان ترحلوا بنا اذا نامت العيون ونقصد الملك يعرب بن قحطان لانه اكثر جندا واقوي سلطانا فلما سمع قومه هذا الكلام قالوا هذا هو الصواب فامرهم ان يوقدوا النار علي ابواب الخيام ويرحلوا في حندس الظلام ففعلوا ما امرهم به وساروا فما اصبحوا حتي قطعوا بلاد بعيدة ثم اصبح الجلند ومائتان وستون الف مدرع غاطسين في الحديد والزرد النضيد ودقوا كؤوس الحرب واصطفوا للطعن والضرب وركب الجمرقان وسعدان في اربعين الف فارس ابطال شداد تحت كل علم الف فارس شداد جياد مقدمون في الطراد فاصطف العسكران وطلبا الضرب والطعان وسحبا السيوف واسنة المران لشرب كأس المنون وكان او من فتح باب الحرب سعدان وهو كانه جبل صوان او من مردة الجان فبرز له بطل من الكفار فقتله ورماه في الميدان وصاح علي اولاده وغلمانه وقال اشعلوا النار واشووا هذا القتيل ففعلوا ما امرهم به وقدموه له شويا فاكله ونهش عظمه والكفار

واقفون ينظرون من بعيد فقالوا يا للشمس ذات الانوار وفزعوا من قتال سعدان فصاح الجلند في قومه وقال اقتلوا هذا القرمان فنزل له مقدم من الكفار فقتله سعدان ولم يزل يقتل فارسا بعد فارس حتي قتل ثلاثين فارسا فعندها توقف الكفار اللئام عن قتال سعدان وقالوا من يقاتل الجان والغيلان فصاح الجلند وقال تحمل عليه مائة فارس وتأتيني به اسيرا او قتيلا فبرز له مائة فارس وحملوا علي سعدان وقصدوه بالسيوف والسنان فتلقاهم بقلب اقوي من الصوان وهو يوحد الملك الديان الذي لا يشغله شان عن شان وقال الله اكبر وضرب فيهم بالسيف حتي القي رؤسهم فما جالي فيهم غير جولة واحدة فقتل منهم اربعة وسبعين وهرب الباقي فصاح الجلند علي عشرة مقدمين تحت كل مقدم الف بطل وقال ارموا جواده بالنبل حتي يقع من تحته فاقبضوه باليد فحمل علي سعدان عشرة الاف فارس فتلقاهم بقلب قوي فنظر الجمرقان والمسلمون الي الكفار وقد حملوا علي سعدان فكبروا وحملوا عليهم فما وصلوا الي سعدان حتي قتلوا جواده واخذوه اسير ولم يزالوا حاملين علي الكفار حتي اظلم النهار وعميت الابصار ورن السيف البتار وثبت كل فارس مغوار ولحق الجبان الانبهار وبقيت المسلمون في الكفار كالشامة البيضاء في الثور الاسود وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة السابعة والاربعون بعد الستمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الحرب اشتد بين المسلمين والكفار حتي صارت المسلمون في الكفار كالشامة البيضاء في الثور الاسود ولم يزالوا في ضرب واصطدام حتي اقبل الظلام وافترقوا من بعضهم وقد قتل من الكفار خلق كثير ما لها عدد ورجع الجمرقان وقومه وهم في غاية الحزن علي سعدان ولم يطب لهم طعام ولا منام وتفقدوا قومهم فوجدوا المقتول منهم دون الف فقال الجمرقان يا قوم اني ابرز في حومة الميدن ومقام الحرب والطعان واقتل ابطالهم واسبي عيالهم وآخذهم اساري وافدي بهم سعدان باذن الملك الديان الذي لا يشغله شان عن شان فطابت قلوبهم وفرحوا ثم تفرقوا الي خيامهم واما الجلند فانه قام ودخل سرادقه وجلس علي سرير ملكه ودارت قومه من حوله ودعا بسعدان فاحضروه بين يديه فقال له يا كلب كلب ويا اقل العرب ويا حمال

الخطب مـن قتل ولدي الـقورجان شجـيع الزمان قـاتل الاقران ومجـندل الابطال قـال له سعدان قتله الجمرقـان مقدم عسكر الملك غريب سيد الفرسان وانا شـويته واكلته وكنت جايعا فلما سمـع الجلند كلام سعدان صارت عيناه في ام رأسه وامر بـضرب رقبته فاتي السيـاف بهمته وتـقدم لسعدان فـعند ذلك تمطع سـعدان في الكتـاف فقطعه وهـم علي السياف وخطـف السيف منه وضربه فرمـي رأسه وقصد الجلند فرمي روحـه عن السرير وهرب فوقع سـعدان في الحاضرين فـقتل منهم عـشرين من خواص الملـك وهرب باقي المقدمـين وارتفع الصياح فـي عسكر الكفـار وهجم سعدان عـلي الحاضرين من الـكفار وضرب فيهم يمينا وشمالا فعند ذلك تفرقوا من بين يديه فاخلوا له الزقاق ولـم يزل سائرا يضرب في الـعدا بالسيف حتـي خرج من الخيام وقصد خيـام المسلمين وسمع المـسلمين ضجيج الكفار فقالوا لـعلهم جاءتهم نجدة فبينما هم باهتون واذا بسـعدان قد اقبل عليهم ففرحوا بقدومـه فرحا شديدا وكان اكثرهم به فرحـا الجمرقان فسلم عليه وسـلمت عليه المسلمون وهنوه بالـسلامة هذا ما كان من امر المسلمين واما ما كان مـن امر الكفار فانهم رجعوا هم وملكهم الي السرادق بعد رواح سعدان فقال لهم الملك يا قوم وحق الشمس ذات الانور وحق ظلام الـليل ونور النهـار والكوكب السيـار ما كنت اظن اني اسـلم من القتل في هـذا النهار ولو وقعت في يده لاكـلني ولا كنت اساوي عنده قمـحا ولا شعيرا ولا حبة من الحبوب فقالـوا يا ملك ما رأينا من يعمل مثل هذا الـغول فقال لهم يا قوم اذا كان فـي غد فـاحمـلوا عددكـم واركبـوا خيـولكـم ودوسوهم تحت حوافـر الخيـل واما المسلمـون فانهم اجتمعـوا وهم فرحون بالنصـر وخلاص سعدان الغول فقـال الجمرقان غدا في الميدان اريكم فعلـي وما يليق بمثلي وحق الخليل ابراهيم لاقتـلنهم اشنع القتلات ولاضربن فيهم بـالبتار حتي يحير فيهم كـل فهيم ولكن قد نويت اني احمل عـلي الميمنة والميسـرة فاذا رأيتموني قـد هجمت علي المـلك تحت الاعلام فاحمـلوا خلفي بالاهـتمام ليقضي الله امرا كـان مفعولا وبات الفريقان يتـحارسان حتي طلع النهار وبـانت الشمس للنظار وركب الفـريقان اسرع من لمحة العين وصاح غ اب البين ونظروا بـعضهم بالعين واصطـفوا للحـرب والقتال فـاول من فتح بـاب الحرب الجمرقـان فجال وصال وطـلب النزال فـاراد الجلند ان يـحمل بقومـه واذا بغبار قـد ثار حتي سد الاقـطار واظلم الـنهار

وضربته الرياح الاربع فتمزق وتقطع وبان من تحته كل فارس ادرع وبطل سميدع وسيوف تقطع ورماح تصدع ورجال كانهم السباع لا تخاف ولا تجزع فلما نظرا العسكران الغبار امسكوا عن القتال وارسلوا من يكشف لهم الاخبار ومن اي قوم هؤلاء القادمون المثيرون لهذا الغبار فسار السعادة وعبروا تحت الغبار وغابوا عن الابصار ثم عادوا بعد ساعة من النهار فاما ساعي الكفار فانه اخبرهم ان هؤلاء القادمين طائفة من المسلمين وملكهم غريب اما ساعي المسلمين فانه رجع واخبرهم بمجيئ الملك غريب وقومه ففرحوا بقدومه ثم انهم ساقوا خيلهم ولاقوا ملكهم ونزلوا وقبلوا الارض بين يديه وسلموا عليه وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الثامنة والاربعون بعد الستمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان عسكر المسلمين لما حضر لهم الملك غريب فرحوا فرحا شديدا وقبلوا الارض بين يديه وداروا حوله فرحب بهم وفرح بسلامتهم ووصلوا الخيام ونصبوا له السرادقات والاعلام وجلس الملك غريب علي سرير ملكه وارباب دولته من حوله فحكوا له جميع ما جري لسعدان واما الكفار فانهم اجتمعوا يفتشون علي عجيب فلم يجدوه بينهم ولا في خيامهم فاخبروا الجلند ابن كركر بهروبه فقامت عليه القيامة وعض على اصبعه وقال وحق الشمس ذات الانوار انه كلب غدار هرب مع قومه الاشرار في البراري والقفار ولكن ما بقي يدفع هذه الاعداء الا القتال الشديد فشدوا عزمكم وقووا قلوبكم واحذروا من المسلمين واما الملك غريب فانه قال لقومه شدوا عزمكم وقووا قلوبكم واستعينوا بربكم واسألوه ان ينصركم علي عدوكم فقالوا يا ملك سوف تنظر ما نفعل في حومة الميدان ومقام الحرب والطعان وبات الطائفتان حتي اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح واشرقت الشمس علي رؤس الربي والبطاح فصلي غريب ركعتين علي ملة ابراهيم الخليل عليه السلام ثم كتب مكتوبا وارسله مع اخيه سهيم الي الكفار فلما وصل اليهم قالوا له ما تريد قال لهم اريد الحاكم عليكم فقالوا له قف حتي نشاوره عليك فوقف ثم شاوروا الجلند واخبروه بحاله فقال علي به فاحضروه بين يديه فقال له من ارسلك قال الملك غريب الذي حكمه الله علي العرب والعجم فخذ كتابه ورد جوابه فاخذ الجلند الكتاب ففكه وقرأه فوجد فيه بسم الله الرحمن الرحيم

الرب القديم الواحد العظيم الذي هو بكل شئ عليم رب نوح وصالح وهود وابراهيم ورب كل شئ والسلام علي من اتبع الهدي وخشي عواقب الردي واطاع الملك الاعلي واتبع طريق الهدي واختار الاخره علي الاولي اما بعد يا جلند فانه لا يعبد الا الله الواحد القهار خالق الليل والنهار والفلك الدوار وارسل الانبياء الابرار واجري الانهار ورفع السماء وبسط الارض وانبت الاشجار ورزق الطير في الاوكار ورزق الوحوش في القفار فهو الله العزيز الغفار الحليم الستار الذي لا تدركه الابصار مكور الليل علي النهار الذي ارسل الرسل وانزل الكتب واعلم يا جلند انه لا دين الا دين ابراهيم الخليل فاسلم تسلم من السيف البتار وفي الاخرة من عذاب النار وان ابيت الاسلام فابشر بالدمار وخراب الديار وقطع الاثار وارسل الي الكلب عجيبا لاخذ ثار ابي وامي فلما قرأ الجلند الكتاب قال لسهيم قل لمولاك ان عجيبا هرب هو وقومه وما ندري اين ذهب واما الجلند فلا يرجع عن دينه وغدا يكون الحرب بيننا والشمس تنصرنا فرجع سهيم لاخيه واعلمه بما قد جري فباتوا حتي اصبح الصباح ثم اخذ المسلمون آلة السلاح وركبوا الخيل القراح واعلنوا يذكر الملك الفتاح خالق الاجساد والارواح واعلنوا بالتكبير ودقوا طبول الحرب حتي ارتجت الارض وتكلم كل فارس جحجاح وبطل وقاح وقصدوا الحرب حتي ارتجت الارض فاول من فتح باب الحرب الجمرقان وساق جواده في حومة الميدان ولعب بالسيف والنشاب حتي حير اولي الالباب ثم صاح هل من مبارز هل من مناجز لا يأتني اليوم كسلان ولا عاجز انا قاتل القورجان بن الجلند فمن يبرز لاخذ الثار فلما سمع الجلند ذكر ولده صاح علي قومه وقال يا اولاد الزواني ائتوني بهذا الفارس الذي قتل ولدي حتي آكل لحمه واشرب دمه فحمل عليه مائة بطل فقتل اكثرهم وهزم اميرهم فلما نظر الجلند ما فعل الجمرقان صاح علي قومه وقال احملوا عليه حملة واحدة فهزوا العلم المدهش وانطبقت الامم علي الامم وحمل غريب بقومه والجمرقان وتصادم الفريقان كانهم بحران يلتقيان فاعمل السيف اليماني والرمح حتي مزق الصدور والابدان ورأي الصفان ملك الموت بالعيان وطلع الغبار الي العنان وصمت الاذان وخرس اللسان واحاط الموت من كل مكان وثبت الشجاع وولي الجبان ولم يزالوا في حرب وقتال حتي ولي النهار ودقوا طبول الانفصال وافترقوا من بعضهم ورجعت كل طائفة الي خيامها وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة التاسعة والثلاثون بعد الستمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان غريبا لما انقضي الحرب وافترقوا من بعضهم ورجعت كل طائفة الي خيامها جلس علي سرير ملكه ومحل سلطانه واصطفت اصحابه حوله قال لقومه انا جزعت من القهر بهروب هذا الكلب عجيب ولا اعرف اين مضي وان لم الحقه وآخذ ثاري اموت من القهر فتقدم اخاه سهيم الليل وقبل الارض وقال يا ملك انا امضي الي عسكر الكفار واكشف خبر الكلب الغدار عجيب فقال غريب سر وتحقق خبر هذا الخنزير فتزيي سهيم بزي الكفار ولبس لبسهم فصار كانه منهم ثم قصد خيام الاعداء فوجدهم نياما وهم سكاري من الحرب والقتال ولم يبق من القوم بلا نوم سوي الحراس فعبر سهيم وهجم علي السرادق فوجد الملك نائما وما عنده احد فتقدم وشممه البنج الطيار فكان كأنه ميت وخرج فاحضر بغلا ولف الملك في ملائة الفراش وحطه فوق البغل وحط فوقه الحصير وصار حتي وصل الي سرادق غريب ودخل علي الملك فانكره الحاضرون وقالوا له من انت فضحك سهيم وكشف وجهه فعرفوه فقال له غريب ما حملك يا سهيم فقال له يا ملك هذا الجلند بن كركر ثم حله فعرفه غريب وقال يا سهيم نبهه فاعطاه الخل والكندز فرمي البنج من انفه وفتح عينيه فوجد نفسه بين المسلمين فقال اي شئ هذا المنام القبيح ثم انه اطبق عينيه ونام فلكزه سهيم وقال له افتح عينيك يا ملعون ففتح عينيه وقال اين انا فقال سهيم انت في حضرة الملك غريب بن كندمر ملك العراق فلما سمع الجلند هذا الكلام قال يا ملك انا في جيرتك واعلم ان مالي ذنب والذي اخرجنا نقاتل هو اخوك ورمي بيننا وبينك وهرب فقال غريب وهل تعلم طريقه فقال لا وحق الشمس ذات الانوار ما اعلم اين سار فامر غريب بتقييده والمحافظة عليه وتوجه كل مقدم الي خيمته ورجع الجمرقان وقومه وقال يا بني عمي قصدي ان اعمل في هذه الليلة عملة ابيض بها وجهي عند الملك غريب فقالوا له افعل ما تشاء فنحن لامرك سامعون ومطيعون فقال احملوا سلاحكم وانا معكم وخففوا خطوكم ولا تخلوا النمل يدري بكم وتفرقوا حول خيام الكفار فاذا سمعتم تكبيري فكبروا وصيحوا قائلين الله اكبر وتاخروا واقصدوا باب المدينة ونطلب النصر من الله تعالي فاستعد القوم بالسلاح الكامل وصبروا الي نصف الليل وتفرقوا حول الكفار وصبروا

ساعة واذا بالجمرقان ضرب بسيفه علي ترسه وقال الله اكبر فدوي الوادي وفعل قومه مثله وصاحوا الله اكبر حتي دوي لهم الوادي والجبال والرمال والتلال وسائر الاطلال فانتبه الكفار وقد اندهشوا ووقعوا في بعضهم وقد دار السيف بينهم وتأخر المسلمون وطلبوا ابواب المدينة وقتلوا البوابين ودخلوا المدينة وملكوها بما فيها من مال وحريم هذا ما جري للجمرقان واما الملك غريب فانه سمع الصياح بالتكبير فركب وركب العسكر عن آخرهم وتقدم سهيم حتي قرب من الوقعة فنظر بني عامر والجمرقان قد شنوا الغارة علي الكفار واسقوهم كأس المنون فرجع واخبر اخاه بما كان فدعا للجمرقان ولم تزل الكفار نازلين في بعضهم بالصارم البتار باذلين جهدهم حتي طلع النهار واضاء بنوره علي الاقطار فعند ذلك صاح غريب علي قومه وقال احملوا يا كرام وارضوا الملك العلام فحملت الابرار علي الفجار ولعب السيف البتار وجال الرمح الخطار في صدر كل منافق كفار وارادوا ان يدخلوا مدينتهم فخرج لهم الجمرقان وبنوا عمه وصادروهم بين جبلين محيطين وقتلوا منهم خلقا ما لها عدد وتشتت الباقي في البراري والقفار وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الموفية للخمسين بعد الستمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان عسكر المسلمين لما حملوا علي الكفار مزقوهم بالصارم البتار وتشتتوا في البراري والقفار ولم يزالوا خلف الكفار بالسيف حتي انتشروا في السهل والاوعار ثم رجعوا الي مدينة عمان ودخل الملك غريب قصر الجلند وجلس علي كرسي مملكته ودارت اصحابه حوله ميمنة وميسرة فدعا بالجلند فاسرعوا اليه واحضروه بين يدي الملك غريب فعرض عليه الاسلام فابي فامر بصلبه علي باب المدينة ثم رموه بالنبال الي ان صار مثل القنفذ ثم ان غريبا خلع علي الجمرقان وقال له انت صاحب البلد وحاكمها وصاحب ربطها وحلها فانك فتحتها بسيفك ورجالك فقبل الجمرقان رجل الملك غريب وشكره ودعا له بدوام النصر والعز والنعم ثم ان غريبا فتح خزائن الجلند ونظر الي ما فيها من الاموال وبعد ذلك فرق علي المقدمين والرجال واصحاب الرايات والقتال وفرق علي البنات والصبيان وصار يفرق من الاموال مدة عشرة ايام ثم انه بعد ذلك كان نائما في بعض الليالي فرأي في منامه رؤيا هائلة فانتبه

فزعا مرعوبا ثم نبه اخاه سهيما وقال لـه اني رأيت في منامي اني في واد وذلك الوادي في مكان متسع وقد انقض علينا من الطير جارحـتان لـم ار في عمري اكبر منهما ولها سيقان مثل الرماح وقد هجما علـينا ففزعنا منهما فهذا الذي رأيته فلمـا سمع سهيم هذا الكلام قال يا ملك هذا عدو كبير فاحترس علي نفسك منـه فلم ينم غريب بقية الليل فلما اصبح الصباح طـلب جواده وركبه فقال لـه سهيم الي اين تـذهب يا اخي فقال اصبـحـت ضيق الصدر فقصـدي ان اسير عشرة ايام حتي ينـشرح صدري فقال له سهيـم خذ معك الف بطل فـقال غريب لا اسيـر الا انا وانت لا غير فـعند ذلك ركـب غريب وسهيـم وقصدا الاودية والمروج ولم يزالا سائرين من واد الي واد ومـن مرج الي مرج حتي عبرا علي واد كثـيرا الاشجـار والاثمـار والانهار فـايح الازهار اطيارہ تغـرد بالالحـان علي الاغـصان والهزار يرجع بطيب الالحان والقمري قد ملأ بصوتـه المكان والبلبل بحسه يوقظ الوسنان والشحـرور كانه انسان والـفاخت والمطوق تجـاوبهما الدرة بـافصح لسان والاشـجار في اثمارها من كل مأكول وفاكهة زوجين فاعجبهما ذلك الوادي فاكلا من اثماره وشربا من انهاره وقعدا تحت ظل اشجاره فغلب عليهما النعاس فناما وسبحان من لا ينام فبينما هما نائمين واذا بماردين شديدين قد انقضا عليهـم وحط كل واحد منهما احدهما علي كاهله وارتفعا الي اعلا الجـو حتي صارا فوق الغمام فانتـبه سهيم وغريب فوجدا انفـسهما بين السـماء والارض ونظرا الـي من حملاهـما واذا هما مـاردان رأس احدهما رأس كـلـب ورأس الاخر رأس قرد وهو كالـنخلة السحوق ولهـما شعر مثل اذناب الخيـل ومخالب مثل مخالب السـباع فلما نظر غريب وسهيم الـي ذلك الحال قالا لا حول ولا قوة الا بالله وكان السبب فـي ذلك ان ملكا من ملوك الجـن اسمه مرعش وكان له ولد اسـمه صاعق يحب جارية من الجن اسـمها نجمة وكان صاعق ونجمة مجتمـعين في ذلك الوادي وهما في صفة طيـرين وكان غريب وسهيم نـظرا الي صاعق ونجمة فظـناهما طائرين فرمـياهما بنشاب فلم يصب الا صاعقا فسال دمه فحـزنت نجمة على صاعق وخطفته وطارت خوفا ان يصيـبها ما اصاب صـاعقا ولم تزل طـائرة به حتي رمـته علي باب قـصر ابيه فحـمله البوابون حتي رموه قدام ابيه فلما نظر مـرعش الي ولده ورأي النبلة في ضلعه قال والداه من فعل بك هذه الفعال حتي اخرب دياره واعـجل دماره ولو كان اكبر ملوك الجان فعند ذلك فتح عينيه وقال يا ابتي ما قتلني الا رجل من الانس بوادي العيون فما فرغ من كلامه

حتي طلعت روحه فلطم ابوه حتي طلع الدم من فيه وصاح علي ماردين وقال لهما سيرا الي وادي العيون وائتيني بكل من فيه فسافر الماردان حتي وصلا الي وادي العيون فرأيا غريبا وسهيما نائمين فخطفاهما وسارابهما حتي وصلا بهما الي مرعش فلما انتبه سهيم وغريب من نومهما وجدا انفسهما بين السماء والارض فقالا لا حول ولا قوة لا بالله العلي العظيم وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الحادية والخمسون بعد الستمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الماردين لما خطفا غريبا وسهيما جاءا بهما الي مرعش ملك الجن ولما وضعاهما قدام مرعش وجداه جالسا علي كرسي مملكته وهو كالجبل العظيم وعلي جثته اربع رؤس رأس سبع ورأس فيل ورأس نمر ورأس فهد فقد ما غريبا وسهيما قدام مرعش وقالا يا ملك هذان اللذان وجدناهما في وادي العيون فنظر اليهما بعين الغضب وقد شخر ونخر وطار من انفه الشرر وقد خاف منه كل من حضر وقال يا كلاب الانس قتلتما ولدي واوقدتما النار في كبدي فقال غريب ومن هو ولدك الذي قتلناه ومن هو الذي نظر ولدك فقال اما كنتما انتما في وادي العيون ونظرتما ولدي في صفة طير ورميتماه بعود نشاب فمات فقال غريب انا لا ادري من قتله وحق الرب العظيم الواحد القديم الذي هو بكل شئ عليم وحق الخليل ابراهيم ما رأينا طيرا ولا قتلنا وحشا ولا طيراً فلما سمع مرعش كلام غريب حين حلف بالله وعظمته ونبيه الخليل ابراهيم علم انه مسلم وكان مرعش يعبد النار دون الملك الجبار فصاح علي قومه وقال ائتوني بربتي فاتوه بتنور من ذهب فوضعوه بين يديه واشعلوه بالنار ورموا عليه العقاقير فطلع له لهيب اخضر ولهيب ازرق ولهيب اصفر فسجد له الملك والحاضرون كل هذا وغريب وسهيم يوحدان الله تعالي ويكبرانه ويشهدان ان الله علي كل شئ قدير فرفع الملك رأسه فرأي غريبا وسهيما واقفين لا يسجدان فقال يا كلبان ما لكما لا تسجدان فقال غريب ويلكم يا ملاعين ان السجود لا يكون الا للملك المعبود مبرز الموجود من العدم الي الوجود ومنبع الماء من الحجر الجلمود الذي حنن الولد علي المولود ولا يوصف بقيام ولا قعود رب نوح وصالح وهود وابراهيم الخليل وهو الذي خلق الجنة والنار وخلق الاشجار والاثمار فهو الله الواحد القهار فلما سمع مرعش هذا الكلام انقلبت عيناه في ام رأسه وصاح علي قومه وقال كتفوا هذين الكلبين وقربوهما لربتي فكتفوا

سهيما وغريبا وارادوا ان يرموهما في النـار واذا بشرافة من شراريف القصر وقعت علي التنور فانـكسر وانطفئت النار وصارت رمـادا طائرا في الهواء فقال غريـب الله اكبر فتح ونصر وخذل من كفر الله اكبر علي من يعبد النار دون الملك الجبار فعندها قال الملك انك ساحر وسحرت ربـتي حتي جري لها هذا الحال فـقال غريب يا مجنون لو كـان للنار سر وبرهان كـانت منعت عن نـفسها ما ضرهـا فلما سمـع مرعش هذا الكلام هـدر وزمجر وسب النار وقال وحق ديني ما اقتلكم الا فيهـا وامر بحبسهما ودعا بمائة مارد وامرهـم ان يحملوا الحطب كـثيرا وان يطلقوا فيه النار ففـعلوا والتهبت نار عظيمة ولـم تزل مشتعلة الي الصـباح ثم ركب مـرعش علي فيـل في تخت من ذهـب مرصع بالجـواهر وصارت حوله قبائـل الجن وهم اصناف مختلـفة ثم احضروا غريبا وسـهيما فلما رأيا لـهيب النار استغاثـا بالواحد القهار خالـق الليل والنهار الـعظيم الشان الذي لا تدركـه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير ولم يزالا يتوسلان واذا بسحابة طلعت من الغرب الي الشـرق وامطرت مـثل البـحر الزاخـر فاطفأت الـنار فخـاف الملك والجـند ودخلـوا في قصـرهم ثم الـتفت المـلك الي الـوزير وارباب الدولـة وقال لهـم ما تقـولون في هـذين الرجلين فقالوا يا ملك لولا انهما علي الحق مـا جري للنار هذه الفعال ونحن نقول انهما علي الحق صـادقان قال الملك قد بان لـي الحق والطريقة الواضحـة فعبادة النار باطـلة فلو كانت ربة لـمنعت عن نفسهـا المطر الذي اطفأهـا والحجر الذي كسر تـنورها وقد صارت رمادا فانا امنـت بالذي خلق النار والنور والظـل والحرور وانتم ما تقولون فقـالوا يا ملك ونحن كذلك تابعون سـامعون طائعون ثم دعا بغريب فاحضره بين يديـه فقام له واعتنقه وقبله بين عينيه وقبل سهيما مثل ذلك ثـم ان الاجناد تزاحموا علي غريب وسهيم يقبلون ايديهما ورأسهما وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الثانية والخمسون بعد الستمائة

قالت بـلغني ايهـا الملك السـعيد ان مرعشـا ملك الجن لما اهـتدي هو وقومـه للاسلام احضر غريبا واخاه سهيما وقبلهما بين اعينهما وكذلك ارباب دولته ازدحموا علي تقبيل ايديهما ورأسهـما ثم ان الملك مرعشا جلس علـي كرسي مملكته واجلس غريـبا عن يمينه وسهيما عن يساره وقال يا انسي ما نقول حتـي نصير مسلمين فقال غريب قولوا لا اله الا

الله ابراهيم خليل الله فاسلم الملك وقومه قلبا ولسانا وقعد غريب يعلمهم الصلاة ثم ان غريبا تذكر قومه فتنهد قال له ملك الجن قد ذهب الغم وراح وجاء البسط والانشراح فقال له غريب يا ملك ان لي اعداء كثيرة وانا خائف علي قومي منهم وحكي له ما جري له مع اخيه عجيب من اوله الي آخره فقال له ملك الجن يا ملك الانس انا ابعث لك من يكشف خبر قومك وما اخليك تروح حتي اتملي بوجهك ثم دعا بماردين شديدين احدهما اسمه الكيلجان والاخر اسمه القورجان فلما حضر الماردان قبلا الارض فقال لهما سيرا الي اليمن واكشفا خبر جنودهما وعساكرهما فقالا سمعا وطاعة ثم سارا الماردان وطارا نحو اليمن هذا ما جري لغريب وسهيم واما عسكر المسلمين فانهم اصبحوا راكبين هم والمقدمون وقصدوا قصر الملك غريب لاجل الخدمة فقال لهم ان الملك واخاه ركبا سحرا وخرجا فركب المقدومون وقصدوا الاودية والجبال ولم يزالوا يقصون الاثر حتي وصلوا الي وادي العيون فوجد واعدة غريب وسهيم مرمية والجوادين يرعيان فقال المقدمون ان الملك فقد من هذا المكان يا لجاه الخليل ابراهيم ثم انهم تفرقوا وفتشوا في الوادي والجبال ثلاثة ايام فما ظهر لهم خبر فاقاموا العزاء وطلبوا السعاة وقالوا لهم تفرقوا في الميدان والحصون والقلاع واكشفوا خبر ملكنا فقالوا سمعا وطاعة وقد تفرقوا وطلب كل واحد اقليما ووصل لعجيب مع الجواسيس خبر اخيه انه فقد ولم يقعواله علي خبر ففرح عجيب بفقد اخيه غريب واستبشر ودخل علي الملك يعرب بن قحطان وكان استجار به فاجاره واعطاه مائي الف عملاق وسار عجيب بعسكره حتي نزل علي مدينة عمان فخرج لهم الجمرقان وسعدان وقاتلاهم وقتل من المسلمين خلق كثيرا ودخلوا المدينة وغلقوا الابواب وحصنوا الاسوار ثم اقبل الماردان الكيلجان والقورجان وقد نظرا المسلمين محصورين فصبرا حتي اقبل الليل واعملا في الكفار سيفين باترين من سيوف الجن كل سيف طوله اثنا عشر ذراعا لو ضرب به انسان حجرا لقصمه فحملا عليهم وهما يقولان الله اكبر فتح ونصر وخذل من كفر بدين الخليل ابراهيم ثم انهما بطشا بالكفار واكثرا فيهم القتل وخرجت النار من افواههما ومناخيرهما فبرز الكفار من سرادقهم فنظروا الي اشياء عجيبة تقشعر منها الابدان واختبلوا وطارت عقولهم ثم انهم خطفوا اسلحتهم وبطشوا ببعضهم والماردان يحصدان في رقاب الكفار ويصحيان الله اكبر نحن غلمان الملك غريب صاحب الملك مرعش ملك الجان ولم يزل السيف دائر

فيهم حتي انتصف الليل وقد تخيل للكفار ان الجبال كلها عفاريت فحملوا الخيام والثقل والمال علي الجمال وقصدوا الذهاب وكان اولهم هروبا عجيب وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح فقالت لها اختها يا اختي ما احسن هذا الكلام واعذبه واحلاه واطيبه فقالت لها واين هذا مما احدثكم به الليلة القابلة ان عشت وابقاني الملك فقال الملك في نفسه والله لا اقتلها حتي اسمع بقية حديثها.

فلما كانت الليلة الثالثة والخمسون بعد الستمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الكفار قصدوا الذهاب وكان اولهم هروبا عجيب ثم قد اجتمع المسلمون وتعجبوا من هذا الامر الذي جري للكفار وخافوا من قبائل الجان ولم يزل الماردان في اقفية الكفار حتي شتتوهم في البراري والقفار وما سلم من الماردان سوي خمسين الف عملاق من اصل مائتي الف وقد قصدوا بلادهم وهم منهزمون مجروحون وقالوا يا عسكر ان الملك غريبا سيدكم واخاه يسلمان عليكم وهما مستضافان عن الملك مرعش ملك الجان وعن قريب يكونان عندكم فلما سمع العساكر بخبر غريب وانه طيب فرحوا فرحا شديدا وقالوا لهما بشركما الله بالخير ارواحا كراما ثم ان الماردين رجعا ودخلا علي الملك غريب والملك مرعش فوجداهما جالسين فاخبراهما بما جري وما فعلا فجازياهما خيرا وقد اطمأن قلب غريب فعند ذلك قال الملك مرعش يا اخي مرادي ان افرجك علي ارضنا واريك مدينة يافث ابن نوح عليه السلام قال يا ملك افعل مابدالك فدعا بجوادين لهما وركب هو وغريب وسهيم وركب معه الف مارد وساروا كانهم قطعة جبل مشقوقة بالطول فساور يتفرجون علي اودية وجبال حتي اتوا مدينة يافث بن نوح عليه السلام فخرج اهل المدينة كبارا وصغارا ولاقوا مرعشا فدخل في موكب عظيم ثم انه طلع الي قصر يافث بن نوح وجلس علي كرسي ملكه وهو من المرمر مشبك بقضبان الذهب علوه عشر درج وهو مفروش بانواع الحرير الملون ولما وقف اهل المدينة قال لهم يا ذرية يافث ابن نوح ما كان يعبد اباؤكم واجدادكم قالوا انا وجدنا اباءنا يعبدون النار فتبعناهم وانت اخبر بذلك قال يا قوم انا رأينا النار مخلوقة من مخاليق الله تعالي الذي خلق كل شئ فلما علمت ذلك اسلمت لله الواحد القهار خالق الليل والنهار والفلك الدوار الذي لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير فاسلموا تسلموا من غضب الجبار وفي الاخرة من عذاب النار فاسلموا قلبا ولسانا واخذ مرعش

بيد غريب وفرجه علي قصر يافث وبنائه وما فيه من العجائب ثم دخل دار السلاح وفرجه علي سلاح يافث فنظر غريب الي سيف معلق في وتد من ذهب فقال غريب يا ملك هذا لمن قال هذا سيف يافث بن نوح الذي كان يقاتل به الانس والجن صاغه الحكيم جردوم وكتب علي ظهره اسماء عظيمة فلو ضرب به الجبل لهدمه واسمه الماحق ما نزل علي شئ الا محقه ولاجني الا دمره فلما سمع غريب كلامه وما ذكره في فضائل هذا السيف قال مرادي ان انظر هذا السيف فقال مرعش دونك وما تريد فمد غريب يده واخذ السيف وسحبه من جفيره فسطع ودب الموت علي حده وشعشع وكان طوله اثني عشر شبرا وعرضه ثلاثة اشبار فاراد غريب ان ياخذه فقال الملك مرعش ان كنت تقدر ان تضرب به فخذه فقال غريب نعم ثم اخذه في يده فصار في يده كالعصي فتعجب الحاضرون من الانس وقالوا احسنت يا سيد الفرسان فقال له مرعش ضع يدك علي هذه الذخيرة التي بحسرتها ملوك الارض واركب حتي افرجك فركب وركب مرعش ومشت الانس والجن في خدمته وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح فقالت لها اختها يا اختي ما احسن هذا الكلام واطيبه واحلاه واعذبه فقالت لها واين هذا مما احدثكم به الليلة القابلة ان عشت وابقاني الملك فقال الملك في نفسه والله لا اقتلها حتي اسمع بقية حديثها.

فلما كانت الليلة الرابعة والخمسون بعد الستمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك غريباً والملك مرعشا لما ركبا من مدينة يافث والانس والجن سائرون فى خدمتهما مشيا بين قصور ودور خاليات وشوارع وأبواب مذهبات ثم خرجا من أبواب المدينة وتفرجا فى بساتين ذات اشجار مثمرات وانهار رجايات واطيار ناطقات تسبح من له القدرة والبقاء ولم يزالا يتفرجان حتى اقبل المساء ورجعا وباتا فى قصر يافث بن نوح فلما وصلا قدمت لهما مائدة فاكلا والتفت غريب لملك الجان وقال يا ملك ان قصدى لذهاب إلى قومى وجندى فلم اعلم حالهم بعدى فلما سمع مرعش كلام غريب قال له يا اخى والله ما مرادى فراقك ولا اخليك تروح ولا بعد شهر كامل حتى اتملى برؤيتك فما قدران يخالفه فقعد شهرا كاملا فى مدينة يافث ثم اكل وشرب واعطاه الملك مرعش هدايا من التحف والمعادن والجواهر والزمردو

البلخش وحجر الماس وقطعا من ذهب وفضة وكذلك مسك وعنبر ومقطع حرير منسوجة بالذهب وعمل لغريب وسهيم خلعتين من الوشي منسوجتين بالذهب وعمل لغريب تاجا مكللا بالدر والجوهر لا يعادل باثمان ثم عبى له ذلك كله في اعدال ودعا بخمسمائة مارد وقال لهم جهزوا حالكم إلى السفر في غد حتى نؤدي الملك غريباً وسهيما إلى بلادهما قالوا سمعا وطاعة وباتوا على نية السفر حتى اتى وقت السفر وإذا هم بخيول وطبول ونقير تصيح حتى ملأت الأرض وهم سبعون الف مارد طيارة غواصة وملكهم اسمه برقان وكان لمجيء هذا الجيش سبب عظيم عجيب وامر مطرب غريب سنذكره على الترتيب وكان برقان هذا صاحب مدينة العقيق وقصر الذهب وكان يحكم على خمس قلل كل قلة فيها خمسمائة ألف مارد وهو وقومه يعبدون النار دون الملك الجبار وكان هذا الملك ابن عم مرعش وكان في قوم مرعش مارد كافر اسلم نفاقا وغطس من بين قومه وسار حتى وصل إلى وادي العقيق ودخل قصر الملك برقان وقبل الأرض بين يديه ودعا له بدوام العز والانعام ثم اخبره باسلام مرعش فقال له برقان كيف مرق من دينه فحكى له جميع ما جرى فلما سمع برقان كلامه شخر ونخر وسب الشمس والقمر والنار ذات الشرر وقال وحق ديني لا قتلن ابن عمي وقومه وهذا الانسي ولا اترك منهم احدا ثم صاح على ارهاط الجن واختار منه سبعين الف ما رد وسار بهم حتى وصل إلى مدينة جابرصا وداروا حول المدينة كماذ كرنا ونزل الملك برقان مقابل باب المدينة ونصب خيامه فدعا مرعش بمارد وقال له امض إلى هذا العسكر وانظر ما يريدون وأتني عاجلا فمرق المارد حتى دخل خيام برقان فتسارع إليه المردة وقالوا له من انت قال رسول مرعش فاخذوه واوقفوه بين يدى برقان فسجد له وقال يامولاي ان سيدى ارسلني اليكم لانظر خبركم فقال له ارجع الى سيدك وقل له هذا ابن عمك برقان اتى يسلم عليك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح فقالت لها اختها ما احسن حديثك واطيبه واحلاه واعذبه فقالت وابن هذا مما احدثكم به الليلة القابلة ان عشت وابقاني الملك فقال الملك في نفسه والله لا اقتلها حتى اسمع بقية حديثها.

فلما كانت الليلة الخامسة والخمسون بعد الستمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان المارد رسول مرعش لما دخل على برقان وقال له ان سيدى ارسلنى اليك لانظر خبركم قال له ارجع الى سيدك وقل له ان ابن عمك برقان اتى يسلم عليك فرجع المارد إلى مولاه واخبره بذلك فقال لغريب اقعد على سريرك حتى اسلم على ابن عمى واعود اليك ثم ركب وسار قاصد الخيام وكان برقان عملها حيلة حتى يخرج مرعش ويقبض عليه ثم اوقف حوله مردة وقال لهم اذا رأيتموني حضنته فامسكوه وكتفوه فقالوا سمعا وطاعة ثم بعد ذلك وصل الملك مرعش ودخل سرادق بن عمه فقام اليه واعتنقه فهجم عليه الجان وكتفوه وقيدوه فنظر مرعش الى برقان وقال له ما هذا الحال فقال له يا كلب الجان اتترك دينك ودين آبائك واجدادك وتدخل فى دين لا تعرفه فقال له يا ولد عمى قد وجدت دين إبراهيم الخليل هو الحق وغيره باطل فقال ومن اخبركم قال غريب ملك العراق وهو عندى فى اعز مكان فقال له برقان وحق النار والنور والظل والحرور لا قتلنكم جميعا ثم سجنه فلما نظر غلام مرعش ما حل بمولاه ولى هاربا إلى المدينة واعلم ارهاط الملك مرعش بما حصل لمولاه فصاحوا وركبوا خيولهم فقال غريب ما الخبر فاعلموه بما جرى فصاح على سهيم وقال له شدلى جوادا من الجوادين اللذين اعطانيهما الملك مرعش فقال له يا أخى اتقاتل الجان قل نعم اقاتلهم بسيف يافث بن نوح واستعين برب الخليل إبراهيم عليه السلام فهو رب كل شيء وخالقه فشد له جواداً اشقرا من خيل الجن كأنه حصن من الحصون ثم اخذ آله الحرب وخرج وركب وخرجت الارهاط وهم لابسون الدروع وركب برقان وقومه وتقاتل الفريقان واصطف العسكران وكان أول من فتح باب الحرب الملك غريبا فساق جواده فى حومة الميدان وجرد سيف يافث بن نوح عليه السلام فخرج منه نور ساطع انبهرت منه عيون الجن اجمعين ووقع فى قلوبهم الرعب فلعب غريب بالسيف حتى أذهل عقول الجان ثم نادى الله أكبر أنا الملك غريب ملك العراق لادين الادين إبراهيم الخليل فلما سمع برقان كلام غريبا قال هذا الذى غير دين ابن عمى وأخرجه من دينه فوحق دينى لا أقعد على سريرى حتى أقطع رأس غريب وأخمد انفاسه وأرد ابن عمى وقومه إلى دينهم ومن خالفنى أهلكته ثم ركب على فيل ابيض قرطاسى كأنه برج مشيد وصاح عليه وضربه بسنان من بولاد فغرق فى لحمه فصرخ الفيل وقصد الميدان ومقام الحرب

والطعان حتى قرب من غريب فقال له يا كلب الأنس ما أدخلك ارضنا حتى أفسدت ابن عمي وقومه وأخرجتهم من دين إلى دين أعلم أن اليوم آخر ايامك من الدنيا فلما سمع غريب هذا الكلام قال له اخسأ يا أقل الجان فسحب برقان حربة وهزها وضرب بها غربيا فاخطأته فضربه بحربة ثانيه فخطفها غريب من الهواء وهزها وارسلها نحو الفيل فدخلت فى جنبه وخرجت من الجانب الآخر فوقع الفيل على الأرض قتيلا وارتمى برقان كأنه نخلة سحوق فماخلاة غريب يتحرك من مكانه حتى ضربه بسيف يافث بن نوح على جذع رقبته صفحاً فغشى عليه فاندفعت عليه المردة وادارو اكتافه فلما نظر قومه الى ملكهم هجموا وارادوا خلاصه فحمل عليهم غريب وحملت معه الجن المؤمنون فلله در غريب لقد ارضى الرب المجيب واشفى الغليل بالسيف المطلسم وكل من ضربه قصمه فما تطلع روحه حتى يصير فى النار رمادا وهجمت المؤمنون على الجن الكافرين وتراموا بشهب النار وعم الدخان وغريب قد جال فيهم يمينا وشمالاً فتفرقوا بين يديه وقد وصل الملك غريب الى سرادق الملك برقان وكان إلى جانبه الكيلجان والقورجان فصاح غريب عليهما وقال حلامولاكما فحلاه وكسر اقيده وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح قالت لها اختها ما احلا حديثك واعذبه والذه واطيبه فقالت واين هذا مما احدثكم به الليلة القابلة ان عشت وابقانى الملك فقال الملك فى نفسه والله ما اقتلها حتى اسمع بقية حديثها.

فلما كانت الليلة السادسة والخمسون بعد الستمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد أن الملك غريباً لما صاح على الكليلجان والقورجان وقال لهما حلا مولاكما فحلاه وكسر اقيده فقال لهما الملك مرعش أتيانى بعدتى وجوادى الطيار وكان عند الملك جوادان يطيران فى الهواء فاعطى غريباً واحداً وبقى عنده واحد فاتوه به بعد ان لبس آلة الحرب وحمل مع غريب وطارابهما الجوادان وقومهما خلفهما وهما يصيحان الله أكبر الله أكبر فأجابتهما الأرض والجبال والأودية والتلال ورجعوا من خلفهم بعد أن قتلوا منهم خلقاً كثيراً تزيد عن ثلاثين ألف مارد وشيطان ودخلوا مدينة يافث وجلس الملكان على مراتب العز وطلبا برقان فما وجداه لأنهما حين اسراه اشتغلا عنه بالقتال وقد سبقه عفريت من غلماء فحله ومر به على قومه فوجد البعض مقتولا والبعض هارباً فطار به نحو السماء وحط على مدينة العقيق وقصر

الذهب وجلس الملك برقان على تخت مملكتـه ووصلت قومه اليه الذين فضلوا من القتل فدخـلوا عليـه وهنوه بـالسلامة فـقال ياقـوم واين السلامـة وقد قتـل عسكرى واسـرونى وخرقوا حرمتـى بين قبائل الجان فقالوا يا مـلك ما دامت الملوك تصيب وتـصاب قال لهم لابد مـن أن آخذ ثأرى وأكـشف عارى وإلا أكـون معيـرة بين قـبائل الجـان ثم أنه كـتب الكتب وارسل إلى قبائل الحصون فاتوه مذعنين مطـيعين فتفقدهم فوجدهم ثلاثمائة الف وعشرين الفا من المردة الجبارين والشياطين فقالو أى حاجة لك فقال خذوا اهبتكم للسفر بعد ثلاثـة أيام فقالوا سمعـا وطاعة هذا ما كان مـن امر الملك برقان وأما مـا كان من أمر الملك مرعش فانه لما رجـع وطلب برقان ولم يجده صعب عليه وقال لو كـنا حفظناه بمائه ماردما كان يهرب ولكن اين يروح منا ثم قـال مرعش لغريب علم يا أخى أن برقان غدار ما يـقعد عـن اخذ الثـار ولابدان يجـمع أرهاطه ويـأتوا اليـنا وأنا قـصدى أن الحقـه وهو ضعيف على أثر هزيمته فقال غريب هذا هو الرأى الصواب والأمر الذى لا يعاب ثم قال مرعش لغريـب يا أخى خل المردة يوصلونكـم إلى بلادكم واتركونى اجاهد الـكفار حتى تخف عنـي الأوزار فقال غريب لا وحق الحليـم الكريم الستار ما أروح هذه الـديار حتى افنى جميـع الجان الكفار ويعجل الله بـأرواحهم الى النار وبئس القـرار ولا ينجو إلا من يعبد الله الواحد القهار ولكن ارسل سهيمـاً إلى مدينة عمان لعله يشفى من المرض وكان سهيم ضعيفا فـصاح مرعش على المردة وقال لهم احملوا سهـيما وهذه الأموال والهدايا إلى مدينـة عمان فقالوا سـمعاً وطاعة فحـملوا سهيمـا والهدايا وقصدوا بـلاد الأنس ثم كتب مرعش الكتب إلى حصونه وجميع عماله فحضروا فكانت عدتهم مائة ألف وستين ألفا فتجـهزوا وساروا قاصدين بلاد العقيـق وقصر الذهب فقطعوا فى يـوم واحد مسيرة سنة ودخلـوا واديا فنزلوا فيـه للراحه وباتوا حـتى أصبح الصبـاح وارادو أن يرحلوا وإذا بطلائع الجان قـد طلعت والجن قد صاحت والتـقى العسكران فى ذلك الـوادى فحملوا على بعضـهم وقد وقع القتل بينـهم واشتد النزال وعظم الزلـزال وسائت الأحوال وجاء الجد وذهب المحـال وبطل القيـل والقال وقصرت الأعمـار الطوال وصارت الكـفرة فى الذل والخبال وحمـل غريب وهو يوحد الواحد المعـبود المستعان فقطـع الرقاب وقد ترك الرؤس مدحرجة على التراب فما أمسى المساء حتى قـتل من الكفار نحو سبعين الفافعند ذلك دقوا كؤوس الانفـصال وافترقوا من بعضـهم وأدرك شهرزاد الصباح فسـكتت عن

الكلام المباح فقالت لها أختها ما أطيب حديثك واحسنه وأحلاه واعذبه فقالت واين هذا مما أحدثكم بـه الليله القابلـة أن عشت وابقاني الملك فقـال الملك في نفسه واللـه لا أقتلها حتى اسمع بقية حديثها .

فلما كانت الليلة السابعة والخمسون بعد الستمائة

قالت بـلغني أيها الملك السعيـد أن العسكرين لما انفصلا من بعضهما وافتـرقا نزل مرعـش وغريب في خـيامهمـا بعد أن مسـحاً سلاحـهما ثم حـضر العشـاء فاكلا وهنـيا بعضهما بالسلامة وقد قتل منهم أكثر من عشرة آلاف ما رد وأما برقان فانه نزل في خيامه وهو ندمان على من قتل من الأعوان وقال ياقوم أن قعـدنا نقاتل هذا القوم ثلاثة أيام افنوناً عن آخرنا فقالوا وما نفعـل ياملك قال نهجم عليهم في الليل وهم نيـام فما يبقى منهم من يرد الاخبار فـخذوا أهبتكم واهجـموا على اعدائكم واحـملوا حملة رجل واحـد فقالوا سمـعاً وطاعة ثـم انهم تجـهزوا للـهجوم وكان فـيهم مـارداً اسمه جـندل وكان قلـبه لان للإسلام فـلما نظر الـكفار وما عزمـوا عليه مـرق من بينهـم ودخل على مرعـش والملك غريب واخبـرهما بما دبر الكفار فـالتفت مرعش لغـريب وقال له يا أخي ما يكـون العمل فقال الـليله نـهجم على الـكفار نشتـهم في البـراري والقفار بقـدرة الملك الجبـار ثم دعا بالمقدمين من الجان وقال لـهم احملوا آلة حربكم أنتم وقومكم فإذا اسـبل الظلام فانسلوا على أقدامـكم مائة بعد مائـة وخلوا الخيام خاليـين واكمثوا بين الجبال فـإذا رأيتم الاعداء صاروا بين الخيام فاحملـوا عليهم من سائر الجهات وقووا عزمكم واعـتمدوا على ربكم فانكم تنصرون وهاأنا معكم فلما جاء الليل هجموا على الخيام وقد استغاثوا بالنار والنور فلما وصلوا بين الخيام هجم المؤمنين على الكـفار وهم يستغيثون برب العالمين ويقولون يا أرحم الراحمين يا خالق الخلق اجمعين حتى تركوهم حصيداً خامدين فما أصبح الصباح إلا والكـفار اشبـاح بلا أرواح والـذين فضـلوا طلـبوا البـراري والبـطاح ورجع مـرعش وغريب وهم منصورون مؤيدون ونهبوا أموال الـكفار وباتوا حتى أصبح الصباح وساروا طالبين مدينة العقيق وقصر الذهب وأما برقان فانه لما دار الحرب عليه وقتل اكثر قومه في ظلام الليل ولـى هارباً مع من بقي من قومـه حتى وصل إلى مدينته ودخـل قصره وجمع ارهاطه وقال يابني من كان عنده شيء فليأخـذه ويلحقني في جبل قاف عند الملك الأزرق صاحـب القصـر إلا بلق فـهو الذي يـأخذ ثـأرنا فأخـذوا حريمهـم وأولادهم وأموالـهم

وقصدوا جبل قاف ثم وصل مرعش وغريب إلى مدينة العقيق وقصر الذهب فوجدوا الأبواب مفتوحة وليس فيها من يخبر بخبر فاخذ مرعش غريباً يفرجه على مدينة العقيق وقصر الذهب وكان اساسات صورها من الزمرد وبابها من العقيق الأحمر بمسامير من الفضة وسقوف بيوتها وقصورها العود والصندل فمشوا وتفرقوا فى شوارعها وازقتها حتى وصلوا إلى قصر الذهب ولم يزالوا يدخلون من دهليز إلى دهليز وإذا هم ببناء من البلخش الملوكى ورخامه زمرد وياقوت ودخل مرعش وغريب فى القصر فاندهشا من حسنه ولم يزالا يدخلان من موضع إلى موضع حتى قطعا سبعة دهاليز فلما وصلا إلى داخل القصر وإذا هما بأربعة لواوين كل ليوان لا يشبه الاخر وفى وسط القصر فسقية من الذهب الأحمر وعليها صور سباع من الذهب والماء يجرى من أفواهها فنظر شيئاً يحير الأفكار والليوان الذى فى الصدر مفروش بالبسط المنسوجة بالحرير الملون وفيه كرسيان من الذهب الأحمر مرصعان بالدر والجوهر فعند ذلك قعد مرعش وغريب على كرسى برقان وعملا فى قصر الذهب موكباً عظيماً وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح فقالت لها اختها يا أختى ما احسن حديثك واطيبه والذه واعذبه فقالت واين هذا مما أحدثكم به الليلة القابلة أن عشت وابقانى الملك فقال الملك فى نفسه والله لا اقتلها حتى اسمع بقية حديثها .

فلما كانت الليلة الثامنة والخمسون بعد الستمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد أن مرعشا وغريباً جلسا على كرسى برقان واوكباموكبا عظيماً وبعد ذلك قال غريب لمرعش أى شىء دبرت من الرأى قال يا ملك الأنس قد ارسلت مائة فارس يكشفون لى خبر برقان فى أى مكان هو حتى نسير خلفه ثم قعدا فى قصر الذهب ثلاثة أيام حتى وصل المردة ورجعوا خبروا ان برقان سار جبل قاف واستجار بالملك الأزرق فاجاره فقال مرعش لغريب ما تقول يا أخى قال ان لم نهجم عليهم يهجموا علينا ثم أمر مرعش وغريب العسكران يأخذوا الأهبة للسفر بعد ثلاثة أيام فاصلحوا أحوالهم وارادوا أن يرحلوا وإذا هم بالمردة الذين وصلوا سهيما والهدايا قد اقبلوا على غريب وقبلوا الأرض فسألهم عن قومه فقالوا له أن خاك عجيباً لما هرب من الوقعة ذهب إلى يعرب بن قحطان وقصد بلاد الهند ودخل على ملكها وحكى له ما

جرى له من اخيه واستجار به فاجاره وارسل كتبه إلى جميع عماله فاجتمع عسكر مثل البحر الزاخر ماله أول من آخر وهو عازم على خراب العراق فلما سمع غريب كلامة قال تعست الكفارفان الله تعالى ينصر الإسلام وسوف اريهم ضرباً وطعانا ثم قال مرعش ياملك الأنس وحق الاسم الاعظم لابد ان اسير معك إلى ملكك واهلك اعداءك وابلغك مناك فشكره غريب وباتوا على نية الرحيل إلى أن أصبح الصباح فرحلوا وصاروا قاصدين جبل قاف ومشوا يومهم وبعد ذلك ساروا قاصدين القصر الإبلق ومدينة المرمر وكانت هذه المدينة مبنية بالحجارة والمرمر بناها بارق بن فاقع أبو الجن وبنى القصر الا بلق وسمى بذلك لأنه مبنى بطوبة من فضة وطوبة من ذهب مابنى مثله فى سائر الأقطار فلما قربوا من مدينة المرمر وبقى بينهم وبينها نصف يوم نزلوا للراحة فارسل مرعش من يكشف له الأخبار فغاب الساعي ثم عادو قال له يا ملك فى مدينة المرمر من ارهاط الجن عدد اوراق الشجر وقطر المطر فقال الملك مرعش أى شيء يكون العمل يا ملك الأنس فقال غريب يا ملك قسم قومك اربعة اقسام حول العسكر ثم يقولون الله أكبر وبعد أن يصيحوا بالتكبير يتأخرون عنهم ويكون ذلك الأمر فى نصف الليل وانظر ما يجرى بين قبائل الجان فاحضر مرعش قومه وفرقهم مثل ما قال غريب فحملوا سلاحهم وصبروا حتى انتصف الليل فساروا حتى داروا حول العسكر وصاحوا الله أكبر يالدين الخليل إبراهيم عليه السلام فانتبه الكفار مرعوبين من هذه الكلمة وخطفوا سلاحهم ووقعوا فى بعضهم حتى لاح الفجر وقد فنى أكثرهم وبقى أقلهم فصاح غريب على الجن المؤمنين وقال احملوا على من بقى من الكافرين وها أنا معكم والله ناصركم فحمل مرعش وصحبته غريب وجرد غريب سيفه الماحق الذى من سيوف الجن فجدع الأنوف وهزم الصفوف وقد ظفر ببرقان وضربه فاعدمه الحياة ونزل مختضبا بدمائه ثم فعل بالملك الأزرق كذلك فلما اضحى النهار لم يبق من الكفار ديار ولا من يرد الاخبار ودخل مرعش وغريب القصر الابلق فرأيا حيطانه طوبة من ذهب وطوبة من فضة واعتابه من البلور وهو معقود بالزمرد الأخضر وفيه فسقية وشاذروان مفروش بالحرير المزركش بشرائط الذهب المرصع بالجوهر ووجدا اموالا لا تحصى ولا توصف ثم دخلا قاعة الحريم. فوجدا فيها حريماً ظريفاً فنظر غريب إلى حريم الملك الأزرق فرأى فى بناته بنتاً ما رأى احسن منها وعليها بدلة تساوى الف دينار وحولها مائة جارية ترفع

اذيالهـا بكلا ليب من الـذهب وهي مثل القـمر بين النجوم فـلما رأى غريب هذه الـبنت طاش عقله وحار فقال لبعض تلك الجوارى مـن تكون هذه الجارية فقالوا له هذه كوكب الصباح بنت الملـك الأزرق وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح فقالت لها اختها ما اطيب حديثك واحسنه واحلاه واعذبه فـقالت لها واين هذا مما أحدثكم به الليلة القـابلة ان عشـت وابقانـى الملك فـقال الملك فـي نفسـه والله لا اقتلـها حتى أسـمع بقـية حديثها.

فلما كانت الليلة التاسعة والخمسون بعد الستمائة

قالت بـلغنى أيهـا الملك السعيـد ان غريباً سأل بـعض الجوارى وقال من هـذه الجارية فقالـوا له هذه كوكب الصـباح بنت الملـك الأزرق فالتفت غـريب للملك مـرعش وقال يامـلك الجان مـرادى أن اتزوج بهـذه البنـت فقال له المـلك مرعـش القصـر وما فيـه من الأموال والأولاد كسب يدك ولولا أنت عملت الحيلة حتى اهلكت برقان والملك الأزرق وقومهما لـكانوا اهلكونا عن آخـرنا فالمال مالك وأهله عـبيدك فشكره غريب عـلى حسن كلامه وتقدم إلـى البنت ونظر إليهـا وحقق النظر فيها فـاحبها حبا شديداً ونـسى فخرتاج بنت الملـك سابور ملك العجـم والترك والديلم ونسـى مهدية وكانت والدة هـذه البنت بنت ملك الـصين خطفها الملك الأزرق من قصـرها وافتضها فعلقت مـنه وجاءت بهذه البنت فمن حـسنها وجمالها سماهـا كوكب الصباح وهى سيدة الملاح فـماتت أمها وهى بنت أربعين يوماً فربـتها القوابل والخدام حتى صارلها من العمر سـبع عشرة سنة فجرى هذا الأمر وقتل أبوها وحبهـا غريب حبا شديدا وصافحها ودخل عليها مـن ليلته فوجدها بكـراً وكانت تبـغض اباهـا وقد فرحـت بقتلـه وقد أمر غـريب أن يهـدم القصر الابـلق فهدمـوه وفرقه غريـب على الجان فـناب غريبـاً أحدى وعشرون ألـف طوبة من الـذهب والفضة ونابه من المال والمعادن مالا يحصى ولا يعد ثم أن الملك مرعشاً أخذ غريباً وفرجه على جبل قاف وعجائبه وساروا قاصدين حصـن برقان فلما وصلوا اليه أخربوه وقسموا امواله وساروا إلى حصن مـرعش فأقاموا فيه خمسة أيام وطلـب غريب الرواح إلى بلاده فقال مرعش يا ملـك الأنس أنا أسير فى ركابك حتى أوصلك الـى بلادك فقال غريب لا وحق الخـليـل إبراهيـم ما اخلـيك تـتعب سـرك ولم آخـ. من قومـك سوى الكيـلـجان والقـورجان فقـال مرعش يـاملك خذ عـشرة آلاف فارس مـن الجن يكـونون معـك فى

خدمتك فقال غريب ما آخذ إلا ما أخبرتك به فأمر مرعش ألف مارد ان يحملوا ما ناب غريباً من الغنيمة ويصحبوه إلى ملكه وأمر الماردان الكيلجان والقورجان أن يكونا مع غريب ويطيعاه فقالا سمعا وطاعة ثم قال غريب للمردة احملوا انتم المال وكوكب الصباح واراد غريب أن يرحل بركب جواده الطيار فقال مرعش هذا الجواد يا أخى لا يعش إلا فى أرضنا وأن وصل إلى أرض الأنس مات ولكن عندى جواد يجرى وما يوجد له مثيل في ارض العراق ثم أمر باحضار الجواد فاحضروه فلما نظره غريب حال بينه وبين عقله ثم كبلوا الجواد وحمله الكيلجان وحمل القورجان ما أطاقه ثم أن مرعشا اعتنق غريباً وبكى على فراقه وقال له يا أخى إذا حصل لك مالا طاقة لك به فارسل إلى وأنا آتيك بعسكر يخربون الأرض وماعليها فشكره غريب على معروفه وحسن اسلامه وسار الماردان بغريب والجواد يومين وليلة وقد قطعا مسيرة خمسين سنة حتى قربوا من مدينة عمان فنزلوا قريبا منها ليأخذوا الراحة فالتفت غريب إلى الكيلجان وقال سر واكشف لى خبر قومى فسار المارد ثم عاد وقال يا ملك أن على مدينتك عسكر الكفار مثل البحر الزخار وقومك تقاتلهم وقد دقوا طبول الحرب والجمرقان برزلهم الى الميدان فلما سمع غريب هذا الكلام صاح الله أكبر وقال يا كيلجان شد لى الحصان وقدم عدتى والسنان اليوم يظهر الفارس من الجبان فى مقام الحرب والطعان فقام الكيلجان وقد احضر له ما طلب فاخذ عدة الحرب وتقلد بسيف يافث بن نوح وركب الجواد البحرى وقصد العساكر والجنود فقال الكيلجان والقورجان ارح قلبك ودعنا نسير إلى الكفار فنشتتهم فى البرارى والقفار حتى لا يبقى منهم ديار ولا نافخ نار بعون الله العلى الجبار فقال لهم غريب وحق الخليل إبراهيم ما أخليكم تقاتلون الاوانا على ظهر جوادى وقد كان لمجيء هذه العساكر سبب عجيب وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الموفية للستين بعد الستمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن غريبا لما قال للكيلجان سر واكشف لى خبر قومى فرجع وقال ان على مدينتك عسكراً كثيراً وكان السبب فى مجيئهم أن عجيبا لما اتى بعسكر يعرب بن قحطان وحاصر المسلمين وخرج الجمرقان وسعدان وجاءهم الكيلجان والقورجان وكسروا عساكر الكفاروهرب عجيب قال يا قوم أن رجعتم إلى يعرب بن قحطان وقد قتل قومه يقول يا قوم لولا أنتم ما قتل قومى فيقتلنا عن آخرنا والرأى عندى

أن تسيروا إلى بلاد الهند وندخل على الملك طركنان فيأخذ بثأرنا فقال له قومه سرنا باركت النار فيك فساروا اياما وليالي حتى وصلوا إلى مدينة الهند واستأذنوا في الدخول على الملك طركنان فاذن لعجيب فى الدخول فدخل وقبل الأرض دعا له بدعاء الملوك وقال يا ملك اجرنى اجارتك النا رذات الشرر وحمالة الدجا بالظلام المعتكر فلما نظر ملك الهند إلى عجيب قال له من انت وما تريد قال له أنا عجيب ملك العراق وقد جار على أخى وقد تبع دين الإسلام واطاعته العباد وقد ملك البلاد ولم يزل يطردنى من أرض إلى أرض وها أنا أتيت إليك استجير بك وبهمتك فلما سمع ملك الهند كلام عجيب قام وقعد وقال وحق النار لاخذن بثأرك ولا أدع احداً يعبد غير النار ثم انه صاح على ولده وقال له يا ولدى هيء حالك واذهب إلى العراق وأهلك كل من فيها واربط الذين لا يعبدون النار وعذبهم ومثل بهم ولا تقتلهم وآتني بهم عندى حتى أصنع فى عذابهم أنواعاً وأذيقهم الهوان واتركهم عبرة لمن اعتبر فى الزمان ثم اختار معه ثمانين ألف مقاتل على الخيل وثمانين ألف مقاتل على الزرافات وبعث معهم عشرة الاف فيل كل فيل عليه تخت من الصندل مشبك بقضبان الذهب وصفايحه ومساميره من الذهب والفضة وفى كل تخت سرير من الذهب والزمرد وارسل معهم تخوت السلاح فى كل تخت ثمان رجال يقاتلون بسائر السلاح وكان ابن الملك شجاع الزمان ماله فى شجاعته نظير وكان اسمه رعدشاه وجهز نفسه فى عشرة أيام وساروا مثل قطع الغمام مدة شهرين من الزمان حتى وصلوا مدينة عمان وداروا حولها وعجيب فرحان ويظن أنه ينتصر وقد خرج الجمرقان وسعدان وجميع الأبطال فى حومة الميدان ودقت الطبول وصهلت الخيول واشرف على ذلك الكيلجان ورجع اخبر الملك غريب وركب كما ذكرنا وساق جواده ودخل بين الكفار ينتظر من يبرز له ويفتح باب الحرب فبرز سعدان الغول وطلب البرازفبرزله بطل من ابطال الهند فما امهله سعدان فى الثبات قدامه حتى ضربه بالعامود فهشم عظمه وصار على الأرض ممدودا فبرز له ثان فقتلة وثالث فجند له ولم يزل سعد ان يقتل حتى قتل ثلاثين بطلا فعند ذلك برز له بطل من الهند اسمه بطاش الأقران وكان فارس الزمان يعد بخمسة آلاف فارس فى الميدان للحرب والطعان وهو عم الملك طركنان فلما برز بطاش لسعدان قال له يا شلح العرب هل بلغ من قدرك أن تقتل ملوك الهند وابطالها وتأسر فرسانها اليوم اخر ايامك من الدنيا فلما سمع سعدان هذا الكلام

احمرت عيناه وهجم على بطاش فضربه بالعمود فخابت الضربة ولف سعدان مع العمود فوقع العمود على الأرض فما افاق الا وهو مكتف مقيد فسحبوه إلى خيامهم فلما نظرا الجمرقان إلى صاحبه اسيرا قال يالدين الخليل ابراهيم ولكزجواده وحمل على بطاش الأقران فتجاولا ساعة ثم هجم بطاش على الجمرقان فجذبه من جلباب ذراعه واقتلعه من سرجان ورماه على الأرض فكتفوه وسحبوه إلى خيامهم ولم يزل بطاش يبرزله مقدم بعد مقدم حتى اسر من المسلمين أربعه وعشرين مقدماً ما فلما نظر المسلمون إلى ذلك اغتموا غماً شديداً فلما نظر غريب ما حل بإبطاله سحب من تحت ركبته عموداً من الذهب وزنه مائة وعشرون رطلا وهو عمود برقان ملك الجان وأدرك شهرزادالصباح فسكتت عن الكلام المباح فقالت لها اختها ما أحلى حديثك وأطيبه وأحلاه واعذبه فقالت لها واين هذا مما أحدثكم به الليلة القابلة أن عشت وابقاني الملك فقال الملك في نفسه والله ولا اقتلها حتى اسمع بقية حديثها

فلما كانت الليلة الحادية والستون بعد الستمائة

قالت بلغني أيها الملك السعيدأن الملك غريباً لما نظر ما حل بابطاله سحب عموداً من الذهب كان لبرقان ملك الجان ثم ساق جواده البحرى فجرى تحته مثل هبوب الريح واندفع حتى صار فى وسط الميدان وصاح الله أكبر فتح ونصر وخذل من كفر بدين إبراهيم الخليل ثم حمل على بطاش وضربه بالعمود فوقع على الارض فالتفت نحو المسلمين ونظر إلى أخيه سهيم الليل وقال له كتف هذا الكلب فلما سمع سهيم كلام غريب اندفع على بطاش فشدو ثاقه واخذه وصار ابطال المسلمين يتعجبون من ذلك الفارس وصار الكفار يقولون لبعضهم من هذا الفارس الذى خرج من بينهم واسر صاحبنا كل هذا وغريب يطلب البراز فبرز له مقدم من الهنود فضربه غريب بالعمود فوقع على الأرض ممدوداً فكتفه الكيلجان والقورجان وسلماه إلى سهيم ولم يزل غريب يأسر بطلا بعد بطل حتى اسر اثنين وخمسين بطلا مقدمين اعيانا وقد فرغ النهار فد قواطبول الانفصال وطلع غريب من الميدان وقصد عسكر المسلمين وكان أول من لاقاه سهيم فقبل رجله فى الركاب وقال له لا شلت يداك يا فارس الزمان فاخبرنا من انت من الشجعان فعند ذلك رفع البرقع الزرد عن وجهه فعرفه وقال سهيم يا قوم هذا ما ملككم وسيدكم غريب وقداتى من أرض الجان فلما سمع المسلمون بذكر ملكهم رموا

ارواحهم عن ظهور الخليـل وقدموا اليه وقبلوا رجليه فى الركاب وسـلموا عليه وفرحوا بسلامـته ودخلوا به إلـى مدينة عـمان ونزل على كـرسى مملكتـه ودار قوم حوله فـى غاية الفرح ثم قدموا الطعـام فاكلوا وبعد ذلك حكى لهم جميع مـا جرى له فى جبل قاف من قبائل الجان فتعجبـوا غاية العجب وحمدوا الله على سلامته وكان الـكيلجان والقورجان لا يفارقان غريباً ثم أمر غريب قومه بالأنصراف إلي مراقدهم فتفرقوا الى بيوتهم ولم يبق عنده إلا الماردان فقال لهما هل تقدران ان تحملانى إلى الكوفة لا تملى بحريمى وترجعا بى فى آخر الـليل فقـالا يا مولانا هذا اهـون ما طلبـت وكان بين الكوفـة وعمان ستـون يوماً للفارس المجد فـقال الكيلجان للقورجـان أنا احمله فى الذهاب وأنت تحمـله فى المجيىء فحمله الكيلـجان وحاذاه القورجان فما كان إلا ساعة حتى وصلـوا الكوفة وعدلوا به الى باب القـصر فدخل علـى عمه الدامـغ فلما رأه قام لـه وسلم عليـه ثم قال له كـيف حال زوجتى فخـرتاج وزوجتى مهدية قال انهما طيـبتان بخير وعـافية ثم دخل الخادم فـاخبرا الحريم بمجـيىء غريب ففـرحوا وزغرتوا ووهبـوا للخادم بشـارته ثم دخل الملـك غريب فقاموا له وسلموا عليه ثم بعد ذلك تحـدثوا وحضر الدامغ فحكى له ما جرى له مع الجن فتـعجب الدامـغ والحريم ونام بقـية الليـل مع فخـرتاج الى أن قرب الـفجر فخـرج إلى الماردين وودع أهله وحريمه وعـمه الدامغ ثم ركب ظهر القورجان وحاذاه الـكيلجان فما انكشف الظلام إلا وهو فى مدينة عمان ولبس آلة حربه وكذلك قومه وأمر بفتح الأبواب وإذا بفـارس قد وصل مـن عسكر الـكفار ومـعه الجمـرقان وسعدان الـغول والمقـدمون المأسورون وقد خلصـهم ثم سلهم لغريب ملك المـسلمين ففرح المسلمون بـسلامتهم ثم تدرعـوا وركبوا وقـد دقوا كؤوس الحـرب واعتدوا لـلطـعن والضـرب وركب الكـفار واصطفوا صفـوفاً وأدرك شهرزاد الصباح فسكتـت عن الكلام المباح فقالت لهـا اختها ما أحسن هذا الحديث وأطيبـه واحلاه واعذبه فقالت واين هذا مما احدثكم به الـليلة القابلة أن عشت وابقانى الملك فقال الملك فى نفسه والله لا اقتلها حتى أسمع بقية حديثها .

فلما كانت الليلة الثانية والستون بعد الستمائة

قالـت بلغنـى أيها الملـك السعيـد أن عسكـر المسلمـين لما ركبوا فـى الميدان للـحرب والطعان فاول من فتـح باب الحرب الملك غريب وسحب سيفه المـاحق وهو سيف يافث بن نوح عليه السلام وساق جواده بين الصفين ونادى من عرفنى فقد اكتفى شرى ومن لـم يعرفنى فأنا أعرفه بنفسى أنا الملك غريب ملك العراق واليمن أنا غريب اخو عجيب فلما

سمع رعدشاه بن ملك الهند كلام غريب صاح على المقدمين وقال ائتونى بعجيب فاتوا به فقال له أنت تعلم بأن هذه الفتنة فتنتك وأنت كنت السبب فيها وهذا أخوك فى حومة الميدان ومقام الحرب والطعان فاخرج له وأتى به اسيرا حتى أركبه على جمل بالمقلوب وامثل به حتى أصل إلى بلاد الهند فقال له عجيب ياملك أرسل له غيرى فأنى أصبحت ضعيفاً فلما سمع رعدشاه كلامه شخر ونخر وقال وحق النار ذات الشرر والنور والظل والحرور أن لم تخرج إلى أخيك وتأتني به سريعاً قطعت رأسك واخمدت انفاسك فخرج عجيب وساق جواده وقد شجع قلبه وقارب اخاه فى حومة الميدان وقال له يا كلب العرب واخس من دق طنب اتضاهي الملوك فخذ ما جاءك وابشر بموتك فلما سمع الملك غريب هذا الكلام قال له من أنت من الملوك قال له أنا أخوك فاليوم اخر أيامك من الدنيا فلما تحقق غريب أنه أخوه عجيب صاح وقال يالثأر ابى وامى ثم أعطى الكيلجان سيفه وحمل عليه وضربه بالدبوس ضربة جبار عنيد كادت أن تخرج أضلاعه وقبضه من اطواقه وجذبه فاقتلعه من سرجه وضرب به الأرض فاندفع عليه الماردان وشدا وثاقه ثم قاداه ذليلاًحقيراً كل هذا وغريب قد فرح باسر عدوه وانشد قول الشاعر

بلغت المراد وزال العنا ... لك الحمد والشكر يا ربنا
نشأت ذليلاً فقيراً حقيراً ... فاعطاني الله كل المنى
ملكت البلاد قهرت العباد ... فلولاك ما كنت يا ربنا

فلما نظر رعد شاه ما حل بعجيب من أخيه غريب دعا بجواده ولبس اله حربه وجلبابه وخرج إلى الميدان وساق جواده إلى أن قارب الملك غريباً فى مقام الحرب والطعان وصاح عليه وقال يا أخس العرب وحمال الحطب هل بلغ من قدرك أن تأسر الملوك والأبطال فانزل عن جوادك وكتف نفسك وقبل رجلى واطلق ابطالى وسر معى إلى ملكى وأنت مقيد مسلسل حتى اعفو عنك واجعلك شيخ بلادنا تأكل فيها لقمة الخبز فلما سمع غريب منه هذا الكلام ضحك حتى استلقى على قفاه وقال له يا كلب أكلب وذئب اجرب سوف تنظر من تدور عليه الدوائر ثم صاح على سهيم وقال له أئتني بالأسارى فاتاه بهم فضرب رقابهم فعند ذلك حمل رعدشاه على غريب حملة صنديد وصدمه صدمة جبار عنيد ولم يزالا فى كروفر وصدام حتى هجم الظلام فدقوا طبول الأنفصال

وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح فقالت لها اختها ما أحسن هذا الحديث وأطيبه واحلاه واعذبه فقالت واين هذا مما أحدثكم به الليله القابلة أن عشت وأبقاني الملك فقال الملك في نفسه والله لا أقتلها حتى اسمع بقية حديثها

فلما كانت الليلة الثالثة والستون بعد الستمائة

قالت بلغني أيها الملك السعيد أنهم لما دقوا طبول الانفصال وافترقا من بعضهما ذهب كل ملك إلى موضعه فهنوهما بالسلامة فقال المسلمون للملك غريب ما هي عادتك يالك أن تطاول في القتال فقال يا قوم قاتلت الأبطال والأقيال فارأيت احسن ضرباً من هذا البطل وكنت أردت أن أسحب سيف يافث واضربه فاهشم عظامه وأفنى ايامه ولكن طاولته ظنا مني أني آخذه أسيراً ويكون له حظ في الإسلام هذا ما كان من أمر غريب وإماماً كان من أمر رعد شاه فانه دخل السرادق وجلس على سريره ودخلت عليه كبراء قومه فسألوا عن خصمه فقال لهم وحق النار ذات الشر وما رأيت عمري مثل هذا البطل وفي هذا آخذه اسيراً وأقوده ذليلاً حقيراً وباتوا الى الصباح فدقوا طبول الحرب واعتدوا للطعن والضرب وتقلدوا الصفاح واقاموا الصياح وركبوا الجرد القوارح وخرجوا من الخيام فملؤا الأرض والإكام والبطاح والإماكن الفساح وكان أول من فتح الحرب والطعان الفارس المقدام والأسد الضرغام الملك غريب فجال وصال وقال هل من مبارز هل من مناجز لا يخرج اليوم كسلان ولا عاجز فما استتم كلامه حتى برز له رعدشاه وهو راكب على فيل كأنه قبة عظيمة وعلى ظهر الفيل تخت محزّم بشرائط حرير والفيال راكب بين اذان الفيل وفي يده كلاب يضرب به الفيل ويهتز يمينا وشمالا فلما قرب الفيل من جواد غريب وقد نظر الجواد شيئاً مارأه قط فجفل منه فنزل غريب عنه وسلمه للكيلجان وسحب سيفه الماحق وتقدم نحو رعدشاه ماشيا على اقدامه حتى صار قدام الفيل وكان رعدشاه إذا رأى نفسه مغلوباً مع بطل من الأبطال يركب في تخت الفيل ويأخذ معه شئياً أسمه الوهق وهو في هيئة الشبكة واسع من أسفل وضيق من فوق وفي ذيله حلق وفيه قنب حررة فيتصيد الفارس والفرس ويضعه عليهما ويسحب القنب فينزل عن الجواد راكبه فيأخذه اسيراً وقد قهر الفرسان بهذا الشأن فلما قارب غريب رفع يده بالوهق وفرشه على غريب فانتشر عليه وسحبه فصار عنده على ظهر الفيل وصاح على الفيل أن يرد إلى عسكره وكان الكيلجان والقورجان ما يفارقان غريباً فلما رأيا ما حل

بصاحبهما امسكا الفيل كل هذا وغريب قد تمطع في الوهق فمزقه وهجم الكيلجان والقورجان على رعدشاه وكتفاه وقاداه فى حبل ليف وقد حمل الناس على بعضهم كأنهم بحران يلتطمان اوجبلان يصدمان والغبار قد طلع الى عنان السماء وعاين العسكران العمى وقوى الحرب وسألت الدما ولم يزالوا فى حرب شديد وطعن أكيد وضرب ما عليه من مزيد حتى ولى النهار واقبل الليل بالإعتكار فدقوا طبول الانفصال وافترقوا من بعضهم وكان المسلمون حاضرين فى ذلك اليوم وقد قتل منهم جماعة كثيرة وجرح أكثرهم وذلك من ركاب الفيلة والزرافات فصعبوا على غريب فامر أن يداوى الجرحي والتفت إلى كبار جماعته وقال ما عندكم من الرأى قالوا يا ملك ماضرنا إلا الفيلة والزر افات فلو سلمنا منهم كنا غلبناهم فقال الكيلجان والقورجان نحن الأثنان نسحب سيوفنا ونهجم عليهم فنقتل أكثرهم فتقدم رجل من أهل عمان وكان صاحب رأى عند الجلند وقال يا ملك ضمان هذا العسكر على إذا طاوعتنى وسمعت منى فالتفت غريب إلى المقدمين وقال مهما قاله لكم هذا المعلم فاطيعوه فقالوا سمعا وطاعة أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة الرابعة والستون بعد الستمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الملك غريباً لما قال للمقدمين كل ما قاله لكم هذا المعلم فاطيعوه قالوا سمعا وطاعة فاختار ذلك الرجل عشرة مقدمين وقال ما تحت أيديكم من الابطال فقالوا عشرة آلاف بطل فاخذهم ودخل بهم دار السلاح فاعطى خمسة آلاف منهم بندقيات وعلمهم كيفية الرمى بها فلما لاح الفجر جهز الكفار ارواحهم وقدموا الفيلة والزرافات ورجالهم حاملون السلاح الكامل وقدموا الوحوش وابطالهم قدام العسكر وركب غريب وابطاله واصطفوا صفوفاً ودقت الكاسات وقدمت السادات وتقدم الوحوش والفيلة فصاح الرجل على الرماة فاشتغلوا بالسهام والبندقيات فخرج النبل والرصاص فدخلت فى اضلاع الوحوش فصاحت الوحوش وانقلبت على الأبطال والرجال وداستهم بارجلها ثم هجم المسلمون على الكفار واحاطوا بهم من الشمال إلى اليمين وداستهم الفيلة وشتتهم فى البرارى والقفار وسار المسلمون فى اقفيتهم بالسيوف المهندة فما سلم من الفيلة والزرافات إلا القليل ورجع الملك غريب وقومه فرحين

بالنصر فلما اصبحوا فرقوا الغنائم وقعدوا خمسة أيام ثم بعد ذلك جلس الملك غريب على كرسى المملكة وطلب اخاه عجيبا وقال له يا كلب مالك تحشد علينا الملوك والقادر على كل شىء ينصرنى عليك فاسلم تسلم واترك ثأر ابى وامى من أجل ذلك واجعلك ملكاً كما كنت وأكون أنا من تحت يدك فلما سمع عجيب كلام غريب قال لي ما أفارق دينى فجعله فى قيد حديد ووكل به مائة عبد شديد والتفت إلى رعد شاه وقال له ما تقول فى دين الإسلام فقال يا مولاى أنا أدخل فى دينكم ولولا أنه دين صحيح مليح ما غلبتونا أمدد يدك وأنا اشهد أن لا إله إلا الله وأن الخليل إبراهيم رسول الله ففرح غريب باسلامه وقال له هل ثبتت فى قلبك حلاوة الإيمان قال نعم يا مولاى ثم قال له غريب يا رعدشاه هل تمضى إلى بلادك وملكك فقال يا ملك يقتلنى أبى لأنى خرجت من دينه فقال غريب أنا أسير معك واملكك الأرض حتى تطيعك البلاد والعباد يعون الله الكريم الجواد فقبل يده ورجله ثم انعم على صاحب الرأى الذى هو سبب انهزام العدو واعطاه اموالا كثيرة والتفت إلى الكيلجان والقورجان وقال لهما يا ارهاط الجن قالالبيك قال مرادى أن تحملانى إلى بلاد الهند فقالا سمعا وطاعه فاخذ معه الجمرقان وسعدان وحملهما القورجان وحمل الكيلجان غريباً ورعدشاه وقصدا أرض الهند وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح فقالت لها اختها ما أحسن حديثك واطيبه واحلاه واعذبه فقالت واين هذا مما أحدثكم به الليله القابلة أن عشت وابقانى الملك فقال الملك فى نفسه والله لا اقتلها حتى اسمع بقية حديثها .

فلما كانت الليلة الخامسة والستون بعد الستمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الملك غريباً والجمرقان وسعدان الغول ورعدشاه لما حملهم الماردان وقصدا بهم ارض الهند وكان المسير وقت الغروب فما جاء آخر الليل وإلا وهم فى كشمير فانزلاهم فى قصر وانحدروا من سلالم القصر وكان طركنان بلغة الخبر من المنهزمين بما جرى لأبنه وعسكره وانهم في هم عظيم وان ابنه لا ينام ولا يلتذ بشىء فصار متفكرا فى أمره وما جرى له واذا بالجماعة دخلوا عليه فلما نظر الملك ابنه ومن معه بهت واخذه الفزع من المردة والتفت اليه ابنه رعدشاه فقال له إلى اين يا غدار يا عابد النار يا ويلك فاترك عبادة النار واعبد الملك الجبار خالق الليل والنهار الذى لا تدركه الابصار فلما سمع أبوه هذا الكلام كان معه دبوس حديد فرماه به فخلا عنه ووقع فى

ركن القصر فهدم ثلاثة أحجار وقال له يا كلب اهلكت العساكر وضيعت دينك وجئت تخرجنى من دينى فتلقاه غريب ولكمه فى عنقه فرماه فشد الكيلجان والقورجان وثاقه وهرب الحريم جميعاً ثم أنه جلس على كرسى مملكته وقال لرعدشاه اعدل اباك فالتفت اليه وقال له يا شيخ الضلال اسلم تسلم من النار ومن غضب الجبار فقال طركنان ما اموت إلا على دينى فعند ذلك سحب غريب سيفه الماحق وضربه به فوقع على الأرض شطرين وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار ثم امر بتعليقه على باب القصر فعلقوه وجعلوا شطراً يمينا وشطرا شمالاً وباتوا حتى فرغ النهار فامر غريب رعدشاه أن يلبس بدلة الملك فلبس وجلس على تخت ابيه وقعد غريب عن يمينه ووقف الكيلجان والقورجان والجمرقان وسعدان الغول يمينا وشمالا وقال لهم الملك غريب كل من دخل من الملوك اربطوه ولا تخلوا مقدماً ينفلت من ايديكم فقالوا سمعاً وطاعه ثم بعد ذلك طلع المقدمون وقصدوا قصر الملك لاجل الخدمة فاول من طلع المقدم الكبير فنظر الملك طركنان معلقا شطرين فاندهش وحار ولحقه الانبهار فهم عليه الكيلجان وجذبه من اطواقه فرماه وكتفه ثم جذبه الى داخل القصر ثم ربطه وسحبه فما طلعت الشمس حتى ربط ثلاثمائه وخمسين مقدما واوقفهم بين يدى غريب فقال لهم يا قوم هل نظرتم ملككم وهو معلق على باب القصر فقالوا من فعل به هذه الفعال فقال غريب انا فعلت به ذلك بعون الله تعالى ومن خالفنى فعلت به مثله فقالوا ما تريد منا فقال انا غريب ملك العراق انا الذي اهلكت ابطالكم وان رعدشاه دخل في دين الاسلام وقد صارا ملكا عظيما وحاكما عليكم فاسلموا تسلموا ولا تخالفوا تندموا فنطقوا بالشهادة وكتبوا من اهل السعادة فقال غريب هل صحت في قلوبكم حلاوة الايمان قالوا نعم فامر بحلهم فحلوهم فخلع عليهم وقال لهم امضوا الي قومكم واعرضوا عليهم الاسلام فمن اسلم فابقوه ومن ابي فاقتلوه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح فقالت لها اختها ما أحلي هذا الحديث وأطيبه واعذبه فقالت واين هذا مما أحدثكم به الليله القابلة أن عشت وأبقاني الملك فقال الملك فى نفسه والله لا أقتلها حتى اسمع بقية حديثها .

فلما كانت الليلة السادسة والستون بعد الستمائة

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك غريبا لما قال لعسكر رعدشاه امضوا الي قومكم واعرضوا عليهم دين الاسلام فمن اسلم فابقوه ومن ابي فاقتلوه فمضوا وجمعوا رجالهم الذين تحت ايديهم ويحكمون عليهم واعلموهم بما كان ثم عرضوا عليهم الاسلام فاسلموا الا قليلاً فقتلوهم واخبروا غريبا بذلك فحمد الله تعالي واثني عليه وقال الحمد لله الذي هون علينا من غير قتال واقام غريب في كشمير الهند اربعين يوما حتي مهد البلاد واخرب بيوت النار واماكنها وبنى في ومواضعها مساجد وجوامع وقد حزم رعدشاه من الهدايا والتحف شيئأ كثيرا لا يوصف وارسله في المراكب ثم ركب غريب علي ظهر الكيلجان وركب سعدان والجمرقان علي ظهر القورجان بعد ان ودعوا بعضهم وساروا الي اخر الليل فما لاح الفجر الا وهم في مدينة عمان فتلقاهم قومهم وسلموا عليهم وفرحوا بهم فلما وصل غريب الي باب الكوفة امر باحضار اخيه عجيب فاحضره وامر بصلبه فاحضر له سهيم كلاليب من حديد وجعلها في عراقيبه وعلقوه علي باب الكوفة ثم امر برميه بالنبال فرموه حتي صار كالقنفد ثم دخل الكوفة ودخل قصره وجلس على تخت ملكه فحكم في ذلك اليوم حتى فرغ النهار ثم دخل علي حريمه فقامت له كوكب الصباح واعتنقته وكذلك الجواري هنينه بالسلامة ثم اقام عند كوكب الصباح ذلك اليوم وتلك الليلة فلما اصبح الصباح قام واغتسل وصلي صلاة الصبح وجلس علي سرير ملكه وشرع في عرس مهدية فذبح ثلاثة الف رأس من الغنم والفين من البقر والفا من المعز وخمسمائة من الجمال واربعة الاف من الدجاج ومن الاوز كثيرا ومن الخيل خمسمائة وكان هذا العرس لم يعمل مثله في الاسلام وفي ذلك الزمان ثم دخل غريب علي مهدية وازال بكارتها وقعد في الكوفة عشرة ايام ثم وصي عمه بالعدل في الرعية وسار بحريمه وابطاله حتي وصل الى مراكب الهدايا والتحف فغرقها بجميع ما فيها واستغنت الابطال بالاموال ولم يزالوا في سيرهم حتي وصلوا الي مدينة بابل فخلع علي اخيه سهيم الليل وجعله فيها سلطانا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة السابعة والستون بعد الستمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الملك غريبا لما خلع علي اخيه سهيم خلعة وجعله سلطانا فيها واقام عنده عشرة ايام ثم رحل ولم يزالوا سائرين حتي وصلوا الي حصن سعدان الغول فاستراحوا خمسة ايام ثم ان غريبا قال للكيلجان والقورجان امضيا الي اسبانير المدائن وادخلا قصر كسري واكشفا لي خبر فخرتاج وهاتيا لي رجلا من اقارب الملك يخبرني بما جري فقال سمعا وطاعة ثم انهما سارا الاثنان الي اسبانير المدائن فبينما هما سائران بين السماء والارض واذا هما بعسكر جرار مثل البحر الزاخر فقال الكيلجان لقورجان انزل بنا لنكشف خبر هذا العسكر فنزلا ومشيا بين العساكر فواجداهم اعجاما فسألا بعض الرجال من هذا العسكر والي اين سائرون فقالوا لهما الي غريب نقتله ونقتل كل من معه فلما سمعا هذا الكلام توجها الي سرادق الملك المقدم عليهم وكان اسمه رستم وصبرا حتي نام الاعجام في مراقدهم ونام رستم علي تخته فحملوه بتخته وتجاواز الحصن فما جاء نصف الليل الا وهم في خيام الملك غريب فعند ذلك تقدما الي باب السرادق وقالا دستور فلما سمع غريب ذلك الكلام جلس وقال ادخلوا فدخلا بذلك التخت ورستم راقد عليه فقال غريب من يكون هذا فقالا هذا ملك من ملوك العجم ومعه عسكر عظيم وقد اتي يريد قتلك انت وقومك وقد جئناك به ليخبرك عما تريد فقال غريب ائتوني بمائة بطل فاتوابهم فقال اسحبوا سيوفكم وقفوا علي رأس هذا العجمي ففعلوا ما امرهم به ونبهوه ففتح عينيه فوجد علي رأسه قبة من سيوف فغمض عينيه وقال اي شئ هذا المنام القبيح فوكزه الكيلجان بذباب السيف فقعد فقال له رستم اين انا فقال انت في حضرة الملك غريب صهر ملك العجم فما اسمك والي اين تذهب فلما سمع اسم الملك غريب تفكر وقال في نفسه هل انا نائم ام يقظان فضربه سهيم وقال له لم لا ترد الكلام فرفع رأسه وقال من اتي بي من خيمتي وانا بين رجالي فقال غريب جاء بك هذان الماردان فلما نظر الي الكليجان والقورجان تغوط في لباسه فهم عليه الماردان وقد كشرا عن انيابهما وسحبا سيوفهما وقالا له اما تقدم تقبل الارض قدام الملك غريب فارتعب من الماردين وتحقق انه غير نائم فوقف علي اقدامه وقبل الارض وقال باركت النار فيك وطال عمرك يا ملك فقال غريب يا كلب العجم النار ليست معبودا لانها تضر ولا تنفع الا للطعام فقال فمن هو المعبود

فقال غريب المعبود الذي خلقك وصورك وخلق السموات والارض فقال الاعجمي فما اقول حتي اصير من حزب ذلك الرب وادخل في دينكم فقال غريب تقول لا اله الا الله ابراهيم خليل الله فنطق بالشهادة فكتب من اهل السعادة وقال اعلم يا مولاي ان صهرك الملك سابور طلب قتلك وقد بعثني في مائة الف وامرني ان لا ابقي منكم احدا فلما سمع غريب كلامه قال اهذا جزائي حيث خلصت ابنته من الضيق ومن الردي ولكن يجازيه الله بما اضمره ولكن فما اسمك قال رستم مقدم سابور فقال له غريب وكذلك مقدم عسكري ثم قال له يا رستم كيف حال الملكة فخرتاج فقال له تعيش رأسك يا ملك الزمان فقال ما سبب موتها قال يا مولاي لما سرت الي اخيك اتت جارية للملك سابور صهرك وقالت له يا سيدي اانت امرت غريبا ان ينام عند سيدتي فخرتاج قال لا وحق النار ثم انه سحب سيفه ودخل عليها وقال لها يا خبيثة كيف خليت هذا البدوي ينام عندك ولا اعطاك مهر او لا عمل عرسا قالت له يا ابت انت اذنت له ان ينام عندي فقال لها هل قرب منك فسكتت واطرقت رأسها الي الارض فصاح علي القوابل والجواري وقال لهن كتفن هذه العاهرة وابصرن فرجها فكتفنها وابصرن فرجها وقلن يا ملك قد ذهبت بكارتها فحمل عليها واراد قتلها فقامت امها ومنعت عنها وقالت يا ملك لا تقتلها فتبقي معيرة ولكن احبسها في مخدع حتي تموت فحبسها حتي هجم الليل فارسلها مع اثنين من خواصه وقال لهما ابعدا بها والقياها في بحر جيحون ولا تخبرا احد ففعلا ما امرهما وقد خفي ذكرها ومضي زمانها وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والستون بعد الستمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان غريبا لما سأل عن فخرتاج اخبره رستم بخبرها وان اباها غرقها في البحر فلما سمع غريب كلامه اسودت الدنيا في عينيه وساءت اخلاقه وقال وحق الخليل لاسيرن الي هذا الكلب واهلكه واخرب دياره ثم ارسل الكتب للجمرقان ولصاحب ميا فارقين ولصاحب الموصل ثم التفت الي رستم وقال له كم معك من العسكر فقال له معي مائة الف من فرسان العجم فقال له خذ معك عشرة الاف وسر الي قومك وشاغلهم بالحرب وانا علي اثرك فركب رستم في عشرة الاف فارس من عسكره ثم سافر الي قومه وقال في نفسه اني اعمل عملا يبيض وجهي عند الملك غريب

فسار رستم سبعة ايام وقد قرب من عسكر العجم وبقي بينه وبينهم نصف يوم ففرق اربع فرق وقال لهم دوروا حول العسكر واوقعوا فيهم السيف فقالوا سمعا وطاعة فركبوا من العشاء الي نصف الليل حتي داروا حول العسكر وكانوا آمنين بعد فقد رستم من بينهم فهجم عليهم المسلمون وصاحوا الله اكبر فقام الاعجام من النوم ودار فيهم الحسام وزلت منهم الاقدام وغضب عليهم الملك العلام وعمل فيهم رستم مثل عمل النار في الحطب اليابس فما فرغ الليل الا وعسكر العجم ما بين قتيل وهارب ومجروح وغنم المسلمون الثقل والخيام وخزائن الاموال والخيل والجمال ثم نزلوا في خيام الاعجام واستراحوا حتي اقبل الملك غريب ونظر ما فعل رستم وكيف دبر الحيلة وقتل الاعجام وكسر عسكرهم فخلع عليه وقال له يا رستم انت الذي كسرت العجم فجميع الغنيمة لك فقبل يد الملك وشكره واستراحوا يومهم ثم ساروا طالبين ملك العجم ووصل المهزومون ودخلوا علي الملك سابور وشكوا له الويل والثبور وعظائم الامور فقال لهم سابور ما الذي دهاكم ومن بشره رماكم فحكوا له ما جري وكيف هجم عليهم في ظلام الليل فقال سابور ومن الذي هجم عليكم الا مقدم عسكرك لانه اسلم واما غريب فلم يأتنا فلما سمع الملك بذلك رمي تاجه علي الارض وقال مابقي لنا قيمة ثم التفت الي ولده ورد شاه وقال له يا ولدي مالهذا الامر الا انت فقال وردشاه وحياتك يا والدي لابد من ان اجئ بغريب وكبراء قومه في الحبال واهلك كل من كان معه واحصي عسكره فوجدهم مائتي الف وعشرين الفا وباتوا علي نية الرحيل وقد اصبح الصباح وارادوا ان يرحلوا واذا هم بغبار قد ثار حتي سد الاقطار وقد حجب اعين النظار وكان الملك سابور راكبا لوداع ولده فلما نظر الي هذا العجاج العظيم صاح علي ساع وقال اكشف لي خبر هذا الغبار فراح وعاد ثم قال يا مولاي قد اتي غريب وابطاله فعند ذلك حطوا الاحمال واصطف الرجال للحرب والقتال فلما اقبل غريب على اسبانير المدائن ونظر الاعجام وقد عزموا على الحرب والكفاح ندب قومه وقال احملوا باركت النار فيكم فعندها هزو العلم وانطبقت العرب والعجم والامم علي الامم وجري الدم وانسجم وعاينت النفوس العدم وتقدم الشجاع وهجم وولى الجبان وانهزم ولم يزالوا في حرب وقتال حتي ولي النهار فدقوا طبول الانفصال وافترقوا من بعضهم وامر الملك سابور ان ينصبوا الخيام علي باب المدينة وكذلك الملك غريب نصب خيامه قبال خيام الاعجام ونزل كل واحد في خيامه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة التاسعة والستون بعد الستمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد أن عسكر الملك غريب وعسكر الملك سابور لما انفصلوا من بعضهم ذهب كل واحد الي خيامه حتي اصبح الصباح ثم ركبوا الجرد والقراح واقاموا الصياح وقد حملوا الرماح ولبسوا عدة الكفاح وتقدم كل بطل جحجاح وليث وقاح فاول من فتح باب الحرب رستم فقدم جواده الي وسط الميدان وصاح الله اكبر انا رستم مقدم ابطال العرب والعجم هل من مبارز هل من مناجز لا يبرز لي اليوم كسلان ولا عاجز فبرز له طومان من العجم وحمل علي رستم ورستم حمل عليه ووقع بينهما حملات منكرات فوثب رستم علي غريمه وضربه بعمود كان معه وزنه سبعون رطلا فخسف رأسه في صدره فوقع علي الارض قتيلا وفي دمه غريقا فما هان ذلك علي الملك سابور فامر قومه بالحملة علي المسلمين واستغاثوا بالشمس ذات الانوار واستغاث المسلمون بالملك الجبار وتكاثر العجم علي العرب وسقوهم كاس العطب فعند ذلك صاح غريب وتقدم بهمته وسحب سيفه الماحق سيف يافث وحمل علي الاعجام وكان الكيلجان والقورجان بركاب الملك غريب ولم يزل مكرا بسيفه حتي وصل الي رافع العلم فضربه علي رأسه صفحا فوقع علي الارض مغشيا عليه فاخذه الماردان الي خيامهم فلما نظرت الاعجام العلم وقد وقع ولوا هاربين والي ابواب المدينة طالبين فتبعهم المسلمون بالسيوف حتي وصلوا الي الابواب وازدحموا فيها فمات منهم خلق كثير ولم يقدروا علي غلق الابواب فهجم رستم والجمرقان وسعدان وسهيم والدامغ والكيلجان والقورجان وجميع ابطال المسلمين وفرسان الموحدين علي الاعجام المارقين في الابواب وجري الدم من الكفار وفي الازقة مثل التيار فعند ذلك نادوا الامان فرفعوا السيف عنهم فرموا سلاحهم وعددهم وساقوهم سوق الغنم الي خيامهم وكان غريب قد رجع الي سرادقه وقلع سلاحه ولبس ثياب العز بعدما اغتسل من دم الكفار وقعد علي تخت ملكه وطلب ملك العجم فجاؤا به واوقفوه بين يديه فقال له يا كلب العجم ما حملك علي ما فعلت بابنتك كيف تراني لا اصلح لها بعلا فقال يا ملك لا تواخذني بما فعلت فاني ندمت وما واجهتك بالقتال الا خوفا منك فلما سمع غريب هذا الكلام امر ان يصطحوه ويضربوه ففعلوا ما امرهم به حتي قطع الانين ثم ادخلوه عند المحبوسين ثم دعا بالاعجام وعرض عليهم الاسلام فاسلم منهم مائة وعشرون الفا والباقي راحوا علي السيف واسلم

كل من في المدينة من الاعجام وركب غريب في موكب عظيم ودخل اسبانير المدائن وجلس علي كرسي سابور ملك العجم وخلع ووهب وفرق الغنيمة والذهب وفرق علي الاعاجم فاحبوه ودعوا له بالنصر والعز والبقاء ثم ان ام فخرتاج تذكرت بنتها واقامت العزا وامتلأ القصر بالصراخ والصياح فسمعهم غريب فدخل عليهم وقال ما خبركم فتقدمت ام فخرتاج وقالت له يا سيدي انك لما حضرت تذكرت ابنتي وقلت لو كانت طيبة كانت فرحت بقدومك فبكي غريب عليها وجلس علي تخته وقال ائتوني بسابور فاتوا به وهو يحجل في القيود فقال له يا كلب العجم ما فعلت بابنتك قال اعطيتها لهذا وهذا وقلت لهما غرقاها في بحر جيحون فدعا غريب بالرجلين وقال لهما هل ماذكره هذا حق قالا نعم ولكن يا ملك ما غرقناها بل شفقنا عليها وتركناها علي شاطئ جيحون وقلنا لها اطلبي النجاة لنفسك ولا ترجعي الي المدينة فيقتلك ويقتلنا معك وهذا ما عندنا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الموفية للسبعين بعد الستمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد أن الرجلين لما حكيا للملك غريب علي قصة فخرتاج وقالا له تركناها علي شاطئ بحر جيحون فلما سمع غريب منهم هذا دعا بالمنجمين فحضروا فقال لهم اضربوا لي تخت رمل وانظروا حال فخرتاج هل هي في قيد الحياة او ماتت فضربوا تخت رمل وقالوا يا ملك الزمان ظهر لنا ان الملكة في قيد الحياة وقد جاءت بولد ذكر وهما عند طائفة من الجان ولكن تغيب عنك عشرين سنة فاحسب كم لك في سفرتك فحسب مدة الغيبة فكان ثمان سنين فقال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وبعث رسلا الي القلاع والحصون التي في حكم سابور فاتوا طائعين فبينما هو جالس في قصره اذ نظر غبار ثار حتي سد الاقطار واظلم الافاق فصاح علي الكيلجان والقورجان وقال ائتيان بخبر هذا الغبار فسار الماردان ودخلا تحت الغبار وخطفا فارسا من الفرسان واتيا به الي غريب واوقفاه بين يديه وقالا له اسأل هذا فانه من العسكر فقال له غريب لمن هذا العسكر فقال يا ملك ان هذا الملك وردشاه صاحب شيراز اتي يقاتلك وكان السبب في ذلك ان سابور ملك العجم لما وقعت الوقعة بينه وبين غريب وجري ما جري قد هرب ابن الملك سابور في شرذمة من عسكر ابيه فسار حتي وصل الي مدينة شيراز ودخل علي الملك وردشاه وقبل الارض ودموعه نازلة علي خدوده فقال له ارفع

رأسك يا غلام وقل لي ما يبكيك فقال يا ملك ظهر لنا ملك من العرب اسمه غريب اخذ ملك ابي وقتل الاعجام وسقاهم كأس الحمـام وحكي له ما جري من غريب من اوله الى آخره فلما سمع وردشاه كلام ابن سابور قال هل امرأتـي طيبة فقال له اخذها غريب فعند ذلك قال وحيات رأسي ما بقيت ابقي علي وجه الارض بدويا ولا مسلما ثم كتب الكتب وارسلها الي نوابه فاقـبلوا فعدهم فوجدهـم خمسة وثمانين الفـا فتح الخزائن وفرق علي الرجال الدروع وآلات السلاح وساربهم حتي وصلوا الي اسبانير المدائن ونزلوا جميعهم قبال باب المدينة فتقدم الكيلجان والقورجـان وقبلا ركبة غريب وقال يا مولانا اجبر قلوبنا واجعل هذا الـعسكر من قسمنـا فقال لهما دونكـما واياهم فعند ذلك طـار الماردان حتي نزلا عـلي سـرادق وردشاه فـوجداه عـلي كـرسي عزه وابـن سابـور جالـس علـي يميـنه والمقدمون حوله صـفان وهم يتشاورون علي قتل المـسلمين فتقدم الكيلـجان وخطف ابن سابور والـقورجان خطفا وردشـاه وسارا بهما الي غـريب فامر بضـربهما حتي غـابا عن الوجود ثم عاد الماردان وسحبا سيفين كل سيـف لا يقدر احد ان يحمله وحطا في الكفار وعجـل الله بارواحهـم الي النـار وبئس الـقرار فلم تـنظر الـكفار سـوي سيفـين يلمـعان ويحصدان الرجال حصد الزرع ولا يرون احدا ففاتـوا خيامهم وساروا علي مجرد الخيل فتبعاهم يومين وقد افنيا منهم خلقا كثيرا ورجع الماردان فقبلا يد غريب فشكرهما علي ما فعلا وقال لهما غنيمة الكفار لكما وحدكما لا يشارككما فيها احد فدعوا له وانصرفا ولما اموالهم واطمـأنا في أوطانهم هذا ما كـان من امر غريب وقومه وادرك شهـرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الحادية والسبعون بعد الستمائة

قالت بـلغني ايهـا الملك السعـيد أن غريبا بعـد ما هزم عسكـر وردشاه امر الكيـلجان والقورجان ان يأخذا اموالهم غـنيمة ولم يشاركهما فيها احد فجمـعا اموالهم وقعدا في اوطانهما واما الـكفار فانهم لم يزالوا في هـزيمتهم حتي وصلوا الي شيـراز واقاموا العزا علي من قتـل منهم وكان للملك وردشاه اخ اسـمه سيران الساحر ليس فـي زمانه اسحر منـه وكان منعـزلا عن اخيـه في حصن مـن الحصون كـثيرا الاشـجار والانهار والاطـيار والازهار وكان بينه وبين مـدينة شيراز نصف يوم فسار القوم المنـهزمون الي ذلك الحصن ودخلوا علـي سيران الساحر وهم بـاكون صارخون فقال لهـم ما ابكاكم يا قوم فـاعلموه

بالخبر وكيف خطف الماردان اخاه وردشاه وابن سابور فلما سمع سيران هذا الكلام صار الضياء في وجهه ظلاما وقال وحق ديني لاقتلن غريبا ورجاله ولا اترك منهم ديارا ولا من يرد الاخبار ثم انه تلي كلمات وطلب الملك الاحمر فحضر فقال له امض الي اسبانير المدائن واهجم علي غريب وهو جالس علي سريره فقاله له سمعا وطاعة ثم انه سار حتي وصل الي الملك غريب فلما رآه غريب سحب سيفه الماحق وحمل عليه وكذلك الكيلجان والقورجان وقصدوا عسكر الملك الاحمر فقتلوا منهم خمسمائة وثلاثين وجرحوا الملك الاحمر جرحا بالغا فولي هاربا وولى قومه مجروحين ولم يزالوا سائرين حتي وصلوا حصن الفواكه ودخلوا علي سيران الساحر وهم يدعون بالويل والثبور فقالوا له يا حكيم ان غريبا معه سيف يافث ابن نوح المطلسم فكل من ضربه به قصمه ومعه ماردان من جبل قاف قد اعطاه اياهما الملك مرعش وهو الذي قتل برقان حين دخل جبل قاف وقتل الملك الازرق وافني من الجن شيئأ كثيرا فلما سمع الساحر كلام الملك الاحمر قال له امض فمضي الي حال سبيله ثم ان الساحر عزم واحضر ماردا اسمه زعازع واعطاه قدر درهم بنج طيار وقال امض الي اسبانير المدائن واقصد قصر غريبا وتصور في صورة عصفور وارصده حتي ينام ولا يبقي عنده احد فخذ البنج وحطه في انفه وأتني به فقال سمعا وطاعة وسار حتي وصل الي اسبانير المدائن وقصد قصر غريب وهو في صورة عصفور وقعد في طاقة من طيقان القصر وصبر حتي دخل الليل وذهبت الملوك الي مراقدهم ونام غريب علي تخته وصبرا المارد حتي نام غريب فنزل واخرج البنج المصحون وذره في انفه فخمدت انفاسه فلفه في ملاية الفرش وحمله ومرق به مثل الريح العاصف فما جاء نصف الليل الا وهو في حصن الفواكه ودخل به علي سيران الساحر فشكره علي فعله واراد ان يقتله وهو في حالة تبنيجه فنهاه رجل من قومه عن قتله وقال له يا حكيم انك ان قتلته اخرب ديارنا الجان لان الملك مرعش صاحبه يحمل علينا بكل عفريت عنده قال له وما نصنع به فقال ارمه في جيحون وهو مبنج فلا يدري من رماه ويغرق ولا يعلم به احد فامر المارد ان يحمل غريبا ويرميه في جيحون وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الثانية والسبعون بعد الستمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد أن المارد حمل غريبا واتي به الي جيحون فاراد ان يرميه في جيحون لم يهن عـليه فعمل رومس خشب وربطه بالحبال ودفـع الرومس بغريب في التيار فـاخذه التيار وراح هذا ما كـان من امر غريب واما قـومه فانهم اصبحـوا يقصدون خدمتـه فلم يجـدوه ووجدوا سبحـته علي تـخته وانتـظروه ان يخرج فـما خرج فطـلبوا الحاجب وقالوا ادخـل الحريم انظر الملك فانه مـاله عادة ان يغيب الي هذا الـوقت فدخل الحاجـب وسأل من فـي الحريم فـقالوا لـه من البـارحة مـا رأيناه فـرجع اليـهم الحـاجب واخبرهم بذلك فتحيروا وقال بعضهم لبعـض تنظر ان يكون راح ليتنزه نحو البساتين ثم انهم سألوا البسـاتينية هل الملك مر عليكم فـقالوا مارأيناه فاغتموا وفتشوا جـميع البساتين ورجعوا آخر النهار باكين وطـاف الكيلجان والقورجان يفتشان عليه فـي المدينة فلم يعرفا له خبرا وعادا بـعد ثلاثة ايام فلبس القـوم السواد وشكوا لرب العباد الـذي يفعل ما اراد فهذا مـا كان من امرهم وامـا ما كان من امر غـريب فانه صار مـلقي علي الـرومس وهو يجري به في التيار خمسة ايام ثم قذفه التـيار في البحر المالح فلعبت به الامواج واختض باطنه فخرج منه البنج ففتح عينيه فـوجد نفسه في وسط البحر والامواج تلعب به فقال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم يا تري من فعل بي هذا الفعل فبينما هو متحير في امره واذا بمركب سائره فـلوح للركاب بكمه فـاتوه واخذوه ثم قالوا من تكـون ومن اي البلاد انت فقال لهم اطعموني واسقوني حتي ترد لي روحي واقول لكم من انا فاتوه بالماء والزاد فاكل وشرب ورد الله عليه عقله فقال يا قوم ما جنـسكم وما دينكم فقالوا نحن من الكرج ونعبد صنما اسمه منقاش فقال لهم تبا لكم ولمعبودكم يا كلاب ما يعبد الا الله الذي خلق كل شئ ويقول للشئ كن فيكون فعندها قاموا عليه بقوة وجنون وارادوا القبض عليه وهو بلا سـلاح فصار كل مـن لكمه رمـاه واعدمه الحيـاة فبطح اربـعين رجلا فتـكاثروا علـيه وشدوا وثاقه وقالوا ما نقتله الا في ارضنا حتـي نعرضه علي الملك ثم ساروا حتي وصلوا الي مدينة الكرج وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الثالثة والسبعون بعد الستمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد أن اهل المركب لما قبضوا علي غريب وكتفوه قالوا ما نقتله الا في ارضنا ثم ساروا الي مدينة الكرج وكان الذي بناها عملاقا جبارا وقد جعل علي كل باب من ابوابها شخصا من نحاس بالحكمة فاذا دخل المدينة احد غريب يصيح ذلك الشخص بالبوق فيسمعه كل من في المدينة فيمسكونه ويقتلونه ان لم يدخل في دينهم فلما دخل غريب صاح ذلك الشخص صيحة عظيمة وصرخ حتي افزع قلب الملك فقام ودخل علي صنمه فوجد النار والدخان يخرجان من فيه وانفه وعينيه وكان الشيطان دخل في جوف الصنم ونطق علي لسانه وقال يا ملك قد وقع لك واحد اسمه غريب وهو ملك العراق وهو يأمر الناس ان يتركوا دينهم ويعبدوا ربه فاذا دخلوا عليك به فلا تبقه فخرج الملك وجلس علي تخته واذا بهم قد دخلوا بغريب ثم اوقفوه بين يدي الملك وقالوا يا ملك قد وجدنا هذا الغلام كافرا بالهتنا ووجدناه غريقا وحكوا له حكايات غريب فقال اذهبوا به الي بيت الصنم الكبير وانحروه امامه لعله يرضي عنا فقال الوزير يا ملك نحره ما هو مليح فانه يموت في ساعة فقال نحبسه ونجمع الحطب ونطلق فيه النار فجمعوا الحطب واطلقوا النار الي الصباح وخرج الملك وخرجت اهل المدينة وامروا باحضار غريب فذهبوا اليه ليحضروه فلم يجدوه فعادوا واعلموا الملك بهروبه فقال وكيف هرب قالوا وجدنا السلاسل والقيود مرمية والابواب مغلقة فتعجب الملك وقال هل هذا في السماء طار و في الارض غار فقالوا لا نعلم ثم قال انا امضي الي الهي واسأله عنه فانه يخبرني اين مضي ثم انه قام وقصد الصنم ليسجد له فلم يجده فصار يمعك عينيه ويقول هل انت نائم ام يقظان والتفت الي وزيره وقال يا وزير اين الهي واين الاسير وحق ديني يا كلب الوزراء لولا انت اشرت علي بحرقه لكنت نحرته فهو الذي سرق الهي وهرب ولابد ان آخذ ثاره ثم سحب سيفه وضرب الوزير فقطع رقبته وكان لرواح غريب والصنم سبب عجيب وذلك انه لما حبس غريب في المخدع قعد بجانب القبة التي فيها الصنم فقام غريب لذكر الله تعالي وطلب من الله عز وجل فسمعه المارد الموكل بالصنم الناطق علي لسانه فخشع قلبه وقال يا خجلتاه من الذي يراني ولا اراه ثم انه تقدم الي غريب وانكب علي اقدامه وقال له يا سيدي ما الذي اقول حتي اصير من حزبك وادخل في ملتك قال تقول لا اله الا الله ابراهيم خليل الله فنطق المارد بالشهادة

فكتب من اهل السعادة وكان اسم المادر زلزال بن المزلزل وابوه من كبار ملوك الجان ثم انه حل غريبا من القيود وحمله مع الصنم وقصدا الجو الاعلي وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الرابعة والسبعون بعد الستمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد أن المارد لما حمل غريباً وحمل الصنم قصد الجو الاعلى هذا ما كان من امره وأما ما كان من أمر الملك فانه لما دخل يسأل الصنم عن غريب لم يجده وجرى ما جرى من امر الوزير وقتله فلما رأى جند الملك ما جرى انكروا عبادة الصنم وسحبوا سيوفهم وقتلوا الملك وحملوا على بعضهم ودار السيف بينهم ثلاثة أيام حتى افنوا بعضهم ولم يبق سوى رجلين فتقوى أحدهما على الأخر فقتله ووثب الصبيان على ذلك الرجل فقتلوه ودقوا في بعضهم حتى هلكوا عن آخرهم وهجت النساء والبنات وقصدوا القرى والحصون وصارت المدينة خالية لم يسكنها إلا البوم هذا ما جرى لهم وأماما كان من امر غريب فانه لما حمله زلزال بن المزلزل وقصد به بلاده وهي جزائر الكافور وقصر البلور والعجل المسحور وكان الملك المزلزل عنده عجل ابلق قد البسه الحلى والحلل المنسوجة بالذهب الأحمر واتخذه الها فدخل المزلزل يوما هو وقومه على عجله فوجده منزعجاً فقال له يا الهى ما الذى أزعجك فصاح الشيطان فى جوف العجل وقال يا مزلزل ان ابنك صبا إلى دين الخليل إبراهيم على يد غريب صاحب العراق ثم حدثه بما جرى من أوله إلى آخره فلما سمع كلام العجل خرج متحيرا وجلس على كرسى مملكته وطلب ارباب دولته فحضروا فحكى لهم ما سمعه من الصنم فتعجبوا من ذلك وقالوا ما نفعل يا ملك قال إذا حضر ولدى ورأيتمونى اعتنقه فاقبضوا عليه فقالوا سمعاً وطاعة ثم بعد يومين دخل زلزال على ابيه ومعه غريب وصنم ملك الكرج فلما دخل من باب القصر هجموا عليه وعلى غريب وقبضوهما واوقفوهما قدام الملك المزلزل فنظر لابنه بعين الغضب وقال له يا كلب الجان هل فارقت دينك ودين ابائك واجدادك قال له دخلت في دين الحق وانت يا ويلك فاسلم تسلم من غضب الملك الجبار خالق الليل والنهار فغضب الملك على ولده وقال له يا ولد الزنا تواجهنى بهذا الكلام ثم انه امر بحبسه فحبسوه ثم التفت إلى غريب وقال له يا قطاعة الأنس كيف لعبت بعقل ولدى وأخرجته من دينه فقال غريب أخرجته من الضلال إلى الهدى ومن

النار إلي الجنه ومن الكفرالى الإيمان فصاح الملك على ما رد اسمه سيار وقال له خذ هذا الكلب وضعه فى وادى النار حتى يهلك وذلك الوادى من فرط حره والتهاب جمره كل من نزل فيه هلك ولا يعيش ساعة ومحيط بذلك الوادى جبل عال املس ليس فيه منفذ فتقدم الملعون سيار وحمل غريبا وطار به وقصد الربع الخراب من الدنيا حتى صار بينه وبين الوادى ساعة واحدة وقد تعب العفريت بغريب فنزله في واد ذى اشجار وانهار وأثمار فلما نزل المارد وهو تعبان نزل غريب من على ظهره وهو مكبل حين نام المارد من التعب وشخر فعالج غريب فى يده حتى حله واخذ حجرا ثقيلا والقاه فوق رأسه فهشم عظامه فهلك لوقته ومضي غريب فى ذلك الوادى وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة الخامسة والسبعون بعد الستمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن غريباً لما قتل المارد مضى فى ذلك الوادى فوجده في جزيرة فى وسط البحر وتلك الجزيرة واسعة وفيها جميع الفواكه مما تشتهيه الشفة واللسان فصار غريب يأكل من اثمارها ويشرب من انهارها ومضت عليه فيها السنون والأعوام وصار يأخذ من السمك يأكل ولم يزل على هذه الحالة منفردا وحده سبع سنين فبينما هو ذات يوم جالس اذ نزل عليه من الجوماردان مع كل مارد رجلان نظروا إلى غريب فقالوا له ما تكون يا هذا ومن أى القبائل أنت وكان غريب قد طال شعره فحسبوه من الجن فسألوه عن حاله فقال لهم ما أنا من الجن ثم أخبرهم بما جرى له من أوله إلى آخره فحزنوا عليه فقال عفريت منهما استمر مكانك حتينئودى هذين الخروفين إلى ملكنا يتغدى بواحد ويتعشى بواحد ونعود إليك ونؤديك إلى بلادك فشكرهما غريب وقال لهما اين الخروفان اللذان معكما فقالا هذان الأدميان فقال غريب استجرت باله إبراهيم الخليل رب كل شيء وهو على كل شيء قدير ثم انهما طارا وقعد غريب ينتظر المارد فبعد يومين أتاه ذلك المارد بكسوة فستره وحمله وطار به الي الجو الأعلى حتى غاب عن الدنيا فسمع غريب تسبيح الأملاك فى الهواء فاصاب المارد منهم سهم من نار فهرب وقصد الأرض حتى بقى بينه وبين الأرض رمية رمح وقد قرب السهم منه وادركه فنهض غريب ونزل عن كاهله ولحقه السهم فصار رمادا ولم يكن نزول غريب إلا في البحر فغطس مقدار قامتين وطلع فعام ذلك اليوم وليلته وثانى يوم حتى ضعفت نفسه

وايقن بـالموت فما جاء اليـوم الثالث إلا وقد يئس من الحياة فبـان له جبل شامخ فـقصده وطلعه ومشى فيـه وتقوت من نبات الأرض واستراح يوما وليله ثم طـلع من أعلى الجبل ونزل من خلـفه وسار يومين فوصل إلى مـدينة ذات اشجار وانهار واسوار وابـراج فلما وصل إلى ابواب المدينـة قام اليه البوابون وقبضوا عـليه واتوابه إلى ملكتهـم وكان اسمها جانشاه وكان لها من العمر خمسمائة سنة وكل مـن دخل مدينتها يعرضونه عليها فتأخذه وتراقده فلما يفرغ عمله تقتله وقد قتلت ناسا كـثيراً فلما اتوا بغريب اليها اعجبها فقالت له مـا اسمك ومـا دينك ومـن أى البلاد أنـت فقـال اسمى غـريب ملـك العراق وديـنى الإسلام فقالت له أخرج مـن دينك وادخل فى دينى وأنا أتزوج بك واجعلـك ملكا فنظر غريب اليها بعين الغضب وقال لها تبالك ولدينك فصاحت عليه وقالت له اتسب صنمي وهو من الـعقيق الأحـمر مرصع بالـدر والجوهر ثم انـها قالت يا رجـال احبسوه فـى قبة الصنم لعله يلين قلبه فحبسوه فى قـبة الصنم وقفلوا عليه الأبواب أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة السادسة والسبعون بعد الستمائة

قالت بلـغنى أيها الملـك السعيد انهم لـما أخذوا غريبا وحبسـوه فى قبة الصنـم وغلقوا عليه الأبـواب ومضوا الى حال سبيـلهم نظر غريب إلى الـصنم وهو من العقـيق الأحمر وفى عنقه قلائد الدر والجوهر فتقدم غريب إلى الصنم وحمله وضرب به الأرض فصار هشيـما ونام حتى طلـع النهار فلـما أصبح جلـست الملكة علـى سريرها وقالـت يا رجال ائتونى بالأسير فسـاروا إلى غريب وفتحوا القبة ودخلوا فوجدوا الصنـم مكسورا فلطموا على وجوههم حتى نزل الدم من آماق عيونهم ثم تقدموا إلى غريب ليمسكوه فلكم منهم واحدا فمات وآخـر فقتله حتى قتـل خمسة وعشرين وهـرب الباقى فدخلوا علـى الملكة جانشاه وهم صارخون فقالت لهم ما الخبر قالوا لها أن الأسير كسر صنمك وقتل رجالك وأخبروها بما كان فرمت تـاجها على الأرض وقالت ما بقى للأصنام قيـمة ثم انها ركبت فى الف بـطل وقصدت بـيت الصنم فـوجدت غريبـا قد خرج من القـبة وقد اخذ سـيفا وصار يقتـل الأبطال ويجندل الرجـال فنظرت جانشـاه إلى غريب وشجاعتـه وغرقت فى محبتـه وقالت ليس لى حاجة بـالصنم وما مرادى إلا هذا الـغريب يرقد فى حضنـى بقية عمرى ثم أنها قالت لرجالها ابعدوا عنه وانـعزلوا ثم انها تقدمت وهمهمت فوقف ذراع

غريب وارتخت سواعده وسقـط السيف من يده فمسكوه وكتفوه ذليلاً حـقيراً متحيرا ثم رجعت جاتـشاه وجلست على سـرير ملكها وامرت قـومها بالإنصراف واختـلت به فى المكان فقالـت له يا كلب العرب اتكـسر صنمى وتقتل رجـالى فقال لها يا ملـعونة لو كان الها لمنع عن نفسه فـقالت له ضاجعنى وأنا أترك لك ما صنعت فقال لـها ما أفعل شيئاً من ذلك فقالت وحق دينـى لا عذبنك عذاباً شديداً ثم انها اخذت ماء وعـزمت عليه ورشته عليه فـصار قردا وصارت تطعـمه وتسقيه ثـم حبسته فى مـخدع ووكلت به من يـقوم به سنتـين ثم دعته يوماً مـن الأيام فاحضرتـه إليها وقالـت اتسمع منى فـقال لها برأسـه نعم ففرحت وخلصـته من السحر وقدمت له الاكل فأكـل معها ولاعبها وقبلهـا فاطمأنت له واقبل الـليل فرقدت وقـالت له قم اعـمل شغلك فـقال لها نعـم ثم ركب علـى صدرها وقبض علي رقبتها فكسرها ولم يقم عنها حتى خرجت روحها ثم نظر إلى خزانه مفتوحة فدخلها فوجد فيها سيفاً مجوهرا ودرقه مـن الحديد الصينى فلبس كامل العدة وصبر إلى الصباح ثـم خرج ووقف على باب القصـر فاقبل الأمراء وارادوا ان يدخلـوا إلى الخدمة فوجدوا غريباً وهو لابس آلة الحرب فقال لهـم ياقوم اتركوا عبادة الأصنام واعبدوا الملك العلام خالق الليـل والنهار رب الانام ومحى العظام وخالق كـل شىء وهو على كل شىء قدير فلـما سمع الكفـار ذلك الكلام هجموا عـليه فحمل علـيهم كأنه أسد كـاسر فجال فيهم وقتل منهم خلقاً كثيراً وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليله السابعة والسبعون بعد الستمائة

قالت بلـغنى أيها الملـك السعيد أن غريـباً لما حمل علـى الكفار قتل مـنهم خلقاً كـثيرا وهجم الليل وهم يـتكاثرون عليه وكلهم سعوا لـه وارادوا أن يأخذوه واذا هو بالف مارد قد هجمـوا على الكفار بالـف سيف ورئيسهم زلزال بـن المزلزل وهو فى أولهم فـاعملوا فيهـم السيف البتـار واسقوهم كأس البـوار وعجل الله وتعـالى بارواحهم الى الـنار ولم يبقوا من قـوم جاتشاه من يرد الأخبار فـصاح الأعوان الامان الأمان وآمنوا بالمـلك الديان الذى لا يشغله شان عن شان مبيد الاكاسرة ومـفنى الجبابرة ورب الدنيا والآخرة ثم سلم زلزال علـى غريب وهناه بالـسلامة فقال له غـريب من اعملـك بحالى فقال يـا مولاى لما حبسنى أبى وأرسلك إلى وادى النار اقمت فى الحبس سنتين ثم اطلقنى فاقمت بعد ذلك سنة ثم عدت إلـى ما كنت عليه فقـتلت ابى وطاعتنى الجـنود ولى سنة وأنا احكم عـليهم

فنمت وأنت فى خاطـرى فرأيتك فى المنام وأنت تقاتل قوم جـاتشاه فاخذت هؤلاء الألف مارد وأتيـت اليك فتعـجب غريب من هـذا الاتفاق ثم اخـذ أموال جاتشاه وامـوال قومه ونصب على المديـنة حاكما وحملت المردة الأموال وغـريباً وما باتوا ليلتهـم إلا فى مدينة زلزال واستـضاف غريب عـند زلزال ستة اشـهر ثم اراد الرواح فـاحضر زلزال الـهدايا وبعث ثلاثـة آلاف مارد فجاءوا بالمال مـن مدينة الكرج ووضـعوه على أموال جاتـشاه ثم أمرهم أن يحملوا الهدايا والاموال وحمل زلزال غريباً وقصدوا مدينة اسبانير المدائن فما جاء نصف الليل إلا وهم فيها فنظر غريب فرأى المدينة محصورة محيطا بها عسكر جرار مثل الـبحير الـزاخر فقال غـريب لزلزال يـا أخى ما سبـب هذه المحاصرة ومـن أين هذا العسكـر ثم نزل غريب على سطـح القصر ونادى يا كوكـب الـصباح يا مهدية فقـامتا من نومهما مدهوشتين وقالتا من ينادينا فى هذا الوقت قال انا مولا كما غريب صاحب الفعل العجيب فلما سمع السيدتان كـلام مولاهما فرحتا وكذلك الجوارى والخدم ونزل غريب فترامـين عليه وزغرتن فـدوى لهن القصر فـاتت المقدمون مـن مراقدهم وقالوا مـا الخبر وطلعوا القصر وقالوا للطواشية هل ولدت واحدة من الجوارى قالوا لا ولكن ابشروا فقد وصل اليـكم الملك غريب فـفرح الأمراء وسلم غريـب على الحريم وخرج الى اصـحابه فتراموا عليه وقبلوا يديه ورجليه وحمدوا الله تـعالى واثنوا عليه وقعد غريب على سريره ونادى اصحابه فحضروا وجلسوا حوله فسألهم عن العسكر النازلين عليهم فقالوا ياملك ان لهم ثلاثة أيام من حين نزلوا علينا ومعهم جن وانس ومائدرى ما يريدون وما وقع بيننا وبيـنهم قتـال ولا كلام فقـال غريب غـدا نبعث إلـيهم كـتاباً ونـنظر ما يـريدون ثم قـالوا وملكهم اسمه مرادشاه وتحت يده مائه ألف فارس وثلاثة آلاف راجل ومائتنان من ارهاط الجان وكان لمجيىء هذا العسكر سبب عظيـم وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة الثامنة والسبعون بعد الستمائة

قالت بلغنى أيها المـلك السعيد أنه كان لمجىء هذا العسكر ونزوله عـلى مدينة أسبانير سبب عظيم وذلك أنه لمـا بعث الملك سابور ابنته مع اثنين من قومـه وقال لهم غرقاها فى جيحون فخرجـا بها وقالا لها امضي إلى حال سبيـلك ولا تظهرى لأبيك فيقتلـنا ويقتلك

فهجت فخرتاج وهى حيرانه لا تعرف اين تتوجه وقالت اين عينك يا غريب تنظر حالى والذى انا فيه ولم تزل سائرة من ارض إلى أرض ومن واد إلى واد حتى مرت بواد كثير الأشجار والأنهار وفى وسطه حصن مبنى عالى البنيان مشيد الأركان كأنه روضة من الجنان فتنحت فخر تاج الى الحصن ودخلته فوجدته مفروشا بالبسط الحرير وفيه من اوانى الذهب والفضه شيء كثير ووجدت فيه مائة جاريه من الجوارى الحسان فلما نظرت الجوارى فخرتاج قمن اليها وسلمن عليها وهن يحسبن انها من جوارى الجن فسألتها عن حالها فقالت لهن أنا بنت ملك العجم وحكت لهم ما جرى لهن فلما سمعت الجوارى هذا الكلام حزن عليها ثم أنهن طيبن قلبها وقلن لها طيبي نفسا وقرى عينا ولك ما تأكلين وما تشربين وما تلبسين وكلنا فى خدمتك فدعت لهن ثم انهن قدمن اليها الطعام فاكلت حتى اكتفت وقالت فخرتاج للجولدى ومن صاحب هذا القصر والحاكم عليكم قالوا سيدنا الملك صلصال ابن دال وهو يأتى فى كل شهر ليلة ويصبح متوجها ليحكم فى قبائل الجان فاقامت عندهن فخرتاج خمسة أيام فوضعت ولداً ذكراً مثل القمر فقطعن سرته وكحلن مقلته وسمينه مرادشاه فتربى فى حجرامه وعن قليل اقبل الملك صلصال وهو راكب على فيل ابيض قرطاسى قدر البرج المشيد وحوله طوائف الجان ثم دخل القصر وتلقته المائة جارية وقبلن الأرض ومعهن فخرتاج فنظرها الملك فقال لجواريه من تكون هذه الجارية فقالوا له بنت سابور ملك العجم والترك والديلم فقال من أتى بها إلى هذا المكان فحكين له ما جرى لها فحزن عليها وقال لا تحزنى واصبرى حتى تربى ولدك ويكبر ثم انى اسير إلى بلاد العجم واقطع رأس أبيك من بين اكتافه واجلس لك ولدك على تخت العجم والترك والد يعلم فقامت فخرتاج وقبلت يديه ودعت له وقعدت تربى ولدها مع أولاد الملك وصاروا يركبون الخيل ويسيرون إلى الصيد والقنص فتعلم صيد الوحش وصيد السباع الضارية ويأكل من لحومها حتى صار قلبه أقسى من الحجر فلما صار له من العمر خمسة عشر عاماً كبرت عنده نفسه فقال لامه يا أماه ومن هو أبى فقالت يا ولدى أبوك الملك غريب ملك العراق وأنا بنت ملك العجم ثم أنها حكت له ما جرى فلما سمع كلامها قال وهل أمر جدى

بقتلك وقتل ابى قالت نعم فقال لها وحق مالك على من التربية لأسيرن إلى مدينة ابيك واقطع رأسه واقدمها إلى حضرتك ففرحت بقوله وادرك شهرزاد الصباح فسكتت على الكلام المباح .

فلما كانت الليلة التاسعة والسبعون بعد الستمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد أن مرادشاه بن فخر تاج صار يركب مع المائتى مارد حتى أنه تربى معهم وصاروا يشنون الغارات ويقطعون الطرقات ولم يزالوا فى سيرهم حتى اشرفوا على بلاد شيراز فهجموا عليها وهجم مرادشاه على قصر الملك فرمى رأسه وهو على تخته وقتل من جنده خلقا كثيرا وصاح الباقى باللسان الأمان الأمان ثم انهم قبلوا ركبه مرادشاه فعدهم فوجدهم عشرة الآلف فارس فركبوا فى خدمته ثم ساروا إلى بلخ فقتلوا ملكها واهلكوا جندها وتملكوا أهلها وساروا إلى نورين وقد سار مرادشاه فى ثلاثين ألف فارس وقد خرج إليهم صاحب نورين طائعا وقدم اليهم الأموال والتحف وركب فى ثلاثين ألف فارس وساروا قاصدين مدينة سمرقند العجم فاخذوها وساروا إلى اخلاط فاخذوها ثم ساروا ولم يصلوا إلى مدينة إلا أخذوها وقد صار مرادشاه فى جيش عظيم والذى يأخذه من الأموال والتحف من المدائن يفرقه على الرجال فحبوه لاجل شجاعته وكرمه وقد وصل الى اسبانير المدائن فقال اصبروا حتى أحضر باقى عسكرى واقبض جدى واحضره قدام امى واشفى قلبها بضرب عنقه ثم أنه ارسل من يجيء بها فلاجل هذا لم يحصل القتال ثلاثة أيام وقد وصل غريب ومعه زلزال فى أربعين ألف مارد حاملين الأموال والهدايا وسأل عن العسكر النازلين فقالوا لا نعلم من أين هم ولهم ثلاثة أيام لم يقاتلونا ولم نقاتلهم ووصلت فخرتاج فاعتنقها ولدها مرادشاه وقال لها اقعدى فى خيمتك حتى اجيء لك بابيك فدعت له بالنصر من رب العالمين رب السموات ورب الأراضين فلما أصبح الصباح ركب مرادشاه والمائتا مارد على يمينه وملوك الأنس على شماله ودقوا طبول الحرب فسمع غريب فركب وحرج ودعا قومه للحرب ووقفت الجن على يمينه والأنس على يساره فبرز مرادشاه وهو غارق فى عدة الحرب فساق جواده يمينا وشمالا ثم نادى يا قوم لا يبرز لى إلا ملككم فان قهرنى كان هو صاحب العسكرين وان قهرته قتلته مثل غيره فلما سمع غريب كلام مرادشاه قال اخسأ يا

كلب العرب ثم حملا على بعضهما وتطاعنا بالرماح حتى تكسرت وتضاربا بالسيوف حتى تثلمت ولم يزالا فى كروفر وقرب وبعد حتى انتصف النهار وقد وقعت الخيل من تحتهما فنزلا على الأرض وقد قبضا بعضهما فعند ذلك هجم مرادشاه على غريب وخطفه وعلقه وارادا أن يضرب به الأرض فقبض غريب على أذنيه وجذبهما بشدة فحس مرادشاه ان السماء انطبقت على الأرض فصاح بملىء فيه وقال انا فى جيرتك يا فارس الزمان فكتفه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة الموفية للثمانين بعد الستمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد أن غريباً لما قبض على أذنى مرادشاه وجذبهما فقال له انا فى جيرتك يا فارس الزمان فكتفه فاراد المردة أصحاب مرادشاه أن يهجموا ويخلصوه فحمل غريب بالف مارد وارادوا أن يبطشوا بمردة مرادشاه فصاحوا الأمان الأمان ورموا سلاحهم فجلس غريب فى سرادقه وكان من الحرير الأخضر مطرزاً بالذهب الأحمر مكللا بالدر والجوهر ثم دعا بمرادشاه فاحضره بين يديه وهو يحجل فى القيود والإغلال فلما نظر مرادشاه إلى غريب اطرق برأسه إلى الأرض من الحيا فقال له غريب يا كلب العرب أى شىء وصفك حتى تركب وتضاهى الملوك فقال يا مولاى لا تؤاخذني فانى معذور قال له غريب ما وجه عذرك قال مراد شاه يامولاي اعلم اني قد خرجت أخذ ثأر ابي وامي من سابور ملك العجم فانه اراد قتلهما فسلمت أمي وما ادري هل قتل ابي ام لا فلما سمع غريب كلامه قال الله انك معذور فمن هو أبوك ومن هى امك وما اسم ابيك وما اسم امك فقال اسم أبى غريب ملك العراق واسم أمى فخرتاج بنت سابور ملك العجم فلما سمع غريب كلامه صرخ صرخة عظيمة ووقع مغشيا عليه فرشوا عليه ماء الورد فلما افاق قال له هل أنت ابن غريب من فخرتاج قال نعم قال غريب أنت فارس ابن فارس حلو القيود عن ولدى فتقدم سهيم والكيلجان وحلا مرادشاه واحتضن ولده واجلسه فى جانبه وقال له اين امك قال هى عندى فى خيمتى قال ائتنى بها فركب مرادشاه وسارا إلى خيامه فتلقاه أصحابه وفرحوا بسلامته وسألوه عن حاله فقال ما هذا وقت سؤال ثم انه دخل عليه وحدثها بما جرى ففرحت فرحا شديدا واتى بها إلى أبيه فتعانقا وفرحا ببعضهما واسلمت فخرتاج واسلم مرادشاه وعرضا على عسكرهما

الاسلام فاسلموا جميعاً قلباً ولسانا وفرح غريب باسلامهم ثم احضر الملك سابور وبخه على فعاله هو وولده وعرض عليهما الإسلام فابيا فصلبهما على باب المدينه وزينوا المدينة وفرح أهل المدينة وزينوها والبسوا مرادشاه التاج الكسروى وجعلوه ملك العجم والترك والديلم وبعث الملك غريب عمه الملك الدامغ ملكا على العراق وقد اطاعته كل البلاد والعباد وقعد غريب في مملكته يعدل فى الرعية وقد احبه الخلق اجمعون ولم يزالوا فى ارغد عيش إلى أن اتاهم هادم اللذات ومفرق الجماعات فسبحان من يدوم عزه وبقاؤه وعلى خلقه جلت الأوه وهذا ما بلغنا من حكاية غريب وعجيب وحكى ايضا أن عبد الله بن معمر القيسى قال حججت سنة إلى بيت الله الحرام فلما اقضيت حجى عدت الى زيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم فبينما انا ذات ليلة جالس فى الروضة بين القبر والمنبر اذ سمعت انينا رقيقاً بصوت رخيم فانصت اليه واذا هو يقول

اشجاك نوح حمائم السدر ... فاهاج منك بلابل الصدر
ام ساء حالك ذكر غانية ... اهدت اليك وساوس الفكر
ياليلة طالت على دنف ... يشكو الغرام وقلة الصبر
اسهرت من يصلى بحرجوى ... متوقد كتوقد الجمر
فالبدر يشهد اننى كلف ... صب بحب شبيهة البدر
ما كنت احسب أنني كاف ... حتى بليت وكنت لا أدرك

ثم انقطع صوته ولم أدر من اين جاءنى فبقيت حائرا واذا به اعاد الأنين وانشد يقول

اشجاك من ريا خيال زائر ... والليل مسودّ الذوائب عاكر
واعتاد مقلتك الهوى بسهاده ... واهتاج مهجتك الخيال الزائر
ناديت ليلى والظلام كأنه ... بحر تلاطم فيه موج زاخر
ياليل طلت على محب ماله ... إلا الصباح مساعد ومؤازر
فاجابنى لا تكون اطالتى ... ان الهوى لهو الهوان الحاضر

قال فنهضت اليه عند ابتداء الأبيات اقصد جهة الصوت فانتهى الى اخر الأبيات إلا وأنا عنده فرأيت غلاماً فى غاية الجمال لم ينبت عذارة وقد خرق الدمع من وجنتيه خرقين وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة الحادية والثمانون بعد الستمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان عبد الله ابن معمر القيسى قالف فنهضت عند ابتداء الأبيات اقصد جهة الصوت فما انتهى إلى آخر الأبيات الا وانا عنده فرأيت غلاماً لم ينبت عداره وقد خرق الدمع من وجنتيه خرقين فقلت له نعمت غلاما فقال وأنت فمن الرجل قلت عبد الله بن معمر القيسى قال ألك حاجة قلت له كنت جالساً فى الروضة فما راعنى هذه الليلة إلا صوتك فبنفسى افديك ما الذى تجده قال اجلس فجلست قال انا عتبة بن الجبان بن المنذر بن الجموح الأنصارى عدوت إلى مسجد الأحزاب فبقيت راكعاً وساجداً ثم اعتزلت اتعبد واذا بنسوة يتهادين كالأقمار وفى وسطهن جارية بديعة الجمال كاملة الملاحة فوقفت على وقالت يا عتبه ما تقول فى وصل من يطلب وصلك ثم تركتنى وذهبت فلم اسمع لها خبرا ولا وقعت على اثرها وها انا حيران انتقل من مكان إلي مكان ثم صرخ وانكب على الارض مغشيا عليه ثم افاق كأنما صبغت ديباجة خديه بورس وانشأ يقول هذه الأبيات

اراكم بقلبى من بلاد بعيدة تراكم ترونى بالقلوب على بعد
فؤادى وطرفى بأسفان عليكم وعندكم روحى ذكركم عندى
ولست الذ العيش حتى أراكم ولو كنت فى الفردوس وجنة الخلد

قلت له ياعتبه يا ابن اخى تب إلى ربك واستغفر من ذنبك فان بين يديك هول الموقف فقال هيهات ما أنا سال حتى يؤوب القارظان ولم أزل معه حتى طلع الفجر فقلت له قم بنا إلى المسجد فجلسنا فيه حتى صلينا الظهر وإذا بالنسوة قد أقبلن وأما الجارية فليست فيهن فقلن يا عتبة ما ظنك بطالبة وصلك قال وما بالها قلن اخذها أبوها وارتحل إلى

السماوة فسألتهن عن اسم الجارية فقلن ريا بنت الغطريف السليمي فرفع رأسه وانشد هذين البيتين .

خليلي رياقداجد بكورها وسارت إلى أرض السماوة عيرها
خليلي أني قد غشيت من البكا فهل عند غيرى عبرة استعيرها

فقلت له يا عتبة اني وردت بمال جزيل اريد به ستر اهل المروة والله لابذلنه امامك حتى تبلغ رضاك وفوق الرضى فقم بنا إلى مجلس الأنصار فقمنا حتى أشرفنا على ملائهم فسلمت عليهم فاحسنوا الرد ثم قلت ايها الملأ ما تقولون فى عتبه وابيه فقالوا من سادات العرب قلت اعملوا انه رمي بداهية الهوى فأريد منكم المساعدة إلى السماوة قالوا سمعا وطاعة فركبنا وركب القوم معنا حتى اشرفنا على مكان بنى سليم فعلم الغرطيف بمكاننا فخرج مبادرا واستقبلنا وقال حييتم يا كرام فقلنا له وانت حييت اتالك اضياف فقال نزلتم باكرم منزل رحب فنزل ثم نادى يا معشر العبيد انزلوا فنزلت العبيد وفرشت الأنطاع والنمارق وذبحت النعم والغنم فقلنا نحن لا نذوق طعامك حتى تقضى حاجتنا قال وما حاجتكم قلنا نخطب ابنتك الكريمة لعتبة بن الجبان بن المنذر العالى الفخر الطيب العنصر فقال يا أخوانى ان التى تخطبونها أمرها لنفسها وأنا أدخل واخبرها ثم نهض مغضباً ودخل إلى ريا فقالت يا أبت مالي أرى الغضب باينا عليك فقال ورد على قوم من الأنصار يخطبونك منى فقالت سادات كرام استغفرلهم النبى عليه أفضل الصلاة والسلام فلمن الخطبة فيهم فقال لها لفتى يعرف بعتبة بن الجبان قالت سمعت عن عتبة هذا أنه يفي بما وعد ويدرك ما طلب فقال اقسمت لا ازوجنك به ابدا فقدنما إلى بعض حديثك معه قالت ما كان ذلك ولكن اقسمت أن الأنصار لا يردون مردّا قبيحاً فاحسن لهم الردّقال بأى شيء قالت اغلظ عليهم المهر فانهم يرجعون قال ما أحسن ما قلت ثم خرج مبادرا فقال أن فتاة الحى قد اجابت ولكن تريد لها مهر مثلها من فمن القائم به قال عبد الله فقلت انا قال أريد لها الف أسورة من الذهب الأحمر وخمسة آلاف درهم من ضرب هجر ومائة ثوب من الأبراد والحبر وخمسة اكرشة من العنبر قال قلت لك ذلك فهل اجبت قال اجبت فانفذ عبد الله نفرا من الأنصار إلى المدينة المنورة

فاتوا بجميع ما ضمنه وذبحت النعم والغنم واجتمع الناس لأكل الطعام قالا فاقمنا على هذا الحال أربعين يوما ثم قال خذوا فتاتكم فحملناها على هودج وجهزها بثلاثين راحلة من التحف ثم ودعنا وانصرف وسرنا حتى بقى بيننا وبين المدينة المنورة مرحلة ثم خرجت علينا خيل تريد الغارة واحسب انها من بني سليم فحمل عليها عتبة بن الجبان فقتل عدة ورجال وانحرف وبه طعنه ثم سقط إلى الأرض واتتنا النصرة من سكان تلك الأرض فطردوا عنا الخيل وقد قضى عتبه نحبه وقلنا واعتبناه فسمعت الجارية ذلك فالقت نفسها من فوق البعير وانكبت عليه وجعلت تصيح بحرقه وتقول هذه الأبيات .

تصبرت لا أنى صبرت وانما اعلل نفسى انها بك لاحقه
ولو انصفت روحى لكانت الى الردى امامك من دون البرية سابقه
فما احدى بعدى وبعدك منصف خليلا ولا نفس لنفس موافق

ثم شهقت شهقة واحدة وانقضى نحبها فحفرنا لهما قبرا واحدا وواريناهما فى التراب ورجعت إلى ديار قومى واقمت سبع سنين ثم عدت إلى الحجاز ودخلت المدينة المنورة للزيارة فقلت والله لاعودن إلى قبرعتبه فاتيت الى فإذا هو عليه شجرة عالية عليها عصائب حمر وصفر وخضر فقلت لا رباب المنزل ما يقال لهذه الشجرة فقالوا شجرة العروسين فاقمت عند القبر يوما وليلة وانصرفت وكان آخر العهد به رحمها الله تعالى وحكي ايضا ان هند ابنت النعمان كان أحسن نساء زمانها فوصف للحجاج حسنها وجمالها فخطبها وبذل لها مالا كثيرا وتزوج بها وشرط لها عليه بعد الصداق مائتى الف درهم فلما دخل بها مكث معها مدة طويلة ثم دخل عليها فى بعض الايام وهي تنظر وجهها فى المرآة وتقول .

وما هند إلا مهرة عربية سلالة افراس تحللها بغل
فان ولدت انثى فالله درها وان ولدت بغلا فجاء به البغل

فلما سمع الحجاج ذلك انصرف راجعاً ولم يدخل عليها ولم تكن علمت به فاراد الحجاج طلاقها فبعث اليها عبد الله بن طاهر يطلقها فدخل عبد الله بن طاهر عليها فقال لها يقول لك الحجاج أبو محمد كان تأخر لك عليه من الصداق مائتا الف درهم وهى هذه حضرت معى ووكلنى فى الطلاق فقالت اعلم يا ابن طاهر اننا كنا معا والله ما فرحت به يوما قط وأن آن تفرقنا والله لا أندم عليه ابدا وهذه المائتا الف درهم لك بشارة بخلاصى من كلب ثقيف ثم بعد ذلك بلغ امير المؤمنين عبد الملك بن مروان خبرها ووصف له حسنها وجمالها وقدها واعتدالها وعذوبة الفاظها وتغزل الحاظها فارسل يخطبها وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة الثانية والثمانون بعد الستمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن امير المؤمنين عبد الملك بن مروان لما بلغه حسن الجارية وجمالها ارسل اليها يخطبها فارسلت اليه كتاباً تقول فيه بعد الثناء على الله والصلاة على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أما بعد فاعلم يا أمير المؤمنين أن الكلب ولغ في الاناء فلما قرأ كتابها أمير المؤمنين ضحك من قولها وكتب لها قوله صلى الله عليه وسلم إذا ولغ الكلب فى اناء احدكم فليغسله سبعاً احداهن بالتراب وقال اغسلى القذى عن محل الاستعمال فلما رأت كتاب أمير المؤمنين لم يمكنها المخالفة وكتبت اليه تقول بعد الثناء على الله تعالى أعلم يا أمير المؤمنين انى لا أجرى العقد إلا بشرط فان قلت ما الشرط أقول ان يقود الحجاج محملي إلى بلدك التى أنت فيها ويكون حافياً بملبوسه الذى هو لابسه فلما قرأ عبد الملك الكتاب ضحك ضحكاً عالياً شديدا وأرسل إلى الحجاج يأمره بذلك فلما قرأ الحجاج رسالة أمير المؤمنين اجاب ولم يخالف وامتثل الأمر ثم أرسل الحجاج إلى هند يأمرها بالتجهيز فتجهزت فى محمل وجاء الحجاج فى موكبه حتى وصل إلى باب هند فلما ركبت المحل وركب حولها جواريها وخدمها ترجل الحجاج وهو حاف واخذ بزمام البعير يقوده وصار بها فصارت تسخر منه وتهزأ به وتضحك عليه مع بلانتها وجواريها ثم انها قالت لبلانتها اكشفي لي ستاره المحمل فكشفتها حتى قابل وجهها وجهه فضحكت عليه فانشد هذا البيت

فان نضـحكي يا هـند يا رب ليلـة تركتـــك فيها تـسـهر بـن نواحاً

فاجابته بهذين البيتين

ومـا نـبالـى إذا ارواحـنـا سـلـمت بمـا فـقـدنـاه مـن مال ومـن نـشـب

فالمـال مكتسـب والعـــز مر تجـــع إذا اشتفـى المرد من داء ومن عـطب

ولـم تزل تضحك وتلعـب إلى أن قربت من بلد الخليفه فلما وصـلت إلى البلد رمت من يدها دينـارا على الأرض وقالت له يا جمال انـه قد سقط منادرهم فانظـره وناولنا اياه فنظر الحجاج إلى الأرض فلم ير إلا دينارا فقال لها هذا دينار فقالت له بل هو درهم فقال لها بل هو دينار فقالت الحمد لله الذى عوضنا بـالدرهم الساقط دينارا فنالولنا اياه فخجل الحجاج من ذلـك ثم انه أوصلها الـتى قصر أمير المؤمـنين عبد الملك بـن مروان ودخلت عليه وكانت محظية عنده وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة الثالثة والثمانون بعد الستمائة

قالت بلـغنى أيها الملـك السعيد أنه كان فـى أيام امير المؤمنـين سليمان بن عـبد الملك رجل يقال له خزيمة ابـن بشر من بنى اسد كان له مروءة ظاهرة ونـعمة وافرة وفضل وبر بالإخـوان فلم يزل عـلى ذلك الحـال حتى اقعـده الدهر فـاحتاج إلـى أخوانه الذيـن كان يتفـضل عليهـم ويواسيهم فـواسوه حينا ثـم ملوابه فـلما لاح له تغـيرهم عليـه ذهب إلى امرأته وكانت ابنه عمه فقال لها يا ابنه عـمى قد رأيت من اخواني تغيرا وقد عزمت على ان الزم بيتـى إلى أن يأتيني الموت فاغـلق بابه عليه وأقـام يتقوت بما عنده حتـى نفد وصار حائراً وكان يعـرفه عكرمة الفياض الـربعي متولى الجزيرة فـبينما هو فى مجـلسه اذ ذكر خزيمة بـن بشر فقال عكـرمة الفياض مـا حاله فقالـوا له قد صار إلى أمر لا يـوصف وانه أغلق بابـه ولزم بيته فقال عكـرمة الفياض انما حصـل له ذلك لشدة كرمه وكيـف لم يجد خزيمة بن بشر مواسيا ولا موافيا فقالوا انه لم يـجد شيئاً من ذلك فلما جاء الليل عمد إلى أربعـة آلاف دينار فجـعلهـا في كيس واحـد ثم امر بـإسراج دابتـه وخرج سرا من أهـله

وركب ومعه غلام من غلمانه يحمل المال ثم سارحتى وقف بباب خزيمة فأخذ الكيس من غلامه ثم ابعده عنه وتقدم إلى الباب فدفعه بنفسه فخرج إليه خزيمة فناوله الكيس وقال له أصلح بهذا شأنك فأخذه فرأه ثقيلا فوضعه عن يده ومسك بلجام الدابة وقال له من انت جعلت نفسى فداك فقال له عكرمة يا هذا مـا جئتك فى مثل هذا الوقت واريد ان تعرفنى قال فما اقـيلك حتى تعرفـنى من أنت فقال أنا جـابر عثرات الكرام قال فـزدنى قال لا ثم مضى ودخل خـزيمة بالكيس إلى ابنـة عمه فقال لها ابشـرى فقد اتى الله بالفـرج القريب والخير فان كانت هذه دراهم فانها كثيرة قومـى فاسرجى قالت لا سبيل إلى السراج فبات يلمسها بيده فيجد خشونة الدنانير فلا يـصدق انها دنانير وأما عكرمة فانه رجع إلى منزله فوجد امرأتـه قد تفقدته وسـألت عنه فاخبـرت بركوبه فانكـرت ذلك عليه وارتابـت منه وقالت له أن والى الجزيرة لا يخرج بعد مدة من الليـل منفرداً عن غلمانه فى سر من أهله إلا إلى زوجة أو سرية فقال لهـا علم الله أنى ما خرجت فى واحدة منهمـا فقالت اخبرنى فيم خرجت قال لها ما خرجت فى هذا الوقت إلا لاجل أن لا يعلم به احد قالت لابد من اخبارى قال هل تكـتمينه اذا قلت لك قالت نعـم فاخبرهما بالقصة علـى وجهها وما كان من امره ثم قال لها اتحبين أن احلف لك أيضـاً قالت لا لا فان قلبى قد سكن وركن الى ما ذكرت وأما خـزيمة فانه لما أصبـح صالح الغرما واصـلح حاله ثم تجـهز بريد سليـمان بن عبد المـلك وكان نازلا يومئـذ بفلسطين فـلما وقف ببابـه واستأذن حجابه دخـل الحاجب فاخبره بمكانه وكان مشهورا بالمروءة وكان سليمان به عارفا فاذن له في الدخول فلما دخل سلم علـيه سلام الخلافة فقـال له سليمان بـن عبد الملك يا خـزيمه ما أبطأك عنـا قال سوءا الحال قال فما منعك من النهضة الينا قال ضـعفي يا أمير المؤمنين قال فبم نهضت الآن قال له أعلم يا أمير المؤمنين انى كنت فى بيـتى بعد مدة من الليل وإذا برجل طرق الباب وكان من امره كذا وكـذا واخبره بقصته مـن أولها إلى اخرها فـقال سليمان هل تـعرف الرجل فقال خزيمة لا أعرفه يا أمـير المؤمنين وذلك أنه كان متكبراً وما سمـعت من لفظه إلا قوله أنا جابر عثرات الكرام فتلهب وتلهف سليمـان بن عبد الملك على معرفته وقال لو عرفناه لكافأنـاه على مروءته ثم عقـد لخزيمة بن بشر لواء وجعـله عاملا على الجزيـرة عوضا عن عكرمة الفياض فـخرج خزيمة قاصداً الجزيرة فلما قرب منهـا خرج عكرمة ولاقاه وخرج

اهل الجزيرة فى ملاقاته فسلما على بعضهما ثم ساروا جميعاً إلى أن دخل البلد فنزل خزيمة دار الأمارة أن يؤخذ من عكرمة كفيلا وأن يحاسب فحوسب فوجد عليه اموالا كثيرة فطالبه باداثها قال مالى إلى شىء من سبيل قال لابد منها قال ليست عندى فاصنع ما أنت صانع فامر به الى الحبس وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة الرابعة والثمانون بعد الستمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد أن خزيمة لما أمر بحبس عكرمة الفياض ارسل اليه يطالبه بما عليه فارسل يقول له أنى لست ممن يصون ما له بعرضه فاصنع ماشئت فأمر ان يكبل بالحديد ويسجن فاقام شهرا أو أكثر حتى اضناه ذلك واضربه حبسه ثم بلغ ابنة عمه خبره واغتمت لذلك غاية الغم ودعت مولاة لها كانت ذات عقل وافر ومعرفة وقالت لها امضى فى هذه الساعة إلى باب الأمير خزيمة بن بشر وقولى ان عندى نصيحة فإذا طلبها منك احد فقولى لا أقولها إلا للأمير فإذا دخلت عليه فاساليه الخلوة فإذا اختليت به فقولى ما هذا الفعل الذى فعلته ما كان جزاء جابر عثرات الكرام منك إلا أن كافأته بالحبس الشديد والضيق فى الحديد ففعلت الجارية ما امرت به فلما سمع خزيمة كلامها نادى بأعلى صوته واسوأتاه وانه لهو قالت نعم فامر من وقته بدايته فاسرجت ودعا بوجوه البلد فجمعهم اليه واتى بهم إلى باب الحبس وفتحه ودخل خزيمة ومن معه فرأوه قاعدا متغير الحال وقد اضناه الضرب وإلا لم فلما نظر اليه عكرمة أخجلة ذلك فنكس رأسه فاقبل خزيمة وانكب على رأسه فقبلها فرفع عكرمة اليه رأسه وقال له ما أعقب هذا منك قال كريم افعالك وسوء مكافأتى قال يغفر الله لنا ولك ثم أمر خزيمة السبحان أن يفك القيود عنه وامر أن توضع القيود فى رجليه فقال عكرمة ماذا تريد قال اريد أن ينالنى مثل ما نالك فقال عكرمة اقسم عليك بالله أن لا تفعل ثم خرجا جميعاً حتى وصلا إلى دار خزيمة فودعه عكرمة واراد الأنصراف فمنعه خزيمة من ذلك فقال عكرمة ما تريد قال أريد أن أغير حالك فان حيائى من ابنة عمك أشد من حيائى منك ثم امر باخلاء الحمام فاخلى ودخلا جميعاً فقام خزيمة وتولى خدمته بنفسه ثم خرجا فخلع عليه خلعة نعيمة واركبه وحمل معه مالا كثيراً ثم سار معه إلى داره واستأذنه فى الاعتذار إلى ابنة عمه فاعتذر إليها ثم سأله بعد ذلك ان يسير معه إلى سليمان بن عبد الملك وكان يومئذ مقيما

بالرملة فاجابه إلى ذلك وسارا جميعاً حتى قدما على سليمان بن عبد الملك فدخل الحاجب وأعمله بقدوم خزيمة بن بشر فراعه ذلك وقال هل وإلى الجزيرة بقدم بغير امرنا ما هذا الا لحادث عظيم فأذن في الدخول فلما دخل قال له قبل ان يسلم عليه ما وراءك يا خزيمة قال له الخير يا أمير المؤمنين قال له فما الذى اقدمك قال ظفرت بجابر عثرات الكرام فاحببت أن أسرك به لما رأيت من تلهفك على معرفته وشوقك إلى رؤيته قال ومن هو قال عكرمة القياض فاذن له بالتقرب فتقرب وسلم عليه بالخلافة فرحب وادناه من مجلسه وقال له يا عكرمة ما كان خيرك له وبالا عليك ثم قال سليمان اكتب حوايجك كلها جميعاً وما تحتاج اليه فى رقعة ففعل ذلك فامر بقضائها من ساعته وامر له بعشرة آلاف دينار خلاف الحوايج التى كتبها وعشرين تختا من الثياب زيادة على ما كتبه ثم دعا بقناة وعقد له لواء على الجزيرة وارمانية وازربيجان وقال له أمر خزيمة اليك ان شئت ابقيته وان شئت عزلته قال بل اردده إلى محله يا أمير المؤمنين ثم انصرفا من عنده جميعاًولم يزالا عاملين لسليمان بن عبد الملك مدة خلافته وحكى أيضاً أنه كان فى مدة خلافة هشام بن عبد الملك رجل يسمى يونس الكاتب وكان مشهوراً فخرج مسافرا إلى الشام ومعه جارية فى غاية الحسن والجمال وكان عليها جميع ما تحتاج إليه وكان قدر ثمنها مائة ألف درهم فلما قرب من الشام نزلت القافلة على غدير ماء ونزل هو بناحية من نواحيه واضاب من طعام كان معه واخرج ركوة كان فيها نبيذ فبينما هو كذلك وإذا بفتى حسن الوجه والهيبة على فرس اشقر ومعه خادمان فسلم عليه وقال له اتقبل ضيفاً قال نعم فنزل عنده وقال له اسقنا من شرابك فاسقاه فقال ان شئت ان تغنى لنا صوتاً فغنى منشدا هذا البيت .

حوت من الحسن مالم تحوه بشر ... فلذلى فى هواها الدمع والسهر

فطرب طربا شديداً واسقاه مرارا حتى مال به السكر ثم قال قل لجاريتك أن تغنى فغنت منشدة هذا البيت .

حورية حار قلبى فى محاسنها ... فلا قضيب ولا شمس ولا قمر

فطرب طرباً شديد أو اسقاه مرارا ولم يزل مقيما عنده إلى أن صليا العشاء ثم قال له ما أقدمك على هذا البلد قال ما اقضى به ديني واصلح به حالى فقال له اتبيعنى هذه

الجارية بثلاثين ألف درهم قلت ما أحوجني إلى فضل الله والمزيد منه قال يقنعك فيها أربعون ألفا قال فيها قضاء ديني وأبقى صفر اليدين قال قد أخذناها بخمسين ألفامن الدراهم ولك بعد ذلك كسوة ونفقة طريقك وأشركك في حالي ما بقيت فقال قد بعتكها قال أفتثق بي ان واصل اليك ثمنها في غد واحملها معي أو تكون عندك إلى ان احمل ذلك اليك غدا فحمله السكر والحياء مع الخشية منه على أن قال له نعم قد وثقت بك فخذها قد بارك الله لك فيها فقال لاحد غلاميه احملها على دابتك وارتدف وراءها وامض بها ثم ركب فرسه وودعه وانصرف فما هو إلا أن غاب عن البائع ساعة فتفكر البائع في نفسه وعرف أنه اخطأ في بيعها وقال في نفسه ماذا صنعت حتى اسلم جاريتي إلى رجل لا اعرفه ولا أدرى من هو وهب انى عرفته فمن اين الوصول إليه ثم جلس متفكرا إلى أن صلي الصبح ودخل اصحابه دمشق وجلس هو حائرا يدى ما يفعل واستمر جالساً حتى احرقته الشمس وكره المقام فهم بالدخول في دمشق ثم قال في نفسه إن دخلت لم آمن أن الرسول يأتي فلا يجدني فاكون قد جنيت على نفسي جناية ثانية فجلس في ظل جدار كان هناك فلما ولى النهار وإذا باحد الخادمين اللذين كانا مع الغلام قد اقبل عليه فلما رأه حصل له سرور عظيم وقال في نفسه ما أعرف إنى سررت بشيء اعظم من سروري هذا الوقت بالنظر إلى الخادم فلما جاءه الخادم قال له يا سيدى قد ابطأنا عليك فلم يذكر له شيئاً من الولد الذى كان به ثم قال له الخادم هل تعرف الرجل الذى اخذ الجاريه فقال له لا قال هو الوليد ابن سهل ولى العهد فسكت عند ذلك ثم قال قم فاركب وكان معه دابة فاركبه اياها وصارا إلى أن وصلا إلى دارفد خلاها فلما رأته الجارية وثبت اليه وسلمت عليه فقال لها ما كان من امرك مع من اشتراك قالت انزلني في هذه الحجرة وامر لى بما احتاج اليه فجلس عندها ساعة وإذا بخادم صاحب الدار قد جاء اليه ثم قال له قم فقام معه ودخل به على سيده فوجده ضيفه بالأمس ورأه جالساً على سرير فقال لى من أنت فقال له يونس الكاتب قال مرحبا بك قد كنت والله اتشوق إلى رؤيتك فاني كنت اسمع بخبرك فكيف كان مبيتك في ليلتك فقال له بخير عزك الله تعالى ثم قال لعلك ندمت على ما كان منك البارحة وقلت في نفسك إنى دفعت جاريتي إلى رجل لاأعرفه ولاأعرف اسمه ولا من أي البلاد هو فقال له معاذ الله وقلت في نفسك إنى دفعت جاريتي الى رجل لا اعرفه ولا اعرف اسمه ولا من أي البلاد هو فقال

له معاذ الله ايها الأميران اندم عليها ولوا هديتها إلى الأمير لكانت اقل ما يهدى اليه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والثمانون بعد الستمائة

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن يونس الكاتب لما قال للوليد بن سهل معاذ الله ان اندم ولو اهديتها للامير لكانت اقل ما يهدي اليه وما هذه الجارية بالنسبة الي مقامه فقال له الوليد والله اني ندمت علي اخذها منك وقلت هذا رجل غريب لا يعرفني وقد دهمته وسفهت عليه في استعجالي باخذ الجارية افتذكر ما كان بيننا قلت نعم قال أتبعني هذه الجارية بخمسين الف درهم قال نعم قال هات يا غلام المال فوضعه بين يديه فقال يا غلام هات الفا وخمسمائة دينار فاتي بها ثم قال هذا ثم جاريتك فضمه اليك وهذا الالف دينار لحسن ظنك بنا وهذه الخمسمائة دينار لنفقة طريقك وما تبتاعه لاهلك ارضيت قال رضيت وقبلت يديه وقلت والله قد ملأت عيني ويدي وقلبي ثم قال الوليد والله اني لم اخل بها ولا شبعت من غنائها علي بها فجاءت فامرها بالجلوس فجلست فقال لها غني فانشدت هذا الشعر

ايامن حاز كل الحسن طرا ... ويا حلو الشمائل والدلال
جميع الحسن في ترك وعرب ... وما في الكل مثلك يا غزالي
فاعطف يا مليح علي محب ... بوعدك لو بطيف من خيال
حلالي فيك ذلي وافتضاحي ... وطاب لمقلتي سهر الليالي
وما انا فيك اول مستهام ... فكم قبلي قتلت من الرجال
رضيتك لي من الدنيا نصيبا ... وانت اعز من روحي ومالي

فطرب طربا شديدا وشكر حسن تأديبي لها وتعليمي اياها ثم قال يا غلام قدم له دابة بسرجها وآلاتها لركوبه وبغلا لحمل حوايجه ثم قال يا يونس اذا بلغك ان هذا الامر قد افضي الي فالحق بي فوالله لاملأن بالخير يديك ولأعلين قدرك ولأغنينك ما بقيت فاخذت المال وانصرفت فلما افضت اليه الخلافة سرت اليه فوفي لي والله بوعده وزاد في

اكرامي وكنت معه علي اسر حال واسني منزلة وقد اتسعت احوالي وكثرت اموالي وصار لي من الضياع والاموال ما يكفيني الي مماتي ويكفي ورثتي من بعدي ولم ازل معه حتي قتل رحمة الله تعالي عليه وحكي ايضا ان امير المؤمنين هارون الرشيد مر في بعض الايام وصحبته جعفر البرمكي واذا هو بعدة بنات يسقين الماء فعرج عليهن يريد الشرب واذا احداهن التفتت اليهن وانشدت هذه الابيات

قولي لطيفك ينثني عن مضجعي وقت المنام
كي استريح وتنطفي نار تأجج في العظام
دنف تقلبه الاكف علي بساط من سقام
اما انا فكما علمت فهل لوصلك من دوام

فاعجب امير المؤمنين ملاحتها وفصاحتها وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والثمانون بعد الستمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن امير المؤمنين لما سمع هذه الابيات من البنت اعجبته ملاحتها وفصاحتها فقال لها يا بنت الكرام اهذا من مقولك أم من منقولك قالت من مقولي قال اذا كان كلامك صحيحا فامسكي المعني وغيري القافية فانشدت تقول

قولي لطيفك ينثني عن مضجعي وقت الوسن
كي استريح وتنطفي نار تأجج في البدن
دنف تقلبه الاكف علي بساط من شجن
اما انا فكما علم فهل لوصلك من ثمن

فقال لها والاخر مسروق قالت بل كلامي فقال ان كان كلامك ايضا فامسكي المعني وغيري القافية فجعلت تقول

قولي لطيفك ينثني عن مضجعي وقت الرقاد
كي استريح وتنطفي نار تأجج في الفوائد

دنــــــف تـقـلـبـــه الاكـــــف عـــلـي بـســاط مـــن سـهـــاد
امــا انــا فــكـمــــا عـلـمـت فــهــل لــوصــلــك مــن ســداد

فقال لها والاخر مسروق قالت بل كلامي فقال ان كان كلامك ايضا فامسكي المعني وغيري القافية فقال

قــولـــي لـطـيفـــك ينثـنـــي عـن مـضـجـعـي وقـت الـهـجـوع
كــي استــريـح وتـنـطـفـــي نـــار تـأجـــج فــي الــضـلـــوع
دنـــف تـــقـــلـــبـــه الاكـــف عـــلـــي بـــســـاط مـــن دمـــوع
امـا انـا فـكـمـا عـلـمــــــت فـهـــل لـوصـلـــك مـــن رجـــوع

فقال لها امير المؤمنين من اي هذا الحي قالت من اوسطه بيتا واعلاه عمودا فعلم امير المؤمنين انها بنت كبير الحي ثم قالت له وانت من اي رعاة الخيل فقال من اعلاها شجرة واينعها ثمرة فقبلت الارض وقالت ايدك الله يا امير المؤمنين ودعت له ثم انصرفت مع بنات العرب فقال الخليفة لجعفر لابد من زواجها فتوجه جعفر الي ابيها وقال له ان امير المؤمنين يريد ابنتك فقال حبا وكرامة تهدي جارية الي حضرة مولانا امير المؤمنين ثم جهزها وحملها اليه وتزوجها ودخل بها فكانت عنده من اعز نسائه واعطي والدها مايستره بين العرب من الانعام ثم بعد ذلك انتقل والدها الي رحمة الله تعالي فورد علي الخليفة خبر وفاة ابيها فدخل عليها وهو كئيب فلما شاهدته وعليه الكآبة نهضت ودخلت الي حجرتها وقلعت كل ما كان عليها من الثياب الفاخرة ولبست الحداد واقامت النعي عليه فقيل لها ما سبب هذا قالت مات والدي فمضوا الي الخليفة فاخبروه فقام واتي اليها وسألها من اخبرها بهذا الخبر قالت وجهك يا امير المؤمنين قال وكيف ذلك قالت لاني من منذ استقريت عندك ما رأيتك هكذا الا في هذه المرة ولم يكن لي من اخاف عليه الا والدي لكبره وتعيش رأسك يا امير المؤمنين فتغرغرت عيناه بالدموع وعزاها فيه واقامت مدة حزينة علي والدها ثم لحقت به رحمة الله عليهم اجمعين وحكي ايضا ان امير المؤمنين هارون الرشيد ارق ارقا شديدا في ليلة من الليالي فقام من فراشه وتمشي من مقصورة الي مقصورة ولم يزل قلقا في نفسه قلق زائد فلما اصبح قال علي بالاصمعي

فخرج الطواشي الي البوابين وقال يقول لكم امير المؤمنين ارسلوا الي الاصمعي فلما حضر اعلم به امير المؤمنين فامر بادخاله واجلسه ورحب به وقال له يا اصمعي اريد منك ان تحدثني باجود ما سمعت من اخبار النساء واشعارهن فقال سمعا وطاعة لقد سمعت كثيرا ولم يعجبني سوي ثلاثة ابيات انشدهن ثلاث بنات وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة السابعة والثمانون بعد الستمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الاصمعي قال لامير المؤمنين لقد سمعت كثير ولم يعجبني سوي ثلاثة ابيات انشدهن ثلاث بنات فقال حدثني بحديثهن فقال اعلم يا امير المؤمنين اني اقمت سنة في البصرة فاشتد علي الحر فطلبت مقيلا اقيل فيه فلم اجد فبينما انا التفت يمينا وشمالا واذا بساباط مكنوس مرشوش وفيه دكة من خشب وعليها شباك مفتوح يفوح منه رايحة المسك فدخلت الساباط وجلست علي الدكة واردت الاضطجاع فسمعت كلاما عذبا من جارية وهي تقول يا اخواتي اننا جلسنا يومنا هذا علي وجه المؤانسة فتعالين نطرح ثلثمائة دينار وكل واحدة منا تقول بيتا من الشعر فكل من قالت البيت الاعذب الاملح كانت الثلثمائة دينار لها فقلن حبا وكرامة فقالت الكبري بيتا وهو هذا

عجبت له ان زار في النوم مضجعي ولو زارني مستيقظا كان اعجبا

فقالت الوسطي بيتا وهو هذا

وما زارني في النوم الا خياله فقلت له اهلا وسهلا ومرحبا

فقالت الصغري بيتا وهو هذا

بنفسي واهلي من اري كل ليلة ضجيعي ورياه من المسك اطيبا

فقلت ان كان لهذا المثال جمال فقدتم الامر علي كل حال فنزلت من علي الدكة واردت الانصراف واذا بالباب قد فتح وخرجت منه جارية وهي تقول اجلس يا شيخ فطلعت علي الدكة ثانيا وجلست فدفعت لي ورقة فنظرت فيها خطا في نهاية الحسن مستقيم الالفات مجوف الهاآت مدور الواوات مضمونها نعلم الشيخ اطال الله بقاءه اننا

ثلاث بنات اخوات جلسن علي وجه المؤانسة وطرحنا ثلثمائة دينار وشرطنا ان كل من قالت البيت الاعذب الاملح كان لها الثلثمائة دينار وقد جعلناك الحكم في ذلك فاحكم بما تري والسلام فقلت للجارية علي بدواة وقرطاس فغابت قليلا وخرجت الي بدوات مفضضة واقلام مذهبة فكتبت هذه الابيات

احدث عن خود تحدثن مسرة حديث امرء قاس الامور وجربا
ثلاث كبكرات الصباح صباحة تملكن قلبا للمشوق معذبا
خلين وقد نامت عيون كثيرة من الرأي قد اعرضن عمن تجنب
فبحن بما يخفين من داخل الحشي نعم واتخذن الشعر لهوا وملعبا
فقالت عروب ذات تيه عزيزة وتبسم عند عذب المقالة اشنبا
عجبت له ان زار في النوم مضجعي ولو زارني مستقيظا كان اعجبا
فلما انقضي ما زخرفت بتضاحك تنفست الوسطي وقالت تطربا
وما زارني في النوم الا خياله فقلت له اهلا وسهلا ومرحبا
واحسنت الصغري وقالت مجيبة بلفظ لها قد كان اشهي واعذبا
بنفسي واهلي من اري كل ليلة ضجيعي ورياه من المسك اطيبا
فلما تدبرت الذي قلن وانبري لي الحكم لم اترك لذي اللب ملعباً
حكمت لصغراهن في الشعر انني رأيت الذي قالت الي الحق اقربا

قال الاصمعي ثم دفعت الورقة الي الجارية فلما صعدت عادت الي القصر واذا برقص وصفق وقيامة قائمة فقلت ما بقي لي اقامة فنزلت من فوق الدكة واردت الانصراف واذا بالجارية تنادي وتقول اجلس يا اصمعي فقلت ومن اعلمك اني الاصمعي فقالت يا شيخ ان خفي علينا اسمك ما خفي علينا نظمك فجلست واذا بالباب قد فتح وخرجت منه الجارية الاولي وفي يدها طبق من فاكهة وطبق من حلوي فتفكهت وتحليت وشكرت صنيعها واردت الانصراف واذا بالجارية تنادي وتقول

اجلس يا اصمعي فرفعت بصري اليها فنظرت كفا احمر في كم اصفر فخلته البدر يشرق من تحت الغمام ورمت صرة فيها ثلاثمائة دينار وقالت هذا لي وهو مني اليك هدية في نظير حكومتك فقال له امير المؤمنين لم حكمت للصغري فقال يا امير المؤمنين اطال الله بقاءك ان الكبري قالت عجبت له ان زار في النوم مضجعي وهو محجوب معلق علي شرط قد يقع وقد لا يقع واما الوسطي قد مر بها طيف خيال في النوم فسلمت عليه واما بيت الصغري فانها ذكرت فيه انها ضاجعته مضاجعة حقيقية وشمت منه انفاسا اطيب من المسك وفدته بنفسها واهلها ولا يفدي بالنفس الا من هو اعز منها فقال الخليفة احسنت يا اصمعي ودفع اليه ثلاثمائة دينار مثلها في نظير حكايته وحكي ايضا ان ابا اسحاق ابراهيم الموصلي قال استأذنت الرشيد في ان يهب لي يوما من الايام للانفراد باهل بيتي واخواني فاذن لي في يوم السبت فاتيت منزلي واخذت في اصلاح طعامي وشرابي وما احتاج اليه وامرت البوابين ان يغلقوا الابواب وان لا يأذنوا لاحد في الدخول علي فبينما انا في مجلسي والحريم قد حففن بي واذا بشيخ ذي هيبة وجمال وعليه ثياب بيض وقميص ناعم وعلي رأسه طليسان وفي يده عكاز قبضته من فضة وروايح لطيب تفوح منه حتي ملأت الدار والرواق فدخلني غيظ عظيم بدخوله علي وهممت بطرد البوابين فسلم علي باحسن سلام فرددت عليه وامرته بالجلوس فجلس واخذ يحدثني بحديث العرب واشعارها حتي ذهب ما بي من الغضب وظننت ان غلماني تحروا مسرتي بادخال مثله علي لادبه وظرافته فقلت له هل لك في الطعام فقال لا حاجة لي فيه فقلت له وفي الشراب قال ذلك اليك فشربت رطلا وسقيته مثله ثم قال يا ابا اسحاق هل لك ان تغنينا شيئاً فنسمع من صنعتك ما قد فقت به العام والخاص فغاظني قوله ثم سهلت الامر علي نفسي فاخذت العود وضربت وغنيت فقال احسنت يا ابا اسحاق ثم قال ابراهيم فازددت غيظا وقلت ما قنع بما فعله من دخوله بغير اذن واقتراحه علي حتي سماني باسمي مع جهل مخاطبتي ثم قال هل لك ان تزيد ونكافؤك فتحملت المشقة واخذت العود فغنيت وتحفظت فيما غنيت وقمت به قياما تاما لقوله ونكافؤك وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الثامنة والثمانون بعد الستمائة

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الشيخ لما قال لابي اسحاق هل لك ان تزيدني ونكافؤك قال ابو اسحاق فتحملت المشقة واخذت العود فغنيت وتحفظت فيما غنيت وقمت به قياما تاما لقوله ونكافؤك فطرب وقال احسنت يا سيدي ثم قال اتأذن لي في الغناء قال شأنك واستضعفت عقله في ان يغني بحضرتي بعد الذي سمعه مني فاخذ العود وجسه فوالله لقد خلت العودان ينطق بلسان عربي فصيح بصوت اغن مليح واندفع يغني هذه الابيات

ولي كبد مقروحة من يبيعني ... بها كبدا ليست بذات قروح
اباها علي الناس ان يشترونها ... ومن يشتري ذاعلة بصحيح
أئن من الشوق الذي بجوانحي ... انين غصيص بالشراب قريح

قال ابو اسحاق فوالله لقد ظننت ان الابواب والحيطان وكل ما في البيت تجيبه وتغني معه من حسن صوته حتي خلت والله اني اسمع اعضائي وثيابي تجيبه وبقيت مبهوتا لا استطيع الكلام ولا الحركة لما خالط قلبي ثم غني هذه الابيات

الايا حمامات اللوي عدن عودة ... فاني الي اصواتكن حزين
فعدن علي ايك فكدن يمتنني ... وكدت باسراري لهن ابين
دعون فريقا بالهدير كأنما ... شربن الحميا او بهن جنون
فلم ترعيني مثلهن حمائما ... بكين ولم تدمع لهن عيون

ثم غني ايضا بهذه الابيات

الايا صبا نجد متي هجت من نجد ... فقد زادني مسراك وجدا علي وجدي
فقد لقد هتفت ورقاء في رونق الضحي ... علي فنن الاغصان بالبان والرند
بكت مثل ما يبكي الوليد صبابة ... وابدت من الاشواق مالم اكن ابدي
وقد زعموا ان المحب اذا دني ... يمل وان البعد يشفي من الوجد

بـكـل تداويـنـا فـلـم يـشف مـابـنـا علـي ان قرب الدار خيـر من البـعد
عـلـي ان قرب الـدار لـيـس بنـافـع اذا كـان مـن تـهواه لـيـس بـذي ود

ثم قال يا ابراهيم غـن هذا الغناء الذي سمعته وانح نحوه في غـناءك وعلمه جواريك فقلت اعده علي فقال لست تحتاج الي اعـادة قد اخذته وفرغت منه ثم غاب من بين يدي فتعـجبت منه وقـمت الي السيـف وجذبته ثـم غدوت نحو باب الحـريم فوجدته مغـلقا فقلت للجواري اي شئ سمـعتن فقلن سمعنا اطيب غناء واحسنه فـخرجت متحيرا الي باب الدار فوجدته مغلـقا فسألت البوابين عن الشيخ فقالـوا اي شيخ فوالله ما دخل اليك اليوم احد فرجعت اتأمل امره فاذا هو قد هتـف من جانب الدار فقال لا باس عليك يا ابا اسحاق انما انا ابو مرة قد كـنت نديمك اليوم فلا تفزع فركبت الي الرشـيد فاخبرته الخبر فقال اعد الاصوات التي اخذتها منه فاخذت العود وضربت فاذا هي راسخة في صدري فطرب بها الرشيد وجعل يشرب عليها ولم يكـن له انهماك علي الشراب وقال ليته متعنا بنفـسه يوما واحـدا كما متـعك ثم امر لي بـصلة فاخـذتها وانصـرفت وحكي ايـضا انا مسرور الخادم قال ارق امـير المؤمنين هارون الرشيـد ليلة ارقا شـديدا فقـال لي يا مسرور من بالباب من الشعراء فخرجت الي الدهليز فوجدت جميل بن معمر العذري فقلت له اجب امير المؤمنين فـقال سمعا وطاعة فدخلت ودخل معـي الي ان صار بين يدي هارون الرشيد فسلم بسـلام الخلافة فرد عليه السلام وامره بالجلوس ثم قال لـه الرشيد يا جميل اعندك شئ من الاحاديث العجيبة قال نعم يا امـير المؤمنين ايما احب اليك ما عاينته ورأيته او ما سمعته ووعيته فقال حدثني بما عاينته ورأيته قال نعم يا امير المؤمنين اقبل علي بكلك واصغ الي باذنيك فعمد الرشيد الي مخدة من الديباج الاحمر المزركش بالذهب محشوة بريش النعام فجعلها تحت فخذيه ثم مكن منهـا مرفقيه وقال هلم بحديثك يا جميل فقال اعلم يا امـير المؤمنين اني كـنت مفتونا بـفتاة محبا لـها وكنت اتردد اليـها وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة التاسعة والثمانون بعد الستمائة

قالت بلغني أيهـا الملك السعيد أن هارون الرشيد لما اتكئ علـي مخدة من الديباج قال هلم بحديـثك يا جميل فقال اعلـم يا امير المؤمنين اني كنت مـفتونا بفتاة محبـا لها وكنت

اتردد اليها اذ هي سؤلي وبغـيتي من الدنيا ثم ان اهلها رحلوا بها لقـلة المرعي فاقمت مدة لم ارها ثم ان الشوق اقلقني وجذبني اليها فحدثتني نفسي بالمسير اليها فلما كان ذات ليلة من اللـيالي هزني الشـوق اليها فقـمت وشددت رحلي عـلي ناقتي وتعـممت بعمـامتي ولبسـت اطماري وتقلـدت بسيفي واعـتقلت رمحـي وركبت ناقتـي وخرجت طالبـا لها وكنت اسرع في المسير فـسرت ذات ليلة وكانت ليلة مظلمة مدلـهمه وانا مع ذلك اكابد هبوط الاودية وصـعود الجبال فاسمع زئـير الاساد وعي الذئاب واصـوات الوحوش من كل جانب وقـد ذهل عقلي وطاش لبي ولـساني لا يفترعن ذكـر الله تعالي فبينمـا انا اسير علي هذا الحال اذ غلـبني النوم فاخذت بي الناقة عـلي غير الطريق التي كنـت فيها وغلب علي النوم واذا انا بشئ لطمني في رأسي فانتبهت فزعا مرعوبا واذا باشجار وانهار واطيار علي تـلك الاغصان تغرد بـلغاتها والحـانها واشجار تـلك المرج مشتبـك بعضها بـبعض فنزلت عن ناقتي واخذت بزمامهـا في يدي ولم ازل اتلطف في الخلاص الي ان خرجت بها من تلك الاشجـار الي ارض فلاة فاصلحت كورها واستويت راكـبا علي ظهرها ولا ادري الي اين اذهـب ولا الي اي مكان تـسوقني الاقـدار فمددت نظـري في تلك الـبرية فلاحت لي نار فـي صدرها فركزت ناقتي وصرت مـتوجها اليها حتي وصـلت الي تلك النار فقـربت منها وتأملـت واذا بخباء مضروب ورمـح مركوز ودابة قائمة وخـيل واقفة وابل سائمة فقلت في نفسي يوشك ان يكون لهذا الخباء شأن عظيم فاني لا اري في تلك البريـة سواه ثم تقـدمت الي جهة الخـباء وقلت الـسلام عليكـم يا اهل الخبـاء ورحمة الله وبركـاته فخـرج الي من الخبـاء غلام من ابـناء التـسع عشـرة سنة فكـأنه البـدر اذا اشرق والشجـاعة بين عينيـه فقال وعليك الـسلام ورحمة الله وبركـاته يا اخا العرب انـي اظنك ضالا عن الطريـق فقلت الأمر كذلك ارشدنـي يرحمك الله فقال يا اخا الـعرب ان بلدنا هذه مسبعة وهذه الليلة مظلمة موحشة شديدة الظلمة والبرد ولا امن عليك من الوحش ان يفترسك فانزل عندي علي الرحب والسعة فاذا كان الغد ارشدتك الي الطريق فنزلت عن ناقتي وعقلتها بفضل زمامها ونزعت ما كان علي من الثياب وتخففت وجلست ساعة واذا بالشاب قد عمد الي شاة فذبحها والي نار فاضرمها واججها ثم دخل الخباء واخرج ابزارا ناعمة ومـلحا طيبا واقبل يقـطع من ذلك اللحم قطعـا ويشويها علي النار ويـعطيني ويتنهـد ساعة ويبكي اخري ثم شـهق شهقة عظيمـة وبكي بكاء شديدا وانشـد يقول هذه الابيات

لـم يـبـق الانـفـس هـافـت ومـقـلـة انـسـانـهـا بـاهـت
لـم يبـق في اعضائه مفصل الا وفـيـه سـقـم ثـابـت
ودمـعـه جـار واحـشـاؤه تـوقـد الا انـه سـاكـت
تبكـي لـه اعـداؤه رحـمـة ياويح مـن يرحـمه الشامت

قال جميل فعلمت عند ذلك يا امير المؤمنين ان الغلام عاشق ولهان ولا يعرف الهوي الا من ذاق طعم الهوي فقلت في نفسي هل اسأله ثم راجعت نفسي وقلت كيف اتهجم عليه في السؤال وانا في منزله فردعت نفسي واكلت من ذلك اللحم بحسب كفايتي فلما فرغنا من الاكل قام الشاب ودخل الخباء واخرج طشتا نظيفا وابريقا حسنا ومنديلا من الحرير واطرافه مزركشة بالذهب الاحمر وقمقما ممتلئا من ماء الورد الممسك فتجعبت من ظرفه ورقة حاشيته وقلت في نفسي لم اعرف الظرف في البادية ثم غسلنا ايدينا وتحدثنا ساعة ثم قام ودخل الخباء وفصل بيني وبينه بفاصل من الديباج الاحمر وقال ادخل يا وجه العرب وخذ مضجعك فقد لحقك في هذه الليلة تعب وفي سفرتك هذه نصب مفرط فدخلت واذا انا بفراش من الديباج الاخضر فعند ذلك نزعت ما علي من الثياب وبت ليلة لم ابت في عمري مثلها وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الموفية للتسعين بعد الستمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن جميلا قال فبت ليلة لم ابت عمري مثلها فكل ذلك وانا متفكر في امر هذا الشاب الي ان جن الليل ونامت العيون فلم اشعر الا بصوت خفي لم اسمع الطف منه ولا ارق حاشية فرفعت الفاصل المضروب بيننا واذا انا بصبية لم ار احسن منها وجها وهي في جانبه وهما يبكيان ويتشاكيان الم الهوي والصبابة والجوي وشدة اشتياقهما الي التلاقي فقلت يالله العجب من هذا الشخص الثاني وحين دخلت هذا البيت لم ار فيه غير هذا الفتي وما عنده احد ثم قلت في نفسي لا شك ان هذه من بنات الجن تهوي هذا الغلام وقد تفرد بها في هذا المكان وتفردت به ثم امعنت

النظر فيها فاذا هي انسية عربية اذا اسفرت عن وجهها تخجل الشمس المضيئة وقد اضاء الخباء من نور وجهها فلما تحققت انها محبوبته تذكرت غيرة المحب فارخيت الستر وغطيت وجهي ونمت فلما اصبحت لبست ثيابي وتوضأت لصلاتي وصليت ما كان علي من الفرض ثم قلت له يا اخا العرب هل لك ان ترشدني الي الطريق وقد تفضلت علي فنظر الي وقال علي رسلك يا وجه العرب ان الضيافة ثلاثة ايام وما كنت بالذي يدعك الا بعد ثلاثة ايام قال جميل فاقمت عنده ثلاثة ايام فلما كان في اليوم الرابع جلسنا للحديث فحادثته وسألته عن اسمه ونسبه فقال اما نسبي فانا من بني عذرة واما اسمي فانا فلان بن فلان وعمي فلان فاذا هو ابن عمي يا امير المؤمنين وهو من اشرف بيت من بني عذرة فقلت يا ابن العم ما حملك؛ علي ما اراه منك من الانفراد في هذه البرية وكيف تركت نعمتك ونعمة ابائك وكيف تركت عبيدك وامائك وانفردت بنفسك في هذا المكان فلما سمع يا امير المؤمنين كلامي تغرغرت عيناه بالدموع والبكاء ثم قال يا ابن العم اني كنت محبا لابنة عمي مفتونا بها هائما بحبها مجنونا في هواها لا اطيق الفراق عنها فزاد عشقي لها فخطبتها من عمي فابي وزوجها لرجل من بني عذرة ودخل بها واخذها الي المحلة التي هو فيها من العام الاول فلما بعدت عني واحتجبت عن النظر اليها حملتني لوعات الهوي وشدة الشوق والجوي علي ترك اهلي ومفارقة عشيرتي وخلاني وجميع نعمتي وانفردت بهذا البيت في هذه البرية والفت وحدتي فقلت واين بيوتهم قال هي قريب في ذروة هذا الجبل وهي كل ليلة عند نوم العيون وهدؤ الليل تنسل من الحي سرا بحيث لا يشعر بها احد فاقضي منها بالحديث وطرا وتقضي هي كذلك وها انا مقيم علي ذلك الحال أتسلي بها ساعة من الليل ليقضي الله امرا كان مفعولا او يأتيني الامر علي رغم الحاسدين او يحكم الله لي وهو خير الحاكمين ثم قال جميل فلما اخبرني الغلام يا امير المؤمنين غمني امره وصرت من ذلك حيرانا لما اصابني من الغيرة فقلت له يا ابن العم هل لك ان ادلك علي حيلة اشير بها عليك وفيها ان شاء الله عين الصلاح وسبيل الرشد والنجاح وبها يزيل الله عنك الذي تخشاه فقال الغلام قل لي يا ابن العم فقلت له اذا كان الليل وجاءت الجارية فاطرحها علي ناقتي فانها سريعة الرواح واركب انت جوادك وانا اركب بعض هذه النياق واسير بكما الليلة جميعها فما يصبح الصباح

الا وقد قطعت بكما براري وقفاراً او تكون قد بلغت مرادك وظفرت بمحبوبة قلبك وارض الله واسعة فضاها وانا والله مساعدك ما حييت بروحي ومالي وسيفي وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الحادية والتسعون بعد الستمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن جميلا لما قال لابن عمه علي اخذ الجارية ويذهبان بها في الليل ويكون عونا له ومساعدا مدة حياته فلما سمع ذلك قال يا ابن العم حتي اشاورها في ذلك فانها عاقلة لبيبة بصيرة بالامور قال جميل فلما جن الليل وحان وقت مجيئها وهو ينظرها في الوقت المعلوم فابطأت عن عادتها فرأيت الفتي خرج من باب الخباء وفتح فاه وجعل يتنسم هبوب الريح الذي يهب من نحوها وينشق رياها وينشد هذين البيتين

ريح الصبا تهدي الي نسيم ... من بلدة فيها الحبيب مقيم
يا ريح فيك من الحبيب علامة ... افتعلمين متي يكون قدوم

ثم دخل الخباء وقعد ساعة زمانية وهو يبكي ثم قال يا ابن العم ان لابنة عمي في هذه الليلة نبأ وقد حدث لها حادث او عاقها عني عائق ثم قال لي كن مكانك حتي آتيك بالخبر ثم اخذ سيفه وترسه ثم غاب عني ساعة من الليل ثم اقبل وعلي يديه شئ يحمله ثم صاح علي فاسرعت اليه فقال يا ابن العم اتدري ما الخبر فقالت لا والله فقال لقد فجعت في ابنة عمي هذه الليلة لانها قد توجهت الينا فتعرض لها في طريقها اسد فافترسها ولم يبق منها الا ما تري ثم طرح ما كان علي يده فاذا هو مشاش الجارية وما فضل من عظامها ثم بكي بكاء شديذا ورمي القوس من يده واخذ كيسا علي يده ثم قال لي لا تبرح الي ان آتيك ان شاء الله تعالي ثم سار فغاب عني ساعة ثم عاد وبيده رأس اسد فطرحه عن يده ثم طلب ماء فاتيته فغسل فم الاسد وجعل يقبله ويبكي وزاد حزنه عليها وجعل ينشد هذه الابيات

الا ايها الليث المغر بنفسه هلكت وقد هيجت لي بعدها حزنا
وصيرتني فردا وقد كنت الفها وصيرت بطن الارض قبرا لها رهنا
اقول لدهر ساءني بفراقها معاذا اليها اني تريني لها خدنا

ثم قال يا ابن العم سألتك بالله وبحق القرابة والرحم التي بيني وبينك ان تحفظ وصيتي فستراني الساعة ميتا بين يديك فاذا كان ذلك فغسلني وكفني انا وهذا الفاضل من عظام ابنة عمي في هذا الثوب وادفنا جميعا في قبر واحد واكتب علي قبرنا هذين البيتين

كنا علي ظهرها والعيش في رغد والشمل مجتمع والدار والوطن
ففرق الدهر والتصريف الفتنا وصار يجمعنا في بطنها الكفن

ثم بكي بكاء شديدا ثم دخل الخباء وغاب عني ساعة وخرج وصار يتنهد ويصيح ثم شهق شهقة ففارق الدنيا فلما رأيت ذلك منه عظم علي وكبر عندي حتي كدت ان الحق به من شدة حزني عليه ثم تقدمت اليه فاضجعته وفعلت به ما امرني به من العمل وكفنتهما جميعا ودفنتهما جميعا في قبر واحد واقمت عند قبرهما ثلاثة ايام ثم ارتحلت واقمت سنتين اتردد الي زيارتهما وهذا ما كان من حديثهما يا امير المؤمنين فلما سمع الرشيد كلامه استحسنه وخلع عليه واجازه جائزة حسنة وحكي ايضا ايها الملك السعيد ان امير المؤمنين معاوية جلس يوما في مجلس له بدمشق وكان الموضع مفتوح الطيقان من الجهات الاربع يدخل فيه النسيم من كل جانب فبينما هو جالس ينظر الي بعض الجهات وكان يوما شديد الحر لا نسيم فيه وكان ذلك في وسط النهار وقد اشتدت الهاجرة اذ نظر الي رجل يمشي وهو يتلظي من حر التراب ويحجل في مشية حافيا فتأمله وقال لجلسائه هل خلق الله سبحانه وتعالي اشقي ممن يحتاج الي الحركة في هذا الوقت وفي هذه الساعة مثل هذا قال بعضهم لعله يقصد امير المؤمنين فقال والله لئن قصدني لاعطينه وان كان مظلوما لانصرنه يا غلام قف بالباب فاذا طلب الدخول علي هذا الاعرابي لا تمنعه من الدخول علي فخرج فوافاه الاعرابي فقال له ما تريد قال اريد امير المؤمنين قال له ادخل فدخل وسلم عليه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الثانية والتسعون بعد الستمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الخادم لما اذن للاعرابي في الدخول دخل وسلم علي امير المؤمنين فقال له معاوية ممن الرجل من بني تميم قال فما الذي جاء بك في هذا الوقت فقال جئتك مشتكيا وبك مستجيرا قال ممن قال من مروان بن الحكم عاملك ثم انه انشد وجعل يقول

معاوية يا ذا الجود والحلم والفضل ... ويا ذا النداء والعلم والرشد والنبل
اتيتك لما ضاق في الارض مذهبي ... فياغوث لا تقطع رجائي من العدل
وجدلي بانصاف من الجائر الذي ... بلاني بشئ كان ايسره قتلي
سباني سعاد وانبري لخصومتي ... وجار ولم يعدل وافقدني اهلي
وهم بقتلي غيران منيتي ... تأنت ولم استكمل الرزق من اجلي

فلما سمع معاوية انشاده والنار تتوقد من فيه قال له اهلا وسهلا يا اخا العرب اذكر قصتك وانبئ عن امرك فقال له يا امير المؤمنين كان لي زوجة وكنت لها محبا وبها كلفا وكنت قرير العين طيب النفس وكانت لي جملة من الابل وكنت استعين بها علي قيام حالي فاصابتنا سنة اذهبت الخف والحافر وبقيت لا املك شيئا فلما قل ما بيدي وذهب مالي وفسد حالي بقيت مهانا ثقيلا على الذي كان يرغب في زيارتي فلما علم ابوها مابي من سوء الحال وشر المآل اخذها مني وجحدني وطردني واغلظ علي فاتيت الي عاملك مروان بن الحكم راجيا لنصرته فلما احضر اباها وسأله عن حالي قال ما اعرفه قط فقلت اصلح الله الامير ان رأي ان يحضر المرأة ويسألها عن قول ابيها تبين الحق فبعث خلفها واحضرها فلما وقفت بين يديه وقعت منه موقع الاعجاب فصار لي خصما وعلي منكرا واظهر لي الغضب وبعثني الي السجن فصرت كأنما نزلت من السماء واستوي بي الريح في مكان سحيق ثم قال لابيها هل لك ان تزوجها مني علي الف دينار وعشرة الاف درهم وانا ضامن خلاصها من هذا الاعرابي فرغب ابوها في البدل واجابه الي ذلك فاحضرني ونظر الي كالاسد الغضبان وقال يا اعرابي طلق سعاد قلت لا اطلقها فسلط جماعة من غلمانه فصاروا يعذبونني بانواع العذاب فلم اجد لي بدا الا طلاقها ففعلت فاعادني الي

السجن فمكثت فيه الي ان انقضت العدة فتزوج بها واطلقني وقد جئتك راجيا وبك مستجيرا واليك ملتجئا وانشد هذه الابيات

في القلب مني نار والنار فيها استعار
والجسم مني سقيم فيه الطبيب يحار
وفي فؤادي جمر والجمر فيه شرار
والعين تهطل دمعا ودمعها مدرار
وليس الا بربي وبالامير انتصار

ثم اضطرب واصطكت اسنانه ووقع مغشيا عليه وصار يتلوي كالحية المقتولة فلما سمع معاوية كلامه وانشاده قال تعدي بن الحكم في حدود الدين وظلم واجتري علي حريم المسلمين وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الثالثة والتسعون بعد الستمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن امير المؤمنين معاوية لما سمع كلام الاعرابي قال تعدي بن الحكم في حدود الدين وظلم واجتري علي حريم المسلمين ثم قال يا اعرابي لقد اتيتني بحديث لم اسمع بمثله قط ثم دعا بدواة وقرطاس وكتب الي مروان بن الحكم قد بلغني انك تعديت علي رعيتك في حدود الدين وينبغي لمن يكون واليا ان يكف بصره عن شهواته ويزجر نفسه عن لذاتها ثم كتب بعد ذلك كلاما طويلا اختصرته من جملته هذه الابيات

وليت ويحك امرأ لست تدركه فاستغفر الله من فعل امرئ زاني
وقد اتانا الفتي المسكين منتحبا يشكو الينا ببين ثم احزان
اعطي الاله يمينا لا كفرها نعم وابرأ من ديني وايماني
وان انت خالفت فيما قد كتبت به لاجعلنك لحما بين عقباني
طلق سعاد وعجلها مجهزة مع الكميت ونصر بن ذيبان

ثم طوي الكتاب وطبعه بخاتمه واستدعي الكميت ونصر بن ذيبان وكان يستنهضهما في المهمات لامانتهما فاخذا الكتاب وسارا حتي قدما المدينة فدخلا علي مروان بن الحكم وسلما عليه وسلما اليه الكتاب واعلماه بصورة الحال فصار مروان يقرأه ويبكي ثم قام الي سعاد واخبرها ولم يسعه مخالفة معاوية فطلقها بمحضر من الكميت ونصر بن ذيبان وجهزهما واصحبتهما سعاد ثم كتب مروان كتاب الي معاوية يقول فيه

لاتعجلن امير المؤمنين فقد　　اوفي بنذرك في رفق واحسان
وما اتيت حراما حين اعجبني　　فكيف ادعي باسم الخائن الزاني
وسوف تأتيك شمس لا نظير لها　　عند الخليقة من انس ومن

وختم الكتاب ودفعه الي الرسولين فسارا حتي وصلا الي معاوية وسلما اليه الكتاب فقرأه وقال لقد احسن في الطاعة واطنب في ذكر الجارية ثم امر باحضارها فلما رأها رأي صورة حسنة لم ير مثلها في الحسن والجمال والقد والاعتدال فخاطبها فوجدها فصيحة اللسان حسنة البيان فقال علي بالاعرابي فاتوا به وهو في حالة مزعجة من تغير الزمان عليه فقال يا اعرابي هل لك عنها من سلوة واعوضك عنها جواري نهدا ابكارا كانهن اقمار ومع كل جارية الف دينار واجعل لك في بيت المال في كل سنة ما يكفيك ويغنيك فلما سمع الاعرابي كلام معاوية شهق شهقة فظن معاوية انه قد مات فلما افاق قال له معاوية مابالك قال بشر بال وسوء حال واستجرت بعدلك من جور بن الحكم فبمن استجير من جورك وانشد هذه الابيات

لا تجعلني فداك الله من ملك　　كالمستجير من الرمضاء بالنار
اردد سعاد علي حيران مكتئب　　يمسي ويصبح في هم وتذكار
اطلق وثاقي ولا تبخل علي بها　　فان فعلت فاني غير كفار

ثم قال والله يا امير المؤمنين لو اعطيتني ما خولته من الخلافة ما اخذته دون سعاد وانشد هذا البيت

ابي القلب في الحب الا سعادا　　هــواهـــا غـــدا لي ريـا وزادا

فقال له معاوية انك مقربانك طلقتها ومروان مقربانه طلقها ونحن نخيرها ان اختارت سواك زوجناها اياه وان اختارتك حولناها اليك قال افعل فقال معاوية ما تقولين يا سعاد من احب اليك امير المؤمنين في شرف وعزه وقصوره وسلطانه وامواله وما ابصرتيه عنده او مروان بن الحكم وعسفه وجوره او هذا الاعرابي وجوعه وفقره فانشدت هذين البيتين

هـذا وان كـان في جـوع واضـــرار　　اعـز عنـدي من قـومـي ومن جـاري
و صـاحب الـتاج او مـروان عـامله　　وكـل ذي درهـم عـنـدي وديــنـار

ثم قالت والله يا امير المؤمنين ما انا بخاذلته لحادثة الزمان ولا لغدرات الايام وان له صحبة قديمة لا تنسي ومحبة لا تبلي وانا احق من صير معه في الضراء كما تنعمت معه في السراء فتعجب معاوية من عقلها ومودتها وموافاتها وامر لها بعشرة الاف درهم ودفعها للاعرابي واخذ زوجته وانصرف وحكي ايضا ايها الملك السعيد ان هارون الرشيد ارق ليلة فوجه الي الاصمعي والي حسين الخليع فاحضرهما وقال حدثاني وابدأ انت يا حسين فقال نعم يا امير المؤمنين خرجت في بعض السنين منحدرا الي البصرة ممتدحا محمد بن سليمان الربيعي بقصيدة فقبلها وامرني بالمقام فخرجت ذات يوم الي المريد وجعلت المهالية طريقي فاصابني حر شديد فدنوت من باب كبير لا ستسقي واذا انا بجارية كأنها قضيب ينثني وسناء العينين زجاء الحاجبين اسيلة الخدين عليها قميص جلناري ورداء صنعاني قد غلبت شدة بياض يديها حمرة قميصها يتلألأ من تحت القميص ثديان كرمانتين وبطن كطي القباطي بعكن كالقراطيس الناصعة المعقودة بالمسك محشوة وهي يا امير المؤمنين متقلدة بخرز من الذهب الاحمر وهو بين نهديها وعلي صحن جبينها طرة كالسبج ولها حاجبان مقرونان وعينان نجلاوان وخدان اسيلان وانف اقني تحته ثغر كاللؤلؤ واسنان كالدر وقد غلب عليها الطيب وهي والهة حيرانة ذاهبة في الدهليز تروح وتجئ تخطر علي اكباد محبيها في مشيها وقد اخرست سيقانها اصوات خلاخيلها فهي كما قال فيها الشاعر

كـل جزء مـن مـحـاسـنـهـا　　مـرسـل مـن حـسـنـهـا مثـلا

فهبتها يا امير المؤمنين ثم دنوت منها لاسلم عليها فاذا الدار والدهليز والشارع قد عبق بالمسك فسلمت عليها فردت علي بلسان خاشع وقلب حزين بلهيب الوجد محترق فقلت لها يا سيدتي انا شيخ غريب واصابني عطش افتامرين لي بشربة ماء تؤجرين عليها قالت اليك عني يا شيخ فاني مشغولة عن الماء والزاد وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الرابعة والتسعون بعد الستمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الجارية قالت اني مشغولة عن الماء والزاد فقلت لاي علة يا سيدتي قالت لاني اعشق ما لا ينصفني واريد من لا يريدني ومع ذلك فاني ممتحنة بمراقبة الرقباء قلت وهل يا سيدتي علي بسيطة الارض من تريدينه ولا يريدك قال نعم وذلك لفضل ما ركب فيه من الجمال والكمال والدلال قلت وما وقوفك في هذا الدهليز قالت ها هنا طريقه وهذا وقت اجتيازه قلت لها يا سيدتي فهل اجتمعتما في وقت من الاوقات وتحدثتما حديثا اوجب هذا الوجد فتنفست الصعداء وارخت دموعها علي خدها كطل سقط علي ورد ثم انشدت هذين البيتين

وكنا كغصني بانة فوق روضة فافرد   نشم جني اللذات في عيشة رغد
هذا الغصن من ذاك قاطع   فيامن رأي فردا يحن الي فرد

قلت يا هذه فما بلغ من عشقك لهذا الفتي قالت اري الشمس علي حيطان اهله فاحسب انها هو وربما اراه بغتة فابهت ويهرب الدم والروح من جسدي وابقي الاسبوع والاسبوعين بغير عقل فقلت لها اعذريني فاني علي مثل ما بك من الصبابة مشتغل البال بالهوي وانتحال الجسم وضعف القوي اري بك من شحوب اللون ورقة البشرة ما يشهد بتباريح الهوي وكيف لم يمسك الهوي وانت مقيمة في ارض البصرة قالت والله كنت قبل مجئ هذا الغلام فى غايه الدلال بهيئة الجمال والكمال ولقط فتنت جميع ملوك البصرة حتي افتتن بي هذا الغلام قلت يا هذه ما الذي فرق بينكما قالت نوائب الدهر والحديثي وحديثه شأن عجيب وذلك اني قعدت في يوم نيروز ودعوت عدة من جواري البصرة وفي تلك الجواري جارية سيران وكان ثمنها عليه من عمان ثمانين الف درهم

وكانت لي محبة وبي مولعة فلما دخلت رمت نفسها علي وكادت تقطعني قرصا وعضا ثم خلونا ننعم بالشراب الي أن يتهيأ طعامنا ويتكامل سرورنا وكانت تلاعبني والاعبها فتاراة انا افوقها وتارة هي فوقي فحملها السكر علي ان ضربت يدها الي دكتي فحلتها من غير ريبة كانت بيننا ونزول سروالي بالملاعبة فبينما نحن كذلك اذ دخل هو علي حين غفلة فرأي ذلك فاغتاظ لذلك وانصرف عني انصراف المهرة العربية اذا سمعت صلاصل لجامها فولي خارجا وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الخامسة والتسعون بعد الستمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الجارية قالت لحسين الخيلع ان محبوبي لما رأي ما ذكرت لك من ملاعبتي مع جارية سيران خرج مغضبا مني فانا يا شيخ من منذ ثلاث سنين لم ازل اعتذر اليه واتلطف به واستعطفه فلا ينظر الي بطرف ولا يكتب الي بحرف ولا يكلم لي رسولا ولا يسمع مني قليلا قلت لها يا هذه امن العرب هو ام من العجم قالت ويحك هو من جملة ملوك البصرة فقلت لها اشيخ هو ام شاب فنظرت الي شذرا وقالت انك احمق هو مثل القمر ليلة البدر اجرد امرد لا يعيبه شئ غير انحرافه عني فقلت لها ما اسمه قالت ما تصنع به قلت اجتهد في لقائه لتحصيل الوصال بينكما قالت علي شرط ان تحمل اليه رقعة قلت لا اكره ذلك فقالت اسمه ضمرة بن المغيرة ويكني بابي السخاء وقصره بالمربد ثم صاحت علي من في الدار هاتوا الدواة والقرطاس وشمرت عن ساعدين كانها طوقان من فضة وكتبت بعد التسمية سيدي ترك الدعاء في صدر رقعتي ينبئ عن تقصيري واعلم ان دعائي لو كان مستجابا ما فارقتني لاني كثيرا ما دعوت ان لا تفارقني وقد فارقتني ولولا ان الجهد تجاوز بي حد التقصير لكان ما تكلفته خادمتك من كتابة هذه الرقعة معينا لها مع يأسها منك لعلمها انك تترك الجواب واقصي مرادها يا سيدي نظرة اليك وقت اجتيازك في الشارع الي الدهليز تحيي بها نفسا ميتة واجل من ذلك عندها ان تخطط بخط يدك بسطها الله بكل فضيلة رقعة وتجعلها عوضا عن تلك الخلوات التي كانت بيننا في الليالي الخاليات التي أنت ذاكر لها سيدي الست لك محبة مدنفة فان اجبت الي المسألة كنت لك شاكرة ولله حامدة والسلام فتناولت الكتاب وخرجت واصبحت غدوت الي باب محمد بن سليمان فوجدت مجلسا

محتفلا بالملوك ورأيت غلاما قد زان المجلس وفاق علي من فيه جمالا وبهجة قد رفعه الامير فوقه فسألت عنه فاذا هو ضمرة بن المغيرة فقلت في نفسي بالحقيقة حل بالمسكينة ما حل بها ثم قمت وقصدت المريد ووقفت علي باب داره فاذا هو قد ورد في موكب فوثبت اليه وبالغت في الدعاء وناولته الرقعة فلما قرأها وفهم معناها قال لي يا شيخ قد استبدلنا بها فهل لك ان تنظر الي البديل قلت نعم فصاح علي فتاة واذا هي جارية تخجل القمرين ناهدة الثديين تمشي مشية مستعجل من غير وجل فناولها الرقعة وقال اجيبي عنها فلما قرأتها اصفر لونها حيث عرفت ما فيها وقال يا شيخ استغفر الله مما جئت فيه فخرجت يا امير المؤمنين وانا اجر رجلي حتي آتيتها واستأذنت عليها ودخلت فقالت ماوراءك قلت البأس واليأس قالت ما عليك منه فاين الله والقدرة ثم امرت لي بخمسمائة دينار وخرجت ثم جزت علي ذلك المكان بعد ايام فوجدت غلمانا وفرسانا فدخلت واذا هم اصحاب ضمرة يسألونها الرجوع اليه وهي تقول لا والله لا نظرت له في وجه فسجدت شكرا لله يا امير المؤمنين شماتة بضمرة وتقربت من الجارية فابرزت لي رقعة فاذا فيها بعد التسمية سيدتي لولا ابتدائى عليك ادام الله حياتك لوضعت شطرا مما حصل منك وبسطت عذري في ظلامتك اياي اذ كنت الجانية علي نفسك ونفسي المظهرة لسوء العهد وقلة الوفاء والمؤثرة علينا غيرنا فخالفت هواي والله المستعان علي ما كان من اختيارك والسلام واوقفتني علي ما حمله اليها من الهدايا والتحف واذا هو بمقدار ثلاثين الف دينار ثم رأيتها بعد ذلك وقد تزوج بها ضمرة فقال الرشيد لولا ان ضمرة سبقني اليها لكان لي معها شأن من الشؤن وحكي ايضا ايها الملك ان اسحاق بن ابراهيم الموصلي قال بينما انا ذات ليلة في منزلي وكان زمن الشتاء وقد انتشرت السحب وتراكمت الامطار تقطر كافواه القرب وامتنع الغادي والمقبل من المسير في الطرقات لما فيها من الامطار والوحل وانا ضيق الصدر حيث لم يأتني احد من اخواني ولم اقدر ان اسير اليهم من شدة الوحل والطين فقلت لغلامي احضر لي ما اتشاغل به فاحضر لي طعاما وشرابا فتنغصته اذ لم يكن معي من يؤانسني ولم ازل اتطلع من الطاقات واراقب الطرقات حتي اقبل الليل فتذكرت جارية لبعض اولاد المهدي كنت اهواها وكانت عارفة بالغناء وتحريك آلات الملاهي فقلت في نفسي لو كانت الليلة عندنا لتم سروري وقصرت

ليلتي مما انا فيه من الفكر والقلق واذا بداق يدق الباب وهو يقول ايدخل محبوب علي الباب واقف فقلت في نفسي لعل غرس التمني قد اثمر فقمت الي الباب فاذا بصاحبتي وعليها مرط اخضر قد اتشحت به وعلي رأسها وقاية من الديباج تقيها من المطر وقد غرقت في الطين الي ركبتيها وابتل ما عليها من الميازيب وهي في قالب عجيب فقلت لها يا سيدتي ما الذي اتي بك في مثل هذه الاوحال فقالت قاصدك جاءني ووصف ما عندك من الصبابة والشوق فلم يسعني الا الاجابة والاسراع نحوك فتعجبت من ذلك وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة السادسة والتسعون بعد الستمائة

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية لما اتت وطرقت باب اسحاق خرج لها وقال يا سيدتي ما الذي اتي بك في هذه الاوحال قالت له قاصدك جاءني ووصف ما عندك من الصبابة والشوق فلم يسعني الا الاجابة والاسراع نحوك فتعجبت من ذلك وكرهت اني اقول لها لم ارسل اليك احدا فقلت الحمد لله علي جمع الشمل بعدما قاسيت من الم الصبر ولو كنت ابطأت علي ساعة كنت احق بالسعي اليك لاني مشتاق اليك كثير الصبابة نحوك ثم قلت لغلامي هات الماء فاقبل بمسخنة فيها ماء حار حتي تصلح حالها ثم امرته ان يصب الماء علي رجليها وتوليت غسلهما بنفسي ثم دعوت ببدلة من افخر الملبوس فالبستها اياها بعد ان نزعت ما كان عليها وجلسنا ثم استدعيت بالطعام فابت فقلت هل لك في الشراب قالت نعم فتناولت اقداحا ثم قالت من يغن فقلت انا يا سيدتي فقالت لا احب فقلت بعض جواري قالت لا اريد قلت غني بنفسك قالت ولا انا قلت لها فمن يغني لك قالت اخرج التمس من يغني لي فخرجت طاعة لها لا اني يائس ومتيقن ان لا اجد احدا في مثل هذا الوقت فلم ازل ماشيا حتي بلغت الشارع واذ انا باعمي يخبط الارض بعصاه وهو يقول لا جزي الله من كنت عندهم خيرا ان غنيت لم يسمعوا وان سكت استخفوا بي فقلت له امغن انت قال نعم قلت له فهل لك ان تتم ليلتك عندنا وتؤنسنا قال ان شئت خذ بيدي فاخذت بيده وسرت الي الدار وقلت لها يا سيدتي قد اتيت بمغن اعمي نلتذ به ولايرانا فقالت علي به فادخلته وعزمت عليه بالطعام فاكل اكلا لطيفا وغسل يديه وقدمت اليه الشراب فشرب ثلاثة اقداح ثم قال من تكون قلت اسحاق بن ابراهيم الموصلي قال لقد كنت اسمع بك والان فرحت بمنادمتك فقلت يا سيدتي فرحت بفرحك ثم قال غن لي يا اسحاق فاخذت العود علي سبيل المجون

وقلت السمع والطاعة فلما ان غنيت وانقضي الصوت قال يا اسحاق قاربت ان تكون مغنيا فصغرت الي نفسي والقيت العود من يدي فقال اما عندك من يحسن الغناء قلت عندي جارية قال أامرها ان تغني فقلت هل تغني وانت واثق بغنائها قال نعم فغنت قال لا ما صنعت شيأ فرمت العود من يدها مغضبة وقال الذي عندنا جدنا به فان كان عندك شئ فتصدق به علينا فقال علي بعود لم تمسه يد فامرت الخادم فجاء بعود جديد فجس العود وضرب في طريق لا اعرفها واندفع يغني وينشد هذين البيتين

سري يقطع الظلما والليل عاكف حبيب باوقات الزيارة عارف
وما راعنا الا السلام وقولها ايدخل محبوب علي الباب واقف

قال فنظرت الي الجارية شذرا وقالت سر بيني وبينك ما يسعه صدرك ساعة واودعته لهذا الرجل فحلفت لها واعتذرت اليها ثم اخذت اقبل يديها وازغزغ ثدييها واعض خديها حتي ضحكت ثم التفت الي الاعمي وقلت له غن يا سيدي فاخذ العود وغني بهذين البيتين

الا ربما زرت الملاح وربما لمست بكفي البنان المخضبا
وزغزغت رمان الصدور ولم ازل اعضعض تفاح الخدود المكببا

فقلت لها يا سيدتي من اعلمه بما نحن فيه قالت صدقت ثم تجنبناه فقال اني حاقن فقلت يا غلام خذ الشمعة وامض بين يديه فخرج وابطأ فخرجنا في طلبه فلم نجده فاذا الابواب مغلقة والمفاتيح في الخزانة فلا ندري في السماء صعد ام في الارض هبط فعلمت انه ابليس وانه قاد لي ثم انصرفت فتذكرت قول ابي نواس حيث قال هذين البيتين

عجيب من ابليس في كبره وخبث ما اضمره في نيته
تاه علي ادم في سجدة وصار قوادا لذريته

وحكي ايضا ان ابراهيم بن اسحاق قال كنت منقطعا الي البرامكة فبينما انا يوما في منزلي واذا ببابي يدق فخرج غلامي وعاد وقال لي علي الباب فتي جميل يستأذن فاذنت له فدخل شاب عليه اثر السقم فقال ان لي مدة احاول لقاءك ولي اليك حاجة فقلت ما

هي فاخرج ثلاثمائة دينار فوضعها بين يدي وقال اسألك ان تقبلها مني وتصنع لي لحنا في بيتين قلتهما فقلت له انشدنيهما فانشد وجعل يقول وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة السابعة والتسعون بعد الستمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن ابراهيم ابن اسحاق لما دخل عليه الفتي ووضع بين يديه الدنانير وقال له اسألك ان تقبلها وتصنع لي لحنا في بيتين قلتهما فقال له انشدنيهما فانشد يقول

بالله يا طرفي الجاني علي كبدي   لتطفئن بدمعي لوعة الحزن
الدهر من جملة العذال في سكني   فلا اراه ولو ادرجت في كفني

قال فصنعت له لحنا يشبه النوح ثم غنيته فاغمي عليه حتي ظننت انه مات ثم افاق وقال اعد فناشدته الله وقلت اخشي ان تموت قال ليت ذلك لو كان ومازال يخضع ويتضرع حتي رحمته واعدته فصعق صعقة اشد من الاولي فلم اشك في موته ومازلت انضح عليه من ماء الورد حتي افاق وجلس فحمدت الله علي سلامته وضعت دنانيره بين يديه وقلت له خذ مالك وانصرف عني فقال لا حاجة لي به ولك مثلها ان اعدت اللحن فانشرح صدري الي المال فقلت له اعيد ولكن بثلاثة شروط اولها ان تقيم عندي وتأكل طعامي حتي تقوي نفسك والثاني ان تشرب من الشراب ما يمسك قلبك والثالث ان تحدثني بحديثك ففعل ذلك ثم قال اني رجل من اهل المدينة خرجت متنزها وقد سلكت طريق العقيق مع اخوتي فرأيت جارية مع فتيات كانهن غصن جلله الندي تنظر بعينين ما ارتد طرفهما الا بنفس ملاحظتهما فاظللن حتي فرغ النهار ثم انصرفن وقد وجدت بقلبي جراحا بطيئة الاندمال فعدت اتنسم اخبارها فلم اجد احدا فصرت اتتبعها في الاسواق فلم اقع لها علي خبر ومرضت اسي وحكيت قصتي لذي قرابة لي فقال لا بأس عليك هذه ايام الربيع ما انقضت وستمطر السماء فتخرج حينئذ واخرج انا معك فافعل مرادك فاطمأنت نفسي بذالك الي ان سال العقيق وخرج الناس فخرجت مع اخوتي وقرابتي فجلسنا في مجلسنا بعينه فما لبثنا الا والنسوة أقبلن كفرسي رهان فقلت لجارية من اقاربي قولي لهذه الجارية يقول لك هذا الرجل لقد احسن من قال هذا البيت

رمتني بسهم اقصد القلب وانثنت   وقد عاودت جرحا به وندوبا

فمضت اليها وقالت لها ذلك فقالت قولي لـه لـقد احسن من اجاب بهذا البيت.

بنـا مثـل ما تشـكو فصـبرا لـعلنـا   نـــري فرجـا يشفـي القلـوب قريـبا

وامسكت عن الكلام خوف الفضيحة وقمت منصرفا فقامت لقيامي وتبعتها فرأتني حتي عـرفت منزلها وصـارت تسير الي واسير الـيها حتي اجـتمعنا وكـثر ذلك حتي شاع وظهر وعلم ابوها فلم ازل مجتهدا في لقائـها وشكوت ذلك الي ابي فجمع اهلنا ومضي الي ابيها راغبا في خطبتها فقال لو بدا لي ذلك قبل ان يفضحها لفعلت ولكن اشتهر ذلك فمـا كـنـت لاحقق قول الـناس قال ابـراهيم فـاعدت علـيه الصـوت فعرفنـي منزلـه ثم انصـرف وكـان بيننا عشرة ثم جلس جعفر بـن يحـيي وحضرت علي عادتي فغنيته شعر الفتي فطرب وشرب اقـداحا وقال ويلك لمن هذا الصوت فحدثته حديـث الفتي فامرني بالركوب اليه وان اجعله علي ثقة من بلوغ اربه فمضيت اليه فاحضرته فاستعاده الحديث فحدثه فقال انت في ذمتي حتي ازوجك اياها فطابت نفسه واقام معنا فلما اصبح الصباح ركب جعفر الي الرشيد وحدثه بذلك فاستظرفه وامر ان نحضر جميعا فاستعاد الصوت وشرب عليه ثم امر بكـتب كتاب الي عامل الحجاز باحضار ابي المرأة واهـلها مبجلا الي حضرتـه والانفاق عليـهم نفقة واسـعة فلم يمـض الا يسير حتـي حضروا فاشار الـرشيد باحضـار الرجل بين يديـه فحضر وامره بـتزويج ابنـته من الفتـي واعطاه مائة الـف دينار وانقلب الي اهله ولم يزل الشاب من ندماء جعـفر حتي حدث ما حدث فعاد الفتي باهله الي المدينة فرحم الله تعـالي ارواحهم اجمعين وحكي ايضا ايها الملـك السعيد ان الوزير ابا عامر بـن مروان كان قد اهدي اليه غلام من النصاري لا تقـع العيون علي احـسن منه فلمحه الملك الناصر فقال لسيده من اين هـذا قال هو من عند الله فقال له اتخوفنا بالنجوم وتأسرنا بالاقمـار فاعتذر اليه ثم احتفل فـي هدية بعثها اليه مع الـغلام وقال له كن داخلا في جملة الهدية ولولا الضرورة ما سمحت بك نفسي وكتب معه هذين البيتين

امـولاي هـذا الـبدر سـار لافـقـكـم   ولـلأفق اولـي بـالـبدور مـن الارض
فـارضيـكـم بالـنـفـس وهي نـفـيسـة   ولــم ار قـبـلـي مـن بمهجته يـرضـي

فحسن ذلك عند الـناصر واتحفه بمال جزيل وتمكن عنده ثم بعـد ذلك اهديت للوزير جارية من اجلاء نساء الدنيا فخاف ان ينمي ذلك الي الناصر فيطلبها فتكون كقصة الغلام فاحتفل في هدية اعظم من الاولي وارسلها مع الجارية وأدرك شهرزاد الـصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الثامنة والتسعون بعد الستمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الوزير ابا عامر لما اهديت اليه الجارية خاف ان يصل خبرها الي الملك الناصر وتكون قصتها مثل قصة الغلام فاحتفل في هدية اعظم من الاولي وارسلها وصحبتها الجارية وكتب معها هذه الابيات

امولاي هذي الشمس والبدر اولا تقدم كيما يلتقي القمران

قران لعمري بالسعادة ناطق قدم منهما في كوثر وجنان

فما لهما والله في الحسن ثالث ومالك في ملك البرية ثان

فتضاعفت مكانته عنده ثم وشي به بعض اعدائه عند الناصر بان عنده من الغلام بقية حرارة وانه لا يزال يلهج بذكره حين تحركه الشمول فيقرع السن علي اهداء الغلام فقال الناصر لا تحرك به لسانك والا اطرت رأسك وكتب اليه علي لسان الغلام ورقة فيه يا مولاي انت تعلم انك كنت لي علي الانفراد ولم ازل معك في نعيم وانا ان كنت عند السلطان فاني احب انفرادي بك ولكنني اخشي من سطوة الملك فتحيل في استدعائي منه ثم بعثها مع غلام صغير واوصاه ان يقول هي من عند فلان وان الملك لم يكلمه قط فلما وقف عليها ابو عامر ودلس عليه الخادم احس بالشربة فكتب علي ظهر الورقة هذه الابيات

امن بعد احكام التجارب ينبغي لذي الحزم ان يسعي الي غابة الاسد

ولا انا ممن يغلب الحب عقله ولا جاهل ما يدعيه اولو الحسد

فان كنت روحي قد وهبتك طائعا وكيف ترد الروح ان فارق الجسد

فلما وقف الناصر علي الجواب تعجب من فطنته ولم يعد الي استماع واش فيه بعد ذلك ثم قال له كيف خلصت من الشرك قال لان عقلي بالهوي غير مشترك والله اعلم وحكي ايضا ايها الملك السعيد انه كان في زمن خلافة هارون الرشيد رجل يسمي احمد الدنف وآخر اسمه حسن شومان وكانا صاحبا مكر وحيل ولهما افعال عجيبة فبسبب ذلك خلع الخليفة علي احمد الدنف خلعة وجعله مقدم الميمنة وخلع علي حسن شومان خلعة وجعله مقدم الميسرة وجعل لكل واحد منهما جامكية في كل شهر الف دينار كان

لكل واحد منـهما اربعون رجلا من تحت يده وكـان مكتوبا علي احمـد الدنف درك البر فنزل احمـد الدنف ومعه حسـن شومان ومن تحت ايديهـما راكبين والامير خـالد الوالي بصحبتهم والمنادي ينادي حسبما رسم الخليفة انه لامقدم بغداد في الميمنة الا المقدم احمد الدنف ولا مقدم بغداد في الميسرة الا حسن شومان وانـهما مسموعا الكلمة واجبا الحرمة وكان في الـبلدة عجوز تسـمي الدليلة المحتالة ولها بنـت تسمي زينب الـنصابة فسمـعتا المنـاداة بذلك فقـال زينب لامهـا دليلة انـظري يا امـي هذا احمد الـدنف جاء من مـصر مطرودا ولـعب مناصف فـي بغداد الي ان تـقرب عند الخلـيفة وبقي مـقدم الميمـنة وهذا الولد الاقرع حـسن شومان صار مقـدم الميسرة وله سمـاط في الغداة وسماط فـي العشي ولهما جوامك لكل واحد منهما الف دينـار في كل شهر ونحن قاعدون معطلون في هذا البيت لا مقام لنا ولاحرمة وليس لنا من يسأل عنا وكان زوج دليلة مقدم بغداد سابقا وكان له عند الخليفة في كل شهر الف دينار فمـات عـن بنتين بنت متزوجة ومـعها ولد يسمي احـمد الـلقيط وبـنـت عـازبة تمسي زينـب النصابة وكانت دلـيلة صـاحبـة حيل وخداع ومناصف وكانت تتحيل عـلي الثعبان حتي تطلعه من وكره وكان ابليس يـتعلم منها المكر وكان زوجهـا براج عند الخليـفة وكان له جامـكية كل شهـر الف دينار وكان يربـي حمام البطاقة الـذي يسافر بالكتب والـرسائل وكان عند الخليـفة كل طير لوقت حاجـته اعز من واحد من اولاده فقالت زينب لامها قـومي اعملي حـيلا ومناصف لعل بذلك يشتهر لنا صيت فـي بغداد وتكـون لنا جامكـية ابينـا وأدرك شهرزاد الصبـاح فسكتت عـن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة التاسعة والتسعون بعد الستمائة

قالت بلغنى أيها المـلك السعيد أن زينب النصابة لما قالت لامها قـومي اعملي لنا حيلا ومناصف لعل بذلك يشيع لنا صيت في بغداد فتـكون لنا جامكية ابينا فقالت لها وحياتك يا بنتي لالعب في بغداد مناصف اقوي من مـناصف احمد الدنف وحسن شومان فقامت ضربت علي وجهـها لثاما ولبست لباس الفقـراء من الصوفية ولبست لباسا نـازلا لكعبها وجبة صوف تحـزمت بمنطقة عريـضة واخذت ابريقا وملأتـه ماء لرقبته وحطـت في فمه ثلاثة دنانير وغطت فـم الابريق بليفة وتقلدت بسبح قدر حـملة حطب واخذت راية في

يدها وفيها شراميط حمر وصفر وطلعت تقول الله الله واللسان الناطق بالتسبيح والقلب راكض في ميدان القبيح وصارت تتلمح لمنصف تلعبه في البلد فسارت من زقاق الي زقاق حتي وصلت الي زقاق مكنوس مرشوش وبالرخام مفروش فرأت بابا مقوصرا بعتبة من مرمر ورجلا مغربيا بوابا واقفا بالباب وكانت تلك الدار لرئيس الشاويشية عند الخليفة وكان صاح الدار ذا زرع وبلاد وجامكية واسعة وكان يسمي بالامير حسن شر الطريق وما سموه بذلك الا لكون ضربته تسبق كلمته وكان متزوجا بصبية مليحة وكان يحبها وكانت ليلة دخلته بها حلفته انه لا يتزوج عليها ولا يبيت في غير بيته الي ان طلع زوجها يوما من الايام الي الديوان فرأي كل امير معه ولد او ولدان وكان قد دخل الحمام ورأى وجهه في المرآة فرأي بياض شعر دقنه غطى سوادها فقال في نفسه هل الذي اخذ اباك لا يرزقك ولدا ثم دخل علي زوجته وهو متغاظ فقالت له مساء الخير فقال لها روحي من قدامي من يوم رأيتك ما رأيت خيرا فقالت له لاي شئ فقال لها ليلة دخلت عليك حلفتيني اني ما اتزوج عليك ففي هذا اليوم رأيت الامراء كل واحد معه ولد وبعضهم معه ولدان فتذكرت الموت وانا ما رزقت بولد ولا بنت ومن لا ذكر له لا يذكر وهذا سبب غيظي فانك عاقر لا تحبلين مني فقالت له اسم الله عليك انا خرقت الاهوان من دق الصوف والعقاقير وانا مالي ذنب والعاقة منك لانك بغل افطس وبيضك رايق لا يحبل ولا يجيئ باولاد فقال لها لما ارجع من السفر اتزوج عليك فقالت له نصيبي علي الله وطلع من عندها وندما علي معايرة بعضهما فبينما زوجته تطل من طاقتها وهي كانها عروسة كنز من المصاغ الذي عليها واذا بدليلة واقفة فرأتها فنظرت عليها صيغة وثيابا مثمنة فقالت لنفسها يا دليلة لا اصنع من ان تأخذي هذه الصبية من بيت زوجها وتعريها من المصاغ والثياب وتأخذي جميع ذلك فوقفت وذكرت تحت شباك القصر وقالت الله الله فرأت الصبية هذه العجوز وهي لابسة من الثياب البيض ما يشبه قبة من نور متهيئة بهيئة الصوفية وهي تقول احضروا يا اولياء الله فطلت نساء الحارة من الطيقان وقالت شيئا لله من المدد هذه شيخة طالع من وجهها النور فبكت خاتون زوجة الامير حسن وقالت لجاريتها انزلي قبلي يد الشيخ ابي علي البواب وقولي له خليه يدخل الشيخة لنتبرك بها فنزلت وقبلت يده وقالت سيدتي تقول لك خل هذه الشيخة تدخل الي سيدتي لنتبرك بها وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الموفية للسبعمائة

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية لما نزلت للبواب وقالت له سيدتي تقول لك خل هذه الشيخة تدخل لسيدتي لتتبرك بها لعل بركتها تعم علينا فتقدم البواب وقبل يدها فمنعته وقالت له ابعد عني لئلا تنقض وضوئي انت الآخر مجذوب وملحوظ من الاولياء الله يعتقك من هذه الخدمة يا ابا علي وكان للبواب اجرة ثلاثة اشهر علي الامير وكان معسراً ولم يعرف ان يخلصها من ذلك الامير فقال لها يا امي اسقيني من ابريقك لاتبرك بك فاخذت الابريق من كتفها وبرمت به في الهواء وهزت يدها حتي طارت الليفة من فم الابريق فنزلت الثلاثة دنانير علي الارض فنظرها البواب والتقطها وقال في نفسه شئ لله هذه الشيخة من اصحاب التصوف فانها كاشفت علي وعرفت اني محتاج للمصروف فتصرفت لي في حصول ثلاثة دنانير من الهواء ثم اخذها في يده وقال لها خذي يا خالتي الثلاثة دنانير التي وقعت في الارض من ابريقك فقالت له العجوز ابعدها عني فاني من ناس لا يشتغلون بدنيا ابدا خذها ووسع بها علي نفسك عوضا عن الذي لك علي الامير فقال شيئا لله من المدد وهذا من باب الكشف واذا بالجارية قبلت يدها واطلعتها لسيدتها فلما دخلت رأت سيدة الجارية كانها كنز انفكت عنه الطلاسم فرحبت بها وقبلت يدها فقالت لها يا بنتي انا ما جئتك الا بمشورة فقدمت لها الاكل فقالت يا بنتي انا ما آكل الا من مأكل الجنة واديم صيامي فلا افطر الا خمسة ايام في السنة ولكني يا بنتي انا انظرك مكدرة ومرادي ان تقولي لي علي سبب تكديرك فقالت يا امي في ليلة ما دخلت حلفت علي زوجي انه لا يتزوج غيري فراي الاولاد فتشوق اليهم فقال لي انت عاقر فقلت له انت بغل لا تحبل فخرج غضبان وقال لما ارجع من السفر اتزوج عليك وانا خائفة يا امي ان يطلقني ويأخذ غيري فان له بلادا وزروعا وجامكية واسعة فاذا جاء له اولاد من غيري يملكون المال والبلاد مني فقالت لها يا بنتي هل انت عمياء عن شيخي ابي الحملات فكل من كان مديونا وزاره قضي الله دينه وان زارته عقيم فانها تحبل فقالت يا امي انا من يوم دخلت ما خرجت لا معزية ولا مهنية وقالت لها العجوز يا بنتي انا آخذك معي وازورك ابا الحملات وارمي حملتك عليه وانذري له عسي ان يجيئ زوجك من السفر ويجامعك فتحبلي منه ببنت او ولد وكل شئ ولدتيه ان كان انثي او ذكرا يبقي

درويش الشيخ ابي الحملات فقامت الصبية ولبست مصاغها جميعه ولبست افخر ما كان عندها من الثياب وقالت للجارية القي نظرك علي البيت فقالت سمعا وطاعة يا سيدتي ثم نزلت فقابلها الشيخ ابو علي البواب فقال لها الي اين يا سيدتي فقالت له انا رايحة لازور الشيخ ابا الحملات فقال البواب صوم العام يلزمني ان هذه الشيخة من الاولياء وملآنة بالولاية وهي يا سيدتي من اصحاب التصريف لانها اعطتني ثلاثة دنانير من الذهب الاحمر وكاشفت علي من غير ان اسألها وعلمت اني محتاج فخرجت العجوز والصبية زوجة الامير حسن شر الطريق معها والعجوز الدليلة المحتالة تقول للصبية ان شاء الله يا بنتي لما تزورين الشيخ ابا الحملات يحصل لك جبر الخاطر وتحبلين باذن الله تعالي ويحبك زوجك الامير حسن ببركة هذا الشيخ ولا يسمعك كلمة تؤذي خاطرك بعد ذلك فقالت لها ازوره يا امي ثم قالت العجوز في نفسها اين اعريها وآخذ ثيابها والناس رايحة وغادية فقالت لها يا بنتي اذا مشيت فامشي ورائي علي قدر ما تنظرينني لان امك صاحبة حمل كثيرة وكل من كان عليه حملة يرميها علي وكل من كان معه نذر يعطيه لي ويقبل يدي فمشت الصبية وراءها بعيدا عنها والعجوز قدامها الي ان وصلتا الي سوق التجار والخلخال يرن والعقوص تشن فمرت علي دكان ابن تاجر يسمي سيدي حسن وكان مليحا جدا لا نبات بعارضيه فرأي الصبية مقبلة وصار يلحظها شذرا فلما لحظت ذلك العجوز غمزت الصبية وقال لها اقعدي علي هذا الدكان حتي اجئ اليك فامتثلت امرها وقعدت قدام دكان ابن التاجر فنظرها ابن التاجر نظرة اعقبته الف حسرة ثم اتته العجوز وسلمت عليه وقال له هل انت اسمك سيدي حسن ابن التاجر محسن فقال لها نعم من اعلمك باسمي فقالت دلني عليك اهل الخير واعلم ان هذه الصبية بنتي وكان ابوها تاجرا فمات وخلف لها مالا كثيرا وهي بالغة وقالت العقلاء اخطب لابنتك ولا تخطب لابنك وعمرها ما خرجت الا في هذا اليوم وقد جاءت الاشارة ونوديت في سري اني ازوجك بها وان كنت فقيرا اعطيتك رأس مال وافتح لك عوض الدكان اثنين فقال ابن التاجر في نفسه قد سألت الله عروسة فمن علي بثلاثة اشياء كيس وكس وكساء ثم قال لها يا امي نعم ما اشرت به علي فان امي طالما قالت لي اريد ان ازوجك لم ارض بل اقول انا لا اتزوج الا علي نظر عيني فقالت له قم علي قدميك واتبعني وانا اريها لك عريانة فقام معها واخذ معه الف دينار وقال في نفسه ربما نحتاج شيئا نشتريه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الاولى بعد السبعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن العجوز قالت لحسن ابن التاجر محسن قم اتبعني وانا اريها لك عريانة فقام معها واخذ معه الف دينار وقال في نفسه ربما تحتاج الي شئ فنشتريه ونحط معلوم عقد العقد ثم قالت له العجوز كن ماشيا بعيدا عنها علي قدر ما تنظرها بالعين وقالت العجوز في نفسها اين تروحين بابن التاجر وقد قفل دكانه فتعريه هو والصبية ثم مشت والصبية تابعة العجوز وابن التاجر تابع الصبية الي ان اقبلت علي مصبغة وكان فيها واحد معلم يسمي الحاج محمد وكان مثل سكين القلاقسي يقطع الذكر والانثي يحب اكل التين والرمان فسمع الخلخال يرن فرفع عينه فرأي الصبية والغلام واذا بالعجوز قعدت عنده وسلمت عليه وقالت له انت الحاج محمد الصباغ فقال لها نعم انا الحاج محمد اي شئ تطلبين فقالت له انا دلني عليك اهل الخير فانظر الي هذه الصبية المليحة بنتي وهذا الشاب الامرد المليح ابنى وانا ربيتهما وصرفت عليهما اموالا كثيرة واعلم ان لي بيتا كبيرا خسعا وصلبته علي خشب وقال لي المهندس اسكني في مطرح غيره ربما يقع عليك حتي تعمريه وبعد ذلك ارجعي اليه واسكني فيه فطلعت افتش لي علي مكان فدلني عليك اهل الخير ومرادي ان اسكن عندك بنتي وابنى فقال الصباغ في نفسه قد جاءتك زبدة علي فطيرة فقال لها صحيح ان لي بيتا وقاعة وطبقة ولكن انا ما استغني عن مكان منها للضيوف والفلاحين اصحاب النيلة فقالت له يا ابني معظمه شهر او شهران حتي نعمر البيت ونحن ناس غرباء فاجعل مكان الضيوف مشتركا بيننا وبينك وحياتك يا ابني ان طلبت ان ضيوفك تكون ضيوفنا فمرحبا بهم نأكل معهم وننام معهم فاعطاها المفاتيح واحدا كبير والاخر صغير ومفتاح اعوج وقال لها المفتاح الكبير للبيت والاعوج للقاعة والصغير للطبقة فاخذت المفاتيح وتبعتها الصبية ووراءها ابن التاجر الي ان اقبلت علي زقاق فرأت الباب ففتحته ودخلت ودخلت الصبية وقالت لها يا بنتي هذا بيت الشيخ ابي الحملات واشارت لها الي القاعة ولكن اطلعي الطبقة وحلي ازارك حتي أجئ اليك فدخلت الصبية في الطبقة وقعدت فاقبل ابن

التاجر فاستقبلته العجوز وقال له اقعد في القاعة حتي اجئ اليك ببنتي لتنظرها فدخل وقعد في القاعة ودخلت العجوز علي الصبية فقالت لها الصبية انا مرادي ان ازور ابا الحملات قبل ان يجئ الناس فقالت لها يا بنتي يخشي عليك فقالت لها من اي شئ فقالت لها هناك ولدي ابهل لا يعرف صيفا من شتاء دائما عريان وهو نقيب الشيخ فان دخلت بنت مثلك لتزور الشيخ يأخذ حلقها ويشرم اذنها ويقطع ثيابها الحرير فانت تقلعين صيغتك وثيابك لاحفظها لك حتي تزوري فقلعت الصبية الصيغة والثياب واعطت العجوز اياها وقالت لها اني اضعها علي ستر الشيخ فتحصل لك البركة ثم اخذتها العجوز وطلعت وخلتها بالقميص واللباس وخبأتها في محل في السلالم ثم دخلت علي ابن التاجر فوجدته في انتظار الصبية فقال لها اين بنتك حتي انظرها فلطمت علي صدرها فقال لها مالك فقالت له لا عاش الجار السوء ولا كان جيران يحسدون لانهم رأوك داخلا معي فسألوني عنك فقلت انا خطبت لبنتي هذا العريس فحسدوني عليك فقالوا لبنتي هل امك تعبت من مؤنتك حتي تزوجك لواحد مبتل فحلفت لها اني ما اخليها تنظرك الا وانت عريان فقال اعوذ بالله من الحاسدين وكشف عن ذراعيه فرأتهما مثل الفضة فقالت له لا تخشي من شئ فاني ادعك تنظرها عريانة مثل ما تنظرك عريان فقال لها خليها تجئ لتنظرني وقلع الفروة السمور والحياصة والسكين وجميع الثياب حتي صار بالقميص واللباس وحط الالف دينار في الحوايج فقالت له هات حوايجك حتي احفظها لك واخذتها ووضعتها علي حوايج الصبية وحملت جميع ذلك وخرجت به من الباب وقفلته عليهما وراحت الي حال سبيلها وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الثانية بعد السبعمائة

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن العجوز لما اخذت حوايج ابن التاجر وحوايج الصبية وقفلت الباب عليهما وراحت الي حال سبيلها اودعت الذي كان معها عند رجل عطار وراحت الي الصباغ فرأته قاعدا في انتظارها فقال لها ان شاء الله يكون البيت

اعجبكم فقالت فيه بركة وانا رايحة أجئ بالحمالين يحملون حوايجنا وفرشنا واولادي قد اشتهوا علي عيشا بلحم فانت تأخذ هذا الدينار وتعمل لهما عيشا بلحم وتروح تتغدي معهم فقال الصباغ ومن يحرس المصبغة وحوايج الناس فيها فقالت صبيك قال وهو كذلك ثم اخذ صحنا ومكبة معه وراح يعمل الغداء هذا ما كان من امر الصباغ وله كلام يأتي واما ما كان من امر العجوز فانها اخذت من العطار حوايج الصبية وابن التاجر ودخلت المصبغة وقالت لصبي الصباغ الحق معلمك وانا لا ابرح حتي تأتيان فقال لها سمعا وطاعة ثم اخذت جميع ما فيها واذا برجل حمار حشاش له اسبوع وهو بطال فقالت له العجوز تعالي يا حمار فجاءها فقالت له هل انت تعرف ابن الصباغ قال لها اعرفه قالت له هذا مسكين قد افلس وبقي عليه ديون وكلما يحبس اطلقه ومرادنا ان نثبت اعساره وانا رايحه اعطي الحوايج لاصحابها ومرادي ان تعطيني الحمار حتي احمل عليه الحوايج للناس وخذ هذا الدينار كراه وبعد ان اروح تأخذ الدسترة وتنزح بها الذي في الخوابي ثم تكسر الخوابي الدنان لاجل اذا نزل كشف من طرف القاضي لا يجد شيئا في المصبغة فقال لها ان المعلم فضله علي واعمل شيئا لله فاخذت الحوايج وحملتها فوق الحمار وستر عليها الستار وعمدت الي بيتها فدخلت علي بنتها زينب فقالت لها قلبي عندك يا امي اي شئ عملت من المناصف فقالت لها انا لعبت اربع مناصف علي اربعة اشخاص ابن تاجر وامرأة شاويش وصباغ وحمار وجئت لك بجميع حوايجهم علي حمار الحمار فقالت لها يا امي ما بقيت تقدري ان تشقي في البلد من الشاويش الذي اخذت حوايج امرأته وابن التاجر الذي عريتيه والصباغ الذي اخذت حوايج الناس من مصبغته والحمار صاحب الحمار فقالت آه يا بنتي انا ما احسب الاحساب الحمار فانه يعرفني واما ما كان من امر المعلم الصباغ فانه جهز العيش واللحم وحمله علي رأس خادمه وفات علي المصبغة فرأي الحمار يكسر في الخوابي ولم يبق فيها قماش ولا حوايج ورأي المصبغة خرابا فقال له ارفع يدك يا حمار فرفع يده وقال له الحمار الحمد لله علي السلامة يا معلم قلبي عليك فقال له لاي شئ وما حصل لي فقال له قد صرت

مفلسا وكتبوا حجة اعسارك فقال له من قال لك فقال له امك قالت لي وامرتني بكسر الخوابي ونزح الدنان خوفا من الكشاف اذا جاء ربما يجد في المصبغة شيئا فقال له الله يخيب البعيد ان امي ماتت من منذ زمان ودق صدره بيده وقال يا ضياع مالي ومال الناس فبكي الحمار وقال يا ضيعة حماري ثم قال للصباغ هات لي حماري يا صباغ من امك فتعلق الصباغ بالحمار وصار يلكمه ويقول احضر لي العجوز فقال له احضر لي الحمار فاجتمعت عليهما الخلائق وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الثالثة بعد السبعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الصباغ تعلق بالحمار والحمار تعلق بالصباغ وتضاربا وصار كل منهما يدعي علي صاحبه فاجتمعت عليهما الخلائق فقال واحد منهم اي شئ الحكاية يا معلم محمد قال له الحمار انا احكي لكم الحكاية وحدثهم بما جري له وقال اني اظن اني مشكور عند المعلم فلما رآني دق صدره وقال لي امي ماتت وانا الآخر اطلب حماري منه لانه عمل علي هذا المنصف لاجل ان يضيع حماري علي فقالت الناس يا معلم محمد وهذه العجوز انت تعرفها لانك استأمنتها علي المصبغة والذي فيها فقال لا اعرفها وانما سكنت عندي في هذا اليوم هي وابنها وبنتها فقال واحد في ذمتي ان الحمار في عهدة الصباغ فقيل له ما اصله فقال لان الحمار ما اطمأن واعطي العجوز حماره الا لما رأي الصباغ استأمن العجوز علي المصبغة والذي فيها فقال واحد يا معلم لما سكنتها عندك وجب عليك انك تجئ له بحماره ثم تمشوا قاصدين البيت ولهم كلام يأتي واما ابن التاجر فانه انتظر مجئ العجوز فلم تجئ ببنتها واما الصبية فانها انتظرت العجوز ان تجئ لها باذن من ابنها المجذوب الذي هو نقيب الشيخ ابي الحملات فلم ترجع اليها فقامت لتزور واذا بابن التاجر يقول لها حين دخلت تعالي اين امك التي جاءت بي لاتزوج بك فقالت ان امي ماتت فهل انت ابنها المجذوب نقيب الشيخ ابي الحملات فقال هذه ما هي امي هذه عجوز نصابة نصبت علي حتي اخذت ثيابي والالف دينار فقالت له الصبية وانا الاخري نصبت علي وجاءت بي لازور ابا الحملات واعرتني فصار

ابن التاجر يقول للصبية انا ما اعرف ثيابي والالف دينار الا منك والصبية تقول انا ما اعرف حوايجي وصيغتي الا منك فاحضر لي امك واذا بالصباغ داخل عليها فرأي ابن التاجر عريانا والصبية عريانة فقال قولالي اين امكما فحكت الصبية جميع ما وقع لها وحكي ابن التاجر جميع ما جري له فقال الصباغ يا ضياع مالي ومال الناس وقال الحمار يا ضياع حماري اعطني يا صباغ حماري فقال الصباغ هذه عجوز نصابة اطلعوا حتي اقفل الباب فقال ابن التاجر يكون عيبا عليك ان ندخل بيتك لابسين ونخرج منه عريانين فكساه وكسا الصبية وروحها بيتها ولها كلام يأتي بعد قدوم زوجها من السفر واما ما كان من امر الصباغ فانه قفل المصبغة وقال لابن التاجر اذهب بنا لنفتش علي العجوز نسلمها للوالي فراح معه وصحبتهما الحمار ودخلوا بيت الوالي وشكوا اليه فقال لهم ياناس اي شئ خبركم فحكوا له ما جري فقال لهم وكم عجوز في البلد روحوا وفتشوا عليها وامسكوها وانا اقررها لكم فداروا يفتشون عليها ولهم كلام يأتي واما العجوز دليلة المحتالة فانها قالت لبنتها زينب يا بنتي انا اريد ان اعمل منصفا فقالت لها يا امي اخاف عليك فقالت لها انا مثل سقط الفول عاص عن الماء والنار فقامت ولبست خادمة من خدام الاكابر وطلعت تتلمح لمنصف تعمله فمرت علي زقاق مفروش فيه قماش ومعلق فيه قناديل وسمعت فيه مغاني ونقر دفوف ورأت جارية علي كتفها ولد بلباس مطرز بالفضة وعليه ثياب جميلة وعلي رأسه طربوش مكلل باللؤلؤ وفي رقبته طوق ذهب مجوهر وعليه عباءة من قطيفة وكان هذا البيت لشاه بندر التجار ببغداد والولد ابنه وله ايضا بنت بكر مخطوبة وهم يعملون املاكها في ذلك اليوم وكان عند امها جملة نساء ومغنيات فكلما تطلع امه وتنزل يشبط معها الولد فنادت الجارية وقالت لها خذي سيدك لاعبيه حتي ينفض المجلس ثم ان العجوز دليلة لما دخلت رأت الولد علي كتف الجارية فقالت لها اي شئ عند سيدتك اليوم من الفرح فقالت تعمل املاك بنتها وعندها المغاني فقالت في نفسها يا دليلة ما منصف الا اخذ هذا الولد من هذه الجارية وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الرابعة بعد السبعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن العجوز لما قالت لنفسها يا دليلة ما منصف الا اخذ هذا الولد من هذه الجارية قالت بعد ذلك يا فضيحة الشوم ثم اطلعت من جيبها برقة صغيرة من الصفر مثل الدينار وكانت الجارية غشيمة ثم قالت العجوز للجارية خذي هذا الدينار وادخلي لسيدتك وقولى لها ام الخير فرحت لك وفضلك عليها ويوم المحضر تجئ هي وبناتها وينعمن علي المواشط بالنقوط فقالت الجارية يا امي وسيدي هذا كلما ينظر امه يتعلق بها فقالت هاتيه معي حتي تروحي وتجييء فاخذت الجارية البرقة ودخلت واما العجوز فانها اخذت الولد وراحت الي زقاق فقلعته الصيغة والثياب التي عليه وقالت لنفسها يا دليلة ما شطارة الا مثل ما لعبت علي الجارية واخذتيه منها ان تعملي منصفا وتجعليه رهنا علي شئ بالف دينار ثم ذهبت الي سوق الجواهرجية فرأت يهوديا صائغا وقدامه قفص ملآن صيغة فقالت لنفسها ما شطارة الا ان تحتالي علي هذا اليهودي وتأخذي منه صيغة بالف دينار وتحطي الولد رهنا عنده عليها فنظر اليهودي بعينه فرأى الولد مع العجوز فعرفه أنه ابن شاه بندر التجار وكان اليهودي صاحب مال كثيرا وكان يحسد جاره اذا باع بيعه ولم يبع هو فقال لها اي شئ تطلبين يا سيدتي فقالت له انت المعلم عذرة اليهودي لانها كانت سألت عن اسمه فقال لها نعم فقالت له اخت هذا الولد بنت شاه بندر التجار مخطوبة وفي هذا اليوم عملوا املاكها وهي محتاجة لصيغة فائت لنا بزوجين خلاخيل ذهبا وزوج اساور ذهبا وحلق لؤلؤ وحياصة وخنجر وخاتم فاخذت منه شيئا بالف دينار وقالت له انا آخذ هذا المصاغ علي المشاورة فالذي يعجبهم يأخذونه وآتي اليك بثمنه وخذ هذا الولد عندك فقال الامر كما تريدين فاخذت الصيغة وراحت بيتها فقالت لها بنتها اي شئ فعلت من المناصف فقالت لعبت منصفا فاخذت ابن شاه بندر التجار واعريته ثم رحت رهنته علي مصالح بالف دينار فاخذتها من يهودي فقالت لها بنتها ما بقيت تقدري ان تمشي في البلد واما الجارية فانها دخلت لسيدتها وقال يا سيدتي ان ام الخير تسلم عليك وفرحت لك ويوم المحضر تجئ هي وبناتها ويعطين النقوط فقالت لها سيدتها واين سيدك فقالت لها خليته عندها خوفا ان يتعلق بك واعطتني نقوطا للمغنيات فقالت لرئيسة المغنيات خذي نقوطك فاخذته فوجدته برقة من الصفر

فقالت لها سيدتها انزلي يا عاهرة انظري سيدك فنزلت الجارية فلم تجد الولد ولا العجوز فصرخت وانقلبت علي وجهها وتبدل فرحهم بحزن واذ بشاه بندر التجار اقبل فحكت له زوجته جميع ما جري فطلع يفتش عليه وصار كل تاجر يفتش من طريق ولم يزل شاه بندر التجار يفتش حتي رأي ابنه عريانا علي دكان اليهودي فقال له هذا ولدي فقال اليهودي نعم فاخذه ابوه ولم يسأل عن ثيابه لشدة فرحه به واما اليهودي فانه لما رأي التاجر اخذ ابنه تعلق به وقال الله ينصر فيك الخليفة فقال له التاجر ما بالك يا يهودي فقال اليهودي ان العجوز اخذت مني صيغة لبنتك بالف دينار ورهنت هذا الولد عندي وما اعطيتها الا لانها تركت هذا الولد عندي رهنا علي الذي اخذته وما ائتمنتها الا لكوني اعرف هذا الولد ولدك فقال التاجر ان بنتي لا تحتاج الي صيغة فاحضر لي ثياب الولد فصرخ اليهودي وقال ادركوني يا مسلمون واذا بالحمار والصباغ وابن التاجر دائرون يفتشون علي العجوز فسألوا التاجر واليهودي عن سبب خناقهما فحكيا لهم ما حصل فقالوا ان هذه عجوز نصابة ونصبت علينا قبلكما وحكوا لهما جميع ما جري لهم معها فقال شاه بندر التجار لما لقيت ولدي الثياب فداه وان وقعت العجوز طلبت الثياب منها فتوجه شاه بندر التجار بابنه لامه ففرحت بسلامته واما اليهودي فانه سأل الثلاثة وقال لهم اين تذهبون انتم فقالوا له انا نريد ان نفتش عليها فقال لهم خذوني معكم ثم قال لهم هل فيكم من يعرفها قال الحمار انا اعرفها فقال لهم اليهودي انا طلعنا سواء لا يمكن ان نجدها وتهرب منا ولكن كل واحد منا يروح من طريق ويكون اجتماعنا علي دكان الحاج مسعود المزين المغربي فتوجه كل واحد من طريق واذا هي طلعت لتعمل منصفا فرآها الحمار فعرفها فتلعق بها وقال لها ويلك ألك زمان علي هذا الامر فقالت له ما خبرك قال لها حماري هاتيه فقالت له استر ما ستر الله يا ابني انت طالب حمارك والا حوايج الناس فقال طالب حماري فقط فقالت له انا رأيتك فقيرا وحمارك اودعته لك عند المزين المغربي فقف بعيدا حتي اصل اليه واقول له بلطافة ان يعطيك اياه وتقدمت للمغربي وقبلت يده وبكت فقال لها ما بالك فقالت له يا ولدي انظر ولدي الذي واقف كان ضعيفا واستهوي فافسد الهواء عقله وكان يقتني الحمير فان قام يقول حماري وان قعد يقول حماري وان مشي يقول حماري فقال لي حكيم من الحكماء انه اختل في عقله ولا يطيبه الا قلع ضرسين ويكوي في اصداغه مرتين فخذ هذا الدينار وناده وقل له حمارك

عندي فقال المغربي صوم العام يلزمني لاعطينه حماره في كفه وكان عنده اثنان صنائعية فقال لواحد منهما رح احم مسمارين ثم نادي الحمار والعجوز راحت الي حال سبيلها فلما جاءه قال ان حمارك عندي يا مسكين تعال خذه وحياتي لاعطينك اياه في كفك ثم اخذه ودخل به قاعة مظلمة واذا بالمغربي لكمه فوقع فسحبوه وربطوا يديه ورجليه وقام المغربي قلع له ضرسين وكواه علي صدغيه كيين ثم تركه فقام وقال يا مغربي لاي شئ عملت معي هذا الامر فقال له ان امك اخبرتني انك مختل العقل لانك هويت وانت مريض وان قمت تقول حماري وان قعدت تقول حماري وان مشيت تقول حماري وهذا حمارك في يدك فقال له تلقي من الله بسبب تقليعك اضراسي فقال له امك قالت لي وحكي له جميع ما قالت فقال الله ينكد عليها وذهب الحمار هو والمغربي يتخاصمان وترك الدكان فلما رجع المغربي الي دكانه لم يجد فيها شيئا وكانت العجوز حين راح المغربي هو والحمار اخذت جميع ما في دكانه وراحت لبنتها وحكت لها جميع ما وقع لها وما فعلت واما المزين فانه لما رأي دكانه خالية تعلق بالحمار وقال له احضر لي امك فقال له ما هي امي وانما هي نصابة نصبت علي ناس كثير واخذت حماري واذا بالصباغ واليهودي وابن التاجر مقبلون فرأوا المغربي متعلقا بالحمار والحمار مكويا في اصداغه فقالوا له ما جري لك يا حمار فحكي لهم جميع ما جري وكذلك المغربي حكي قصته فقالوا ان هذه عجوز نصابة نصبت علينا وحكوا له ما وقع فقفل دكانه وراح معهم الي بيت الوالي وقالوا للوالي الي ما نعرف حالنا ومالنا الا منك فقال الوالي وكم عجائز في البلد هل فيكم من يعرفها فقال الحمار انا اعرفها ولكن اعطنا عشرة من اتباعك فخرج الحمار باتباع الوالي والباقي وراؤهم ورأى الحمار بالجميع واذا بالعجوز دليلة مقبلة فقبضها هو واتباع الوالي وراحوا بها الي الوالي فوقفوا تحت شباك القصر حتي يخرج الوالي ثم ان اتباع الوالي ناموا من كثرة سهرهم مع الوالي فجعلت العجوز نفسها نائمة فنام الحمار ورفقاؤه كذلك فانسلت منهم ودخلت الي حريم الوالي فقبلت يد سيدة الحريم وقالت لها اين الوالي فقالت نائم اي شئ تطلبين فقالت انا زوجي يبيع الرقيق فاعطاني خمسة مماليك ابيعهم وهو مسافر فقابلني الوالي ففصلهم مني بالف دينار ومائتين لي وقال لي اوصليهم الي البيت فانا جئت بهم وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الخامسة بعد السبعمائة

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن العجوز لما طلعت حريم الوالي قالت لزوجته ان الوالي فصل مني المماليك بالف دينار ومائتي دينار لي وقال لي اوصليهم البيت وكان الوالي عنده الف دينار وقال لزوجته احفظيهما حتي نشتري بها مماليك فلما سمعت من العجوز هذا الكلام تحققت من زوجها ذلك فقالت واين المماليك قالت العجوز يا سيدتي هم نائمون تحت شباك القصر الذي انت فيه فطلت السيدة من الشباك فرأت المغربي لابسا لبس المماليك وابن التاجر في صورة مملوك والصباغ والحمار واليهودي في صورة المماليك الحليق فقالت زوجة الوالي هؤلاء كل مملوك احسن من الف دينار ففتحت الصندوق واعطت العجوز الالف دينار وقالت لها سيري حتي يقوم الوالي من النوم نأخذ لك منه المائتي دينار فقالت لها يا سيدتي منهم مائة دينار لك تحت القلة الشربات التي شربتها والمائة الاخري احفظيها لي عندك حتي احضر ثم قالت يا سيدتي اطلعيني من باب السر فطلعتها منه وستر عليها الستار وراحت لبنتها فقالت لها يا امي ما فعلت فقالت يا بنتي لعبت منصفا واخذت هذا الالف دينار من زوجة الوالي وبعت الخمسة لها الحمار واليهودي والصباغ والمزين وابن التاجر وجعلتهم مماليك ولكن يا بنتي ما علي اضر من الحمار فانه يعرفني فقالت لها يا امي اقعدي يكفي ما فعلت فما كل مرة تسلم الجرة واما الوالي فانه لما قام من النوم قالت له زوجته فرحت لك بالخمسة مماليك الذين اشتريتهم من العجوزة فقال لها اي مماليك فقالت له لاي شئ تنكر مني ان شاء الله يصيرون مثلك اصحاب مناصب فقال لها وحياة رأسي ما اشتريت مماليك من قال ذلك فقالت العجوز الدلالة التي فصلتهم منها وواعدتها انك تعطيها حقهم الف دينار ومائتين لها فقال لها هل اعطيتها المال قالت نعم وانا رأيت المماليك بعيني كل واحد عليه بدلة تساوي الف دينار وارسلت وصيت عليهم المقدمين فنزل الوالي فرأي اليهودي والحمار والمغربي والصباغ وابن التاجر فقال يا مقدمين اين الخمسة مماليك الذين اشتريناهم من العجوز بالف دينار فقالوا ما هناك مماليك ولا رأينا الا هؤلاء الخمسة الذين امسكوا العجوز وقبضوا عليها فنمنا كلنا ثم انها انسلت ودخلت الحريم واتت الجارية تقول هل الخمسة الذين جاءت بهم العجوز عندكم فقلنا نعم فقال الوالي والله ان هذا اكبر منصف

والخمسة يقولون ما نعرف حوايجنا الا منك فقال لهم ان العجوز صاحبتكم باعتكم لي بالف دينار فقالوا ما يحل من الله نحن احرار لا نباع ونحن واياك للخليفة فقال لهم ما عرف العجوز طريق البيت الا انتم ولكن انا ابيعكم للغراب كل واحد بمائتي دينار فبينما هم كذلك واذا بالامير حسن شر الطريق جاء من سفره ورأي زوجته عريانة وحكت له جميع ما جري لها فقال انا ما خصمي الا الوالي فدخل عليه وقال له هل انت تأذن للعجائز ان تدور في البلد وتنصب علي الناس وتأخذ اموالهم هذا عهدتك ولا اعرف حوايج زوجتي الا منك ثم قال للخمسة ما خبركم فحكوا له جميع ما جري فقال لهم انتم مظلومون والتفت للوالي وقال له لاي شئ تسجنهم فقال له ما عرف العجوز طريق بيتي الا هؤلاء الخمسة حتي اخذت مالي الالف دينار وباعتهم للحريم فقالوا يا امير حسن انت وكيلنا في هذه الدعوة ثم ان الوالي قال للامير حسن حوايج امرأتك عندي وضمان العجوز علي ولكن من يعرفها منكم فقالوا كلهم نحن نعرفها ارسل معنا عشرة مقدمين ونحن نمسكها فاعطاهم عشرة مقدمين فقال لهم الحمار اتبعوني فاني اعرفها بعيون زرق واذا بالعجوز دليلة مقبلة من زقاق واذا بهم قبضوها وساروا بها الي بيت الوالي فلما رآها الوالي قال اين حوايج الناس فقالت لا اخذت ولا رأيت فقال للسجان احبسها عندك لغد قال السجان انا لا آخذها ولا اسجنها مخافة ان تعمل منصفا واصير انا ملزما بها فركب الوالي واخذ العجوز والجماعة وخرج بهم الي شاطئ الدجلة ونادي لمشاعلي وامره بصلبها من شعرها فسحبها المشاعلي في البكر واستحفظ عليها عشرة من الناس وتوجه الوالي لبيته الي ان اقبل الظلام غلب النوم علي المحافظين واذا برجل بدوي سمع رجلا يقول لرفيقه الحمد لله علي السلامة اين هذه الغيبة فقال له في بغداد وتغديت زلابية بعسل فقال البدوي لابد من دخولي بغداد وآكل فيها زلابية بعسل وكان عمره ما رآها ولا دخل بغداد فركب حصانه وسار وهو يقول لنفسه الزلابية اكلها زين وذمة العرب ما آكل الا زلابية بعسل وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة السادسة بعد السبعمائة

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن البدوي لما ركب حصانه واراد دخول بغداد سار وهو يقول لنفسه اكل الزلابية زين وذمة العرب انا الا آكل الا زلابية بعسل الي ان وصل

عند مصلب دليلة فسمعته وهو يقول لنفسه هذا الكلام فاقبل عليها وقال لها اي شئ انت فقالت له انا في جيرتك يا شيخ العرب فقال لها ان الله قد اجارك ولكن ما سبب طلبك فقالت له لي عدو زيات يقلي الزلابية فوقفت اشتري منه شيئا فبزقت فوقعت بزقتي علي الزلابية فاشتكاني للحاكم فامر الحاكم بصلبي وقال حكمت انكم تأخذون لها عشرة ارطال زلابية بعسل وتطعمونها اياها وهي مصلوبة فان اكلتها فحلوها وان لم تأكلها فخلوها مصلوبة وانا نفسي ما تقبل الحلو فقال البدوي وذمة العرب ما جئت من النجع الا لاجل اكل الزلابية بالعسل وانا آكلها عوضا عنك فقالت له هذه ما يأكلها الا الذي يتعلق موضعي فانطلت عليه الحيلة فحلها وربطته موضعها بعدما قلعته الثياب التي كانت عليه ثم انها لبست ثيابه وتعممت بعمامته وركبت حصانه وراحت لبنتها فقالت ما هذا الحال فقالت لها صلبوني وحكت لها ما وقع لها مع البدوي هذا ما كان من امرها واما ما كان من امر المحافظين فانه لما ضحا واحد منهم نبه جماعته رأوا النهار قد طلع فرفع واحد منهم عينه وقال دليلة فاجابه البدوي وقال والله ما نأكل بليلة هل احضرتم الزلابية بالعسل فقالوا هذا رجل بدوي فقالوا له يا بدوي اين دليلة ومن فكها فقال انا فككتها ما تأكل الزلابية بالعسل غصبا لان نفسها لم تقبلها فعرفوا ان البدوي جاهل بحالها فلعبت عليه منصفا وقالوا لبعضهم هل نهرب ونستمر حتي نستوفي ما كتبه الله علينا واذا بالوالي مقبل ومعه الجماعة الذين نصبت عليهم فقال الوالي للمقدمين قوموا فكوا دليلة فقال البدوي ما نأكل بليلة هل احضرتم الزلابية بالعسل فرفع الوالي عينه الي المصلب فرأي بدويا بدل العجوز فقال للمقدمين ما هذا فقالوا الامان يا سيدي فقال لهم احكوا لي ما جري فقالوا نحن كنا سهرنا معك في العسس وقلنا دليلة مصلوبة ونعسنا فلما صحونا رأينا هذا البدوي مصلوبا ونحن بين يديك فقال يا ناس هذه نصابة وامان الله عليكم فحلوا البدوي فتعلق البدوي بالوالي وقال الله ينصر فيك الخليفة انا ما اعرف حصاني وثيابي الا منك فسأله الوالي فحكي له البدوي قصته فتعجب الوالي وقال له لاي شئ حللتها فقال له ما عندي خبر انها نصابة فقال الجماعة نحن ما نعرف حوايجنا الا منك يا والي فاننا سلمناها اليك وصارت في عهدتك ونحن واياك الي ديوان الخليفة فكان حسن شر الطريق طلع الديوان واذا بالوالي والبدوي والخمسة مقبلون وهم يقولون اننا مظلومون فقال الخليفة من ظلمكم فتقدم كل واحد منهم وحكي له ما جري

عليه حتي الوالي قال يا امير المؤمنين انها نصبت علي وباعت لي هؤلاء الخمسة بالف دينار مع انهم احرار فقال الخليفة جميع ما عدم لكم عندي وقال للوالي الزمتك بالعجوز فنفض الوالي طوقه وقال لا التزم بذلك بعدما علقتها في المصلب فلعبت علي هذا البدوي حتي خلصها وعلقته في موضعها واخذت حصانه وثيابه فقال الخليفة هل الزم بها من غيرك فقال له الزم بها احمد الدنف فان له في كل شهر الف دينار ولاحمد الدنف من الاتباع واحد واربعون لكل واحد في كل شهر مائة دينار فقال الخليفة يا مقدم احمد قال له لبيك يا امير المؤمنين قال له الزمتك بحضور العجوزة فقال ضمانها علي ثم ان الخليفة حجز الخمسة والبدوي عنده وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة السابعة بعد السبعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الخليفة لما الزم الدنف باحضار العجوز قال له ضمانها علي يا امير المؤمنين ثم نزل هو واتباعه الي القاعة فقالوا لبعضهم كيف يكون قبضنا اياها وكم عجائز في البلد فقال واحد منهم يقال له علي كتف الجمل لاحمد الدنف علي اي شئ تشاورون حسن شومان وهل حسن شومان امر عظيم فقال حسن يا علي كيف تستقلني والاسم الاعظم لم ارافقكم في هذه المرة وقام غضبان فقال احمد الدنف يا شباب كل قيم يأخذ عشرة ويتوجه بهم الي حارة ليفتشوا علي دليلة فذهب علي كتف الجمل بعشرة وكذلك كل قيم وتوجه كل جماعة الي حارة وقالوا قبل توجههم وافتراقهم يكون اجتماعنا في الحارة الفلانية في الزقاق الفلاني فشاع في البلدان احمد الدنف التزم بالقبض علي الدليلة المحتالة فقالت زينب يا امي ان كنت شاطرة تلعبي علي احمد الدنف وجماعته فقالت يا بنتي انا ما اخاف الا من حسن شومان فقالت البنت وحياة مقصوصى لاخذن لك ثياب الواحد واربعين ثم قامت ولبست بدلة وتبرقعت واقبلت علي واحد عطار له قاعة ببابين فسلمت عليه واعطته دينارا وقالت له خذ هذا الدينار حلوان قاعتك واعطنيها الي آخر النهار فاعطاها المفاتيح وراحت اخذت فرشا علي حمار الحمار وفرشت القاعة وحطت في كل ليوان سفرة طعام ومدام ووقفت علي الباب مكشوفة الوجه واذا بعلي كتف الجمل وجماعته مقبلون فقبلت يده فرأها صبية مليحة

فحبها فقال لها اي شئ تطلبين فقالت هل انت المقدم احمد الدنف فقال لا بل انا من جماعته واسمي علي كتف الجمل فقالت لهم اين تذهبون فقال نحن دائرون نفتش علي عجوز نصابة اخذت ارزاق الناس ومرادنا ان نقبض عليها ولكن من انت وما شأنك فقالت ان ابي كان خمارا في الموصل فمات وخلف لي مالا كثيرا فجئت هذه البلد خوفا من الحكام وسألت الناس من يحمني فقالوا ما يحميك الا احمد الدنف فقال لها جماعته اليوم تحتمين به فقالت لهم اقصدوا جبر خاطري بلقيمة وشربة ماء فلما اجابوها ادخلتهم فاكلوا وسكروا وحطت لهم البنج فبنجتهم وقلعتهم حوايجهم ومثل ما عملت فيهم عملت في الباقي فدار احمد الدنف يفتش علي دليلة فلم يجدها ولم ير من اتباعه احد الي ان اقبل علي الصبية فقبلت يده فرأها فحبها فقالت له انت المقدم احمد الدنف فقال لها نعم ومن انت قالت غريبة من الموصل وابي كان خمارا ومات وخلف لي مالا كثيرا وجئت به الي هنا خوفا من الحكام ففتحت هذه الخمارة فجعل الوالي علي قانونا ومرادي ان اكون في حمايتك والذي يأخذه الوالي انت اولي به فقال احمد الدنف لا تعطيه شيئا ومرحبا بك فقالت له اقصد جبر خاطري وكل طعامي فدخل واكل وشرب مداما فانقلب من السكر فبنجته واخذت ثيابه وحملت الجميع على فرس البدوي وحمار الحمار وايقظت عليا كتف الجمل وراحت فلما افاق رأي نفسه عريان ورأي احمد الدنف والجماعة مبنجين فايقظهم بضد البنج فلما افاقوا رأوا انفسهم عرايا فقال احمد الدنف ما هذا الحال يا شباب نحن دائرون نفتش عليها لنصطادها فاصطادتنا هذه العاهرة يا فرحة حسن شومان فينا ولكن نصبر حتي تدخل العتمة ونروح وكان حسن شومان قال للنقيب اين الجماعة فبينما هو يسأله عنهم واذا بهم قد اقبلوا وهو عرايا فانشد حسن شومان هذين البيتين

والناس مشتبهون في ايرادهم ... وتباين الاقوام في الاصدار
ومن الرجال معالم ومجاهل ... ومن النجوم غوامض ودراري

فلما رآهم قال لهم من لعب عليكم وعراكم فقالوا تعهدنا بعجوز نفتش عليها ولا عرانا الا صبية مليحة فقال حسن شومان نعم ما فعلت بكم فقالوا هل انت تعرفها يا حسن فقال اعرفها واعرف العجوز فقالوا له اي شئ تقول عند الخليفة فقال شومان يا

دنف انفض طوقك قدامه فيقول الخليفة من يتعهد بها فان قال لك لاي شئ ما قبضت عليها فقل انا ما اعرفها والزم بها حسن شومان فان الزمني بها فانا اقبضها وباتوا فلما اصبحوا طلعوا الي ديوان الخليفة فقبلوا الارض فقال الخليفة اين العجوز يا مقدم احمد فنفض طوقه فقال له لاي شئ فقال انا ما اعرفها والزم بها شومان فانه يعرفها هي وبنتها وقال انها ما عملت هذه الملاعب طمعا في حوايج الناس ولكن لبيان شطارتها وشطارة بنتها لاجل ان ترتب لها راتب زوجها ولبنتها مثل راتب ابيها فشفع فيها شومان من القتل وهو يأتي بها فقال الخليفة وحياة اجدادي إن اعادت حوايج الناس عليها الامان وهي في شفاعته فقال شومان اعطني الامان يا امير المؤمنين فقال له هي في شفاعتك واعطاه منديل الامان فنزل شومان وراح الي بيت دليلة فصاح عليها فجاوبته بنتها زينب فقال لها اين امك فقالت فوق فقال لها قولي لها تجئ بحوايج الناس وتذهب معي لتقابل الخليفة وقد جئت لها بمنديل الامان فان كانت لا تجئ بالمعروف لا تلوم الا نفسها فنزلت دليلة وعلقت المحرمة في رقبتها واعطته حوايج الناس علي حمار الحمار وفرس البدوي فقال لها شومان بقي ثياب كبيري وثياب جماعته فقالت والاسم الاعظم اني ما عريتهم فقال صدقت ولكن هذا منصف بنتك زينب وهذه جميلة عملتها معك وسار وهي معه الي ديوان الخليفة فتقدم حسن وعرض حوايج الناس علي الخليفة وقدم دليلة بين يديه فلما رأها امر برميها في بقعة الدم فقالت انا في جيرتك يا شومان فقام شومان وقبل ايادي الخليفة وقال له العفو انت اعطيتها الامان فقال الخليفة وهي في كرامتك تعالي يا عجوز ما اسمك فقالت اسمي دليلة فقال ما انت لا حيالة ومحتالة فلقيت بدليلة المحتالة ثم قال لها لاي شئ عملت هذه المناصف واتعبت قلوبنا فقالت انا ما فعلت هذه المناصف بقصد الطمع في متاع الناس ولكن سمعت بمناصف احمد الدنف التي لعبها في بغداد ومناصف حسن شومان فقلت انا الاخري اعمل مثلهما وقد رددت حوايج الناس اليهم فقام الحمار وقال شرع الله بيني وبينها فانها ما كفاها اخذ حماري حتي سلطت علي المزين المغربي فقلع اضراسي وكواني في اصداغي كيين وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الثامنة بعد السبعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الحمار لما قام وقال شرع الله بيني وبينها فانها ما كفاها اخذ حماري حتي سلطت علي المزين فقلع اضراسي وكواني في اصداغي كيين امر الخليفة للحمار بمائة دينار وللصباغ بمائة دينار وقال انزل عمر مصبغتك فدعوا للخليفة ونزلا واخذ البدوي حوايجه وحصانه وقال حرام علي دخول بغداد وأكل الزلابية بالعسل وكل من كان له شئ اخذه وانفضوا كلهم وقال الخليفة اتمني علي يا دليلة فقالت ان ابي كان عندك حاكم البطاقة وانا ربيت حمام الرسائل وزوجي كان مقدم بغداد ومرادي استحقاق زوجي ومراد بنتي استحقاق ابيها فرسم لهما الخليفة بما ارادتاه ثم قالت له اتمني عليك ان اكون بوابة الخان وكان الخليفة قد عمل خانا بثلاثة ادوار ليسكن فيه التجار وكان متدركا بالخان اربعون عبدا واربعون كلبا وكان الخليفة جاء بهم من ملك السليمانية حين عزله وعمل للكلاب اطواقا وكان في الخان عبد طباخ يطبخ الطعام للعبيد ويطعم الكلاب اللحم فقال الخليفة يا دليلة اكتب عليك درك الخان وان ضاع منه شئ تكوني مطالبة به فقالت نعم ولكن اسكن بنتي في القصر الذي علي باب الخان فان القصر له سطوح ولا يصح تربية الحمام الا في الوسع فامر لها بذلك وحولت بنتها جميع حوايجها في القصر الذي علي باب الخان وتسلمت الاربعين طيرا التي تحمل الرسائل واما زينب فانها علقت الاربعين بدلة وبدلة احمد الدنف عندها في القصر وكان الخليفة جعل دليلة المحتالة رئيسة علي الاربعين عبدا واوصاهم باطاعتها وجعلت محل قعودها خلف باب الخان وصارت كل يوم تطلع الديوان لربما يحتاج الخليفة الي ارسال بطاقة للبلاد فلم تنزل من الديوان الا آخر النهار والاربعون عبدا واقفون يحرسون الخان فاذا دخل الليل تطلق الكلاب لاجل ان تحرس الخان بالليل هذا ما جري لدليلة المحتالة في مدينة بغداد واما ما كان من امر على الزيبق المصري فانه كان شاطرا بمصر في زمن رجل يسمي صلاح المصري مقدم ديوان مصر وكان له اربعون تابعا وكان اتباع صلاح المصري يعملون مكائد للشاطر علي ويظنون انه يقع فيها فيفتشون عليه فيجدونه قد هرب كما يهرب الزيبق فمن اجل ذلك لقبوه بالزيبق المصري ثم ان الشاطر علي كان جالسا يوما من الايام في قاعة بين اتباعه فانقبض قلبه وضاق صدره فرأه نقيب القاعة قاعدا عابس الوجه

فقال لـه مالك ياكبيرى أن ضاق صـدرك فشق شقـة فى مصر فـانه يزول عنـك الهم إذا مشيت فـى اسواقها فقام وخرج لـيشق فى مصر فازداد غمـا وهما فمر على خـمارة فقال لنفسه ادخل واسكر فدخل فرأى فى الخمارة سبعة صفوف من الخلق فقال يا خمار انا ما أقعد إلا وحدى فاجلسـه الخمار فى طبقة وحده واحضر له المدام فـشرب حتى غاب عن الوجود ثم طلع من الخمارة وصار فى مصر ولـم يزل سائراً فى شوارعها حتى وصل إلى الدرب الأحمـر وخلت الطريق قـدامه من الناس هـيبة فالتـفت فرأى رجلاً سقاء يـسقى بالكوز ويقول فى الطريق يا معـوض ما شراب الأمن زبيب ولا وصال إلا من حبيب ولا يجلس فى الصدر إلا لبيـب فقال له تعال اسقني فنظر اليه السقـاء واعطاه الكوز فطل فى الكوز وخضه وكبه عـلى الأرض فقال له السقاء اما تشرب فقال له اسـقنى فملأه فاخذه وخضه وكـبه فى الأرض وثالـث مرة كذلك فـقال له ان كنـت ما تشرب اروح فـقال له اسقيـنى فملأ الكوز واعـطاه اياه فأخذ منـه وشرب ثم اعطاه دينـار وإذا بالسقاء نظـر اليه واستقل به وقال له انعم بك انعم بك يا غلام صغار قوم كبار قوم آخرين وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة بعد السبعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الشاطر عـلى لما أعطى السقاء دينارا نظر اليه واستقل به وقال له أنعم بك أنعم بك صغار قوم كبار قوم آخرين فنهض الشاطر على وقبض على جلابيب السقاء وسحب عليه خنجراً مثمنا كما قيل فيه هذين البيتين

اضرب بخـنجرك العنيـد ولا تخف — احـدا سـوى مـن سـطـوة الخـلاق
وتجـنب الخـلق الـذمـيم ولا تـكــن — ابــدا بـغيـر مـكــارم الاخــلاق

فقال له يـا شيخ كلمنى بمعـقول فان قربتك ان غلا ثـمنها يبلغ ثلاثـة دراهم والكوزان اللذان دلقتهما على الأرض مقدار رطل من الماء قال له نعم قال له فأنا اعطيتك دينارا من الذهب ولاى شىء تستقل بى فهل رأيت احد اشجع منى أو اكرم منى فقاله رأيت اشجع منك واكرم منك فانه مادامت النساء تلد مـاً على الدنيا شجاع ولا كريم فقال له من الذى رأيت اشجـع منى واكرم منى فـقال له اعلم أن لى واقـعة من العجب وذلـك أن أبى كان شيخ السقايين بالشربة فى مصر فـمات وخلف لى خمسة جمال وبغلا ودكانا وبيتا ولكن

الفقير لا يستغنى وإذا استغنى مات فقلت فى نفسى أنا اطلع الحجاز فاخذت قطار جمال ومازلت اقترض حتى صار على خمسمائة دينار وضاع منى جميع ذلك فى الحج فقلت فى نفسى إن رجعت إلى مصر تحبسنى الناس على اموالهم فتوجهت مع الحج الشامى حتى وصلت إلى حلب وتوجهت من حلب الى بغداد ثم سألت عن شيخ السقاين ببغداد فدلونى عليه فدخلت وقرأت له الفاتحة فسألنى عن حالى فحكيت له جميع ما جرى لى فاخل لى دكانا واعطانى قربة وعدة وسرحت على باب الله وطفت فى البلد فاعطيت واحدا الكوز ليشرب فقال لى لم آكل شيئا حتى اشرب عليه لأنه عزمنى بخيل فى هذا اليوم وجاءنى بقلتين بين يديه فقلت يا ابن الخسيس هل اطعمتنى شيئا حتي تسقينى عليه فرح باسقاء حتى آكل شيئا وبعد ذلك اسقنى فجئت للثانى فقال الله يرزقك فصرت على هذا الحال إلى وقت الظهر ولم يعطنى احد شيئا فقلت ياليتنى ما جئت إلى بغداد وإذا أنا بناس يسرعون فى الجرى فتبعتهم فرأيت موكبا عظيماً منجرا اثنين اثنين وكلهم بالطوقى والشدود والبرانس واللبد والبولاد فقلت لواحد هذا موكب من فقال موكب المقدم أحمد الدنف فقلت له أى شيء رتبته فقال مقدم الديوان ومقدم بغداد وعليه درك البر وله على الخليفة فى كل شهر ألف دينار ولكل واحد من اتباعه مائة دينار وحسن شومان له مثله ألف دينار وهم نازلون من الديوان إلى قاعتهم وإذا بأحمد الدنف رآنى فقال تعالى اسقنى فملات الكوز واعطيته اياه فخضه وكبه وثانى مرة كذلك وثالث مرة شرب رشفة مثلك وقال لى يا سقاء من اين انت فقلت له من مصر فقال حيا الله مصر واهلها وما سبب مجيئك إلى هذه المدينة فحكيت له قصتى وافهمته انى مديون وهربان من الدين والعيلة فقال مرحباً بك ثم اعطانى خمسة دنانير وقال لاتباعه اقصدوا وجه الله واحسنوا اليه فاعطانى كل واحد دينارا وقال لى يا شيخ مادمت فى بغداد لك علينا ذلك كلما اسقيتنا فصرت اتردد عليهم وصار يأتينى الخير من الناس ثم بعد أيام احصيت الذى اكتسبته منهم فوجدته الف دينار وفقلت فى نفسى صار رواحك إلى البلاد اصوب فرحت له القاعة وقبلت يديه فقال أى شيء تطلب فقلت له أريد السفر وانشدته هذين البيتين .

اقامات الغريب بكل أرض　　كبنيان القصور على الرياح

هبوب الريح يهدم ما بنـــاه   لقد عزم الغريب على الرواح

وقلت له أن القافلة متوجهة إلى مصر ومرادى أن اروح إلى عيالى فاعطانى بغلة ومائة دينار وقال غرضنا ان نرسل معك امانة ياشيخ فهل أنت تعرف أهل مصر فقلت له نعم وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة العاشرة بعد السبعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن السقاء لما قال أن أحمد الدنف اعطانى بغلة ومائة دينار وقال غرضنا أن نرسل معك أمانة فهل أنت تعرف أهل مصر قال السقاء فقلت له نعم فقال خذ هذا الكتاب واوصله إلى على الزيبق المصرى وقل له كبيرك يسلم عليك وهو الآن عند الخليفة فاخذت منه الكتاب وسافرت حتى دخلت مصر فرأنى ارباب الديون فاعطيتهم الذى على ثم عملت سقاء ولم اوصل الكتاب لأنى لم أعرف قاعة على الزيبق المصرى فقال له ياشيخ طب نفساً وقرعيناً فانا على الزيبق المصري أول صبيان المقدم أحمد الدنف فهات الكتاب فاعطاه اياه فلما فتحه وقرأه رأى فيه هذين البيتين .

كتبت اليك يازين الملاح   على ورق يسير مع الرياح

ولو انى اطير لطرت شوقا   وكيف يطير مقصوص الجناح

وبعد فالسلام من المقدم أحمد الدنف إلى أكبر أولاده على الزيبق المصرى والذى نعلمك به انى تقصدت صلاح الدين المصرى ولعبت معه مناصف حتى دفنته بالحياة واطاعتنى صبيانه ومن جملتهم على كتف الجمل وتوليت مقدم مدينة بغداد فى ديوان الخليفة ومكتوب على درك البر فان كنت تراعى العهد الذى بينى وبينك فائت عندى لعلك تلعب منصفا فى بغداد يقربك من خدمته الخليفة فيكتب لك جامكية وجراية ويعمر لك قاعة هذا هو المرام والسلام فلما قرأ الكتاب قبله وحطه على رأسه واعطى السقاء عشرة دنانير بشارة ثم توجه إلى القاعة ودخل على صبيانه واعلمهم بالخبر وقال لهم أوصيكم ببعضكم ثم قلع ما كان عليه ولبس مشلحا وطربوشا واخذ عليه فيها مزراق عود القناط وله اربعة وعشرون ذراعاً وهو معشق فى بعضه فقال له النقيب اتسافر والمخزن قد فرغ فقال له إذا وصلت إلى الشام ارسل اليكم ما يكفيكم وسار إلى حال

سبيله فلحق ركباً مسافراً فرأى فيه شاه بندر التجار ومعه أربعون تاجراً قد حملوا حمولهم وحمول شاه بندر التجار على الأرض ورأى مقدمه رجلا شاميا وهو يقول للبغالين واحد منكم يساعدنى فسبوه وشتموه فقال على فى نفسه لا يحسن سفرى إلا مع هذا المقدم وكان على امرد مليحا فتقدم اليه وسلم عليه فرحب به وقال له أى شيء تطلب فقال له يا عمي رأيتك وحيداً وحملتك أربعون بغلا ولاى شيء ما جئت لك بناس يساعدونك فقال يا ولدى قد اكتريت ولدين وكسيتهما ووضعت لكل واحد فى جيبه مائتى دينار فساعدانى إلى الخانكة وهربا فقال له وإلى أين تذهبون قال إلى حلب فقال له أنا اساعدك فحملوا الحمول وساروا وركب شاه بندر التجار بغلته وسار ففرح المقدم الشامى بعلى وعشقه إلى أن اقبل الليل فنزلوا واكلوا وشربوا فجاء وقت النوم فحط على جنبه على الأرض وجعل نفسه نائماً فنام المقدم قريباً منه فقام على من مكانه وقعد على باب صيوان التاجر فانقلب المقدم واراد أن يأخذ على فى حضنه فلم يجده فقال فى نفسه لعله واعد واحدا فأخذه ولكن أنا أولى وفى غير هذا الليلة احجزه واما على فانه لم يزل على باب صيوان التاجر إلى أن قرب الفجر فجاء ورقد عند المقدم فلما استيقظ المقدم وجده فقال فى نفسه إن قلت له اين كنت يتركنى ويروح ولم يزل يخادعه إلى أن اقبلوا على مغارة فيها غابة وفى تلك الغابة سبع كاسر وكلما تمر قافلة يعملون القرعة بينهم فكل من خرجت عليه القرعة يرمونه إلى السبع فعملوا القرعة فلم تخرج إلا على شاه بندر التجار وإذا بالسبع قطع عليهم الطريق ينتظر الذى يأخذه من القافلة فصار شاه بندر التجار فى كرب شديد وقال للمقدم الله يخيب كعبك وسفرتك ولكن وصيتك بعد موتى أن تعطى أولادى حمولى فقال الشاطر على ما سبب هذه الحكاية فاخبروه بالقصة فقال ولاى شيء تهربون من قط البر فأنا التزم لكم بقتله فراح المقدم إلى التاجر وأخبره فقال أن قتله اعطيته ألف دينار قال بقية التجار ونحن كذلك نعطيه فقام على وخلع المشلح فبان عليه عدة من بولاد فاخذ شريط بولاد وفرك لولبه وانفرد قدام السبع وصرخ عليه فهجم عليه السبع فضربه على المصرى بالسيف بين عينيه نقسمه نصفين والمقدم والتجار ينظرونه وقال للمقدم لا تخف ياعمى فقال له يا ولدى أنا بقيت صبيك فقام التاجر واحتضنه وقبله بين عينيه واعطاه الالف دينارا وكل تاجر اعطاه عشرين دينارا فحط جميع المال عند التاجر وباتوا واصبحوا عامدين إلى بغداد فوصلوا إلى غابة الإساد ووادى

الكلاب وإذا فيه رجل بدوى عاص قاطع الطريق ومعه قبيلة فطلع عليهم فولت الناس من بين ايديهم فقال التاجر ضاع مالى وإذا بعلى اقبل عليهم وهو لابس جلداً ملان جلاجل واطلع المزراق وركب عقله فى بعضها واختلس حصاناً من خيل البدوى وركبه وقال للبدوى بارزنى بالرمح وهز الجلاجل فجفلت فرس البدوى من الجلاجل وضرب مزراق البدوى فكسره وضربه به على رقبته فرمى دماغه فنظره قومه فانطبقوا على على فقال الله أكبر ومال عليهم فهزمهم ولوا هاربين ثم رفع دماغ البدوى على رمح وانعم عليه التجار وسافروا حتى وصلوا إلى بغداد فطلب الشاطر على المال من التاجر فاعطاه اياه فسلمه إلى المقدم وقال له لما تروح مصر اسأل عن قاعتى واعط المال لنقيب القاعة ثم بات على وأصبح دخل المدينة وشق فيها وسأل عن قاعة أحمد الدنف فلم يدله احد عليها ثم تمشى حتى وصل إلى ساحة النفض فرأى أولادا يعلبون وفيهم ولد يسمى أحمد اللقيط فقال على لا تأخذ اخبارهم إلا من صغارهم فالتفت على فرأي حلوانيا فاشترى منه حلاوة وصاح على الأولاد وإذا باحمد اللقيط طرد الأولاد عنه ثم تقدم هو وقال لعلى أى شىء تطلب فقال له أنا كان معى ولد ومات فرأيته فى المنام يطلب حلاوة فاشتريتها فاريد أن اعطى لكل ولد قطعة واعطى أحمد اللقيط قطعة فنظر ها فرأى فيها دينارا لاصقا بها فقال له رح أنا ما عندى فاحشة واسأل عنى فقال له يا ولدى ما يأخذ الكرى الا شاطر ولايحط الكرى إلاشاطر أنا درت فى البلدا فتش على قاعة أحمد الدنف فلم يدلنى عليها أحد وهذا الدينار كراك وتدلنى على قاعة أحمد الدنف فقال أنا اروح اجرى قدامك وانت تجرى ورائى إلى أن اقبل على القاعة فآخذ فى رجلى حصوة فارميها على الباب فتعرفها فجرى الولد وجرى على وراءه إلى أن اخذ برجله فرماها على باب القاعة فعرفها وادرك شهرزاد الصباح فسكنت فى الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية عشرة بعد السبعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان أحمد اللقيط لما جرى قدام الشاطر على واره القاعة وعرفها قبض على الولد وأراد أن يخلص منه الدينار فلم يقدر فقال له رح تستاهل الاكرام لأنك ذكى كامل العقل والشجاعة وإن شاء الله أن عملت مقدما عند الخليفة أجعلك من صبيانى فراح الولد وأما على الزيبق المصرى فإنه أقبل على القاعة وطرق

الباب فقال أحمد الدنف يا نقيب أفتح الباب هذه طرقه على الزيبق المصرى ففتح له الباب ودخل على أحمد الدنف وسلم عليه وقابله بالعناق وسلم عليه الأربعون ثم أن أحمد الدنف البسه حلة وقال له أنى لما ولانى الخليفة مقدما عنده كسا صبيانى فابقيت لك هذه الحلة ثم أجلسوه فى صدر المجلس بينهم وأحضروا الطعام فاكلوا والشراب فشربوا وسكروا إلى الصباح ثم قال أحمد الدنف لعلى المصرى أياك أن تشق فى بغداد بل استمر جالسا فى هذه القاعة فقال له لأى شيء فهل جئت لانحبس أنا ما جئت إلا لأجل أن أتفرج فقال له يا ولدى لا تحسب أن بغداد مثل مصر هذه بغداد محل الخلافة وفيها شطار كثير وتنبت فيها الشطارة كما ينبت البقل فى الأرض فأقام على فى القاعة ثلاثة أيام فقال أحمد الدنف لعلى المصرى أريد أن اقربك عند الخليفة لأجل أن يكتب لك جامكية فقال له حتى يؤون الاوان فترك سبيله ثم أن عليا كان قاعدا فى القاعة يوما من الأيام فانقبض قلبه وضاق صدره فقال لنفسه قم شق فى بغداد ينشرح صدرك فخرج وسار من زقاق إلى زقاق فرأى فى وسط السوق كانا فدخل وتغدى فيه وطلع يغسل يديه وإذا بأربعين عبدا بالشريطات البولاد واللبد وهم سائرون اثنين اثنين وآخر الكل دليلة المحتالة راكبه فوق بغلة وعلى رأسها خوذة مطلية بالذهب وبيضة من بولاد وزردية وما يناسب ذلك وكانت دليلة نازلة من الديوان رايحة إلى الخان فلما رأت على الزيبق المصرى تأملت فيه فراته يشبه أحمد الدنف فى طوله وعرضه وعليه عباءة وبرنس وشريط من بولاد ونحو ذلك والشجاعة لايحة عليه تشهد له ولا تشهد عليه فسارت إلى الخان وأجتمعت ببنتها زينب وأحضرت تخت رمل فضربت الرمل فطلع لها اسمه على المصرى وسعده غالب على سعدها وسعد بنتها زينب فقال لها يا أمى أى شيء ظهر لك حين ضربت هذا التخت فقالت أنا رأيت اليوم شابا يشبه أحمد الدنف وخائفة أن يسمع أنك أعريت أحمد الدنف وصبيانه فيدخل الخان ويلعب معنا منصفا لأجل أن يخلص ثار كبيره وثار الأربعين وأظن أنه نازل فى قاعة أحمد الدنف فقالت لها بنتها زينب أى شيء هذا أظن أنك حسبت حسابه ثم لبست بدلة أفخر ما عندها وخرجت تشق فى البلد فلما رآها الناس صاروا يتعشقون فيها وهى توعد وتحلف وتسمع وتسطح وسارت من سوق إلى سوق حتى رأت عليا المصرى مقبلا عليها فزاحمته بكتفها والتفتت وقالت الله يحيى أهل النظر فقال لها ما أحسن شكلك لمن أنت فقال للغندور الذى مثلك فقال لها هل أنت

متزوجة أو عازبة فقالت متزوجة فقال لها عندى أو عندك فقالت أنا بنت تاجر وزوجى تاجر وعمرى ما خرجت إلا فى هذا اليوم وماذاك إلا أنى طبخت طعاما وأردت أن آكل فالقيت لى نفسا ولما رأيتك وقعت محبتك فى قلبى فهل يمكن أن تقصد جبر قلبى وتأكل عندى لقمة فقال لها من دعى فليجب ومشت وتبعها من زقاق إلى زقاق ثم قال فى نفسه وهوماش خلفها كيف تفعل وأنت غريب وقد ورد من زنا فى غربته رده الله خائبا ولكن ادفعها عنك بلطف ثم قال خذى هذا الدينار واجعلى الوقت غير هذا فقالت له والاسم الأعظم ما يمكن إلا أن تروح معى فى هذا الوقت إلى البيت واصافيك فتبعها إلى أن وصلت باب دار عليها بوابة عالية والضبة مغلقة فقالت له افتح هذه الضبة فقال لها وأين مفتاحها فقالت له ضاع فقال لها كل من فتح ضبة بغير مفتاح يكون مجرما وعلى الحاكم تأديبه وأنا ما أعرف شيئا حتى أفتحها بلا مفتاح فكشفت الازار عن وجهها فنظرها نظرة أعقبته ألف حسرة ثم أسبلت أزارها على الضبة وقرأت عليها اسماء أم موسى ففتحتها بلا مفتاح ودخلت فتبعها فرأى سيوفا وأسلحة من البولاد ثم أنها خلعت الازار وقعدت معه فقال لنفسه استوف ما قدره الله عليك ثم مال عليها ليأخذ قبلة من خدها فوضعت كفها على خدها وقالت له ما صفاء إلا فى الليل وأحضرت سفرة طعام ومدام فاكلا وشربا وقامت ملأت الابريق من البئر وكبت له على يديه فغسلهما فبينما هما كذلك وإذا بها دقت على صدرها وقالت أن زوجى كان عنده خاتم من ياقوت مرهون على خمسمائة دينار فلبسته فجاء واسعا فضيقته بشمعة فلما أدليت الدلو سقط الخاتم فى البئر ولكن التفت إلى جهة الباب حتى أتعرى وأنزل البئر لاجيء به فقال لها عيب على أن تنزلى وأنا موجود فما ينزل إلا أنا فقلع ثيابه وربط نفسه فى السلبة وأدلته فى البئر وكان الماء فيه غزيرا ثم قالت له أن السلبة قد قصرت منى ولكن ففك نفسك وأنزل ففك نفسه ونزل فى الماء وغطس فيه قامات ولم يحصل قرار البئر وأما هى فأنها لبست أزارها وأخذت ثيابه وراحت إلى أمها وأدرك لشهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الثانية عشرة بعد السبعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيدان عليا المصرى لما نزل فى البئر وأخذت ثيابه راحت إلى أمها وقالت لها قد أعربت على المصرى وأوقعته فى بئر الأمير حسن صاحب الدار

وهيهات أن يخلص وأمـا الأمير حسن صاحب الدار فإنه كان فى وقتهـا غائبا فى الديوان فلما أقبل رأى بيته مفتوحا فقال للسـايس لأى شىء ما أغلقت الضبة فـقال يا سيدى أنى أغلقتها بيدى فقال وحياة رأسى أن بيتى قد دخله حرامى ثم دخل الأمير حسن وتلفت فى البيت فلم يجدا حـدا فقال للسايس املأ الابريق حتى أتوضأ فـأخذ السايس الدلو وأدلاه فلما سحبه وجده ثقيلا فطل فى البئر فرأى شيأ قاعدا فى السطل فالقاه فى البئر ثانيا ونادى وقال يا سيـدى قد طلع لى عفريـت من البئر فقال لـه الأمير حسن رح هات أربعة فقهاء يقرون القرآن عليه حتى ينصرف فلما أحضـر الفقهاء قال لهم احتاطوا بهذا البئر واقرأوا على هذا العفريت ثـم جاء العبد والسايس وأنزلا الدلو وإذا بعلى المـصرى تعلق به وخبأ نفسه فى الدلـو وصبر حتى صار قريبا منـهم ووثب من الدلو وقعد بين الفـقهاء فصاروا يلطشون بعضهم ويقولون عفريت عفريت فرأه الأمير حسن غلاما أنسيا فقال له هل أنت حرامـى فقال لا فقـال له ما سـبب نزولك فـى البئـر فقال له أنـا نمت واحتـلمت فنـزلت لاغتسل فى بحر الدجلة فغطست وجـذبنى الماء تحت الأرض حتى خرجت من هذا البئر فقال له قل الصدق فحكى له جميع ما جرى له فاخرجه من البيت بثوب قديم فتوجه إلى قاعة أحمد الدنف وحكـى له ما وقع له فقال أما قلت لك أن بغداد فيهـا نساء تلعب على الرجال فقـال على كتف الجمل بـحق الأسم الأعظم أن تخبـرنى كيف تكون رئيـس فتيان مصر وتعريك صبيـة فصعب عليه ذلك وندم فكساه أحمد الدنف بـدلة غيرها ثم قال له حسن شومان هل أنت تعرف الصبية فقال لا فقال له هذه زينب بنت الدليلة المحتالة بوابة خان الخليفة فهل وقـعت فى شبكتها يا على قال نعم فقال لـه يا على أن هذه أخذت ثياب كبيرك وثياب جميع صبيانه فقال هذا عار عليكم فقال له وأى شىء مرادك فقال مرادى أن أتزوج بها فقال له هيـهات سل فؤادك عنها فقال له وما حيلتى فـى زواجها يا شومان فقال مرحبا بك أن كـنت تشرب من كفى وتمشى تحت رايـتى بلغتك مرادك منها فـقال له نعم فقل له يا على أقلع ثيابك فقلع ثيابه وأخذ قدرا وغلى فيه شيئا مثل الزفت ودهنه به فصار مثل العبد الأسود ودهن شـفتيه وخديه وكحله بكحل أحمر والـبسه ثياب خدام وأحضر عنده سفرة كباب ومدام وقال له أن فى الخان عبـدا طباخا وأنت صرت شبيهه ولا يحتاج من السوق إلا اللحمة والخضار فتوجه إليه بلطف وكلمه بكلام العبيد وسلم عليه وقل له زمان ما اجتمعت بك فى البوظة فيقول لك أنا مشغول وفى رقبتى أربعون عبدا أطبخ لهم

سماطا فى الغداء وسماطا فى العشاء وأطعم الكلاب وسفرة لدليلة وسفرة لبنتها زينب ثم قل له تعالى نأكل كبابا ونشرب بوظة وأدخل واياه القاعة واسكره ثم اسأله عن الذى يطبخه كم لون هو وعن أكل الكلاب وعن مفتاح المطبخ وعن مفتاح الكرار فإنه يخبرك لأن السكران يخبر بجميع ما يكتمه فى حال صحوه وبعد ذلك بنجه والبس ثيابه وخذ السكاكين فى وسطك وخذ مقطف الخضار واذهب إلى السوق واشتر اللحم والخضار ثم ادخل المطبخ والكرار واطبخ الطبيخ ثم اغرفه وخذ الطعام وادخل به على دليلة فى الخان وحط البنج فى الطعام حتى تبنج الكلاب والعبيد ودليلة وبنتها زنيب ثم أطلع القصر وائت بجميع الثياب منه وإن كان مرادك أن تتزوج بزينب تجيء معك بالأربعين طيرا التى تحمل الرسائل فطلع فرأى العبد الطباخ فسلم عليه وقال له زمان ما اجتمعنا بك فى البوظة فقال أنا مشغول بالطبيخ للعبيد والكلاب فأخذه وأسكره وسأله عن الطبيخ كم لون هو فقال له كل يوم خمسة الوان فى الغداء وخمسة الوان فى العشاء وطلبوا منى أمس لونا سادسا وهو الزردة ولونا سابعا وهو طبيخ حب الرمان فقال وأى شيء حال السفرة التى تعملها فقال أؤدى سفرة إلى زينب وبعدها أؤدى سفرة لدليلة واعشى العبيد وبعدهم اعشى الكلاب وأطعم كل واحد كفايته من اللحم وأقل ما يكفيه رطل وانسته المقادير ان يسأله عن المفاتيح ثم قلعه ثيابه ولبسها هو وأخذ المقطف وراح السوق فأخذ اللحم والخضار وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الثالثة عشرة بعد السبعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن عليا الزيبق المصرى لما بنج العبد الطباخ أخذ السكاكين وحطها فى حزامه وأخذ مقطف الخضار ثم ذهب إلى السوق واشترى اللحم والخضار ثم رجع ودخل من باب الخان فرأى دليلة قاعدة تنتقد الداخل والخارج ورأى الأربعين عبدا مسلحة فقوى قلبه فلما رأته دليلة عرفته فقالت له ارجع يا رئيس الحرامية أتعمل على منصف فى الخان فالتفت على المصرى وهو فى صورة العبد إلى دليلة وقال لها ما تقولين يا بوابة فقالت له ماذا صنعت بالعبد الطباخ وأى شيء فعلت فيه فهل قتلته أو بنجته فقال لها أى عبد طباخ فهل هناك عبد طباخ غيرى فقالت تكذب أنت على الزيبق المصرى فقال لها بلغه العبيد يا بوابة هل المصرية بيضة أو سودة أنا ما بقيت أخدم فقال العبيد مالك يا ابن عمنا فقالت دليلة هذا ما هو ابن عمكم هذا على الزيبق المصرى وكأنه

بنج ابن عمكم أو قتلـه فقالوا هذا ابن عمنا سعد الله الطباخ فقالـت لهم ما هو ابن عمكم بل هو عـلى المصرى وصبـغ جلده فقال لهـا من على أنا سـعد الله فقالت أن عـندى دهان الاختبار وجاءت بدهان فدهنت به ذراعه وحكته فلم يطلع السواد فقال العبيد خليه يروح ليعمل لنا الغداء فـقالت لهم أن كان هو ابن عمكم يعرف أى شيء طلبـتم منه ليلة أمس ويعرف كم لـون يطبخها فى كـل يوم فسألوه عن الألوان وعـن ما طلبوه ليلـة أمس فقال عدس وارز وشوربـة ويخنى وماء وردية ولـون سادس وهو زردة ولون سابـع وهو حب الرمان وفى الـعشاء مثلهـا فقال العبيـد صدق فقالت لهـم أدخلوا معه فإن عـرف المطبخ والكرار فهو ابن عمكـم وإلا فاقتلوه وكان الطباخ قد ربى قطا فكلمـا يدخل الطباخ يقف القط علـى باب المطبخ ثم ينـط على أكتافه إذا دخل فلـما دخل ورآه القط نط علـى أكتافه فرماه فجرى قدامه إلى المطبخ فلحظ أن القط مـا وقف إلى على باب المطبخ فأخذ المفاتيح فرأى مفتاح عليه أثـر الريش فعرف أنه مفتاح المطبخ ففتـحه وحط الخضار وخرج فجرى القط قـدامه وعمد باب الـكرار فلحظ أنـه الكرار فأخـذ المفاتيح ورأى مـفتاحا علـيه أثر الدهان فعرف أنه مـفتاح الكرار ففتحه فقال العـبيد يا دليلة لو كان غريبـا ما عرف المطبخ والكرار ولا عرف مفتاح كل مكان من بين المفاتيح وإنما هذا ابن عمنا سعد الله فقالت إنما عرف الأماكن من القط وميز المفاتيح من بعضها بالقرينة وهذا الأمر لا يدخل على ثم أنه دخل المطبخ وطبخ الطـعام وطلع سفرة إلى زينب فرأى جميع الثـياب فى قصرها ثم نزل وحط سفرة لدليلة وغدى العبيد وأطعم الـكلاب وفى العشاء كذلك وكان الباب لا يفتح ولا يقـفل إلا بشمـس فى الغـداة والعشى ثـم أن عليـا قام ونادى فـى الخان يا سكـان قد سهرت العبيد للـحرس وأطلقنا الكلاب وكل من طلع فلا يلـوم إلا نفسه وكان على أخر عشاء الكلاب وحـط فيه السم ثم قدمه إليـها فلما أكلته مـاتت وبنج جميع العبيـد ودليلة وبنتها زيـنب ثم طلع أخذ جميع الثـياب وحمام البطاقة وفتـح الخان وخرج وسار إلى أن وصل إلى الـقاعة فرآه حـسن شومان فـقال له أى شيء فعـلت فحكـى له جميـع ما كان فشكره ثم أنه قام ونزع ثيابه وغلى له عشبا وغسله به فعاد أبيض كما كان وراح إلي العبد والبسه ثـيابه وأيقظه من الـبنج فقام العبـد وذهب إلى الخضرى فأخذ الخـضار ورجع إلى الخان هذا ما كان من أمر على الزيبق المصرى وأما ما كان من أمر الدليلة المحتالة فإنه طلع من طبقته رجل تاجر من السكان عند مالاح الفجر فرأى باب الخان مفتوحا والعبيد مبنجة والكلاب ميتة فنزل إلى دليلة فرأها مبنجة وفى رقبتها ورقة ورأى عند رأسها سفنجة فيها

ضد البنج فحطها على مناخير دليلة فافاقت فلما أفاقت قالت أين أنا فقال لها التاجر أنا نزلت فرأيت باب الخان مفتوحا ورأيتك مبنجة وكذلك العبيد وأما الكلاب فرأيتها ميتة فأخذت الورقة فرأت فيها ما عمل هذا العمل إلا على المصرى فشممت العبيد وزينب بنتها ضد البنج وقالت أما قلت لكم أن هذا على المصرى ثم قالت للعبيد اكتموا هذا الأمر وقالت لبنتها كم قلت لك أن عليا ما يخلى ثاره وقد عمل هذا العمل فى نظير ما فعلت معه وكان قادرا أن يفعل معك شيئا غير هذا ولكنه اقتصر على هذا إبقاء للمعروف وطلبا للمحبة بيننا ثم أن دليلة خلعت لباس الفتوة ولبست لباس النساء وربطت المحرمة فى رقبتها وقصدت قاعة أحمد الدنف وكان على حين دخل القاعة بالثياب وحمام الرسائل قام شومان وأعطى للنقيب حق أربعين حمامة فاشتراها وطبخها بين الرجال وإذا بدليلة تدق الباب فقال أحمد الدنف هذه دقة دليلة قم افتح لها يا نقيب فقام وفتح لها فدخلت دليلة وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الرابعة عشرة بعد السبعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان النقيب لما فتح القاعة لدليلة دخلت فقال لها شومان ما جاء بك هنا يا عجوز النحس وقد تخربت أنت وأخوك زريق السماك فقالت يا مقدم أن الحق على وهذه رقبتى بين يديك ولكن الفتى الذى عمل معى هذ المنصف من هو منكم فقال أحمد الدنف هو أول صبيانى فقالت له أنت سياق الله عليه أنه يجيىء لى بحمام الرسائل وغيره وتجعل ذلك إنعاما على فقال حسن شومان الله يقابلك بالجزاء يا على لأى شيء طبخت ذلك الحمام فقال على ليس عندى خبر أنه حمام الرسائل ثم قال أحمد يا نقيب هات نائبها فاعطاها فأخذت قطعة من حمام ومضغتها فقالت هذا ما هو لحم طير الرسائل فأنى أعلفه حب المسك ويبقى لحمه كالمسك فقال لها شومان أن كان مرادك أن تأخذى حمام الرسائل فاقضى حاجة على المصرى فقالت أى شيء حاجته فقال لها أن زوجيه بنتك زينب فقالت أنا ما أحكم عليها إلا بالمعروف فقال حسن لعلى المصرى أعطها الحمام فأعطاها اياه فأخذته وفرحت به فقال شومان لابد أن تردى علينا جوابا كافيا فقالت أن كان مراده أن يتزوج بها فهذا المنصف الذى عمله ما هو شطارة وما

الشطارة إلا أن يخطبها من خالها المقدم زريق فإنه وكيلها الذى ينادى يا رطل سمك بجديدين وقد علق فى دكانه كيسا حط فيه من الذهب الفين فعندما سمعوها تقول ذلك قاموا وقالوا ما هذا الكلام يا عاهرة إنما أردت أن تعدمينا أخانا عليا المصرى ثم أنها راحت من عندهم إلى الخان فقالت لبنتها قد خطبك منى على المصرى ففرحت لأنها احبته لعفته عنها وسألتها عن ما جرى فحكت لها ما وقع وقالت شرطت عليه أن يخطبك من خالك وأوقعته فى الهلاك وأما على المصرى فإنه التفت إليهم وقال ما شأن زريق وأى شىء يكون هو فقالوا هو رئيس فتيان أرض العراق يكاد ان ينقب الجبل ويتناول النجم ويأخذ الكحل من العين وهو فى هذا الأمر ليس له نظير ولكنه تاب عن ذلك وفتح دكان سماك فجمع من السماكة الفى دينار ووضعهما فى كيس وربط فى الكيس قيطانا من حرير ووضع فى القيطان جلاجل واجراسا من نحاس وربطه فى وتد من داخل باب الدكان متصلا بالكيس وكلما يفتح الدكان يعلق الكيس وينادى أين أنتم يا شطار مصر ويافتيان العراق ويا مهرة بلاد العجم زريق السماك علق كيسا على وجه الدكان كل من يدعى الشطارة ويأخذه بحيلة فإنه يكون له فتأتى الفتيان أهل الطمع ويريدون أنهم يأخذونه فلم يقدروا لانه واضع تحت رجليه أرغفة من رصاص وهو يقلى ويوقد النار فإذا جاء الطماع ليساهيه ويأخذه يضربه برغيف من رصاص فيتلفه أو يقتله فياعلى إذا تعرضت له تكون كمن يلطم فى الجنازة ولا يعرف من مات فمالك قدرة على مقارعته فإنه يخشى عليك منه ولا حاجة لك بزواجك زينب ومن ترك شيئا عاش بلاه فقال هذا عيب يا رجال فلابد لى من أخذ الكيس ولكن هاتوا لى لبس صبية فاحضروا له لبس صبية فلبسه وتحنى وأرخى لثاما وذبح خاروفا وأخذ دمه وطلع المصران ونظفه وعقده من تحت وملأه بالدم وربطه على فخذه ولبس عليه اللباس والخف وعمل له نهدين من حواصل الطير وملأهما باللبن وربط على بطنه بعض قماش ووضع بينه وبين بطنه قطنا وتحزم عليه بفوطة كلها نشاء فصار كل من ينظره يقول ما أحسن هذا الكفل وإذا بحمار مقبل فأعطاه دينارا وأركبه وصار به إلى جهة دكان زريق السماك فرأى الكيس معلقا ورأى الذهب ظاهرا منه وكان زريق يقلى فى السمك فقال يا حمار ما هذه الرايحة فقال له رايحة سمك زريق فقال له أنا امرأة حامل والرايحة تضرنى هات لى منه قطعة سمك فقال الحمار لزريق هل أصبحت تفوح الرايحة على النساء الحوامل أنا معى زوجة الأمير حسن

شر الطريق قد شمت الرايحة وهي حامل فهات لها قطعة سمك لأن الجنين تحرك في بطنها يا ستار اللهم أكفنا شر هذة النار فأخذ قطعة سمك وأراد أن يقليها فأنطفأت النار فدخل ليوقد النار وكان علي المصري قاعدا فاتكأ على المصران فقطعه فساح الدم من بين رجليه فقال آه يا جنبي يا ظهرى فالتفت الحمار فرأى الدم سايحا فقال لها مالك يا سيدتي فقال له وهو في صورة المرأة قد أسقطت الجنين فطل زريق فرأى الدم فهرب في الدكان وهو خائف فقال له الحمار الله ينكد عليك يا زريق أن الصبية قد أسقطت الجنين وأنك ما تقدر على زوجها فلأى شيء أصبحت تفوح الرايحة وأنا أقول لك هات لها قطعة سمك ما ترضى ثم أخذ الحمار حماره وتوجه إلى حال سبيله وحين هرب زريق داخل الدكان مد على المصرى يده إلى الكيس فلما حصله شخشخ الذهب الذى فيه وصلصلت الجلاجل والاجراس والحلق فقال زريق ظهر خداعك يا علق أتعمل على منصفا وأنت في صورة صبية ولكن خذ ما جاءك وضربه برغيف من رصاص فراح خائبا وحط في غيره فقام عليه الناس وقالوا هل أنت سوقى والامضارب فإن كنت سوقيا فنزل الكيس واكف الناس شرك فقال لهم بسم الله على الرأس وأما على فإنه راح إلى القاعة فقال له شومان ما فعلت فحكى له جميع ما وقع له ثم قلع لبس النساء وقال يا شومان أحضر لى ثياب سايس فاحضرها له فأخذها ولبسها ثم أخذ صحنا وخمسة دراهم وراح لزريق السماك فقال له أى شيء تطلب يا أسطى فاراه الدراهم في يده فاراد زريق أن يعطى له من السمك الذى على الطبلية فقال له أنا ما أخذ الاسمكا سخنا فحط السمك في الطاجن واراد أن يقليه فانطفأت النار فدخل ليوقدها فمد على المصرى يده ليأخذ الكيس فحصل طرفه فشخشخت الاجراس والحلق والجلاجل فقال له زريق ما دخل على منصفك ولو جئتني في صورة سايس وأنا عرفتك من قبض يدك على الفلوس والصحن وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الخامسة عشرة بعد السبعمائة

قالت بلغني أيها الملك السعيد ان عليا المصرى لما مد يده ليأخذ الكيس شخشخت الاجراس والحلق فقال له زريق ما دخل على منصفك ولو جئتني في صورة سايس فأنا عرفتك من قبض يدك على الفلوس والصحن وضربه برغيف من رصاص فزاغ عنه على

المصرى فلـم ينزل الرغيف الرصـاص إلا فى طاجن ملأن بالـلحم السخن فانـكسر ونزل بمرقـته علـى كتف القـاضى وهو سـائر ونزل الجـميع فـى عب القاضـى حتى وصـل إلى محاشمه فقال القاضى يا محاشمى ما أقبحـك يا شقى من عمل معى هذه العملة فقال له الناس يا مـولانا هذا ولد صغيـر رجم بحجر فوقع فـى الطاجن ما دفع الله كـان أعظم ثم التفتوا فوجدوا الرغيف الرصاص والذى رماه إنما هو زريق السماك فقاموا عليه وقالوا ما يحل من الله يا زريق نزل الكيس أحسن لك فـقال أن شاء الله أنزله وأما على المصرى فإنه راح إلى القاعـة ودخل على الرجال فقـالوا له أين الكيس فـحكى لهم جميـع ما جرى له فقالوا له أنت أضعت ثلثى شطارته فقلع ما عليه ولبس بدلة تاجر وخرج فرأى حاويا معه جراب فيه ثعابين وجـربندية فيها أمتعته فقال له يـا حاوى مرادى أن تفرج أولادى وتأخذ إحسانا فأتى به إلى القاعة وأطعمه وبنجه ولبس بدلته وراح إلى زريق السماك وأقبل عليه وزمر بالزمارة فقال لـه الله يرزقك وإذا به طلع الثعابين ورماها قـدامه وكان زريق يخاف من الثعابـين فهرب منها داخل الدكان فـأخذ الثعابين ووضعها فـى الجراب ومد يده إلى الكـيس فحصـل طرقه فـشن الحلق والجـلاجل والاجراس فقـال له مازلـت تعمل عـلى المناصف حتى عـملت حاويا ورماه برغيف من رصاص وإذا بـواحد جندى سائر ووراءه السايس فـوقع الرغيف فى رأس السـايس فبطحه فقال الجـندى من بطحه فقـال له الناس هذا حجر نـزل من السقيفة فسـار الجندى والتفتوا فـرأوا الرغيف الرصاص فقامـوا عليه وقالوا له نـزل الكيس فقال ان شـاء الله انزله فى هذه الليـلة ومازال على يلـعب مع زريق حتى عـمل معه سبعـة مناصف ولم يأخـذ الكيس ثم أنه أرجـع ثياب الحاوى ومتاعـه إليه وأعطاه أحسـانا ورجع إلى دكان زريق فـسمعه يقول أنا إن بـيت الكيس فى الـدكان نقب عليه وأخذه ولكن آخـذه معى إلى البيت ثم قام زريق وعزل الدكـان ونزل الكيس وحطه فى عبه فتبعه على إلى أن قرب من البيت فرأى زريق جاره عنده فرح فقال زريق فى نفسه حتى أروح الـبيت وأعطـى زوجتى الكـيس والبس حـوايجى ثم أعـود إلى الفرح ومـشى وعلى تابعه وكان زريق متزوجا بجارية سوداء مـن معاتيق الوزير جعفر ورزق منها بولد وسماه عبد الله وكان يوعدها أنه يطاهر الولد بالكيس ويزوجه ويصرفه فى فرحه ثم دخل زريق علـى زوجته وهو عـابس الوجه فـقالت له مـا سبب عبـوسك فقال لـها ربنا بـلانى بشاطر لعب معى سبعة مناصف على أنه يأخذ الكيس فما قدر ان يأخذه فقالت هاته حتى

أدخره لفرح الولد فأعطاها اياه وأما على المصرى فأنه تخبأ فى مخدع وصار يسمع ويرى فقام زريق وقلع ما عليه ولبس بدلته وقال لها احفظى الكيس يا أم عبد الله وأنا رايح إلى الفرح فقالت له نم لك ساعة فنام فقام على ومشى على أطراف أصابعه وأخذ الكيس وتوجه إلى بيت الفرح ووقف يتفرج وأما زريق فإنه رأى فى منامه أن الكيس أخذه طائر فافاق مرعوبا وقال لأم عبد الله قومى انظرى الكيس فقامت تنظره فما وجدته فلطمت على وجهها وقالت يا سواد حظك يا أم عبد الله الكيس أخذه الشاطر فقال والله ما أخذه إلا الشاطر على وما أحد غيره أخذ الكيس ولابد أنى أجىء به فقالت إن لم تجىء به وإلا قفلت عليك الباب وتركتك تبيت فى الحارة فأقبل زريق على الفرح فرأى الشاطر على يتفرج فقال هذا الذى أخذ الكيس ولكنه نازل فى قاعة أحمد الدنف فسبقه زريق إلى القاعة وطلع على ظهرها ونزل فرآهم نائمين وإذا بعلى أقبل ودق الباب فقال زريق من بالباب فقال على المصرى فقال له هل جئت بالكيس فظن أنه شومان فقال له جئت به فافتح الباب فقال له ما يمكن أن أفتح لك حتى أنظره فإنه وقع بينى وبين كبيرك رهان فقال مد يدك فمد يده من جنب عقب الباب فأعطاها الكيس فأخذه زريق وطلع من الموضع الذى نزل منه وراح إلى الفرح وأما على فإنه لم يزل واقفا على الباب ولم يفتح له أحد فطرق الباب طرقه مزعجة فصحا الرجال وقالوا هذه طرقة على المصرى ففتح له النقيب وقال له هل جئت بالكيس فقال يكفى مزاحا يا شومان أما أعطيتك إياه من جنب عقب الباب وقلت لى أنا حالف أنى لا أفتح لك الباب حتى ترينى الكيس فقال والله ما أخذته وإنما زريق هو الذى أخذه منك فقال له لابد أنى أجىء به ثم خرج على المصرى متوجها إلى الفرح فسمع الخلبوص يقول شوبش يا ابا عبد الله العاقبة عندك لولدك فقال على أنا صاحب السعد وتوجه إلى بيت زريق وطلع من فوق ظهر البيت ونزل فرأى الجارية نائمة فبنجها ولبس بدلتها وأخذ الولد فى حجره ودار يفتش فرأى مقطفا فيه كعك العيد من بخل زريق ثم أن زريقا أقبل إلى البيت وطرق الباب فجاوبه الشاطر على وجعل نفسه الجارية وقال له من بالباب فقال أبو عبد الله فقال أنا حلفت ما أفتح لك الباب حتى تجىء بالكيس فقال جئت به فقال هاته قبل فتح الباب فـ[illegible]ل أدلى المقطف وخذيه فيه فادلى المقطف فحطه فيه ثم أخذه الشاطر على وبنج الولد وايقظ الجارية ونزل من الموضع الذى طلع منه وقصد القاعة فدخل على الرجال وأراهم الكيس والولد معه فشكروه وأعطاهم

الكعك فأكلوه وقال يا شومان هذا الولد بن زريق فاخفه عندك فأخذه وأخفاه وأتى بخروف فذبحه وأعطاه للنقيب فطبخه قمة وكفنه وجعله كالميت وأما زريق فإنه لم يزل واقفا على الباب ثم دق الباب دقة مزعجة فقالت له الجارية هل جئت بالكيس فقال لها أما أخذته فى المقطف الذى أدليته فقالت أنا ما أدليت مقطفا ولا رأيت كيسا ولا أخذته فقال والله أن الشاطر على سبقنى وأخذه ونظر فى البيت فرأى الكعك معدوما والولد مفقودا فقال وا ولداه فدقت الجارية على صدرها وقالت أنا واياك للوزير ما قتل ابنى إلا الشاطر الذى يفعل معك المناصف وهذا بسببك فقال لها ضمانه على ثم طلع زريق وربط المحرمة فى رقبته وراح إلى قاعة أحمد الدنف ودق الباب ففتح له النقيب ودخل على الرجال فقال شومان ما جاء بك فقال أنتم سياق على على المصرى ليعطينى ولدى وأسامحه فى الكيس الذهب فقال شومان الله يقابلك يا على بالجزاء لأى شىء ما أعلمتنى أنه ابنه فقال زريق أى شىء جرى عليه فقال شومان اطعمناه زبيبا فشرق ومات وهو هذا فقال واولداه ما أقول لامه ثم قام وفك الكفن فرآه قمة فقال له اطربتنى يا على ثم أنهم أعطوه ابنه فقال أحمد الدنف أنت كنت معلقا الكيس لكل من كان شاطر يأخذه فإن أخذه شاطر يكون حقه وأنه صار حق على المصرى فقال وأنا وهبته له فقال له على الزيبق المصرى أقبله من شأن بنت أختك زينب فقال له قبلته فقالوا نحن خطبناها لعلى المصرى فقال أنا ما أحكم عليها إلا بالمعروف ثم أنه أخذ ابنه وأخذ الكيس فقال شومان هل قبلت منا الخطبة فقال قبلتها ممن كان يقدر على مهرها فقال له أى شىء مهرها فقال أنها حالفة أن لا يركب صدرها إلا من يجىء لها ببدلة قمر بنت عذرة اليهودى وباقى حوايجها وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة السادسة عشرة بعد السبعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان زريقا قال لشومان أن زينب حالفة أن لا يركب صدرها إلا الذى يجىء لها ببدلة قمر بنت عذرة اليهودى والتاج والحياصة والتاسومة الذهب فقال على المصرى أن لم أجىء ببدلتها فى هذه الليلة لا حق لى فى الخطبة فقال له يا على تموت أن عملت معها منصفا فقال له ما سبب ذلك فقالوا له أن عذرة اليهودى ساحر مكار غدار يستخدم الجن وله قصر خارج المملكة حيطانه طوبة من ذهب وطوبة من فضة وذلك القصر ظاهر للناس مادام قاعدا فيه ومتى خرج منه فإنه يختفى ورزق

بنت أسمها قمر وجاء لها بهذه البدلة من كنز فيضع البدلة فى صينية من الذهب ويفتح شبابيك القصر وينادى أين شطار مصر وفتيان العراق ومهرة العجم كل من أخذ البدلة تكون له فحاوله بالمناصف سائر الفتيان فلم يقدروا أن يأخذوها وسحرهم قرودا وحميرا فقال على لابد من أخذها وتتجلى بها زينب بنت الدليلة المحتالة ثم توجه على المصرى إلى دكان اليهودى فرآه فظا غليظا وعنده ميزان وصنج وذهب وفضة ومناقد ورأى عنده بغلة فقام اليهودى وقفل الدكان وحط الذهب والفضة فى كيسين وحطهما فى خرج وحطه على البغلة وركب وسار إلى أن وصل خارج البلد وعلى المصرى وراءه وهو لم يشعر ثم أطلع اليهودى ترابا من كيس فى جيبه وعزم عليه ورشه فى الهواء فرأى الشاطر على قصرا ما له نظير ثم طلعت البغلة باليهودى فى السلالم وإذا بالبغلة عون يستخدمه اليهودى فنزل الخرج عن البغلة وراحت البغلة واختفت وأما اليهودى فإنه قعد فى القصر وعلى ينظر فعله فأحضر اليهودى قصبة من ذهب وعلق فيها صينية من ذهب بسلاسل من ذهب وحط البدلة فى الصينية فرآها على من خلف الباب ونادى اليهودى أين شطار مصر وفتيان العراق ومهرة العجم من أخذ هذه البدلة بشطارته فهى له وبعد ذلك عزم فوضعت سفرة طعام فأكل ثم رفعت السفرة بنفسها وعزم مرة أخرى فوضعت بين يديه سفرة مدام فشرب فقال على أنت لا تعرف أن تأخذ هذه البدلة إلا وهو يسكر فجاء على من خلفه وسحب شريط البولاد فى يده فالتفت اليهودى وعزم وقال ليده قفى بالسيف فوقفت يده بالسيف فى الهواء فمد يده الشمال فوقفت فى الهواء وكذلك رجله اليمنى وصار واقفا على رجل ثم أن اليهودى صرف عنه الطلسم فعاد على المصرى كما كان أولا ثم أن اليهودى ضرب تخت رمل فطلع له أن أسمه على الزيبق المصرى فالتفت إليه وقال له تعالى من أنت وما شأنك فقال أنا على المصرى صبى أحمد الدنف وقد خطبت زينب بنت الدليلة المحتالة وعملوا على مهرها بدلة بنتك فأنت تعطيها إلى أن أردت السلامة وتسلم فقال له بعد موتك فإن ناسا كثيرا عملوا على مناصف من شأن أخذ البدلة فلم يقدروا أن يأخذوها منى فإن كنت تقبل النصيحة تسلم بنفسك فإنهم ما طلبوا منك البدلة إلا لأجل هلاكك ولولا أنى رأيت سعدك غالبا على سعدى لكنت رميت رقبتك ففرح على لكون اليهودى رأى سعده غالبا على سعده فقال له لابد لى من أخذ البدلة وتسلم فقال له هل هذا مرادك ولابد قال نعم فأخذ اليهودى طاسة وملأها ماء

وعزم عليها وقال أخرج من الهيئة البشرية إلى هيئة حمار ورشة منها فصار حمارا بحوافر وآذان طوال وصار ينهق مثل الحمير ثم ضرب عليه دائرة فصارت عليه سورا وصار اليهودي يسكر إلى الصباح فقال له أنا أركبك وأريح البغلة ثم أن اليهودى وضع البدلة والصينية والقصبة والسلاسل فى خشخانة ثم طلع وعزم عليه فتبعه وحط على ظهره الخرج وركب عليه واختفى القصر عن الأعين وسار وهو راكبه إلى أن نزل على دكانه وفرغ الكيس الذهب والكيس الفضة فى المنقد قدامه وأما على فإنه مربوط فى هيئة حمار ولكنه يسمع ويعقل ولا يقدر ان يتكلم وإذا برجل ابن تاجر جار عليه الزمن فلم يجد له صنعة خفيفة إلا السقاية فأخذ اساور زوجته وأتى إلى اليهودى وقال له اعطنى ثمن هذه الاساور لاشترى لى به حمارا فقال اليهودى تحمل عليه أي شيء فقال له يا معلم املأ عليه ماء من البحر واقتات من ثمنه فقال له اليهودى خذ منى حمارى هذا فباع له الاساور وأخذ من ثمنها الحمار وأعطاه اليهودى الباقى وصار بعلى المصرى وهو مسحور إلى بيته فقال على لنفسه متى ما حط عليك الحمار الخشب والقربة وذهب بك عشرة مشاوير أعدمك العافية وتموت فتقدمت امرأة السقاء تحط له عليقه وإذا به لطشها بدماغه فانقلبت على ظهرها ونط عليها ودق بفمه فى دماغها وأدلى الذى خلفه له الوالد فصاحت فادركها الجيران فضربوه ورفعوه عن صدرها وإذا بزوجها الذى أراد ان يعمل سقاء جاء إلى البيت فقالت له أما أن تطلقنى وأما أن ترد الحمار إلى صاحبه فقال لها أى شيء جرى فقالت له هذا شيطان فى صفة حمار فإنه نط على ولولا الجيران رفعوه من فوق صدرى لفعل بى القبيح فأخذه وراح إلى اليهودى فقال له اليهودى لاى شيء رددته فقال له هذا فعل مع زوجتى فعلا قبيحا فاعطاه دراهمه وراح وأما اليهودى فإنه التفت إلى على وقال له أتدخل باب المكر يامشئوم حتى أردّك إلى وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة السابعة عشرة بعد السبعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيدان اليهودى لما رد له السقاء الحمار أعطاه دراهمه والتفت إلى على المصرى وقال له أتدخل باب المكريا مشئوم حتى يردك إلى ولكن حيثما رضيت أن تكون حمارا أنا أخليك فرجة للكبار والصغار وأخذ الحمار وركبه وصار

خارج البلـد وأخرج الرماد وعزم عليه ورشه فى الهواء وإذا بالـقصر ظهر فطلـع القصر ونزل الخرج من على ظهر الحمار وأخذ الكيسين المال وأخـرج القصبة وعلق فيها الصينية بالبدلة ونادى مثل مـا ينادى كل يوم ابن الفتيان من جميع الاقـطار من يقدر ان يأخذ هذه البدلة وعزم مثل الأول فوضع له سماط فأكل وعزم فحضر المدام بين يديه فسكر واخرج طاسة فيـها ماء وعزم عليهـا ورش منها على الحمـار وقال له انقلب من هـذه الصورة إلى صورتك الأولى فعاد انسانا كما كان أولا فقال لـه يا على أقبل النصيحة واكتف شرى ولا حاجة لك بزواج زينب وأخذ بدلة ابنتى فإنهـا ما هى سهلة عليك وترك الطمع أولى لك وإلا اسحرك دبا أو قردا أو أسلط عليك عونا يرمـيك خلف جبل قاف فقال له يا عذرة أنا التزمت باخذ البدلة ولابد من أخذها وتسلم وإلا أقتلك فقال له يا على أنت مثل الجوز لو لم تنكسر ما تؤكـل وأخذ طاسة فيها ماء وعزم عليها ورش منهـا عليه وقال كن فى صورة دب فانقلب دبا فى الحال وحط الطوق فى رقبته وربط فمه ودق له وتدا من حديد وصار يأكل ويرمـى له بعض لقم ويـكب عليه فضـل الكأس فلما أصـبح الصباح قام الـيهودى ورفع الصينية والبدلة وعزم على الدب فتـبعه إلى دكانه ثم قعد فى الدكان وفرغ الذهب والفضة فى المنقد وربط السلسلة التى فى رقبة الدب فى الدكان فصار على يسمع ويعقل ولا يقدران ينطق وإذا برجل تاجر أقبل على اليهـودى فى دكانه وقال يا معلم أتبيعني هذا الدب فإن لى زوجـة وهى بنت عمى قـد وصفوا لها أن تأكـل لحم دب وتندهن بشـحمه ففرح اليهودى وقال فى نـفسه أبيعه لأجل أن يذبحه ونرتاح منه فـقال على فى نفسه والله أن هذا يريد أن يذبحنـى والخلاص عند الله قال اليهودى هو من عندى إلـيك هدية فأخذه التاجر ومر به على جزار فقال له هات العدة وتعـالى معى فأخذ السكاكين وتبعه تم تقدم الجزار وربطه وصـار يسن السكين وارد ان يذبحـه فلما رآه على المصرى قـاصده فر من بين يديـه وطار بين السمـاء والأرض ولم يزل طائرا حـتى نزل فى الـقصر عند الـيهودى وكان السبـب فى ذلك أن اليهودى ذهـب إلى القصر بعد أن أعـطى التاجر الدب فـسألته بنته فحكى لهـا جميع ما وقع فقالت أحضر عونا وأسأله عـن على المصرى هل هو هذا أو رجل غيره يعمل منصفا فعزم وأحضر عونا وسأله هل هذا على المصرى أو هو رجل آخر يعمل منصـفا فاختطفه العون وجاء به وقـال هذا هو على المصرى بعينـه فإن الجزار كتفه وسن السكين وشرع فى ذبحـه فخطفته من بين يديه وجئت به فأخذ الـيهودى طاسة فيها

ماء وعزم عليها ورشة منها وقال له ارجع إلى صورتك البشرية فعاد كما كان أولا فرأته قمر بنت اليهودى شابا مليحا فوقعت محبته فى قلبها ووقعت محبتها فى قلبه فقالت له يا مشئوم لأى شىء تطلب بدلتى حتى يفعل بك أبى هذه الفعال فقال أنا التزمت بأخذها لزينب النصابة لأجل أن أتزوج بها فقالت له غيرك لعب مع أبى مناصف لأجل أخذ بدلتى فلم يتمكن منها ثم قالت له أترك الطمع فقال لابد لى من أخذها ويسلم أبوك وإلا أقتله فقال لها أبوها انظرى يا بنتى هذا المشئوم كيف يطلب هلاك نفسه ثم قال له أنا أسحرك كلبا وأخذ طاسة مكتوبة وفيها ماء وعزم عليها ورشة منها وقال له كن فى صورة كلب فصار كلبا وصار اليهودى يسكر هو وبنته إلى الصبح ثم قام رفع البدلة والصينية وركب البغلة وعزم على الكلب فتبعه وصارت الكلاب تنبح عليه فمر على دكان سقطى فقام السقطى منع عنه الكلاب فنام قدامه والتفت اليهودى فلم يجده فقام السقطى عزل دكانه وراح بيته والكلب تابعه فدخل السقطى داره فنظرت بنت السقطى فرأت الكلب فغطت وجهها وقالت يا أبى أتجيء بالرجل الاجنبى فتدخله علينا فقال يا بنتى هذا كلب فقالت له هذا على المصرى سحره اليهودى فالتفت إليه وقال له هل أنت على المصرى فأشار له برأسه نعم فقال لها أبوها لاى شىء سحره اليهودىّ قالت له بسبب بدلة بنته قمر وأنا أقدر ان أخلصه فقال ان كان خيرا فهذا وقته فقالت أن كان يتزوج بى خلصته فأشار لها برأسه نعم فأخذت طاسة مكتوبة وعزمت عليها وإذا بصرحة عظيمة والطاسة وقعت من يدها فالتفتت فرأت جارية أبيها هى التى صرخت وقالت لها يا سيدتى أهذا هو العهد الذى بينى وبينك وما أخذ علمك هذا الفن إلا أنا واتفقت معى أنك لا تفعلين شيأ إلا بمشورتى والذى يتزوج بك يتزوجنى وتكون لى ليلة ولك ليلة قالت نعم فلما سمع السقطى هذا الكلام من الجارية قال لبنته ومن علم هذه الجارية قالت له يا أبت هى التى علمتنى وأسألها عن الذى علمها فسأل الجارية فقالت له أعلم يا سيدى أنى لما كنت عند عذرة اليهودى كنت أتسلل عليه وهو يتلو العزيمة ولما يذهب إلى الدكان أفتح الكتب واقرأ فيها إلى أن عرفت علم الروحانى فسكر اليهودى يوما من الأيام وطلبنى للفراش فأبيت وقلت لا أمكنك من ذلك حتى تسلم فأبى فقلت له سوق السلطان فباعنى لك وأتيت إلى منزلك فعلمت سيدتى واشترطت عليها أن لا تفعل منه شيئا إلا بمشورتى والذى يتزوج بها يتزوجنى ولى ليلة ولها ليلة وأخذت الجارية طاسة فيها ماء وعزمت

عليها ورشت منها الكلب وقالت له ارجع إلى صورتك البشرية فعاد انسانا كما كان أولا فسلم عليه السقطى وسأله عن سبب سحره فحكى له جميع ما وقع له وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الثامنة عشرة بعد السبعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان السقطى لما سلم على على المصرى وسأله عن سبب سحره وما وقع له حكى له جميع ما جرى له فقال له أتكفيك بنتى والجارية فقال لابد من أخذ زينب وإذا بداق يدق الباب فقالت الجارية من بالباب فقالت قمر بنت اليهودى هل على المصرى عندكم فقالت لها بنت السقطى يا ابنة اليهودى وإذا كان عندنا أى شىء تفعلين به انزلى يا جارية افتحى لها الباب ففتحت لها الباب فدخلت فلما رأت عليا ورآها قال لها ما جاء بك هنا يا بنت الكلب فقالت أنا أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فأسلمت وقالت له هل الرجال فى دين الإسلام يمهرون النساء أو النساء تمهر الرجال فقال لها الرجال يمهرون النساء فقالت وأنا جئت أمهر نفسى لك بالبدلة والقصبة والسلاسل ودماغ أبى عدوك وعدو الله ورمت دماغ أبيها قدامه وقالت هذا رأس أبى عدوك وعدو الله وسبب قتلها أباها أنا لما سحر عليا كلبا رأت فى المنام قائلا يقول لها أسلمى فأسلمت فلما انتبهت عرضت على أبيها الإسلام فأبى فلما أبى الإسلام بنجته وقتلته فأخذ على الامتعة وقال للسقطى فى غد نجتمع عند الخليفة لاجل أن أتزوج بنتك والجارية وطلع وهو فرحان قاصدا القاعة ومعه الامتعة وإذا برجل حلوانى يخبط على يديه ويقول لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم الناس صار كدهم حراما لايروح إلا فى الغش سألتك بالله أن تذوق هذه الحلاوة فأخذ منه قطعة واكلها فإذا فيها البنج فبنجه وأخذ منه البدلة والقصبة والسلاسل وحطها داخل صندوق الحلاوة وحمل الصندوق وطبق الحلاوة وسار وإذا بقاض يصيح عليه ويقول له تعال يا حلوانى فوقف له وحط القاعدة والطبق فوقها وقال أى شىء تطلب فقال له حلاوة وملبسا ثم أخذ منهما فى يده شيئا وقال أن هذه الحلاوة والملبس مغشوشان وأخرج القاضى حلاوة من عبه وقال للحلوانى أنظر هذه الصنعة ما أحسنها فكل منها واعمل نظيرها فأخذها الحلوانى فأكل منها وإذا فيها البنج فبنجه وأخذ القاعدة والصندوق والبدلة وغيرها وحط الحلوانى فى داخل القاعدة وحمل الجميع وتوجه إلى القاعة التى فيها أحمد الدنف وكان القاضى

حسن شومان وسبب ذلك أن عليا لما التزم بالبدلة وخرج فى طلبها لم يسمعوا عنه خبرا فقال أحمد الدنف يا شباب أطلعوا فتشوا على أخيكم على المصرى فطلعوا يفتشون عليه فى المدينة فطلع حسن شومان فى صفة قاض فقابل الحلوانى فعرفة أنه أحمد اللقيط فبنجه وأخذه وصحبته البدلة وسار به إلى القاعة وأما الأربعون فإنهم داروا يفتشون فى شوارع البلد فخرج على كتف الجمل من بين أصحابه فرأى زحمة وقصد الناس المزدحمين فرأى عليا المصرى بينهم مبنجا فايقظه من البنج فلما أفاق رأى الناس مجتمعين عليه فقال على كتف الجمل أفق لنفسك فقال أين أنا فقال له على كتف الجمل وأصحابه نحن رأيناك مبنجا ولم نعرف من بنجك فقال بنجنى واحد حلوانى وأخذ منى الامتعة ولكن أين ذهب فقالوا له ما رأينا أحدا ولكن تعال رح بنا القاعة فتوجهوا إلى القاعة ودخلوا فوجدوا أحمد الدنف فسلم عليهم وقال يا على هل جئت بالبدلة فقال جئت بها وبغيرها وجئت برأس اليهودى وقابلنى حلوانى فبنجنى وأخذها منى وحكى له جميع ما جرى له وقال له لو رأيت الحلوانى لجازيته وإذا بحسن شومان طالع من مخدع فقال له هل جئت بالامتعة يا على فقال له جئت بها وجئت برأس اليهودى وقابلنى حلوانى فبنجنى وأخذ البدلة وغيرها ولم أعرف أين ذهب ولو عرفت مكانه لنكيته فهل تعرف أين ذهب ذلك الحلوانى فقال أعرف مكانه ثم قام وفتح له المخدع فرأى الحلوانى مبنجا فيه فايقظه من البنج ففتح عينيه فرأى نفسه قدام على المصرى وأحمد الدنف والاربعين فانصرع وقال أين أنا ومن قبضنى فقال شومان أن الذى قبضتك فقال له على المصرى ياماكر ا تفعل هذه الفعال وأراد أن يذبحه فقال له حسن شومان ارفع يدك هذا صار صهرك فقال صهرى من أين فقال له هذا أحمد اللقيط ابن أخت زينب فقال على لأى شىء هكذا يا لقيط فقال له أمرتنى به جدتى الدليلة المحتالة وماذاك إلا أن زريقا السماك اجتمع بجدتى الدليلة المحتالة وقال لها أن عليا المصرى شاطر بارع الشطارة ولابد أن يقتل اليهودى ويجيىء بالبدلة فاحضرتنى وقالت له يا أحمد هل تعرف عليا المصرى فقلت أعرفه وكنت أرشدته إلى قاعة أحمد الدنف فقالت لى رح أنصب له شركك فإن كان جاء بالامتعة فأعمل عليه منصفا وخذ منه الامتعة فطفت فى شوارع المدينة حتى رأيت حلوانيا وأعطيته عشرة دنانير وأخذت بدلته وحلاوته وعدته وجرى ما جرى ثم أن عليا المصرى قال لأحمد اللقيط رح إلى جدتك وإلى زريق السماك

وأعلمـهما بأنى جئـت بالامتعة ورأس اليـهودى وقل لهما غـدا قابلاه فى ديوان الخلـيفة وخذا منه مـهر زينب ثم أن أحمد الـدنف فرح بذلك وقال لاخـابت فيك التربيـة يا على فلما أصبح الصباح أخذ على المصرى البدلة والصينية والقصبة والسلاسل الذهب ورأس عذرة اليهودى على مزراق وطلع إلى الديوان مـع عمه وصبيانه وقبلوا الأرض بين ايادى الخليفة وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة التاسعة عشرة بعد السبعمائة

قالت بلغنى أيهـا الملك السعيد ان عليا المصرى لما طلع الديـوان مع عمه أحمد الدنف وصبيانه قبـلوا الأرض بين يدى الخليفة فالتـفت الخليفة فرأى شابا ما فـى الرجال أشجع منه فسأل الرجال عنـه فقال أحمد الدنف يا أمير المؤمنين هذا علـى الزيبق المصرى رئيس فتيان مصر وهو أول صبيـانى فلما رآه الخليفة أحبه لكونه رأى الشجـاعة لايحة بين عينيه تشهد له لا عليه فـقام على ورمى دماغ اليهودى بين يدى الخليفـة وقال له عدوك مثل هذا يا أمير المـؤمنين فقال له الخـليفة دماغ من هـذا فقال له دماغ عذرة الـيهودى فقال الخلـيفة ومن قتله فحكى لـه على المصرى ما جرى له من الأول إلى الآخر فقال الخلـيفة ما ظننت أنك قتلته لأنـه كان ساحرا فقال له يا أمير المؤمـنين أقدرنى ربى على قتله فـأرسل الخليفة الوالى إلى القصر فرأى اليهودى بلا رأس فاخذوه فى تابوت وأحضروه بين يدى الخليفة فأمر بحرقه وإذا بقمر بنت اليهودى أقبلت وقبلت الأرض بين يدى الخليفة وأعلمته بأنها ابنة عذرة اليهودى وأنها أسلمت ثم جددت اسلامها ثانيا بين يدى الخليفة وقالت له أنت سياق علـى الشاطر على الزيبـق المصرى أن يتزوجنى ووكـلت الخليفة فى زواجهـا بعلى فوهب الخليفة لعلى المصرى قصر اليهودى بمـا فيه وقال له تمن على فقال تمنيت عليك أن أقف على بساطك وآكل من سماطك فقال الخليفة يا على هل لك صبيان فقال لى أربعون صبيا ولـكنهم فى مصر فـقال الخليفة أرسل إليـهم ليجيئوا مـن مصر ثم قال له الخلـيفة يا على هل لـك قاعة قال لا فقال حسن شـومان قد وهبت له قاعـتى بما فيها يا أميـر المؤمنين فقال الخليفة قاعتك لك يا حسن وأمر الخازنـدار أن يعطى المعمار عشرة الآف دينار ليبنى له قاعة بأربـعة لواوين وأربعين مخدعـا لصبيانه وقال الخلـيفة يا على هل بقـى لك حاجة نأمر لك بقضائها فقال يا ملك الزمان أن تكون سياقا على الدليلة المحتالة أن تزوجنى بنتها

زينب وتأخذ بدلة بنت اليهودى وأمتعتها فى مهرها فقبلت دليلة سياق الخليفة وأخذت الصينية والبدلة والقصبة والسلاسل الذهب وكتبوا كتابها عليه وكتبوا أيضا كتاب بنت السقطى والجارية وقمر بنت اليهودى عليه ورتب له الخليفة جامكية وجعل له سماطا فى الغداء وسماطا فى العشاء وجراية وعلوفة ومسموحا وشرع على المصرى في الفرح حتى كمل مدة ثلاثين يوما ثم أن عليا المصرى أرسل إلى صبيانه بمصر كتابا يذكر لهم فيه ما حصل له من الاكرام عند الخليفة وقال لهم فى المكتوب لابد من حضوركم لاجل أن تحصلوا الفرح لأنى تزوجت باربع بنات فبعد مدة يسيرة حضر صبيانه الأربعون وحصلوا الفرح فوطنهم فى القاعة وأكرمهم غاية الاكرام ثم عرضهم على الخليفة فخلع عليهم وجلت المواشط زينب بالبدلة على على المصرى ودخل عليها فوجدها درة ما ثقبت ومهرة لغيره ما ركبت وبعدها دخل على الثلاث بنات فوجدهن كاملات الحسن والجمال ثم بعد ذلكاتفق أن عليا المصرى سهر عند الخليفة ليلة من الليالى فقال له الخليفة مرادى يا على أن تحكى لى جميع ما جرى لك من الأول إلى الآخر فحكى له جميع ما جرى له من الدليلة المحتالة وزينب النصابة وزريق السماك فأمر الخليفة بكتابة ذلك وأن يجعلوه فى خزانة الملك فكتبوا جميع ما وقع له وجعلوه من جملة السير لامة خير البشر ثم قعدوا فى أرغد عيش واهناه إلى أن أتاهم هادم اللذات ومفرق الجماعات والله سبحانه وتعالى أعلم. ومما يحكى أيضا أيها الملك السعيد أنه كان بمدينة شيراز ملك عظيم يسمى السيف الأعظم شاه وكان قد كبر سنة ولم يرزق ولدا فجمع الحكماء والاطباء وقال لهم أنى قد كبر سنى وقد علمتم حالى وحال المملكة ونظامها وأنى خائف على الرعية من بعدى وإلى الآن لم أرزق ولدا فقالوا نحن نصنع لك شيئا من العقاقير يكون فيه النفع أن شاء الله تعالى فصنعوا له شيئا واستعمله ثم واقع زوجته فحملت بإذن الله تعالى الذى يقول للشيء كن فيكون فلما استكملت شهورها وضعت ولدا ذكرا مثل القمر فسماه أزدشير فكبر وا نتشى وتعلم العلم والأدب إلى أن صار له من العمر خمسة عشر سنة وكان بالعراق ملك يسمى الملك عبد القادر وكان له بنت كالبدر الطالع وكانت تسمى حياة النفوس وكانت تبغض الرجال فلا يكاد احد ان يذكر الرجال بحضرتها وقد خطبها من أبيها الملوك الأكاسرة فيكلمها أبوها فتقول لا أفعل هذا أبدا وأن غصبتنى عليه قتلت نفسى فسمع ابن الملك أزدشير بذكرها فاعلم والده بذلك فنظر إلى حالة ورق له وصار

كل يوم يوعده بزواجها ثم أرسل وزيره إلى أبيها ليخطبها فأبى فلما رجع الوزير من عند الملك عبد القادر وأخبره بما اتفق له معه وأعلمه بعدم قضاء حاجته صعب ذلك على الملك واغتاظ غيظا شديدا وقال هل مثلي يرسل إلى أحد من الملوك فى حاجة فلم يقضها ثم أمر مناديا أن ينادى فى العسكر بتبريز الخيام وكثرة الاهتمام ولو بالقرض فى النفقة وقال ما بقيت أرجع حتى أخرب ديار الملك عبد القادر وأقتل رجاله وأمحو آثاره وانهب أمواله فلما بلغ ولده أزدشير هذا الخبر قام عن فراشه ودخل على أبيه الملك وقبل الأرض بين يديه وقال له أيها الملك الأعظم لاتكلف نفسك بشيء من هذا وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الموفية للعشرين بعد السبعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان ابن الملك لما بلغه هذا الخبر دخل على أبيه الملك وقبل الأرض بين يديه وقال له أيها الملك الأعظم لا تكلف نفسك بشيء من هذا وتجرد هذه الأبطال وهذا العسكر وتنفق مالك فأنك أقوى منه ومتى جردت عليه هذا العسكر الذى معك أخربت دياره وبلاده وقتلت رجاله وأبطاله ونهبت أمواله ويقتل هو أيضا فيبلغ ابنته ذلك مما يحصل لابيها وغيره من تحت رأسها فتقتل نفسها وأنا أموت بسببها ولا أعيش بعدها أبدا فقال له الملك فما يكون رأيك يا ولدى قال له أنا أتوجه فى حاجتى بنفسى والبس لبس التجار وأتحيل فى الوصول إليها وأنظر كيف يكون قضاء حاجتى منها فقال له أبوه هل اخترت هذا الرأى فقال له نعم يا والدى فدعا الملك بالوزير وقال له سافر مع ولدى وثمرة فؤادى وساعده على مقاصده واحتفظ عليه ودبره برأيك الرشيد فأنك معه عوضا عنى فقال الوزير سمعه وطاعة ثم أن الملك أعطى ولده ثلثمائة ألف دينار من الذهب وأعطاه جواهر وفصوصا ومصاغا ومتاعا وذخائر وما أشبه ذلك ثم أن الولد دخل إلى والدته وقبل يديها وسألها الدعاء فدعت له ثم قامت من ساعتها وفتحت خزائنها وأخرجت له ذخائر وقلائد ومصاغا وملابس وتحفا وجميع الشيء الذى كان مدخرا من عهد الملوك السالفة مما لا تعادله أموال ثم أخذ معه من مماليكه وغلمانه ودوابه جميع ما يحتاج إليه فى الطريق وغيره وتزيا بزى التجار هو والوزير ومن معهما وودع والديه وأهله وقرابيه وساروا يقطعون البرارى والقفار آناء الليل والنهار فلما طالت عليه الطريق أنشد هذه الأبيات:

غرامي من الأشواق والسقم زائد ... ومالى على جور الزمان مساعد
أراعى الثريا والسماك إذا بدا ... كأنى من فرط الصبابة عابد
أراقب نجم الصبح حتى إذا أتى ... أهيم بأشواقي ووجدى زائد
وحقكم ما حلت عن حبكم ولا ... أنا إلا ساهرا لجفن واجد
فإن عزّ ما أرجوه زاد بى الضنا ... وقل اصطباري بعدكم والمساعد
صبرت إلى أن يجمع الله شملنا ... وتكمد من ذاك العدى والحواسد

فلما فرغ من شعره غشي عليه ساعة فرش الوزير عليه ماء الورد فلما افاق قال له يا ابن الملك صبر نفسك فإن الصبر عاقبته الفرج وها أنت سائر إلى ما تريد ولم يزل الوزير يلاطفه ويسليه إلى أن سكن روعه وجدوا في السير فلما طالت على ابن الملك الطريق تذكر محبوبته فانشد هذه الأبيات:

طال البعاد وزاد الهم والقلق ... ومهجتى فى لهيب النار تحترق
وشاب رأسى مما قد بليت به ... من الغرام ودمع العين يندفق
أقسمت يا منيتى يا منتهى أملى ... بخالق الخلق منها الغصن والورق
لقد حملت غراما منك يا أملى ... لم يطق حمله فى الناس من عشقوا
وأستخبروا الليل عنى فهو يخبركم ... أن كان جفنى طول الليل ينطبق

فلما فرغ من انشاد شعره بكى بكاء شديدا وشكا مما يلاقيه من شدة الغرام فلاطفه الوزير وسلاه ووعده ببلوغ مناه وساروا أياما قلائل حتى أشرفوا على المدينة البيضاء بعد طلوع الشمس فقال الوزير لابن الملك أبشر يا ابن الملك بكل خيرو انظر هذه المدينة البيضاء التى أنت طالبها ففرح ابن الملك بذلك فرحا شديدا وأنشد هذه الأبيات:

خليلى انى مغرم القلب هائم ... ووجدي مقيم والغرام ملازم
أنوح كما الثكلان اسهره الأسى ... ملازم إذا جن ليلى ليس فى العشق راحم
وان هبت الأرياح من نحو ارضكم ... وجدت لها بردا على القلب قادم

وتنهل اجفانى كسحب مواطر وفي بحر أدمعها فؤادي عائم

فلما وصلا إلى المدينة البيضاء دخلاها وسألا عن خان التجار ومحل ارباب الأموال فدلوهما عليه فنزلا فيه واخذا لهما ثلاثة حواصل فلما أخذوا المفاتيح فتحوها وادخلوا فيها بضائعهما وامتعتهما واقاما حتى استراحا ثم قام الوزير يتحيل فى امر ابن الملك وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة الحادية والعشرون بعد السبعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد أن الوزير وابن الملك لما نزلا فى الخان وادخلا بضائعهما فى الحواصل واجلسا هناك غلمانهما ثم اقاما حتى استراحا قام الوزير يتحيل فى امر ابن الملك فقال له قد خطر ببالى شيء واظن ان فيه الصلاح لك أن شاء الله تعالى فقال له ايها الوزير الحسن التدبير افعل ما خطر ببالك سدد الله رأيك قال له الوزير اريد أن استكرى لك دكاناً فى سوق البزازين وتقعد فيها لأن كل احد من الخاص والعام يحتاج إلى السوق وانا أظن انك إذا جلست فى الدكان ونظرت اليك الناس بالعيون تميل اليك القلوب فتقوى على نيل المطلوب لأن صورتك جميلة وتميل اليك الخواطر وتبتهج بك النواظر فقال له افعل ما تختار وتريد فعند ذلك نهض الوزير من ساعته ولبس افخر ثيابه وكذلك ابن الملك واخذ فى جيبه كيسا فيه الف دينار ثم خرجا يمشيان فى المدينة فنظرت الناس اليهما وبهتوا فى حسن ابن الملك وقالوا سبحان من خلق هذا الشباب من ماءمهين فتبارك الله احسن الخالقين وكثر الكلام فيه وقالوا ما هذا بشرا إن هذا الاملك كريم ومن الناس من يقول هل سها رضوان خازن الجنان عن باب الجنة فخرج منها هذا الغلام وصارت الناس تتبعهما إلى سوق القماش حتى دخلا فيه ووقفا فتقدم اليهما شيخ ذو هيبة ووقار فسلم عليهما فردا عليه السلام ثم قال لهما يا سادتى هل لكما من حاجة فتشرف بقضائها قال له الوزير ومن تكون انت يا شيخ قال أنا عريف السوق فقال له الوزير أعلم يا شيخ أن هذا الشاب ولدى وأنا اشتهى أن آخذ له دكانا فى هذا السوق ليجلس فيها ويتعلم البيع والشراء والأخذ والعطاء ويتخلق باخلاق التجار قال العريف

سمعا وطاعة ثم أن العريف احضر لهما مفتاح دكان في الوقت والساعة وأمر الدلالين أن يكنسوها فكنسوها ونظفوها وارسل الوزير احضر من اجل الدكان مرتبة عالية محشوة بريش النعام وعليها سجادة صغيرة ودائرها مزركش بالذهب الأحمر واحضر أيضاً مخدة واحضر من المتاع والقماش الذى حضر معه ما يملأ الدكان فلما كان فى اليوم الثانى حضر الغلام وفتح الدكان وجلس على تلك المرتبة واوقف قدامه مملوكين لابسين احسن الملابس واوقف فى اسفل الدكان عبدين من أحسن الحبوش وقد اوصاه الوزير بكتمان سره عن الناس ليجد بذلك الاعانة على قضاء حوايجه ثم تركه ومضى إلى المخازن واوصاه ان يعرفه بجميع ما يتفق له فى الدكان يوماً بيوم فصار الغلام جالساً فى دكانه كأنه البدر فى تمامه وكانت الناس تتسامع به وبحسنه فيأتون اليه لغير حاجة ويحضرون السوق حتى ينظروا إلى حسنه وجماله وقده واعتداله ويسبحون الله تعالى الذى خلقه وسواه وصار ذلك السوق لا يقدر احد ان يشقه من فرط ازدحام الخلق عليه وصار ابن الملك يلتفت يمينا وشمالا وهو متحير فى أمره من الناس الذين هم باهتون له ويترجى ان يعمل صحبة مع احد من المقربين الى الدولة لعله أن يجلب اليه ذكر ابنة الملك فلم يجد إلى ذلك سبيلا وضاق صدره لذلك والوزير يمنيه فى كل يوم بحصول مراده ولم يزل على هذا الحال مدة مديدة فبينما هو جالس فى الدكان يوما من الأيام وإذا بامرأة عجوز عليها حشمة وهيبة ووقار وهى لابسة ثياب الصلاح وخلفها جاريتان كأنهما قمران فوقفت على الدكان وتأملت الغلام ساعة وقالت سبحان من خلق هذه الطلعة واتقن هذه الصنعة ثم انها سلمت عليه فرد عليها السلام واجلسها الى جانبه فقالت له من اى البلاد انت يا مليح الوجه قال لها أنا من نواحى الهند يا أمى وقد جئت إلى هذه المدينة على سبيل الفرجة فقالت له كرمت من قادم ثم قالت له أى شىء عندك من البضائع والمتاع والقماش أرنى شيئا مليحا يصلح للملوك فلما سمع كلامها قال اتريدين المليح حتى اعرضه عليك فان عندى كل شىء يصلح لأربابه قالت له يا ولدى أنا اريد شيئا يكون غالى الثمن مليح الشكل أعلى شىء يكون عندك قال لها لابد أن تعلمينى لمن

تطلبين البضاعة حتى اعرض عليك مقام الطالب قالت صدقت يا ولدى أنا أريد شيئا لسيدتى حياة النفوس بنت الملك عبد القادر صاحب هذه الأرض وملك هذه البلاد فلما سمع ابن الملك كلامها طار عقله فرحاً وخفق قلبه فمد يده الى خلفه ولم يأمر مماليكه ولا عبيده واخرج صرة فيها مائة دينار ودفعها للعجوز وقال لها هذه الصرة من اجل غسيل ثيابك ثم مد يده إلى بقجة واخرج منها حلة تساوى عشرة آلاف دينار أو أكثر وقال هذا من جملة ما جئت به الى ارضكم فلما نظرت اليها العجوز اعجبتها وقالت بكم هذه الحلة يا كامل الأوصاف فقال بغير ثمن فشكرته واعادت عليه القول فقال والله ما آخذ لها ثمنا بل هى هبة منى اليك إذا لم تقبله الملكة ويكون ضيافة منى لك والحمد لله الذى جمع بينى وبينك حتى إذا احتجت فى بعض الأيام حاجة وجدتك معينة لى على قضائها فتعجبت العجوز من حسن ذلك الكلام وكثرة كرمه وزيادة ادبه فقالت له ما الاسم يا سيدى قال لها إزدشيير قالت والله هذا اسم عجيب تسمى به اولاد الملوك وأنت فى زى بنى التجار قال لها من محبة والدى اياى سمانى بهذا الاسم وليس الاسم يدل على شىء فتعجبت منه العجوزة قالت يا ولدى خذ ثمن بضاعتك فحلف انه لا يأخذ شيئا ثم قالت له العجوز يا حبيبى اعلم أنَ الصدق اعظم الأشياء وما هذا الكرم الذى أنت تصنعه معى إلا من أجل امر فاعلمنى بامرك وضميرك لعل لك حاجة فاساعدك على قضائها فعند ذلك حط يده فى يدها وعاهدها على الكتمان وحدثها بحديثه كله واخبرها بمحبته لبنت الملك وبما هو فيه من أجلها فهزت العجوز رأسها وقالت هذا هو الصحيح لكن يا ولدي قالت العقلاء فى المثل السائر إذا أردت ان تطاع فاسل عن مالا يستطاع وأنت يا ولدى اسمك تاجر ولو كان معك مفاتيح الكنوز لا يقال لك إلا تاجر وإذا أردت أن تعطى درجة عالية عن درجتك فاطلب بنت قاض أو بنت أمير فلأى شىء يا ولدى ما تطلب إلا بنت ملك العصر والزمان وهى بنت بكر عذراء لم تعلم شيئا من امور الدنيا ولا رأت فى عمرها غير قصرها الذى هى فيه ومع صغر سنها فانها عاقلة لبيبة فطنة حاذقه ذات عقل راجح وفعل صالح ورأى قادح وان اباها ما رزق إلا هى وهى عنده اعز من روحه

وفى كل يوم يأتى اليها ويصبح عليها وكل من فى قصرها يخاف منها ولا تظن يا ولدى ان احداً يقدر ان يكلمها بشيء من هذا الكلام فلا سبيل لى إلى ذلك والله يا ولدى ان قلبى وجوارحى تحبك ومرادى لو كنت مقيما عندها ولكن انا اعرفك بشيء لعل الله ان يجعل فيه شفاء قلبك واخاطر معك بروحى ومالى حتى اقضى لك حاجتك فقال لها وما هو يا أمى قالت له اطلب منى بنت وزير أو بنت امير فان طلبت منى ذلك فانا اجيبك إلى سؤالك لأنه لا يمكن لاحد أن يصعد من الأرض إلى السماء بوثبة واحدة فقال لها الغلام بادب وعقل يا أمى أنت امرأة عاقلة تعرفين مواقع الأمور هل الإنسان إذا وجعته رأسه يربط يده قالت لا والله يا ولدى قال وهكذا ان قلبى ما يطلب احدا وسواها ولم يقتلنى غير هواها والله انى من الهالكين إذا لم أجد لى ارشاد معين فبالله عليك يا أمى أن ترحمى غربتى وانسكاب عبرتي وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة الثانية والعشرون بعد السبعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد أن ازدشير ابن الملك قال للعجوز بالله عليك يا أمى أن ترحمى غربتى وانسكاب عبرتى قالت له والله يا ولدى ان قلبى يتقطع من اجل كلامك هذا وليس فى يدى حيلة افعلها قال اريد من احسانك أن تحملى منى هذه الورقة وتوصليها اليها وتقبلى لى يديها فحنت عليه وقالت له اكتب فيها ما تريد وأنا اوصلها اليها فلما سمع ذلك كاد أن يطير من الفرح ودعا بدواة وقرطاس وكتب اليها هذه الأبيات

يا حياة النفوس جودى بوصل ... لمحب إذابه الهجران

كنت فى لذة وفى طيب عيش ... فانا اليوم واله حيران

ولزمت السهاد فى طول ليلى ... وسميرى بطوله احزان

فارحمي عاشقا كئيبا معنى ... منه شوقا تقرحت اجفان

وإذا ما أتى الصباح حقيقا ... فهو ومن قرقف الهوى نشوان

فلما فرغ من رقم الكتاب طواه وقبله واعطى العجوز إياه ثم مد يده إلى الصندوق واخرج لها صرة اخرى فيها مائة دينار واعطاها اياها وقال لها فرقى هذه على الجوارى فامتنعت وقالت والله يا ولدى ما أنا معك بسبب شيء من ذلك فشكرها وقال لابد من ذلك فأخذتها منه وقبلت يديه وانصرفت فدخلت عليها وقالت يا سيدتى جئتك بشيء ما هو عند أهل مدينتنا وهو من عند شاب مليح ما على وجه الأرض احسن منه قالت يا دايتى ومن اين هذا الشاب قالت هو من نواحي الهند اعطانى هذه الحلة المنسوجة بالذهب مرصعة بالدر والجوهر تساوي ملك كسرى وقيصر فلما فتحتها اضاء القصر من نور تلك الحلة بسبب حسن صنعتها وكثرة الفصوص والجواهر التى فيها فتعجب منها كل من فى القصر وتأملتها بنت الملك فلم تجد لها قيمة ولا ثمنا إلا خراج ملك ابيها عاماً كاملا فقالت للعجوز يا دايتى هل هذه الحلة من عنده أو من عند غيره قالت هى من عنده قالت يا دايتى هل هذا التاجر من مدينتنا أو غريب قالت هو غريب يا سيدتى وما نزل مدينتنا إلا عن قريب وهو والله صاحب حشم وخدم مليح الوجه معتدل القد كريم الأخلاق واسع الصدر ما رأيت احسن منه إلا أنت قالت بنت الملك ان هذا لشيء عجيب كيف تكون هذه الحلة التى لا يفى بثمنها مال مع تاجر من التجار وما قدر ثمنها الذى اخبرك به يادايتى فقالت العجوز والله يا سيدتى ما أخبرني بمقدار ثمنها وانما قال لى لا أخذ لها ثمناً وانما هى هدية منى لابنة الملك فانها لا تصلح لأحد غيرها ورد الذهب الذى ارسلته معى وحلف انه لا يأخذه وقال هو لك ان لم تقبله الملكة قالت بنت الملك والله ما هذا الاسماح عظيم وكرم جزيل واخشى من عاقبة امره ربما يؤدى إلى ضرر فلأى شيء لم تسأليه يا دايتى إن كان له حاجة تقضيها له فقالت يا سيدتى سألته وقلت له هل لك حاجة فقال لى حاجة ولم يطلعني عليها إلا أنه اعطانى هذه الورقة وقال لى قدميها للملكة فاخذتها منها وفتحتها وقرأتها إلى آخرها فتغير حالها وغاب صوابها واصفر لونها وقالت للعجوز ويلك يا دايتى ما يقال لهذا الكلب الذى يقول هذا الكلام لبنت الملك وما المناسبة بينى وبين هذا الكلب حتى يكاتبنى والله العظيم رب زمزم والحطيم لولا أنى اخاف الله تعالى لابعثن إلى هذا الكلب بتكتيف يديه وشرم مناخيره وقطع انفه واذنه وامثل به وبعد هذا اصلبه على باب السوق الذى فيه دكانه فلما سمعت العجوز هذا الكلام اصفر لونها وارتعدت فرائصها وانعقد لسانها ثم قوت قلبها وقالت

خيرا يا سيدتى وما فى الورقة حتى ازعجك هل هو غير قصة رفعها اليك تتضمن شكاية حاله من فقر أ و ظلم يرجو بها احسانك اليه أو كشف ظلامته قالت لا والله يا دايتى بل هى شعر وكلام مستهجن ولكن يا دايتى هذا الكلب ما يخلو من ثلاثة أحوال اما أن يكون مجنونا ليس عنده عقل وأما أن يكون قاصدا قتل نفسه ومستعيناً على مراده منى بذى قوة شديدة وسلطان عظيم واما أن يكون سمع بانى من بغايا هذه المدينة التى تبيت عند من يطلبها ليلة أو ليلتين حتى يراسلنى بالاشعار المستهجنة ليفسد عقلى بذلك الأمر قالت لها العجوز والله يا سيدتى لقد صدقت ولكن لا تعتنى بهذا الكلب الجاهل فانت قاعدة فى قصرك العالى المشيد المنيع الذى لا تعلوه الطيور ولا يمر عليه الهواء وهو حائر ولكن اكتبى له كتابا وبخيه فيه ولا تتركى له شيئاً من انواع التوبيخ وهدديه غايه التهديد واعرضى عليه الموت وقولى له من اين تعرفنى حتى تكاتبنى يا كلب التجار يا من هو طول دهره مشتت فى البرارى والقفار على درهم يكتسبه أو دينار والله ان لم تنتبه من رقدتك وتصح من سكرتك لاصلبنك على باب السوق الذى فيه دكانك قالت بنت الملك أنى اخاف أن كاتبته ان يطمع قالت العجوز وما مقداره وما درجته حتى يطمع فينا وانما نكتب لاجل أن ينقطع طمعه ويكثر خوفه ولم تزل تتحيل على بنت الملك حتى احضرت دواة وقرطا سا وكتبت اليه هذه الأبيات :

يا مدعى الحب والبلوى مع السهر ... يقضى الليالى فى وجد وفى فكر
اتطلب الوصل يا مغرور من قمر ... وهل ينال المنى شخص من القمر
انى نصحتك فى الأقوال مستمعاً ... اقصر فانك بين الموت والخطر
فان رجعت الى هذا السؤال فقد ... اتاك منا عذاب زائد الضرر
فكن أدوبا لبيبا عاقلافطنا ... هاقد نصحتك فى شعرى وفى خبرى
وحق من خلق الأشياء من عدم ... وزان وجه السما بالأنجم الزهر
لئن رجعت إلى ما أنت قائله ... لاصلبنك فى جذع من الشجر

ثم طوت الكتاب واعطت العجوز اياه فاخذته وسارت إلي ان وصلت إلى دكان الغلام فاعطته اياه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة الثالثة والعشرون بعد السبعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد أن العجوز لما أخذت الكتاب من حياة النفوس وسارت إلى أن اعطت الغلام اياه وهو في دكانه وقالت له اقرأ جوابك واعلم أنها لما قرأت الكتاب اغتاظت غيظا عظيما ومازلت ألاطفها بالحديث حتى ردت لك الجواب فأخذ الكتاب بفرحة وقرأه وفهم معناه فلما فرغ من قراءته بكى بكاء شديدا فتألم قلب العجوز وقالت يا ولدى لا ابكى الله لك عينا ولا احزن لك قلبا فاى شيء الطف من هذا فى جواب كتابك حين فعلت هذه الفعال فقال يا أمى وماذا افعل من الحيل الطف من هذا وهى ترسل تهددنى بالقتل وبالصلب وتنهانى عن مكاتبتها وانى والله ارى موتى خيرا من حياتى ولكن اريد من فضلك أن تأخذى هذه الورقة وتوصليهااليها فقالت له اكتب وعلى رد الجواب والله لا اخاطرن معك بروحى فى حصول مرادك ولو هلكت في رضاك فشكرها وقبل يديها وكتب اليها هذه الأبيات :

تهددونى بقتلى فى محبتكم ... والقتل لى راحة والموت مقدور
والموت اهني لصب ان تطول به ... حياته وهو مطرود ومنهور
فان تزوروا محبا قل ناصره ... فان سعى الورى فى الخير مشكور
وان عزمتم على امر فدونكم ... انى عبيد لكم والعبد ماسور
كيف السبيل ولالى عنك مصطبر ... فكيف هذا وقلب الصب مجبور
يا سادتى فارحموا فى حبكم دنفا ... فكل من يعشق الأحرار معذور

ثم طوى الكتاب واعطى العجوز اياه واعطاها صرتين فيهما مائتا دينار فامتنعت من اخذهما فحلف عليها فاخذتهما وقالت لابد اننى ابلغك مناك على رغم انف عداك وسارت حتى دخلت على حياة النفوس واعطتها الكتاب فقالت لها ما هذا يا دايتى قد صرنا فى مراسلة وأنت رايحة جاية انى اخاف ان ينكشف خبرنا فنفضح قالت العجوز

وكيف ذلك يا سيدتى ومن يقدر ان يتكلم بهذا الكلام فاخذت الكتاب منها وقرأته وفهمت معناه ودقت يدا على يد وقالت قد بلينا بهذا ما عرفنا من اين جاءنا هذا الغلام قالت العجوز يا سيدتى بالله عليك أن تكتبى له كتابا ولكن اغلظى عليه القول وقولى له ان ارسلت كتابا بعد ذلك ضربت عنقك فقالت لها يا دايتى أنا أعرف أن هذا ما ينتهى على هذه الصورة والاليق عدم المكاتبة وان لم يرجع هذا الكلب بالتهديد السابق ضربت عنقه قالت لها العجوز اكتبى له كتابا وعرفيه بهذا الحال فدعت بنت الملك بدواة وقرطاس وكتبت له متهدده بهذه الأبيات:

ايا غافلا عن حادثات الطوارق ... من الى وصلى له قلب عاشق
تأمل ايا مغرور هل تدرك السما ... وهل أنت للبدر المنير بلاحق
سأصليك نارا ليس يخبو لهيبها ... وتضحى قتيلا بالسيوف المواحق
فمن دونه يا صاح ابعد شقة ... وامر خفى فيه شيب المفارق
خذ النصح منى ثم كف عن الهوى ... وعن امرك ارجع انه غير لائق

ثم طوت الكتاب واعطت العجوز اياه وهى فى حال عجيب من أجل هذا الكلام فأخذته العجوز وسارت حتى وصلت به الى الغلام فناولته اياه فاخذه منها وقرأه واطرق برأسه الى الأرض يخط باصبعه ولم يتكلم فقالت له العجوز يا ولدى مالى اراك لاتبدى خطابا ولا ترد جوابا قال لها يا أمى أى شيء قول وهى تهددنى وما تزداد إلا قسوة ونفورا قالت اكتب لها كتابا بما تريد وانا أدافع عنك ولا يكون قلبك إلا طيبا فلابد أن اجمع بينكما فشكر فضلها وقبل يديها وكتب اليها هذه الأبيات :

فلله قلب لا يلين لعاشق ... وصب الى وصل الأحبة شائق
واجفان عين لا تزال قريحة ... اذا جنها من حالك الليل غاسق
فنوا وجودوا وارحموا وتصدقا ... على من ضناه العشق وهو مفارق
يبيت بطول الليل ما يعرف الكرى ... حريق وفى بحر المدامع غارق

فلا تقطعي اطماع قلبي لانه كئيب معنى وهو في الحب خافق

ثم طوى الكتاب واعطى العجوز اياه واعطاها ثلثمائة دينار وقال لها هذه غسيل يدك فشكرته وقبلت يديه وسارت حتى دخلت على بنت الملك واعطتها الكتاب فاخذته وقرأته إلى آخره ورمته من يدها ونهضت قائمة على رجليها وتمشت على قبقاب من الذهب مرصع بالدر والجوهر حتى وصلت إلى قصر ابيها وعرق الغضب قائم بين عينيها وما جسر احد ان يسأل عن حالها فلما وصلت إلى القصر سألت عن الملك والدها فقال لها الجواري والمحاظي يا سيدتي انه قد خرج الى الصيد والقنص فرجعت وهي مثل الأسد الضاري ولم تكلم احداً إلا بعد ثلاث ساعات وقد راق وجهها وسكن غيظها فلما رأت العجوز انها زال عنها ما عندها من الكدر والغيظ تقدمت اليها وقبلت الأرض بين يديها قالت لها يا سيدتي اين كنت هذه الخطوات الشريفة قالت لها الملكة الى قصر ابي قالت يا سيدتي اما كان احد يقضي حاجتك قالت انا ما رحت إلا لاجل أن أعلمه بما جرى لي من كلب التجار واسلط عليه ابي فيمسكه ويمسك جميع من كان في سوقه ويصلبهم على دكاكينهم ولا يدع احدا من التجار الغرباء يقيم في مدينتنا فقالت لها العجوز وهل ماذهبت الى ابيك يا سيدتي لا لهذا السبب قالت لها نعم إلا أني ما وجدته حاضرا بل رأيته غائباً في الصيد والقنص وأنا منتظرة رجوعه قالت العجوز اعوذ بالله السميع العليم يا سيدتي الحمد لله أنت أعقل الناس وكيف تعلمين الملك بهذا الكلام الهذيان الذي لا ينبغي لأحد افشاؤه قالت ولم ذلك قالت العجوز افرضي انك لقيت الملك في قصره وعرفتيه بهذا الحديث وارسل خلف التجار وامر بشنقهم على دكاكينهم ورآهم الناس ألا يسألون عن ذلك ويقولون ما سبب شنقهم فيقال لهم في الجواب انهم ارسلوا ليفسدوا بنت الملك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة الرابعة والعشرون بعد السبعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد أن العجوز قالت لبنت الملك افرضي انك اعلمت الملك بذلك وامر بشنق التجار أليس يراهم الناس ويسألون ما سبب شنقهم فيقال لهم في الجواب انهم أرادوا ان يفسدوا بنت الملك فيختلفون في نقل الحكايات عنك فبعضهم يقول قعدت عندهم عشرة أيام وهي غائبة عن قصرها حتى شبعوا منها وبعضهم يقول

غير ذلك والعرض يا سيدتى مثل اللبن أدنى غبار يدنسه وكالزجاج إذا انصدع لا يلتئم فاياك ان تخبرى اباك أو غيره بهذا الأمر لئلا ينهتك عرضك يا سيدتى ولا يفيدك أخبار الناس شيأ أبداً وميزى هذا الكلام بعقلك الراجح فان لم تجديه صحيحاً فافعلى ما تريدين فلما سمعت بنت الملك من العجوز هذا الكلام تأملته فوجدته فى غاية الصواب فقالت لها ما قلته يا دايتى صحيح ولكن كان الغيظ طمس على قلبى قالت العجوز ان نيتك طيبة عند الله تعالى حيث لم تخبرى احدا ولكن بقى شيء آخر وهو اننا لا نسكت عن قلة حياء هذا الكلب اخسأ التجار فاكتبى له كتاباً وقولى له يا أخس التجار لولا أنى وجدت الملك غائباً لكنت فى هذه الساعة امرت بصلبك أنت وجميع جيرانك ولكن ما يفوتك من هذا الأمر شيء وأنا اقسم بالله تعالى متى رجعت إلى مثل هذا الكلام قطعت أثرك من على وجه الأرض واغلظى عليه بالكلام حتى ترديه عن هذا الأمر ونبهيه عن غفلته قالت لها بنت الملك وهل يرجع عما هو فيه بهذا الكلام قالت وكيف لا يرجع وأنا أأكلمه واعرفه بما وقع فدعت بدواة وقرطاس وكتبت اليه هذه الأبيات :

تعلقت الآمال منك بوصولنا ... وتقصد منا أن تنال المآربا
وما يقتل الانسان إلا غروره ... ويوليه ما يبغيه منا المصائبا
فما أنت ذو بأس ولا لك عصبة ... ولا كنت سلطاناً ولا كنت نائباً
ولو كان هذا فعل من هو مثلنا ... لعاد من الأهوال والحرب شائبا
ولكن سأعفو الآن عن عما جنيت ... لعلك من ذا الحين ترجع تائبا

ثم قدمت الكتاب للعجوز قالت لها يا دايتى انهى هذا الكلب لئلا أقطع رأسه وندخل فى خطيئته قالت لها العجوز والله يا سيدتى ما اخلى له جانباً يتقلب عليه واخذت الكتاب وسارت به حتى وصلت إلي الغلام وسلمت عليه فرد عليها السلام وناولته الكتاب فأخذه وقرأه وهز رأسه وقال انا الله وانا اليه راجعون وقال يا أمى ما يكون عملى وقد قل صبرى وضعف جلدى فقالت له العجوز يا ولدى صبر نفسك لعل الله يحدث بعد ذلك امرا واكتب ما فى نفسك وانا اجيء اليك بالجواب وطب نفساً وقرعينا فلابد أن اجمع بينك وبينها إن شاء الله تعالى فدعا لها وكتب لها كتابا وضمنه هذه الأبيات :

اذا لم يكن لي في الهـوى مـن يجيرنـى وجـور غـرامـى قـاتـلـى وممـيـت
اقاسـي لهـيب الـنار مـن داخل الحسى نـهـار ولـيـلـى ليس فـيـه مبيـت
فما لـى لا أرجـوك يـا غايـة المنـى وارضـى عـلـى مـا بـالـغـرام لـقـيت
سألت إلـه العـرش يرزقـنـى الرضـا لأنـى بـحـب الـغـانـيـات فـنـيت
ويـقـضـى بـوصـل عـاجـل لـي فارتـضـي لأنى بـاهوال الغرام رمـيت

ثم طوى الكتـاب واعطى العجوز اياه واخراج لهـا صرة فيها اربعمائـة دينار فاخذت الجميع وانصرفت إلى ان وصلت لبنت الملك واعطتها الكتاب فلم تأخذه منها وقالت لها ما هذه الـورقة فقالت لهـا يا سيدتى هـذه جواب الكتاب الـذى ارسلته إلى هذا الـكلب التاجر قالت لها هل نهيته كما عرفتك قالت نعم وهذا جوابة فاخذت الكتاب منها وقرأته الى آخره ثم الـتفتت نحو العجـوز قالت اين نتيجـة كلامك قالت يا سيدتـى ما ذكره فى جوابه من انه رجع وتاب واعتذر عما مضى قالـت لا والله بل زاد قالت يا سيدتى اكتبى له كتابـاً وسوف يبلغك ما أفـعل به فقالت مالى حـاجة بكتاب ولا جواب قالـت العجوز لابد مـن جواب حتي ازجره واقطـع أمله قـالت لهـا بنـت الملك اقـطعى امـله من غـير استـصحاب كتـاب فقالت الـعجوز لابد مـن زجره وقطـع امله من اسـتـصحاب كـتاب فدعت بدواة وقرطاس وكتبت اليه هذا الأبيات .

طال الـعتـاب ولم تمـنـعـك معـتبـة وان وكم يخط يدى فى الشـعر أنـهاكـا
اكتـم هواك ولا تجـهر بـه ابـدا وان تـخـالـف فـانـي لـسـت ارعـاكـا
وإن رجـعـت إلى مـا أنـت قـائـلـه فانمـا جـاء ناعـى المـوت ينـعـاكـا
فـعـن قليـل تـرى الأريـاح عـاصفـة عـليـك والطـير فـي الـبـيداء تـغشـاك
ارجع إلـى خير أعـمال تفـوزبهـا فـإن قصـدت الخنـى والـفحـش ارداك

فلما فـرغت من كتابتها رمـت الورقة من يدها بغـيظ فاخذتها العجـوز وسارت حتى وصلت إلى الغـلام فاخذها منها فلما قـرأها الى آخرها علم انها لـم ترق له ولـم تزدد إلا غيظاً عـليه وانه يصل إليهـا فخطر بقلبه انـه يكتب جوابها ويدعـو عليها فكتب الـيها هذه الأبيات :

يــا رب بـالخمـــسة الأشيـاخ تـنقـذني من التى في هواهـــا صــرت في محــن
وأنـت تعـلـم مـا بــى مـن لـهيـب جــوى وفرط سقـمى الــى مـــن ليس يرحمــنى
فلـم تـــــرق إلــى مــا قــد بليت بــــه كم قـد تجور على ضعـفى وتـظلمـنـــى
اهيـم فـى غـمـــرات الانـقـطاع لـهـــا ولـم أجد مـسعـفا يـاقوم يـسعـفنـــــى
وكــم ابيــت وجنــح الـليــل منسبـل اردد الـنوح فـى سـرى وفـى عـلنــــى
ولـم أجـد لـى سلـوا عـن مـحبتكــــم وكـيف اسلـو وصبيري في الـغـرام فتـى

يا طائر البين اخــبرنى فهــل أمنـت من نائبات من صروف الدهر والمحن

ثم طوى الكتاب واعطى الـعجوز اياه واعطاها صرة فيها خمسمـائة دينار فاخذت الورقة وسارت حتى دخلت على بنت الملك واعطتها الورقة فلما قرأتها وفهمتها رمتها من أيدها وقـالت لـها عـرفيـنى يـا عجـوز السـوء سـبب جـميـع ما جـرى لى مـنك ومـن مكـرك واستحسانك منه حتـى كتبت لك ورقة بعد ورقة ولـم تزالى فى حمل الرسـائل بيننا حتى جعلـت له معنا مكـاتبات وحكايات وفـى كل ورقة تقولين انـا أكفيك شره واقطـع عنك كلامه وما تقولين هذا الكلام إلا لأجل ان اكتب له كتابـاً وتصيرين بيننا رايحة غادية حتى هتكت عرضى ويلـكم يا خدام امسكوها وامرت الخدام بضربهـا فضربوها إلى أن جرت دماؤها من جـميع بدنها وغشـى عليها وامرت الجواري ان يـجروها فجروها من رجـليها الى آخر القـصر وامرت أن تقف جارية عـند رأسها فاذا افاقـت من غشيتها تـقول لها أن الملكـه حلفت يمينـا أنك لا تعـودين الى هذا القـصر ولا تدخلينـه فان عدت الـيه امرت بقتلك جزما فلما قامـت من غشيتها بلغتها الجارية ما قالته الملكـة فقالت سمعاً وطاعة ثم ان الجوارى احـضرن لها قـفصا وامـرت حمالا أن يحـملهـا الى بيتـها فحـملها الحـمال واوصلها الى بيتهـا وارسلت وراءها طبيباً وامرته ان يداويها بملاطفة حـتى تبرىء فامتثل الطـبيب الأمـر فلما افـاقت ركبـت وتوجهـت عند الـغلام وكان قد حـزن حزناً شـديداً لانقطاعها عنـه وصار متشوقاً إلى أخبارها فلمـا رآها قام اليها ناهضاً وتلقاهـا وسلم عليها فوجدها مستضعفة فسألها عن حالها فاخبـرته بجميع ما جرى لها من الملكة فصعب عليه ذلك الأمر ودق يدا على يد وقال والله عسر علـى ما جرى لك لكن يا أمى ما سبب كون الملكة تبغض الرجال فقالت ياولدى اعلم أن لها بستانا مليحا ما على وجه الأرض احسن

منه فاتفق انها كانت نائمة فيه ذات ليلة من الليالى فبينما هى فى لذيد النوم إذ رأت فى المنام انها نزلت فى البستان فرأت صبادا قد نصب شركاً ونثر حوله قمحاً وقعد على بعد منه ينظر ما يقع فيه من الصيد فلم يكن إلا مقدار ساعة وقد اجتمع الطيور لتلتقط القمح فوقع طير ذكر فى الشرك وصار يتخبط فيه فنفرت الطيور عنه وانثاه من جملتها فلم تغب عنه غير ساعة لطيفة ثم عادت اليه وتقدمت إلى الشرك وحاولت العين التى فى رجل طيرها ولم تزل تعالج فيها بمنقارها حتى قرضتها وخلصت طيرها كل هذا والصياد قاعد ينعس فلما أفاق نظر إلى الشرك فرآه قد انفسد فاصلحه وجدد نثر القمح وقعد على بعد من الشرك فبعد ساعة وإذا بالطيور قد اجتمعت عليه ومن جملتها الأنثى والذكر فتقدمت الطيور لتلتقط الحب وإذا بالأنثى قد وقعت فى الشرك وصارت تختبط فيه فطار الحمام جميعه عنها وطيرها الذى خلصته من جملة الطيور ولم يعد اليها وكان الصياد غلب عليه النوم ولم يفق إلا بعد مدة مديدة فلما افاق من نومه وجد الطيرة وهى فى الشرك فقام وتقدم اليها وخلص رجليها من الشرك وذبحها فانتبهت بنت الملك وهى مرعوبة وقالت هكذا تفعل الرجال مع النساء فالمراءة تشفق على الرجل وترمى روحها عليه وهو فى المشقة وبعد ذلك إذا قضى عليها المولى ووقعت فى مشقة فانه يفوتها ولم يخلصها وضاع ما فعلته معه من المعروف فلعن الله من يثق بالرجال فانهم ينكرون المعروف الذى تفعله معهم النساء ثم انها بغضت الرجال من ذلك اليوم فقال ابن الملك للعجوز يا أمى هل هى ما تخرج إلى الطريق ابدا قالت لا يا ولدى إلا أن لها بستانا وهو نزهة من احسن منتزهات الزمان وفى كل عام عند انتهاء الأثمار فيه تنزل اليه وتتفرج فيه يوماً واحدا ولا تبيت إلا فى قصرها وما تنزل إلى البستان إلا من باب السر وهو واصل إلى البستان وأنا اريد أن أعلمك شيئاً وان شاء الله يكون فيه صلاح لك فاعلم أنه بقى إلى أوان الثمر شهر واحد وتنزل تتفرج فيه فمن يومنا هذا أوصيك أن تروح الى خولى ذلك البستان وتعمل بينك وبينه صحبة ومودة فانه ما يدع احدا من خلق الله تعالى يدخل هذا البستان لكونه متصلا بقصر بنت الملك فاذا نزلت بنت الملك اكون قد اعلمتك قبل نزولها بيومين فتروح انت على جارى عادتك وتدخل البستان وتتحيل على بياتك فيه فاذا نزلت بنت الملك تكون انت مختفيا فى بعض الأماكن وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة الخامسة والعشرون بعد السبعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان العجوز اوصت ابن الملك وقالت له ان بنت الملك تنزل فى البستان وقبل نزولها بيومين اعلمك فاذا نزلت تكون أنت فيه مختفيا فى بعض الأماكن فاذا رأيتها فاخرج لها فانها إذا رأتك تحبك فان المحبة تستر كل شىء واعلم يا ولدى انها لو نظرتك لافتتنت بحبك لانك جميل الصورة فقر عينا وطب نفسا يا ولدى فلابد أن اجمع بينك وبينها فقبل يدها وشكرها ودفع اليها ثلاث شقات من الحرير الاسكندرانى وثلاث شقات من الأطلس الوانهن مختلفة ومع كل شقة تفصيلة من اجل القمصان وخرقة من اجل السراويل ومنديل من اجل العصابة وثوب بعلبكى من اجل البطانة حتى كمل لها ثلاث بدلات كل بدلة احسن من اختها ودفع لها صرة فيها ستمائة دينار وقال لها هذه من أجل الخياطة فاخذت الجميع وقالت له يا ولدى اتحب ان تعرف طريق بيتي وأنا أيضاً أعرف مكانك قال نعم فارسل معها مملوكاً ليعرف فى مكانها ويعرفها بيته فلما توجهت العجوز قام ابن الملك وامر غلمانه أن يغلقوا الدكان وتوجه إلى الوزير وا علمه بما جرى مع العجوز من أوله إلى آخره فلما سمع الوزير كلام ابن الملك قال له يا ولدى فاذا خرجت حياة النفوس ولم يحصل لك منها اقبال فما تفعل قال ما بصير فى يدى حيلة غير أنى اخرج من القول إلى الفعل واخاطر بنفسى معها واخطفها من بين خدمها واردفها على الحصان واطلب بها عرض البر الاقفر فإن سلمت حصل المراد وأن عطبت فانى استريح من هذه الحياة الذميمة قال له الوزير يا ولدى أبهذا العقل تعيش كيف يكون سفرنا وبيننا وبين بلدنا مسافة بعيدة وكيف تفعل هذه الفعال مع ملك من ملوك الزمان تحت يده مائة ألف عنان وربما لا نأمن من ان يأمر بعض عساكره فتقطع علينا الطرق وهذا ما هو مصلحة ولا يفعله عاقل قال ابن الملك فكيف يكون العمل ايها الوزير الحسن التدبير فانى ميت لا محالة قال له الوزير اصبر إلى غد حتى نرى هذا البستان ونعلم حاله وما يجرى لنا مع الخولى الذى فيه فلما أصبح الصباح نهض الوزير هو وابن الملك واخذ فى جيبه الف دينار وتمشيا حتى وصلا إلى البستان فرأياه عالى الحيطان قوى الأركان كثير الاشجار غزير الانهار مليح الأثمار وقد فاحت أزهاره وترنمت اطياره كأنه روضه من رياض الجنان ومن داخل الباب رجل شيخ كبير جالس على مصطبة فلما رآهما وعاين هيبتهما قام على قدميه بعد أن سلما عليه فرد عليهما السلام وقال لهما يا اسيادى لعل لكما حاجة اتشرف بقضائها قال له الوزير اعلم يا شيخ

اننا قوم غرباء وقد حمى علينا الحر ومنزلنا بعيد فى آخر المدينة وقصدنا من احسانك أن تأخذ منا هذين الدينارين وتشترى لنا شيئاً نأكله وتفتح لنا باب هذا البستان وتقعدنا فى مكان مظل فيه ماء بارد لنتبرد به حتى تحضر لنا بالأكل فنأكل نحن وأنت ونكون قد استرحنا ونروح إلى حال سبيلنا ثم أن الوزير حط يده فى جيبه فأخرج دينارين وحطهما فى يد الخولى وكان هذا الخولى عمره سبعون سنة ما نظر فى يده شيئاً من ذلك فلما نظر الخولى الدينارين فى يده طار عقله وقام من وقته وفتح الباب وادخلهما واجلسهما تحت شجرة مثمرة كثيرة الظل وقال لهما اجلسا فى هذا المكان ولا تدخلا البستان ابدا لأن فيه باب السر الموصل إلى قصر الملكة حياة النفوس قالا له ما نتنقل عن مكاننا ابدا ثم توجه الشيخ البستانى ليشترى لهما ما أمراه به فغاب ساعة واتى اليهما ومعه حمال على رأسه خاروف مشوى وخبز فاكلوا وشربوا جميعاً وتحدثوا ساعة ثم تطلع الوزير والتفت يمينا وشمالاً الى جوانب البستان فنظر فى داخله قصرا عالى البنيان إلا أنه عتيق قد تقشرت حيطانه من البياض وتهدمت اركانه فقال الوزير يا شيخ هل هذا البستان ملكك أو أنت مستأجره قال يا مولاى هو ليس ملكى ولا أنا مستأجره وانما أنا حارس فيه قال له الوزير فكم اجرتك قال يا سيدى فى كل شهر دينار قل الوزير انهم ظلموك وخصوصاً أن كنت صاحب عيال قال الشيخ والله يا سيدى ان لى من العيال ثمانية أولاد وأنا قال الوزير لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم لقد حملتنى همك يامسكين لكن ما تقول فيمن يفعل معك خيراً لأجل هذه العيال التى معك قال الشيخ يا مولاى مهما فعلته من الخير يكون لك ذخيرة عند الله تعالى قال الوزير اعلم يا شيخ أن هذا البستان مكان مليح وفيه هذا القصر ولكنه عتيق خرب وأنا اريد أن أصلحه وابيضه وادهنه دهاناً مليحاً حتى يصير هذا المكان احسن ما يكون فى هذا البستان فإذا حضر صاحب البستان ووجده قد تعمر وصار مليحا فأنه لابد أن يسألك عن عمارته فان سألك فقل له أنا يا مولاى عمرته لما رأيته خرا با لا ينتفع به احد ولا يقدر ان يقعد فيه لأنه خرب داثر فعمرته وصرفت عليه فاذا قال لك من اين لك المال الذى صرفته عليه فقل له من مالى لاجل بياض وجهي عندك ورجاء انعامك فلابد أن ينعم عليك فى نظير ما صرفته فى المكان وفى غد احضر البنايين والدهانين لاجل أن يصلحوا شأن هذا المكان واعطيك ما وعدتك به ثم اخرج من جيبه كيسا فيه خمسمائة دينار وقال له خذ هذه الدنانير وانفقها على عيالك ودعهم

يدعون الي والى ولـدى هذا فقال له ابن الملك مـا سبب ذلك قال له الوزير سـتظهر لك نتيجته وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة السادسة والعشرون بعد السبعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد أن الوزير لما أعطى الشيخ البستـانى الذى فى البستان الخمسمائة دينار وقال له خذ هذه الدنانير وانفقها على عيالك ودعهم يدعون لى ولولدى هذا فنظر الشيخ إلـى هذا الذهب فخرج عقله وانطرح على قدمي الوزيـر يقبلهما وصار يدعو له ولولده ولـما انصرفا من عنده قال لهمـا اني لكما غداً فى الإنتظار والـله تعالى لا يفرق بينى وبينـكما لا ليلا ولا نهارا فلما كان فى اليوم الثانـى جاء الوزير إلى ذلك المكان وطلب عريـف البنايين فلما حـضر بين يديه اخذه الوزيـر وتوجه به إلى البستـان فلما رآه الخولى فـرح به ثم ان الوزيـر اعطاه ثمن المؤونة وما يحـتاج اليه لعـمله فى عـمارة ذلك القصر فـبنوه وبيضوه ودهنوه فـقال الوزير للدهانين يـا أيها المعلمون اصغـوا الى كلامى افهمـوا قصدى ومرامى واعـلموا ان لى بسـتانا مثل هذا المـكان كنت نائـماً فيه ليـلة من الليالى فـرأيت فى المنام أن صيادا نصـب شركا ونثر حوله قمـحا فاجتمعت علـيه الطيور لتلتقط القمح فوقع طير ذكر فى الشرك ونفرت عنه جميع الطيور ومن جملتها انثى ذلك الذكر ثم ان تلك الأنثى غابت ساعة وعادت اليه وحدها وقرضت الـعين التى فى رجل ذكرها حتـى خلصته وطار وكان الـصياد فى ذلك الوقت نـائماً فلما افاق مـن نومه وجد الشرك مختلا فاصلحـه وجدد نثر القمح مرة ثانية وقعد بعيدا عنـه ينتظر وقوع صيد فى ذلك الـشرك فتقـدمت الطـيور لتـلتقط الـقمح فـتقدم الطير والطـيرة من جـملة الطـير فانشبكت الطـيرة فى الشرك ونفر الطير جميـعه عنها وطيرها الذكر من جمـلة الطير ولم يعد الـيها فقام الصـياد واخذ الطيـرة وذبحها واما الـذكر لما نفر مع الـطيور وقد اختـطفه جارح من الجوارح وذبحه وشرب دمه واكل لحمه وانا اشتهى منكم أن تصوروا إلى هذا المنام جـميعه على صـفات ما ذكرت لكم بـالدهان الجيد وتجـعلوا ذلك مثالا فـى تزاويق البستان وحيطانـه واشجاره واطياره وتصوروا مثال الصياد وشركة وصـفه ما جرى للطير الذكر مع الجـارح حين اختطفه فإذا فعـلتم ما شرحت لكـم ونظرته واعجبنى فـانى انعم عليكم بما يسر خاطركم زيادة عن اجرتكم فلما سمع كلامه الدهانون اجتهدوا فى الدهان واتقنوه غاية الإتقان فلما انتهى وخلص اطلعوا الوزير عليه فاعجبه ونظر إلى تصوير المنام

الذى وصفه للدهانين كأنه هو فشكرهم وانعم عليهم بجزيل الإنعام ثم اتى ابن الملك على العادة ودخل ذلك القصر ولم يعلم بما فعله الوزير فلما نظر اليه رأى صفة البستان والصياد والشرك والطيور والطير الذكر وهو بين مخالب الجارح وقد ذبحه وشرب دمه واكل لحمه فتحير عقله ثم رجع الى الوزير وقال ايها الوزير الحسن التدبير انى رأيت اليوم عجبا لو كتب بالإبر على اماقى البصر لكان عبرة لمن اعتبر قال وما هو يا سيدى قال اما اخبرتك بالمنام الذى رأته بنت الملك وانه هو السبب فى بغضها الرجال قال نعم ثم قال والله يا وزير لقد رأيته مصوراً فى جملة النقش بالدهان حتى كأنى عاينته عيانا وجدت شيأ اخر خفى امره علي ابنة الملك فما رأته وهو الذى عليه الاعتماد فى نيل المراد قال وما هو يا ولدى قال وجدت الطير الذكر لما غاب عن طيرته حين وقعت فى الشرك ولم يرجع اليها قد قبض عليه جارح وذبحه وشرب دمه واكل لحمه فياليت بنت الملك كانت رأت المنام كله وقصته لآخره وعاينت الطير الذكر لما اختطفه الجارح وهذا سبب عدم عوده اليها وتخليصها من الشرك قال له الوزير ايها الملك السعيد والله أن هذا امر عجيب وهو من الغرائب وصار ابن الملك يتعجب من هذا الدهان ويتأسف حيث لم تره ابنه الملك إلى آخره ويقول فى نفسه ياليتها رأت هذا المنام إلى آخره أو تراه جميعه مرة ثانية ولو فى اضغاث الاحلام قال الوزير انك كنت قلت لى ما سبب عمارتك فى هذا المكان فقلت لك سوف يظهر لك نتيجه ذلك والآن قد ظهر لك نتيجته وانا الذى قد فعلت ذلك الأمر وامرت الدهانين بتصوير المنام وأن يجعلوا الطير الذكر فى مخالب الجارح وقد ذبحه وشرب دمه واكل لحمه حتى اذا نزلت بنت الملك ونظرت الى هذا الدهان ترى صورة هذا المنام وتنظر الى هذا الطير وقد ذبحه الجارح فتعذره وترجع عن بغضها الرجال فلما سمع ابن الملك هذا الكلام قبل ايادي الوزير وشكره على فعله وقال له مثلك يكون وزير الملك الأعظم والله لئن بلغت قصدى ورجعت مسروراً إلى الملك لأعلمنه بذلك حتى يزيدك فى الأكرام ويعظم شأنك ويسمع كلامك فقبل الوزير يده ثم انهما ذهبا إلى الشيخ البستانى وقالا له انظر إلى هذا المكان وما احسنه قال الشيخ كل هذا بسعادتكم ثم قالا له يا شيخ إذا سألك اصحاب هذا المكان عن عمارة هذا القصر فقل لهم انا عمرته من مالى لاجل أن يحصل لك الخير والأنعام فقال سمعاً وطاعة وصار ابن الملك لا ينقطع عن ذلك الشيخ هذا ما جرى من الوزير وابن الملك وأما ما كان من امر حياة النفوس فانها لما انقطعت عنها الكتب والمراسلة وغابت عنها العجوز فرحت فرحاً

شديداً واعـتقدت ان الغلام سـافر إلى بلاده فلمـا كان فى بعض الأيـام حضر اليهـا طبق مغطى من عند إبيهـا فكشفته فوجدت فيه فاكهة مليحـة فسألت وقالت هل جاء أوان هذه الفـاكهة قالـوا نعم قالـت ياليتـنى تجهزت لـلفرجة فـى البستـان وأدرك شهرزاد الصـباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة السابعة والعشرون بعد السبعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد أن بنت الملك لما أرسل اليها أبوها الفاكهة سألت وقالت هل جاء أوان هذ الفاكهـة فقالوا لها نعم قالت ياليتـنا نتجهز للفرحة فى البـستان فقال لها جواريها نعم الـرأى يا سيدتي والله لقد أشتقـنا إلى ذلك البستان قالت كـيف العمل وفي كل سنة ما يفرجنـا فى البستان ويبين لنا اختلاف هذه الأغصان إلا الـداية وانا قد ضربتها ومنعتهـا عنى وقد ندمت على مـا كان منى فى حقها لأنـها على كل حال دايتى ولـها على حق التربية فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم فلما سمعت الجوارى ذلك الكلام من بنت الملك نهضن جميـعاً وقبلن الأرض بين يديهـا وقلـن لهـا بالـله عـليـك يـا سيدتـى ان تصفـحـى عنهــا وتأمـرى باحضـارها قالت والله أنـى عزمت على ذلك الأمـر فمن فيكن يروح لها فانى قد جهزت لها خلعة سنيـة فتقدم اليها جاريتان احداهما تسمى بلبل والأخرى تسمى سـواد العين وهما أكبر جوارى بـنت الملك وخواصها عنـدها وهما ذاتا حسن وجمال فقالـتا نحن نروح اليها ايتها الملـكة قالت افعلا مابدا لكما فذهـبتا إلى بيت الداية وطرفا عليها الباب ودخلا عليها فلما عرفتهما تلقتهما باحضانها ورحبت بهما فلما استقر بهـما الجلوس قالتا لهـا يادادية ان الملكة قد حصـل منها العفو والرضـى عنك قالت الداية لا كان ذلـك ابدا ولو سقيت كـؤوس الردى فهل نسيـت تعزيرى قدام من يـحبنى ومن يبغضنـى حين صبغت أثوابى بالدم وكدت ان اموت من شـدة الضرب وبعد ذلك سحبونى من رجلى مثل الكلب الميت حـتى رمونى خارج الباب فوالله لا أرجع اليها أبداً ولا أملأ عينى من رؤيتهـا فقال لها الجاريتان لا تردى سعينا اليك خائـباً فاين اكرامك ايانا فابصرى من حضر عنـدك ودخل عليك فهل تريدين احداً أكبر منا منـزلة عند بنت الملك قالت أعوذ بالـله أنا أعرف ان مقدارى اقل منكـما لولا ان ابنة الملك عظـمت قدرى عند جواريها وخدمها فكنت إذا غضبت على أكبر من فيهن تموت في جلدها فقالت الجاريتان ان الحال باق عـلى عهده لم يتـغير ابدا بل هو أكـثر مما تعهـدين فان بنت الملـك وضعت

نفسها لك وطلب الصلح من غير واسطة فقالت والله لولا حضوركما عندي ما كنت أرجع اليها ولو أمرت بقتلى فشكرتاها على ذلك ثم قامت من وقتها ولبست ثيابها وطلعت معهما وسرن جميعاً حتى دخلت على بنت الملك فلما دخلت عليها قامت علي قدميها فقالت لها الداية الله الله يا بنت الملك هل الخطأ منى أو منك فقالت بنت الملك الخطأ مني والعفو والرضى منك والله يا دايتى ان قدرك عال عندى ولك على حق التربية ولكن انت تعلمين ان الله سبحانه وتعالى قسم للخلق اربعة أشياء الخلق والعمر والرزق والأجل وليس فى قدرة الإنسان ان يرد القضاء وانى ما ملكت نفسي ولا قدرت على رجوعها وانا يادايتى ندمت على ما فعلت فعند ذلك زال ما عند العجوز من الغيظ فنهضت وقبلت الأرض بين يديها فدعت الملكة بخلعة سنية وافرغتها عليها ففرحت بتلك الخلعة فرحاً شديداً والخدام والجوارى واقفات بين يديها فلما انتهى ذلك المجلس قالت لها يادايتى كيف حال الفواكه وثمر غيطاننا قالت والله يا سيدتى نظرت غالب الفواكه فى البلد ولكن فى هذا اليوم افتش على هذه القضية وارد لك الجواب ثم نزلت من عندها وهى مكرمة فى غاية الاكرام وسارت حتى أتت ابن الملك فتلقاها بفرح وعانقها واستبشر بقدومها وانشرح خاطره لأنه كان كثير الإنتظار لرؤيتها ثم أن العجوز حكت له على ما وقع لها مع بنت الملك وأن بنت الملك مرادها ان تنزل إلى البستان فى اليوم الفلانى وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة الثامنة والعشرون بعد السبعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد أن العجوز لما أتت عند ابن الملك واخبرته بما جرى لها مع الملكة حياة النفوس وانها تنزل البستان اليوم الفلانى قالت له هل فعلت ما أمرتك به من قضية بواب البستان وهل وصل اليه شيء من احسانك قال لها نعم انه صار صديقى وطريقه طريقى وفى خاطره لو يكون بى اليه حاجة ثم اخبرها بما جرى له من أمر الوزير وتصويره المنام الذى رأته بنت الملك وخبر الصياد والشرك والجارح فلما سمعت العجوز هذا الكلام فرحت فرحا شديداً ثم قالت له بالله عليك ان تجعل وزيرك فى وسط قلبك فان فعله يدل على رجاحة عقله ولانه اعانك على بلوغ مرادك فانهض يا ولدى من ساعتك وادخل الحمام والبس افخر الثياب فما بقى لنا حيلة اكبر من هذه واذهب الى البواب واعمل عليه حيلة حتى يمكنك من بياتك فى البستان فلو اعطى ملء الأرض ذهبا

ما يمكن احداً من الدخول فى البستان فإذا دخلت فاختف حتى لا تراك العيون ولا تزل مختفياً حتى تسمعنى أقول يا خفى الألطاف امنا مما تخاف فاخرج من خبائك واظهر حسنك وجمالك وتوار فى الأشجار فان حسنك يخجل الأقمار حتى تنظرك الملكة حياة النفوس وتملأ قلبها وجوارحها بهواك فتبلغ قصدك ومناك ويذهب همك قال الغلام سمعاً وطاعة واخرج صرة فيها الف دينار فاخذتها منه ومضت وخرج ابن الملك من وقته وساعته ودخل الحمام وتنعم ولبس افخر الثياب من لباس الملوك الاكاسرة وتوشح بوشاح قد جمع فيه من اصناف الجواهر المثمنة وتعمم بعمامة منسوجة بشرائط الذهب الأحمر مكللة بالدر والجوهر وقد توردت وجنتاه واحمرت شفتاه وغازلت اجفانه الغزلان وهو يتمايل كما النشوان وعمه الحسن والجمال وفضح الأغصان قوامه الميال ثم انه حط فى جيبه كيسا فيه الف دينار وسار الى ان اقبل على البستان ودق بابه فاجابه البواب وفتح له الباب فلما نظره فرح فرحاً شديداً وسلم عليه افخر السلام ثم انه وجد ابن الملك عابس الوجه فسأله عن حاله فقال له اعلم ايها الشيخ أنى عند والدى مكرم ولا وضع يده على إلا فى هذا اليوم فوقع بينى وبينه كلام فشتمنى ولطمنى على وجهى وبالعصى ضربنى وطردنى فصرت لا أعرف صديقاً فخفت من غدر الزمان وانت تعرف ان غضب الوالدين ما هو قليل وقد حضرت اليك يا عم فان والدى بك خبير واريد من إحسانك ان اقيم فى البستان إلى آخر النهار وابيت فيه إلى أن يصلح الله الشأن بينى وبين والدى فما سمع كلامه توجع لما جرى له مع والده فقال له يا سيدى أتأذن أن أروح إلى والدك وادخل عليه واكون سبباً فى الصلح بينك وبينه قال له الغلام يا عم أعلم أن والدى له اخلاق لا تطاق ومتى عارضته فى الصلح وهو فى حرارة خلقه لا يرجع اليك قال الشيخ سمعاً وطاعة ولكن يا سيدى امش معى الى بيتى فابيتك بين أولادى وعيالى ولا ينكر احد علينا فقال له الغلام ياعم ما اقيم إلا وحدى فى حالة الغيظ فقال الشيخ يعز على أن تنام وحدك فى البستان وانا لي بيت قال يا عم لى فى ذلك غرض حتى يزول العارض عنى وأنا أعلم ان فى هذا الأمر رضاه فيعطف على خاطره قال له الشيخ فان كان ولابد فانى احضر لك فراشا تنام عليه وغطاء تتغطى به قال له يا عم لا بأس بذلك فنهض الشيخ وفتح له باب البستان واحضر له الفرش والغطاء والشيخ لا يعلم ان بنت الملك تريد الخروج إلى البستان هذا ما كان من امر ابن الملك واماما كان من امر الداية فانها ذهبت

الى بنت الملك واخبرتها بان الأثمار طابت على اشجارها قالت لها يا دايتى انزلى معى البستان لتتفرجى فى غد ان شاء الله تعالى ولكن ارسلى إلى الحارس وعرفيه اننا فى غد نكون عنده فى البستان فارسلت الداية أن الملكة تكون عنده غداً فى البستان وانه لا يترك فى البستان سواقين ولا مرابعين ولايدع احداً من خلق الله اجمعين يدخل البستان فلما جاءه الخبر من عند بنت الملك اصلح المجارى واجتمع بالغلام وقال له ان بنت الملك صاحبة هذا البستان ويا سيدى لك المعذرة والمكان مكانك وأنا ما أعيش إلا فى احسانك غير أن لسانى تحت قدمى فاعرفك ان الملكة حياة النفوس تريد الخروج إلى البستان غدا في أول النهار وقد امرت انى لا أخلى احداً فى البستان يراها واريد من فضلك أن تخرج من البستان فى هذا النهار فان الملكة لم تقم فيه سوى هذا اليوم إلى العصر ويصير لك مدة الشهور والدهور والأعوام قال له يا شيخ لعلك حصل لك من جهتنا ضر وقال لا والله يا مولاى ما حصل لى من جهتك إلا الشرف فقال له الغلام ان كان الأمر كذلك فما يحصل لك من جهتنا إلا كل خيرفاني اختفى فى هذا البستان ولا يرانى احد حتى تروح بنت الملك إلى قصرها قال الخولى يا سيدى متى نظرت خيال بشر من خلق الله تعالى ضربت عنقى وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة التاسعة والعشرون بعد السبعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد أن الشيخ لما قال للغلام ان بنت الملك متى رأت خيال بشر ضربت عنقى قال له الغلام أنا ما اخلى احدا يرانى جملة كافية ولاشك أنك اليوم مقصر فى النفقة على العيال ومديده الى الكيس واخرج منه خمسمائة دينار وقال له خذ هذا الذهب وانفقه على عيالك فيطيب قلبك من جهتهم فلما نظر الشيخ إلى الذهب هانت عليه نفسه واكد على ابن الملك فى عدم الظهور فى البستان ثم تركه جالسا هذا ما كان من امر الخولى وابن الملك واما ما كان من امر بنت الملك فانه لما كان بكرة النهار دخل عليها خدامها فامرت بفتح باب السر الموصل إلى البستان الذى فيه القصر ولبست حلة كسروية مرصعة بالؤلؤ والدر والجوهر ولبست حلة ومن تحتها قميص لطيف مرصع بالياقوت ومن تحت الجميع ما يعجز عن وصفه اللسان ويتحير فيه الجنان وفى هواه يشجع الجبان ومن فوق رأسها تاج من الذهب الأحمر مرصع بالدر والجواهر وهى تخطر فى قبقاب من الؤلؤ الرطب مصوغ من الذهب الأحمر مرضع بالفصوص

والمعادن وجعلت يدهـا على كتف العجوز وامرت بالخروج من بـاب السر وإذا بالعجوز قد نظرت إلى البستان فوجدته قد امتـلأ من الخدام والجوارى وهن يأكلن الثمار ويعكرن الأنهار ويردن التمتع بالـلعب والفرجة فى هذا النهار فقالت للملـكة انك صاحبة العقل الوافر والفطنة الكامـلة وانت تعلمين انك غير محتاجة لهذه الخـدم في البستان ولو كنت خارجة من قصر ابيك لـكان سيرهم معك احتراما لك ولكنك يا سـيدتى طالعة من باب السر إلى البستان بـحيث لا يراك أحد من خلق الله تعالى قالت لهـا لقد صدقت يا دايتى فكيـف يكون العـمل ثم قالـت لها العـجوز أامرى الخدام أن تـرجع وما أخبـرك بهذا إلا احتراماً للملك فأمرت الخدام بالرجوع قالت الـداية بقى بقية من الخدام الذين يبغون فى الأرض الفساد فاصرفيهم ولا تدعى معك غير جاريتين من الجوارى لننشرح معهما فلما نظرتها الداية قد صفـى قلبها وراق لها الوقت قالت الآن قد تفرجنا فـرجة مليحة فقومى بنا الآن إلى البستان فقامت بنت الملك وجـعلت يدها على كتف الداية وخرجت من باب السر وجاريتـاها يمشيان قدامها وهـى تضحك عليهما وتـتمايل فى غلائلهـا والداية تمشى قدامهـا وتريها الأشجـار وتطعمها مـن الأثمار وهى تروح مـن مكان إلى مكـان ولم تزل سائرة بها إلى أن وصـلت إلى ذلك القصر فلما نـظرته الملكة رأته جديدا فقـالت يا دايتى اما تنظرين هذا القصـر قد عمر اركانه وابيضت حيطانه قالت الدايـة والله يا سيدتى انى سمعت كلاماً مـا وهو ان جماعة من التجار أخذ مـنهم الخولى قماشا وباعه واخـذ بثمنه طوباً وجيـرا وجبسا وحجراً وغير ذلـك فسألته ما فعـل بذلك فقال لى عمرت بـه القصر الذى كان داثرا ثم قال الشيخ أن التجار طالبونى بـحقهم الذى لهم على فقلت حتى تنزل بنت الملك إلى البستان وتنظر العمارة وتعجبها فإذا طلعت أخذت منها ما تتفضل به على وأعطيـهم حقهم الذى لـهم فقلت له مـا حملك على ذلـك قال رأيته قد وقع وتـهدمت أركانه وتقشر بياضه وما رأيت لاحد مرؤة أن يعـمره فاقترضت فى ذمتى وعمرته وأرجو من ابنة الملك أن تعمل ما هى أهله فقلت له أن ابنة الملك كلها خير وعوض وما فعل هذا كله الاطـمعا فى احسـانك قالت بنت المـلك والله لقد بنـاه عن مرؤة وفعل فـعل الأجواد ولكن نـادى لى الخازندارة فنادت الـداية الخازندارة فحضـرت فى الحال عند ابنـة الملك فأمرتها أن تعطى الخـولى الفى دينار فارسلت العجوز رسولا إلى الخـولى فلما وصل إليه الرسول قال له واجب عليـك امتثال أمر الملكة فلما سمع الخولـى من الرسول هذا الكلام

ارتعدت مفاصله وضعفت قوته وقال في نفسه لاشك أن ابنة الملك نظرت الغلام ولا يكون هذا اليوم على إلا أشأم الأيام فخرج حتى وصل إلى داره وأعلم زوجته وأولاده بذلك وأوصى وودعهم فتباكوا عليه ثم أنه تمشى إلى أن وقف بين يدى ابنة الملك ووجهه مثل الكركم وهو يكاد أن يسقط من طوله فعلمت العجوز منه ذلك فادركته بكلامها وقالت يا شيخ قبل الأرض شكر الله تعالى وابتهل بالدعاء للملكة فقد أعلمتها بما فعلت من عمارة القصر الداثر ففرحت بذلك وقد أنعمت عليك فى نظير ذلك بالفى دينار فاقبضهما من الخازندارة وادع لها وقبل الأرض بين يديها وارجع إلى حالك فلما سمع الخولى ذلك الكلام من الداية قبض الالفى دينار وقبل الأرض بين يدى ابنة الملك ودعا لها ثم عاد إلى منزله وفرحت عياله به ودعوا لمن كان سببا فى هذا الأمر كله وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الموفية للثلاثين بعد السبعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد أن الشيخ الحارس لما أخذ الالفى دينار من الملكة وعاد إلى منزله فرحت عياله به ودعوا لمن كان سببا فى ذلك كله هذا ما كان من هؤلاء وأماما كان من أمر العجوز فانها قالت يا سيدتى لقد صار هذا المكان مليحا وما رأيت قط أنصع من بياضه ولا أحسن من دهانه يا ترى هل الاصلح ظاهره أو باطنه والا عمل ظاهره بياضا وباطنه سواد فادخلى بنا حتى نتفرج على باطنه فدخلت الداية وبنت الملك خلفها فوجداه مدهونا ومزوقا من داخل باحسن التزويق فنظرت بنت الملك يمينا وشمالا إلي أن وصلت إلى صدر الايوان فشخصت إليه وأطالت النظر فيه فعلمت الداية أن عينها لحظت تصوير ذلك المنام فأخذت الجاريتين عندها حتى لا يشغلاها فلما انتهت بنت الملك إلى رؤية تصوير المنام التفتت إلى العجوز وهى متعجبة تدق يدا على يد وقالت يا دايتى تعالى انظرى شيئاً عجيبا لو كتب بالابر على أماق البصر لكان عبرة لمن اعتبر قالت العجوز وما هو يا سيدتى قالت لها الملكة أدخلى صدر الإيوان وانظرى أى شيء تنظرينه فعرفينى به فدخلت العجوز وتأملت تصوير المنام وخرجت وهى متعجبة وقالت والله يا سيدتى أن هذا هو صورة البستان والصياد والشرك وجميع ما رأيته فى المنام وما منع الذكر لما طار من أن يعود إلى أنثاه ويخلصها من شرك الصياد إلا مانع عظيم فإنى نظرته تحت مخالب الجارح وقد ذبحه وشرب دمه ومزق لحمه وأكله وهذا يا سيدتى سبب

تأخيره عن العود إليها وتخليصها من الشرك ولكن يا سيدتى إنما العجب من تصوير هذا المنام بالزواق ولو كنت أنت أردت أن تفعلى ذلك لعجزت عن تصويره والله أن هذا الشيء عجيب يؤرخ فى السير ولكن يا سيدتى لعل الملائكة الموكلين ببني آدم علموا أن الطير الذكر مظلوم حيث ظلمناه ولمناه على عدم عوده فاقاموا حجة الذكر وبينوا عذره وها أنا قد رأيته فى هذه الساعة بين مخالب الجارح وهو مذبوح قالت بنت الملك يا دايتى هذا الطير الذى جرى عليه القضاء والقدر ونحن قد ظلمناه قالت العجوز يا سيدتى بين يدى الله تعالى تلتقى الخصوم ولكن يا سيدتى قد تبين لنا الحق ووضح لنا عذر الطير الذكر ولولا أنه تعلقت به مخالب الجارح وذبحه وشرب دمه وأكل لحمه ما تأخر عن الرجوع إلى الطيرة بل كان يرجع إليها ويخلصها من الشرك ولكن الموت ما فيه حيله وخصوصا ابن آدم فإنه يجوع نفسه ويطعم زوجته ويعرى نفسه ويكسوها ويغضب أهله ويرضيها ويعصى والديه ويطيعها وهى تطلع على سره وخبيئته ولا تصبر عنه ساعة واحدة فلو غاب عنها ليلة واحدة لم تنم عينها ولم يكن عندها أعز منه فتعزه أكثر من والديها وإذا ناما يتعانقان ويجعل يده تحت عنقها وهى تجعل يدها تحت عنقه كمال قال الشاعر:

سدتها زندى وبت ضجيعها ... وقلت لليلى طل فقد أشرق البدر

فياليلة لم يخلق الله مثلها ... فأولها حلو وآخرها مر

وبعد ذلك فهو يقبلها وتقبله ومن جملة ما جرى لبعض الملوك مع زوجته أنها ضعفت وماتت فدفن نفسه معها بالحياة ورضى لنفسه بالموت من محبته اياها ومن فرط الالفة التى كانت بينهما وكذلك جرى لبعض الملوك حين ضعف ومات فلما قصدوا أن يدفنوه قالت زوجته لاهلها دعونى أدفن نفسى معه بالحياة وإلا أقتل نفسى وأبقى فى ذمتكم فلما علموا أنها لا ترجع عن ذلك تركوها فرمت نفسها فى القبر معه من كثرة محبتها اياه وشفقتها عليه ومازالت العجوز تحدثها بحديث أخبار الرجال والنساء حتى زال ما كان فى قلبها من بغض الرجال فلما عرفت العجوز المودة التى تجددت عندها للرجال قالت أنه آن وأن تفرجنا فى البستان فخرجتا من القصر يتمشيان بين الأشجار فلاحت من ابن الملك التفاتة فوقعت عينه عليها ونظر إلى شكلها واعتدال قدها وتورد خدها وسواد طرفها وبارع ظرفها وباهر جمالها ووافر كمالها فاندهش عقله وشخص

إليها بصره وعدم فى الغرام رشده وتجاوز به العشق حده واشتغلت بخدمتها جوارحه والتهبت بنار العشق جوانحه فغشى عليه ووقع على الأرض مغمى عليه فلما أفاق وجدها غابت عن عينه وتوارت منه فى الأشجار وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الحادية والثلاثون بعد السبعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن ابن الملك أزدشير لما كان مختفيا فى البستان ونزلت بنت الملك هى والعجوز ومشيا بين الاشجار رآها ابن الملك فغشى عليه من شدة ما حصل له من العشق فلما أفاق وجدها غابت عن عينه وتوارت منه فى الأشجار فتنهد من صميم قلبه وأنشد هذه الأبيات:

ولما رأت عينى بديع جمالها ... تمزق قلبى بالصبابة والوجد
فاصبحت مرميا طريحا على الثرى ... وما علمت بنت المليك بما عندى
تثنت فافتنت قلب صب متيم ... فبالله رقى وارحمينى من وجدى
فيارب قرب لى الوصال واحظنى ... بمهجة قلبى قبل أن أنزل فى لحدى
أقبلها عشرا وعشرا وعشرة ... تكون من المضنى الكئيب على الخد

ولم تزل العجوز تفرج بنت الملك فى البستان إلى أن وصلت إلى المكان الذى فيه ابن الملك وإذا بالعجوز قالت يا خفى الالطاف أمنا مما نخاف فلما سمع ابن الملك الإشارة خرج من خبائه وتعجب فى نفسه وتاه وتمشى بين الأشجار بقد يخجل الاغصان وتكلل جبينه بالعرق وصارت وجنتاه كالشفق فسبحان الله العظيم فيما خلق فلاحت التفاتة من بنت الملك فنظرته فلما رأته صارت شاخصة له ساعة طويلة ورأت حسنه وجماله وقده واعتداله وعيونه التى تغازل الغزلان وقامته التى تفضح غصون البان فاذهل عقلها وسلب لبها ورشقها بسهام عينيه فى قلبها فقالت للعجوز يا دايتى من أين لنا هذا الغلام المليح القوام قالت أين هو يا سيدتى قالت هاهو قريب بين الأشجار فصارت العجوز تتلفت يمينا وشمالا كأنه لم يكن عندها خبر به وقالت ومن عرّف هذا الشاب طريق ذلك البستان قالت لها حياة النفوس ومن يعرفنا بخبر هذا الشاب فسبحان من خلق الرجال ولكن يا دايتى هل أنت تعرفينه قالت لها يا سيدتى هو الشاب الذى كان يراسلك معى قالت لها

بنت الملك وهى غريقة فى بحر هواها ونار شوقها وجواها يا دايتى ما أحسن هذا الشاب فأنه مليح الطلعة وأظن أنه ما على وجه الأرض أحسن منه فلما علمت العجوز أن هواه ملكها قالت لها أما قلت لك يا سيدتى أنه شاب مليح بوجه صبيح قالت لها بنت الملك يا دايتى أن بنات الملوك لا يعرفن أحوال الدنيا ولا يعرفن صفات من فيها ولا عاشرن ولا أخذت ولا أعطين يا دايتى كيف الوصول إليه وباى حيلة أقبل بوجهى عليه وماذا أقول له ويقول لى قالت العجوز أى شىء فى يدى الآن من الحيلة قد صرنا متحيرين فى هذا الأمر من أجلك قالت بنت الملك يا دايتى أعلمى أنه ما مات أحد بالغرام إلا أنا فهاأنا أيقنت بالممات من وقتى وكل هذا من نار وجدى فلما سمعت العجوز كلامها ورأت فى هواه غرامها قالت لها يا سيدتى أما حضوره عندك فلا سبيل إليه وأنت معذورة فى عدم رواحك إليه لأنك صغيرة لكن قومى معى وأنا قدامك إلى أن تصلى إليه وأنا أكون مخاطبة له فما يحصل لك خجل وهى لحظة عين حتى يحصل الانس بينكما قالت الملكة قومى قدامى فقضاء الله لا يرد ثم قامت الداية وبنت الملك حتى اقبلا على ابن الملك وهو جالس كأنه البدر فى تمامه فلما وصلت إليه قالت له العجوز أنظر يا فتى من حضر بين يديك وهى بنت ملك الزمان حياة النفوس فاعرف قيمتها ومقدار مشيها إليك وقدومها عليك قم تعظيما لها وتمثل قائما على قدميك فنهض الغلام من وقته وساعته قائما على قدميه ووقعت عينه فى عينها فصار كل واحد منهما كالسكران بغير مدام وقد زاد بها شوقه وغرامه ففتحت بنت الملك يديها وكذلك الغلام واعتنقا وهما فى غاية الاشتياق فغلب عليهما الهوى والغرام فغشى عليهما الاثنين ووقعا على الأرض واستمرا ساعة طويلة فخشيت العجوز من الهتيكة فادخلتهما القصر وقعدت على بابه وقالت للجوارى اغتنموا الفرجة فإن الملكة نائمة فرجع الجوارى إلى الفرجة ثم أنهما قاما من غشيتهما فوجدا أنفسهما داخل القصر ثم قال لها الغلام بالله عليك يا سيدة الملاح هل هذا منام أو أضغاث أحلام ثم أعتنق الاثنان وسكرا من غير مدام وتشاكيا لوعة الغرام فأنشد الغلام هذه الأبيات:

الشمس من وجهها الوضاح طالعة ... كذاك من وجنتيها حمرة الشفق

فانه حيثما للناظرين بدا ... يغيب منه حياء كوكب الافق

وأن بدا بارق من ثغر مبسمها ... لاح الصباح وجلى غيهب الغسق

وأن تثنــى قــوام مــن معاطفهــا تـغار منـه غصـون الـبان فى الـورق
عندى عن الـكل مـا يغنـى برؤيتهـا أعيـذهــا بلــه الـنـاس والفلــق
أعارت البدر جــزأ مــن محاسنهــا ورامت الشمس تحكيهـا فلم تـطق
من أين لـلشمس أعطـاف تميس بهــا من أين للبدر حسن الخلق والخلق
فـن يـلـمنـي وكـلي فـي مـحبـتـهـا مـا بـين مـفـترق فـيـهـا ومـتـفـق
هـى التـى ملكــت قلبــى بلفتتهــا فـما الـذى لقـلوب الـعاشقين بقـى

وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والثلاثون بعد السبعمائة

قالت بلغنبي ايـها الملك السعيد أن ابن الملك لما فرغ من شعره ضـمته بنت الملك إلى صدرها وقبلـت فاه وما بين عينيه فعادت إلـيه روحه وصار يشكو إليها مـا قاساه من شدة العشـق وجور الغرام وكثـرة الشوق والهيـام وما جرى له مـن قسوة قلبـها فلما سـمعت كلامه قبلت يـديه وقدميه وكشفت رأسها فـاظلم الديجور وأشرقت فيهـا البدور وقالت ياحبيبـي وغاية مرادي لا كان يوم الصدود ولا جـعله الله بيننا يعـود فعندها تعانقـا وتباكيا وأنشدت بنت الملك هذه الأبيات:

يـا مخجـل الـبدر وشـمـس الـنهـار حـكـمـت فـى قتلـى مـحيـا فـجـار
بـسيـف لحـظ قـاطـع فــى الحشــا وأين مـن سيـف الـلـحـاظ الفـرار
وشبــه قــوس حـاجـباك أرتمــى مـنـهـا بـقـلــبى سـهـم وجـد ونـار
ومـن جنـى خديــك لــى جنــة فـهـل لقـلـبى عن جناهـا اصطـبـار
وقــدك المايــس غـصــن زهــا من حمـل هذا الغـصن تجنى الثـمار
جـذبـتـنـى قـهــرا واسهـرتـنــى وقـد خـلـعـت فـى هـواك الـعـذار
أعــانــك الله بـنــور الـضـيــا وقــرب الــبـعــد وأدنــى المـزار
فـارحــم فـؤاد فــي هـواك أنـكـوى وقـلـب مـضـنـى بـعـلاك اسـتـجـار

فلما فرغت من شعرها فاض عليها الغرام وهامت وبكت بدموع غزار سجام فاحرقت قلب الغلام فتعنى فى هواها وهام وتقدم إليها وقبل يديها وبكى بكاء شديدا ولم يزالا فى عتاب ومنادمات وأشعار إلى أن أذن العصر ولم يكن بينهما غير ذلك فهما بالانصراف فقالت له بنت الملك يا نور عينى وحشاشة كبدى هذا وقت الفراق فمتى يكون التلاق قال الغلام وقد أصابه من كلامها سهام والله لا أحب ذكر الفراق ثم أنها خرجت من القصر فالتفت إليها فوجدها تئن انينا يذيب الحجر وتبكى بدموع كالمطر فغرق من العشق فى بحر الهلكات وأنشد هذه الأبيات:

أيا منية القلب زاد اشتغالى ... لفرط هواك فكيف احتيالى
فوجهك كالصبح مهما بدا ... وشعرك فى اللون يحكى الليالى
وقدك غصن إذا ما انثنى ... وقد حركته رياح الشمال
والحاظ عينيك تحكى الظبا ... إذا رمقتها كرام الرجال
وخصرك مضنى بردف ثقيل ... فهذا ثقيل وهذاك بال
ومن خمر ريقك أحلى شراب ... ومسك زكى وبرد الزلال
فيا ظبية الحى كفى الاسى ... وجودى على بطيف الخيال

فلما سمعت ذلك بنت الملك فى وصفها رجعت إليه واعتنقته بقلب حريق أضرم ناره الفراق ولا يطفئه غير التقبيل والعناق وقالت أن صاحب المثل السائر يقول الصبر على الحبيب ولا فقده ولابد أن أدبر حيلة فى الاجتماع ثم ودعته وراحت وهى لا تدرى أين تضع قدمها من شدة عشقها ولم تزل سائرة حتى القت نفسها فى مقصورتها وأما الغلام فانه قد زاد به الشوق والهيام وحرم لذيذ المنام ثم أن الملكة لم تذق طعاما وفرغ صبرها وضعف جلدها فلما أصبح الصباح طلبت الداية فلما حضرت بين يديها وجدت حالها تغير فقالت لها لا تسالى عما أنا فيه لأن جميع ما أنا فيه من يدك ثم قالت لها أين محبوب قلبى قالت لها العجوز يا سيدتى ومتى فارقك هل بعد عنك غير هذه الليلة قالت لها وهل يمكننى أن أصبر عنه ساعة واحدة قومى تحيلى واجمعى بينى وبينه سرعة فإن روحى كادت أن تخرج قالت لها الداية طوّلى روحك يا سيدتى حتى أدبر لكما أمرا لطيفا

لا يشعر به أحد فقالت لها والله العظيم إذا لم تأت به فى هذا اليوم لاقولن للملك وأخبره أنك أفسدت حالى فيبرعنقك قالت العجوز سألتك بالله أن تصبرى على فإن هذا الأمر خطر ولم تزل تتخضع لها حتى صبرتها ثلاثة أيام وبعد ذلك قالت لها يا دايتى أن الثلاثة أيام مقومة على بثلاث سنين فإن فات اليوم الرابع ولم تحضريه عندى سعيت فى قتلك فخرجت الداية من عندها وتوجهت إلى منزلها فلما كان صبح اليوم الرابع دعت بمواشط البلد وطلبت منهن نقشا مليحا من أجل تزويق بنت بكر وتنقيشها وتكتيبها فاحضرن إليها مطلوبها من أحسن ما يكون ثم دعت بالغلام فحضر وفتحت صندوقها وأخرجت منه بقجة فيها حلة من ثياب النساء تساوى خمسة الآف دينار بعصابة مطرزة بأنواع الجواهر وقالت يا ولدى أتحب أن تجتمع بحياة النفوس قال لها نعم فأخرجت محفة وحففته بها وكحلته ثم أعرته وركبت النقش على يديه من ظفره إلى كتفه ومن مشط رجليه إلى فخذيه وكتبت سائر جسده فصار كأنه ورد أحمر على صفايح المرمر ثم بعد مدة لطيفة غسلته ونظفته وأخرجت له قميصا ولباسا ثم البسته تلك الحلة الكسروية وعصبته وقنعته وعلمته كيف يمشى وقالت له قدم الشمال وآخر اليمين ففعل ما أمرته به ومشى قدامها فصار كأنه حورية خرجت من الجنة ثم قالت له قوّ قلبك فأنك قادم على قصر ملك ولابد أن يكون على باب القصر جنود وخدم ومتى فزعت منهم أو حصل عندك وهم تفرسوا فيك وعرفوك فيحصل لنا الأذى وتروح أرواحنا فإن لم يكن عندك مقدرة على ذلك فاعلمنى قال أن هذا الأمر لا يروعنى فطيبى نفسا وقرى عينا فخرجت تمشى أمامه إلى أن وصلا إلى باب القصر وهو ملآن بالخدام والتفتت العجوز إليه لتنظر هل حصل عنده وهم أم لا فوجدته على حاله ولم يتغير فلما وصلت العجوز ونظر إليها رئيس الخدام عرفها ووجد خلفها جارية تتحير العقول فى وصفها فقال فى نفسه أما العجوز فهى الداية وأما التى خلفها فما فى أرضنا من يشبه شكلها ولا يقارب حسنها ولا ظرفها إلا أن كانت الملكة حياة النفوس ولكنها محجوبة لا تخرج أبداً فياليت شعرى كيف خرجت فى الطريق ويا ترى هل خرجت باذن الملك ام بغير اذنه فنهض قائما على قدميه حتى يكشف خبرها فتبعه نحو ثلاثين خادما فلما نظرتهم العجوز طار عقلها وقالت إن لله وإنا إليه راجعون قد راحت أرواحنا فى هذه الساعة بلاشك وأدرك شهر زاد للصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الثالثة والثلاثون بعد السبعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد أن العجوز لما رأت رئيس الخدام مقبلا هو وغلمانه حصل لها غاية الخوف وقالت لها حول ولا قوة إلا بالله انا لله وانا إليه راجعون قد راحت أرواحنا فى هذه الساعة بلاشك فلما سمع رئيس الخدام من العجوز هذا الكلام أدركه الوهم لما يعلمه من سطوة بنت الملك وأن أباها تحت حكمها ثم قال فى نفسه لعل الملك أمر الداية أن تأخذ ابنته لقضاء حاجة ولا تريد أن يعلم أحد بحالها ومتى تعرضت لها يصير فى نفسها شيء عظيم منى وتقول أن هذا الطواشى واجهنى ليكشف عن حالى فتسعى فى قتلى فليس لى بهذا الأمر حاجة فولى راجعا ورجعت الثلاثون خادما معه نحو باب القصر وطردوا الخلق من عند باب القصر فدخلت الداية وسلمت برأسها فوقف الثلاثون خادما اجلالا لها وردوا عليها السلام ثم دخلت ودخل ابن الملك خلفها ولم يزالا داخلين من الأبواب حتى عدوا جميع الدركات وستر عليهما الستار إلى أن وصلا إلى الباب السابع وهو باب القصر الأكبر الذى فيه سرير الملك ومنه يتوصل إلى مقاصير السرارى وقاعات الحريم وقصر بنت الملك فوقفت العجوز هناك وقالت يا ولدى هانحن قد وصلنا إلى هاهنا فسبحان من أوصلنا إلى هذا المكان ويا ولدى ما يتأتى لنا الاجتماع إلا فى الليل فانه ستر على الخائف قال لها صدقت فكيف الحيلة قالت له اختف فى هذا المكان المظلم فقعد فى الجب وراحت العجوز إلى محل آخر وخلته فيه حتى ولى النهار فحضرت إليه وأخرجته ودخلا من باب القصر ولم يزالا داخلين حتى وصلا إلى مقصورة حياة النفوس فطرقت الداية الباب فخرجت جارية صغيرة وقالت من بالباب فقالت الداية انا فرجعت الجارية واستأذنت سيدتها فى دخول الداية فقالت لها افتحى لها ودعيها تدخل هى ومن معها فدخلا فلما اقبلا التفتت الداية إلى حياة النفوس فوجدتها قد جهزت المجلس وصفت القناديل وفرشت المراتب واللواوين بالبسط وحطت المساند وأوقدت الشموع على الشمعدانات الذهب والفضة وحطت السماط والفواكه والحلويات وأطلقت المسك والعود والعنبر وقعدت بين القنابل والشموع فصار

ضوء وجهها يغلب ضوء الجميع فلما نظرت الداية قالت لها يا دايتي أين محبوب قلبي قالت لها يا سيدتي ما لقيته ولا وقعت عيني عليه ولكن جئت لك باخته شقيقته بين يديك قالت لها هل أنت مجنونة ليس لي حاجة باخته فهل إذا وجع الإنسان رأسه يربط يده قالت لا والله يا سيدتي ولكن انظري إليها فإن أعجبتك خليها عندك وكشفت عن وجهه فلما عرفته قامت على أقدامها وضمته إلى صدرها وضمها إلى صدره ثم وقعا على الأرض مغشيا عليهما ساعة طويلة فرشت عليهما الداية ماء الورد فافاقا ثم أنها قبلته في فمه ما ينوف عن ألف قبلة وأنشدت هذه الأبيات:

زارني محبوب قلبي في الغلس ... قمت اجلالا له حتى جلس

قلت يا سالي وياكل المنى ... زرتني في الليل ما خفت العسس

قال لي خفت ولكن الهوى ... آخذ للروح مني والنفس

فاعتنقنا والتزمنا ساعة ... هاهنا أمن فلا نخشى حرس

ثم قمنا ما بنا من ريبة ... ننفض الاذيال ما فيها دنس

وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والثلاثون بعد السبعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد أن حياة النفوس لما أتاها محبوبها في القصر تعانقا وأنشدت أشعارا فيما يناسب ذلك فلما فرغت من انشادها قالت هل هذا صحيح من كوني نظرتك في منزلي وأنت نديمي ومؤنسي ثم قوي بها الهوى وأضربها الجوى حتى كاد ان يطير عقلها من الفرح به فانشدت هذه الأبيات:

بنفسي الذي قد زار في غسق الدجى ... وكنت إلى ميعاده مترقبا

فما راعني إلا رخيم بكائه ... فقلت له أهلا وسهلا ومرحبا

وقبلته في خده ألف قبلة ... وعانقته ألفا وكان محجبا

وقلت لقد نلت للذي كنت أرتجي ... فلله حمد قد أحق واوجبا

وبتنا كما شئنا باحسن ليلة ... إلى أن جلا من ليلنا الصبح غيهبا

فلما أصبح الصباح أدخلته فى محل عندها لم يطلع عليها أحد إلى أن أتى الليل فاطلعته وجلسا يتنادمان فقال لها قصدى أن أعود إلى ديارى وأعلم أبى باخبارك لأجل أن يجهز وزيره إلى أبيك فيخطبك منه قالت يا حبيبى أخشى أن تروح إلى أرضك وحكمك فتلتهى عنى وتسلا محبتى أو أن أباك لا يوافقك على هذا الكلام فأموت أنا والسلام والرأى السديد ان تكون أنت معى وفى قبضتى فتنظر إلى طلعتى وأنظر إلى طلعتك حتى أدبر لك حيلة وأخرج أنا وأنت فى ليلة واحدة فنروح إلى بلادك فانى قطعت رجائى ويئست من أهلى فقال لها سمعا وطاعة واستمرا على ماهما فيه من شرب الخمر ثم أنه طاب لهما الشراب فى ليلة من الليالى فلم يهجعا ولم يناما إلى أن لاح الفجر وإذا بأحد الملوك أرسل إلى أبيها هدية ومن جملتها قلادة من الجوهر اليتيم وهى تسعة وعشرون حبة لا تفى خزائن ملك بثمنها ثم أن الملك قال ما تصلح هذه القلادة الا لبنتى حياة النفوس والتفت إلى خادم كانت قلعت أضراسه لمقتضى ذلك فناداه الملك وقال خذ هذه القلادة وأوصلها إلى حياة النفوس وقل لها أن أحد الملوك أرسلها هدية لأبيك ولا يوجد مال يفى لها بقيمة فضعيها فى عنقك فأخذها الغلام وهو يقول الله تعالى يجعلها آخر لبسها من الدنيا لقد اعدمتنى نفع اضراسى ثم أنه سار حتى وصل إلى باب المقصورة فوجد الباب مغلوقا والعجوز نائمة على الباب فايقظها فانتبهت مرعوبة وقالت له ما حاجتك قال لها أن الملك أرسلنى فى حاجة إليا أبنته قالت أن المفتاح ما هو حاضر وح إلى ان احضر المفتاح قال لها ما اقدر أن أروح للملك فراحت العجوز لاجل أن تحضر المفتاح فادركها الخوف فطلبت النجاة لنفسها فلما ابطأت على الخادم خاف من ابطائه على الملك فحرك الباب وهزه فانكسر القفيز وأنفتح الباب فدخل ولم يزل داخلا إلى أن وصل إلى الباب السابع فلما دخل المقصورة وجدها مفروشة بفرش عظيم وهناك شموع وقنانى فتعجب الخادم من ذلك الأمر وتمشى إلى أن وصل إلى التخت وعليه ستر من الابريسم وعليه شبكة من الجوهر فكشف الستر عنه فوجد بنت الملك وهى راقدة وفى حضنها شاب أحسن منها فعظم الله تعالى الذى خلقه من ماء مهين ثم قال ما أحسن هذه الفعال ممن تبغض الرجال ومن أين وصلت إلى هذا وأظنها ما قلعت اضراسى إلا من أجله ثم أنه رد الستر إلى مكانه وخرج طالب الباب فانتبهت مرعوبة ونظرت للخادم كافور ونادته فلم يجبها فنزلت ولحقته وأخذت ذيله ووضعته على رأسها وقبلت رجليه وقالت له

أستر ما ستر الله فقال الله لا يستر عليك ولا علـى من يستر عليك أنت قـلعت اضراسى وتقولين لـى لا يذكر لى أحد شيـئاً من صفات الرجال وانـفلت منها وخـرج وهو يجرى وقفل عليهما الباب وحط عليه خادما يحرسه ودخل على الملك فقال له الملك هل أعطيت القلادة لحـياة النفـوس فقال الخادم والله انـك تستحق أكـثر من هذا كـله فقال المـلك وما حصل قل لى وأسرع فى الـكلام قال لا أقول لك إلا فى خلوة بينى وبيـنك فقال له قل بلا خلوة فقال الخادم أعطنى الأمان فرمى له منـديل الأمان فقال الخادم أيها الملك دخلت على الملكة حياة النفوس فـوجدتها فى مجلس مفروش وهى نائمة وفى حضـنها شاب فقفلت عليهـما الباب وحضرت بين يديـك فلما سمع الملك كـلامه نهض قائما وأخذ سـيفا فى يده وصاح عـلى رئيس الخـدام وقال له خذ مـعك صبيـانك وادخل علـى حياة النـفوس وهاتهـا هى ومن معهـا وهما على الـتخت نائمـانِ وغطوهما بـغطائهمـا وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الخامسة والثلاثون بعد السبعمائة

قالت بلغنـى أيها الملك السعيد أن المـلك لما أمر الخادم أن يأخذ صبيانه ويـتوجهوا إلى حياة النـفوس ويأتوا بها هـى ومن معها بين يديـه خرج الخادم ومن معه ودخـلوا فوجدوا حياة النفوس واقفة على أقدامها والبكاء والعويل قد أذابها وكذلك ابن الملك فقال رئيس الخدام للغـلام أضطجع على السريـر كما كنت وكذلك ابـنة الملك فخشيت بـنت الملك عليه وقالت له ما هـذا وقت المخالفة فاضطجع الاثنان وحملوهـما إلى أن أوصلوهما بين يدى الملك فلما كشف الملك عنهما نهضـت ابنة الملك على أقدامها فنظر لها الملك وأراد أن يضرب عنقها فسبق الغلام ورمى نفســه فى صدر الملك وقال أيها الملك ليس لها ذنب الذنب منى أنا فـاقتلنى قبلها فقـصده ليقتله فرمت حيـاة النفوس نفسها على أبـيها وقالت أقتلنـى أنا ولا تقتله فأنـه ابن الملك الأعظم صـاحب جميع الأرض فى طولـها والعرض فلما سمع الملك كلام ابنته التفت إلـى وزيره الأكبر وكان محضر سوء وقال له ما تقول يا وزير فـى هذا الأمر قال الـوزير الذى أقولـه كل من وقـع فى هذا الأمر يـحتاج للـكذب ومالهمـا الا ضرب أعناقهما بعـد أن تعذبهما بأنواع الـعذاب فعندها دعا الملـك بسياف نقمته فجاء و معه صبيانه فقال الملك خـذوا هذا العلق وأضربوا عنقه وبعده هذه الفاجرة وأحرقوهمـا ولا تشاورونى فى أمرهمـا مرة ثانية فعنـد ذلك حط السياف يده فـى ظهرها

ليأخذها فصاح الملك عليه ورجمه بشيء كان في يده كاد ان يقتله وقال له يا كلب كيف تكون حليما عند غضبي حط يدك في شعرها وجرها منه حتى تقع على وجهها ففعل كما أمره الملك وسحبها على وجهها وكذلك الغلام إلى أن وصل بهما إلى محل الدم وقطع من ذيل ثوبه وعصب عينيه وجرد سيفه وكان ماضيا وأخر بنت الملك ترجيا أن تقع فيها شفاعة وقد اشتغل بالغلام ولعب السيف ثلاث مرات وجميع العسكر يتباكون ويدعون الله أن يحصل لهما شفاعة فرفع السياف يده وإذا بغبار قد ثار حتى ملأ الأقطار وكان السبب في ذلك أن الملك أبا الغلام لما ابطأ عليه خبر ولده تجهز في عسكر عظيم وتوجه بنفسه للبحث عن ولده هذا ما كان من أمره وأما ما كان من أمر الملك عبد القادر فانه لما ظهر ذلك الغبار قال يا قوم ما الخبر وما هذا الغبار الذي قد غشى الأبصار فنهض الوزير الأكبر ونزل من بين يديه متوجها إلى ذلك الغبار ليعرف حقيقة أمره فوجد خلقا كالجراد لا يحصى لهم عدد ولا ينفذ لهم مدد قد ملأوا الجبال والأودية والتلال فعاد الوزير إلى الملك وأخبره بالقضية فقال الملك للوزير أنزل وأعرف لنا خبر هذا العسكر وما السبب في مجيئهم إلى بلادنا وأسأل عن قائد هذا الجيش وبلغه مني السلام واسأله ما سبب حضوره فان كان يقصد قضاء حاجة ساعدناه وأن كان له ثار عند أحد من الملوك ركبنا معه وأن كان يريد هدية هاديناه فإن هذا عدد عظيم وجيش جسيم ونخشى على أرضنا من سطوته فنزل الوزير ومشى بين الخيام والجنود والأعوان ولم يزل ماشيا من أول النهار إلى قرب المغرب حتى وصل إلى أصحاب السيوف المذهبة والخيام المكوكبة ثم وصل من بعدهم إلى الأمراء والوزراء والحجاب والنواب ولم يزل يتمشى إلى أن وصل إلى السلطان فرآه ملكا عظيما فلما رآه أرباب الدولة صاحوا عليه قبل الأرض فقبل الأرض وقام فصاحوا عليه ثانيا وثالثا إلى أن رفع رأسه وقصد ان يقوم فوقع من طوله من شدة الهيبة فلما تمثل بين يدى الملك قال أدام الله أيامك وأعز سلطانك ورفع قدرك أيها الملك السعيد وبعد فإن الملك عبد القادر يسلم عليك ويقبل الأرض بين يديك ويسألك في أي المهمات أتيت فإن كنت قاصد أخذ ثار من الملوك ركب في خدمتك وان كنت قاصدا غرضا يمكنه قضاؤه قام بخدمتك في شأنه قال له الملك أيها الرسول اذهب إلى صاحبك وقل له أن الملك الأعظم له ولد غاب عنه مدة وقد ابطأت عليه اخباره وانقطعت عنه آثاره فإن كان في هذه المدينة أخذه وارتحل عنكم وان كان جرى عليه أمر من الأمور أو ارتمى

عندكم بمحظور فإن والده يخرب دياركم وينهب أموالكم ويقتل رجالكم ويسبى نساءكم فارجع إلى صاحبك بسرعة وعرفه بذلك من قبل أن يحل به البلاء قال سمعا وطاعة ثم قصد الانصراف فصاح عليه الحجاب قبل الأرض قبل الأرض فقبلها عشرين مرة فما قام إلا وروحه فى أنفه ثم خرج من مجلس الملك ولم يزل سائرا وهو متفكر فى أمر هذا الملك وكثرة جيوشه إلى أن وصل إلى الملك عبد القادر وهو مقطوف اللون فى غاية الوجل مرتعد الفرائص ثم عرفه بما اتفق له وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة السادسة والثلاثون بعد السبعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الوزير لما رجع من عند الملك الاعظم وأخبر الملك عبد القادر بما وقع له وهو مقطوف اللون ترتعد فرائصه من شدة الوجل قال له الملك عبد القادر وقد داخله الوسواس والمخافة على نفسه وعلى الناس يا وزير من يكون ولد هذا الملك قال ان ولده هو الذى أمرت بقتله والحمد لله الذى لم يعجل قتله فإن أباه كان يخرب ديارنا وينهب أموالنا فقال له الملك أنظر رأيك الفاسد حيث أشرت علينا بقتله فأين الغلام ولد هذا الملك الهمام قال له أيها الملك الهمام أنك قد أمرت بقتله فلما سمع هذا الكلام اندهش عقله وصاح من صميم قلبه ورأسه ويلكم أدركوا السياف لئلا يوقع عليه القتل ففى الوقت أحضروا السياف فلما حضر قال له يا ملك الزمان قد ضربت عنقه كما أمرتنى فقال له يا كلب ان صح ذلك لابد أن الحقك به قال له أيها الملك أنك أمرتنى بقتله من غير أن أشاورك فيه مرة ثانية قال الملك كنت فى غيظى فتكلم الحق قبل تلف روحك قال له أيها الملك هو فى قيد الحياة ففرح الملك واطمأن قلبه وأمر باحضاره فلما حضر بين يديه نهض له قائما على قدميه وقبل فاه وقال له يا ولدى أستغفر الله العظيم مما وقع منى فى حقك فلا تتكلم بما يحط قدرى عند والدك الملك الأعظم قال الغلام يا ملك الزمان وأين الملك الأعظم قال له لقد جاء بسببك قال الغلام وحق حرمتك ما أبرح من بين يديك حتى ابرّىء عرضى وعرض بنتك مما نسبنا إليه وهى بكر عذراء فاطلب الدايات القوابل لتكشف عليها بين يديك فإن وجدت بكارتها زالت فقد أبحتك دمى وأن كانت عذراء فأظهر براة عرضى وعرضها فدعا القوابل فلما كشفن عليها وجدنها عذراء فأخبرن الملك بذلك وطلبن منه الانعام فانعم عليهن وخلع ما كان عليه

وكذلك أنعم على جميع من في الحريم وأخرجوا طاسات الطيب فطيبوا أرباب الدولة وفرحوا غاية الفرح ثم أن الملك اعتنق الغلام وعامله بالتعظيم والاكرام وأمر بادخاله الحمام مع خاصته من الخدام فلما خرج أفرغ عليه خلعة سنية وتوّجه بتاج من الجوهر ووشحه بوشاح من الابريسم مزركش بالذهب الأحمر مرصع بالدر والجوهر واركبه فرسا من أحسن الخيل بسرج من الذهب مرصع بالدر والجوهر وأمر أرباب دولته ورؤساء مملكته بالركوب فى خدمته إلي أن يصل إلى أبيه ثم أوصى الغلام أن يقول لابيه الملك الأعظم أن الملك عبد القادر تحت أمرك سامع مطيع لك فى جميع ما تأمره وتنهاه فقال للغلام لابد من ذلك ثم ودعه وسار متوجها إلى أبيه فلما نظر إليه أبوه طار عقله من الفرح ثم نهض له قائما على قدميه ومشى له خطوات وعانقه وشاع الفرح والسرور فى عسكر الملك الأعظم ثم حضر جميع الوزراء والحجاب وجميع الجند والقواد وقبلوا الأرض بين يديه وفرحوا بقدومه وكان لهم فى الفرح يوم عظيم وأباح ابن الملك لمن معه وغيرهم من مدينة الملك عبد القادر أن يتفرجوا على ما عليه عساكر الملك الأعظم ولا يعارضهم أحد حتى يروا كثرة جنوده وقوة سلطانه فصار كل من دخل سوق البزازين ونظر الغلام قبل ذلك وهو جالس فى المكان يتعجب منه كيف رضى لنفسه ذلك مع شرف نفسه وعظيم منزلته ولكن أحوجه إلى ذلك حبه وميله لبنت الملك وشاعت الأخبار بكثرة عساكره فبلغ ذلك حياة النفوس فاشرفت من أعلى القصر ونظرت إلى الجبال فرأتها امتلأت بعساكر وجيوش وكانت فى قصر أبيها مسجونة تحت الأمر حتى يعلموا ما يأمر به الملك فى شأنها أما بالرضى والاطلاق وأما بالقتل والاحراق فلما رأت حياة النفوس هذه العساكر وعلمت أنها عساكر ابيه خافت أن ابن الملك ينساها ويلتهى عنها بابيه ثم يرحل عنها فيقتلها أبوها فارسلت إليه الجارية التى كانت عندها فى المقصورة برسم الخدمة وقالت لها أمضى إلى أزدشير ابن الملك ولا تخافى فإذا وصلت إليه فقبلى الأرض بين يديه وعرفيه بنفسك وقولى له أن سيدتى تسلم عليك وأنها الآن محبوسة فى قصر أبيها تحت الأمر فأما أن يقصد العفو عنها وأما أن يقصد قتلها وتسألك أنك لا تنساها ولا تتركها فأنك اليوم ذو مقدرة ومهما أشرت إليه لا يقدر أحد أن يخالف أمرك فإن حسن عندك أن تخلصها من أبيها وتأخذها عندك كان من فضلك فأنها قد تحملت هذه المكاره من أجلك وأن لم يحسن عندك ذلك حيث فرغ غرضك منها فقل لوالدك

الملك الأعظم لعله يشفع لها عند أبيها ولا يرحل حتى يطلقها من أبيها ويأخذ عليه العهد والميثاق أن لا يفعل بها سوأ ولا يتعمد قتلها وهذا آخر الكلام ولا أوحش الله منك والسلام وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة السابعة والثلاثون بعد السبعمائة

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية حين أرسلتها حياةالنفوس إلى أزدشير ابن الملك الأعظم وصلت إليه وأخبرته بكلام سيدتها فلما سمع منها ذلك الكلام بكى بكاء شديدا وقال لها أعلمي أن حياة النفوس سيدتي وانا عبدها وأسير هواها ولا نسيت ما كان بيننا ولا مرارة يوم الفراق فقولي لها بعد أن تقبلي قدميها أني أحدث أبي في أمرها ويرسل وزيره الذي خطبك منه أولا يخطبك فإنه لم يقدر أن يخالف فإن أرسل إليك أبوك ليشاورك في ذلك فلا تخالفي فأني لا أروح بلادي الأبك فرجعت الجارية إلى سيدتها وقبلت يديها وبلغتها رسالته فلما سمعت ذلك بكت من شدة الفرح وحمدت الله تعالى هذا ما كان من أمرها وأماما كان من أمر الغلام فإنه أختلى بابيه في الليل وسأله عن حاله وما جرى له فحدثه بجميع ما جرى له من أوله إلى آخره فقال له ما تريد أن أفعل لك يا ولدى فإن أردت اتلافه أخربت دياره ونهبت أمواله وهتكت حريمه فقال له لا أريد ذلك يا أبي فإنه لم يفعل معي شيأ يوجب ذلك بل أريد اتصالي بها وأريد من احسانك أن تجهز هدية وتقدمها لأبيها ولكن تكون هدية نفيسة وترسلها مع وزيرك صاحب الرأى السديد فقال له أبوه سمعا وطاعة ثم أن أباه قصد ما أدخره من قديم الزمان وأخرج منه كل شيء نفيس ثم عرضه على ولده فاعجبه ثم دعا بالوزير وأرسل ذلك صحبته وأمره أن يسير بذلك إلى الملك عبد القادر ويخطب منه ابنته لابنه ويقول له أقبل هذه الهدية وردّ له الجواب، فسار الوزير متوجها إلى الملك عبد القادر، وكان الملك عبد القادر حزينا من وقت أن فارق الغلام ولم يزل مشغول الخاطر متوقعا خراب ملكه وأخذ ضياعه وإذا بالوزير قد أقبل عليه وسلم وقبل الأرض بين يديه فقام له الملك على الأقدام وقابله بالأكرام فأسرع الوزير ووقع على قدميه وقبلهما وقال له العفو يا ملك الزمان أن مثلك لا يقوم لمثلي وأنا أقل عبيد الخدام وأعلم أيها الملك أن ابن الملك تكلم مع أبيه وعرفه ببعض فضلك عليه واحسانك له فشكرك الملك على ذلك وقد جهز لك صحبة خدامك الذي بين يديك هدية وهو يقرؤك السلام ويخصك بالتحية والأكرام

فلما سمع الملك منه ذلك لم يصدقه من شدة خوفه حتى تقدمت إليه الهدية فلما عرضت عليه وجدها هدية لا يفي بقدرها مالا ولا يقدر ملك من ملوك الأرض على مثلها فصغرت نفسه عنده فعند ذلك نهض الملك قائما على قدميه وحمد الله تعالى وأثنى عليه وقد شكر الملك ذلك الغلام ثم قال له الوزير أيها الملك الكريم أصغ لكلامى وأعلم أن الملك الأعظم قد ورد عليك واختار القرب منك وقد جئتك قاصدا راغبا فى بنتك السيدة المصونة والجوهرة المكنونة حياة النفوس وزواجها بولده أزدشير فإن أجبت لهذا الأمر وكنت به راضيا فاتفق معى على صداقها فلما سمع منه ذلك الكلام قال سمعا وطاعة أما من جهتى أنا فليس عندى مخالفة وهو أحب ما يكون عندى وأما من جهة البنت فأنها بالغة رشيدة وأمرها بيد نفسها وأعلم أن ذلك الأمر راجع إلى البنت فأنها بالاختيار إلى نفسها ثم أنه التفت إلى رئيس الخدام وقال له أمض إلى ابنتى وعرفها بهذه الأحوال فقال رئيس الخدام سمعا وطاعة ثم أنه مشى حتى طلع قصر الحريم ودخل على بنت الملك وقبل يديها وأخبرها بما ذكره الملك ثم قال لها ما تقولين أنت فى جواب هذا الكلام فقالت سمعا وطاعة وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الثامنة والثلاثون بعد السبعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن رئيس خدام الحريم لما أخبر بنت الملك بخطبتها لابن الملك الأعظم قالت سمعا وطاعة فلما سمع رئيس خدام الحريم هذا الكلام رجع إلي الملك وأعلمه بالجواب ففرح بذلك فرحا شديدا ثم أنه دعا بخلعة سنية وأفرغها على الوزير وأمر له بعشرة الاف دينار وقال له أوصل الجواب إلى الملك واستأذنه لى فى أن أنزل إليه فقال الوزير سمعا وطاعة ثم أن الوزير خرج من عند الملك عبد القادر ومشى حتى وصل إلى الملك الأعظم وأوصل إليه الجواب وبلغه ما معه من الكلام ففرح الملك بذلك وأما ابن الملك فإنه قد طار عقله من الفرح وأتسع صدره وأنشرح ثم أذن الملك الأعظم بأن الملك عبد القادر ينزل إليه ويقابله فلما كان فى اليوم الثانى ركب الملك عبد القادر وحضر عند الملك الأعظم فتلقاه ورفع مكانه وحياه وجلس هو وأياه ووقف ابن الملك بين أيديهما ثم قام خطيب من خاصة الملك عبد القادر وخطب خطبة بليغة وهنى ابن الملك بما قد حصل له من بلوغ مراده بتزويجه بالملكة سيدة بنات الملوك ثم أن الملك الأعظم بعد جلوس الخطيب أمر باحضار صندوق مملؤ بالدر والجوهر وخمسين الف

دينار وقال للملك عبد القادر أنى وكيل عن ولدى فى جميع ما أستقر عليه الأمر فاعترف الملك عبد القادر بقبض الصداق ومن جملته خمسون الف دينار من أجل فرح ابنته سيدة بنات الملوك حياة النفوس وبعد هذا الكلام أحضروا القضاة والشهود وكتبوا كتاب بنت الملك عبد القادر على ابن الملك الأعظم أزدشير وكان يوما مشهودا وفرحت فيه سائر المحبين واغتاظ به سائر المبغضين والحاسدين ثم أنهم عملوا الولائم والدعوات وبعد ذلك دخل عليها ابن الملك فوجدها درة ما ثقبت ومهرة لغيره ما ركبت فريدة مصونة وجوهرة مكنونة وظهر ذلك لأبيها ثم أن الملك الأعظم سأل ولده هل بقى فى نفسه حاجة قبل الرحيل قال نعم أيها الملك أعلم أنى أريد الانتقام من الوزير الذى اساءنا والطواشى الذى أفترى الكذب علينا فبعث الملك الأعظم إلى الملك عبد القادر فى الحال يطلب منه ذلك الوزير والطواشى فارسلهما إليه فلما حضرا بين يديه أمر بشنقهما على باب المدينة ثم أقاموا بعد ذلك مدة يسيرة وطلبوا من الملك عبد القادر أذنا لابنته أن تتجهز للسفر فجهزها أبوها وأركبوا ابنة الملك فى تخت من الذهب الأحمر مرصع بالدر والجوهر تجره الخيل الجياد وأخذت معها جميع جواريها وخدمها وعادت الدابة إلى مكانها بعد هروبها وصارت على عادتها وركب الملك الأعظم وولده وركب الملك عبد القادر وجميع أهل مملكته لوداع صهره وابنته وكان يوما يعد من أحسن الأيام فلما بعدوا عن الديار حلف الملك الأعظم على صهره أن يرجع إلى بلاده فودعه ورجع إلى دياره بعد أن ضمه إلى صدره وقبله بين عينيه وشكره على فضله وإحسانه وأوصاه على ابنته وبعد وداع الملك الأعظم وولده رجع إلى ابنته وعانقها ثم قبلت يديه وبكيا فى موقف الوداع ثم رجع إلى مملكته وسار ابن الملك الأعظم هو وزوجته وولده إلى أن وصلوا إلى أرضهم وجدّدوا فرحهم ثم أقاموا فى الذعيش واهناه وأرغده واحلاه إلى أن أتاهم هادم اللذات ومفرق الجماعات ومخرب القصور ومعمر القبور وهذا آخر القصة ومما يحكى أيضا أيها الملك السعيد أنه كان فى قديم الزمان وسالف العصر والآوان فى أرض العجم ملك يقال له شهرمان وكان مستقره خراسان وكان عنده مائة سرية ولم يرزق منهن فى طول عمره بذكر ولا أنثى فتذكر ذلك يوما من الأيام وصار يتأسف حيث مضى غالب عمره ولم يرزق بولد ذكر يرث الملك من بعده كما ورثه هو عن ابائه وأجداده فحصل له بسبب ذلك غاية الغم والقهر الشديد فبينما هو جالس يوما من الأيام إذ دخل عليه

بعض مماليكه وقال له يا سيدى أن على الباب جارية مع تاجر لم ير أحسن منها فقال له على بالتاجر والجارية فاتاه التاجر والجارية فلما رأها وجدها تشبه الرمح الرديني وهى ملفوفة فى أزار من حرير مزركش بالذهب فكشف التاجر عن وجهها فاضاء المكان من حسنها وارتخى لها سبع ذوائب حتى وصلت إلى خلاخلها كاذيال الخيل وهى بطرف كحيل وردف ثقيل وخصر نحيل تشفى سقام العليل وتطفىء نار الغليل كما قال الشاعر فى المعنى هذه الأبيات:

كلفت بها وقد تمت بحسن ... وكملها السكينة والوقار
فلا طالت ولا قصرت ولكن ... روادفها يضيق بها الأزار
قوام بين إيجاز وبسط ... فلا طول يعاب ولا اقتصار
وشعر يسبق الخلخال منها ... ولكن وجهها أبداً نهار

فتعجب الملك من رؤيتها وحسنها وجمالها وقدها واعتدالها وقال للتاجر يا شيخ بكم هذه الجارية قال التاجر يا سيدى اشتريها بالفى دينار من التاجر الذى كان ملكها قبلى ولى ثلاث سنين مسافرا بها فتكلفت إلى أن وصلت إلى هذا المكان ثلاثة الآف دينار وهى هدية منى إليك فخلع عليه الملك خلعة سنية وأمر له بعشرة الآف دينار فأخذها وقبل يدى الملك وشكر فضله واحسانه وأنصرف ثم أن الملك سلم الجارية إلى المواشط وقال لهن أصلحن أحوال هذه الجارية وزينها وأفرشن لها مقصورة وأدخلنها فيها وأمر حجابه أن تنقل إليها جميع ما تحتاج إليه وكانت المملكة التى هو مقيم فيها على جانب البحر وكانت مدينته تسمى المدينة البيضاء فأدخلوا الجارية فى مقصورة وكانت تلك المقصورة لها شبابيك تطل على البحر وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة التاسعة والثلاثون بعد السبعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الملك لما أخذ الجارية وسلمها للمواشط وقال لهن أصلحن شأنها وأدخلنها فى مقصورة وأمر حجابه أن تغلق عليها جميع الأبواب بعد أن ينقلوا لها جميع ما تحتاج إليه فادخلوها فى مقصورة وكانت تلك المقصورة لها شبابيك تطل على البحر ثم أن الملك دخل على الجارية فلم تقم له ولم تفكر فيه فقال الملك كأنها كانت عند قوم لم يعلموها الأدب ثم أنه التفت إلى تلك الجارية فرأها بارعة فى الحسن

والجمال والقد والاعتدال ووجهها كأنه دائرة القمر عند تمامه أ و الشمس الضاحية فى السماء الصاحية فتعجب من حسنها وجمالها وقدها واعتدالها فسبح الله الخالق جلت قدرته ثم أن الملك تقدم إلى الجارية وجلس بجانبها وضمها إلى صدره وأجلسها على فخذه ومص رضاب ثغرها فوجده أحلى من الشهد ثم أنه أمر باحضار الموائد من أفخر الطعام وفيها من سائر الألوان فأكل الملك وصار يلقمها حتى شبعت وهى لم تتكلم بكلمة واحدة فصار الملك يحدثها ويسألها عن أسمها وهى ساكتة لم تنطق بكلمة ولم ترد عليه جوابا ولم تزل مطرقة برأسها إلى الأرض وكان الحافظ لها من غضب الملك عليها فرط حسنها وجمالها والدلال الذى كان لها فقال الملك فى نفسه سبحان الله خالق هذه الجارية ما أظرفها إلا أنها لا تتكلم ولكن الكمال لله تعالى ثم أن الملك سأل الجوارى هل تكلمت فقلن له من حين قدومها إلى هذا الوقت لم تتكلم بكلمة واحدة ولم نسمع لها خطابا فاحضر الملك بعض الجوارى والسرارى وأمرهن أن يغنين لها وينشرحن معها لعلها أن تتكلم فلعبت الجوارى والسرارى قدامها بسائر الملاهى واللعب وغير ذلك وغنين حتى طرب كل من فى المجلس والجارية تنظر إليهن وهى ساكتة ولم تضحك ولم تتكلم فضاق صدر الملك ثم أنه صرف الجوارى وأختلى بتلك الجارية ثم أنه خلع ثيابها وخلع ثياباه بيده ونظر إلى بدنها فرأه كأنه سبيكة فضة فاحبها محبة عظيمة ثم قام الملك وأزال بكارتها فوجدها بنتا بكرا ففرح فرحا شديدا وقال فى نفسه ياالله العجب كيف تكون جارية مليحة القوام والمنظر وابقاها التجار بكرا على حالها ثم أنه مال إليها بالكلية ولم يلتفت إلى غيرها وهجر جميع سراريه والمحاظى وأقام معها سنة كاملة كأنها يوم واحد وهى لم تتكلم فقال لها يوما من الأيام وقد زاد عشقه بها والغرام يامنية النفوس أن محبتك عندى عظيمة وقد هجرت من أجلك جميع جوارى والسرارى والنساء والمحاظى وجعلتك نصيبى من الدنيا وقد طولت روحى عليك سنة كاملة واسأل الله تعالى من فضله أن يلين قلبك لى فتكلمينى وأن كنت خرساء فاعلمينى بالاشارة حتى أقطع العشم من كلامك وأرجو الله سبحانه أن يرزقنى منك بولد ذكر يرث ملكى من بعدى فأنى وحيد فريد ليس لى من يرثنى وقد كبر سنى فبالله عليك أن كنت تحبيننى أن تردى على الجواب فاطرقت الجارية رأسها إلى الأرض وهى تتفكر ثم أنها رفعت رأسها وتبسمت فى وجه الملك فتخيل للملك أن البرق قد ملأ المقصورة وقالت أيها الملك

الهمام والأسد الضرغام قد أستجاب الله دعائك وأني حامل منك وقد آن آوان الوضع ولكن لا أعلم هل الجنين ذكر أو أنثى ولولا أني حملت منك ما كلمتك كلمة واحدة فلما سمع الملك كلامها تهلل وجهه بالفرح والانشراح وقبل رأسها ويديها من شدة الفرح وقال الحمد لله الذى من على باشياء كنت أتمناها الأول كلامك والثانى أخبارك بالحمل منى ثم أن الملك قام من عندها وخرج وجلس على كرسى مملكته وهو فى الانشراح الزائد وأمر الوزير أن يخرج للفقراء والمساكين والأرامل وغيرهم مائة ألف دينار شكر لله تعالى وصدقة عنه ففعل الوزير ما أمره به الملك ثم أن الملك دخل بعد ذلك على الجارية وجلس عندها وحضنها وضمها إلى صدره وقال لها يا سيدتى ومالكة رقى لماذا السكوت ولك عندى سنة كاملة ليلا ونهاراً قائمة نائمة ولم تكلمينى فى هذه السنة إلا فى هذا النهار فما سبب سكونك فقالت الجارية أسمع يا ملك الزمان وأعلم أنى مسكينة غريبة مكسورة الخاطر فارقت أمي وأهلى وأخى فلما سمع الملك كلامها عرف مرادها فقال لها أما قولك مسكينة فليس لهذا الكلام محل فإن جميع ملكى ومتاعى وما أنا فيه فى خدمتك وأنا أيضا صرت مملوكك وأما قولك فارقت أمي وأهلى وأخى فاعلمينى فى أى مكان هم وأنا أرسل إليهم وأحضرهم عندك فقالت له أعلم أيها الملك السعيد أن أسمى جلناز البحرية وكان أبى من ملوك البحر ومات وخلف لنا الملك فبينما نحن فيه إذ تحرك علينا ملك من الملوك وأخذ الملك من أيدينا ولى أخ يسمى صالح وأمي من نساء البحر فتنازعت أنا وأخى فحلفت أن أرمى نفسى عند رجل من أهل البر فخرجت من البحر وجلست على طرف جزيرة فى القمر فجاز بى رجل فاخذنى وذهب بى إلى منزله وراودنى عن نفسى فضربته على رأسه فكادان يموت فخرج بى وباعنى لهذا الرجل الذى أخذتنى منه وهو رجل جيد صالح صاحب دين وأمانة ومرؤة ولولا أن قلبك حبنى فقدمتنى على جميع سراريك ما كنت قعدت عندك ساعة واحدة وكنت رميت نفسى إلى البحر من هذا الشباك وارح إلى أمي وجماعتى وقد أستحيت أن أسير إليهم وأنا حامل منك فيظنون بى سوأ ولا يصدقوننى ولو حلفت لهم إذا أخبرتهم أنه أشترانى ملك بدراهمه وجعلنى نصيبه من الدنيا وأختص بى عن زوجاته وسائر ما ملكت يمينه وهذه قصتى والسلام وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الموفية للأربعين بعد السبعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن جلناز البحرية لما سألها الملك شهرمان حكت له قصتها من أولها إلى آخرها فلما سمع كلامها شكرها وقبلها بين عينيها وقال لها والله يا سيدتى ونور عينى أنى لم أقدر على فراقك ساعة واحدة وأن فارقتينى مت من ساعتى فكيف يكون الحال فقالت يا سيدى قد قرب أوان ولادتى ولابد من حضور أهلى لأجل أن يباشرونى لأن نساء البر لا يعرفن طريقة ولادة بنات البحر وبنات البحر لا يعرفن طريقة ولادة بنات البر فإذا احضر أهلى أنقلب معهم وينقلبون معى فقال لها الملك وكيف يمشون فى البحر ولا يبتلون فقالت أنا نمشى في البحر كما تمشون أنتم فى البر ببركة الاسماء المكتوبة على خاتم سليمان بن داود عليهما للسلام ولكن أيها الملك إذ جاء أهلى وأخوتى فإنى أعلمهم أنك أشتريتنى بمالك وفعلت معى الجميل والاحسان فينبغى أن تصدق كلامى عندهم ويشاهدون حالك بعيونهم ويعلمون أنك ملك ابن ملك فعند ذلك قال الملك يا سيدتى أفعلى ما بدالك مما تحبين فأنى مطيع لك فى جميع ما تفعلينه فقالت الجارية أعلم يا ملك الزمان أنا نسير فى البحر وعيوننا مفتوحة وننظر ما فيه وننظر الشمس والقمر والنجوم والسماء كأنها على وجه الأرض ولا يضرنا ذلك وأعلم أيضا أن فى البحر طوائف كثيرة وأشكال مختلفة من سائر الاجناس التى فى البر وأعلم أيضا أن جميع ما فى البر بالنسبة لما فى البحر شيء قليل جدا فتعجب الملك من كلامها ثم أن الجارية أخرجت من كتفها قطعتين من العود القمارى وأخذت منهما جزأ وأوقدت مجمرة النار وألقت ذلك الجزء فيها وصفرت صفرة عظيمة وصارت تتكلم بكلام لا يفهمه أحد فطلع دخان عظيم والملك ينظر ثم قالت للملك يا مولاى قم واختف فى مخدع حتى أريك أخى وأمى وأهلى من حيث لا يرونك فأنى أريد أن أحضرهم وتنظر فى هذا المكان فى هذا الوقت العجب وتتعجب مما خلق تعالى من الأشكال المختلفة والصور الغريبة فقام الملك من وقته وساعته ودخل مخدعا وصار ينظر ما تفعل فصارت تبخر وتعزم إلى أن أزبد البحر وأضطرب وخرج منه شاب مليح الصورة بهى المنظر كأنه البدر فى تمامه بجبين أزهر وخد أحمر وشعر كأنه الدر والجوهر وهو أشبه الخلق باخته ولسان الحال فى حقه ينشد هذين البيتين:

البدر يكمل كل شهر مرة ... وجمال وجهك كل يوم يكمل

وحلوله فى قلب برج واحد ... ولك القلوب جميعهن المنزل

ثم خرج من البحر عجوز شمطاء ومعها خمس جوار كأنهن الأقمار وعليهن شبه من الجارية التى أسمها جلناز ثم أن الملك رأى الشاب والعجوز والجوارى يمشين على وجه الماء حتى قدموا على الجارية فلما قربوا من الشباك ونظرتهم جلناز قامت لهم وقابلتهم بالفرح والسرور فلما رأوها عرفوها ودخلوا عندها وعانقوها وبكوا بكاء شديدا ثم قالوا لها يا جلناز كيف تتركيننا أربع سنين ولم نعلم المكان الذى أنت فيه والله أنها ضاقت علينا الدنيا من شدة فراقك ولا نلتذ بطعام ولا شراب يوما من الأيام ونحن نبكى بالليل والنهار من فرط شوقنا إليك ثم أن الجارية صارت تقبل يد الشاب أخيها ويد امها وكذلك بنات عمها وجلسوا عندها ساعة وهم يسألونها عن حالها وما جرى لها وعن ما هى فيه فقالت لهم أعلموا أنى لما فارقتكم وخرجت من البحر جلست على طرف جزيرة فأخذنى رجل وباعنى لرجل تاجر فاتى بى التاجر إلى هذه المدينة وباعنى لملكها بعشرة الآف دينار ثم أنه أحتفل بى وترك جميع سراريه ونسائه ومحاظية من أجلى وأشتغل بى عن جميع ما عنده وما فى مدينته فلما سمع أخوها كلامها قال الحمد لله الذى جمع شملنا بك لكن قصدى يا أختى أن تقومى وتروحى معنا إلى بلادنا وأهلنا فلما سمع الملك كلام أخيها طار عقله خوفا على الجارية أن تقبل كلام أخيها ولا يقدر هو أن يمنعها مع أنه مولع بحبها فصار متحيرا شديد الخوف من فراقها وأما الجارية جلناز فأنها لما سمعت كلام أخيها قالت والله يا أخى أن الرجل الذى أشترانى ملك هذه المدينة وهو ملك عظيم ورجل عاقل كريم جيد فى غاية الجود وقد اكرمنى وهو صاحب مرؤة ومال كثير وليس له ولد ذكر ولا أنثى وقد أحسن إلى وصنع معى كل خير ومن يوم جئته إلى هذا الوقت ما سمعت منه كلمة رديئة تسؤ خاطرى ولم يزل يلاطفنى ولا يفعل شيئاً إلا بمشاورتى وأنا عنده فى أحسن الأحوال وأتم النعم وأيضا متى فارقته يهلك فأنه لم يقدر على فراقى أبدا ولا ساعة واحدة وأن فارقته أنا الأخرى مت من شدة محبتى أياه بسبب فرط احسانه لى مدة مقامى عنده فأنه لو كان أبى حيا ما كان لى مقام عنده مثل مقامى عند هذا الملك العظيم الجليل المقدار وقد رأيتمونى حاملة منه والحمد لله الذى جعلنى بنت ملك البحر وزوجى أعظم ملوك البر ولم يقطع الله تعالى بى وعوضنى خيرا وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الحادية والأربعون بعد السبعمائة

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن جلناز البحرية لما حكت لأخيها جميع حكايتها وقالت أن الله تعالى لم يقطع بي وعوضني خيرا وأن الملك ليس له ولد ذكر ولا أنثى وأطلب من الله تعالى أن يرزقني بولد ذكر يكون وارثا عن هذا الملك العظيم ما خوله الله تعالى من هذه العمارات والقصور والاملاك فلما سمع أخوها وبنات عمها كلامها قرت أعينهن بذلك الكلام وقالوا لها يا جلناز أنت تعلمين بمنزلتك عندنا وتعرفين محبتنا أياك وتتحققين أنك أعز الناس جميعا عندنا وتعتقدين أن قصدنا لك الراحة من غير مشقة ولا تعب فإن كنت في غير راحة فقومي معنا إلى بلادنا وأهلنا وأن كنت مرتاحة هنا في معزة وسرور فهذا هو المراد والمنى فأننا لا نريد الاراحتك على كل حال فقالت جلناز والله أني في غاية الراحة والهناء والعز والمنى فلما سمع الملك منها ذلك الكلام فرح واطمأن قلبه وشكرها على ذلك وأزداد فيها حبا ودخل حبها في صميم قلبه وعلم منها أنها تحبه كما يحبها وأنها تريد القعود عنده حتى ترى ولده منها ثم أن الجارية التي هي جلناز البحرية أمرت جواريها أن تقدم الموائد والطعام من سائر الألوان وكانت جلناز هي التي باشرت الطعام في المطبخ فقدمت لهم الجواري الطعام والحلويات والفواكه ثم أنها أكلت هي وأهلها وبعد ذلك قالوا لها يا جلناز أن سيدك رجل غريب منا وقد دخلنا بيته من غير أذنه ولم يعلم بنا وأنت تشكرين لنا فضله وأيضا أحضرتي لنا طعامه فأكلنا ولم نجتمع به ولم نره ولم يرنا ولا حضر عندنا ولا أكل معنا حتى يكون بيننا وبينه خبز وملح وأمتنعوا كلهم من الأكل واغتاظوا عليها وصارت النار تخرج من أفواههم كالمشاعل فلما رأى الملك ذلك طار عقله من شدة الخوف منهم ثم أن جلناز قامت إليهم وطيبت خواطرهم ثم بعد ذلك تمشت إلى أن دخلت المخدع الذي فيه الملك سيدها وقالت له يا سيدي هل رأيت وسمعت شكري لك وثنائي عليك عند أهلي وسمعت ما قالوا لي من أنهم يريدون أن يأخذوني معهم إلي أهلنا وبلادنا فقال لها الملك سمعت ورأيت جزاك الله عنا خيرا والله ما علمت قدر محبتي عندك إلا في هذه الساعة المباركة ولم أشك في محبتك أياي فقالت له يا سيدي هل جزاء الاحسان إلا الاحسان وأنت قد أحسنت إلي وتكرمت عليّ بجلائل النعم وأراك تحبني غاية المحبة وعملت معي كل جميل واخترتني على جميع من تحب وتريد فكيف يطيب قلبي على فراقك والرواح من عندك وكيف يكون ذلك وأنت تحسن

وتتفضل على فاريد من فضلك أن تأتى وتسلم على أهلى وتراهم ويروك ويحصل الصفاء والود بينكما ولكن أعلم يا ملك الزمان أن أخى وأمى وبنات عمى قد أحبوك محبة عظيمة لما شكرتك لهم وقالوا ما نروح إلى بلادنا من عندك حتى نجتمع بالملك ونسلم عليه فيريدون أن ينظروك ويأتنسوابك فقال لها الملك سمعا وطاعة فإن هذا هو مرادى ثم أنه قام من مقامه وسار إليهم وسلم عليهم باحسن سلام فبادروا إليه بالقيام وقابلوه أحسن مقابلة وجلس معهم فى القصر وأكل معهم على المائدة وأقام هو وأياهم مدة ثلاثين يوما ثم بعد ذلك أرادوا التوجه إلى بلادهم ومحلهم فأخذوا خاطر الملك والملكة جلناز البحرية ثم ساروا من عندهما بعد أن أكرمهم الملك غاية الأكرام وبعد ذلك أستوفت جلناز أيام حملها وجاء وأن الوضع فوضعت غلاما كأنه البدر فى تمامه فحصل للملك بذلك غاية السرور لأنه ما رزق بولد ولا بنت فى عمره فاقاموا الافراح والزينة مدة سبعة أيام وهم فى غاية السرور والهاء وفى اليوم السابع حضرت أم الملكة جلناز وأخوها وبنات عمها الجميع لما علموا أن جلناز قد وضعت وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الثانية والأربعون بعد السبعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن جلناز لما وضعت وجاء إليها أهلها قابلهم الملك وفرح بقدومهم وقال لهم أنا قلت ما أسمى ولدى حتى تحضروا وتسموه أنتم بمعرفتكم فسموه بدر باسم وأتفقوا جميعا على هذا الاسم ثم أنهم عرضوا الغلام على خاله صالح فحمله على يديه وقام به من بينهم وتمشى فى القصر يمينا وشمالا ثم خرج به من القصر ونزل به إلى البحر المالح ومشى حتى خفى عن عين الملك فلما رأه الملك أخذ ولده وغاب عنه فى قاع البحر يئس منه وصار يبكى وينتحب فلما رأته جلناز على هذه الحالة قالت له يا ملك الزمان لا تخف ولا تحزن على ولدك فأنا أحب ولدى أكثر منك وأن ولدى مع أخى فلا تبالى من البحر ولا تخشى عليه من الغرق ولو علم أخى أنه يحصل للصغير ضرر ما فعل الذى فعله وفى هذه الساعة يأتيك بولدك سالما إن شاء الله تعالى فلم يكن غير ساعة إلا والبحر قد أختبط وأضطرب وطلع منه خال الصغير ومعه ابن الملك سالما وطار من البحر إلى أن وصل إليهم والصغير على يديه هو ساكت ووجهه كالقمر فى ليلة تمامه ثم أن خال الصغير نظر الى الملك وقال له لعلك خفت على ولدك ضررا لما نزلت به

فى البحر وهو معى فقال نعم يا سيدى خفت عليه وما ظننت أنه يسلم منه قط فقال له يا ملك البر إنا كحلناه بكحل نعرفه وقرأنا عليه الأسماء المكتوبة على خاتم سليمان ابن داود عليهما السلام فإن المولود إذا ولد عندنا صنعنا به ما ذكرت لك فلا تخف عليه من الغرق ولا الخنق ولا من سائر البحار إذا نزل فيها ومثل ما تمشون أنتم فى البر نمشى نحن فى البحر ثم أخرج من جيبه محفظة مكتوبة مختومة ففض ختامها ونثرها فنزل منها جواهر منظومة من سائر أنواع اليواقيت والجواهر وثلثمائة قضيب من الزمرد وثلثمائة قصبة من الجواهر الكبار التى قدر بيض النعام نورها اضوء من نور الشمس والقمر وقال يا ملك الزمان هذه الجواهر واليواقيت هدية منى إليك لأننا ما أتيناك بهدية قط لأننا ما كنا نعلم موضع جلناز ولا نعرف لها أثر ولا خبر فلما رأيناك أتصلت بها وقد صرنا كلنا شيئاً واحد اتيناك بهذه الهدية وبعد كل قليل من الأيام نأتيك بمثلها أن شاء الله تعالى لأن هذه الجواهر واليواقيت عندنا أكثر من الحصا فى البر ونعرف جيدها ورديئها وجميع طرقها ومواضعها وهى سهلة علينا فلما نظر الملك إلى تلك الجواهر واليواقيت أندهش عقله وحار لبه وقال والله أن جوهرة من هذه الجواهر تعادل ملكى ثم أن الملك شكر فضل صالح البحرى ونظر إلى الملكة جلناز وقال لها أنا أستحيت من أخيك لأنه تفضل على وهادانى بهذه الهدية السنية التى يعجز عنها أهل الأرض فشكرت جلناز أخاها على ما فعل فقال أخوها يا ملك الزمان أن لك علينا حقا قد سبق وشكرك علينا قد وجب لأنك قد أحسنت إلى أختى ودخلنا منزلك وأكلنا زادك وقد قال الشاعر:

فلو قبل مبكاها بكيت صبابة ... بسعدى شفيت النفس قبل التندم
ولكن بكت قبلى فهيج لى البكا ... بكاها فقلت الفضل للمتقدم

ثم قال صالح ولو وقفنا فى خدمتك يا ملك الزمان ألف سنة على وجوهنا ما قدرنا أن نكافئك وكان ذلك فى حقك قليل فشكره الملك شكرا بليغا وأقام صالح عند الملك هو وأمه وبنات عمه أربعين يوما ثم أن صالحا أخا جلناز قام وقبل الأرض بين يدى الملك زوج أخته فقال له ما تريد يا صالح فقال صالح يا ملك الزمان قد تفضلت علينا والمراد من أحسانك أن تتصدق علينا وتعطينا إذنا فإننا قد أشتقنا إلى أهلنا وبلادنا وأقاربنا وأوطاننا ونحن ما بقينا ننقطع عن خدمتك ولا عن أختى ولا عن ابن أختى فوالله يا ملك الزمان ما يطيب لقلبى فراقكم ولكن كيف نعمل ونحن قد ربينا فى البحر وما يطيب لنا

البر فلما سمع الملك كلامه نهض قائما على قدميه وودع صالحا البحرى وأمه وبنات عمه وتباكو للفراق ثم قالوا له عن قريب نكون عندكم ولا نقطعكم ابدا وبعد كل قليل من الأيام نزوركم ثم أنهم طاروا وقصدوا البحر حتى صاروا فيه وغابوا عن العين وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الثالثة والأربعون بعد السبعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن أقارب جلناز البحرية لما ودعوا الملك وجلناز تباكوا من أجل فراقهم ثم أنهم طاروا ونزلوا فى البحر وغابوا عن العين فاحسن الملك إلى جلناز واكرمها إكراما زائداً ونشأ الصغير منشأ حسنا وكان خاله وجدته وخالته وبنات عم أمه بعد كل قليل من الأيام يأتون محل الملك ويقيمون عنده الشهر والشهرين ثم يرجعون إلى أماكنهم ولم يزل الولد يزداد بزيادة السن حسنا وجمالا إلى أن صار عمره خمسة عشر عاما وكان فريداً فى كماله وقده وأعتداله وقد تعلم الخط والقراءة والأخبار والنحو واللغة والرمى بالنشاب وتعلم اللعب بالرمح وتعلم الفروسية وسائر ما تحتاج إليه أولاد الملوك ولم يبق أحد من أولاد أهل المدينة من الرجال والنساء الاوله حديث بمحاسن ذلك الصبى لأنه كان بارع الجمال والكمال متصفاً بمضمون قول الشاعر:

كتب العذار بعمبر فى لؤلؤ ... سطرين من سبج على تفاح
القتل فى الحدق المراض أذرنت ... والسكر فى الوجنات لافى الراح

فكان الملك يحبه محبة عظيمة ثم أن الملك أحضر الوزير والأمراء وأرباب الدولة وأكابر المملكة وحلفهم الإيمان الوثيقة أنهم يجعلون بدر باسم ملكا عليهم بعد أبيه فحلفوا له الإيمان الوثيقة وفرحوا بذلك وكان الملك محسنا فى حق العالم وكان لطيف الكلام محضر خير لا يتكلم إلا بما فيه المصلحة للناس ثم أن الملك ركب فى ثانى يوم هو وأرباب الدولة وسائر الأمراء وجميع العساكر مشوافى المدينة ورجعوا فلما قاربوا القصر ترجل الملك فى خدمة ولده وصار هو وسائر الأمراء وأرباب الدولة يحملون الغاشية قدامه فصار كل واحد من الأمراء وأرباب الدولة يحمل الغاشية ساعة فلم يزالوا سائرين إلى أن وصلوا إلى دهليز القصر وهو راكب ثم ترجل فحضنه أبوه هو والأمراء وأجلسوه على سرير الملك ووقف أبوه وكذلك الأمراء قدامه ثم أن بدر باسم حكم بين

الناس وعزل الظالم وولى العادل واستمر فى الحكومة إلى قريب الظهر ثم قام عن سرير الملك ودخل على أمه جلناز البحرية وعلى رأسه التاج وهو كأنه القمر فلما رأته أمه والملك بين يديه قامت إليه وقبلته وهنته بالسلطنة ودعت له ولوالده بطول البقاء والنصر على الاعداء فجلس عند والدته واستراح ولما كان وقت العصر ركب والأمراء بين يديه حتى وصل إلى الميدان ولعب بالسلاح إلى وقت العشاء مع أبيه وأرباب دولته ثم رجع إلى القصر والناس جميعهم بين يديه وصار فى كل يوم يركب إلى الميدان وإذا رجع يقعد للحكومة بين الناس وينصف بين الأمير والفقير ولم يزل كذلك مدة سنة كاملة وبعد ذلك صار يركب للصيد والقنص ويدور فى البلدان والأقاليم التى تحت حكمه وينادى بالأمان والاطمئنان ويفعل ما تفعل الملوك وكان أوحد أهل زمانه فى العز والشجاعة والعدل بين الناس فاتفق أن الملك والد بدر باسم مرض يوما من الأيام فخفق قلبه وحس بالانتقال إلى دار البقاء ثم أزداد به المرض حتى أشرف على الموت فاحضر ولده ووصاه بالرعية ووصاه بوالدته وبسائر أرباب دولته وبجميع الأتباع وحلفهم وعاهدهم على طاعة ولده ثانى مرة واستوثق منهم بالإيمان ثم مكث بعد ذلك أياما قلائل وتوفى إلى رحمة الله تعالى فحزن عليه ولده بدر باسم وزوجته جلناز والأمراء والوزراء وأرباب الدولة وعملوا له تربة ودفنوه بها ثم أنهم قعدوا فى عزائه شهرا كاملا وأتى صالح أخو جلناز وأمها وبنات عمها وعزوهم فى الملك وقالوا يا جلناز أن كان الملك مات فقد خلف هذا الغلام الماهر ومن خلف مثله ما مات وهذا هو العديم النظير الأسد الكاسر وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الرابعة والأربعون بعد السبعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن أخا جلناز صالحا وأمها وبنات عمها قالوا لها أن كان الملك قد مات فقد خلف هذا العديم النظير الأسد الكاسر والقمر الزاهر ثم أن أرباب الدولة والأكابر دخلوا على الملك بدر باسم وقالوا له يا ملك لا بأس بالحزن على الملك ولكن الحزن لا يصلح إلا للنساء فلا تشغل خواطرك وخاطرنا بالحزن على والدك فإنه قد مات وخلفك ومن خلف مثلك ما مات ثم أنهم لا طفوه وسلوه وبعد ذلك أدخلوه الحمام فلما خرج من الحمام لبس بدلة فاخرة منسوجة من الذهب مرصعة بالجوهر والياقوت ووضع تاج الملك على رأسه وجلس على سرير ملكه وقضى أشغال الناس

وأنصف القوى من الضعيف وأخذ للفقير حقه من الأمير فاحبه الناس حبا شديدا ولم يزل كذلك مدة سنة كاملة وبعد كل مدة قليلة تزوره أهله البحرية فطاب عيشه وقرت عينه ولم يزل على هذه الحالة مدة مديدة فاتفق أن خاله دخل ليلة من الليالى على جلناز وسلم عليها فقامت له وأعتنقته وأجلسته إلى جانبها وقالت له يا أخى كيف حالك وحال والدتى وبنات عمى فقال لها يا أختى أنهم طيبون بخير وحظ عظيم ولم ينقص عليهم إلا النظر إلى وجهك ثم أنها قدمت له شيئاً من الأكل فأكل ودار الحديث بينهما وذكروا الملك بدر باسم وحسنه وجماله وقده واعتداله وفروسيته وعقله وادبه وكان الملك بدر باسم متكئا فلما سمع أمه وخاله يذكرانه ويتحدثان فى شأنه أظهر أنه نائم وصار يسمع حديثهما فقال صالح لأخته جلناز أن عمر ولدك سبعة عشر عاما ولم يتزوج ونخاف أن يجرى له أمر ولم يكن له ولد فأريد أن ازوجه بملكة من ملكات البحر تكون فى حسنه وجماله فقالت جلناز إذ كرهن لى فأنى أعرفهن فصار يعدهن لها واحدة بعد واحدة وهى تقول ما أرضى هذه لولدى ولا أزوجه إلا بمن تكون مثله فى الحسن والجمال والعقل والدين والأدب والمرؤة والملك والحسب والنسب فقال لها ما بقيت أعرف واحدة من بنات الملوك البحرية وقد عددت لك زكثر من مائة بنت وأنت ما يعجبك واحدة منهن ولكن أنظرى يا أختى هل أبنك نائم أولا فجسته فوجدت عليه أثار النوم فقالت له أنه نائم فما عندك من الحديث وما قصدك بنومه فقال لها يا أختى أعلمى أنى قد تذكرت بنتا من بنات البحر تصلح لابنك وأخاف أن أذكرها فيكون ولدك منتبها فيتعلق قلبه بمحبتها وربما لا يمكننا الوصول إليها فيتعب هو ونحن وأرباب دولته ويصير لنا شغل بذلك وقد قال الشاعر:

العشق أول ما يكون مجاجة ... فإذا تحكم صار بحرا واسعا

فلما سمعت أخته كلامه قالت له قل لى ما شأن هذه البنت وما أسمها فأنا أعرف بنات البحر من ملوك وغيرهم فإذا رأيتها تصلح له خطبتها من أبيها ولو أنى أصرف جميع ما تملكه يدى عليها فأخبرنى بها ولا تخش شيئاً فإن ولدى نائم فقال أخاف أن يكون يقظانا وقد قال الشاعر:

عشقته عندما أوصافه ذكرت ... والأذن تعشق قبل العين أحيانا

فقالت له جلناز قل وأوجز ولا تخف يا أخى فقال والله يا أختى ما يصلح لابنك إلا الملكة جوهرة بنت الملك السمندل وهى مثله فى الحسن والجمال والبهاء والكمال ولا

يوجد في البحر ولا فـي البر الطف ولا أحلى شمائل منها لأنـها ذات حسن وجمال وقد وأعتدال وخد أحمر وجبين أزهر وشعر كـأنه الجوهر وطرف أحور وردف ثقيل وخصر نحيل ووجه جميـل أن التفتت تخجل المهى والغزلان وأن خطـرت يغار غصن البان وإذا أسفرت تخـجل الشمس والقـمر وتسبى كل مـن نظر عذبة المراشـف لينة المعاطـف فلما سمعت كلام أخيها قالت له صدقت يا أخي والله أني رأيتها مرارا عديدة وكانت صاحبتى ونحن صغـار وليس لنا اليوم مـعرفة ببعضنـا لموجب البعدولى الـيوم ثمانية عشـر عاما ما رأيتها والله ما يصلح لـولدى الاهى فلما سمع بدر باسم كلامهمـا وفهم ما قالاه من أوله إلى آخره فى وصف الـبنت التى ذكرها صالح وهى جـوهرة بنت الملك السمنـدل عشقها بالسماع وأظهر لهم أنه نائم وصار فى قلبه من أجلها لهيب النار وغرق فى بحر لا يدرك له ساحل ولا قرار وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الخامسة والأربعون بعد السبعمائة

قالت بـلغنى أيهـا الملك السـعيد أن الملك بـدر باسم لما سمـع كلام خاله صـالح وامه جلناز فى وصف بنت الملك السمندل صار فى قـلبه من أجلها لهيب النار وغرق فى بحر لا يدرك له ساحل ولا قرار ثم أن صالحا نظر إلى أختـه جلناز وقال لها والله يا أختى ما فى ملوك البحـر أحمق من أبيها ولا أقوى سطوة مـنه فلا تعلمي ولدك بحـديث هذه الجارية حتى نخطبها له مـن أبيها فإن أنعم باجابتنا حمدنا الله تعـالى وإن ردّنا ولم يزوجها لابنك فنستريـح ونخطب غيرها فلـما سمعت جلناز كـلام أخيها صالح قالت نـعم الرأى الذى رأيته ثم أنهما سكتا وباتا تلك الليلة والملـك بدر باسم فى قلبه لهيب النار من عشق الملكة جوهرة وكتم حديـثه ولم يقل لامه ولا لخاله شيئـاً من خبرها مع أنه من حبهـا على مقالى الجمر فـلما أصبـحوا دخل الملـك هو وخاله الحمـام واغتسلا ثـم خرجا وشربـا الشراب وقدموا بـين أيديهم الـطعام فأكـل الملك بدر بـاسم وأمه وخالـه حتى أكتـفوا ثم غسـلوا أيديهم وبعد ذلـك قام صالح على قدميه وقال لـلملك بدر باسم وأمه جلنـاز عن أذنكما قد عزمت على الرواح إلى الوالدة فإن لى عنـدكم مدة أيام وخاطرهم مشغول على وهم فى أنتظارى فقال الملـك بدر باسم لخاله صالح أقعد عندنا هذا اليوم فـامتثل كلامه ثم أنه قال قم بـنا ياخالى وأخرج بـنا إلى البسـتان فذهبا إلـى البستان وصارا يـتفرجان ويتـنزهان

فجلس الملك بدر باسم تحت شجرة مظلة وأراد أن يستريح وينام فتذكر ما قاله خاله صالح من وصف الجارية وما فيه من الحسن والجمال فبكى بدموع غزار وأنشد هذين البيتين:

لو قيل لى ولهيب النار متقد   والنار فى القلب والاحشاء تضطرم
أهم أحب إليك أن تشاهدهم   أم شربة من زلال الماء قلت هم

ثم شكى وأنّ وبكى وأنشد هذين البيتين:

من مجيرى من عشق ظبية أنس   ذات وجه كالشمس بل هو أجمل
كان قلبى من حبها مستريحا   فتلظى بحب بنت السمندل

فلما سمع خاله صالح مقاله دق يداً على يد وقال لا إله إلا الله محمد رسول الله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ثم قال له هل سمعت يا ولدى ما تكلمت به أنا وأمك من حديث الملكة جوهرة وذكرنا لاوصافها فقال بدر باسم نعم يا خالى وعشقتها على السماع حين سمعت ما قلتم من الكلام وقد تعلق قلبى بها وليس لى صبر عنها فقال له يا ملك دعنا نرجع إلى أمك ونعلمها بالقضية وأستأذنها فى أنى أخذك معى وأخطب لك الملكة جوهرة ثم نودعها وأرجع أنا وأنت لأنى أخاف أن أخذتك وسرت من غير أذنها أن تغضب على ويكون الحق معها لأنى أكون السبب فى فراقكما كما أنى كنت السبب فى أفتراقها منا وتبقى المدينة بلا ملك وليس عندهم من يسوسهم وينظر أحوالهم فيفسد عليك أمر المملكة ويخرج الملك من يدك فلما سمع بدر باسم كلام خاله صالح قال له أعلم يا خالى أنى متى رجعت إلى أمى وشاورتها فى ذلك لم تمكننى من ذلك فلا أرجع إليها ولا أشاورها أبدا وبكى قدام خاله وقال له أروح معك ولا أعلمها ثم أرجع فلما سمع صالح كلام ابن أخته حارفى أمره وقال أستعنت بالله تعالى على كل حال ثم أن خاله صالحا لما رأى ابن أخته على هذه الحالة وعلم أنه لا يحب أن يرجع إلى أمه بل يروح معه أخرج من أصبعه خاتما منقوشا عليه أسماء من أسماء الله تعالى وناول الملك بدر باسم أياه وقال له أجعل هذا فى أصبعك تأمن من الغرق ومن غيره ومن شر دواب البحر وحيتانه فأخذ الملك بدر باسم الخاتم من خاله صالح وجعله فى أصبعه ثم أنهما غطسا فى البحر وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة السادسة والأربعون بعد السبعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الملك بدر باسم وخاله صالحا لما غطسا فى البحر سارا ولم يزالا سائرين حتى وصلا إلى قصر صالح فدخلاه فرأته جدته أم أمه وهى قاعدة وعندها أقاربها فلما دخلا عليهم قبلا أيديهم فلما رأته جدته قامت إليه وأعتنقته وقبلت ما بين عينيه وقالت له قدوم مبارك يا ولدى كيف خلفت أمك جلناز قال لها طيبة بخير وعافية وهى تسلم عليك وعلى بنات عمها ثم أن صالحا أخبر أمه بما وقع بينه وبين أخته جلناز وأن الملك بدر باسم عشق الملكة جوهرة بنت الملك السمندل على السماع وقص لها القصة من أولها إلى أخرها وقال أنه ما أتى إلا ليخطبها من أبيها ويتزوجها فلما سمعت جدة الملك بدر باسم كلام صالح أغتاظت عليه غيظا شديدا وأنزعجت وأغتمت وقالت له يا ولدى لقد أخطأت يذكر الملكة جوهرة بنت الملك السمندل قدام ابن أختك لأنك تعلم أن الملك السمندل أحمق جبار قليل العقل شديد السطوة بخيل بابنته جوهرة على خطابها فإن سائر ملوك البحر خطبوها منه فأبى ولم يرض بأحد منهم بل ردهم وقال لهم ما أنتم أكفاء لها فى الحسن ولا فى الجمال ولا فى غيرهما ونخاف أن نخطبها من أبيها فيردنا كما رد غيرنا ونحن أصحاب مرؤة فنرجع مكسورين الخاطر فلما سمع صالح كلام أمه قال لها يا أمى كيف يكون العمل فإن الملك بدر باسم قد عشق هذه البنت لما ذكرتها لاختي جلناز وقال لابد أن نخطبها من أبيها ولو أبذل جميع ملكى وزعم أنه لم كم يتزوج بها يموت فيها عشقا وغراما ثم أن صالحا قال لأمه أعلمى أن ابن أختى أحسن وأجمل منها وأن أباه كان ملك العجم باسره وهو الآن ملكهم ولا تصلح جوهرة الاله وقد عزمت على أنى آخذ جواهر من يواقيت وغيرها وأحمل هدية تصلح له وأخطبها منه فإن أحتج علينا بأنه ملك فهو أيضا ملك ابن ملك وأن أحتج علينا بالجمال فهو أجمل منها وأن أحتج علينا بسعة المملكة فهو أوسع مملكة منها ومن أبيها وأكثر أجنادا وأعوانا فإن ملكة أكبر من ملك أبيها ولابد أن أسعى فى قضاء حاجة ابن أختى ولو أن روحى تذهب لأنى كنت سبب هذه القضية ومثل ما رميته فى بحار عشقها أسعى فى زواجه بها والله تعالى يساعدنى على ذلك فقالت له أمه أفعل ما تريد وأيام أن تغلظ عليه بالكلام إذا كلمته فأنك تعرف حماقته وسطوته وأخاف أن يبطش ك لأنه لم يعرف قدر أحد فقال لها السمع والطاعة ثم أنه نهض وأخذ معه جرابين مـلآنين من الجواهر واليواقيت وقضبان الزمرد ونفايس المعادن من سائر الأحجار وحملهما لغلمانه وسار بهم هو وابن

أخته إلى قصر الملك السمندل واستأذن فى الدخول عليه فأذن له فلما دخل قبل الأرض بين يديه وسلم بأحسن سلام فلما رأه الملك السمندل قام إليه وأكرمه غاية الأكرام وأمره بالجلوس فجلس فلما أسترق به الجلوس قال له الملك قدوم مبارك أوحشتنا يا صالح ما حاجتك حتى أنك أتيت إلينا فأخبرنى بحاجتك حتى أقضيها لك فقام وقبل الأرض ثانى مرة وقال يا ملك الزمان حاجتى إلى الله وإلى الملك الهمام والاسد الضرغام الذى بمحاسن ذكره سارت الركبان وشاع خبره فى الأقاليم والبلدان بالجود والأحسان والعفو والصفح والامتنان ثم أنه فتح الجرابين وأخرج منهما الجواهر وغيرها ونثرها قدام الملك السمندل وقال له يا ملك الزمان عساك تقبل هديتى وتتفضل على وتجبر قلبى بقبولها منى وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة السابعة والأربعون بعد السبعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن صالحا لما قدم الهدية إلى الملك السمندل وقال له القصد من الملك أن يتفضل على ويجبر قلبى بقبولها منى قال له الملك السمندل لأى سبب أهديت لى هذه الهدية قل لى قصتك وأخبرنى بحاجتك فإن كنت قادرا على قضائها قضيتها لك فى هذه الساعة ولا أحوجك إلى تعب وأن كنت عاجزا عن قضائها فلا يكلف الله نفسا إلا وسعها فقام وقبل الأرض ثلاث مرات وقال يا ملك الزمان أن حاجتى أنت قادر على قضائها وهى تحت حوزك وأنت مالكها ولم أكلف الملك مشقة ولم أكن مجنونا حتى أخاطب الملك فى شيء لا يقدر عليه فبعض الحكماء قال إذا أردت أن تطاع فسل عن ما يستطاع فأما حاجتى التى جئت فى طلبها فإن الملك حفظه الله قادر عليها فقال له الملك اسأل حاجتك وأشرح قضيتك وأطلب مرادك فقال له يا ملك الزمان أعلم أنى قد أتيتك خاطبا راغبا فى الدرة اليتيمة والجوهرة المكنونة الملكة جوهرة بنت مولانا فلا تخيب أيها الملك قاصدك فلما سمع الملك كلامه ضحك حتى أستلقى على قفاه أستهزاء به وقال يا صالح كنت أحسبك رجلا عاقلا وشابا فاضلا لا تسعى الابسداد ولا تنطق الابرشاد وما الذى أصاب عقلك ودعاك إلى هذا الأمر العظيم والخطر الجسيم حتى أنك تخطب بنات الملوك أصحاب البلدان والأقاليم وهل بلغ من قدرك أنك أنتهيت إلي هذه الدرجة العالية وهل نقص عقلك إلى هذه الغاية حتى تواجهنى بهذا الكلام فقال صالح أصلح الله الملك أنى لم أخطبها لنفسى ولو خطبتها لنفسى كنت كفؤا لها بل أكثر لأنك تعلم أن أبى ملك من ملوك البحر وأن كنت اليوم ملكنا ولكن أنا ما خطبتها إلا للملك

بدر باسم صاحب أقاليم العجم وأبوه الملك شهرمان وأنت تعرف سطوته وأن زعمت أنك ملك عظيم فالملك بدر باسم ملك أعظم وأن أدعيت أن ابنتك جميلة فالملك بدر باسم أجمل منها وأحسن صورة وأفضل حسبا ونسبا فأنه فارس زمانه فأن أجبت إلى ماسألتك تكن يا ملك الزمان قد وضعت الشيء فى محله وأن تعاظمت علينا فأنك ما أنصفتنا ولا سلكت بنا الطريق المستقيم وأنت تعلم أيها الملك أن هذه الملكة جوهرة بنت مولانا الملك لابد لها من الزواج فإن الحكيم يقول لابد للبنت من الزواج أو القبر فإن كنت عزمت على زواجها فإن ابن أختى أحق بها من سائر الناس فلما سمع الملك كلام الملك صالح أغتاظ غيظا شديدا وكاد عقله أن يذهب وكادت روحه أن تخرج من جسده وقال له يا كلب الرجال هل مثلك يخاطبنى بهذا الكلام وتذكر أبنتى فى المجالس وتقول أن ابن أختك جلناز كفؤلها فمن هو أنت ومن هى أختك ومن هو أبنها ومن هو أبوه حتى تقول لى هذا الكلام وتخاطبنى بهذا الخطاب فهل أنتم بالنسبة إليها إلا كلاب ثم صاح على غلمانه وقال يا غلمان خذوا رأس هذا العلق فأخذوا السيوف وجردوها وطلبوه فولى هاربا ولباب القصر طالبا فلما وصل إلى باب القصر رأى أولاد عمه وقرائبه وعشيرته وغلمانه وكانوا أكثر من ألف فارس غارقين فى الحديد والزرد النضيد وبايديهم الرماح وبيض الصفاح فلما رأوا صالحا على تلك الحالة قالوا له ما الخبر فحدثهم بحديثه وكانت أمه قد أرسلتهم إلى نصرته فلما سمعوا كلامه علموا أن الملك أحمق شديد السطوة فترجلوا عن خيولهم وجردوا سيوفهم ودخلوا على الملك السمندل فرأوه جالسا على كرسى مملكته غافلا عن هؤلاء وهو شديد الغيظ على صالح ورأوا خدامه وغلمانه وأعوانه غير مستعدين فلما رأهم وبايديهم السيوف مجردة صاح على قومه وقال يا ويلكم خذوا رؤس هؤلاء الكلاب فلم تكن غير ساعة حتى أنهزم قوم الملك السمندل وركنوا إلى الفرار وكان صالح وأقاربه قد قبضوا على الملك السمندل وكتفوه وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الثامنة والأربعون بعد السبعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن صالحا وأقاربه كتفوا الملك السمندل ثم أن جوهرة لما أنتبهت علمت أن أباها قد أسر وأن أعوانه قد قتلوا فخرجت من القصر هاربة إلى

بعض الجزائر ثم أنها قصدت شجرة عالية وأختفت فوقها ولما أقتتل هؤلاء الطائفتان فر بعض غلمان الملك السمندل هاربين فرأهم بدر باسم فسألهم عن حالهم فاخبروه بما وقع فلما سمع أن الملك السمندل قبض عليه ولى هاربا وخاف على نفسه وقال في قلبه أن هذه الفتنة كانت من أجلى وما المطلوب إلا أنا فولى هاربا وللنجاة طالبا وصار لا يدرى أين يتوجه فساقته المقادير الأزلية إلى تلك الجزيرة التى فيها جوهرة بنت الملك السمندل فاتى عند الشجرة وأنطرح مثل القتيل وأراد الراحة بانطراحه ولا يعلم أن كل مطلوب لم يسترح ولا يعلم أحد ما خفى له فى الغيب من المقادير فلما رقد رفع بصره نحو الشجرة فوقعت عينه في عين جوهرة فنظر إليها فرأها كأنها القمر إذا أشرق فقال سبحان خالق هذه الصورة البديعة وهو خالق كل شيء وهو على كل شيء قدير سبحان الله العظيم الخالق البارىء المصور والله إن صدقنى حذرى تكون هذه جوهرة بنت الملك السمندل وأظنها لما سمعت بوقوع الحرب بينهما هربت وأتت إلى هذه الجزيرة وأختفت فوق هذه الشجرة وأن لم تكن هذه هى الملكة جوهرة فهذه أحسن منها ثم أنه صار متفكرا فى أمرها وقال فى نفسه أقوم أمسكها واسألها عن حالها فإن كانت هى فأنى أخطبها من نفسها وهذا هو بغيتى فانتصب قائما على قدميه وقال لجوهرة يا غاية المطلوب من أنت ومن أتى بك إلى هذا المكان فنظرت جوهرة إلى بدر باسم فرأته كأنه البدر إذا ظهر من تحت الغمام الأسود وهو رشيق القوام مليح الابتسام فقالت له يا مليح الشمائل أنا الملكة جوهرة بنت الملك السمندل وقد هربت فى هذا المكان لأن صالحا وجنده تقاتلوا مع أبى وقتلوا جنده وأسروه هو وبعض جند فهربت أنا خوفا على نفسى ثم أن الملكة جوهرة قالت للملك بدر باسم وأنا ما أتيت إلى هذا المكان الاهاربة خوفا من القتل ولم أدر ما فعل الزمان بأبى فلما سمع الملك بدر باسم كلامها تعجب غاية العجب من هذا الاتفاق الغريب وقال لاشك أنى نلت غرضي بأسر أبيها ثم أنه نظر إليها وقال لها أنزلى يا سيدتى فأنى قتيل هواك وأسرتنى عيناك وعلى شأنى وشأنك كانت هذه الفتنة وهذه الحروب وأعلمي أنى أنا الملك بدر باسم ملك العجم وأن صالحا هو خالي وهو الذى أتى بى أبيك وخطبك منه وأنا قد تركت ملكى لاجلك اجتماعنا فى هذا الوقت من عجائب الاتفاق فقومى وأنزلى عندى حتى أروح أنا وأنت إلى قصر أبيك واسأل خالى صالحا فى اطلاقه وأتزوج بك فى الحلال فلما سمعت جوهرة كلام بدر باسم قالت فى نفسها على شأن هذا العلق اللئيم كانت هذه القضية وأسر أبى وقتل حجابه وحشمه وتشتت أنا عن قصرى وخرجت مسبية إلى تلك الجزيرة فإن لم أعمل معه حيلة أتحصن بها منه تمكن

منى ونال غرضه لأنه عاشق والعاشق مهما فعله لا يلام عليه فيه ثم أنها خادعته بالكلام ولين الخطاب وهو لا يدرى ما أضمرته له من المكائد وقالت له يا سيدى ونور عينى هل أنت الملك بدر باسم ابن الملكة جلناز فقال لها نعم يا سيدتى وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة التاسعة والأربعون بعد السبعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن جوهرة بنت الملك السمندل قالت للملك بدر باسم هل أنت يا سيدى الملك بدر باسم بن الملكة جلناز قال لها نعم يا سيدتى فقالت قطع الله أبى وأزال ملكة عنه ولا جبر له قلبا ولا رد له غربة أن كان يريد أحسن من هذه الشمائل الظريفة والله أنه قليل العقل والتدبير ثم قالت له يا ملك الزمان لا تؤاخذ أبى بما فعل وأن كنت أحببتنى شبرا فأنا أحببتك ذراعا وقد وقعت فى شرك هواك وصرت من جملة قتلاك وقد أنتقلت المحبة التى كانت عندك وصارت عندى وما بقى عندك منها الامعشار ما عندى ثم أنها نزلت من فوق الشجرة وقربت منه وأتت إليه وأعتنقته وضمته إلى صدرها وصارت تقبله فلما رأى الملك بدر باسم فعلها فيه أزدادت محبته لها وأشتد غرامه بها وظن أنها عشقته ووثق بها وصار يضمها ويقبلها ثم أنه قال لها يا ملكة والله لم يصف لى خالى صالح ربع معشار ما أنت عليه من الجمال ولا ربع قيراط من أربعة وعشرين قيراطا ثم أن جوهرة ضمته إلى صدرها وتكلمت بكلام لا يفهم وتفلت فى وجهة وقالت له أخرج من هذه الصورة البشرية إلى صورة طائر أحسن الطيور أبيض الريش أحمر المنقار والرجلين فما تم كلامها حتى أنقلب الملك بدر باسم إلى صورة طائر أحسن ما يكون من الطيور وأنتفض ووقف على رجليه وصار ينظر إلى جوهرة وكان عندها جارية من جواريها تسمى مرسينة فنظرت اليها وقالت والله لولا اخاف من كون ابي اسير عند خاله لقتلته فلا جزاه الله خيرا فما أشأم قدومه علينا فهذه الفتنة كلها من تحت رأسه ولكن يا جارية خذيه وأذهبى به إلى الجزيرة المعطشة وأتركيه هناك حتى يموت عطشانا فأخذته الجارية وأوصلته إلى الجزيرة وأرادت الرجوع من عنده ثم قالت فى نفسها والله أن صاحب هذا الحسن والجمال لا يستحق أن يموت عطشانا ثم أنها أخرجته من الجزيرة المعطشة وأتت به إلى جزيرة كثيرة الاشجار والأثمار والأنهار فوضعته فيها ورجعت إلى سيدتها وقالت لها قد وضعته فى الجزيرة المعطشة هذا ما كان من أمر بدر باسم وأما ما كان من أمر صالح خال الملك بدر باسم فأنه لما أحتوى على الملك السمندل

وقتل أعوانه وخدمه وصار تحت أسرة قد طلب جوهـرة بنت الملك فلم يجدها فرجع إلى قصره عنـد أمه وقال يا أمي أين ابـن أختي الملك بدر بـاسم فقالت يا ولـدي والله مالي به علم ولا أعـرف أين ذهب فأنه لمـا بلغه أنـك تقاتلت مـع الملك السمـندل وجرت بيـنكم الحروب والقتال فزع وهرب فلما سمع صالـح كلام أمه حزن على ابن أخته وقال يا أمي والله أننا قد فـرطنا في الملك بـدر باسم وأخاف أن يهلـك أو يقع به أحد من جـنود الملك السمندل أو تقع به ابنـة الملك جوهرة فيحصل لنا من أمه خجل ولا يحـصل لنا منها خير لأني قد أخذته بغير أذنـها ثم أنه بعث خلفه الأعوان والجواسيس إلى جـهة البحر وغيره فلم يقفـوا له على خبر فرجعوا وأعلـموا الملك صالحا بذلك فزاد همـه وغمه وقد ضاق صدره على الملك بدر باسم هذا ما كان من أمر الملك بدر باسم وخاله صالح وأما ما كان من أمر أمه جلناز البحـرية فأنها لما نزل أبنها بدر باسم مع خاله صالـح أنتظرته فلم يرجع إليها وابـطأ خبره عنهـا فقعدت أياما عديـدة في انتظاره ثم أنـها قامت ونزلت فـي البحر وأتت أمها فـلما نظرتهـا أمها قامت إليـها وقبلتها وأعـتنقتها وكـذلك بنات عمهـا ثم أنها سألت أمهـا عن الملك بدر باسم فـقالت لها يا بنتـي قداتي هو وخاله ثم أن خـاله قد أخذ بواقيت وجـواهر وتوجه بها هو وأيـاه إلى الملك السمندل وخـطب أبنته فلم يـجبه وشدد على أخيك في الكلام فـأرسلت إلى أخيـك نحو ألف فـارس ووقع الحرب بينـهم وبين الملك السمندل فنصر الله أخاك عليه وقتل أعوانه وجنوده وأسر الملك السمندل فبلغ ذلك الخبر ولدك فكأنه خاف علـى نفسه فهرب من عندنا بغير أختيارنا ولـم يعد إلينا بعد ذلك ولـم نسمع له خبرا ثم أن جـلناز سألتها عن أخيها صالح فأخبرتـها أنه جالس على كرسي المملـكة في محل المـلك السمـنـدل وقد أرسل إلى جمـيع الجهات بالـتفتيش عـلى ولدك وعلى الملكة جوهرة فلما سمعت جلناز كلام أمها حزنت على ولدها حزنا شديدا وأشتد غضبها على أخيهـا صالح لكونه أخذ ولدها ونزل به البحر من غيـر أذنها ثم أنها قالت يا أمي أني خائفة على الملك الذي لنا لأني أتيتكم وما أعلمت أحدا من أهل المملكة وأخشى أن أبطأت عليهم أن يفسد الملك علينا وتخرج المملكة من أيدينا والرأي السديد أني أرجع واسوس المملكة إلى أن يـدبر الله لنا أمر ولدي ولا تنسوا ولدي ولا تتهـاونوا في أمره فأنه أن حصل له ضرر هلكت لا محالة لأني لا أرى الدنيا الا به ولا التذ الا بحياته فقالت حبا وكرامة يا بنتي لا تسألي على ما عندنا من فراقـه وغيبته ثم أن أمها أرسلت من يفتش عليه ورجعت أمه حزينة القلب باكية العين إلى المملكة وقد ضاقت بها الدنيا وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الموفية للخمسين بعد السبعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الملكة جلناز لما رجعت من عند أمها إلى مملكتها قد ضاق صدرها وأشتد أمرها هذا ما كان من أمرها وأما ما كان من أمر الملك بدر باسم فأنه لما سحرته الملكة جوهرة وأرسلته مع جاريتها إلى الجزيرة المعطشة وقالت لها دعيه فيها يموت عطشانا لم تضعه الجارية إلا فى جزيرة خضرا مثمرة ذات أشجار وأنهار فصار يأكل من الثمار ويشرب من الأنهار ولم يزل كذلك مدة أيام وليالى وهو فى صورة طائر لا يعرف أين يتوجه ولا كيف يطير فبينما هو ذات يوم من الأيام فى تلك الجزيرة إذ أتى هناك صياد من الصيادين ليصطاد شيئاً يتقوت به فرأى الملك بدر باسم وهو فى صورة طائر أبيض الريش أحمر المنقار والرجلين يسبى الناظر ويدهش الخاطر فنظر إليه الصياد فاعجبه وقال فى نفسه أن هذا الطائر مليح وما رأيت طيراً مثله فى حسنه ولا فى شكله ثم أنه رمى الشبكة عليه واصطاده ودخل به المدينة وقال فى نفسه أنى أبيعه وآخذ ثمنه فقابله واحد من أهل المدينة وقال له بكم هذا الطائر يا صياد فقال له الصياد إذا أشتريته ماذا تعمل به قال أذبحه وآكله فقال له الصياد من يطيب قلبه أن يذبح هذا الطائر ويأكله أنى أريد أن أهديه إلى الملك فيعطينى أكثر من المقدار الذى تعطينيه أنت فى ثمنه ولا يذبحه بل يتفرج عليه وعلى حسنه وجماله لأنى فى طول عمرى وأنا صياد ما رأيت مثله فى صيد البحر ولا فى صيد البر وأنت أن رغبت فيه نهاية ما تعطينى فى ثمنه درهما وأنا والله العظيم لا أبيعه ثم أن الصياد ذهب به إلى دار الملك فلما رأه الملك أعجبه حسنه وجماله وحمرة منقاره ورجليه فارسل إليه خادما ليشتريه منه فأتى الخادم إلى الصياد وقال له أتبيع هذا الطائر قال لا بل هو للملك هدية منى إليه فأخذه الخادم وتوجه به إلى الملك وأخبره بما قاله فاخذه الملك وأعطى الصياد عشرة دنانير فأخذها وقبل الأرض وأنصرف وأتى الخادم بالطائر إلى قصر الملك ووضعه فى قفص مليح وعلقه وحط عنده ما يأكل وما يشرب فلما نزل الملك قال للخادم أين الطائر أحضره حتى أنظره والله أنه مليح فأتى به الخادم ووضعه بين يدى الملك وقد رأى الأكل الذى عنده لم يأكل منه شيئاً فقال الملك والله لا أدرى ما يأكل حتى أطعمه ثم أمر باحضار الطعام فأحضرت الموائد بين يديه فأكل الملك من ذلك فلما نظر الطير إلى اللحم والطعام والحلويات والفواكه أكل من جميع ما

في السماط الذى قدام الملك فبهت له الملك وتعجب من أكله وكذلك الحاضرون ثم قال الملك لمن حوله من الخدام والمماليك عمرى ما رأيت طيرا يأكل مثل هذا الطير ثم أمر الملك أن تحضر زوجته لتتفرج عليه فمضى الخادم ليحضرها فلما رأها قال لها يا سيدتى أن الملك يطلبك لأجل أن تتفرجى على هذا الطير الذى أشتراه فأننا لما حضرنا بالطعام طار من القفص وسقط على المائدة وأكل من جميع ما فيها فقومى يا سيدتى تفرجى عليه فأنه مليح المنظر وهو أعجوبه من أعاجيب الزمان فلما سمعت كلام الخادم أتت بسرعة فلما نظرت إلى الطير وتحققته غطت وجهها وولت راجعة فقام الملك ورائها وقال لها لأى شيء غطيت وجهك وما عندك غير الجوارى والخدام التى فى خدمتك وزوجك فقالت له أيها الملك أن هذا الطير ليس بطائر وإنما هو رجل مثلك فلما سمع كلام زوجته قال لها تكذبى ما أكثر ما تمزحين كيف يكون غير طائر فقالت له والله ما مزحت معك ولا قلت لك إلا حقا أن هذا الطير الملك بدر باسم بن الملك شهرمان صاحب بلاد العجم وأمه جلناز البحرية وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الحادية والخمسون بعد السبعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن زوجة الملك لما قالت للملك أن هذا ليس بطائر وإنما هو رجل مثلك وهو الملك بدر باسم ابن الملك شهرمان وأمه جلناز البحرية قال لها وكيف صار إلى هذا الشكل قالت له أنه قد سحرته الملكة جوهرة بنت الملك السمندل ثم حدثته بما جرى له من أوله إلى آخره وأنه قد خطب جوهرة من أبيها فلم يرض أبوها بذلك وأن خاله صالحا أقتتل هو والملك السمندل وأنتصر صالح عليه وأسره فلما سمع الملك كلام زوجته تعجب غاية العجب وكانت هذه الملكة زوجته أسحر أهل زمانها فقال لها الملك بحياتى عليك أن تحليه من سحره ولا تخليه معذبا قطع الله تعالى يد جوهرة ما أقبحها وما أقل دينها وأكثر خداعها ومكرها قالت له زوجته قل له يا بدر باسم أدخل هذه الخزانة فأمره الملك أن يدخل الخزانة فلما سمع كلام الملك دخل الخزانة فقامت زوجة الملك وسترت وجهها وأخذت فى يدها طاسة ماء ودخلت الخزانة وتكلمت على الماء

بكلام لايفهم وقالت له بحق هذه الأسماء العظام والأيام الكرام وبحق الله تعالى خالق السموات والأرض ومحيى الأموات وقاسم الأرزاق والأجال أن تخرج من هذه الصورة التى أنت فيها وترجع إلى الصورة التى خلقك الله عليها فلم يتم كلامها حتى أنتفض نفضة ورجع إلى صورته فرأه الملك شابا مليحا ما على وجه الأرض أحسن منه ثم أن الملك بدر باسم لما نظر إلى هذه الحالة قال لا إله إلا الله محمد رسول الله سبحان خالق الخلائق ومقدر أرزاقهم وأجالهم ثم أنه قبل يدى الملك ودعا له بالبقاء وقبل الملك رأس بدر باسم وقال له يا بدر باسم حدثنى بحديثك من أوله إلى آخره فحدثه الملك بحديثه ولم يكتم منه شيئاً فتعجب الملك من ذلك ثم قال له يا بدر باسم قد خلصك الله من السحر فما الذى أقتضاه رأيك وما تريد أن تصنع قال له يا ملك الزمان أريد من أحسانك أن تجهز لى مركبا وجماعة من خدامك وجميع ما احتاج إليه فإن لى زمنًا طويلاً وأنا غائب وأخاف أن تروح المملكة منى وما أظن أن والدتى بالحياة من أجل فراقى والغالب على ظنى أنها ماتت من حزنها علىّ لأنها لا تدرى ما جرى لى ولا تعرف هل أنا حى أم ميت وأنا اسألك أيها الملك أن تتم إحسانك على بما طلبته منك فلما نظر الملك إلى حسنه وجماله وفصاحته أجابه وقال له سمعًا وطاعة ثم أنه جهز له مركبًا ونقل فيها ما يحتاج وسير معه جماعة من خدامه فنزل فى المركب بعد أن ودع الملك وساروا فى البحر وساعدهم الريح لم يزالوا سائرين عشرة أيام متوالية ولما كان اليوم الحادى عشر هاج البحر هياجًا شديداً وصارت المركب ترتفع وتنخفض ولم تقدر البحارة أن يمسكوها ولم يزالوا على هذه الحالة والأمواج تلعب بهم حتى قربوا من صخر البحر فوقعت تلك الصخرة على المركب فانكسرت وغرق كل من كان فيها إلا الملك بدر باسم فإنه ركب على لوح من الألواح بعد أن اشرف على الهلاك ولم يزل ذلك اللوح يجرى به فى البحر ولا يدرى إلى أين هو ذاهب ليس له حيلة فى منع اللوح بل سار اللوح به مع الماء والريح ولم يزل كذلك مدة ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع طلع به اللوح على ساحل البحر فوجد هناك مدينة بيضاء مثل الحمامة الشديدة البياض وهى مبنية فى الجزيرة التى على ساحل البحر لكنها عالية الأركان مليحة البنيان رفيعة الحيطان والبحر يضرب فى صورها فلما عاين الملك بدرباسم تلك الجزيرة التى فيها هذه المدينة فرح فرحًا شديداً وقد كان اشرف على الهلاك من الجوع والعطش فنزل من فوق اللوح وأراد أن يصعد إلى المدينة فأتت إليه

بغال وحمير وخيول عدد الرمال فصاروا يضربونه ويمنعونه أن يطلع من البحر إلى المدينة ثم أنه عام خلف تلك المدينة وطلع إلى البر فلم يجد هناك أحد فتعجب وقال يا ترى لمن هذه المدينة وهى ليس لها ملك ولا فيها أحد ومن أين هذه البغال والحمير والخيول التى منعونى من الطلوع وصار متفكرًا فى أمره وهو ماش وما يدرى اين يذهب ثم بعد ذلك رأى شيخًا بقالاً فلما رآه الملك بدر باسم سلم عليه فرد عليه السلام ونظر إليه الشيخ فرآه جميلاً فقال له يا غلام من اين أقبلت وما أوصلك إلى هذه المدينة فحدثه بحديثه من أوله إلى آخره فتعجب منه وقال له يا ولدى أما رأيت أحدًا فى طريقك فقال له يا والدى إنما اتعجب من هذه المدينة حيث كانت خالية من الناس فقال له الشيخ يا ولدى اطلع إلى الدكان لئلا تهلك فطلع بدر باسم وقعد فى الدكان فقام الشيخ وجاء له بشىء من الطعام وقال له يا ولدى أدخل فى داخل الدكان فسبحان من سلمك من هذه الشيطانة فخاف الملك بدر باسم خوفًا شديدًا ثم أكل من طعام الشيخ حتى أكتفى وغسل يديه ونظر إلى الشيخ وقال له يا سيدى ما سبب هذا الكلام فقد خوفتنى من هذه المدينة ومن أهلها فقال له الشيخ يا ولدى أعلم أن هذه المدينة مدينة السحرة وبها ملكة ساحرة كأنها شيطانة وهى كاهنة سحارة ومكارة غدارة والتى تنظرها من الخيل والبغال والحمير هؤلاء كلهم كانوا مثلك ومثلى من بنى آدم لكنهم غرباء لأن كل من يدخل هذه المدينة وهو شاب مثلك تأخذه هذه الكافرة الساحرة وتقعد معه أربعين يومًا وبعد الأربعين يوما تسحره فيصير بغلا أو فرسًا أو حمارًا من هذه الحيوانات التى نظرتها على جانب البحر وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الثانية والخمسون بعد السبعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الشيخ البقال لما حكى للملك بدر باسم وأخبره بحال الملكة السحارة وقال له أن كل أهل المدينة قد سحرتهم وإنك لما أردت الطلوع إلى البر خافوا عليك أن تسحرك مثلهم فقالوا لك بالإشارة لا تطلع لئلا تراك الساحرة شفقة عليك فربما تعمل فيك مثل ما عملت فيهم وقال له إنها قد ملكت هذه المدينة من أهلها بالسحر واسمها الملكة لاب وتفسيره بالعربى تقويم الشمس فلما سمع الملك بدر باسم ذلك الكلام من الشيخ خاف خوفًا شديدًا وصار يرتعد مثل القصبة الريحية وقال له أنا ما

صدقت أنى خلصت من البلاء الذى كنت فيه من السحر حتى ترمينى المقادير فى مكان أقبح منه فصار متفكراً فى حاله وما جرى له فلما نظر إليه الشيخ رآه قد أشتد خوفه فقال له يا ولدى قم واجلس على عتبة الدكان وأنظر إلى تلك الخلائق وإلى لباسهم وألوانهم وما هم فيه من السحر ولا تخف فإن الملكة وكل من فى المدينة يحبنى ويراعينى ولا يرجفون لى قلبا ولا يتعبون لى خاطراً فلما سمع الملك بدر باسم كلام الشيخ خرج وقعد على باب الدكان يتفرج فجازت عليه الناس فنظر إلى عالم لا يحصى عدده فلما نظره الناس تقدموا إلى الشيخ وقالوا له يا شيخ هل هذا أسيرك وصيدك فى هذه الأيام فقال لهم هذا ابن أخى وسمعت أن اباه قد مات فأرسلت خلفه وأحضرته لأطفىء نار شوقى به فقالوا أن هذا شاب مليح الشباب ولكن نحن نخاف عليه من الملكة لاب لئلا ترجع عليك بالغدر وتأخذه منك لأنها تحب الشباب الملاح فقال لهم الشيخ أن الملكة لا تعصى امرى وهى تراعينى وتحبنى وإذا علمت أنه ابن أخى لا تتعرض له ولا تسوءنى فيه ولا تشوش خاطرى به فاقام الملك بدر باسم عند الشيخ مدة أشهر فى أكل وشرب وحبه الشيخ محبة عظيمة ثم أن بدر باسم كان جالسًا على دكان الشيخ ذات يوم على جرى عادته وإذا بألف خادم وبأيديهم السيوف مجردة وعليهم أنواع الملابس وفى وسطهم المناطق المرصعة بالجوهر وهم راكبون الخيول العربية متقلدون السيوف الهندية وقد جاؤا على دكان الشيخ وسلموا عليه ثم مضوا وجاء بعدهم ألف جارية كأنهن الأقار وعليهن أنواع الملابس من الحرير الأطلس مطرزة بطرازات الذهب مرصعة بأنواع الجواهر وكلهن متقلدات الرماح وفى وسطهن جارية راكبة على فرس عربية عليها سرج من الذهب مرصع بأنواع الجواهر واليواقيت ولم يزلن سائرات حتى وصلن إلى دكان الشيخ وسلمن عليه ثم توجهن وإذا بالملكة لاب قد أقبلت فى موكب عظيم ومازالت مقبلة إلى أن وصلت إلى دكان الشيخ فرأت الملك بدر باسم وهو جالس على الدكان كأنه البدر فى تمامه فلما رأته الملكة لاب حارت فى حسنه وجماله وأندهشت وصارت ولهانة به ثم أقبلت على الدكان ونزلت وجلست عند الملك بدر باسم وقالت للشيخ من أين لك هذا المليح فقال هذا ابن أخى جاءنى عن قريب فقالت دعه يكون اللية عندى لاتحدث أنا وإياه قال لها اتأخذينه منى ولا تسحرينه قالت نعم قال أحلفى لى فحلفت له أنها لا تؤذيه ولا تسحره ثم أمرت ان يقدموا له فرسًا مليحًا مسرجًا ملجمًا بلجام من ذهب وكل ما عليه

ذهب مرصع بالجواهر ووهبت للشيخ ألف دينار وقالت له استعن بـه ثم أن الملكة لاب أخذت الملك بدر باسم وراحت به وهو كأنه البدر فى ليلة أربعة عشر وصار معها وصارت الناس كلما نظروا إليه وإلى حسنه يتوجعون عليه ويقولون والله أن هذا الشاب لا يستحق أن تسحره هذه الملعونة والملك بدر باسم يسمع كلام الناس ولكنه ساكت وقد سلم أمره إلى الله تعالى ولم يزالوا سائرين إلى القصر وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الثالثة والخمسون بعد السبعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الملك بدر باسم لم يزل سائراً هو والملكة لاب واتباعها إلى أن وصلوا إلى باب القصر ثم ترجل الامراء والخدام وأكابر الدولة وقد امرت الحجاب أن يأمروا ارباب الدولة كلهم بالانصراف فقبلوا الأرض وانصرفوا ودخلت الملكة والخدام والجوارى فى القصر فلما نظر الملك بدر باسم إلى القصر رأى قصراً لم ير مثله قط وحيطانه مبنية بالذهب فى وسط القصر بركة عظيمة غزيرة الماء فى بستان عظيم فنظر الملك بدر باسم إلى البستان فرأى فيه طيوراً تناغى بسائر اللغات والأصوات المفرحة والمحزنة وتلك الطيور من سائر الأشكال والألوان فنظر الملك بدر باسم إلى ملك عظيم فقال سبحان الله من كرمه وحلمه يرزق من يعبد غيره فجلست الملكة فى شباك يشرف على البستان وهى على سرير من العاج وفوق السرير فرش عال وجلس الملك بدر باسم إلى جانبها فقبلته وضمته إلى صدرها ثم أمرت الجوارى باحضار مائدة من الذهب الأحمر مرصعة بالدر والجوهر وفيها من سائر الأطعمة فأكلا حتى أكتفيا وغسلا أيديهما ثم أحضرت الجوارى أوانى الذهب والفضة والبلور وأحضرت أيضًا جميع أجناس الأزهار وأطباق النقل ثم أنها أمرت باحضار مغنيات فحضر عشر جوار كأنهن الاقمار وبأيديهن سائر آلات الملاهى ثم أن الملكة ملأت قدحًا وشربته وملأت آخر وناولت الملك بدر باسم إياه فأخذه وشربه ولم يزالا كذلك يشربان حتى أكتفيا ثم أمرت الجوارى أن يغنين فغنين بسائر الألحان وتخيل الملك بدر باسم أنه يرقص به القصر طربًا فطاش عقله وانشرح صدره ونسى الغربة وقال أن هذه الملكة شابة مليحة ما بقيت أروح من عندها ابدا لأن ملكها أوسع من ملكى وهى أحسن من الملكة

جوهرة ولم يزل يشرب معها إلى أن أمسى المساء وأوقدت القناديل والشموع وأطلقوا البخور ولم يزالا يشربان إلى أن سكرا والمغنيات يغنين فلما سكرت الملكة لاب قامت من موضعها ونامت على سرير وأمرت الجوارى بالإنصراف ثم أمرت الملك بدر باسم بالنوم إلى جانبها فنام معها فى أطيب عيش إلى أن أصبح الصباح وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الرابعة والخمسون بعد السبعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الملكة لما قامت من التوم دخلت الحمام الذى فى القصر والملك بدر باسم صحبها واغتسلا فلما خرجا من الحمام افرغت عليه أجمل القماش وأمرت باحضار آلات الشراب فأحضرتها الجوارى فشربا ثم أن الملكة قامت وأخذت بيد الملك بدر باسم وجلسا على الكرسى وأمرت بأحضار الطعام فأكلا وغسلا أيديهما ثم قدمت الجوارى لهما أو انى الشراب والفواكه والأزهار والنقل ولم يزالا يأكلان ويشربان والجوارى تغنى باختلاف الألحان إلى المساء ولم يزالا فى أكل وشرب وطرب مدة أربعين يومًا ثم قالت له يا بدر باسم هل هذا المكان أطيب أو دكان عمك البقال قال لها والله يا ملكة أن هذا طيب وذلك أن عمى رجل صعلوك يبيع الباقلا فضحكت من كلامه ثم أنهما رقدا فى أطيب حال إلى الصباح فانتبه الملك بدر باسم من نومه فلم يجد الملكة لاب بجانبه فقال يا ترى اين راحت وصار مستوحشًا من غيبتها ومتحيراً فى أمره وقد غابت عنه مدة طويلة ولم ترجع فقال فى نفسه اين ذهبت ثم أنه لبس ثيابه وصار يفتش عليها فلم يجدها فقال فى نفسه لعلها ذهبت إلى البستان فمضى إلى البستان فرأى فيه نهرًا جاريًا وبجانبه طيرة بيضاء وعلى شاطىء النهر شجرة وفوقها طيور مختلفة الألوان فصار ينظر إلى الطيور والطيور لا تراه وإذا بطائر أسود نزل على تلك الطيرة البيضاء فصار يزقها زق الحمام ثم أن الطير الأسود وثب على تلك الطيرة ثلاث مرات ثم بعد ساعة انقلبت تلك الطيرة فى صورة بشر فتأملها وإذا هى الملكة لاب فعلم أن الطير الأسود إنسان مسحور وهى تعشقه وتسحر نفسها طيرة ليجامعها فأخذته الغيرة وأغتاظ على الملكة لاب من أجل الطير الأسود ثم أنه رجع إلى مكانه ونام على فراشه وبعد ساعة رجعت إليه وصارت الملكة لاب تقبله وتمزح معه وهو شديد الغيظ

عليها فلم يكلمها كلمة واحدة فعلمت ما به وتحققت أنه رآها حين صارت طيرة وكيف واقعها ذلك الطير فلم تظهر له شيئًا بل كتمت ما بها فلما قضى حاجتها قال لها يا ملكة أريد أن تأذني لي في الرواح إلى دكان عمي فأني قد تشوقت إليه ولي أربعون يومًا ما رأيته فقالت له رح إليه ولا تبطئ عليّ فإني ما أقدر أن أفارقك ولا أصبر عنك ساعة واحدة فقال لها سمعًا وطاعة ثم أنه ركب ومضى إلى دكان الشيخ البقال فرحب به وقام إليه وعانقه وقال له كيف أنت مع هذه الكافرة فقال له كنت طيبا في خير وعافية إلا أنها كانت في هذه الليلة نائمة في جانبي فاستيقظت فلم أرها فلبست ثيابي ودرت أفتش عليها إلى أن أتيت إلى البستان وأخبره بما رآه من النهر والطيور التي كانت فوق الشجرة فلما سمع الشيخ كلامه قال له أحذر منها وأعلم أن الطيور التي كانت على الشجرة كلهم شباب غرباء عشقتهم وسحرتهم طيورا وذلك الطير الأسود الذي رأيته كان من جملة مماليكها وكانت تحبه محبة عظيمة فمد عينه إلى بعض الجواري فسحرته في صورة طير أسود وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الخامسة والخمسون بعد السبعمائة

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن بدر باسم لما حكى للشيخ البقال جميع حكاية الملكة لاب وما رآه منها اعلمه الشيخ بأن الطيور التي على الشجرة كلهم شباب غرباء وسحرتهم وكذلك الطير الأسود كان من مماليكها وسحرته في صورة طير أسود وكلما اشتاقت إليه تسحر نفسها طيرة ليجامعها لأنها تحبه محبة عظيمة ولما علمت أنك علمت بحالها اضرمت لك السوء ولا تصفى لك ولكن ما عليك باس منها ما دمت اراعيك أنا فلا تخف فأني رجل مسلم واسمي عبد الله وما في زماني أسحر مني ولكن لا أستعمل السحر إلا عند إضطراري إليه وكثيرا ما ابطل سحر هذه الملعونة وأخلص الناس منها ولا أبالي بها لانها ليس لها عليّ من سبيل بل هي تخاف مني خوفًا شديدًا وكذلك كل من كان في المدينة ساحرًا مثلها على هذا الشكل يخافون مني وكلهم على دينها يعبدون النار دون الملك الجبار فإذا كان غدا تعال عندي واعلمني بما تعمله معك فإنها في هذه الليلة تسعى في هلاكك وأنا أقول لك على ما تفعله معها حتى تتخلص من كيدها ثم أن الملك بدر باسم ودع الشيخ ورجع إليها فوجدها جالسة في إنتظاره فلما رأته قامت إليه

وأجلسته ورحبت به وجاءت له بأكل وشرب فأكلا حتى أكتفيا ثم غسلا أيديهما ثم أمرت باحضار الشراب فحضر وصارا يشربان إلى نصف الليل ثم مالت عليه بالاقداح وصارت تعاطيه حتى سكر وغاب عن حسه وعقله فلما رأته كذلك قالت له بالله عليك وبحق معبودك أن سألتك عن شيء هل تخبرنى عنه بالصدق وتجيبنى إلى قولى فقال لها وهو فى حالة السكر نعم يا سيدتى قالت له يا سيدى ونور عينى لما استيقظت من نومك ولم ترنى وفتشت على وجئتنى فى البستان ورأيت الطير الأسود الذى وثب على فأنا أخبرك بحقيقة هذا الطائر كان من مماليكى وكنت أحبه محبة عظيمة فتطلع يوما لجارية من جوارى فحصلت لى غيرة وسحرته فى صورة طير أسود وأما الجارية فأنى قتلتها وأنى اليوم لم أصبر عنه ساعة واحدة وكلما أشتقت إليه أسحر نفسى طيرة وأروح إليه لينط على ويتمكن منى كما رأيت أما أنت لأجل هذا مغتاظ منى مع أنى وحق النار والنور والظل والحر ور قد ازددت فيك محبة وجعلتك نصيبى من الدنيا فقال وهو سكران أن الذى فهمته من غيظى بسبب ذلك صحيح وليس لغيظى سبب غير ذلك فضمته وقبلته وأظهرت له المحبة ونامت ونام الآخر جانبها فلما كان نصف الليل قامت من الفراش والملك بدر باسم منتبه وهو يظهر أنه نائم وصار يسرق النظر وينظر ما تفعل فوجدها قد أخرجت من كيس أحمر شيئًا أحمر وغرسته فى وسط القصر فإذا هو صار نهرًا يجرى مثل البحر وأخذت كبشة شعير بيدها وبذرتها فوق التراب وسقته من هذا الماء فصار زرعًا مسنبلاً فأخذته وطحنته دقيقًا ثم وضعته فى موضع ورجعت نامت عند بدر باسم إلى الصباح فلما أصبح الصباح قام الملك بدر باسم وغسل وجهه ثم استأذن الملكة فى الرواح إلى الشيخ فأذنت له فذهب إلى الشيخ وأعلمه بما جرى منها وما عاين فلما سمع الشيخ كلامه ضحك وقال والله أن هذه الكافرة الساحرة قد مكرت بك ولكن لا تبال بها أبدًا ثم أخرج له قدر رطل سويقا وقال له خذ هذا معك وأعلم أنها اذا رأته تقول لك ما هذا وما تعمل به فقل لها زيادة الخير خير وكل منه فإذا أخرجت هى سويقها وقالت لك كل من هذا السويق فأرها أنك تأكل منه وكل من هذا وإياك أن تأكل من سويقها شيئا ولو حبة واحدة فإن سحرها يتمكن منك فتسحرك وتقول لك أخرج من هذه الصورة البشرية فتخرج من صورتك إلى أى صورة أرادت وإذا لم تأكل منه فإن سحرها يبطل ولا يضرك منه شيء فتخجل هى غاية الخجل وتقول لك إنما أنا امزح معك وتقر لك

بالمحبة والمودة وكل ذلك نفاق ومكر منها فاظهر لها انت المحبة وقل لها يا سيدتى ويا نور عينى كلى من هذا السويق وانظرى لذته فإذا أكلت منه ولو حبة واحدة فخذ فى كفك ماء وأضربه فى وجهها وقل لها أخرجى من هذه الصورة البشرية إلى أى صورة أردت ثم خلها وتعال إلىَّ حتى أدبر لك أمرا ثم ودعه بدر باسم وسار إلى أن طلع القصر ودخل عليها فلما رأته قالت له أهلاً وسهلاً ومرحبًا ثم قامت له وقبلته وقالت له ابطأت علىَّ يا سيدى فقال لها كنت عند عمى ورأى عندها سويقًا فقال لها وقد اطعمنى عمى من هذا السويق فإن عندنا سويقًا أحسن منه ثم أنها حطت سويقه فى صحن وسويقها فى صحن آخر وقالت له كل من هذا فإنه أطيب من سويقك فأظهر لها أنه يأكل منه فلما علمت أنه أكل منه أخذت فى يدها ماء ورشته به وقالت له أخرج من هذه الصورة يا علق يا لئيم وكن فى صورة بغل أعور قبيح المنظر فلم يتغير فلما رأته على حاله لم يتغير قامت له وقبلته بين عينيه وقالت له يا محبوبى إنما كنت أمزح معك فلا تتغير علىَّ بسبب ذلك فقال لها والله يا سيدتى ما تغيرت عليك أصلاً بل أعتقد أنك تحبيننى فكلى من سويقى هذا فأخذت منه لقمة وأكلتها فلما استقرت فى بطنها اضطربت فأخذ الملك بدر باسم فى كفه ماء ورشها به فى وجهها وقال لها أخرجى من هذه الصورة البشرية إلى صورة بغلة زرزورية فما نظرت نفسها إلا وهى فى تلك الحالة فصارت دموعها تنحدر على خديها وصارت تمرغ خديها على رجليه فقام يلجمها فلم تقبل اللجام فتركها وذهب إلى الشيخ وأعلمه بما جرى فقام الشيخ وأخرج له لجامًا وقال له خذ هذا اللجام ولجمها به فأخذه وأتى عندها فلما رأته تقدمت إليه وحط اللجام فى فمها وركبها وخرج من القصر وتوجه إلى الشيخ عبد الله فلما رآها قام لها وقال لها خزاك الله تعالى يا ملعونة ثم قال له الشيخ يا ولدى ما بقى لك فى هذه البلد إقامة فاركبها وسر بها إلى أى مكان شئت وإياك أن تسلم اللجام إلى أحد فشكره الملك بدر باسم وودعه وسار ولم يزل سائراً ثلاثة أيام ثم أشرف على مدينة فلقيه شيخ مليح الشيبة فقال له يا ولدى من اين أقبلت قال من مدينة هذه الساحرة قال له انت ضيفى فى هذه الليلة فأجابه وسار معه فى الطريق وإذا بامرأة عجوز فلما نظرت البغلة بكت وقالت لا إله إلا الله إن هذه البغلة تشبه بغلة أبنى التى ماتت وقلبى متشوش عليها فبالله عليك يا سيدى أن تبيعنى إياها فقال لها والله يا أمى ما أقدر أن أبيعها قالت له بالله عليك لا ترد سؤالى فإن ولدى أن لم أشتر له هذه البغلة

ميت لا محالة ثم أنها اطنبت عليه فى السؤال فقال ما ابيعها إلا بألف دينار وقال بدر باسم فى نفسه من اين لهذه العجوز تحصيل ألف دينار فعند ذلك أخرجت من حزامها ألف دينار فلما نظر الملك بدر باسم إلى ذلك قال لها يا أمى إنما أنا أمزح معك وما أقدر أن ابيعها فنظر إليه الشيخ وقال له يا ولدى أن هذه البلد ما يكذب فيها أحد وكل من كذب فى هذه البلد قتلوه فنزل الملك بدر باسم من فوق البغلة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة السادسة والخمسون بعد السبعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الملك بدر باسم لما نزل من فوق البغلة وسلمها إلى المرأة العجوز أخرجت اللجام من فمها وأخذت فى يدها ماء ورشتها به وقالت يا بنتى أخرجى من هذه الصورة إلى الصورة التى كنت عليها فانقلبت فى الحال وعادت إلى صورتها الأولى وأقبلت كل واحدة منهما على الأخرى وتعانقتا فعلم الملك بدر باسم أن هذه العجوز أمها وقد تمت الحيلة عليه فأراد أن يهرب وإذا بالعجوز صفرت صفرة عظيمة فتمثل بين يديها عفريت كأنه الجبل العظيم فخاف الملك بدر باسم ووقف فركبت العجوز على ظهره واردفت بنتها خلفها وأخذت الملك بدر باسم قدامها وطار بهم العفريت فما مضى عليهم غير ساعة ووصلوا إلى قصر الملكة لاب فلما جلست على كرسى المملكة التفتت إلى الملك بدر باسم وقالت له يا علق قد وصلت إلى هذا المكان ونلت ما تمنيت وسوف أريك ما أعمل بك وبهذا الشيخ البقال فكم احسنت له وهو يسوءنى وأنت ما وصلت لمرادك إلا بواسطته ثم أخذت ماء ورشته به وقالت له أخرج من هذه الصورة التى أنت فيها إلى صورة طير قبيح المنظر أقبح ما يكون من الطيور فانقلب فى الحال وصار طيرًا قبيح المنظر فجعلته فى قفص وقطعت عنه الأكل والشرب فنظرت إليه جارية فرحمته وصارت تطعمه وتسقيه بغير علم الملكة ثم أن الجارية وجدت سيدتها غافلة فى يوم من الأيام فخرجت وتوجهت إلى الشيخ البقال وأعلمته بالحديث وقالت له إن الملكة لاب عازمة على هلاك ابن أخيك فشكرها الشيخ وقال لها لا بد أن آخذ المدينة منها وأجعلك ملكتها عوضًا عنها ثم صفر صفرة عظيمة فخرج له عفريت له أربعة أجنحة فقال له خذ هذه الجارية وامض بها إلى مدينة جلناز البحرية وامها فراشة فإنهما أسحر من يوجد على وجه الأرض وقال للجارية إذا وصلت إلى هناك فأخبريهما بأن

الملك بدر باسم فى أسر الملكة لاب فحملها العفريت وطار بها فلم يكن إلا ساعة حتى نزل بها على قصر الملكة جلناز البحرية فنزلت الجارية من فوق سطح القصر ودخلت على الملكة جلناز وقبلت الأرض وأعلمتها بما قد جرى لولدها من أول الأمر إلى آخره فقامت اليها جلناز واكرمتها وشكرتها ودقت البشائر فى المدينة وأعلمت أهلها واكابر دولتها بأن الملك بدر باسم قد وجد ثم أن جلناز البحرية وأمها فراشة وأخاها صالحًا أحضروا جميع قبائل الجان وجنود البحر لأن ملوك الجان قد أطاعوهم بعد أسر الملك السمندل ثم أنهم طاروا فى الهواء ونزلوا على مدينة الساحرة ونهبوا القصر وقتلوا جميع من كان فيه ونهبوا المدينة وقتلوا جميع من كان فيها من الكفرة فى طرفة عين وقالت للجارية اين ابنى فأخذت الجارية القفص وأتت به بين يديها وأشارت إلى الطائر الذى فيه وقالت هذا ولدك فأخرجته الملكة جلناز من القفص ثم أخذت بيدها ماء ورشته به وقالت له أخرج من هذه الصورة إلى الصورة التى كنت عليها فلم يتم كلامها حتى انتفض وصار بشرًا كما كان فلما رأته أمه على صورته الأصلية قامت إليه واعتنقته فبكى بكاءًا شديدًا وكذلك خاله صالح وجدته فراشة وبنات عمه وصاروا يقبلون يديه ورجليه ثم أن جلناز ارسلت خلف الشيخ عبد الله وشكرته على فعله الجميل مع ابنها وزوجته بالجارية التى أرسلها إليها بأخبار ولدها ودخل بها ثم جعلته ملك تلك المدينة وأحضرت ما بقى من أهل المدينة من المسلمين وبايعتهم للشيخ عبد الله وعاهدتهم وحلفتهم أن يكونوا فى طاعته وفى خدمته فقالوا سمعًا وطاعة ثم أنهم ودعوا الشيخ عبد الله وساروا إلى مدينتهم فلما دخلوا قصرهم تلقاهم أهل مدينتهم بالبشائر والفرح وزينوا المدينة ثلاثة أيام لشدة فرحهم بملكهم بدر باسم وفرحوا به فرحًا شديدًا ثم بعد ذلك قال الملك بدر باسم لأمه يا أمى ما بقى إلا انى أتزوج ويجتمع شملنا ببعضنا أجمعين فقالت يا ولدى نعم الرأى الذى رأيته ولكن أصبر على حتى نسأل من يصلح لك من بنات الملوك فقالت جدته فراشة وبنات عمه وخاله نحن يا بدر باسم كلنا فى هذا الوقت نساعدك على ما تريد ثم أن كل واحدة منهن نهضت ومضت تفتش فى البلاد وكذلك جلناز البحرية بعثت جواريها على أعناق العفاريت وقالت لهن لا تتركن مدينة ولا قصرا من قصور الملوك حتى تتأملن جميع من فيه من البنات الحسان فلما رأى الملك بدر باسم أعتناءهن بهذا الأمر قال لأمه جلناز يا أمى أتركى هذا الأمر فإنه ليس يرضينى إلا جوهره

بنت الملك السمندل لأنها جوهرة كأسمها فقالت أمه قد عرفت مقصودك ثم أرسلت في الحال من يأتيها بالملك السمندل ففى الوقت أحضروه بين يديها ثم أرسلت إلى بدر باسم فلما جاء بدر باسم أعلمته بمجيء الملك السمندل فدخل عليه فلما رآه الملك السمندل مقبلاً قام له وسلم عليه ورحب به ثم أن الملك بدر باسم خطب منها ابنته جوهرة فقال له هي في خدمتك وجاريتك وبين يديك ثم أن الملك السمندل أرسل بعض أصحابه إلى بلاده وأمرهم بأحضار ابنته جوهرة وأن يعلموها أن أباها عند الملك بدر باسم ابن جلناز البحرية فطاروا في الهواء وغابوا ساعة ثم جاءوا ومعهم الملكة جوهرة فلما عاينت أباها تقدمت إليه واعتنقته فنظر إليها وقال يا ابنتى أعلمى أننى قد زوجتك بهذا الملك الهمام والأسد الضرغام الملك بدر باسم ابن الملكة جلناز وأنه أحسن أهل زمانه وأجملهم وارفعهم قدرا واشرفهم حسبا ولا يصلح إلا لك ولا تصلحين إلا له فقالت له يا أبى أنا ما أقدر أن أخالفك فافعل ما تريد فقد زال الهم والتنكيد وأناله من جملة الخدام فعند ذلك احضروا القضاة والشهود وكتبوا كتاب الملك بدر باسم ابن الملكة جلناز البحرية على الملكة جوهرة وأهل المدينة زينوها وأطلقوا البشائر وأطلقوا كل من في الحبوس وكسا الملك الأرامل والأيتام وخلع على أرباب الدولة والأمراء والأكابر ثم أقاموا الفرح العظيم وعملوا الولائم وأقاموا في الأفراح مساء وصباحا مدة عشرة أيام وجلوها على الملك بدر باسم بتسع خلع ثم خلع الملك بدر باسم على الملك السمندل ورده إلى بلاده وأهله وأقاربه لم يزالوا في الذعيش وأهنى أيام يأكلون ويشربون ويتنعمون إلى أن آتاهم هادم اللذات ومفرق الجماعات وهذا آخر حكايتهم رحمة الله عليهم أجمعين.

واعلم أيها الملك السعيد أنه كان في قديم الزمان وسالف العصر والأوان ملك من ملوك العجم أسمه محمد بن سبائك وكان يحكم على بلاد خرسان وكان في كل عام يغزو بلاد الكفار في الهند والسند والصين والبلاد التى وراء النهر وغير ذلك من بلاد العجم وغيرها وكان ملكًا عادلاً شجاعًا كريمًا جواداً وكان ذلك الملك يحب المنادمات والروايات والأشعار والأخبار والحكايات والأسمار وسير المتقدمين وكان كل من يحفظ حكاية غريبة ويحكيها له ينعم عليه وقيل أنه كان إذا أتاه رجل غريب بسمر غريب وتكلم بين يديه واستحسنه وأعجبه كلامه يخلع عليه خلعة سنية ويعطيه ألف دينار ويركبه فرسًا مسرجًا ملجمًا ويكسوه من فوق إلى أسفل ويعطيه فيأخذها الرجل وينصرف لحال سبيله

فاتفق أنه أتـاه رجل بسمر غريب فتـحدث بين يديه وأعجبـه كلامه فأمر له بجائـزة سنية ومن جملتها ألف دينار خراسانية وفرس بعدة كاملة ثم بعد ذلك شاعت هذه الأخبار عن هذا الملك في جميع البلدان فسمع به رجل يـقال له التاجر حسن وكان كريمًا جوادًا عالما شاعرًا فاضلاً وكان عنـد ذلك الملك وزير حسود محضر سوء لا يحـب الناس جميعاً لا غنيا ولافقـير وكان كل ما ورد على ذلك الملـك أحد وأعطاه شيئًا يحسده ويقول أن هذا الأمر يفنى المال ويخرب الديار وأن الملك دأبه هذا الأمر ولم يكن ذلك الكلام إلا حسدًا وبغضًا من ذلك الوزير ثـم أن الملك سمع بخبر التاجر حسن فارسـل إليه وأحضره فلما حضر بين يديه قال له يا تاجر حسن أن الوزيـر خالفنى وعادانى من أجل المال الذى أعطيه للشعراء والندماء وأرباب الحكايات والأشعار وأنـى أريد منك أن تحكى لى حكاية مليحة وحديثًا غريبًـا بحيث لم أكن سمعت مثله قـط فإن أعجبنى حديثك أعطيـتك بلادا كثيرة بقلاعـها وأجعلهـا زيادة على اقـطاعك وأجعل مـلكتى كلـها بين يـديك وأجعلك كـبير وزرائى تجلس على يمينى وتحكم فى رعيتى وأن لم تأتنى بما قلت لك أخذت جميع ما فى يدك وطردتك من بلادى فقال الـتاجر حسن سمعًا وطاعة لمولانا الملك لـكن يطلب منك المملوك أن تصبر عليه سنة ثم أحدثك بحديث ما سمعت مثله فى عمرك ولا سمع غيرك بمثله ولا باحسن منه قط فقال الملك قد أعطيتك مهلة سنة كاملة ثم دعا بخلعة سنية فالبسه اياها وقـال الترم بيتك ولاتـركب ولاتروح ولاتجئ مدة سـنة كاملة حـتى تحضر بما طلـبته منك فإن جئت بـذلك فلك الإنعام الخاص وابشر بما وعدتك بـه وإن لم تجيء بذلك فلا أنت منا ولا نحن منك وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة السابعة والخمسون بعد السبعمائة

قالت بـلغنى أيهـا الملك السعـيد أن الملك محمـد بن سبائك لمـا قال للتاجـر حسن أن جئتنى بمـا طلبته منك فلك الأنعـام الخاص وأبشر بما وعدتك به وأن لم تجئـنى بذلك فلا أنت منا ولا نحـن منك فقبل التاجر حسـن الأرض بين يديه وخرج ثم أختار مـن مماليكه خمسة أنفس كلهـم يكتبون ويقرؤن وهم فضلاء عقلاء ادباء من خـواص مماليكه واعطى كل واحد خمسة آلاف دينار وقال لهم أنا ما ربيتكم إلا لمثل هذا اليوم فأعينونى على قضاء غرض الملك وانقذونى من يده فقالوا له وما الذى تريد أن نفعل فأرواحنا فداءك قال لهم

أريد أن يسافر كل واحد منكم إلى أقليم وأن تستقصوا على العلماء والأدباء والفضلاء وأصحاب الحكايات الغريبة والأخبار العجيبة وابحثوا لى عن قصة سيف الملوك وتأتونى بها وإذا لقيتموها عند أحد فرغبوه فى ثمنها ومهما طلب من الذهب والفضة فاعطوه أياه ولو طلب منكم ألف دينار فاعطوه المتيسر وعدوه بالباقى واتونى بها ومن وقع منكم بهذه القصة واتانى بها فأنى أعطيه الخلع السنية والنعم الوفية ولم يكن عندى اعزمنه ثم أن التاجر حسن قال لواحد منهم رح أنت إلى بلاد الهند والسند واعمالها وأقاليمها وقال للآخر رح أنت إلى بلاد العجم والصين وأقاليمها وقال للآخر رح أنت إلى بلاد خرسان وأعمالها وأقاليمها وقال للآخر رح أنت إلى بلاد المغرب واقطارها واقاليمها واعمالها وجميع اطرافها وقال للاخر وهو الخامس رح انت الى بلاد الشام ومصر واعمالها وأقاليمها ثم أن التاجر أختار لهم يومًا سعيداً وقال لهم سافروا فى هذا اليوم واجتهدوا فى تحصيل حاجتى ولا تتهاونوا ولو كان فيها بذل الأرواح فودعوه وساروا وكل واحد منهم ذهب إلى الجهة التى أمره بها فمتهم أربعة انفس غابوا أربعة أشهر وفتشوا ولم يجدوا شيئًا فضاق صدر التاجر حسن لما رجع إليه الأربعة مماليك وأخبروه أنهم فتشوا المدائن والبلاد والأقاليم على مطلوب سيدهم فلم يجدوا شيئًا منه وأما المملوك الخامس فإنه سافر إلى أن دخل بلاد الشام ووصل إلى مدينة دمشق فوجدها مدينة طيبة أمينة ذات أشجار وأنهار واثمار وأطيار تسبح الله الواحد القهار الذى خلق الليل والنهار فأقام فيها أيامًا وهو يسأل عن حاجة سيده فلم يجبه أحد ثم أنه أراد أن يرحل منها ويسافر إلى غيرها وإذا هو بشاب يجرى ويتعثر فى أذياله فقال له المملوك ما بالك تجرى وأنت مكروب وإلى أين تقصد فقال له هنا شيخ فاضل كل يوم يجلس على كرسى فى مثل هذا الوقت ويحدث حكايات وأخبارا وأسمارا ملاحا لم يسمع أحد مثلها وأنا أجرى حتى أجد لى موضعًا قريبًا منه وأخاف أنى لم أحصل لى موضعًا من كثرة الخلق فقال له المملوك خذنى معك فقال له الفتى اسرع فى مشيك فغلق بابه واسرع فى السير معه حتى وصل إلى الموضع الذى يحدث فيه الشيخ بين الناس فرأى ذلك الشيخ صبيح الوجه وهو جالس على كرسى يحدث الناس فجلس قريبًا منه وصغى ليسمع حديثه فلما جاء وقت غروب الشمس فرغ الشيخ من الحديث وسمع الناس ما تحدث به وانفضوا من حوله فعند ذلك

تقدم إليـه المملوك وسلم علـيه فرد عليه وزاده في التـحية والاكرام فقال له المـملوك انك ياسيـدي الشيخ رجل ملـيح محتشم وحـديثك مليح واريـد ان اسالك على شئ فـقال له اسأل عما تريد فقال لـه المملوك هل عندك قصه سمر سيف الملـوك وبديع الجمال فقال له الشيخ وهمـن سمعت هذا الكلام ومن الذي اخـبرك بذلك فقال المملوك أنـا ما سمعت ذلك من أحد ولكن أنا من بلاد بعيدة وجئت قاصداً لهـذه القصة فمهما طلبت من ثمنها أعطيك إن كانت عندك وتـنعم وتصدق علي بها وتجعلها من مـكارم أخلاقك صدقة عن نفسك ولو أن روحي في يدي وبذلتها لك فيهـا لطاب خاطري بذلك فقال له الشيخ طب نفسا وقر عينًا وهي تحضر لك ولكن هذا سـمر لا يتحدث به أحد على قارعة الطريق ولا اعطي هذه القصة لكل أحد فقال له المملوك بالـله يا سيدي لا تبخل علي بها وأطلب مني مهما أردت فقال له الشـيخ أن كنت تريد هذه القصة فاعطني مائة ديـنار وأنا أعطيك إياها ولكن بخمس شروط فلما عرف أنها عند الشيخ وأنه سمح له بها فرح فرحًا شديداً وقال له أعطيك مـائة دينار ثمنها وعـشرة جعالة وآخذها بالـشروط التي ذكرتها فقـال له الشيخ هات الذهب وخذ حاجتك فقام المملوك وقبل يدي الشيخ وراح إلى منزله فرحًا مسروراً وأخذ في يده مائة دينار وعشرة ووضعها في كيس كان معه فلما أصبح الصباح قام ولبس ثيابه وأخذ الدنانير وأتى بها الشيخ فرآه جالـسًا على باب داره فسلم عليه فرد عليه السلام فأعطاه المائة دينار وعشرة فأخذها منه الشيخ وقام ودخل داره وأدخل المملوك وأجلسه في مكان وقدم له دواة وقلمًـا وقرطاسًا وقدم له كتابًا وقال له أكتب الـذي أنت طالبه من هذا الكتاب مـن قصة سمر سيف المـلوك فجلس المملـوك يكتب هذه القصـة إلى أن فرغ من كتابـتها ثم قرأها عـلى الشيخ وصحـحها وبعد ذلك قـال له الشيخ أعلـم يا ولدي أو أول شرط أنـك لا تقول هذه الـقصة علـى قارعة الطـريق ولا عند الـنساء والجواري ولا عـند العبيد والسفهاء ولا عند الصبيان وانما تقرؤها عند الامراء والملوك والوزراء وأهل المعرفة والمفسرين وغيرهم فقبل المملوك الشروط وقبل يدي الشيخ ودعه وخرج من عنده وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الثامنة والخمسون بعد السبعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن مملوك التاجر حسن لما نقل القصة من كتاب الشيخ الذى بالشام وأخبره بالشروط وودعه وخرج من عنده وسافر فى يومه فرحانًا مسرورًا ولم يزل مجدًا فى السير من كثرة الفرح الذى حصل له بسبب تحصيله لقصة سمر سيف الملوك حتى وصل إلى بلاده وأرسل تابعه يبشر التاجر ويقول له أن مملوكك قد وصل سالمًا وبلغ مراده ومقصوده وحين وصل المملوك إلي مدينة سيده وأرسل إليه البشير لم يبق من الميعاد الذى بين الملك وبين التاجر حسن غير عشرة أيام ثم دخل على سيده التاجر وأخبره بما حصل له ففرح فرحًا عظيمًا واستراح المملوك فى مكان خلوته وأعطى سيده الكتاب الذى فيه قصة سيف الملوك وبديع الجمال فلما رأى سيده ذلك خلع على المملوك جميع ما كان عليه من ملابسه وأعطاه عشرة من الخيل الجياد وعشرة من الجمال وعشرة من البغال وثلاثة عبيد ومملوكين ثم أن التاجر أخذ القصة وكتبها بخط مفسرة وطلع إلي الملك وقال له أيها الملك السعيد أنى جئت بسمر وحكايات مليحة نادرة لم يسمع مثلها أحد قط فلما سمع الملك كلام التاجر حسن امر فى وقته وساعته بان يحضر كل امير عاقل وكل عالم فاضل وكل اديب وشاعر ولبيب وجلس التاجر حسن وقرأ هذه السيرة عند الملك فلما سمعها الملك وكل من كان حاضرًا تعجبوا جميعًا واستحسنوها وكذلك إستحسنها الذين كانوا حاضرين ونثروا عليه الذهب والفضة والجواهر ثم أمر الملك للتاجر حسن بخلعة سنية من أفخر ملبوسه وأعطاه مدينة كبيرة بقلاعها وضياعها وجعله من أكابر وزرائه وأجلسه على يمينه ثم أمر الكتاب أن يكتبوا هذه القصة بالذهب ويجعلوها فى الخزائن الخاصة وصار الملك كلما ضاق صدره يحضر التاجر حسن فيقرؤها ومضمون هذه القصة أنه كان فى قديم الزمان وسالف العصر والأوان فى مصر ملك يسمى عاصم بن صفوان وكان ملكًا سخيًا جوادًا صاحب هيبة ووقار وكان له بلاد كثيرة قلاع وحصون وجيوش وعساكر وكان له وزير يسمى فارس بن صالح وكانوا جميعًا يعبدون الشمس والنار دون الملك الجبار الجليل القهار ثم أن هذا الملك صار شيخًا كبيرًا قد أضعفه الكبر والسقم والهرم لأنه عاش مائة وثمانين سنة ولم يكن له ولد ذكر ولا أنثى وكان بسبب ذلك فى هم وغم ليلا ونهارًا فاتفق أنه كان جالسًا يومًا من

الأيام علي سرير ملكه والأمراء والوزراء والمقدمون وأرباب الدولة فى خدمته على جرى عادتهم وعلـى قدر منازلهم وكل من دخـل عليه من الأمراء ومعه ولـد أو ولدان يحسده الملك ويقول فى نـفسه كل واحد مسرور وفرحان بأولاده وأنا مـا لى ولد وفى غد أموت وأترك ملكى وتـختى وضياعى وخزائنى وأمـوالى وتأخذها الغرباء وما يـذكرنى أحد قط ولا يبقى لى ذكر فى الدنـيا ثم أن الملك عاصم أستغرق فى بحر التـفكر ومن كثرة توارد الأحزان والأفكار على قلبه بكى ونزل من فوق تخته وجلس على الأرض يبكى ويتضرع فلما رآه الوزير والجماعة الحاضرون من أكابر الدولة فعل بنفسه ذلك صاحوا على الناس وقالوا لهم أذهبوا إلي منـازلكم واستريحوا حتى يفيق الملك مما هو فـيه فانصرفوا ولـم يبق غير الملك والوزير فلما أفاق الملك قبل الوزير الأرض بين يديه وقال له يا ملك الزمان ما سبب هذا البكـاء فأخبرنى بمن عاداك من الملوك وأصحـاب القلاع أو من الأمراء وأرباب الدولة وعرفنى بمن يخالـفك أيها الملك حتى نكون كلنا عليه ونـأخذ روحه من بين جنبيه فلم يتكـلم الملك ولم يرفع رأسه ثم أن الوزيـر قبل الأرض بين يديه ثانيًا وقـال له ياملك الزمان أنا مثل ولدك وعـبدك قد ربيتنى فأنا لم أعرف سبب غـمك وهمك وجزعك وما أنت فيه فـمن يعرف غيرى ويقـوم مقامى بين يديك فأخـبرنى بسبب هذا الـبكاء والحزن فلم يتكلم ولم يفتح فاه ولم يرفع رأسه وما زال يبكى ويصوت بصوت عال وينوح بنواح زائد ويتأوه والوزير صابر له ثم بعد ذلك قـال له الوزير إن لم تقل لى ما سبب ذلك وإلا قتلت نفسي بين يديك من ساعتى وأنت تـنظر ولا أراك مهمومًا ثم أن الملك عاصمًا رفع رأسه ومسح دموعـه وقال يا أيها الوزير الناصح خـلنى بهمى وغمى فالذى فـى قلبى من الأحزان يكـفينى فقـال له الوزير قل لـى أيها الملك ما سـبب هذا البكـاء لعل الله يـجعل الفرج على يدى وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة التاسعة والخمسون بعد السبعمائة

قالت بلـغنى أيها الملك السـعيد ان الوزير لما قال لـلملك عاصم قل لى مـا سبب هذا البكاء لعل الله يجعـل لك الفرج على يدى قال له الملك يا وزير ان بكـائى ما هو على مال ولا على خيل ولا عـلى شئ ولكن انا بقيت رجـلا كبيرا وصار عمرى نحو مـائة وثمانين سنة ولا رزقـت ولدا ذكرا ولا أنثى فاذا مـت يدفنوننـى ثم ينتهـى رسمى وينقطـع اسمى

ويأخذ الغرباء تختي وملكي ولا يذكرني احد ابدا فقال الوزير يا ملك الزمان انا اكبر منك بمائة سنة ولا رزقت بولد قط ولم ازل ليلا ونهارا في هم وغم وكيف نفعل انا وانت ولكن سمعت بخبر سليمان بن داود عليهما السلام وان له ربا عظيما قادراً على كل شئ فينبغي ان اتوجه إليه بهديه واقصده في أن يسأل ربه لعله يرزق كل واحد منا بولد ثم ان الوزير تجهز للسفر واخذ هدية فاخرة وتوجه بها إلى سليمان بن داود عليهما السلام هذا ما كان من امر الوزير اما ما كان من امر سليمان بن داود عليهما السلام فان الله سبحانه وتعالى اوحى اليه وقال يا سليمان ان ملك مصر ارسل اليك وزيره الكبير بالهدايا والتحف وهي كذا وكذا فارسل اليه بوزيرك آصف بن برخيا لاستقباله بالاكرام والزاد في مواضع الاقامات فاذا حضر بين يديك فقل له ان الملك ارسلك تطلب كذا وكذا وان حاجتك كذا وكذا ثم اعرض عليه الايمان فحينئذ امر سليمان وزيره آصف أن يأخذ معه جماعة من حاشيته للقائهم بالاكرام والزاد الفاخر في مواضع الاقامات فخرج آصف بعد ان جهز جميع اللوازم الى لقائهم وسار حتى وصل إلى فارس وزير ملك مصر فاستقبله وسلم عليه واكرمه هو ومن معه اكراماً زائداً وصار يقدم اليهم الزاد والعلوفات في مواضع الاقامات وقال لهم اهلا وسهلا ومرحبا بالضيوف القادمين فأبشروا بقضاء حاجتكم وطيبوا نفسا وقرعوا أعينا وانشرحوا صدورا فقال الوزير في نفسه من اخبرهم بذلك ثم انه قال لا صف بن برخيا ومن اخبركم بنا وبأغراضنا يا سيدى فقال له آصف ان سليمان بن داود عليهما السلام هو الذى اخبرنا بهذا فقال الوزير فارس ومن اخبر سيدنا سليمان قال له اخبره رب السموات والارض واله الخلق اجمعين فقال له الوزير فارس ما هذا الا اله عظيم فقال له آصف بن برخيا وهل انتم لا تعبدونه فقال فارس وزير ملك مصر نحن نعبد الشمس ونسجد لها فقال له آصف يا وزير فارس أن الشمس كوكب من جملة الكواكب المخلوقة لله سبحانه وتعالى وحاشى أن تكون ربا لان الشمس تظهر احيانا وتغيب احيانا وربنا حاضر لا يغيب وهو على كل شئ قدير ثم انهم سافروا قليلا حتى وصلوا الى قرب تخت ملك سليمان بن داود عليهما السلام فامر سليمان بن داود عليهما السلام جنوده من الانس والجن وغيرهما ان يصطفوا في طريقهم صفوفا فوقفت وحوش البحر والافيلة والنمورة والفهودة جميعا واصطفوا في الطريق صفين وكل جنس انحازت انواعه وحدها وكذلك الجان كل منهم ظهر للعيون من غير خفاء على

صورة هائلة مختلفة الاحوال فوقفوا جميعا صفين والطيور نشرت اجنحتها على الخلائق لتظلهم وصارت الطيور تناغى بعضها بسائر اللغات وبسائر الالحان فلما وصل اهل مصر اليهم هابوهم ولم يجسروا على المشي فقال لهم آصف ادخلوا بينهم وامشوا ولا تخافوا منهم فانهم رعايا سليمان ابن داود وما يضركم منهم احد ثم ان آصف دخل بينم فدخل وراه الخلق أجمعون ومن جملتهم جماعة وزير ملك مصر وهم خائفون ولم يزالوا سائرين حتى وصلوا الى المدينة فانزلوهم فى دار الضيافة واكرموهم غاية الاكرام واحضروالهم الضيافات الفاخرة مدة ثلاثة ايام ثم احضروهم بين يدى سليمان نبى الله عليه السلام فلما دخلوا عليه ارادوا ان يقبلوا الارض بين يديه فمتعهم من ذلك سليمان ابن داود وقال لا ينبغى أن يسجد انسان على الارض الا لله عز وجل خالق الأرض والسموات وغيرهما ومن اراد منكم ان يقف فليقف ولكن لا يقف احد منكم فى خدمتى فامتثلوا وجلس الوزير فارس وبعض خدامه ووقف فى خدمته بعض الاصاغر فلما استقر بهم الجلوس مدوالهم الاسمطة فاكل العالم والخلق اجمعون من الطعام حتى اكتفوا ثم ان سليمان أمر وزير مصر ان يذكر حاجته لتقضى وقال له تكلم ولا تخف شيئا مما جئت بسببه فانك ما جئت الا لقضاء حاجة وانا اخبرك بها وهى كذا وكذا وان ملك مصر الذى ارسلك اسمه عاصم وقد صار شيخا كبيرا هرما ضعيفا ولم يرزقه الله تعالى بولد ذكر ولا انثى فصار فى الغم والهم والفكر ليلا ونهارا حتى اتفق له انه جلس على كرسى مملكته يوما من الايام ودخل عليه الامراء والوزراء واكابر دولته فرأى بعضهم له ولدان وبعضهم له ولد وبعضهم له ثلاثة أولاد وهم يدخلون ومعهم اولادهم ويقفون فى الخدمة فتذكر فى نفسه وقال ومن فرط حزنه يا ترى من ياخذ مملكتى بعد موتى وهل يأخذها إلا رجلاً غريباً واصير أنا كأنى لم اكن فغرق فى بحر الفكر بسبب هذا ولم يزل متفكرا حزينا حتى فاضت عيناه بالدموع فغطى وجهه بالمنديل وبكى بكاء شديدا ثم قام من فوق سريره وجلس على الارض يبكى وينتحب ولم يعلم ما فى قلبه إلا الله تعالى وهو جالس على الأرض وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للستين بعد السبعمائة

قال بلغنى أيها الملك السعيد ان نبى الله سليمان بن داود عليهما السلام لما اخبر الوزيرفارسا بما حصل للملك من الحزن والبكاء وما حصل بينه وبين وزيره فارس من

أوله إلى آخره قال بعد ذلك للوزير فارس هل هذا الذى قلته لك يا وزير صحيح فقال الوزير فارس يا نبى الله ان الذى قلته حق وصدق ولكن يا نبى الله لما كنت اتحدث انا والملك فى هذه القضية لم يكن عندنا احد قط ولم يشعر بخبرنا احد من الناس فمن اخبرك بهذه الامور كلها قال له اخبرنى ربى الذى يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور فحينئذ قال الوزير فارس يا نبى الله ما هذا الا رب كريم عظيم على كل شئ قدير ثم اسلم الوزير فارس هو ومن معه ثم قال نبى الله سليمان للوزير ان معك كذا وكذا من التحف والهدايا قال الوزير نعم فقال له سليمان قد قبلت منك الجميع ولكنى وهبتها لك فاسترح انت ومن معك فى المكان الذى نزلتم فيه حتى يزول عنكم تعب السفر وفى غد ان شاء الله تعالى تقضى حاجتك على اتم ما يكون بمشيئة الله تعالى رب الارض والسماء وخالق الخلق اجمعين ثم ان الوزير فارسا ذهب الي موضعه وتوجه الى السيد سليمان ثانى يوم فقال له نبى الله سليمان اذا وصلت الى الملك عاصم بن صفوان واجتمعت انت واياه فاطلعا فوق الشجرة الفلانية واقعدوا ساكتين فاذا كان بين الصلاتين وقد برد حر القائلة فانزلا الى اسفل الشجرة وانظر هناك تجد ثعبانين يخرجان رأس أحداهما كرأس القرد ورأس الاخر كرأس العفريت فاذا رأيتماهما فارمياهما بالنشاب واقتلاهما ثم ارميا من جهة رؤسهما قدر شبر واحد ومن جهة اذيالهما كذلك فتبقى لحومهما فاطبخاها واتقنا طبخهما واطعماها زوجتيكما وناما معهما تلك الليلة فانهما يحملان باذن الله تعالى باولاد ذكور ثم ان سليمان عليه السلام احضر خاتما وسيفا وبقجة فيها قباآن ملكللان بالجواهر وقال يا وزير فارس اذا كبر ولداكما وبلغ مبلغ الرجال فاعطوا كل واحد منهما قباء من هذين القباءين ثم قال للوزير بسم الله قضى الله تعالى حاجتك وما بقى لك الا ان تسافر على بركة الله تعالى فان الملك ليلا ونهارا قدومك وعينه دائما تلاحظ الطريق ثم ان الوزير فارسا تقدم لنبى الله سليمان بن داود عليهما السلام وودعه وخرج من عنده بعد ان قبل يديه وسافر بقية يومه وهو فرحان بقضاء حاجته وجد فى السفر ليلا ونهارا ولم يزل مسافرا حتى وصل الى قرب مصر فارسل بعض خدامه ليعلم الملك عاصم بذلك فلما سمع الملك عاصم بقدومه وقضاء حاجته فرح فرحا شديدا هو وخواصه وارباب مملكته وجميع جنوده وخصوصا بسلامة الوزير فارس فلما تلاقى الملك هو والوزير ترجل الوزير وقبل الارض بين يديه وبشر الملك بقضاء حاجته على

اتم الوجوه وعـرض عليه الايمان والاسـلام فاسلم الملـك عاصم وقال للـوزير فارس رح بيتك واسترح هذه الليلة واسترح ايضا جمعة من الزمان وادخل الحمام وبعد ذلك تعالى عندى حتى اخـبرك بشئ نتدبر فيه فقـبل الوزير الارض وانصرف هو وحاشيتـه وغلمانه وخدمه الى داره واستراح ثمـانية أيام ثم بعد ذلك توجه الى الملك وحدثـه بجميع ما كان بينه وبين سليمان بـن داود عليهما السلام ثم انه قال للملك قم وحـدك وتعالى معى فقام هو والوزير واخـذوا قوسين ونشابين وطـلعا فوق الشجـرة وقعدا ساكنين الـى ان مضى وقت القائلة ولم يزالا الى قرب العصر ثم نزلا ونظرا فرايا ثعبانين خرجا من اسفل تلك الشجـرة فنظرهما المـلك واحبهما لانـهما اعجباه حـين رآهما بالاطواق الذهـب وقال يا وزير ان هـذين الثعبانين مـطوقان بـالذهب والله ان هـذا شيئـا عجيـب خلنا نمـسكهـما ونجعلهمـا فى قفص ونتفرج عليـهما فقال الوزير هذان خـلقهما الله لمنفعتـهما فارم انت واحدا بنشابة وارمى انا واحدا بـنشابة فرمى الاثنان عليهما بالنشاب فـقتلاهما وقطعا من جهة رؤسهما شبرا ومن جـهة اذنابهما شبرا ورمياه ثم ذهبا بالباقـى الى بيت الملك وطلبا الطبـاخ واعطياه ذلك اللـحم وقال له اطبخ هـذا اللحم طبـيخا مليحـا بالتقليـة والأبازير واغرقه فـى زبديتين وهاتـهما وتعال هـنا فى الوقت الـفلانى والساعـة الفلانية ولا تـبطئ وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والستون بعد السبعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان الملك والـوزير لما اعطيا الطباخ لحم الثعبانين وقال له أطبخه وأغرقه فى زبديـتين وهاتهما هنا ولا تبطئ اخذ الطباخ الـلحم وذهب الى المطبخ وطبخـه واتقن طبيخـه بتقليـه عظيمة ثم غـرقه فى زبديـتين وأحضرهما بين يـدى الملك والوزير فاخذ الملك زبدية والوزير زبدية واطعماهما لـزوجتيهما وباتا تلك الليلة معهما فبارادة الله سبحانه وتعالـى وقدرته ومشيئته حملا فى تلك الليلـة فمكث الملك بعد ذلك ثلاثة أشـهر وهو متشـوش الخاطر يقول فى نـفسه يا ترى هـل هذا الامر صحيـح ام غير صحيح ثـم ان زوجته كانت جالسة يـوما من الايام فتحرك الولـد في بطنها فعلـمت انها حامل فتوجعت وتغير لونها وطلبت واحدا من الخدام الذين عنـدها وهو أكبرهم وقالت اذهب إلـى الملك في أي مـوضع يكـون وقل له يا مـلك الزمـان ابشرك أن سـيدتنا ظـهر

حملها والـولد تحرك في بطنها فخـرج الخادم سريعا وهو فرحان فـرأي الملك وحده ويده علي خده وهو مـتفكر في ذلك فاقبل عـليه الخادم وقبل الارض بين يديه واخـبره بحمل زوجته فـلما سمـع كلام الخادم نهض قـائما علـي قدميه ومن شـدة فرحه قبـل يد الخادم ورأسه وخلع مـا كان عليه واعطاه ايـاه وقال لمن كان حاضرا فـي مجلسه من كان يـحبني فلينـعم عليه فاعطوه مـن الاموال والجواهر واليواقيت والخـيل والبغال والبساتـين شيئاً لا يعد ولا يحصي ثم أن الوزير دخل في ذلك الوقت على الملك وقال يا ملك الزمان أنا في هذه السـاعة كنت قـاعدا في البيـت وحدي وأنا مشـغول الخاطر متـفكر في شـأن الحمل وأقول في نفسي يا تري هل هو حق وان خاتون تحبل ام لا وإذا بالخادم دخل علي وبشرني بأن زوجتي خاتون حـامل وان الولد قد تحرك في بطنهـا وتغير لونها فمن فرحـتي خلعت جميـع ما كان علـي من القمـاش واعطيت الخادم ايـاه واعطيتـه الف دينار وجـعلته كـبير الخدام ثم أن الملـك عاصما قال يا وزير ان الله تـبارك وتعالي انعم عـلينا بفضلـه واحسانه وجوده وامتـنانه وبالدين الـقويم واكرمنا بكـرمه وفضله وقد اخـرجنا من الظلـمات إلي النور واريد ان افرج علي الناس وافرحهم فقال له الوزير افعل ما تريد فقال يا وزير انزل في هذا الـوقت واخرج كل من كان فـي الحبس من اصحـاب الجرائم ومن عليـهم ديون وكل مـن وقع منـه ذنب بعـد ذلك نجازيـه بما يـستحقـه ونرفع عـن الناس الخـراج ثلاث سنوات وانصب في دائر هذه المـدينة مطبخا حول الحيطان وامر الطباخـين ان يعلقوا عليه جميع أنواع القدور وان يطبخوا سائر أنواع الطعـام ويدموا الطبخ بالليل والنهار وكل من كان في هذه المدينة وما حولها من البلاد البعيـدة والقريبة يأكلون ويشربون ويحملون إلي بيوتهـم وامرهم ان يفرحوا ويـزينوا المدينة سبـعة أيام ولا يقفلـوا حوانيتهم لـيلا ولا نهار فخرج الـوزير من وقتـه وساعته وفـعل ما امره بـه الملك عاصـم وزينوا المديـنة والقلـعة والابراج احـسن الزيـنة ولـبسوا احـسن ملبوس وصار الـناس فـي اكل وشرب ولـعب وانشـراح إلي ان حصل الـطلق لـزوجة الملك بـعد انقضـاء ايامهـا فوضعت ولـدا ذكرا كالقمر ليلة تمامه فسماه سيف الملوك وكذلك زوجة الوزير وضعت ولدا كالمصباح فسماه ساعدا فلما بلغا رشدهما صار الملك عاصم كلما ينظرهما يفرح بهما الفرح الشديد فلما صار عمرهمـا عشرين سنة طلب الملـك وزيره فارس في خلوة وقال له يـا وزير قد خطر ببالي امر اريد ان افـعله ولكن استشيرك فيه فقـال له الوزير مهما خطر ببالـك فافعله فان

رأيك مبارك فقال الملك عاصم يا وزير انا صرت رجلا كبيرا شيخا هرما لاني طعنت في السن واريد ان اقعد في زاوية لا عبد الله تعالي واعطي ملكي وسلطتي لولدي سيف الملوك فانه صار شابا مليحا كامل الفروسية والعقل والادب والحشمة والرياسة فما تقول أيها الوزير في هذا الرأي فقال الوزير نعم الرأي الذي رأيته وهو رأي مبارك سعيد فإذا فعلت انت هذا فانا الاخر افعل مثلك ويكون ولدي ساعدا وزيرا له لانه شاب مليح ذو معرفة ورأي ويصير الاثنان مع بعضهما ونحن ندبر شأنهما ولا نتهاون في امرهما بل ندلهما علي الطريق المستقيم ثم قال الملك عاصم لوزيره اكتب الكتب وارسلها مع السعاة إلي جميع الاقاليم والبلاد والحصون والقلاع التي تحت ايدينا وامر اكابرها ان يكونوا في الشهر الفلاني حاضرين في ميدان الفيل فخرج الوزير فارس من وقته وساعته وكتب إلي جميع العمال واصحاب القلائع ومن كان تحت حكم الملك عاصم ان يحضروا جميعهم في الشهر وامر ان يحضر كل من في المدينة من قاص ودان ثم أن الملك عاصما بعد مضي غالب تلك المدة امر الفراشين ان يضربوا القباب في وسط الميدان وان يزينوها بافخر الزينة وان ينصبوا التخت الكبير الذي لا يقعد عليه الملك إلا في الاعياد ففعلوا في الحال جميع ما امرهم به ونصبوا التخت وخرجت النواب والحجاب والامراء وخرج الملك وامر أن ينادي في الناس بسم الله ابرزوا إلي الميدان فبرز الامراء والوزراء واصحاب الاقاليم والضياع إلي ذلك الميدان ودخلوا في خدمة الملك علي جري عادتهم واستقروا كلهم في مراتبهم فمنهم من قعد ومنهم من وقف إلي ان اجتمعت الناس جميهم وامر الملك ان يمدوا السماط فمدوه واكلوا وشربوا ودعو للملك ثم امر الملك الحجاب ان ينادوا في الناس بعدم الذهاب فنادوا وقالوا في المناداة لا يذهب منكم احد حتى يسمع كلام الملك ثم رفعوا الستور فقال الملك من احبني فليمكث حتي يسمع كلامي فقعد الناس جميعهم مطمئنين النفوس بعد ان كانوا خائفين ثم قام الملك على قدميه وحلفهم ان لا يقوم احد من مقامه وقال لهم أيها الامراء والوزراء وارباب الدولة كبيركم وصغيركم ومن حضر من جميع الناس هل تعلموا ان هذه المملكة لى وراثة عن ابائى وأجدادى قالوا له نعم أيها الملك كلنا نعلم ذلك فقال لهم أنا وأنتم كنا كلنا نعبد الشمس والقمر ورزقنا الله تعالي الإيمان وأنقذنا من الظلمات إلي النور وهدانا الله سبحانه وتعالى إلي دين الإسلام واعلموا إنى الآن صرت رجلاً كبيراً شيخًا هرمًا عاجزًا

وأريد أن أجلس فى زاوية أعبد الله تعالي فيها وأستغفره من الذنوب الماضية وهذا ولدى سيف الملوك حاكم وتعرفون أنه شاب مليح فصيح خبير بالأمور عاقل فاضل عادل فأريد فى هذه الساعة أن أعطيه مملكتى وأجعله ملكًا عليكم عوضًا عنى وأجلسه سلطانًا فى مكانى وأتخلى أنا لعبادة الله تعالي فى زاوية وابنى سيف الملوك يتولى الحكم ويحكم بينكم فأى شيء قلتم كلكم بأجمعكم فقاموا كلهم وقبلوا الأرض بين يديه وأجابوا بالسمع والطاعة وقالوا يا ملكنا وحامينا لو أقمت علينا عبداً من عبيدك لأطعناه وسمعنا قولك وأمتثلنا أمرك فكيف بولدك سيف الملوك فقد قبلناه ورضيناه على العين والرأس فقام الملك عاصم ابن صفوان ونزل من فوق سريره وأجلس ولده علي التخت الكبير ورفع التاج من فوق رأس نفسه ووضعه فوق رأس ولده وشد وسطه بمنطقة الملك وجلس الملك عاصم علي كرسي مملكته بجانب ولده فقام الأمراء والوزراء وأكابر الدولة وجميع الناس وقبلوا الأرض بين يديه وصاروا وقوفًا يقولون لبعضهم هو حقيق بالملك وهو أولى به من الغير ونادوا بالامان ودعوا له بالنصر والإقبال ونثر سيف الملوك الذهب والفضة على رؤس الناس أجمعين وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الثانية والستون بعد السبعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الملك عاصمًا لما أجلس سيف الملوك على التخت ودعا له كامل الناس بالنصر والأقبال ونثر الذهب والفضة على رؤس الناس اجمعين وخلع الخلع ووهب وأعطى ثم بعد لحظة قام الوزير فارس وقبل الأرض وقال يا أمراء يا أرباب الدولة هل تعرفون أنى وزير ووزارتى قديمة من قبل أن يتولى الملك عاصم بن صفوان وهو الآن قد خلع نفسه من الملك وولى ولده عوضًا عنه قالوا نعم نعرف وزارتك أبا عن جد فقال والآن أخلع نفسى وأولى ولدى ساعدا هذا فإنه عاقل فطن خبير فأى شيء تقولون بأجمعكم فقالوا لا يصلح وزير الملك سيف الملوك إلا ولدك ساعد فانهما يصلحان لبعضهما فعند ذلك قام الوزير فارس وقلع عمامة الوزارة ووضعها فوق رأس ولده ساعد وحط دواة الوزارة قدامه أيضًا وقالت الحجاب والأمراء أنه يستحق الوزارة فعند ذلك قام الملك عاصم والوزير فارس وفتحا الخزائن وخلعا الخلع السنية على الملوك والامراء وأكابر الدولة والناس اجمعين وأعطى النفقة والأنعام وكتبا لهم المناشير الجديدة والمراسيم بعلامة سيف الملوك وعلامة الوزير ساعد بن الوزير فارس

وأقام الناس فى المدينة جمعة وبعدها كل منهم سافر إلي بلاده ومكانه ثم أن الملك عاصم أخذ ولده سيف الملوك وساعدا ولد الوزير ودخلوا المدينة وطلعوا القصر وأحضروا الخازندار وأمروه بأحضار الخاتم والسيف والبقجة وقال الملك عاصم يا أولادى تعالوا كل واحد منكم يختار من هذه الهدية شيئا ويأخذه فأول من مد يده سيف الملوك فأخذ البقجة والخاتم ومد ساعد يده فأخذ السيف والمهر وقبلا يدى الملك وذهبا إلي منازلهما فلما أخذ سيف الملوك البقجة لم يفتحها ولم ينظر ما فيها بل رماها فوق التخت الذي ينام عليه بالليل هو وساعد وزيره وكان من عادتهما أن يناما مع بعضهما ثم أنهم فرشوا لهما فراش النوم ورقد الاثنان مع بعضهما علي فراشهما والشموع تضيء عليهما واستمرا إلي نصف الليل ثم انتبه سيف الملوك من نومه فرأي البقجة عند رأسه فقال فى نفسه يا ترى أى شيء فى هذه البقجة التى أهداها لنا الملك من التحف فأخذها وأخذ الشمعة ونزل من فوق التخت وترك ساعدا نائمًا ودخل الخزانة وفتح البقجة فرأي فيها قباء من شغل الجان ففتح القباء وفرده فوجد علي البطانة التى من داخل فى جهة ظهر القباء صورة بنت منقوشة بالذهب ولكن جمالها شيء عجيب فلما رأي هذه الصورة طار عقله من رأسه وصار مجنونًا بعشق تلك الصورة ووقع فى الأرض مغشيًا عليه وصار يبكى وينتحب ويلطم على وجهه وصدره ويقبلها ثم أنشد هذين البيتين:

الحب أول ما يكون مجاجة ... تأتى به وتسوقه الأقدار
حتى إذا خاض الفتى لجج الهوى ... جاءت أمور لا تطاق كبار

ولم يزل سيف الملوك يبكى وينتحب ويلطم على وجهه حتي انتبه الوزير ساعد وتأمل الفرش فلم ير سيف الملوك فرأي شمعة فقال فى نفسه اين راح سيف الملوك ثم أخذ الشمعة وقام يدور في القصر جميعه حتي وصل إلي الخزانة التى فيها سيف الملوك فرآه وهو يبكى بكاءًا شديدًا وينتحب فقال له يا أخى لأى سبب هذا البكاء أى شيء جرى لك فحدثنى واخبرنى بسبب ذلك وسيف الملوك لم يكلمه ولم يرفع رأسه بل يبكى وينتحب ويدق يده علي صدره فلما رآه ساعد على هذه الحالة قال أنا وزيرك وأخوك وتربيت أنا وإياك وأن لم تبين لى أمورك وتطلعنى علي سرك فعلى من تخرج سرك وتطلعه عليه ولم يزل ساعد يتضرع ويقبل الأرض ساعة زمنية وسيف الملوك لم يلتفت إليه ولم يكلمه كلمة واحدة بل يبكى فلما راع ساعدا حاله وأعياه أمره خرج من عنده وأخذ سيفا ودخل

الخزانة التى فيها سيف الملوك وحط ذبابه على صدر نفسه وقال لسيف الملوك انتبه يا أخى إن لم تقل لى أى شيء جرى لك قتلت روحى ولا آراك فى هذه الحالة فعند ذلك رفع سيف الملوك رأسه إلي وزيره ساعد وقال له يا أخى أنا استحيت أن أقول لك وأخبرك بالذى جرى لى فقال له ساعد سألتك بالله رب الأرباب ومعتق الرقاب ومسبب الأسباب الواحد التواب الكريم الوهاب أن تقول لى ما الذى جري لك ولا تستحى منى فأنا عبدك ووزيرك ومشيرك فى الأمور كلها فقال سيف الملوك تعال أنظر إلي هذه الصورة فلما رأي ساعد تلك الصورة تأمل فيها ساعةً زمانية ورأي مكتوبًا على رأس الصورة باللؤلؤ المنظوم هذه الصورة صورة بديع الجمال بنت شماخ بن شاروخ ملك من ملوك الجان المؤمنين الذين هم نازلون فى مدينة بابل وساكنون فى بستان أرم بن عاد الأكبر وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الثالثة والستون بعد السبعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن سيف الملوك ابن الملك عاصم والوزير ساعد ابن الوزير فارس لما قرأ الكتابة التى علي القباء ورأيا فيها صورة بديع الجمال بنت شماخ بن شاروخ ملك بابل من ملوك الجان المؤمنين النازلين بمدينة بابل الساكنين فى بستان أرم بن عاد الأكبر قال الوزير ساعد للملك سيف الملوك يا أخى اتعرف من صاحبة هذه الصورة من النساء حتي نفتش عليها فقال سيف الملوك لا والله يا أخى ما أعرف صاحبة هذه الصورة فقال ساعد تعال اقرأ هذه الكتابة فتقدم سيف الملوك وقرأ الكتابة التى على التاج وعرف مضمونها فصرخ من صميم قلبه وقال آه آه آه فقال له ساعد يا أخى أن كانت صاحبة هذه الصورة موجودة وأسمها بديعة الجمال وهى فى الدنيا فأنا أسرع في طلبها من غير مهلة تبلغ مرادك فبالله يا أخى أن تترك البكاء لأجل أن تدخل أهل الدولة فى خدمتك فإذا كان ضحوة النهار فأطلب التجار والفقراء والسواحين والمساكين واسألهم عن صفات هذه المدينة لعل أحدًا ببركة الله سبحانه وتعالي وعونه يدلنا عليها وعلي بستان أرم فلما أصبح الصباح قام سيف الملوك وطلع فوق التخت وهو معانق للقباء لأنه صار لا يقوم ولا يقعد ولا يأتيه نوم إلا وهو معها فدخلت عليه الأمراء والوزراء والجنود وأرباب الدولة فلما تم الديوان وانتظم الجمع قال الملك سيف الملوك لوزيره ساعد ابرز لهم وقل لهم أن الملك حصل له تشويش والله ما بات البارحة إلا وهو ضعيف فطلع الوزير ساعد وأخبر الناس بما قال الملك فلما سمع الملك عاصم ذلك لم يهن عليه ولده

فعـند ذلك دعـا بالحكـماء والمنـجمين ودخل بـهم علـى ولده سيـف الملوك فـنظروا إلـيه ووصفـوا له الشراب واسـتمر مـوضعه مـدة ثلاثة أشهـر فقال المـلك عاصـم للحكـماء الحاضرين وهو مغتاظ عليهم ويلكم يا كلاب هل عجزتم كلكم عن مداواة ولدى فإن لم تداووه فى هذه الساعة اقتلكم جميعًا فقال رئيسهم الكبير يا ملك الزمان أننا نعلم أن هذا ولدك وأنت تعلم أننـا لا نتساهل فى مداواة الغريب فكيـف بمداواة ولدك ولكن ولدك به مرض صعب أن شئـت معرفته نذكره لك ونـحدثك به قال الملك عاصـم أى شىء ظهر لكم من مرض ولدى فقـال له الحكيم الكبير يا ملك الـزمان أن ولدك الآن عاشق ويحب ولا سبيل إلي وصاله فـاغتاظ الملك عليهم وقال من أين علمـتم أن ولدى عاشق ومن أين جاء العشق لولدى فقالوا له اسأل أخاه ووزيره ساعداً فإنه هو الذى يعلم حاله فعند ذلك قام الملـك عاصم ودخل فى خـزانة وحده ودعا بسـاعد وقال له اصدقـنى بحقيـقة مرض أخيك فقال له ما أعلم حقيقته فقال الملـك للسياف خذ ساعد واربط عينيه واضرب رقبته فخاف ساعد عـلي نفسه وقال يا ملك الـزمان أعطنى الأمان فقال له قـلى لى ولك الأمان فقال له ساعد أن ولدك عاشق فقال لـه الملك ومن معشـوقه فقال ساعد بنـت ملك من ملوك الجان فأنه رأي صورتها في قباء من البقجة التى أهداها اليكم سليمان نبى الله فعند ذلك قام الملـك عاصم ودخل على أبنه سيف الملوك وقال له يا ولـدى أى شىء دهاك وما هذه الصورة التـى عشقتها ولأى شىء لم تخبـرنى فقال سيف الملوك يا أبى كـنت استحى منك وما كنـت أقدر أن أذكر لك ذلك ولا أقدر أن أظهر أحدًا علـى شىء منه أبدًا والآن قد علمت بحالى فانـظر كيف تعمل فى مداواتى فقال له أبوه كيف تـكون الحيلة لو كانت هذه من بنـات الأنس كنا دبرنا حيـلة فى الوصول إليـها ولكن هذه من بنـات ملوك الجان ومن يقـدر عليهـا إلا إذا كان سليـمان ابن داود فأنـه هو الذى يقـدر على ذلك ولـكن يا ولدى قم فـى هذه الساعـة وقوْ روحك واركـب ورح إلـي الصيد والـقنص واللـعب فى الميدان واشتغل بالأكل والشرب واصرف الهم والـغم عن قلبك وأنا اجىء لك بمائة بنت من بنات المـلوك ومالك حاجة ببنـات الجان التى ليس لنـا قدرة عليهم ولا هم من جـنسنا فقال له أنـا ما أتركها ولا أطلـب غيرها فقال لـه كيف يكون العـمل يا ولدى فقال لـه أبنه احضر لنا جميع التجار والمسافرين والسواحين فـى البلاد لنسألهم عن ذلك لعل الله يدلنا علي بستـان أرم وعلي مدينة بابل فأمر المـلك عاصم أن يحضر كل تاجر فـى المدينة وكل غريب فيـها وكل رئيس في الـبحر فلما حـضروا وسألهم عن مـدينة بابل وعن جـزيرتها

وعن بستان أرم فما أحد منهم عرف هذه الصفة ولا أخبر عنها بخبر وعند انفضاض المجلس قال واحد منهم يا ملك الزمان أن كنت تريد أن تعرف ذلك فعليك ببلاد الصين فإنها مدينة كبيرة ولعل أحداً منها يدلك علي مقصودك ثم أن سيف الملوك قال يا أبى جهز لى مركبًا للسفر إلي بلاد الصين فقال أبوه الملك عاصم يا ولدى أجلس أنت على كرسى مملكتك واحكم فى الرعية وأنا أسافر إلي بلاد الصين وامضى إلي هذا الأمر بنفسي فقال سيف الملوك يا أبى أن هذا الأمر متعلق بى وما يقدر أحد أن يفتش عليه مثلى وأى شيء يجرى إذا كنت تعطينى إذنًا بالسفر فأسافر واتغرب مدة من الزمان فإن وجدت لها خبرا حصل المراد وإن لم أجد لها خبراً يكون فى السفر إنشراح صدرى ونشاط خاطرى ويهون امرى بسبب ذلك وإن عشت رجعت إليك سالمًا وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الرابعة والستون بعد السبعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن سيف الملوك قال لوالده الملك عاصم جهز لى مركبًا لأسافر فيها إلي بلاد الصين حتى أفتش على مقصودى فإن عشت رجعت إليك سالمًا فنظر الملك إلي ابنه فلم ير له حيلة غير أنه يعمل له الذى يرضيه فأعطاه إذنًا بالسفر وجهز له أربعين مركبًا وعشرين ألف مملوك غير الأتباع وأعطاه أموالاً وخزائن وكل شىء يحتاج إليه من آلات الحرب وقال له سافر يا ولدى فى خير وعافية وسلامة وقد استودعتك عند من لا تخيب عنده الودائع فعند ذلك ودعه أبوه وأمه وشحنت المراكب بالماء والزاد والسلاح والعساكر ثم سافروا ولم يزالوا مسافرين حتى وصلوا إلي مدينة الصين فلما سمع أهل الصين أنه وصل اليهم أربعون مركبا مشحونة بالرجال والعدد والسلاح والذخائر اعتقدوا أنهم اعداء جاؤا إلي قتالهم وحصارهم فقفلوا أبواب المدينة وجهزوا المنجنيقات فلما سمع الملك سيف الملوك ذلك ارسل اليهم مملوكين من مماليكه الخواص وقال لهم امضوا الى ملك الصين وقولوا له ان هذا عاصم سيف الملوك ابن الملك جاء إلي مدينتك ضيفًا ليتفرج فى بلادك مدة من الزمان ولا يقاتل ولا يخاصم فإن قبلته نزل عندك وإن لم تقبله رجع ولا يشوش عليك ولا على أهل مدينتك فلما وصل المماليك إلي المدينة قالوا لأهلها نحن رسل الملك سيف الملوك ففتحوا لهم الباب وذهبوا بهم واحضروهم عند ملكهم وكان اسمه قعفوشاه وكان بينه وبين الملك عاصم قبل تاريخه معرفة فلما سمع أن الملك القادم عليه هو سيف الملوك بن الملك عاصم خلع علي الرسل

وأمر بفتح الأبواب وجهز الضيافات وخرج بنفسه مع خواص دولته وجاء الى سيف الملوك وتعانقا وقال له أهلاً وسهلاً ومرحبا بمن قدم علينا وأنا مملوكك ومملوك أبيك ومدينتى بين يديك وكل ما تطلبه يحضر إليك وقدم له الضيافات والزاد فى مواضع الإقامات وركب الملك سيف الملوك وساعد وزيره ومعهم خواص دولتهم وبقية العساكر وساروا فى ساحل البحر إلي أن دخلوا المدينة وضربت الكاسات ودقت البشائر وأقاموا فيها مدة أربعين يومًا فى ضيافات حسنة ثم بعد ذلك قال له يا ابن أخى كيف حالك هل أعجبتك بلادى فقال له سيف الملوك أدام الله تعالي تشريفها بك أيها الملك فقال الملك قعفوشاه ما جاء بك إلا لحاجة طرأت لك وأي شيء تريده من بلادى فأنا أقضيه لك فقال له سيف الملوك يا ملك أن حديثى عجيب هو أنى عشقت صورة بديع الجمال فبكى ملك الصين رحمة له وشفقة عليه وقال له وما تريد الآن يا سيف الملوك فقال له أريد منك أن تحضر لى جميع السواحين والمسافرين ومن له عادة بالأسفار حتى اسألهم عن صاحبة هذه الصورة لعل أحدًا منهم يخبرنى بها فأرسل الملك قعفوشاه النواب والحجاب والأعوان وأمرهم أن يحضروا جميع من فى البلاد من السواحين والمسافرين فأحضروهم وكانوا جماعة كثيرة فاجتمعوا عند الملك قعفوشاه ثم سأل الملك سيف الملوك عن مدينة بابل وعن بستان أرم فلم يرد عليه أحد منهم جوابًا فتحير الملك سيف الملوك فى أمره ثم بعد ذلك قال واحد من رؤساء البحرية أيها الملك إن أردت أن تعلم هذه المدينة وذلك البستان فعليك بالجزائر التى فى بلاد الهند فعند ذلك أمر سيف الملوك أن يحضروا المراكب ففعلوا ونقلوا فيها الماء والزاد وجميع ما يحتاجون إليه وركب سيف الملوك وساعد وزيره بعد أن ودعوا الملك قعفوشاه وسافروا فى البحر مدة أربعة أشهر فى ريح طيبة سالمين مطمئنين فاتفق أن خرج عليهم ريح في يوم من الأيام وجاءهم الموج من كل مكان ونزلت عليهم الأمطار وتغير البحر من شدة الريح ثم ضربت المراكب بعضها بعضًا من شدة الريح فانكسرت جميعها وكذلك الزوارق الصغيرة وغرقوا جميعهم وبقى سيف الملوك مع جماعة من مماليكه فى زورق صغير ثم سكت الريح وسكن بقدرة الله تعالى وطلعت الشمس ففتح سيف الملوك عينيه فلم ير شيئًا من المراكب ولم ير غير السماء والماء هو ومن معه فى الزورق الصغير فقال لمن معه من مماليكه أين المراكب والزوارق الصغيرة واين أخى ساعد فقالوا له يا ملك الزمان لم يبق مراكب ولا زوارق ولا من فيها فإنهم غرقوا كلهم وصاروا طعمًا للسمك فصرخ سيف الملوك وقال كلمة لا يخجل قائلها وهى

لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وصار يلطم على وجهه وأراد أن يرمى نفسه فى البحر فمنعه المماليك وقالوا له يا ملك أى شيء يفيدك من هذا فأنت الذى فعلت بنفسك هذه الفعال ولو سمعت كلام أبيك ما كان جرى عليك من هذا شيء ولكن كل هذا مكتوب من القدم بإرادة بارئ النسم وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الخامسة والستون بعد السبعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن سيف الملوك لما أراد أن يرمى نفسه فى البحر منعته المماليك وقالوا له أى شيء يفيدك من هذا فأنت الذى فعلت بنفسك هذه الفعال ولكن هذا شيء مكتوب من القدم بإرادة بارئ النسم حتي يستوفى العبد ما كتب الله عليه وقد قال المنجمون لأبيك عند ولادتك أن ابنك هذا تجرى عليه الشدائد كلها وحينئذ ليس لنا حيلة إلا الصبر حتى يفرج الله علينا الكرب الذي نحن فيه فقال سيف الملوك لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم لا مفر من قضاء الله تعالى ولا مهرب ثم أنه تنهد وانشد هذه الأبيات:

تحيرت والرحمن لا شك فى أمرى ... وادركني الوسواس من حيث لا أدرى

سأصبر حتى يعلم الناس أننى ... صبرت على شيء أمر من الصبر

وما طعم صاب الصبر صبرى وإنما ... صبرت على شيء أحرّ من الجمر

وما حيلتى فى الأمر هذا وإنما ... أفوّض أحوالى إلي صاحب الأمر

ثم غرق فى بحر الأفكار وجرت دموعه علي خده كالمدرار ونام ساعة من النهار ثم استفاق وطلب شيئًا من الأكل فأكل حتى اكتفى ورفعوا الزاد من قدامه والزورق سائر بهم ولم يعلموا إلي أى جهة يتوجه بهم ولم يزل يسير بهم مع الأمواج والرياح ليلاً ونهارًا مدة مديدة من الزمان حتى فرغ منهم الزاد وذهلوا عن الرشاد وصاروا فى أشد ما يكون من الجوع والعطش والقلق وإذا بجزيرة قد لاحت لهم بعد فصارت الرياح تسوقهم إلي أن وصلوا إليها وأرسوا عليها وطلعوا من الزورق وتركوا فيه واحدًا ثم توجهوا إلي تلك الجزيرة فرأوا فيها فواكه كثيرة من سائر الألوان فأكلوا منها حتى أكتفوا وإذا بشخص جالس بين تلك الأشجار طويل الوجه رؤيته عجيبة أبيض اللحية والبدن

فنادى بعض المماليك باسمه وقال له لا تأكل من هذه الفواكه لأنها لم تستو وتعال عندى حتى أطعمك من هذه الفواكه المستوية فنظر إليه المملوك وظن أنه من جملة الغرقا الذين غرقوا وطلع علي هذه الجزيرة ففرح برؤيته غاية الفرح ومشى حتى وصل قريبًا منه وذلك المملوك لا يعلم الذى قدر عليه فى الغيب وما هو مسطر علي جبينه فلما صار ذلك المملوك قريبًا منه وثب عليه ذلك الرجل لأنه مارد وركب فوق أكتافه ولف إحدى رجليه على رقبته والأخرى أرخاها على ظهره وقال له امش ما بقى لك منى خلاص وأنت بقيت حمارى فصاح المملوك على رفقائه وصار يبكى ويقول وا سيداه أخرجوا وانجوا بأنفسكم من هذه الغابة وأهربوا الآن واحدًا من سكانها ركب فوق أكتافى وأن البقية يطلبونكم ويريدون أن يركبوكم مثلى فلما سمعوا ذلك الكلام الذى قاله المملوك هربوا كلهم ونزلوا فى الزورق فتبعوهم فى البحر وقالوا لهم اين تذهبون تعالوا اقعدوا عندنا ولنركب فوق ظهوركم ونطعمكم ونسقيكم وتبقوا حميرنا فلما سمعوا منهم هذا الكلام اسرعوا بالسير فى البحر إلي أن بعدوا عنهم وتوجهوا متوكلين علي الله تعالي ولم يزالوا كذلك مدة شهر حتى بانت لهم جزيرة أخرى فطلعوا فى تلك الجزيرة فرأوا فيها فواكه مختلفة الأنواع فاشتغلوا بأكل الفواكه وإذا هم بشىء فى الطريق يلوح على بعد فلما قربوا منه نظروا إليه فرأوه بشع المنظر مرميا مثل عامود من فضة فلكزه مملوك برجله وإذا هو شخص طويل العينين مشقوق الرأس وهو مختف تحت أحدى أذنيه لأنه كان إذا نام يحط أذنه تحت رأسه ويتغطى بالأذن الأخرى ثم خطف المملوك الذى لكزه وراح به وسط الجزيرة فإذا هى كلها غيلان يأكلون بنى آدم ثم أن ذلك المملوك صاح على رفقائه وقال لهم فوزوا بأنفسكم فإن هذه الجزيرة جزيرة الغيلان يأكلون بنى آدم ويريدون أن يقطعونى ويأكلونى فلما سمعوا هذا الكلام ولوا معرضين ونزلوا من البر إلي الزورق ولم يجمعوا من هذه الفواكه شيئًا وساروا مدة أيام فاتفق أنه ظهرت لهم فى يوم من الأيام جزيرة أخرى فلما وصلوا إليها وجدوا فيها جبلاً عاليًا فطلعوا فى ذلك الجبل فرأوا فيه غابة كثيرة الأشجار وهم جياع فاشتغلوا بأكل الفواكه فلم يشعروا إلا وقد خرج لهم من بين الأشجار أشخاص هائلة المنظر طوال طول كل واحد منهم خمسون ذراعًا وأنيابه

خارجة من فمه مثل أنياب الفيل وإذا هم بشخص جالس على قطعة لباد أسود فوق صخرة من الحجر وحواليه الزنوج وهم جماعة كثيرة واقفون فى خدمته فجاء هؤلاء الزنوج وأخذوا سيف الملوك ومماليكه وأوقفوهم بين يدى ملكهم وقالوا إنا لقينا هذه الطيور بين الأشجار وكان الملك جائعًا فأخذ اثنين من المماليك وذبحهما وأكلهما وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة السادسة والستون بعد السبعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الزنوج لما أخذوا الملك سيف الملوك ومماليكه وأوقفوهم بين يدى ملكهم وقالوا له يا ملك إنا لقينا هذه الطيور بين الأشجار فأخذ ملكهم مملوكين وذبحهما وأكلهما فلما رأي سيف الملوك هذا الأمر خاف علي نفسه وبكى ثم أنشد هذين البيتين:

ألف الحوادث مهجتى وألفتها بعد التنافر والكريم ألوف
ليس الهموم على صنفًا واحدًا عندى بحمد الله منه الوف

ثم تنهد وأنشد أيضًا هذين البيتين:

رماني الدهر بالارزاء حتى فؤادى فى غشاء من نبال
فصرت إذا أصابتني سهام تكسرت النصال على النصال

فلما سمع الملك بكاءه وتعديده قال أن هؤلاء طيور مليحة الصوت والنغمة قد اعجبتنى أصواتهم فأجعلوا كل واحد منهم فى قفص فحطوا كل واحد منهم فى قفص وعلقوهم على رأس الملك ليسمع أصواتهم وصار سيف الملوك ومماليكه فى الأقفاص والزنوج يطعمونهم ويسقوهم وهم ساعة يبكون وساعة يضحكون وساعة يتكلمون وساعة يسكتون كل هذا وملك الزنوج يتلذذ بأصواتهم ولم يزالوا على تلك الحالة مدة من الزمان وكان للملك بنت متزوجة فى جزيرة أخرى فسمعت أن أباها عنده طيور لها أصوات مليحة فأرسلت جماعة إلى أبيها تطلب منه شيئًا من الطيور فأرسل إليها أبوها سيف الملوك وثلاثة مماليك فى أربعة أقفاص مع القاصد الذى جاء فى طلبهم فلما وصلوا

إليها ونظرتهم أعجبوها فأمرت أن يطلعوهم فى موضع فوق رأسها فصار سيف الملوك يتعجب مما جرى له ويتفكر ما كان فيه من العز وصار يبكى على نفسه والمماليك الثلاثة يبكون على أنفسهم كل هذا وبنت الملك تعتقد أنهم يغنون وكانت عادة بنت الملك اذا وقع عندها أحد من بلاد مصر أو من غيرها وأعجبها يصير له عندها منزلة عظيمة وكان بقضاء الله تعالي وقدره أنها لما رأت سيف الملوك أعجبها حسنه وجماله وقده واعتداله فامرت باكرامهم واتفق أنها اختلت يوما من الأيام بسيف الملوك وطلبت منه أن يجامعها فأبى سيف الملوك ذلك وقال لها يا سيدتى أنا راجل غريب وبحب الذى أهواه كئيب وما أرضى بغير وصاله فصارت بنت الملك تلاطفه وتراوده فامتنع منها ولم تقدر أن تدنو منه ولا أن تصل إليه بحال من الأحوال فلما أعياها أمره غضبت عليه وعلى مماليكه وامرتهم أن يخدموها وينقلوا إليه الماء والحطب فمكثوا على هذه الحالة أربع سنوات فاعيى سيف الملوك ذلك الحال وأرسل يتشفع عند الملكة عسى أن تعتقهم ويمضوا إلي حال سبيلهم ويستريحوا مما هم فيه فأرسلت أحضرت سيف الملوك وقالت إن وافقتنى على غرضى اعتقك من الذى أنت فيه وتروح لبلادك سالمًا غانمًا ومازالت تتضرع إليه وتأخذ بخاطره فلم يجبها إلي مقصودها فأعرضت عنه مغضبة وصار سيف الملوك والمماليك عندها فى الجزيرة على تلك الحالة وعرف أهلها أنهم طيور بنت الملك فلم يتجاسر أحد من أهل المدينة على أن يضرهم بشيء وصار قلب بنت الملك مطمئنًا عليهم وتحققت أنهم ما بقى لهم خلاص من هذه الجزيرة فصاروا يغيبون عنها اليومين والثلاثة ويدورون فى البرية ليجمعوا الحطب من جوانب الجزيرة ويأتوا به إلي مطبخ بنت الملك فمكثوا على هذه الحالة خمس سنوات فاتفق أن سيف الملوك قعد هو ومماليكه يومًا من الأيام على ساحل البحر يتحدثون فيما جرى فالتفت سيف الملوك فرأي روحه فى هذا المكان ومماليكه فتذكر أمه وأباه وأخاه ساعدا وتذكر العز الذى كان فيه فبكى وزاد فى البكاء والنحيب وكذلك المماليك بكوا مثله ثم قال له المماليك يا ملك الزمان إلي متى تبكى والبكاء لا يفيد وهذا أمر مكتوب على جباهنا بتقدير الله عز وجل وقد جرى القلم بما حكم وما ينفعنا إلا الصبر لعل الله سبحانه وتعالي الذى إبتلانا بهذه الشدة يفرجها عنا فقال لهم سيف الملوك يا أخوتى كيف نعمل فى خلاصنا من هذه الملعونة ولا أرى لنا خلاصا إلا أن يخلصنا الله منها بفضله ولكن خطر ببالى أن نهرب ونستريح من هذا التعب فقالوا له يا ملك الزمان أين نروح من هذه الجزيرة وهى كلها غيلان يأكلون بنى آدم وكل موضع

توجهنـا إليه وجدونا فيـه فأما أن يأكلونـا وأما أن يأسرونا ويردونـا إلي موضعنا وتـغضب علينـا بنت الملك فقـال سيف الملوك أنا أعـمل لكم شيئًـا لعل الله تعـالي يساعدنا بـه علي الخلاص ونخلص مـن هذه الجزيرة فقالوا له كيـف تعمل فقال نقطـع من هذه الأخشاب الطوال ونفتل مـن قشرها حبالاً ونربط بعضها فـي بعض ونجعلها فلكا ونرمـيه في البحر ونملاءه من تلـك الفاكهة ونعـمل له مجاديف ونـنـزل فيه لعل اللـه تعالي أن يجعـل لنا به فرجًا فإنه علي كل شـيء قدير وعسى الله أن يرزقنا الريح الطيب يوصـلنا إلي بلاد الهند ونخلص مـن هذه الملعونة فـقالوا له هذا رأي حسن وفـرحوا به فرحًا شديـدًا وقاموا فى الوقت والـساعة يقطـعون الأخشاب لـعمل الفلـك ثم فتلوا الحـبال لربط الأخـشاب فى بعضها واستمروا عـلى ذلك مدة شهر وكل يوم فى آخر النهار يأخـذون شيئًا من الحطب ويروحون به إلي مطبخ بنت الملك ويجعلون بقية النهار لأشغالهم فى صنع الفلك إلى أن أتموه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة السابعة والستون بعد السبعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن سيف الملوك ومماليكه لما قطعوا الأخشاب من الجزيرة وفتلوا الحبال وربطوا الـفلك الذى عملوه فلما فرغوا من عملـه رموه فى البحر ووسقوه من الفواكه التى فى الجزيرة من تلك الأشجـار وتجهزوا فى آخر يومهم ولم يعلموا أحدا بما فعلـوا ثم ركبوا فى ذلك الفـلك وساروا فى البحر مـدة أربعة أشهر ولـم يعـلموا اين يذهب بهم وفرغ منـهم الزاد وصاروا فى أشد ما يكون من الجوع والعـطش وإذا بالبحر قد أرغى وازبد وطلع له أمواج عالية فأقبل عليهم تمساح هائل ومد يده وخطف مملوكًا من المماليك وبلعه فلما رأى سيف الملوك ذلك التـمساح فعل بالمملوك ذلك الفعل بكى بكاءاً شديدًا وصـار فى الفلك هو والمـملوك الباقى وحـدهما وبعدا عـن مكان التمسـاح وهما خائفان ولم يزالا كذلك حتى ظهر لهما يومًـا من الأيام جبل عظيم هائل شاهق فى الهواء ففرحا به وظهـر لهما بعد ذلك جزيرة فجدًا فى الـسير إليها وهما مستبشـران بدخولهما الجزيرة فبـينما هما عـلى تلك الحالة وإذا بـالبحر قد هاج وعـلت أمواجه وتغيـرت حالته فرفع تمساح رأسه ومد يده فـأخذ المملوك الذى بقى من مماليك سيف المـلوك وبلعه فصار سيف الملوك وحده حـتى وصل إلي الجزيرة وصار يعالج إلي أن صـعد فوق الجبل فرأي

غابة فدخل الغابـة ومشى بين الأشجار وصار يأكل من الفواكـه فرأي الأشجار وقد طلع فوقها ما يزيد عن عشرين قردا كبار كل واحد منهم أكبر من البغل فلما رأي سيف الملوك هذه القـرود حصل له خوف شـديد ثم نزلت الـقرود وأحتاطـوا به من كل جانـب وبعد ذلك ساروا أمـامه وأشاروا إليه أن يـتبعهم ومشـوا فمشى سيـف الملوك خلفـهم وما زالا سائرين وهو تابعهم حتى أقبلوا على قلعة عالية البنيان مشيدة الأركان فدخلوا تلك القلعة ودخل سيف المـلوك وراءهم فرأي فيهـا من سائر التحـف والجواهر والمعادن ما يـكل عنه وصف اللسان ورأي فى تـلك القلعة شابًا لانبات بـعارضيه لكنه طويل زائد الـطول فلما رأي سيف الملوك ذلك الشـاب استأنس به ولم يكن فى تلك القلعـة غير ذلك الشاب من البشر ثم أن الشاب لما رأي سيف الملوك أعجـبه غاية الأعجاب فقال له ما اسمك ومن أى البلاد أنت وكـيف وصلت إلي هنـا فأخبرنى بحـديثك ولا تكتم مـنه شيئًا فقـال له سيف الملوك أنا والله ما وصلت إلي هنا بـخاطرى ولا كان هذا المكان مقصودى وأنا لا أقدر أن أسير من مـكان إلي مكان حتى أنال مـطلوبى فقال له الـشاب وما مطلوبك فقـال له سيف الملوك أنا من بلاد مصـر واسمى سيف الملوك وأبى اسمه الملك عـاصم بن صفوان ثم أنه حكى له ما جرى له من أول الأمر إلي آخره فقام ذلك الشاب فى خدمة سيف الملوك وقال يا ملك الزمان أنا كنت فى مصر وسمعت بأنك سافرت إلي بلاد الصين واين هذه البلاد من بلاد الصين أن هـذا شيء عجيب وأمر غريب فـقال له سيف الملوك كلامـك صحيح ولكن سـافرت بعد ذلك من بـلاد الصين إلي بلاد الـهند فخرج عـلينا ريح وهاج الـبحر وكسرت جـميع المراكـب التى كانـت معى وذكر لـه جميع مـا جرى له إلي أن قـال وقد وصلت إلـيك فى هذا المـكان فقال لـه الشاب يا ابـن الملك يكـفى ما جرى لـك من هذه الغربة وشدائدها والحمد لله الذى أوصلك إلـي هذا المكان فاقعد عندى لأتئنس بك إلي أن أموت وتـكون أنت ملـكًا علـى هذا الأقليـم فإن فيه هـذه الجزيرة الـتى لا يعرف لـها حدوان هذه القرود اصحاب صنائع وكل شيء طلبته تجده هاهنا فقال سيف الملوك يا أخى ما أقدر أن أقعد فى مكان حتى تقضى حاجتى ولو أطوف جميع الدنيا وأسأل عن غرضى لعل الله يبـلغنى مرادى أو يكون سعيى إلـي مكان فيه أجلى فأموت ثم أن الـشاب التفت إلي قرد وأشار إليه فغـاب القرد ساعة ثم أتى ومعه قرود مشدودة الـوسط بالفوط الحرير وقدموا السمـاط ووضعوا ووضعوا فيه نحو مائـة صحفة من الذهب والفضـة وفيها من

سائر الأطعمة وصارت القرود واقفة علي عادة الاتباع بين يدى الملوك ثم أشار للحجاب بالقعود فقعدوا ووقف الذى عادته الخدمة ثم أكلوا حتى أكتفوا ثم رفعوا السماط واتوا بطشوط وأباريق من الذهب فغسلوا أيديهم ثم جاءوا بأواني الشراب نحو أربعين آنية كل آنية فيها نوع من الشراب فشربوا وتلذذوا وطربوا وطاب وقتهم وجميع القرود يرقصون ويلعبون وقت أشتغال الآكلين بالأكل فلما رأى سيف الملوك ذلك تعجب منهم ونسى ما جرى له من الشدائد وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الثامنة والستون بعد السبعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن سيف الملوك لما رأي فعل القرود ورقصهم تعجب منهم ونسى ما جرى له من الغربة وشدائدها فلما كان الليل أوقدوا الشموع ووضعوها فى الشمعدانات الذهب والفضة ثم أتوا بأوانى النقل والفاكهة فأكلوا ولما جاء وقت النوم فرشوا لهم الفرش وناموا فلما أصبح الصباح قام الشاب على عادته ونبه سيف الملوك وقال له أخرج رأسك من هذا الشباك وانظر أى شيء هذا الواقف تحت الشباك فنظر فرأى قرودًا ملأت الفلا الواسع والبرية كلها وما يعلم عدد تلك القرود إلا الله تعالى فقال سيف الملوك هؤلاء قرود كثيرون قد ملؤا الفضاء ولأى شيء اجتمعوا فى هذا الوقت فقال له الشاب أن هذه عادتهم وجميع ما فى الجزيرة قد أتى وبعضهم جاء من سفر يومين أو ثلاثة أيام فإنهم يأتون فى كل يوم سبت ويقفون هنا حتى انتبه من منامى وأخرج رأسى من هذا الشباك فحين يبصروننى يقبلون الأرض بين يدى ثم ينصرفون إلي أشغالهم وأخرج رأسه من الشباك حتى رأوه فلما نظروه قبلوا الأرض بين يديه وانصرفوا ثم أن سيف الملوك قعد عند الشاب مدة شهر كامل وبعد ذلك ودعه وسافر فأمر الشاب نفرًا من القرود نحو المائة قرد بالسفر معه فسافروا فى خدمة سيف الملوك مدة سبعة أيام حتى أوصلوه إلى آخر جزائرهم ثم ودعوه ورجعوا إلي أماكنهم وسافر سيف الملوك وحده فى الجبال والتلال والبرارى والقفار مدة أربعة أشهر يوم يجوع ويوم يشبع ويوم يأكل الحشيش ويوم يأكل من ثمر الأشجار وصار يتندم على ما فعل بنفسه وعلى خروجه من عند ذلك الشاب وأراد أن يرجع إليه على أثره فرأي شبحًا أسود يلوح على بعد فقال فى نفسه هل هذه بلدة سوداء أم كيف الحال ولكن لا أرجع حتى أنظر أى شيء هذا

الشبح فلما قرب منه رآه قصرا عالى البنيان وكان الذى بناه يافث بن نوح عليه السلام وهو القصر الذى ذكره الله تعالي في كتابه العزيز بقوله: ﴿وبئر معطلة وقصر مشيد﴾ ثم أن سيف الملوك جلس علي باب القصر وقال فى نفسه يا تري ما شأن داخل هذا القصر ومن فيه من الملوك فمن يخبرنى بحقيقة الأمر وهل سكانه من الأنس أو من الجن فقعد يتفكر ساعة زمانية ولم يجد أحدًا يدخله ولا يخرج منه فقام يمشى وهو متوكل علي الله حتى دخل القصر وعد فى طريقه سبعة دهاليز فلم ير أحدًا ونظر على يمينه ثلاثة أبوب وقدامه باب عليه ستارة مسبولة فتقدم إلى ذلك الباب ورفع الستارة بيده ومشى داخل الباب وإذا هو بإيوان كبير مفروش بالبسط الحرير وفى صدر ذلك الإيوان تخت من الذهب وعليه بنت جالسة وجهها مثل القمر وعليها ملبوس الملوك وهى كالعروس فى ليلة زفافها وتحت التخت أربعون سماطًا وعليها صحاف الذهب والفضة وكلها ملأنة بالأطعمة الفاخرة فلما رآها سيف الملوك أقبل عليها وسلم فردت عليه السلام وقالت له هل أنت من الأنس أو من الجن فقال أنا من خيار الأنس فأنى ملك بن ملك فقالت له أى شيء تريد دونك وهذا الطعام وبعد ذلك حدثنى بحديثك من أوله إلى آخره وكيف وصلت إلى هذا الموضع فجلس سيف الملوك على السماط وكشف المكبة عن السفرة وكان جائعًا وأكل من تلك الصحاف حتى شبع وغسل يده وطلع على التخت وقعد عند البنت فقالت له من أنت وما أسمك ومن أين جئت ومن أوصلك إلى هنا فقال لها سيف الملوك اما انا فحديثى طويل فقالت له قل لى من اين جئت وماسبب مجيئك الى هنا وما مرادك فقال لها أخبرينى أنت ما شأنك وما اسمك ومن جاء بك إلى هنا ولأى شيء أنت قاعدة فى هذا المكان وحدك فقالت له البنت أنا اسمى دولة خاتون بنت ملك الهند وأبى ساكن فى مدينة سرنديب ولأبى بستان مليح كبير ما في بلاد الهند وأقطارها أحسن منه وفيه حوض كبير فدخلت فى ذلك البستان يومًا من الأيام مع جوارى وتقربت أنا وجوارى ونزلنا فى ذلك الحوض وصرنا نلعب وننشرح فلم أشعر إلا وشيء مثل السحاب نزل علي وخطفنى من بين جوارى وطار بى بين السماء والأرض وهو يقول يا دولة خاتون لا تخافى وكونى مطمئنة القلب ثم طار بى مدة قليلة وبعد ذلك أنزلنى فى هذا القصر ثم انقلب من وقته وساعته فإذا هو شاب مليح حسن الشباب نظيف الثياب وقال لى اتعرفيننى فقلت لا يا سيدى فقال أنا ابن الملك الأزرق ملك الجان وأبى ساكن

فى قلعة القلزم وتحت يده ستمائة ألف من الجن الطيارة والغواصين واتفق لى أنى كنت عابراً فى طريق ومتوجهًا إلى حال سبيلى فرأيتك وعشقتك ونزلت عليك وخطفتك من بين الجوارى وجئت بك إلى هذا القصر المشيد وهو موضعى ومسكنى فلا أحد يصل إليه قط لا من الجن ولا من الأنس ومن الهند إلى هنا مسيرة مائة وعشرين سنة فتحققى أنك لا تنظرين بلاد أبيك وأمك أبداً فاقعدى عندى فى هذا المكان مطمئنة القلب والخاطر وأنا احضر بين يديك كل ما تطلبينه ثم بعد ذلك عانقنى وقبلنى وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة التاسعة والستون بعد السبعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن البنت قالت لسيف الملوك ثم أن ملك الجان بعد أن أخبرنى عانقنى وقبلنى وقال لى أقعدى هنا ولا تخافى من شيء ثم تركنى وغاب عنى ساعة وبعد ذلك أتى ومعه هذا السماط والفرش والبسط ولكن يجئنى فى كل يوم ثلاثاء هذه الحاله وعند مجيئه يأكل ويشرب معى ويعانقنى ويقبلنى وأنا بنت بكر علي الحالة التى خلقنى الله تعالى عليها ولم يفعل بى شيئًا وأبى اسمه تاج الملوك ولم يعلم لى بخبر ولم يقع لى على أثر وهذا حديثى فحدثنى أنت بحديثك فقال لها سيف الملوك أن حديثى طويل وأخاف أن حدثتك يطول الوقت علينا فيجيء العفريت فقالت له أنه لم يسافر من عندى إلا قبل دخولك بساعة ولم يأت إلا فى يوم الثلاثاء فاقعد واطمئن وطيب خاطرك وحدثنى بما جرى لك من الأول إلي الآخر فقال سيف الملوك سمعًا وطاعة ثم ابتدأ بحديثه حتى أكمله من الأول إلى الآخر فلما وصل إلى حكاية بديع الجمال تغرغرت عيناها بالدموع الغزار وقالت ماهو ظنى فيك يا بديع الجمال آه من الزمان يا بديع الجمال أما تذكريننى ولا تقولين أختى دولة خاتون أين راحت ثم أنها زادت فى البكاء وصارت تتأسف حيث لم تذكرها بديع الجمال فقال لها سيف الملوك يا دولة خاتون إنك أنسية وهى جنية فمن أين تكون هذه أختك فقالت له أنها أختى من الرضاع وسبب ذلك أن أمى نزلت تتفرج فى البستان فجاءها الطلق فولدتنى فى البستان وكانت أم بديع الجمال فى البستان هى وأعوانها فجاءها الطلق فنزلت فى طرف البستان وولدت بديع الجمال وأرسلت بعض جواريها إلى أمى تطلب منها طعامًا وحوايج للولادة فبعثت إليها أمى ما

طلبته وعزمت عليها فقامت وأخذت بديع الجمال معها وأتت أمى فأرضعت أمى بديع الجمال ثم أقامت امها وهى معها عندنا فى البستان مدة شهرين وبعد ذلك سافرت إلى بلادها وأعطت أمى حاجة وقالت لها إذا احتجت إلىّ اجيئك فى وسط البستان وكانت تأتى بديع الجمال مع أمها فى كل عام ويقيمان عندنا مدة من الزمان ثم يرجعان إلى بلادهما فلو كنت أنا عند أمي يا سيف الملوك ونظرتك عندنا فى بلادنا ونحن مجتمع شملنا مثل العادة كنت اتحيل عليها بحيلة حتى أوصلك إلى مرادك ولكن أنا فى هذا المكان و لا يعرفون خبرى فلو عرفوا خبري وعلموا أنى هنا كانوا قادرين على خلاصى من هذا المكان ولكن الأمر إلى الله سبحانه وتعالى وأى شىء أعمل فقال سيف الملوك قومى وتعالى معى نهرب ونسير إلي حيث يريد الله فقالت له لا نقدر على ذلك والله لو هربنا مسيرة سنة لجاء بنا هذا الملعون فى ساعة ويهلكنا فقال سيف الملوك أنا أختفى فى موضع فإذا جاز عليّ أضربه بالسيف فأقتله فقالت له ما تقدر أن تقتله إلا أن قتلت روحه فقال لها سيف الملوك وروحه فى أى مكان فقالت أنا سألته عنها مرات عديدة فلم يقر لى بمكانها فأتفق أنى ألححت عليه يومًا من الأيام فاغتاظ منى وقال لى كم تسألينني عن روحى ما سبب سؤالك عن روحى فقلت له يا حاتم أنا ما بقى لى أحد غيرك إلا الله وأنا مادمت بالحياة لم أزل معانقة لروحك وإن كنت أنا ما أحفظ روحك واحطها فى وسط عينى فكيف تكون حياتى بعدك وإذا عرفت روحك حفظتها مثل عينى اليمين فعند ذلك قال لى أنى حين ولدت أخبر المنجمون أن هلاك روحى يكون علي يد واحد من أولاد الملوك الأنسية فأخذت روحي ووضعتها فى حوصلة عصفور وحبست العصفور فى حق ووضعت الحق فى علبة ووضعت العلبة فى داخل سبع علب ووضعت العلب فى قلب سبع صناديق ووضعت الصناديق فى طابق من رخام فى جانب هذا البحر المحيط لأن هذا الجانب بعيد عن بلاد الأنس وما يقدر أحد من الأنس أن يصل إليه وها أنا قلت لك ولا تقولى لأحد على هذا فإنه سر بينى وبينك وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الموفية للسبعين بعد السبعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن دولة خاتون لما أخبرت سيف الملوك بروح الجنى الذى خطفها وبينت له ما قاله الجنى إلى أن قال لها وهذا سر بيننا قالت فقلت له من

أحدثه بـه وما يأتيني أحـد غيرك حتى أقـول له ثم قلت لـه والله إنك جعلـت روحك في حصن حـصين عظيم لا يـصل إليه أحد فـكيف يصل إلـى ذلك أحد من الأنس حـتي لو فرض المحال وقدر الله مثل ما قال المنجمون فكيف يكون واحد من الأنس يصل إلى هذا فقال ربمـا كان أحد منـهم في أصبـعه خاتم سلـيمان ابن داود عـليهمـا السلام ويأتـى هنا ويضع يـده بهذا الخاتم عـلى وجه الماء ثم يـقول بحق هـذه الأسماء أن روح فلان تـطلع فيطلـع التابوت فيكـسره والصناديق كذلـك ويخرج العلب الـعصفور من الحق ويـخنقه فأموت أنا فقال سيف الملوك هو أنا ابن الملك وهـذا خاتم سليمان بن داود عليهما السلام في أصبعي فقومـى بنا إلى شاطيء هذا البحر حتى نبصـر هل كلامه هذا كذب أم صدق فعنـد ذلك قام الاثنان ومـشيا إلى أن وصلا إلـى البحر ووقفـت دولة خاتون علـى جانب البحـر ودخل سيف الملوك فـى الماء إلى وسطه وقال بـحق ما في هذا الخاتم مـن الأسماء والطلاسم وبحق سليمان عليه الـسلام أن تخرج روح فلان ابن الملك الأزرق الجنى فعند ذلك هاج البـحر وطلع التابوت فـأخذه سيف الملوك وضـربه علي الحجر فكـسره وكسر الصناديـق والعلب وأخرج العصـفور من الحق وتوجها إلـى القصر وطلعا فـوق التخت وإذا بغبـرة هائلة وشيء عـظيم طائر وهـو يقول ابقني يـا ابن الملك ولا تقـتلني واجعـلني عتيقـك وأنا ابلغك مقصودك فـقالت له دولة خاتون قد جـاء الجنى فاقتل العصـفور لئلا يدخل هذا الملعون القصر ويأخذه منك ويقتلك ويقتلني بعدك فعند ذلك خنق العصفور فمات فـوقع الجنى عـلى الأرض كوم رماد أسـود فقالت خـاتون قد خلـصنا من يـد هذا الملعون وكيف نعمل فقـال سيف الملوك المستعان بالله تعالى الذى بلانا فـإنه يدبرنا ويعيننا علي خلاصنا مما نحـن فيه ثم قام سيف الملوك وقلع من أبواب القـصر نحو عشرة أبواب وكانت تلك الأبواب من الـصندل والعود ومساميره من الذهـب والـفضة ثم أخذا حبالا كانت هـناك من الحريـر والأبريسم وربط الأبـواب بعضها فـى بعض وتعـاون هو ودولة خاتـون إلى أن وصلا إلـى هذا البـحر ورميـاها فيـه بعد أن صـارت فلكـًا وربطوه عـلى الشـاطيء ثم رجـعا إلي الـقصر وحـملا الصـحاف الذهـب والفضـة وكذلك الجـواهر واليواقيت والمعادن النفيسة ونقلا جميع ما في القصر الذى خف حمله وغلا ثمنه وحطاه في ذلك الفلـك وركبا فيه متوكلـين على الله تعالى الـذى من توكل عليه كفـاه ولا يخيبه وعملا لـهما خشبـتين على هيـئة المجاديف ثم حـلا الحبال وترك الفـلك يجرى بهـما في

البحر ولـم يزالا سائرين على تـلك الحالة مدة أربعة أشـهر حتى فرغ منهـم الزاد واشتد عليهما الكرب وضاقت انفسهما فطلبا مـن الله أن يرزقهما النجاة مما هما فيه وكان سيف الملوك فـي مدة سيرهما إذا نـام يجعل دولة خـاتون خلف ظهـره فإذا انقلب كان الـسيف بينهمـا فبينما هما علـى تلك الحالة ليلة من الليـالى أتفق أن سيف الملوك كـان نائمًا ودولة خاتون يـقظانة وإذا بالـفلك مال إلـى طرف البر وجاء إلـى مينة وفى تـلك المينـة مراكب فنظرت دولة خـاتون المراكب وسمعت رجلاً يـتحدث مع البحرية وكـان الذى يتحدث رئيس الريسا وكبيـرهم فلما سمعت دولة خاتون صوت الريس علـمت أن هذا البر مينة مدينة من المدن وإنهمـا وصلا إلي العمار ففرحت فرحًا شديداً ونبـهت سيف الملوك من النوم وقـالت له قم واسـأل هذا الريس عـن أسم هذه المديـنة وعن هذه المـينة فقـام سيف الملوك وهو فرحان وقال له يـا أخى ما اسم هذه المدينة وما يقال لهذه الميـنة وما اسم ملكها فقال له الريـس يا ساقع الوجه يا بارد اللحـية إذا كنت لا تعرف هذه الميـنةولا هذه المدينة فكيف جـئت إلى هنا فقـال سيف الملوك أنا غـريب وقد كنت فى سـفينة من سفـن التجار فانكسرت وغرقت بجمـيع ما فيها وطلعت على لوح فوصلت إلى هـنا فسألتك والسؤال ما هو عيب فـقال الريس هذه مدينة عـمارية وهذه المينة تسمـى مينة كمين البحـرين فلما سمعت دولة خاتون هذا الكلام فرحت فرحًا شـديدًا وقالت الحمد لله فقال سيف الملوك ما الخبر فقالـت يا سيف الملوك أبشر بالفـرج القريب فإن ملك هذه المدينـة عمى أخو أبى وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الحادية والسبعون بعد السبعمائة

قالت بـلغنى أيهـا الملك السعـيد أن دولة خاتون لـما قالت لسيـف الملوك أبشر بـالفرج القريب فإن ملك هذه المدينة عمى أخو أبى واسـمه عالى الملوك ثم قالت له اسأله وقل له هل سلطان هذه المدينـة عالى الملوك طيب فسأله عن ذلك فقال له الـريس وهو مغتاظ منه أنت تقول عمرى ما جئت إلى هنا وإنما أنا رجـل غريب فمن عرفك باسم صاحب المدينة ففرحت دولة خاتون وعـرفت الريس وكان اسمه معين الدين وهو مـن رؤساء ابيها وإنما خرج ليفتش عليها حين قعدت فلم يجـدها ولم يزل دائراً حتى وصل إلى مدينة عمها ثم قالت لسيـف الملوك قل له يا ريس معـين الدين تعال كلم سيـدتك فناداه بما قالته لـه فلما

سمع الريس كلام سيف الملوك أغتاظ غيظًا شديدًا وقال له يا كلب من أنت وكيف عرفتنى ثم قال لبعض البحرية ناولونى عصى من الشوم حتى أروح إلى هذا النحس وأكسر رأسه فأخذ العصى وتوجه إلى جهة سيف الملوك فرأى الفلك ورأى فيه شيئًا عجيبًا بهيجًا فاندهش عقله ثم تأمل وحقق النظر فرأى دولة خاتون وهى جالسة مثل فلقة القمر فقال له الريس ما الذى عندك فقال عندى بنت تسمى دولة خاتون فلما سمع الريس هذا الكلام وقع مغشيًا عليه حين سمع باسمها وعرف إنها سيدته وبنت ملكه فلما أفاق ترك الفلك وما فيه وتوجه إلى المدينة وطلع قصر الملك فاستأذن عليه فدخل الحاجب إلي الملك وقال أن الريس معين جاء إليك ليبشرك فإذن له بالدخول فدخل على الملك وقبل الأرض بين يديه وقال له يا ملك عندك البشارة فإن بنت أخيك دولة خاتون وصلت إلى المدينة طيبة بخير وهى فى الفلك وصحبتها شاب مثل القمر ليلة تمامه فلما سمع الملك خبر بنت أخيه فرح وخلع علي الريس خلعة سنية وأمر من ساعته أن يزينوا المدينة لسلامة بنت أخيه وأرسل إليها وأحضرها عنده هى وسيف الملوك وسلم عليهما وهناهما بالسلامة ثم أنه أرسل إلى أخيه ليعلمه بأن ابنته وجدت وهى عنده ثم أنه لما وصل إليه الرسول تجهز واجتمعت العساكر وسافر تاج الملوك أبو دولة خاتون حتى وصل إلى أخيه عالي الملك واجتمع ببنته دولة خاتون وفرحوا فرحًا شديدًا وقعد تاج الملوك عند أخيه جمعة من الزمان ثم أخذ بنته وكذلك سيف الملوك وسافروا حتى وصلوا سرنديب بلاد أبيها واجتمعت دولة خاتون بأمها وفرحوا بسلامتها وأقاموا الأفراح وكان ذلك يومًا عظيمًا لا يري مثله وأما الملك فإنه أكرم سيف الملوك وقال له يا سيف الملوك إنك فعلت معى ومع ابنتى هذا الخير كله وأنا لا أقدر أن اكافئك عليه وما يكافئك إلا رب العالمين ولكن أريد منك أن تقعد على التخت فى موضعى وتحكم فى بلاد الهند فأنى قد وهبت لك ملكى وتختى وخزائنى وخدمى وجميع ذلك يكون هبة مني لك قام سيف الملوك وقبل الأرض بين يدى الملك وشكره وقال له يا ملك الزمان قد قبلت جميع ما وهبته لى وهو مردود منى إليك هدية أيضًا وأنا يا ملك الزمان ما أريد مملكة ولا سلطنة وما أريد إلا أن الله تعالى يبلغنى مقصودى فقال له الملك هذه خزائنى بين يديك يا سيف الملوك مهما طلبته منها خذه ولا تشاورنى فيه وجزاك الله عنى كل خير فقال سيف الملوك أعز الله الملك لا حظ لى فى الملك ولا في المال حتى أبلغ مرادى ولكن غرضى الآن أن اتفرج فى هذه

المدينـة وأنظر شوارعها وأسـواقها فأمر تـاج الملوك أن يحضـروا له فرسًا من جيـاد الخيل فأحضروا له فـرسًا ملجمًا من جياد الخيـل فركبها وطلع إلى السوق وشـق شوارع المدينة فبينـما هو ينظر يميـنًا وشمالاً إذ رأى شابًا ومعـه قباء وهو ينادى عـليه بخمسة عـشر دينار فتأمله فوجده يشبه أخاه ساعدًا وفى نفس الأمـر هو بعينه إلا أنه تغير لونه وحاله من طول الغربة ومشقـات السفر فلم يعرفه ثم قـال لمن حوله هاتوا هذا الشاب لاستـخبره فأتوا به إليه فقال خذوه وأوصلوه إلى القصر الذى أنا فيه وخلوه عندكم إلى أن أرجع من الفرجة فظنوا أنه قال لهم خذوه وأوصلوه إلى السجن وقالوا لعل هذا مملوك من مماليكه هرب منه فأخذوه وأوصلوه إلي السجن وقيدوه وتركوه قاعداً فرجع سيف الملوك من الفرجة وطلع القصر ونسى أخاه سـاعداً ولم يذكره فصار ساعد فى السجـن ولما خرجوا بالاسارى إلى أشغال الـعمارات أخذوا سـاعدًا معهـم وصار يشتـغل مع الأسارى وكـثر عليـه الوسخ ومكث ساعد على هذه الحـالة مدة شهر وهو يتذكر في أحواله ويقول فـى نفسه ما سبب سجنى وقد اشتغل سيف الملوك بما هو فيه من السرور وغيره فأتفق أن سيف الملوك جلس يومًا من الأيام وتذكر أخاه ساعدًا فقال للممـاليك الذين كانوا معه اين المملوك الذى كان معكم فـي اليوم الفلانى فقالـوا أما قلت لنا أوصلوه إلـى السجن فقال سيف المـلوك أنا ما قلت لكم هذا الكـلام وإنما قلت لكم أوصلوه إلى القصر الذى أنـا فيه ثم أرسل الحجاب إلى ساعد فأتوا به إليه وهو مقيد ثم فكـوه من قيده وأوقفوه بين يدى سيف الملوك فقال له يا شاب من أى البلاد أنت فقال له أنا من مصر واسمى ساعد بن الوزير فارس فلما سمع سيف المـلـوك كلامه نهض من فـوق التخت والقى نـفسه عليه وتـعلق برقبتـه ومن فرحه صار يبكى بـكاءًا شديدًا وقال يا اخى ياساعـد الحمد لله حيث عشت ورأيـتك فأنا أخوك سيف المـلوك بن الملك عاصـم فلما سمـع كلام أخيه وعرفه تـعانقا مع بـعضهما وتبـاكيا فتعجب الحـاضرون منهما ثم أمر سيـف الملوك أن يأخذوا ساعدًا ويذهبـوا به إلي الحمام وعند خروجه من الحمام ألبسوه ثيابًا فاخرة وأتـوا به إلى مجلس سيف الملوك فأجلسه معه على الـتخت ولما علـم تاج الملوك فـرح فرحًا شديدًا بـاجتماع سيـف الملوك وأخيـه ساعد وحضر وجـلس معه على الـتخت ولما علم تـاج الملوك فرح فرحًـا شديدًا باجتمـاع سيف الملوك وأخـيه ساعد وحضـر وجلس الثلاثة يـتحدثون فيـما قد جرى لهـم من الأول إلى

الآخر ثم أن ساعداً قال يا أخي يا سيف الملوك غرقت المركب وغرقت المماليك طلعت أنا وجماعة من المماليك على لوح خشب وسار بنا فى البحر مدة شهر كامل ثم بعد ذلك رمانا الريح بقدرة الله تعالى علي جزيرة فطلعنا عليها ونحن جياع فدخلنا بين الأشجار وأكلنا من الفواكه واشتغلنا بالأكل فلم نشعر إلا وقد خرج علينا أقوام مثل العفاريت فوثبوا علينا وركبوا فوق أكتافنا وقالوا لنا أمشوا بنا فأنتم صرتم حميرنا فقلت للذى ركبنى ما أنت ولا شىء ركبتنى فلما سمع منى ذلك الكلام لف رجله على رقبتى حتى كدت أن أموت وضرب ظهرى برجله الأخرى فظننت أنه قطع ظهرى فوقعت فى الأرض على وجهى وما بقى عندى قوة بسبب الجوع والعطش فحيث وقعت عرف أني جائع فأخذ بيدى وأتى بى إلى شجرة كثيرة الأثمار وهى من الكمثرى فقال لى كل من هذه الشجرة حتى تشبع فأكلت من تلك الشجرة حتى شبعت وقمت أمشى بغير إختيارى فما مشيت غير قليل حتى ولى ذلك الشخص وركب فوق أكتافى فصرت ساعة أمشى وساعة أجرى وساعة أهرول وهو راكب يضحك ويقول عمرى ما رأيت حماراً مثلك فأتفق أننا جمعنا شيئًا من عناقيد العنب يومًا من الأيام ثم وضعناه فى حفرة بعد أن دسناه بأرجلنا فصارت تلك الحفرة بركة كبيرة فصبرنا مدة وأتينا إلي تلك الحفرة فوجدنا الشمس قد ضربت ذلك الماء فصار خمراً فبقينا نشرب منه ونسكر فتحمر وجوهنا ونغنى ونرقص من نشوة السكر فقالوا ما الذى يحمر وجوهكم ويصيركم ترقصون وتغنون فقلنا لهم لا تسألون عن هذا وما تريدون بالسؤال عنه فقالوا أخبرونا حتى نعرف حقيقة الأمر فقلنا لهم عصير العنب فذهبوا بنا إلى وادى ولم نعرف له طول من عرض وفى ذلك الوادى كروم من العنب لا يعرف أولها من آخرها وكل عنقود من العناقيد التى فيها قدر عشرين رطلا وكله دانى القطوف فقالوا لنا أجمعوا من هذه فجمعنا منها شيئًا كثيراً ورأيت هناك حفرة كبيرة أكبر من الحوض الكبير فملأناها عنبًا ودسناه بأرجلنا وفعلنا كما فعلنا أول مرة فصار خمراً وقلنا لهم هذا بلغ حد الاستواء فأى شىء تشربون به فقالوا لنا أنه كان عندنا حمير مثلكم فأكلناهم وبقيت رؤسهم فاسقون فى جماجمهم فاسقيناهم فسكروا ثم رقدوا نحو المائتين فقلنا لبعضنا أما يكفى هؤلاء أن يركبونا حتى

يأكلونا أيضًا فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ولكن نحن نقوى عليهم السكر ثم نقتلهم ونستريح منهم ونخلص من أيديهم فنبهناهم وصرنا نملأ لهم تلك الجماجم ونسقيهم فيقولون هذا مرّ فقلنا لهم لأى شيء تقولون هذا مر وكل من قال ذلك أن لم يشرب منه عشر مرات فإنه يموت من يومه فخافوا من الموت وقالوا لنا أسقونا تمام العشر مرات فلما شربوا بقية العشر مرات سكروا وزاد عليهم السكر وهمدت قوتهم فجررناهم من أيديهم ثم أننا جمعنا حطب تلك الكروم شيئًا كثيراً وجعلناه حولهم وفوقهم وأوقدنا النار في الحطب ووقفنا من بعيد ننظر ما يكون منهم وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الثانية والسبعون بعد السبعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن ساعداً قال لما أوقدت النار فى الحطب أنا ومن معى من المماليك وصارت الغيلان فى وسطها وقفنا من بعيد لننظر ما يكون منهم ثم قدمنا إليهم بعد أن خمدت النار فرأيناهم صاروا كوم رماد فحمدنا الله تعالى الذى خلصنا منهم خرجنا من تلك الجزيرة وطلبنا ساحل البحر ثم افترقنا من بعضنا فأما أنا وأثنان من المماليك فمشينا حتى وصلنا إلى غابة كبيرة كثيرة الأشجار فاشتغلنا بالأكل وإذا بشخص طويل القامة طويل اللحية طويل الأذنين بعينين كأنهما مشعلان وقدامه غنم كثير يرعاها وعنده جماعة أخر فى كيفيته فلما رآنا استبشر وفرح ورحب بنا وقال أهلاً وسهلاً تعالوا عندى حتي أذبح لكم شاة من هذه الأغنام وأشويها وأطعمكم فقلنا له وأين موضعك فقال قريب من هذا الجبل فاذهبوا إلى هذه الجهة حتى تروا مغارة فادخلوا فيها فإن فيها ضيوفًا كثيراً مثلكم فروحوا واقعدوا معهم حتى نجهز لكم الضيافة فاعتقدنا أن كلامه حق فسرنا إلى تلك الجهة ودخلنا تلك المغارة فرأينا الضيوف الذين فيها كلهم عميانًا فحين دخلنا عليهم قال واحد منهم أنا مريض وقال الآخر أنا ضعيف فقلنا لهم أى شيء هذا القول الذى تقولونه ما سبب ضعفكم ومرضكم فقال الناس لنا من أنتم فقلنا لهم نحن ضيوف قالوا لنا ما الذى أوقعكم فى يد هذا الملعون لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم هذا غول يأكل بنى آدم وقد أعمانا ويريد أن يأكلنا فقلنا لهم كيف أعماكم هذا

الغول فقالوا أنه فى هذا الوقت يعميكم مثلنا فقلنا لهم وكيف يعمينا فقالوا لنا أنه يأتيكم بأقداح من اللبن ويقول لكم أنتم تعبتم من السفر فخذوا هذا اللبن واشربوا منه فحين تشربون منه تصيرون مثلنا فقلت في نفسي ما بقى لنا خلاص إلا بحيلة فحفرت حفرة في الأرض وجلست عليها ثم بعد ساعة دخل الملعون الغول علينا ومعه أقداح من اللبن فناولني قدحًا وناول من معي كل واحد قدحًا وقال لنا أنتم جئتم من البر عطاشا فخذوا هذا اللبن واشربوا منه حتى اشوى لكم اللحم فأما أنا فأخذت القدح وقربته من فمي ودلقته في الحفرة وصحت آه قد راحت عيني وعميت وامسكت عيني بيدى وصرت ابكي وأصيح وهو يضحك ويقول لا تخف وأما الاثنان رفيقاى فإنهما شربا اللبن فعميا فقام الملعون من وقته وساعته وغلق باب المغارة وقرب مني وجس أضلاعي فوجدني هزيلاً وما على شيء من اللحم فجس غيرى فرآه سمينًا ففرح ثم ذبح ثلاثة أغنام وسلخها وجاء بأسياخ من الحديد ووضع فيها لحم الأغنام ووضعها علي النار وشواه وقدمه إلى رفيقي فأكلا وأكل معهما ثم جاء بزق ملأن خمراً وشربه ورقد على وجهه وشخر فقلت فى نفسي أنه غرق فى النوم وكيف أقتله ثم تذكرت الاسياخ فأخذت منها سيخين ووضعتهما فى النار وصبرت عليهما حتى صارا مثل الجمر ثم قمت وشددت وسطي ونهضت على أقدامي وأخذت السيخين الحديد بيدى وتقربت من الملعون وأدخلتهما فى عينيه واتكأت عليهما بقوتى فنهض من حلاوة الروح قائمًا على قدميه وأراد أن يمسكني بعد أن عمى فهربت منه داخل المغارة وهو يسعى خلفي فقلت للعميان الذين عنده كيف العمل مع هذا الملعون فقال واحد منهم يا ساعد أنهض وأصعد إلى الطاقة تجد فيها سيفًا صقيلاً فخذه وتعال عندى حتى أقول لك كيف تعمل فصعدت إلي الطاقة وأخذت السيف وأتيت عند ذلك الرجل فقال خذه وأضربه فى وسطه فإنه يموت فى الحال فقمت وجريت خلفه وقد تعب من الجرى فجاء إلي العميان ليقتلهم فجئت إليه وضربته بالسيف فى وسطه فصار نصفين فصاح على وقال لى يا رجل حيث أردت قتلى فاضربني ثانية فهممت أن أضربه ضربة ثانية فقال الذى دلني على السيف لا تضربه ضربة ثانية فإنه لا يموت بل يعيش ويهلكنا وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الثالثة والسبعون بعد السبعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن ساعداً قال لما ضربت الغول بالسيف قال لى يا رجل حيث ضربتنى وأردت قتلى فاضربنى ثانية فهممت أن أضربه فقال لى الذى دلنى علي السيف لا تضربه ثانيه فإنه لا يموت بل يعيش ويهلكنا فامتثلت لأمر ذلك الرجل ولم أضربه فمات الملعون فقال لى الرجل قم افتح المغارة ودعنا نخرج منها لعل الله يساعدنا ونستريح من هذا الموضع فقلت له ما بقى علينا ضرر بل نستريح ونذبح هذه الأغنام ونشرب من هذا النبيذ لأن البر طويل فأقمنا فى هذا المكان مدة شهرين ونحن نأكل من هذه الأغنام ومن هذه الفواكه فأتفق أننا جلسنا على شاطىء البحر يوماً من الأيام فرأينا مركبًا كبيرة تلوح فى البحرعلى بعد فأشرنا إلى أهلها وصحنا عليهم فخافوا من ذلك الغول وكانوا يعرفون أن هذه الجزيرة فيها غول يأكل الآدميين فطلبوا الهروب فأشرنا أليهم بفاضل عمايمنا وقربنا منهم وصرنا نصيح عليهم فقال واحد من الركاب وكان حديد البصر يا معاشر الركاب أنى أرى هذه الأشباح آدميين مثلنا وليس عليهم زىّ الغيلان ثم أنهم ساروا جهتنا قليلاً قليلاً إلى أن قربوا منا فلما تحققوا أننا آدميون سلموا علينا فرددنا عليهم السلام وبشرناهم بقتل الغول الملعون فشكرونا ثم أننا تزودنا من الجزيرة بشىء من الفواكه التى فيها ثم نزلنا المركب وسارت بنا فى ريح طيبة مدة ثلاثة أيام وبعد ذلك ثارت علينا ريح وازداد ظلام الجو فما كان غير ساعة واحدة حتى جذب الريح المركب إلي جبل فانكسرت وتمزقت الواحها فقدر الله العظيم أنى تعلقت بلوح منها وركبته وسار بى يومين وقد أتت ريح طيبة فصرت فوق اللوح اقدف برجلى ساعة زمانية حتى أوصلنى الله تعالى إلي البر بالسلامة فطلعت هذه المدينة وقد صرت غريبًا فريداً وحيد لا أدرى ما أصنع وقد أضر بى الجوع وحصل لى الجهد الأكبر فأتيت إلى سوق المدينة وقد تواريت وقلعت هذا القباء وقلت فى نفسى أبيعه وآكل بثمنه حتى يقضى الله ما هو قاض ثم أنى يا أخى أخذت القباء فى يدى والناس ينظرونه ويتزايدون فى ثمنه حتى أتيت أنت ونظرتنى وأمرت بى إلي القصر فأخذنى الغلمان وسجنونى ثم أنك تذكرتنى بعد هذه المدة فاحضرتنى عندك وقد أخبرتك بما جرى لى والحمد لله على الاجتماع فلما سمع سيف الملوك وتاج الملوك أبو دولة خاتون حديث الوزير ساعد تعجبا

من ذلك عجبًا شديداً وقد أعدّ تاج الملوك أبو دولة خاتون مكانًا مليحًا لسيف الملوك وأخيه ساعد وصارت دولة خاتون تأتى لسيف الملوك وتشكره وتتحدث معه على إحسانه فقال الوزير ساعد أيتها الملكة المراد منك المساعدة على بلوغ غرضه فقالت نعم اسعى فى مراده حتى يبلغ مراده إن شاء الله تعالى ثم التفتت إلى سيف الملوك وقالت له طب نفسًا وقر عينًا هذا ما كان من أمر سيف الملوك ووزيره ساعد وأما ما كان من أمر الملكة بديع الجمال فإنها وصلت إليها الأخبار برجوع أختها دولة خاتون إلى أبيها ومملكتها فقالت لابد من زيارتها والسلام عليها فى زينة بهية وحلى وحلل فتوجهت اليها فلما قربت من مكانها قابلتها الملكه دوله خاتون وسلمت عليها وعانقتها وقبلتها بين عينيها وهنتها الملكة بديع الجمال بالسلامة ثم جلستا تتحدثان فقالت بديع الجمال لدولة خاتون أى شىء جرى لك في الغربة فقالت دولة خاتون يا أختى لا تسأليني عما جرى لى من الأمور يا ما تقاسى الخلائق من الشدائد فقالت لها بديع الجمال وكيف ذلك قالت يا أختى أنى كنت فى القصر المشيد وقد احتوى علىّ فيه ابن الملك الأزرق ثم حدثتها ببقية الحديث من أوله إلى آخره وحديث سيف الملوك وما جرى له في القصر وما قاسى من الشدائد والأهوال حتى وصل إلى القصر المشيد وكيف قتل ابن الملك الأزرق وكيف قلع الأبواب وجعلها فلكًا وعمل لها مجاديف وكيف دخل إلى هاهنا فتعجبت بديع الجمال ثم قالت والله يا أختى أن هذا من أغرب العجائب وأريد أن أخبرك بأصل حكايته لكن يمنعنى الحياء من ذلك فقالت لها بديع الجمال ما سبب الحياء وأنت أختى ورفيقتى وبينى وبينك شىء كثير وأنا أعرف أنك ما تطلبين لى إلا الخير فمن أى شىء تستحين منى فاخبرينى بما عندك ولا تستحى منى ولا تخفى منى شيئًا من ذلك فقالت لها دولة خاتون أنه نظر صورتك فى القباء الذى أرسله أبوك إلي سليمان بن داود عليهما السلام فلم يفتحه ولم ينظر ما فيه بل أرسله إلى الملك عاصم بن صفوان ملك مصر فى جملة الهدايا والتحف التى أرسلها إليه والملك عاصم أعطاه لولده سيف الملوك قبل أن يفتحه فلما أخذه سيف الملوك فتحه وأراد أن يلبسه فرأى فيه صورتك فعشقها وخرج فى طلبك وقاسى هذه الشدائد كلها من أجلك وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الرابعة والسبعون بعد السبعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن دولة خاتون أخبرت بديع الجمال بأصل محبة سيف الملوك لها وعشقه أياها وأن سببها القباء الذى فيه صورتها وحين عاين الصورة خرج من ملكه هائمًا وغاب عن أهله من أجلها وقالت لها أنه قاسى الأهوال ما قاساه من أجلك فقالت بديع الجمال وقد أحمر وجهها وخجلت من دولة خاتون أن هذا شىء لا يكون أبدًا فإن الأنس لا يتفقون مع الجان فصارت دولة خاتون تصف لها سيف الملوك وحسن صورته وسيرته وفروسيته ولم تزل تثنى عليه وتذكر لها صفاته حتى قالت يا أختى لأجل الله تعالى ولأجلى تعالى تحدثى معه ولو كلمة واحدة فقالت بديع الجمال أن هذا الكلام الذى تقولينه لا أسمعه ولا أطيعك فيه وكأنها لم تسمع منه شيئًا ولم يقع فى قلبها شىء من محبة سيف الملوك وحسن صورته وسيرته وفروسيته ثم أن دولة خاتون صارت تتضرع لها وتقبل رجليها وتقول يا بديع الجمال بحق اللبن الذى رضعناه أنا وأنت وبحق النقش الذى على خاتم سليمان عليه السلام أن تسمعى كلامى هذا فإنى تكفلت له فى القصر المشيد بأنى أريه وجهك فبالله عليك أن تريه صورتك مرة واحدة لأجل خاطرى وأنت الأخرى تنظرينه وصارت تبكى لها وتتضرع إليها وتقبل يديها ورجليها حتى رضيت وقالت لأجلك أريه وجهى مرة واحدة فعند ذلك طاب قلب دولة خاتون وقبلت يديها ورجليها وخرجت وجاءت إلى القصر الأكبر فى البستان وأمرت الجوارى أن يفرشنه وينصبن فيه تختًا من الذهب ويجعلن أوانى الشراب مصفوفة ثم أن دولة خاتون قامت ودخلت على سيف الملوك وساعد وزيره وهما جالسان فى مكانهما وبشرت سيف الملوك ببلوغ أربه وحصول مراده وقالت له توجه إلي البستان أنت وأخوك وادخلا القصر فاختفيا عن الناس بحيث لا ينظركما أحد ممن فى القصر حتى أجىء أنا وبديع الجمال فقام سيف الملوك وساعد وتوجها إلى المكان الذى دلتهما عليه دولة خاتون فلما دخلاه رأيا تختًا من الذهب منصوبًا وعليه الوسائد وهناك الطعام والشراب فجلسا ساعة من الزمان ثم أن سيف الملوك تذكر معشوقته فضاق صدره وهاج عليه الشوق والغرام فقام ومشى حتى خرج من دهليز القصر فتبعه أخاه ساعد فقال يا أخى أقعد أنت مكانك ولا تتبعنى حتى اجىء إليك فقعد ساعد ونزل سيف الملوك ودخل البستان وهو سكران من

خمر الغرام حيران من فرط العشق والهيام وقد هزه الشوق وغلب عليه الوجد فأنشد هذه الأبيات:

يا بديع الجمال مالي سواك　　فارحميني أني أسير هواك
أنت سؤالي ومنيتي وسروري　　قد أبى القلب أن يحب سواك
ليت شعري هل قد علمت بكائي　　طول ليلي مسهد الجفن باك
فامري النوم أن يلم بجفني　　فعسى في المنام أني أراك
فاعطفي في الهوى على مستهام　　انقذيه من مهلكات جفاك
زادك الله بهجة وسروراً　　وجميع العدى تكون فداك
تحشر العاشقون تحت لوائي　　وجميع الملاح تحت لواك

ثم بكى وأنشد أيضًا هذين البيتين:

بديعة الحسن أضحت بغيتي أبدًا　　لأنها في ضمير القلب أسراري
فإن نطقت فنطقي في محاسنها　　وإن سكت ففيها عقد اضماري

ثم بكى بكاءاً شديداً وأنشد أيضًا هذه الأبيات:

وفي كبدي نار يزيد وقودها　　وأنتم مرادي والغرام يطول
أميل إليكم لاأميل لغيركم　　وأرجوا رضاكم والحب حمول
لكي ترحموا من أنحل الحب جسمه　　واضعفه والقلب منه عليل
فرقوا وجودوا وأنعموا وتفضلوا　　فلم انتقل عنكم ولست أحول

ثم بكى وأنشد أيضًا هذين البيتين:

وصلتني الهموم وصل هواك　　وجفاني الرقاد مثل جفاك
وحكى لي الرسول أنك غضبا　　ياكفى الله شر ما هو حاك

ثم أن ساعداً استبطأه فخرج من القصر يفتش عليه في البستان فرآه ماشيًا في البستان متحيراً وهو ينشد هذين البيتين:

والله والله العظيم وحــــق مــن يتلـو مـن القـرآن سورة فـاطر
ماجال طرفى فى محاسـن من أرى إلا وشخصـك يابديع مسـامرى

ثم اجتمع سيف الملوك وساعد أخوه وصارا يتـفرجان فى البستان ويأكلان من الفواكه هذا ما كان من أمر ساعد وسيف الملوك وأما مـا كان من أمر دولة خاتون فإنها لما أتت هى وبديع الجمال إلى القصر دخـلتا فيه بعد أن أتحفه الخدام بأنواع الزينة فعـلوا فيه جميع ما امرتهم به دولة خاتون وقد أعدّوا لبديع الجمال تختًا من الذهب لتجلس عليه فلما رأت بديع الجمال ذلك التخت جلست عليه وكان بجـانبها طاقة تشرف على البستان وقد أتت الخدام بأنواع الطعام الفاخر فأكلت بـديع الجمال هى ودولة خاتون وصارت دولة خاتون تلقـمها حتـى أكتفت ثم دعـت بأنواع الحلـويات فأحضـرها الخدام وأكلتـا منها بـحسب الكفاية وغسلتا أيديهما ثم أنهـا هيئت الشراب وآلات المدام وصفت الأباريق والكاسات وصارت دولة خاتـون تملأ وتسقى بديع الجمـال ثم تملأ الكأس وتشرب هـى ثم أن بديع الجمـال نظرت مـن الطـاقة التـى بجانـبهـا إلى ذلك الـبستـان ورأت ما فـيه من الأثـمار والأغصان فلاحت منـها التفاتة إلى جهة سيـف الملوك فرأته وهو دائر فى البسـتان وخلفه الوزير ساعد وسمعت سيف الملوك ينشد الأشـعار وهو يذرى الدموع الغزار فلما نظرته أعقبتها تلك النظرة ألف حسرة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الخامسة والسبعون بعد السبعمائة

قالت بـلغنى أيـها الملك الـسعيد أن بديـع الجمال لما رأت سيـف الملوك وهـو دائر فى البستان نظرته نظرة أعقبتها ألف حسرة فالتفتت إلى دولة خاتون وقد لعب الخمر باعطافها وقالت لهـا يا أختى من هذا الشـاب الذى أراه فى البستان وهـو حائر ولهان كئيـب لهفان فقالـت لها دولة خاتون هـل تأذنين في حضـوره عندنا حتـى نراه قالت لها أن أمـكنك أن تحضريه فاحضريه فـعند ذلك نادته دولة خاتون وقالت له يا ابن المـلك أصعد الينا واقدم بحسنك وجمالك عـلينا فعرف سيف الملوك صوت دولة خاتون فصعـد إلى القصر فلما وقع نظره على بديع الجـمال خر مغشيًا عليه فرشت عليه دولة خـاتون قليلاً من ماء الورد فأفاق مـن غشيته ثـم نهض وقبـل الأرض قدام بديع الجمـال فبهتت مـن حسنه وجـماله فقالـت دولة خاتون اعلـمى أيتها الملكة أن هذا سيف الملوك الذى كانـت نجاتى بقضاء الله

تعالى على يديه وهو الذى جرى عليه كامل المشقات من أجلك وقصدى أن تشمليه بنظرك فقالت بديع الجمال وقد ضحكت ومن يفى بالعهود حتى يفى بها هذا الشاب لأن الأنس ليس لهم مودة فقال سيف الملوك أيتها الملكة أن عدم الوفاء لا يكون عندي أبداً وما كل الخلق سواء ثم أنه بكى بين يديها وأنشد هذه الأبيات:

أيا بديع الجمال استعطفى بشجح مضنى كئيب بطرف ساحر جان
بحق ما جمعت خداك من ملح من ابيض وشقيق أحمر قان
لا تنقمى بنكال الهجر من دنف فإن جسمى من طول النوى فان
هذا مرادى وهذا منتهى أملى والوصل قصدى على تقدير امكان

ثم أنه بكى بكاءاً شديداً وتحكم عنده العشق والهيام فصار يسلم عليها بهذه الأبيات:

سلام عليكم من محب متيم وكل كريم للكريم جميل
سلام عليكم لا عدمت خيالكم ولم يخل منكم مجلس ومقيل
أغار عليكم لست اذكر اسمكم وكل حبيب للحبيب يميل
فلا تقطعوا أحسنا تكم عن محبكم فإن الاسى يرديه وهو عليل
أراعى النجوم الزهر وهى تروعنى وليلي فى فرط الغرام يطول
ولم يبق لى صبر ولا لى حيلة فأى كلام في السؤال أقول
عليكم سلام الله في ساعة الجفا سلام الولهان وهو حمول

ثم أنه من كثرة وجده وغرامه أنشد أيضًا هذه الأبيات:

إن كان قصدى غيركم ياسادتى لا نلت منكم بغيتى وارادتى
من ذا الذى حاز الجمال سواكم حتى تقوم الآن فيه قيامتى
هيهات أن أسلو الهوا وأنا الذى أفنيت فيكم مهجتى وحشاشتى

فلما فرغ من شعره بكى بكاءاً شديداً فقالت له بديع الجمال يا ابن الملك أنى أخاف أن أقبل عليك بالكلية فلا أجد منك ألفة ولا محبة فإن الأنس ربما كان خيرهم قليلاً وغدرهم جليلاً واعلم أن السيد سليمان بن داود عليهما السلام أخذ بلقيس بالمحبة فلما رأى غيرها أحسن منها أعرض عنها إليه فقال لها سيف الملوك يا عينى ويا روحى ما خلق

الله كل الأنس سواء وأنا إن شاء الله أفي بالعهد وأموت تحت أقدامك وسوف تبصرين ما أفعل موافقًا لما أقول والله على ما أقول وكيل فقالت له بديع الجمال اقعد واطمئن واحلف لي على قدر دينك ونتعاهد على أننا لا نخون بعضنا ومن خان صاحبه ينتقم الله تعالى منه فلما سمع سيف الملوك منها ذلك الكلام قعد ووضع كل منهما يده في يد صاحبه وتحالفا أن كلاً منهما لا يختار على صاحبه أحداً لا من الأنس ولا من الجن ثم أنهما تعانقا ساعة زمانية وتباكيا من شدة فرحهما وغلب الوجد على سيف الملوك فأنشد هذه الأبيات:

بكيت غرامًا واشتياقًا ولوعة ... على شأن من يهواه قلبي ومهجتي
وبي زادت الالام من طول هجركم ... وباعي قصير عن تقارب نسبتي
وحزني مما ضاق عنه تجلدي ... يوضح للوام بعض بليتي
وقد ضاق بعد الأتساع حقيقة ... مجال اصطباري لا بحولي وقوتي
فيا هل ترى قد يجمع الله شملنا ... وتبرى من الآلام والسقم غصتي

وبعد أن تحالفت بديع الجمال هي وسيف الملوك قام سيف الملوك يمشي وقامت بديع الجمال تمشي أيضًا ومعها جارية حاملة شيئًا من الأكل وحاملة أيضًا قنانية ملآنة خمراً ثم قعدت بديع الجمال ووضعت الجارية بين يديها الأكل والمدام فلم يمكثا غير ساعة إلا وسيف الملوك قد أقبل فلاقته بالسلام وتعانقا وقعدا وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة السادسة والسبعون بعد السبعمائة

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن بديع الجمال لما أحضرت الطعام والشراب وجاء سيف الملوك فلاقته بالسلام ثم قعدا يأكلان ويشربان ساعة فقالت بديع الجمال يا ابن الملك إذا دخلت بستان أرم ترى خيمة كبيرة منصوبة وهي من أطلس أحمر وبطانتها من حرير أخضر فأدخل الخيمة وقو قلبك فأنك ترى عجوزاً جالسة على تخت من الذهب الأحمر مرصع بالدر والجوهر فإذا دخلت فسلم عليها بأدب واحتشام وأنظر إلى جهة

التخت تجد نعالا منسوجة بقضبان الذهب مزركشة بالمعادن فخذ تلك النعال وقبلها وضعها على رأسك ثم حطها تحت أبطك اليمنى وقف قدام العجوز وأنت ساكت مطرق الرأس فإذا سألتك وقالت لك من أين جئت وكيف وصلت إلى هاهنا ومن عرفك هذا المكان ومن شأن أى شيء أخذت هذه النعال فاسكت أنت حتى تدخل جاريتي هذه وتتحدث معها وتستعطفها عليك وتسترضى خاطرها بالكلام لعل الله تعالى يعطف قلبها عليك وتجيبك إلى ما تريد ثم أنها نادت تلك الجارية وكانت أسمها مرجانة وقالت لها بحق محبتى أن تقضى هذه الحاجة فى هذا اليوم ولا تتهاونى فى قضائها وأن قضيتها فى هذا اليوم فأنت حرة لوجه الله تعالى ولك الأكرام ولا يكون عندى أعز منك ولا أظهر سرى إلا عليك فقالت لها يا سيدتى ونور عينى قولى لى ما حاجتك حتى أقضيها لك على رأسى وعينى فقالت لها أن تحملى هذا الأنسى على أكتافك وتوصليه بستان أرم عند جدتى أم أبى وتوصليه إلى خيمتها وتحتفظى عليه وإذا دخلت الخيمة أنت وإياه ورأيتيه أخذ النعال وخدمها وقالت له من ايـن أنت ومن أى طريق أتيت ومن أوصلك إلى هذا المكان ومن شأن أى شيء أخذت هذه النعال وأى شيء حاجتك حتى أقضيها لك فعند ذلك أدخلى بسرعة وسلمى عليها وقولي لها يا سيدتى أنا الذى جئت به هنا وهو ابن ملك مصر وهو الذى راح القصر المشيد وقتل ابن الملك الأزرق وخلص الملكة دولة خاتون وأوصلها إلى أبيها سالمة وقد أرسلته إليك لأجل أن يخبرك ويبشرك بسلامتها فتنعمى عليه ثم بعد ذلك قولى لها بالله عليك أما هذا الشاب مليح يا سيدتى فتقول نعم فعند ذلك قولى لها يا سيدتى أنه كامل العرض والمرؤة والشجاعة وهو صاحب مصر وملكها وقد حوى سائر الخصال الحميدة فإذا قالت لك أى شيء حاجته فقولى لها أن سيدتي تسلم عليك وتقول لك إلى متى وهى قاعدة فى البيت عازبة بلا زواج فقد طالت عليها المدة فما مرادكم بعدم زواجها ولأى شيء ما تزوجينها فى حياتك وحياة أمها مثل البنات فإذا قالت لك كيف نعمل فى زواجها فإن كانت هى تعرف أحدًا أو وقع فى خاطرها أحد تخبرنا عنه ونحن نعمل لها على مرادها على غاية ما يمكن فعند ذلك قولى لها يا سيدتى أن بنتك تقول لك أنتم كنتم تريدون تزويجى بسليمان عليه السلام وصورتم له صورتى فى القباء فلم يكن له نصيب فى وقد أرسل القباء إلى ملك مصر فأعطاه لولده فرأى صورتى منقوشة فيه فعشقنى وترك ملك أبيه وأمه وأعرض عن الدنيا وما فيها

وخرج هائمًا فى الدنيا على وجهه وقاسى أكبر الشدائد والأهوال من أجلى ثم أن الجارية حملت سيف الملوك وقالت له غمض عينيك ففعل فطارت به إلى الجو ثم بعد ساعة قالت له يا ابن الملك أفتح عينيك ففتح عينيه فنظر البستان وهو بستان أرم فقالت له الجارية مرجانة أدخل يا سيف الملوك هذه الخيمة فذكر الله سيف الملوك ودخل ومد عينيه بالنظر فى البستان فرأى العجوز قاعدة على التخت وفى خدمتها الجوارى فقرب منها بأدب واحتشام وأخذ النعال وقبلها وفعل ما وصفته له بديع الجمال فقالت له العجوز من أنت ومن أين أقبلت ومن أى البلاد أنت ومن جاء بك إلى هذا المكان ولأى شىء أخذت هذه النعال وقبلتها ومتى قلت لى على حاجة ولم أقضها لك فعند ذلك دخلت الجارية مرجانة وسلمت عليها بأدب وأحتشام ثم تحدثت بحديث بديع الجمال الذى قالته لها فلما سمعت العجوز هذا الكلام صرخت عليها واغتاظت منها وقالت من أين يحصل بين الأنس والجن اتفاق وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة السابعة والسبعون بعد السبعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن العجوز لما سمعت الكلام من الجارية اغتاظت غيظًا شديدًا وقالت من أين للأنس مع الجن اتفاق فقال سيف الملوك انا اتفق معك وأكون غلامك وأموت على حبك واحفظ عهدك ولا أنظر غيرك وسوف تنظرين صدقى وعدم كذبى وحسن مرؤتى معك إن شاء الله تعالى ثم أن العجوز تفكرت ساعة زمانية ورأسها مطرقة ثم رفعت رأسها وقالت أيها الشاب المليح هل تحفظ العهد والميثاق فقال لها نعم وحق من رفع السماء وبسط الأرض على الماء أنى أحفظ العهد فعند ذلك قالت العجوز أنا أقضى لك حاجتك إن شاء الله تعالي ولكن رح هذه الساعة إلى البستان تفرج فيه وكل من الفواكه التى لا نظير لها ولا في الدنيا مثلها حتى أبعث إلي ولدى شهيال فيحضر وأتحدث معه فى شأن ذلك ولا يكون إلا خيرًا إن شاء الله تعالى فإنه لا يخالفنى ولا يخرج عن أمرى وأزوجك بنته بديع الجمال فطب نفسًا فإنها تكون زوجة لك يا سيف الملوك فلما سمع سيف الملوك منها ذلك الكلام شكرها وقبل يديها ورجليها وخرج من عندها متوجهًا إلى البستان وأما العجوز فإنها التفتت إلي تلك الجارية وقالت لها اطلعى فتشى على ولدى شهيال وانظريه فى اى الاقطار والاماكن واحضر به عندى فراحت

الجاريه وفتشت على الملك شهيال فاجتمعت به واحضرته عند أمه هذا ما كان من أمرها وأما ما كان من أمر سيف الملوك فإنه صار يتفرج في البستان وإذا بخمسة من الجان هم من قوم الملك الأزرق قد نظروه فقالوا من أين هذا ومن جاء به إلى هذا المكان ولعله الذى قتل ابن الملك الأزرق ثم أنهم قالوا لبعضهم إنا نحتال عليه بحيلة ونسأله ونستخبر منه ثم صاروا يتمشون قليلاً قليلاً إلى أن وصلوا إلى سيف الملوك فى طرف البستان وقعدوا عنده وقالوا له أيها الشاب المليح ما قصرت فى قتل ابن الملك الأزرق وخلاص دولة خاتون منه فإنه كلب غدار قد مكر بها ولولا أن الله قيضك لها ما خلصت أبداً وكيف قتلته فنظر إليهم سيف الملوك وقال لهم قد قتلته بهذا الخاتم الذى في أصبعى فثبت عندهم أنه هو الذى قتله فقبض أثنان علي يديه وأثنان على رجليه والاخر قبض على فمه حتى لايصيح فيسمعه قوم الملك شهيال فينقذوه من أيديهم ثم أنهم حملوه وطاروا به ولم يزالوا طائرين حتى نزلوا عند ملكهم وأوقفوه بين يديه وقالوا يا ملك الزمان قد جئناك بقاتل ولدك فقال وأين هو قالوا هذا فقال له الملك الأزرق هل قتلت ولدى حشاشة كبدى ونور بصرى بغير حق وبغير ذنب فعله معك فقال له سيف الملوك نعم أنا قتلته ولكن لظلمه وعدوانه لأنه كان يأخذ أولاد الملوك ويذهب بهم إلى البئر المعطلة والقصر المشيد ويفرق بينهم وبين أهليهم ويفسق فيهم وقتلته بهذا الخاتم الذى فى أصبعى وعجل الله بروحه إلى النار وبئس القرار فثبت عند الملك الأزرق أن هذا هو قاتل ولده بلا شك فعند ذلك دعا بوزيره وقال له هذا قاتل ولدى ولا محالة من غير شك فماذا تشير على فى أمره فهل أقتله أقبح قتلة وأعذبه أصعب عذاب أوكيف أعمل فقال الوزير الأكبر أقطع منه عضوا وقال آخر أضربه كل يوم ضربًا شديداً وقال آخر اقطعوا وسطه وقال آخر اقطعوا أصابعه جميعًا واحرقوهم بالنار وقال آخر اصلبوه وصار كل واحد منهم يتكلم بحسب رأيه وكان عند الملك الأزرق أمير كبير له خبرة بالأمور ومعرفة بأحوال الدهور فقال له يا ملك الزمان أنى أقول لك كلامًا والرأى لك في سماع ما أشير به عليك وكان هو مشير مملكته ورئيس دولته وكان الملك يسمع كلامه ويعمل برأيه ولا يخالفه فى شيء فقام على قدميه وقبل الأرض بين يديه وقال له يا ملك الزمان إذا أشرت عليك برأى فى شأن هذا الأمر هل تتبعه وتعطينى الأمان فقال له الملك بين رأيك وعليك الأمان فقال يا ملك أن أنت قتلت هذا ولم تقبل نصحى ولم تتعقل كلامى فإن قتله فى هذا الوقت غير

صواب لأنه تحت يدك وفى حماك وأسيرك ومتى طلبته وجدته وتفعل به ما تريد فاصبر يا ملك الزمان فأن هذا قد دخل بستان أرم وتزوج بديع الجمال بنت الملك شهيال وصار منهم واحداً وجماعتك قبضوا عليه وأتوا به إليك وما اخفى حاله منهم ولا منك فإن قتلته فإن الملك شهيال يطلب ثأره منك ويعاديك ويأتيك بالعسكر من أجل بنته ولا مقدرة لك على عسكره وليس لك به طاقة فسمع منه ذلك وأمر بسجنه هذا ما جرى لسيف الملوك وأما ما كان من أمر السيدة بديع الجمال فأنها لما اجتمعت بوالدها شهيال أرسلت الجارية تفتش على سيف الملوك فلم تجده فرجعت إلى سيدتها وقالت ما وجدته في البستان فأرسلت إلى عملة البستان وسألتهم عن سيف الملوك فقالوا نحن رأيناه قاعداً تحت شجرة وإذا بخمسة أشخاص من جماعة الملك الأزرق نزلوا عنده وتحدثوا معه ثم أنهم حملوه وسدوا فمه وطاروا به وراحوا فلما سمعت السيدة بديع الجمال ذلك الكلام لم يهن عليها واغتاظت غيظًا شديداً وقامت على أقدامها وقالت لابيها شهيال كيف تكون ملكًا وتجيء جماعة الملك الأزرق إلى بستاننا ويأخذون ضيفنا ويروحون به سالمين وأنت بالحياة وكذلك أمه صارت تحرضه وتقول لا ينبغى أن يتعدى علينا أحد فى حياتك فقال لها يا أمى أن هذا الأنسى قتل ابن الملك الأزرق وهو جنى فرماه الله فى يده فكيف أذهب إليه وأعاديه من أجل الأنسى فقالت له أمه أذهب إليه وأطلب منه ضيفنا فإن كان بالحياة وسلمه إليك فخذه وتعال وإن كان قتله فامسك الملك الأزرق بالحياة هو وأولاده وحريمه وكل من يلوذ به من أتباعه وائتنى بهم بالحياة حتى أذبحهم بيدى وأخرب دياره وإن لم تفعل ما امرتك به لا أجعلك فى حل من لبنى والتربية التى ربيتها لك تكون حرامًا وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الثامنة والسبعون بعد السبعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن جدة بديع الجمال قالت لأبيها شهيال أذهب إلي الملك الأزرق وأنظر سيف الملوك فإن كان باقيًا بالحياة فهاته وتعال وإن كان قتله فامسكه هو وأولاده وحريمه وكامل من يلوذ به وائتنى بهم بالحياة حتى أذبحهم بيدى وأخرب ملكه وإن لم تذهب إليه وتفعل ما امرتك به فلا أجعلك فى حل من لبنى وتكون تربيتك حرامًا فعند ذلك قام الملك شهيال وأمر عسكره بالخروج وتوجه إليه كرامة لأمه ورعاية

لخاطرها وخواطر احبابها ولأجل شيء كان مقدراً فى الأزل ثم أن شهيال سافر بعسكره ولم يزالوا مسافرين حتى وصلوا إلي الملك الأزرق وتلاقى العسكران فانكسر الملك الأزرق هو وعسكره ومسكوا أولاده كباراً وصغاراً وأرباب دولته وأكابرهم وربطوهم وأحضروهم بين يدى الملك شهيال فقال له يا أزرق أين سيف الملوك الأنسى الذى هو ضيفى فقال له الملك الأزرق يا شهيال أنت جنى وأنا جنى وهل لأجل أنسى قتل ولدى تفعل هذه الفعال وهو قاتل ولدى وحشاشة كبدى وراحة روحى وكيف عملت هذه الأعمال كلها وأهرقت دم كذا وكذا ألف جنى فقال له خل عنك هذا الكلام فإن كان هو بالحياة فاحضره وأنا اعتقك واعتق كل من قبضت عليه من أولادك وأن كنت قتلته فأنا أذبحك أنت وأولادك فقال له الملك الأزرق يا ملك هل هذا أعز عليك من ولدى فقال له الملك شهيال إن ولدك ظالم لكونه يخطف أولاد الناس وبنات الملوك ويضعهم فى القصر المشيد والبئر المعطلة ويفسق فيهم فقال له الملك الأزرق أنه عندى ولكن أصلح بيننا وبينه فأصلح بينهم وخلع عليهم وكتب بين الملك الأزرق وبين سيف الملوك حجة من جهة قتل ولده وتسلمه الملك شهيال وضيفهم ضيافة مليحة وأقام الملك الأزرق عنده هو وعسكره ثلاثة أيام ثم أخذ سيف الملوك وأتى به إلى أمه ففرحت به فرحًا شديداً وتعجب شهيال من حسن سيف الملوك وكماله وجماله وحكى له سيف الملوك حكايته من أولها إلى آخرها وما وقع له مع بديع الجمال ثم أن الملك شهيال قال يا أمى حيث رضيت بذلك فسمعًا وطاعة لكل أمر فيه رضاؤك فخذيه وروحى به إلى سرنديب واعملى هناك فرحًا عظيمًا فإنه شاب مليح وقاسى الأهوال من أجلها ثم أنها سافرت هى وجواريها إلى أن وصلن إلى سرنديب ودخلن البستان الذى لأم دولة خاتون ونظرته بديع الجمال بعد أن مضين إلي الخيمة واجتمعن وحدثتهن العجوز بما جرى له من الملك الأزرق وكيف كان أشرف على الموت فى سجن الملك الأزرق وليس فى الإعادة إفادة ثم أن سيف الملوك قال للملك تاج الملوك يا ملك العفو أنا أطلب منك حاجة وأخاف أن تردنى عنها خائبًا فقال له تاج الملوك والله لو طلبت روحى ما منعتها عنك لما فعلت من الجميل فقال سيف الملوك أريد أن تزوج دولة خاتون بأخى ساعد حتى نصير كلنا غلمانك فقال تاج الملوك سمعًا وطاعة ثم أنه جمع أكابر دولته ثانيًا وعقد عقد بنته دولة خاتون على ساعد ولما خلصوا من كتب الكتاب نثروا الذهب والفضة وأمر أن يزينوا المدينة ثم أقاموا الفرح ودخل سيف

الملوك علـي بديع الجمال ودخل ساعد على دولة خاتـون فى ليلة واحدة ولـم يزل سيف الملوك يختلى ببديع الجمال أربعين يومًا فقالت له فى بعض الأيام يا ابن الملك هل بقى فى قلبك حسرة على شـىء فقال سيف الملوك حاش لله قد قضيت حاجتـى وما بقى فى قلبى حسرة أبدًا ولكن قصدى الأجتماع بأبي وأمـى بأرض مصر وأنظر هل استمروا طيبين أم لا فأمرت جـماعة من خـدامها أن يوصلـوه هو وساعد إلى أرض مـصر فوصلـوهم إلى أهلهم بأرض مصر وأجتمع سيف الملوك بأبيه وأمه وكذلك ساعد وقعدوا عندهم جمعة ثم أن كل منهما ودع أباه وأمه وسارا إلى مدينة سرنـديب وصارا كلما اشتاقا إلى أهلهما يروحان ويرجعان وعاش سـيف الملوك هو وبديع الجمال فى أطيب عـيش واهناه وكذلك ساعد مع دولة خاتـون إلى أن آتاهم هادم اللذات ومفرق الجماعات فـسبحان الحى الذى لا يموت وخلق الخلق وقضى عليهم بالموت وهو أول بلا ابتداء وآخر بلا انتهاء.

ومما حكى أيضًا أنه كان فى قديم الزمان وسالف العصر والأوان رجل تاجر من التجار مقيم بـأرض البصرة وكان ذلك الـتاجر له ولدان ذكران وكان عـنده مال كثير فـقدر الله السميع الـعليم أن التاجر توفى إلى رحـمة الله تعالى وترك تلك الأمـوال فأخذ ولداه فى تجهيز دفنه وبعد ذلك اقتسما الأموال بينهمـا بالسوية وأخذ كل واحد منهما قسمه وفتحا لهما دكانين أحدهما نـحاس والثانى صايغ فبينما الصايغ جالـس فى دكانه يومًا من الأيام وإذا برجل أعجمى ماش فى السوق بين الناس حتى مر علي دكان الولد الصايغ فنظر إلى صنعته وتأملها بمعرفته فأعجبتـه وكان اسم الولد الصائغ حسن فهز الأعجمى رأسه وقال والله إنك صايغ مليح وصار ينظر إلى صناعته وهو ينظر إلى كتاب عتيق كان بيده والناس مشغولون بحسنـه وجماله وقده واعتداله فلما كان وقت العصـر خلت الدكان من الناس فعند ذلك أقبل الرجـل الأعجمى عليه وقال له يا ولدى أنت شاب ملـيح ما هذا الكتاب وأنا مالى ابن وقد عرفت صنعة ما فى الدنيـا أحسن منها وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة التاسعة والسبعون بعد السبعمائة

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الأعجمى لما أقبل علي حسن الصايغ قال له يا ولدى أنت شاب مليح ما هذا الـكتاب وأنا مالى ابن وقد عرفت صنعة ما في الـدنيا أحسن منها

وقد سألنى خلق كثير من الناس فى شأن تعليمها فما رضيت أن أعلمها أحدًا منهم ولكن قد سمحت نفسى أن أعلمك إياها وأجعلك ولدى وأجعل بينك وبين الفقر حجابًا وتستريح من هذه الصنعة والتعب في المطرقة والفحم والنار فقال له حسن يا سيدى ومتى تعلمنى فقال فى غد آتيك وأصنع لك من النحاس ذهبًا خالصًا بحضرتك ففرح حسن وودع الأعجمى وسار إلى والدته فدخل وسلم عليها وأكل معها وهو مدهوش بلا وعى ولا عقل فقالت له أمه ما بالك يا ولدى أحذر أن تسمع كلام الناس خصوصًا الأعجام فلا تطاوعهم فى شىء فإن هؤلاء غشاشون يعلمون صنعة الكيميا وينصبون على الناس ويأخذون أموالهم ويأكلونها بالباطل فقال لها يا أمى نحن ناس فقراء وما عندنا شىء يطمع فيه حتى ينصب علينا وقد جاءنى رجل أعجمى لكنه شيخ صالح عليه أثر الصلاح وإنما هو قد حننه الله على فسكتت أمه على غيظ وصار ولدها مشغول القلب ولم يأخذه نوم في تلك الليلة من شدة فرحه بقول الأعجمى له فلما أصبح الصباح قام وأخذ المفاتيح وفتح الدكان وإذا بالأعجمى قد أقبل عليه فقام له وأراد حسن أن يقبل يديه فامتنع ولم يرض بذلك وقال يا حسن عمر البودقة وركب الكير ففعل ما أمره الأعجمى وأوقد الفحم فقال له الأعجمى يا ولدى هل عندك نحاس قال عندى طبق مكسور فأمره أن يتكىء عليه بالكاز ويقطعه قطعًا صغارا ففعل كما قال له وقطعه قطعًا صغارا ورماه فى البودقة ونفخ عليه بالكير حتي صار ماء فمد الأعجمى يده إلى عمامته وأخرج منها ورقة ملفوفة وفتحها وذر منها شيئًا في البودقة مقدار نصف درهم وذلك الشىء يشبه الكحل الأصفر وأمر حسنًا أن ينفخ عليها بالكير ففعل مثل ما أمره حتى صار سبيكة ذهب فلما نظر حسن إلى ذلك أندهش وتحير عقله من الفرح الذى حصل له وأخذ السبيكة وقلبها وأخذ المبرد وبردها فرأى ذهبًا خالصًا من عال العال فطار عقله وأندهش من شدة الفرح ثم انحني على يد الأعجمى ليقبلها فقال له خذ هذه السبيكة وأنزل بها إلي السوق وبعها واقبض ثمنها سريعًا ولا تتكلم فنزل حسن إلى السوق وأعطى السبيكة إلى الدلال فأخذها منه وحكها فوجدها ذهبًا خالصًا ففتحوا بابها بعشرة آلاف درهم وقد تزايد فيها التجار فباعها بخمسة عشر ألف درهم وقبض ثمنها ومضى إلى البيت وحكى لأمه جميع ما فعل وقال لأمه يا أمى أنى قد تعلمت هذه الصنعة فضحكت عليه وقالت لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الموفية للثمانين بعد السبعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن حسنًا الصائغ لما حكى لأمه ما فعل الأعجمى وقال لها أنى قد تعلمت هذه الصنعه قالت لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وسكتت على غيظ منها ثم أن حسنًا أخذ من جهله هونًا وذهب به إلى الأعجمى وهو قاعد فى الدكان ووضعه بين يديه فقال له يا ولدى ما تريد أن تصنع بهذا الهون قال ندخله النار ونعمله سبائك ذهب فضحك الأعجمى وقال ياولدى هل انت مجنون حتى تنزل السوق بسبيكتين فى يوم واحد اما تعلم ان الناس ينكرون علينا وتروح ارواحنا ولكن ياولدى اذا علمتك هذه الصنعه لا تعلمها فى السنه الا مره واحده فهى تكفيك من السنه الى السنه قال صدقت ياسيدى ثم انه قعد فى الدكان وركب البودقة ورمى الفحم فى النار فقال له الاعجمى ياولدى ماذا تريد قال علمنى الصنعه فضحك الاعجمى وقال لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم أنت يا بنى قليل العقل ما تصلح لهذه الصنعة قط هل أحد فى عمره يتعلم هذه الصنعة على قارعة الطريق أو فى الأسواق فإن أشتغلنا بها فى هذا المكان يقول الناس علينا أن هؤلاء يصنعون الكيميا فتسمع بنا الحكام فتروح أرواحنا فإن كنت يا ولدى تريد أن تتعلم هذه الصنعة فاذهب معى إلى بيتى فقام حسن وأغلق الدكان وتوجه مع الأعجمى فبينما هو فى الطريق إذ تذكر قول أمه وحسب فى نفسه ألف حساب ووقف وأطرق برأسه إلى الأرض ساعة زمانية فالتفت الأعجمى فرآه واقفًا فضحك وقال له هل أنت مجنون كيف أضمر لك فى قلبى الخير وأنت تحسب أنى أضرك ثم قال الأعجمى أن كنت خائفًا من ذهابك معى إلى بيتى فأنا أروح معك إلى بيتك وأعلمك هناك فقال له حسن نعم يا عم فقال له امش قدامى فسار حسن قدامه إلى منزله وسار الأعجمى خلفه إلى أن وصل منزله فدخل حسن إلى داره فوجد والدته فاعلمها بحضور الأعجمى معه والأعجمى واقف على الباب ففرشت لهما البيت ورتبته فلما فرغت من أمرها راحت ثم أن حسنًا أذن للأعجمى أن يدخل فدخل ثم أن حسنا أخذ في يده طبقًا وذهب به إلي السوق ليجيىء فيه بشىء يأكله فخرج وجاء بأكل واحضره بين يديه وقال له كل يا سيدى لأجل أن يصير بيننا خبز وملح والله تعالى ينتقم ممن يخون الخبز والملح فقال له صدقت يا ولدى ثم تبسم وقال يا ولدى من يعرف قدر الخبز والملح ثم تقدم

الأعجمى وأكل مع حسن حتى أكتفيا ثم قال لـه الأعجمى يا ولدى يا حسن هات لنا شيئًا من الحلوى فمضى حسن إلى السوق وأحضـر عشر قبات من الحلوى وفرح حسن بكلام الأعجمى فلما قدم لـه الحلوى أكل منها وأكل معه حسن ثم قال لـه الأعجمى جزاك الله خيراً يا ولدى مثـلك من يصاحبه الناس ويظهـرونه على أسرارهم ويعلمونه مـا ينفعه ثم قال الأعجمى يا حسـن أحضر العدة فما صدق حسن بهذا الحديث وقد خرج مثل المهر إذا انطـلق من الربـيع حتـى أتى الدكان وأخـذ العدة ورجـع ووضعهـا بين يديه فـأخرج الأعجمى قرطاسًا من الورق وقال يا حسـن وحق الخبز والملح لولا أنت أعز من ولدى ما أطلعتك علي هذه الـصنعة وما بقي معى شيء من هذا الأكسيـر إلا هذا القرطاس ولكن تأمل حين أركب الـعقاقير وأضعها قدامـك وأعلم يا ولدى يا حسن أنك تـضع على كل عشرة أرطـال نحاسًا نصـف درهم من هذا الذى فـى الورقة فتصـير العشرة أرطـال ذهبًا خالصًـا إبريزًا ثم قال له يـا ولدى يا حسن أن فى هـذه الورقة ثلاثة أواق بالـوزن المصرى وبعد أن يفرغ ما فى هذه الورقة أعمل لك غيره فأخذ حسن الورقة فرأى فيها شيئًا أصفر أنعـم من الأول فقال يـا سيدى ما أسـم هذا وأين يـوجد وفى أى شىء يـعمل فضـحك الأعجمى وطمع فى حسن وقال له عن أى شـىء تسأل أعمل وأنت ساكت وأخرج طاسة من البـيت وقطعهـا وألقها فى الـبودقة ورمى علـيها قليـلاً من الذى فى الورقـة فصارت سبيـكة من الذهب الخـالص فلما رأى حسـن ذلك فرح فرحًا شـديدًا وصار متحـيراً فى عقله مشغـولاً بتلك السبيكة فأخرج الأعـجمى صرة من رأسه بسرعة وقطـعها ووضعها فى قطعـة من الحلوى وقال له يا حسـن أنت بقيت ولدى وصرت عنـدى أعز من روحى ومالي وعنـدى بنت أزوجك بها فقال حسـن أنا غلامك ومهمـا فعلته معى كان عـند الله تعالـى فقال الأعجـمي يا ولدى طـول بالك وصبـر نفسك فـيحصل لـك الخير ثم نـاوله القطعـة الحلوى فأخذها وقبل يـده ووضعها فى فمه وهو لا يـعلم ماله فى الغيـب ثم بلع القطـعة الحلوى فسبـقت رأسه رجليه وغـاب عن الدنيا فـلما رآه الأعجمى وقـد حل به البلاء فرح فرحًا شديدًا وقام على أقدامه وقال لـه وقعت يا علق يا كلب العرب لى أعوام كثيرة أفـتش عليك حتى حـصلتك يا حسن وأدرك شهـرزاد الصباح فسكتـت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الحادية والثمانون بعد السبعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن حسنًا الصائغ لما أكل القطعة الحلوى التى أعطاها له الأعجمى ووقع منها على الأرض مغشيًا عليه فرح الأعجمى وقال له لى أعوام كثيرة وأنا أفتش عليك حتى حصلتك ثم أن الأعجمى شد وسطه وكتف حسنًا وربط رجليه على يديه وأخذ صندوقًا وأخرج منه الحوايج التى كانت فيه ووضع حسنًا فيه وقفله عليه وفرغ صندوقًا آخر وحط فيه جميع المال الذى عند حسن والسبائك الذهب التى عملها أولا وثانيًا وقفله ثم خرج يجرى إلي السوق وأحضر حمالاً وحمل الصندوقين، وتقدم الى المركب الرأسية وكانت تلك المركب مهيئة للأعجمى وريسها منتظر له فلما نظرته بحريتها أتوا إليه وحملوا الصندوقين ووضعوهما في المركب وصرخ الأعجمى على الريس وعلى جميع البحرية وقال لهم قوموا قد أنقضت الحاجة وبلغنا المراد فصرخ الريس على البحرية وقال لهم أقلعوا المراسى وحلوا القلوع وسارت المركب بريح طيبة هذا ما كان من أمر الأعجمى وحسن وأما ما كان من أمر أم حسن فإنها انتظرته إلي العشاء فلم تسمع له صوتًا ولا خبرًا جملة كافية فجاءت إلى البيت فرأته مفتوحًا ولم تر فيه أحدًا ولم تجد الصناديق ولا المال فعرفت أن ولدها قد فقد ونفذ فيه القضاء فلطمت وجهها وشقت أثوابها وصاحت وولولت وصارت تقول وا ولداه واثمرة فؤاداه ثم أنشدت هذه الأبيات:

لقد قل صبرى ثم زاد تململى ... وزاد نحيبى بعدكم وتعللى
ولا صبر لى والله بعد فراقكم ... وكيف اصطبارى بعد فرقة مأملى
وبعد حبيبى كيف ألتذ بالكرى ... ومن ذا الذى يهنى بعيش التذلل
رحلت فأوحشت الديار وأهلها ... وكدّرت من صفوى مشارب منهلى
وكنت معينى فى الشدائد كلها ... وعزى وجاهى فى الورى وتوسلى
فلا كان يوم كنت فيه مباعدا ... عن العين إلا أن أراك تعود لى

ثم أنها صارت تبكى وتنوح إلي الصباح فدخل عليها الجيران وسألوها عن ولدها فأخبرتهم بما جرى له مع الاعجمى واعتقدت أنها لا تراه بعد ذلك أبدًا وجعلت تدور فى البيت وتبكى فبينما هى دائرة فى البيت إذ رأت سطرين مكتوبين على الحائط

فاحضرت فقيها فقرأهما لها فإذا فيهما:

سرى طيف ليلى عندما غلب الكرى سحيراً وصحبى فى الفلاة وقود
فلما أنتبهنا للخيال الذى سرى أري الجو قفرا والمزار بعيد

فلما سمعت أم حسن هذه الابيات صاحت وقالت نعم يا ولدى أن الدار قفراء والمزار بعيد ثم أن الجيران ودعوها بعد أن دعوا لها بالصبر وجمع الشمل قريبًا وانصرفوا ولم تزال أم حسن تبكى آناء الليل وأطراف النهار وبنت فى وسط البيت قبراً وكتبت عليه أسم حسن وتاريخ فقده وكانت لا تفارق ذلك القبر ولم يزل ذلك دأبها من حين فارقها ولدها هذا ما كان من أمرها وأما ما كان من أمر ولدها حسن مع الأعجمى فإن الأعجمى كان مجوسيًا وكان يبغض المسلمين وكلما قدر على أحد من المسلمين يهلكه وهو خبيث لئيم كيماوى وكما قال فيه الشاعر:

هو الكلب ابن الكلب والكلب جده ولا خير فى كلب تناسل من كلب

وكان اسم ذلك الملعون بهرام المجوسى وكان له فى كل سنة واحد من المسلمين يأخذه ويذبحه على مطلب فلما تمت حيلته على حسن الصايغ وسار به من أول النهار إلي الليل رست المركب على بر إلى الصباح فلما طلعت الشمس وسارت المركب أمر الأعجمى عبيده وغلمانه أن يحضروا له الصندوق الذى فيه حسن فأحضروه له ففتحه وأخرجه منه ونشقه بالخل ونفخ فى أنفه ذروراًفعطس وتقايا البنج وفتح عينيه ونظر يمينًا وشمالاً فوجد نفسه فى وسط البحر والمركب سائرة والأعجمى قاعد عنده فعلم أنها حيلة عملت عليه قد عملها الملعون المجوسى وأنه وقع فى الأمر الذى كانت أمه تحذره منه فقال كلمة لا يخجل قائلها وهى لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم أنا لله وإنا إليه راجعون اللهم ألطف بى فى قضائك وصبرنى على بلائك يا رب العالمين ثم ألتفت إلى الأعجمى وكلمه بكلام رقيق وقال له يا والدى ما هذه الفعال وأين الخبز والملح واليمين التى حلفتها لى فنظر إليه وقال له يا كلب هل مثلى يعرف خبزاً وملحًا وأنا قد قتلت مثلك ألف صبى إلا صبيًا وأنت تمام الألف وصاح عليه فسكت وعلم أن سهم القضاء نفذ فيه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الثانية والثمانون بعد السبعمائة

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن حسنًا لما رأي نفسه وقع مع الأعجمي الملعون كلمه بكلام رقيق فلم يفده بل صاح عليه فسكت وعلم أن سهم القضاء نفذ فيه فعند ذلك أمر الملعون بحل كتافه ثم سقوه قليلاً من الماء والمجوسي يضحك ويقول وحق النار والنور والظل والحرور ما كنت أظن أنك تقع في شبكتي ولكن النار قوتني عليك وأعانتني على قبضك حتى أقضي حاجتي وأرجع وأجعلك قربانًا لها حتى ترضى عني فقال حسن قد خنت الخبز والملح فرفع المجوسي يده وضربه ضربة فوقع وعض الأرض بأسنانه وغشي عليه وجرت دموعه على خده ثم أمر المجوسي أن يوقدوا له نارًا فقال له حسن ما تصنع بها فقال له هذه النار صاحبة النور والشرور وهي التي أعبدها فإن كنت تعبدها مثلي فأنا أعطيك نصف مالي وأزوجك بنتي فصاح حسن عليه وقال له ويلك إنما أنت مجوسي كافر تعبد النار دون الملك الجبار خالق الليل والنهار وما هذه إلا مصيبة في الاديان فعند ذلك غضب المجوسي وقال أما توافقني يا كلب العرب وتدخل في ديني فلم يوافقه حسن على ذلك فقام المجوسي الملعون وسجد للنار وأمر غلمانه أن يرموا حسنًا على وجهه فرموه على وجهه وصار المجوسي يضربه بسوط مظفور من جلد حتى شرح جوانبه وهو يستغيث فلا يغاث ويستجير فلا يجيره أحد فرفع طرفه إلي الملك القهار وتوسل إليه بالنبي المختار وقد عدم الاصطبار وجرت دموعه على خديه كالأمطار وأنشد هذين البيتين:

صبرًا لحكمك يا إلهي في القضا   أنا صابر إن كان هذا رضى

جاروا علينا واعتدوا وتحكموا   فعساك بالأحسان تغفر ما مضى

ثم أن المجوسي أمر العبيدان يقعدوه وأمر أن يأتوا إليه بشيء من المأكول والمشروب فاحضروه فلم يرض أن يأكل ولا يشرب وصار المجوسي يعذبه ليلاً نهارًا مسافة الطريق وهو صابر ويتضرع إلى الله عز وجل وقد قسى قلب المجوسي عليه ولم يزالوا سائرين في البحر مدة ثلاثة أشهر وحسن معه في العذاب فلما كملت الثلاثة أشهر أرسل الله تعالى على المركب ريحًا فأسود البحر وهاج بالمركب من كثرة الريح فقال الريس والبحرية هذا والله كله ذنب هذا الصبي الذي له ثلاثة أشهر في العقوبة مع هذا

المجوسى وهذا ما يحل من الله تعالى ثم أنهم قاموا على المجوسى وقتلوا غلمانه وكل من معه فلما رآهم المجوسى قتلوا الغلمان أيقن بالهلاك وخاف على نفسه وحل حسنًا من كتافه وقلعه ما كان عليه من الثياب الرثة والبسه غيرها وصالحه ووعده أن يعلمه الصنعة ويرده إلى بلده وقال له يا ولدى لا تؤاخذنى بما فعلت معك فقال له حسن كيف بقيت أركن إليك فقال له يا ولدى لولا الذنب ما كانت المغفرة وأنا ما فعلت معك هذه الفعال إلا لأجل أن أنظر صبرك وأنت تعلم أن الأمر كله بيد الله ففرحت البحرية والريس بخلاصه ودعا لهم حسن وحمد الله تعالى وشكره فسكنت الرياح وانكشفت الظلمة وطاب الريح والسفر ثم أن حسنًا قال للمجوسى يا أعجمى إلى أين تتوجه قال يا ولدى أتوجه إلي جبل السحاب الذى فيه الأكسير الذى نعمله كيميا وحلف له المجوسى بالنار والنور أنه ما بقى لحسن عنده ما يخيفه فطاب قلب حسن وفرح بكلام المجوسى وصار يأكل معه ويشرب وينام ويلبسه من ملبوسه ولم يزالوا مسافرين مدة ثلاثة أشهر أخر وبعد ذلك رست المركب على بر طويل كله حصى أبيض وأصفر وأزرق وأسود وغير ذلك من جميع الألوان فلما رست المركب نهض الأعجمى قائمًا وقال يا حسن قم أطلع فأننا قد وصلنا إلى مطلوبنا ومرادنا فقام حسن وطلع مع الأعجمى وأوصى المجوسي الريس على مصالحه ثم مشى حسن مع المجوسى إلى أن بعد عن المركب وغابا عن الأعين ثم قعد المجوسى وأخرج من جيبه طبلاً نحاسا وزخمة من حرير منقوشة بالذهب وعليها طلاسم وضرب الطبل فلما فرغ ظهرت غبرة من ظهر البرية فتعجب حسن من فعله وخاف منه وندم على طلوعه معه وتغير لونه فنظر إليه المجوسى وقال له مالك يا ولدى وحق النار والنور ما بقى عليك خوف منى ولولا أن حاجتى ما تقضى إلا علي اسمك ما كنت طلعتك من المركب فأبشر بكل خير وهذه الغبرة غبرة شيء نركبه فيعيننا على قطع هذه البرية ويسهل علينا مشقتها وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الثالثة والثمانون بعد السبعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الأعجمى قال أن هذه الغبرة غبرة شيء نركبه فيعيننا على قطع هذه البرية ويسهل علينا مشقتها فما كان إلا قليل حتى انكشفت الغبرة عن ثلاث نجائب فركب الأعجمى واحدة ركب حسن واحدة وحملا زادهما على الثالثة

وسار سبعة أيام ثم أنتهيا إلى أرض واسعة فلما نزلا فى تلك الأرض نظر إلى قبة معقودة على أربعة أعمدة من الذهب الأحمر فنزلا من فوق النجائب ودخلا تحت القبة وأكلا وشربا وأستراحا فلاحت التفاتة من حسن فرأى شيئًا عاليًا فقال له حسن ما هذا يا عم فقال المجوسى هذا قصر فقال له حسن أما تقوم ندخله لنستريح فيه ونتفرج عليه فذهب المجوسى وقال له لا تذكر لى هذا القصر فإن فيه عدوى ووقعت لى معه حكاية ليس هذا وقت إخبارك بها ثم دق الطبل فاقبلت النجائب فركبا وسارا سبعة أيام فلما كان اليوم الثامن قال المجوسى يا حسن ما الذى تنظره فقال حسن أنظر سحابًا وغماما بين المشرق والمغرب فقال له المجوسى ما هذا سحاب ولا غمام وإنما هو جبل عظيم شاهق ينقسم عليه السحاب وليس هناك سحاب يكون فوقه من فرط علوه وعظم إرتفاعه وهذا الجبل هو المقصود لى وفوقه حاجتنا ولأجل هذا جئت بك معى وحاجتى تقضى على يديك فعند ذلك يئس حسن من الحياة ثم قال للمجوسى بحق معبودك بحق ما تعتقده من دينك أى شىء الحاجة التى جئت بى من أجلها فقال له أن صنعة الكيمياء لا تصح إلا بحشيش ينبت فى المحل الذى يمر به السحاب وينقطع عليه وهو هذا الجبل والحشيش فوقه فإذا حصلنا الحشيش أريك أى شىء هذه الصنعة فقال له حسن من خوفه نعم يا سيدى وقد يئس من الحياة وبكى لفراق أمه وأهله ووطنه وندم على مخالفته أمه وأنشد هذين البيتين:

تأمل صنع ربك كيف تأتى   لك السراء مع فرج قريب

ولا تيأس إذا ما نلت خطبًا   فكم من الخطب من لطف عجيب

ولم يزالا سائرين إلى أن وصلا إلى ذلك الجبل ووقفا تحته فنظر حسن فوق ذلك الجبل قصرًا فقال للمجوسى ما هذا القصر فقال المجوسى هذا مسكن الجان والغيلان والشياطين ثم أن المجوسى نزل من فوق نجيبه وأمره بالنزول وقام إليه وقبل رأسه وقال له لا تؤاخذنى بما فعلته معك فأنا احفظك عند طلوعك القصر وينبغى أنك لا تخوننى فى شىء من الذى تحضره منه وأكون أنا وأنت فيه سواء بسواء فقال له السمع والطاعة ثم أن الأعجمى فتح جرابًا وأخرج منه طاحونًا وأخرج منه أيضًا مقدارًا من القمح وطحنه على تلك الطاحون وعجن منه ثلاثة أقراص وأوقد النار وخبز الأقراص ثم أخرج الطبل النحاس والزخمة المنقوشة ودق الطبل فحضرت النجائب فاختار منها نجيبا وذبحه وسلخ

جلده ثم التفت إلى حسن وقال له أسمع يا ولدى يا حسن ما أوصيك به قال نعم قال أدخل هذا الجلد وأخيط عليك وأطرحك على الأرض فتأتى طيور الرخم فتحملك وتطير بك أعلى الجبل وخذ هذه السكين معك فإذا فرغت من طيرانها وعرفت أنها حطتك فوق فشق بها الجلد وأخرج فإن الطير يخاف منك ويطير عنك وطل لى من فوق الجبل وكلمنى حتى أخبرك بالذى تعمله ثم هيأ له الثلاثة أقراص وركوة فيها ماء وحطها معه فى الجلد وبعد ذلك خيطه عليه ثم بعد عنه فجاء طير الرخم حمله وطار به إلى أعلى الجبل وضعه هناك فلما عرف حسن أن الرخم وضعه على الجبل شق الجلد وخرج منه وكلم المجوسى فلما سمع المجوسى كلامه فرح ورقص من شدة الفرح قال له أمض إلى ورائك ومهما رأيته فاعلمنى به فمضى حسن فرأى رمما كثيرة وعندهم حطب كثير فأخبره بجميع ما رآه فقال هذا هو المقصود والمطلوب فخذ من الحطب ست حزم وارمها لى فإنها هى التى نعملها كيمياء فرمى له الست حزم فلما رأى المجوسى تلك الحزم قد وصلت عنده قال لحسن يا علق قد أنقضت الحاجة التى أردتها منك وإن شئت فدم على هذا الجبل أو ألق نفسك على الأرض حتى تهلك ثم مضى المجوسى فقال حسن لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم قد مكر بى هذا الكلب ثم قعد ينوح على نفسه وأنشد هذه الأبيات:

إذا أراد الله أمرًا بامرئ ... وكان ذا عقل وسمع وبصر
اصمّ أذنيه واعمى قلبه ... وسلّ منه عقله سل الشعر
حتى إذا أنفذ فيه حكمه ... رد إليه عقله ليعتبر
فلا تقل فيما جرى كيف جرى ... فكل شيء بقضاء وقدر

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الرابعة والثمانون بعد السبعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن المجوسي لما طلع حسن الجبل ورمى له حاجته من فوقه وبخه وتركه وسار فقال حسن لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم قد مكر بى هذا الكلب الملعون ثم أنه وقف على قدميه والتفت يمينًا وشمالاً ثم مضى فوق الجبل

وايقن فى نفسه بالموت وصار يتمشى حتى وصل إلى الطرف الآخر من الجبل فرأى بجنب الجبل بحر أزرق متلاطم الأمراج قد أزبد وكل موجة منه كالجبل العظيم فقعد وقرأ ما تيسر من القرآن وسأل الله تعالي أن يهون عليه أما بالموت وإما بالخلاص من هذه الشدائد ثم صلى على نفسه صلاة الجنازة ورمى نفسه فى البحر فحملته الأمواج على سلامة الله تعالى إلى أن طلع من البحر سالمًا بقدرة الله تعالي ففرح وحمد الله تعالى وشكره ثم قام يمشى ويفتش على شيء يأكله فبينما هو كذلك وإذا هو بالمكان الذى كان فيه هو وبهرام المجوسى ثم مشى ساعة فاذا هو بقصر عظيم شاهق فى الهواء فدخله فاذا هو القصر الذى كان سأل عنه المجوسى وقال له أن هذا القصر فيه عدوى فقال حسن والله لابد من دخولى هذا القصر لعل الفرج يحصل لى فلما جاءه رأى بابه مفتوحًا فدخل من الباب فرأي مصطبة فى الدهليز وعلى المصطبة بنتان كالقمرين بين أيديهما رقعة شطرنج وهما يلعبان فرفعت واحدة منهما رأسها إليه وصاحت من فرحتها وقالت والله أن هذا آدمى وأظنه جاء به بهرام المجوسى فى هذه السنة فلما سمع حسن كلامها رمى نفسه بين ايديهما وبكى بكاءاً شديداً وقال يا سيداتى هوانا ذلك المسكين فقالت البنت الصغرى لأختها الكبرى اشهدى عليّ يا أختى أن هذا أخى فى عهد الله وميثاقه وأنى أموت لموته وأحيي لحياته وأفرح لفرحه وأحزن لحزنه ثم قامت له وعانقته وقبلته وأخذته من يده ودخلت به القصر وأختها معها وقلعته ما كان عليه من الثياب الرثة وأتت له ببدلة من ملابس الملوك وألبسته إياها وهيئت له الطعام وسائر الألوان وقدمته له وقعدت هى وأختها وأكلتا معه وقالتا له حدثنا بحديثك مع الكلب الفاجر الساحر من حين وقعت فى يده إلى حين خلصت منه ونحن نحدثك بما جرى لنا معه من أول الأمر لآخره حتى تصير على حذر إذا رأيته فلما سمع حسن منهما هذا الكلام ورأى الأقبال منهما عليه أطمأنت نفسه ورجع له عقله وصار يحدثهما بما جرى له معه من الأول إلي الآخر فقالتا لها هل سألته عن هذا القصر قال نعم سألته فقال لى لا أحب سيرته فأن هذا القصر للشياطين والأبالسة فغضبت البنتان غضبًا شديداً وقالتا هل جعلنا هذا الكافر شياطين وأبالسة فقال لهما حسن نعم فقالت الصغيرة اخت حسن والله لاقتلنه أقبح قتلة وأعد منه نسيم الدنيا فقال حسن وكيف تصلين إليه وتقتلينه قالت هو فى بستان يسمى المشيد ولا بد لى عن قتله قريبًا فقالت لها أختها صدق حسن وكل ما قاله عن هذا الكلب

صحيح ولكن حدثيه بحديثنا كله حتى يبقى فى ذهنه فقالت البنت الصغيرة أعلم يا أخى أننا من بنات الملوك وأبونا ملك من ملوك الجان العظام الشأن وله جنود وأعوان وخدم من المردة ورزقه الله تعالي بسبع بنات من امرأة واحدة ولحقه من الحماقة والغيرة وعزة النفس مالا يزيد عليه حتى أنه لم يزوجنا لأحد من الرجال ثم أنه أحضر وزراءه وأصحابه وقال لهم هل أنتم تعرفون لى مكانًا لا يطرقه طارق ولا من الأنس ولا من الجن ويكون كثير الأشجار والأثمار والأنهار فقالوا له ما الذى تصنع به يا ملك الزمان فقال أريد أن أجعل فيه بناتى السبعة فقالوا يا ملك لا يصلح لهن قصر جبل السحاب الذى كان أنشأه عفريت من الجن المردة الذين تمردوا على سليمان عليه السلام فلما هلك لم يسكنه أحد بعده لا من الجن ولا من الأنس لأنه منقطع لا يصل إليه أحد وحوله الأشجار والأثمار والأنهار وحوله ماء جار أحلى من الشهد وأبرد من الثلج ما شرب منه أحد به برص أو جذام أو غيرهما إلا عوفى من وقته وساعته فلما سمع والدنا بذلك أرسلنا إلي هذا القصر وأرسل معنا العساكر والجنود وجمع لنا ما نحتاج فيه إليه وكان إذا أراد الركوب يضرب الطبل فيحضر له جميع الجنود فيختار ما يركبه منهم وينصرف الباقون فإذا أراد والدنا أننا نحضر عنده أمر أتباعه من السحرة بأحضارنا فيأتوننا ويأخذوننا ويوصلوننا بين يديه حتى يأتنس بنا ونقضى أغراضنا منه ثم يرجعوننا إلى مكاننا ونحن لنا خمس أخوات ذهبن يتصيدن فى هذه الفلاة فأن فيها من الوحوش مالا يعد ولا يحصى وكل اثنتين منا عليهما نوبة فى القعود لتسوية الطعام فجاءت النوبة علينا أنا وأختى هذه فقعدنا لنسوى لهن الطعام وكنا نسأل الله سبحانه وتعالى أن يرزقنا شخصًا آدميًا يؤانسنا فالحمد لله الذى أوصلك ألينا فطب نفسًا وقر عينًا ما عليك يأس ففرح حسن وقال الحمد لله الذى هدانا إلى طريق الخلاص وحنن علينا القلوب ثم قامت وأخذته من يده وأدخلته مقصورة وأخرجت منها من القماش والفرش ما لا يقدر عليه أحد من المخلوقات ثم بعد ساعة حضر أخواتهما من الصيد والقنص فأخبرتاهن بحديث حسن ففرحن به ودخلن عليه فى المقصورة وسلمن عليه وهنينه بالسلامة ثم أقام عندهن فى أطيب عيش وأهنى سرور وصار يخرج معهن إلى الصيد والقنص ويذبح الصيد واستأنس حسن بهن ولم يزل معهن على هذه الحالة حتى صح جسده وبرئ من الذى كان به وقوى جسمه وغلظ وسمن بسبب ما هو فيه من الكرامة وقعوده عندهن فى ذلك الموضع وهو يتفرج

ويتفسح معهن فى ذلك القصر المزخرف وفى جميع البساتين والأزهار وهن يأخذن بخاطره ويؤانسنه بالكلام وقد زالت عنه الوحشة وزادت البنات به فرحًا وسرورًا وكذلك هو فرح بهن أكثر مما فرحن به ثم أن أخته الصغيرة حدثت اخواتها بحديث بهرام المجوسى وأنه جعلهن شياطين وأبالسة وغيلانا فحلفن لها أنه لابد من قتله فلما كان العام الثانى حضر الملعون ومعه شاب مليح مسلم كأنه القمر وهو مقيد بقيد ومعذب غاية العذاب فنزل به تحت القصر الذي دخل فيه حسن على البنات وكان حسن جالسًا على النهر تحت الأشجار فلما رآه حسن خفق قلبه وتغير لونه وضرب بكفيه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الخامسة والثمانون بعد السبعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن حسنًا الصائغ لما رأى المجوسى خفق قلبه وتغير لونه وضرب بكفيه وقال للبنات بالله يا أخواتى أعننى على قتل هذا الملعون فها هو قد حضر وصار فى قبضتكن ومعه شاب مسلم أسير من أولاد الناس الأكابر وهو يعذبه بأنواع العذاب الأليم وقصدى أن أقتله وأشفى فؤادى منه وأريح هذا الشاب من عذابه وأربح الثواب ويرجع الشاب المسلم إلى وطنه فيجتمع شمله مع أخوانه وأهله وأحبابه ويكون ذلك صدقة عنكن وتفزن بالأجر من الله تعالى فقال له البنات السمع والطاعة لله ولك يا حسن ثم أنهن ضربن لهن لثامات ولبسن آلات الحرب وتقلدن السيوف وأحضرن لحسن جوادًا من أحسن الخيل وهيئنه بعدة كاملة وسلحنه سلاحًا مليحًا ثم صاروا جميعًا فوجدوا المجوسى قد ذبح جملاً وسلخه وهو يعاقب الشاب ويقول له أدخل هذا الجلد فجاء حسن من خلفه والمجوسى ما عنده علم به ثم صاح عليه فأذهله وخبله ثم تقدم إليه وقال له أمسك يدك يا ملعون يا عدو الله وعدو المسلمين يا كلب يا غدار يا عابد النار يا سالك طريق الفجار تعبد النار والنور وتقسم بالظل والحر فالتفت المجوسى فرأى حسنًا فقال له يا ولدى كيف تخلصت ومن أنزلك إلى الأرض فقال له حسن خلصنى الله الذى جعل قبض روحك علي يد أعدائك كما عذبتنى طول الطريق يا كافر يا زنديق قد وقعت فى الضيق وزغت عن الطريق فلا أم تنفعك ولا أخ ولا صديق ولا عهد وثيق إنك قلت

من يخون العيش والملح ينتقم الله منه وأنت خنت الخبز والملح فأوقعك الله فى قبضتى وصار خلاصك منى بعيداً فقال له المجوسى والله يا ولدى أنت عندى أعز من روحى ومن نور عينى فتقدم إليه حسن وعجل عليه بضربة علي عاتقه فخرج السيف يلمع من علايقه وعجل الله بروحه إلي النار وبئس القرار ثم أن حسنًا أخذ الجراب الذى كان معه وفتحه وأخرج الطبل منه والزخمة وضرب بها على الطبل فجاءت النجايب مثل البرق إلى حسن فحل الشاب من وثاقه وأركبه نجيبًا وحمل له الباقى زاد وماء وقال له توجه إلى مقصدك فتوجه بعد أن خلصه الله من الضيق على يد حسن ثم أن البنات لما رأين حسنًا ضرب رقبة المجوسى فرحن به فرحًا شديداً ودرن حوله وتعجبن من شجاعته ومن شدة بأسه وشكرنه علـى ما فعل وهنينه بالسلامة وقلن له يا حسن لقد فعلت فعلاً أشفيت به العليل وأرضيت به الملك الجليل وسار هو والبنات إلى القصر وأقام معهن وأكل وشرب ولعب وضحك وطابت له الإقامة عندهن ونسى أمه فبينما هو معهن فى ألذ عيش إذ قد طلعت عليهم غبرة عظيمة من صدر البرية أظلم لها الجو فقالت له البنات قم يا حسن وأدخل مقصورتك وأختف وأن شئت فادخل البستان وتوار بين الشجر والكروم فما عليك بأس ثم أنه قام ودخل واختفى فى مقصورته وأغلقها عليه من داخل القصر وبعد ساعة أنكشف الغبار وبان من تحته عسكر جرار مثل البحر العجاج مقبلاً من عند الملك أبى البنات فلما وصل العسكر انزلنهم أحسن منزل وضيفنهم ثلاثة أيام وبعد ذلك سألتهم البنات عن حالهم وعن خبرهم فقالوا إننا جئنا من عند الملك فى طلبكن فقلن لهم وما يريد الملك منا قال أن بعض الملوك يعمل فرحًا ويريد أن تحضرن ذلك الفرح لتتفرجن فقالت لهم البنات وكم نغيب عن موضعنا فقالوا مدة الرواح والمجيء واقامة شهرين فقامت البنات ودخلن القصر علـى حسن وأعلمنه بالحال وقلن له أن هذا الموضع موضعك وبيتنا بيتك فطب نفسًا وقر عينًا ولا تخف ولا تحزن فإنه لا أحد يقدر أن يجيىء إلينا فى هذا المكان فكن مطمئن القلب منشرح الخاطر حتى نحضر إليك وهذه مفاتيح مقاصيرنا معك ولكن يا أخانا نسألك بحق الأخوة أنك لا تفتح هذا الباب فإنه ليس لك بفتحه حاجة ثم أنهن ودعنه وانصرفن صحبة العساكر وقعد حسن فى القصر وحده ثم أنه ضاق صدره وفرغ صبره وزاد كربه واستوحش وحزن لفراقهن حزنًا عظيمًا وضاق عليه القصر مع إتساعه فلما رأي نفسه وحيداً مستوحشًا تذكرهن وأنشد هذه الأبيات:

ضاق الفضاء جميعه في ناظري ... وتكدرت منه جميع خواطري
مذ سارت الأحباب صفوى بعدهم ... كدرود معى فائض بمحاجري
والنوم فارق مقلتي لفراقهم ... وتكدرت مني جميع سرائري
اترى الزمان يعود ويجمع شملنا ... ويعود لي ألفي بهم ومسامري

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة السادسة والثمانون بعد السبعمائة

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن حسنًا بعد ذهاب البنات من عنده قعد في القصر وحده فضاق صدره من أجل فراقهن ثم صار يذهب وحده إلي الصيد في البراري فيأتي به ويذبحه ويأكل وحده وزادت به الوحشة والقلق من انفراده فقام ودار في القصر وفتش في جميع جهاته وفتح مقاصير البنات فرأي فيها من الأموال ما يذهب عقول الناظرين وهو لا يلتذ بشيء من ذلك بسبب غيبتهن والتهبت في قلبه النار من أجل الباب الذي أوصته أخته بعدم فتحه وأمرته أنه لا يقربه ولا يفتحه أبدًا فقال في نفسه ما أوصتني أختي بعدم فتح هذا الباب إلا لكونه فيه شيء تريد أن لا يطلع عليه أحد والله أني لأقوم وأفتحه وأنظر ما فيه ولو كان فيه المنية فأخذ المفتاح وفتحه فلم ير فيه شيء من المال ولكنه رأى سلمًا في صدر المكان معقودا بحجر من جزع يماني فرقي على ذلك السلم وصعد إلي أن وصل إلي سطح القصر فقال في نفسه هذا الذي منعتني عنه ودار فوقه فاشرف على مكان تحت القصر مملوء بالمزارع والبساتين والأشجار والأزهار والوحوش والطيور وهي تغرد وتسبح الله الواحد القهار وصار يتأمل في تلك المتنزهات فرأى بحرا عجاجًا متلاطما بالأمواج ولم يزل دائرا حول ذلك القصر يمينًا وشمالاً حتى إنتهى إلى قصر على أربعة أعمد فرأى فيه مقعدا منقوشا بسائر الأحجار التي كالياقوت والزمرد والبلخش وأصناف الجواهر وهو مبني طوبة من ذهب وطوبة من فضة وطوبة من ياقوت وطوبة من زمرد أخضر وفي وسط ذلك القصر بحيرة ملآنة بالماء وعليها مكعب من الصندل وعود الند وهو مشبك بقضبان الذهب الأحمر والزمرد الأخضر ومزركش بأنواع الجواهر واللؤلؤ التي كل حبة منه قدر بيضة الحمامة وعلى جانب البحيرة تخت من العود الند

مرصع بالدر والجوهر مشبك بالذهب الأحمر وفيه سائر الفصوص الملونة والمعادن النفيسة وهى فى الترصيع يقابل بعضها بعضاً وحوله الأطيار تغرد بلغات مختلفة وتسبح الله تعالي بحسن أصواتها واختلاف لغاتها وهذا القصر لم يملك مثله كسرى ولا قيصر فاندهش حسن لما رأى ذلك وجلس فيه ينظر ما حوله فبينما هو جالس فيه وهو متعجب من حُسن صنعته ومن بهيمة ما حواه من الدر والياقوت وما فيه من سائر الصناعات ومتعجب أيضاً من تلك المزارع والاطيار التى تسبح الله الواحد القهار ويتأمل فى آثار من قدرة الله تعالى على عمارة هذا الاقصر فإنه عظيم الشأن وإذا هو بعشرة طيور قد أقبلوا من جهة البر وهم يقصدون ذلك القصر وتلك البحيرة فعرف حسن أنهم يقصدون البحيرة ليشربوا من مائها فاستتر منهم خوفاً أن ينظروه فيفروا منه ثم أنهم نزلوا على شجرة عظيمة مليحة وداروا حولها ونظر منهم طيراً عظيماً مليحاً وهو أحسن ما فيهم والبقية محتاطون به وهم فى خدمته فتعجب حسن من ذلك وصار ذلك الطير ينقر التسعة بمنقاره ويتعاظم عليهم وهم يهربون منه وحسن واقف يتفرج عليهم من بعيد ثم أنهم جلسوا على السرير وشق كل طير منهم جلده بمخاليبه وخرج منه فإذا هو ثوب من ريش وقد خرج من الثياب عشر بنات بكار يفضحن بحسنهن بهجة الأقمار فلما تعرين من ثيابهن نزلن كلهن فى البحيرة واغتسلن وصرن يلعبن ويتمازحن وصارت الطيرة الفائقة عليهن ترميهن وتغطسهن فهربن منها ولم يقدرن أن يمددن أيديهن إليها فلما نظرها حسن غاب عن صوابه وسلب عقله وعرف أن البنات ما نهينه عن فتح هذا الباب إلا لهذا السبب فشغف حسن بها حبًا لما رأى من حسنها وجمالها وقدها واعتدالها وهى فى لعب ومزاح ومراشقة بالماء وحسن واقف ينظر إليهن ويتحسر حيث لم يكن معهن وقد حار عقله من حسن الجارية الصغيرة وتعلق قلبه بشرك محبتها ووقع فى شرك هواها والعين ناظرة وفى القلب نار محرقة والنفس أمارة بالسوء فبكى حسن شوقا لحسنها وجمالها وانطلقت فى قلبه النيران من أجلها وزاد به لهيب لا يطفؤ شرره وغرام لا يخفى أثره ثم بعد ذلك طلعت البنات من تلك البحيرة وحسن واقف ينظر إليهن وهن لا ينظرنه وهو يتعجب من حسنهن وجمالهن ولطف معانيهن وظرف شمائلهن فحانت منه التفاتة فنظر حسن إلي الجارية الكبيرة وهى عريانة فبان له ما بين فخذيها وهو قبة عظيمة مدورة بأربعة أركان كأنه طاسة من فضة أو من بلور يذكر قول الشاعر:

ولما كشفت الثوب عن سطح كافها ... وجدت به ضيقا كخلقى وارزاقى

فأولجت فيها نصفه فتنهدت فقلت لما هذا فقالت على الباقى

فلما خرجن من الماء لبست كل واحدة ثيابها وحليها وأما الجارية الكبيرة فإنها لبست حلة خضراء ففاقت بجمالها ملاح الأفاق وزهت ببهجة وجهها على بدور الأشراق وفاقت على الغصون بحسن التثنى وأذهلت العقول بوهم التجنى وهى كمال قال الشاعر:

وجارية فى نشاط بدت ترى الشمس من خدها مستعارة
اتت في قميص لها أخضر فقلت لها كخضر الغصون على جلناره
ما اسم هذا اللباس فقالت كلاما مليح العباره
شققنا مرائرا حبا بنا ففاح نسيم يشق المراره

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة السابعة والثمانون بعد السبعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن حسنًا لما رأى البنات قد خرجن من البحيرة والكبيرة فيهن أخذت عقله بحسنها وجمالها أنشد تلك الأبيات ثم أن البنات لما لبسن ثيابهن جلسن يتحدثن ويتضاحكن وحسن واقف ينظر إليهن وهو غريق فى بحر عشقه وتائه فى وادى فكره وهو يقول فى نفسه والله ما قالت لى أختى لا تفتح هذا الباب إلا من شأن هؤلاء البنات وخوفًا من أن أتعلق بإحداهن ثم أنه صار ينظر فى محاسن هذه الجارية وكانت أجمل ما خلق الله في وقتها وقد فاقت بحسنها جميع البشر لها فم كأنه خاتم سليمان وشعر أسود من ليل الصدود على الكئيب الولهان وغرة كهلال عيد رمضان وعيون تحاكى عيون الغزلان وأنف اقنى كثير اللمعان وخدان كأنهما شقائق النعمان وشفتان كأنهما مرجان وأسنان كأنها اللؤلؤ منظوم فى قلائد العقيان وعنق كسبيكة فضة فوق قامة كغصن البان وبطن طيات واركان يبتهل فيه العاشق الولهان وسرة تسع أوقية مسك طيب الاردان وافخاذ غلاظ سمان كأنها عواميد رخام أو مخدتين محشوتين من ريش النعام وبينهما شىء كأنه أعظم العقبان وأرنب مقطوش الأذان وله سطوح وأركان

وهذه الصبية فاقت بحسنها وقدها على غصون البان وعلى قضيب الخيزران وهي كما قال الشاعر الولهان:

وخوداء اضحى ريقها حاكى الشهد   لها مقلة امضى من الصارم الهندى
وتخجل غصن البان من حركتها   إذا ابتسمت فالبرق من ثغرها تبدى
وقايست بالورد المصفف خدها   فصدت وقالت من يقايس بالورد
وشبه بالرمان نهدى فما استحى   ومن أين للرمان غصن حوى نهدى
وحق جمالى والعيون ومهجتى   وجنة وصلى والتسعر من صدى
لئن عاد للتشبيه حقا حرمته   لذيذ وصالى ثم اقليه بالصد
يقولون فى البستان ورد مصفف   وما ورده خدى ولا غصنه قدى
إذا كان مثلى فى البساتين عنده   فما الذى قد جاء يطلبه عندى

ثم أن البنات لم يزلن فى ضحك ولعب وهو واقف على قدميه ينظر إليهن ونسى الأكل والشرب إلى أن قرب العصر فقالت الصبية لصواحبها يا بنات الملوك أن الوقت أمسى علينا وبلادنا بعيدة ونحن قد سئمنا المقام هنا فقمن لنروح محلنا فقامت كل واحدة ولبست ثوبها الريش فلما أندرجن فى ثيابهن صرن طيوراً كما كن أولاً وطرن كلهن سوية وتلك الصبية فى وسطهن فيئس حسن منهن وأراد أن يقوم وينزل فلم يقدر أن يقوم وصار دمعه يجرى على خده ثم أشتد به الغرام فأنشد هذه الأبيات:

حرمت وفاء العهد أن كنت بعدكم   عرفت لذيذ النوم كيف يكون
ولا أغمضت عيناى بعد فراقكم   ولا لذلى بعد الرحيل سكون
يخيل لى فى النوم أنى اراكم   فياليت احلام المنام يقين
وأنى لا هوى النوم من غير حاجة   لعل لقاكم فى المنام يكون

ثم أن حسناً مشى قليلاً وهو لا يهتدى إلى الطريق حتى نزل إلى أسفل القصر ولم يزل يزحف إلى أن وصل إلى باب المخدع فدخل وأغلقه عليه واضطجع عليلا لا يأكل ولا يشرب وهو غريق فى بحر أفكاره فبكى وناح على نفسه إلى الصباح فلما أصبح الصباح أنشد هذه الأبيات:

فطارت طيوراً بالعشاء وصاحوا — ومن مات وجدا ما عليه جناح
اسر حديث العشق ما أمكن البقا — وإن غلب الشوق الشديد يباح
سرى طيف من يحكى بطلعته الضحى — وليس لليلى فى الغرام صباح
انوح عليهم والخاليون نوّم — وقد لعبت بى فى الغرام رياح
سمحت بد معى ثم مالى ومهجتى — وعقلى وروحى والسماح رباح
واقبح أنواع المكاره والأذى — إذا كان من عند الملاح كفاح
يقولون وصل الغانيات محرم — وسفك دماء العاشقين مباح
وما حيلة المضنى سوى بذل نفسه — يجود بها وهو فى الحب مزاح
اصيح اشتياقًا للحبيب ولوعة — وغاية جهد المستهام نواح

فلما طلعت الشمس فتح باب المخدع وطلع إلى المكان الذى كان فيه أولا وجلس فى مكان قبال المنظرة إلى أن أقبل الليل فلم يحضر أحد من الطيور وهو جالس فى أنتظارهم فبكى بكاءاً شديداً حتى غشى عليه ووقع على الأرض مطروحًا فلما أفاق من غشيته زحف ونزل إلى أسفل القصر وقد أقبل الليل وضاقت عليه الدنيا بأسرها وما زال يبكى وينوح على نفسه طول ليله إلى أن أتى الصباح وطلعت الشمس على الروابى والبطاح وهو لا يأكل ولا يشرب ولا ينام ولا يقر له قرار وفى نهاره حيران وفى ليله سهران مدهوش سكران من الفكر الذى هو فيه ومن شدة الغرام وأنشد قول الشاعر الولهان:

امخجلة شمس المنيرة فى الضحى — وفاضحة الاغصان من حيث لاتدرى
ترى تسمح الأيام منك بعودة — وتخمد نيران توقد فى سرى
ويجمعنا عند اللقاء تعانق — وخدك فى خدى ونحرك فى نرى
فمن قال أن الحب فيه حلاوة — ففى الحب أيام أمرّ من الصبر

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الثامنة والثمانون بعد السبعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن حسنًا الصايغ لما زاد عشقه أنشد الأشعار وهو فى القصر وحده ولم يجد من يؤانسه فبينما هو فى شدة ولهه وإذا هو بغبرة قد طلعت من

البر فقام يجرى إلى أسفل واختفى وعرف أن أصحاب القصر قد أتوا فلم يكن غير ساعة إلا والعسكر قد نزلوا وداروا بالقصر ونزلت السبع بنات ودخلن القصر فنزعن سلاحهن وما كان عليهن من آلات الحرب وأما البنت الصغيرة أخته فإنها لم تنزع ما عليها من آلة الحرب بل جاءت إلى مقصورة حسن فلم تره ففتشت عليه فوجدته فى مخدع من المخادع وهو ضعيف نحيل قد كل جسمه ورق عظمه وأصفر لونه وغابت عيناه فى وجهه من قلة الأكل والشرب ومن كثرة الدموع بسبب تعلقه بالصبية وعشقه لها فلما رأته أخته الجنية على هذه الحالة إندهشت وغاب عنها عقلها فسألته عن حاله وما هو فيه وأي شيء أصابه وقالت له أخبرنى يا أخى حتى اتحيل لك فى كشف ضرك وأكون فدائك فبكى بكاءاً شديداً وأنشد يقول:

محب إذا ما بان عنه حبيبه ... فليس له إلا الكآبة والضر

فباطنه سقم وظاهره جوى ... وأوله ذكر وآخره فكر

فلما سمعت أخته منه ذلك تعجبت من فصاحته ومن بلاغة قوله ومن حسن لفظه ومجاوبته لها بالشعر فقالت له يا أخى متى وقعت فى هذا الأمر الذى أنت فيه ومتى حصل لك فأنى أراك تتكلم بالأشعار وترخي الدموع الغزار فبالله عليك يا أخى وحرمة الحب الذى بيننا أن تخبرنى بحالك وتطلعنى على سرك ولا تخف منى شيئًا مما جرى فى غيابنا فإنه قد ضاق صدرى وتكدر عيشى بسببك فتنهد وارخى الدموع مثل المطر وقال أخاف يا أختى إذا أخبرتك أنك لم تساعدينى على مطلوبى وتتركينى أموت كمداً بغصتى فقالت لا والله يا أخى ما اتخلى عنك ولو كانت روحى تروح فحدثها بما جرى له وما عاينه حين فتح الباب وأخبرها أن سبب الضر والبلاء عشق الصبية التى رآها ومحبته لها وأن له عشرة أيام لم يستطعم بطعام ولا شراب ثم أنه بكى بكاءاً شديداً وأنشد هذين البيتين:

ردوا الفؤاد كما عاهدت إلي الحشى ... والمقلتين إلى الكرى ثم اهجروا

ازعمتم أن الليالي غيرت ... عهد الهوى لا كان من يتغير

فبكت أخته لبكائه ورقت له ورحمت غربته ثم قالت له يا أخى طب نفسًا وقر عينًا فأنا أخاطر بنفسي معك وابذل روحى فى رضائك وأدبر لك حيلة ولو كان فيها ذهاب نفائسى ونفسى حتى أقضى غرضك إن شاء الله تعالى ولكن أوصيك يا أخى بكتمان

السر عن أخواتى فلا تظهر حالك على واحدة منهن لئلا تروح روحى وروحك وإن سألنك عن فتح الباب فقل لهن ما فتحته أبدًا ولكن أنا مشغول القلب من أجل غيابكن عنى ووحشتى إليكن وقعودى فى القصر وحدى فقال لها نعم هذا هو الصواب ثم أنه قبل رأسها وطاب خاطره وانشرح صدره وكان خائفًا من أخته بسبب فتح الباب فردت إليه روحه بعد أن كان مشرفًا على الهلاك من شدة الخوف ثم أنه طلب من أخته شيئًا يأكله فقامت وخرجت من عنده ثم دخلت على أخواتها وهى حزينة باكية عليه فسألنها عن حالها فاخبرتهن أن خاطرها مشغول على أخيها وأنه مريض وله عشرة أيام ما نزل فى بطنه زاد أبدًا فسألناها عن سبب مرضه فقالت لهن سببه غيابنا عنه حيث أوحشناه فأن هذه الأيام التى غبناها عنه كانت عليه أطول من ألف عام وهو معذور لأنه غريب ووحيد ونحن تركناه وحده وليس عنده من يؤانسه ولا من يطيب خاطره وهو شاب صغير على كل حال وربما تذكر أهله وأمه وهى امرأة كبيرة فظن أنها تبكى عليه آناء الليل وأطراف النهار ولم تزل حزينة عليه وكنا نسليه بصحبتنا له فلما سمع أخواتها كلامها بكين من شدة التأسف عليه وقلن لها والله أنه معذور ثم خرجن إلي العسكر وصرفنهم ودخلن على حسن فسلمن عليه ورأينه قد تغيرت محاسنه واصفر لونه وانتحل جسمه فبكين شفقة عليه وقعدن عنده وآنسنه وطيبن قلبه بالحديث وحكين له جميع ما رأين من العجائب والغرائب وما جرى للعريس مع العروسة ثم أن البنات أقمن عنده مدة شهر كامل وهن يؤانسنه ويلاطفنه وهو فى كل يوم يزداد مرضًا على مرضه وكلما رأينه علي هذه الحالة يبكين عليه بكاءًا شديدًا وأكثرهن بكاءًا البنت الصغيرة ثم بعد الشهر اشتاقت البنات إلى الركوب للصيد والقنص فعزمن على ذلك وسألن أختهن الصغيرة أن تركب معهن فقالت لهن والله يا أخوتى ما أقدر أن أخرج معكن وأخى على هذه الحالة حتى يتعافى ويزول عنه ما هو فيه من الضرر بل أجلس عنده لاعلله فلما سمعن كلامها شكرنها على مرؤتها وقلن لها كل ما تفعلينه مع هذا الغريب تؤجرين عليه ثم تركنها عنده فى القصر وركبن وأخذن معهن زاد عشرين يومًا وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة التاسعة والثمانون بعد السبعمائة

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن البنات لما ركبن ورحن إلى الصيد والقنص تركن أختهن الصغرى قاعدة عند حسن في القصر فلما بعدن عن القصر عرفت اختهن انهن قطعن مسافة بعيدة فأقبلت علي أخيها وقالت له يا أخي قم أرني هذا الموضوع الذي رأيت فيه البنات فقال بسم الله على الرأس وفرح بقولها وأيقن ببلوغ مقصوده ثم أنه أراد أن يقوم معها ويريها المكان فلم يقدر على المشي فحملته في حضنها وجاءت به إلي القصر فلما صارا فوقه أراها الموضع الذي رآى فيه البنات وأراها المقعد وبركة الماء فقالت له أخته صف لي يا أخي حالهن كيف جئن فوصف لها ما رأي منهن وخصوصًا البنت التي تعلق بها فلما سمعت وصفه عرفتها فاصفر وجهها وتغير حالها فقال لها يا أختي قد أصفر وجهك وتغيرت حالتك فقالت له يا أخي أعلم أن هذه الصبية بنت ملك من ملوك الجان العظام الشأن وقد ملك أبوها أنسا وجانًا وسحرة وكهانًا وأرهاطًا وأعوانًا وأقاليم وبلدانا كثيرة وأمولاً عظامًا وأبونا نائب من جملة نوابه فلا يقدر عليه أحد من كثرة عساكره واتساع مملكته وكثرة ماله وقد جعل لأولاده البنات التي رأيتهن مسيرة سنة كاملة طولاً وعرضًا وقد زاد على ذلك القطر نهر عظيم محيط به فلا يقدر أحد أن يصل إلى ذلك المكان لا من الأنس ولا من الجان وله من البنات الضاربات بالسيوف الطاعنات بالرماح خمسة وعشرون ألفًا كل واحدة منهن إذا ركبت جوادها ولبست آلة حربها تقاوم ألف فارس من الشجعان وله سبع من البنات فيهن من الشجاعة والفروسية ما في اخواتهن وازيد وقد ولى على هذا القطر الذي عرفتك به ابنته الكبرى وهي اكبر اخواتها وفيها من الشجاعة والفروسية والخداع والمكر والسحر ما تغلب به جميع أهل مملكتها وأما البنات التي معها فهن أرباب دولتها وأعوانها وخواصها من ملكها وهذه الجلود الريش التي يطرب بها إنما هي صنعة سحرة الجان وإذا أردت أن تملك هذه الصبية وتتزوج بها فاقعد هنا وانتظرها لانهن يحضرن على رأس كل شهر في هذا المكان فإذا رأيتهن قد حضرن فاختف وإياك أن تظهر فتروح أرواحنا جميعًا فاعرف الذي أقوله لك واحفظه في ذهنك واقعد في مكان يكون قريبًا منهن بحيث أنك تراهن وهن لا يرينك فإذا قلعن ثيابهن فالق نظرك علي الثوب الريش الذي هو للكبيرة التي في مرادك وخذه

ولا تأخذ شيئًا غيره فإنه هو الذى يوصلها إلى بلادها فإنك إذا ملكته ملكتها وإياك أن تخدعك وتقول يا من سرق ثوبى رده على وها أنا عندك وبين يديك وفى حوزتك فإنك أن أعطيتها إياه قتلتك وتخرب علينا القصور وتقتل أبانا فاعرف حالك كيف تكون فإذا رأى أخواتها أن ثوبها قد سرق طرن وتركنها قاعدة وحدها فادخل عليها وامسكها من شعرها واجذبها فإذا جذبتها إليك فقد ملكتها وصارت فى حوزتك فاحتفظ بعد هذا على الثوب الريش فإنه ما دام عندك فهى فى قبضتك واسرك لأنها لم تقدر أن تطير إلى بلادها إلا به فإذا أخذتها فاحملها وانزل بها إلى مقصورتك ولا تبين لها أنك أخذت الثوب فلما سمع حسن كلام أخته أطمأن قلبه وسكن روعه وما به من الألم ثم انتصب قائمًا على قدميه وقبل رأس أخته وبعد ذلك قام ونزل من فوق القصر هو وأخته وناما ليلتهما وهو يعالج نفسه إلى أن أصبح الصباح فلما طلعت الشمس قام وفتح الباب وطلع إلى فوق وقعد ولم يزل قاعدًا إلى العشاء فطلعت له أخته بشئ من الأكل والشرب وغيرت ثيابه ونام ولم تزل معه على هذه الحالة فى كل يوم إلى أن هل الشهر فلما رأى الهلال صار يرتقبهم فبينما هو كذلك واذا بهن قد اقبلن عليه مثل البرق فلما رآهن اختفى فى مكان بحيث يراهن وهن لا يرينه فنزلت الطيور وقعدت كل طيرة منهن في مكان وقطعن ثيابهن وكذلك البنت التى يحبها وكان ذلك فى مكان قريب من حسن ثم نزلت البحيرة مع أخواتها فعند ذلك قام حسن ومشى قليلاً وهو مختف وستر الله عليه فأخذ الثوب ولم تنظره واحدة منهن بل كن يلعبن مع بعضهن فلما فرغن طلعن ولبست كل واحدة منهن ثوبها الريش فجاءت محبوبته لتلبس ثوبها فلم تجده فصاحت ولطمت على وجهها وشقت ثيابها فاقبلت عليها أخواتها وسألنها عن حالها فاخبرتهن أن ثوبها الريش قد فقد فبكين وصرخن ولطمن على وجههن وحين أمسي عليهن الليل لم يقدرن أن يقعدن عندها فتركنها فوق القصر وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الموفية للتسعين بعد السبعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن حسنًا لما أخذ ثوب البنت طلبته فلم تجده وطار أخواتها وتركنها وحدها فلما رآهن حسن طرن وغبن عنها صغى إليها فسمعها تقول من أخذ ثوبى وأعرانى سألتك أن ترده على وتستر عورتى فلا أذاقك الله حسرتى فلما سمع

حسن هذا الكلام منها سلب عقله فى عشقها وازدادت محبته لها ولم يطق أن يصبر عنها فقام من مكانه وصار يجرى حتي هجم عليها وامسكها ثم جذبها إليه ونزل بها أسفل القصر وأدخلها مقصورته ورمى عليه عباءته وهى تبكى وتعض على يدها فأغلق عليها الباب وراح لأخته وأعلمها أنه حصلها وظفر بها ونزل بها إلى مقصورته وقال لها أنها الآن قاعدة تبكى وتعض على يدها فلما سمعت أخته كلامه قامت وتوجهت إلى المقصورة ودخلت عليها فرأتها تبكى وهى حزينة فقبلت الأرض بين يديها ثم سلمت عليها فقالت لها الصبية يا بنت الملك اهكذا تفعل الناس مثلكم هذه الفعال الرديئة مع بنات الملوك وأنت تعرفين أن أبى ملك عظيم وأن جميع ملوك الجان تفزع منه وتخاف من سطوته وعنده من السحرة والحكماء والكهان والشياطين والمردة من لا طاقة لأحد عليه وتحت يده خلق لا يعلم عددهم إلا الله وكيف يصح لكم يا بنات الملوك أن تأوين رجال الأنس عندكن وتطلعنهم علي أحوالنا وأحوالكن وإلا فمن أين يصل هذا الرجل ألينا فقالت لها أخت حسن يا بنت الملك أن هذا الأنسى كامل المروءة وليس قصده أمراً قبيحًا وإنما هو يحبك وما خلقت النساء إلا للرجال ولولا أنه يحبك ما مرض لأجلك وكادت روحه أن تزهق فى هواك وحكت لها جميع ما أخبرها به حسن من عشقه لها وكيف عملت البنات فى طيرهن واغتسالهن وأنه لم يعجبه من جميعهن غيرها لأن كلهن جواريها وأنها كانت تفطسهن في البحيرة وليس واحدة منهن تقدر أن تمد يدها إليها فلما سمعت كلامها يئست من الخلاص فعند ذلك قامت أخت حسن وخرجت من عندها وأحضرت لها بدلة فاخرة فالبستها إياها وأحضرت لها شيئًا من الأكل والشرب فأكلت هى وإياها وطيبت قلبها وسكنت روعها ولم تزل تلاطفها بلين ورفق وتقول لها أرحمى من نظرك نظرة فأصبح قتيلاً فى هواك ولم تزل تلاطفها وترضيها وتحسن لها القول والعبارة وهى تبكى إلى أن طلع الفجر طابت نفسها وأمسكت عن بكائها لما علمت أنها وقعت ولم يمكن خلاصها قالت لأخت حسن يا بنت الملك بهذا حكم الله على ناصيتى من غربتى وانقطاعى عن بلدى وأهلى واخوتى فصبر جميل على ما قضاه ربى ثم أن أخت حسن أخلت لها مقصورة فى القصر لم يكن هناك أحسن منها ولم تزل عندها تسليها وتطيب خاطرها حتى رضيت وانشرح صدرها وضحكت وزال ما عندها من الكدر وضيق الصدر من فراق الأهل والأوطان وفراق أخواتها وأبويها وملكها ثم أن

أخت حسن خرجت إليه وقالت له قم أدخل عليها مقصورتها وقبل يديها ورجليها فدخل وفعل ذلك ثم قبل ما بين عينيها وقال لها يا سيدة الملاح وحياة الأرواح ونزهة الناظرين كونى مطمئنة القلب أنا ما أخذتك إلا لأجل أن أكون عبدك إلى يوم القيامة وأختى هذه جاريتك وأنا يا سيدتى ما قصدى إلا أن أتزوجك بسنة الله ورسوله وأسافر إلي بلادى وأكون أنا وأنت فى مدينة بغداد واشترى لك الجوارى والعبيد ولى والدة من خيار النساء تكون فى خدمتك وليس هناك بلاد أحسن من بلادنا كل ما فيها أحسن مما فى غيرها من سائر البلاد وأهلها وناسها ناس طيبون بوجوه صباح فبينما هو يخاطبها ويؤانسها وهى لا تخاطبه بحرف واحد وإذا بداق يدق باب القصر فخرج حسن ينظر بالباب وإذا هن البنات قد حضرن من الصيد والقنص ففرح بهن وتلقاهن وحياهن فدعين له بالسلامة والعافية ودعا لهن الآخر ثم نزلن عن خيولهن ودخلن القصر ودخلت كل واحدة منهن فى مقصورتها ونزعت ما كان عليها من الثياب الرثة ولبست قماشًا مليحًا وخرجن إلى الصيد والقنص فاصطدن شيئًا كثيرًا من الغزلان وبقر الوحش والأرانب والسباع والضباع وغير ذلك وقدمن منه شيئًا إلى الذبح وتركن الباقى عندهن فى القصر وحسن واقف بينهن مشدود الوسط يذبح لهن وهن يلعبن وينشرحن وقد فرحن بذلك فرحًا شديدًا فلما فرغن من الذبح قعدن يعملن شيئًا ليتغدين به فتقدم حسن إلى البنت الكبيرة وقبل رأسها وصار يقبل رأسهن واحدة بعد واحدة فقلن له لقد أكثرت التنازل إلينا يا أخانا وعجبنا من فرط توددك إلينا وأنت رجل آدمى ونحن من الجن فدمعت عيونه وبكى بكاءًا شديدًا فقلن ما الخبر وما يبكيك فقد كدرت عيشنا ببكائك فى هذا اليوم كأنك اشتقت إلي والدتك وبلادك فإن كان الأمر كذلك فنجهزك ونسافر بك إلى وطنك وأحبابك فقال لهن والله ما مرادى فراقكن فقلن له وحينئذ من شوش عليك منا حتى تكدرت فخجل أن يقول ما شوش علىَّ إلا عشق الصبية خيفة أن ينكرن عليه فسكت ولم يعلمهن بشىء من حاله فقامت أخته وقالت لهن أنه اصطاد طيرة من الهواء ويريد منكن أن تعنه على تأهيلها فالتفتن إليه كلهن وقلن له نحن كلنا بين يديك ومهما طلبته فعلناه لكن قص علينا خبرك ولا تكتم عنا شيئًا من حالك فقال لأخته قصى خبرى عليهن فأنى أستحى منهن ولا أقدر أن أقابلهن بهذا الكلام وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الحادية والتسعون بعد السبعمائة

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن حسنًا قال لأخته قصي عليهن قصتي فأني استحي ولا أقدر أن أقابلهن بهذا الكلام فقالت أخته لهن يا أخواتي أننا لما سافرنا وخلينا هذا المسكين وحده ضاق عليه القصر وخاف أن يدخل عليه أحد وانتن تعرفن أن عقول بني آدم خفيفة ففتح الباب الموصل إلى سطح القصر حين ضاق صدره وصار منفردًا وحده وطلع فوقه وقعد هناك وأشرف على الوادي وصار يطل على جهة الباب خوفًا أن يقصد أحد القصر فبينما هو جالس يومًا من الأيام وإذا بالعشر طيور قد أقبلن عليه قاصدات القصر ولم يزلن سائرات حتي جلسن على البحيرة التي فوق المنظرة فنظر إلى الطيرة التي هي أحسنهن وهي تنقرهن وما فيهن واحدة تقدر أن تمد يدها إليها ثم جعل مخالبهن في أطواقهن فشققن الثياب الريش وخرجن منها وصارت كل واحدة منهن صبية مثل البدر ليلة تمامه ثم خلعن ما عليهن وحسن واقف ينظر إليهن ونزلن الماء وصرن يلعبن والصبية الكبيرة تغطسهن وليس منهن واحدة تقدر أن تمد يدها إليها وهي أحسنهن وجها وأعدلهن قدًا وانظفهن لباسًا ولم يزلن على هذه الحالة إلى أن قرب العصر ثم طلعن من البحيرة ولبسن ثيابهن ودخلن في القماش والريش والتففن فيه وطرن فاشتغل فؤاده واشتعل قلبه بالنار من أجل الطيرة الكبيرة وندم لكونه لم يسرق قماشها الريش فمرض وأقام فوق القصر ينتظرها فامتنع من الأكل والشرب والنوم ولم يزل كذلك حتى لاح الهلال فبينما هو قاعد وإذا بهن قد أقبلن على عادتهن فقلعن ثيابهن ونزلن البحيرة فسرق ثوب الكبيرة فلما عرف أنها لم تقدر أن تطير إلا به أخذه وأخفاه خفية أن يطلعن عليه فيقتلنه ثم صبر حتى طرن فقام وقبضها ونزل بها من فوق القصر فقلن لها أخواتها وأين هي قالت لهن هي عنده في المخدع الفلاني فقلن صفيها لنا يا أختي فقالت هي أحسن من القمر ليلة تمامه ووجهها اضوء من الشمس وريقها أحلى من الشراب وقدها أرشق من القضيب ذات طرف أحور ووجه أقمر وجبين أزهر وصدر كأنه جوهر ونهدين كأنهما رمانتان وخدين كأنهما تفاحتان وبطن مطوى الأعكان وسرة كأنها حق عاج بالمسك ملآن ساقين كأنهما من المرمر عمودان تأخذ القلوب بطرف كحيل ودقة خصر نحيل وردف ثقيل وكلام يشف العليل مليحة القوام حسنة الابتسام كأنها البدر التمام فلما سمعت

البنات هذه الأوصاف التفتن إلي حسن وقلن له أرنا إياها فقام معهن وهو ولهان إلى أن أتى بهن إلى المخدع الذى فيه بنت الملك وفتحه ودخل وهن خلفه فلما رأينها وعاين جمالها قبلن الأرض بين يديها وتعجبن من حسن صورتها وظرف معانيها وسلمن عليها وقلن لها والله يا بنت الملك الأعظم أن هذا شيء عظيم ولو سمعتي بوصف هذا الانسى عند النساء لكنت تتعجبين منه طول دهرك وهو متعلق بك غاية التعلق إلا أنه يا بنت الملك لم يطلب فاحشة وما طلبك إلا فى الحلال ولو علمنا أن البنات تستغنى عن الرجال لكنا منعناه عن مطلوبه مع أنه لم يرسل إليك رسولا بل أتى إليك بنفسه وأخبرنا أنه أحرق الثوب الريش وإلا كنا أخذناه منه ثم أن واحدة من البنات اتفقت هي وإياها وتوكلت فى العقد وعقدت عقدها على حسن وصافحها ووضع يده فى يدها وزوجتها له بأذنها وعملن فى فرحها ما يصلح لبنات الملوك وأدخلنه عليها فقام حسن وفتح الباب وكشف الحجاب وفض ختمها وتزايدت محبته فيها وتعاظم وجده شغفًا بها وحيث حصل مطلوبه هنى نفسه وأنشد هذه الأبيات:

قوامك فتان وطرفك أحور ... ووجهك من ماء الملاحة يقطر
تصورت فى عينى أجل تصور ... فنصفك ياقوت وثلثك جوهر
وخمسك من مسك وسدسك عنبر ... وانت شبيه الدر بل أنت أزهر
وما ولدت حوّاء مثلك واحدا ... ولا فى جنان الخلد مثلك آخر
فإن شئت تعذيبى فمن سنن الهوى ... وإن شئت أن تعفو فأنت مخير
فيا زينة الدنيا ويا غاية المنى ... فمن ذا الذى عن حسن وجهك يصبر

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الثانية والتسعون بعد السبعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن حسنًا لما دخل على بنت الملك وأزال بكارتها والتذ بها لذة عظيمة وزادت محبته لها ووجده بها فأنشد فيها الأبيات المذكورة وكانت البنات واقفات علي الباب فلما سمعن الشعر قلن لها يا بنت الملك أسمعت قول هذا الأنسى كيف تلومينا وقد أنشد الشعر فى هواك فلما سمعت ذلك انبسطت وانشرحت وفرحت

ثم أن حسنًا أقام معها مدة أربعين يومًـا فى حظ وسرور ولذة وحبور والبنات تجدد له كل يوم فرحًا ونعمه وهدايـا وتحفا وهو بينهن فى سرور وإنشراح وطاب لبـنت الملك القعود بينهن ونسيت أهلـها ثم بعد الأربعين يومًا كان حسن نائمًا فرأى والـدته حزينة عليه وقد رقت عظامهـا وانتحل جسمها وأصـفر لونها وتغير حالـها وكان هو فى حالة حسـنة فلما رأته على هذه الحالة قالت له يا ولدى يا حسن كيف تعيش فى الدنيا منعمًا وتنسانى فانظر لحالى بعدك وأنا ما أنساك ولا لسانى يترك ذكـرك حتى أموت وقد عملت لك قبراً عندى فى الدار حتى لا أنـساك أبدا اترى أعيش يا ولدى وانظـرك عندى ويعود شملنا مـجتمعًا كما كان فانتبه حسن من نومه وهو يبكى وينوح ودموعه تجرى على خديه مثل المطر وصار حزينًا كـئيبًا لا ترتفـع دموعه ولم يجئه نـوم ولم يقر له قرار ولم يـبق عنده اصطبـار فلما أصبح دخلت علـيه البنات وصبحن عليه وانشـرحن معه على عادتهن فلم يلـتفت إليهن فسألن زوجته عن حاله فقالت لهن ما أدرى فقلن لها اسأليه عن حاله فتقدمت إليه وقالت له ما الخبر يا سيدى فتنهد وتضجر وأخبرها بما رآه فى منامه ثم أنشد هذين البيتين:

قد بـقينا مـوسوسين حيـــــارى نطلـــب الـقرب ما إليـه سبـــيل

فدواهى الـهـوى تزيـــد علـينـــا ومقـــام الهـــوى عـلـينا ثـقيـــل

فاخبرتهـن زوجته بما قال لها فلـما سمعت البنات الـشعر رقين لحاله وقلن لـه تفضل بسم الله ما نقدر أن نمنعك من زيارتها بل نسـاعدك على زيارتها بكل ما نقدر عليه ولكن ينبغى أن تزورنا ولا تنقطع عنا ولو فى كل سنة مرة واحدة فقال لهن سمعًا وطاعة فقامت البنـات من وقتهن وعـملن له الزاد وجهـزن له العروسة بـالحلى والحلل وكـل شيء غال يعجز عنه الوصف وهيأن له تحفًا تعجز عن حصرها الأقلام ثم أنهن ضربن الطبل فجائت النجـائب إليهن مـن كل مكان فاختـرن منها ما يـحمل جميـع ما جهزنه وأركـبن الجارية وحسنا وحـملن إليهما خمـسة وعشرين تختًا مـن الذهب وخمسين من الفـضة ثم سرن معهما ثلاثـة أيام فقطعن فيها مسافة ثـلاثة أشهر ثم أنهن ودعنهما وأردن الـرجوع عنهما فاعتنقته أخته الصغيرة وبكت حتى غشى عليها فلما أفاقت أنشدت هذين البيتين:

لا كـــان يـوم الفـــراق أصـــلاً لـــم يبـــق فـــى المقلتـــين نـــومًا

شتـــت مـنـــا ومـنـك شـمـلاً وهــدّمـنـــا قـــوى وجســـمًا

فلما فرغت من شعرها ودعته وأكدت عليه أنه إذا وصل إلى بلده واجتمع بأمه واطمأن قلبه لا يقطعها من الزيارة فى كل ستة أشهر مرة وقالت له إذا أهمك أمراً أو خفت مكروهًا فدق طبل المجوسى فتحضر لك النجائب واركب وأرجع إلينا ولا تتخلف عنا فحلف لها على ذلك ثم أقسم عليهن أن يرجعن فرجعن بعد أن ودعنه وحزنّ على فراقه وأكثرهن حزنًا أخته الصغيرة فإنها لم يستقر لها قرار ولم يطاوعها اصطبار وصارت تبكى ليلاً ونهاراً هذا ما كان منهن وأما ما كان من أمر حسن فأنه صار طول الليل والنهار يقطع مع زوجته البرارى والقفار والأودية والأوعار فى الهواجر والأسحار وكتب الله لهما السلامة فسلما ووصلا إلى مدينة البصرة ولم يزالا سائرين حتى اناخا على باب داره نجائبهما ثم صرف النجائب وتقدم إلى الباب ليفتحه فسمع والدته تبكى بصوت رقيق من كبد ذاقت عذاب الحريق وهى تنشد هذه الأبيات:

وكيف يذوق النوم من عدم الكرى ... ويسهر ليلاً والانام رقود
وقد كان ذا مال وأهل وعزة ... فأضحى غريب الدار وهو وحيد
له جمرة بين الضلوع وأنه ... وشوق شديد ما عليه مزيد
تولى عليه الوجد والوجد حاكم ... ينوح بما يلقاه وهو جليد
وحالته فى الحب تخبر أنه ... حزين كئيب والدموع شهود

فبكى حسن لما سمع والدته تبكى وتندب ثم طرق الباب طرقة مزعجة فقالت أمه من بالباب فقال لها افتحى ففتحت الباب ونظرت إليه فلما عرفته خرت مغشيًا عليها فما زال يلاطفها إلى أن أفاقت فعانقها وعانقته وقبلته ثم نقل حوايجه ومتاعه إلى داخل الدار وزوجته تنظر إلى حسن وأمه ثم أن أم حسن لما اطمأن قلبها وجمع الله شملها بولدها انشدت هذه الأبيات:

رقّ الزمان لحالتى ... ورثا لطول تحرقى
وأنالنى ما اشتهى ... وازال مما أتقى
فلا أصفحن عما جناه ... من الذنوب السبق
حتى جنايته بما ... فعل المشيب بمفرقى

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الثالثة والتسعون بعد السبعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن والدة حسن قعدت هى وإياه يتحدثان وصارت تقول له كيف كان حالك يا ولدى مع الأعجمي فقال لها يا أمي ما كان أعجميًا بل كان مجوسيًا يعبد النار دون الملك الجبار ثم أنه أخبرها بما فعل به من أنه سافر به وحطه فى جلد الجمل وخيطه عليه وحملته الطيور وحطته فوق الجبل وأخبرها بما رآه فوق الجبل من الخلايق الميتين الذين كان يحتال عليهم المجوسى ويتركهم فوق الجبل بعد أن يقضوا حاجته وكيف رمى روحه فى البحر من فوق الجبل وسلمه الله تعالى وأوصله إلى قصر البنات ومؤاخات البنت له وقعوده عند البنات وكيف أوصل الله المجوسى إلى المكان الذى هو فيه وأخبرها بعشق الصبية وكيف اصطادها وبقصتها كلها إلى أن جمع الله شملهما ببعضهما فلما سمعت أمه حكايته تعجبت وحمدت الله تعالى على عافيته وسلامته ثم قامت إلى تلك الحمول فنظرتها وسألته عنها فأخبرها بما فيها ففرحت فرحًا عظيمًا ثم تقدمت إلى الجارية تحدثها وتؤانسها فلما وقعت عينها عليها أندهش عقلها من ملاحتها وفرحت وتعجبت من حسنها وجمالها وقدها وأعتدالها ثم قالت له يا ولدى الحمد لله على السلامة وعلى رجوعك سالمًا ثم أن أمه قعدت جنب الصبية وآنستها وطيبت خاطرها ثم نزلت فى بكرة النهار إلي السوق فاشترت عشر بدلات أفخر ما فى المدينة من الثياب وأحضرت لها الفرش العظيم وألبست الصبية وجملتها بكل شيء مليح ثم أقبلت على ولدها وقالت يا ولدى نحن بهذا المال لم نقدر أن نعيش فى هذه المدينة وأنت تعرف أننا أناس فقراء والناس يتهموننا بعمل الكيمياء فقم بنا نسافر إلى مدينة بغداد دار السلام لنقيم فى حرم الخليفة وتقعد أنت فى دكان فتبيع وتشترى وتتقي الله عز وجل فيفتح عليك بهذا المال فلما سمع حسن كلامها استصوبه وقام من وقته وخرج من عندها وباع البيت وأحضر النجائب وحمل عليها أمواله وأمتعته وأمه وزوجته وساروا ولم يزل سائرًا إلى أن وصل إلى الدجلة فاكترى مركبًا لبغداد ونقل فيها جميع ماله وحوايجه ووالدته وزوجته وكل ما كان عنده ثم ركب المركب وسارت بهم المركب فى ريح طيبة مدة عشرة أيام حتى أشرفوا على بغداد فلما أشرفوا عليها فرحوا ودخلت بهم المركب المدينة فطلع من وقته وساعته إلي المدينة واكترى مخزنًا فى بعض الخانان ثم نقل حوايجه من المركب إليه وطلع وأقام ليلة فى الخان فلما أصبح غير ما عليه من الثياب فلما

رآه الدلال سأله عن حاجته وعن ما يريد فقال أريد دار تكون مليحة واسعة فعرض عليه الدور التى عنده فأعجبته دار كانت لبعض الوزراء فاشتراها منه بمائة ألف دينار من الذهب وأعطاه الثمن ثم عاد إلى الخان الذى نزل فيه ونقل جميع ماله وحوايجه إلي الدار ثم خرج إلى السوق وأخذ ما تحتاج إليه الدار من آنية وفرش وغير ذلك واشترى خدمًا ومن جملتها عبد صغير للدار وأقام مطمئنًا مع زوجته فى ألذ عيش وسرور مدة ثلاث سنين وقد رزق منها بغلامين سمى أحدهما ناصر والآخر منصوراً وبعد هذه المدة تذكر أخواته البنات وتذكر أحسانهن إليه وكيف ساعدنه علي مقصوده فاشتاق إليهن وخرج إلى أسواق المدينة فاشترى منها شيئًا من حلى وقماش نفيس ونقل ما رأين مثله قط ولا يعرفنه فسألته أمه عن سبب شراء تلك التحف فقال لها أني عزمت على أن أسافر إلى أخواتى التى فعلن معى كل جميل ورزقى الذى أنا فيه من خيرهن وإحسانهن إلى فأنى أريد أن أسافر إليهن وأنظرهن وأعود قريبًا إن شاء الله تعالى فقالت له يا ولدى لا تغب فقال لها أعلمى يا أمى كيف تكونين مع زوجتى وهذا ثوبها الريش فى صندوق مدفون فى الأرض فاحرصى عليه لئلا تقع فيه فتأخذه وتطير هى وأولادها ويروحون وأبقى لا أقع لهم على خبر فأموت كمداً من أجلهم وأعلمى يا أمى أنى أحذرك من أن تذكرى ذلك لها وأعلمى أنها بنت ملك الجان وما فى ملوك الجان أكبر من أبيها ولا أكثر منه جنوداً ولا مالاً وأعلمى أنها سيدة قومها وأعز ما عند أبيها فهى عزيزة النفس جداً فأخدميها أنت بنفسك ولا تمكنيها من أن تخرج من الباب أو تطل من الطاقة أو من حائط فأنى أخاف عليها من الهوا إذا هب وإذا جرى عليها أمر من أمور الدنيا فأنا أقتل روحى من أجلها فقالت أمه أعوذ بالله من مخالفتك يا ولدى وهل أنا مجنونة حتى توصينى بهذه الوصية وأخالفك فيها سافر يا ولدى وطب نفسًا وسوف تحضر فى خير وتنظرها إن شاء الله تعالي وتخبرك بما جرى لها منى ولكن يا ولدى لا تقعد غير مسافة الطريق وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الرابعة والتسعون بعد السبعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن حسنًا لما أراد السفر إلي البنات وصى أمه على زوجته حكم ما ذكرنا وكانت زوجته بالأمر المقدر تسمع كلامه لأمه وهما لا يعرفان ذلك

ثم أن حسنًا قام وخرج إلـى خارج المدينة ودق الطبل فحضرت النجائـب فحمل عشرين من تحف الـعراق وودع والدته وزوجتـه وأولاده وكان عمر واحـد من ولديه سنـة وعمر الآخر سنتـان ثم أنه رجع إلي والدتـه وأوصاها ثانيًا ثـم أنه ركـب وسافر إلي أخـواته ولـم يزل مسافرًا ليـلاً ونهارًا في أودية وجبال وسهل واوعار مدة عشـرة أيام وفي اليوم الحادى عشر وصل إلي القصر ودخل على أخواته ومعه الـذى أحضره إليهن فلما رأينه فرحن به وهنينه بالسلامة وأما أخته فانها زينت القـصر ظاهره وباطنه ثم أنهن أخذن الهدية وأنزلنه فى مقصـورة مثل العادة وسألنـه عن والدته وزوجته فأخـبرهن أنها ولدت منـه ولدين ثم أخته الصغيرة لما رأته طيبًا بخير فرحت فرحًا شديدًا وأنشدت هذا البيت:

واسأل الريح عنكم كلما خطـرت وغيـركم في فؤادى قط ماخطر

ثم أنه أقام عندهن في الضيافة والكرامـة مدة ثلاثة أشهر وهو فى فرح وسرور وغبطة وحبور وصيد وقنص هـذا ما كان من حديثه وأما ما كان من حديـث أمه وزوجته فإنه لما سافر حسن اقامت زوجتـه يومًا وثانيًا مع أمه وقالت لها فى اليوم الثـالث سبحان الله هل أقعد معه ثلاث سنين ما أدخل الحمام وبكت فرقت أمه لحالها وقالت لها يا بنتى نحن هنا غرباء وزوجك ما هو فى البلد فلو كان حاضـرًا كان يقوم بخدمتك أما أنا فلا أعرف أحد ولكن يا بنتى أسخن لك الماء وأغسل رأسك فى حمام البيت فقالت لها يا سيدتى لو قلت هذا القول لبعض الجوارى كانت طلبت البيع فـى السوق وما كانت تقعد عندكم ولكن يا سيدتى أن الرجـال معذورون فإن عندهم غيـرة وعقولهم تقول لهـم أن المرأة إذا خرجت من بيتها ربما تعمل فاحشة والنساء يا سيدتى ما كلهن سواء وانت تعرفين أن المرأة إذا كان لها غرض في شيء ما يغـلبها أحد ولا يقدر أن يحرص عليها ولا يصـونها ولا يمنعها من الحمام ولا غيره ولا من أن تعمل كل ما تختاره ثم أنها بكت ودعت على نفسها وصارت تعدد على نفسها وغربتها فرقت لحالهـا أم زوجها وعلمت أن كل ما قالته لابد منه فقامت وهيأت حوايج الحمام التى يحتاجان إليها وأخـذتها وراحت إلي الحمام فلما دخلتا الحمام قلعتا ثيابهما فصار النساء جميعًا ينظرن إليها ويسبحن الله عز وجل ويتأملن فيما خلق من الصورة البهية وصار كـل من جاز من النساء على الحمام يدخل ويتـفرج عليها وشاع في البلد ذكرهـا وازدحم النساء عليهـا وصار الحمام لا ينشق من كـثرة النساء التى فيـه فاتفق

بسبب ذلـك الأمر العجيب أنـه حضر إلي الحمام فـى ذلك اليوم جارية مـن جوارى أمير المؤمنين هارون الرشيد يقال لها تحفة العـوادة فرأت النساء فى زحمة والحمام لا ينشق من كثرة الـنساء والبنات فـسألت عن الخبر فـأخبرنها بـالصبية فجـاءت عندها ونظرت إلـيها وتأملت فيها فتحيـر عقلها من حسنها وجمالها وسبحت اللـه جل جلاله على ما خلق من الصور الملاح ولم تدخل ولـم تغسل وإنما صارت قاعدة وباهتة فى الـصبية إلى أن فرغت الصبية مـن الغسل وخرجت ولبسـت ثيابها فزادت حسنًـا على حسنها فلـما خرجت من الحرارة قعدت على البساط والمساند وصارت النساء نـاظرة إليها فالتفتت إليهن وخرجت فقامت تحـفة العوادة جارية الخلـيفة وخرجت معها حتـى عرفت بيتها وودعتـها ورجعت إلى قصر الخلـيفة ومازالت سائرة حتـى وصلت بين ايادى السيدة زبـيدة وقبلت الأرض بين يديها فقالت السـيدة زبيدة يا تحفة ما سبب ابطائك فى الحمام فـقالت يا سيدتى رأيت أعجويـة ما رأيت مثلـها فى الرجال ولا فـى النساء وهـى التى اشغلـتنى وأدهشت عـقلى وحيرتنى حتى أننـى ما غسلت رأسى فقالت وما هى يا تحفة قالـت يا سيدتى رأيت جارية فى الحمام معها ولدان صغيران كأنهما قمران ما رأى أحد مثلها لا قبلها ولا بعدها وليس مثل صورتـها فى الدنيا بـأسرها وحق نعمتـك يا سيدتى أن عرفـت بها أمير المؤمـنين قتل زوجها وأخذها منه لأنه لا يوجد مثلها واحدة من النساء وقد سألت عن زوجها فقالوا أن زوجها رجل تاجـر اسمه حسن البصرى وتبـعتها من خروجها من الحـمام إلى أن دخلت بيتها فرأيته بـيت الوزير الذى له بابان باب من جهة البحر وبـاب من جهة البر وأنا أخاف يا سيـدتى أن يسمع بهـا أمير المؤمنين فـيخالف الشرع ويـقتل زوجها ويتـزوج بها وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الخامسة والتسعون بعد السبعمائة

قالت بلغـنى أيها الملك السعيد أن جـارية أمير المؤمنين لما رأت زوجة حـسن البصرى ووصفت حسـنها للسيـدة زبيدة وقالت يا سـيدتى أنى أخاف أن يسـمع بها أمير المـؤمنين فيخالف الشـرع ويقتل زوجها ويتزوج بها فقـالت السيدة زبيدة ويلك يا تحـفة هل بلغت هذه الجارية من الحسن والجمـال أن أمير المؤمنين يبيع دينه بدنياه ويـخالف الشرع لأجلها والله لابد لى من النظـر إلى هذه الصبية فإن لم تكن كما ذكرت أمـرت بضرب عنقك يا

فاجرة إن فى سراية أمير المؤمنين ثلاثمائة وستين جارية بعدد أيام السنة ما فيهن واحدة بالصفات التى تذكرينها فقالت يا سيدتى لا والله ولا فى بغداد بأسرها مثلها بل ولا فى العجم بل ولا فى العرب ولا خلق الله عز وجل مثلها فعند ذلك دعت السيدة زبيدة بمسرور فحضر وقبل الأرض بين يديها فقالت له يا مسرور أذهب إلى دار الوزير التى بالبابين باب على البحر وباب على البر وائتى بالصبية التى هناك هى وأولادها والعجوز التى عندها بسرعة ولا تبطىء فقال مسرور السمع والطاعة ثم خرج من بين يديها وسار حتى وصل إلى باب الدار فطرق الباب فخرجت له العجوز أم حسن وقالت من بالباب فقال لها مسرور خادم أمير المؤمنين ففتحت الباب ودخل فسلم عليها وسلمت عليه وسألته عن حاجته فقال لها أن السيدة زبيدة بنت القاسم زوجة أمير المؤمنين هارون الرشيد السادس من بنى العباس عم النبى ﷺ تدعوك إليها أنت وزوجة ابنك وأولادها فإن النساء أخبرنها عنها وعن حسنها فقالت أم حسن يا مسرور نحن ناس غرباء وزوج البنت ولدى وما هو فى البلد ولم يأمرنى بالخروج أنا ولا هى لاحد من خلق الله تعالى وأنا أخاف أن يجرى أمر ويحضر ولدى فيقتل روحه فمن إحسانك يا مسرور لا تكلفنا ما لا نطيق فقال مسرور يا سيدتى لو علمت أن فى هذا خوفًا عليكم ما كلفتكم الرواح وإنما مراد السيدة زبيدة أن تنظرها وترجع فلا تخالفى تندمى وكما آخذكما أردكما إلى هنا سالمتين إن شاء الله تعالى فما قدرت أم حسن أن تخالفه فدخلت وهيأت الصبية وأخرجتها هى وأولادها وساروا خلف مسرور وهو قدامهم إلي قصر الخليفة فطلع بهم حتى أوقفهم قدام السيدة زبيدة فقبلوا الأرض بين يديها ودعوا لها والصبية مستورة الوجه فقالت لها السيدة زبيدة أما تكشفين عن وجهك لا نظره فقبلت الصبية الأرض بين يديها واسفرت عن وجه يخجل البدر فى افق السماء فلما نظرتها السيدة زبيدة شخصت إليها وسرحت فيها البصر واضاء القصر من نورها وضوء وجهها وأندهشت زبيدة من حسنها وكذلك كل من فى القصر وصار كل من رآها مجنونًا لا يقدر أن يكلم أحدًا ثم أن السيدة زبيدة قامت واوقفت الصبية وضمتها إلي صدرها وأجلستها معها على السرير وأمرت أن يزينوا القصر ثم أمرت بأن يحضروا لها بدلة من أفخر الملبوس وعقدا من أنفس الجواهر والبست الصبية اياهما وقالت لها يا سيدة الملاح أعجبتنى وملأت عينى أى شىء عندك من الذخائر فقالت الصبية يا سيدتى لى ثوب ريش لو لبسته

بين يديك لرأيت مـن أحسن الصنائع ما تتعجـبى منه ويتحدث بحسنـه كل من يراه جيلاً بعد جيل فقـالت وأين ثوبك هذا قالت هو عند أم زوجـى فاطلبيه لى منها فـقالت السيدة زبيدة يا أمى بحياتى عندك أن تنزلى وتأتى لها بثوبها الريش حتى تفرجنا على الذى تعمله وخذيه ثـانيًا فقالت الـعجوز يا سيدتـى هذه كذابة هل رأينـا أحد من النساء لـه ثوب من الريش فهذا لا يكون إلا للطيور فقالت الصبية لـلسيدة زبيدة وحياتك يا سيدتى لى عندها ثوب ريش وهو فى صندوق مـدفون فى الخزانة التى فى الدار فقلعـت السيدة زبيدة عن عنقـها عقد جـوهر يساوى خـزائن كسرى وقـيصر وقالـت لها يا أمـى خذى هذا العـقد وناولتها إياه وقالت لها بحياتى أن تنزلى وتأتى بذلك الثوب لنتفرج عليه وخذيه بعد ذلك فحلـفت لها أنها مـا رأت هذا الثوب ولا تعرف لـه طريقًا فصـرخت السيدة زبيـدة على العجوز وأخـذت منها المفتـاح ونادت مسرور فحضر فـقالت له خذ هذا المـفتاح وأذهب إلى الدار وافـتحها وأدخـل الخزانة التـى بابها كذا وكـذا وفى وسطهـا صندوق فاطـلعه واكسـره وهات الـثوب الـريش الذى فـيه وأحـضره بين يـدى وأدرك شهـرزاد الصـباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة السادسة والتسعون بعد السبعمائة

قالت بلغنى أيهـا الملك السعيد أن السيدة زبيدة لما أخذت المفـتاح من أم حسن وأعطته لمسرور وقالت لـه خذ هذا المفتاح وأفتح الخزانة الـفلانية وأطلع منها الـصندوق وأكسره وأطلع مـنه الثوب الـريش الذى فيـه وأحضره بين يـدى قال سمعًـا وطاعة ثم أنـه تناول المفتاح من يد السيـدة زبيدة وسار فقامت العجوز أم حسن وهى باكيـة العين ندمانة على مطاوعـة الجارية ورواحها الحمـام معها ولم تكـن الصبية طـلبت الحمام إلا مكـيدة ثم أن العجوز دخلت هى ومسرور وفتحت بـاب الخزانة فدخل وأخرج الصندوق وأخرج منه القميص الريش ولفه معه فى فوطة وأتى به إلي الـسيدة زبيدة فأخذته وقلبته وقد تعجبت من حسـن صناعته ثـم ناولته لهـا وقالت لها هل هـذا ثوبك الريش قـالت نعم يا سـيدتى ومدت الصبيـة يدها إليه وأخذته منـها وهى فرحانة ثم أن الصـبية أفتقدته فرأتـه صحيحًا كما كان علـيها ولم يضع منه ريشة فـفرحت به وقامت من جنب الـسيـدة زبيدة وأخذت القميص وفـتحته وأخذت أولادها فى حضنـها واندرجت فيه وصارت طيـرة بقدرة الله

عز وجل فتعجبت السيدة زبيدة من ذلك وكذلك كل من حضر وصار الجميع يتعجبون من فعلها ثم أن الصبية تمايلت وتمشت ورقصت ولعبت وقد شخص لها الحاضرون وتعجبوا من فعلها ثم قالت لهم بلسان فصيح يا سادتى هل هذا مليح فقال لها الحاضرون نعم يا سيدة الملاح كل ما فعلته مليح ثم قالت لهم وهذا الذى أعمله أحسن منه يا سادتى وفتحت أجنحتها وطارت بأولادها وصارت فوق القبة ووقفت على سطح القاعة فنظروا إليها بالاحداق وقالوا لها والله أن هذه صنعة غريبة مليحة ما رأيناها قط ثم أن الصبية لما أرادت أن تطير إلى بلادها تذكرت حسنًا وقالت اسمعوا يا ساداتى وأنشدت هذه الأبيات:

يا من خلا عن ذى الديار وسارا ... نحو الحبائب مسرعًا فرارا
اتظن أنى فى نعيم بينكم ... والعيش منكم لم يكن اكدارا
لما اسرت وصرت فى شرك الهوى ... جُعل الهوى سجنى وشط مزارا
لما اختفى ثوبى تيقن أننى ... لم أدع فيه الواحد القهار
قد صار يوصى أمه بحفاظه ... فى مخدع وعدا على وجار
فسمعت ما قالوه ثم حفظته ... ورجوت خيرًا زائدًا مدرارا
فرواحى الحمام كان وسيلة ... حتى غدت فىّ العقول حيارى
وتعجبت عرس الرشيد لبهجتى ... إذ شاهدتنى يمينة ويسارا
ناديت يا امرأة الخليفة أن لى ... ثوبًا من الريش العلى فخارا
لو كان فوقى تنظرين عجائبًا ... تمحو العنا وتبدّد الأكدار
فاستفصلت عرس الخليفة أين ذا ... فأجبت فى دار الذى قد دارى
فانقضّ مسرور وحضره لها ... وإذا به قد اشرق الأنوار
فأخذته فى كفه وفتحته ... ورأيت منه الجيب والأزرارا
فدخلت فيه ثم أولادى معى ... وفردت أجنحتى وطرت فرارا
يا أم زوجى أخبريه إذا أتى ... إن حب وصلى فليفارق دارا

فلما فرغت من شعرها قالت لها السيدة زبيدة أما تنزلين عندنا حتى نتملى بحسنك يا سيدة الملاح سبحان من أعطاك الفصاحة والصباحة قالت هيهات أن يرجع ما فات ثم قالت لأم حسن الحزين المسكين والله يا سيدتى يا أم حسن أنك توحشينى فإذا جاء ولدك وطالت عليه أيام الفراق واشتهى القرب والتلاق وهزته أرياح المحبة والأشواق فليجئنى إلى جزائر واق ثم طارت هى وأولادها وطلبت بلادها فلما رأت أم حسن ذلك بكت ولطمت وجهها وانتحبت حتى غشى عليها فلما أفاقت قالت لها السيدة زبيدة ياسيدتى الحجة ما كنت أعرف أن هذا يجرى ولو كنت أخبرتنى بها ما كنت اتعرض لك وما عرفت أنها من الجن الطيارة إلا فى هذا الوقت ولو عرفت أنها علي هذه الصفة ما كنت مكنتها من لبس الثوب ولا كنت أخليها تأخذ أولادها ولكن يا سيدتى أجعلينى فى حل فقالت العجوز وما وجدت فى يدها حيلة أنت فى حل ثم خرجت من قصر الخلافة ولم تزل سائرة حتى دخلت بيتها وصارت تلطم وجهها حتى غشى عليها فلما أفاقت من غشيتها استوحشت الى الصبية وأولادها وإلى رؤية ولدها فأنشدت هذه الأبيات:

يوم الفراق بعادكم أبكانى ... أسفًا لبعدكم عن الأوطان

ناديت من ألم الفراق بحرقة ... والدمع قرّح بالبكاء أجفانى

هذا الفراق فهل لنا من عودة ... فلقد أزال فراقكم كتمانى

يا ليتهم عادوا إلي حسن الوفا ... فلعل إن عادوا يعود زمانى

ثم قامت وحفرت ثلاثة قبور وأقبلت عليها بالبكاء آناء الليل وأطراف النهار وحين طالت غيبة ولدها وزاد بها القلق والشوق والحزن أنشدت هذه الأبيات:

خيالك بين طابقة الجفظون ... وذكرك فى الخوافق والسكون

وحبك قد جرى فى العظم منى ... كجرى الماء فى ثمر الغصون

ويوم لا أراك يضيق صدرى ... وتعذرنى العواذل فى شجونى

أيا من قد تملكنى هواه ... وزاد على محبته جنونى

خف الرحمن فىّ وكن رحيمًا ... هواك إذاقنى ريب المنون

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة السابعة والتسعون بعد السبعمائة

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أم حسن صارت تبكي آناء الليل وأطراف النهار لفراق ولدها وزوجته وأولاده هذا ما كان من أمرها وأما ما كان من أمر ولدها حسن فإنه لما وصل إلي البنات حلفن عليه أن يقيم عندهن ثلاثة أشهر ثم بعد ذلك جهزن له المال وهيأن له عشرة أحمال خمسة من الذهب وخمسة من الفضة وهيأن له من الزاد حملا واحدا وسفرنه وخرجن معه فحلف عليهن أن يرجعن فأقبلن على عناقه من أجل التوديع فتقدمت إليه البنت الصغيرة وعانقته وبكت حتى غشي عليها وأنشدت هذين البيتين:

متى تنطفي نار الفراق بقربكم ويقضي بكم أربي ونبقى كما كنا
لقد راعني يوم الفراق وضرني وقد زادني التوديع ياسادتي وهنًا

ثم تقدمت البنت الثانية وعانقته وأنشدت هذين البيتين:

وداعك مثل وداع الحياة وفقدك يشبه فقد النديم
وبعدك نار كوت مهجتي وقربك فيه جنات النعيم

ثم تقدمت البنت الثالثة وعانقته وأنشدت هذين البيتين:

ما تركنا الوداع يوم افترقنا عن ملال ولا لوجه قبيح
أنت روحي على الحقيقة قطعًا وكيف أختار أن أودع روحي

ثم تقدمت البنت الرابعة وعانقته وأنشدت هذين البيتين:

لم يبكني إلا حديث فراقه لما اسرّ به إليّ مودعي
هو ذلك الدر الذي أودعته في مسمعي أجريته من مدمعي

ثم تقدمت البنت الخامسة وعانقته وأنشدت هذين البيتين:

لا ترحلن فمالي عنكم جلد حتى أطيق به توديع مرتحل
ولا من الصبر ما ألقى الفراق به ولامن الدمع ماأذرى على طلل

ثم تقدمت البنت السادسة وعانقته وأنشدت هذين البيتين:

قد قلـــت مذ سـار الـسـياق بهـم والشـــوق يـنـــهــــب مهجتى نـهـبًا
لـو كـان لـى مـلـك اصـــول بـــه لأخـذت كـل سـفـــــينة غـصبا

ثم تقدمت البنت السابعة وعانقته وأنشدت هذين البيتين:

إذا رأيـت الــوداع فاصــــــبر ولا يــــهــولنــــك البـــــعـــاد
وأنـــتـظـر الـعـود عـن قـريـب فـإن قـــلــــب الـــوداع عـــادوا

ثم أن حسنًا ودعهن وبكى إلى أن غشى عليه بسبب فراقه وأنشد هذه الأبيات:

ولقد جرت يوم الـفراق سـوامحـى درر انظمت عقـودها مـن أدمـعى
وحدا بهم حادى الركاب فلم أجد جـلــدًا ولاصـبـرًا ولاقلبى مـعـى
ودعـتهـم ثـم انـثنيت بـحـســـرة وتــركت أنس معـــاهدى والأربـع
فرجعت لا د ر الطـريق ولـم تطـب نـفـســـى سوى أنـى اراك بمـرجـعـى
يـا صاحـبى أنـصـت لأخبـار الهـوى حاشى لـقـلـبك أن أقـول ولا يـعـى
يـا نفـس مـذ فـارقـتهـن ففـارقـى طـيـب الحيــاة وفـى البقـا لاتطمـعـى

ثم أنـه جد فى المسير ليلاً ونـهاراً حتـى وصل إلى بغـداد دار السلام وحرم الخلافة العباسية ولم يدر بالـذى جرى بعد سفره فدخل الدار على والدته ليسلـم عليها فرآها قد انتحل جسمها ورق عـظمها من كثرة النواح والسهر والبكاء والـعويل حتى صارت مثل الخلال ولم تقدر أن ترد الكلام فـصرف النجائب وتقدم إليها فلما رآهـا علي تلك الحالة قام في الدار وفـتش على زوجته وعـلي أولاده فلم يجد لـهم أثرًا ثم أنه نظـر فى الخزانة فوجدها مفتوحة والصندوق مفتوحًا ولم يجد فيه الثوب فعند ذلك عرف أنها تمكنت من الثوب الريش وأخذته وطارت وأخذت أولادها معهـا فرجع إلى أمه فرآها قد أفاقت من غشيتها فسألها عن زوجته وعن أولاده فبـكت وقالت يا ولدى عظم الله أجرك فيهم وهذه قبورهم الثلاثة فلما سمع كلام أمه صرخ صرخة عظيمة وخر مغشيًا عليه واستمر كذلك من أول النهـار إلى الظهر فازدادت أمه غـمًا على غمها وقد يـئست من حياته فـلما أفاق بكى ولطم وجهه وشق ثيابه وصار دائرًا فى الدار متحيرًا ثم أنه أنشد هذين البيتين:

شكى ألم الفراق الناس قبلى وروّع بالنوى حى وميت
وأما مثل ما ضمت ضلوعى فإنى لا سمعت ولا رأيت

فلما فرغ من شعره أخذ سيفه وسله وجاء إلى أمه وقال لها إن لم تعلمينى بحقيقة الحال ضربت عنقك وقتلت روحى فقالت له يا ولدى لا تفعل ذلك وأنا أخبرك ثم قالت له أغمد سيفك واقعد حتى أحدثك بالذى جرى فلما أغمد سيفه وجلس إلى جانبها أعادت عليه القصة من أولها إلى آخرها وقالت له يا ولدى لولا أنى رأيتها بكت على طلب الحمام وخفت منك أن تجيء وتشكو إليك فتغضب على ما كنت ذهبت بها إليه ولولا أن السيدة زبيدة غضبت على وأخذت منى المفتاح قهراً ما كنت أخرجت الثوب ولو كنت أموت ويا ولدى أنت تعرف أن يد الخلافة لا تطاولها يد فلما أحضروا لها الثوب أخذته وقلبته وكانت تظن أنه فقد منه شيء فوجدته ولم يصبه شيء ففرحت وأخذت أولادها وشدتهم فى وسطها ولبست الثوب والريش بعدما قلعت لها الست زبيدة كل ما عليها إكرامًا لها ولجمالها فلما لبست الثوب الريش أنتفضت وصارت طيرة ومشت فى القصر وهم ينظرون إليها ويتعجبون من حسنها وجمالها ثم طارت وصارت فوق القصر وبعد ذلك نظرت إلى وقالت إذا جاء ولدك وطالت عليه ليالى الفراق واشتهى القرب منى والتلاق وهزته أرياح المحبة والأشواق فليفارق وطنه ويذهب إلى جزائر واق هذا ما كان من حديثها فى غيبتك وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الثامنة والتسعون بعد السبعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن حسنًا لما سمع كلام أمه حين حكت له جميع ما فعلت زوجته وقت ما طارت وصرخ صرخة عظيمة ووقع مغشيًا عليه ولم يزل كذلك إلى آخر النهار فلما أفاق لطم وجهه وصار يتقلب على الأرض ويصرخ مثل الحية فقعدت أمه تبكي عند رأسه إلى نصف الليل فلما أفاق من غشيته بكى بكاءًا عظيمًا وأنشد هذه الأبيات:

قفوا وانظروا حال الذى تهجرونه لعلكم بعد الجفا ترحمونه
فإن تنظروه تنكروه لسقمه كأنكم والله لا تعرفونه

وما هـو إلا ميت فـى هواكــــم   يعــد مـن الأمـوات إلا انينـه
ولا تحسبـــوا أن التفــرق هـــين   يعز على المشتاق والموت دونه

فلمـا فرغ من شعره قام وجعل يدور في البيت وينوح وينتحب مدة خمسة أيام لم يذق فيها طعامًا ولا شرابًا فقامت إليه أمه وحلفته واقسمت عليه أن يسكت من البكاء وهو لا يقبل كلامها ولازال يبكى وينتحب وأمه تسليه وهو لا يسمع منها شيئًا ثم أنشد هذه الأبيات:

اكذا يجـــازى ودكـل قـريـــن   ام هذا شـيم الظبـاء العـين
أما بـيـوت الـنـحـل بين شـفاهـهم   مـنضوضـة أو حانة الـزرجون
قصوا على حديث من قـتل الهـــوى   أن التأسـى روح كل قد حزين
ووراء ذيــــاك المصــــلى مــــورد   حـصبـاؤه من لـؤلؤ المكـنون
لو كنت زرقاء اليمـــامــة مــا رأت   مــن بـاق حيًا علــى جيـرون
ترمـى بعينـيك الفـجاج مقــلـــبـا   ذات الشمـال بها وذات يمـنى

وما زال حسـن علي هذه الحالة يبكى إلى الصباح ثم أنه اغفت عيناه فـرأي زوجته حزينة وهي تبكى فقام من نومه وهو صارخ وأنشد هذين البيتين:

خيالك عندى ليس يبرح ســـاعة   جعلت له فى القلب أشرف موضع
ولولا رجاء الوصـل ماعشــت لحظـة   ولولا خـيـال الطيف لـم اتهجـع

فلما أصبح الصباح زاد نحيبه ولم يزل باكى العين حزين القلب ساهر الليل قليل الأكل واستمر على هذه الحالة مدة شهر كامل فلما مضى ذلك الشهر خطر بباله أن يسافر إلى أخواته لأجل أن يساعدنه على قصده من حصولها فأحضر النجائب ثم حمل خمسين هجينة من تحف العراق وركب واحدة منهن ثم أوصى والدته علي البيت وأودع جميع حوايجه إلا قليلاً أبقاه فى الدار ثم سار متوجهًا إلى أخواته لعله أن يجد عندهن مساعدة على اجتماع زوجته ولم يزل سائراً حتى وصل إلي قصر البنات فى جبل السحاب فلما دخل عليهن قدم إليهن الهدايا ففرحن بها وهنينه بالسلامة وقلن له يا أخانا ما سبب مجيئك بسرعة ومالك غير شهرين فبكى وأنشد هذه الأبيات:

أرى النفس فى فكر لفقد حبيبها ... فلا تنهنى بالحياة وطيبها
سقامى داء ليس يعرف طبه ... وهل يبرئ الاسقام غير طبيبها
فيا مانعى طيب المنام تركتنى ... اسائل عنك الريح عند هبوبها
قريبة عهد من حبيبي وقد حوى ... محاسن تدعو مقلتى لصبيبها
فيا ايها الشخص الملم بأرضه ... عسى نفحة تحى القلوب بطيبها

فلما فرغ من شعره صرخ صرخة عظيمة وخر مغشيًا عليه وقعدت البنات حوله يبكين حتى أفاق من غشيته فلما أفاق أنشد هذين البيتين:

عسى ولعل الدهر يلوى عنانه ... ويأتى بحبى والزمان غيور
ويسعدنى دهرى فتقضى حوايجى ... وتحصل من بعد الأمور أمور

فلما فرغ من شعره بكى حتى غشى عليه فلما أفاق أنشد هذين البيتين:

بالله يا منتهى سقمى وامراضى ... هل أنت راضى فأنى فى الهوى راضى
أتهجرين بلا ذنب ولا سبب ... فواصلى وارحمى من هجرك الماضى

فلما فرغ من شعره بكى حتى غشى عليه فلما أفاق أنشد هذه الأبيات:

هجر المنام وواصل التسهيد ... والعين بالدمع المصون تجود
تبكى بدمع كالعقيق صبابة ... يربو على طول المدى ويزيد
اهدى إلىّ الشوق ياأهل الهوى ... نارا لها بين الضلوع وقود
وإذا ذكرتك لم تفض لى دمعة ... إلا وفيها بارق ورعود

فلما فرغ من شعره بكى حتى غشى عليه فلما أفاق أنشد هذه الأبيات:

أفى العشق والتبريح دنتم كما دنا ... وهل ودّنا منكم كما ودّكم منا
إلا قاتل الله الهوى ما امره ... فياليت شعرى مايريد الهوى منا
وجوهكم الحسنا وأن شطت النوى ... تمثل فى أبصارنا إينما كنا
فقلبى مشغول بتذكار حيكم ... ويطربنى صوت الحمام إذا غنى

ألا يا حماما بات يدعو أليفه لقد زدتني شوقًا واصحبتني حزنًا
تركت جفوني لا تمل من البكاء على سادة اغابوا برؤيتهم عنا
أحن إليهم كل وقت وساعة واشتاقهم في الليل إذا جن

فلما سمعت كلامه أخته خرجت إليه فرأته راقداً مغشيًا عليه فصرخت ولطمت وجهها فسمعها اخواتها فخرجن اليها فرأين حسنا راقدا مغشيا عليه فاحتطن به وبكين عليه ولم يخف عليهن حين رأينه ما حل به من الوجد والهيام والشوق والغرام فسألنه عن حاله فبكى وأخبرهن بما جرى له في غيابه حيث طارت زوجته وأخذت أولادها معها فحزن عليه وسألنه عن الذى قالت عندما راحت قال يا أخواتي أنها قالت لوالدتي قولي لولدك إذا جاء وطالت عليه ليالي الفراق واشتهى القرب مني والتلاق وهزته أرياح المحبة والأشواق فليجئني في جزائر واق فلما سمعن كلامه تغامزن وتذكرن وصارت كل واحدة تنظر إلى أختها وحسن ينظرهن ثم أطرقن برؤسهن إلى الأرض ساعة وبعد ذلك رفعنها وقلن لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ثم قلن له أمدد يدك إلى السماء تصل إلى زوجتك وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة التاسعة والتسعون بعد السبعمائة

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن البنات لما قلن لحسن أمدد يدك إلى السماء فإن وصلت إليها تصل إلى زوجتك وأولادك جرت دموعه على خديه مثل المطر حتى بلت ثيابه وأنشد هذه الأبيات:

قد هيجتني الخدود الحمر والحدق وفارق الصبر لما أقبل الأرق
بيض نواعم اضنت بالجفا جسدى لم يبق منه لابصار الورى رمق
حور تميس كغزلان النقا سفرت عن بهجة لو رآها الأوليا علقوا
يمشين مثل نسيم الروض فى سمر بعشقهن عرانى الهم والقلق
علقت منهن آمالى بغانية قلبى لها بلظى النيران يحترق
خوداء ناعمة الأطراف مايسة فى وجهها الصبح بل فى شعرها الغسق
قد هيجتنى وكم فى الحب من بطل قد هيجته جفون البيض والحدق

فلما فرغ من شعره بكى وبكت البنات لبكائه وأخذتهن الشفقة والغيرة عليه وصرن يتلطفن به ويصبرنه ويدعين لـه بجمع الشمل فأقبلت عليه أخته وقالت له يا أخي طب نفسًا وقر عينًا واصبر تبلغ مرادك فمن صبر وتأنى نال ما تمنى والصبر مفاتيح الفرج فقد قال الشاعر:

دع المقادير تجري في اعنتها ولا تبيتن الاخالي البال
ما بين غمضة عين وانتباهتها يغير الله من حال إلى حال

ثم قالت له قو قلبك وأشدد عزمك فإن ابن عشرة لا يموت وهو في تسعة والبكاء والغم والحزن تمرض وتسقم واقعد عندنا حتى تستريح وأنا اتحيل لك في الوصول إلى زوجتك وأولادك إن شاء الله تعالى فبكى بكاءاً شديداً وأنشد هذين البيتين:

لئن عوفيت من مرضى بجسمي فما عوفيت من مرض بقلبي
وليس دواء أمراض التصابي سوى وصل الحبيب مع المحب

ثم جلس إلى جانب أخته وصارت تحدثه وتسليه وتسأله عن الذى كان سببًا في رواحها فأخبرها عن سبب ذلك فقالت لـه والله يا أخي أني أردت أن أقول لك أحرق الثوب الريش فانساني الشيطان ذلك وصارت تحدثه وتلاطفه فلما طال عليه الأمر وزاد به القلق أنشد هذه الأبيات:

تمكن من قلبي حبيب الفته وليس لما قدر الله مدفع
من العرب قد حاز الملاحة كلها غزال ولكن في فؤادي يرتع
لئن عز صبرى في هواه وحيلتي بكيت على أن البكا ليس ينفع
مليح له سبع وسبع كأنه هلال له خمس وخمس وأربع

فلما نظرت أخته إلى ما هو فيه من الوجد والهيام وتباريح الهوى والغرام قامت إلى أخواتها وهي باكية العين حزينة القلب وبكت بين أيديهن ورمت نفسها عليهن وقبلت أقدامهن وسألتهن مساعدة أخيها على قضاء حاجته واجتماعه بأولاده وزوجته وعاهدتهن على أن يدبرن أمرًا يوصله إلى جزائر واق وما زالت تبكي بين يدي أخواتها حتى أبكتهن

وقلن لها طيبي قلبك فإننـا مجتهدات في اجتماعـه بأهله إن شاء الله ثم أنـه أقام عندهن سنة كاملة وعينه لم تمسك عن الدموع وكان لأخواتها عم أخو والدهن شقيقه وكان اسمه عبد القدوس وكان يحب البنت الكبيرة محبة كثيرة وكان في كل سنة يزورها مرة واحدة ويقضي حوايجها وكانت البنت قد حدثته بحديث حسن وما وقع له مع المجوسي وكيف قدر على قتله ففرح عمهن بذلك ودفع للبنت الكبيرة صرة فيها بخور وقال لها يا بنت أخي إذا أهمك أمرًا ونالك مكروه أو عرضت لك حاجة فالقى هذا البخور في النار واذكريني فأني أحضر لك بسرعة واقضي حاجتك وكان هذا الكلام في أول يوم من السنة فقالت تلك البنت لبعض أخواتها أن السنة مضت بتمامها وعمي لم يحضر قومي اقدحي الزناد وائتني بعلبة البخور فقامت البنت وهي فرحانة وأحضرت علبة البخور وفتحتها وأخذت منها شيئًا يسيراً وناولته لأختها فأخذته ورمته في النار وذكرت عمها فما فرغ البخور إلا وغبرة قد ظهرت من صدر الوادي ثم بعد ساعة أنكشف الغبار فبان من تحته شيخ راكب على فيل وهو يصيح من تحته فلما نظرته البنات صار يشير إليهن بيديه ورجليه ثم بعد ساعة وصل إليهن فنزل عن الفيل ودخل عليهن فعانقنه وقبلن يديه وسلمن عليه ثم أنه جلس وصارت البنات يتحدثن معه ويسألنه عن غيابه فقال إني كنت في هذا الوقت جالسًا أنا وزوجة عمكن فشممت البخور فحضرت اليكن على هذا الفيل فما تريدين يا بنت أخي فقالت يا عم إننا اشتقنا إليك وقد مضت السنة وما عادتك أن تغيب عنا أكثر من سنة فقال لهن أني كنت مشغولاً وكنت عزمت على أن أحضر اليكن غدًا فشكرنه ودعين له وقعدن يتحدثن معه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كان الليلة الموفية للثمانمائة

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن البنات لما قعدن يتحدثن مع عمهن قالت له البنت الكبيرة يا عمي أننا كنا حدثناك بحديث حسن البصري الذي جاء به بهرام المجوسي وكيف قتله وحدثناك بالصبية بنت الملك الأكبر التي أخذها وما قاسى من الأمور الصعاب والأهوال وكيف اصطاد بنت الملك وتزوج بها وكيف سافر بها إلي بلاده قال نعم فما حدث له بعد هذا قالت له إنها غدرت به وقد رزق منها بولدين فأخذتهما وسافرت

بهما إلى بلادها وهـو غائب وقالت لأمه إذا حضر ولدك وطالت علـيه ليالى الفراق وأراد منى القرب والتلاق وهـزته رياح المحبة والاشتياق فليجئنـى إلى جزائر واق فحرك رأسه وعض عـلى أصبعـه ثم أطرق رأسـه إلى الأرض وصار يـنكت فى الأرض بـأصبعـه ثم التفت يمينًا وشمالا وحرك رأسه وحسن ينظره وهـو متوار عنه فقالت البنـات لعمهن رد علينـا الجواب فقد تفتـتت منا الأكباد فهـز رأسه اليهن وقال لهـن يا بناتى لقـد اتعب هذا الرجل نفسه ورمى روحه فـى هول عظيم وخطر جسيم فإنه لا يقدر أن يـقبل على جزائر واق فعند ذلك نادت البنات حسنًا فخرج إليهن وتقدم إلى الشيخ عبد القدوس وقبل يده وسلم عليه ففرح به وأجلسه بجانبه فقالت البـنات لعمهن يا عم بين لأخينا حقيقة ما قلته فقال له يا ولدى أتـرك عنك هذا العذاب الشديد فإنك لا تقـدر أن تصل إلى جزائر واق ولو كان معك الجـن الطيارة والنجوم السيـارة لأن بينك وبين الجزائر سبعـة أودية وسبعة بحار وسـبعة جبال عـظام وكيف تـقدر أن تصل إلى هـذا المكان ومن يوصـلك إليه بـالله عليك أن تـرجع من قريب ولا تتعـب سرك فلما سمـع حسن كلام الشيخ عـبد القدوس بكى حتى غشى عليه وقـعدت البنات حوله يبكين لبكائه وأما البنت الـصغيرة فإنها شقت ثيابها ولـطمت علي وجهها حتى غشى عليها فلـما رآهم الشيخ عبد الـقدوس على هذه الحالة من الهم والوجد والحزن رق لهم وأخذته الرأفـة عليهم فقال اسكتوا ثم قال لحسن طيب قلبك وابشر بقضاء حاجتك وقد فرح بقضاء حاجتك ان شاء الله ثم قال باولدي قم وشد حيلـك واتبعني فقـام حسن على حيـله بعد أن ودع البنـات وتبعه وقد فرخ بـقضاء حاجته ثم أن الشيخ عبد القدوس استدعى الفيل فحضر فركبه وأردف حسنًا خلفه وسار به مدة ثلاثة أيام بليـاليها مثل البرق الخاطف حتى وصل إلى جـبل عظيم أزرق وحجارته كلها زرق وفى ذلك الجبل مغارة وعليها باب من الحـديد الصينى فأخذ الشيخ بيد حسن وانزله ثم نزل الـشيخ وأطلق الفيل ثم تقـدم إلى باب المغارة وطرقه فانفـتح الباب وخرج إليه عبد أسود اجرود كأنه عفريت وبيده اليمنى سيف والأخرى ترس من بولاد فلما نظر الشيخ عبد القـدوس رمى السيف والترس من يده وتقدم إلى الشيـخ عبد القدوس وقبل يده ثم أخـذ الشيخ بيـد حسن ودخل هـو وإياه وقفل الـعبد الباب خلـفهما فـرأى حسن المغارة كبيرة واسعة جداً ولـها دهليز معقود ولم يزالوا سـائرين مقدار مـيل ثم انتهى بهم السير إلى فلاة عظيمة وتوجهوا إلى ركن فيه بابان عظيمان مسبوكان من النحاس الأصفر

ففتح الشيخ عبد القدوس بابًا منهما ودخل ورده وقال لحسن اقعد على هذا الباب وأحذر أن تفتحه وتدخل حتى أدخل وأرجع إليك عاجلاً فلما دخل الشيخ غاب مدة ساعة فلكية ثم خرج ومعه حصان مسرج ملجم أن سار طار وأن طار لم يلحقه غبار فقدمه الشيخ لحسن وقال أركب ثم أن الشيخ فتح الباب الثاني فبان منه برية واسعة فركب حسن الحصان وخرج الأثنان من الباب وصارا فى تلك البرية فقال الشيخ لحسن يا ولدى خذ هذا الكتاب وسر على هذا الحصان إلي الموضع الذى يوصلك إليه فإذا نظرته وقف على باب مغارة مثل هذه فانزل عن ظهره واجعل عنانه فى قربوص السرج واطلقه فإنه يدخل المغارة فلا تدخل معه وقف على باب المغارة مدة خمسة أيام ولا تضجر فإنه في اليوم السادس يخرج إليك شيخ أسود عليه لباس أسود وذقنه بيضاء طويلة نازلة إلى سرته فإذا رأيته فقبل يديه وامسك ذيله واجعله على رأسك وابك بين يديه حتى يرحمك فإنه يسألك عن حاجتك فإذا قال لك ما حاجتك فادفع إليه هذا الكتاب فإنه يأخذه منك ولا يكلمك ويدخل ويخليك فقف مكانك خمسة أيام أخر ولا تضجر وفى اليوم السادس انتظره فإنه يخرج إليك فإن خرج إليك بنفسه فاعلم أن حاجتك تقضى وأن خرج إليك أحد غلمانه فاعلم أن الذى خرج إليك يريد قتلك والسلام واعلم يا ولدى أن كل من خاطر بنفسه أهلك نفسه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الأولى بعد الثمانمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الشيخ عبد القدوس لما أعطى حسنًا الكتاب أعلمه بما يتحصل له وقال له إن كل من خاطر بنفسه أهلك نفسه فإن كنت تخاف على نفسك فلا تلق بها إلى الهلاك وإن كنت لا تخاف فدونك وما تريد فقد بينت لك الأمور وإن شئت الرواح لصواحبك فهذا الفيل حاضر فإنه يسير بك إلى بنات أخى وهن يوصلنك إلى بلادك ويرددنك إلى وطنك ويرزقك الله خيراً من هذه البنت التى تعلقت بها فقال حسن للشيخ وكيف تطيب لى الحياة من غير أن أبلغ مرادى والله إنى لا أرجع أبداً حتى أبلغ حبيبتى أو تدركنى منيتى ثم بكى وأنشد هذه الأبيات:

على فقد حي مع تزايد صبوتي ... وقفت أنادي بانكساري وذلتي
وقبلت ترب الربع شوقًا لأجله ... ولم يجدني إلا تزايد حسرتي
رعي الله من بانوا وفي القلب ذكرهم ... فواصلت الامى وفارقت لذتي
يقولون لى صبرًا وقد رحلوا به ... وقد اضرموا يوم الترحل زفرتي
وما راعني إلا الوداع وقوله ... إذا غبت فاذكرنى ولاتنس صحبتى
لمن ارتجي من ارتجى بعد فقدهم ... وكانوا رجائى فى رخائى وشدتى
فوواحسرتي لما رجعت مودعًا ... وسرّت عداك المبغضون برجعتى
فوا اسفا هذا الذى كنت حاذرا ... ويا لوعتى زيدى لهيبًا بمهجتى
فإن غاب أحبابى فلا عيش بعدهم ... وإن رجعوا يا فرحتى ومسرتى
فوالله لم ينفضّ دمعى من البكا ... على فقدهم بل عبرة بعد عبرة

فلما سمع الشيخ عبد القدوس إنشاده وكلامه علم أنه لا يرجع عن مراده وأن الكلام لا يؤثر فيه وتيقن أنه لابد أن يخاطر بنفسه ولو تلفت مهجته فقال أعلم يا ولدى أن جزائر واق سبع جزائر فيها عسكر عظيم وذلك العسكر كله بنات أبكار وسكان الجزائر الجوانية شياطين ومردة وسحره وأرهاط مختلفة وكل من دخل أرضهم لا يرجع وما وصل إليهم أحد قط ورجع فبالله عليك أنت أرجع إلى أهلك من قريب وأعلم أن البنت التى قصدتها بنت ملك هذه الجزائر كلها وكيف تقدر أن تصل إليها فاسمع منى يا ولدى ولعل الله يعوضك خيرًا منها فقال حسن والله يا سيدى لو قطعت فى هواها إربًا ما ازددت إلا حبًا وطربًا ولابد من رؤية زوجتى وأولادى والدخول فى جزائر واق وإن شاء الله تعالى ما أرجع إلا بها وبأولادى فقال له الشيخ عبد القدوس حينذاك لا بد لك من السفر فقال نعم وإنما أريد منك الدعاء بالاسعاف والإعانة لعل الله يجمع شملى بزوجتى وأولادى عن قريب ثم بكى من عظم شوقه وأنشد هذه الأبيات:

أنتم مرادى وأنتم أحسن البشر   أحلكم في محل السمع والبصر
ملكتم القلب منى وهو منزلكم   وبعدكم سادتى أصبحت في كدر
فلا تظنوا إنتقالي عن محبتكم   فحبكم صير المسكين فى حذر
غبتم فغاب سرورى بعد غيبتكم   وأصبح الصفو عندى غاية الكدر
تركتمونى أراعى النجم من ألم   أبكى بدمع يحاكى هاطل المطر
ياليل طلت على من بات فى قلق   من شدة الوجد يرعى طلعة القمر
أن جزت يا ريح حيا فيه قد نزلوا   بلغ سلامى لهم فالعمر فى قصر
وقل لهم بعض ما لاقيت من ألم   أن الأحبة لا يدرون عن خبرى

فلما فرغ حسن من شعره بكى بكاءًا شديدًا حتى غشى عليه فلما آفاق قال له الشيخ عبد القدوس يا ولدى أن لك والدة فلا تذقها فقدك فقال حسن للشيخ والله يا سيدى ما بقيت أرجع إلا بزوجتى أو تدركنى منيتى ثم بكى وناح وانشد هذه الأبيات:

وحق الهوى ما غير البعد عهدكم   وما أنا ممن للعهود يخون
وعندى من الأشواق مالوشرحته   إلى الناس قالوا قد عراه جنون
فوجد وحزن وانتحاب ولوعة   ومن حاله هذا فكيف يكون

فلما فرغ من شعره علم الشيخ أنه لا يرجع عن ما هو فيه ولو ذهبت روحه فناوله الكتاب ودعا له وأوصاه بالذى يفعله وقال له إنى قد أكدت لك فى الكتاب على أبى الرويش بن بلقيس بنت معين فهو شيخى ومعلمى وجميع الأنس والجن يخضعون له ويخافون منه ثم قال له توجه على بركة الله فتوجه وارخى عنان الحصان فطار به اسرع من البرق ولم يزل حسن مسرعًا بالحصان مدة عشرة أيام حتى نظر أمامه شجًا عظيمًا أسود من الليل قد سد ما بين المشرق والمغرب فلما قرب حسن منه صهل الحصان تحته فاجتمعت خيول كثيرة مثل المطر لا يحصى لها عدد ولا يعرف لها مدد وصارت تتمسح فى الحصان فخاف حسن منها وفزع ولم يزل حسن سائرًا والخيول حوله إلى أن وصل إلى المغارة التى وصفها له الشيخ عبد القدوس فوقف الحصان على بابها فنزل حسن من

فوقه ووضع عنانه فى سرجه فدخل الحصان المغارة ووقف حسن على الباب كما أمره الشيخ عبد القدوس وصار متفكراً فى عاقبة أمره كيف تكون حيران والهان لا يعلم الذى يجرى له وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الثانية بعد الثمانمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن حسنًا لما نزل من فوق ظهر الحصان وقف على باب المغارة متفكراً في عاقبة أمره كيف تكون لا يعلم الذى يجرى له ولم يزل واقفًا على باب المغارة خمسة أيام بلياليها وهو سهران حزنان حيران متفكر حيث فارق الأهل والأصحاب والخلان باكى العين حزين القلب ثم أنه تذكر والدته وتفكر فيما يجرى له وفى فراق زوجته وأولاده وفى ما قاساه فأنشد هذه الأبيات:

لديكم دواء القلب والقلب ذاهب ... ومن سفح اجفانى دموع سواكب
فراق وحزن واشتياق وغربة ... وبعد عن الأوطان والشوق غالب
وما أنا إلا عاشق ذو صبابة ... ببعد الذى يهوى دهته المصائب
فإن كان عشقى قد رمانى بنكبة ... فأى كريم له تصبه النوائب

فلم يفرغ حسن من شعره إلا والشيخ أبو الرويش قد خرج له وهو أسود وعليه لباس أسود فلما نظره حسن عرفه بالصفات التى أخبره بها الشيخ عبد القدوس فرمى نفسه عليه ومرغ خديه على قدميه ومسك رجله وحطها على رأسه وبكى قدامه فقال له الشيخ أبو الرويش ما حاجتك يا ولدى فمد يده بالكتاب وناوله للشيخ أبى الرويش فأخذه منه ودخل المغارة ولم يرد عليه جوابًا فقعد حسن فى موضعه على الباب مثل ما قال له الشيخ عبد القدوس وهو يبكى وما زال قاعدًا مكانه مدة خمسة أيام وقد ازداد به القلق واشتد به [illegible] لازمه الأرق فصار يبكى ويتضجر من ألم البعاد وكثرة السهاد ثم أنشد هذه الأبيات:



سبحان جبار السماء ... ان المحب لفى عناء
من لم يذق طعم الهوى ... لم يدر ما جهد البلاء
لو كنت أحبس عبرتى ... لوجدت أنهار الدماء

كم من صديق قد قسى قلبا وأولع بالشقاء
فإذا تعطف لامني فأقول ما بي من بكاء
لكن ذهبت لار تدى فاصابني عين الرداء
بكت الوحوش لوحشتي وكذاك سكان الهواء

ولم يزل حسن يبكى إلى أن لاح الفجر وإذا بالشيخ أبو الرويش قد خرج إليه وهو لابس لباسًا أبيض وأومى إليه بيده ان يدخل فدخل حسن فأخذه الشيخ من يده ودخل به المغارة ففرح وأيقن أن حاجته قد قضيت ولم يزل الشيخ سائرًا وحسن معه مقدار نصف نهار ثم وصلا إلى باب مقنطر عليه باب من البولاد ففتح الباب ودخل هو وحسن دهليز معقود بحجارة من المجزع المنقوش بالذهب ولم يزالا سائرين حتى وصلا إلى قاعة كبيرة مرخمة واسعة وفي وسطها بستان فيه من سائر الأشجار والأزهار والأثمار والأطيار على الأشجار تناغي وتسبح الله الملك القهار وفى القاعة أربع لواوين يقابل بعضها بعضًا وفى كل ليوان مجلس فيه فسقية وعلى كل ركن من أركان كل فسقية صورة سبع من الذهب وفى كل مجلس كرسى وعليه شخص جالس وبين يديه كتب كثيرة جداً وبين أيديهم مجامر من ذهب فيها نار وبخور وكل شيخ منهم بين يديه طلبة يقرؤن عليه الكتب فلما دخلا عليهم قاموا إليهما وعظموهما فأقبل عليهم وأشار لهم أن يصرفوا الحاضرين فصرفوهم وقام الأربعة مشايخ وجلسوا بين يدى الشيخ أبى الرويش وسألوه عن حال حسن فعند ذلك أشار الشيخ أبو الرويش إلى حسن وقال له حدث الجماعة بحديثك وبجميع ما جرى لك من أول الأمر إلى آخره فعند ذلك بكى حسن بكاءاً شديداً وحدثهم بحديثه فلما فرغ حسن من حديثه صاحت المشايخ كلهم وقالوا هل هذا هو الذى أطلعه المجوسى إلى جبل السحاب بالنسور وهو فى جلد الجمل فقال لهم حسن نعم فأقبلوا على الشيخ أبى الرويش وقالوا له يا شيخنا أن بهرام تحيل فى طلوعه على الجبل وكيف نزل وما الذى رآه فوق الجبل من العجائب فقال الشيخ أبو الرويش ياحسن حدثهم كيف نزلت وأخبرهم بالذى رأيته من العجائب فاعاد عليهم ما جرى له من أوله إلى آخره وكيف ظفر به وقتله وكيف غدرت به زوجته وأخذت أولاده وطارت وبجميع ما قاساه من الأهوال والشدائد فتعجب الحاضرون مما جرى له ثم أقبلوا على الشيخ أبى

الرويش وقالوا له يا شيخ الشيوخ والله أن هذا الشاب مسكين فعساك أن تساعده على خلاص زوجته وأولاده وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الثالثة بعد الثمانمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن حسن لما حكى للمشايخ قصته قالوا للشيخ أبى الرويش هذا الشاب مسكين فعساك أن تساعده على خلاص زوجته وأولاده فقال لهم الشيخ أبو الرويش يا أخوانى إن هذا أمر عظيم خطر وما رأيت أحد يكره الحياة غير هذا الشاب وانتم تعرفون أن جزائر واق صعبة الوصول ما وصل إليها أحد إلا خاطر بنفسه وتعرفون قوتهم وأعوانهم وأنا حالف أنى ما أدوس لهم أرضًا ولا اتعرض لهم فى شيء وكيف يصل هذا إلي بنت الملك الأكبر ومن يقدر أن يوصله إليها ويساعده على هذا الأمر فقالوا يا شيخ الشيوخ إن هذا الرجل اتلفه الغرام وقد خاطر بنفسه وحضر إليك بكتاب أخيك الشيخ عبد القدوس فحينئذ يجب عليك مساعدته فقام حسن وقبل قدم أبى الرويش ورفع ذيله ووضعه على رأسه وبكى وقال له سألتك بالله أن تجمع بينى وبين أولادى وزوجتى ولو كان فى ذلك ذهاب روحى ومهجتى فبكى الحاضرون لبكائه وقالوا للشيخ أبى الرويش اغتنم أجر هذا المسكين وافعل معه جميلاً لاجل أخيك الشيخ عبد القدوس فقال أن هذا الشاب مسكين لا يعرف الذى هو قادم عليه ولكن نساعده على قدر الطاقة ففرح حسن لما سمع كلامه وقبل يديه وقبل أيادى الحاضرين واحدًا بعد واحد وسألهم المساعدة فعند ذلك أخذ أبو الرويش ورقة ودواة وكتب كتابًا وختمه وأعطاه لحسن ودفع له خريطة من الادم فيها بخور وآلات نار من زناد وغيره وقال له احتفظ على هذه الخريطة ومتى وقعت فى شدة فبخر بقليل منه واذكرنى فأني أحضر عندك وأخلصك منها ثم أمر بعض الحاضرين أن يحضر له عفريتًا من الجن الطيارة في ذلك الوقت فحضر فقال له الشيخ ما اسمك قال عبدك دهنش بن فقطش فقال له أبو الرويش أدن منى فدنى منه فوضع الشيخ أبو الرويش فاه على أذن العفريت وقال له كلامًا فحرك العفريت رأسه ثم قال الشيخ لحسن يا ولدى قم اركب على كتف هذا العفريت دهنش الطيار فإذا رفعك إلى السماء وسمعت تسبيح الملائكة في الجو فلا تسبح فتهلك أنت وهو فقال حسن لا أتكلم أبدًا ثم قال له الشيخ يا حسن إذا سار بك فإنه يضعك ثانى يوم

فى وقت السحر على أرض بيضاء نقية مثل الكافور فإذا وضعك هناك فامش عشرة أيام وحدك حتي تصل إلى باب المدينة فإذا وصلت إليها فادخل واسأل عن ملكها فإذا اجتمعت به فسلم عليه وقبل يده واعطه هذا الكتاب ومهما اشار به إليك فافهمه فقال حسن سمعًا وطاعة وقام مع العفريت وقام المشايخ ودعوا له ووصوا العفريت عليه فلما حمله العفريت على عاتقه ارتفع به إلى عنان السماء ومشي به يومًا وليلة حتى سمع تسبيح الملائكة فى السماء فلما كان الصبح وضعه في أرض بيضاء مثل الكافور وتركه وانصرف فلما أدرك حسن أنه على الأرض ولم يكن عنده أحد سار فى الليل والنهار مدة عشرة أيام إلى أن وصل إلي باب المدينة فدخلها وسأل عن الملك فدلوه عليه وقالوا أن اسمه الملك حسون ملك أرض الكافور وعنده من العساكر والجنود ما يملأ الأرض فى طولها والعرض فاستأذن فأذن له فلما دخل عليه وجده ملكًا عظيمًا فقبل الأرض بين يديه فقال له الملك ما حاجتك فقبل حسن الكتاب وناوله إياه فأخذه وقرأه ثم حرك رأسه ساعة ثم قال لبعض خواصه خذ هذا الشاب وأنزله فى دار الضيافة فأخذه وسار حتى أنزله هناك فاقام بها مدة ثلاثة أيام فى أكل وشرب وليس عنده إلا الخادم الذى معه فصار ذلك الخادم يحدثه ويؤانسه ويسأله عن خبره وكيف وصل إلي هذه الديار فأخبره بجميع ما حصل له وكل ما هو فيه وفى اليوم الرابع أخذه الغلام وأحضره بين يدى الملك فقال له يا حسن أنت قد حضرت عندى تريد أن تدخل جزائر واق كما ذكر لنا شيخ الشيوخ يا ولدى أنا أرسلك فى هذه الأيام إلا أن فى طريقك مهالك كثيرة وبرارى معطشة كثيرة المخاوف ولكن أصبر ولا يكون إلا خيراً فلا بد أن احيل واوصلك إلى ما تريد إن شاء الله تعالى واعلم يا ولدى أن هنا عسكرا من الديلم يريدون الدخول فى جزائر واق مهيؤن بالسلاح والخيل والعدد وما قدروا على الدخول ولكن يا ولدى لأجل الشيوخ أبى الرويش بن بنت اللعين ابليس ما اقدر أن أردك إليه إلا مقضى الحاجة وعن قريب تأتى إلينا مراكب من جزائر واق وما بقى لها إلا القليل فإذا حضرت واحدة منها انزلتك فيها واوصى البحرية عليك ليحفظوك ويرسلوك إلى جزائر واق وكل من سألك عن حالك وخبرك فقل له أنا صهر الملك حسون صاحب أرض الكافور وإذا رست المركب على جزائر واق وقال لك الريس أطلع البر فاطلع ترى دككا كثيرة فى جميع جهات البر فاختر لك دكة واقعد تحتها فإذا جن الليل ورأيت عسكر النساء قد احاط بالبضائع فمد

يدك وامسك صاحبة هذه الدكة التى أنت تحتها واستجر بها واعلم يا ولدى أنها إذا أجارتك قضيت حاجتك فتصل إلى زوجتك وأولادك وإن لم تجرك فاحزن على نفسك وايئس من الحياة وتيقن بهلاك نفسك واعلم يا ولدى أنك مخاطر بنفسك ولا أقدر لك على شيء غير هذا والسلام وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الرابعة بعد الثمانمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن حسنًا لما قال له الملك حسون هذا الكلام وأوصاه بالذى ذكرناه وقال له أنا لا أقدر لك على شيء غير هذا قال له بعد ذلك واعلم أنه لولا حصلت لك عناية من رب السماء ما وصلت إلى هنا فلما سمع حسن كلام الملك حسون بكى حتى غشى عليه فلما أفاق أنشد هذين البيتين:

لابد لى من مدة محتومة فإذا انقضت ايامهامت

لو صارعتنى الاسد فى غابتها لقهرتها ما دام لى وقت

فلما فرغ حسن من شعره قبل الأرض بين يدى الملك وقال له أيها الملك العظيم وكم بقى من الأيام حتى تأتى المراكب قال مدة شهر ويمكثون هنا لبيع ما فيها مدة شهرين ثم يرجعون إلى بلادهم فلا تترجى سفرك فيها إلا بعد ستة أشهر كاملة ثم أن الملك أمر حسنًا أن يذهب إلى دار الضيافة وأمر أن يحمل له كل ما يحتاج إليه من مأكول ومشروب وملبوس من الذي يناسب الملوك فاقام فى دار الضيافة شهرًا بعد الشهر حضرت المراكب فخرج الملك والتجار وأخذ حسنًا معه إلي المراكب فرأى مركبًا فيها خلق كثير مثل الحصى ما يعلم عددهم إلا الذى خلقهم وتلك المركب فى وسط البحر ولها زوارق صغار تنقل ما فيها من البضائع إلى البر فاقام حسن عندهم حتى نزع أهلها البضائع منها إلى البر وباعوا واشتروا وما بقى للسفر إلا ثلاثة أيام فأحضر الملك حسنًا بين يديه وجهز له ما يحتاج إليه وأنعم عليه إنعامًا عظيمًا ثم بعد ذلك استدعى ريس تلك المركب وقال له خذ هذا الشاب معك فى المركب ولا تعلم به أحد وأوصله إلى جزائر واق واتركه هناك ولا تأت به فقال الريس سمعًا وطاعة ثم أن الملك أوصى حسنًا وقال له لا تعلم أحدًا من الذين معك في المركب بشيء من حالك ولا تطلع أحدًا على قصتك فتهلك قال سمعًا وطاعة ثم ودعه بعد أن دعا له بطول البقاء والدوام والنصر على جميع الحساد والأعداء

وشكره الملك علي ذلك ودعا له بالسلامة وقضاء حاجته ثم سلمه للريس فأخذه وحطه في صندوق وأنزله في قارب ولم يطلعه في المركب إلا والناس مشغولون في نقل البضائع وبعد ذلك سافرت المراكب ولم تزل مسافرة مدة عشرة أيام فلما كان اليوم الحادى عشر وصلوا إلي البر فطلعه الريس من المركب فلما طلع من المركب إلى البر رأى فيه دككًا لا يعلم عددها إلا الله فمشى حتى وصل إلى دكة ليس لها نظير واختفى تحتها فلما أقبل الليل جاءت خلق كثير من النساء مثل الجراد المنتشر وهن ماشيات على أقدامهن وسيوفهن مشهورة في أيديهن ولكنهن غائصات في الزرد فلما رأت النساء البضائع أشتغلن بها ثم بعد ذلك جلسن لأجل الاستراحة فجلست واحدة منهن على الدكة التي تحتها حسن فأخذ حسن طرف ذيلها وحطه فوق رأسه ورمى نفسه عليها وصار يقبل يديها وقدميها وهو يبكى فقالت له يا هذا قم واقفًا قبل أن يراك أحد فيقتلك فعند ذلك خرج حسن من تحت الدكة ونهض قائمًا علي قدميه وقبل يديها وقال لها يا سيدتى أنا في جيرتك ثم بكى وقال لها أرحمى من فارق أهله وزوجته وأولاده وبادر إلى الاجتماع بهم وخاطر بروحه ومهجته فارحمينى وايقنى أنك تؤجرين على ذلك بالجنة وإن لم تقبلينى فأسألك بالله العظيم الستار أن تسترى عليّ فصارت التجار شاخصة له وهو يكلمها فلما سمعت كلامه ونظرت تضرعه رحمته ورق قلبها إليه وعلمت أنه ما خاطر بنفسه وجاء إلى هذا المكان إلا لأمر عظيم فعند ذلك قالت لحسن يا ولدى طب نفسًا وقر عينًا وطيب قلبّك وخاطرك وارجع إلى مكانك واختف تحت الدكة كما كنت أولا إلي الليلة الآتية يفعل الله ما يريده ثم ودعته ودخل حسن تحت الدكة كما كان ثم أن العساكر بتن يوقدن الشموع الممزوجة بالعود الند والعنبر الخام إلى الصباح فلما طلع النهار رجعت المراكب إلي البر واشتغل التجار بنقل البضائع والامتعة إلى أن أقبل الليل وحسن مختف تحت الدكة باكى العين حزين القلب ولم يعد بالذى قدر له في الغيب فبينما هو كذلك إذ أقبلت عليه المرأة التاجرة التى كان استجار بها وناولته زردية وسيفًا وحياصة مذهبة ورمحًا ثم انصرفت عنه خوفًا من العسكر فلما رأى ذلك علم أن التاجرة ما احضرت له هذه العدة إلا ليلبسها فقام حسن ولبس الزردية وشد الحياصة علي وسطه وتقلد بالسيف تحت ابطه وأخذ الرمح بيده وجلس علي تلك الدكة ولسانه لم يغفل عن ذكر الله تعالي بل يطلب منه الستر وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الخامسة بعد الثمانمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن حسنًا لما أخذ السلاح الذى أعطته أياه الصبية التاجرة التى استجار بها وقالت له أجلس تحت الدكة ولا تخل أحدًا يفهم حالك تقلد به ثم جلس فوق الدكة ولسانه لم يغفل عن ذكر الله وصار يطلب من الله الستر فبينما هو جالس إذ أقبلت المشاعل والفوانيس والشموع واقبلت عساكر النساء فقام حسن واختلط بالعسكر وصار كواحدة منهن فلما قرب طلوع الفجر توجهت العساكر وحسن معهن حتى وصل إلى خيامهن دخلت كل واحدة خيمتها فدخل حسن خيمة واحدة منهن وإذا هى خيمة صاحبته التى استجار بها فلما دخلت خيمتها القت سلاحها وقلعت الزردية والنقاب والقى حسن سلاحه نظر إلي صاحبته فوجدها زرقاء العينين كبيرة الأنف وهى داهية من الدواهى أقبح ما يكون فى الخلق بوجه أجدر وحاجب امعط واسنان مكسرة وخدود معجرة وشعر سائب وفم بالريالة سائل وهى كما قال الشاعر:

لها فى زوايا الوجه تسع مصائب ... فواحدة منهن تبدى جهنمًا
بوجه بشيع ثم ذات قبيحة ... كصورة خنزير تراه مرمرما

وهى بذات معطاء كحية رقطاء فلما نظرت العجوز إلى حسن تعجبت وقالت كيف وصل هذا إلى هذه الديار وفى أى المراكب حضر وكيف سلم وصارت تسأله عن حاله وتتعجب من وصوله فعند ذلك وقع حسن على أقدامها ومرغ وجهه على رجليها وبكى حتى غشى عليه فلما أفاق أنشد هذه الأبيات:

متى الأيام تسمح بالتلاقى ... ويجمع شملنا بعد الفراق
وأحظى بالذى أرضاه منهم ... عتابًا ينقضى والود باق
لو أن النيل يجرى مثل دمعى ... لما خلّى على الدنيا شراقى
وفاض على الحجاز وأرض مصر ... كذاك الشام مع أرض العراق
وذاك لأجل صدك يا حبيبى ... ترفق بى وواعد بالتلاقى

فلما فرغ من شعره أخذ ذيل العجوز ووضعه فوق رأسه وصار يبكي ويستجير بها فلما رأت العجوز احتراقه ولوعته وتوجعه وكربته حن قلبها إليه وأجارته وقالت له لا تخف أبدًا ثم سألته عن حاله فحكى لها جميع ما جرى له من المبتدأ إلي المنتهى فتعجبت العجوز من حكايته وقالت له طيب قلبك وطيب خاطرك ما بقي عليك خوف وقد وصلت إلى مطلوبك وقضاء حاجتك إن شاء الله تعالى ففرح حسن بذلك فرحًا شديدًا ثم أن العجوز أرسلت إلى قواد العسكر أن يحضروا وكان ذلك فى آخر يوم من الشهر فلما حضروا بين يديها قالت لهم أخرجوا ونادوا فى جميع العسكر أن يخرجوا فى غد بكرة النهار ولا يتخلف أحد منهم فإن تخلف أحد راحت روحه فقالوا لها سمعًا وطاعة ثم خرجوا ونادوا في جميع العسكر بالرحيل فى غد بكرة النهار ثم عادوا وأخبروها بذلك فعلم حسن أنها هي رئيسة العسكر وصاحبة الرأى فيه وهي المقدمة عليه ثم أن حسنًا لم يقلع السلاح من فوق بدنه في ذلك النهار وكان اسم تلك العجوز التى هو عندها شواهى وتكنى بأم الدواهى فما فرغت العجوز من أمرها ونهيها إلا وقد طلع الفجر فخرج العسكر جميعه من أماكنه ولم تخرج العجوز معهم فلما سار العسكر وخلت منه الأماكن قالت شواهى لحسن أدن مني يا ولدى فدنى منها ووقف بين يديها فاقبلت عليه وقالت له ما السبب فى مخاطرتك بنفسك ودخولك إلى هذه البلاد وكيف رضيت نفسك بالهلاك فاخبرنى بالصحيح عن جميع شأنك ولا تخف عنى منه شيئًا ولا تخف فإنك قد صرت فى عهدى وقد اجرتك ورحمتك ورثيت لحالك فأن اخبرتنى بالصدق اعنتك على قضاء حاجتك ولو كان فيها رواح الأرواح وهلاك الاشياخ وحيث وصلت إليَّ ما بقى عليك بأس ولا أخلى أحدًا يصل إليك بسؤ ابدا من كل ما فى جزائر واق فحكى لها قصته من أولها إلى آخرها وعرفها بشأن زوجته وبالطيور وكيف اصطادها من بين العشرة وكيف تزوج بها ثم أقام معها حتى رزق منها بولدين وكيف أخذت أولادها وطارت حين عرفت طريق الثوب الريش ولم يخف من حديثه شيئًا من أوله إلى يومه الذى هو فيه فلما سمعت العجوز كلامه حركت رأسها وقالت له سبحان الله الذى سلمك وأوصلك إلى هنا وأوقعك عندى ولو كنت وقعت عند غيرى كانت روحك راحت ولم تقض لك حاجة ولكن صدق نيتك ومحبتك وفرط شوقك إلى زوجتك وأولادك هو الذى أوصلك إلى حصول بغيتك ولولا أنك لها محب وبها ولهان ما كنت

خاطرت بنفسك هذه المخاطرة والحمد لله على السلامة وحينئذ يجب علينا أن نقضى لك حاجتك ونساعدك على مطلوبك حتى تنال بغيتك عن قريب إن شاء الله تعالى ولكن أعلم يا ولدى أن زوجتك فى الجزيرة السابعة من جزائر واق ومسافة ما بيننا وبينها سبعة أشهر ليلا ونهاراً فإننا نسير من هنا حتى نصل إلى أرض يقال لها أرض الطيور فمن شدة صياح الطيور وخفقان اجنحتها لا يسمع بعضها كلام بعض وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة السادسة بعد الثمانمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن العجوز قالت لحسن أن زوجتك فى الجزيرة السابعة وهى الجزيرة الكبيرة من جزائر واق ومسافة ما بيننا وبينها سبعة أشهر فاننا نسير من هنا إلى أرض الطيور ومن شدة طيرانها وخفقان أجنحتها لا يسمع بعضها كلام بعض ثم نسير فى تلك الأرض مدة أحد عشر يومًا ليلاً ونهاراً ثم بعد ذلك نخرج منها إلى أرض يقال لها أرض الوحوش فمن شدة صياح السباع والضباع والوحوش وعىّ الذئاب وزئير الأسود لا نسمع شيئًا فنسير فى تلك الأرض مدة عشرين يومًا ثم نخرج منها إلى أرض يقال لها أرض الجن فمن شدة صياح الجان وصعود النيران وتطاير الشرار والدخان من افواههم وتصاعد زفراتهم وتمردهم يسدون الطريق قدامنًا وتصم أذاننا وتغشى أبصارنا حتى لا نسمع ولا نرى ولا يمكن أن يلتفت منا أحد إلى خلفه فيهلك ويضع الفارس فى ذلك المكان رأسه على قربوص سرجه ولا يرفعها مدة ثلاثة أيام وبعد ذلك يقابلنا جبل عظيم ونهر جار متصلان بجزائر واق واعلم يا ولدى أن جميع هذا العسكر بنات أبكار والحاكم علينا من الملوك امرأة من جزائر واق السبع ومسيرة تلك السبع جزائر سنة كاملة للراكب المجد فى السير وعلى شاطىء هذا النهر جبل آخر يسمى جبل واق وهذا الاسم علم على شجرة اغصانها تشبه رؤوس بني آدم فإذا طلعت عليها الشمس تصيح تلك الرؤس جميعًا وتقول فى صياحها واق واق سبحان الملك الخلاق فإذا سمعنا صياحها نعلم أن الشمس قد طلعت وكذلك إذا غربت الشمس تصيح تلك الرؤوس وتقول فى صياحها أيضًا واق واق سبحان الملك الخلاق فنعلم أن الشمس قد غربت ولا يقدر أحد من الرجال أن يقيم عندنا ولا يصل إلينا ولا يطأ أرضنا وبيننا وبين الملكة التى تحكم على

هذه الأرض مسافة شهر من هذا البر وجميع الرعية التى فى ذلك البر تحت يد تلك الملكة وتحت يدها أيضًا قبائل الجان المردة والشياطين وتحت يدها من السحرة ما لا يعلم عددهم إلا الذى خلقهم فإن كنت تخاف ارسلت معك من يوصلك إلي الساحل وأجيء بالذى يحملك معه فى مركب ويوصلك إلى بلادك وإن كان يطيب على قلبك الإقامة معنا فلا امنعك وانت عندى فى عينى حتى تقضى حاجتك إن شاء الله تعالى فقال لها يا سيدتى ما بقيت افارقك حتى اجتمع بزوجتى أو تذهب روحى فقالت له هذا أمر يسير فطيب قلبك وسوف تصل إلى مطلوبك إن شاء الله تعالى ولا بد أن اطلع الملكة عليك حتى تكون مساعدة لك فى بلوغ قصدك فدعا لها حسن وقبل يديها ورأسها وشكرها على فعلها وفرط مروتها وسار معها وهو متفكر فى عاقبة أمره وأهوال غربته فصار يبكى وينتحب وجعل ينشد هذه الأبيات:

من مكان الحبيب هب نسيم ... فترانى من فرط وجدى أهيم
أن ليل الوصال صبح مضىء ... ونهار الفراق ليل بهيم
ووداع الحبيب صعب شديد ... وفراق الأنيس خطب جسيم
لست أشكو جفاه إلا إليه ... لم يكن فى الورى صديق حميم
وسلوى عنكم محال فإننى ... ليس يسلى قلبى عذول ذميم
يا وحيد الجمال عشقى وحيد ... يا عديم المثال قلبى عديم
كل من يدعى المحبة فيكم ... ويهاب الملام فهو ملوم

ثم أن العجوز أمرت بدق طبل الرحيل وسار العسكر وسار حسن صحبة العجوز وهو من الغرق فى بحر الأفكار يتضجر وينشد الأشعار والعجوز تصبره وتسليه وهو لا يفيق ولا يعى ما إليه تلقيه ولم يزالوا سائرين إلى أن وصلوا إلى أول جزيرة من الجزائر السبع وهى جزيرة الطيور فلما دخلوها ظن حسن أن الدنيا قد انقلبت من شدة الصياح وأوجعته رأسه وطاش عقله وعمى بصره وانسدت أذناه وخاف خوفًا شديدًا وأيقن بالموت وقال فى نفسه إذا كانت هذه أرض الطيور فكيف تكون أرض الوحوش فلما رأته

العجوز المسماه بشواهى على هذه الحالة ضحكت عليه وقالت له يا ولدى إذا كان هذا حالك من أول جزيرة فكيف بك إذا وصلت إلى بقية الجزائر فسأل الله وتضرع إليه وطلب منه أن يعينه علي ما بلاه به وأن يبلغه مناه ولم يزالوا سائرين حتى قطعوا أرض الطيور وخرجوا منها ودخلوا فى أرض الجان فلما رآها حسن خاف وندم على دخوله فيها معهم ثم استعان بالله تعالى وسار معهم فعند ذلك خلصوا من أرض الجان ووصلوا إلى النهر فنزلوا تحت جبل عظيم شاهق ونصبوا خيامهم على شاطىء النهر ووضعت العجوز لحسن دكة من المرمر مرصعة بالدر والجوهر وسبائك الذهب الأحمر على جنب النهر فجلس عليها وتقدمت العساكر فعرضتهم عليه ثم بعد ذلك نصبوا خيامهم حوله واستراحوا ساعة ثم أكلوا وشربوا وناموا مطمئنين لأنهم وصلوا إلى بلادهم وكان حسن واضعًا على وجهه لثامًا بحيث لم يظهر منه غير عينيه وإذا بجماعة من البنات مشين إلى قرب خيمة حسن ثم قلعن ثيابهن ونزلن فى النهر فصار حسن ينظر إليهن وهن يغتسلن فصرن يلعبن وينشرحن ولا يعلمن أنه ناظر اليهن لانهن ظنن أنه من بنات الملوك فاشتد على حسن وتره حيث كان ينظر اليهن وهن مجردات من ثيابهن وقد رأي ما بين أفخاذهن من أنواعا مختلفة ما بين ناعم مقبقب وسمين مربرب وغليظ المشافر وكامل وبسيط ووافر ووجوههن كالأقمار وشعورهن كليل على نهار لانهن من بنات الملوك ثم أن العجوز نصبت له سريراً وأجلسته فوقه فلما خلصن طلعن من النهر وهن متجردات كالقمر ليلة البدر وقد اجتمع جميع العسكر قدام حسن لأن العجوز أمرت أن ينادى فى جميع العسكر أن يجتمعن قدام خيمته ويتجردن من ثيابهن وينزلن فى النهر ويغتسلن فيه لعل زوجته أن تكون فيهن فيعرفها وصارت العجوز تسألته عنهن طائفة بعد طائفة فيقول ما هى فى هؤلاء يا سيدتى وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة السابعة بعد الثمانمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن العجوز كانت تسأل حسنًا عن البنات طائفة بعد طائفة لعله يعرف زوجته من بينهن وكلما سألته عن طائفة يقول ما هى فى هؤلاء يا سيدتى ثم بعد ذلك تقدمت جارية فى آخر الناس وفى خدمتها ثلاثون خادمة كلهن نهد

ابكار فنزعن ثيابهن ونزلن معها في النهر فصارت تتدلل عليهن وترميهن فى البحر وتغطسهن ولم تزل معهن علي هذا الحال ساعة زمانية ثم طلعن من النهر وقعدن فقدمن إليها مناشف من حرير مزركشة بالذهب فأخذتها وتنشفت بها ثم قدموا إليها ثيابًا وحللاً وحليا من عمل الجن فاخذتها ولبستها وقامت تخطر بين العسكر هى وجواريها فلما رآها حسن طار قلبه وقال هذه أشبه الناس بالطيرة التى رأيتها في البحيرة فى قصر أخواتى البنات وكانت تتدلل على أتباعها مثلها فقالت العجوز يا حسن هل هذه زوجتك قال لا وحياتك يا سيدتى ما هذه زوجتى ولا عمرى رأيتها وما فى جميع البنات التى رأيتهن فى هذه الجزيرة مثل زوجتى ولا مثل قدها واعتدالها وحسنها وجمالها فقالت العجوز صفها لى وعرفنى بجميع أوصافها حتى تكون فى ذهنى فأني أعرف كل بنت فى جزائر واق لأنى نقيبة عسكر البنات والحاكمة عليهن وإن وصفتها لى عرفتها وتحيلت لك فى أخذها فقال لها حسن إن زوجتى صاحبة وجه مليح وقدّ رجيح اسيلة الخد قائمة النهد دعجاء العينين ضخمة الساقين بيضاء الأسنان حلوة اللسان ظريفة الشمائل كأنها غصن مائل بديعة الصفة حمراء الشفة بعين كحال وشفايف رقاق على خدها الأيمن شامة وعلى بطنها من تحت سرتها علامة وجهها منير كقمر مستدير وخصرها نحيل وردفها ثقيل وريقها يشفى العليل كأنه الكوثر أو السلسبيل فقالت العجوز زدنى فى أوصافها بيانا زادك الله فيها افتتانا فقال لها حسن أن زوجتى ذات وجه جميل وخد اسيل وعنق طويل وطرف كحيل وخدود كالشقيق وفم كخاتم عقيق وثغر لامع البريق يغنى عن الكأس والأبريق قد ركبت فى هيكل اللطافة وبين فخذيها تخت الخلافه ما مثل حرمه بين المشاعر كما قال فى حقه الشاعر:

اسم الذى حيرني حروفه مشتهرة
أربعة فى خمسة وستة فى عشرة

ثم بكى حسن وغنى بهذا الموال:

وجدى بكم وجد هندى ضيع القضعة أو وجد ساعى وفى رجلو اليمين قصعة
أو وجد مضنى عليل بجروح متسعة أو وجد من حرر السبعة على العشرين
ولعنة الله على من يتبع التسعة

فاطرقت العجوز برأسها إلي الأرض ساعة من الزمان ثم رفعت رأسها إلى حسن وقالت سبحان الله العظيم الشأن أنى بليت بك يا حسن فيا ليتنى ما كنت عرفتك لأن المرأة التى وصفتها لى هى زوجتك بعينها فأنى قد عرفتها بصفاتها وهى بنت الملك الأكبر الكبيرة الذى يحكم علي جزائر واق بأسرها فافتح عينيك وتدبر أمرك وإن كنت نائمًا فانتبه فإنه لا يمكنك الوصول إليها أبدًا وأن وصلت إليها لا تقدر على تحصيلها لأن بينك وبينها مثل ما بين السماء والأرض فارجع يا ولدى من قريب ولا ترم نفسك فى الهلاك وترمينى معك فأنى أظن أنه ليس لك فيها نصيب وارجع من حيث أتيت لئلا تروح أرواحنا وخافت على نفسها وعليه فلما سمع حسن كلام العجوز بكى بكاءًا شديدًا حتى غشى عليه فمازالت العجوز ترش علي وجهه الماء حتى أفاق وصار يبكى حتي بل ثيابه بالدموع من عظم ما لحقه من الهم والغم من كلام العجوز وقد يئس من الحياة ثم قال للعجوز يا سيدتى كيف أرجع بعد أن وصلت إلي هنا وما كنت أظن فى نفسى أنك تعجزين عن تحصيل غرضى خصوصًا وأنت نقيبة عسكر البنات والحاكمة عليهن فقالت بالله عليك يا ولدى أن تختار لك بنتًا من هؤلاء البنات وأنا أعطيك إياها عوضًا عن زوجتك لئلا تقع فى يد الملوك فلا يبقى لى فى خلاصك حيلة فباللّٰه عليك أن تسمع منى وتختار واحدة من هؤلاء البنات غير تلك البنت وترجع إلى بلادك من قريب سالمًا ولا تجرعنى غصتك والله لقد رميت نفسك فى بلاء عظيم وخطر جسيم لا يقدر أحد أن يخلصك منه فعند ذلك أطرق حسن رأسه وبكى بكاءًا شديدًا وأنشد هذه الأبيات:

فقلت لعذلى لا تعذلونى ... لغير الدمع ما خلقت جفونى
مدامع مقلتى طفحت ففاضت ... على خدى واحبابى جفونى
دعونى فى الهوى قد رق جسمى ... لأنى فى الهوى اهوى جنونى
ويا أحباب قد زاد اشتياقى ... اليكم ما لكم لا ترحمونى
جفوتم بعد ميثاقى وعهدى ... وخنتم صحبتى وتركتمونى
ويوم البين لما قد رحلتم ... سقيت من الصدود شراب هون
فيا قلبى عليهم ذب غرامًا ... وجودى بالمدامع يا عيونى

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الثامنة بعد الثمانمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن العجوز لما قالت لحسن بالله يا ولدى أن تسمع منى كلامى وتختار لك واحدة من هؤلاء البنات غير زوجتك وترجع إلى بلادك من قريب سالمًا فاطرق رأسه يبكى وبكى بكاءًا شديدًا وأنشد الأبيات المذكورة فلما فرغ من شعره بكى حتى غشى عليه فمازالت العجوز ترش الماء على وجهه حتى أفاق من غشيته ثم أقبلت عليه وقالت يا سيدى أرجع إلى بلادك من قريب سالمًا فإنى متى سافرت بك إلى المدينة راحت روحك وروحى لأن الملكة إذا علمت بذلك تلومنى على دخولى بك إلى بلادها وجزائرها التى لم يصلها أحد من أولاد بنى آدم وتقتلنى حيث حملتك معى واطلعتك على هذه الأبكار التى رأيتهن فى البحر مع أنه لم يمسهن فحل ولم يقربهن بعل فحلف حسن أنه ما نظر إليهن نظر سوء قط فقالت له يا ولدى أرجع إلى بلادك وأنا اعطيك من المال والذخائر والتحف ما تستغنى به عن جميع النساء فاسمع كلامى وارجع من قريب ولا تخاطر بنفسك فقد نصحتك فلما سمع حسن كلامها بكى ومرغ خديه على أقدامها وقال يا سيدتى ومولاتى وقرة عينى كيف أرجع بعد ما وصلت إلي هذا المكان ولا انظر من أريد وقد قربت من دار الحبيب وترجيت اللقاء عن قريب ولعله أن يكون لي فى الإجتماع نصيب ثم أنشد هذه الأبيات:

يا ملوك الجمال رفقا باسرى ... لجفون تملكت ملك كسرى
قد غلبتم روايح المسك طيبًا ... وبهرتم محاسن الورد زهرًا
ونسيم النعيم حيث حللتم ... فالصبا من هناك تعبق نشرا
عاذلى كف عن ملامي ونصحى ... إنما جئت بالنصيحة نكرا
ما على صبوتى من العذل واللوم ... إذا لم تحط بذلك خبرا
اسرتنى العيون وهى مراض ... ورمتنى فى الحب عنفًا وقهرًا
انثر الدمع حين أنظم شعرى ... هاك منى الحديث نظمًا ونثرًا
حمرة الخد قد اذابت فؤادى ... فتلظت منى الجوارح جمرًا
خبرانى متى تركت حديثى ... فبأى الحديث أشرح صدرًا
طول عمرى فى هوى الغيد لكن ... يحدث الله بعد ذلك امرا

فلمـا فرغ حسن من شعره رقت له العجوز ورحمته واقبلت عليه وطيبت خاطره وقالت له طب نفسًا وقر عينًا واخل فكرك من الهم والله لأخاطرن معك بروحي حتى تبلغ مقصودك أو تدركني منيتي فطاب قلب حسن وانشرح صدره وجلس يتحدث مع العجوز إلى آخر النهار فلما أقبل الليل تفرقت البنات كلهن فمنهن من دخلت قصرها في البلد ومنهن من باتت في الخيام ثم أن العجوز أخذت حسنًا معها ودخلت به البلد فاخلت له مكانًا وحده لئلا يطلع عليه أحد فيعلم الملكة به فتقتله وتقتل من أتى به ثم صارت تخدمه بنفسها وتخوفه من سطوة الملك الأكبر أبي زوجته وهو يبكي بين يديها ويقول يا سيدتي قد اخترت الموت لنفسي وكرهت الدنيا أن لم اجتمع بزوجتي وأولادي فأنا أخاطر بروحي أما أن أبلغ مرادي وأما أن أموت فصارت العجوز تتفكر في كيفية وصاله واجتماعه بزوجته وكيف تكون الحيلة في أمر هذا المسكين الذي رمي روحه في الهلاك ولم ينزجر عن قصده بخوف ولا غيره وقد سلا نفسه وصاحب المثل يقول العاشق لا يسمع كلام خليّ وكانت تلك البنت ملكة الجزيرة التي هم نازلون فيها وكان اسمها نور الهدى وكان لهذه الملكة سبع أخوات بنات ابكار مقيمات عند ابيهن الملك الأكبر الذي هو حاكم على السبع جزائر وأقطار واق وكان تخت ذلك الملك في المدينة التي هي أكبر مدن ذلك البر وكانت بنته الكبيرة وهي نور الهدى هي الحاكمة على تلك المدينة التي فيها حسن وعلي سائر أقطارها ثم أن العجوز لما رأت حسنًا محترقًا على الإجتماع بزوجته وأولاده قامت وتوجهت إلى قصر الملكة نور الهدى فدخلت عليها وقبلت الأرض بين يديها وكان للعجوز فضل عليها لأنها ربت بنات الملك جميعهن ولها على الجميع سلطنة وهي مكرمة عندهم عزيزة عند الملك فلما دخلت العجوز علي الملكة نور الهدى قامت لها وعانقتها واجلستها جنبها وسألتها عن سفرتها فقالت لها والله يا سيدتي إنها كانت سفرة مباركة وقد استصحبت لك معي هدية سأحضرها بين يديك ثم قالت لها يا بنتي يا ملكة العصر والزمان أني قد أتيت معي بشيء عجيب وأريد أن أطلعك عليه لأجل أن تساعديني على قضاء حاجته فقالت لها وما هو فأخبرتها بحكاية حسن من أولها إلى آخرها وهي ترتعد كالقصبة في يوم الريح العاصف حتى وقعت بين يدي بنت الملك وقالت لها يا سيدتي قد استجار بي شخص على الساحل كان مختفيًا تحت الدكة فأجرته واتيت به معي بين عسكر البنات وهو حامل السلاح بحيث لا يعرفه

أحد وادخلته البلد ثم قالت لها وقد خوفته من سطوتك وعرفته بيأسك وقوتك كلما أخوفه يبكي وينشد الأشعار ويقول لى لابد من زوجتي وأولادى أو أموت ولا أرجع إلى بلادي من غيرهم وقد خاطر بنفسه وجاء إلى جزائر واق ولم أر عمرى آدميًا أقوى قلبًا منه ولا أشد بأسًا إلا أن الهوى قد تمكن منه غاية التمكن وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة التاسعة بعد الثمانمائة

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن العجوز لما حكت للملكة نور الهدى حكاية حسن قالت لها ما رأيت أقوى قلبًا منه إلا أن الهوى قد تمكن منه غاية التمكن فلما سمعت الملكة كلامها وفهمت قصة حسن غضبت غضبًا شديداً واطرقت رأسها فى الأرض ساعة ثم رفعت رأسها ونظرت إلى العجوز وقالت لها يا عجوز النحس هل بلغ من خبثك أنك تحملين الذكور وتأتين بهم معك إلى جزائر واق وتدخلين بهم على ولم تخافى من سطوتى وحق رأس الملك لولا مالك علىّ من التربية لقتلتك أنت وإياه فى هذه الساعة أقبح قتلة حتى يعتبر المسافرون بك يا ملعونة لئلا يفعل أحد مثل ما فعلت من هذه الفعلة العظيمة التى لم يقدر أحد عليها ولكن أخرجي وأحضريه فى هذه الساعة حتى أنظره فخرجت العجوز من بين يديها وهى مدهوشة لا تدرى أين تذهب وتقول كل هذه المصيبة ساقها الله لى من هذه الملكة على يد حسن ومضت إلى أن دخلت على حسن فقالت له قم كلم الملكة يا من أخر عمره قد دنا فقام معها ولسانه لا يفتر عن ذكر الله تعالى ويقول اللهم الطف بى فى قضائك وخلصنى من بلائك فسارت به حتي أوقفته بين يدى الملكة نور الهدى وأوصته العجوز فى الطريق بما يتكلم به معها فلما تمثل بين يدى الملكة نور الهدى رآها ضاربة لثاما فقبل الأرض بين يديها وسلم عليها وأنشد هذين البيتين:

آدام الله عزك فى سرور ... وخولك الأله بما حباك
وزادك ربنا عزاً ومجداً ... وايدك القدير على عداك

فلما فرغ من شعره أشارت الملكة إلى العجوز أن تخاطبه قدامها لتسمع مجاوبته فقالت العجوز أن الملكة ترد عليك السلام وتقول لك ما اسمك ومن أى البلاد أنت وما

اسم زوجتك وأولادك الذين جئت من أجلهم وما اسم بلادك فقال لها وقد ثبت جنانه وساعدته المقادير يا ملكة العصر والأوان ووحيدة الدهر والزمان أما أنا فاسمي حسن الكثير الحزن وبلدي البصرة وأما زوجتي فما أعرف لها أسمًا وأما أسم أولادي فواحد أسمه ناصر والآخر أسمه منصور فلما سمعت الملكة كلامه وحديثه قالت فمن أين أخذت أولادها فقال لها يا ملكة من مدينة بغداد من قصر الخلافة فقالت له وهل قالت لكم شيئًا عندما طارت قال إنها قالت لوالدتي إذا جاء ولدك وطالت عليه أيام الفراق واشتهى القرب والتلاق وهزته رياح الاشتياق فليجئني إلي جزائر واق فحركت الملكة نور الهدى رأسها ثم قالت له أنها لو كانت ما تريدك ما قالت لأمك هذا الكلام ولولا أنها تريدك وتشتهي قربك ما كانت أعلمتك بمكانها ولا طلبتك إلي بلادها فقال حسن يا سيدة الملوك والحاكمة على كل ملك وصعلوك الذي جرى اخبرتك به ولا أخفيت منه شيئًا وأنا استجير بالله وبك أن لا تلميني فارحميني واربحي أجري وثوابي وساعديني على الإجتماع بزوجتي وأولادي وردي لهفتي وقرة عيني بأولادي واسعفيني برؤيتهم ثم بكى وحن واشتكى وأنشد هذين البيتين:

لاشكرنك ما ناحت مطوقة ... جهدي وأن كنت لاأقضي الذي وجبا
فما تقلبت في نعماء سابقة ... إلا وجدتك فيها الأصل والسببا

فأطرقت الملكة نور الهدى رأسها إلي الأرض وحركتها زمانًا طويلاً ثم رفعتها وقالت له قد رحمتك ورثيت لك وعزمت على أن أعرض عليك كل بنت في المدينة وفي بلاد جزيرتي فأن عرفت زوجتك سلمتها إليك وإن لم تعرفها قتلتك وصلبتك على باب دار العجوز فقال لها حسن قبلت ذلك منك يا ملكة الزمان ثم أنشد هذه الأبيات:

أقمتم غرامي في الهوا وقعدتم ... واسهرتموا جفني القريح ونمتم
وعاهدتموني أنكم لن تماطلوا ... فلما أخذتم بالقياد غدرتم
عشقتكم طفلاً ولم أدر ماالهوى ... فلا تقتلوني انني متظلم
أما تتقون الله في قتل عاشق ... يبيت يراعي النجم والناس نوّم
فبالله يا قومي إذا مت فاكتبوا ... على لوح قبري أن هذا متيم
لعل فتى مثلي اضر به الهوى. ... إذا ما رأى قبري عليّ يسلم

فلما فرغ من شعره قال رضيت بالشرط الذى شرطته ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم فوعند ذلك أمرت الملكة نور الهدى أن لا تبقى بنت فى المدينة حتى تطلع القصر وتمر أمامه ثم أن الملكة أمرت العجوز شواهى أن تنزل بنفسها إلى المدينة وتحضر كل بنت كانت فى المدينة إلى الملكة فى قصرها وصارت الملكة تدخل البنات على حسن مائة بعد مائة حتى لم يبق فى المدينة بنت إلا وقد عرضتها على حسن فلم ير زوجته فيهن فسألته الملكة وقالت له هل رأيتها فى هؤلاء فقال لها وحياتك يا ملكة ما هى فيهن فاشتد غضب الملكة عليه وقالت للعجوز أدخلى وأخرجى كل من كان في القصر وأعرضيه عليه فلما عرضت عليه كل من فى القصر لم ير زوجته فيهن وقال للملكة وحياة رأسك يا ملكة ما هى فيهن فغضبت وصرخت على من حولها وقالت خذوه واسحبوه على وجهه فوق الأرض واضربوا عنقه لئلا يخاطر بنفسه أحد بعده ويطلع على حالنا ويجوز علينا فى بلادنا ويطأ أرضنا وجزائرنا فسحبوه على وجهه وطرحوا ذيله فوقه وغمضوا عينيه ووقفوا بالسيوف على رأسه ينتظرون الأذن فعند ذلك تقدمت شواهى إلى الملكة وقبلت الأرض بين يديها ومسكت ذيلها ورفعته فوق رأسها وقالت لها يا ملكة بحق التربية لا تعجلى عليه خصوصًا وأنت تعرفين أن هذا المسكين غريب قد خاطر بنفسه وقاسى أمورًا ما قاساها أحد قبله ونجاه الله عز وجل من الموت لطول عمره وقد سمع بعدلك فدخل بلادك وحماك فإن قتلته تنتشر الأخبار عنك مع المسافرين بأنك تبغضين الأغراب وتقتلينهم وهو على كل حال تحت قهرك ومقتول سيفك إن لم تظهر زوجته فى بلدك وأى وقت تشتهين حضوره فأنا قادرة على رده إليك وأيضًا فأنا ما أجرته إلا طمعًا فى كرمك بسبب مالى عليك من التربية حتى ضمنت له أنك توصلينه إلى بغيته لعلمى بعدلك وشفقتك ولولا أنى أعلم منك هذا ما كنت أدخلته بلدك وقلت فى نفسى أن الملكة تتفرج عليه وعلى ما يقوله من الأشعار والكلام المليح الفصيح الذى يشبه الدر المنظوم وهذا قد دخل بلادنا وأكل زادنا فوجب حقه علينا وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة العاشرة بعد الثمانمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الملكة نور الهدى لما أمرت غلمانها بأخذ حسن وضرب عنقه صارت العجوز تأخذ بخاطرها وتقول لها أنه دخل بلادنا وأكل زادنا

فوجب حقه علينا خصوصًا وقد وعدته بالاجتماع بك وأنت تعرفين أن الفراق صعب وتعرفين أن الفراق قتال خصوصًا فراق الأولاد وما بقى علينا من النساء واحد إلا أنت فأريه وجهك فتبسمت الملكة وقالت من أين له أن يكون زوجى وخلف منى أولادًا حتى أريه وجهى ثم أمرت بحضوره فأدخلوه عليها وأوقفوه بين يديها وكشفت وجهها فلما رأه حسن صرخ صرخة عظيمة وخر مغشيًا عليه فلم تزل العجوز تلاطفه حتى أفاق فلما أفاق من غشيته أنشد هذه الأبيات:

يا نسيمًا هب من أرض العراق　　فى زوايا أرض من قد قال واق

بلغ الأحباب عنى أننى　　مت من طعم الهوى مر المذاق

يا اهيل الحب منوا واعطفوا　　ذاب قلبى من تباريح الفراق

فلما فرغ من شعره قام ونظر الملكة وصاح صيحة عظيمة كاد منها القصر أن يسقط على من فيه ثم وقع مغشيًا عليه فمازالت العجوز تلاطفه حتى أفاق وسألته عن حاله فقال أن هذه الملكة أما زوجتى وأما أشبه الناس بزوجتى وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الحادية عشر بعد الثمانمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن العجوز لما سألته عن حاله قال لها أن هذه الملكة أما زوجتى وأما أشبه الناس بزوجتى فقالت الملكة للعجوز ويلك يا داية هذا الغريب مجنون أو مختل لأنه ينظر فى وجهى ويحملق عينيه فقالت لها العجوز يا ملكة أن هذا معذور فلا تؤاخذيه فأنه يقال فى المثل مريض الهوى ماله دواء وهو والمجنون سواء ثم أن حسنًا بكا بكاءًا شديدًا وأنشد هذين البيتين:

أرى اثارهم فأذوب شوقًا　　واسكب فى مواطنهم دموعى

واسأل من بفرقتهم بلانى　　يمن على منهم بالرجوعى

ثم أن حسنًا قال للملكة والله ما أنت زوجتى ولكنك أشبه الناس بها فضحكت الملكة نور الهدى حتى استلقت على قفاها ومالت علي جنبها ثم قالت يا حبيبى تمهل على

روحك وميزني وجاوبني عن الذى اسألك عنه ودع عنك الجنون والحيرة والذهول فإنه قد قرب لك الفرج فقال حسن يا سيدة الملوك وملجأ كل غنى أنى حين نظرتك جننت لأنك أما زوجتى وأما أشبه الناس بزوجتى فاسأليني الآن عما تريدين فقالت أى شىء فى زوجتك يشبهني فقال يا سيدتي جميع ما فيك من الحسن والجمال والظرف والدلال كاعتدال قوامك وعذوبة كلامك وحمرة خدودك وبروز نهودك وغير ذلك يشبهها ثم أن الملكة التفتت إلى شواهى أم الدواهى وقالت لها يا أمى أرجعيه إلى موضعه الذى كان فيه عندك واخدميه أنت بنفسك حتى اتفحص عن امره فإن كان هذا الرجل صاحب مرؤة بحيث يحفظ الرفق والصحبة والود وجب علينا مساعدته على قضاء حاجته خصوصًا وقد نزل أرضنا وأكل طعامنا مع ما تحمله من مشقات الأسفار ومكابدة أهوال الأخطار ولكن إذا أوصلته إلى بيتك فاوصى عليه اتباعك وأرجعى إلىّ بسرعة وإن شاء الله تعالى لا يكون إلا خير فعند ذلك خرجت العجوز وأخذت حسنًا ومضت به إلى منزلها وأمرت جواريها وخدمها وحشمها بخدمته وأمرتهم أن يحضروا له جميع ما يحتاج إليه وأن لا يقصروا فى حقه ثم عادت إلي الملكة بسرعة فأمرتها أن تحمل سلاحها وتأخذ معها ألف فارس من الشجعان فامتثلت العجوز شواهى أمرها ولبست دروعها وأحضرت الألف فارس ولما وقفت بين يديها وأخبرتها بأحضار الألف فارس أمرتها أن تسير إلى مدينة الملك الأكبر أبيها وتنزل عند بنته منار السنا أختها وتقول لها ألبسى ولديك الدرعين اللذين عملتهما لهما وأرسليهما إلى خالتهما فأنها مشتاقة إليهما وقالت لها أوصيك يا أمي بكتمان أمر حسن فإذا أخذتهما منها قولى لها أن أختك تستدعيك إلي زيارتها فإذا أعطتك ولديها وخرجت بهما قاصدة الزيارة فاحضرى بهما سريعًا وخليها تحضر على مهلها وتعالى من طريق غير الطريق التى تجيء منها ويكون سفرك ليلاً ونهاراً واحذرى أن يطلع على هذا الأمر أحدًا أبدًا ثم أنى أحلف بجميع الأقسام أن طلعت أختى زوجته وظهر أن ولديها ولداه لا أمنعه من أخذها ولا من سفرها معه بأولادها وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الثانية عشر بعد الثمانمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الملكة قالت أنى أحلف بالله وأقسم بجميع الأقسام أنها إن طلعت زوجته لا أمنعه من أخذها بل أساعده على أخذها وعلى سفرها معه إلى

بلاده فوثقت العجوز بكلامها ولم تعلم بما اضمرته فى نفسها وقد أضمرت العاهرة فى نفسها أنها إن لم تكن زوجته ولا أولادها يشبهونه تقتله ثم أن الملكة قالت للعجوز يا أمى أن صدق حذرى تكون زوجته أختى منار السنا والله أعلم فإن هذه الصفات صفاتها وجميع الأوصاف التى ذكرها من الجمال البارع والحسن الباهر لا يوجد فى أحد غير أخواتى خصوصًا الصغيرة ثم أن العجوز قبلت يدها ورجعت إلى حسن واعلمته بما قالته الملكة فطار عقله من الفرح وقام إلى العجوز وقبل رأسها فقالت له يا ولدى لا تقبل رأسى وقبلنى فى فمى وأجعل هذه القبلة حلاوة السلامة وطب نفسًا وقر عينًا ولا يكن صدرك إلا منشرحًا ولا تستكره تقبيلى فى فمى فأنى أنا السبب فى اجتماعك بها فطيب قلبك وخاطرك ولا تكن إلا منشرح الصدر قرير العين مطمئن النفس ثم ودعته وانصرفت فأنشد حسن هذين البيتين:

لى فى محبتكم شهودًا أربع   وشهود كل قضية اثنان

خفقان قلبى واضطراب جوارحى   ونحول جسمى وانعقاد لسانى

ثم أنشد أيضًا هذين البيتين:

شيئان لو بكت الدماء عليهما   عيناى حتى يؤذنا بذهاب

لم يقضيا المعشار من حقيهما   شرخ الشباب وفرقة الأحباب

ثم أن العجوز حملت سلاحها وأخذت معها ألف فارس حاملين السلاح وتوجهت إلى تلك الجزيرة التى فيها أخت الملكة وسارت إلى أن وصلت إلى أخت الملكة وكان بين مدينة نور الهدى وبين مدينة أختها ثلاثة أيام فلما وصلت شواهى إلى المدينة وطلعت إلى أخت الملكة منار السنا سلمت عليها وبلغتها السلام من أختها نور الهدى واخبرتها باشتياقها إليها وإلى أولادها وعرفتها أن الملكة نور الهدى تعتب عليها بسبب عدم زيارتها إياها فقالت لها الملكة منار السنا الحق علىَّ لأختى وأنا مقصرة بعدم زيارتى لها ولكن أزورها الآن ثم أمرت بتبريز خيامها إلى خارج المدينة وأخذت لأختها معها ما يصلح لها من الهدية والتحف ثم أن الملك أباها نظر من طيقان القصر فرأى الخيام منصوبة فسأل عن ذلك فقالوا له أن الملكة منار السنا نصبت خيامها بتلك الطريق لأنها تريد زيارة أختها نور الهدى فلما سمع الملك بذلك جهز لها عسكرًا يوصلها إلى أختها وأخرج من خزائنه من

الأموال ومن المأكل والمشرب ومن التحف والجواهر ما يعجز عنه الوصف وكانت بنات الملك السبعة أشقاء من أب واحد وأم واحدة إلا الصغيرة وكان اسم الكبيرة نور الهدى والثانية نجم الصباح والثالثة شمس الضحى والرابعة شجرة الدر والخامسة قوت القلوب والسادسة شرف البنات والسابعة منار السنا وهي الصغيرة فيهن وهى زوجة حسن وكانت اختهن من ابيهن فقط ثم أن العجوز قدمت وقبلت الأرض بين يدى منار السنا فقالت لها منار السنا هل لك حاجة يا أمى فقالت لها أن الملكة نور الهدى أختك تأمرك أن تغيرى على ولديك وتلبسيهما الدرعين اللذين فصلتهما لهما وأن ترسليهما معى إليها فأخذهما واسبق بهما وأكون المبشرة بقدومك عليها فلما سمعت منار السنا كلام العجوز أطرقت رأسها إلى الأرض وقد تغير لونها ولم تزل مطرقة زمانًا طويلاً ثم حركت رأسها ورفعتها إلي العجوز وقالت لها يا أمى قد ارتجف فؤادى وخفق قلبي عندما ذكرت أولادى فأنهم فى حين ولادتهم لم ينظر أحد وجوههم من الجن والبشر لا انثى ولا ذكر وأنا أغار عليهم من النسيم إذا سرى فقالت لها العجوز أى شىء هذا الكلام يا سيدتى اتخافين عليهم من أختك وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الثالثة عشر بعد الثمانمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن العجوز لما قالت للسيدة منار السنا أى شىء هذا الكلام يا سيدتى اتخافين عليهم من أختك سلامة عقلك وأن خالفت الملكة فى هذا الأمر لا يمكنك المخالفة فإنها تعتب عليك ولكن يا سيدتى أولادك صغار وأنت معذورة فى الخوف عليهم والمحب مولع بسوء الظن ولكن يا بنتى أنت تعلمين شفقتى ومحبتي لك ولأولادك وقد ربيتك قبلهم وأنا اتسلمهم وآخذهم وافرش لهم خدى وافتح قلبى واجعلهم فى داخله ولا احتاج إلي الوصية عليهم مثل هذا الأمر فطيبى نفسًا وقرى عينًا وارسليهم لها وأكثر ما اسبقك به يوم واحد أو يومان ولم تزل تلح عليها حتى لان جانبها وخافت من غيظ أختها ولم تدر ما هو مخبوء لها فى الغيب فسمحت بارسالهم مع العجوز ثم أنها دعت بهم وحمتهم وهيأتهم وغيرت عليهم والبستهم الدرعين وسلمتهم للعجوز فاخذتهم وسارت بهم مثل الطير علي غير الطريق التى تسير فيها أمهم مثل ما

أوصتها الملكة نور الهدى ولم تزل تجد فى السير وهى خائفة عليهم إلى أن وصلت بهم إلى مدينة الملكة نور الهدى فعدت بهم البحر ودخلت المدينة وتوجهت بهم إلى الملكة نور الهدى خالتهم فلما رأتهم الملكة فرحت بهم وعانقتهم وضمتهم إلى صدرها وأجلست واحداً على فخذها الأيمن والثانى على فخذها الأيسر ثم التفتت إلى العجوز وقالت لها أحضرى الآن حسنًا فأنا أعطيته زمامى واجرته من حسامى وقد تحصن بدارى ونزل فى جوارى بعد أن قاسى الأهوال والشدائد وتعدى أسباب الموت التى همها متزائد مع أنه إلي الآن لم يسلم من شرب كأسه وقطع انفاسه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الرابعة عشر بعد الثمانمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الملكة نور الهدى لما أمرت العجوز بإحضار حسن قالت لها أنه قاسى الأهوال والشدائد وتعدى أسباب الموت التى همها متزائد مع أنه إلى الآن لم يسلم من شرب كأسه وقطع انفاسه فقالت لها العجوز إذا أحضرته بين يديك هل تجمعين بينه وبينهم وإن لم يظهر أنهم أولاده تعفى عنه وترديه إلى بلاده فلما سمعت الملكة كلامها غضبت غضبًا شديداً وقالت ويلك يا عجوز النحس إلى متى هذه المخادعة فى شأن هذا الرجل الغريب الذى تجاسر علينا وكشف سترنا واطلع على أحوالنا هل يظن أنه يجيء أرضنا وينظر وجوهنا ويوسخ أعراضنا ويرجع إلى بلاده سالمًا فيفضح أحوالنا في بلاده وبين أهله وتبلغ أخبارنا سائر الملوك فى أقطار الأرض وتسافر التجار بأخبارنا في جميع الجهات ويقولون أنسى دخل جزائر واق وعدى بلاد السحرة والكهنة وتخطى أرض الجان وأرض الوحوش والطيور ورجع سالمًا فهذا لا يجوز أبداً وأنا أقسم بخالق السماء وبانيها وساطح الأرض وداحيها وخالق الخلق ومحصيها إن لم يكونوا أولاده لأقتلنه وأنا التى أضرب عنقه بيدى ثم أنها صرخت علي العجوزة فوقعت من الخوف واغرت عليها الحاجب وعشرين مملوكًا وقالت لهم أمضوا مع هذه العجوز واتونى بالصبى الذى عندها فى بيتها بسرعة فخرجت العجوز مجرورة مع الحاجب والمماليك وقد أصفر لونها وارتعدت فرائصها ثم سارت إلى منزلها ودخلت علي حسن فلما دخلت عليه قام إليها وقبل يديها وسلم عليها فلم تسلم عليه وقالت له قم كلم الملكة أما

قلت لك أرجع إلى بلادك ونهيتك عن هذا كله فما سمعت قولى وقلت أعطيك شيئاً لا يقدر عليه أحد وارجع إلى بلادك من قريب فما أطعتني ولا سمعت مني بل خالفتنى واخترت الهلاك لى ولك فدونك وما اخترت فإن الموت قريب قم كلم هذه الفاجرة العاهرة الظالمة الغاشمة فقام حسن وهو مكسور الخاطر حزين القلب خائف ويقول يا سلام سلم اللهم الطف بى فيما قدرته على من بلائك واسترنى يا أرحم الراحمين وقد يئس من الحياة وتوجه مع العشرين مملوكًا والحاجب والعجوز فدخلوا علي الملكة بحسن فوجد ولديه ناصراً ومنصوراً جالسين على حجرها وهى تلاعبهما وتؤانسهما فلما وقع نظره عليهما عرفهما وصرخ صرخة عظيمة ووقع علي الأرض مغشيًا عليه من شدة الفرح بولديه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الخامسة عشر بعد الثمانمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن حسنًا لما وقع نظره على ولديه عرفهما وصرخ صرخة عظيمة ووقع على الأرض مغشيًا عليه فلما أفاق عرف ولديه وعرفاه فحركتهما المحبة الغريزية فتخلصا من حجر الملكة ووقفا عند حسن وأنطقهما الله عز وجل بقولهما يا أبانا فبكت العجوز والحاضرون رحمة لهما وشفقة عليهما وقالوا الحمد لله الذى جمع شملكما بأبيكما فلما أفاق حسن من غشيته عانق أولاده ثم بكى حتى غشى عليه فلما أفاق من غشيته أنشد هذه الأبيات:

وحقكم أن قلبى لم يطق جلداً | علي الفراق ولوكان الوصال ردى
يقول لى طيفكم أن اللقاء غداً | وهل أعيش على رغم العداة غدًا
وحقكم ياسادتى من يوم فرقتكم | ما لذلى طيب عيش بعدكم أبداً
وأن قضى الله نحبى فى محبتكم | أموت فى حبكم من أعظم الشهدا
رطبية فى زوايا القلب مرتعها | وشخصها كالكرى عن مقلتى شرد
أن انكرت فى مجال الشرع سفك دمى | فإنه فوق خديها لقد شهد

فلما تحققت الملكة أن الصغار أولاد حسن وأن أختها السيدة منار السنا زوجته التى جاء فى طلبها غضبت عليها غضبًا شديداً ما عليه من مزيد وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة السادسة عشر بعد الثمانمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الملكة نور الهدى لما تحققت أن الصغار أولاد حسن وأن أختها منار السنا زوجته الذى جاء فى طلبها غضبت عليها غضبًا شديدًا ما عليه من مزيد وصرخت فى وجه حسن فغشى عليه فلما أفاق من غشيته أنشد هذه الأبيات:

بعدتم وأنتم أقرب الناس فى الحشى ... وغبتم وأنتم فى الفؤاد حضور
فوالله ما قد ملت عنكم لغيركم ... وأنى على جور الزمان صبور
تمرّ الليالى فى هواكم وتنقضى ... وفى القلب منى زفرة وسعير
وكنت فتى لا ارتضى البعد ساعة ... فكيف وقد مرت علىّ شهور
أغار إذا هبت عليك نسمة ... وإنى على الغيد الملاح غيور

فلما فرغ حسن من شعره خر مغشيًا عليه فلما أفاق رآهم قد أخرجوه مسحوبًا على وجهه فقام يمشى ويتعثر فى أذياله وهو لم يصدق بالنجاة مما قاساه منها فعز ذلك على العجوز شواهى ولم تقدر أن تخاطب الملكة فى شأنه من قوة غضبها فلما خرج حسن من القصر سار متحيرًا لا يعرف أين يروح ولا أين يجيء ولا أين يذهب وضاقت عليه الأرض بما رحبت ولم يجد من يحدثه ويؤانسه ولا من يسليه ولا من يستشيره ولا من يقصده ويلجأ إليه فأيقن بالهلاك لأنه لا يقدر على السفر ولا يعرف من يسافر معه ولا يعرف الطريق ولا يقدر أن يجوز على وادى الجان وأرض الوحوش وجزائر الطيور فيئس من الحياة ثم بكى على نفسه حتى غشى عليه فلما أفاق تفكر أولاده وزوجته وقدومها على أختها وتفكر ما يجرى لها مع الملكة أختها ثم ندم على حضوره فى هذه الديار وعلى كونه لم يسمع كلام أحد فأنشد هذه الأبيات:

دعوامقلتى تبكى على فقدمن أهوى ... فقد عز سلوانى وزادت بى البلوى
وكأس صروف البين صرفا شربتها ... فمن ذاعلى فقد الأحبة قد يقوى
بسطتم بساط العتب بينى وبينكم ... الايا بساط العتب عنا متى تطوى
سهرت ونمتم إذا زعمتم بأننى ... سلوت هواكم إذ سلوت عن السلوى
إلا ان قلبى مولع بوصالكم ... وانتم اطبائى حفظتم من الادوا

ألم تنظروا ماحل بى من صدودكم ذللت لمن يسوى ومن لم يكن يسوى
كتمت هواكم والغرام يذيعه وقلبى بنيران الهوى أبدا يكوى
فرقوا لحالى وارحمونى لأننى أقمت علي الميثاق فى السر والنجوى
فياهل ترى الأيام تجمعنى بكم فأنتم منى قلبى وروحى لكم تهوى
فؤادى جريح بالفراق فليتكم تفيدوننا عن حيكم خبرا يروى

ثم أنه لما فرغ من شعره لم يزل ذاهبًا إلى أن خرج إلى ظاهر المدينة فوجد النهر فسار على جانبه وهو لا يعلم أين يتوجه هذا ما كان من أمر حسن وأما ما كان من زوجته منار السنا فإنها أرادت الرحيل فى اليوم الثانى بعد اليوم الذى رحلت فيه العجوز فبينما هي عازمة على الرحيل إذ دخل عليها حاجب الملك أبيها وقبل الأرض بين يديها وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة السابعة عشر بعد الثمانمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن منار السنا بينما هى عازمة على الرحيل إذ دخل عليها حاجب الملك أبيها وقبل الأرض بين يديها وقال لها يا ملكة أن أباك الملك الأكبر يسلم عليك ويدعوك إليه فنهضت متوجهة مع الحاجب إلى أبيها تنظر حاجته فلما رآها أبوها أجلسها إلى جانبه فوق السرير وقال لها يا بنتى أعلمى أنى رأيت فى هذه الليلة رؤيا وأنا خائف عليك منها وخائف أن يصل لك من سفرك هذا هم طويل فقالت له لا شىء يا ابتى وأى شىء رأيت فى المنام قال رأيت كأنى دخلت كنزاً فرأيت فيه أموالاً عظيمة وجواهر ويواقيت كثيرة وكأنه لم يعجبنى من ذلك الكنز جميعه ولا من تلك الجواهر جميعها إلا سبع حبات وهن أحسن ما فيه فاخترت من السبع جواهر واحدة وهى أصغرها وأحسنها وأعظمها نوراً وكأنى أخذتها فى كفى لما أعجبنى حسنها وخرجت بها من الكنز فلما خرجت من بابه فتحت يدى وأنا فرحان وقبلت الجوهرة وإذا بطائر غريب قد أقبل من بلاد بعيدة ليس من طيور بلادنا قد أنقض علىّ من السماء وخطف الجوهرة من يدى ورجع إلى المكان الذى أتيت بها منه فلحقنى الهم والحزن والضيق وفزعت فزعًا عظيمًا ايقظنى من المنام فانتبهت وأنا حزين متأسف على تلك الجوهرة فلما انتبهت من

النوم دعوت بالمعبرين والمفسرين وقصصت عليهم منامى فقالوا لى أن لك سبع بنات تفقد الصغيرة منهن وتؤخذ منك قهراً بغير رضاك وأنت يا بنتى أصغر بناتى وأعزهن عندى وأكرمهن علي وها أنت مسافرة إلى أختك ولا أعلم ما يجرى عليك منها فلا تروحى وارجعى إلى قصرك فلما سمعت منار السنا كلام أبيها خفق قلبها وخافت على أولادها وأطرقت برأسها إلى الأرض ساعة ثم رفعتها إلى أبيها وقالت له أيها الملك أن الملكة نور الهدى قد هيأت لى ضيافة وهى في إنتظار قدومى عليها ساعة بعد ساعة ولها أربع سنين ما رأتنى وأن قعدت عن زيارتها تغضب عليَّ ومعظم قعودى معها شهر زمان وأحضر عندك ومن هذا الذى يطرق بلادنا ويصل إلى جزائر واق ومن يقدر أن يصل إلى الأرض البيضاء والجبل الأسود ويصل إلى جزيرة الكافور وقلعة الطيور وكيف يقطع وادى الطيور ثم وادى الوحوش ثم وادى الجان ثم يدخل جزائرنا ولو دخل إليها غريب لغرق فى بحار الهلكات فطب نفساً وقر عيناً من شأن سفرى فأنه لا قدرة لأحد على أن يدوس أرضنا ولم تزل تستعطفه حتى أنعم عليها بالأذن فى المسير وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الثامنة عشر بعد الثمانمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أنها لم تزل تستعطفه حتى أنعم عليها بالأذن في المسير ثم أنه أمر ألف فارس أن يسافروا معها ليوصلوها إلى النهر ثم يقيموا مكانهم حتى تصل إلى مدينة أختها فتدخل قصر أختها وأمرهم أن يقيموا عندها حتى يأخذوها ويحضروا بها إلى أبيها وأوصاها أبوها أن تقعد عند أختها يومين ثم تعود بسرعة فقالت سمعاً وطاعة ثم أنها نهضت وخرجت وخرج معها أبوها وودعها وقد أثر كلام أبيها فى قلبها فخافت على أولادها ولا ينفع التحصن بالحذر من هجوم القدر فجدت فى السير ثلاثة أيام بلياليها حتى وصلت النهر وضربت خيامها على ساحله ثم عدت النهر ومعها بعض غلمانها وحاشيتها ووزرائها ولما وصلت إلى مدينة الملكة نور الهدى طلعت إلى القصر ودخلت عليها فرأت أولادها يبكون عندها ويصيحون يا أبانا فجرت الدموع من عيونها وبكت ثم ضمت أولادها إلي صدرها وقالت لهم هل رأيتم أباكم فلا كانت الساعة التى فارقته فيها لو عرفت أنه فى دار الدنيا لكنت وصلتكم إليه ثم ناحت على نفسها وعلى زوجها وعلى بكاء أولادها وأنشدت هذه الأبيات:

أأحبابنا أني علي البعد والجفا أحن إليكم حيث كنتم وأعطف
وطرفي إلى أوطانكم متلفت وقلبي على أيامكم متلهف
وكم من ليلة بتنا علي غير ريبة محبين يهنينا الوفي والتلطف

فلما رأتها أختها قد ضمت أولادها وقالت أنا التى فعلت بنفسى وبأولادى هكذا وأخربت بيتى فلم تسلم عليها أختها نور الهدى بل قالت لها يا عاهرة من أين لك هذه الأولاد هل تزوجت بغير علم أبيك أو زنيت فإن كنت زنيت وجب تنكيلك وإن كنت تزوجت بغير علمنا فلأى شيء فارقت زوجك وأخذت أولادك وفرقت بينهم وبين أبيهم وجئت بلادنا وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة التاسعة عشر بعد الثمانمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الملكة نور الهدى قالت لأختها نور السنا وأن كنت تزوجت من غير علمنا فلأى شيء فارقت زوجك وأخذت أولادك وفرقت بينهم وبين أبيهم وجئت بلادنا وقد أخفيت أولادك عنا أتظنين أننا لا ندرى بذلك والله تعالى علام الغيوب قد أظهر لنا أمرك وكشف حالك وبين عوراتك ثم بعد ذلك أمرت أعوانها أن يمسكوها فقبضوا عليها فكتفتها وقيدتها بالقيود الحديد وضربتها ضربًا وجيعًا حتى شرحت جسدها وصلبتها من شعرها ووضعتها فى سجن وكتبت كتابًا إلي الملك الأكبر أبيها تخبره بخبرها وتقول له أنه قد ظهر فى بلادنا رجل من الأنس وأختى نور السنا تدعى أنها تزوجته فى الحلال وجاءت منه بولدين وقد أخفتهما عنا وعنك ولم تظهر على نفسها شيئا إلى أن أتانا ذلك الرجل الذى من الأنس وهو يسمى حسنًا وأخبرنا أنه تزوج بها وقعدت عنده مدة طويلة من الزمان ثم أخذت أولادها وراحت من غير علمه وأخبرت والدته عند رواحها وقالت لها قولى لولدك إذا حصل له اشتياق أن يجيئنى إلى جزائر واق فقبضنا على الرجل عندنا وأرسلت إليها العجوز شواهى تحضرها عندى هى وأولادها فجهزت نفسها وحضرت وقد كنت أمرت العجوز أن تحضر لى أولادها أولا فتسبق بهم إلىّ قبل حضورها فجاءت العجوز بالأولاد قبل حضورها فأرسلت إلي الرجل الذى أدعى أنها زوجته فلما دخل علىّ ورأى الأولاد عرفهم فتحققت أن الأولاد أولاده وأنها زوجته وعلمت أن كلام الرجل صحيح ولم يكن عنده عيب ورأيت القبح

والعيب عند أختي فخفت من هتك عرضنا عند أهل جزائرنا فلما دخلت عليّ هذه الفاجرة الخائنة غضبت عليها وضربتها ضربًا وجيعًا وصلبتها من شعرها وقد أعلمتك بخبرها والأمر أمرك فالذى تأمرنا به نفعله وأنت تعلم أن هذا الأمر فيه هتيكة لنا وعيب فى حقنا وحقك وربما تسمع أهل الجزائر بذلك فنصير بينهم مثلة فينبغى أن ترد لنا جوابًا سريعًا ثم أعطت المكتوب للرسول وسار به إلى الملك فلما قرأه الملك الأكبر أغتاظ غيظًا شديدًا على ابنته منار السنا وكتب إلي ابنته نور الهدى مكتوبًا يقول لها فيه أنا قد فوضت أمرها إليك وحكمتك فى دمها فإن كان الأمر كما ذكرت فاقتليها ولا تشاوريني فى أمرها فلما وصل إليها كتاب أبيها وقرأته أرسلت إلى منار السنا وأحضرتها بين يديها وهى غريقة فى دمها مكتفة بشعرها مقيدة بقيد ثقيل من حديد وعليها اللباس الشعر ثم أوقفوها بين يدى الملكة فوقفت حقيرة ذليلة فلما رأت نفسها فى هذه المذلة العظيمة والهوان الشديد تفكرت ما كانت فيه من العز وبكت بكاءًا شديدًا وأنشدت هذين البيتين:

يارب أن العدى يسعون فى تلفى ... ويزعمون بأنى لست بالناجى
وقد رجوتك فى إبطال ماصنعوا ... يارب أنت ملاذ الخائف الراجى

ثم بكت بكاءًا شديدًا حتى وقعت مغشيًا عليها فلما أفاقت أنشدت هذين البيتين:

ألف الحوادث مهجتى وألفتها ... بعد التنافر والكريم ألوف
ليس الهموم على صنفًا واحدًا ... عندى بحمد الله منه ألف

ثم أنشدت أيضًا هذين البيتين:

ولرب نازلة يضيق لها الفتى ... ذرعًا وعند الله منها المخرج
ضاقت فلما أستمكنت حلقاتها ... فرجت وكنت أظنها لا تفرج

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الموفية للعشرين بعد الثمانمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الملكة نور الهدى لما أمرت باحضار أختها الملكة منار السنا أوقفوها بين يديها وهى مكتفة فأنشدت الأشعار السابقة ثم أن أختها أحضرت لها

سلمًا من خشب ومدتها عليه وأمرت الخدام أن يـربطوها على ظهرها فوق السلم ومدت سواعدها وربـطتها فى الحبال ثـم كشفت رأسها ولفت شـعرها على السلـم الخشب وقد انتزعـت الشفقـة عليهـا من قلبـها فلما رأت مـنار السنـا نفسهـا فى هذه الحالـة من الذل والهوان صـاحت وبكت فلم يـغثها أحد فـقالت لها يـا أختى كيف قسـا قلبك علـيّ فما ترحـمينى ولا ترحمي هـذه الأطفال الصغـار فلما سمـعت هذا الكلام ازدادت قسـوتها وشتمـتها وقالت لـها يا عاشقـة يا عاهرة لا رحم اللـه من يرحمك كـيف أشفق علـيك يا خائنة فقالت لهـا منار السنا وهى مشبـوحة احتسبت عليك بـرب السماء فيما تسبيننى به وأنا بريئة مـنه والله ما زنيت وإنما تزوجـته فى الحلال وربى يعلم هل قـولى صحيح أم لا وقلبى قد غضب عليك من شدة قسوة قلبك عليّ فكيف ترميننى بالزنا من غير علم ولكن ربى يخلصنى منك وأن كان الـذى قذفتنى به من الزنا حقًا فسيعاقبنى الـله عليه فتفكرت أختها فى نفسها حين سمعت كلامها وقالت لها كيف تخاطبيننى بهذا الكلام ثم قامت لها وضربتها حتى غشى عليها فرشوا على وجهـها الماء حتى أفاقت وقد تغيرت محاسنها من شدة الـضرب ومن قـوة الرباط ومـن فرط ما حصـل لها مـن الأهانة ثـم أنشدت هـذين البيتين:

وإذا جنيـــت جنــايــة ... وأتيـــت شـيئًـا منـــكراً
أنـا تائـــب عمـا مضـى ... واتيتكــم مستـغـفـراً

فلما سمعت شعرهـا نور الهدى غضبت غضبًا شديدًا وقالت لها أتـتكلمين يا عاهرة قدامي بالشعر وتستعذرين من الذى فعلته من الكبائـر وكان مرادى أن ترجعى لزوجك حتى أشاهد فـجورك وقوة عينك لأنك تفتخـرين بالذى وقع منك من الفـجور والفحش والكبائر ثم أنها أمـرت الغلمان أن يحضروا لها الجريد فأحضـروه فقامت وشمرت عن ساعديها ونزلت عليها بالضرب من رأسهـا إلى قدميها ثم دعت بسوط مظفور لو ضرب به الفيل لـهرول مسرعًا فنزلت بـذلك السوط على ظهرها وبـطنها وجميع أعضـائها حتى غشى عليها فلما رأت العجوز شواهى ذلـك من الملكة خرجت هاربة من بين يديها وهى تبكى وتدعو عليهـا فصاحت على الخدم وقالت لهم ائتونى بها فتجـاروا عليها ومسكوها وأحضروها بين يديها فأمرت برميها على الأرض وقالت للجوارى أسحبوها على وجهها وأخرجوها فسحبوها وأخرجوها من بين يـديها هذا ما كان من أمر هؤلاء وأما ما كان من

أمر حسن فإنه قام متجلداً ومشى فى شاطىء النهر واستقبل البرية وهو حيران مهموم وقد يئس من الحياة وصار مدهوشًا لا يعرف الليل من النهار لشدة ما أصابه ومازال يمشى إلى أن قرب من شجرة فوجد عليها ورقة معلقة فتناولها حسن بيده ونظرها فإذا مكتوب فيها هذه الأبيات:

دبــــرت أمـــرك عـنـدمـــــا ... كـنـت الجـنـين بـبطـن أمـك
وعـلـيـك قـــد حـنـنـتـهـا ... حتـــى لقـــد جـادت بضمك
أنـــا لـكـــافـوك الـــذى ... يأتـــى بهمـــك أو بـغـمـك
فـاضـــرع إلـيـنـا نـاهـضًـا ... نأخذ بكـفـك فى مهمـك

فلما فرغ من قرأة الورقة أيقن بالنجاة من الشدة وظفره بجمع الشمل ثم مشى خطوتين فوجد نفسه وحيداً فى موضع قفر ذى خطر لا يجد فيه أحد يستأنس به فطار قلبه من الوحدة والخوف وارتعدت فرائصه من هذا المكان المخوف وأنشد هذه الأبيات:

نسيم الصبا أن جزت أرض احبتى ... فبلغـهم عنى جزيل سلامى
وقل لهم أنـى رهـين صبابـة ... وإن غرامى فوق كـل غـرام
عسى عطفة منهم يهب نسيمها ... فيحيوا بها صبا رميم عظام

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الحادية والعشرون بعد الثمانمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن حسنًا لما قرأ الورقة أيقن بالنجاة من الشدة وتحقق الظفر بجمع الشمل ثم قام ومشى خطوتين فوجد نفسه وحيداً فى موضع ذى خطر ولم يكن عنده أحد يؤانسه فبكى بكاءاً شديداً وأنشد الأشعار التى ذكرناها ثم مشى على جانب النهر خطوتين فوجد ولدين صغيرين من أولاد السحرة والكهان وبين أيديهما قضيب من النحاس منقوش بالطلاسم وبجانب القضيب طاقية من الأدم بثلاثة تروك منقوش عليها بالبولاد أسماء وخواتم والقضيب والطاقية مرميان علي الأرض والولدان

يختصمان ويتضاربان عليهما حتى سال الدم بينهما وهذا يقول ما يأخذ القضيب إلا أنا والآخر يقول ما يأخذ القضيب إلا أنا فدخل حسن بينهما وخلصهما من بعضهما وقال لهما ما سبب هذه المخاصمة فقالا يا عم أحكم بيننا فإن الله تعالى ساقك إلينا لتقضى بيننا بالحق فقال قصا عليّ حكايتكما وأنا أحكم بينكما فقالا له نحن الأثنان أخوان شقيقان وكان أبونا من السحرة الكبار وكان مقيمًا فى مغارة فى هذا الجبل ثم مات وخلف لنا هذه الطاقية وهذا القضيب وأخى يقول ما يأخذ القضيب إلا أنا وأنا أقول ما يأخذه إلا أنا فاحكم بيننا وخلصنا من بعضنا فلما سمع حسن كلامهما قال لهما ما الفرق بين القضيب والطاقية وما مقدارهما فإن القضيب بحسب الظاهر يساوى ستة جدد والطاقية تساوى ثلاثة جدد فقالا له أنت ما تعرف فضلهما فقال لهما أى شيء فضلهما قالا له فى كل منهما سر عجيب وهو أن القضيب يساوى خراج جزائر واق بأقطارها والطاقية كذلك فقال له حسن يا ولدى بالله أكشف لى عن سرهما فقال له يا عم أن سرهما عظيم لأن أبانا عاش مائة وخمسة وثلاثين سنة يعالج تدبيرهما حتى أحكمهما غاية الأحكام وركب فيهما السر المكنون واستخدمهما الاستخدامات الغريبة ونقشهما على مثل الفلك الدائر وحل بهما جميع الطلسمات وعندما فرغ من تدبيرهما أدركه الموت الذى لابد لكل أحد منه فأما الطاقية فإن سرها أن كل من وضعها على رأسه أختفى عن أعين الناس جميعًا فلا ينظره أحد مادامت على رأسه وأما القضيب فأن سره أن كل من ملكه يحكم على سبع طوائف من الجن والجميع يخدمون ذلك القضيب فكلهم تحت أمره وحكمه وكل من ملكه وصار فى يده إذا ضرب به الأرض خضعت له ملوكها وتكون جميع الجن فى خدمته فلما سمع حسن هذا الكلام أطرق برأسه إلى الأرض ساعة ثم قال فى نفسه والله أننى لمنصور بهذا القضيب وبهذه الطاقية إن شاء الله تعالى فأنا أحق بهما منهما ففى هذه الساعة اتحيل على أخذهما منهما لاستعين بهما على خلاصى وخلاص زوجتى وأولادى من هذه الملكة الظالمة ونسافر من هذا المكان المظلم الذى ما لأحد من الأنس خلاص منه ولا مفر ولعل الله ما ساقنى لهذين الغلامين إلا لاستخلص منهما القضيب والطاقية ثم رفع رأسه إلي الغلامين وقال لهما إن شئتما فصل القضية فأنا امتحنكما فمن غلب رفيقه يأخذ القضيب ومن عجز يأخذ الطاقية فإن امتحنتكما وميزت بينكما عرفت ما يستحقه كل منكما فقالا له يا عم وكلناك فى إمتحاننا والحكم بيننا بما تختار فقال لهما حسن هل

تسمعان منى وترجعان إلى قولى فقالا له نعم فقال لهما حسن أنا أخذ حجراً وأرميه فمن سبق منكم إليه وأخذه قبل رفيقه يأخذ القضيب ومن تأخر ولم يلحقه يأخذ الطاقية فقالا قبلنا منك هذا الكلام ورضينا به ثم أن حسنًا أخذ حجراً ورماه بعزمه فغاب عن العيون فتسارع الغلامان تحته فلما بعدا أخذ حسن الطاقية ولبسها وأخذ القضيب في يده وانتقل من موضعه لينظر صحة قولهما فى شأن سر أبيهما فسبق الولد الصغير إلي الحجر وأخذه ورجع به إلى المكان الذى فيه حسن فلم ير له أثراً فصاح على أخيه وقال له أين الرجل الحاكم بيننا فقال لا أراه ولم أعرف هل طلع إلي السماء العليا أو نزل إلي الأرض السفلى ثم أنهما فتشا عليه فلم ينظراه وحسن واقف فى مكانه فشتما بعضهما وقالا قد راح القضيب والطاقية لا لى ولا لك وكان أبونا قال لنا هذا الكلام بعينه ولكنا نسينا ما أخبرنا به ثم أنهما رجعا على أعقابهما ودخل حسن المدينة وهو لابس الطاقية وفى يده القضيب ولم يراه أحد من الناس ثم دخل القصر وطلع إلي الموضع الذى فيه شواهى ذات الدواهى فدخل عليها وهو لابس الطاقية فلم تره ومشى حتى تقرب من رف كان فوق رأسها وعليه زجاج وصينى فحركه بيده فوقع الذى فوقه على الأرض فصاحت شواهى ذات الدواهى ولطمت على وجهها ثم قامت وأرجعت الذى وقع إلي مكانه وقالت فى نفسها والله ما أظن إلا أن الملكة نور الهدى أرسلت إلى شيطانًا فعمل معي هذه العملة فأنا اسأل الله تعالى أن يخلصنى منها ويسلمنى من غضبها فيا رب إذا كان هذا فعلها القبيح من الضرب والصلب مع أختها وهى عزيزة عند أبيها فكيف يكون فعلها مع الغريب مثلى إذا غضبت عليه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الثانية والعشرون بعد الثمانمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن العجوز ذات الدواهى لما قالت إذا كانت الملكة نور الهدى تفعل هذه الفعال مع أختها فكيف يكون حال الغريب معها إذا غضبت عليه ثم قالت أقسمت عليك أيها الشيطان بالحنان المنان العظيم الشأن القوى السلطان خالق الأنس والجان وبالنقش الذى علي خاتم سليمان بن داود عليهما السلام أن تكلمنى وتجيبنى فأجابها حسن وقال لها ما أنا شيطان أنا حسن الولهان الهائم الحيران ثم قلع الطاقية من

فوق رأسه فظهر للعجوز وعرفته فأخذته وأختلت به وقالت له أي شيء حصل لك في عقلك حتى عبرت إلى هنا رح أختف فإن هذه الفاجرة صنعت بزوجتك ما صنعت من العذاب وهي أختها فكيف إذا وقعت بك ثم حكت له جميع ما وقع لزوجته وما هي فيه من الضيق والعقوبة والعذاب وكذلك حكت له ما وقع لها من العذاب ثم قالت له أن الملكة ندمت حيث اطلقتك وقد أرسلت إليك من يحضرك لها وتعطيه من الذهب قنطاراً وتجعله في رتبتي عندها وحلفت أن أرجعوك قتلتك وتقتل زوجتك وأولادك ثم أن العجوز بكت وأظهرت لحسن ما فعلته الملكة بها فبكى حسن وقال يا سيدتي كيف الخلاص من هذه الديار ومن هذه الملكة الظالمة وما الحيلة التي توصلني إلى أن أخلص زوجتي وأولادي ثم أرجع بهم إلى بلادي فقالت له العجوز ويلك أنج بنفسك فقال لابد لي من خلاصها وخلاص أولادي منها قهراً عنها فقالت له العجوز وكيف تخلصهم قهراً عنها رح واختف يا ولدي حتى يأذن الله تعالى ثم أن حسنًا أراها القضيب النحاس والطاقية فلما رأتهما العجوز فرحت بهما فرحًا شديداً وقالت له سبحان من يحيى العظام وهي رميم والله يا ولدي ما كنت أنت وزوجتك إلا من الهالكين والآن يا ولدي قد نجوت أنت وزوجتك وأولادك لأني أعرف القضيب وأعرف صاحبه فإنه كان شيخي الذي علمني السحر وكان ساحراً عظيمًا مكث مائة وخمسة وثلاثين سنة حتي أتقن هذا القضيب وهذه الطاقية فلما انتهى اتقانهما أدركه الموت الذي لا بد منه وسمعته يقول لولديه يا ولدي هذان ما هما من نصيبكما وإنما يأتي شخص غريب الديار يأخذهما منكما قهرًا ولا تعرفان كيف يأخذهما فقالا يا أبانا عرفنا كيف يصل إلى أخذهما فقال لا أعرف ذلك فكيف وصلت يا ولدي لأخذهما فحكى لها كيف أخذهما من الولدين فلما حكى لها فرحت بذلك وقالت له يا ولدي كما ملكت زوجتك وأولادك أسمع مني ما أقوله لك عليه أنا ما بقي لي عند هذه الفاجرة إقامة بعد ما تجاسرت عليّ ونكلتني وأنا راحلة عنها إلى مغارة السحرة لأقيم عندهم وأعيش معهم إلى أن أموت وأنت يا ولدي ألبس الطاقية وخذ القضيب في يدك وأدخل على زوجتك وأولادك في المكان الذي هم فيه وأضرب الأرض بالقضيب وقل يا خدام هذه الأسماء تطلع إليك خدامه فإن طلع لك أحد من رؤوس القبائل فأمره بما تريد وتختار ثم أنه ودعها وخرج ولبس الطاقية وأخذ القضيب معه ودخل المكان الذي فيه زوجته فرآها في حالة العدم مصلوبة علي

السلم وشعرها مربوط فيه وهي باكية العين حزينة القلب في أسوء حال لا تدرى طريقًا لخلاصها وأولادها تحت السلم يلعبون وهي تنظرهم وتبكى عليهم وعلى نفسها بسبب ما جرى لها مما أصابها وهي تقاسي من العذاب والضرب المؤلم أشد النكال فلما رآها في أسوء الحالات سمعها تنشد هذه الأبيات:

لم يبق إلا نفس هافت ... ومقلة انسانها باهت
ومغرم تضرم أحشاؤه ... بالنار إلا أنه ساكت
يرثى له الشامت مما رأى ... يا ويح من يرثى له الشامت

ثم أن حسنًا لما رأى ما هي فيه من العذاب والذل والهوان بكى حتى غشي عليه فلما أفاق ورأى أولاده وهم يلعبون وقد غشي على أمهم من كثرة التألم كشف الطاقية عن رأسه فصاحوا يا أبانا فغطى رأسه واستفاقت أمهم من غشيتها على صياحهم فلم تنظر زوجها وإنما نظرت أولادها وهم يبكون ويصيحون يا أبانا فبكت لما سمعتهم يذكرون أباهم ويبكون وانكسر قلبها وتقطعت أحشاؤها ونادت من كبد قد تصدع وقلب موجع أين انتم وأين أبوكم ثم تذكرت أوقات اجتماع شملها وتذكرت ما جرى عليها بعد فراقه فبكت بكاءً شديدًا حتى جرحت دموعها خدّيها وبلت الأرض وصارت خدودها غريقة في دموعها من كثرة البكاء وليس لها يد مطلوقة حتى تمسح دموعها بها عن خدودها وشبع الذباب من جلدها ولم تجد لها مساعدًا غير البكاء والتسلي بإنشاد الأشعار فأنشدت هذه الأبيات:

وذكرت يوم البين بعد مودعى ... فجرت دموعى أنهرا فى مرجعى
وحدا بهم حادى الركاب فلم أجد ... صبرًا ولا جلدًا ولا قلبى معى
ورجعت لا أدرى الطريق ولم أفق ... من لوعتى وتولعى وتوجعى
وأضرّ مابى فى رجوعى شامت ... قد جاءنى فى صورة المتخشع
يا نفس إذ بعد الحبيب ففارقى ... طيب الحياة وفى البقاء لا تطمعى
يا صاحبى أنصت لأخبار الهوى ... حاشا لقلبك أن أقول ولا يعى
أروى الغرام مسلسلاً بعجائب ... وغرائب حتى كأنى الأصمعى

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الثالثة والعشرون بعد الثمانمائة

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن حسنًا لم دخل على زوجته ورأى أولاده وسمعها تنشد الأبيات التي ذكرناها وقد التفتت يمينًا وشمالاً لترى سبب صياح أولادها وندائهم لأبيهم فلم تر أحدًا ولما لم تر أحدًا تعجبت من ذكر أولادها لأبيهم فى هذا الوقت هذا ما كان من أمرها وأما ما كان من أمر حسن فإنه لما سمع شعرها بكى حتى غشى عليه وجرت دموعه على خده مثل المطر فدنا من الأولاد وكشف الطاقية فلما رأوه عرفوه وصاحوا بقولهم يا أبانا فبكت أمهم حين سمعتهم يذكرون أباهم وقالت لا حيلة فى قدر الله وقالت فى نفسها ياللعجب ما سبب ذكرهم لأبيهم فى هذا الوقت وندائهم له ثم بكت وأنشدت هذه الأبيات:

خلت الديار من السراج الطالع ... يا مقلتى جودى بغيض الادمع

رحلوا فكيف تصبرى من بعدهم ... اقسمت ماقلبى ولاصبرى معى

يا راحلين وفى الفؤاد محلهم ... هلى بعد ذا يا سادتى من مرجع

ما ضر لورجعوا وفزت بأنسهم ... ورثوا الفيض مدامعى وتوجعى

اجروا سحائب مقلتى يوم النوى ... عجبًا ولم يطفئ تضرم أضلعى

وطمعت أن يبقوا فعاندنى البقا ... فيهم وخيب بالتفرق مطمعى

يالله يا أحبابنا عودوا لنا ... فلقد كفى ما قد جرى من أدمعى

فلم يطق حسن الصبر دون أن كشف الطاقية عن رأسه فنظرته زوجته فلما عرفته زعقت زعقة أزعجت جميع من فى القصر ثم قالت له كيف وصلت إلى هاهنا هل من السماء نزلت أو من الأرض طلعت ثم تغرغرت عيونها بالدموع فبكى حسن فقالت له يا رجل ما هذا وقت بكاء ولا وقت عتاب قد نفذ القضاء وعمى البصر وجرى القلم بما حكم الله في القدم فبالله عليك من أى مكان جئت رح واختف لئلا ينظرك أحد فيعلم أختى بذلك فتذبحنى وتذبحك فقال لها حسن يا سيدتى وسيدة كل ملكة أنا خاطرت بروحي وجئت إلى هنا فأما أن أموت أو أخلصك من الذى أنت فيه وأسافر أنا وأنت

وأولادى إلى بلادى علـى رغم أنف هـذه الفاجرة أختك فلما سمعت كلامه تبسمت وضحكت وصارت تحرك رأسها زمانًا طويلاً وقالت له هيهات يا روحى أن يخلصنى أحد مما أنا فيه إلا الله تعالى ففز بنفسك وارحل ولا ترم روحك فى الهلاك فإن لها عسكراً جراراً لم يقدر أحد أن يقابله وهب أنك أخذتنى وخرجت فكيف تصل إلى بلادك وتخلص من هذه الجزائر وصعوبة هذه الأماكن وقد رأيت فى الطريق الذى نظرتها من العجائب والغرائب والأهوال والشدائد ما لا يخلص منه أحد من الجن المتمردة فرح من قريب ولا تزدنى همًا على همى ولا غمًا على غمى ولا تدعى أنك تولصنى من هذا فمن يخلصنى إلى بلادك فى هذه الأودية والأرض المعطشة والأماكن المهلكة فقال لها حسن وحياتك يا نور عينى ما أخرج من هنا ولا أسافر إلا بك فقالت له يا رجل كيف تقدر على هذا الأمر أى شيء جنسك فإنك لا تعرف الذى تقوله ولو كنت تحكم علي جان وعفاريت وسحرة وأرهاط وأعوان فإنه لا يقدر أحد أن يتخلص من هذه الأماكن ففز أنت بنفسك سالمًا وخلنى لعل الله يحدث بعد الأمور أموراً فقال لها حسن يا سيدة الملاح أنا ما جئت إلا لأخلصك بهذا القضيب وبهذه الطاقية ثم حكى لها حكايته مع الولدين فبينما هو فى الحديث وإذا بالملكة دخلت عليهما فسمعت حديثهما فلما رأى الملكة لبس الطاقية فقالت لأختها يا فاجرة من الذي كنت تتحدثين معه فقالت لها ومن عندى يكلمنى غير هذه الأطفال فأخذت السوط وصارت تضربها به وحسن واقف ينظر ولم تزل تضربها حتى غشى عليها ثم أمرت بنقلها من ذلك المحل إلي محل آخر فحلوها وخرجوا بها إلى محل غيره وخرج حسن معهم إلى المكان الذى أوصلوها إليه ثم ألقوها مغشيًا عليها ووقفوا ينظرون إليها فلما أفاقت من غشيتها أنشدت هذه الأبيات:

ولقد ندمت علي تفرق شملنا ... ندمًا أفاض الدمع من أجفانى
ونذرت أن عاد الزمان يلمنا ... ما عدت أذكر فرقة بلسانى
وأقول للحساد موتوا حسرةً ... والله أننى قد بلغت أمانى
طفح السرور علىَّ حتى أنه ... من فرط ما قد سرنى ابكانى
يا عين ما بال البكا لك عادة ... تبكين فى فرح وفى أحزان

فلما فرغت من شعرها خرج من عندها الجوارى فعند ذلك قلع حسن الطاقية فقالت له زوجته أنظر يا رجل ما حل بى هذا كله إلا لكونى عصيتك وخالفت أمرك وخرجت من غير أذنك فبالله عليك يا رجل لا تؤاخذنى بذنبى واعلم أن المرأة ما تعرف قيمة الرجل حتى تفارقه وأنا أذنبت واخطأت ولكن استغفر الله العظيم مما وقع منى وإن جمع الله شملنا لا أعصى لك أمراً بعد ذلك أبداً وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الرابعة والعشرون بعد الثمانمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن زوجة حسن أعتذرت إليه وقالت له لا تؤاخذنى بذنبى وأنا أستغفر الله العظيم فقال لها حسن وقد أوجعه قلبه عليها أنت ما أخطأت وما اخطأ إلا أنا لأنى سافرت وخليتك عند من لا يعرف قدرك ولا يعرف لك بقيمة ولا مقدار واعلمى يا حبيبة قلبى وثمرة فؤادى ونور عيني أن الله سبحانه أقدرنى على تخليصك فهل تحبين أن أوصلك إلى ديار أبيك وتستوفى عنده ما قدره الله عليك أو تسافرين إلى بلادنا عن قريب حيث حصل لك الفرج فقالت له ومن يقدر على تخليصى إلا رب السماء فرح بلادك وخل عنك الطمع فإنك لا تعرف أخطار هذه الديار وأن لم تطعنى سوف تنظر ثم أنها أنشدت هذه الأبيات:

علىَّ وعندى ماتريد من الرضى ... فمالك غضباناً علىَّ ومعرضاً
وما قد جرى حاشا الذى كان بيننا ... من الود أن ينسى قديماً وينقض
وما برح الواشى لنا متجنباً ... فلما رأى الاعراض منا تعرض
فإني بحسن الظن منك لواثق ... وإن جهل الواشى وقال وحرض
فكم سراً بيننا ونصونه ... ولوكان سيف العذل باللوم منتضى
أظل نهارى كله متشوقاً ... لعل بشيراً منك يقبل بالرضى

ثم بكت هى وأولادها فسمع الجوارى بكاءهم فدخلن عليم فوجدن الملكة منار السنا تبكي هى وأولادها ولم ينظرن حسنا عندهم فبكى الجوارى رحمة لهم ودعين على الملكة

نور الهدى فصبر حسن إلى أن أقبل الليل وذهب الحرس الموكلون بها إلى مراقدهم ثم بعد ذلك قام وشد وسطه وجاء إلى زوجته وحلها وقبلها وقبل رأسها وضمها إلى صدره وقبل ما بين عينيها وقال لها ما أطول شوقنا إلى ديارنا واجتماع شملنا هناك فهل اجتماعنا هذا في المنام أو في اليقظة ثم أنه حمل ولده الكبير وحملت هي الولد الصغير وخرجا من القصر قد وأسبل عليهما الستر وسارا فلما وصلا إلى خارج القصر وقفا عند الباب الذي يقفل على سراية الملكة فلما صارا هناك رأياه مقفولاً فقال حسن لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم إنا لله وإنا إليه راجعون ثم أنهما يئسا من الخلاص فقال حسن يا مفرج الكروب ودق يدا على يد وقال كل شيء حسبته ونظرت عاقبته إلا هذا فإنه إذا طلع علينا النهار يأخذوننا وكيف تكون الحيلة في هذا الأمر ثم أن حسنًا أنشد هذين البيتين:

حسنت ظنك بالأيام إذ حسنت ... ولم تخف سوء ما يأتي به القدر

وسالمتك الليالي لي فاغتررت بها ... وعند صفو الليالي يحدث الكدر

ثم بكى حسن وبكت زوجته لبكائه ولما هي فيه من الإهانة وآلام الزمان فالتفت حسن إلى زوجته وأنشد هذين البيتين:

يعاندني دهري كأني عدوه ... وفي كل يوم بالكريهة يلقاني

وأن رمت خيراً جاء دهري بضده ... وأن يصف لي يومًا ماتكدر في الثاني

وأنشد أيضًا هذين البيتين:

تنكر لي دهري ولم يدر أنني ... أعز وأن النائبات تهون

وبت يريني الخطب كيف اعتداؤه ... وبات أريه الصبر كيف يكون

فقالت له زوجته والله ما لنا فرج إلا أن نقتل أرواحنا ونستريح من هذا التعب العظيم وإلا نصبح نقاسي العذاب الأليم فبينما هما في الكلام وإذا بقائل يقول من خارج الباب والله ما افتح لك يا سيدتي منار السنا وزوجك حسن إلا أن تطاوعاني فيما أقوله لكما فلما سمعا هذا الكلام منه سكتا وأرادا الرجوع إلى المكان الذي كانا فيه وإذا بقائل يقول مالكما سكتما ولم تردا على الجواب فعرفا صاحب القول وهي العجوز شواهي ذات الدواهي فقالا لها مهما تأمرينا به نعمله ولكن افتحي لنا الباب فإن أولاً هذا الوقت ما هو وقت كلام فقالت له والله ما أفتح لكما حتى تحلفا لي أنكما تأخذاني معكما ولا تتركاني

عند هذه العـاهرة ومهما أصابكمـا أصابنى وإن سلمتمـا سلمت وأن عطبتمـا عطبت فإن هذه الفاجرة المساحقة تحتقرنى وفـى كل ساعة تنكلنى مـن أجلكما وأنت يا بنـتي تعرفين مقدارى فـلما عرفاهـا أطمأنا بها وحـلفا لها بـالأيمان التى تثـق بها فلما حـلفا لها بمـا تثق فتحت لهما الباب وخرجا فلما خرجا وجداها راكبة على زير رومى من فخار أحمر وفى حلق الزيـر حبل من ليف وهو يـتقلب تحتها ويجـرى جريًا أقوى من جرى المهـر النجدى فتقـدمت قدامهمـا وقالت لهمـا أتبعانى ولا تفـزعا من شىء فأنـى أحفظ أربعين بـابًا من السحر أقـل باب منها أجعل بـه هذه المدينة بحرًا عجـاجًا متلاطمًا بالأمـواج وأسحر كل بنت فيها فتصيـر سمكة وكل ذلك أعمله قبل الصبح ولكنـى كنت لا أقدر أن أفعل شيئًا من ذلك الـشر خوفًا مـن الملك أبيهـا ورعاية لأخواتـها لأنهم مسـتعزون بكـثرة الأعوان والأرهاط والخدم ولكـن سوف أريكما عجائـب سحرى فسيرا بـنا على بركة اللـه تعالى وعونـه فعنـد ذلك فـرح حسن هـو وزوجته وأيـقنا بـالخلاص وأدرك شـهرزاد الصـباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الخامسة والعشرون بعد الثمانمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن حسنًا وزوجته والعجوز شواهى لما طلعوا من القصر وأيقنوا بالخلاص خرجوا إلى ظاهر المدينـة فأخذ حسن القضيب بيده وضرب به الأرض وقوّى جـنانه وقـال يا خـدام هذه الأسمـاء احضروا لـى واطلعـونى عـلي إخوانـكم وإذا بالأرض قـد أنشقت وخـرج منهـا عشرة عفـاريت كل عفـريت منـهم رجلاه فى تـخوم الأرض ورأسه فى الـسحاب فقبـلوا الأرض بين يدى حســن ثلاث مرات وقالوا كـلهم بلسان واحد لبيك يا سيدنا والحاكم علينا بأى شىء تأمرنا فنحن لأمرك سامعون ومطيعون أن شئت نيـبس لك البحار وننقـل لك الجبال من أماكنهـا ففرح حسن بكلامهـم وبسرعة جوابهم فشجع قلـبه وقوى جنانه وعزمه وقال لهم من أنتم وما اسمـكم ولمن تنسبون من القبائل ومن أى طائفـة أنتم ومن أى قبيلة ومن أى رهط فقبلوا الأرض ثـانيًا وقالوا بلسان واحد نحن سـبع ملوك كل ملك مـنا يحكم على سبـع قبائل من الجن والشـياطين والمردة فنحـن سبع ملـوك نحكم علـى تسعة وأربـعين قبيـلة من سائر طـوائف الجن والشـياطين والمردة والأرهاط والأعـوان الطيارة والغـواصة وسكان الجبـال والبرارى والقفـار وعمار البحار فـأمرنا بما تريد فـنحن لك خدام وعبـيد وكل من ملك هـذا القضيب ملـك رقابنا

جميعًا ونصير تحت طاعته فلما سمع حسن كلامهم فرح فرحًا عظيمًا وكذلك زوجته والعجوز فعند ذلك قال حسن للجان أريد منكم أن تطلعونى على رهطكم وجندكم وأعوانكم فقالوا يا سيدنا إذا أطلعناك على رهطنا نخاف عليك وعلي من معك لأنهم جنود كثيرة مختلفة الصور والخلق والألوان والوجوه والأبدان فمنا رؤس بلا أبدان ومنا أبدان بلا رؤس ومنا من هو على صفة الوحوش ومنا من هو على صفة السباع ولكن إن شئت ذلك فلابد لنا من أن نعرض عليك أولاً من هو علي صفة الوحوش ولكن يا سيدى ما تريد منا فى هذا الوقت فقال لهم حسن أريد منكم أن تحملونى أنا وزوجتى وهذه المرأة الصالحة فى هذه الساعة إلى مدينة بغداد فلما سمعوا كلامه أطرقوا برؤوسهم فقال لهم حسن لم لا تجيبوا فقالوا بلسان واحد أيها السيد الحاكم علينا أننا من عهد سليمان بن داود عليهما السلام وكان حلفنا أننا لا نحمل أحدًا من بنى آدم على ظهورنا فنحن من ذلك الوقت ما حملنا أحدًا من بنى آدم علي أكتافنا ولا على ظهورنا ولكن نحن فى هذه الساعة نشد لك من خيول الجن ما يبلغك بلادك أنت ومن معك فقال لهم حسن وكم بيننا وبين بغداد فقالوا له مسافة سبع سنين للفارس المجد فتعجب حسن من ذلك وقال لهم كيف جئت أنا إلى هنا فيما دون السنة فقالوا له أنت قد حنن الله عليك قلوب عباده الصالحين ولولا ذلك ما كنت تصل إلى هذه الديار والبلاد ولا تراها بعينك أبدًا لأن الشيخ عبد القدوس الذى أركبك الفيل وأركبك الجواد الميمون قطع بك فى الثلاثة أيام ثلاث سنين للفارس المجد فى السير وأما الشيخ أبو الرويش الذى أعطاك لدهنش فإنه قد قطع بك فى اليوم والليلة مسافة ثلاث سنين وهذا من بركة الله العظيم لأن الشيخ أبى الرويش من ذرية آصف بن برخيا وهو يحفظ اسم الله الأعظم ومن بغداد إلى قصر البنات سنة فهذه هى السبع سنين فلما سمع حسن كلامهم تعجب عجبًا عظيمًا وقال سبحان الله مهون العسير وجابر الكسير ومقرب البعيد ومذل كل جبار عنيد الذى هون علينا كل أمر وأوصلنى إلى هذه الديار وسخر لى هؤلاء العالم وجمع شملى بزوجتى وأولادى فما أدرى هل أنا نائم أو يقظان وهل أنا صاح أو سكران ثم التفت إليهم وقال لهم إذا أركبتمونى خيولكم فى كم يوم تصل بنا إلي بغداد فقالوا تصل بك فيما دون السنة بعد أن تقاسى الأمور الصعاب والشدائد والأهوال وتقطع أودية معطشة وقفار موحشة وبرارى ومهالك كثيرة ولا نأمن عليك يا سيدى من أهل هذه الجزائر وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة السادسة والعشرون بعد الثمانمائة

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجان قالوا لحسن لا نأمن عليك يا سيدى من أهل هذه الجزائر ولا من شر الملك الأكبر ولا من هذه السحرة والكهنة فربما يقهروننا ويأخذونكم منا ونبتلى بهم وكل من بلغه الخبر بعد ذلك يقول لنا أنتم الظالمون كيف قدمتم علي الملك الأكبر وحملتم الأنس من بلاده وحملتم أيضًا ابنته معكم ولو كنت معنا وحدك لهان علينا الأمر ولكن الذي أوصلك هذه الجزائر قادر أن يوصلك إلى بلادك ويجمع شملك بأمك قريبًا غير بعيد فاعزم وتوكل علي الله ولا تخف فنحن بين يديك حتي نوصلك إلى بلادك فشكرهم حسن على ذلك وقال لهم جزاكم الله خيرًا ثم قال لهم عجلوا بالخيل فقالوا سمعًا وطاعة ثم دقوا الأرض بأرجلهم فانشقت فغابوا فيها ساعة ثم حضروا وإذا بهم قد طلعوا ومعهم ثلاثة أفراس مسرجة ملجمة وفى مقدم كل سرج خرج فى احدى عينيه ركوة ملآنة ماء والعين الأخرى ملآنة زادًا ثم قدموا الخيل فركب حسن جوادًا وأخذ ولدا قدامه وركبت زوجته الجواد الثانى وأخذت ولدا قدامها ثم نزلت العجوز من فوق الزير وركبت الجواد الثالث وساروا ولم يزالوا سائرين طوال الليل حتى أصبح الصباح فعرجوا عن الطريق وقصدوا الجبل والسنتهم لا تفتر عن ذكر الله وساروا النهار كله تحت الجبل فبينما هم سائرون إذ نظر حسن إلى جبل قدامه مثل العامود وهو طويل كالدخان المتصاعد إلى السماء فقرأ شيئًا من القرآن وتعوذ بالله من الشيطان الرجيم فصار ذلك السواد يظهر كلما تقربوا منه فلما دنوا منه وجدوه عفريتًا رأسه كالقبة العظيمة وأنيابه كالكلاليب ومنخاره كالأبريق وأذناه كالأدراق وفمه كالمغارة وأسنانه كعواميد الحجارة ويداه كالمدارى ورجلاه كالصوارى ورأسه في السحاب وقدماه فى تخوم الأرض تحت التراب فلما نظر حسن إلي العفريت انحنى وقبل الأرض بين يديه فقال له يا حسن لا تخف منى أنا رئيس عمار هذه الأرض وهذه أول جزيرة من جزائر واق وأنا مسلم موحد بالله وسمعت بكم وعرفت قدومكم ولما أطلعت علي حالكم اشتهيت أن أرحل من بلاد السحرة إلى أرض غيرها تكون خالية من السكان بعيدة من الأنس والجان وأعيش فيها منفردًا وحدى وأعبد الله حتى يدركنى أجلى فأردت أن أرافقكم وأكون دليلكم حتى تخرجوا من هذه الجزائر وأنا ما أظهر إلا بالليل فطيبوا

قلوبكم من جهتي فأنني مسلم مثل ما أنتم مسلمون فلما سمع حسن كلام العفريت فرح فرحًا شديدًا وأيقن بالنجاة ثم التفت إليه وقال له جزاك الله خيرًا فسر معنا على بركة الله فسار العفريت قدامهم وصاروا يتحدثون ويلعبون وقد طابت قلوبهم وانشرحت صدورهم وصار حسن يحكى لزوجته جميع ما جري له وما قاساه ولم يزالوا سائرين طوال الليل وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة السابعة والعشرون بعد الثمانمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أنهم لم يزالوا سائرين طوال الليل إلى الصباح والخيل تسير بهم كالبرق الخاطف فلما طلع النهار مد كل واحد يده فى خرجه وأخرج منه شيئًا وأكله وأخرج ماء وشربه ثم جدوا فى السير ولم يزالوا سائرين والعفريت أمامهم وقد عرج بهم عن الطريق إلى طريق أخري غير مسلوكة على شاطيء البحر ومازالوا يقطعون الأودية والقفار مدة شهر كامل وفي اليوم الحادى والثلاثين طلعت عليهم غبرة سدت الأقطار وأظلم منها النهار فلما نظرها حسن لحقه الاصفرار وقد سمعوا ضجات مزعجة فالتفتت العجوز إلي حسن وقالت له يا ولدى هذه عساكر جزائر واق قد لحقونا وفي هذه الساعة يأخذوننا قبضًا باليد فقال لها حسن ما أصنع يا أمى فقالت له اضرب الأرض بالقضيب ففعل فطلع إليه السبعة ملوك وسلموا عليه وقبلوا الأرض بين يديه وقالوا له لا تخف ولا تحزن ففرح حسن بكلامهم وقال أحسنتم يا سادة الجن والعفاريت هذا وقتكم فقالوا له اطلع أنت وزوجتك وأولادك ومن معك فوق الجبل وخلونا نحن وإياهم لأننا نعرف أنكم على الحق وهم علي الباطل وينصرنا الله عليهم فنزل حسن هو وزوجته وأولاده والعجوز عن ظهور الخيل وصرفوا الخيل وطلعوا علي طرف الجبل وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الثامنة والعشرون بعد الثمانمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن حسنًا صعد هو وزوجته وأولاده والعجوز على طرف الجبل بعد أن صرفوا الخيل ثم بعد ذلك أقبلت الملكة نور الهدى بعساكر ميمنة وميسرة ودارت عليهم النقباء وصفوهم جملة جملة وقد التقي العسكران وتصادم

الجمعان والتهبت النيران وأقدمت الشجعان وفر الجبان ورمت الجن من أفواهها لهيب الشرر إلى أن أقبل الليل المعتكر فافترق الجمعان وانفصل الفريقان ولما نزلوا عن خيولهم واستقروا على الأرض أشعلوا النيران وطلع السبعة ملوك إلي حسن وقبلوا الأرض بين يديه فأقبل عليهم وشكرهم ودعا لهم بالنصر وسألهم عن حالهم مع عسكر الملكة نور الهدى فقالوا له أنهم لا يثبتون معنا غير ثلاثة أيام فنحن كنا اليوم الأول ظافرين بهم وقد قبضنا منهم مقدار ألفين وقتلنا منهم خلقًا كثيرًا لا يحصى عددهم فطب نفسًا وانشرح صدرًا ثم أنهم ودعوه ونزلوا إلى عسكرهم يحرسونه ومازالوا يشعلون النيران إلي أن طلع الصباح وأضاء بنوره ولاح فركبت الفرسان الخيل القراح وتضاربوا بمرهفات الصفاح وتطاعنوا بسمر الرماح وباتوا على ظهور الخيل وهم يلتطمون التطام البحار واستعر بينهم فى الحرب لهيب النار ولم يزالوا فى نضال وسباق حتى انهزمت عساكر واق وانكسرت شوكتهم وانحطت همتهم وزلت أقدامهم وأينما هربوا فالهزيمة قدامهم فولوا الأدبار وركنوا إلى الفرار وقتل أكثرهم وأسرت الملكة نور الهدى هى وكبار مملكتها وخواصها فلما أصبح الصباح حضر الملوك السبعة بين يدى حسن ونصبوا له سريرًا من المرمر مصفحًا بالدر والجوهر فجلس فوقه ونصبوا عنده سريرًا آخر للسيدة منار السنا زوجته وذلك السرير من العاج المصفح الوهاج ونصبوا جنبه سريرا آخر للعجوز شواهى ذات الدواهى ثم أنهم قدموا الأسارى بين يدى حسن ومن جملتهم الملكة نور الهدى وهى مكتفة اليدين مقيدة الرجلين فلما رأتها العجوز قالت لها جزاؤك يا فاجرة يا ظالمة إلا من يجوع كلبتين ويربطهما معك فى أذناب الخيل ويسوقهما إلى البحر حتى يتمزق جلدك وبعد ذلك يقطع من لحمك ويطعمك كيف فعلت بأختك هذه الفعال يا فاجرة مع أنها تزوجت فى الحلال بسنة الله ورسوله لأنه لا رهبانية فى الإسلام والزواج من سنن المرسلين عليهم السلام وما خلقت النساء إلا للرجال فعند ذلك أمر حسن بقتل الأسارى جميعها فصاحت العجوز وقالت اقتلوهم ولا تبقوا منهم أحدًا فلما رأت الملكة منار السنا أختها فى هذه الحالة وهى مقيدة مأسورة بكت عليها وقالت لها يا أختى ومن هذا الذى أسرنا فى بلادنا وغلبنا فقالت لها هذا أمر عظيم أن هذا الرجل الذى اسمه حسن قد ملكنا وحكمه الله فينا وفى سائر ملكنا وتغلب علينا وعلي ملوك الجن فقالت لها أختها أنه ما نصره الله عليكم ولا قهركم ولا أسركم إلا بهذه الطاقية

والقضيب فتحققت أختها ذلك وعرفت أنه خلصها بهذا السبب فتضرعت لأختها حتي حن قلبها عليها ثم قالت لزوجها حسن ما تريد أن تفعل بأختى فها هى بين يديك وهى ما فعلت مكروهًا حتى تؤاخذها به فقال لها كفى تعذيبها إياك مكروهًا فقالت له كل مكروه فعلته معى كانت كانت معذورة فيه وأما أنت فإنك قد أحرقت قلب أبى بفقدى فكيف يكون حاله بعد أختى فقال لها حسن الرأى رأيك مهما أردته فافعليه فعند ذلك أمرت الملكة منار السنا بحل الاسارى جميعهم فحلوهم لأجل أختها وكذلك أختها وبعد ذلك أقبلت على أختها وعانقتها وصارت تبكى هى وإياها ولم يزالا كذلك ساعة زمانية ثم قالت الملكة نور الهدى لأختها يا أختي لا تؤاخذينى بما فعلته معك فقالت لها السيدة منار السنا يا أختى أن هذا كان مقدراً علىّ ثم جلست هي وأختها على السرير يتحدثان وبعد ذلك أصلحت منار السنا بين العجوز وبين أختها على أحسن ما يكون وطابت قلوبهم ثم أن حسنًا صرف العسكر الذين كانوا فى خدمة القضيب وشكرهمع على ما فعلوه من نصره علي أعدائه ثم أن السيدة منار السنا حكت لأختها جميع ما جرى لها مع زوجها حسن وجميع ما جرى له وما قاساه من أجلها وقالت لها يا أختى من كانت هذه الأفعال فعاله وهذه القوة قوته وقد أيده الله تعالى بشدة البأس حتي دخل بلادنا وأخذك وأسرك وهزم عسكرك وقهر أباك الملك الأكبر الذى يحكم ملوك الجن يجب أن لا يفرط فى حقه فقالت لها أختها والله يا أختى لقد صدقت فيما أخبرتني به من العجائب التي قاساها هذا الرجل وهل كل هذا من أجلك يا أختى وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة التاسعة والعشرون بعد الثمانمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن السيدة منار السنا لما أخبرت أختها بأوصاف حسن قالت لها والله أن هذا الرجل ما يفرط فيه خصوصًا بسبب مروءته وهل كل هذا من أجلك قالت نعم ثم أنهم باتوا يتحدثون إلى الصباح فلما طلعت الشمس أراد الرحيل فودع بعضهم بعضًا وودعت منار السنا العجوز بعدما أصلحت بينها وبين أختها نور الهدى فعند ذلك ضرب حسن الأرض بالقضيب فطلع له خدامه وسلموا عليه وقالوا له الحمد لله على هدو سرك فأمرنا بما تريد حتى نعمله لك فى أسرع من لمح البصر

فشكرهم على قولهم وقال لهم جزاكم الله خيراً ثم أنهم قال لهم شدوا لنا جوادين من أحسن الخيل ففعلوا ما أمرهم به في الوقت وقدموا له جوادين مسرجين فركب حسن جواداً منهما وأخذ ولده الكبير قدامه وركبت زوجته الجواد الآخر وأخذت ولدها الصغير قدامها وركبت الملكة نور الهدى هي والعجوز وتوجه الجميع إلى بلادهم فسار حسن هو وزوجته يميناً وسارت الملكة نور الهدى هي والعجوز شمالاً ولم يزل حسن سائراً هو وزوجته وأولاده مدة شهر كامل وبعد الشهر أشرفوا على مدينة فوجدوا حولها ثماراً وأنهار فلما وصلوا إلى تلك الأشجار نزلوا عن ظهور الخيل وأرادوا الراحة ثم جلسوا يتحدثون وإذا هم بخيول كثيرة قد أقبلت عليهم فلما رآهم حسن قام على رجليه وتلقاهم وإذا هم الملك حسون صاحب أرض الكافور وقلعة الطيور فعند ذلك تقدم حسن إلى الملك وقبل يديه وسلم عليه ولما رآه الملك ترجل عن ظهر جواده وجلس هو وحسن على الفرش تحت الأشجار بعد أن سلم على حسن وهناه بالسلامة وفرح به فرحاً شديداً وقال له يا حسن أخبرني بما جري لك من أوله إلى آخره فأخبره حسن بجميع ذلك فتعجب منه الملك حسون وقال له يا ولدي ما وصل أحد إلى جزائر واق ورجع منها أبداً إلا أنت فأمرك عجيب ولكن الحمد لله على السلامة بعد ذلك قام الملك وركب وأمر حسناً أن يركب ويسير معه ففعل ولم يزالوا سائرين إلى أن أتوا إلى المدينة فدخلوا دار الملك فنزل الملك حسون ونزل حسن هو وزوجته وأولاده في دار الضيافة فلما نزلوا أقاموا عنده ثلاثة أيام في أكل وشرب ولعب وطرب ثم بعد ذلك أستأذن حسن الملك حسون في السفر إلي بلاده فأذن له فركب هو وزوجته وأولاده وركب الملك معهم وساروا عشرة أيام فلما أراد الملك الرجوع ودع حسناً وسار حسن هو وزوجته وأولاده ولم يزالوا سائرين مدة شهر كامل فلما كان بعد الشهر أشرفوا على مغارة كبيرة أرضها من النحاس الأصفر فقال حسن لزوجته انظري هذه المغارة هل تعرفينها قالت نعم قال أن فيها شيخاً يسمى أبو الرويش وله علي فضل كبير لأنه هو الذي كان سبباً في المعرفة بيني وبين الملك حسون وصار يحدث زوجته بخبر أبي الرويش وإذا بالشيخ أبي الرويش قد خرج من باب المغارة فلما رآه حسن نزل عن جواده وقبل يديه فسلم عليه الشيخ أبو الرويش وهناه بالسلامة وفرح به وأخذه ودخل به المغارة وجلس هو وإياه وصار يحدث الشيخ أبا الرويش بما جرى له في جزائر واق فتعجب الشيخ أبو الرويش غاية العجب

وقال يا حسن كـيف خلصت زوجتك وأولادك فحكى لـه حكاية القضيب والطاقـية فلما سمع الشيخ أبو الرويـش تلك الحكاية تعجب وقال يا حسن يا ولـدى لولا هذا القضيب وهذه الطاقية ما كنـت خلصت ز وجتك وأولادك فقال له حسن نعم يا سيـدى فبينما هما فى الكلام وإذا بـطارق يطرق باب المغـارة فخرج الشيخ أبـو الرويش وفتح البـاب فوجد الشيخ عبد القدوس قد أتى وهو راكب فوق الفيـل فتقدم الشيخ أبو الرويش وسلم عليه وأعتنقـه وفرح به فرحًا عظيمًـا وهناه بالسلامة وبـعد ذلك قال الشيخ أبو الـرويش لحسن أحك للشيخ عبد القدوس جميع ما جرى لك يا حـسن فشرع حسن يحكى للشيخ جميع ما جرى له من أوله إلـى آخره إلى أن وصل إلى حكاية القضيـب وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الموفية للثلاثين بعد الثمانمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن حسنًـا شرع يحكى للشيخ عبد القدوس والشيخ أبى الرويش وهم فى المغـارة يتحدثون جميع ما جرى له من أولـه إلى آخره إلى أن وصل إلى حكاية القضيب والـطاقية فقال الشيخ عبد القدوس لحسن يا ولـدى أما أنت فقد خلصت زوجتك وأولادك ولم يـبق لك حاجة بهـما وأما نحن فإننـا كنا السبب فـى وصولك إلى جزائر واق وقد عملت معك الجميل لأجل بنات أخى وأنا أسألك من فضلك وإحسانك أن تعطينى القضيـب وتعطى الشيخ أبا الرويش الطاقية فلما سمـع حسن كلام الشيخ عبد القدوس أطرق رأسه إلى الأرض واستحى أن يقول ما أعطـيهما لكما ثم قال فى نفسه أن هذين الشـيخين قد فعلا مـعى جميلاً عظـيمًا وهما اللـذان كانا السبب فـى وصولى إلى جزائـر واق ولولاهما مـا وصلت إلـى هذه الأماكـن ولا خلصت زوجـتى وأولادى ولا خلصت هـذا القضيب وهذه الطاقـية ثم رفع رأسه وقال نعم أنـا أعطيهما لكمـا ولكن يا سادتى أنى أخـاف من الملك الأكبر والد زوجتـى أن يأتينى بعسـاكر إلى بلادنا فيقاتـلوننى ولا أقدر على دفعهما إلا بالقضيب والطاقـية فقال الشيخ عبد القدوس لحسن يا ولدى لا تخف فـنحن نبقـى لك جاسوسًا وردأ فـى هذا الموضع وكل مـن أتي إليك من عـند والد زوجتك ندفعه عنك ولا تـخف من شىء أصلا جملة كافية فطب نفـسًا وقر عينًا وانشرح صدراً ما عليك بأس فلما سمع حسن كلام الشيخ أخذه الحياء وأعطى الطاقية للشيخ أبي الرويش وقـال للشيخ عبد القدوس اصـحبنى إلـى بلادى وأنا أعطيـك القضيـب ففرح

الشيخان بذلك فرحًا شديدًا وجهز لحسن من الأموال والذخائر ما يعجز عنه الوصف ثم أقام عندهما ثلاثة أيام وبعد ذلك طلب السفر فتجهز الشيخ عبد القدوس للسفر فلما ركب حسن دابة وأركب زوجته دابة صفر الشيخ عبد القدوس وإذا بفيل عظيم قد أقبل يهرول بيديه ورجليه من صدر البرية فأخذ الشيخ عبد القدوس وركبه وسار هو وحسن وزوجته وأولاده وأما الشيخ أبو الرويش فإنه دخل المغارة ومازال حسن وزوجته وأولاده والشيخ عبد القدوس سائرين يقطعون الأرض بالطول والعرض والشيخ عبد القدوس يدلهم على الطريق السهلة والمنافذ القريبة حتى قربوا من الديار وفرح حسن بقربه من ديار والدته ورجوع زوجته وأولاده إليه وحيث وصل حسن إلى تلك الديار بعد هذه الأهوال الصعبة حمد الله تعالى على ذلك وشكره علي نعمته وفضله وأنشد هذه الأبيات:

لعل الله يجمعنا قريبًا فنصبح في مكانفة العناق
وأخبركم بأعجب ما جرى إلى وما لاقيت من ألم الفراق
واشفى مقلتى نظرًا إليكم فإن القلب أصبح في اشتياق
خبأت لكم حديثًا في فؤادى لأخبركم به عند التلاقي
أعاتبكم على ما كان منكم عتابًا ينقضي والود باق

فلما فرغ حسن من شعره نظر وإذا هم قد لاحت لهم القبة الخضراء والفسقية والقصر الأخضر ولاح لهم جبل السحاب من بعيد فقال لهم الشيخ عبد القدوس يا حسن أبشر بالخير فأنت الليلة ضيف عند بنات أخي ففرح حسن بذلك فرحًا شديدًا وكذلك زوجته ثم أنهم نزلوا عند القبة واستراحوا وأكلوا وشربوا ثم ركبوا وساروا حتى قربوا من القصر فلما أشرفوا عليه خرجت لهم بنات الشيخ عبد القدوس وتلقينهم وسلمن عليهم وعلى عمهم وسلم عليهم عمهم وقال لهم يا بنات أخي ها أنا قد قضيت حاجة أخيكم حسن وساعدته على خلاص زوجته وأولاده فتقدم إليه البنات وعانقنه وفرحن به وهنينه بالسلامة والعافية وجمع الشمل بزوجته وأولاده وكان عندهن يوم عيد ثم تقدمت أخت حسن الصغيرة وعانقته وبكت بكاء شديدًا وكذلك حسن بكى معها على طول الوحشة ثم شكت له ما تجده من ألم الفراق وتعب سرها وما قاسته من فراق وانشدت هذين البيتين:

وما نظرت من بعد بعدك مقلتى إلى أحد إلا وشخصك ماثل
وماغمضت إلا رأيتك فى الكرى كأنك بين الجفن والعين نازل

فلما فرغت من شعرها فرحت فرحًا شديداً فقال لها حسن يا أختي أنا ما أشكر أحدا في هذا الأمر إلا أنت من دون سائر الأخوات فالله تعالى يكون لك بالعون والعناية ثم أنه حدثها بجميع ما جرى له في سفره من أوله إلى آخره وما قاساه وما اتفق له مع أخت زوجته وكيف خلص زوجته وأولاده وحدثها أيضًا بما رآه من العجائب والأهوال الصعاب حتى أن أختها كانت أرادت أن تذبحه وتذبحها وتذبح أولادها وما سلمهم منها إلا الله تعالى ثم حكى لها حكاية القضيب والطاقية وأن والشيخ أبا الرويش والشيخ عبد القدوس طلباهما منه وأنه أعطاهما لهما إلا من شأنها فشكرته على ذلك ودعت له بطول البقاء فقال والله ما أنسى كل ما فعلته معي من الخير من أول الأمر إلى آخره وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الحادية والثلاثون بعد الثمانمائة

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن حسنًا لما اجتمع بالبنات حكى لأخته جميع ما قاساه وقال لها أنا ما أنسى الذي فعلته معي من أول الزمان إلى آخره فالتفتت أخته إلى زوجته منار السنا وعانقتها وضمت أولادها إلى صدرها ثم قالت لها يابنت الملك الأكبر أما في قلبك رحمة حتى فرقت بينه وبين أولاده وحرقت قلبه عليهم فهل كنت تريدين بهذا الفعل أن يموت فضحكت وقالت بهذا حكم الله سبحانه وتعالى ومن خادع الناس خدعه الله ثم أحضروا شيئًا من الأكل والشرب وأكلوا جميعًا وشربوا وانشرحوا ثم أنه أقام عندهم عشرة أيام في أكل وشرب وفرح وسرور ثم بعد العشرة أيام تجهز حسن للسفر فقامت أخته وجهزت له من المال والتحف ما يعجز عنه الوصف ثم ضمته إلى صدرها لأجل الوداع وعانقته فأشار إليها حسن وأنشد هذه الأبيات:

ما سلوة العشاق إلا بعيد ... وما فراق الحب إلا شديد
وما الجفا والبعد إلا عنى ... وما قتيل الحب إلا شهيد
ما أطول الليل على عاشق ... قد فارق الخل وامسى فريد
دموعه تجرى على خده ... يقول يا للدمع هل من مزيد

ثم أن حسنًا أعطي الشيخ عبد القدوس القضيب ففرح به فرحًا شديداً وشكر حسنًا على ذلك وبعد أن أخذه منه ركب ورجع إلى محله ثم ركب حسن وزوجته وأولاده من

قصر البنات ثم خرجوا معه يودعونه وبعد ذلك رجعوا ثم توجه حسن إلى بلاده فسار فى البر الأقفر مدة شهرين وعشرة أيام حتى وصل إلى مدينة بغداد دار السلام فجاء إلى داره من باب السر الذي يفتح إلى جهة الصحراء والبرية وطرق الباب وكانت والدته من طول غيبته هجرت المنام ولزمت الحزن والبكاء والعويل حتى مرضت وصارت لم تأكل طعامًا ولم تلتذ بمنام بل تبكى فى الليل والنهار ولا تفتر عن ذكر ولدها وقد يئست من رجوعه إليها فلما وقف على الباب سمعها تبكي وتنشد هذه الأبيات:

بالله يا سادتى طبوا مريضكم   فجسمه ناحل والقلب مكسور

فإن سمحتم بوصل منكم كرماً   فالصب من نعم الأحباب مغمور

لا يأس من قربكم فالله مقتدر   فبينما العسر إذ دارت مياسير

فلما فرغت من شعرها سمعت ولدها حسنًا ينادى على الباب يا أماه أن الأيام قد سمحت بجمع الشمل فلما سمعت كلامه عرفته فجاءت إلى الباب وهى ما بين مصدق ومكذب فلما فتحت الباب رأت ولدها واقفًا هو وزوجته وأولاده معه فصاحت من شدة الفرح ووقعت فى الأرض مغشيًا عليها فمازال حسن يلاطفها حتى أفاقت وعانقته ثم بكت وبعد ذلك نادت غلمانه وعبيده وامرتهم أن يدخلوا جميع ما معه فى الدار فأدخلوا الأحمال فى الدار ثم دخلت زوجته وأولاده فقامت لها أمه وعانقتها وقبلت رأسها وقبلت قدميها وقالت لها يا ابنة الملك الأكبر إن كنت اخطأت فى حقك فها أنا أستغفر الله العظيم ثم التفتت إلى ابنها وقالت له يا ولدى ما سبب هذه الغيبة الطويلة فلما سألته عن ذلك أخبرها بجميع ما جرى له من أوله إلى آخره فلما سمعت كلامه صرخت صرخة عظيمة ووقعت فى الأرض مغشيًا عليها من ذكر ما جرى لولدها فلم يزل يلاطفها حتي أفاقت وقالت له يا ولدى والله لقد فرطت فى القضيب والطاقية فلو كنت احتفظت عليهما وأبقيتهما لكنت ملكت الأرض بطولها وعرضها ولكن الحمد لله يا ولدى على سلامتك أنت وزوجتك وأولادك وباتوا فى أهنى ليلة وأطيبها فلما أصبح الصباح غير ما عليه من الثياب ولبس بدلة من أحسن القماش ثم خرج إلى السوق وصار يشترى العبيد والجوارى والقماش والشيء النفيس من الحلى والحلل والفراش ومن

الأواني المثمنة التي لا يوجد مثلها عند الملوك ثم اشترى الدور والبساتين والعقارات وغير ذلك ثم أنه أقام هو وأولاده وزوجته ووالدته في أكل وشرب ولذة ولم يزالوا في أرغد عيش وأهناه حتى آتاهم هادم اللذات ومفرق الجماعات فسبحان ذي الملك والملكوت وهو الحي الباقي الذي لا يموت.

ومما يحكى أيضًا أنه كان في قديم الزمان وسالف العصر والأوان بمدينة بغداد رجل صياد يسمى خليفة وكان ذلك الرجل فقير الحال صعلوكًا لم يتزوج في عمره قط فاتفق له يومًا من الأيام أنه أخذ شبكته ومضى بها إلي البحر مثل عادته ليصطاد قبل الصيادين فلما وصل إلي البحر تحزم وتشمر ثم تقدم إلى البحر ونشر شبكته ورماها أول مرة وثاني مرة فلم يطلع فيها شيء ولم يزل يرميها إلى ان رماها عشر مرات فلم يطلع منها شيء أبدًا فضاق صدره وتحير فكره في أمره وقال أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ماشاء الله كان وما لم يشأ يكن الرزق علي الله عز وجل وإذا أعطى الله عبدًا لا يمنعه أحد وإذا منع عبدًا لا يعطيه أحد ثم أنه من كثرة ما حصل له من الغم أنشد هذين البيتين:

إذا رماك الدهر منه بنكبة ... فهيء لها صبرًا وأوسع لها صدرًا
فإن إله العالمين بجوده ... سيعقب بعد العسر من فضله يسرًا

ثم جلس ساعة يتفكر في أمره وهو مطرق برأسه إلى الأرض وبعد ذلك أنشد هذه الأبيات:

اصبر على حلو الزمان ومره ... واعلم بأن الله بالغ أمره
فلرب ليل في الهموم كدمل ... عالجته حتى ظفرت بفجره
ولقد تمر الحادثات على الفتى ... وتزول حتى لا تعود لفكره

ثم قال في نفسه ارمي هذه المرة الأخرى وأتوكل علي الله لعله لا يخيب رجائي ثم أنه تقدم ورمى الشبكة على طول باعه في البحر وطوى حبلها وصبر عليها ساعة زمانية ثم بعد ذلك سحبها فوجدها ثقيلة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الثانية والثلاثون بعد الثمانمائة

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن خليفة الصياد لما رمى شبكته فى البحر مراراً ولم يطلع له فيها شيء تفكر فى نفسه وأنشد الأبيات السابقة ثم قال فى نفسه أرمى هذه المرة الأخرى وأتوكل على الله لعله لا يخيب رجائى فقام ورمى الشبكة وصبر عليها ساعة زمانية ثم سحبها فوجدها ثقيلة فلما عرف أنها ثقيلة مارسها بلطف وسحبها حتى طلعت إلى البر وإذا فيها قرداً أعور أعرج فلما رآه خليفة قال لا حول ولا قوة إلا بالله أنا لله وإنا إليه راجعون أى شيء هذا البخت المنحوس والطالع المنحوس ما الذى حصل لى فى هذا النهار المبارك ولكن هذا كله بتقادير الله تعالى ثم أنه أخذ القرد وربطه فى حبل وتقدم إلى شجرة طالعة على ساحل البحر وربط فيها القرد وكان معه سوط فأخذه فى يده ورفعه فى الهواء وأراد أن ينزل به على القرد فأنطق الله هذا القرد بلسان فصيح وقال له يا خليفة أمسك يدك ولا تضربنى وخلنى مربوطاً فى هذه الشجرة ورح إلى البحر وارم شبكتك وتوكل على الله فإنه يأتيك برزقك فلما سمع خليفة كلام القرد أخذ شبكته وتقدم إلى البحر ورماها وأرخى لها الحبل ثم سحبها فوجدها أثقل من المرة الأولى فلم يزل يعالج فيها حتي طلعت إلى البر وإذا فيها قرد آخر مفلج الثنايا مكحل العينين مخضب اليدين وهو يضحك وفى وسطه ثوب خلق فقال خليفة الحمد لله الذى أبدل سمك البحر بقرود ثم أتى إلى ذلك القرد المربوط في الشجرة وقال له أنظر يا مشئوم ما أقبح ما أشرت به عليّ فما أوقعني فى القرد الثاني إلا أنت لما صبحتني بعرجك وعورك أصبحت غلباناً تعباناً لا أملك درهماً ولا ديناراً ثم أنه أخذ مسوقه فى يده ولفها فى الهواء ثلاث مرات وأراد أن ينزل بها على القرد فاستغاث منه وقال له سألتك بالله أن تعفو عنى لأجل صاحبى هذا وأطلب منه حاجتك فإنه يدلك علي ما تريد فرمى خليفة المسوقة وعفا عنه ثم أتى إلى القرد الثانى ووقف عنده فقال له القرد يا خليفة هذا الكلام ما يفيدك شيئاً إلا إذا سمعت مني ما أقوله لك فإن سمعت منى وطاوعتنى ولم تخالفنى كنت أنا السبب فى غناك فقال له خليفة ما الذى تقوله لى حتى أطيعك فيه فقال له خلنى مربوطاً مكانى ورح إلى البحر وارمى شبكتك حتى أقول لك أى شيء تفعله بعد هذا فأخذ خليفة الشبكة ومضى إلي البحر ورماها وصبر عليها ساعة ثم سحبها فوجدها ثقيلة فمازال يعالج فيها حتى طلعها إلي البر وإذا فيها قرد آخر إلا أن هذا القرد أحمر وفى وسطه ثياب زرق وهو مخضب اليدين والرجلين مكحل العينين فلما نظره خليفة قال

سبحان الله العظيم سبحان مالك الملك أن هذا اليوم مبارك من أوله إلى آخره لأن طالعه سعيد بوجوه القرد الأول والصحيفة تظهر من عنوانها فهذا اليوم يوم قرود ولم يبق فى البحر ولا سمكة ونحن ما خرجنا اليوم إلا لنصطاد القرود الحمد لله الذى بدل السمك بقرود ثم التفت إلى القرد الثالث وقال له أى شيء تكون أنت الآخر يا مشئوم فقال له هل أنت لا تعرفنى يا خليفة قال لا قال أنا قرد أبى السعادات اليهودى الصيرفى فقال له خليفة وأى شيء تصنع له فقال له أصحبه من أول النهار فيكسب خمسة دنانير وامسيه فى المساء فيكسب خمسة دنانير فالتفت خليفة إلى القرد الأول وقال له أنظر يا مشئوم ما أحسن قرود الناس وأما انت فتصبحنى بعرجك وعورك وشؤم طلعتك فاصير فقيراً مفلسًا جائعًا ثم أنه أخذ المسوقة ولفها فى الهواء ثلاث مرات وأراد أن ينزل بها عليه فقال له قرد أبى السعادات اتركه يا خليفة وارفع يدك وتعال عندى حتى أقول لك أى شيء تعمل فرمى خليفة المسوقة من يده وتقدم إليه وقال له علي أى شيء تقول لى يا سيد القرود كلها فقال له خذ الشبكة وارمها فى البحر وخلنى أنا وهؤلاء القرود قاعدين عندك ومهما طلع لك فيها فهاته وتعال عندى وأنا أخبرك بما يسرك وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الثالثة والثلاثون بعد الثمانمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن قرد أبي السعادات لما قال لخليفة خذ شبكتك وارمها في البحر وكل شيء طلع لك فيها هاته وتعالي عندى حتى أخبرك بما يسرك قال له خليفة سمعًا وطاعة ثم أنه أخذ الشبكة وطواها على كتفه وأنشد هذه الأبيات:

إذا ضاق صدرى استعين بخالقى ... قدير علي تيسير كل عسير
فقبل ارتداد الطرف من لطف ربنا ... فكاك أسير وانجبار كسير
فسلم إلى الله الأمور جميعها ... فأفضاله يدريه كل بصير

ثم أنشد هذين البيتين:

أنت الذى قد رميت الناس فى تعب ... تنفى الهموم وأسباب البليات
لا تطمعنى بشيء لست أدركه ... كم طامع فات تحصيل الإرادات

فلما فرغ خليفة من شعره تقدم إلى البحر ورمى فيه الشبكة وصبر عليها ساعة ثم سحبها وإذا فيها حوت سمك كبير الرأس وذنبه كأنه مغرفة وعيناه كأنهما ديناران فلما رآه خليفة فرح به لأنه ما اصطاد نظيره فى عمره فأخذه وهو متعجب منه وأتى به إلى قرد أبى السعادات اليهودى وهو كأنه قد ملك الدنيا بحذافيرها فقال له ما تريد أن تصنع بهذا يا خليفة وأى شىء تعمل فى قردك فقال له خليفة أنا أخبرك يا سيد القرود كلها بما أفعله أعلم أنى قبل كل شىء أتدبر فى هلاك هذا الملعون قردى واتخذك عوضًا عنه واطعمك فى كل يوم ما تشتهيه فقال له القرد حيث أنك قد اخترتنى فأنا أقول لك كيف تفعل أنت ويكون فيه صلاح حالك إن شاء الله تعالى فافهم ما أقوله لك وهو أن تهيىء لى أنا الآخر حبلاً وتربطنى به فى شجرة ثم تتركنى وتذهب إلى وسط الرصيف وتطرح شبكتك فى بحر الدجلة وإذا طرحتها فاصبر عليها قليلاً واسحبها فإنك تجد فيها سمكة ما رأيت أظرف منها طوال عمرك فهاتها وتعال عندى وأنا أقول لك كيف تفعل بعد ذلك فعند ذلك قام خليفة من وقته وساعته وطرح الشبكة فى بحر الدجلة وسحبها فرأى فيها سمكة بياض قدر الخروف ما رأى مثلها فى طول عمره وهى أكبر من الحوت الأول فأخذها وذهب بها إلي القرد فقال له القرد هات لك قدراً من الحشيش الأخضر واجعل نصفه فى قفة وحط السمكة عليها وغطها بالنصف الآخر واتركنا مربوطين ثم احمل القفة على كتفك وادخل بها فى مدينة بغداد وكل من كلمك وسألك فلا ترد عليه جوابًا حتى تدخل سوق الصيارف فتجد فى صدر السوق دكان المعلم أبى السعادات اليهودى شيخ الصيارف وتراه قاعداً على مرتبة ووراءه مخدة وبين يديه صندوقان واحد للذهب والآخر للفضة وعنده مماليك وعبيد وغلمان فتقدم إليه وحط القفة قدامه وقل له يا أبا السعادات أنى قد خرجت اليوم إلي الصيد وطرحت الشبكة علي اسمك فبعث الله تعالي هذه السمكة فيقول هل أريتها لغيرى فقل له لا والله فيأخذها منك ويعطيك دينار فرده عليه فيعطيك دينارين فردهما عليه وكلما يعطيك شيئًا رده عليه ولو أعطاك وزنها ذهبًا فلا تأخذ منه شيئًا فيقول لك قل لى ما تريد فقل له والله ما أبيعها إلا بكلمتين فإذا قال لك وما هما الكلمتان فقل له قم علي رجليك وقل اشهدوا يا من حضر فى السوق أنى أبدلت قرد خليفة الصياد بقردى وأبدلت قسمه بقسمى وبخته ببختي وهذا ثمنها وما لى حاجة بالذهب فإذا فعل معك ذلك فأنا كل يوم أصبحك وأمسيك وتبقى كل يوم تكسب عشرة دنانير ذهبًا ويصير أبو السعادات اليهودى بصحبة قرده هذا الأعور الأعرج فيبليه الله كل يوم بغرامة يغرمها ولا يزال كذلك حتي يفتقر ويصير لا يملك شيئًا أبدًا

فاسمع منى ما أقوله لـك تسعد وترشد فلما سمع خليفة الصيـاد كلام القرد قال له قبلت ما أشرت به عليّ يا مـلك القرود كلها وأما هذا المشئوم لا بـارك الله فيه فأنى لا أدرى أى شيء أعمل مـعه فقال له سيبه فـى الماء وسيبنى أنا الآخـر فقال سمعًا وطاعة ثـم تقدم إلي القرود وحلها وتركها فنزلت فى البحر وتقدم خليفة إلي السمكة وأخذها وغسلها وجعل تحتها حـشيشًا أخضر فى المـقطف وغطاها بحـشيش أيضًا وحملـها على كتفه وسـار يغنى بهذا الموال:

سلم أمورك إلـى رب السمـا تسـلم   وافعل جميلاً بطول عمرك ولاتندم
ولا تعـاشـر لاربــاب التهــم تتهــم   وصن لسانك ولا تشتم بـه تشتم

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الرابعة والثلاثون بعد الثمانمائة

قالت بلـغنى أيها الملك الـسعيد أن خليفـة الصياد لما فرغ من مـغانيه حمل القـفة على كتفـه وسار ولم يزل سـائرًا إلى أن دخل مديـنة بغداد فـلما دخلهـا عرفه النـاس فصاروا يصيحون عليه ويقولون أى شيء معك يا خليفة وهو لا يلتفت إلى أحد منهم حتى وصل إلي سوق الـصيارف وفات الـدكاكين كما أوصـاه القرد ثم نظـر إلى ذلك اليـهودى فرآه جالسًا فى الدكان والغـلمان فى خدمته وهو كأنه ملك من ملوك خراسـان فلما رآه خليفة عرفه فمشى حتى وقف بين يديه فرفع اليهـودى رأسه فعرفه وقال له أهلا بك يا خليفة ما حاجتك ومـا الذى تريد فإن كان أحد كلـمك أو خاصمك قل لى حتـى أروح معك إلى الوالى فيـأخذ لك حقك منه فـقال لا وحياة رأسك يا قيم الـيهود ما كلمنـى أحد وإنما أنا سرحـت اليوم من بـيتي علـى بختك ومـضيت إلـى البحر ورمـيت شبكـتى فى الدجـلة فطلعـت هذه السمكة ثم فتـح المقطف ورمى السمكـة قدام اليهودى فلما رآهـا اليهودى استحسنها وقال وحـق التوراة والشعر والكلمات أنى كنت نائما الـبارحة فرأيت في المنام كأنى بـين يدى العذراء وهى تـقول لى أعلم يـا أبا السعـادات أنى قد أرسلت لـك هدية مليحة فلعل الهدية هذه السمكة من غير شك ثم إنه التفت إلى خليفة وقال له بحق دينك هل رآها أحد غيـرى فقال له خليفة لا والله وحـق أبى بكر الصديق يا قيم الـيهود ما رآها أحد غيرك فالتـفت اليهودى إلى بعض غلمـانه وقال له تعالى خذ هذه الـسمكة ورح بها

إلي البيت وخل سعادة تجهزها وتقلى وتشوى إلى حين اقضى شغلى واجيء فقال له خليفة أيضا رح يا غلام خل امرأة المعلم تقلى منها وتشوى منها فقال الغلام سمعًا وطاعة يا سيدى ثم أنه أخذ السمكة، وذهب بها إلى البيت وأما اليهودى فإنه مد يده بدينار وناوله لخليفة الصياد وقال له خذ هذا لك يا خليفة واصرفه على عيالك فلما نظره خليفة فى كفه قال سبحان مالك الملك وكأنه ما نظر شيئًا من الذهب فى عمره وأخذ الدينار ومشى قليلاً ثم أنه تذكر وصية القرد فرجع ورمى له الدينار وقال له خذ ذهبك وهات سمك الناس هل أنت عندك الناس سخرية فلما سمع اليهودى كلامه ظن أنه يلعب معه فناوله دينارين على الدينار الأول فقال له خليفة هات السمك بلا لعب أنت تعرف أنى أبيع السمك بهذا الثمن فمد اليهودى يده إلى اثنين آخرين وقال له خذ هذه الخمسة دنانير حق السمك واترك الطمع فاخذها خليفة فى يده وتوجه بها وهو فرحان وصار ينظر إلى الذهب ويتعجب منه ويقول سبحان الله ليس ما مع خليفة بغداد مثل ما معى فى هذا اليوم ولم يزل سائرًا حتى وصل إلى رأس السوق ثم تذكر كلام القرد والوصية التى أوصاه بها فرجع إلى اليهودى ورمى له الذهب فقال له مالك يا خليفة أى شيء تطلب أتأخذ صرف دنانيرك دراهم فقال له لا أريد دراهم ولا دنانير وإنما أريد أن تعطينى سمك الناس فغضب اليهودى وصرخ عليه وقال له يا صياد اتجيء لى بسمكة لاتساوى دينارًا وأعطيك فيها خمسة دنانير فلا ترضى هل أنت مجنون قل لى بكم تبيعها فقال له خليفة أنا لا أبيعها بفضة ولا بذهب وما أبيعها إلا بكلمتين تقولهما لى فلما سمع اليهودى قوله كلمتين قامت عيناه فى أم رأسه وضاقت أنفاسه وقرط على اضراسه وقال له يا قطاعة المسلمين هل تريد أن أفارق دينى لأجل سمكتك وتفسد على ملتى وعقيدتى التى وجدت عليها آبائى من قبلى وصاح على غلمانه فحضروا بين يديه فقال لهم ويلكم دونكم هذا النحس قطعوا بالصك قفاه وأكثروا من الضرب أذاه فنزلوا عليه بالضرب ومازالوا يضربونه حتى وقع تحت الدكان فقال لهم اليهودى خلوا عنه حتى يقوم فقام خليفة على حيله كأنه لم يكن به شيء فقال له اليهودى قل لى أى شيء تريده فى ثمن هذه السمكة وأنا أعطيك إياه فإنك ما نلت منا خيرًا فى هذه الساعة فقال خليفة لا تخف علىّ يا معلم من الضرب لأنى آكل ضربا قدر عشرة حمير فضحك اليهودى من كلامه وقال له بالله عليك قل لى أى شيء تريد وأنا وحق دينى أعطيك إياه فقال له لا يرضينى

منك فى ثمن هذه السمكة إلا كلمتان فقال له اليهودى أظن أنك تطلب منى أن أسلم فقال له خليفة والله يا يهودى إن أسلمت فإن إسلامك لا ينفع المسلمين ولا يضر اليهود وأن بقيت على كفرك فكفرك لا يضر المسلمين ولا ينفع اليهود ولكن الذى أطلبه منك أن تقوم علي قدميك وتقول اشهدوا عليّ يا أهل السوق أنى قد أبدلت قردي بقرد خليفة الصياد وحظى فى الدنيا بحظه وبختى ببخته فقال اليهودى إن كان هذا الأمر مرادك فهو عليّ هين وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الخامسة والثلاثون بعد الثمانمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن اليهودى قال لخليفة الصياد أن كان هذا الأمر مرادك فهو عليّ هين ثم قام اليهودى من وقته وساعته ووقف على قدميه وقال مثل ما قال له خليفة الصياد وبعد ذلك التفت إليه وقال له بقى لك عندى شيء فقال الصياد لا فقال له اليهودى مع السلامة فنهض خليفة من وقته وساعته وأخذ قفته وشبكته وجاء إلي بحر الدجلة ورمى الشبكة ثم سحبها فوجدها ثقيلة فما طلعها إلا بعد جهد فلما طلعها رآها ملآنة بالسمك من جميع الأصناف فجاءت له امرأة ومعها طبق فأعطته ديناراً فأعطاها به سمكًا وجاء إليه خادم آخر وأخذ منه بدينار وهكذا حتي باع سمكًا بعشرة دنانير ولم يزل يبيع فى كل يوم بعشرة دنانير إلى نهاية عشرة أيام حتى جمع مائة دينار ذهبًا وكان لذلك الصياد بيت من داخل ممر التجار فبينما هو نائم فى بيته ليلة من الليالى إذ قال فى نفسه يا خليفة أن الناس كلهم يعرفون إنك رجل فقير صياد وقد حصل معك مائة دينار من الذهب فلابد أن أمير المؤمنين هارون الرشيد يسمع بخبرك من آحاد الناس فربما يحتاج إلى مال فيرسل إليك ويقول لك إنى محتاج إلي مبلغ من الدنانير وقد بلغنى أن عندك مائة دينار فاقرضنى إياها فأقول يا أمير المؤمنين أنا رجل فقير والذى أخبرك أن عندى مائة دينار كذب علي وليس معي ولا عندى شيء من ذلك فيسلمنى إلي الوالى ويقول له جرده من ثيابه وعاقبه بالضرب حتى يقر ويأتى بالمائة دينار التى عنده فالرأى الصواب الذى يخلص من هذه الورطة أنى أقوم فى هذه الساعة واعاقب نفسى بالسوط لأكون قد تمرنت علي الضرب وقال له حشيشه قم تجرد من ثيابك فقام من وقته وساعته وتجرد من ثيابه وأخذ فى يده سوطًا كان عنده وكان عنده مخدة من جلد فصار يضرب علي تلك

المخدة ضربة وعلى جلده ضربة ويقول آه آه والله أن هذا كلام باطل يا سيدى وإنهم يكذبون عليّ وأنا رجل فقير صياد وليس معى شيء من حطام الدنيا فسمع الناس خليفة الصياد وهو يعاقب نفسه ويضرب فوق المخدة بالسوط ولوقع الضرب على جسده وعلى المخدة دويّ فى الليل ومن جملة من سمعه التجار فقالوا يا ترى ما لهذا المسكين يصيح ونسمع وقع الضرب نازلاً عليه فكأن اللصوص قد نزلوا عليه وهم الذين يعاقبونه فعند ذلك قاموا كلهم على حس الضرب والصياح وخرجوا من منازلهم وجاءوا إلي بيت خليفة فرأوه مقفولاً فقالوا لبعضهم ربما تكون اللصوص نزلوا عليه من وراء القاعة فينبغى أن نطلع من السطوح فطلعوا السطوح ونزلوا من الممر فرأوه عريانًا وهو يعاقب نفسه فقالوا له مالك يا خليفة أى شيء خبرك فقال اعلموا يا جماعة أنى حصلت بعض دنانير وأنا خائف أن يرفع أمرى إلى أمير المؤمنين هارون الرشيد فيحضرنى بين يديه ويطلب منى تلك الدنانير فأنكر وإذا أنكرت أخاف أن يعاقبنى فها أنا أعاقب نفسى وأجعل ذلك تمرينًا لنفسى علي ما يأتى فضحك عليه التجار وقالوا له اترك هذه الفعال لابارك الله فيك ولا في الدنانير التى جاءتك فقد أقلقتنا فى هذه الليلة وأزعجت قلوبنا فبطل خليفة الضرب عن نفسه ونام إلي الصباح فلما قام من النوم وأراد أن يذهب إلى شغله تفكر فى أمر المائة دينار التى حصلت معه وقال فى نفسه إذا تركتها فى البيت يسرقها اللصوص وإن وضعتها فى كمر على وسطى فربما ينظرهم أحد فيترصدنى حتى أنفرد فى مكان خال عن الناس فيقتلنى ويأخذهم منى ولكن أنا أفعل شيئًا من الحيل وهو مليح نافع جدًا ثم أنه نهض من وقته وساعته وخيط جيبًا في طوق جبته وربط المائة دينار فى صرة ووضعها فى ذلك الجيب الذى عمله ثم قام وأخذ شبكته وقفته وعصاه وسار حتى وصل إلي بحر الدجلة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة السادسة والثلاثون بعد الثمانمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن خليفة الصياد لما وضع المائة دينار فى جيبه أخذ قفته وعصاه وشبكته وذهب إلي بحر دجلة ورمى شبكته فيه ثم سحبها فلم يطلع له شيء فانتقل من ذلك الموضع إلي موضع غيره ورمى شبكته فيه فلم يطلع له شيء ولم يزل ينتقل من مكان إلي مكان حتي بعد عن المدينة مسافة نصف يوم وهو يرمى الشبكة ولم

يطلع له شيء فقال في نفسه والله أني ما بقيت أرمي شبكتي في الماء إلا هذه المرة فأما عليها وأما بها فطرح الشبكة بقوة عزمه لشدة غيظه فطارت الصرة التي فيها المائة دينار من طوقه ووقعت في وسط البحر وراحت في قوة التيار فرمى الشبكة من يده وتجرد من ثيابه وتركها علي البر ونزل في البحر وغطس خلف الصرة ولم يزل يغطس نحو مائة مرة حتى ضعفت قوته فلم يقع بتلك الصرة فلما يئس منها طلع إلي البر فلم يجد سوي العصى والشبكة والقفة وطلب ثيابه فلم يقع لها علي أثر فقال في نفسه أهجن ما يضرب به المثل لا تكمل الحجة إلا بنيك الجمل ثم أنه فرد الشبكة والتف فيها وأخذ العصى في يده والقفه على كتفه وسار يهرول مثل الجمل الهائم يجرى يمينًا وشمالاً وخلفا وأماما اشعث أغبر كالعفريت المتمرد إذا انطلق من السجن السليماني هذا ما كان من أمر خليفة الصياد وأما ما كان من أمر الخليفة هارون دالرشيد فإنه كان له صاحب جوهرى يقال له ابن القرناص وقد وقد كان جميع الناس والتجار والدلالين والسماسرة يعرفون أن ابن القرناص تاجر الخليفة وجميع ما يباع في مدينة بغداد من التحف وغيرها من الأمور المثمنة لا يباع حتى يعرض عليه ومن جملة ذلك المماليك والجوارى فبينما ذلك التاجر الذى هو ابن القرناص جالس في دكانه يومًا من الأيام وإذا بشيخ الدلالين قد أقبل عليه ومعه جارية ما رأى الراءون مثلها وهي في غاية من الحسن والجمال والقد والاعتدال ومن جملة محاسنها أنها تعرف في جميع العلوم والفنون وتنظم الأشعار وتضرب على جميع آلات الطرب فاشتراها ابن القرناص الجوهرى بخمسة آلاف دينار ذهبًا وكساها بألف دينار وأتى بها إلى أمير المؤمنين فباتت عنده تلك الليلة واختبرها الخليفة في كل علم وفي كل فن فرآها عارفة بجميع العلوم والصنايع ليس لها في عصرها نظير وكان اسمها قوت القلوب وهي كما قال الشاعر:

اردد الطرف فيها كلما سفرت ... وفي تمنعها للطرف ردات
تحكى الغزال بجيد كلما التفتت ... وللغزال كما قد قيل لفتات

واين هذا من قول الآخر:

من لي باسمر تروى عن معاطفه ... السمر الرشاق عوال سمهريات
ساجي الجفون حريرى العذار له ... في قلب عاشقه المضنى مقامات

فلما أصبح الصباح أرسل الخليفة هارون الرشيد إلى ابن القرناص الجوهرى فلما حضر رسم له بعشرة آلاف دينار ثمن تلك الجارية ثم أن الخليفة اشتعل قلبه بتلك الجارية المسماة بقوت القلوب وترك السيدة زبيدة بنت القاسم وهى بنت عمه وترك جميع المحاظى وقعد شهراً كاملا لم يخرج من عند تلك الجارية إلا لصلاة الجمعة ثم يعود إليها على الفور فعظم ذلك على أرباب الدولة فشكوا هذا الأمر إلى الوزير جعفر البرمكى فصبر الوزير على أمير المؤمنين حتى كان يوم الجمعة فدخل الجامع واجتمع بأمير المؤمنين وحكى له جميع ماوقع له من قصص التى تتعلق بالعشق الغريبة لأجل أن يستخرج ما عنده فقال له الخليفة يا جعفر والله إن ذلك الأمر ليس باختيارى ولكن قلبى تعلق فى شرك الهوى وما أدرى كيف يكون العمل فقال له الوزير جعفر أعلم يا أمير المؤمنين أن هذه المحظية قوت القلوب قد صارت تحت أمرك ومن جملة خدمك وما تملكه اليد تزهده النفس وأنا أخبرك بشىء آخر وهو أن أحسن ما تفتخر به الملوك وابناء الملوك هو الصيد والقنص واغتنام اللهو والفرص فإذا فعلت ذلك ربما تشتغل به عنها وربما تنساها فقال له الخليفة نعم ما قلته يا جعفر فامض بنا على الفور فى هذه الساعة إلي الصيد فلما انقضت صلاة الجمعة خرجا من الجامع وركبا من وقتهما وساعتهما وسارا إلي الصيد والقنص وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة السابعة والثلاثون بعد الثمانمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الخليفة هارون الرشيد لما طلع هو وجعفر إلى الصيد والقنص سار حتى وصلا إلى البرية وقد كان أمير المؤمنين هو والوزير جعفر راكبين على بغلتين فتشاغلا في الحديث مع بعضهما وسبقهما العسكر وقد حمى عليهما الحر فقال الرشيد يا جعفر قد لحقنى العطش الشديد ثم أن الرشيد مد نظره فرأى زوالا على كوم عال فقال للوزير هل أنت ناظر ما أنا ناظره فقال له الوزير نعم يا أمير المؤمنين أنظر زوالا على كوم عال وهو أما حارس بستان أو حارس مقات وعلى كل حال فلا تخلو جهته من الماء ثم قال الوزير أنا أمضى إليه وآتيك بالماء من عنده فقال الرشيد أن بغلتى أسرع من بغلتك فقف أنت هنا من أجل العسكر وأنا أروح بنفسى وأشرب من عند هذا الشخص وأعود ثم أن الرشيد ساق بغلته فخرجت مثل الريح فى المسير أو مثل الماء فى الغدير ولم

تزل منطلقة به حتى وصل إلى ذلك الزوال فى مقدار لمح البصر فلم يجد ذلك الزوال إلا خليفة الصياد فرآه الرشيد وهو عريان ملتف بالشبكة وعيناه من غاية الاحمرار كأنهما مشاعل النار بصورة هائلة وقامة مائلة وهو أشعث أغبر كأنه عفريت أو غضنفر فسلم عليه الرشيد فرد عليه السلام وهو غضبان ومن نفسه تلتهب النيران فقال له الرشيد يا رجل هل عندك شيء من الماء فقال له خليفة يا هذا هل أنت أعمى أو مجنون فدونك بحر الدجلة فإنه وراء هذا الكرم فدار الرشيد من خلف الكرم ونزل إلي بحر الدجلة وشرب وسقى بغلته ثم طلع من وقته وساعته ورجع إلى خليفة الصياد فقال له ما شأنك يا رجل واقفًا هنا وما صنعتك فقال له خليفة هذا السؤال أعجب وأغرب من سؤالك عن الماء أما ترى آلة صنعتى على كتفى فقال له الرشيد كأنك صياد فقال له نعم فقال له الرشيد كأنك صياد فقال له نعم فقال له الرشيد فأين جبتك وأين شملتك واين حرامك وأين ثيابك وقد كانت الحوايج التى راحت من خليفة مثل التى ذكرها له سواء بسواء فلما سمع خليفة ذلك الكلام من الخليفة ظن فى نفسه أنه هو الذى أخذ ثيابه من على شاطيء البحر فنزل خليفة من وقته وساعته من فوق الكوم اسرع من البرق الخاطف وقبض على لجام بغلة الخليفة وقال له يا رجل هات لى حوايجى وخل عنك اللعب والمزاح فقال له الخليفة أنا والله ما رأيت ثيابك ولا أعرفها وقد كان الرشيد له خدود كبار وفم صغير فقال له خليفة لعل صنعتك أنك مغن أو زمار ولكن هات لى ثيابى بالتى هى أحسن وإلا أضربك بهذه العصى حتى تبول على نفسك وتلوث ثيابك ثم أن الخليفة لما عاين العصى مع خليفة قال فى نفسه والله أنا ما أحمل من هذا الصعلوك نصف ضربة بهذه العصى وكان علي الرشيد قباء من أطلس فقلعه وقال الخليفة يا رجل خذ هذا القباء عوضًا عن ثيابك فأخذه خليفة وقلبه وقال أن ثيابى تساوى عشرة مثل هذه العباءة المزوقة فقال الرشيد البسه حتى أجيء لك بثيابك فأخذه خليفه ولبسه فرآه طويلاً عليه وقد كان مع خليفة سكين مربوطة فى أذن القفة فأخذها وقطع بها ذيل القباء مقدار ثلثه حتى صار لتحت ركبته ثم أنه التفت إلي الرشيد وقال له بحق الله عليك يا زمار أن تخبرنى عن قدر جامكيتك فى كل شهر عند استاذك فى صنعة المزمار فقال له الخليفة جامكيتى فى كل شهر عشرة دنانير ذهبًا فقال له خليفة والله يا مسكين لقد حملتنى همك والله أن العشرة دنانير اكتسبها فى كل يوم فهل تريد أن تكون معى فى خدمتى وأنا أعلمك صنعة الصيد

واشركك في المكسب فتعمل كل يوم بخمسة دنانير وتكون غلامي واحميك من استاذك بهذا العصى فقال له الرشيد رضيت بذلك فقال له خليفة أنزل الآن من فوق ظهر الحمارة واربطها حتى تبقى تنفعنا فى حمل السمك وتعال حتى أعلمك الصيد فى هذه الساعة فعند ذلك نزل الرشيد عن ظهر بغلته وربطها وشمر أذياله فى دور منطقته فقال له خليفة يا زمار امسك هذه الشبكة كذا واربطها على ذراعك كذا وأرميها فى بحر الدجلة كذا فقوى الرشيد قلبه وفعل مثل ما اراه خليفة ورمى الشبكة فى البحر وسحبها فما قدر أن يطلعها فجاء إليه خليفة وسحبها معه فلم يقدر على تطليعها فقال له خليفة يا زامر النحس إن كنت أخذت عباءتك عوضًا عن ثيابى فى المرة الأولى ففى هذه المرة آخذ حمارتك فى شبكتى إن رأيتها تقطعت واضربك حتى تنساب على روحك فقال له الرشيد اسحب أنا وأنت معا فسحبها الاثنان معا فما قدرا أن يطلعا تلك الشبكة إلا بالمشقة فلما أطلعاها نظراها فإذا هى ملآنة من جميع أنواع السمك ومن سائر ألوانه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الثامنة والثلاثون بعد الثمانمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن خليفة الصياد لما طلع الشبكة هو والخليفة رأياها ملآنة من جميع أصناف السمك فقال له خليفة والله يا زمار إنك قبيح ولكن إذا عانيت الصيد تكون صيادًا عظيمًا فالرأى الصواب أنك تركب حمارتك وتروح إلي السوق وتأتى بفردين وأنا احفظ هذا السمك حتى تحضر ونحمله أنا وأنت على ظهر حمارتك وعندى الميزان والأرطال وجميع ما نحتاج إليه فنأخذ الجميع معنا وليس عليك إلا أن تمسك الميزان وتقبض الأثمان فإن معنا سمكًا يساوى عشرين دينارًا فأسرع بمجيء الفردين ولا تبطيء فقال له الخليفة سمعًا وطاعة ثم تركه وترك السمك وساق بغلته وهو فى غاية الفرح ولم يزل يضحك على جرى له مع الصياد حتى وصل إلى جعفر فلما رآه جعفر قال له يا أمير المؤمنين لعلك لما رحت إلي الشرب وجدت بستانًا طيبًا فدخلته وتفرجت فيه وحدك فلما سمع الرشيد كلام جعفر ضحك ثم أن جميع البرامكة قاموا وقبلوا الأرض بين يديه وقالوا له يا أمير المؤمنين أدام الله عليك الأفراح وأذهب عنك الأقراح ما سبب تأخيرك حين ذهبت إلي الشرب وما الذى جرى لك فقال لهم الخليفة

لقد جرى لي حديث غريب وأمر مطرب عجيب ثم أعاد عليهم حديث خليفة الصياد وما جرى له معه من قوله أنت سرقت ثيابي ومن كونه أعطاه قباه ومن كون الصياد قطع القباء لما رآه طويلاً فقال جعفر والله يا أمير المؤمنين لقد كان في خاطري أني أطلب القباء منك ولكن أروح في هذه الساعة إلي الصياد وأشتريها منه فقال له والله لقد قطع ثلثها من جهة ذيلها وأتلفها ولكن يا جعفر قد كليت من صيدي في البحر لأني اصطدت سمكًا كثيراً وهو على شاطيء البحر عند معلمي خليفة فإنه واقف هناك ينتظرني حتى أرجع إليه وآخذ له فردين ثم أروح أنا وإياه إلي السوق فنبيعه ونقتسم ثمنه فقال له يا أمير المؤمنين أنا أجيء إليكم بالذي يشتري منكم فقال له الخليفة يا جعفر وحق آبائي الطاهرين أن كل من جاء لي بسمكة من السمك الذي قدام خليفة الذي علمني الصيد أعطيه فيها ديناراً ذهبًا فنادى المنادي في العسكر أن اطلعوا واشتروا سمكًا لأمير المؤمنين فطلع المماليك وقصدوا شاطيء البحر فبينما خليفة ينتظر أمير المؤمنين حتى يحضر له فردين وإذا بالمماليك قد انقضت عليه مثل العقبان وأخذوا السمك ووضعوه في مناديل مزركشة من الذهب وصاروا يتضاربون عليه فقال خليفة لا شك أن هذا السمك من سمك الجنة ثم أخذ سمكتين بيده اليمنى وسمكتين بيده اليسرى ونزل في الماء لحلقه وصار يقول يا الله بحق هذا السمك أن عبدك الزمار شريكي يجيء في هذه الساعة وإذا بعبد قد أقبل عليه وكان ذلك العبد مقدمًا على جميع العبيد الذين كانوا عند الخليفة وكان سبب تأخيره عن المماليك أن جواده وقف يبول في الطريق فلما وصل عند خليفة وجد السمك لم يبق منه شيء قليل ولا كثير فنظر يمينًا وشمالاً فرأى خليفة الصياد واقفًا في الماء ومعه السمك فعند ذلك قال له يا صياد تعال فقال له الصياد رح بلا فضول فتقدم إليه الخادم وقال له هات هذا السمك وأنا أعطيك الثمن قال خليفة للخادم هل أنت قليل العقل أنا لا أبيعه فسحب عليه الدبوس فقال له خليفة لا تضرب يا شقي فالانعام خير من الدبوس ثم أنه رمى إليه السمك فأخذه الخادم وجعله في منديله وحط يده في جيبه فلم يجد ولا درهمًا واحدًا فقال يا صياد إن بختك مشئوم وأنا والله ما معي شيء من الدراهم ولكن في غد تعال دار الخلافة وقل دلوني على الطواشي صندل فيدلك الخدام عليّ فإذا جئتني هناك يحصل لك الذي فيه النصيب فتأخذه وتروح إلي حال سبيلك فعند ذلك قال خليفة أن هذا اليوم مبارك وبركته ظاهرة من أوله ثم أنه أخذ شبكته على كتفه ومشى حتى دخل

بغداد ومشى في الاسواق فرأى النـاس خلعه الخلـيفة عليـه وصاروا ينظرون إليـه حتى دخل الحارة وكان دكـان خياط أمير المؤمنـين علي باب الحارة فنـظر الخياط خليفـة الصياد وعليه خلعة تساوى ألف دينار من ملابس الخليـفة فقال يا خليفة من أين لك هذه الفرجية فقال له خليفة وأى شيء لك فى الفضول أنا أخذتها من الذى علمته الصيد وصار غلامى وعفوت عنه فى قطع يـده لأنه سرق ثيابى واعطانى هذه العباءة عوضًا عـنهم فعلم الخياط أن الخليفة قـد عبر عليه وهو يصطاد ومـزح معه واعطاه الفرجية وأدرك شـهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة التاسعة والثلاثون بعد الثمانمائة

قالت بلغنى أيها المـلك السعيد أن الخياط لما علم أن الخليفة قد عبر عـلي خليفة الصياد وهو يصطاد وقد مزح معـه وأعطاه الفرجية ثم توجه الصياد إلي بـيته هذا ما كان من أمره وأما ما كان من أمـر الخليفة هارون الرشيد فـإنه لما طلع إلى الصيد والـقنص إلا لأجل ما يشتغل عن الجـارية قوت القلوب وكانت زبيدة لـما سمعت بالجارية واشتغال الخـليفة بها أخذها ما يأخذ النسـاء من الغيرة حتى امتنعت من الطعام والـشراب وهجرت لذيذ المنام وصارت تـنـتظر غيـاب الخليفـة وسفره حتى تـنصب لقـوت القلوب شـرك المكايد فـلما علمت أن الخـليفة خرج إلي الصيـد والقنص أمرت الجوارى أن يفرشـن الدار واكثرت من الزينة والافتخار ووضـعت الأطعمة والحلويات وعملت من جملة ذلـك طبقًا صينيًا فيه حلاوة من ألطف مـا يكون ووضعت فيه البنج وبنجته ثـم أنها أمرت بعض الخدام أن يمضوا إلي الجارية قوت الـقلوب ويدعوها إلى زاد السيدة زبيدة بنـت القاسم زوجة أمير المؤمـنين ويقول لـها أن زوجة أمـير المؤمنـين قد شربت الـيوم دواء وقد سـمعت بطـيب نغمك فاشتهت أن تتفرج على شيء من صناعتك فقالت سمعًا وطاعة لله وللسيدة زبيدة ثم أنها نهضت قائمـة من وقتها وساعتها ولـم تعلم بما هو مخـبوء لها فى الغيب وأخذت معهـا ما تحتاج من الالات وسارت مـع الخدام ولـم تزل سائرة حـتى دخلت علي الـسيدة زبيدة فلـما دخلت عليـها قبلت الأرض بين يـديها مرارًا عديدة ثـم نهضت قائمـة على قدميها وقالت السلام علي الستر الرفيع والجناب المنيع والسلالة العباسية والبضعة النبوية بلغك الله الاقبال والسلام فى الأيام والأعوام ثم وقفت من جملة الجوارى والخدام فعند

ذلك رفعت إليهـا السيدة زبيدة رأسها ونظرت إلـى حسنها وجمالها فرأت جـارية اسيلة الخدود رمانـية النهود بـوجه أقمر وجبين أزهـر وطرف أحور قد سكـنت جفونهـا فتورا وابتهج وجههـا نوراً كأن الشمس تطلع من غـرتها وظلام الليل من طرتهـا والمسك يفوح من نكهـتها والأزهار تزهو من بـهجتها والقمـر يبدو من جبيـنها والغصن يميـل من قدها كأنـها البدر الـتمام قد أشـرق فى جنح الـظلام وقد تـغزلت عيـناها وتقـوست حاجبـاها وصيغت من المرجـان شفتاها تذهل بحسنهـا كل من نظرها وتسحر بطـرفها كل من رآها جل من خلقها وكلمها وسواها وهى كما قال الشاعر فى ضاهاها:

إذا غـضـبـت رأيـت النـاس قـتـلـى — وإن رضـيــــت فـــاروراح تـعــود
لهـا فى طـرفهـا لحظـات ســحـــر — تميــت بـهـــا وتحـيــي مـــن تـريد
وتســبى العـــالمـــين بمقـــلـتيهـــا — كـــأن الـعـــالمين لهـــا عـبيــــد

ثم أن السيدة زبيدة قـالت لها أهلا وسهلاً ومرحبا بك يا قوت القـلوب اجلسى حتى تفرجينا على أشـغالك وحسن صـناعتك فقالـت سمعًا وطاعـة ثم جلست ومـدت يدها وأخذت الدف الذى قال فيه بعض واصفيه هذه الأبيات:

أيـا ذا الطـــار قـلــبى طـــار شـــوقًـا — ويـصرخ مـن جـواه وأنـت تضـرب
فـلـم تأخـذ ســـوى قـلب جـريـح — عـلـى تـوقـيعـك الانـسـان يـرغـب
فـقـل قـــولاً ثـقـيـلاً أو خـفـيـفًـــا — ولحـــن مـــا تشـــاء فـــأنـت تطـرب
وطـــب واخـــلـع ـعـذارك يامحب — وقم وارقص ومل واعجب وعجب

ثم ضربت ضربًـا كثيراً وغنت حتى أوقفـت الطير وهاج بهم المكـان ثم حطت الدف وأخذت الشبابة التى قيل فيها هذا البيت:

لهـــا أعـين انـســـانهـــا باصـــــابـع — يشـــير إلى لحن صحيح بلا شكل

وكما قال الشاعر أيضًا فى هذا البيت:

إذا انـهـت إلى الـقصـد الأغـــانـــى — يطـيــب الوقـت من طرب بـوصل

ثم أنها حطت الشبابة بعد أن طرب بها كل من حضر ثم أخذت العود الذى قال فيه الشاعر:

وغصن رطيب عاد عود القينة تحن إليه الاكرمون الأفاضل
تجس وتبلوه لفرط ذكائها بانملها ما اتقنته السلاسل

فشدت أوتاره وعركت أذانه وحطته فى حجرها وانحنت عليه انحناء الوالدة على ولدها فكان الشاعر قال فيها وفى عودها هذه الأبيات:

قد افصحت بالوتر الأعجمى وافهمت من لم يكن يفهم
وخبرت أن الهوى قاتل يودى بعقل الرجل المسلم
جارية لله من كفها مصور ينطق عن ذى فم
قد حبست بالعود مجرى الهوى حبس الطبيب العدل مجرى الدم

ثم ضربت أربع عشرة طريقة وغنت عليه نوبة كاملة حتي أذهلت الناظرين وأطربت السامعين ثم أنشدت هذين البيتين:

قدم عليك مبارك فيه السرور يجرد
اقباله متواتر ونعيمه لا ينفد

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الموفية للأربعين بعد الثمانمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الجارية قوت القلوب لما غنت الأشعار وضربت الأوتار بين يدى السيدة زبيدة قامت بعد ذلك لعبت بالشعبثة والدكيات وكل فن مليح حتى أن السيدة زبيدة كادت أن تعشقها وقالت فى نفسها ما يلام ابن عمى الرشيد فى عشقها ثم أن الجارية قبلت الأرض بين يدى السيدة زبيدة وقعدت فقدموا لها الطعام ثم قدموا لها الحلوى وقدموا الصحن الذى فيه البنج فأكلت منه فما استقرت الحلوى فى جوفها حتى انقلبت رأسها وانطرحت على الأرض نائمة فقالت السيدة زبيدة للجوارى ارفعنها إلي بعض المقاصير حتى أطلبها فقلن لها سمعًا وطاعة ثم قالت لبعض الخدام

اعمل لنا صندوقًا وائتنى به ثم أمرت أن يعمل صورة قبر ويشيعوا أن الجارية قد شرقت وماتت ونبهت علي خواصها أن كل من قال أنها بالحياة تضرب رقبته وإذا بالخليفة قد أتى فى تلك الساعة من الصيد والقنص وأول ما سأل سأل عن الجارية فتقدم إليه بعض خدمه وقد كانت أوصته السيدة زبيدة أنه إذا سأله الخليفة عنها يقول له أنها ماتت فقبل الأرض بين يديه وقال له يا سيدى تعيش رأسك وتيقن أن قوت القلوب غصت بالطعام فماتت فقال الخليفة لا بشرك الله بالخير يا عبد السوء ثم قام ودخل القصر فسمع بموتها من كل من فى القصر فقال أين قبرها فأتوا به إلي التربة وأروه القبر الذى عمل تزويراً وقالوا له هذا قبرها فلما نظره صاح واعتنق القبر وبكى وأنشد هذين البيتين:

بالله يا قبر هل زالت محاسنها ... وهل تغير ذاك المنظر النضر

يا قبر ما أنت لا روض ولا افق ... فكيف يجمع فيك الغصن والقمر

ثم أن الخليفة بكى عليها بكاء شديداً ومكث هناك ساعة زمانية ثم قام من عند القبر وهو فى غاية الحزن فعلمت السيدة زبيدة أن حيلتها قد تمت فقالت للخادم هات الصندوق فأحضره بين يديها فأحضرت الجارية ووضعتها فيه وقالت للخادم اجتهد فى بيع الصندوق واشترط على من يشتريه أنه يشتريه وهو مقفول ثم تصدق بثمنه فأخذه الخادم وخرج من عندها وامتثل أمرها هذا ما كان من أمر هؤلاء وأما ماكان من من أمر خليفة الصياد فإنه لما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح قال ليس لى شغل فى هذا اليوم أحسن من رواحى إلي الطواشى الذى قد اشترى منى السمك فإنه واعدنى أن أروح إليه فى دار الخلافة ثم أن خليفة خرج من داره قاصداً دار الخلافة فلما وصل إليها وجد المماليك والعبيد والخدم قياماً وقعوداً فتأملهم وإذا بالخادم الذى أخذ منه السمك جالس والمماليك فى خدمته فصاح عليه غلام من المماليك فالتفت إليه الخادم لينظر من هو وإذا هو بالصياد فلما عرف الصياد أنه رآه وتحقق ذاته قال له ما قصرت يا شقير هكذا تكون اصحاب الأمانات فلما سمع الخادم كلامه ضحك عليه وقال له والله لقد صدقت يا صياد ثم أن الخادم صندل أراد أن يعطيه شيئًا فمد يده إلى جيبه وإذا بصياح عظيم فرفع الخادم رأسه لينظر ما الخبر وإذا بالوزير جعفر البرمكى خارج من عند الخليفة فلما رآه الخدم نهض إليه قائماً ومشى بين يديه وصارا يتحدثان وهما ماشيان حتى طال الوقت

فوقف خليفة الصيـاد مدة والخادم لم يلتفت إليه فلما طال وقوفه تـعرض إليه الصياد وهو بعيد عنه وأشار إليه بيده وقال يا سيدى شقير خلينى أروح فسمعه الخادم واستحى أن يرد عليه بسبب حضـور الوزير جعفر وصار الخادم يتحدث مع الوزير ويـتشاغل عن الصياد فقال خـليفة يـا مماطل قبـح الله كل ثـقيل وكل من يـأخذ متاع الـناس ويتثـاقل عليـهم أنا دخيـلك يـا سيدى كـرش النـخال أن تعـطينـى الذى لـي لأجل أن أروح فسـمعـه الخادم فاستحى من جعفر ورآه أيضًا جعفر وهو يشـير بيده ويتحدث مع الخادم ولكنه لم يعرف ما يـقوله له فـقال للخـادم وقد أنكـر عليه يـا طواشى أى شـىء يطلب مـنك هذا السـائل المسكين فقال له صنـدل الخادم أما تعرف هذا يا مولانا الوزير فقال الوزيـر جعفر والله ما أعرفه ومـن أين أعرف هذا وأنا ما رأيـته إلا فى هذه الساعـة فقال له الخادم يا مـولانا هذا الصيـاد الذى نهبنـا سمكه من شـاطىء الدجلة وكنـت أنا ما لحقت شـيئًا واستحـييت أن أرجع إلى أمير المؤمنـين بلا شىء وكل المماليك قد أخذوا فلما وصلـت إليه وجدته واقفًا في وسط البـحر يدعو الله ومعـه أربع سمكات فقلت لـه هات ما معك وخذ حقـه فلما أعطانى السمك أدخلت يدي فى جيبى وأردت أن أعطيه شيئًا فما رأيت فيه شيئًا فقلت له تعال لى فى القصر وأنا أعطيك شيئًا تستـعين به علي فقرك فجاءنى فى هذا اليوم فمددت يدى وأردت أن أعطيه شيئًا فجئت أنت فقمت فى خدمتك واشتغلت بك عنه فطال عليه الأمر فهذه قصته وهذا سبب وقوفه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الحادية والأربعون بعد الثمانمائة

قالت بلغـنى أيها الملك السعـيد أن صندلاً الطواشى لما حـكى لجعفر البرمكـى حكاية خليـفة الصياد قـال له بعد ذلك فـهذه قصته وهـذا سبب وقوفه فـلما سمع الـوزير كلام الطواشى تبسم منـه وقال يا طواشى كيف جاء هذا الصياد فى وقت حاجـته ولم نقضها له أما تعرف يا رئيس الطواشية قال لا قال هذا معـلم أمير المؤمنين وشريكه وقد أصبح اليوم مولانا الخليفة ضيـق الصدر حزين القلب مشتغل البال ومـا له من شىء يشرح صدره إلا هذا الصياد فلا تخله يروح حتى اشاور عليه الخليفة وأحضره بين يديه فلعل الله يفرج ما به ويسـليه على فقـد قوت القلوب بسـبب حضوره فيعـطيه شيئًا يـستعين به فتـكون أنت السبب فى ذلك فقال له الخـادم يا مولاى أفعل ما تريد فالله تعالى يبقـيك ركنا لدولة أمير

المؤمنين أدام الله ظلها وحفظ فرعها وأصلها ثم أن الوزير جعفر نهض متوجهًا إلى الخليفة والخادم أمر المماليك أنهم لا يفارقون الصياد فقال خليفة الصياد عند ذلك ما أجمل إحسانك يا شقير صار الطالب مطلوبًا لأنى جئت لأطلب مالى فحبسونى على البواقى فلما دخل جعفر علي الخليفة وجده قاعدًا وهو مطرق برأسه إلي الأرض ضيق الصدر كثير الفكر يترنم بقول الشاعر:

تكلفنى السلوان عنها عواذلى ... ومالى على قلبى إذا لم يطلع أمرى

وكيف يكون الصبر عن حب طفلة ... على حبها في الهجر لايجدنى صبرى

ولم أنسها والكأس قد دار بيننا ... وقد مال بى من خمر الحاظها سكرى

فلما صار جعفر بين يدي الخليفة قال السلام عليك يا أمير المؤمنين وحامى حرمة الدين وابن عم سيد المرسلين ﷺ وعلى آله أجمعين فرفع الخليفة رأسه وقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته فقال جعفر عن إذن أمير المؤمنين يتكلم خادمه ولا حرج عليه فقال الخليفة ومتى كان عليك حرج فى الكلام وأنت سيد الوزراء تكلم بما تريد فقال له الوزير جعفر إنى خرجت يا مولانا من بين يديك أريد داري فرأيت استاذك ومعلمك وشريكك خليفة الصياد واقفًا بالباب وهو متغير عليك ويشتكى منك ويقول سبحان الله قد علمته الصيد وذهب ليأتيني بفردين فلم يعد إليّ وما هذا شأن الشركة ولا شأن المعلمين فإن كان لك غرض فى الشركة فلا بأس وإلا فعرفه ليشارك غيرك فلما سمع الخليفة كلامه تبسم وزال ما كان عنده من ضيق الصدر ثم قال لجعفر بحياتى عليك أحق ما تقوله من أن الصياد واقف بالباب قال جعفر وحياتك يا أمير المؤمنين إنه واقف بالباب فعند ذلك قال الخليفة يا جعفر والله لاسعين فى قضاء حقه فإن يرد الله له على يدى شقاؤة نالها وإن يرد له علي يدى سعادة نالها ثم أن الخليفة أخذ ورقة وقطعها قطعًا وقال يا جعفر أكتب بيدك عشرين قدرًا من دينار إلي ألف دينار ومراتب الولاية والإمارات من أقل العمل إلي الخلافة وعشرين صنفًا من أنواع النكال من أقل التعزير إلي القتل فقال جعفر سمعًا وطاعة يا أمير المؤمنين ثم كتب الأوراق بيده كما أمره الخليفة ثم بعد ذلك قال الخليفة يا جعفر أقسم بحق آبائى الطاهرين واتصالى بحمزة وعقيل أنى أريد أن أحضر خليفة الصياد وآمره أن يأخذ ورقة من هذه الأوراق لا يعرف ما فيها إلا أنا وأنت

فأى شىء كان فيـها ملكته له ولو كـان فيها الخلافة ونزعت نـفسى منها وملكـته إياها ولا أبخل بها عليه وإن كان فـيها شنق أو قطع أو هلاك فعلته به فاذهب واتـنى به فلما سمع جعفـر هذا الكلام قال في نـفسه لا حول ولا قوة إلا بالـله العلى العـظيم ربما يطلـع لهذا المسكين شىء بإتلافه فأكون أنا السبب ولكـن الخليفة قد حلف وما بقى إلا أنه يدخل ولا يكون إلا ما يريده الله ثم توجه إلى خليفـة الصياد وقبض على يده وأراد الدخول به فطار عقل خـليفة من رأسه وقـال فى نفسه أى شىء عـبثى حتى جئـت إلي هذا العبد الـنحس شقـير فجمـع بينى وبـين كرش النخـال ثم أن جعـفر لم يزل سـائراً به والممـاليك خلـفه وقدامه وهو يقول ماكـفى الحبس حتى يكون هؤلاء خلفى وقدامـى فيحرمونى ان اهرب ولم يزل جعفـر سائرا به حتى قطع سـبعة دهاليز ثم قال لخـليفة ويلك يا صيـاد أنك تقف بين يدى أمـير المؤمنـين وحامى حرمـة الدين ثم رفـع الستر الأكـبر فوقعـت عين خليـفة الصياد عـلى الخليفة وهـو جالس على سريـره وأرباب الدولة قيام فـى خدمته فلمـا عرفه تقدم إليه وقال أهلاً وسهلاً يا زمار ما يصح منك أن تعمل صيادا ثم تتركنى قاعدا أحرس السمك وتروح ولـم تجىء فما شعرت إلا والمماليك قد أقبلوا على دواب مختلفة الألوان فخـطفوا السـمك منـى وأنا واقف وحدى وهـذا كله مـن تحت رأسك فـلو كنت جـئت بالأفراد سريعًا كنا بعـنا منه بمائة دينار ولكن أنا جئت فى طلب حـقى فحبسوني وأنت من حبسك فى هذا الموضع فتبسم الخليفـة ثم رفع طرف الستارة وأخرج رأسه من تحتها وقال له تقدم وخـذ لك من هذه الأوراق فقال خـليفة الصياد لأمـير المؤمنين أنت كـنت صيادا وأراك اليوم صـرت منجمًا ولكـن من كثرت صنايـعه كثر فقـره فقال جعفر خـذ الورقة بسرعة من غيـر كلام وامتثل ما امرك به أمير المـؤمنين فتقدم خليفة الـصياد ومد يده وقال هيهات أن كـان هذا الزمار يرجع غلامـى ويصطاد معى ثم أخذ الـورقة وناولها للخـليفة وقال يا زمار أى شىء طلع لى فيها لا تخف منه شيئًا وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الثانية والأربعون بعد الثمانمائة

قالت بلغنى أيها المـلك السعيد أن خليفة الصياد لما أخذ من الأوراق ونـاولها للخليفة قال له يا زمار أى شىء طلع لى فيها لا تخف منه شيـئًا فأخذها الخليفة بيده وناولها للوزير

جعفر وقال له اقرأ ما فيها فنظر إليها جعفر وقال لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم فقال الخليفة خبر خير يا جعفر ما رأيت فيها فقال يا أمير المؤمنين طلع في الورقة يضرب الصياد مائة عصا فأمر الخليفة بضربه مائة عصا فامتثلوا أمره وضرب خليفة مائة عصا ثم قام وهو يقول لعن الله هذا اللعب يا كرش النخال هل الحبس والضرب من جملة اللعب فقال جعفر يا أمير المؤمنين إن هذا المسكين جاء إلي البحر وكيف يرجع عطشانًا إنا نرجو من صدقات أمير المؤمنين أن يأخذ له ورقة أخرى فلعله يطلع له فيها شيء فيرجع به ليستعين به علي فقره فقال الخليفة والله يا جعفر إن أخذ ورقة وطلع له فيها قتل لأقتلنه فتكون أنت السبب فقال جعفر إن كان يموت فإنه يستريح فقال له خليفة الصياد لا بشرك الله بالخير هل أنا ضيقت عليكم بغداد حتى تطلبوا قتلي فقال جعفر خذ لك ورقة واستخر الله تعالى فمد يده وأخذ ورقة وأعطاها لجعفر فأخذها منه وقرأها وسكت فقال له الخليفة مالك سكت يابن يحيى فقال ياامير المؤمنين انه طلع في الورقة لا يعطي الصياد شيئا فقال الخليفة ما له رزق عندنا قل له يروح من وجهي فقال جعفر بحق آبائك الطاهرين أن تخليه يأخذ الثالثة لعله يطلع له فيها رزق فقال الخليفة دعه يأخذ له ورقة ولا شيء غيرها فمد يده وأخذ الورقة الثالثة وإذ فيها يعطى الصياد دينارًا فقال جعفر لخليفة طلبت لك السعادة فما أراد الله لك إلا هذا الدينار فقال خليفة كل مائة عصا بدينار خير كثير لا أصح الله لك بدنًا فضحك الخليفة منه وأخذ جعفر بيد خليفة وخرج به فلما وصل إلي الباب رآه صندل الخادم فقال له تعال يا صياد أنعم علينا مما أعطاك أمير المؤمنين وهو يمزح معك فقال له خليفة والله صدقت يا شقير وهل تريد أن تقاسمني يا أسود الجلد وقد أكلت مائة عصا وأخذت دينارًا واحدًا أنت فى حل منه ثم رمى الدينار للخادم وخرج ودموعه تجرى علي صحن خده فلما نظره الخادم وهو علي تلك الحالة عرف أنه صادق فرجع إليه وصاح علي الغلمان أن ردوه فردوه فمد يده فى جيبه فأخرج منه كيسًا أحمر ففتحه ونفضه وإذا فيه مائة دينار من الذهب وقال يا صياد خذ هذا الذهب حق سمكك وامض إلي حال سبيلك فعند ذلك فرح خليفة الصياد وأخذ المائة دينار ودينار الخليفة وخرج وقد نسى الضرب ولما أراد الله تعالي انفاذ ما قضاه عبر خليفة الصياد فى سوق الجوارى فرأى حلقة كبيرة وفيها خلق كثير فقال خليفة فى نفسه أى شيء هؤلاء الناس ثم تقدم وشق بين الناس من تجار وغيرهم فقال التجار وسعوا للناخودة زليط

فوسعوا له فنظر خليفة وإذا بشيخ قائم على رجليه وبين يديه صندوق وعليه خادم جالس والشيخ ينادى ويقول يا تجار يا أرباب الأموال من يخاطر ويبادر بالعطاء لهذا الصندوق المجهول من دار السيدة زبيدة بنت القاسم زوجة أمير المؤمنين الرشيد بكم وعليكم بارك الله فيكم فقال واحد من التجار والله إن هذه مخاطرة فأنا أقول كلامًا وما على فيه ملام هو على بعشرين دينار فقال آخر بخمسين دينار فتزايد التجار فيه إلي أن وصل مائة دينار فقال المنادى هل عندكم زيادة يا تجار فقال خليفة الصياد على بمائة دينار ودينار فلما سمع التجار كلام خليفة حسبوه يلعب فضحكوا عليه وقالوا يا طواشي بع إلي خليفة بالمائة دينار ودينار فقال الطواشي والله ما أبيعه إلا له خذ يا صياد بارك الله لك فيه وهات الذهب فأخرج خليفة الذهب وسلمه إلي الخادم ووقعت المعاقدة ثم أن الخادم تصدق بالذهب وهو فى موضعه ورجع إلي القصر وأعلم السيدة زبيدة بما فعل ففرحت بذلك ثم أن خليفة الصياد حمل الصندوق علي كتفه فلم يقدر علي حمله لعظم ثقله فحمله على رأسه وأتى به إلي الحارة ووضعه عن رأسه وكان قد تعب فقعد يتفكر فيما جرى له وصار يقول فى نفسه ياليت شعرى ما فى هذا الصندوق ثم فتح باب داره وعالج فى الصندوق حتى أدخله داره وبعد ذلك عالج أن يفتحه فلم يقدر فقال فى نفسه أى شيء حصل فى عقلى حتى اشتريت هذا الصندوق فلابد من كسره وانظر ما فيه ثم عالج القفل فلم يقدر فقال فى نفسه أنا أخليه إلي غد ثم طلب أن ينام فلم يجد موضعًا ينام فيه لأن الصندوق جاء على قياس البيت فطلع ونام فوقه واستمر ساعة وإذا بشيء يتحرك ففزع خليفة وفر عنه النوم وقد طار عقله وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الثالثة والأربعون بعد الثمانمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن خليفة الصياد لما نام علي الصندوق استمر ساعة وإذا بشئ يتحرك ففزع وطار عقله وقام من النوم وقال كأن فيه جن الحمد لله الذي ما جعلني فتحته لاني لو كنت فتحته لقاموا علي في الظلام واهلكوني ولم يحصل لي منهم خير ثم أنه رجع ونام وإذا بالصندوق يتحرك ثاني مرة أكثر من الاول فنهض خليفة قائما وقال هذه نوبة أخري لكنها مزعجة ثم بادر إلي سراج فلم يجده ولم يكن معه ما يشتري به

سراجا فخرج من البيت وصـاح يا أهل الحارة وكان أكثر أهل الحارة نائمين فـانتبهوا علي صياحه وقالوا مالك يا خليفة فقال الحقوني بسراج فان الجن خرجوا علي فضحكوا عليه واعطوه سراجا فـاخذه ودخل به بيته وضرب قـفل الصندوق بحجر فكسره وفتح الصندوق وإذا هو بجارية كانها حورية وهي نائمة في الصندوق وكانت مبنجة وقد تقيأت البنج في تلك الساعة فاستفاقت وفتحت عينها وحست بالضيق فخرجت فلما رآها خليفة نهض إليها وقال بالله يا سيدتي من أين أنت فـفتحت عينها وقـالت هات لي ياسمينا ونرجسا فقال خليفة ما هنا إلا تمر حناء فاستفاقت في نفسها ونظرت خليفة فقالت له أي شئ أنت ثم أنهـا قال وأين أنا قـال لها أنت في بيتي قـال أما أنا في قـصر الخليفة هارون الرشيد فقال لـها أي شئ الرشيد يا مجنونة ما أنت إلا جـاريتي وفي هـذا اليوم اشتريتك بمائة دينار ودينار وجئت بك إلى بيتي وكنت في هذا الصندوق نائمة فـلما سمعت الجارية كلامه قال له ما اسمك قال اسمي خليفة ما بال نجمي قد سعد وأنا أعرف نجمى غير ذلك فضحكت وقالت دعني من هذا الكلام هل عندك شئ يؤكل فقال والله ولا شئ يشرب وأنا والله لي يومـان ما أكلت شيئاً وأنا الآن محتاج إلى لقـمة فقالت له أما معك دراهم فـقال الله يحفظ هذا الصندوق الذي افقرني لأني اوردت ما كان مـعي فيه وبقيت مفلسا فضحكت عليه الجارية وقالت قم اطلب من جيرانك شيئاً آكله فإني جائعة فقام خليفة وخرج من البيت وصاح يا أهل الحارة وقد كانوا راقدين فانتبهوا وقالوا مالك ياخليفة فقال يـاجيراني انا جائع وما عندى شيء أكله فنزل له واحد برغيف وآخر بكسرة وآخر بـقطعة جبن وآخر بخيارة فامتلا حجره ودخل البيت وحط الجميع بين يديها فضحكت عليه وقالت لـه كيف أكل من هذا ولا عـندى كوز ماء اشرب منه فاخاف ان اشرق فامرت فقال خليفة انا املاء لك هذه الجرة وخرج فـى وسط الحارة وصاح ياأهل الحارة فقالـوا له ما مصيبتك في هذه الليلة يا خليفة فقال لهم انتم اعطيتموني فاكلت ولكن عـطشت فاسقوني فنزل له هذا بـكوز وهذا بابريق وهذا بقلة فمـلأ الجرة ودخل البيت وقال لها يـا سيدتي مـا بقي لك حاجة فقالت صحيح ما بـقي لي حاجة في هذه الساعة فقال لها كلميني وحدثينى بحديثك فقالت ويلك ان كنت لم تعرفني فانا أعرفك بنفسى أنا قوت القلوب جارية الخليفة هارون الرشيد وقد غارت مني السيدة زبيدة وبنجتني ووضعتني في هذا الصندوق ثم قالت الحمد لله الذي كان هذا الامر السهل ولم

يكن غيره ولكن ما جري لي هذا إلا من أجل سعـادتك فلابد أن تأخذ من الخليفة الرشيد مالا كثيرا يكون سببـا في غنائك فـقال لها خلـيفة أما هو الرشـيد الذي كنت فـي قصره محبـوساً قالت نعـم قال والله ما رأيت أبخـل منه ذلك الـزمار القليـل الخير والعقـل فإنه ضربني أمـس مائة عصا واعطانـي دينارا واحدا مع أني علمـته الصيد وشاركتـه فغدر بي فقالت له دع عنك هذا الكلام القبيح وافتـح عينك وعليك بالادب إذا رأيته بعد هذه المرة فإنك تبلغ مرادك فلما سمع كلامها كان كأنه نائم واستيقظ وكشف الله عن بصيرته لأجل سعادتـه فقال لها علـي الرأس والعين ثم قـال لها بسم الله نـامي فقامت ونامـت ونام وهو بعيد عنهـا إلي الصباح فلما اصبحت طلـبت منه دواة وورقة فاحضرهما لهـا فكتبت إلي التاجر الذي هو صـاحب الخليفة تخبره بحالهـا وما جري لها من انها عند خلـيفة الصياد وقد اشتـراها ثم دفعـت له الورقة وقالـت له خذ هذه الـورقة وامض إلي سـوق الجواهر واسأل عن دكـان ابن القرناص الجـوهري واعطه هذه الورقـة ولا تتكلم فـقال لها خلـيفة سمعا وطاعـة ثم أنه أخذ الورقة من يدهـا ومضي بها إلي سوق الجواهـر وسأل عن دكان ابن القرناص فارشدوه إليه فاتاه وسلم عليه فرد عليه السلام واحتقره في عينه وقال له أي حاجة لـك فناوله الورقـة فاخذها ولم يـقرأها لظنه أنـه صعلوك يطـلب منه صدقـة فقال لبعض غـلمانه اعطه نـصف درهم فقال خلـيفة لا حاجة لي بـالصدقة ولكن أقـرأ الورقة فاخذ الورقـة وقرأها ففهم مـا فيها فلمـا عرف ما فيها قـبلها ووضعهـا علي رأسه وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الرابعة والاربعون بعد الثمانمائة

قالت بـلغني أيـها الملك السـعيد أن ابن القـرناص لما قرأ الـورقة وفهم ما فـيها قبـلها ووضعها علـي رأسه ونهض قائما وقال يـا أخي اين بيتك فقال لـه خليفة وما تريد بـبيتى فهل مرادك أن تروح إليه وتسرق جاريتي فقال له لا بـل اشتري لك شيئاً تأكله وإياها فقال له بيـتى في الحارة الفلانـية فقال له احسـنت لا اعطاك الله عافيـة يا مندبور ثم صـاح علي عبدين من عبيده وقـال لهما امضيا مع هذا الرجل إلي دكان محسـن الصيرفي وقولا له يا محسن إعط هذا الف دينـار من الذهـب وارجعا به إلي بسرعة فمضي الـعبدان مع خليفة إلي دكان الصيرفي وقال له يا محسن إعط هـذا الرجل الف دينار من الذهب فاعطاه إياها

فاخذها خليفة ورجع مع العبدين إلي دكان سيدهما فوجدوه راكبا زرزورية تساوي الف دينار والمماليك والغلمان حوله وفي جنب بغلته بغلة مثلها مسرجة ملجمة فقال الخليفة بسم الله اركب هذه البغلة فقال خليفة أنا لا أركب والله أني أخاف أن ترميني فقال له التاجر ابن القرناص والله لابد من ركوبك فتقدم خليفة ليركبها فركبها مقلوبا ومسك ذنبها وصرخ فرمته علي الأرض فضحكوا عليه ثم قام وقال أنا ما قلت لك ما أركب هذا الحمار الكبير ثم ابن القرناص ترك خليفة في السوق وراح إلي أمير المؤمنين واعلمه بالجارية ثم رجع ونقلها إلي بيته ثم أن خليفة ذهب إلي البيت لينظر الجارية فرأي أهل الحارة مجتمعين وهم يقولون أن خليفة اليوم مرهوب بالكلية يا تري هذه الجارية من أين له فقال واحد منهم هذا قواد مجنون لعله وجدها في الطريق سكرانة فحملها واتي بها إلي بيته وما غاب إلا لأنه عرف ذنبه فبينما هم في الكلام وإذا بخليفة أقبل عليهم فقالوا له أي شئ حالك يا مسكين أما تعرف أي شئ جري لك فقال لا والله فقالوا في هذه الساعة جاء مماليك وأخذوا جاريتك وطلبوك فما وجدوك فقال خليفة كيف اخذوا جاريتي فقال واحد لو كان وقع كانوا قتلوه فلم يلتفت خليفة إليهم بل رجع يجري إلي دكان ابن القرناص فرآه راكبا فقال له والله ما يصح منك فانك شاغلتني وأرسلت مماليكك فاخذوا جاريتي فقال يا مجنون تعال وأنت ساكت ثم أخذه وأتي به إلي دار مليحة البناء فدخل به هناك فنظر الجارية قاعدة فيها علي سرير من ذهب وحولها عشر جوار كأنهن الاقمار فلما رآها ابن القرناص قبل الارض بين يديها فقالت له ما فعلت بسيدي الحديد الذي اشتراني بجميع ما يملك فقال لها يا سيدتي اعطيته الف دينار من الذهب وحكي لها خبر خليفة من أوله إلي آخره فضحكت وقال لا تؤاخذه فانه رجل عامي ثم قالت وهذه الف دينار أخري هبة مني إليه وإن شاء الله تعالي يأخذ من الخليفة ما يغنيه فبينما هم في الحديث وإذا بخادم من عند الخليفة قد اقبل يطلب قوت القلوب لانه علم أنها في بيت ابي القرناص وحين علم ذلك لم يصبر عنها فامر باحضارها فلما توجهت إليه اخذت خليفة معها وذهبت حتي اقبلت علي الخليفة فلما وصلت إليه قبلت الارض بين يديه فقال إليها وسلم عليها ورحب بها وسألها كيف كان حالها مع من اشتراها فقالت له أنه رجل يسمي خليفة الصياد وها هو واقف بالباب وقد ذكر لي ان له مع مولانا أمير المؤمنين محاسبة من أجل الشركة التي كانت بينه وبينه في الصيد فقال هل هو واقف قالت نعم

فامر باحضاره فحضر وقبل الارض بين يدي الخليفة ودعا له بدوام العز والنعم فتعجب الخليفة منه وضحك عليه وقال له يا صياد هل كنت امس شريكي حقيقة ففهم خليفة كلام أمير المؤمنين فقوي قلبه وثبت جنانه وقال له وحق من أنعم عليك بخلافة ابن عمك ما أعلمها علي أي حالة وما كان مني غير النظر والحديث ثم اعاد عليه جميع ما جري له من الاول إلي الآخر وصار الخليفة يضحك عليه ثم أنه حدثه بحديث الخادم وما جري له معه وكيف اعطاه المائة دينار علي الدينار الذي أخذه من الخليفة وحدثه أيضاً بدخوله السوق واشترائه الصندوق بالمائة دينار ودينار وهو لا يعلم ما فيه وحكي له جميع الحكاية من المبتدى إلي المنتهي فضحك عليه الخليفة وانشرح صدره وقال له نحن علي ما تريد يا موصل الحق إلي أهله ثم سكت وبعد ذلك أمر له الخليفة بخمسين الف دينار ذهبا وخلعه سنية من ملابس الخلفاء الكبار وبغلة وأهدي إليه عبيدا من السودان يخدمونه وصار كأنه بعض الملوك الموجودة في ذلك الزمان وقد فرح الخليفة بقدوم جاريته وعلم ان هذا كله من فعال السيدة زبيدة بنت عمه وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الخامسة والاربعون بعد الثمانمائة

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الخليفة فرح برجوع قوت القلوب وعرف ان هذا كله من فعال السيدة زبيدة بنت عمه فزاد غضبه عليها وهجرها مدة من الزمان وصار لا يدخل عليها ولا يميل إليها فلما تحققت ذلك حصل لها من غيظه هم عظيم واصفر لونها بعد الاحمرار فلما اعياها الصبر وارسلت إلي ابن عمها أمير المؤمنين تعتذر إليه وتقر بذنبها وقد انشدت هذه الأبيات:

اميل إلي ما كان منكم من الرضي ... لا طفئ مني حسرة وتأسفا
ايا سادتي رقوا لفرط صبابتي ... فهذا الذي لاقيته منكم كفا
لقد عيل صبري بعدكم يا احبتي ... وكدرتم ما كان من عيشي الذي صفا
حياتي إذا وفيتموا بعهودكم ... وموتي إذا لم تسمحوا لي بالوفا
هبوا انني اذنبت ذنبا فسامحوا ... فوالله ما أحلي الحبيب إذا عفا

فلما وصلت مراسلة السيدة زبيدة إلي أمير المؤمنين وقرأها عرف انها اعترفت بذنبها وارسلت تعتذر إليه مما فعلت فقال في نفسه أن الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم وارسل إليها رد الجواب عن مراسلتها مشتملا علي الرضي والسماح والعفو عما مضي فحصل لها الفرح العظيم ثم أن الخليفة رتب لخليفة في كل شهر خمسين ديناراً جائزة له وصار له عند الخليفة منزلة عظيمة ومقام عال وحرمة واحتشام ثم أن خليفة قبل الارض بين يدي أمير المؤمنين عند خروجه وخرج يمشي ويتبختر فلما وصل إلي الباب نظر إليه الخادم الذي أعطاها المائة دينار فعرفه وقال له يا صياد من اين لك هذا كله فحدثه بما جري له من أوله إلي آخره ففرح الخادم بذلك حيث كان هو السبب في غنائه وقال له أما تعطيني انعاما من هذا المال الذي صار لك فمد خليفة يده إلي جيبه فطلع منه كيسا فيه ألف دينار من الذهب وناوله للخادم فقال له الخادم خذ مالك بارك الله لك فيه وتعجب من مروءته وسماحة نفسه علي فقره ثم أن خليفة خرج من عند الخادم وهو راكب علي البغلة والخدام ماسكة كفلها وهو سائر إلي أن أتي الخان والناس يتفرجون عليه ويتعجبون مما حصل له من العز فتقدم إليه الناس بعدما نزل من فوق البغلة وسألوه عن سبب تلك السعادة فاخبرهم بما جري له من الاول إلي الآخر ثم انه اشتري دارا مليحة الاركان وانفق عليها جملة من المال حتي صارت كاملة المعاني وسكن في تلك الدار وصار ينشد هذين البيتين:

انظر لدار شبه دار النعيم ... الهم تنفيه وتشفي السقيم
قد جعلت بنيانها للعلي ... والخير فيها كل وقت مقيم

ثم أنه لما استقر في داره خطب له بنتاً من بنات اعيان أهل المدينة من البنات الحسان ودخل بها وحصل له غاية الانس والحظ والانبساط وصار في نعمة زائدة وسعادة كاملة فلما رأي نفسه في ذلك النعيم شكر الله سبحانه وتعالي علي ما أعطاه من النعمة الوافرة والمكارم المتواترة وصار لربه حامدا حمد الشاكر مترنما بقول الشاعر

لك الحمد يا من فضله متواتر ... ويا من له جود عميم وغامر
لك الحمد مني فاقبل الحمد انني ... لجودك والاحسان والفضل ذاكر
لقد جدت انعاما عليّ ومنة ... وفضلا واحسانا فها انا شاكر

وكل الوري من بحر جودك ناهل وانت لهم عند الشدائد غافر
وخولتنا يا رب آثار نعمة واسبغتها يا من لذنبي غافر
بجاه الذي قد جاء للناس رحمة نبي كريم صادق القول طاهر
عليه صلاة الله ثم سلامه وانصاره والا آل ما زار زائر
واصحابه الغر الكرام أولي النهي مدي الدهر ما غني علي الايك طائر

ثم أن خليفة صار يتردد علي الخليفة هارون الرشيد مع القبول عنده وصار الرشيد يشمله باحسانه وجوده ولم يزل خليفة في اتم نعمة وسرور وعز وحبور وفي نعمة زائدة ورفعة متصاعدة وعيشة طيبة هنية ولذة صافية مرضية إلي أن اتاهم هادم اللذات ومفرق الجماعات فسبحان من له العز والبقاء وهو حي دائم لا يموت أبدا ومما يحكي أنه كان قديم الزمان وسالف العصر والاوان رجل تاجر اسمه مسرور وكان ذلك الرجل من احسن أهل زمانه كثير المال مرفه الحال ولكنه كان يحب النزهة في الرياض والبساتين ويلتهي بهوي النساء الملاح فاتفق انه كان نائما في ليلة من الليالي فرأي في نومه انه في روضة من أحسن الرياض وفيها اربع طيور ومن جملتها حمامة بيضاء مثل الفضة المجلية فاعجبته تلك الحمامة وصار في قلبه منها وجد عظيم وبعد ذلك رأي أنه نزل عليه طائر عظيم خطف تلك الحمامة من يده فعظم ذلك عليه ثم بعد ذلك انتبه من نومه فلم يجد الحمامة فصار يعالج اشواقه إلي الصباح فقال في نفسه لابد أن اروح في اليوم إلي من يفسر لي هذا المنام وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة السادسة والاربعون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان مسرور التاجر لما انتبه من نومه صار يعالج اشواقه إلي الصباح فلما اصبح الصباح قال لابد ان اروح اليوم إلي من يفسر لي هذا المنام فقام وصار يمشي يمينا وشمالا إلي أن بعد عن منزله فلم يجد من يفسر له هذا المنام ثم بعد ذلك طلب الرجوع إلي منزله فبينما هو في الطريق إذا خطر بباله انه يميل إلي دار من دور التجار وكانت تلك الدار لبعض الاغنياء فلما وصل إليها وإذا به يسمع بها صوت انين من كبد حزين وهو ينشد هذه الابيات

نسيم الصبا هبت لناس من رسومها — معطرة يشفي العليل شميمها
وقفت باطلال دوارس سائلا — وليس يجيب الدمع إلا رميمها
فقلت نسيم الريح بالله خبري — هل الدار هذي قد يعود نعيمها
واحظي بظبي مال بي لين قده — واجفانه الوسنا ضناني سقيمها

فلما سمع مسرور ذلك الصوت نظر في داخل الباب فرأي روضة من احسن الرياض في باطنها ستر من ديباج احمر مكلل بالدر والجوهر وعليه من وراء الستر اربع جوار بينهن صبية دون الخماسية وفوق الرباعية كانها البدر المنير والقمر المستدير بعينين كحيلتين وحاجبين مقرونين وفم كانه خاتم سليمان وشفتين واسنان كالدر والمرجان وهي تسلب العقول بحسنها وجمالها وقدها واعتداها فلما رآها مسرور دخل الدار وبالغ في الدخول حتي وصل إلي الستر فرفعت رأسها إليه ونظرته فعند ذلك سلم عليها فردت عليه السلام بعذوبة الكلام فلما نظرها وتأملها طاش عقله وذهب قلبه ونظر إلي الروضة وكانت من الياسمين والمنثور والبنفسج والورد والنارنج وجميع ما يكون فيها من المشموم وقد توشحت جميع الاشجار بالاثمار والماء منحدر من اربعة لواوين يقابل بعضها بعضا فتأمل في الليوان الاول فرأي مكتوبا علي دائرة بالزنجفر الاحمر هذان البيتان

إلا يا دار لم يدخلك حزن — ولم يغدر بصاحبك الزمان
فنعم الدار تأوي كل ضيف — إذا ما الضيف ضاق به المكان

ثم تأمل في الليوان الثاني فرأي مكتوبا في دائرة بالذهب الاحمر هذه الابيات

لاحت عليك ثياب السعد يا دار — وما غدرت في غصون الروض اطيار
ودام فيك عبيرات معطرة — وتنقضي بك للاحبات اوطار
وعاش اهلك في عز وفي نعم — ما لاح نجم علي العلياء سيار

ثم تأمل الليوان الثالث فرأي مكتوبا في دائره باللازورد الازرق هذان البيتان

بقيت في العز والاقبال يا دار — ما جن ليل وما قد لاح انوار
في بابك السعد يأوي كل من دخلوا — والخير منك لمن وافاك مدرار

ثم تأمل الليوان الرابع فرأي مكتوبا في دائرة بالمداد الاصفر هذا البيت

هــذه روضــة وهــذا غــديــر　　　مــجلــس طيــب ورب غـفــور

وفي تلك الروضة طيور من قمرى وحمام وبلبل ويمام وكل طير يغرد بصوته والصبية تتمايل في حسنها وجمالها وقدها واعتدالها يفتتن بها كل من رآها ثم قالت ايها الرجل ما الذي اقدمك علي دار غير دارك وعلي جوار غير جواريك من غير اجازة اصحابها فقال لها يا سيدتي رأيت هذه الروضة فاعجبني حسن اخضرارها وفيح ازهارها وترنم اطيارها فدخلتها لا تفرج فيها ساعة من الزمان واروح إلي حال سبيلي فقالت له حبا وكرامة فلما سمع مسرور التاجر كلامها ونظر إلي طرفها ورشاقة قدها تحير من حسنها وجمالها ومن لطافة الروضة والطير فطار عقله من ذلك وصار متحيرا في امره وانشد هذه الأبيات

قمر تبدي في بديع محاسن　　　بين الربا والروح والريحان

والأس والنسرين ثم بنفسج　　　فاحت روايحه من الاغصان

يا روضة كملت بحسن صفاتها　　　وحوت جميع الزهر والافنان

فالبدر يجلي تحت ظل غصونها　　　والطير تنشد اطيب الالحان

قمريها وهزازها ويمامها　　　وكذا البلابل هيجت اشجاني

وقف الغرام بمهجتي متحيرا　　　في حسنها كتحير السكران

فلما سمعت زين المواصف شعر مسرور نظرت له نظرة اعقبته الف حسرة وسلبت بها عقله واجابته علي شعره بهذه الابيات

لا ترتجي وصل التي علقتها　　　واقطع مطامعك التي املتها

وذر الذي ترجوه انك لم تطق　　　صد التي في الغانيات عشقتها

تجني علي العشاق الحاظي ولم　　　يعظم عليّ مقاله قد قلتها

فلما سمع مسرور كلامها تجلد وصبر وكتم امرها في سره وتنكر وقال في نفسه ما للبلية إلا الصبر ثم داموا علي ذلك إلي أن هجم الليل فامرت بحضور المائدة فحضرت بين ايديهما وفيها من سائر الألوان من السمان وافراخ الحمام ولحوم الضأن فاكلا حتي

اكتفيا ثم امرت برفع الموائد فرفعت وحضرت آلات الغسل فغسلا ايديهما ثم امرت بوضع الشمعدانات فوضعت وجعل فيها شمع الكافور ثم بعد ذلك قالت زين المواصف والله ان صدري ضيق فى هذه الليلة لانني محمومة فقال لها مسرور شرح الله صدرك وكشف غمك فقالت يا مسرور انا معودة بلعب الشطرنج فهل تعرف فيه شيئاً قال نعم انا عارف به فقدمته بين ايديهما وإذا هو من الابنوس مقطع بالعاج له رقعة مرقومة بالذهب الوهاج وحجارته من در وياقوت وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة السابعة والاربعون بعد الثمانمائة

قالت بلغني أيها الملك السعيد انها امرت باحضار الشطرنج احضروه بين يديهما فلما رأه مسرور حار فكره فالتفتت إليه زين المواصف وقالت له هل انت تريد الحمر ام البيض فقال يا سيدة الملاح وزين الصباح خذي انت الحمر لانهم ملاح ولمثلك املح ودعي لي الحجارة البيض فقالت رضيت بذلك فاخذت الحمر وصفتها مقابلة البيض ومدت يديها إلي القطع تنقل في اول الميدان فنظر إلي اناملها فرآها كأنها من عجين فاندهش مسرور من حسن اناملها ولطف شمائلها فالتفتت إليه وقالت له يا مسرور لا تندهش واصبر واثبت فقال لها يا ذات الحسن الذي فضح الاقمار إذا نظرك المحب كيف يكون له اصطبار فبينما هو كذلك واذا هي تقول له الشاه مات فغلبته عند ذلك وعلمت زين المواصف انه بحبها مجنون فقالت له يا مسرور لا العب معك إلا برهن معلوم وقدر مفهوم فقال لها سمعا وطاعة فقالت له احلف لي واحلف لك ان كلامنا لا يغدر صاحبه فتحالفا معا علي ذلك فقالت يا مسرور ان غلبتك اخذت منك عشرة دنانير وان غلبتني لم اعطك شيئاً فظن انه يغلبها فقال لها يا سيدتي لا تحنثي في يمينك فاني اراك اقوي مني في اللعب فقالت له رضيت بذلك وصارا يلعبان ويتسابقان بالبيادق والحقتهم بالافراز وصفتهم وقرنتهم بالرخاخ وسمحت النفس بتقديم الافراس وكان علي رأس زين المواصف وشاح من الديباج الازرق فوضعته عن رأسها وشمرت عن معصم كانه عامود من نور ومرت بكفها علي القطع الحمر وقالت له خذ حذرك فاندهش مسرور وطار عقله وذهب لبه ونظر إلي رشاقتها ورقة معانيها فاحتار واخذه الانبهار فمد يده إلي

البيض فراحت إلي الحمر فقالت يا مسرور اين عقلك الحمر لي والبيض لك فقال لها ان من ينظر إليك ليس يملك عقله فلما نظرت زين المواصف إلي حاله اخذت منه البيض واعطته الحمر فلعب بها فغلبته ولم يزل يلعب معها وهي تغلبه ويدفع لها في كل مرة عشرة دنانير فلما عرفت زين المواصف انه مشغول بهواها قالت يا مسرور ما بقيت تنال مرادك إلا إذا كنت تغلبني كما هو شرطك ولا بقيت العب معك في كل مرة إلا بمائة دينار فقال لها حبا وكرامة فصارت تلاعبه وتغلبه وتكرر ذلك وهو في كل مرة يدفع لها المائة دينار وداما علي ذلك حتي الصباح وهو لم يغلبها ابدا فنهض قائما علي اقدامه فقالت له ما الذي تريد يا مسرور قال امضي إلي منزلي وآتي بمال لعلي ابلغ آمالي فقالت له افعل ما تريد مما بدالك فمضي إلي منزله واتاها بالمال جميعه فلما وصل إليها انشد هذين البيتين

رأيت طيرا مر بي في المنام في روض آنس زهرة ذو ابتسام
لكنه لما بدا صدته منك الوفا تأويل هذا المنام

فلما حضر عندها مسرور بجميع ماله صار يلعب معها وهي تغلبه ولم يقدر ان يغلبها بدور واحد ولم يزالا كذلك ثلاثة ايام حتي اخذت منه جميع ماله فلما نفذ ماله قالت له يا مسرور ما الذي تريد قال الاعبك علي دكان العطارة قالت له كم تساوي تلك الدكان قال خمسمائة دينار فلعب بها خمسة أشواط فغلبته ثم لعب معها علي الجواري والعقارات والبساتين والعمارات فاخذت منه ذلك كله وجميع ما يملكه وبعد ذلك التفتت إليه وقال له هل بقي معك شئ من المال تلعب به فقال لها وحق من اوقعني معك في شرك المحبة ما بقت يدي تملك شيئاً من المال وغيره لا قليلا ولا كثيرا فقالت له يا مسرور كل شئ يكون اوله رضي لا يكون آخره ندامة فإن كنت ندمت خذ مالك واذهب عنا إلي حال سبيلك وانا اجعلك في حل من قبلي فقال لها مسرور وحق من قضي علينا بهذه الامور لو اردت اخذ روحي لكانت قليلة في رضاك فما اعشق احدا سواك فقالت له يا مسرور حينئذ اذهب واحضر القاضي والشهود واكتب لي جميع الاملاك والعقارات فقال حبا وكرامة ثم نهض قائما في الوقت والساعة واتي بالقاضي والشهود واحضرهم عندها فلما رآها القاضي طار عقله وذهب لبه وتبلبل خاطره من

حسن اناملها وقال لها يا سيدتي لا اكتب الحجة إلا بشرط ان تشتري العقارات والجواري والاملاك وتصير كلها تحت تصرفك وفي حيازتك فقالت قد اتفقنا علي ذلك فاكتب لي حجة بان ملك مسرور وجواريه وما تملكه يده ينقل إلي ملك زين المواصف بثمن جملته كذا وكذا فكتب القاضي ووضع الشهود خطوطهم علي ذلك واخذت الحجة زين المواصف وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الثامنة والاربعون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان زين المواصف لما اخذت الحجة من القاضي مشتملة علي ان جميع ما كان ملكا لمسرور صار ملكا لها قالت له يا مسرور اذهب إلي حال سبيك فالتفتت إليه جاريتها هبوب وقالت له انشدنا شيئاً من الاشعار فانشد في شأن لعب الشطرنج هذه الابيات

اشكو الزمان وما قد حل بي وجري ... واشتكي الخسر والشطرنج والنظر
في حب جارية غيداء ناعمة ... ما مثلها في الوري انثي ولا ذكرا
ففوقت لي سهاما من لواحظها ... وقدمت لي جيوشا تغلب البشرا
حمرا وبيضا وفرسانا مصادمة ... فبارزتني وقالت لي خذ الحذرا
واهملتني اذا مرت اناملها ... في جنح ليل بهيم يشبه الشعرا
لم استطع لخلاص البيض انقلها ... والوجد صير مني الدمع منهمرا
بيادق ورخوخ مع فرازنة ... كرت فادبر جيش البيض منكسرا
لقد رمتني بسهم من لواحظها ... فصار قلبي بذلك السهم منفطرا
وخبرتني بين العسكرين معا ... فاخترت تلك الجيوش البيض مقتمرا
وقلت هذي جيوش البيض تصلح لي ... هم المراد واما انت فالحمرا
ولاعبتني علي رهن رضيت به ... ولم أكن عن رضاها ابلغ الوطرا
يا لهف قلبي ويا شوقي ويا حزني ... علي وصال فتاة تشبه القمرا
ما القلب في حرق كلا ولا اسف ... علي عقاري ولكن يألف النظرا

وصرت حيران مبهوتا علي وجل — اعاتب الدهر فيما تم لي وجري
قالت فما لك مبهوتا فقلت لها — هل شارب الخمر قد يصحو اذا سكرا
انسية سلبت عقلي بقامتها — ان لان منها فؤاد يشبه الحجرا
اطعمت نفسي وقلت اليوم املكها — علي الرهان ولا خوفا ولا حذرا
لا زال يطمع قلبي في تواصلها — حتي بقيت علي الحالين مفتقرا
هل يرجع الصب عن عشق اضربه — ولو غدا في بحار الوجد منحدرا
فاصبح العبد لا مال يقلبه — اسير شوق ووجد ما قضي وطرا

فلما سمعت زين المواصف هذه الابيات تعجبت من فصاحة لسانه وقالت له يا مسرور دع عنك هذا الجنون وارجع إلي عقلك وامضي إلي حال سبيلك فقد افنيت مالك وعقارك في لعب الشطرنج ولم تحصل غرضك وليس لك جهة من الجهات توصلك إليه فالتفت مسرور إلي زين المواصف وقال لها يا سيدتي اطلبي اي شئ ولك ما تطلبينه فاني أجئ به إليك واحضره بين يديك فقالت يا مسرور ما بقي معك شئ من المال فقال لها يا منتهي الآمال إذا لم يكن عندي شئ من المال تساعدني الرجال فقالت له هل الذي يعطي يصير مستعطيا فقال لها ان لي قرايب واصحابا ومهما طلبته يعطوني اياه فقالت له اريد منك اربع نوافح من المسك الادفر واربع اواني من الغالية واربعة ارطال من العنبر واربعة الاف دينار واربعمائة حلة من الديباج الملوكي المزركش فان كنت يا مسرور تأتي بذلك الامر ابحت لك الوصال فقال لها هذا عليّ هين يا مخجلة الاقمار ثم ان مسرورا خرج من عندها ليأتيها بذلك الذي طلبته فارسلت خلفه هبوبا الجارية حتي تنظر قدره عند الناس الذين ذكرهم لها فبينما هو يمشي في شوارع المدينة إذ لاحت منه التفاتة فرأي هبوب علي بعد فوقف إلى ان لحقته فقال لها ياهبوب إلى اين انت ذاهبة فقالت له ان سيدتي ارسلتني خلفك من اجل كذا وكذا واخبرته بما قالته لها زين المواصف من أوله إلي آخره فقال والله يا هبوب ان يدي لا تملك شيئاً من المال قالت له فلأي شئ وعدتها فقال كم من وعد لا يفي به صاحبه والمطل في الحب لابد منه فلما سمعت هبوب ذلك منه قالت له يا مسرور طب نفسا وقر عينا والله لاكونن سببا في

اتصالك بها ثم انها تركته ومشيت ومازالت ماشية إلي أن وصلت إلي سيدتها فبكت بكاء شديدا وقالت لها يا سيدتي والله انه رجل كبير المقدار ومحترم عند الناس فقالت لها سيدتها لا حيلة في قضاء الله تعالي ان هذا الرجل ما وجد عندنا قلبا رحيما لاننا اخذنا ماله ولم يجد عندنا مودة ولا شفقة في الوصال وان ملت إلي مراده اخاف ان يشيع الامر فقالت لها هبوب يا سيدتي ما سهل علينا حاله واخذ ماله ولكن ما عندك إلا انا وجاريتك سكوب فمن يقدر أن يتكلم منا فيك ونحن جواريك فعند ذلك اطرقت برأسها إلي الارض فقال لها الجواري يا سيدتي الرأي عندنا ان ترسلي خلفه وتنعمي عليه ولا تدعيه يسأل احدا من اللئام فما امر السؤال فقبلت كلام الجواري ودعت بدواة وقرطاس وكتبت إليه هذه الأبيات

دنا الوصل يا مسرور فابشر بلا مطل ... اذا اسودّ جنح الليل فلتأت بالفعل
ولا تسأل الانذال في المال يا فتي ... فقد كنت في سكري وقد رد لي عقلي
فمالك مردود عليك جميعه ... وزدتك يا مسرور من فوقه وصلي
لانك ذو صبر وفيك حلاوة ... علي جور محبوب جفاك بلا عدل
فبادر لتغنم وصلنا ولك الهنا ... ولا تعط اهمالا فتدري بنا اهلي
هلم الينا مسرعا غير مبطئ ... وكل من ثمار الوصل في غيبة البعل

ثم انها طوت الكتاب واعطته لجاريتها هبوب فاخذته ومضت به إلي مسرور فوجدته يبكي وينشد قول الشاعر

وهب علي قلبي نسيم من الجوي ... ففتنت الاكباد من فرط لوعتي
لقد زاد وجدي بعد احبتي ... وفاضت جفوني في تزايد عبرتي
وعندي من الاوهام ما ان ابح به ... لصم الحصي والصخر لانت بسرعة
الاليت شعري هل اري ما يسرني ... واحظي بما ارجوه من نيل بغيتي
وتطوي ليالي الصد من بعد هجرها ... وابرأ مما في داخل القلب خلت

وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والاربعون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان مسرورا لما زاد به الهيام صار ينشد الاشعار وهو في غاية الشوق فبينما هو يترنم بتلك الابيات ويرددها إذ سمعت هبوب فطرقت عليه الباب فقام وفتح لها فدخلت وناولته الكتاب فاخذه وقرأه وقال لها يا هبوب ما ورائك من اخبار سيدتك فقالت يا سيدي ان في هذا الكتاب ما يغني عن رد الجواب وانت من ذوي الالباب ففرح مسرور فرحا شديدا وانشد هذين البيتين

ورد الكتاب فسرنا مضمونة   واردت اني في الفؤاد اصونه

وازددت شوقا عند ما قبلته   فكانما در الهوي مكنونة

ثم انه كتب كتابا جوابا لها واعطاه لهبوب فاخذته واتت به إلي زين المواصف فلما وصلت إليها به صارت تشرح لها محاسنه وتذكر اوصافه وكرمه وصارت مساعدة له علي جمع شمله بها فقالت لها زين المواصف يا هبوب انه ابطأ عن الوصول إلينا فقالت لها هبوب انه سيأتي سريعا فلم تستتم كلامها وإذا به قد اقبل وطرق الباب ففتحت له واخذته واجلسته عند سيدتها زين المواصف فسلمت عليه ورحبت به واجلسته إلي جانبها ثم قالت لجاريتها هبوب هاتي له بدلة من احسن ما يكون فقامت هبوب واتت ببدلة مذهبة فاخذتها وافرغتها عليه وافرغت علي نفسها بدلة أيضا من افخر الملابس ووضعت علي رأسها سبيكة من اللؤلؤ الرطب وربطت علي السبيكة عصابة من الديباج مكللة بالدر والجوهر واليواقيت وارخت من تحت العصابة سالفتين ووضعت في كل سالفة ياقوتة حمراء مرقومة بالذهب الوهاج وارخت شعرها كانه الليل الداجي وتبخرت بالعود وتعطرت بالمسك والعنبر فقالت لها جاريتها هبوب الله يحفظك من العين فصارت تمشي وتتبختر في خطواتها وتتعطف فانشدت الجارية من بديع شعرها هذه الابيات

خجلت غصون البان من خطواتها   وسطت علي العشاق من لحظاتها

قمر تبدي في غياهب شعرها   كالشمس تشرق في دجي وفراتها

طوبي لمن باتت تليه بحسنها   ويموت فيها حالفا بحياتها

فشكرتها زين المواصف ثم انها اقبلت علي مسرور وهي كالبدر المشهور فلما رآها مسرور نهض قائما علي قدميه وقال ان صدقني ظني فما هي انسية وانما هي من عرايس الجنة ثم انها دعت بالمائدة فحضرت واذا مكتوب علي اطراف المائدة هذه الابيات

عج بالملاعق في ربع السكاريج ... ولذ بنوع القلايا والطياهيج
عليه سمانة ما زلت اعشقها ... مع الفراخ الغزالي والفراريج
لله در الكباب الذي يزهو بحمرته ... والبقل يغمس في خل السكاريج
نعم الارز بألبان الحليب غدت ... فيه الكفوف إلي حد الدماليج
يا لهف قلبي علي لونين من سمك ... لدي رغيفين من خبز التواريج

ثم انهم اكلوا وشربوا وتلذذوا وطربوا ورفعت سفرة الطعام وقدموا سفرة المدام ودار بينهم الكأس والطاس وطابت منهم الانفاس وملأ الكأس مسرور وقال يا من أنا عبدها وهي سيدتي ثم صار يترنم بانشاد هذه الابيات

عجبت لعيني ان تمل لملالها ... بحسن فتاة اشرقت بجمالها
وليس لها في عصرها من مشابه ... للطف معانيها وحسن خصالها
ويحسد غصن البان للين قوامها ... اذا خطرت في حلة باعتدالها
بوجه منير يجعل الاقمار في الدجي ... وفرق حكي في النور ضوء هلالها
إذا خطرت في الارض بعبق نشرها ... نسيما يري في سهلها وجبالها

فلما فرغ مسرور من شعره قالت يا مسرور كل من تمسك بدينه وقد اكل خبزنا وملحنا وجب حقه علينا فحل عنك هذه الامور وانا ارد عليك املاك وجميع ما أخذناه منك فقال يا سيدتي انت في حل مما تذكرينه وان كنت غدرت في اليمين التي بيني وبينك فانا اروح واصير مسلما فقالت لها جاريتها هبوب يا سيدتي انت صغيرة السن وتعرفين كثيرا وانا استشفع عندك بالله العظيم فان لم تطيعيني في امري وتجبري خاطري لا انام الليلة عندك في الدار فقالت لها يا هبوب لا يكون إلا ما تريدينه قومي جددي لنا مجلساً آخر فنهضت الجارية هبوب وجددت مجلسا وزينته وعطرته باحسن العطر كما تحب

وتختار وجهزت الطعام واحضرت المدام ودار بينهم الكأس والطاس وطابت منهم الانفاس وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للخمسين بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان زين المواصف لما امرت جاريتها هبوب بتجديد مجلس الانس قامت وجددت الطعام والمدام ودار بينهم الكأس والطاس وطابت منهم الانفاس فقالت زين المواصف يا مسرور قد آن اوان اللقاء والتداني فان كنت لحبنا تعاني فانشد لنا شعرا بديع المعاني فانشد مسرور هذه القصيدة

اسرت وفي قلبي لهيب تضر ما ... بحبل وصال في الفراق تصرما
وحب فتاة قدّ قلبي قوامها ... وقد سلبت عقلي بخدّ تنعما
لها الحاجب المقرون والطرف الحور ... وثغر يحاكي البرق حين تبسما
لها من سنين العمر عشر واربع ... ودمعي حكي في حب هاتيك عندما
فعاينتها ما بين نهر وروضة ... بوجه يفوق البدر في افق السما
وقفت لها شبه الاسير مهابة ... وقلت سلام الله يا ساكن الحما
فردت سلامي عند ذلك رغبة ... بلطف حديث مثل در تنظما
وحين رأت قولي لديها تحققت ... مرامي وصار القلب منها مصمما
وقالت اما هذا الكلام جهالة ... فقلت لها كفي عن الصب الوما
فان تقبليني اليوم فالخطب هين ... فمثلك معشوق ومثلي متيما
فلما رأت المرام مني تبسمت ... وقالت ورب خالق الارض والسما
يهودية اقسي التهود دينها ... وما انت إلا للنصاري ملازما
فكيف تري وصلي ولست بملتي ... فان تبغ هذا الفعل تصبح نادما
وتلعب بالدينين هل حل في الهوي ... ويصبح مثلي بالملام مكلما
وتهوي به الاديان في كل وجهة ... وتبقي علي ديني ودينك مجرما

فان كنت تهواني تهود محبة ... وصير سوي وصلي عليك محرما
وتحلف بالانجيل قولا محققا ... لتحفظ سري في هواك وتكتما
واحلف بالتوارة ايمان صادق ... باني علي العهد الذي تقدما
حلفت علي ديني وشرعي ومذهبي ... وحلفتها مثلي يمينا معظما
وقلت لها ما الاسم يا غاية المني ... فقالت أنا زين المواصف في الحما
فناديت يا زين المواصف انني ... بحبك مشغوف الفؤاد متيما
وعاينت من تحت اللثام جمالها ... فصرت كئيب القلب والخال مغرما
فمازلت تحت الستر اخضع شاكيا ... كثير غرام في الفؤاد تحكما
فلما رأت حالي وفرط تولهي ... جلت لي وجها ضاحكا متبسما
وهب لنا ريح الوصال وعطرت ... نوافح عطر المسك جيدا ومعصما
وقد عبقت منها الاماكن كلها ... وقبلت من فيها رحيقا ومتبسما
ومالت كغصن البان تحت غلائل وبتنا ... وحللت وصلا كان من قبل محرما
بجمع الشمل والشمل جامع ... بضم ولثم وارتشاف من اللما
وما زينة الدنيا سوي من تحبه ... يكون قريبا منك كي تتحكما
فلما تجلي الصبح قامت وودعت ... بوجه جميل فائق قمر السما
وقدا انشدت عند الوداع ودمعها ... علي الخد منثورا وبعضا منظما
فلم انس عهد الله ما عشت في الوري ... وحسن الليالي واليمين المعظما

فعند ذلك طربت زين المواصف وقالت يا مسرور ما احسن معانيك ولا عاش من يعاديك ثم دخلت المقصورة ودعت بمسرور فدخل عندها واحتضنها وعانقها وقبلها وبلغ منها ما ظن انه محال وفرح بما نال من طيب الوصال فعند ذلك قالت له زين المواصف يامسرور ان مالك حرام علينا حلال لك لاننا قد صرنا احبابا ثم انها ردت عليه جميع ما اخذته منه من الأموال وقالت له يا مسرور هل لك من روضة تأتي إليها ونتفرج عليها

قال نعم يا سيدتي لي روضة ليس لها نظير ثم مضي إلي منزله وامر جواريه ان يصنعن طعاما فاخرا وان يهيئن مجلسا حسنا وصحبة عظيمة ثم انه دعاها إلي منزله فحضرت هي وجواريها فاكلوا وشربوا وتلذذوا وطربوا ودار بينهم الكأس والطاس وطابت منهم الانفاس وخلا كل حبيب بحبيبه فقال له يا مسرور انه خطر ببالي شعر رقيق اريد ان اقوله علي العود فقال لها قوليه فاخذت العود بيدها واصلحت شأنه وحركت اوتاره وحسنت النغمات وانشدت تقول هذه الابيات

قد مال بي طرب من الاوتار ... وصفا الصبوح لنا لدي الاسحار
والحب يكشف عن فؤاد متيم ... فبدا الهوي بتهتك الاستار
مع خمرة رقت بحسن صفاتها ... كالشمس تجلي في يد الاقمار
في ليلة جاءت لنا بسرورها ... تمحو بصفو شائب الاكدار

فلما فرغت من شعرها قالت له يا مسرور انشدنا شيئاً من اشعارك ومتعنا بفواكه اثمارك فانشد هذين البيتين

طربنا علي بدر يدير مدامة ... ونغمة عود في رياض مقامنا
وغنت قماريها ومالت غصونها ... سحيرا وفي انحائها غاية المني

فلما فرغ من شعره قالت له زين المواصف انشد لنا شعرا فيما وقع لنا ان كنت مشغولا بحبنا وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والخمسون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان زين المواصف قالت لمسرور ان كنت مشغولا بحبنا فانشد لنا شعرا فيما وقع لنا فقال حبا وكرامة وانشد هذه القصيدة

قف واستمع ما جرالي ... في حب هذا الغزال
ريم رماني بنبل ... ولحظه قد غزالي
فتنت عشقا واني ... في الحب ضاق احتيالي

هويت ذات دلال ... محجوبة بالنصال
ابصرتها وسط روض ... وقدها ذو اعتدال
سلمت قالت سلاما ... لما صغت لمقالي
سألت ما الاسم قالت ... اسمي وفاق جمالي
سميت زين المواصف ... فقلت رقي لحال
فان عندي غراما ... هيهاتِ صب مثالي
قالت فان كنت تهوي ... وطامعا في وصالي
اريد مالا جزيلا ... فوق كل نوال
اريد منك ثيابا ... من الحرير غوال
وربع قنطار مسك ... برسم ليل وصالي
ولؤلؤا وعقيقا ... من النفيس الغالي
وفضة ونضارا ... من الحلي الحالي
اظهرت صبرا جميلا ... على عظيم اشتغالي
فانعمت لي بوصل ... في ليلة ذي هلال
ان لامني الغير فيها ... اقول يا للرجال
لها شعور طوال ... واللون لون الليالي
وخدها فيه ورد ... مثل اللظى في اشتعال
وجفنها فيه سيف ... ولحظها كالنبال
وثغرها فيه خمر ... وريقها كالزلال
كأنه عقد در ... حوي نظام اللآلي
وجيدها جيد ظبي ... مليحة في كمال

وصـــدرهـــا كـــرخـــام ونـــهـــدهـــا كـــالـــقـــلالـــي
وبـــطـــنـــهـــا فـــيـــه طـــي مـــعـــطـــر بـــالـــغـــوالـــي
وتحـــت ذلـــك شـــيء لـــه انـــتـــهـــت آمـــالـــي
مـــربـــرب وســـمـــين مـــكـــلـــثـــم يـــا مـــوالـــي
كـــأنـــه تـــخـــت مـــلـــك عـــلـــيـــه اعـــرض حـــالـــي
وبـــين الـــعـــمـــوديـــن تـــلـــقـــي لـــه مـــصـــاطـــبـــا بـــتـــعـــال
لـــكـــنـــه فـــيـــه وصـــف يـــدهـــي عـــقـــول الـــرجـــال
لـــه شـــفـــاة كـــبـــار ونـــفـــرة كـــالـــبـــغـــال
يـــبـــدو بـــحـــمـــرة عـــين ومـــشـــفـــر كـــالجـــمـــال
اذا اتـــيـــت إلـــيـــه بـــهـــمـــة فـــي الـــفـــعـــال
تـــلـــقـــاه حـــر المـــلاقـــي بـــقـــوة وحـــقـــالـــي
يـــرد كـــل شـــجـــاع مـــحـــلـــول عـــزم الـــقـــتـــال
وتـــارة تـــلـــتـــقـــيـــه بـــلـــحـــيـــة فـــي مـــطـــال
يـــنـــبـــيـــك عـــنـــه مـــلـــيـــح ذو بـــهـــجـــة وجـــمـــال
كـــمـــثـــل زيـــن المـــواصـــف مـــلـــيـــحـــة فـــي الـــكـــمـــال
اتـــيـــت لـــيـــلا إلـــيـــهـــا ونـــلـــت شـــيـــئـــا حـــلالـــي
ولـــيـــلـــة بـــت مـــعـــهـــا فـــاقـــت جـــمـــيـــع الـــلـــيـــالـــي
لمـــا اتـــي الـــصـــبـــح قـــامـــت ووجـــهـــا كـــالـــهـــلال
تـــهـــز مـــنـــهـــا قـــوامـــا هـــز الـــرمـــاح الـــعـــوالـــي
وودعـــتـــنـــي وقـــالـــت مـــتـــي تـــعـــود الـــلـــيـــالـــي
فـــقـــلـــت يـــا نـــور عـــيـــنـــي اذا اردت تـــعـــالـــي

فطربت زين المواصف من هذه القصيدة طربا عظيما وحصل لها غاية الانشراح وقالت يا مسرور قد دنا الصباح ولم يبقي إلا الرواح خوفا من الافتضاح فقال حبا وكرامة ثم نهض قائما علي قدميه واتي بها إلي ان اوصلها إلي منزلها ومضي إلي محله وبات وهو متفكر في محاسنها فلما اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح هيأ لها هدية فاخرة وأتي بها إليها وجلس عندها واقاما علي ذلك مدة أيام وهما في ارغد عيش واهناه ثم انه ورد عليها في بعض الايام كتاب من عند زوجها مضمونه انه يصل إليها عن قريب فقالت في نفسها لا سلمه الله ولا احياه لانه ان وصل الينا تكدر عيشنا يا ليتني كنت يئست منه فلما اتي إليها مسرور جلس يتحدث معها علي العادة فقالت يا مسرور قد ورد علينا كتاب من عند زوجي مضمونة انه يصل إلينا من سفره عن قريب فكيف يكون العمل وما لاحد منا عن صاحبه صبر فقال لها لست ادري ما يكون بل انت اخبر وادري باخلاق زوجك ولا سيما انت من اعقل النساء صاحبة الحيل التي تحتال بشئ تعجز عن مثله الرجال فقالت انه رجل صعب وله غيرة علي اهل بيته ولكن اذا قدم من سفره وسمعت بقدومه فاقدم عليه وسلم عليه واجلس إلي جانبه وقل له يا اخي انا رجل عطار واشتر منه شيئا من انواع العطارة وتردد عليه مرارا واطل معه الكلام ومهما امرك به فلا تخالفه فيه فلعل ما احتال به يكون مصادفا فقال لها سمعا وطاعة وخرج مسرور من عندها وقد اشتعلت في قلبه نار المحبة فلما وصل زوجها إلي الدار فرحت بوصوله ورحبت به وسلمت عليه فنظر في وجهها فرأي فيه لون الاصفرار وكانت غسلت وجهها بالزعفران وعملت فيه بعض حيل النساء فسألها عن حالها فذكرت له انها مريضة من وقت ما سافر هي والجواري وقالت له ان قلوبنا مشغولة عليك لطول غيابك وصارت تشكو إليه مشقة الفراق وتبكي بدمع مهراق وتقول لو كان معك رفيق ما حمل قلبي هذا الهم كله فبالله عليك يا سيدي ما بقيت تسافر إلا برفيق ولا تقطع عني اخبارك لاجل ان اكون مطمئنة القلب والخاطر عليك وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الثانية والخمسون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان زين المواصف لما قالت لزوجها لا تسافر إلا برفيق ولا تقطع عني اخبارك لاجل ان اكون مطمئنة القلب والخاطر عليك قال لها حبا وكرامة

والله ان امرك رشيد ورأيك سديد وحياتك علي قلبي ما يكون إلا ما تريدينه ثم انه خرج بشيء من بضاعته إلي دكانه وفتحها وجلس يبيع في السوق فبينما هو في دكانه واذا بمسرور قد اقبل وسلم عليه وجلس إلي جانبه وثار يحييه ومكث يتحدث معه ساعة ثم اخرج كيسا وحلة واخرج منه ذهبا ودفعه إلي زوج زين المواصف وقال له اعطني بهذه الدنانير شيئاً من انواع العطارة لابيعة في دكاني فقال له سمعا وطاعة ثم اعطاه الذي طلبه وصار مسرور يتردد عليه اياما فالتفت إليه زوج زين المواصف وقال له انا مرادي رجل اشاركه في المتجر فقال له مسرور وانا الآخر مرادي رجل اشاركه في المتجر لان ابي كان تاجرا في بلاد اليمن وخلف لي مالا عظيما وأنا خائف علي ذهابه فالتفت إليه زوج زين المواصف وقال له هل لك ان تكون رفيقا لي وصاحبا وصديقا في السفر والحضر واعلمك البيع والشراء والاخذ والعطاء فقال له مسرور حبا وكرامة ثم انه اخذه واتي به إلي منزله واجلسه في الدهليز ودخل إلي زوجته زين المواصف وقال لها اني رافقت رفيقا ودعوته إلي الضيافة فجهزي لنا ضيافة حسنة ففرحت زين المواصف وعرفت انه مسرور فجهزت وليمة فاخرة وصنعت طعاما حسنا من فرحتها بمسرور حيث تم تدبير حيلتها فلما حضر مسرور في دار زوج زين المواصف قال اخرجي معي إليه ورحبي به وقولي له آنستنا فغضبت زين المواصف وقالت له اتحضرني قدام رجل غريب اجنبي اعوذ بالله ولو قطعتني قطعا ما احضر قدامه فقال لها زوجها لاي شئ تستحيين منه وهو نصراني ونحن يهود ونصيرا صحابا فقالت انا ما اشتهي ان احضر قدام الرجل الاجنبي الذي ما نظرته عيني قط ولا اعرفه فظن زوجها انها صادقة في قولها ولم يزل يعالجها حتي قامت وتلفلفت واخذت الطعام وخرجت إلي مسرور ورحبت به فاطرق رأسه إلي الأرض كأنه مستحي فنظر الرجل إلي اطرقه وقال لا شك ان هذا زاهد فاكلوا كفايتهم ثم رفعوا الطعام وقدموا المدام فجلست زين المواصف قبال مسرور فصارت تنظره وينظرها إلي أن مضي النهار فانصرف مسرور إلي منزله والتهبت في قلبه النار واما زوج زين المواصف فانه صار متفكرا في لطف صاحبه وفي حسنه فلما اقبل الليل قدمت إليه زوجته طعاما ليتعشي كعادته وكان عنده في الدار طير هزار إذ جلس يأكل يأتي إليه ذلك الطير وياكل معه ويرفرف علي رأسه وكان ذلك الطير قد الف مسرورا فصار يرفرف عليه كلما جلس علي الطعام فحين غاب مسرور وحضر صاحبه فلم يعرفه ولم يقرب

منه فصار يتفكرا في امر ذلك الطير وفي بعده عنه وأما زين المواصف فانها لم تنم بل صار قلبها مشغولا بمسرور واستمر ذلك الامر إلي ثاني وثالث ليلة ففهم اليهودي امرها ونقد عليها وهي مشغولة البال فانكر عليها وفي رابع ليلة انتبه من منامه نصف الليل فسمع زوجته تلهج في منامها بذكر مسرور وهي نائمة في حضنه فانكر ذلك عليها وكتم امره فلما اصبح الصباح ذهب إلي دكانه وجلس فيها فبينما هو جالس وإذا بمسرور قد اقبل وسلم عليه فرد عليه السلام وقال مرحبا يا اخي ثم قال له انـي مشتاق إليك وجلس يتحدث معه ساعة زمانية ثم قال له قم يا أخي معي إلي منزلي حتي نعقد المؤاخاة فقال مسرور حبا وكرامة فلما وصلا إلي المنزل تقدم اليهودي واخبر زوجته بقدوم مسرور وانه يريد أن يتجر هو واياه ويؤاخيه وقال لها هيئي لنا مجلسا حسنا ولابد انك تحضرين معنا وتنظرين المؤاخاة فقالت له بالله عليك لا تحضرني قدام هذا الرجل الغريب فمالي غرض ان احضر قدامه فسكت عنها وامر الجواري ان تقدم الطعام والشراب ثم انه استدعي بالطير الهزار فنزل في حجر مسرور ولم يعرف صاحبه فعند ذلك قال له يا سيدي ما اسمك قال اسمي مسرور والحال ان زوجته طول الليل تلهج في منامها بهذا الاسم ثم رفع رأسه فنظرها وهي تشير إليه وتغمزه بحاجبها فعرف ان الحيلة تمت عليه فقال يا سيدي امهلني حتي اجيئ باولاد عمي يحضرون المؤاخاة فقال له مسرور افعل ما بدالك فقام زوج زين المواصف وخرج من الدار وجاء من وراء المجلس وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الثالثة والخمسون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان زوج زين المواصف قال لمسرور امهلني حتي اجيئ باولاد عمي ليحضروا عقد المؤاخاة بيني وبينك ثم انه مشي وجاء من وراء المجلس ووقف وكان هناك طاقة تشرف عليهما فجاء إليها وصار ينظرهما منها وهما لا ينظرانه واذا بزين المواصف قالت لجاريتها سكوب اين راح سيدك قالت إلي خارج الدار قالت لها اغلقي الباب ومكنيه بالحديد ولا تفتحي له حتي يدق الباب بعد ان تخبريني قالت لها الجارية وهو كذلك كل ذلك وزوجها يعاين حالهم ثم ان زين المواصف اخذت الكأس وطيبته بماء الورد وسحيق المسك وجاءت إلي مسرور فقام لها وتلقاها وقال لها والله ان

ريقك احلي من هذا الشراب وصارت تسقيه ويسقيها وبعد ذلك رشته بماء الورد من فرقه إلي قدمه حتي فاحت روايحه في المجلس كل ذلك وزوجها ينظر إليهما ويتعجب من شدة الحب الذي بينهما وقد امتلأ قلبه غيظا مما قد رأه ولحقه الغضب وغار غيرة عظيمة فاتي إلي الباب فوجده مغلقا فطرقه طرقا قويا من شدة غيظه فقالت الجارية يا سيدتي قدجاء سيدي فقالت افتحي له الباب فلا رده الله بسلامة فمضت سكوب إلي الباب وفتحته فقال لها مالك تغلقين الباب فقالت هكذا في غيابك لم يزل مغلقا ولا يفتح ليلا ولا نهارا فقال احسنت فانه يعجبني ذلك ثم دخل علي مسرور وهو يضحك ولكنه كتم امره وقال يا مسرور دعنا من المؤاخاة في هذا اليوم ونتأخي في يوم آخر غير هذا اليوم فقال سمعا وطاعة افعل ما تريد فعند ذلك مضي مسرور إلي منزله وصار زوج زين المواصف متفكراً في امره ولا يدري ما يصنع وصار خاطره في غاية التكدير وقال في نفسه حتي الهزار انكرني والجواري اغلقت الابواب في وجهي وملن إلي غيري ثم انه صار من شدة قهره يردد انشاده هذه الابيات

لقد عاش مسرور زمانا منعما ... بلذة ايام وعيش تصرما
تعاندني الايام فيمن احبه ... وقلبي بنيران يزيد تضرما
صفا لك دهر بالمليحة قد مضي ... ولازلت في ذاك الجمال مهيما
لقد عاينت عيناي حسن جمالها ... فاصبح قلبي في هواها متيما
لقد طالما قد ارشفتني مع الرضي ... بعذب ثناياها رحيقا علي ظما
فما لك يا طير الهزار تركتني ... وصرت لغيري في الغرام مسلما
وقد ابصرت عيني امورا عجيبة ... تنبه اجفاني اذا كنّ نوما
رأيت حبيبي قد اضاع مودتي ... وطير هزاري لم يكن لي مجوّما
وحق اله العالمين الذي اذا ... اراد قضاء في الخليقة ابرما
لا فعل ما يستوجب الظالم الذي ... بجهل دنا من وصلها وتقدما

فلما سمعت زين المواصف شعره ارتعدت فرائصها واصفر لونها وقالت لجاريتها هل سمعت هذا الشعر فقالت الجارية ما سمعته في عمري قال مثل هذا الشعر ولكن دعيه يقول ما يقول فلما تحقق زوجها ان هذا الامر صحيح صار يبيع في كل ما تملكه يده وقال في نفسه ان لم اغربهما عن اوطانهما لم يرجعا عما هما فيه ابدا فلما باع جميع املاكه كتب كتابا مزورا ثم قرأه عليها وادعي ان هذا الكتاب جاءه من عند اولاد عمه يتضمن طلب زيارته لهم هو وزوجته فقالت وكم نقيم عندهم قال اثني عشر يوما فاجابته إلي ذلك وقالت له هل آخذ معي بعض جواريّ قال خذي منهن هبوب وسكوب ودعي هنا خطوب ثم هيأ لهن هودجا مليحا وعزم علي الرحيل بهن فارسلت زين المواصف إلي مسرور ان فات الميعاد الذي بيننا ولم نأت فاعلم انه قد عمل لناحيله ودبر لنا مكيدة وابعدنا عن بعضنا فلاتنس العهود والمواثيق التى بيننا فاني اخاف من حيله ومكره ثم ان زوجها جهز حاله للسفر واما زين المواصف فانها صارت تبكي وتنتحب ولا يقر لها قرا في ليل ولا نهار فلما رأي زوجها ذلك لم ينكر عليها فلما رأت زين المواصف ان زوجها لا بد له من السفر لمت قماشها ومتاعها واودعت جميع ذلك عند اختها واخبرتها بما جري لها وودعتها وخرجت من عندها وهي تبكي ثم رجعت إلي بيتها فرأت زوجها قد احضر الجمال وصار يضع عليها الاحمال وهيأ لزين المواصف احسن الجمال فلما رأت زين المواصف انه لابد من فراقها لمسرور تحيرت فاتفق ان زوجها قد خرج لبعض اشغاله فخرجت الى الباب الاول وكتبت عليه هذه الابيات وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الرابعة والخمسون بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان زين المواصف لما رأت زوجها احضر الجمال وعلمت بالسفر تحيرت فاتفق ان زوجها خرج لبعض اشغاله فخرجت إلي الباب الاول وكتبت عليه هذه الابيات:

الا يا حمام الدار بلغ سلامنا ... من الصب للمحبوب عند فراقنا

وبلغه اني لا ازال حزينة ... ونادمة علي ما كان من طيب وقتنا

كـمـا ان حـبـي لا يـزال مـتـيـمـا | حزينا عـلي ما قد مضي مـن سرورنا
قـضـيـنـا زمـانـا بـالمسـرة والـهـنـا | وفـزنـا بـوصـل لـيـلـنـا ونـهـارنـا
فـلم نـسـتفـق الا واصبـح صـايحـا | عـلـينا غـراب الـبين يـنـعي فـراقنـا
رحـلـنا وخـلـيـنـا الـديار بـلا قـعـا | فـياليـتنـا لـم نخـل تـلك المسـاكنـا

ثم أتت إلي الباب الثاني وكتبت هذه الأبيات:

الا يـا واصلا لـلبـاب بالـله فـانظـرا | جمـال حبيـبى فى الـدياجى واخـبرا
بـأنـى أبـكـى أن تـذكـرت وصـلـه | ولاينـفد الـدمع الـذى بالـبكـا جرى
فإن لـم تجد صبـرًا علـى ما أصابـنى | فضـع فوق هـامتـك التـراب وغبـرا
وسـافر إلـي شـرق البـلاد وغـربهـا | وعـش صـابرًا فـالـلـه للأمـر قـدرا

ثم أتت إلي الباب الثالث وبكت بكاءًا شديدًا وكتبت عليه هذه الأبيات:

رويـدك مـسـرور إن زرت دارهـا | فاعـبر إلي الأبـواب واقرأ سطـورها
ولا تنس عـهد الود إن كنـت صادقًا | فكـم طعـمت حلـو الليـالى ومـرها
فـبالـلـه يـا مسـرور لاتـنـس قربـهـا | فقـد تركـت فيـك الهـنا وسـرورها
إلا وابـك أيـام الـوصـال وطـيـبـهـا | وأنت متـى ماجئت ارخت سـتورها
فـسـافـر قـصـيات الـبـلاد لأجـلـنـا | وخض بحرها واسـتـقض عنا برورها
لـقـد ذهبت عـنـا لـيالى وصـالـنـا | وفـرط ظـلام الهـجـر اطـفأ نـورهـا
رعـى الـلـه أيامـا مـضت مـا اسرهـا | بروض الامـانى إذ قـطعـنا زهـورها
فهـلا استمرت مـثل ما كنـت ارتجى | ابـي الـلـه إلا وردهـا وصـدورهـا
فـهل تـرجـع الايـام تجمـع شـمـلنـا | وأوفـى إذا وافـت لـربـى نـذورهـا
وكـن عـالمـا أن الأمـور بـكـف مـن | يـخط عـلى لـوح الجـبين سـطورهـا

ثم بكت بكاءً شديداً ورجعت إلي الدار تبكى وتنتحب وصارت تتذكر ما مضى وقالت سبحان الله الذى حكم علينا بهذا ثم زاد تأسفها على مفارقة الأحباب وعلي فراق الديار وأنشدت هذه الأبيات:

عليك سلام الله يا منزلا خلا لقد قضت الأيام فيك سرورها
الا يا حمام الدار لازلت نايحا لمن فارقت اقمارها وبدورها
رويدك يا مسرور فابك لفقدنا لقد فقدت عينى لفقدك نورها
ولو نظرت عيناك يوم رحيلنا ونيران قلبى زاد دمعى سعيرها
ولا تنس ذاك العهد فى ظل روضة حوت شملنا فيها وارخت ستورها

ثم حضرت بين يدى زوجها فحملها عل الهودج الذى صنعه لها فلما صارت على ظهر البعير انشدت هذه الأبيات:

عليك سلام الله يا منزلا خلا وقد طال مازدنا هناك تجملاً
فليت زمانى فى ذراك تصرمت لياليه حتى فى الصبابة اقتلا
جزعت على بعدى وشوقى لموطن شغفت به لم أدر ماقد تحصلا
فياليت شعرى هل أرى فيه عودة تروق كما راقت لنا فيه أولا

فقال لها زوجها يا زين المواصف لا تحزنى على فراق منزلك فإنك تعودين إليه عن قريب وصار يطيب خاطرها ويلاطفها ثم ساروا حتي خرجوا إلي ظاهر البلد واستقبلوا الطريق وعلمت أن الفراق قد تحقق فعظم ذلك عليها كل هذا ومسرور قاعد في منزله متفكر فى أمره وأمر محبوبته فحس قلبه بالفراق فنهض قائمًا على قدميه من وقته وساعته وصار حتى جاء إلي منزلها فرأى الباب مقفولاً ورأى الابيات التى كتبتها زين المواصف فقرأ ما علي الباب الأول فلما قرأه وقع فى الأرض مغشيًا عليه ثم أفاق من غشيته وفتح الباب الأول ودخل إلي الباب الثانى فرأى ما كتبته وكذلك الثالث فلما قرأ جميع هذه الكتابة زاد به الغرام والشوق والهيام فخرج فى أثرها يسرع فى خطاه حتى لحق بالركب فرآها فى آخره وزوجها فى أوله لاجل حوايجه فلما رآها تعلق بالهودج باكيًا حزينًا من ألم الفراق وأنشد هذه الأبيات:

ليت شعرى بأى ذنب رمينا   بسهام الصدود طول السنينا
يا منى القلب جئت للدار يومًا   عندما زدت فى هواك شجونًا
فرأيت الديار قفرا يبابا   فشكوت النوى وزدت انينا
وسألت الجدار عن كل قصدى   اين راحوا وصار قلبى رهينا
قال ساروا عن المنازل حتى   صيروا الوجد فى الفؤاد كمينا
كتبت على الجدار سطوراً   فعل أهل الوفا من العالمين

فلما سمعت زين المواصف هذا الشعر علمت أنه مسرور وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الخامسة والخمسون بعد الثمانمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن زين المواصف لما سمعت منه هذا الشعر علمت أنه مسرور فبكت هى وجواريها ثم قالت له يا مسرور سألتك بالله أن ترجع عنا لئلا يراك ويرانى زوجى فلما سمع مسرور ذلك غشى عليه فلما أفاق ودعا بعضهما وأنشد هذه الأبيات:

نادى الرحيل سحيرا فى الدجا الهادى   قبل الصباح وهبت نسمة النادى
شدوا المطايا وجدوا فى ترحلهم   واسرع الركب لما زمزم الحادى
وعطروا أرضهم من كل ناحية   وعجلوا سيرهم فى ذلك الوادى
تملكوا مهجتى عشقًا وقد رحلوا   وغادرونى على آثارهم غادى
يا جيرة مقصدى أن لا افارقهم   حتى بللت الثرى من دمعى الغادى
يا ويح قلبى بعد البعد ما صنعت   يد الفراق على رغمى باكبادى

ومازال مسرور ملازمًا للركب وهو يبكى وينتحب وهى تستعطفه فى أن يرجع قبل الصباح خشية الافتضاح فتقدم إلي الهودج وودعها ثانى مرة وغشى عليه ساعة زمانية فلما أفاق وجدهم سائرين فالتفت نحو سيرهم وشم ريح القبول وصار يترنم بإنشاد هذه الأبيات:

ما هب ريح القرب للمشتاق | الا شكا من لوعة الاشواق
هبت عليه نسمة سحرية | ما فاق إلا وهو في الافاق
ملقى على فرش السقام من الضنى | يبكى الدماء بدمعه المهراق
من جيرة رحلوا وقلبى معهم | بين الركاب يساق بالسواق
والله ما فى القرب هبت نسمة | الا وقفت لها على الأحداق

ثم رجع مسرور إلي الدار وهو فى غاية الاشتياق فرآها خالية من الاطناب موحشة من الاحباب فبكى حتى بل ثيابه وغشى عليه وكادت أن تخرج روحه من جسده فلما أفاق أنشد هذين البيتين:

يا ربع رق لذلتي وخضوعي | وتحول جسمي وانهمال دموعي
وانشر الينا من عبير نسيمهم | ارجا لتشفى خاطرى الموجوعى

فلما رجع مسرور إلى منزله صار متحيرًا من أجل ذلك باكى العين ولم يزل على هذا الحال مدة عشرة أيام هذا ما كان من أمر مسرور وأما ما كان من أمر زين المواصف فأنها عرفت أن الحيلة قد تمت عليها فإن زوجها مازال سائرًا بها مدة عشرة أيام ثم أنزلها فى بعض المدن فكتبت زين المواصف كتابًا لمسرور وناولته لجاريتها هبوب وقالت أرسلى هذا الكتاب إلي مسرور ليعرف كيف تمت الحيلة علينا وكيف غدر بنا اليهودى فأخذت الجارية منها الكتاب وأرسلته إلي مسرور فلما وصل إليه عظم عليه هذا الخطاب فبكى حتى بل التراب وكتب كتابًا وأرسله إلى زين المواصف وختمه بهذين البيتين:

كيف الطريق إلي أبواب سلوان | وكيف يسلوا لدى فى حر نيران
ما كان أطيب أوقات لهم سلفت | فليت منها لدينا بعض احيان

فلما وصل الكتاب إلي زين المواصف أخذته وقرأته وأعطته لجاريتها هبوب وقالت لها أكتمى خبره فعلم زوجها أنهما يتراسلان فأخذ زين المواصف وجواريها وسافر بهن مسافة عشرين يومًا ثم نزل بهن فى بعض المدن هذا ما كان من أمر زين المواصف وأما ما كان من أمر مسرور فإنه صار لا يهنأ له نوم ولا يقر له قرار ولم يكن له اصطبار ولم يزل

كذلك إذ هجعت عيناه في بعض الليالي فرأى في المنام أن زين المواصف قد جاءت إليه في الروضة تعانقه فانتبه من نومه فلم يراها فطار عقله وذهل لبه وهملت عيناه بالدموع وقد أصبح قلبه في غاية الولوع فأنشد هذه الأبيات:

سلام على من زار في النوم طيفها ... فهيج أشواقي وزاد غرامي
وقد قمت من ذاك المنام مولعا ... برؤية طيف زارني بمنامي
فهل تصدق الاجلام فيمن أحبه ... وتشفي غليلي في الهوى وسقامي
فطورا تعاطيني وطرا تضمني ... وطوراً تواسيني بطيب كلام
ولما تقضي في المنام عتابنا ... وصارت عيوني بالدموع دوامي
رشفت رضابا من لماها كأنه ... رحيق ارى رياه مسك ختام
عجبت لما قد كان في النوم بيننا ... وقد نلت منها منيتى ومرامى
وقد قمت من ذاك المنام ولم أجد ... من الطيف إلا لوعتى وغرامى
فأصبحت كالمجنون حين رأيتها ... وامسيت سكرانًا بغير مدام
إلا يا نسيم الريح بالله بلغى ... تحية أشواقى لهم وسلامى
وقولى لهم ذاك الذى تعهدونه ... سقته صروف الدهر كأس حمام

ثم أنه توجه إلى منزلها ومازال يبكى حتى وصل إليه فنظر إلي المكان فوجده خاليًا ورأى خيالها يلوح قدامه وكأن شخصها أمامه فاشتعلت نيرانه وزادت أحزانه ووقع مغشيًا عليه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة السادسة والخمسون بعد الثمانمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن مسرور لما رأى فى المنام زين المواصف وهى تعانقه فرح غاية الفرح ثم انتبه من النوم وراح إلي دارها فرأى الدار خالية فزادت أحزانه ووقع مغشيًا عليه فلما أفاق جعل ينشد هذه الأبيات:

تنشقت منهم فايح العطر والبان فرحت بقلب زائد الوجد ولهان
اعالج اشواقى كئيبًا متيمًا بربع خلا عن حسن انسى وخلانى
فامرضنى بالبين والوجد والأسى وذكرنى العهد القديم بخلانى

فلما فرغ من شعره سمع غرابًا على جانب الدار فبكى وقال سبحان الله لا ينعق الغراب إلا على الدار الخراب ثم تحسر وتنهد وأنشد هذه الأبيات:

ما للغراب بدار الحب يبكيها والنار تحرق احشائى وتكويها
على زمان تقضى في محبتهم قد راح قلبى ضياعا في مهاويها
أموت وجداً ونار الشوق فى كبدى وأكتب الكتب مالي من يؤديها
واحسرتى لضنى جسمى وقد رحلت حبيبى يا ترى تأتى لياليها
فيا نسيم الصبا إن زرتها سحرا سلم عليها وقف بالدار حييها

وقد كان لزين المواصف أخت تسمى نسيمًا وكانت تنظر إليه من مكان عال فلما رأته على تلك الحالة بكت وتحسرت وأنشدت هذه الأبيات:

كم ذا التردد فى الأوطان تبكيها والدار تندب بالأحزان بانيها
كان السرور بها من قبل أن رحلت سكانها وشموس اشرقت فيها
اين البدور التى كانت طوالعة محت صروف الردى ابهى معانيها
دع ما مضى من ملامح كنت تألفها وانظر عسى ترجع الأيام تبديها
لولاك ما رحلت سكانها أبداً ولا رأيت غرابًا فى أعاليها

فبكى مسرور بكاءاً شديداً لما سمع هذا الكلام وفهم الشعر والنظام وكانت أختها تعرف ما هما عليه من العشق والغرام والوجد والهيام فقالت له بالله عليك يا مسرور كف عن هذا المنزل لئلا يشعر بك أحد فيظن أنك تأتى من أجلى لأنك رحلت أختى وتريد أن ترحلنى أنا الأخرى وأنت تعرف أنه لولا أنت ما خلت الديار من سكانها فتسلى عنها واتركها فقد مضى ما مضى فلما سمع مسرور ذلك من أختها بكى بكاءاً

شديدًا وقال لها يـا نسيم لو قدرت أن أطير لطرت شوقًـا إليها فكيف اتسلي عـنها فقالت مالك حيلة إلا الصبر فـقال لها سألتك بالله أن تكتبي لها كتابًـا من عندك وتردى لنا جوابا ليـطيب خاطـرى وتنطـفى النـار التى فى ضـمائرى فـقالت حـبًا وكرامة ثـم أخذت دواة وقرطاسًا وصار مـسرور يصف لها شدة شوقـه وما يكابده من ألم الفـراق ويقول إن هذا الكتاب عن لسان الهايم الحزين المفارق المسكين الذى لا يقر له قرار فى ليل ولا في نهار بل يبكى بدموع غـزار قد قرّحت الدموع اجفانه واضرمت فى كبـده احزانه وطال تاسفه وكثر قلقه مثل طير فقد الفه وعجل تلفه فـيا اسفى من مفارقتك ويا لهفى على معاشرتك لقد ضر جسمى النحول ودمعى صار فى همـول وضاقت علىّ الجبال والسهول فأمسيت من فرط وجدى أقول:

وجـدى عـلـي تـلك المنـازل بـاقـى — زادت إلـى سكـانـهـا أشـواقـى
وبعـثت نـحوكـم حديـث صبـابتـى — وبـكأس حـبكـم سقـانـى الـساقـى
وعـلـى رحـيـلكـم وبـعـد ديـاركـم — جـرت الجـفون بـدمـعـها المـهـراق
يـا حـادى الأظـعان عـرج بـالحـمـى — فـالـقـلـب مـنـى زائـد الاحـراق
واقـرأ سـلامى لـلـحـبيب وقـل لـه — مـا أن لـه غـيـر الـلـمـامـن راق
أودي الـزمـان بـه فـشتـت شـمـلـه — ورمـى حـشـاشـتـه بـسـهـم فـراق
بـلـغ لـهـم وجدى وشـدة لـوعـتـى — مـن بـعـد فـرقتـهـم ومـا أنـا لاقـى
قـسـمـا بـحـبـكـم يمـينًا أنـنـى — أوفـى لـكـم بـالـعـهـد والمـيـثـاق
مـا ملـت قـط ولا سـلوت هـواكـم — كـيـف الـسـلـوّ لـعـاشـق مـشـتـاق
فـعـلـيـكـم مـنـى الـسـلام تحـيـة — ممـزجـة بـالمـسـك فـى الأوراق

فتعجبت أختها نسيم من فصاحة لسانه وحسن معانيه ورقة مشاعره فرقت له وختمت الكتاب بالمسك الادفر وبخرته بالند والعنبر وأوصلته إلي بعض التجار وقالت له لا تسلم هذا إلا لأختى أو جاريتها هبوب فقال حبًا وكـرامة فلما وصل الكتاب إلي زين المواصف عرفت أنه من املاء مسـرور وعرفت نفسه فيه بلطف معـانيه فقبلته ووضعته علـى عينيها

وأجرت الدموع من جفنيها ولم تزل تبكى حتى غشى عليها فلما أفاقت دعت بدواة وقرطاس وكتبت له جواب الكتاب ووصفت شوقها وغرامها ووجدها وما هى فيه من الحنين إلي الأحباب وشكت حالها إليه وما نالها من الوجد عليه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة السابعة والخمسون بعد الثمانمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن زين المواصف لما كتبت جواب لمسرور قالت له فيه أن هذا كتاب إلى سيدى ومالك رقى ومولاى وصاحب سرى ونجواى أما بعد فقد أقلقنى السهر وزاد بى الفكر ومالي على بعدك مصطبر يا من حسنه يفوق الشمس والقمر فالشوق أقلقنى والوجد أهلكنى وكيف لا أكون كذلك وأنا مع الهالكين فيا بهجة الدنيا وزينة الحياة لمن انقطعت انفاسه أن يطيب كأسه لأنه لا هو مع الأحياء ولا مع الأموات ثم أنشدت هذه الأبيات:

كتابك يا مسرور قد هيج البلوى ... فوالله ما لي عنك صبر ولا سلوى
ولما قرأت الخط حنت جوارحى ... ومن ماء دمعى لم أزل اروى
ولو كنت طيراً لطرت فى جنح ليلة ... فلم أدر طعم المنّ بعدك والسلوى
حرام على العيش من بعد بعدكم ... فإنى على حر التفرق لا أقوى

ثم تربت الكتاب بسحيق المسك والعنبر وختمته وأرسلته مع بعض التجار وقالت له لا تسلمه إلا لأختى نسيم فلما وصل إلي أختها نسيم أوصلته إلي مسرور فقبله ووضعه علي عينيه وبكى حتى غشى عليه هذا ما كان من أمرهم وأما ما كان من أمر زوج زين المواصف فإنه لما علم بالمراسلات بينهما صار يرحل بها وبجاريتيها من محل إلي محل فقالت له زين المواصف سبحان الله إلي أين تسير بنا وتبعدنا عن الأوطان قال إلي أن أقطع بكم سنة حتى لا يصل اليكن مراسلات من مسرور وأنظر كيف اخذتن جميع ما لى واعطيتنه لمسرور فكل شيء ضاع لى آخذه منكن وأنظر هل ينفعكن مسرور أو يقدر علي خلاصكن من يدى ثم أنه مضى إلي الحداد وصنع لهن ثلاثة قيود من الحديد واتى بها اليهن ونزع ما كان عليهن من الثياب الحرير والبسهن ثيابًا من الشعر وصار يبخرها

بالكبريت ثم جاء إليهن بالحداد وقال له ضع هذه القيود فى رجل هؤلاء الجوارى فأول ما قدم زين المواصف فلما رآها الحداد غاب صوابه وعض علي أنامله وطار عقله من رأسه وزاد غرامه وقال لليهودى ما ذنب هؤلاء الجوارى فقال انهن جوارى وسرقن مالى وهربن منى فقال له الحداد خيب الله ظنك والله لو كانت هذه الجارية عند قاضى القضاة واذنبت كل يوم ألف ذنب لا يؤاخذها وأيضًا لا يظهر عليها علامة السرقة ولا تقدر على وضع الحديد في رجليها ثم سأله أن لا يقيدها وصار يستشفع عنده فى عدم تقييدها فلما نظرت الحداد وهو يستشفع لها عنده قالت لليهودى سألتك بالله لا تخرجنى قدام هذا الرجل الغريب فقال لها وكيف خرجت قدام مسرور فلم ترد له جوابًا ثم قبل شفاعة الحداد ووضع فى رجليها قيداً صغيراً وقيد الجوارى بالقيود الثقيلة وكان لزين المواصف جسم ناعم لا يتحمل الخشونة فلم تزل لابسة ثياب الشعر هي وجواريها ليلاً نهاراً إلي أن انتحلت جسومهن وتغيرت ألوانهن وأما الحداد فإنه وقع فى قلبه لزين المواصف عشق عظيم فسار إلي منزله وهو بأشد الحسرات وجعل ينشد هذه الأبيات:

شلت يمينك يا قين بما وثقت ... تلك القيود على الأقدام والعصب
قيدت اقدام مولاة منعمة ... انيسة خلقت من أعجب العجب
لو كنت تنصف ما كانت خلاخلها ... من الحديد وقد كانت من الذهب
ولو رأى حسنها قاضى القضاة رثى ... لها وأجلسهانيها على الرتب

وكان قاضى القضاة مارًا على دار الحداد وهو يترنم بإنشاد هذه الأبيات فأرسل إليه فلما حضر قال يا حداد من هذه التى تلهج بذكرها وقلبك مشغول بحبها فنهض الحداد قائمًا على قدميه بين يدى القاضى وقبل يده وقال أدام الله أيام مولانا القاضى وفسح في عمره أنها جارية وصفتها كذا وكذا وصار يصف له الجارية وما هى فيه من الحسن والجمال والقد والإعتدال والظرف والكمال بوجه جميل وخصر نحيل وردف ثقيل ثم أخبره بما هى فيه من الذل والحبس والقيود وقلة الزاد فقال القاضى يا حداد دلها علينا وأوصلها إلينا حتي نأخذ لها حقها لأن هذه الجارية صارت متعلقة برقبتك وإن كنت لا تدلها علينا فإن الله يجازيك يوم القيامة فقال الحداد سمعًا وطاعة ثم أنه توجه من وقته وساعته إلي دار زين المواصف فوجد الباب مغلوقًا وسمع كلامًا رخيمًا من كبد حزين فإن زين المواصف كانت فى هذا الوقت تنشد هذه الأبيات:

قد كنت فى وطنى والشمل مجتمع ... والحب يملأ بالصفو أقداحًا
دارت علينا بما نهواه من طرب ... فليس ننكر امساء وإصباحًا
لقد قضينا زمانًا كان ينعشنا ... كأسًا وعودًا وقانونًا وافراحًا
ففرّق الدهر والتصريف الفتنا ... والحب ولى ووقت الصفو قد راح
فليت عنا غراب البيت منزجر ... وليت فجر وصالي في الهوى لاح

فلما سمع الحداد هذا الشعر والنظام بكى بدمع الغمام ثم طرق الباب عليهن فقلن من بالباب فقال لهن أنا الحداد ثم أخبرهن بما قاله القاضى وأنه يريد حضورهن لديه وإقامة الدعوى بين يديه حتي يخلص لهن حقهن وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الثامنة والخمسون بعد الثمانمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الحداد لما أخبر زين المواصف بكلام القاضى وأنه يريد حضورهن لديه وإقامة الدعوة بين يديه ويقتص لهن من غريمهن حتى يخلص لهن حقهن قالت للحداد كيف نروح إليه والباب مغلوق علينا والقيود فى أرجلنا والمفاتيح مع اليهودى قال لهن الحداد أنا أعمل للأقفال مفاتيح وأفتح بها الباب والقيود قالت فمن يعرفنا بيت القاضى فقال الحداد أنا أصفه لكن فقالت زين المواصف وكيف نمضى عند القاضى ونحن لابسات ثياب الشعر المبخرة بالكبريت فقال لهن الحداد أن القاضى لا يعيبكن وانتن فى هذه الحالة ثم نهض الحداد من وقته وساعته وصنع مفاتيح الأقفال ثم فتح الباب وفتح القيود وحلها من أرجلهن وأخرجهن ودلهن على بيت القاضى ثم أن جاريتها هبوب نزعت ما كان على سيدتها من الثياب الشعر وذهبت بها إلي الحمام وغسلتها والبستها ثياب الحرير فرجع لونها إليها ومن تمام السعادة أن زوجها كان في وليمة عند بعض التجار فتزينت زين المواصف بأحسن الزينة ومضت إلي بيت القاضى فلما نظرها القاضى وقف قائمًا على قدميه فسلمت عليه بعذوبة كلام وحلاوة الفاظ ورشقته فى ضمن ذلك بسهام الألحاظ وقالت له آدام الله مولانا القاضى وأيد به المتقاضى ثم أخبرته بأمر الحداد وما فعل معها من فعل الأجواد وبما صنع بها اليهودى من العذاب الذى يدهش الالباب وأخبرته أنه قد زاد بهن الهلاك ولم يجدن لهن من فكاك فقال القاضى يا جارية ما اسمك قالت اسمى زين المواصف وجاريتى هذه اسمها هبوب فقال لها القاضى أن اسمك وافق مسماه وطابق لفظه معناه فتبسمت ولفت وجهها فقال

لها الـقاضي يا زين المـواصف ألك بعل أم لا قالـت مالى بعلٍ قـال وما دينك قالـت ديني الإسلام وملة خير الأنام فقال له أقسمي بالشـريعة ذات الآيات والعبر إنك على ملة خير البشـر فأقسمت لـه وتشهدت فقـال لها القاضي كـيف انقضى شـبابكِ مع هذا الـيهودى فقالـت أعلم أيها الـقاضى آدام الله أيـامك بالتـراضى وبلغك أمـالكِ وختم بالـصالحات أعمالك أن أبى خلف لى بـعد وفاته خمسة عشر الفٌ دينار وجعلـها في يد هذا اليهودى ليتجر فـيها والكسب بيننـا وبينه ورأس المال ثابت بالبيـنة الشرعية فعندمـا مات أبي طمع اليهودى فيّ وطلـبنى من أمى ليتزوج بى فقالـت له أمى كيف أخرجها من دينـها وأجعلها يهودية فـوالله لا عرفن الدولـة بك فخاف ذلك اليـهودى من كلامها وأخـذ المال وهرب إلي مدينة عدن وعنـدما سمعنا به أنه في مدينة عدن جـئنا في طلبه فلما اجتمـعنا عليه في تلك المدينة ذكـر لنا أنه يتاجر في البضايع ويـشتري بضاعة بعد بضاعة فصـدقناه فلم يزل يخادعنا حتى حبسـنا وقيدنا وعذبنا أشد العذاب ونحن غرباء وما لـنا معين إلا الله تعالي ومولانا الـقاضى فلما سـمع القاضى هذه الحـكاية قال لجاريتـها هبوب هل هذه سـيدتك وانتن غرباء وليس لها بـعل قالت نعم قال زوجينى بها وأنا يلزمنـى العتق والصيام والحج والصدقة أن لم أخلص لكن حقكن من هذا الكـلب بعد أن أجازيه بما فعل فقالت هبوب لك السمع والطاعة فقال القاضى روحى طيـبى قلبك وقلب سيدتك وفى غد إن شاء الله تعالى أرسل إلى هذا الكافر وأخلص لكن حقكـن منه وتنظرين العجب فى عذابه فدعت له الجارية وانـصرفت من عنده وخلتـه فى كرب وهيام وشوق وغرام وبعـد أن انصرفت من عنـده هي وسيدتهـا سألتا علـي دار القاضى الثـانى فدلوهـما عليه فـلما حضرتـا إليه أعلمتاه بذلك وكذلك الثالث والرابع حـتى رفعت أمرها إلي القضاه الأربعة وكل واحد يسألها ان تتزوج به فـتقول له نعم ولم نعرف بعضهـم خبر بعـض فصار كل واحد يطمع فيهـا ولم يعلـم اليهودى بـشىء من ذلك لأنـه كان فى دار الولـيمة فلـما أصبح الـصباح نهضت جاريتها وأفـرغت عليها حلة من أفخر الملابس ودخلت بهـا علي القضاة الأربعة فى مـجلس الحكـم فلمـا رأت القضـاه حاضرين اسـفرت عن وجـهها ورفـعت قناعـها وسلمت عليـهم فردوا عليها السلام وعرفهـا كل واحد منهم وكان بعضهـم يكتب فوقع القلـم من يده وبعضهـم كان يتحدث فـتلجلج لسـانه وبعضهـم كان يحسب فغـلط في حسابه فعنـد ذلك قالوا لها ياظريفة الخصـال وبديعة الجمال لا يكن قلبـك إلا طيبًا فلابد

من أن نخلص لك حقك ونبلغك مرادك فدعت لهم ثم ودعتهم وأنصرفت وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة التاسعة والخمسون بعد الثمانمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن القضاة قالوا لزين المواصف يا ظريفة الخصال وبديعة الجمال لا يكن قلبك إلا طيبًا بقضاء غرضك وبلوغ مرادك فدعت لهم ثم ودعتهم وانصرفت هذا كله واليهودى مقيم عند أصحابه في الوليمة وليس له علم بذلك وصارت زين المواصف تدعو ولاة الأحكام وأرباب الأقلام لينصروها على هذا الكافر المرتاب ويخلصوها من أليم العذاب ثم بكت وأنشدت هذه الأبيات:

يا عين سحى الدمع كالطوفان فعسى بدمعى تنطق أحزانى
من بعد لبسى للحرير مطرزاً اضحى لباسى ملبس الرهبان
والعطر كبريت بخور ملابسى شتات بين الندّ والريحان
لو كنت يا مسرور تعلم حالنا ما كنت ترضى ذلتى وهوانى
وهبوب فى قيد الحديد أسيرة مع كافر بالواحد الديان
وزهدت أحوال اليهود ودينهم واليوم دينى أشرف الأديان
وسجدت للرحمن سجدة مسلم وتبعت شرع محمد ببيان
مسرور لاتنس المودة بيننا واحفظ وثيق العهد والإيمان
ابدلت دينى فى هواك وأننى من فرط حبى لم يزل كتمانى
بادر الينا أن حفظت ودادنا حفظ الكرام ولا تكن متوانى

ثم أنها كتبت كتابًا يتضمن جميع ما عمله معها اليهودي من الأول إلي الآخر وسطرت فيه هذه الأشعار ثم طوت الكتاب وناولته لجاريتها هبوب وقالت لها أحفظى هذا الكتاب فى جيبك حتى نرسله إلي مسرور فبينما هما كذلك وإذا باليهودى قد دخل عليهما فرأهما فرحانتين فقال مالى أراكما فرحانتين هل جاءكم كتاب من عند صديقكما مسرور فقالت له زين المواصف نحن ما لنا معين عليك إلا الله سبحانه وتعالى فإنه هو الذى يخلصنا من جورك وإن لم تردنا إلى بلادنا وأوطاننا فنحن فى غد نترافع وإياك إلي

حاكم هذه المدينة وقاضيها فقال اليهودي ومن خلص القيود من أرجلكما ولكن لابد أن أصنع لكل واحدة منكن قيداً قدره عشرة أرطال وأطوف بكن حول المدينة فقالت له هبوب جميع نوبته لنا تقع فيه إن شاء الله كما أبعدتنا عن أوطاننا وفي غد نقف وإياك قدام حاكم المدينة واستمروا على ذلك إلي الصباح ثم نهض اليهودي وجاء إلي الحداد ليصنع قيوداً لهن فعند ذلك قامت زين المواصف هي وجواريها وأتت إلي دار الحكم ودخلتها فرأت القضاة فسلمت عليهم فرد عليها جميع القضاة السلام ثم قال قاضي القضاة لمن حوله أن هذه الجارية زهراوية وكل من رآها حبها وخضع لحسنها وجمالها ثم أن القاضي أرسل معها من الرسل أربعة كانوا أشرافًا وقال لهم أحضروا غريمها في أسوء حال هذا ما كان من أمرها وأما ما كان من أمر اليهودي فإنه لما صنع لهن القيود توجه إلي المنزل فلم يجدهن فيه فاحتار في أمره فبينما هو كذلك وإذا بالرسل قد تعلقوا به وضربوه ضربًا شديدًا وجروه سحبًا على وجهه حتي أتوا به إلي القاضي فلما رآه القاضي صرخ في وجهه وقال ويلك يا عدو الله هل وصل من أمرك أنك فعلت ما فعلت وأبعدت هؤلاء عن أوطانهن وسرقت مالهن وتريد أن تجعلهن يهوداً فكيف تريد تكفير المسلمين فقال اليهودي يا مولاي أن هذه زوجتي فلما سمع القضاة منه ذلك الكلام صاحوا كلهم وقالوا أرموا هذا الكلب علي الأرض وأنزلوا علي وجهه بنعالكم واضربوه ضربًا وجيعًا فإن ذنبه لا يغفر فنزعوا عنه ثيابه الحرير والبسوه ثيابًا من الشعر والقوه علي الأرض ونتفوا لحيته وضربوه ضربًا وجيعًا على وجهه بالنعال ثم أركبوه علي حمار وجعلوا وجهه إلي كفله وامسكوه بذيل الحمار في يده وطافوا به حول المدينة حتى جرسوه في سائر البلد ثم عادوا به إلي القاضي وهو في ذل عظيم فحكم عليه القضاة الأربعة بأن تقطع يداه ورجلاه وبعد ذلك يصلب فاندهش الملعون من ذلك القول وغاب عقله وقال يا سادات القضاة ما تريدون مني فقالوا له قل أن هذه الجارية ما هي زوجتي وأن المال مالها وأنا تعديت عليها وشتتها عن أوطانها فأقر بذلك وكتبوا بأقراره حجة وأخذوا منه المال ودفعوه إلي زين المواصف وأعطوها الحجة وخرجت فصار كل من رأى حسنها وجمالها متحيراً عقله وقد ظن كل واحد من القضاة أنه يؤول أمرها إليه فلما وصلت إلي منزلها جهزت أمرها من جميع ما تحتاج إليه وصبرت إلى أن دخل الليل فأخذت ما خف حمله وغلا ثمنه وسارت هي وجواريها في ظلام الليل ولم تزل سائرة مسافة ثلاثة أيام

بلياليها هذا ما كان من أمر زين المواصف وأما ما كان من أمر القضاة فإنهم بعد ذهابها أمروا بحبس اليهودى زوجها وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الموفية للستين بعد الثمانمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن القضاة أمروا بحبس اليهودى زوج زين المواصف فلما أصبح الصباح صار القضاة والشهود ينتظرون أن تحضر عندهم زين المواصف فلم تحضر عند أحد منهم ثم أن القاضى الذى ذهبت إليه أولاً قال أنا أريد اليوم أن أتفرج على خارج المدينة لأن لى حاجة هناك ثم ركب بغلته وأخذ غلامه وصار يطوف فى أزقة المدينة طولاً وعرضًا يفتش عن زين المواصف فلم يقع لها علي خبر فبينما هو كذلك إذ وجد باقى القضاة دائرين وكل واحد منهم يظن انها ليس بينها وبين غيره ميعاد فسألهم ماسبب وكوبهم ودورانهم فى ازقة المدينة فأخبروه بشأنهم فى أى حالهم كحاله وسؤالهم كسؤاله ثم صار الجميع يفتشون عليها فلم يقعوا لها على خبر فانصرف كل واحد منهم إلي منزله مريضًا ورقدوا على فرش الضنى ثم أن قاضى القضاة تذكر الحداد فأرسل إليه فلما حضر بين يديه قال يا حداد هل تعرف شيئًا عن خبر الجارية التى دللتها علينا فوالله أن لم تطلعني عليها إلا ضربتك بالسياط فلما سمع الحداد كلام القاضى أنشد هذه الأبيات:

إن التى ملكتنى فى الهوى ملكت ... مجامع الحسن حتى لم تدع حسنًا

رنت غزالاً وفاحت عنبراً وبدت ... شمسًا وماجت غديراً وانثنت غصنًا

ثم أن الحداد قال والله يا مولاى من حين أنصرفت من الحضرة الشريفة ما نظرتها عينى أبدًا وقد ملكت لبى وعقلى وصار فيها حديثى وشغلى وقد مضيت إلي منزلها فلم أجدها ولم أر أحدًا يخبرنى عن شأنها فكأنها غطست فى قرار الماء أو عرج بها إلي السماء فلما سمع القاضى كلامه شهق شهقة كادت روحه أن تخرج منها وقال والله ما كان لنا حاجة برؤيتها فانصرف الحداد ووقع القاضى على فرشه وصار من أجلها في ضنى وكذا الشهود وباقى القضاة الأربعة وصارت الحكماء تتردد عليهم وما بهم من مرض يحتاج إلي الطبيب ثم أن وجهاء الناس دخلوا علي القاضى الأول فسلموا عليه واستخبروه عن حاله فتنهد وباح بما فى ضميره وأنشد هذه الأبيات:

كـفوا المـلام كـفانـى مؤلـم الـسقـم واستعذروا قاضيًا يقضى علي الأمم
من كـان يعذلنـى فى الحب يعـذرنى ولا يـلـم فـقـتـيـل الحـب لـم يـلـم
فـقاضـيًا كـنت والأقـدار تسـعدنـى علـي المراتب فـى حظـى وفى قلـمى
حـتى رمـيـت بسـهم لا طـبـيب لـه من طرف جارية جـاءت لسفك دمى
مـا مثـل مسـلمـة تـشكـى ظلامـتهـا وثـغـرهـا كـيـتـيـم الـدر مـنـتـظـم
نظـرت تحت مـحياهـا وقد سـفرت بدرًا بدا تحت جـنح الليل فى الـظلم
وجـهًا مـنيـرًا وثـغرًا بـاسـمًا عـجبـا قد عـمها الحسـن من فرق إلـي قدم
والـله مـا نظـرت عيـنـى كطـلعـتهـا مـن الـبـريـة فـى عـرب ولا عـجـم
يـا حسـن مـا وعدتـنى وهـى قـائلـة إذا وعـدت أفــى يـا قــاضـى الأمم
هـذا مقـامـى وهـذا ما أبـتـلـيت بـه ولاتسألوا عن شجونى يا أولي الهمم

فلمـا فرغ القاضـى من هذه الأبيات بـكى بكاءًا شـديدًا ثم أنه شهـق شهقة فـفارقت روحه جسده فـلما رأوا ذلك غسلوه وكـفنوه وصلوا عليـه ودفنوه وكتبوا علـى قبره هذه الأبيات:

كمـلت صفـات العـاشقين لمـن غدا فـى القـبر مـقتـول الحـبيب وصـده
قـد كــان هــذا لـلـبــريـة قـاضـيًـا ويـراعـه سـجـن الحـسـام بـغـمـده
فـقضـى عـلـيه الحـب لـم نـر قبـلـه مـولـى تـذلـل فــي الأنـام لـعـبـده

ثم أنهم تـرحموا عليه وانـصرفوا إلي القاضـى الثانى ومعهـم الطبيب فلـم يجدوا به ضررًا ولا ألمًا يـحتاج إلي طـبيب فسـألوه عن حاله وشـغل باله فـعرفهم بـقضيتـه فلاموه وعنفوه علي تلك الحالة فأجابهم مترنمًا بهذه الأبيات:

بــلـيــت بـهــا ومـثــلـى لا يــلام رمـيــت بــنـبـلـة مــن كـف رامـى
أتــتــنـى مــرأة تــدعــى هـبــوبــا تــعـد الــدهـر عــامـا بــعـد عــام
ومـعــهــا طـفـلـــة ابـدت مـحــيـا يـفـوق الـبـدر فــى جـنـح الـظـلام
فـبـيـنـت المحـاسـن وهـى تـشـكـو وادمـع جــفـنـهــا ذات إنـســجـام
سـمعـت كـلامـها ونـظـرت فـيهـا فــاضـنــتـنـى بـثـغـر ذى ابــتـسـام
وقـد رحـلت بـقـلـبى أيـن راحـت وخـلــتـنـى رهـيــنًـا فـى غــرامـى
فـهـذى قــصـتـى فـارثــوا لحـالـى وحـطـوا قـاضـيًــا غـيـرى غـلامـى

ثم أنه شهق شهقة ففارقت روحه جسده فجهزوه ودفنوه وترحموا عليه ثم توجهوا إلي القاضى الثالث فوجدوه مريضًا وحصل له ما حصل للثانى وكذلك الرابع فوجدوا الجميع مرضى بحبها ووجدوا الشهود أيضًا مرضى بحبها فإن كل من رآها مات بحبها وإن لم يمت عاش يكابد لوعة الغرام وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والستون بعد الثمانمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن أهل المدينة وجدوا جميع القضاة والشهود مرضى بحبها فإن كل من رآها مات بعشقها وإن لم يمت عاش يكابد لوعة الغرام من شدة حبها رحمهم الله أجمعين هذا ما كان من أمرهم وأما ما كان من أمر زين المواصف فإنها جدت فى السير مدة أيام قطعت مسافة بعيدة فأتفق أنها خرجت هى وجواريها فمرت على دير فى الطريق وفيه راهب كبير اسمه دانس وكان عنده أربعون بطريقًا فلما رأى جمال زين المواصف نزل إليها وعزم عليها وقال لها استريحن عندنا عشرة أيام ثم سافرن فنزلت عنده هي وجواريها فى ذلك الدير فلما نزلت ورأى حسنها وجمالها أفسدت عقيدته وافتتن بها وصار يرسل إليها مع البطارقة واحداً بعد واحد لأجل أن يؤلفها فصار كل من أرسله إليها يقع فى حبها ويراودها عن نفسها له وهى تتعذر وتتمنع ولم يزل دانس يرسل إليها واحداً بعد واحد حتي أرسل إليها أربعين بطريقًا وكل واحد حين يراها يتعلق بعشقها ويكثر من ملاطفتها ويراودها عن نفسها ولا يذكر لها اسم دانس فتمتنع من ذلك وتجاوبهم بأغلظ جواب فلما فرغ صبر دانس واشتد غرامه قال فى نفسه أن صاحب المثل يقول ما حك جسمي غير ظفرى ولا سعى فى مرامى مثل إقدامى ثم نهض قائمًا علي قدميه وصنع طعامًا مفتخراً وحمله ووضعه بين يديها وكان ذلك فى اليوم التاسع من العشرة أيام التى أتفق معها على إقامتها عنده لأجل الاستراحة فلما وضعه بين يديها قال تفضلى بسم الله خير الزاد ما حصل فمدت يدها وقالت بسم الله الرحمن الرحيم وأكلت هى وجواريها فلما فرغت من الأكل قال لها يا سيدتى أريد أن أناشدك أبياتًا من الشعر قالت له فأنشد هذه الأبيات:

ملكت قلبى بالحاظ ووجناتى ... وفى هواك غدا نثرى وابياتى
اتتركين محبًا مغرمًا دنفا ... اعالج العشق حتى فى المنامات

لا تتركيني صريعًا والها فلقد ... تركت أشغال ديرى بعد لذاتى
ياغادة جوزت فى الحب سفك دمى ... رفقًا بحالى وعطفًا فى شكياتى

فلما سمعت زين المواصف شعره أجابته عن شعره بهذين البيتين:

يا طالب الوصل لا يغررك بى أمل ... اكفف سؤالك عنى أيها الرجل
لا تطمع النفس فيما لست تملكه ... إن المطامع مقرون بها الوجل

فلما سمع شعرها رجع إلي صومعته وهو متفكر فى نفسه ولم يدر كيف يصنع فى أمرها ثم بات تلك الليلة فى أسوء حال فلما جن الليل قامت زين المواصف وقالت لجواريها قوموا بنا فإننا لا نقدر على أربعين رجلاً رهبانًا وكل واحد منهم يراودنى عن نفسى فقال لها الجوارى حبًا وكرامة ثم انهن ركبن دوابهن وخرجنً من باب الدير ليلاً وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الثانية والستون بعد الثمانمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن زين المواصف لما خرجت هى وجواريها من الدير ليلاً لم يزلن سائرات وإذا هن بقافلة سائرة فاختلطن بها وإذا بالقافلة من مدينة عدن التى كانت فيها زين المواصف فسمعت أهل القافلة يتحدثون بخبر زين المواصف ويذكرون أن القضاة والشهود ماتوا في حبها وولى أهل المدينة قضاة وشهوداً غيرهم وأطلقوا زوج زين المواصف من الحبس فلما سمعت زين المواصف هذا الكلام التفتت إلي جواريها وقالت لجاريتها هبوب الا تسمعين هذا الكلام فقالت لها جاريتها إذا كان الرهبان الذين عقيدتهم أن الترهب عن النساء عبادة قد فتنوا فى هواك فكيف حال القضاة الذين عقيدتهم أنه لا رهبانية في الإسلام ولكن أمض بنا إلى أوطاننا ما دام مرادنا مكتومًا ثم أنهن سرن وبالغن فى السير هذا ما كان من أمر زين المواصف وجواريها وأما ما كان من أمر الرهبان فإنهم لما أصبح الصباح أتوا إلي زين المواصف لأجل السلام فرأوا المكان خاليًا فأخذهم المرض فى أجوافهم ثم أن الراهب الأول مزق ثيابه وصار ينشد هذه الأبيات:

إلا يا أصحابى تعالوا فأننى   مفارقكم عما قليل وراحل
فإن فؤادى فيه آلام لوعة   وقلبى به من زفرة الحب قاتل
لأجل فتاة قد أتت نحو أرضنا   لها البدر فى أفق السماء يعادل
فراحت وخلتنى قتيل غرامها   طريح سهام صادفتها مقاتل

ثم أن الراهب الثانى أنشد هذه الأبيات:

يا راحلين بمهجتى رفقًا على   مسكينكم وتعطفوا بالمرجع
راحوا فراحت راحتى من بعدهم   ونأوا وطيب حديثهم فى مسمعى
شطوا فشط مزارهم ياليتهم   منوا علينا فى المنام بمرجع
أخذوا فؤادى عندما رحلوا وقد   تركوا جميعى في سوافح ادمعى

ثم أن الراهب الثالث أنشد هذه الأبيات:

يصوركم قلبى وعينى ومسمعى   فقلبى لكم مأوى وكلى بأجمعى
وذكركم أحلى من الشهد فى فمى   ويجرى كمجرى الروح فى كل أضلعى
وصيرتمونى كالخلال من الضنى   واغرقتمونى في الغرام بمدمعى
دعونى آراكم في المنام لعلكم   تريحوا خدودى من تباريح أدمعى

ثم أن الراهب الرابع أنشد هذين البيتين:

خرس اللسان وقل فيك كلامى   والحب منه توجعى وسقامى
يا بدر تم فى السماء محله   قد زاد فيك تولهى وهيامى

ثم أن الراهب الخامس أنشد هذه الأبيات:

اهوى قمرًا عادل القدّ رشيق   والخصر نحيل شاكى الضرر
والريق له شبه سلاف ورحيق   والردف ثقيل لا هى البشر

والقلب غدا بالغرام حريق — والصب قتيل بين السمر
والدمع على الخدقان كعقيق — فى الخد يسيل مثل المطر

ثم أن الراهب السادس أنشد هذه الأبيات:

يا ملتقى فى الحب فرط صدوده — يا غصن بان لاح نجم سعوده
أشكوا إليك كأبتى وصبابتى — يا محرقى فى نار ورد خدوده
هل مثل صب فيك غادر نسكه — وغدا عديم ركوعه وسجوده

ثم أن الراهب السابع أنشد هذه الأبيات:

سجن الفؤاد ودمع عينى أطلقا — والوجد جدده وصبرى مزقا
حلو الشمائل ما أمر صدوده — يرمي الفؤاد بسهمه عند اللقا
يا عاذلى أقصر وتب عما مضى — ما أنت فى خبر الغرام مصدقا

وهكذا باقى البطارقة والرهبان كلهم يبكون وينشدون الأشعار وأما كبيرهم دانس فإنه زاد به البكاء والعويل ولم يجد لوصالها من سبيل ثم أنه صار يترنم بإنشاد هذه الأبيات:

عدمت اصطبارى يوم سار أحبتى — وفارقنى من كان سؤالى ومنيتى
فيا حادى الاظعان رفقًا بعيسهم — عسى أن يمنوا بالرجوع لدارتى
جفا جفن عينى النوم يوم فراقهم — وجددت أحزانى وفارقت لذتى
إلي الله أشكو ما الاقى بحبها — لقد أنحلت جسمى وأودت بقوتى

ثم أنهم لما يئسوا منها أجمع رأيهم على أنهم يصورون صورتها عندهم واتفقوا على ذلك إلي أن آتاهم هادم اللذات هذا ما كان من أمر هؤلاء الرهبان أصحاب الدير وأما ما كان من أمر زين المواصف فإنها سارت تقصد محبوبها مسرورا ولم تزل سائرة إلي أن وصلت إلي منزلها وفتحت الأبواب ودخلت الدار ثم أرسلت إلي أختها نسيم فلما سمعت أختها بذلك فرحت فرحًا شديدًا وأحضرت لها الفراش ونفيس القماش ثم أنها فرشت لها وألبستها وأرخت الستور علي الأبواب وأطلقت العود والند والعنبر والمسك

الادفر حتي عبق المكان من تلك الرايحة وصار أعظم ما يكون ثم أن زين المواصف لبست أفخر قماشها وتزينت أحسن الزينة كل ذلك جرى ومسرور لم يعلم بقدومها بل كان في هم شديد وحزن ما عليه من مزيد وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الثالثة والستون بعد الثمانمائة

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن زين المواصف لما دخلت دارها أتت لها أختها بالفراش والقماش وفرشت لها والبستها أفخر الثياب كل ذلك جرى ومسرور لم يعلم بقدومها بل كان في هم شديد وحزن ما عليه من مزيد ثم جلست زين المواصف تتحدث مع جواريها التي تخلفن عن السفر معها وذكرت لهن جميع ما وقع لها من الأول إلي الآخر ثم أنها التفتت إلي هبوب وأعطتها دراهم وأمرتها أن تذهب وتأتي لها بشيء تأكله هي وجواريها فذهبت وأتت بالذي طلبته من الأكل والشرب فلما أنتهى أكلهن وشربهن أمرت هبوب أن تمضي إلي مسرور وتنظر أين هو وتشاهد ما هو فيه من الأحوال وكان مسرور لا يقر له قرار ولا يمكنه اصطبار فلما زاد عليه الوجد والغرام والعشق والهيام صار يتسلى بإنشاد الأشعار ويذهب إلي الدار ويقبل الجدار فاتفق أنه مضى إلي محل التوديع وصار ينشد هذا الشعر البديع:

اخفيت ما القاه منه وقد ظهر   والنوم من عيني تبدل بالسهر
ناديت لما قد سبت قلبي الفكر   يادهر لا تبقي علي ولا تذر

ها مهجتي بين المشقة والخطر

لو كان سلطان المحبة منصفي   ما كان نومي من عيوني قد نفي
ياسادتي رقوا لصب مدنف   وارثوا لحال كبير قوم زل في

شرع الهوي وغني قوم افتقر

لج العواذل فيك ما طاوعتهم   وسددت كل مسامعي وكتمتهم
وحفظت ميثاق الذين حببتهم   قالوا اعشقت مفارقا فأجبتهم

كفوا إذا نزل القضا عمي البصر

ثم أنه رجع إلى منزله وقعد يبكى فغلب عليه النوم فرأى فى منامه كأن زين المواصف أتت إلى الدار فانتبه من نومه وهو يبكى ثم سار متوجها إلى منزل زين المواصف وهو ينشد هذه الأبيات

اسلو التي في الحب قد ملكت اسرى	وقلبي على نار احر من الجمر
عشقت التي اشكو الى الله بعده	وصرف الليالى والحوادث من دهرى
امتى الملتقى ياغاية القلب والمنى	واحظى بجمع الشمل يا طلعة البدر

وكان آخر ما أنشد من الشعر وهو ماش فى زقاق زين المواصف فشم منه الروايح الزكية فهاج لبه وفارق صدره قلبه وتضرم غرامه وزاد هيامه وإذا بهبوب متوجهة إلى قضاء حاجة فرأها وهى مقبلة من صدر الزقاق فلما رأها فرح فرحا شديدا فلما رأته هبوب أتت إليه وسلمت عليه وبشرته بقدوم سيدتهازين المواصف وقالت له أنها أرسلتنى فى طلبك إليها ففرح بذلك فرحا شديدا ما عليه من مزيد ثم أخذته ورجعت به إليها فلما رأته زين المواصف نزلت له من فوق سريرها وقبلته وقبلها وعانقته وعانقها ولم يزالا يقبلان بعضهما ويتعانقان حتى غشى عليهما زمنا طويلا من شدة المحبة والفراق فلما أفاقا من غشيتهما أمرت جاريتها هبوب باحضار قلة مملوءة من شراب السكر وقلة مملوءة من شراب الليمون فأحضرت لها الجارية جميع ما طلبته ثم أكلوا وشربوا ومازالوا كذلك إلى أن أقبل الليل فصاروا يذكرون الذى جرى لهم من أوله إلى آخره ثم أنها أخبرته بإ سلامها ففرح وأسلم هو أيضا وكذلك جواريها وتابوا إلى الله تعالى فلما أصبح الصباح أمرت باحضار القاضى والشهود وأخبرتهم أنها عازبة وقد وفت العدة ومرادها الزواج بمسرور فكتبوا كتابها عليه وصاروا فى الذعيش هذا ما كان من أمر زين المواصف ومسرور وأما ما كان من أمر زوجها اليهودى فأنه حين أطلقه أهل المدينة من السجن سافر منها متوجها إلى بلاده ولم يزل مسافرا حتى صار بينه وبين المدينة التى فيها زين المواصف ثلاثة أيام فأخبرت بذلك زين المواصف فدعت بجاريتها هبوب وقالت لها أمض إلى مقبرة اليهود وأحفرى قبرا وضعى عليه الرياحين ورشى حوله الماء وأن جاء اليهودى وسألك عنى فقولى له أن سيدتى ماتت من قهرها عليك ومضى لموتها مدة عشرين يوما فإن قال لك أرينى قبرها فخذيه إلى القبر وتحيلى على دفنه فيه بالحياة فقالت

سمعا وطاعة ثم أنهم رفعوا الفراش وأدخلوه فى مخدع ومضت إلى بيت مسرور فقعد هو وأياها فى أكل وشرب ولم يزالوا كذلك حتى مضت الثلاثة أيام هذا ما كان من أمرهم وأما ما كان من أمر زوجها فإنه لما أقبل من السفر دق الباب فقالت هبوب من بالباب فقال سيدك ففتحت له الباب فرأى دموعها تجرى على خدها فقال لها ما يبكيك وأين سيدتك فقالت له أن سيدتى قد ماتت بسبب قهرها عليك فلما سمع منها ذلك الكلام تحير فى أمره وبكى بكاء شديدا ثم قال لها يا هبوب أين قبرها فأخذته ومضت به إلى المقبرة وأرته القبر الذى حفرته فعند ذلك بكى بكاء شديدا ثم أنشد هذين البيتين

شيئان لو بكت الدماء عليهما ... عيناى حتى يوذنا بذهاب
لم يقضيا المعشار من حقيهما ... شرخ الشباب وفرقت الأحباب

ثم بكى بكاء شديدا وأنشد هذه الأبيات

أواه واسفا قد خاننى جلدى ... ومن فراق حبيبى مت بالكمد
ياما دهانى من بعد الحبيب ويا ... تقطيع قلبى على ما قدمته يدى
ياليتنى قد كتمت السرفى زمنى ... ولم أبح بغرام هاج فى كبدى
قد كنت فى عيشة مرضية رغد ... وصرت من بعدها فى الذل والنكد
فياهبوب لقد هيجت لى شجنا ... بموت من كان من دون الورى سندى
زين المواصف لاكان الفراق ولا ... كان الذى فارقت روحى به جسدى
لقد ندمت على نقض العهود وقد ... عاتبت نفسى على التفريط فى عمدى

فلما فرغ من شعره بكى وأنّ واشتكى فخر مغشيا عليه فلما غشى عليه أسرعت هبوب بجره ووضعه فى القبر وهو بالحياة ولكنه مدهوش ثم سدت عليه ورجعت إلى سيدتها وأعلمتها بهذا الخبر ففرحت بذلك فرحا شديدا وأنشدت هذين البيتين

الدهر أقسم لا يزال مكدّرى ... حنثت يمينك يا زمان فكفرى
مات العذول ومن هويت مواصلى ... فانهض إلى داع السرور وشمرى

ثم أنهم أقاموا مع بعضهم على الأكل والشرب واللهو واللعب والطرب إلى أن أتاهم هادم اللذات ومفرق الجماعات ومميت البنين والبنات ومما يحكى أنه كان فى قديم الزمان

وسالف العصر والاوان رجل تاجر بالديار المصرية يسمى تاج الدين وكان من أكابر التجار ومن الأمناء الأحرار إلا أنه كان مولعا بالسفر إلى جميع الأقطار ويحب السير فى البرارى والقفار والسهول والاوعار وجزائر البحار فى طلب الدرهم والدينار وكان له عبيد ومماليك وخدم وجوارى وطالما ركب الأخطار وقاسى فى السفر ما يشيب الأطفال الصغار وكان أكثر التجار فى ذلك الزمان مالا وأحسنهم مقالا صاحب خيول وبغال وبخاتي وجمال وغراير وأعدال وبضايع وأموال وأقمشة عديمة المثال من شدود حمصية وثياب بعلبكية ومقاطع سندسية وثياب مروزية وتفاصيل هندية وازرار بغدادية وبرانس مغربية ومماليك تركية وخدم حبشية وجوار رومية وغلمان مصرية وكانت غراير احماله من الحرير لأنه كان كثير الأموال بديع الجمال مائس الاعطاف شهى الانعطاف كما قال فيه بعض واصفيه

وتاجر عاينت عشاقه والحرب بينهم ثائر
فقال ما للناس فى ضجة قلت على عينك يا تاجر

وقال آخر في وصفه وأجاد وأتي فيه بالمراد

وتاجر فى وصله زارنا والقلب من الحاظه حائر
فقال لى مالك فى حيرة قلت على عينك يا تاجر

وكان لذلك التاجر ولد ذكر يسمى عليا نور الدين كأنه البدر إذا بدر فى ليلة أربعة عشر بديع الحسن والجمال ظريف القد والاعتدال فجلس ذلك الصبى يوما من الأيام فى دكان والده على جرى عادته للبيع والشراء والاخذ والعطاء وقد دارت حوله أولاد التجار فصار هو بينهم كأنه القمر بين النجوم بجبين أزهر وخدا حمر وعذار أخضر وجسم كالمرمر كما قال فيه الشاعر

ومليح قال صفنى قلت أنت فى الحسن رجيح
قلت قولا باختصار كل ما فيك مليح

وكما قال فيه بعض واصفيه

له خال على صفحات خد كنقطة عنبر فى صحن مرمر

والحاظ باسياف تنادى على عاصى الهوى الله أكبر

فعزمه أولاد التجار وقالوا له يا سيدى نور الدين تشتهى فى هذا اليوم أننا نتفرج نحن وأياك فى البستان الفلانى فقال لهم حتى أشاور والدى فأنى لم أقدر أن أروح إلا بأجازته فبينماهم فى الكلام وإذا بوالده تاج الدين قد اتى فنظر إليه ولده وقال يا أبى أن أولاد التجار قد عزمونى لأجل أن أتفرج أنا وأياهم فى البستان الفلانى فهل تأذن لى فى ذلك فقال نعم يا ولدى ثم أنه اعطاه شيئا من المال وقال توجه معهم فركب أولاد التجار حميرا وبغالا وركب نور الدين بغلة وسار معهم إلى بستان فيه ما تشتهى الانفس وتلذ الاعين وهو مشيد الأركان رفيع البنيان له باب مقنطر كأنه إيوان وباب سماوى يشبه أبواب الجنان وبوابه أسمه رضوان وفوقه مائة مكعب عنب من سائر الألوان الأحمر كأنه مرجان والأسود كأنه أنوف السودان والأبيض كأنه بيض الحمام وفيه الخوخ والرمان والكمثرى والبرقوق والتفاح كل هذه الأنواع مختلفة الألوان صنوان وغير صنوان وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الرابعة والستون بعد الثمانمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن أولاد التجار لما دخلوا البستان رأوا فيه كامل ما تشتهى الشفة واللسان ووجدوا العنب مختلف الألوان صنوانا وغير صنوان كما قال فيه الشاعر

عنب طعمه كطعم الشراب حالك لونه كلون الغراب

بين أوراقه زها فتراه كبنان النسا بين الخضاب

وكما قال فيه الشاعر أيضا

عناقيد حكت لما تدلظت على قضبانها جسمى نحولا

حكت عسلا وماء فى أناء وعادت بعد حصرمها شمولا

ثم انتهوا إلى عريشة البستان فرأوا رضوان بواب البستان جالسا فى تلك العريشة كأنه رضوان خازن الجنان ورأوا مكتوبا على باب العريشة هذين البيتين

سقى الله بستانا تدلت قطوفه فمالت بها الاغصان من شدة الشرب
إذا رقصت أغصانه بيد الصبى نقطها الانواء با للؤلىء الرطب

ورأوا مكتوبا فى داخل العريشة هذين البيتين

أدخل بنا يا صاح فى روضة تجلو من القلب صدا همه
نسيمها يعثر فى ذيله وزهرها يضحك فى كمه

وفى ذلك البستان فواكه ذات أفنان وأطيار من جميع الأصناف والألوان مثل فاخت وبلبل وكروان وقمرى وحمام يغرد على الأغصان وأنهارها بها الماء الجارى وقد راقت تلك المجارى بأزهار وأثمار ذات لذات كما قال فيه الشاعر هذين البيتين

سرت النسيم على الغصون فشابهت خود أتعثر فى جميل ثيابهايدى
وحكت جداولها السيوف إذا انتضت الفوارس من غلاف قرابها

وكما قال فيه الشاعر أيضا

والنهر مد على الغصون ولم يزل أبدا يمثل شخصها فى قلبه
حتى إذا فطن النسيم سرى لها من غيرة فامالها من قربه

وأشجار ذلك البستان عليها من كل فاكهة زوجان وفيه من الرمان ما يشبه أكر القيروان كما قال فيه الشاعر وأجاد

ورمان رقيق القشر يحكى نهود البكر إذ برزت فحولا
إذا قشرته يبدو لدينا من الياقوت ما بهر العقولا

وكما قال فيه الشاعر

ململة تبدى لقاصد جوفها يواقيت حمرا فى معاطف عبقرى
ورمانة شبهتها إذ رأيتهاوفيها شفاء بنهد العذارى أو بقبة مرمر
للمريض وصحة وفيها حديث للنبى المطهر
وفيها يقول الله جل جلاله مقالا بليغا فى الكتاب المسطر

وفى ذلك البستان تفاح سكرى ومسكى يدهش الناظر كما قال فيه الشاعر

تفاحة جمعت لونين قد حكيا خدى حبيب ومحبوب قد اجتمعا
لاحا على الغصن كالضدين من عجب فذاك أسود والثانى به لمعا
تعانقا فبدا واش فراعهما فاحمر ذا خجلا وأصفر ذا ولعا

وفى ذلك البستان مشمش لوزى وكافورى وجيلانى وعنتابى كما قال فيه الشاعر

والمشمش اللوزى يحكى عاشقا جاء الحبيب له فحيرا لبه
وكفاه من صفة المتيم ما به يصفر ظاهره ويكسر قلبه

وقال فيه آخر وأجاد

أنظر إلى المشمش فى زهرة حدائق يجلوا سناها الحدق
كالانجم الزهر إذا مازهت الغصن يزهو بها فى الورق

وفى ذلك البستان برقوق وقراصيا وعناب تشفى القيم من الأوصاب والتين فوق أغصانه ما بين أحمر وأخضر يحير العقول والنواظر كما قال فيه الشاعر

كأنما التين يبدو منه أبيضه مع أخضر بين أوراق من الشجر
أبناء روم على أعلا القصور وقد جن الظلام بهم باتوا على حذر

وقال آخر وأجاد

أهلا بتين جاءنا منضدا على طبق
كسفرة مضمومة قد جمعت بلا حلق

وقال آخر وأجاد

أنعم بتين طاب طعما وأكتسى حسنا وقارب منظرا من مخبر
يبدى تعاطيه إذا ما ذقته ريح الافاح وطيب طعم السكر
وحكى إذا ما صب فى أطباقه أكرا صنعن من الحرير الأخضر

وما أحسن قول بعضهم

قالوا وقد الفت نفسى تفكهها بغير فاكهة فى حبها هاموا
لاى شىء تحب التين قلت لهم للتين قوم وللجميزا قوام

وأحسن منه قول الآخر

التين يعجبنى عن كل فاكهة لما استوى والتوى فى غصنه الزاهى
كأنه عابد والسحب ماطرة فاضت مدامعه من خشية الله

وفى ذلك البستان من الكمثرى الطورى والحلبى والرومى ما هو مختلف الألوان صنوان وغير صنوان وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الخامسة والستون بعد الثمانمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن أولاد التجار لما نزلوا البستان رأو فيه من الفواكه ما ذكرناه ووجدوا فيه من الكمثرى الطورى والحلبى والرومى ما هو مختلف الألوان صنوان وغير صنوان ما بين أصفر وأخضر يدهش الناظر كما قال فيه الشاعر

يهنيك كمثرى غدا لونها لون محب زائد الصفره
شبيهة بالبكر فى خدرها والوجه منها مسبل السترة

وفى ذلك البستان من الخوخ السلطانى ما هو مختلف الألوان من أصفر وأحمر كما قال فيه الشاعر

كأنما الخوخ فى روضه وقد بدا حمره العندمى
بنادق من ذهب أصفر قد خضبت وجهها بالدم

وفى ذلك البستان من اللوز الاخضر ما هو شديد الحلاوة يشبه الجمار ولبه من داخل ثلاثة أثواب صنعة الملك الوهاب كما قيل فيه

ثلاثة أثواب على جسد رطب مخالفة الأشكال من صنعة الرب
ثريه الردى فى ليله ونهاره وأن يكن المسجون فيها بلا ذنب

وقال آخر وأجاد

أما ترى اللوز حين تظهره من الافانين كف معتطف
وقشره قد جلا القلوب لنا كأنه الدرمن داخل الصدف

وأحسن منه قول الآخر

يا حسن لوز أخضر أصغره ملؤ اليد
كأنما زبيره نبت عذار الامرد
وقد غدت قلوبه مزدوج ومغرد
كأنها لألوء تصان فى زبرجد

وقال آخر وأجاد

ما أبصرت عيناى مثل اللوزفى حسنه لما بدت أنواره
الرأس منه باشتعال شائب حين انتشاء واخضر منه عذاره

وفى ذلك البستان النبق مختلف الألوان صنوان وغير صنوان كما قال فيه بعض واصفيه هذا الشعر

أنظر إلى النبق فى الأغصان منتظما كمشمش معجب يزهو على القضب
كأن صفرته للناظرين غدت تحكى جلاجل قد صيغت من الذهب

وقال آخر وأجاد

وسدرة كل يوم من حسنها فى فنون
كأنما النبق فيها وقد بدا للعيون
جلاجل من نضار قد علقت فى غصون

وفى ذلك البستان النارنج كأنه خولنجان كما قال فيه الشاعر الولهان

وحمراء ملؤ الكف تزهو بحسنها فظاهرها نار وباطنها ثلج
ومن عجب ثلج مع النار ولم يذب ومن عجب نار وليس لها وهج

وقال بعضهم وأجاد

وأشجارنا رنج كأن ثمارها إذا ما بدت للناظر المتفرس
خدود نساء قد تبرجن زينة بأيام عيد فى غلائل سندس

وقال آخر وأجاد

كأن ربى النارنج أذهبت الصبا واضحت به الاغصان وهى تميد
خدود عليها بهجة الحسن أقبلت عليها بأوقات السلام خدود

وقال آخر وأجاد

وشادن قلنا له صف لنا بستاننا هذا ونار نجا
فقال لى بستانكم طلعتى ومن جنى النارنج ناراجنى

وفى ذلك البستان الأترج لونه كلون التبر وقد حط من أعلى مكان وتدلى فى الاغصان كمال فيه كأنه سبائك العقبان وقد قال فيه الشاعر الولهان

أما ترى أيكة الاترج مثمرة يخشى عليها إذا مالت من العطب
كأنها عند ما مر النسيم بها غصن تحمل قضبانا من الذهب

وفى ذلك البستان الكباد متدل فى أغصانه كنهود أبكار تشبه الغزلان وهو على غاية المراد كما قال فيه الشاعر وأجاد

وكبادة بين الرياض نظرتها على غصن رطب كقامة أغيد
إذا سبلتها الريح مالت كأكرة بدت ذهبا فى صولجان زبرجد

وفى ذلك البستان الليمون زاكى الرايحة يشبه بيض الدجاج ولكن صفرته زينة مجانيه وريحه يزهو لجانيه كما قال فيه بعض واصفيه

أمـا تـرى الـلـيـمـون لمـا بـدا ... يـأخـذ اشـراقـه بـالـعـيـان

كـأنـه بـيـض دجـاج وقـد ... لـطـخـه المخـمـس بـالـزعـفـران

وفى ذلـك البستان مـن سائر الـفواكه والـرياحين والخضراوات والمشمومات من الياسمين والفاغية والفلفل والسنبل العنبرى والورد بسائر أنواعه ولسان الحمل والآس وكامل الرياحين مـن جميع الاجناس وذلك البستان من غير تشبيه كأنه قطعة من الجنان لرائيه إذا دخله العليل خرج منه كالاسد الغضبان ولم يقدر على وصفه اللسان لما فيه من العجائب والغرائب التى لا توجد إلا فـى الجنان كيف لا واسم بوابه رضوان لكن بين المقامين شتان فلما تفرج أولاد التجار فى ذلك البستان جلسوا بعد التفرج والتنزه على ليوان من لواوينه وأجلسوا نور الدين فـى وسط الأيوان وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة السادسة والستون بعد الثمانمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن أولاد التجار لما جلسوا فى الليوان أجلسوا نور الدين فى وسط الأيوان على نطع من الأديم المزركش متكئا على مخدة محشوة بريش النعام وظهارتها مدورة سنجابية ثم ناولوه مروحة من ريش النعام مكتوبا عليها هذان البيتان

ومـروحـة مـعـطـرة الـنـسـيـم ... تـذكـر طـيـب أوقـات الـنـعـيـم

وتـهـدى طـيـبـهـا فـى كـل وقـت ... إلـى وجـه الـفـتـى الحـر الـكـريـم

ثم أن هؤلاء الشباب خلعوا ما كان عليهم من العمايم والثياب وجلسوا يتحدثون ويتنادمون ويتجاذبون أطراف الكلام بينهم وكل منهم يتأمل فى نور الدين وينظر إلى حسن صورته وبعد أن اطمأن بهم الجلوس ساعة من الزمان أقبل عليهم عبد وعلى رأسه سفرة طعام فيها أوان من الصينى والبلور لأن بعض أولاد التجار كان وصى أهل بيته بها قبل خروجه إلى البستان وكانت تلك السفرة مما درج وطار وسبح فى البحار كالقطا والسمان وأفراخ الحمام وشياه الضان والطف السمك فلما وضعت تلك السفرة بينهم تقدموا وأكلوا بحسب الكفاية ولما فرغوا من الأكل قاموا عن الطعام وغسلوا أيديهم بالماء

الصافى والصابون الممسك وبعد ذلك نشفوا أيديهم بالمناديل المنسوجة بالحرير والقصب وقدموا لنور الدين منديلا مطرزا بالذهب الأحمر فمسح به يديه وجاءت القهوة فشرب كل منهم مطلوبه ثم جلسوا للحديث وإذا بخولى البستان ذهب وجاء بسل مملوء بالورد وقال ما تقولون يا سادتنا فى المشموم فقال بعض أولادى التجار لا بأس به خصوصا الورد فأنه لا يرد فقال البستانى نعم ولكن عادتنا أننا لا نعطى الورد إلا بالمنادمة فمن أراد أخذه فليأت بشىء من الشعر يناسب المقام وكان أولاد التجار عشرة أشخاص فقال واحد منهم نعم أعطنى وأنا أنشدك شيئا من الشعر يناسب المقام فناوله حزمة من الورد فأخذها وأنشد هذين البيتين

للورد عندى محل ... لأنه لايمل
كل الرياحين جند ... وهو الأمير الأجل
إن غاب عزوا وتاهوا ... حتى إذا جاء ذلوا

ثم ناول الثانى حزمة ورد فأخذها وأنشد هذين البيتين

دونك يا سيدى وردة ... يذكرك المسك أنفاسها
كغادة أبصرها عاشق ... غطت بأكمامها رأسها

ثم ناول الثالث حزمة ورد فاخذها وأنشد هذين البيتين

ورد نفيس تسر القلب رؤيته ... تحكى روايحه ما طاب من ند
قد ضمه الغصن فى أوراقه طربا ... كقبلة بفم من غير ماصد

ثم ناول الرابع حزمة ورد فاخذها وأنشد هذين البيتين

أما ترى دوحة الورد التى ظهرت ... لها بدائع قد ركبن فى قضب
كأنهن يواقيت يطوف بها ... زبرجد قد حوى شيئاً من الذهب

ثم ناول الخامس حزمة ورد فاخذها وأنشد هذين البيتين

قضب الزبرجد قد حملن وإنما ... أثمارهن سبائك العقيان
وكأن وقع القطر من أوراقه ... دمع بكته فواتر الاجفان

ثم ناول السادس حزمة ورد فاخذها وأنشد هذين البيتين

يا وردة لبديع الحسن قد جمعت وأودع الله فيها لطف أسرار
كأنها خد محبوب ونقطة لدى التواصل مشتاق بدينار

ثم ناول السابع حزمة ورد فاخذها وأنشد هذين البيتين

قلت للورد مالشوكك يؤذى كل من مسة سريع الجراح
قال لي معشر الريا حين جندى أنا سلطانها وشوكي سلاحي

ثم ناول الثامن حزمة ورد فاخذها وأنشد هذين البيتين

رعى الله وردا غدا أصفرا بهيا نضيرا يحاكي النضار
وحسن غصون به أثمرت وحملن منه شموسا صفارا

ثم ناول التاسع حزمة ورد فأخذها وأنشد هذين البيتين

شجرات ورد أصفر جذبت في قلب كل متيم طربا
عجبا لها من دوحة سقيت ماء اللجين فأثمرت ذهبا

ثم ناول العاشر حزمة ورد فأخذها وأنشد هذين البيتين

ألم تران جند الورد يزهو بصفر من مطالعه وحمر
وقد شبهته والشوك فيه نصال زمرد في ترس تبر

فلما استقر الورد في أيديهم أحضر البستاني صفرة المدام فوضع بينهم صينية مزركشة بالذهب الأحمر وأنشد يقول هذين البيتين

هتف الفجر بالسنا فاسق خمرا عانسا تجعل الحليم سفيها
لست أدري من لطفها وصفاها ابكأس ترى أم الكأس فيها

ثم أن خولي البستان ملأ وشرب ودار الدور إلى أن وصل إلى نور الدين ابن التاجر تاج الدين فملأ خولي البستان كأسا وناوله أياه فقال له نور الدين أنت تعرف أن هذا شيء لا أعرفه ولا شربته قط لأن فيه إثما كبيرا وقد حرمه في كتابه الرب القدير فقال خولي

البستان يا سيدى نور الدين أن كنت ما تركت شربه الأمن أجل الأثم فإن الله سبحانه وتعالى كريم حليم غفور رحيم يغفر الذنب العظيم ورحمته وسعت كل شيء ورحمة الله على بعض الشعراء حيث قال

كن كيف شئت فإن الله ذو كرم   وما عليك إذا اذنبت من باس
إلا اثنتين فلا تقربهما أبدا   الشرك بالله والاضرار للناس

ثم قال واحد من أولاد التجار بحياتى عليك يا سيدى نور الدين أن تشرب هذا القدح وتقدم شاب آخر وحلف عليه بالطلاق وآخر وقف بين يديه على أقدامه فاستحى نور الدين وأخذ القدح من خولى البستان وشرب منه جرعة ثم بصقها وقال هذا مر فقال له الشاب خولى البستان يا سيدى نور الدين لولا أنه مر ما كانت فيه هذه المنافع ألم تعلم أن كل حلو إذا أكل على سبيل التداوى يجده الآكل مرا وأن هذه الخمرة منافعها كثيرة فمن جملة منافعها أنها تهضم الطعام وتصرف الهم والغم وتزيل الأرياح وتروق الدم وتصفى اللون وتنعش البدن وتشجع الجبان وتقوى همة الرجل على الجماع ولو كنا ذكرنا منافعها كلها لطال علينا شرح ذلك وقد قال بعض الشعراء

شربنا وعفو الله من كل جانب   وداويت اسقامى بمر تشف الكأس
وما غرنى فيها وأعرف أثمها   سوى قوله فيها منافع للناس

ثم أن خولى البستان نهض قائما على أقدامه من وقته وساعته وفتح مخدعا من مخادع ذلك الأيوان وأخرج منه قمع سكر مكرر وكسر منه قطعة كبيرة ووضعها لنور الدين فى القدح وقال له يا سيدى أن كنت هبت شرب الخمر من مرارته فاشرب الآن فقد حلا فعند ذلك أخذ نور الدين فى القدح وقال له يا سيدى أن كنت هبت شرب الخمر من مرارته فاشرب الآن فقد حلا فعند ذلك أخذ نور الدين القدح وشربه ثم ملأ الكأس واحد من أولاد التجار وقال يا سيدى نور الدين أنا عبدك وكذا الآخر قال أنا خادمك وقام الآخر وقال من أجل خاطرى وقام الآخر وقال بالله عليك يا سيدى نور الدين أجبر بخاطرى ولم يزل العشرة أولاد التجار بنور الدين إلى أن أسقوه العشر أقداح كل واحد

قدحا وكان نور الدين باطنه بكر عمره ما شرب خمرا قط إلا فى تلك الساعة فدار الخمر فى دماغه وقوى عليه السكر فوقف على حيله وقد ثقل لسانه واستعجم كلامه وقال يا جماعة والله أنتم ملاح وكلامكم مليح ومكانكم مليح إلا أنه يحتاج إلى سماع طيب فإن الشراب بلا سماع عدمه أولى من وجوده كما قال الشاعر فيه هذين البيتين

أدرها بالكبير بالصغير وخذها من يد القمر المنير
ولا تشرب بلا طرب فأنى رأيت الخيل تشرب بالصفير

فعند ذلك نهض الشاب صاحب البستان وركب بغلة من بغال أولاد التجار وغاب ثم عاد ومعه صبية مصرية كأنها لية طرية أوفضه نقية أو دينار فى صينية أو غزال فى برية بوجه يخجل الشمس المضيئة وعيون بلبلية وحواجب كأنها قسى محنية وخدود وردية وأسنان لؤلؤية ومراشف سكرية وعيون مرخية ونهود عاجية وبطن خماصية وأعكان مطوية وأرداف كأنها مخدات محشية وفخذين كالجداول الشامية وبينهما شيء كأنه صرة فى بقجة مطوية كما قيل فيها هذه الأبيات

ولو أنها للمشركين تعرضت راو وجهها من دون أصنامهم ربا
ولو أنها فى الشرق لاحت لراهب لخلا سبيل الشرق وأتبع الغربا
ولو أنها تفلت فى البحر والبحر مالح لاصبح ماء البحر من ريقها عذبا

وقال آخر هذه الأبيات

أبهى من البدر كحلاء العيون بدت كأنها ظبية قنصت أشبال آساد
أرخت عليها الليالى ذوائبها بيتا من الشعر لم يشدد باوتاد
من ورد وجنتها النيران ما أتقدت إلا بافئدة ذابت وأكباد
فلو رأها حسان العصر قمن لها على الرؤس وقلنا الفضل للبادى

وما أحسن قول بعض الشعراء

ثلاثة منعتها عن زيارتنا خوف الرقيب وخوف الحاسد الحنق
ضوء الجبين ووسواس الحلى وما حوت معاطفها من عنبر عبق
هب الجبين بفضل الكم تستره والحلى تنزعه ما حيلة العرف

وتلك الصبيـة كأنها البدر إذا بدر فى ليلـة أربع عشرة وعليها بدلة زرقـا بقناع أخضر فوق جبين أزهـر تدهش العقول وتحـير أرباب المعقول وأدرك شـهرزاد الصباح فسـكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة السابعة والستون بعد الثمانمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن خولى البستان لما جاء لهم بالصبية التى ذكرنا أنها فى غاية من الحسن والجمال ورشاقة القد والاعتدال كأنها المرادة بقول الشاعر

أقـبـلـت فـى غـلالـة زرقـاء   لازوردية كـلـون السـمـاء
فـتـحـقـقـت فـى الـغـلالـة مـنـهـا   قـمر الـصيف فى لـيـالـى الشـتـاء

وما أحسن قول الآخر وأجوده

جاءت مـبرقعـة فقلـت لها اسـفرى   عن وجـهك الـقمر المنيـر الازهرى
قالت اخاف العار قـلت لها اقصرى   بـحـوداث الايـام لاتـتـحـيـرى
رفعـت نقاب الحسن عـن وجناتـها   فتـساقـط البلـور فوق الجوهـر كيـما
ولـقد هـممـت بقـتـلهـا من حـبهـا   تـكـون خـصيـمـتي فـي المحـشـر
ونـكـون أول عـاشـقين تـخـاصـمـا   يـوم الـقـيـامـة عـنـد رب أكـبـر
واقـول طول فـي الحسـاب وقوفـنـا   حـتي يـطـول إلي الحـبـيـبة منظري

ثم أن الشاب خولي البستان قال لتلك الـصبية اعلمي يا سيدة الملاح وكل كوكب لاح اننا ما قصـدنا بحضورك في هذا المكان إلا أن تنـادمي هذا الشاب المليح الشـمائل سيدي نور الدين فإنه لم يأت محـلنا هذا إلا في هذا اليوم فقالت له الصبية لـيتك كنت اخبرتني لأجل أن أجيء بالذي كان معي فقال لها يا سيدتي أنا اروح وأجيء به إليك فقالت الصبية افعل مابدالك فقال لهـا اعطيني امارة فاعطته منديلا فعند ذلـك خرج سريعا وغاب ساعة زمانية ثم عاد ومعه كيس اخضر من حرير اطلس بـشكلين من الذهب فاخذته الصبية منه وحلته ونفـضته فنزل منه اثنـتان وثلاثون قطعة خشـب ثم ركبت الخشب في بعـضه علي صورة ذكر في أنثـي وأنثي في ذكر وكشفت عن معـاصمها واقامته فصار عـودا محكوما مجرودا صنعـه الهنود ثم انحنت عـليه تلك الصبيـة انحناء الوالدة علي ولـدها وزغزغته

بانامل يدها فعند ذلك أنّ العود ورن ولأماكنه القديمة قد حن وقد تذكر المياه التي قد سقته والارض التي نبت منها وتربي فيها وتذكر النجارين الذين قطعوه والدهانين الذين دهنوه والتجار الذين جلبوه والمراكب التي حملته فصرخ وصاح وعدد وناح وكأنها سألته عن ذلك كله فاجابها بلسان الحال منشدا هذه الابيات.

لقد كنت عود للبلابل منزلا　　أميل بها وجدا وفرعي اخضر
ينوحون من فوقي فعلمت نوحهم　　ومن أجل ذاك النوح سري مجهر
رماني بلا ذنب علي الارض قاطعي　　وصيرني عودا نحيلا كما تروا
ولكن ضربي بالانامل مخبر　　باني قتيل في الانام مصير
فمن أجل هذا صار كل منادم　　إذا ما مارأي نوحي يهيم ويسكر
وقد حنن المولى علي قلوبهم　　وقد صرت في اعلي الصدور اصّدرو
تعانق قدي كل من فاق حسنها　　كل غزال ناعس الطرف احور
فلا فرق الله المهيمن بيننا　　ولا عاش محبوب يصّد ويهجر

ثم سكتت الصبية ساعة وبعد ذلك أخذت ذلك العود في حجرها وانحنت عليه انحناء الوالدة علي ولدها وضربت عليه طرقا عديداً ثم عادت إلي طريقتها الأولي وانشدت هذه الأبيات.

لو أنهم جنحوا للصب اوزاروا　　لحط عنه من الاشواق اوزار
وعندليب علي غصن يشاجره　　كأنه عاشق شطت به الدار
قم وانتبه فليالي الوصل مقمرة　　كأنها باجتماع الشمل اسحار
واليوم في غفلة عنا حواسدنا　　وقد دعتنا إلي اللذات أوتار
أما تري اربعا للهو قد جمعت　　آس وورد ومنثور وانوار
واليوم قد جمعت للحظ أربعة　　صب وخل ومشروب ودينار
فاظفر بحظك في الدنيا فلذتها　　تفني وتبقي روايات واخبار

فلما سمع نور الدين من الصبية هذه الابيات نظر إليها بعين المحبة حتي كاد لا يملك نفسه من شدة الميل إليها وهي الأخري كذلك لأنها نظرت إلي الجماعة الحاضرين من اولاد التجار كلهم وإلي نور الدين فرأته بينهم كالقمر بين النجوم لأنه كان رخيم اللفظ والدلال كامل القد والاعتدال والبهاء والجمال الطف من النسيم وارق من التسنيم كما قيل فيه هذه الابيات.

قسما بوجنته واسهم ثغره وبأسهم قد راشها من سحره
ويلين معطفه ونبل لحاظه وبياض غرته واسود شعره
وبحاجب حجب الكري عن ناظري وسطي عليّ بنهيه وبامره
وعقارب قد ارسلت من صدغه وسعت لقتل العاشقين بهجره
وبورد خديه وآس عذاره وعقيق مبسمه ولؤلؤ ثغره
وبغصن قامته الذي هو مثمر رمانه يزهو جناه بصدره
وبردفه المريخ في حركاته وسكونه وبدقة في خصره
وحرير ملبسه وخفة ذاته وبما حواه من الجمال باسره
أن الشذا قد فاح من انفاسه والريح تروي طيبها عن نشره
وكذلك الشمس المنيرة دونه وكذا الهلال قلامة من ظفره

وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الثامنة والستون بعد الثمانمائة

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن نور الدين لما سمع كلام تلك الصبية وشعرها اعجبه نظامها وكان قد مال من السكر فجعل يمدحها ويقول.

عوادة مالت بنا في نشوة المتنبذ
قالت لنا اوتارها انطقنا الله الذي

فلما تكلم نور الدين بهذا الكلام وانشد هذا الشعر والنظام نظرت له تلك الصبية بعين المحبة وزادت فيه عشقا وغراما وقد صارت متعجبة من حسنه وجماله ورشاقة قده واعتداله فلم تملك نفسها بل احتضنت العود ثانيا وانشدت هذه الابيات.

يعاتبني علي نظري إليه ... ويهجرني وروحي في يديه
ويبعدني ويعلم ما بقلبي ... كأن الله قد اوحي إليه
كتبت مثاله في وسط كفي ... وقلت لناظري عول عليه
فلا عيني تري منه بديلا ... ولا قلبي يصبرني لديه
فياقلبي نزعتك من فؤادي ... لأنك من بعض حسادي عليه
إذا ما قلت يا قلبي تسلي ... فقلبي لم يمل إلا إليه

فلما انشدت الصبية تلك الابيات تعجب نور الدين من حسن شعرها وبلاغة كلامها وعذوبة لفظها وفصاحة لسانها فطار عقله من شدة الغرام والوجد والهيام ولم يقدر أن يصبر عنها ساعة من الزمان بل مال إليها وضمها إلي صدره فانطبقت الاخري عليه وصارت بكليتها لديه وقبلته بين عينيه وقبل هو فاها بعد ضم القوام ولعب معها في التقبيل زق الحمام فالتفتت له وفعلت معه مثل ما فعل معها فهام الحاضرون وقاموا علي اقدامهم فاستحي نور الدين ورفع يده عنها ثم أنها أخذت عودها وضربت عليه طرايق عديدة ثم عادت إلي الطريقة الأولي وانشدت هذه الابيات.

قمر يسلّ من الجفون إذا انثني ... عضبا ويهزؤ بالغزال اذارني
ملك محاسنه البديعة جنده ... ولدي الطعان قوامه يحكي القنا
لو أن رقة قلبه في خصره ... ما جار قط علي المحب ولا جني
يا قلبه القاسي ورقة خصره ... هل لانفلت إلي هنا من ها هنا
ياعاذلي في حبه كن عاذري ... فلك البقاء بحسنه ولي الفنا

فلما سمع نور الدين حسن كلامها وبديع نظامها مال إليها من الطرب ولم يملك عقله من شدة العجب ثم أنه انشد هذه الابيات.

لقد خلتها شمس الضحي فتخيلت ... ولكن لهيب الحر منها بمهجتي
وماذا عليها لو اشارت فسلمت ... علينا باطراف البنان واومت
رأي وجهها اللاحي فقال وتاه في ... محاسنها اللاتي عن الحسن جلت
اهذي التي قد همت شوقا بحبها ... فإنك معذور فقلت هي التي
رمتني بسهم اللحظ عمدا ومارثت ... لحالي وذلي وانكساري وغربتي
فاصبحت مسلوب الفؤاد متيما ... انوح وابكي طول يومي وليلتي

فلما فرغ نور الدين من شعره تعجبت الصبية من فصاحته ولطافته واخذت عودها وضربت عليه باحسن حركاتها واعادت جميع النغمات ثم انشدت هذه الابيات

وحياة وجهك يا حياة الانفس ... لاحلت عنك يئست أم لم ايأس
فلئن جفوت فإن طيفك واصل ... اوغبت عن عيني فإن ذكرك مؤنسي
ياموحشا طرفي وتعلم أنني ... ابدا بغير هواك لم استأنس
خداك من ورد وريقك قهوة ... هلا سمحت بها بهذا المجلس

فعند ذلك طرب نور الدين من انشاد تلك الصبية غاية الطرب وتعجب منها غاية العجب ثم اجابها عن شعرها بهذه الابيات.

ما اسفرت عن محيا الشمس في الغسق ... الا تحجب بدر التم في الافق
ولابدت لعيون الصبح طرتها ... إلا وعوذت ذاك الفرق بالفلق
خذ عن مجاري دموعي في تسلسلها ... وارو الحديث هوي من اقرب الطرق
ورب رامية بالنبل قلت لها ... مهلا بنبلك أن القلب في فرت
أن كان دمعي لبحر النيل نسبته ... فإن ودك منسوب إلي الملق
قالت فهات جميع المال قلت خذي ... قالت ونومك ايضا قلت من حدقي

فلما سمعت الصبية كلام نور الدين وحسن فصاحته طار قلبها واندهش لبها وقد احتوي علي مجامع قلبها فضمته إلي صدرها وصارت تقبله تقبيلا كزق الحمام وكذلك الاخر قابلها بتقبيل متلاحق ولكن الفضل للسابق وبعد أن فرغت من التقبيل اخذت العود وانشدت هذه الابيات.

ويلاه وبلي من ملامة عاذل اشكوه أم اشكو إليه عللي
ياهاجري ما كنت احسب أنني القي الاهانة في هواك وأنت لي
عنفت ارباب الصبابة بالجوي وابحت فيك لعاذليك تذلل
بالامس كنت الوم فيك ارباب الهوي واليوم اعذر كل صب مبتل
وان اعترتني من فراقك شدة اصبحت ادعو الله باسمك يا علي

فلما فرغت تلك الصبية من شعرها انشدت ايضا هذين البيتين

قالت العشاق إن لم يسقنا من ريقه ورحيق فيه السلسل
ندعو آله العالمين يجيبنا ويقول فيه الكل منا يا علي

فلما سمع نور الدين من تلك الصبية هذا الكلام والشعر والنظام تعجب من فصاحة لسانها وشكرها علي ظرافة افتنانها فلما سمعت الصبية ثناء نور الدين عليها قامت من وقتها وساعتها علي قدميها وقلعت جميع ما كان عليها من ثياب ومصاغ وتجردت من ذلك كله ثم جلست علي ركبتيه وقبلته بين عينيه وعلي شامتي خديه ووهبت له جميع ذلك وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة التاسعة والستون بعد الثمانمائة

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الصبية وهبت كل ما كان عليها لنور الدين وقالت له اعلم يا حبيب قلبي أن الهدية علي مقدار هاديها فقبل ذلك منها نور الدين ثم رده عليها وقبلها في فمها وخديها وعينيها فلما انقضي ذلك ولم يدم إلا الحي القيوم رازق الطاووس والبوم قام نور الدين من ذلك المجلس ووقف علي قدميه فقالت له الصبية إلي أين يا سيدي فقال لها إلي بيت والدي فحلف عليه أولاد التجار انه ينام عندهم فأبي

وركب بغلته ولم يـزل سائرا حتي وصل إلي بيت والده فقامت لـه أمه وقالت له يا ولدي ما سبب غيابك إلي هذا الوقت والله أنك قد شـوشت علي وعلي والدك بغيابك عنا وقد اشتغـل خاطرنا عليـك ثم أن أمه تقدمـت اليه لتقبـله في فمه فـشمت منه رايحـة الخمر فقالت يـا ولدي كيف بعد الـصلاة والعبادة ضرت تشـرب الخمر وتعصي مـن له الخلق والأمر فبينما هـما في الكلام وإذا بوالده قد اقبل ثم أن نور الـدين ارتمي في الفراش ونام فقال أبوه ما لنور الدين هكذا قالت له امه كأن رأسه اوجعته من هوى البستان فعند ذلك تقدم لـه والده ليسألـه عن وجعه ويسـلم عليه فـشم منه رايحـة الخمر وكان ذلك الـتاجر المسمى تاج الـدين لا يحب من يشرب الخمر فـقال له ويلك يا ولدى هل بلـغ بك السفه الى هذا الحد حتى تشرب الخمر فلما سمع نور الدين كلام والده رفع يده وهو فى سكره ولطمه بها فـجاءت اللطمة بالامر المقدر عـلى عين والده اليمنى فسالـت على خده فوقع على الارض مغـشيا عليه واستمـر فى غشيته ساعة فـرشوا عليه ماء الورد فلـما افاق من غشيته اراد ان يـضربه فمنعته امه فحـلف بالطلاق من امه انه اذا اصبح الـصباح لابد من قطع يده اليمنى فلما سمعت امـه كلام والده ضاق صدرها وخافت على ولدها ولـم تزل تدارى والده وتأخـذ بخاطره الى ان غلـب عليه النوم فـصبرت الى ان طلع الـقمر واتت الى ولدها وقد زال عنه السكر فقالت له يا نور الدين ما هذا الفعل القبيح الذى فعلته مع والدك فقـال لها وما الذى فعـلته مع والدى فـقالت انك لطمـته بيدك عـلى عينيه اليـمنى فسالـت على خده وقد حلـف بالطلاق انه اذا اصـبح الصباح لابـد ان يقطع يدك اليـمنى فندم نور الدين على مـا وقع منه حيث لا ينفعه الندم فقالـت له امه يا ولدى ان هذا الندم لا ينفـعك وانما ينبـغى لك انك تقـوم وفى هذا الوقـت وتهرب وتطلـب النجاة لنـفسك وتختفـي عند خروجك حتى تصـل الى احد من اصحابك وانـتظر ما يفعل الله فانـه يغير حالا بعد حال ثم ان امه فتحت صندوق المال واخرجت منه كيسا فيه مائة دينار وقالت له يا ولدى خذ هذه الدنانير واستعن بها فى مصالح حالك فاذا فرغت منك يا ولدى فارسل اعلمنى حتى ارسـل اليك غيرها واذا راسلتنى فارسل الى اخـبارك سرا ولعل الله ان يقدر لك فرجا وتـعود الى منزلك ثم انهـا ودعته وبكت بكاء شـديداً ما عليه مزيد فـعند ذلك اخذ نور الدين كيس الدنانير من امه واراد ان يخرج فرأى كيسا كبيراً قد نسته امه بجنب الصندوق فيه الف ديـنار فاخذه نور الدين ثم ربط الاثنين علـى وسطه وخرج من الزقاق

وتوجه الى جهة بولاق قبل الفجر فلما اصبح الصباح وقامت الخلايق توحد الملك الفتاح وخرج كل واحد منهم الى مقصده ليحصل ما قسم الله له كان نور الدين وصل الى بولاق فصار يمشى على ساحل البحر فرأى مركبا سقالتها ممدودة والناس تطلع فيها وتنزل منها ومراسيها اربع مدقوقة فى البر ورأى البحرية واقفين فقال لهم نور الدين الى اين انتم مسافرون فقالوا له الى مدينة اسكندرية فقال لهم نور الدين خذونى معكم فقالوا له اهلا وسهلا ومرحبا بك يا شاب يا مليح فعند ذلك نهض نور الدين من وقته وساعته ومضى الى السوق واشترى ما يحتاج اليه من زوادة وفرش وغطاء ثم رجع الى المركب وكانت تلك المركب سائرة حتى وصلت الى مدينة رشيد فلما وصلوا الى هناك رأى نور الدين زورقا صغيرا سائرا إلى اسكندرية فنزل فيه وعدي الخليج ولم يزل سائرا إلي ان وصل إلى قنطرة تسمي قنطرة الجامي فطلع نور الدين من ذلك الزورق ودخل من باب يقال له باب السدرة وقد ستر الله عليه فلم ينظره احد من الواقفين فى الباب فمشى نور الدين حتى دخل مدينة اسكندرية وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الموفية للسبعين بعد الثمانمائة

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن نور الدين لما دخل مدينة اسكندرية رأها مدينة حصينة الأسوار حسنة المتنزهات تلذ لسكانها وترغب فى ايطانها قد ولى عنها فصل الشتاء ببرده واقبل عليها فصل الربيع بورده وازدهرت ازهارها واورقت اشجارها واينعت اثمارها وتدفقت انهارها وهى مدينة مليحة الهندسة والقياس واهلها اجناد من خيار الناس اذ اغلقت ابوابها امنت اصحابها وهى كما قيل فيها هذه الابيات

قد قلت يوما لخل ... له مقال فصيح
قلت وفيها معاش ... فقال ثغر مليح
اسكندرية صفها ... فقال ان وهب ريح

وقال بعض الشعراء

اسكندرية ثغر ... رضا به يستطاب
ما احسن الوصل فيها ... ان لم يصبها غراب

فمشى نور الدين فى تلك المدينة ولم يزل ماشيا فيها الى ان وصل الى سوق النجارين ثم الى سوق الصرافين ثم الى سوق النقلية ثم الى سوق الفكهانية ثم الى سوق العطارين وهو يتعجب من تلك المدينة لان وصفها قد شاكل اسمها فبينما هو يمشي في سوق العطارين واذا برجل كبير السن نزل من دكانه وسلم عليه ثم اخذه من يده ومضى به الى منزله فرأى نور الدين زقاقا مليحا مكنوسا مرشوشا قد هب عليه النسيم وراق وظللته من الاشجار اوراق وفى ذلك الزقاق ثلاث دور وفى صدر ذلك الزقاق دارا اساسها راسخ فى الماء وجدرانها شاهقة الى عنان السماء قد كنسوا الساحة التى قدامها ورشوها ويشم روايح الازهار قاصدوها يقابلها النسيم كانه من جنان النعيم فاول ذلك الزقاق مكنوس مرشوش وآخره بالرخام مفروش فدخل الشيخ بنور الدين الى تلك ادار وقدم له شيئاً من المأكول واكل هو واياه فلما فرغ من الاكل قال له الشيخ متى كان القدوم من مدينة مصر الى هذه المدينة فقال له يا والدى فى هذه الليلة قال له ما اسمك قال على نور الدين فقال له الشيخ يا ولدى يا نور الدين يلزمنى الطلاق ثلاثا انك ما دمت مقيما فى هذه المدينة لا تفارقنى وانا اخلى لك موضعا تسكن فيه فقال له نور الدين يا سيدى الشيخ زدنى بك معرفة فقال يا ولدى اعلم انى دخلت مصر فى بعض السنين بتجارة فبعتها فيها واشتريت متجرا آخر فاحتجت الى الف دينار فوزنها عنى والدك تاج الدين من غير معرفة له بى ولم يكتب على بها منشورا وصبر على بها الى ان رجعت الى هذه المدينة وارسلتها اليه مع بعض غلمانى ومعها هدية وقد رأيتك وانت صغير وان شاء الله تعالي أجازيك ببعض ما فعل والدك معى فلما سمع نور الدين هذا الكلام اظهر الفرح والابتسام واخرج الكيس الذى فيه الالف دينار واعطاه لذلك الشيخ وقال له خذ هذا وديعة عندك حتى اشترى به شيئا من البضايع لاتجر فيه ثم ان نور الدين اقام فى مدينة اسكندرية مدة ايام وهو يتفرج كل يوم فى شارع من شوراعها ويأكل ويشرب ويتلذذ ويطرب الى ان فرغت منه المائة دينار التى كانت معه برسم النفقة فاتى الى الشيخ العطار ليأخذ منه شيئاً من الالف دينار وينفقه فلم يجده فى الدكان فجلس فى دكانه ينتظره الى ان يعود وصار يتفرج على التجار ويتأمل ذات اليمين وذات الشمال فبينما هو كذلك واذا باعجمى قد اقبل على السوق وهو راكب على بغلة وخلفه جارية كأنها فضة نقية او بلطية فى فسقية او غزالة فى برية بوجه يخجل الشمس المضيئة وعيون بلبلية ونهود عاجية واسنان لؤلؤية

وبطن خماصية واعطاف مطوية وسيقان كاطراف لية كاملة الحسن والجمال ورشاقة القد والاعتدال كما قال فيها بعض واصفيها

كأنها مثل ما تهواه قد خلقت ... فى رونق الحسن لا طول ولا قصر
الورد من خدها يحمر من خجل ... والغصن من قدها يزهو به الثمر
البدر طلعتها والمسك نكهتها ... والغصن قامتها ما مثلها بشر
كأنها افزعت من ماء لؤلؤة ... فى كل جارحة حسنها قمر

ثم ان الاعجمى نزل عن بغلته وانزل الصبية وصاح الى الدلال فحضر بين يديه فقال له خذ هذه الجارية وناد عليها فى السوق فأخذها الدلال ونزل بها الى وسط السوق وغاب ساعة ثم عاد ومعه كرسى من الابنوس مزركش بالعاج الابيض فوضعه الدلال على الارض واجلس عليه تلك الصبية ثم كشف القناع عن وجهها فبان من تحته وجه كأنه ترس ديلمى او كوكب درى وهى كأنها البدر اذا بدر فى ليلة اربع عشرة بغاية الجمال الباهر كما قال الشاعر

قد عارض البدر جهلا حسن صورتها ... فراح منكسفا وانشق بالغضب
وسرحة البان ان قيست بقامتها ... تبت يدا من غدت حمالة الحطب

وما احسن قول الشاعر

قل للمليحة فى الخمار المذهب ... ماذا فعلت بعابد مترهب
نور الخمار ونور وجهك تحته ... هزما بضوئهما جيوش الغيهب
واذا اتى طرفى ليسرق نظرة ... فى الخد حراس رمته بكوكب

فعند ذلك قال الدلال للتجار كم دفعتم فى درة الغواص وفليته القناص فقال له تاجر من التجار علىّ بمائة دينار وقال آخر بمائتين وقال آخر بثلاثمائة ولم يزل التجار يتزايدون فى تلك الجارية الى ان اوصلوا ثمنها الى تسعمائة وخمسين دينارا وتوقف البيع على الايجاب والقبول وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الحادية والسبعون بعد الثمانمائة

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن التجار صاروا يتزايدون في الجارية الى ان بلغ ثمنها تسعمائة وخمسين ديناراً فعند ذلك اقبل الدلال على الاعجمي سيدها وقال ان جاريتك بلغ ثمنها تسعمائة وخمسين دينارا فهل تبيع ونقبض لك الثمن فقال الاعجمي هل هي راضية بذلك فاني احب مراعاة خاطرها لاني ضعفت في هذه السفرة وخدمتني هذه الجارية غاية الخدمة فحلفت اني لا ابيعها الا لمن تشتهي وتريد وجعلت بيعها بيدها فشاوروها فان قالت رضيت فبعها لمن ارادته وان قالت لا فلا تبعها فعند ذلك تقدم الدلال اليها وقال لها يا سيدة الملاح اعلمي ان سيدك قد جعل بيعك بيدك وقد بلغ ثمنك تسعمائة وخمسين دينارا افتأذنين ان أبيعك فقالت الجارية للدلال ارني الذي يريد ان يشتريني قبل انعقاد البيع فعند ذلك جاء الدلال بها الى رجل من التجار وهو شيخ كبير هرم فنظرت اليه الجارية ساعة زمانية وبعد ذلك التفتت الى الدلال وقالت لا يا دلال هل انت مجنون او مصاب في عقلك فقال لها الدلال لأي شئ يا سيدة الملاح تقولين لي هذا الكلام فقالت له الجارية ايحل لك من الله ان تبيع مثلي لهذا الشيخ الهرم الذي قال في شأن زوجته هذه الابيات

تقول لي وهي غضبى من تدللها ... وقد دعتني الى شئ فما كانا
ان لم تنكني نيك المرء زوجته ... فلا تلمني اذا اصبحت قرنانا
كأن ايرك من شمع رخاوته ... فكلما عركته راحتي لانا

وقال في ايره ايضا

لي ابير ينام لؤما وشؤما ... كلما نلت من حبيب وصالا
واذا ما غدوت في البيت فردا ... طلب الطعن وحده والنزالا

وقال في ايره ايضا

ولي اير سوء كثير الجفا ... يعامل باللؤم من يكرمه
اذا نمت قام واذا قمت نام ... فلا رحم الله من يرحمه

فلما سمع شيخ التجار من تلك الصبية هذا الهجو القبيح اغتاظ غيظاً شديدا ما عليه من مزيد وقال للدلال يا انحس الدلالين ما جئت لنا في السوق الا بجارية مشئومة تتجارى على وتهجوني بين التجار فعند ذلك اخذها الدلال وانصرف عنه وقال لها يا سيدتي لا تكوني قليلة الادب ان هذا الشيخ الذى هجوته هو شيخ السوق ومحتسبه وصاحب مشورة التجار فضحكت وانشدت هذه الابيات

يصلح للحكام في عصرنا | وذاك للحكام مما يجب
الشنق للوالي على بابه | والضرب بالدرة للمحتسب

ثم ان تلك الجارية قالت للدلال والله يا سيدي انا لا باع لهذا الشيخ فبعني الى غيره لانه ربما خجل مني فيبيعني الى آخر فاصير ممتهنة ولا ينبغي لي ان ادنس نفسي بالامتهان وقد علمت ان امر بيعي مفوض الى فقال لها الدلال سمعا وطاعة ثم توجه بها الى رجل من التجار الكبار فلما وصل بها الى ذلك الرجل قال لها يا سيدتي هل ابيعك الى سيدى شريف الدين هذا بتسعمائة وخمسين دينار فنظرت اليه الجارية فرأته شيخا ولكن لحيته مصبوغة فقالت للدلال هل انت مجنون او مصاب في عقلك حتى تبيعني الى هذا الشيخ الفاني فهل انا من كتكت المشاق او من مهلهل الاخلاق حتى تطوف بي على شيخ بعد شيخ وكلاهما كجدار آيل الى السقوط او عفريت محقه النجم بالهبوط اما الاول فانه ناطق لسان الحال بقول من قال

طلبت قبلتها في الثغر قائلة | لا والذى اوجد الاشياء من عدم
ما كان لي في بياض الشيب من ارب | لو في الحياة يكون القطن حشو فمي

وما احسن قول الشاعر

قالوا بياض الشعر نور ساطع | يكسو الوجوه مهابة وضياء
حتي بدا و خط المشيب بمفرقي | فوددت ان لا اعدام الظلماء
لو ان لحية من يشيب صحيفة | بمعاده ما اختارها بيضاء

واحسن منه قول الاخر

ضيف الم برأسي غير محتشم | السيف أحسن فعلا منه باللمم
ابعد بعدت بياضا لا بياض له | لانت اسود في عيني من الظلم

واما الاخر فانه ذو عيب وريب ومسود وجه الشيب قد اتى فى خضاب شيبه باقبح مين وانشد لسان حاله هذين البتين

قالت اراك خضبت الشيب قلت لها كتمتـه عنـك يا سمعى ويا بصرى
فقهقهت ثم قالت ان ذا عجـب تكاثـر الغش حتى صـار فى الشعر

وما احسن قول الشاعر

يا من يخضب بالسـواد مشيبـه كـى يستقر له الشباب ويحصـل
ها فاختضب بسـواد حظـى مرة ولـك الضمـان بانـه لا ينصـل

فلما سمع الشيخ الذى صبغ لحيته من تلك الجارية هذا الكلام اغتاظ غيظا شديدا ما عليه من مزيد وقال للدلال يا انحس الدلالين ما جئت فى هذا اليوم سوقنا الا بجارية سفيهة تسفه كل من فى السوق واحدا بعد واحد وتهجوهم بالاشعار والكلام الفشار ثم ان ذلك التاجر نزل من دكانه وضرب الدلال على وجهه فاخذها الدلال ورجع بها وهو غضبان وقال والله ما رايت عمرى جارية اقل حياء منك وقد قطعت رزقى ورزقك فى هذا النهار وقد بغضنى من اجلك جميع التجار قرأهما فى الطريق رجل من التجار فزاد فى ثمنها عشرة دنانير وكان اسم ذلك التاجر شهاب الدين فاستأذن الدلال الجارية فى البيع فقالت ارنى اياه حتى أنظر اليه واسأله عن حاجة فان كانت تلك الحاجة فى بيته فانا اباع له والا فلا فخلاها الدلال واقفة ثم تقدم اليه وقال له يا سيدى شهاب الدين اعلم ان هذه الجارية قالت لى انها تسألك عن حاجة فان كانت عندك فانها تباع لك وها انت قد سمعت ما قالته لاصحابك من التجار وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الثانية والسبعون بعد الثمانمائة

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الدلال قال للتاجر انك سمعت ما قالته هذه الجارية لاصحابك التجار انا والله خائف ان اجيئ بها اليك فتعمل معك مثل ما عملت مع جيرانك وابقى انا معك مفضوحا فان اذنت لى فى المجئ بها اجيئ بها اليك فقال له ائتنى بها فقال الدلال سمعا وطاعة ثم ذهب الدلال واتى بالجارية اليه فنظرته الجارية وقالت له يا سيدى شهاب الدين هل فى بيتك مدورات محشوة بقطاعة فر السنجاب فقال لها نعم

يا سيدة الملاح عندى فى البيت عشرة مدورات محشوة بقطاعة فرو السنجاب فبالله عليك ماذا تصنعين بهذه المدورات فقالت اصبر عليك حتى ترقد واجعلها على فمك وانفك حتى تموت ثم انها التفتت الى الدلال وقالت له يا اخس الدلالين كأنك مجنون حتى تعرضني من منذ ساعة على اثنين من الشيوخ في كل واحد منهما عيبان وبعد ذلك تعرضني على سيدى شهاب الدين وفيه ثلاث عيوب الاول انه قصير والثانى ان انفه كبير والثالث ان لحيته طويله وقد قال فيه بعض الشعراء

ما رأينا ولا سمعنا بشخص مثل هذا بين الخلائق اجمع
فله لحية ذراع وانف طول شبر وقامة طول اصبع

وقال بعضهم ايضا

منارة الجامع فى وجهه كرقة الخنصر فى الخاتم
لو دخل العالم فى انفه اصبحت الدنيا بلا عالم

فلما سمع شهاب الدين من الجارية ذلك الكلام نزل من الدكان واخذ بطوق الدلال وقال له يا انحس الدلالين كيف تأتي الينا بجارية توبخنا وتهجونا واحد بعد واحد بالاشعار والكلام الفشار فعند ذلك اخذها الدلال وذهب من بين يديه وقال لها والله طول عمرى وانا فى هذه الصناعة ما رأيت جارية اقل ادبا منك ولا انحس على من نجمك لانك قد قطعتى رزقى فى ذلك اليوم ولا ربحت منك الا الصفع على القفا والاخذ بالطوق ثم ان الدلال وقف بتلك الجارية ايضا على تاجر صاحب عبيد وغلمان وقال لها اتباعى لهذا التاجر سيدى علاء الدين فنظرته فوجدته احدب فقالت ان هذا احدب وقد قال فيه الشاعر

قصرت مناكبه وطال فقاره فحكاه شيطان يصادف كوكبا
وكأنه قد ذاق اول درة واحس ثانيه فصار معجبا

وقال فيه بعض الشعراء ايضا

كما رقى احدكم بغلة صار بها بين الورى مثله
اما له الضحك فلا تعجبوا ان جفلت من تحته البغلة

وكما قال فيه بعض الشعراء

ولرب احدب زاد فى حدباته قبحا وقاطبة العيون تمجه
فكأنه غصن تقلص يابس ولواه من طول المدى اترجه

فعند ذلك اسرع الدلال اليها واخذها واتى بها الى اخر وقال لها اتباعى لهذا فنظرت اليه فوجدته اعمش فقالت ان هذا اعمش كيف تبيعنى له وقد قال فيه بعض الشعراء

رمد به امراضه هدّت قواه لحينه
يا قوم قوموا فانظروا هذا القذا فى عينه

فعند ذلك اخذها الدلال واتى بها الى تاجر آخر وقال لها اتباعى لهذا فنظرت اليه فرأت لحيته كبيرة فقالت للدلال ويلك ان هذا الرجل كبش ولكن طلع ذيله فى حلقه كيف تبيعنى له يا انحس الدلالين اما سمعت ان كل طويل الذقن قليل العقل وعلى قدر طول اللحية يكون نقصان العقل وهذا امر مشهور بين العقلاء كما قال بعض الشعراء

ما رجل طالت له لحية فزادت اللحية فى هيبته
الا وما ينقص من عقله يكون طولا زاد فى لحيته

وكما قال فيه بعض الشعراء ايضا

لنا صديق له لحية طوّلها الله بلا فائدة
كانها بعض ليالى الشتا طويلة مظلمة باردة

فعند ذلك اخذها الدلال ورجع فقالت له الى اين تتوجه بى فقال لها الى سيدك الاعجمى وكفانا ما جرى لنا بسببك فى هذا النهار وقد تسببت فى منع رزقى بقلة ادبك ثم ان الجارية نظرت فى السوق والتفتت يمينا وشمالا وخلفا واماما فوقع نظرها بالامر المقدر على نور الدين على المصرى فرأته شابا مليحا نقى الخد رشيق القد وهو ابن اربع عشرة سنة بديع الحسن والجمال والظرف والدلال كأنه البدر اذا بدر فى ليلة اربع عشرة بجبين ازهر احمر وعنق كالمرمر واسنان كالجوهر وريق احلى من السكر كما قال فيه بعض واصفيه

بـدت لتـحاكـى حسنه وجمالـــه بـدور غـــزلان فقـلت لـها قـفى
رويـدك يـا غــزلان لا تـتـشـبــهـى بـهـذا ويـا اقـمـار ولا تتـكـلـــفـى

وما احسن قول بعض الشعراء

ومـهـفـهـف مـن شعـره وجـبـيـنـه تـغـدوا الورى فـى ظـلـمة وضـيـاء
لا تـنكـر والخـال الذى فـــى خـده كـــل الـشـقـيـق بـنـقـطـة سـوداء

فلما نظرت تلك الجارية الى نور الدين حال بينها وبين عقلها ووقع فى خاطرها موقعا عظيما وتعلق قلبها بمحبته وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الثالث والسبعون بعد الثمانمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الجارية لما رأت عـليا نور الدين تعلق قلبهـا بمحبته فالـتفتت الـى الدلال وقالت لـه هل هذا الشـاب التاجر الـذى جالس بين الـتجار وعلـيه الفرجية الجوخ العودى ما زاد فى ثمني شيـئاً فقال لها الدلال يا سيدة الملاح ان هذا شاب غريب مصرى ووالده من اكابـر التجار بمصر وله الفضل على جميـع تجارها اكابرها وله مدة يسيرة فى هـذه المدينة وهو مقيم عند رجـل من اصحاب ابيه ولم يتكلـم فيك بزيادة ولا نقصان فلما سمعت الجارية كلام الدلال نزعت مـن اصبعها خاتم ياقوتا مثمنا وقالت للدلال وصلنى عند هذا الشاب المليح فان اشترانى كان هذا الخاتم لك فى نظير تعبك فى هذا اليوم معنا ففرح الدلال وتوجه بها الى نور الـدين فلما صارت عنده تأملته فرأته كانه بدر التمام لانه ظريف الجمال رشيق القد والاعتدال كما قال فيه بعض واصفيه

صـفـا فـى وجـهـه مـاء الجـمـال ومــــن الحـاظـه رمـى النبـال
ويـشـرق كـل صـب ان سـقـاه بـرصـــــدوده ولـو صـل حـال
فـغـرتـه وقـامتـه وعـشـقـــي كـمـال فـى كـمـال فـى كـمـال
وان غـلائـل الاثـواب منــه مـزرة عـلـى طـوق الـهـلال
ومـقـلـتـه وخـالاه ودمـعـى لـيـال فـى لـيـال فـى لـيـال
وحـاجـبـه وطـلـعـته وجـسـمى هـلال فى هـلال فى هـلال
وطـافـت مـقـلـتـاه بـكـأس خـمـر عـلـى الـعـشـاق ان يمـر رحـلا لـى
وارشـفـنـى عـلـى ظـمـأ زلالا بـبـاسـم ثـغـره يـوم الـوصـال
فـقـتـلـى عـنـده ودمـى لـديـه حـلال فـى حـلال فـى حـلال

ثم ان الجارية نظرت الى نـور الدين وقالت له يا سيدى بالله عليك اما انـا مليحة فقال لها يا سيـدة الملاح وهل فى الدنيا احسن مـنك فقالت له الجارية ولاى شـئ رأيت التجار كلهـم زادوا فى ثمنـى وانت ساكت مـا تكلمـت بشئ ولا زدت فى ثـمنى دينـارا واحدا كأنني ما اعجبتك يـاسيدي فقال لها ياسيدتي لو كنت في بلدي كنـت اشتريك بجميع ما تملكه يدي من المال فقـالت له ياسيدى أنا ما قلت لك اشترينى عـلى غير مرادك ولكن لو زدت في ثمنى شيئاً لجبرت بخاطرى ولو كنت لا تشترينى لاجل ان تقول التجار لولا ان هذه الجاريـة مليحة مـا زاد فيها هذا التـاجر المصرى لان اهل مـصر لهم خبـرة بالجوارى فعند ذلك استحى نور الدين من كلام الجارية الذى ذكرته واحمر وجهه وقال للدلال كم بلغ ثـمن هذه الجاريـة قال بلغ ثمـنها تسـعمائة وخـمسين دينارا غـير الدلالة واما قانون السلطان فانه على البائع فقال نور الدين للدلال خلها على بالف دينار دلالة وثمنا فبادرت الجارية وتـركت الدلال وقالت بعـت نفسى لهـذا الشاب المليـح بالف دينار فسكت نور الدين فـقال واحد بعـناه وقال آخر يـستاهل وقـال آخر ملعـون ابن ملعـون من يزود ولا يشترى وقال آخر والله انهمـا يصلحان لبعضهما فلم يشـعر نور الدين الا والدلال احضر القضاة والـشهود وكتبوا عـقد البيع والشـراء فى ورقة وناولها لـنور الدين وقال له تـسلم جاريتك الله يجعلهـا مباركة عليك فهى ما تصلح الا لك ولا تـصلح انت الا لها وانشد الدلال هذين البيتين

اتتـــه الســـعادة منقـــادة   اليـــه تجـر جراذيا لـهـــا
فـلـم تـك تـصلـح الا لـه   ولـم يـك يـصـلـح الا لـهـا

فعند ذلك استحى نور الدين من التجار وقام من وقته وساعـته وزن الالف دينار التى كان وضـعها وديعـة عند العـطار صاحب ابـيه واخذ الجـارية واتى بهـا الى البيـت الذى اسكنه فيه الشيخ الـعطار فلما دخلت الجارية الى البيت رأت فيه خلق بـساط ونطعا عتيقا فقالت لـه يا سيدى هل انا مالـى منزلة عندك ولا استحـق ان توصلنى الى بيـتك الاصلى الذى فيه مـصالحك ولاى شئ ما دخلـت بى عند ابيك فـقال لها نور الديـن والله يا سيدة الملاح ان هذا بيتى الذى انا فيه ولكنه ملك لشيخ عطار من اهل هذه المدينة وقد اخلاه لى واسكننى فـيه وقد قلت لك اننى غريب وانـنى من اولاد مدينة مصر فقالـت له الجارية يا

سيدى اقل البيوت يكفى الى ان ترجع الى بلدك ولكن يا سيدى بالله عليك ان تقوم وتأتى لنا بشئ من اللحم المشوى والمدام والنقل والفاكهة فقال لها نور الدين والله يا سيدة الملاح ما كان عندى من المال غير الالف دينار الذى وزنته فى ثمنك ولا املك غير تلك الدنانير شيئاً من المال وكان معى بعض دراهم صرفتها بالامس فقالت له اما لك فى هذه المدينة صديق تقترض منه خمسين درهما وتأتينى بها حتى اقول لك اى شئ تفعل بها فقال لها ما لى صديق سوى العطار ثم ذهب من وقته وتوجه الي العطار وقال له السلام عليك يا عم فرد عليه السلام وقال له يا ولدى اى شئ اشتريت بالالف دينار فى هذا اليوم فقال له اشتريت بها جارية فقال له يا ولدى هل انت مجنون حتى تشترى جارية واحدة بالف دينار ياليت شعرى ما جنس هذه الجارية فقال له نور الدين يا عم انها جارية من اولاد الافرنج وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الرابعة والسبعون بعد الثمانمائة

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن نور الدين قال للشيخ العطار انها جارية من اولاد الافرنج فقال له الشيخ اعلم يا ولدى ان خيار اولاد الافرنج عندنا فى هذه المدينة ثمنه مائة دينار ولكن والله يا ولدى قد عملت عليك حيلة فى هذه الجارية فان كنت حبتها فبت عندها فى هذه الليلة واقض غرضك منها واصبح انزل بها السوق وبعها ولو كنت تخسر فيها مائتى دينار وقدّر انك غرقت فى البحر وطلع عليك اللصوص فى الطريق فقال نور الدين كلامك صحيح ولكن يا عم انت تعرف انه ما كان معى غير الالف دينار الذى اشتريت به الجارية ولم يبق معى شئ انفقه ولا درهم واحد وانى اريد من فضلك واحسانك ان تقرضني خمسين درهما انفقها الى غد فابيع الجارية واردها لك من ثمنها فقال الشيخ اعطيك يا ولدى على الرأس ثم وزن له خمسين درهما وقال له يا ولدى انت شاب صغير السن وهذه الجارية مليحة وربما تعلق بها قلبك فما يهون عليك ان تبيعها وانت ما تملك شيئاً تنفقه فتفرغ منك هذه الخمسون درهما فتأتينى فاقرضك اول مرة وثانى مرة وثالث مرة الى عشر مرات فاذا اتيتنى بعد ذلك فلا ارد عليك السلام الشرعى وتضيع محبتنا مع والدك ثم ناوله الشيخ خمسون درهما فاخذها نور الدين واتى بها الى الجارية فقالت له يا سيدى رح الى السوق فى هذه الساعة وهات لنا بعشرين درهما

حريرا ملونا خمسة الوان وهات لنا بالثلاثين درهما الاخرى لحما وخبزا وفاكهة وشرابا ومشموما فعند ذلك ذهب نور الدين الى السوق واشترى منه كل ما طلبته تلك الجارية واتى به اليها فقامت من وقتها وساعتها وشمرت عن يديها وطبخت طعاما واتقنته غاية الاتقان ثم قدمت له الطعام فاكل واكلت معه حتى اكتفيا ثم قدمت المدام فشربت واياه ولم تزل تسقيه وتؤانسه الى ان سكر ونام فقامت الجارية من وقتها وساعتها واخرجت من بقجتها جرابا من اديم طائفى وفتحته واخرجت منه مسمارين وقعدت عملت شغلها الى ان فرغ فصار زنارا مليحا فلفته فى خرقة بعد صقله وتنظيفه وجعلته تحت المخدة ثم قامت تعرت ونامت بجانب نور الدين وكبسته فانتبه من نومه فوجد بجانبه صبية كأنها فضة نقيه انعم من الحرير واطرى من الليـة وهى اشهر من علم واحسن من حمر النعم خماسية القد قاعدة النهد بحواجب كأنها قسى السهام وعيون كانها عيون غزلان وخدود كانها شقائق النعمان وبطن خميصة الاعكان وسرة اوقية من دهن البان وفخدين كأنهما مخدتان محشوتان من ريش النعام وبينهما شئ يكل عن وصفه اللسان وتنسكب عند ذكره العبرات فكأن الشاعر قصدها بهذه الابيات

فمن شعرها ليل ومن فرقها فجر ... ومن خدها ورد ومن ريقها خمر
ومن وصلها مأوى ومن هجرها لظى ... ومن ثغرها در ومن وجهها بدر

وما احسن قول بعض الشعراء

بدت قمرا وماست غصن بان ... وفاحت عنبرا ورنت غزالا
كأن الحزن مشغوف بقلبى ... فساعة هجرها يجد الوصالا
لها وجه يفوق على الثريا ... ونور جبينها فاق الهلالا

وقال بعضهم ايضا

سفرن بدورا والجلين اهله ... ومست غصونا والتفتن جآذرا
وفيهم كحلاء العيون لحسنها ... تود الثريا ان تكون لها ثرى

فعند ذلك التفت نور الدين من وقته وساعته الى تلك الجارية وضمها الى صدره ومص شفتها الفوقية بعد ان مص التحتية ثم زرق اللسان بين الشفتين فقام اليها فوجدها

درة ما ثقبت ومطية لغيره ما ركبت فازال بكارتها ونال منها الوصال وانعقدت بينهما المحبة بلا انفكاك ولا انفصال وتابع فى خدها تقبيلا كوقع الحصى فى الماء ورهزا كطعن الرماح فى الغارة الشعواء لان نور الدين كان مشتاقا الى اعتناق الحور ومص الثغور وحل الشعور وضم الخصور وعض الخدود وركوب النهود مع حركات مصرية وغنج يمانية وشهيق حبشية وفتور هندية وغلمة نوبية وتضجر ريفية وانين دمياطية وحرارة صعيدية وفترة اسكندرية وكانت هذه الجارية جامعة لهذه الخصال مع فرط الجمال والدلال كما قال فيها الشاعر

هذى التى انا طول الدهر ناسيها ... فلا جنحت الى من ليس يدنيها
كانها البدر فى تكوين صورتها ... سبحان خالقها سبحان باريها
ان كان ذنبى عظيما فى محبتها ... فليس لى توبة يوما ارجيها
قد صيرتنى حزينا ساهرا دنفا ... والقلب قد حار فكرا فى معانيها
وانشدت بيت شعر ليس يعرفه ... الا فتى لقوافى الشعر يرويها
لا يعرف الشوق الا من يكابده ... ولا الصبابة الا من يعانيها

ثم نام نور الدين هو وتلك الجارية الى الصباح فى لذة وانشرح وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الخامسة والسبعون بعد الثمانمائة

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن نور الدين نام هو وتلك الجارية الى الصباح فى لذة وانشراح لابسين حلل العناق محكمة الازرار آمنين طوراق الليل والنهار وقد باتا على احسن حال ولم يخشيا فى الوصال كثرة القيل والقال كما قال فيهما الشاعر المفضال

زر من تحب ودع مقالة حاسد ... ليس الحسود على الهوى بمساعد
لم يخلق الرحمن احسن منظرا ... من اشقين على فراش واحد
متعانقين عليهما حلل الرضى ... متوسدين معصم وبساعد
واذا تألفت القلوب على الهوى ... فالناس تضرب فى حديد بارد

يا من يلوم على الهوى اهل الهـوى   هل تســـــتطيع صـــلاح قلب فاسد
واذا صفا لك من زمـانـك واحـــد   نعـــم الصــــديق وعش بذاك الواحد

فلما اصبح الصباح وضاء بنوره ولاح انتبه نور الدين من نومه فـرأها احضرت الماء فاغتسل واياها وادى ما عليه من الصلاة لربـه ثم اتته بما تيسر من المأكول والمشروب فاكل وشرب ثم ادخلت الجارية يدها تحت المخدة واخرجت الزنار الذى صنعته بالليل وناولته اياه وقالـت له يا سيـدى خذ هذا الزنـار فقال لها مـن اين هذا الزنـار قالت يا سـيدى هو الحرير الذى اشتـريته البارحة بالعشريـن درهما فقم واذهب به الى سوق العجم واعطه للدلال لينادى عليه ولاتبعه الا بعشرين دينار سالمة ليدك فقال لها نور الدين يا سيدة الملاح هل بشـئ بعشرين درهـما يباع بعـشرين دينارا يعـمل فى ليلـة واحدة قالت له الجـارية يا سيدى انت ما تعرف قـيمة هذا ولكن اذهب به الى السوق واعطه لـلدلال فاذا نادى عليه الدلال ظهرت لك قيمـته فعند ذلك اخذ نور الدين الزنار مـن الجارية واتى به الى سوق الاعاجم واعطى الـزنار للدلال وامره ان ينادى عليـه وقعد نور الدين على مـصطبة دكان فغـاب الدلال عنه سـاعة ثم اتى الـيه وقال له يـا سيدى قـم اقبض ثمـن زنارك فقد بـلغ عشرين دينـارا سالمة ليدك فلما سمع نـور الدين كلام الدلال تعجب غاية الـعجب واهتز من الطرب وقام ليقبـض العشرين دينارا وهو ما بين مصدق ومكذب فـلما قبضها ذهب من ساعتـه واشترى بها كلها حـريرا من سائر الالوان لتعـمله الجارية كله زنانـير ثم رجع الى البيت وأعـطاها الحرير وقال لها اعـمليه كله زنانير وعـلمينى ايضا حتـى اعمل معك فانى طول عمرى مـا رأيت صنعة احسن من هذه الصـنعة ولا اكثر مكسبا منـها قط وانها واللـه احسن مـن التجارة بـالف مرة فـضحكـت الجارية مـن كلامه وقالـت له يا سـيدى نورالدين امض الى صاحـبك العطار واقترض منه ثلاثين درهما وفى غـدا ندفعها له من ثمن الزنار هى والخمسين درهما التى اقترضتها منه قبلها فقام نورالدين واتى إلى صاحبه العطار وقال له ياعم اقـرضني ثلاثيا درهما وفي غدان شاء الله تعالى اجـىء لك بالثمانين درهما جمـلة واحدة فعند ذلك وزن لـه الشيخ العطـار ثلاثين درهما فاخذهـا نورالدين واتى بها الى الـسوق واشترى بها لحما وخبزا ونـقلا وفاكهة ومشموما كمـا فعل بالامس واتى به الى الجاريـة وكان اسم تلك الجارية مريم الـزنارية فلما اخذت اللـحم قامت من وقتها وساعتـها وهيأت طعاما فاخرا ووضعـته قدام سيدها نورالدين ثم بـعد ذلك هيأت سفرة المدام وتقدمت تشرب هى واياه وصارت تملأ وتسقـيه وهو يملأ ويسقيها فلما لعب المدام بعقلهما اعجبها حسن لطافته ورقة معانيه فانشدت هذين البيتين

اقــــول لأهيف حي بكــــأس لـهـا مــن مسـك نـكهتـه ختام
امن خديـك تعصـر قـال كـــلا متــى عصـرت من الــورد المدام

ولم تزل تلك الجارية تنادم نورالدين وينادمها وتعاطيه الكأس والطاس وتطلب ان يملأ لها ويسقيها ما تطيب به الانفاس واذا وضع يـده عليها تتمتع منه دلالا وقد زادها السكر حسنا وجملا فانشدت هذين البيتين

وهيفاء تهوى الـراح قـالت لصبـهـا بمجلـس انس وهو يخشى ملالها
اذا لم تـدر كأس المدام وتســقـنى ابيتـك مهـجور فـخاف مـلى لـها

ولم يزالا كذلك الى ان غلب عليه السكر ونام فقامت هى من وقتها وساعتها وعملت شغلها فـى الزنار على جرى عادتهـا ولما فرغت اصلحته ولـفته فى ورقة ثم نزعت ثـيابها ونامت بجانبه الى الصباح وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والسبعون بعد الثمانمائة

قالت بلـغنى ايها الملك السـعيد ان مريم الزنارية لما فرغت من شغل الزنار اصـلحته ولفته فى ورقة ونزعت ثـيابها ونامت بجانبه الى الصباح وكان بينـهما ما كان من الوصال ثم قام نورالدين وقضى شغله وناولته الزنـار وقالت له امض به الى السوق وبعه بعشرين دينارا كـما بعت نظـيره بالامس فـعند ذلك اخذه ومـضى به الى الســوق وباعه بعـشرين دينارا واتى الى العطار ودفع له الثمانين درهمـا وشكر فضله ودعا له فقال له يا ولدى هل انت بعت الجارية فقال نورالدين كيف ابيع روحى من جسدى ثم انه حكى له الحكاية من المبتدا الى المنـتهى واخبره بجميع ما جرى لـه ففرح الشيخ العطار بذلـك فرحا شديدا ما عليه من مزيد وقال لـه والله يا ولدى انك قد فرحتنى وان شاء الله انـت بخير دائما فانى اود لك الخيـر لمحبتى لـوالدك وبقاء صحـبتى معـه ثم ان نورالدين فـارق الشيخ الـعطار وراح من وقته وساعته الـى السوق واشترى اللحم والفاكهة والشراب وجـميع ما يحتاج اليه علـى جرى العادة واتى به الـى تلك الجارية ولم يـزل نورالدين هو والجاريـة فى اكل وشرب ولعب وانشراح وود ومنادمة مدة سنة وهى تعمل فى كل ليلة زنارا ويصبح يبيعه بعشرين دينارا يـنفق منها ما يحتاج اليه والـباقى يعطيه لها تحفظه عـندها الى وقت الحاجة اليه وبعـد السنة قالت له الجـارية يا سيدى نورالديـن اذا بعت الزنار فى غد فـخذلى من

حقه حريرا ملونا ستة الوان فانه قد خطر ببالى ان اصنع لك منديلا تجعله على كتفك ما فرحت بمثله اولاد التجار ولا اولاد الملوك فعند ذلك خرج نورالدين الى السوق وباع الزنار واشترى الحرير الملون كما ذكرت له الجارية وجاء به اليها فقعدت مريم الزنارية تصنع فى المنديل جمعة كاملة لانها كلما فرغت من زنار فى ليلة تعمل فى المنديل شيئاً الى ان خلصته ثم ناولته لنورالدين فجعله على كتفه وصار يمشى به فى السوق فصار التجار والناس واكابر البلد يقفون عنده صفوفا ليتفرجوا على حسنه وعلى ذلك المنديل وحسن صنعته فاتفق ان نورالدين كان نائما ذات ليلة من الليالى فانتبه من منامه فوجد جاريته تبكى بكاء شديدا وتنشد هذه الابيات

دنى فراق الحبيب واقتربا ... واحربا للفراق واحربا

تفتت مهجتى فوا اسقفى ... على ليال مضت لنا طربا

لابد ان ينظر الحسود لنا ... بعين سوء ويبلغ الا ربا

فما علينا اضر من حسد ... ومن عيون الوشاة والرقبا

فقال لها نورالدين يا سيدتى مريم ما لك تبكين فقالت له ابكى من الم الفراق فقد احس قلبى به فقال له يا سيدة الملاح ومن الذى يفرق بيننا وانا الان احب الخلق اليك واعشقهم لك فقالت له ان عندى اضعاف ما عندك ولكن حسن الظن بالليالى يوقع الناس فى الاسف ولقد احسن الشاعر حيث قال

احسنت ظنك بالايام اذا حسنظت ... ولم تخف سوء ما يأتى به القدر

وسالمتك الليالى فاغتررت بها ... وعند صفو الليالى يحدث الكدر

وفى السماء نجوم لاعداد لها ... وليس بكف الا الشمس والقمر

وكم على الارض من خضرا ويابسة ... وليس يرجم الا ما له ثمر

اما ترى البحر يعلو فوقه جيف ... ويستقر باقصى قاعه الدرر

ثم قالت يا سيدى نورالدين اذا كنت تحرص على عدم الفراق فخذ حذرك من رجل افرنجى اعور العين اليمنى اعرج الرجل الشمال وهو شيخ اغبر الوجه مكلثم اللحية لانه هو الذى يكون سببا لفراقنا وقد رأيته اتى فى تلك المدينة واظن انه ما جاء الا فى طلبي

فقال لها نورالـدين يا سيدة الملاح ان وقع بصرى علـيه قتلته ومثلت به فـقالت له مريم يا سيدى لا تـقتله ولا تـكلمه ولا تبايعه ولا تشـاريه ولا تعاملـه ولا تجالسه ولا تمـاشيه ولا تتـحدث معـه بكلام قـط وادعو اللـه ان يكفيـنا شره ومـكره فلـما اصبـح الصبـاح اخذ نورالـدين الزنار وذهـب به الى السـوق وجلس علـى مصطبـة دكان يتحـدث هو واولاد التجار فاخذته سنة من النوم فنام على مصـطبة الدكان فبينما هو نائم واذا بذلك الافرنجى مر على ذلك السوق فى تـلك الساعة ومعه سبعة من الافرنج فرأى نورالـدين نائما على مصطبة الدكان ووجهـه ملفوف بذلك المنديل وطرفه فى يده فقـعد الافرنجى عنده واخذ طرف المنديل وقلبه فى يده واستمر يقلب فيه ساعة فاستحس به نورالدين فافاق من النوم فرأي الافرنجى الذى وصفته الجارية بعينه جالسا عند رأسه فصرخ عليه نورالدين صرخة عظيمة ارعبته فقـال له الافرنجى لاى شيء تصرخ علينا هل نحن اخذنا مـنك شيئاً فقال له نورالدين والله يـا ملعون لو كنت اخذت منى شـيئاً لكنت ذهبت بك الى الـوالى فقال له الافرنجى يـا مسلم بحـق دينك وما تعـتقده ان تخـبرنى من اين لـك هذا المنديل فـقال له نورالدين هو شغل والدتى وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والسبعون بعد الثمانمائة

قالت بلغـنى ايها الملك السعيد ان الافـرنجى لما سأل نورالدين عن الذى عـمل المنديل قال له ان هذا المنديل شغل والدتى عملته لى بيدها فقال له الافرنجى اتبيعه لى وتأخذ ثمنه من فقال له نورالدين والله يا ملعون لا ابيعه لك ولا لغبرك فانها ما عملته الا على اسمى ولم تعمل غيره فقـال بعه لى وانا اعطيك ثمنه فى هذه الساعة خـمسمائة دينار ودع الذى عملته تعمل لك غيره احسن منه فقال له نورالدين انا ما ابيعه ابدا لانه لا نظير له فى هذه المدينة فقال له الافرنجى يا سيدى وهل لا تبيعه بستمائة دينار من الذهب الخالص ولم يزل يزيده مائة بعد مائة الـى ان اوصله الى تسعمائة دينار فقال نورالدين يفـتح الله على بغير بيعه انـا ما ابيعه ولا بالفـى دينار ولا باكثر ابـدا ولم يزل ذلك الافرنجى يرغـب نورالدين بالمال فى ذلك المنديـل الى ان اوصله الى الف دينار فقال له جماعة مـن التجار الحاضرين نحن بعناك هذا المنديل فادفع ثمنه فقال نورالدين انـا مـــا ابيعـه والله فقـال لـه تاجـر من

التجـار اعلم ان هذا المـن يا ولدى ان هذا المـنديل قيـمته مائـة دينار ان كثـرت ووجد له راغب وان هذا الافرنجى دفع فيه الف دينار جملة فربـحك تسعمائة دينار فاى ربح تريد اكثر من هـذا الربح فالرأى عندى انـك تبيع هذا المنديـل وتأخذ الالف دينار ونقـول للتى عمـلته لـك تعمـل لك غيـره او احسن مـنه واربح انـت الالف دينـار من هذا الافـرنجى الملعون عدو الدين فاسـتحى نورالدين من التجار وباع الافرنجى المنـديل بالف دينار ودفع له الثمن فى الحضرة واراد نورالدين ان ينصرف ويمضى الى جاريته مريم ليبشرها بما كان من امر الافرنجى فقال الافـرنجى يا جماعة التجار احجزوا نورالدين فـانكم واياه ضيوفى فى هذه الليلـة فان عندى بتية خمر رومى من مـعتق الخمر وخاروفا سمينـا وفاكهة ونقلا ومشـموما فانـتم تؤانـسونا فى هـذه الليلـة ولا يتأخـر احد منكـم فقال الـتجار يا سـيدى نورالدين نشتهى ان تكون معنا فى مثل هذه الليلة لنتحدث واياك فمن فضلك واحسانك ان تكون معنا فنحن واياك ضيوف عند هذا الافرنجى لانه رجل كريم ثم انهم حلفوا عليه بالـطلاق ومنعـوه بالغصـب عن الرواح الى بـيته ثـم قاموا من وقـتهم وساعـتهم وقفـلوا الدكاكين واخـذوا نورالدين معهم وراحـوا مع الافرنجى الى قاعة مـطيبة رحيبة بـليوانين فاجلسـهم فيها ووضع بـين ايديهم سفرة غريـبة الصنع بديعـة العمل فيهـا صورة كاسر ومكسور وعاشق ومعشوق وسائل ومسئـول ثم وضع الافرنجى على تلك السفرة الاوانى النفيسـة من الصينى والبلور وكـلها مملوءة بنفايس الـنقل والفاكهة والمشمـوم ثم قدم لهم الافرنجى بتية ملأنة بالخمر الرومى المعتق وامر بذبح خاروف سمين ثم ان الافرنجى اوقد النار وصـار يشوى من ذلك اللـحم ويطعم التـجار ويسقيهـم من ذلك الخمر ويغـمزهم على نورالديـن ان ينزلوا عليه بالشراب فـلم يزالوا يسقونه حتى سـكر وغاب عن وجوده فلما رأه الافرنجى مستغرقا في السكر قال آنستنا ياسيدي نور الدين في هذه الليلة فمرحبا بك ثم مرحبا بك وصار الافرنجى يؤانسه بالكلام ثم تقرب منه وجلس بجانبه وسارقه فى الحديث سـاعة زمانية ثم قـال له يا سيدى نـورالدين هل تبـيعنى جاريتـك التى اشتريـتها بحضرة هـؤلاء التجار بالف دينـار من مدة سنة وانا اعـطيك فى ثمنهـا الان خمسة الاف دينار بزيادة اربعة الاف فابى نورالدين ولـم يزل ذلك الافـرنجى يطعمه ويسقيه ويرغبه فى المال حتى اوصل الجارية الى عشرة الاف دينار فقال نورالدين وهو فى سكره قدام التجار بعتك ايـاها هات العشرة الاف ديـنار ففرح الافرنجى بـذلك القول فرحا شـديدا واشهد

عليه التجار وباتوا فى اكل وشرب وانشراح الى الصباح ثم صاح الافرنجى على غلمانه وقال لهم ائتونى بالمال فاحضروا له المال فعد لنورالدين العشرة الاف دينار نقدا وقال له يا سيدى نورالدين تسلم هذا المال ثمن جاريتك التى بعتها لى الليلة بحضرة هؤلاء التجار المسلمين فقال نورالدين يا ملعون انا ما بعتك شيئاً وانت تكذب على وليس عندى جوارى فقال له الافرنجى قد بعتنى جاريتك وهؤلاء التجار يشهدون عليك بالبيع فقال التجار كلهم نعم يا نورالدين انت بعته جاريتك قدامنا ونحن نشهد عليك انك بعته اياها بعشرة الاف دينار قم اقبض الثمن وسلم اليه الجارية والله يعوضك خيرا منها اتكره يا نورالدين انك اشتريت جارية بالف دينار ولك سنة ونصف تتمتع بحسنها وجمالها وتتلذذ فى كل يوم وليلة بمنادمتها ووصالها وبعد ذلك ربحت من هذه الجارية تسعة الاف دينار فوق ثمنها الاصلى وفى كل يوم تعمل لك منديلا تبيعه بعشرين دينارا وبعد ذلك كله تنكر البيع وتستقل الربح اى ربح اكثر من هذه الربح واى مكسب اكثر من هذا المكسب فان كنت تحبها فها انت قد شبعت منها فى هذه المدة فاقبض الثمن واشتر غيرها احسن منها او تزوجك بنتا من بناتنا بمهر اقل من نصف هذا الثمن وتكون البنت اجمل منها ويصير معك باقى المال رأس مال فى يدك ولم يزل التجار يتكلمون مع نورالدين بالملاطفة والمخادعة الى ان قبض العشرة الاف دينار ثمن الجارية واحضر الافرنجى من وقته وساعته القضاة والشهود فكتبوا له حجة باشتراء الجارية التى اسمها مريم الزنارية من نورالدين هذا ما كان من امر نورالدين واما ما كان من امر مريم الزنارية فانها قعدت تنتظر سيدها جميع ذلك اليوم الى المغرب ومن المغرب الى نصف الليل فلم يعد اليها سيدها فجزعت وصارت تبكى بكاء شديدا فسمعها الشيخ العطار وهى تبكى فارسل اليها زوجته فدخلت عليها فرأتها تبكى فقالت لها يا سيدتى مالك تبكين فقالت لها يا امى انى قعدت انتظر مجيء سيدى نورالدين فما جاء الى هذا الوقت وانا خائفة ان يكون احد عمل عليه حيلة من اجلى لاجل ان يبيعنى فدخلت عليه الحيلة وباعنى وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والسبعون بعد الثمانمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان مريم الزنارية قالت لزوجة العطار انا خائفة ان يكون احد عمل على سيدى حيلة من شأنى لاجل ان يبيعنى فدخلت عليه الحيلة وباعنى فقالت

لها زوجة العطار يا سيدتي مريم لو اعطوا سيدك فيك ملأ هذه القاعة ذهبا لم يبعك لما اعرفه من محبته لك ولكن يا سيدتي مريم ربما يكون جماعة اتوا من مدينة مصر من عند والديه فعمل لهم عزومة فى المحل الذى هم نازلون فيه واستحى ان يأتى بهم الى هذا المحل لانه لا يسعهم او لان مرتبتهم اقل من ان يجيء بهم الى البيت او احب ان يخفى امرك عنهم فبات عندهم الى الصباح ويأتى ان شاء الله تعالى اليك فى غد بخير فلا تحملى نفسك هما ولا غما يا سيدتى فهذا سبب غيابه عنك فى هذه الليلة وها انا ابيت عندك فى هذه الليلة واسليك لى ان ياتى اليك سيدك ثم ان زوجة العطار صارت تلاهى مريم وتسليها بالكلام الى ان ذهب الليل كله فلما اصبح الصباح نظرت مريم سيدها نورالدين وهو داخل من الزقاق وذلك الافرنجى وراءه وجماعة التجار حواليه فلما رأتهم مريم ارتعدت فرايصها واصفر لونها وصارت ترتعد كأنها سفينة فى وسط بحر مع شدة الريح فلما رأتها امرأة العطار قالت لها يا سيدتى مريم مالى اراك قد تغير حالك واصفر وجهك وازاد به الذبول فقالت لها الجارية يا سيدتى والله ان قلبى قد احس بالفراق وبعد التلاق ثم ان الجارية تأوهت بتصاعد الزفرات وانشدت هذه الابيات

لا تركنن الى الفراق ... فانه مر المذاق
الشمس عند غروبها ... تصفر من الم الفراق
وكذاك عند شروقها ... تبيض من فرح التلاق

ثم ان مريم الزنارية بكت بكاء شديدا ما عليه من مزيد وتيقنت الفراق وقالت لزوجة العطار يا سيدتى اما قلت لك ان سيدى نورالدين قد عملت عليه حيلة من اجل بيعى فما اشك انه باعنى فى هذه الليلة لهذا الافرنجى وقد كنت حذرته منه ولكن لا ينفع حذر من قدر فقد بان لك صدق قولى فبينما هى وزوجة العطار فى الكلام واذا بسيدها نورالدين قد دخل عليها فى تلك الساعة فنظرت اليه الجارية فرأته قد تغير لونه وارتعدت فرائصه ويلوح على وجهه اثر الحزن والندامة فقالت له يا سيدى نورالدين كأنك بعتنى فبكى بكاء شديدا وتأوه وتنفس الصعداء وانشد هذه الابيات

هى المقادير فما يغنى الحذر ان كنت اخطأت فما اخطى القدر
اذا اراد الله امرا بامرىء وكان ذا عقل وسمع وبصر
اصم اذنيه واعمى عينه وسل من عقله سل الشعر
حتى اذا انفذ فيه حكمه رد اليه عقله ليعتبر
لا تقل فيما جرى كيف جرى كل شىء بقضاء وقدر

ثم ان نورالدين اعتذر الى الجارية وقال لها والله يا سيدتى يوم انه قد جرى القلم بما الله حكم والناس قد عملوا على حيلة من اجل بيعك فدخلت على الحيلة فبعتك وقد فرطت فيك اعظم تفريط ولكن عسى من حكم بالفراق ان يمن بالتلاق فقالت له قد حذرتك من هذا وكان فى وهمى ثم ضمته الى صدرها وقبلت ما بين عينيه وانشدت هذه الابيات

وحق هواكم ما سلوت ودادكم ولو تلفت روحى هوى وتشوقا
انوح وابكى كل يوم ليلة كما ناح قمرى على شجر النقا
تتغص عيشى بعدكم يا احبتى متى غبتم عنى فمالى ملتقى

فبينما هما على هذه الحالة واذا بالافرنجى قد طلع عليهما وتقدم ليقبل ايادى السيدة مريم فلطمته بكفها على خده وقالت له ابعد يا ملعون فما زلت ورائى حتى خدعت سيدى ولكن يا ملعون ان شاء الله تعالى لا يكون الاخيراً فضحك الافرنجى من قولها وتعجب من فعلها واعتذر اليها وقال لها يا سيدتى مريم اى شىء ذنبى انا وانما سيدك نورالدين هذا هو الذى باعك برضى نفسه وطيب خاطره وانه وحق المسيح لو كان يحبك ما فرط فيك ولولا انه فرغ غرضه منك ما باعك وقد قال بعض الشعراء

من ملنى فليمض عنى عامدا ان عدت اذكره فلست براشد
ماضاقت الدنيا على باسرها حتى ترانى راغبا فى زاهد

وقد كانت هذه الجارية بنت ملك افرنجه وهى مدينة واسعة الجهات كثيرة الصنائع والغرائب والنبات تشبه مدينة القسطنطينية وقد كان لخروج تلك الجارية من مدينة ابيها

حديث غريب وامر عجيب نسوقه على الترتيب حتى يطرب السامع ويطيب وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والسبعون بعد الثمانمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان لخروج مريم الزنارية من عند ابيها وامها سببا عجيبا وامرا غريبا وذلك انها تربت عند ابيها وامها فى العز والدلال وتعلمت الفصاحة والكتابة والحساب والفروسية والشجاعة وتعلمت جميع الصنايع مثل الزركشة والخياطة والحياكة وصنعة الزنار والعقادة ورمى الذهب على الفضة والفضة على الذهب وتعلمت جميع صنائع النساء حتى صارت فريدة زمانها ووحيدة عصرها واوانها وقد اعطاها الله عز وجل من الحسن والجمال والظرف والكمال ما فاقت به على جميع اهل عصرها فخطبها ملوك الجزائر من ابيها وكل من خطبها منه يأبى ان يزوجها له لانه كان يحبها حبا عظيما ولا يقدر على فراقها ساعة واحدة ولم يكن عنده بنت غيرها وكان معه من الاولاد الذكور كثيرا ولكنه كان مشغوفا بحبها اكثر منهم فاتفق انها مرضت فى بعض السنين مرضا شديدا حتى اشرفت على الهلاك فنذرت على نفسها انها اذا عوفيت من هذا المرض تزور الدير الفلانى الذى فى الجزيرة الفلانية وكان ذلك الدير معظما عندهم وينذرون له النذور ويتبركون به فلما عوفيت مريم من مرضها ارادت ان توفى بنذرها الذى نذرته على نفسها لذلك الدير فارسلها والدها ملك افرنجه الى ذلك الدير فى مركب صغيرة وارسل معها بعضا من بنات اكابر المدينة ومن البطارقة لاجل خدمتها فلما قربت من الدير خرجت مركب من مراكب المسلمين المجاهدين فى سبيل الله فاخذوا جميع ما فى تلك المركب من البطارقة والبنات والاموال والتحف فباعوا ما اخذوه فى مدينة القيروان فوقعت مريم فى يد رجل اعجمى تاجر من التجار قد كان ذلك الاعجمى عنينا لا يأتى النساء ولم تنكشف له عورة على امرأة فجعلها للخدمة ثم ان ذلك الاعجمى مرض مرضا شديدا حتى اشرف على الهلاك وطال عليه المرض مدة شهور فخدمته مريم وبالغت فى خدمته الى ان عافاه الله من مرضه فتذكر ذلك الاعجمى منها الشفقة والحنية عليه والقيام بخدمته فاراد ان يكافئها على ما فعلته معه من الجميل فقال لها تمنى على يا مريم فقالت يا سيدى تمنيت عليك ان لا تبيعنى الا لمن اريده

واحبه فقال لها نعم لك على ذلك والله يا مريم ما ابيعك الا لمن تريدينه وقد جعلت بيعك بيدك ففرحت فرحا شديدا وكان الاعجمى قد عرض عليها الاسلام فاسلمت وعلمها العبادات فتعلمت من ذلك الاعجمى فى تلك المدة امر دينها وما يجب عليها وحفظها القرآن وما تيسر من العلوم الفقهية والاحاديث النبوية فلما دخل بها مدينة اسكندرية باعها لمن ارادته وجعل بيعها بيدها كما ذكرنا فاخذها على نورالدين كما اخبرنا هذا ما كان من سبب خروجها من بلادها واما ما كان من امر ابيها ملك افرنجه فانه لما بلغه امر ابنته ومن معها قامت عليه القيامة وارسل خلفها المراكب وصحبتهم البطارقة والفرسان والرجال الابطال فلم يقعوا لها على خبر بعد التفتيش في جزائر المسلمين ورجعوا الى ابيها بالويل والثبور وعظائم الامور فحزن عليها ابوها حزنا شديدا فارسل وراءها ذلك الاعور اليمين الاعرج الشمال لانه كان اعظم وزرائه وكان جبارا عنيدا ذا حيل وخداع وامره ان يفتش عليها فى جميع بلاد المسلمين ويشتريها ولو بملىء مركب ذهبا ففتش عليها ذلك الملعون فى جزائر البحار وسائر المدن فلم يقع لها على خبر الى ان وصل الى مدينة اسكندرية وسأل عنها فوقع على خبرها عند نورالدين على المصرى فجرى له معه ما جرى وعمل عليه الحيلة حتى اشتراها منه كما ذكرنا بعد الاستدلال عليها بالمنديل الذى لا يحسن صنعته غيرها وكان قد وصى التجار واتفق معهم على خلاصها بالحيلة فلما صارت عنده مكثت فى بكاء وعويل فقال لها يا سيدتى مريم خلى عنك هذا الحزن والبكاء وقومى معى الى مدينة البيك ومحل مملكتك ومنزل عزك ووطنك لتكونى بين خدمك وغلمانك واتركى هذا الذل وهذه الغربة ويكفى ما قد حصل لى من التعب والسفر من اجلك وصرف الاموال فان لي فى السفر والتعب وصرف الاموال نحو سنة ونصف وقد امرنى والدك ان اشتريك ولو بملىء مركب ذهبا ثم ان وزير ملك افرنجه صار يقبل قدميها ويتخضع لها ولم يزل يكرر تقبيل يديها وقدميها ويزداد غضبها عليه كلما فعل ذلك ادبا معها وقالت له يا ملعون الله تعالى لا يبلغك ما فى مرادك ثم قدم اليها الغلمان فى تلك الساعة بغلة بسرج مزركش واركبوها عليها ورفعوا فوق رأسها سحابة من حرير بعواميد من ذهب وفضة وصار الافرنج يمشون حولها حتى طلعوا بها من باب البحر وانزلوها فى قارب صغير وصاروا يقدفون بها الى ان اوصلوها الى المركب الكبيرة وانزلوها فيها فعند ذلك نهض الوزير الاعور

وقال لبحرية المركب ارفعوا الصارى فرفعوه من وقتهم وساعتهم ونشروا القلوع والاعلام ونشروا القطن والكتان واعملوا المقاديف وسافرت بهم تلك المركب هذا كله ومريم تنظر الى ناحية الاسكندرية حتى غابت من عينها فصارت تبكى فى سرها بكاء شديدا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للثمانين بعد الثمانمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان وزير ملك افرنجه لما سافرت بهم المركب فيها مريم الزنارية صارت تنظر الى ناحية اسكندرية حتى غابت عن عينها فبكت وانتحبت وسكبت العبرات وانشدت هذه الابيات

ايا منزل الاحباب هل لك عودة ... الينا وما علمي بما الله صانع
فسارت بنا سفن الفراق واسرعت ... وطرفى قريح قدمحته المدامع
لفرقة خل كان غاية مقصدى ... به يشتفى سقمى ومعى المواجع
الايا الهى كن عليه خليفتى ... فعندك يوما لا تضيع الودائع

ولم تزل مريم كلما تذكرته تبكى وتنوح فاقبل عليها البطارقة يلاطفونها فلم تقبل منهم كلاما بل شغلها داعى الوجد والغرام ثم انها بكت وانت واشتكت وانشدت هذه الابيات

لسان الهوى فى مهجتى لك ناطق ... يخبر عنى اننى لك عاشق
ولى كبد جمر الهوى قد اذابها ... وقلبى جريح من فراقك خافق
وكم اكتم الحب الذى قد اذابنى ... فجفنى قريح والدموع سوابق

ولم تزل مريم على هذه الحالة لا يقرلها قرار ولا يطاوعها اصطبار مدة سفرها هذا ما كان من امرها هى والوزير الاعور واما ما كان من امر نورالدين على المصرى ابن التاجر تاج الدين فانه بعد نزول مريم المركب وسفرها ضاقت عليه الدنيا وصار لا يقر له قرار ولا يطاوعه اصطبار فتوجه الى القاعة التى كان مقيما بها هو ومريم فراها فى وجهه سوداء مظلمة ورأى العدة التى كانت تشتغل عليها الزنانير وثيابها التى كانت على جسدها فضمها الى صدره وبكى وفاضت من جفنه العبرات وانشد هذه الابيات

تري هل يعود الشمل بعد تشتتي وبعـــــد توالي حسرتي وتلفتي
فهيهات ما قد كان ليس براجع فياهل ترى احظى بوصل حبيبتي
وياهل ترى قد يجمع الله شملنا وتذكر احبابى عهود مودتي
ويحفظ ودي من بجهلي اضعته ويرعى عهودى ثم سالف صحبتي
فما انا الا ميت بعد بعدهم وهل ترتضى الاحباب يوما منيتي
فيا اسفى ان كان يجدى تأسفى لقد ذبت وجدا من تزايد حسرتي
وضاع زمان كان فيه تواصلي فياهل ترى دهرى يجود بمنيتي
فيا قلب زد وجدا ويا عين اهملي دموعا ولا تبقى الدموع بمقلتي
ويا بعد احبابى وفقد تصبرى وقد قل انصارى وزادت بليتي
سألت اله العالمين يجودلي بعود حبيبى والوصال كعادتي

ثم ان نورالدين بكى بكاء شديدا ما عليه من مزيد ونظر الى زوايا القاعة وانشد هذين البيتين

ارى اثارهم فاذوب شوقا واجرى فى مواطنهم دموعى
واسأل من قضى بالبعد عنهم يمن على يوما بالرجوع

ثم ان نورالدين نهض من وقته وساعته وقفل باب الدار وخرج يجرى الى البحر وصار يتأمل فى موضع المركب التى سافرت بمريم ثم بكى وصعد الزفرات وانشد هذه الابيات

سلام عليكم ليس لى عنكم غنى وانى على الحالين فى القرب والبعد
احن اليكم كل وقت وساعة واشتاقكم شوق العطاش إلى الورد
وعندكم سمعى ولبى وناظرى وتذكاركم عندى الذ من الشهد
فيا اسفى لما استقلت ركابكم وحادت بكم تلك السفينة عن قصدى

ثم ان نورالدين ناح وبكى وانّ وحن واشتكي ونادى يا مريم هل كانت رؤيتى لك فى المنام ام اضغاث احلام ولما زادت به الحسرات انشد هذه الابيات

فهل بعد هذا البعد عينى تراكم واسمع من قرب الديار نداكم
وتجمعنا الدار التى انست بنا واعطى منى قلبى وانتم مناكم
خذوا لعظامى اين سرتم محفة واين حللتم فادفنونى حذاكم
فلو كان لى قلبان عشت بواحد واترك قلبا مغرما فى هواكم
ولو قيل لى ماذا على الله تشتهى لقلت رضى الرحمن ثم رضاكم

فبينما نورالدين على هذه الحالة يبكى ويقول يا مريم واذا بشيخ قد طلع من مركب واقبل عليه فراه يبكى وينشد هذين البيتين

يا مريم الحسن عودى ان لى مقلا سحائب المزن تجري من سواكبها
واستخبرى عذلى دون الانام ترى اجفان عينى غرقى فى كواكبها

فقال له الشيخ يا ولدى كانك تبكى على الجارية التى سافرت البارحة مع الافرنجي فلما سمع نورالدين كلام الشيخ خر مغشيا عليه ساعة زمانية ثم افاق وبكى بكاء شديدا ما عليه من مزيد وانشد هذه الابيات

فهل بعد هذا البعد يرجى وصالها ولذة انسى قد يعود كما لها
فان بقلبى لوعة وصبابة ويزعجنى قيل الوشاة وقالها
اقيم نهارى باهتا متحيرا وفى الليل ارجو ان يزور خيالها
فوالله لا اسلو عن العشق ساعة وكيف ونفسى فى الوشاة ملالها
منعمة الاطراف مهضومة الحشى لها مقلة فى القل منى نبالها
يحاكى قضيب البان فى الروض قدها ويخجل ضوء الشمس حسنا جمالها
ولولا اخاف الله جل جلاله لقلت لذا الحسن جل جلالها

فلما نظر ذلك الشيخ الى نورالدين ورأى جماله وقده واعتداله وفصاحة لسانه ولطف افتنانه حزن قلبه عليه ورق لحاله وكان ذلك الشيخ رئيس مركب مسافرة الى مدينة تلك الجارية وفيها مائة تاجر من تجار المسلمين المؤمنين فقال له اصبر ولا يكون الاخير فان شاء الله سبحانه وتعالي اوصلك اليها وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والثمانون بعد الثمانمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الشيخ الريس لما قال لنورالدين اوصلك اليها ان شاء الله تعالى قال له نورالدين متى السفر قال الريس قد بقى لنا ثلاثة ايام ونسافر فى خير وسلامة فلما سمع نورالدين كلام الريس فرح فرحا شديدا وشكر فضله واحسانه وبعد ذلك تذكر ايام الوصال واجتماع الشمل بجاريته عديمة المثال فبكى بكاء شديدا وانشد هذه الابيات

فهل يجمع الرحمن لى ولكم شملا　　وهل ابلغ المقصود يا سادتى ام لا
ويسمح صرف الدهر منكم بزورة　　واطبق اجفانى على ذاتكم بخلا
ولو كان وصلكم يباع اشتريته　　بروحي ولكنى ارى وصلكم اغلا

ثم ان نورالدين طلع من وقته وساعت وتوجه الى السوق واخذ منه جميع ما يحتاج اليه من الزاد وادوات السفر واقبل على ذلك الريس فلما رأه قال له يا ولدى ما هذا الذى معك قال زوادتى وما احتاج اليه فى السفر فضحك الريس من كلام وقال له يا ولدى هل انت رايح تتفرج على عمود الصوارى ان بينك وبين مقصدك مسيرة شهرين اذا طاب الريح وصفت الاوقات ثم ان ذلك الشيخ اخذ من نورالدين شيئاً من الدراهم وطلع الى السوق واشترى له جميع ما يحتاج اليه فى السفر على قدر كفايته وملأ له بتية ماء حلوا ثم اقام نورالدين فى المركب ثلاثة ايام الى ان تجهز التجار وقضوا مصالحهم ونزلوا فى المركب ثم حل الريس قلوعها وساروا مدة واحدة وخمسين يوما وبعد ذلك خرج عليهم القرصان قطاع الطريق فنهبوا المركب واسروا جميع من فيها واتوابهم الى مدينة افرنجه وعرضوهم على الملك وكان نورالدين من جملتهم فامر الملك بحبسهم وفى وقت نزولهم من عند الملك إلى الحبس وصل الغراب الذى فيه الملكة مريم الزنارية مع الوزير الاعور فلما وصل الغراب الى المدينة طلع الوزير الى الملك وبشره بوصول ابنته مريم الزنارية سالمة فدقو البشائر وزينو المدينة بأحسن زينة وركب الملك فى جميع عسكره وارباب دولته وتوجهوا الى البحر ليقابلوها فلما وصلت المركب طلعت ابنته مريم فعانقها وسلم عليها وسلمت عليه وقدم لها جوادا فركبته فلما وصلت الى القصر قابلتها

امها وعانقتها وسلمت عليها وسألتها عـن حالها وهل هى بكر مثل ما كانت عندهم سابقا او صارت امرأة ثيـبا فقالت لهـم مريم يا امى بعد ان يبـاع الانسان فى بلاد المسـلمين من تاجر الى تاجر ويصير مـحكوما عليه كيف يبقى بنتا بكرا ان الـتاجر الذى اشترانى هددنى بالضرب وغصبنى وازال بـكارتي وباعني لاخر واخر باعنى لاخر فلما سـمعت امها منها هذا الكلام صار الضيـاء فى وجهها ظلاما ثم عادت على ابيها هـذا الكلام فصعب ذلك عليه وكبر امـره لديه وعرض حالها على ارباب دولـته وبطارقته فقالوا له ايـها الملك انها تنجست من المسلمين وما يطهرها الا ضرب مـائة رقبة من المسلمين فعند ذلك امر الملك باحضار الاسارى الذين فى الحبس فاحضروهم جمـيعا بين يديه ومن جملتهم نورالدين فامر الملك بضرب رقـابهم فاول من ضربوا رقبته ريس المركب ثـم ضربوا رقاب التجار واحد بعد واحد حتى لم يـبق الا نورالدين فشرطوا ذيله وعصبوا عيـنيه وقدموه الى نطع الدم وارادوا ان يضربوا رقبته واذا بامرأة عجوز اقبلت على الملك فى تلك الساعة وقالت له يا مولاى انـت كنت نذرت لكل كنـيسة خمسة اسـارى من المسلمين ان رد اللـه بنتك مريم لاجل ان يـساعدوا فى خـدمتها والان قد وصـلت اليك بنـتك السيـدة مريم فاوف بنذرك الذى نذرته فقال لها الملك يا امى وحق المـسيح والدين الصحيح لم يبق عندى من الاسارى غير هذا الاسير الذى يريدون قتله فخذيـه معك يساعدك فى خدمة الكنيسة الى ان يأتى الينا اسارى من المسلمين فارسل اليك اربعة اخر ولو كنت سبقت قبل ان يضربوا رقاب هؤلاء الاسارى لاعطينـاك كل ما تريدينه فشكرت العجوز صـنيع الملك ودعت له بدوام العز والبقاء والنعم ثم تقدمت العجـوز من وقتها وساعتها الى نورالدين واخرجته من نطع الدم ونظرت اليـه فرأته شابا لطيفا ظريفا رقيق البشـرة ووجهه كأنه البدر اذا بدر فى ليـلة اربع عشرة فـاخذته ومضت بـه الى الكنيسـة وقالت له يا لـدى اقلع ثيابـك التى عليك فانها لا تصلح الا لخدمة السلطان ثم ان العجوز جاءت لنورالدين بجبة من صوف اسود ومئزر مـن صوف اسود وسير عريض فـالبسته تلـك الجبة وعممته بـالمئزر وشدت وسطه بالسير وامرته ان يخدم الكنيسة فخدم الكنيسة مدة سبعة ايام فبينما هو كذلك واذا بتلك العجـوز قد اقبلت عليه وقالت له يامـسلم خذ ثيابك الحرير والبسـها وخذ العشرة دراهم واخرج في هذه السـاعة اتفرج في هذا اليوم ولا تقف هنا سـاعة واحدة لئلا تروح روحك فقال لها نور الدين يامي أي شيء الخبر فـقالت له العجوز اعلم يا ولدى ان بنت

الملك السيدة مريم الزنارية تريد ان تدخل الكنيسة فى هذا الوقت لاجل ان تزورها وتتبرك بها وتقرب لها قربانا حلاوة السلامة بسبب خلاصها من بلاد المسلمين وتوفى لها النذور التى نذرتها ان نجاها المسيح ومعها اربعمائة بنت ما واحدة منهن الا كاملة فى الحسن والجمال ومن جملتهن بنت الوزير وبنات لامراء وارباب الدولة وفى هذه الساعة يحضرن وربما يقع نظرهن عليك فى هذه الكنيسة فيقطعنك بالسيوف فعند ذلك اخذ نورالدين من العجوز العشرة دراهم بعد ان لبس ثيابه وخرج الى السوق وصار يتفرج فى شوارع المدينة حتى عرف جهاتها وابوابها وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والثمانون بعد الثمانمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان نورالدين لما لبس ثيابه اخذ العشرة دراهم من العجوز ثم خرج الى السوق وغاب ساعة حتى عرف جهات المدينة ثم رجع الى الكنيسة فراى مريم الزنارية بنت ملك افرنجه قد اقبلت على الكنيسة ومعها اربعمائة بنت نهدا بكار كأنهن الاقمار ومن جملتهن بنت الوزير الاعور وبنات الامراء وارباب الدولة وهي تمشي بينهن كانها القمر بين النجوم فلما وقع نظر نورالدين عليها لم يتمالك نفسه بل صرخ من صميم قلبه وقال يا مريم فلما سمعت البنات صياح نورالدين وهو ينادى يا مريم هجمن عليه وجردن بيض الصفاح مثل الصواعق واردن قتله فى تلك الساعة فالتفتت اليه مريم وتاملته فعرفته غاية المعرفة فقالت للبنات اتركن هذا الشاب فانه مجنون بلا شك لان علامة الجنون لايحة على وجهه فلما سمع نورالدين من السيدة مريم هذا الكلام كشف رأسه وحملق عينيه واشاح بيديه وعوج رجليه واخرج الزبد من فيه وشدقيه فقالت السيدة مريم اما قلت لكن ان هذا مجنون احضرنه عندى وابعدن عنه حتى اسمع ما يقول فانى اعرف كلام العرب وانظر حاله وهل داء جنونه يقبل المداواة ام لا فعند ذلك حمله البنات وجئن به بين يديها ثم بعدن عنه فقالت له هل جئت الى هنا من اجلى وخاطرت بنفسك وعملت نفسك مجنونا فقال لها نورالدين يا سيدتى اما سمعت قول الشاعر

قالوا اجننت بمن تهوى فقلت لهم ... ما لذة العيش الا للمجانين
هاتوا جنوني وهاتوا من جننت به ... فان وفي بجنوني لا تلوموني

فقالت له مريم والله يانور الدين انك الجانى على نفسك فانى حذرتك من هذا قبل وقوعه فلم تقبل قولى وتبعت هوى نفسك وانا ما اخبرتك لا من باب الكشف ولا من باب الفراسة ولا من باب الرؤية في المنام وانما هو من باب المشاهدة والعيان لاني رأيت الوزير الاعور فعرفت انه ما دخل في هذه البلدة إلا في طلبي فقال لها نور الدين ياسيدتى مريم تعوذ بالله من زلة العاقل ثم تزايد بنور الدين الحال فانشد هذا المقال

هب لي جناية من زلت به القدم ... قد يشمل العبد من ساداته كرم
حسب المسىء بذنب من جنايته ... فرط الندامة اذ لا ينفع الندم
فعلت ما يقتضى التأديب معترفا ... فاين ما يقتضيه العفو والكرم

ولم يزل نورالدين هو والسيدة مريم الزنارية فى عتاب يطول شرحه وكل منهما يحكى لصاحبه ما جرى له ويتناشدان الاشعار ودموعهما تجرى على خدودهما شبه البحار ويشكوان لبعضهما شدة الهوى واليم الوحدة والجوى الى ان لم يبق لاحدهما قوة على الكلام وكان النهار قد ولى واقبل الظلام وقد كان على السيدة مريم حلة خضراء مزركشة بالذهب الاحمر مرصعة بالدر والجوهر فزاد حسنها وجمالها وظرف معانيها وقد اجاد من قال فيها

تبدت كبدر التم فى الحلل الخضر ... مفككة الازرار محلولة الشعر
فقلت لها ما الاسم قالت انا التى ... كويت قلوب العاشقين على الجمر
انا الفضة البيضاء والذهب الذى ... يفك به المأسور من شدة الاسر
فقلت لها ان الصدود أذابني ... فقالت اتشكولى وقلبى من صخر
فقلت لها ان كان قلبك صخرة ... فقد انبع الله الزلال من الصخر

فلما جن الليل اقبلت السيدة مريم على البنات وقالت لهن هل اغلقتن الباب فقلن لها قد اغلقناه فعند ذلك اخذت السيدة مريم البنات واتت بهن الى مكان يقال له مكان السيدة مريم العذراء ام النور لان النصارى يزعمون ان روحتها وسرها فى ذلك المكان فصار البنات يتبركن به ويطفن فى الكنيسة كلها ولما فرغن من زيارتها التفتت السيدة مريم اليهن وقالت لهن انى اريد ان ادخل وحدى فى هذه الكنيسة واتبرك بها فانه حصل

لى اشتياق اليـها بسبب طول غيبتى فـى بلاد المسلمين واما انتن فحيث فرغتن من الزيارة فنمن حيث شئتن فقلن لها حبا وكرامة وافعلي انت ما تريدينه ثم انهن تفرقن عنها فى الكنيسة ونمن فعند ذلك استغفلتهن مريم وقامت تفتش على نورالدين فرأته فى ناحية جالسا على مقالى الجمر وهو فى انتظارها فلما اقبلت عليه قام لها على قدميه وقبل يديها فجلست واجلسته فى جانبها ثم نزعت ما كان عليها من الحلى والحلل ونفيس القماش وضمت نورالدين الى صدرها وجعلته فى حضنها ولم تزل هى واياه فى بوس وعناق ونغمات خاق باق وهما يقولان ما اقصر ليل التلاق وما اطول يوم الفراق وينشدان قول الشاعر

يالـيلة الوصل وبكر الدهر لا انت غرة الليالى الغر

فجئتنى بالصبح وقت العصر هل كنت كحلا فى عيون الفجر

اوكنت نوما فى عيون رمد

ياليلة الهجر وما اطولها آخرها مواصل اولها

كحلقة مفرغة ما ان لها من طرف والحشر ايضا قبلها

فالصب بعد البعث ميت الصد

فبينما هما فى هذه اللذة العظيمة والفرحة العميمة واذا بغلام من الغلمان النفيسة يضرب الناقوس فوق سطح الكنيسة ليقيم من عبادته الشعائر وهو كما قال الشاعر

رأيته يضرب الناقوس قلت له من علم الظبى ضربا بالنواقيس

وقلت للنفس اى الضرب يؤلمك ضرب النواقيسى ام ضرب

وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والثمانون بعد الثمانمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان مريم الزنارية مازالت هى ونورالدين فى لذة وطرب الى ان طلع الغلام النواقيسي فوق سطح الكنيسة وضرب الناقوس فقامت من وقتها وساعتها ولبست ثيابها وحليها فشق ذلك على نورالدين وتكدر وقته فبكى وسكب العبرات وانشد هذه الابيات

لازلت الشم ورد خد غض — واعض ذاك مبالغا فى العض
حتى اذا طبنا ونام رقيبنا — وعيونه مالت لنحو الغمض
ضربت نواقيس تشبه اهلها — بمؤذن يدعو صلاة الفرض
قامت على عجل للبس ثيابها — من خوف نجم رقيبنا المنقض
وتقول يا سؤلى وياكل المنى — جاء الصباح بوجهه المبيض
اقسمت لواعطيت يوم ولاية — وبقيت سلطانا شديد القبض
لهدمت اركان الكنايس كلها — وقتلت كل مقسس فى الارض

ثم ان السيدة مريم ضمت نورالدين الى صدرها وقبلت خده وقالت له يا نورالدين كم يوم لك فى هذه المدينة فقال سبعة ايام فقالت له هل سرت فى هذه المدينة وعرفت طرقها ومخارزها وابوابها التى من ناحية البر والبحر قال نعم قالت وهل تعرف طريق صندوق النذر الذى فى الكنيسة قال نعم قالت له حيث كنت تعرف ذلك كله اذا كانت الليلة القابلة ومضي ثلث الليل الاول فاذهب فى تلك الساعة الى صندوق النذر وخذ منه ما تريد وتشتهى وافتح باب الكنيسة الذى فيه الخوخة التى توصل الى البحر فانك تجد سفينة صغيرة فيها عشرة رجال بحرية فمتى رأك الريس بمديده اليك فناوله يدك فانه يطلعك فى السفينة فاقعد عنده حتى اجىء اليك والحذر ثم الحذر من اين يلحقك النوم فى تلك الليلة فتندم حيث لا ينفعك الندم ثم ان السيدة مريم ودعت نورالدين وخرجت من عنده فى تلك الساعة ونبهت جواريها وسائر البنات من نومهن واخذتهن واتت الى باب الكنيسة ودقته ففتحت العجوز الباب فلما طلعت منه رأت الخدام والبطارقة وقوفا فقدموا لها بغلة فركبتها وارخوا عليها ناموسية من الحرير واخذ البطارقة بزمام البغلة ووراءها البنات واحتاط بها الجاووشية وبايديهم السيوف مسلولة وساروا بها الى ان وصلوا بها الى قصر ابيها هذا ما كان من امر مريم الزنارية واما ما كان من امر نورالدين المصرى فانه لم يزل مختفيا وراء الستارة التى كان مستترا خلفها هو ومريم الى ان طلع النهار وانفتح باب الكنيسة وكثرت الناس فيها فاختلط بالناس وجاء الى تلك العجوز قيمة الكنيسة فقالت له اين كنت راقدا فى هذه الليلة قال فى محل داخل المدينة كما امرتنى فقالت له العجوز انك فعلت الصواب يا ولدى ولو كنت بت الليلة فى الكنيسة

كانت قتلتك اقبح قتلة فقال لها نورالدين الحمد لله الذى نجانى من شر هذه الليلة ولم يزل نورالدين يقضى شغله فى الكنيسة الى ان مضى النهار واقبل الليل بدياجى الاعتكار فقام نورالدين وفتح صندوق النذر واخذ منه ما خف حمله وغلا ثمنه من الجواهر ثم صبر الى ان مضى ثلث الليل الاول وقام ومشى الى باب الخوخة التى توصل الى البحر وهو يطلب الستر من الله ولم يزل يمشى الى ان وصل الى الباب وفتحه وخرج من تلك الخوخة وراح الى البحر فوجد السفينة راسية على شاطىء البحر بجوار الباب ووجد الريس شيخا كبيرا ظريفا لحيته طويلة وهو واقف فى وسطها على رجليه والعشرة رجال واقفون قدامه فناوله نورالدين يده كما امرته مريم فاخذه من يده وجذبه من البحر فصار فى وسط السفينة فعند ذلك صاح الشيخ الريس على البحرية وقال لهم اقلعوا مرساة السفينة من البر وعوموا بنا قبل ان يطلع النهار فقال واحد من العشرة البحرية يا سيدى الريس كيف نعوم والملك اخبرنا انه فى غد يركب السفينة فى هذا البحر ليطلع على ما فيه لانه خائف على ابنته مريم من سراق المسلمين فصاح عليهم الريس وقال ويلكم يا ملاعين هل بلغ من امركم انكم تخالفوننى وتردون كلامى ثم ان ذلك الشيخ الريس سل سيفه من غمده وضرب به ذلك المتكلم على عنقه فخرج السيف يلمع من رقبته فقال له واحد واى شىء عمل صاحبنا من الذنوب حتى تضرب رقبته فمديده الى السيف وضرب به عنق هذا المتكلم ولم يزل ذلك الريس يضرب اعناق البحرية واحدا بعد واحد حتى قتل العشرة ورماهم على شاطىء البحر ثم التفت الى نورالدين وصاح عليه صيحة عظيمة ارعبته وقاله له انزل اقلع الوتد فخاف نورالدين من ضرب السيف ونهض قائما ووثب فى البر وقلع الوتد ثم طلع فى السفينة اسرع من البرق الخاطف وصار الريس يقول له افعل كذا وكذا ودور كذا وكذا وانظر فى النجوم ونورالدين يفعل جميع ما يأمره به الريس وقلبه خائف مرعوب ثم رفع اشراع المركب وسارت بهما فى البحر العجاج المتلاطم بالامواج وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والثمانون بعد الثمانمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الشيخ الريس لما رفع شراع المركب توجه بالمركب هو ونورالدين فى البحر العجاج وقد طاب لهما الريح كل ذلك ونورالدين ماسك بيد الراجع وهو غريق فى بحر الافكار ولم يزل مستغرقا فى الفكر ولم يعلم بما هو مخبوءله فى الغيب وكلما نظر الى الريس ارتعب قلبه ولم يعلم بالجهة التى يتوجه اليها الريس بل صار مشغولا فى فكر ووسواس الى ان تضحى النهار فعند ذلك نظر نورالدين الى

الريس فرأه قد اخذ لحيته الطويلة بيده وجذبها فطلعت من موضعها فى يده وتأملها نورالدين فوجدها لحية كانت ملصقة زورا ثم تأمل نورالدين فى ذات الريس ودقق نظره فيها فرأها السيدة مريم معشوقته ومحبوبة قلبه وكانت قد تحيلت بتلك الحيلة حتي قتلت الريس وسلخت وجهه بلحيته واخذت جلده وركبته على وجهها فتعجب نورالدين من فعلها وشجاعتها ومن قوة قلبها وقد طار عقله من الفرح واتسع صدره وانشرح وقال لها مرحبا يا منيتى وسؤلى وغاية مطلبى ثم ان نورالدين هزه الشوق والطرب وايقن ببلوغ الامل والارب فردد صوته باطيب النغمات وانشد هذه الابيات

قل لقوم هم لعشقى جهلوا فى حبيب ما اليه وصلوا
عن غرامي بين قومى فاسئلوا قد حلا نظمى ورق الغزل
فى هوى قوم بقلبى نزلوا

ذكرهم عندى يزيل السقما عن فؤادى ويزيح الالما
زاد شوقى وهيامى عندما اصبح القلب كئيبا مغرما
وبه فى الناس سار المثل

انا لا اقبل فيهم لومة لا ولا اقصد عنهم سلوة
لكن الحب رمانى حسرة اشعلت منه بقلبى جمرة
حرها فى كبدى يشتعل

من عجيب قد اباحوا سقمى مع سهادى طول ليل مظلم
كيف راموا بالتجافى عدمى واستحلوا فى الهوى سفك دمى
وهم فى جورهم قد عدلوا

يا ترى من ذا الذى اوصاكم بالتجافى عن فتى يهواكم
ولعمرى والذى انشاكم ان تنقل العذال قولا عنكم
كذبوا والله فيما نقلوا

لا ازاح الله عنى عللا لا ولا شافى لقلبى غللا
يوم اشكو من هواكم مللا انا لا ارضى سواكم بدلا
عذبوا قلبى وان شئتم صلوا

لى فـؤادى لم يـحل عن حـبكـــم   لوتـعانـــــا حسـرة من صـدكم
سـخط هـذا والرضـى من عـندكـم   ما تـشـــاؤا فافـعلوا فى عـبدكـم

هو بالروح لكم لا يبخل

فلما فـرغ نورالدين من شعره تعـجبت منه السيـدة مريم غاية العجب وشكـرته على قوله وقـالت له من هذه حـالته ينـبغي ان يسلـك مسالك الرجـال ولا يفعل فـعل الانذال والارذال وقد كانت السيدة مريم قوية القلب تعرف باحوال سير المراكب فى البحر المالح وتعرف الاهواء كـلها واختلافها وتـعرف جميع طرق البحـر فقال لها نورالديـن والله يا سيدتـي لو اطلت على هـذا الامر لمت من شدة الخوف والـفزع خصوصا مع نـار الوجد والاشتـياق والـيم عـذاب الفـراق فضحـكت مـن كلامـه وقامت مـن وقتـها وسـاعتـها واخرجت شيـئاً من الماكول والمشروب فأكـلا وشربا وتلذذا وطربا و بعـد ذلك اخرجت من اليواقيت والجواهر واصناف المعادن والذخائـر الغالية وانواع الذهب والفضة ما خف حمله وغلاثمنه من الذى جاءت به واخرجته من قصر ابيها وخزائنه وعرضت ذلك على نورالدين ففرح به غاية الفرح كل ذلك والريـح معتدل والمركب سائرة ولم يزالا سائرين حتى اشرفـوا على مدينة الاسكـندرية وشاهدا اعلامـها القديمة والجديدة وشـاهدا عمود الصوارى فلما وصلا الى الميـنة طلع نورالدين من وقته وساعته من تلك الـسفينة وربطها فى حجر من احجار القـصارين واخذ معه شيئاً من الذخائر التى جـاءت بها الجارية معها وقال للـسيدة مريم اقعـدى يا سيدتى فـى السفينة حـتى اطلع بك الـى اسكندرية مـثل ما احب واشتهى فقالت له ولكن ينبغى ان يكون ذلك بسرعة لان التراخى فى الامور يورث الندامـة فقال لهـا ما عندى تـراخ فقعدت مـريم فى السفـينة وتوجـه نورالدين الـى بيت العطار صاحب ابيه ليستعير لها من زوجته نقابا وحبرة وخفا وازارا كعادة نساء اسكندرية ولم يعلم بما لم يكـن له فى حساب من تصرفات الدهرابى العجـب العجاب هذا ما كان من امر نـورالدين ومريم الـزنارية واما مـا كان من امر ابيـها ملك افـرنجه فانه لمـا اصبح الصباح تفقد ابنته مريم فلم يجدها فسأل عنها من جواريها وخدمتها فقالوا له يامولانا انها

خرجت بالليل وراحت الى الكنيسة وبعد ذلك لم نعرف لها خبرا فبينما الملك يتحدث مع الجوارى والخدم فى تلك الساعة واذا بصرختين عظيمتين تحت القصر دوى لهما المكان فقال الملك ما الخبر فقالوا له ايها الملك انه وجد عشرة رجال مقتولون على ساحل البحر وسفينة الملك قد فقدت ورايـنا باب الخوخة الذى فى الكنيسة من جهة البحر مفتوحا والاسير الذى كان فى الكنيسة يخدمها قد فقد فقال الملك ان كانت سفينتى التى فى البحر فقدت فبنتى مريم فيها بلاشك ولاريب وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والثمانون بعد الثمانمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان ملك افرنجه لما فقدت ابنته مريم جاؤاله بالخبر وقالوا له ان سفينتك قد فقدت فقال ان كانت سفينتى فقدت فابنتى مريم فيها بلا شك ولا ريب ثم ان الملك دعا من وقته وساعته بريس المينة وقال له وحق المسيح والدين الصحيح ان لم تلحق سفينتي فى هذه الساعة بعسكر وتأتينى بها وبمن فيها لا قتلنك اشنع قتلة وامثل بك ثم صرخ عليه الملك فخرج من بين يديه وهو يرتعد وطلب العجوز من الكنيسة وقال لها ما كنت تسمعين من الاسير الذى كان عندك فى شأن بلاده ومن اى البلاد هو فقالت له كان يقول انا من مدينة الاسكندرية فلما سمع الريس كلام العجوز رجع من وقته وساعته الى المينة وصاح على البحرية وقال لهم تجهزوا وحلوا القلوع ففعلوا ما امرهم به وسافروا ولم يزالوا مسافرين ليلا ونهارا حتى اشرفوا على مدينة الاسكندرية فى الساعة التى طلع فيها نورالدين من السفينة وترك فيها السيدة مريم وكان من جملة الافرنج الوزير الاعور الاعرج الذى كان اشتراها من نورالدين فرأوا السفينة مربوطة فعرفوها فربطوا مركبهم بعيدا عنها واتوا اليها فى مركب صغيرة من مراكبهم تعوم على ذراعين من الماء وفى تلك المركب مائة مقاتل ومن جملتهم الوزير الاعور الاعرج لانه كان جبارا عنيدا وشيطانا مريدا ولصا محتالا لا يقدر احد على احتياله يشبه ابا محمد البطال ولم يزالوا سائرين الى ان وصلوا الى تلك السفينة فهجموا عليها وحملوا حملة واحدة فلم

يجدوا فيها احدا الا السيدة مريم فاخذوها هى والسفينة التى هى فيها بعد ان طلعوا على الشاطىء واقاموا زمنا طويلا ثم عادوا من وقتهم وساعتهم الى مراكبهم وقد فازوا ببغيتهم من غير قتال ولا شهر سلاح ورجعوا قاصدين بلاد الروم وسافروا وقد طاب لهم الريح ولم يزالوا مسافرين على حماية الى ان وصلوا الى مدينة افرنجة وطلعوا بالسيدة مريم الى ابيها وهو فى تخت مملكته فلما نظر اليها ابوها قال لها ويلك يا خائنة كيف تركت دين الاباء والاجداد وحصن المسيح الذى عليه الاعتماد واتبعت دين الاسلام الذى قام بالسيف على رغم الصليب والاصنام فقالت له مريم انا مالى ذنب لانى خرجت فى الليل الى الكنيسة لازور السيدة مريم واتبرك بها فبينما انا فى غفلة واذا بسراق المسلمين قد هجموا على وسدوا فمي وشدوا وثاقي وحطونى فى السفينة وسافروا بى الى بلادهم فخادعتهم وتكلمت معهم فى دينهم الى ان فكوا وثاقى وما صدقت ان رجالك ادركونى وخلصونى وانا وحق المسيح والدين الصحيح وحق الصليب ومن صلب عليه قد فرحت بفكاكى من ايديهم غاية الفرح واتسع صدرى وانشرح حيث خلصت من اسر المسلمين فقال لها ابوها كذبت يا فاجرة ياعاهرة وحق ما فى محكم الانجيل من منزل التحريم والتحليل لابد لى من ان اقتلك اقبح قتلة وامثل بك اشنع مثلة اما كفاك الذى فعلته فى الاول ودخل علينا محالك حتى رجعت الينا ببهتانك ثم ان الملك امر بقتلها وصلبها على باب القصر فدخل عليه الوزير الاعور فى تلك الساعة وكان مغرما بحبها قديما وقال له ايها الملك لا تقتلها وزوجنى بها وانا احرص عليها غاية الحرص وما ادخل عليها حتى ابنى لها قصرا من الحجر الجلمود واعلى بنيانه حتي لا يستطيع احد من السارقين الصعود على سطحه واذا فرغت من بنيانه ذبحت على بابه ثلاثين من المسلمين واجعلهم قربنا للمسيح عنى وعنها فانعم عليه الملك بزواجها واذن للقسيسين والرهبان والبطارقة ان يزوجوها له فزوجوها للوزير الاعور واذن ان يشرعوا لها فى بنيان قصر مشيد يليق بها فشرعت العمال فى العمل هذا ما كان من امر الملكة مريم وابيها والوزير الاعور واما ما كان من امر نورالدين والشيخ العطار فان نورالدين لما توجه الى العطار صاحب ابيه استعار من زوجته ازارا ونقابا وخفا وثيابا كثياب نساء الاسكندرية ورجع بها الى البحر وقصد السفينة التى فيها السيدة مريم فوجدا الجو قفرا والمزار بعيدا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والثمانون بعد الثمانمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان نورالدين لما وجد الجوقفرا والمزار بعيدا صار قلبه حزينا فبكى بدمع متواتر وانشد قول الشاعر

سرى طيف سعدى طارقا فاستفزني سحيرا وصحبى فى الفلاء رقود
فلما انتبهنا للخيال الذى سرى ارى الجو قفرا والمزار بعيد

فمشى نورالدين على شاطىء البحر يتلفت يمينا وشمالا فرأي ناسا مجتمعين على الشاطىء وهم يقولون يا مسلمين ما بقى لمدينة الاسكندرية حرمة حتى صار الافرنج يدخلونها ويخطفون من فيها ويعودون الى بلادهم على هينة ولا يخرج وراءهم احد من المسلمين ولا من العساكر المغازين فقال لهم نورالدين ما الخبر فقالوا له يا ولدى ان مركبا من مراكب الافرنج فيها عساكر هجموا فى تلك الساعة على تلك المينة واخذوا سفينة كانت راسية هنا بمن فيها وراحوا على حماية الى بلادهم فلما سمع نورالدين كلامهم وقع مغشيا عليه فلما افاق سألوه عن قضيته فاخبرهم بخبره من الاول الى الاخر فلما فهموا اخبره صار كل منهم يشتمه ويسبه ويقول له لاى شىء ما تخرجها الا بازارا ونقاب وصار كل واحد من الناس يقول له كلاما مؤلما ومنهم من يقول خلوه فى حاله يكفيه ماجرى له وصار كل أحد يوجعه بالكلام ويرميه بسهام الملام حتى وقع مغشيا عليه فبينما الناس مع نور الدين على تلك الحالة واذا بالشيخ العطار مقبلا فرأى الناس مجتمعين فتوجه اليهم ليعرف الخبر فرأى نور الدين راقدا بينهم وهو مغشى عليه فقعد عند رأسه ونبهه فلما أفاق قال له ياولدى ماهذا الحال الذى أنت فيه فقال له ياعم ان الجارية التى كانت راحت منى قد جئت بها من مدينة أبيها فى مركب وقاسيت ما قاسيت فى المجيىء بها فلما وصلت بها الى هذه المدينة ربطت السفينة فى البر وتركت الجارية فيها وذهبت الى منزلك وأخذت من زوجتك مصالح للجارية لاطلعها بها فى المدينة فجاء الافرنج وأخذوا السفينة والجارية فيها وراحوا على حماية حتى وصلوا الى مراكبهم فلما سمع الشيخ العطار من نور الدين هذا الكلام صار الضياء فى وجهه ظلاما وتأسف على نور الدين تأسفا عظيما وقال له ياولدى لأى شىء ما أخرجتها من السفينة الى المدينة من غير أزار ولكن فى هذا الوقت ماينفع الكلام قم ياولدى واطلع معى الى

المدينة لعل الله يرزقك بجارية أحسن منها فتتسلى بها عنها والحمد لله الذى ماخسرك فيها شيئا بل حصل لك الربح فيها واعلم ياولدى ان الاتصال والانفصال بيد الملك المتعال فقال له نور الدين والله ياعم انى ما أقدر أن اسلاها ابدا ولا أترك طلبها ولو سقيت من أجلها كاس الردى فقال له العطار ياولدى وأى شيء فى ضميرك تريد أن تفعله فقال له نويت أن أرجع الى بلاد الروم وادخل مدينة افرنجه وأخاطر بنفسى فاما عليها واما بها فقال له ياولدى ان فى الأمثال السائرة ماكل مرة تسلم الجرة وان كانوا ما فعلوا بك فى المرة الأولى شيئا ربما يقتلونك فى هذه المرة لاسيما وقد عرفوك حق المعرفة فقال نور الدين ياعم دعنى أسافر واقتل فى هواها سريعا ولا أقتل بتركها صبرا وتحيرا وكان بمصادفة القدر مركب راسية فى المينة مجهزة للسفر وركابها قد فضت جميع أشغالها وفى تلك الساعة قلعوا أوتادها فنزل فيها نور الدين وسافرت تلك المركب مدة أيام وقد طاب لركابها الوقت والريح فبينما هم سائرون واذا بمراكب من مراكب الافرنج دائرة فى البحر العجاج لايرون مركبا الا ويأسرونها خوفا على بنت الملك من سراق المسلمين واذا أخذوا مركبا يوصلون جميع من فيها الى ملك افرنجه فيذبحهم ويوفى بهم نذره الذى كان نذره من أجل ابنته مريم فرأوا المركب التى فيها نور الدين فأسروها وأخذوا كل من كان فيها وأتوا بهم الى الملك ابى مريم فلما أوقفوهم بين يديه وجدهم مائة رجل من المسلمين فأمر بذبحهم فى الوقت والساعة ومن جملتهم نور الدين فذبحوهم كلهم ولم يبق منهم غير نور الدين وكأن الجلاد قد أخره شفقة عليه لصغر سنه ورشاقة قده فلما رآه الملك عرفه حق المعرفة فقال له أما أنت نور الدين الذى كنت عندنا فى المرة الأولى وقبل هذه المرة فقال له ماكنت عندكم وليس اسمى نور الدين وانما اسمى ابراهيم فقال له الملك تكذب بل أنت نور الدين الذى وهبتك للعجوز القيمة على الكنيسة لتساعدها فى خدمة الكنيسة فقال له نور الدين يامولاى انا اسمى ابراهيم فقال له الملك ان العجوز قيمة الكنيسة اذا حضرت ونظرتك تعرف هل أنت نور الدين أوغيره فبينما هم فى الكلام واذا بالوزير الأعور الذى تزوج بنت الملك قد دخل فى تلك الساعة وقبل الأرض بين أيادى الملك وقال له أيها الملك أعلن أن القصر قد فرغ بنيانه وانت تعرف انى نذرت للمسيح اذا فرغت من بنائه ان اذبح على بابه ثلاثين من المسلمين وقد أتيتك لأخذ من عندك ثلاثين مسلما فأذبحهم واوفى بهم نذر المسيح ويكونون فى ذمتى على

سبيل القرض ومتى جاءنى اسارى اعطيك بدلهم فقال الملك وحق المسيح والدين الصحيح مابقى عندى غير هذا الأسير وأشار الى نور الدين وقال له خذه واذبحه فى هذه الساعة حتى ارسل اليك البقية اذا جاءنى أسارى من المسلمين فعند ذلك قام الوزير الأعور وأخذ نور الدين ومضى به الى القصر ليذبحه على عتبة بابه فقال له الدهانون يامولانا قد بقى علينا من الدهان شغل يومين فاصبر علينا وأخر ذبح هذا الأسير حتى تفرغ من الدهان عسى أن يأتى اليك بقيمة الثلاثين فتذبح الجميع دفعة واحدة وتوفى بنذرك فى يوم واحد فعند ذلك أمر الوزير بحبس نور الدين وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة السادسة والثمانون بعد الثمانمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان الوزير لما أمر بحبس نور الدين أخذوه مقيدا جائعا عطشانا يتحسر على نفسه وقد نظر الموت بعينه وكان بالأمر المقدر والقضاء المبرم للملك حصانان اخوان شقيقان أحدهما اسمه سابق والآخر اسمه لاحق وكانت بحسرة تحصيل واحد منهما الملوك الأكاسرة وكان أحدهما أشهب نقيا والآخر أدهم كالليل الحالك وكان ملوك الجزائر جميعا يقولون كل من سرقة لنا حصانا من هذين الحصانين نعطيه جميع مايطلبه من الذهب الأحمر والدر والجوهر فلم يقدر واحد على سرفة واحد من هذين الحصانين فحصل لأحدهما مرض فى عينيه فاحضر الملك جميع البياطرة لدوائة فعجزوا عنه كلهم فدخل على الملك الوزير الأعور الذي تزوج بنته فرأه مهموما من قبل ذلك الحصان فأراد ان يزيل همه فقال أيها الملك اعطنى هذا الحصان وانا أداويه فأعطاه له فنقله فى الاصطبل الذى محبوس فيه نور الدين فلما فارق هذا الحصان أخاه صاح صيحة عظيمة وصهل حتى أزعج الناس من الصياح فعرف الوزير انه ماحصل منه هذا الصياح الا لفراقه من أخيه فراح وأعلم الملك بذلك فلما تحقق الملك كلامه قال اذا كان ذلك حيوانا ولم يصبر على فراق أخيه فكيف بذوى العقول ثم أمر الغلمان ان ينقلوا الحصان عند أخيه بدار الوزير زوج مريم وقال لهم قولوا للوزير ان الملك يقول لك ان الحصانين انعام منه عليك لأجل خاطر ابنته مريم فبينما نور الدين نائم فى الاصطبل وهو مقيد مكبل اذا نظر الحصانين فوجد على عينى أحدهما غشاوة وكان عنده بعض معرفة بأحوال

الخيل وممارسة دوائها فـقال فى نفسه هذا والله وقت فرصتى فـأقوم وأكذب على الوزير وأقول له انا اداوى هـذا الحصان وأعمل له شـيئا يتلف عـينيه فيقـتلنى واستريـح من هذه الحياة الذميمة ثم ان نـور الدين انتظر الوزير الى أن دخل الاصطبل ينـظر الحصانين فلما دخل قال له نور الديـن يامولاى أى شىء يكون لى عليك اذا انـا داويت لك هذا الحصان وأعمل لـه شيئا يطـيب عينيـه فقال له الوزيـر وحياة راسي ان داويتـه اعتقتك مـن الذبح وأخليـك تتمنى عـلي فقال له يـامولاى اامر بفـك يدي فأمر الوزيـر باطلاقه فنـهض نور الديـن وأخذ زجاجا بـكرا وسحـقه وأخذ جيـرا بلا طفى وخـلطه بمـاء البصل ثـم وضع الجميع فى عينى الحصـان وربطهما وقال فى نفسه الآن تغور عيناه فيـقتلونى واستريح من هذه العيشة الذميمة ثم أن نور الدين نام تلك الليلة بقلب خال من وسواس الهم وتضرع الى الله تعالى

وقال يارب فى علمك مايغنى عن السؤال فلـما أصبح الصباح وأشرقت الشمس على الروابى والبـطاح جاء الوزير الى الاصطـبل وفك الرباط عن عـينى الحصان ونظر الـيهما فرأهما أحسن عـيون ملاح بقدرة الملك الفتاح فـقال له الوزير يامسلم ما رأيـت فى الدنيا مثلك فى حسن معرفتك وحق المسيح والدين الصحيح انك اعجبتنى غاية الاعجاب فانه عجز عن دواء هذا الحصان كل بيطار فى بلادنا ثم تقدم الى نور الدين وحل قيده بيده ثم ألبسه حـلة سنية وجعـله ناظرا على خيـله ورتب له مرتبـات وجرايات واسكنه فـى طبقة على الاصـطبل وكان فى الـقصر الجديـد الذى بناه للـسيدة مريم شبـاك مطل علـى بيت الوزير وعلى الطـبقة التى فيها نور الديـن فقعد نور الدين مدة أيام يأكـل ويشرب ويتلذذ ويطرب ويأمر وينهى على خدمة الخيل وكل من غاب منهم ولم يعلق على الخيل المربوطة على الطوالة التى فيـها خدمته يرميه ويضربه ضربا شديدا ويضع فـى رجليه القيد الحديد وفرح الوزيـر بنور الديـن غاية الفرح واتـسع صدره وانشرح ولـم يدر مايؤول أمـره اليه وكان نور الديـن كل يوم ينزل الى الحـصانين ويمسحهـما بيده لما يعـلم من معزتهـما عند الوزير ومحبتـه لهما وكان للوزير الأعور بـنت بكر فى غاية الجمال كـأنها غزال شارد أو غصن مائد فاتفق انها كانت جالسة ذات يـوم من الأيام فى الشباك المطل على بيت الوزير وعلى المكان الذى فيه نـور الدين اذا سمعت نور الدين يغنى ويسلى نـفسه على المشقات بانشاد هذه الأبيات

يا عاذلا أصبح فى ذاتـه … منعما يزهو بلذاتـه
لو عضك الدهر بافائسه … لقلت من ذوق مراراتـه
آه من العشـق وحالاتـه … احرق قلبى بحراراتـه
لكن سلمت اليوم من غدره … ومن تناهيـه ومن جوره
فلا تلم من حار فى أمـره … وقال من فرط صباباتـه
آه من العشـق وحالاتـه … أحرق قلبى بحراراتـه
كن عاذر العشاق فى حالهم … ولم تكن عونا على عذلهم
ايك ان تشتد فى حبلهم … مجرعا من مر لوعاتـه
آه من العشـق وحالاتـه … احرق قلبى بحراراتـه
قد كنت من قبلك بين العباد … كمثل من بات خلى الفؤاد
لم أعرف العشق وطعم السهاد … حتى دعانى لمقاماتـه
آه من العشـق وحالاتـه … أحرق قلبى بحراراتـه
لم يدر ما العشـق وما ذلـه … الا الذى اسقمه طولـه
وضاع منه فى الهوى عقلـه … وشربه من مرّ جرعاتـه
آه من العشق وحالاتـه … أحرق قلبى بحراراتـه
كم عين صب فى الدجى أسهرا … واحرم الجفن لذيذ الكـرى
وكـم اسال دمعـه أنهـرا … تجرى على الخد بلوعاتـه
آه من العشـق وحالاتـه … احرق قلبى بحراراتـه
كم فى الورى من مغرم مستهام … اسهران من وجد بعيد المنام
البسه ثوب الضنى والسقـام … من قد نفى عنه مناماتـه
آه من العشـق وحالاتـه … أحرق قلبى بحراراتـه
كم قل صبرى وبرى اعظمـى … وسال دمعى منه كالعنـدم

مهفهف أمرّ من مطعمـــــــي ما كان حلوا فى مذاقاتــــه
آه من العشـــق وحالاتــــه أحرق قلبى بحراراتـــــه
مسكين من فى الناس مثلى عشق وبات فى جنح الليالى ارق
ان عام فى بحر التجافى غرق يشكو من العشق وزفراتـه
آه من العشق وحالاتـــه احرق قلبى بحراراتـــه
من ذا الذى بالعشق لم يبتـل ومن نجا من كيده الأسهل
ومن يعش منه يعيش الخلـى وأين من فاز براحاتـــه
آه من العشـــق وحالاتـــه احرق قلبى بحراراتـــه
يارب دبر مـــن به قد بلـى وأكفله نعم أنت من كافـل
وارزقـــه منك بالثبات الجلى والطـــف به فى كل آفاتــه
آه من العشـــق وحالاتـــه أحرق قلبـــى بحراراتــه

فلم استتم نور الدين اقصى كلامه وفرغ من شعره ونظامه قالت فى نفسها بنت الوزير وحق المسيح والدين الصحيح ان هذا المسلم شاب مليح ولكنه لاشك عاشق مفارق فياترى هل معشوق هذا الشاب مليح مثله وهل عنده مثل ماعنده ام لا فان كان معشوقه مليحا مثله يحق له أسالة العبرات وشكوى الصبابات وان كان غير مليح فقد ضيع عمره فى الحسرات وحرم طعم اللذات وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والثمانون بعد الثمانمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان بنت الوزير قالت فى نفسها فان كان معشوقه مليحا يحق له اسالة العبرات وان كان غير مليح فقد ضيع عمره فى الحسرات وكانت مريم الزنارية زوجة الوزير قد نقلت الى القصر أمس ذلك اليوم وعلمت منها بنت الوزير ضيق الصدر فعزمت ان تذهب اليها وتحدثها بخبر هذا الغلام وما سمعت منه من النظام فما استتمت الفكر فى هذا الكلام حتى أرسلت خلفها السيدة مريم زوجة أبيها لأجل ان

تؤانسـها بالحديث فذهـبت اليها فرأت صـدرها ضيقا ودموعـها جارية على خـدها وهى تبكى بكاء شديدا ماعليه من مزيد تكفكف العبرات وتنشد هذه الأبيات

مـضى عـمرى وعـمر الـوجد بـاق　　وصدرى ضـاق من فـرط اشتـياقـى
وقلـبـى ذاب مـن ألـم الفـراق　　يؤمل عـود أيـام التـلاق
لينتظم الوصال على اتساق

أقلوا الـلوم عن مسـلوب قـلـب　　نـحيـل الجسم من شـوق وكـرب
ولا ترموا هـواه بسـهـم عتـب　　فـما فى الكـون اشقى مـن محب
قمر العشق حلو فى المذاق

فقالت بـنت الوزير للسيـدة مريـم مالك ايتها المـلكة ضيقة الصـدر مشتتة الفكـر فلما سمعت السيدة مريـم كلام بنت الوزير تذكرت مافات من عظيم اللذات وانشدت هذين البيتين

سأصبر توطـينا على هجر صاحبـى　　وارسـل در الدمع نثرا على نـثـر
عسى فرج يـأتى به الله أنـه　　طوى كل يـسر تحت جانحة الـعسر

فقالت لها بـنت الوزير ايتها الملكة لاتـضيقى صدرا وقومى معى فى هـذه الساعة الى شباك القـصر فان عندنا فـى الاصطبل شابا مـليحا رشيق الـقوام حلو الكلام كـأنه عاشق مفارق فقالت لها السيدة مريم بأى علامة عرفـت انه عاشق مفارق فقالت لها بنت الوزير ايتهـا الملكة عـرفت ذلك بانـشاده القصـايد والأشعار انـاء الليل وأطـراف النهار فـقالت السيدة مريم فى نفسها ان كان قول بنت الوزير بـيقين فهذه صفات الكئيب المسكين على نور الدين فياهل ترى هو ذلك الشاب الذى ذكرته بنت الوزير ثم ان السيدة مريم زاد بها العشق والـهيام والوجد والغرام فـقامت من وقتها وساعـتها ومشت مع بنـت الوزير الى الشبـاك ونظرت منـه فرأته محبـوبها وسيدهـا نور الدين ودقـقت النظر فـيه فعرفـته حق المعرفة ولكنه سقيـم من كثرة عشقه لها ومحبته اياها ومن نـار الوجد والـم الفراق والوله والاشتياق قد زاد به النحول فصار ينشد ويقول

الـقلـب مملـوك وعـينـى جـاريـه　　لـيس لـها سـحـابة مـجاريـه
بـين بـكـائـى وسـهـادى والجـوى　　والـنـوح والحـزن عـلـى احـبـابـيـه

واحـرقـتـى واحـسرتـى والـوعـتـى تكـاملـت اعدادها ثـمانيـــــــة
وتـابعـتهـا خمـسة فـى خمـســــة الا قـفوا واسـتمعوا مقاليــــــه
ذكـر وفكــــر وزفـيـر وضنـــــى وفرط شـوق واشـتـغال بـاليـــــه
فـى محـنة وغـربة وصـــــــبوة ولهـفة وفرحـة ترانيـــــــــــه
قل اصـطبـارى واحـتمالـى للـجوى لما نأى صبرى دنـى مـحاليـــــه
قـد زاد فى قـلبـى تـباريـح الجـوى يـاسائـلا عـن نار قـلبـى مـاهيـــه
مـابال دمـعـى موقـدا فى مـهـجتـى فنـار قـلبـى لاتزال حـاميـــــــه
أصبـحت فـى طوفـان دمعـى غارقـا ومـن لظـى هذا الـهوى فـى هاويـه

فلما رأت السيدة مريم سيدها نور الدين وسمعت بليغ شعره وبديع نثره تحققت انه هو ولكنها كتمت أمرها عن بنت الوزير وقالت لها وحق المسيح والدين الصحيح ماكنت احسب ان عندك خبرا بضيق صدرى ثم نهضت من وقتها وساعتها وقامت من الشباك ورجعت الى مكانها ومضت بنت الوزير الى شغلها ثم صبرت السيدة مريم ساعة زمانية ورجعت الى الشباك وجلست فيه وصارت تنظر الى سيدها نور الدين وتتأمل فى لطفه ورقة معانيه فرأته كالبدر اذا بدر فى ليلة أربع عشرة لكنه دائم الحسرات جارى العبرات لأنه تذكر مافات فانشد هذه الأبيات

املـت وصـــل احبـتـى مـانلتـــه ابـدا ومـر الـعـيـش قـد واصلـته
دمعـى يحـاكي البـحر فى جـريانـه واذا رأيـت عـواذلـى كـفـكـفـتـه
آه علـى داع دعا بفـراقنــــــــا لـو نلـت منه لـسانه لـقطعتــه
لا عـتب لـلأيام فـى أفعالـهـــا مـزجـت بـصـرف المرمـا جـرعـتـه
فـلمـن اسير الـى سـواكـم قاصـدا والـقلـب فـى عرصـاتـكم خـلـفتـه
من مـنصـفى مـن ظالـم متحـكـم يزداد ظـلمــــا كلـما حـكمتـــه
ملـكته روحـى ليحـفظ مـلكــــه فاضـاعنـــى وأضـــاع ماملـكتـه

انفقت عمرى فى هواه وليتنى ... اعطى وصولا بالذى انفقته
يا أيها الرشأ الملم بمهجتى ... يكفى من الهجران ماقد ذقته
أنت الذى جمع المحاسن وجهه ... لكن عليه تصبرى فرقته
احللته قلبى فحل به البلا ... انى لراض بالذى أحللته
وجرت دموعى مثل بحر زاخر ... لو كنت اعرف مسلكا لسلكته
وخشيت خوفا ان أموت بحسرة ... ويفوت منى كلما أملته

فلما سمعت مريم من نور الدين العاشق المفارق المسكين انشاد هذه الأشعار حصل عندها من كلامه اشعار فافاضت دموع العين وانشدت هذين البيتين

تمنيت من أهوى فلما لقيته ... ذهلت فلم أملك لسانا ولا طرفا
وكنت معد اللعتاب دفاترا ... فلما اجتمعنا ماوجدت ولا حرفا

فلما سمع نور الدين كلام السيدة مريم عرفها وبكى بكاء شديدا وقال والله ان هذه نغمة السيدة مريم الزنارية بلاشك ولا ريب ولا رجم غيب وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة التاسعة والثمانون بعد الثمانمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن نور الدين لما سمعها تنشد الأشعار قال فى نفسه ان هذه نغمة السيدة مريم بلا شك ولا ريب ولا رجم غيب فياترى هل ظنى صحيح وانها هى بعينها او غيرها ثم أن نور الدين زادت به الحسرات فتأوه وأنشد هذه الأبيات

لما رانى لائمى فى الهوى ... صادفت حبى فى مكان رحيب
ولم أفه بالعتب عند اللقا ... ورب عتب فيه برء الكئيب
فقال ماهذا السكوت الذى ... صدك عن رب الجواب المصيب
فقلت يامن قد غدا جاهلا ... بحال اهل العشق كالمستريب
علامة العاشق فى عشقه ... سكوته عند لقاء الحبيب

فلما فرغ من شعره وأحضرت السيدة مريم دواة وقرطاسا وكتبت فيه بعد البسملة الشريفة اما بعد فسلام الله عليك ورحمته وبركاته وأخبرك ان الجارية مريم تسلم عليك وهى كثيرة الشوق اليك وهذه مراسلتها اليك فساعة وقوع هذه الورقة بين يديك انهض من وقتك وساعتك واهتم بما تريده منك غاية الاهتمام والحذر كل الحذر من المخالفة ومن أن تنام فاذا مضى ثلث الليل الأول فان تلك الساعة من أسعد الأوقات فلا يكون لك فيها شغل الا أن تشد الفرسين وتخرج بهما خارج المدينة وكل من قال لك أين انت رايح فقل له انا رايح اسيرهما فاذا قلت ذلك لايمنعك احد فان أهل هذه المدينة واثقون بقفل الأبواب ثم ان السيدة مريم لفت الورقة فى منديل حرير ورمتها الى نور الدين من الشباك فأخذها وقرأها وفهم مافيها وعرف انها خط السيدة مريم فقبلها ووضعها بين عينيه وتذكر ماحصل له معها من طيب الوصال فاسال دمع العين وانشد هذين البيتين

أتانى كتاب منكم جنح ليلة ... فهيجنى شوقا اليكم وابرانى

وذكرنى عيشا مضى بوصالكم ... فسبحان رب بالتفرق ابلانى

ثم أن نور الدين لما جن عليه الليل اشتغل باصلاح الحصانين وصبر حتى مضي من الليل ثلثه الأول ثم قام من وقته وساعته الى الحصانين ووضع عليهما سرجين من أحسن السروج وخرج بهما من باب الاصطبل وقفل الباب وسار بهما الى باب المدينة وجلس ينتظر السيدة مريم هذا ماكان من أمر نور الدين واما ماكان من أمر الملكة مريم فانها ذهبت من وقتها وساعتها الى المجلس الذى هو معدلها فى ذلك القصر فوجدت الوزير الأعور جالسا فى ذلك المجلس متكئا على مخدة محشوة من ريش النعام وهو مستحى ان يمد يده اليها او يخاطبها فلما رأته ناجت ربها فى قلبها وقالت اللهم لاتبلغه منى أربا ولا تحكم على بالنجاسة بعد الطهارة ثم أقبلت عليه وأظهرت له المودة وجلست فى جانبه ولاطفته وقالت له ياسيدى ماهذا الاعراض عنا هل هو منك تية ودلال علينا ولكن صاحب المثل السائر يقول اذا بار السلام سلمت القعود على القيام فان كنت ياسيدى ماتجيء عندى وتخاطبنى أجيء انا عندك وأخاطبك فقال لها الوزير الفضل والجميل لك ياملكة الأرض فى الطول والعرض وهل انا إلا من بعض خدامك واقل غلمانك وانما أنا

مستح لان أتهجم على مخاطبتك الفخيمة ايتها الدرة اليتيمة ووجهى منك فى الأرض فقالت له دعنا من هذا الكلام وأتنا بالمأكل والمشرب فعند ذلك صاح الوزير على جواريه وخدمه وأمرهم باحضار المأكل والمشرب فقدموا له سفرة فيها مادرج وطار وسبح فى البحار من قطا وسمان وافراخ الحمام ورضيع الضأن واوز سمين وفيها دجاج محمر وفيها من سائر الأشكال والألوان فمدت السيدة مريم يدها الى السفرة وأكلت وصارت تلقم الوزير وتبوسه فى فمه ومازالا يأكلان حتى اكتفيا من الأكل ثم غسلا أيديهما وبعد ذلك رفع الخدم سفرة الطعام وأحضروا سفرة المدام فصارت مريم تملأ وتشرب وتسقيه وقامت بخدمته حق القيام حتى كاد ان يطير قلبه من الفرح واتسع صدره وانشرح فلما غاب عقله عن الصواب وتمكن منه الشراب مدت يدها الى جيبها وأخرجت منه قرصا من البنج البكر المغربى الذى اذا شم منه الفيل أدنى رايحة نام من العام الى العام كانت أعدته لهذه الساعة ثم غافلت الوزير وفركته فى القدح وملأته واعطته اياه فطار عقله من الفرح وما صدق انها تناوله اياه فأخذ القدح وشربه فما استقر فى جوفه حتى خر صريعا على الأرض فى الحال فقامت السيدة مريم على قدميها وعمدت الى خرجين كبيرين وملأتهما مما خف حمله وغلا ثمنه من الجواهر واليواقيت وأصناف المعادن المثمنة ثم حملت معها شيئا من المأكل والمشرب ولبست آلة الحرب والكفاح من العدة والسلاح وأخذت معها لنور الدين مايسره من الملابس الملوكية الفاخرة وأهبة السلاح القاهرة ثم انها رفعت الخرجين من القصر وكانت ذا قوة وشجاعة وتوجهت الى نور الدين هذا ما كان من أمر مريم واما ما كان من أمر نور الدين وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للتسعين بعد الثمانمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن مريم لما خرجت من القصر توجهت الى نور الدين وكانت ذا قوة وشجاعة هذا ما كان من أمر مريم واما ما كان من أمر نور الدين العاشق المسكين فانه قعد على باب المدينة ينتظرها ومقاود الحصانين فى يده فأرسل الله عز وجل عليه النوم فنام وسبحان من لا ينام وكانت ملوك الجزائر فى ذلك الزمان يبذلون المال

رشوة على سرقة هذين الحصانين أو واحد منهما وكان موجودا فى تلك الأيام عبد اسود تربى فى الجزائر يعرف سرقة الخيل فصار ملوك الافرنج يرشونه بمال كثير لأجل أن يسرق أحد الحصانين ووعدوه انه ان سرق الحصانين يعطوه جزيرة كاملة ويخلعوا عليه خلعا سنية وقد كان لذلك العبد زمان طويل يدور فى مدينة افرنجة وهو مختف فلم يقدر على أخذ الحصانين وهما عند الملك فلما وهبهما للوزير الأعور ونقلهما الى اصطبله فرح العبد فرحاً شديدا وطمع فى أخذهما وقال وحق المسيح والدين الصحيح لاسرقنهما ثم أن العبد خرج من تلك الليلة قاصدا ذلك الاصطبل ليسرق الحصانين فبينما هو ماش فى الطريق اذ لاحت منه التفاتة فرأى نور الدين نائما ومقاود الحصانين في يده فنزع المقاود من رؤسهما وأراد أن يركب واحد ويسوق الآخر قدامه واذا بالسيدة مريم قد اقبلت وهى حاملة الخرجين على كتفها فظنت ان العبد هو نور الدين فناولته أحد الخريجين فوضعه على الحصان ثم ناولته الثاني فوضعه على الحصان وهو ساكت وهى تظن انه نور الدين ثم انها خرجت من باب المدينة والعبد ساكت قالت له ياسيدى نور الدين مالك ساكتا فالتفت العبد اليها وهو مغضب وقال لها أى شىء تقولين ياجارية فسمع بربرة العبد فعرفت انها غير لغة نور الدين فرفعت رأسها اليه ونظرته فوجدت له مناخير كالابريق فلما نظرته صار الضياء فى وجهها ظلاما فقالت له من تكون ياشيخ بنى حام وما اسمك بين الأنام فقال لها يا بنت اللئام انا اسمى مسعود سراق الخيل والناس نيام فما ردت عليه بشئ من الكلام بل جردت من وقتها الحسام وضربته على عاتقه فطلع يلمع من علايقه فوقع صريعا على الارض يختبط فى دمه وعجل الله بروحه الى النار وبئس المصير فعند ذلك اخذت السيدة مريم الحصانين وركبت واحدا منهما وقبضت الآخر بيدها ورجعت الى عقبها تفتش على نور الدين فلقيته راقدا فى المكان الذى واعدته بالاجتماع فيه والمقاود فى يده وهو نائم يخط فى نومه ولم يعرف يديه من رجليه فنزلت عن ظهر الحصان ولكزته بيدها فانتبه من نومه مرعوبا وقال لها سيدتى الحمد لله على مجيئك سالمة فقالت له قم اركب هذا الحصان وانت ساكت فقام وركب الحصان والسيدة مريم ركبت الحصان الثاني وخرجا من المدينة وسارا ساعة زمانية وبعد ذلك التفتت مريم الى نور الدين وقالت له اما قلت لك لا تنم فانه لا افلح من ينام فقال يا سيدتى انا ما نمت الا من برد فؤادى بميعادك واى شئ جرى يا سيدتى فاخبرته بحكاية

العبد من المبتدا الى المنتهى فقال لها نور الدين الحمد لله على السلامة ثم جدا فى اسراع المسير وقد سلما امرهما الى اللطيف الخبير وصار يتحدثان حتى وصلا الى العبد الذى قتلته السيدة مريم فرأه مرميا فى التراب كانه عفريت فقالت مريم لنور الدين انزل جرده من ثيابه وخذ سلاحه فقال لها يا سيدتى والله انا لا اقدر ان انزل عن ظهر الحصان ولا اقف عنده ولا اقترب منه وتعجب نور الدين من خلقته وشكر السيدة مريم على فعلها وتعجب من شجاعتها وقوة قلبها ثم سارا ولم يزالا سائرين سيرا عنيفا بقية الليل الى ان اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح وانتشرت الشمس على الروابى والبطاح فوصلا الى مرج افيح فيه الغزلان تمرح وقد احضرت منه الجوانب وتشكلت فيه الاثمار من كل جانب وازهاره كبطون الحيات والطيور فيه عاكفات وجداوله تجرى مختلفة الصفات كما قال فيه الشاعر واجاد ووفى بالمراد

وقان لفحة الرمضاء واد   وفاه مضاعف النبت العميم
نزلنا دوحه فحنا علينا   حنوّ المرضعات على الفطيم
وارشفنا على ظمأ زلالا   الذمن من المدامة للنديم
يصد الشمس أنىّ واجهتنا   فيحجبها ويأذن للنسيم
تروع حصاه حالية العذارى   فتلمس جانب الدر النظيم

وكما قال الآخر

واذا ترنم طيره وغديره   يشتاقه الولهان فى الاسحار
فكأنه الفردوس فى اكنافه   ظل وفاكهة وماء جار

فعند ذلك نزلت السيدة مريم هى ونور الدين ليستريحا فى ذلك الوادى وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والتسعين بعد الثمانمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن السيدة مريم ونور الدين لما نزلا فى ذلك الوادى اكلا من اثماره وشربا من انهاره واطلقا الحصانين يأكلان فى المرعى فاكلا وشربا من ذلك الوادى وجلس نور الدين وهو مريم يتحدثان ويتذكران حكايتهما وما جرى لهما

وكل منهما يشكو لصاحبه ما لاقاه من الم الفراق وما قساه من البعد والاشتياق فبينما هما كذلك واذا بغبار قد ثار حتى سد الاقطار وسمعا صهيل الخيل وقعقعة السلاح وكان السبب فى ذلك ان الملك لما زوج ابنته للوزير ودخل عليها فى تلك الليلة واصبح الصباح اراد الملك ان يصبح عليهما كما جرت به العادة عند الملوك فى بناتهم فقام واخذ معه اقمشة من الحرير ونثر الذهب والفضة ليتخاطفها الخدمة والمواشط ولم يزل الملك يتمشى هو وبعض الغلمان الى ان وصل الى القصر الجديد فوجدوا الوزير مرميا على الفرش لم يعرف رأسه من رجليه فالتفت الملك فى القصر يمينا وشمالا فلم ير ابنته فيه فتكدر حاله واشتغل باله وامر بأحضار الماء السخن والخل البكر والكندر فلما احضروا له ذلك خلطها ببعضها وسعط الوزير بها ثم هزه فخرج البنج من جوفه كقطع الجبن ثم ان الملك سعط الوزير بذلك ثاني مره فانتبه فسأله عن حاله وعن حال ابنته مريم فقال له ايها الملك الاعظم لا علم لى بها غير انهاسقتنى قدحا من الخمر بيدها فمن ذلك الوقت ما عرفت روحى الا فى هذه الساعة ولا اعلم ما كان من امرها فلما سمع الملك كلام الوزير صار الضياء فى وجهه ظلاما وسحب السيف وضرب به الوزير على رأسه فخرج يلمع من اضراسه ثم ان الملك ارسل من وقته وساعته الى الغلمان والسياس فلما حضروا طلب منهم الحصانين فقالوا له ايها الملك ان الحصانين فقدا فى هذه الليلة وكبيرنا فقد معهما ايضا فاننا اصبحنا وجدنا الابواب كلها مفتوحة فقال الملك وحق ديني وما يعتقده يقيني ما اخذ الحصانين الا ابنتى هى والاسير الذى كان يخدم الكنيسة وكان قد اخذها فى المرة الاولى وعرفته حق المعرفة ولم يخلصه من يدى الا هذا الوزير الاعور وقد جوزى بفعله ثم ان الملك دعا فى الوقت باولاده الثلاثة وكانوا ابطالا شجعانا كل واحد منهم يقوم بالف فارس فى حومة الميدان ومقام الضرب والطعان ثم صاح الملك عليهم وامرهم بالركوب فركبوا وركب الملك بجملتهم مع خواص بطارقته وارباب دولته واكابرهم وصاروا يتبعون اثرهما فلحقوهما فى ذلك الوادى فلما رأتهم مريم نهضت وركبت جوادها وتقلدت بسيفها وحملة الة سلاحها وقالت لنور الدين ما حالك وكيف قلبك فى القتال والحرب والنزال فقال لها ان ثباتى فى النزال مثل ثبات الوتد فى النخال ثم انشد وقال

يا مريم اطرحي اليم عتابي | لا تقصدى قتلى وطول عذابى

من اين لى انى اكون محاربا | انى لأفزع من نعيق غراب
واذا نظرت الفار افزع خيفة | وابول من خوفى على اثوابى
انا لا احب الطعن الا خلوة | والكس يعرف سطوة الازباب
هذا هو الرأى السديد وما يرى | من دون هذا الرأى غير صواب

فلما سمعت مريم من نور الدين هذا الكلام والشعر والنظام اظهرت له الضحك والابتسام وقالت له يا سيدى نور الدين استقم مكانك وانا اكفيك شرهم ولو كانوا عدد الرمل ثم أنها تهيأت من وقتها وساعتها وركبت ظهر جوادها واطلقت من يدها طرف العنان وادارت من الرمح جهة السنان فخرج ذلك الحصان من تحتها كانه الريح الهبوب او الماء اذا اندفق من ضيق الانبوب وقد كانت مريم اشجع اهل زمانها وفريدة عصرها واوانها لان اباها علمها وهى صغيرة الركوب على ظهور الخيل وخوض بحار الحرب فى ظلام الليل وقالت لنور الدين اركب جوادك وكن خلف ظهرى واذا انهزمنا فاحرص على نفسك من الوقوع فان جوادك ما يلحقه لاحق فلما نظر الملك الى ابنته مريم عرفها غاية المعرفة والتفت الى ولده الاكبر وقال له يا برطوط يا ملقب برأس القلوط ان هذه اختك مريم لا شك فيها ولا ريب قد حملت علينا وطلبت حربنا وقتالنا فابرز اليها واحمل عليها وحق المسيح والدين الصحيح انك ان ظفرت بها لا تقتلها حتى تعرض عليها دين النصارى فان رجعت الى دينها القديم فارجع بها اسيرة وان لم ترجع اليه فاقتلها اقبح قتلة ومثل بها اشنع مثلة وكذلك هذا الملعون الذى معها مثل به اقبح مثلة فقال له برطوط السمع والطاعة ثم برزِ لاخته مريم من وقته وساعته وحمل عليها فلاقته وحملت عليه ودنت منه وتقربت اليه فقال لها برطوط يا مريم اما يكفى ما جرى منك حيث تركت دين الاباء والاجداد واتبعت دين السياحين فى البلاد يعنى دين الاسلام ثم قال وحق المسيح والدين الصحيح ان لم ترجعى لدين ابائك واجدادك من الملوك وتسلكى فيه احسن السلوك لاقتلنك شر قتلة وامثل بك اقبح مثله فضحكت مريم من كلام اخيها وقالت هيهات هيهات ان يعود ما فات او يعيش من مات بل أجرعك اشدا الحسرات انا والله لست براجعة عن دين محمد بن عبد الله الذى عم هداه فانه هو الدين الحق فلا اترك الهدى ولو سقيت كؤس الردى وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والتسعون بعد الثمانمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن مريم قالت لاخيها هيهات هيهات ان ارجع عن دين محمد بن عبد الله الذى عم هداه فانه دين الهدى ولو سقيت كؤس الردى فلما سمع الملعون بوطوط من اخته هذا الكلام صار الضياء فى وجهه ظلاما وعظم ذلك عليه وكبر لديه والتهب بينهما القتال واشتد الحرب والنزال وغاص الاثنان فى الادوية العراض الطوال وصبرا على الشدائد وشخصت لهما الابصار فاخذها الانبهار ثم تجاولا مليا واعتركا طويلا وصار برطوط كلما يفتح لاخته مريم بابا من الحرب تبطله عليه وتسده بحسن صناعتها وقوة براعتها ومعرفتها وفروسيتها ولم يزالا على تلك الحالة حتى انعقد على رؤسهما الغبار وغاب الفرسان عن الابصار ولم تزل مريم تحاوله وتسد عليه طريقه حتى كلّ وبطلت همته واضمحل عزمه وضعفت قوته فضربته بالسيف على عاتقه فخرج يلمع من علايقه وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار ثم ان مريم جالت فى حومة الميدان وموقف الحرب والطعان وطلبت البراز وسألت الانجاز وقالت هل من مقاتل هل من مناجز لا يبرز لى اليوم كسلان ولا عاجز لا يبرز لى الا ابطال اعداء الدين لاسقيهم كأس العذاب المهين يا عبدة الاوثان وذوى الكر والطغيان هذا يوم تبيض فيه وجوه اهل الايمان وتسود وجوه اهل الكفر بالرحمن فلما رأى الملك ولده الكبير قد قتل لطم على وجهه وشق اثوابه وصاح على ولده الوسطانى وقال له يا برطوس يا ملقب بخرء السوس ابرز يا ولدى بسرعة الى قتال اختك مريم وخذ منها ثار اخيك برطوط وائتنى بها اسيرة ذليلة حقيرة فقال له يا ابت السمع والطاعة ثم انه برز لاخته مريم وحمل عليها فلاقته وحملت عليه فتقاتلت هى واياه قتالا شديدا اشد من القتال الاول فرأى اخوها الثانى نفسه عاجزا عن قتالها فاراد الفرار والهروب فلم يمكنه ذلك من شدة بأسها لانه كلما ركن الى الفرار تقربت منع ولاصقته وضايقته ثم ضربته بالسيف على رقبته فخرج يلمع من لبته والحقته باخيه وبعد ذلك جالت فى حومة الميدان وموقف الحرب والطعان وقالت اين الفرسان والشجعان اين الوزير الاعور الاعرج صاحب الدين الاعوج فعند ذلك صاح ابوها بقلب جريح وطرف من الدمع قريح وقال انها قتلت ولدى الاوسط وحق المسيح والدين الصحيح ثم انه صاح على ولده الصغير وقال له يا فسيان يا ملقب بسلح

الصبيان اخرج يا ولدى الى قتال اختك وخذ منها ثار اخويك وصادمها اما لك او عليك وان ظفرت بها فاقتلها اقبح قتلة فعند ذلك برز لها اخوها الصغير وحمل عليها فنهضت اليه ببراعتها وحملت عليه بحسن صناعتها وشجاعتها ومعرفتها بالحرب وفروسيتها وقالت له يا عدو الله وعدوا المسلمين لالحقنك باخويك وبئس مثوى الكافرين ثم انها جذبت سيفها من غمده وضربته فقطعت عنقه وذراعيه والحقته باخويه وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار فلما رأى البطارقة والفرسان الذين كانوا راكبين مع ابيها اولاده الثلاثة قد قتلوا وكانوا اشجع اهل زمانهم وقع فى قلوبهم الرعب من السيدة مريم وادهشتهم الهيبة ونكسوا رؤسهم الى الارض وايقنوا بالهلاك والدمار والذل والبوار واحترقت قلوبهم من الغيظ بلهيب النار فولوا الادبار وركنوا الى الفرار فلما نظر الملك الى اولاده قد قتلوا والى عساكره قد انهزموا اخذته الحيرة والانبهار واحترق قلبه بلهيب النار وقال فى نفسه ان السيدة مريم قد استقلت بناوان جازفت بنفسى وبرزت اليها وحدى ربما غلبت علىّ وقهرتنى فتقتلنى اشنع قتلة وتمثل بى اقبح مثلة كما قتلت اخوتها لانها لم يبق لها فينا رجاء ولا لنا فى رجوعها طمع والرأى عندى ان احفظ حرمتى وارجع الى مدينتى ثم ان الملك ارخى عنان فرسه ورجع الى مدينته فلما استقر فى قصره وانطلقت فى قلبه النار من اجل قتل اولاده الثلاثة وانهزام عسكره وهتك حرمته فما استقر نصف ساعة حتى طلب ارباب دولته وكبراء مملكته وشكا اليهم فعل ابنته مريم معه من قتلها لاخوتها وما لاقاه من القهر والحزن واستشارهم فاشاروا عليه كلهم ان يكتب كتابا الى خليفة الله فى ارضه امير المؤمنين هارون الرشيد يعلمه بهذه القضية فكتب الى الرشيد مكتوبا مضمونة بعد السلام على امير المؤمنين ان لنا بنتا اسمها مريم الزنارية قد افسدها علينا اسير من اسرى المسلمين اسمه نور الدين على ابن التاجر تاج الدين المصرى واخذها ليلا وخرج بها الى ناحية بلاده وانا اسأل فضل مولانا امير المؤمنين ان يكتب الى سائر بلاد المسلمين بتحصيلها وارسالها الينا مع رسول امين وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والتسعون بعد الثمانمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن ملك افرنجة لما كتب الى الخليفةامير المؤمنين هارون الرشيد كتابا يتضرع اليه فيه بطلب ابنته مريم ويسأل فضله ان يكتب الى سائر بلاد المسلمين بتحصيلها وارسالها مع رسول امين من خدام حضرة امير المؤمنين ومن جملة مضمون ذلك الكتاب اننا نجعل لكم فى نظير مساعدتكم لنا على هذا الامر نصف مدينة رومه الكبرى لتبنوا فيها مساجد للمسلمين ويحمل اليكم خراجها وبعد ان كتب الكتاب برأى اهل مملكته وكبراء دولته طواه ودعا بوزيره الذى جعله وزيرا مكان الوزير الاعور وامره ان يختم الكتاب بختم الملك وكذلك ختمة ارباب دولته بعد ان وضعوا خطوط ايديهم فيه ثم قال لوزيره ان اتيت بها فلك عندى اقطاع اميرين واخلع عليك خلعة بطرازين ثم ناوله الكتاب وامره ان يسافر الى مدينة بغداد دار السلام ويوصل الكتاب الى امير المؤمنين من يده الى يده ثم سافر الوزير بالمكتوب وسار يقطع الاودية والقفار حتى وصل الى مدينة بغداد فلما دخلها مكث فيها ثلاثة ايام حتى استقر واستراح ثم سأل عن قصر امير المؤمنين هارون الرشيد فدلوه عليه فلما وصل اليه طلب اذنا من امير المؤمنين فى الدخول عليه فاذن له فى ذلك فدخل عليه وقبل الارض بين يديه وناوله الكتاب الذى من ملك افرنجه وصحبته من الهدايا والتحف العجيبة ما يليق بامير المؤمنين فلما فتح الخليفة المكتوب وقرأه وفهم مضمونه امر وزراءه من وقته ان يكتبوا المكاتيب الى سائر بلاد المسلمين ففعلوا ذلك وبينوا فى المكاتيب صفة مريم وصفة نور الدين واسمه واسمها وانهما هاربان فكل من وجدهما فليقبض عليهما ويرسلهما الى امير المؤمنين وحذروهم من ان يعطوا فى ذلك امهالا اواهمالا او غفلة ثم ختمت الكتب وارسلت مع السعاة الى العمال فبادروا فى امتثال الامر وساروا يفتشون فى سائر البلاد على من يكون بهذه الصفة هذا ما كان من امر هؤلاء الملوك واتباعهم واما ما كان من امر نور الدين المصرى ومريم الزنارية بنت ملك افرنجة فانهما ركبا بعد انهزام الملك وعساكره من وقتهما وساعتهما وسارا الى بلاد الشام وقد ستر عليهما الستار فوصلا الى مدينة دمشق وكانت الطوالع التى ارسلها الخليفة قد سبقتهما الى دمشق بيوم فعلم امير دمشق انه مأمور بالقبض عليهما متى وجدهما ليحضرهما بين يدى الخليفة فلما كان يوم دخولهما الى دمشق اقبل عليهما الجواسيس فسألوهما عن اسمهما فاخبروهما بالصحيح

وقصوا عليهما قصتهما وجميع ما جرى عليهما فعرفوهما وقبضوا عليهما واخذوهما وساروا بهما الى امير دمشق فارسلهما الى الخليفة بمدينة بغداد دار السلام فلما وصلا اليها استأذنوا فى الدخول على امير المؤمنين هارون الرشيد فاذن لهم فلما دخلوا عليه قبلوا الارض بين يديه وقالوا له يا امير المؤمنين ان هذه مريم الزنارية بنت ملك افرنجة وهذا نور الدين بن التاجر تاج الدين المصرى الاسير الذى افسدها على ابيها وسرقها من بلادها ومملكتها وهرب بها الي دمشق فوجدناهما وقت دخولهما الى دمشق وسألناهما عن اسمائهما فاجابوا بالصحيح فعند ذلك اتينا بهما واحضرناهما بين يديك فنظر امير المؤمنين الى مريم فرأها رشيقة القد والقوام فصيحة الكلام مليحة اهل زمانها فريدة عصرها وأوانها حلوة اللسان ثابتة الجنان قوية القلب فلما وصلت اليه قبلت الارض بين يديه ودعت له بدوام العز والنعم وزوال البؤوس والنقم فاعجب الخليفة حسن قوامها وعذوبة ألفاظها وسرعة جوابها فقال لها هل انت مريم الزنارية بنت ملك افرنجه قالت نعم يا امير المؤمنين وامام الموحدين وحامى حومة الدين وابن عم سيد المرسلين فعند ذلك التفت الخليفة فرأى نور الدين شابا مليحا حسن الشكل كانه البدر المنير فى ليلة تمامه فقال له الخليفة هل انت على نور الدين الاسير ابن التاجر تاج الدين المصري قال نعم يا امير المؤمنين وعمدة القاصدين فقال الخليفة كيف اخذت هذه الصبية من مملكة ابيها وهربت بها فصار نور الدين يحدث الخليفة بجميع ما جرى له من اول الامر الى اخره فلما فرغ من حديثه تعجب الخليفة من ذلك غاية العجب واخذه من التعجب فرط الطرب وقال ما اكثر ما تقاسيه الرجال وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والتسعون بعد الثمانمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الخليفة هارون الرشيد لما سأل نور الدين عن قصته فاخبره بجميع ما جرى له من المبتدأ الى المنتهى فتعجب الخليفة من ذلك غاية العجب وقال ما اكثر ما تقاسيه الرجال ثم انه التفت الى السيدة مريم وقال لها يا مريم اعلمى ان والدك ملك افرنجه قد كاتبنا فى شأنك فما تقولين قالت يا خليفة الله فى ارضه وقائما بسنة نبيه وفرضه خلد عليك النعم واجارك من البؤس والنقم انت خليفة الله فى ارضه انى قد دخلت فى دينكم لانه هو الدين القويم والصحيح وتركت ملة الكفرة الذين يتكذبون على المسيح وقد صرت مؤمنة بالله الكريم ومصدقة بما جاء به رسوله الرحيم

اعبدالله سبحانه وتعالى واوحده واسجد خاضعة اليه وامجده وانا قائلة بين يدى الخليفة اشهد ان لا اله إلا الله واشهد ان محمداً رسول الله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون فهل فى وسعك يا امير المؤمنين ان تقبل كتاب ملك الملحدين وترسلنى الى بلاد الكافرين الذين يشركون بالملك العلام ويعظمون الصليب ويعبدون الاصنام ويعتقدون الهية عيسى وهو مخلوق فإن فعلت بى ذلك يا خليفة الله اتعلق باذيالك يوم العرض على الله واشكوك الى ابن عمك رسول الله ﷺ يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم فقال امير المؤمنين يا مريم معاذ الله ان افعل ذلك ابدا كيف اردّ امرأة مسلمة موحدة بالله ورسوله إلى نهى الله عنه ورسوله فقالت مريم اشهد ان لا إله إلا الله واشهد ان محمد رسول الله فقال لها امير المؤمنين يامريم بارك الله فيك وزادك هداية إلى الإسلام وحيث كنت مسلمة موحدة بالله فقد صار لك علينا حق واجب وهو اننى لا افرط فيك ابدا ولو بذل لى من اجلك ملؤ الارض جواهر وذهبا فطيبى نفسا وقرى عينا وانشرحى صدرا ولا يكن خاطرك الا طيبا فهل رضيت ان يكون هذا الشاب على المصرى لك بعلا وتكونين له اهلا فقالت مريم يا امير المؤمنين كيف لا ارضى ان يكون لى بعلا وقد اشترانى بماله واحسن الى غاية الاحسان ومن تمام احسانه انه خاطر بروحه من اجلى مرات عديدة فزوجها به مولانا امير المؤمنين وعمل لها مهرا واحضر القاضى والشهود واكابر دولته يوم زواجها عند كتب الكتاب وكان يوما مشهودا ثم بعد ذلك التفت امير المؤمنين من وقته وساعته الى وزير ملك الروم وكان حاضرا فى تلك الساعة وقال له هل سمعت كلامها كيف ارسلها الى ابيها الكافر وهى مسلمة موحدة وربما سائها واغلظ عليها خصوصا وقد قتلت اولاده فاتحمل انا ذنبها يوم القيامة وقد قال الله تعالى﴿ولم يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا﴾ فارجع الى ملكك وقل له ارجع عن هذا الامر ولا تطمع فيه وكان ذلك الوزير احمق فقال للخليفة يا امير المؤمنين وحق المسيح والدين الصحيح انى لا يمكننى الرجوع بدون مريم ولو كانت مسلمة لانى لو رجعت الى ابيها بدونها يقتلنى فقال الخليفة خذوا هذا الملعون واقتلوه وانشد هذا البيت

هذا جزاء من عصى من فوقه وعصاينه

ثم امر بضرب عنق الوزير الملعون وحرقه فقالت السيدة يا امير المؤمنين لا تنجس سيفك بدم هذا الملعون ثم جردت سيفها وضربته به فاطاحت رأسه عن جثته فذهب الى دار البوار ومأواه جهنم وبئس القرار فتعجب الخليفة من صلابة ساعدها وقوة جناحها ثم خلع على نور الدين خلعة سنية وافردلهما مكانا فى قصره هى ونور الدين ورتب لهما المرتبات والجوامك والعلوقات وامر بان ينقل اليهما جميع ما يحتاجان اليه من الملابس والمفارش والاوانى النفيسة واقاما فى بغداد مدة الزمان وهما فى ارغد عيش واهناه وبعد ذلك اشتاق نور الدين الى امه وابيه فعرض الامر على الخليفة وطلب منه اذنا فى التوجه الى بلاده وزيارة اقاربه ودعا بمريم واحضرها بين يديه فاجازه بالتوجه واتحفه بالهدايا والتحف المثمنة واوصى مريم ونور الدين ببعضهما ثم امر بمكاتيب الى امراء مصر المحروسة وعلمائها وكبرائها بالوصية على نور الدين هو ووالديه وجاريته واكرامهم غاية الاكرام فلما وصلت الاخبار الى مصر فرح التاجر تاج الدين بعودة ولده نور الدين وكذلك امه فرحت بذلك غاية الفرح وخرج للقائه الاكابر والامراء وارباب الدولة من اجل وصية الخليفة فلاقوا نور الدين وكان لهم يوم مشهود مليح عجيب اجتمع فيه المحب والمحبوب واتصل الطالب بالمطلوب وصارت الولايم كل يوم على واحد من الامراء وفرحوا بهم الفرح الزائد واكرموهم الاكرام المتصاعد فلما اجتمع نور الدين بوالدته ووالده فرحوا ببعضهم غاية الفرح وزال عنهم الهم وانتزح وكذلك فرحوا بالسيدة مريم واكرموها غاية الاكرام ووصلت اليهم الهدايا والتحف من سائر الامراء والتجار العظام وصاروا كل يوم فى انشراح جديد وسرور اعظم من سرور العيد ولم يزالوا فى فرح ولذات ونعم جزيلة مطربات واكل وشرب وفرح وسرور مدة من الزمان الى ان اتاهم هادم اللذات ومفرق الجماعات ومخرب الدور والقصور ومعمر بطون القبور فانتقلوا من الدنيا بالممات وصاروا فى اعداد الاموات فسبحان الحى الذى لا يموت وبيده مقاليد الملك والملكوت ومما يحكى ايضا ان الامير شجاع الدين محمد متولى القاهرة قال بتنا عند رجل من بلاد الصعيد فضيفنا واكرمنا وكان ذلك الرجل اسمر شديد السمرة وهو شيخ كبير وكان له اولاد صغار بيض بياضهم مشرّب بحمرة فقلنا يا فلان ما بال اولادك هؤلاء بيضا وانت شديد السمرة فقال هؤلاء امهم افرنجية اخذتها ولى معها حديث عجيب فقلنا له اتحفنا به فقال نعم اعلموا انى قد كنت زرعت كتانا فى

هذه البلدة وقلعته ونفضته وصرفت عليه خمسمائه دينار ثم اردت بيعه فلم يجئ لى منه شئ اكثر من ذلك فقالوا لى اذهب به الى عكاء لعلك تربح فيه ربحا عظيما وكانت عكاء ذلك الوقت في يد الافرنج فذهبت به الى عكاء وبعت بعضه صبرا الى ستة اشهر فبينما انا ابيع اذ مرت بى امرأة افرنجية وعادة نساء الافرنج ان تمشى فى السوق بلا نقاب فاتت لتشترى منى كتانا فرأيت من جمالها ما بهر عقلى فبعت لها شيئاً وتساهلت فى الثمن فأخذته وانصرفت ثم عادت الى بعد ايام فبعت لها شيئاً وتساهلت معها اكثر من المرة الأولى فكررت مجيئها الى وعرفت انى احبها وكانت عادتها ان تمشى مع عجوز فقلت للعجوز التى معها انى قد شغفت بحبها فهل تتحيلين لى فى الاتصال بها فقالت اتحيل لك في ذلك ولكن هذا السر لا يخرج من بين ثلاثتنا انا وانت وهى ومع ذلك لابد من ان تبذل مالا فقلت لها اذا ذهبت روحى لاجتماعى عليها ما هو كثير وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والتسعون بعد الثمانمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن العجوز لما اجابت ذلك الرجل قالت له ولكن هذا السر لا يخرج من بين ثلاثتنا انا وانت وهي ولابد من ان تبذل مالا فقال لها اذا ذهبت روحى في اجتماعي عليها ما هو كثير واتفق الحال على ان يدفع لها خمسين دينارا وتجئ اليه فجهز الخمسين دينار وسلمها للعجوز فلما اخذت الخمسين دينارا قالت له هيئ لها موضعا فى بيتك وهى تجئ اليك فى هذه الليلة ثم قال فمضيت وجهزت ما قدرت عليه من مأكل ومشرب وشمع وحلوى وكانت دارى مطلة على البحر وكان ذلك فى زمن الصيف ففرشت على سطح الدار وجاءت الافرنجية فاكلنا وشربنا وجن الليل فنمنا تحت السماء والقمر يضئ علينا وسرنا ننظر خيال النجوم فى البحر فقلت فى نفسى اما تستحى من الله عز وجل وانت غريب وتحت السماء وعلى بحر وتعصى الله تعالى مع نصرانية وتستوجب عذاب النار اللهم انى اشهدك انى قد عففت عن هذه النصرانية فى هذه الليلة حياء منك وخوفا من عقابك ثم انى نمت الى الصبح وقامت فى السحر وهى غضبى ومضت الى مكانها ومشيت انا الى حانوتى فجلست فيه واذا هى قد عبرت على هى والعجوز وهى مغضبة وكأنها القمر فهلكت وقلت فى نفسى من هو انت حتى تترك هذه الجارية هل انت السريّ السقطى او بشر الحافى او الجنيد البغدادى او الفضيل بن عياض

ثم لحقت العجوز وقلت لها ارجعى الى بها فقالت العجوز وحق المسيح ما ترجع اليك الا بمائة دينار فقلت اعطيك مائة دينار ثم اعطيتها المائة دينار وجاءت الى ثاني مرة فلما صارت عندي رجعت الى تلك الفكرة فعففت عنها وتركتها لله تعالى ثم مضيت ومشيت الى موضعي ثم عبرت على العجوز وهي غضبى فقلت لها ارجعي بها الى فقالت وحق المسيح ما بقيت تفرح بها عندك الا بخمسمائة دينار وتموت كمدا فارتعدت لذلك وعزمت ان اغرم ثمن الكتان جميعه وافدى نفسى بذلك فما شعرت الا والمنادى ينادى ويقول يا معاشر المسلمين ان الهدنة التي بيننا وبينكم قد انقضت وقد امهلنا من هنا من المسلمين جمعة ليقضوا اشغالهم وينصرفوا الى بلادهم فانقطعت عنى واخذت في تحصيل ثمن الكتان الذى اشتراه مني الناس مؤجلا والمقايضة على ما بقى منه واخذت معي بضاعة حسنة وخرجت من عكاء وانا فى قلبى من الافرنجية ما فيه من شدة المحبة والعشق لانها اخذت قلبى ومالى ثم خرجت وسرت حتى وصلت الى دمشق وبعت البضاعة التى اخذتها من عكاء باقصى ثمن لانقطاع وصولها بسبب انقضاء مدة الهدنة ومنّ الله سبحانه وتعالى على بكسب جيد وصرت اتجر فى جوارى السبى ليذهب ما بقلبى من الافرنجية ولازمت التجارة فيهن فمضت على ثلاث سنوات وانا بتلك الحالة وجرى للملك الناصر مع الافرنج ما جرى من الوقايع ونصره الله عليهم واسر جميع ملوكهم وفتح بلاد الساحل باذن الله تعالى فاتفق انه جاءنى رجل وطب مني جارية للملك الناصر وكان عندي جارية حسناء فعرضتها عليه فاشتراها له مني بمائة دينار فاوصلنى تسعين دينارا وبقى لى عشرة دنانير فلم يجدوها فى خزنته ذلك اليوم لانه انفق الاموال جمعها فى حرب الافرنج فاخبروه بذلك فقال الملك امضوا به الى خزنة السبى وخيروه بين بنات الافرنج ليأخذ واحدة منهن فى العشرة دنانير وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والتسعون بعد الثمانمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الملك الناصر لما قال خيروه في واحدة منهن ليأخذها في العشرة دنانير التى له اخذونى وتوجهوا بى الى خزنة السبى فنظرت فيها وتأملت فى جميع السبى فرأيت الجارية الافرنجية التى كنت تعلقت بها وعرفتها حق المعرفة وكانت امرأة فارس من فرسان الافرنج فقلت اعطونى هذه فاخذتها ومضيت الى خيمتى وقلت

لها اتعرفيننى قالت لا قلت انا صاحبك الذى كنت اتاجر فى الكتان وقد جري لى معك ما جري واخذت منى الذهب وقلت ما بقيت تنظرنى الا بخمسمائة دينار وقد اخذتك ملكا بعشرة دنانير فقالت هذا سر دينك الصحيح انا اشهد ان لا اله إلا الله وان محمداً رسول الله فاسلمت وحسن اسلامها فقلت فى نفسي والله لا افضى اليها الا بعد عتقها واطلاع القاضى فرحت الى ابن شداد وحكيت له ما جرى وعقد لى عليها ثم بعد ذلك بت معها فحملت ثم رحل العسكر واتينا دمشق فما كان الا أيام قلائل واتى رسول الملك يطلب الاسارى والسبى باتفاق وقع بين الملوك فرد كل من كان اسيرا من النساء والرجال ولم يبق الا المرأة التى عندى فقالوا ان امرأة الفارس فلان لم تحضر وسألوا عنها وألحوا فى السؤال والكشف فاخبروا بانها عندى فطلبوها منى فحضرت وانا فى شدة الوله وقد تغير لونى فقالت لى مالك وما الذى اصابك فقلت جاء رسول الملك ليأخذ الاسارى جميعهم وطلوبك منى فقالت لا بأس عليك اوصلنى الى الملك وانا اعرف الذى اقوله بين يديه قال فاخذتها واحضرتها قدام السلطان الملك الناصر ورسول ملك الافرنج جالس على يمينه وقلت هذه المرأة التى عندى فقال لها الملك الناصر والرسول اتروحين الى بلادك ام الى زوجك فقد فك الله اسرك انت وغيرك فقالت للسلطان انا قد اسلمت وحملت وها بطنى كما ترون وما بقيت الافرنج تنتفع بى فقال الرسول ايما احب اليك اهذا المسلم او زوجك الفارس فلان فقالت له كما قالت للسلطان فقال الرسول لمن معه من الافرنج هل سمعتم كلامهما قالوا نعم ثم قال لى الرسول خذ امرأتك وامض بها فمضيت بها ثم انه ارسل خلفى عاجلا وقال ان امها ارسلت اليها معى وديعة وقالت ان بنتى اسيرة وهى عريانة ومرادى ان توصل اليها هذا الصندوق فخذه وسلمه اليها فتسلمت الصندوق ومضيت به الى الدار واعطيته لها ففتحته فرأت فيه قماشها بعينه ووجدت الصرتين الذهب والخمسين دينار او المائة دينار فرأيت الجميع برباطى لم يتغير منها شئ وحمدت الله تعالى وهؤلاء الاولاد منها وهى تعيش الى الان وهى التى عملت لكم هذا الطعام فتعجبنا من حكايته وما حصل له من الحظ والله اعلم ومما يحكى ايضا انه كان فى قديم الزمان رجل ببغداد من اولاد اهل النعم ورث عن ابيه مالا جزيلا وكان يعشق جارية فاشتراها وكانت تحبه كما يحبها ولم يزل ينفق عليها الى ان ذهب جميع ماله ولم يبق منه شئ فطلب شيئاً من اسباب المعاش يتعيش فيه فلم يقدر وكان ذلك الفتى فى

ايام غناه يحضر مجالس العارفين بصناعة الغنـاء فبلغ فيها الغاية القصوى فاستشار بعض اخوانه فـقال له انا لا اعرف لـك صنعة احسن مـن ان تغنى انت وجـاريتك فتأخـذ على ذلك المال الكثير وتـأكل وتشرب فكره ذلك هو والجارية فقالت لـه جاريته قد رأيت لك رأيا قال وما هو قالت تبيعنى ونتخلص مـن هذه الشدة انا وانت واكون فى نعمة فان مثلى ما يشتريه الا ذو نعمة وبذلك اكون سببا فـى رجوعى اليك فاطلعها الى السوق فكان اول من رآهـا رجل هاشـمى من اهـل البصـرة وكان ذلك الـرجل اديبـا ظريفـا كريم النـفس فاشتـراها بالف وخمـسمائة دينـار قال ذلك الفتى صـاحب الجارية فلـما قبضت الـثمن ندمت وبكيت انا والجارية وطلبت الاقالة فلـم يرض فوضعت الدنانير فى الكيس وانا لا ادرى اين اذهب لان بـيتى موحـش منها وحـصل لى من البـكاء واللطـم والنحيـب ما لـم يحصل لى قطّ فدخلت بعض المساجد وقعدت ابكى فيه واندهشت حتى صرت لا اعلم بنفـسى فنمت وتـركت الكيس تحت راسـى كالمخدة فلم اشـعر الا وانسان قد جـذبه من تحت رأسى ومضـى يهرول فانتبهـت فزعا مرعوبا فلم اجـد الكيس فقمت اجـرى خلفه واذا برجلى مربوطة فـى حبل فوقعت على وجهى وصرت ابكى والطـم وقلت فى نفسى فارقتك روحك وضاع مالك وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والتسعون بعد الثمانمائة

قالت بلغنى أيها المـلك السعيد أن ذلك الفتى لما ضاع منه الكيـس قال قلت فى نفسى فارقـتك روحك وضاع مـالك وزاد بى الحال فـجئت الى الـدجلة وحمـلت ثوبى عـلى وجهى والقيت نفسى فى البحر ففطـن بى الحاضرون وقالوا ان ذلك لعظيم هم حصل له فرموا ارواحهـم خلفى واطلعونـى وسألونى عن أمرى فاخبـرتهم بما حصل لى فـتأسفوا لذلك ثم جائنى شيخ منهم وقال قد ذهبت مالك وكيف تتسبب فى ذهاب روحك فتكون من اهل النار قم معى حـتى ارى منزلك ففعلت ذلك فلما وصلنا الـى منزلى قعد عندى ساعة حتى سكن ما بى فشكرته على ذلك ثم انصرف فلما خرج من عندى كدت ان اقتل روحى فتذكرت الاخرة والنـار فخرجت من بيتى هاربا إلى بعض الاصـدقاء فاخبرته بما جرى لى فبكى رحمة لى واعطانى خمسـين دينارا وقال اقبل رأيى واخرج فى هذه الساعة من بغداد واجعل هذه نفقة لك الى ان يشتغل قلبك عن حبها وتسلو عنها وانت من اولاد اهل الانشـاء والكتابـة وخطك جيـد وادبك بارع فاقـصد من شئـت من العمـال واطرح

نفسك عليه لعل الله يجمعك بجاريتك فسمعت منه وقد قوى عزمى وزال عنى بعض همى وعزمت على انى اقصد ارض واسط لان لى بها اقارب فخرجت الى ساحل البحر فرأيت سفينة راسية والبحرية ينقلون اليها امتعة وقماشا فاخرا فسألتهم ان يأخذونى معهم فقالوا ان هذه السفينة لرجل هاشمي لا يمكننا اخذك على هذه الصورة فرغبتم فى الاجرة فقالوا ان كان ولابد فاقلع هذه الثياب الفاخرة التى عليك والبس ثياب الملاحين واجلس معنا كأنك واحد منا فرجعت وأشتريت شيئاً من ثياب الملاحين ولبسته وجئت الى السفينة وكانت متوجهة الى البصرة فنزلت معهم فما كان الا ساعة حتى رأيت جاريتى بعينها ومعها جاريتان يخدمانها فسكن ما كان عندى من الغيظ وقلت فى نفسى ها انا اراها واسمع غنائها الى البصرة فما اسرع ان جاء الهاشمى راكبا معه جماعة فنزلوا فى تلك السفينة وانحدرت بهم واخرج الطعام فاكل هو والجارية واكل الباقون فى وسط السفينة ثم قال الهاشمى للجارية كم هذا التمنع عن الغناء ولزوم الحزن والبكاء ما انت اول من فارق من يحب فعلمت ما كان عندها من امر حبى ثم ضرب ساترا على الجارية فى جانب السفينة واستدعى الذين كانوا فى ناحيتى وجلس معهم خارج الستارة فسألت عنهم فاذاهم اخوته ثم اخرج لهم ما يحتاجون اليه من الخمر والنقل ولم يزالوا يحثون الجارية على الغناء الى ان استدعت بالعود واصلحته واخذت تغنى فانشدت هذين البيتين

بان الخليط بمن احب فادلجوا ... وعن السرى بمناى لم يتحرجوا
والصب بعد أن استقل ركابهم ... جمر الغضا فى قلبه يتأجج

ثم غلبها البكاء ورمت العود وقطعت الغناء فتنغص القوم ووقعت انا مغشيا عليّ فظن القوم انى قد صرعت فصار بعضهم يقرء فى اذنى ولم يزالوا يلاطفونها ويطلبون منها الغناء الى ان اصلحت العود واخذت تغنى فانشدت هذين البيتين

فوقعت اندب ظاعنين تحملوا ... هم فى الفؤاد وان نأوا ترحلوا
ووقفت بالاطلال اسال عنهم ... والدار قفر والمنازل بلقع

ثم وقعت مغشيا عليها وارتفع البكاء من الناس وصرخت انا ووقعت مغشيا على وضج الملاحون منى فقال بعض غلمان الهاشمى كيف حملتم هذا المجنون ثم قال

بعضهم لبعض اذا وصلتم الى بعض القرى فاخرجوه واريحونا منه فحصل لى من ذلك هم عظيم وعذاب اليم فتجلدت غاية التجلد وقلت فى نفسى لا حيلة لى فى الخلاص من ايديهم الا اذا اعلمتها بمكانى من السفينة لتمتنع من اخراجى ثم سرنا حتي وصلنا الى قرب ضيعة فقال صاحب السفينة اصعدوا بنا الى الشاطئ فطلع القوم وكان ذلك وقت المساء فقمت حتى صرت خلف الستارة واخذت العود وغيرت الطرق طريقة بعد طريقة وضربت على الطريقة التي قد تعلمتها منى ثم رجعت الى موضعى من السفينة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والتسعون بعد الثمانمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الفتى قال ثم رجعت الى موضعى من السفينة وبعد ذلك نزل القوم من الشاطئ ورجعوا الى مواضعهم فى السفينة وقد انبسط القمر على البر والبحر فقال الهاشمى للجارية بالله عليك لا تنغصى علينا عيشنا فاخذت العود وجسته بيدها وشهقت فظنوا ان روحها قد خرجت ثم قالت والله ان استاذى معنا فى هذه السفينة فقال الهاشمى والله لو كان معنا ما ضيعته من معاشرتنا لانه ربما يخفف ما بك فننتفع بغنائك ولكن كونه فى السفينة امر بعيد فقالت لا اقدر علي ضرب العود وتقليب الاهوية ومولاى معنا قال الهاشمى نسأل الملاحين فقالت افعل فسألهم وقال هل حملتم معكم احدا فقالوا لا وخفت ان ينقطع السؤال فضحكت وقلت نعم انا استاذها وعلمتها حين كنت سيدها فقالت والله ان هذا كلام مولاى فجاءنى الغلمان وأخذونى الى الهاشمى فلما رأنى عرفنى فقال ويحك ما هذا الذى انت فيه وما اصابك حتى صرت فى هذه الحالة فحكيت له ما جرى من أمرى وبكيت وعلا نحيب الجارية من خلف الستارة وبكى الهاشمى هو وأخوته بكاء شديدا رأفة بى ثم قال والله ما دنوت من هذه الجارية ولا وطئتها ولا سمعت لها غناء الى اليوم وانا رجل قد وسع الله على وانما وردت بغداد لسماع الغناء وطلب ارزاقى من امير المؤمنين وقد بلغت الامرين ولما اردت الرجوع الى وطنى قلت فى نفسى اسمع شيئاً من غناء بغداد فاشتريت هذه الجارية ولم اعلم انكما على هذه الحالة فانا اشهد الله على ان هذه الجارية اذا وصلت الى البصرة اعتقها وازوجك اياها واجرى لكما ما يكفيكما وزيادة ولكن على شرط انى اذا اردت السماع يضرب لها ستارة وتغنى من خلف الستارة وانت من جملة اخوانى وندمائى

ففرحت بذلك ثم ان الهاشمى ادخل رأسه فى الستارة وقال لها ايرضيك ذلك فأخذت تدعو له وتشكره ثم استدعى بغلام له وقال له خذ بيد هذا الشاب وانزع ثيابه والبسه ثيابا فاخره وبخره وقدمه الينا فاخذني الغلام وفعل بى ما امره سيده وقدمنى اليه فوضع بين يدى الشراب مثل ما وضعه بين ايديهما ثم اندفعت الجارية تغنى باحسن النغمات وتنشد هذه الابيات

عيرون بان سكبت دموعى   حين جاء الحبيب للتوديع
لم يذوقوا طعم الفراق ولا ما   احرقت لوعة الاسى من ظلوعى
انما يعرف الغرام كئيب   ساق القلب بين تلك الربوع

قال فطرب القوم من ذلك طربا شديدا وزاد فرح الفتى بذلك حتى اخذ العود من الجارية وضرب به على احسن النغمات وانشد هذه الأبيات

اسأل العرف ان سألت كريما   لم يزل يعرف الغنى واليسارا
فسؤال الكريم يورث عزا   وسوال اللئيم يورث عارا
واذا لم يكن من الذل بد   فالق بالذل ان سألت الكبارا
ليس اجلالك الكريم بذل   انما الذل ان تجل الصغارا

ففرح القوم وزاد فرحهم ولم يزالوا فى فرح وسرور وانا اغنى ساعة والجارية ساعة الى ان جئنا الى بعض السواحل فرست السفينة هناك وصعد كل من فيها وصعدت انا ايضا وكنت سكران فقعدت ابول فغلبني النوم فنمت ورجعت الركاب الى السفينة وانحدرت بهم ولم يعلموا بي لأنهم كانوا سكارى وكنت دفعت النفقة الى الجارية ولم يبق معى شئ ووصلوا الى البصرة ولم انتبه الا من حر الشمس فقمت فى ذلك والتفت فما رأيت احدا او نسيت ان أسأل الهاشمى عن اسمه واين داره بالبصرة وباى شئ يعرف وبقيت حيرانا وكأن ما كنت فيه من الفرح بلقاء الجارية منام ولم ازل متحيرا حتى اجتازت بى مركب عظيمة فنزلت فيها ودخلت البصرة وما كنت اعرف بها احد ولا اعرف بيت الهاشمى فجئت الى بقال واخذت منه دواة وورقة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة التاسعة والتسعون بعد الثمانمائة

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن البغدادي صاحب الجارية لما دخل البصرة وصار حيران وهو لا يعرف احدا ولا يعرف دار الهاشمي قال فجئت الى بقال واخذت منه دواة وورقة وقعدت اكتب فاستحسن خطي ورأى ثوبي دنسا فسألني عن امري فاخبرته اني غريب فقير فقال اتقيم عندي ولك في كل يوم نصف درهم واكلك وكسوتك وتضبط لي حساب دكاني فقلت له نعم واقمت عنده وضبطت امره ودبرت له دخله وخرجه فلما كان بعد شهر رأى الرجل دخله زائداً وخرجه ناقصا فشكرني على ذلك ثم انه جعل لي في كل يوم درهما الى ان حال الحول فدعاني ان اتزوج بابنته ويشاركني في الدكان فاجبته الى ذلك ودخلت بزوجتي ولزمت الدكان الا اني منكسر الخاطر والقلب ظاهر الحزن وكان البقال يشرب ويدعوني الى ذلك فامتنع حزنا فاستمريت على تلك الحالة مدة سنتين فبينما انا في الدكان واذا بجماعة معهم طعام وشراب فسألت البقال عن القضية فقال هذا يوم المتنعمين يخرج فيه اهل الطرب واللعب والفتيان من ذوي النعمة الى شاطئ بحر يأكلون ويشربون بين الاشجار على نهر الايلة فدعتني نفسي الى الفرجة على هذا الامر وقلت في نفسي لعلي اذا شاهدت هؤلاء الناس اجتمع بمن احب فقلت للبقال اني اريد ذلك فقال شأنك والخروج معهم ثم جهز لي طعاما وشرابا وسرت حتى وصلت الى نهر الايلة فاذا الناس منصرفون اردت الانصراف معهم واذا بريس السفينة التي كان فيها الهاشمي والجارية بعينه وهو سائر في نهر الايلة فصحت عليهم فعرفني هو ومن معه واخذوني عندهم وقالوا لي هل انت حي وعانقوني وسألوني عن قصتي فأخبرتهم بها فقالوا لي انا ظننا انه قوي عليك السكر وغرقت في الماء فسألتهم عن حال الجارية فقالوا انها لما علمت بفقدك مزقت ثيابها واحرقت العود واقبلت على اللطم والنحيب فلما رجعنا مع الهاشمي الى البصرة قلنا لها اتركي هذا البكاء والحزن فقالت انا البس السواد واجعل لي قبرا في جانب هذه الدار فاقيم عند ذلك القبر واتوب عن الغناء فمكناها من ذلك وهي على تلك الحالة الى الآن ثم اخذوني معهم فلما وصلت الى الدار رأيتها على تلك الحالة فلما رأتني شهقت شهقة عظيمة حتى ظننت انها ماتت فاعتنقتها عناقا طويلا ثم قال لي الهاشمي خذها فقلت نعم ولكن اعتقها كما وعدتني

وزوجني بها ففعل ذلك ودفع الينا امتعة نفيسة وثيابا كثيرة وفرشا وخمسمائة دينار وقال هذا مقدار ما اردت اجرائه لكما فى كل شهر ولكن بشرط المنادمة وسماع الجارية ثم اخلى لنا دارا وامر بان ينقل اليها جميع ما نحتاج اليه فلما توجهت الى تلك الدار وجدتها قد غمرت بالفرش والقماش وحملت اليها الجارية ثم اننى جئت الى البقال واخبرته بجميع ما حصل لى وسألته ان يجعلنى فى حل من طلاق ابنته من غير ذنب ودفعت اليها مهرها وما يلزمنى واقمت مع الهاشمي على ذلك سنتين وصرت صاحب نعمة عظيمة وعادت لى حالتى التى كنت فيها انا والجارية فى بغداد وقد فرج الله الكريم عنا واسبغ جزيل النعم علينا وجعل مآل صبرنا الى الظفر بالمراد فله الحمد فى المبدء والمعاد والله اعلم ومما يحكى ايضا انه كان فى قديم الزمان وسالف العصر والاوان ملك فى بلاد الهند وكان ملكا عظيما طويل القامه حسن الصورة حسن الخلق كريم الطبائع محسنا للفقراء محبا للرعية ولجميع اهل دولته وكان اسمه جليعاد وكان تحت يده فى مملكته اثنان وسبعون ملكا ولبلاده ثلاثمائة وخمسون قاضيا وكان له سبعون وزيرا قد جعل على كل عشرة من عسكره رئيسا وكان اكبر وزرائه شخص يقال له شماس وكان عمره اثنين وعشرين سنة وكان حسن الخلق والطباع لطيفا فى كلامه لبيبا فى جوابه حاذقا فى جميع اموره حكيما مدبرا رئيسا مع صغر سنه عارفا بكل حكمه وادبه وكان الملك يحبه محبة عظيمة ويميل اليه لمعرفته بالفصاحة والبلاغة واحوال السياسة ولما اعطاه الله من الرحمة وخفض الجناح للرعية وكان ذلك الملك عادلا فى مملكته حافظا لرعيته مواصلا كبيرهم وصغيرهم بالإحسان وما يليق بهم من الرعاية والعطايا والامان والطمأنينة ومخففا للخراج عن كامل الرعية وكان محبا لهم كبيرا وصغيرا ومعاملا لهم بالاحسان اليهم والشفقة عليهم واتى فى حسن سيرته بينهم بما لم يأت به احد قبله ومع هذا كله لم يرزقه الله تعالى بولد فشق ذلك عليه وعلى اهل مملكته فاتفق ان الملك كان مضطجعا فى ليلة من الليالى وهو مشغول الفكر فى عاقبة امر مملكته ثم غلب عليه النوم فرأى فى منامه كأنه يصب ماء فى اصل شجرة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للتسعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الملك رأى فى منامه كأنه يصب ماء فى اصل شجرة وحول تلك الشجرة اشجار كثيرة واذا بنار قد خرجت من تلك الشجرة واحرقت جميع

ما كان حولـها من الشجار فـعند ذلك انتبـه الملك من منامـه فزعا مرعوبا واسـتدعى احد غلمانـه وقال له اذهب بسرعة وائـتنى بشماس الـوزير عاجلا فذهب الغـلام الى شماس وقال له ان الملك يدعوك فى هذه الساعة لانه انتبه من نومه مرعوبا فارسلنى اليك لتحضر عنده عاجلا فلما سمع شماس كلام الغـلام قام من وقته وساعته وتوجه الى الملك ودخل عليه فرأه قاعدا على فراشه فسجد بين يديه داعيا له بدوام العز والنعم وقال له لا احزنك الله ايها الملك مـا الذي اقلقك فى هذه الليلـة وما سبب طلبك اياى بسرعـة فاذن له الملك بالجلـوس فجلس وصار المـلك يقص عـليه ما رأي قائـلا انى رأيت فى ليـلتى هذه مـناما اهالنى وهو كانى اصب مـاء فى اصل شجرة وحول تلك الشجرة اشجار كثـيرة فبينما انا في هذه الحاله واذا بنار قد خرجت من اصل تلك الـشجرة واحرقت جميع ما حولها من الاشجـار كثيرة فـبينمـا انا فى هذه الحـالة واذا بنار قـد خرجت من اصـل تلك الشـجرة واحرقت جميـع ما حولها من الاشجار ففزعـت من ذلك واخذنى الرعب فانتـبهت عند ذلك وارسـلت دعوتك لـكثرة معـرفتك ولما اعـلمه مـن اتساع علـمك وغزارة فهـمك فاطرق شماس رأسه ساعة ثم تبسم فقال له الملك ماذا رأيت يا شماس اصدقنى الخبر ولا تخف عنـى شيئاً فاجابه شـماس وقال له ايها الملـك ان الله تعالى خولك وأقر عـينك وأمر هذه الرؤيا يؤول الـى كل خير وهو ان الله تعـالى يرزقك ولدا ذكرا يكون وارثـا للملك عنك من بعد عمر طـويل عمرك غير انه يكون فيه شىء لا أحب تفـسيره فى هذا الوقت لانه غير مـوافق لتفسيره فـفرح الملك بذلك فرحـا عظيما وزاد سروره وذهب عـنه فزعه وطابت نفسه وقال ان كان الأمر كذلك من حسن تأويل هذا المنام فكمل لى تأويله اذا جاء الوقت المـوافق لكمال تأويـله فالذى لاينـبغى تأويلـه الآن ينبغى ان تؤولـه لى اذا آن أوانه لأجل أن يكـمل فرحى لأنـى لا ابتغى بذلـك غير رضى الـله سبحانـه وتعالى فـلما رأى شماس من اللـمك انه مصمم على تمـام تفسيره احتج له بـحجة دفع بها عن نفـسه فعند ذلك دعا الملك بالمنجمين وجميع المعبرين لـلاحلام الذين فى مملكته فحضروا جميعا بين يديه وقـص عليهم ذلـك المنام وقال لهـم أريد منكم أن تخـبرونى بصحـة تفسيره فـتقدم واحد منهم وأخذ اذنا من الملك بالكلام فلما أذن له قال اعلم أيها الملك ان وزيرك شماسا ليس بعـاجز عن تفسير ذلـك وانما هو احتشم منك وسـكن روعك ولم يظهر لـك جميع التأويل بـالكلية ولكـن اذا أذنت لى بالكلام تكـلمت فقال له الملـك تكلم أيها المـفسر بلا

احتشام واصدق فى كلامك فقال المفسر اعلم أيها الملك انه يظهر منك غلام يكون وارثا لملكك عنك بعد طول حياتك ولكنه لايسير فى الرعية بسيرك بل يخالف رسومك ويجور على رعيتك ويصيبه ما أصاب الفار مع السنور فاستعاذ بالله تعالى فقال الملك وما حكاية السنور والفار فقال المفسر أطال الله عمر الملك أن السنور وهو القط سرح ليلة من الليالى الى شيء يفترسه فى بعض الغيطان فما وجد شيئا وضعف من شدة البرد والمطر الذى صار فى تلك الليلة فأخذ يحتال لنفسه بشيء فبينما هو دائر على تلك الحالة اذ رأى وكرا فى أسفل شجرة فدنا منه وصار يشمشم ويدندن حتى أحس بان داخل الوكر فار فحاوله وهم بالدخول عليه لكي يأخذه فلما أحس به الفار أعطاه قفاه وصار يزحف على يديه ورجليه لكي يسد باب الوكر عليه فعند ذلك صار السنور يصوت صوتا ضعيفا ويقول له لم تفعل ذلك يا أخي وانا ملتجيء اليك لتفعل معى رحمة بان تقرنى فى وكرك هذه الليلة لأنى ضعيف الحال من كبر سنى وذهاب قوتى ولست اقدر على الحركة وقد توغلت فى هذا الغيط هذه الليلة وكم دعوت بالموت على نفسى لكى استريح وها أنا على بابك طريح من البرد والمطر وأسألك بالله من صدقتك ان تأخذ بيدى وتدخلنى عندك وتأوينى فى دهليز وكرك لأنى غريب ومسكين وقد قيل من آوى بمنزله غريبا مسكينا كان مأواه الجنة يوم الدين فانت يا أخي حقيق بان تكسب أجرى وتأذن لى فى أن أبيت عندك هذه الليلة الى الصباح ثم أروح الى حال سبيلى وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الأولى بعد التسعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن السنور لما قال للفأر ائذن لى أن أبيت عندك هذه الليلة ثم أروح الى حال سبيلى فلما سمع الفار كلام السنور قال له كيف تدخل وكرى وأنت لى عدو بالطبع ومعاشك من لحمى وأخاف ان تغدر بى لأن ذلك من شميتك لأنه لا عهد لك وقد قيل لاينبغى الأمان للرجل الزانى على المرأة الحسناء ولا للفقير العائل على المال ولا للنار على الحطب وليس بواجب على ان استأمنك على نفسى وقد قيل عداوة الطبع كلما ضعف صاحبها كانت أقوى فأجاب السنور قائلا بأخمد صوت وأسوء حال ان الذى قلته من المواعظ حق ولست أنكر عليك ولكن أسألك الصفح عن مامضى

من العداوة الطبيعية التى بينى وبينك لأنه قد قبل من صفح عن مخلوق مثله صفح خالقه عنه وقد كنت قبل ذلك عدوا لك وها أنا اليوم طالب صداقتك وقد قيل إذا أردت ان يكون عدوا لك صديقا فافعل معه خيرا وأنا يا أخى اعطيك عهد الله وميثاقه انى لا أضرك ابدا ومع هذا ليس له قدرة على ذلك فثق بالله وافعل خيرا واقبل عهدى وميثاقى فقال الفار كيف اقبل عهد من تأسست العداوة بينى وبينه وعادته ان يغدر بى ولو كانت العداوة بيننا على شيء من الأشياء غير الدم لهان على ذلك ولكنها عداوة طبيعية بين الأرواح وقد قيل من استأمن عدوه على نفسه كان كمن ادخل يده فى فم الأفعى فقال السنور وهو ممتلىء غيظا قد ضاق صدرى وضعفت نفسى وها أنا فى النزع وعن قليل أموت على بابك ويبقى اثمى عليك لأنك قادر على نجاتى مما انه فيه وهذا آخر كلامى معك فحصل للفار خوف من الله تعالى ونزلت فى قلبه الرحمة وقال فى نفسه من أراد المعونة من الله تعالى على عدوه فليصنع معه رحمة وخيرا وأنا متوكل على الله فى هذا الأمر وانقذ هذا السنور من هذا الهلاك لأكسب أجره فعند ذلك خرج الفأر الى السنور وادخله فى وكره سحبا فأقام عنده الى ان اشتد واستراح وتعافى قليلا فصار يتأسف على ضعفه وذهاب قوته وقلة أصدقائه فصار الفار يترفق به ويأخذ بخاطره ويتقرب منه ويسعى حوله واما السنور فانه زحف الى الوكر حتى ملك المخرج خوفا أن يخرج منه الفار فلما أراد الخروج قرب من السنور على عاداته فلما صار قريبا منه قبض عليه وأخذه بين أظافره وصار يعضه وينتره ويأخذه فى فمه ويرفعه عن الأرض ويرميه ويجرى وراءه وينهشه ويعذبه فعند ذلك استغاث الفار وطلب الخلاص من الله وجعل يعاتب السنور ويقول اين العهد الذى عاهدتنى به واين أقسامك التى أقسمت بها اهذا جزائى منك وقد أدخلتك وكرى واستأمنتك على نفسى ولكن صدق من قال من أخذ عهدا من عدوه لا يبتغي لنفسه نجاة ومن قال من سلم نفسه لعدوه كان مستوجبا لنفسه الهلاك ولكن توكلت على خالقى فهو الذى يخلصنى منك فبينما هو على تلك الحالة مع السنور وهو يريد ان يهجم عليه ويفترسه واذا برجل صياد معه كلاب جارحة معودة بالصيد فمر منهم كلب على باب الوكر فسمع فيه معركة كبيرة فظن انه فيه ثعلبا يفترس شيئا فاندفع الكلب منحدرا ليصطاده فصادف السنور فجذبه اليه فلما وقع السنور بين يدى الكلب التهى بنفسه واطلق الفار حيا ليس فيه جرح واما هو فانه خرج به الكلب الجارح بعد أن

قطع عصبه ورماه ميتا وصدق فى حقهما قول من قال من رحم رحم آجلا ومن ظلم ظلم عاجلا هذا ماجرى لهما ايها الملك فلذلك لايـنبغى لأحد أن ينقض عهد من استأمنه ومن غدر وخان يـحصل له مثل مـاحصل للسنـور لأنه كما يديـن الفتى يدان ومن يـرجع الى الخير يـنل الثواب ولكـن لا تحزن أيها الملـك ولا يشق عليـك ذلك لأن ولدك بعد ظـلمه وعسفـه ربما يعود الى حســن سيرتك وان هذا الـعالم الذي هو وزيرك شـماس احب أن لايكتم عليك شيئا فيما رمزه اليك وذلك رشد منه لأنه قد قيل أكثر الناس خوفا أوسعهم علمـا وأغبطهم خـيرا فاذعن المـلك عند ذلك وأمـر لهم باكرام جـزيل ثم صرفـهم وقام ودخل مكانه وصار يـتفكر فى عاقبة أمره فلـما كان الليل افضى الى بعـض نسائه وكانت أكرمهن عنده واحبهن اليه فراقدها فلما مضى لها نحو اربعة أشهر تحرك الحمل فى بطنها ففرحت بذلك فرحا شديدا وأعلمت الملك بذلك فقال صدقت رؤياى والله المستعان ثم انه أنزلها أحسن المنـازل وأكرمها غاية الاكرام واعطاها انعاما جزيلا وخـولها بشىء كثيرة وبعد ذلك دعا ببعض الغلمان وأرسله ليحـضر شماسا فلما حضر حدثه الملك صار من حمل زوجـته وهو فرحان قـائلا بعد صدقـت رؤياى واتصل رجـائى فلعل ذلـك الحمل يكون ولـدا ذكرا ويكون وارثا لمـلكى فما تـقول ياشماس فـى ذلك فسكت شـماس ولم ينطق بجواب فقـال له الملك مالى أراك لاتفرح لفرحى ولا ترد لـى جوابا ياترى هل أنت كاره لهذا الأمر ياشمـاس فسجد عند ذلك شماس بين يدى الملـك وقال ايها الملك اطال الله عمرك ما الذى ينفع المستظل بشجرة اذا كانت النار تخرج منها وما لذة شارب الخمر الصافى اذا حصل لها بها الشرق وما فائدة الناهل من الماء العذب البارد اذا غرق فيه وانما انا عبدالله ولك ايها الملك ولكن قد قيل ثلاثة أشياء لاينبغى للعاقل ان يتكلم فى شأنها الا اذا تمت المسافـر حتى يرجع من سفره والـذى فى الحرب حتى يقهر عـدوه والمرأة الحامل حتى تضع حملها وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الثانية بعد التسعمائة

قالت بلغـنى ايها الملك السعـيد أن الوزير شماس لما قال لـلملك ثلاثة أشياء لايـنبغى للعاقـل أن يتكلم فى شـأنها الا اذا تمت قال له بـعد ذلك فاعلم ايـها الملك ان المتكـلم فى شأن شىء لـم يتم مثل النـاسك المدفوق على رأسـه السمن فقـال له الملك وكيف حـكاية

الناسك وما جرى له فقال له ايها الملك انه كان انسان عند شريف من أشراف بعض المدن وكان للناسك جراية فى كل يوم من رزق ذلك الشريف وهى ثلاثة أرغفة مع قليل من السمن والعسل وكان السمن فى ذلك البلد غاليا وكان الناسك يجمع الذى يجيىء اليه فى جرة عنده حتى ملأها وعقلها فوق رأسه خوفا واحتراسا فبينما هو ذات ليلة من الليالى جالس على فراشه وعصاه فى يده اذ عرض له فكر فى أمر السمن وغلائه فقال فى نفسه ينبغى ان أبيع هذا السمن الذى عندى جميعه واشترى بثمنه نعجة وأشارك عليها أحدا من الفلاحين فانها فى أول عام تلد ذكر وأنثى وثانى عام تلد أنثى وذكرا ولا تزال هذه الغنم تتوالد ذكورا واناثا حتى تصير شيئا كثيرا واقسم حصتى بعد ذلك وابيع ماشئت وأشترى الأرض الفلانية وانشىء فيها غيطا وابنى فيها قصرا عظيما واقنى ثيابا وملبوسا واشترى عبيدا وجوارى وأتزوج بنت التاجر الفلانى وأعمل عرسا ما صار مثله قط وأذبح الذبايح وأعمل الأطعمة الفاخرة والحلويات والملبسات وغيرها وأجمع فيه أهل الملاعب والفنون وآلات السماع وأجهز الأزهار والمشمومات وأصناف الرياحين وادعو الأغنياء والفقراء والعلماء والرؤساء وأرباب الدولة وكل من طلب شيئا أحضرته اليه وأجهز أنواع المآكل والمشارب واطلق مناديا ينادى من يطلب شيئا ناله وبعد ذلك ادخل على عروستى بعد جلائها واتمتع بحسنها وجمالها وآكل وأشرب وأطرب وأقول لنفسى قد بلغت مناك واستريح من النسك والعبادة وبعد ذلك تحمل زوجتى وتلد غلاما ذكرا فأفرح به وأعمل له الولايم وأربيه فى الدلال وأعلمه الحكمة والأدب والحساب وأشهر اسمه بين الناس وافتخر به عند أرباب المجالس وآمره بالمعروف فلا يخالفنى وانهاه عن الفاحشة والمنكر وأوصيه بالتقوى وفعل الخير وأعطيه العطايا الحسنة السنية فان رأيته لزم الطاعة زدته عطايا صالحة وان رأيته مال الى المعصية أنزل عليه بهذه العصا ورفعها ليضرب بها ولده فأصابت جرة السمن التى فوق رأسه فكسرتها فعند ذلك نزلت بشقافتها عليه وساح السمن على رأسه وعلى ثيابه وعلى لحيته وصار عبرة فلأجل ذلك ايها الملك لاينبغي للانسان أن يتكلم على شىء قبل ان يصير فقال له الملك لقد صدقت فيما قلت ونعم الوزير انت لكونك بالصدق نطقت وبالخير أشرت ولقد صارت رتبتك عندى على ماتحب ولم تزل مقبولا فسجد شماس لله وللملك ودعا له بدوام النعم وقال له ادام الله أيامك واعلا شأنك وأعلم أننى لست أكتم عنك شيئا لا فى

السر ولا فى العلانية ورضاك رضاى وغضبك غضبى وليس لى فرح الا بفرحك ولا يمكننى ان أبيت وانت ساخط على لأن الله تعالى رزقنى بكل خير باكرامك اياى فأسأل الله تعالى ان يحرسك بملائكته ويحسن ثوابك عند لقائه فابتهج الملك عند ذلك ثم قام شماس وانصرف من عند الملك ثم بعد مدة وضعت زوجة الملك غلاما ذكرا فنهض المبشرون الى الملك وبشروه بغلامه ففرح بذلك فرحا شديدا وشكر الله شكرا جزيلا وقال الحمد لله الذى رزقنى ولدا بعد اليأس وهو الشفوق الرؤوف على عباده ثم أن الملك كتب الى سائر أهل مملكته ليعلمهم بالخبر ويدعوهم الى منزلة فحضر له الأمراء والرؤساء والعلماء وأرباب الدولة الذين تحت أمره هذا ما كان من أمر الملك واما ما كان من أمر ولده فانه قد دقت له البشائر والأفراح فى سائر المملكة وأقبل أهلها الى الحضور من سائر الأقطار واقبل أهل العلوم والفلسفة والأدباء والحكماء ودخلوا جميعهم الى الملك ووصل كل منهم الى حد مقامه ثم أشار الى الوزراء السبعة الكبار الذين رئيسهم شماس ان يتكلم كل واحد منهم على قدر ما عنده من الحكمة فى شأن ماهو بصدده فابتدأ رئيسهم الوزير شماس واستأذن الملك فى الكلام فاذن له فقال الحمد لله الذى انشأنا من العدم الى الوجود المنعم علي عباده الملوك أهل العدل والانصاف بما أولاهم من الملك والعمل الصالح وبما أجراه على أيديهم لرعيتهم من الرزق وخصوصا ملكنا الذى أحيى به موات بلادنا بما أسداه الله علينا من النعم ورزقنا من سلامته برخاء العيش والطمأنينة والعدل فأى ملك يصنع بأهل مملكته ماصنع هذا الملك بنا من القيام بمصالحنا وأداء حقوقنا وانصاف بعضنا من بعض وقلة الغفلة عنا ورد مظالمنا ومن فضل الله على الناس أن يكون ملكهم متعهدا لأمورهم وحافظا لهم من عدوهم لأن العدو قصده ان يقهر عدوه وان يملكه فى يده وكثير من الناس يقدمون أولادهم الى الملوك خدماء فيصيرون عندهم بمنزلة العبيد لأجل ان يمنعوا عنهم الأعداء وأما نحن فلم يطأ بلادنا أعداء فى زمن ملكنا لهذه النعمة الكبرى والسعادة العظمى التى لم يقدر الواصفون على وصفها وانما هو فوق ذلك وانت أيها الملك حقيق بأنك أهل النعمة العظيمة ونحن تحت كنفك وفى ظل جناحك أحسن الله ثوابك وأدام بقاءك لأننا كنا قبل ذلك نجد فى الطلب من الله تعالى ان يمن علينا بالاجابة ويبقيك لنا ويعطيك ولدا صالحا تقربه عيناك والله سبحانه وتعالى قد تقبل منا واستجاب دعاءنا وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الثالثة بعد التسعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الوزير شماس قال للملك ان الله تعالى قد تقبل منا واستجاب دعاءنا وآتانا الفرج القريب مثل ما أتى بعض السمك فى غدير الماء فقال الملك وما حكاية السمك وكيف ذلك فقال شماس اعلم أيها الملك انه كان فى بعض الأماكن غدير ماء وكان فيه بعض سمكات فعرض لذلك الغدير انه قل ماؤه وصار ينضم بعضه الى بعض ولم يبق من الماء مايسعفها فكادت ان تهلك وقالت ماعسى أن يكون من أمرنا وكيف نحتال ومن نستشيره فى نجاتنا فقامت سمكة منهن وكانت أكبرهن عقلا وسنا وقالت مالنا حيلة فى خلاصنا الا الطلب من الله لكن نلتمس الرأى من السرطان فأنه أكبرنا فهلموا بنا اليه لننظر مايكون من رأيه لأنه أكثر منا معرفة بحقائق الكلام فاستحسنوا رأيها وجاءوا بأجمعهم الى السرطان فوجدوه رابضا فى موضعه وليس عنده علم ولا خبر بما هم فيه فسلموا عليه وقالوا له ياسيدنا اما يعنيك أمرنا وانت حاكمنا ورئيسنا فأجابهم السرطان قائلا وعليكم السلام ما الذي بكم وما تريدون فقصوا عليه قصتهم وما دهاهم من أمر نقص الماء وانه متى نشف حصل لهم الهلاك ثم قالوا له وقد جئناك منتظرين رأيك وما يكون فيه النجاة لأنك كبيرنا واعرف منا فعند ذلك أطرق رأسه مليا ثم قال لاشك ان عندكم نقص عقل ليأسكم من رحمة الله تعالى وكفالته بأرزاق خلائقه جميعا ألم تعلموا ان الله سبحانه وتعالى يرزق عباده بغير حساب وقدّر أرزاقهم قبل أن يخلق شيئا من الأشياء وجعل لكل شخص عمرا محدودا ورزقا مقسوما بقدرته الالهية فكيف نحمل هم شيء هو فى الغيب مسطور والرأى عندى انه لم يكن أحسن من الطلب من الله تعالى فينبغى ان كل واحد منا يصلح سريرته مع ربه في سره وعلانيته ويدعو الله ان يخلصنا وينقذنا من الشدائد لأن الله تعالى لايخيب رجاء من توكل عليه ولا يرد طلب من توسل اليه فاذا أصلحنا أحوالنا استقامت أمورنا وحصل لنا كل خير ونعمة واذا جاء الشتاء وغمر أرضنا بدعاء صالحنا فلايهدم الخير الذى بناه فالرأى ان نصبر وننتظر مايفعله الله بنا فان كان يحصل لنا موت على العادة استرحنا وان كان يحصل لنا مايوجب الهروب هربنا ورحلنا من أرضنا الى حيث يريد الله فأجاب السمك جميعه من فم واحد صدقت ياسيدنا جزاك الله عنا خيرا وتوجه كل واحد منهم الى موضعه فما مضى

الا أيام قلائل وأتاهم الله بمطر شديد حتى ملأ محل الغدير زيادة عما كان أولا وهكذا نحن ايها الملك كنا يائسين من ان يكون لك ولد وحيث من الله علينا وعليك بهذا الولد المبارك فنسأل الله تعالى أن يجعله ولدا مباركا وان يقربه عينيك ويجعله خليفة صالحا ويرزقنا منه مثل مارزقنا منك فان الله تعالى لايخيب من قصده ولا ينبغي لأحد أن يقطع رجاءه من رحمة الله ثم قام الوزير الثانى وسلم على الملك فأجابه الملك قائلا وعليكم السلام فقال ذلك الوزير أن الملك لايسمى ملكا الا اذا أعطى وعدل وحكم وأكرم وأحسن سيرته مع رعيته باقامة الشرائع والسنن المألوفة بين الناس وانصف بعضهم من بعض وحقن دماءهم وكف الأذى عنهم ويكون موصوفا بعدم الغفلة عن فقرائهم وأسعاف اعلاهم وأدناهم واعطائهم الحق الواجب لهم حتى يصيروا جميعا داعين له ممتثلين لأمره لأنه لاشك ان الملك الذى بهذه الصفة محبوب عند الرعية مكتسبا من الدنيا علاها ومن الآخرة شرفها ورضى خالقها ونحن معاشر العبيد معترفون لك أيها الملك بان جميع ماوصفناه عندك كما قيل خير الأمور ان يكون ملك الرعية عادلا وحكيمها ماهرا وعالمها خبيرا عاملا بعلمه ونحن الآن متنعمون بهذه السعادة وكنا قبل ذلك قد وقعنا فى اليأس من حصول ولدك يرث ملكك ولكن الله جل اسمه لم يخيب رجاءك وقبل دعاءك لحسن ظنك به وتسليم أمرك اليه فنعم الرجاء رجاؤك وقد صار فيك ما صار للغراب والحية فقال الملك وكيف ذلك وما حكاية الغراب والحية فقال الوزير اعلم أيها الملك انه كان غراب ساكنا فى شجرة هو وزوجته فى أرغد عيش الى أن بلغا زمان تفريخهما وكان زمن القيظ فخرجت حية من وكرها وقصدت تلك الشجرة فتعلقت بفروعها الى أن صعدت الى عش الغراب وربضت فيه ومكثت مدة أيام الصيف وصار الغراب مطرود لايجد له فرصة ولا موضعا يرقد فيه فلما انقضت أيام الحر ذهبت الحية الى موضعها فقال الغراب لزوجته نشكر الله تعالى الذي نجانا وخلصنا من هذه الآفة ولو كنا حرمنا من الزاد فى هذه السنة لأن الله تعالى لايقطع رجاءنا فنشكره علي مامن علينا من السلامة وصحة أبداننا وليس لنا اتكال الا عليه واذا أراد الله وعشنا الى العام القابل عوض الله علينا نتاجنا فلما كان وقت تفريخهما خرجت الحية من موضعها وقصدت الشجرة فبينما هى متعلقة ببعض أغصانها وهى قاصدة عش الغراب على العادة واذ بحدأة قد انفضت عليها وضربتها فى رأسها فخدشتها فعند ذلك سقطت

الحية على الأرض مغشيا عليها وطلع عليه النمل فأكلها وصار الغراب مع زوجته فى سلامة وطمأنينة وفرخا أولادا كثيرة وشكرا الله على سلامتهما وعلى حصول الأولاد ونحن ايها الملك يجب علينا شكر الله على ما أنعم به عليك وعلينا بهذا المولود المبارك السعيد بعد اليأس وقطع الرجاء احسن الله ثوابك وعاقبة أمرك وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الرابعة بعد التسعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الوزير الثانى لما فرغ من كلامه ختمه بقوله احسن ثوابك وعاقبة أمرك ثم قام الوزير الثالث وقال ابشر ايها الملك العادل بالخير العاجل والثواب الأجل لأن كل من تحبه أهل الأرض تحبه أهل السماء والله تعالى قسم لك المحبة وجعلها فى قلوب أهل مملكتك فله الشكر وله الحمد منا ومنك لكى يزيد نعمته عليك وعلينا بك وأعلم أيها الملك أن الانسان لايستطيع شيئا الا بأمر الله تعالى وأنه هو المعطى وكل خير عند شخص اليه ينتهى قسم النعم على عبيده كما يحب فمنهم من أعطاه مواهب كثيرة ومنهم من شغله بتحصيل القوت ومنهم من جعلهم رئيسا ومنهم من جعله زاهدا فى الدنيا راغبا اليه لأنه هو الذي قال انا الضار النافع أشفى وأمرض وأغني وأفقر وأميت وأحيى وبيدى كل شىء والى المصير فواجب على جميع الناس شكره وانت ايها الملك من السعداء الأبرار كما قيل ان أسعد الأبرار من جمع الله له بين خيرى الدنيا والآخرة ويقنع بما قسم الله له ويشكره على ما أقامه ومن تعدى وطلب غير ماقدر الله له وعليه يشبه حمار الوحش والثعلب قال الملك وما حديثهما قال الوزير اعلم أيها الملك ان ثعلبا كان يخرج كل يوم من وطنه ويسعى على رزقه فبينما هو ذات يوم فى بعض الجبال واذا بالنهار قد انقضى وقصد الرجوع فاجتمع على ثعلب رآه ماشيا وصار كل منهما يحكى لصاحبه حكايته مع ما افترسه فقال احدهما اننى بالأمس وقعت فى حمار وحشى وكنت جائعا وكان لى ثلاثة أيام ما أكلت ففرحت بذلك وشكرت الله تعالى الذى سخره لى ثم انى عمدت الى قلبه فأكلته وشبعت ثم رجعت الى وطنى ومضى على ثلاثة أيام لم أجد شيئا آكله ومع ذلك انا شبعان الى الآن فلما سمع الثعلب الحكاية حسده على شبعه وقال فى نفسه لابد لى من أكل قلب حمار الوحش فترك الأكل

اياما حتى انـهزل وأشرف على الموت وقصر سعيـه واجتهاده وربض فى وطنه فبـينما هو فى وطنـه ذات يوم من الأيام واذا بـصيادين مـاشيين قاصديـن الصيد فـوقع لهمـا حمار وحشى فأقاما النهـار كله فى أثره طردا ثم أن بعضهما رماه بسهـم مشعب فأصابه ودخل جوفه واتـصل بقلـبه فقتـله مقابـل وكر الثعـلب المذكور فـأدركه الصيـادان فوجداه ميـتا فاخرجا الـسهم الذى أصابه فـى قلبه فلم يـخرج الا العود وبقى الـسهم مشعبـا فى بطن حمار الوحش فلما كـان المساء خرج الثعلب من وطنه وهو يتضـجر من الضعف والجوع فرأى حمار الوحش على بابه طريحا ففرح فرحا شديدا حتي كاد أن يطير من الفرح فقال الحمد لله الذى يسر لى شهوتى من غير تعب لأنى كنت لا أؤمل ان أصيب حمار وحش ولا غيره ولعـل الله أوقع هذا وساقـه الى فى موضعى ثـم وثب عليه وشق بـطنه وأدخل رأسه وصار يجول بـفمه فى أمعائه الى أن وجـد القلب فالتقمـه بفمه وابتلعه فـلما صار داخل حلقه اشتبك شـعب السهم فى عظم رقبته ولم يقدر على ادخـاله فى بطنه ولا على اخراجه من حلقه وأيقن بالهلاك فلهذا ايها المـلك ينبغى للانسان ان يرضى بما قسمه الله له ويشكر نعمه عليه ولا يقطع رجاءه مـن مولاه وها أنت ايها الملك بحسن نيتك واسداء معروفـك رزقك الله ولدا بعـد اليأس فنسأل الله تعالـى أن يرزقه عمرا طويـلا وسعادة دائمة ويجعله خلفـا مباركا موفيا بعهدك من بعدك بعد طول عـمرك ثم قام الوزير الرابع وقال ان الملك اذا كـان فهيما عالمـا بأبواب الحكمة وأدرك شـهرزاد الصباح فسـكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الخامسة بعد التسعمائة

قالت بـلغنى أيها المـلك السعيد ان الـوزير الرابع لما قـام وقال ان الملك اذا كان فهـيما عالما بأبـواب الحكمة والأحكام والـسياسة مع صلاح النـية والعدل فى الرعـية واكرام من يجب اكرامه وتوقير مـن يجب توقيره والعفو عند القدرة فيمـا لابد منه ورعاية الرؤساء والمرؤسين والتخفـيف عنهم والانعام عليهم وسـتر عوراتهم والوفاء بعهدهـم كان حقيقا بالسعادة الـدنيوية والأخروية فان ذلك ممـا يعيذه منهم ويعلـينه على ثبات ملـكه ونصرته على أعدائـه وبلوغ مأموله مـع زيادة نعمة الله عـليه وتوفيقه لـشكره والفوز بعـنايته وان الملك اذا كان بخلاف ذلك فـانه لم يزل فى مصائب وبلايا هو وأهل ممـلكته لكون جوره على الغريب والقريب ويصير فيه ماصـار لابن الملك السايح فقال الملك وكيف كان ذلك

فقال الوزير اعلم ايها الملك انه كان فى بلاد الغرب ملك جائر فى حكمه ظالم غاشم عاسف مضيع لرعاية رعيته ومن يدخل فى مملكته فكان لايدخل فى مملكته احد الا وتأخذ عماله منه أربعة أخماس ماله ويبقون له الخمس لاغير فقدر الله انه كان له ولد سعيد موفق فلما رأى أحوال الدنيا غير مستقيمة تركها وخرج سايحا عابدا لله تعالى من صغره ورفض الدنيا وما فيها وخرج فى طاعة الله تعالى يسرح فى البرارى والقفار ويدخل المدن ففى بعض الأيام دخل تلك المدينة فلما وقف على المحافظين أخذوه وفتشوه فلم يروا معه شيئا سوى ثوبين أحدهما جديد والآخر عتيق فنزعوا منه الجديد وتركوا له العتيق بعد الاهانة والتحقير فصار هو يشكو ويقول ويحكم ايها الظالمون انا رجل فقير وسايح وما عسى أن ينفعكم من هذا الثوب واذا لم تعطوه لى ذهبت للملك وشكوتكم اليه فأجابوه قائلين اننا فعلنا ذلك بأمر الملك فما بدا لك ان تفعله فافعله فصار السايح يمشى الى أن وصل الى بلاد الملك وأراد الدخول فمنعه الحجاب فرجع قال فى نفسه مالى الا ان أرصده حتى يخرج وأشكو اليه حالى وما أصابنى فبينما هو على تلك الحالة ينتظر خروج الملك اذ سمع أحد الأجناد يخبر عنه فأخذ يتقدم قليلا قليلا حتى وقف قبال الباب فما شعر الا والملك خارج فعارضه السايح ودعا له النصر وأخبره بما وقع له من المحافظين وشكا اليه حاله وأخبره انه رجل من أهل الله رفض الدنيا وخرج طالبا رضاء الله تعالى فصار سايحا فى الأرض وكل من وفد عليه من الناس أحسن اليه بما أمكنه وصار يدخل كل مدينة وكل قرية وهو على هذه الحالة ثم قال فلما دخلت هذه المدينة ترجيت ان يفعل بى اهلها مثل مايفعل بغيرى من السائحين فعارضنى اتباعك ونزعوا اثوابى والهفونى ضربا فأنظر فى شأنى وخذ بيدى وخلص لى ثوبى وأنا لا أقيم بهذه المدينة ساعة واحدة فأجابه الملك الظالم قائلا من أشار عليك بدخولك هذه المدينة وانت غير عالم بما يفعل ملكها فقال بعد أن آخذ ثوبى افعل بى مرادك فلما سمع ذلك الملك الظالم من السايح هذ الكلام حصل عنده تغيير مزاج فقال ايها الجاهل نزعنا عنك ثوبك لكى تذل وحيث وقع منك مثل هذا الصياح عندى فأنا أنزع نفسك منك ثم أمر بسجنه فلما دخل السجن جعل يندم على ماوقع منه من الجواب وعنف نفسه حيث لم يترك ذلك ويفوز بروحه فلما كان نصف الليل قام وصلى صلاة مطولة وقال يا الله انك انت الحكم العدل تعلم بحالى وما انطوى عليه امرى من هذا الملك الجائر وأنا عبدك المظلوم أسألك من فيض رحمتك ان تنقذنى من يده هذا الملك الظالم وتحل به نقمتك لأنك لا تغفل عن

ظلم كـل ظالم فان كنت تـعلم انه ظلمـنى فاحلل نـقمتك عليـه فى هذه الليلـة وأنزل به عذابك لأن حـكمك عدل وانت غـياث كل ملهـوف يامن له الـقدرة والعظمـة الى آخر الدهر فلما سمع السجان دعاء هذا المسكين صار جـميع مافيه من الأعضاء مرعوبا فبينما هو كذلـك واذا بنار قادت فـى القصر الذى فـيه الملك فـاحرقت جميـع مافيه حـتى باب السجن ولم يخلص سوى السجان والسايح فـانطلق السايح وسار هو والسجان ولم يزالا سائرين حتى وصلا الى غير تلك المدينة واما مدينة الملك الظالم فانها احترقت عن آخرها بسبب جور ملـكها واما نحن ايها الملك الـسعيد فما نمسى ونصبـح الا ونحن داعون لك وشاكرون اللّه تعـالى على فضله بوجودك مطـمئنين بعدلك وحسن سيـرتك وكان عندنا غم كثير لعدم ولدلـك يرث ملكك خوفا من أن يصير علينـا ملك غيرك من بعدك والآن قد أنعم الله بكرمـه علينا وأزال عنا الغم وأتانا بالسرور بوجود هـذا الغلام المبارك فنسأل الله تـعالى ان يجعلـه خليفة صـالحا ويرزقه العـز والسعادة الباقـية والخير الدائـم ثم قام الوزير الخامس وقال تبارك الله العظيم وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة السادسة بعد التسعمائة

قالت بلغنى أيها المـلك السعيد أن الوزير الخامس قال تبارك الله العـظيم مانح العطايا الصالحة والمواهب السنية وبعد فانا تحققنا ان الـله ينعم على من يشكره ويحافظ على دينه وانت ايها الملك السعيد الموصوف بهذه المناقب الجليلة والعدل والانصاف بين رعيتك بما يرضى الـله تعالى فـلأجل ذلك اعلا الله شـأنك وأسعد أيامـك ووهب لك هذه العـطية الصالحة الـتى هى هذا الولد الـسعيد بعد اليأس وصـار لنا بذلك الفرح الـدائم والسرور الذى لاينقطع لأننا قبل ذلك كنا فى هـم شديد وغم زائد بسبب عدم ولد لك وفى أفكار فيما أنت منطو علـيه من عدلك ورأفتك بنا وخوفا ان يقضى الله عـليك بالموت ولم يكن لك من يـخلفك ويرث الملـك من بعدك فيختـلف رأينا ويقـع بيننا الشـقاق ويصير بيـننا ماصار للغراب فقال الملك وما حكاية الغراب فأجابه الوزير قائلا اعلم أيها الملك السعيد أنه كان فى بعض البـرارى واد متسع وكان به أنهار وأشجار وأثمار وبه أطـيار تسبح الله الواحد القهار خالق الـليل والنهار وكان من جملة الطيور غربـان وكانوا فى أطيب عيش وكان المقدم عليهم والحـاكم بينهم غراب رؤوف بهم شفوق عليهـم وكانوا معه فى أمان وطمأنينة ومن حسن تصـريفهم فيما بينهم لم يكن أحد من الطيـور يقدر عليهم فاتفق ان

مقدمهم توفى وجاءه الأمر المحتوم على سائر الخلق فحزنوا عليه حزنا شديدا ومن زيادة حزنهم انه لم يكن فيهم احد مثله يقوم مقامه فاجتمعوا جميعا وأتمروا فيما بينهم على من يقوم عليهم بحيث يكون صالحا فطائفة منهم اختاروا غرابا وقالوا ان هذا يصلح ان يكون ملكا علينا وآخرون اختلفوا فيه ولم يريدوه فوقع بينهم الشقاق والجدال وعظمت الفتنة بينهم وبعد ذلك حصل بينهم توافق وتعاهدوا على أن يناموا تلك الليلة ولا يبكر أحد الى السروج فى طلب المعيشة غداً بل يصبرون جميعا الى الصباح وعند طلوع الفجر يكونون مجتمعين في موضع واحد ثم ينظرون الى كل طير يسبق فى الطيران وقالوا انه هو الذى يكون مختارا عندنا للملك فنجعله ملكا علينا ونوليه أمرنا فرضوا كلهم بذلك وعاهد بعضهم بعضا واتفقوا على هذا العهد فبينما هم على ذلك الحال اذ طلع باز قالوا له يا أبا الخير نحن اخترناك واليا علينا لتنظر فى أمرنا فرضى الباز بما قالوا وقال لهم ان شاء الله تعالى سيكون لكم منى خير عظيم ثم أنهم بعد ماولوه عليهم صار كل يوم اذا سرح وسرح الغربان يستفرد بأحدهم ويضربه ويأكل دماغه وعينيه ويترك الباقى ولم يزل معهم هكذا حتى فطنوا به فرأوا غالبهم قد هلك فايقنوا بالهلاك وقال بعضهم لبعض كيف نصنع وقد هلك أكثرنا وما انتبهنا حتى هلك أكابرنا فينبغى لنا ان نتحفظ لأنفسنا فلما أصبحوا نفروا منه وتفرقوا من حوله ونحن الآن نخشى ان يقع لنا مثل هذا ويصير علينا ملك غيرك ولكن قد من الله علينا بهذه النعمة ووجهك الينا ونحن واثقون الآن بالصلاح وجمع الشمل والأمن والأمانة والسلامة في الوطن فتبارك الله العظيم وله الحمد والشكر والثناء الجميل وبارك الله للملك وأننا معشر الرعية ورزقنا واياه السعادة العظمى وجعله سعيد الوقت قائم الجد ثم قام الوزير السادس وقال هناك الله ايها الملك باحسن الهنا فى الدنيا والآخرة فقد تقدم من قول المتقدمين من صلى وصام وقام بحقوق الوالدين وعدل فى حكمه لقى ربه وهو راض عنه وقد وليت فعدلت فكنت فى ذلك سعيد الحركات فنسأل الله تعالى أن يجزل ثوابك ويأجرك على احسانك وقد سمعت ماقال هذا العالم فيما تتخوف من حرمان حظنا بعدم الملك أو بوجود ملك آخر لا يكون نظيره فيعظم اختلافنا بعده ويقع البلاء في الاختلاف واذا كان الأمر على ماذكرنا فالواجب علينا أن نبتهل الى الله تعالى بالدعاء لعله يهب للملك ولدا سعيدا ويجعله وارثا للملك بعده ثم بعد ذلك ربما كان الذى يحبه الانسان من الدنيا ويشتهيه مجهول

العاقبة له وحينئذ لاينبغى للانسان أن يسأل ربه امرا لايدرى عاقبته لأنه ربما كان ضرر ذلك أقرب اليه من نفعه فيكون هلاكه فى مطلوبه ويصيبه مثل ما أصاب الحاوى وزوجته وأولاده وأهل بيته وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة السابعة بعد التسعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الوزير السادس لما قال للملك ان الانسان لاينبغى له أن يسأل ربه شيئا لايدرى عاقبته لأنه ربما كان ضرر ذلك أقرب اليه من نفعه فيكون هلاكه فى مطلوبه ويصيبه ما أصاب الحاوى وأولاده وزوجته وأهل بيته فقال الملك وما حكاية الحاوى وأولاده وزوجته وأهل بيته فقال الوزير أعلم أيها الملك أنه كان انسان حاويا وكان يربى الحياة وهذه كانت صنعته وكان عنده سلة كبيرة فيها ثلاث حيات لم يعلم بها أهل بيته وكان كل يوم يخرج يدور بها فى المدينة ويتسبب بها لتحصيل رزقه ورزق عياله ويرجع عند المساء فى بيته ويضع الأحناش فى السلة سرا وعند الصباح يأخذها ويدور بها فى المدينة فكان هذا دأبه على الدوام ولم يعلم أهل بيته بما فى السلة فاتفق انه لما عاد الحاوى الى بيته على على جرى عادته وسألته زوجته وقالت له مافى هذه السلة فقال لها الحاوى وما مرادك منها أليس الزاد عندكم كثير زائد فاقنعى بما قسم الله لك ولا تسألى عن غيره فسكتت عنه تلك المرأة وصارت تقول فى نفسها لابد لى أن أفتش هذه السلة وأعرف مافيها وصممت على ذلك وأعلمت أولادها وأكدت عليهم ان يسألوا والدهم عن تلك السلة ويلحوا عليه فى السؤال لأجل ان يخبرهم فعند ذلك تعلق خاطر الأولاد بان فيها شيئا يؤكل فصار الأولاد كل يوم يطلبون من أبيهم ان يريهم مافى السلة وكان أبوهم يدافعهم ويراضيهم وينهاهم عن هذا السؤال فمضت لهم مدة وهم على ذلك الحال وأمهم تحثهم على ذلك ثم اتفقوا معها على أنهم لايذوقون طعاما ولا يشربون شرابا لوالدهم حتى يبلغهم طلبتهم ويفتح لهم السلة فبينما هم كذلك ذات ليلة اذا حضر الحاوى ومعه شيء كثير من الأكل والشرب فقعد ودعاهم ليأكلوا معه فابوا الحضور اليه وبينوا له الغيظ فجعل يلاطفهم بالكلام الحسن ويقول لهم انظروا ماذا تريدون حتى اجيىء به اليكم اكلا أو شربا او ملبوسا فقالوا له ياوالدنا ما نريد منك الا

فتح هذه السلة لننظر مافيها والا قتلنا أنفسنا فقال لهم ياأولادى ليس لكم فيها خير وانما فتحها ضرر لكم فعند ذلك ازدادوا غيظا فلما رآهم على هذه الحالة أخذ يهددهم ويشير لهم بالضرب ان لم يرجعوا عن تلك الحالة فلم يزدادوا الا غيظا ورغبة فى السؤال فعند ذلك غضب عليهم وأخذ عصى ليضربهم بها فهربوا قدامه فى الدار وكانت السلة حاضرة لم يخفها الحاوى فى مكان فخلت المرأة الرجل مشغولا بالأولاد وفتحت السلة بسرعة لكى تنظر مافيها واذا بالحيات قد خرجوا من السلة ولدغوا المرأة أولا فقتلوها ثم داروا فى الدار وأهلكوا الكبار والصغار ماعدا الحاوى فترك الحاوى الدار وخرج فلما تحققت ذلك ايها الملك السعيد علمت ان الانسان ليس له أن يتمنى شيئا غير الذى لم يرده الله تعالى بل يطيب نفسا بما قدره الله له وأراده وها أنت ايها الملك مع غزارة علمك وجودة فهمك أقر الله عينك بحضور ولدك بعد اليأس وطيب قلبك ونحن نسأل الله تعالى ان يجعله من الخلفاء العادلين المرضيين لله تعالى والرعية ثم قام الوزير السابع وقال ايها الملك انى قد علمت وتحققت ماذكره لك اخوتى هؤلاء الوزراء العلماء الحكماء وما تكلموا به فى حضرتك ايها الملك وما وصفوه من عدلك وحسن سيرتك وما تميزت به عمن سواك من الملوك حيث فضلوك عنهم وذلك من بعض الواجب علينا أيها الملك وأما أنا فأقول الحمد لله الذى تولاك لنعمته واعطاك صلاح الملك برحمته واعانك وايانا على أن نزيده شكرا وما ذاك الا بوجودك ومادمت فينا لم نتخوف جورا ولا نبغى ظلما ولا يستطيع أحد أن يستطيل علينا مع ضعفنا وقد قيل أن أحسن الرعايا من كان ملكهم عادلا وشرهم من كان ملكهم جائرا وقيل ايضا السكنى مع الأسود الكواسر ولا السكنى مع السلطان الجائر فالحمد لله تعالى على ذلك حمدا دائما حيث أنعم علينا بوجودك ورزقك هذا الولد المبارك بعد اليأس والطعن فى السن لأن أجل العطايا فى الدنيا الولد الصالح وقد قيل من لا ولد له لا عاقبة ولا ذكر وانت بقويم عدلك وحسن ظنك بالله تعالى أعطيت هذا الولد السعيد فجاءك هذا الولد المبارك منة من الله تعالى علينا وعليك بحسن سيرتك وجميل صبرك وصار فيك ذلك مثل ماصار فى العنكبوت والريح فقال الملك وما حكاية العنكبوت والريح وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الثامنة بعد التسعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان الملك قال للوزير وما حكاية العنكبوت والريح فقال الوزير اعلم أيها الملك ان عنكبوتة تعلقت فى باب متنح عال وعملت لها بيتا وسكنت فيه بأمان وكانت تشكر الله تعالى الذى يسر لها هذا المكان وآمن خوفها من الهوام فمكثت على هذا الحال مدة من الزمان وهى شاكرة لله على راحتها واتصال رزقها فامتحنها خالقها بأن أخرجها لينظر شكرها وصبرها فارسل اليها ريحا عاصفا شرقيا فحملها ببنخت ورماها فى البحر فجرتها الأمواج الى البر فعند ذلك شكرت الله تعالى على سلامتها وجعلت تعاتب الريح قائلة لها أيتها الريح لم فعلت بى ذلك وما الذى حصل لك من الخير فى نقلى من مكانى الى هنا وقد كنت آمنة مطمئنة فى بيتى باعلى ذلك الباب فقال لها الريح انتهى عن العتاب فانى سأرجع بك وأوصلك الى مكانك كما كنت أولا فلبثت العنكبوت صابرة علي ذلك راجية ان ترجع الى مكانها حتى ذهبت ريح الشمال ولم ترجع بها وهبت ريح الجنوب فمرت بها واختطفتها وطارت بها الى جهة ذلك البيت فلما مرت به عرفته فتعلقت به ونحن نسأل الله الذى أثاب الملك على وحدته وصبره ورزقه هذا الغلام بعد يأسه وكبر سنه ولم يخرجه من هذه الدنيا حتى رزقه قرة عين ووهب له ماوهب من الملك والسلطان فرحم رعيته وأولاهم نعمته فقال الملك الحمد لله فوق كل حمد والشكر له فوق كل شكر لا اله الا هو خالق كل شيء الذي عرفنا بنور آثاره جلال عظمته يؤتى الملك والسلطان من يشاء من عباده فى بلاده لأنه ينتخب منهم من يشاء ليجعله خليفة ووكيلا على خلقه ويأمره فيهم بالعدل والانصاف واقامة الشرائع والسنن والعمل بالحق والاستقامة فى أمورهم على ما أحب وأحبوا فمن عمل منهم بما أمر الله كان لحظه مصيبا ولأمر ربه مطيعا فيكفيه هول دنياه ويحسن جزاءه فى أخراه انه لايضيع أجر المحسنين ومن عمل منهم بغير ما أمر الله أخطأ خطأ بليغا وعصى ربه وأثر دنياه على آخراه فليس له فى الدنيا مآثر ولا في الآخرة نصيب لأن الله لايمهل على أهل الجور والفساد ولا يهمل أحدا من العباد وقد ذكر وزراءنا هؤلاء ان من عدلنا بينهم وحسن تصرفنا معهم أنعم الله علينا وعليهم بالتوفيق لشكره المستوجب لمزيد أنعامه وكل واحد منهم قال ما ألهمه الله في ذلك وبالغوا فى الشكر لله تعالى والثناء

عليه بسبب نعمته وفضله وأنا أشكر الله لأنى انما أنا عبد مأمور وقلبي بيده ولسانى تابع له راض بما حكم عليّ وعليهم بأى شيء صار وقد قال كل واحد منهم ماخطر بباله من أمر هذا الغلام وذكروا ماكان من متجدد النعمة علينا حين بلغت من السن حدا يغلب معه اليأس وضعف اليقين والحمد لله الذى نجانا من الحرمان واختلاف الحكام كاختلاف الليل والنهار وقد كان ذلك انعاما عظيما عليهم وعلينا فنحمد الله تعالى الذى رزقنا هذا الغلام سميعا مطيعا وجعله وارثا من الخلافة محلا رفيعا نسأله من كرمه وحلمه ان يجعله سعيد الحركات موفقا للغيرات حتى يصير ملكا وسلطانا على رعيته بالعدل والانصاف حافظا لهم من هلكات الاعتساف بمنه وكرمه وجوده فلما فرغ الملك من كلامه قام الحكماء والعلماء وسجدوا لله وشكروا الملك وقبلوا يديه وانصرف كل واحد منهم الى بيته فعند ذلك دخل الملك بيته وابصر الغلام ودعا له وسماه ورد خان فلما مضى له من العمر اثنتا عشرة سنة أراد الملك ان يعلمه العلوم فبنى له قصرا فى وسط المدينة وبنى فيه ثلاثمائة وستين مقصورة وجعل الغلام فيه ورتب له ثلاثة من الحكماء والعلماء وأمرهم ان لايغفلوا عن تعليمه ليلا ولا نهارا وان يجلسوا معه فى كل مقصورة يوما ويحرصوا على أن لايكون علم الا ويعلمونه اياه حتي يصير بجميع العلوم عارفا ويكتبون على باب كل مقصورة مايعلمونه له فيها من أصناف العلوم ويرفعون اليه كل سبعة أيام ماعرفه من العلوم ثم ان العلماء اقبلوا على الغلام وصاروا لايفترون عن تعليمه ليلا ولا نهارا ولا يؤخرون عنه شيئا مما عندهم من العلوم فظهر للغلام من ذكاء العقل وجودة الفهم وقبول العلم مالم يظهر لأحد قبله وجعلوا يرفعون للملك فى كل اسبوع مقدار ما تعلمه ولده واتقنه فكان الملك يستظهر من ذلك علما حسنا وادبا جميلا وقال العلماء اننا ما رأينا قط من اعطى فهما مثل هذا الغلام فبارك الله لك فيه ومتعك بحياته فلما أتم الغلام مدة اثنتى عشرة سنة حفظ من كل علم أحسنه وفاق جميع العلماء والحكماء الذين فى زمانه فاتى به العلماء الى الملك والده وقالوا له أقر الله عينك ايها الملك بهذا الولد السعيد وقد أتيناك به بعد أن تعلم كل علم حتي لم يكن احد من علماء الوقت وحكمائه بلغ مابلغه ففرح الملك بذلك فرحا شديدا وزاد فى شكر الله تعالى وخر ساجدا له عز وجل وقال الحمد لله على نعمه التى لاتحصى ثم دعا بشماس الوزير وقال له اعلم ياشماس ان العلماء قد اتوني واخبروني ان ابني هذا قد تعلم كل علم ولم

يبق من العلوم علم الا وقد علموه له حتى فاق من تقدمه فى ذلك فما تقول ياشماس فسجد عند ذلك لله عز وجل وقبل يدى الملك وقال ابت الياقوتة ولو كانت فى الجبل الأصم الا ان تكون مضيئة كالسراج وابنك هذا جوهرة فما تمنعه حداثته من ان يكون حكيما والحمد لله على ما أولاه وانا انشاء الله تعالى فى غد أسأله واستنطقه بما عنده فى مجمع أجمعه له من خواص العلماء والأمراء وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة بعد التسعمائة

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك جليعاد لما سمع كلام شماس أمر جهابذة العلماء وأذكياء الفضلاء ومهرة الحكماء ان يحضروا الى قصر الملك فى غد فحضروا جميعا فلما اجتمعوا على باب الملك اذن لهم بالدخول ثم حضر شماس الوزير وقبل يدى ابن الملك فقام ابن الملك وسجد لشماس فقال له شماس ليس يجب على شبل الأسد أن يسجد لأحد من الوحوش ولا ينبغى ان يقترن النور بالظلام قال الغلام إن شبل الأسد لما رأى وزير الملك سجد له فعند ذلك قال شماس أخبرنى ما الدائم المطلق وما كوناه وما الدائم من كونيه قال الغلام اما الدائم المطلق فهو الله عز وجل لأنه أول بلا ابتداء وآخر بلا انتهاء وما كوناه فالدنيا والأخرة واما الدائم من كونيه فهو نعيم الآخرة قال شماس صدقت فيما قلت وقبلته غير أنى احب أن تخبرنى من أين علمت أن أحد الكونين هو الدنيا وثانيهما هو الآخرة قال الغلام لأن الدنيا خلقت ولم يكن من شىء كائن فآل أمرها الى الكون الأول غير انها عرض سريع الزوال مستوجب الجزاء على الأعمال وذلك يستدعى اعادة الفانى فالآخرة هى الكون الثانى قال شماس صدقت فيما قلت وقبلته منك غير أنى أحب أن تخبرنى من أين علمت ان نعيم الآخرة هو الدائم من الكونين قال الغلام علمت ذلك من أنها دار الجزاء على الأعمال التى أعدها الباقي بلا زوال قال شماس أخبرنى أى أهل الدنيا أحمد عملا قال الغلام من يؤثر أخرته علي دنياه قال شماس ومن الذى يؤثر آخرته على دنياه فقال الغلام من كان يعلم انه فى دار منقطعة وانه ماخلق الا للفناء وانه بعد الفناء يحاسب وانه لو كان فى هذه الدنيا احدا مخلدا ابدا لا يؤثر الدنيا على الآخرة قال شماس أخبرنى هل تستقيم آخرة بغير دنيا قال الغلام من لم

يكن له دنيا فلا آخرة له ولكن رأيت الدنيا وأهلها والمعاد الذى هم صائرون اليه كمثل أهل هؤلاء الضياع الذين ابتنى لهم أمير بيتا ضيفا وأدخلهم فيه وأمرهم بعمل يعملونه وضرب لكل واحد منهم أجلا ووكل به شخصا فمن عمل منهم ما أمر به أخرجه الشخص الموكل به من ذلك الضيق ومن لم يعمل ما أمر به وقد انقضى الأجل المضروب له عوقب فبينما هم كذلك اذ رشح لهم من شقوق البيت عسل فلما أكلوا من العسل وذاقوا طعمه وحلاوته توانوا فى العمل الذى امروا به ونبذوه وراء ظهورهم وصبروا على ما هم فيه من الضيق والغم مع ما علموا من تلك العقوبة التى هم صائرون اليها وقنعوا بتلك الحلاوة اليسيرة وصار الموكل لا يدع احدا منهم إذا جاء اجله إلا ويخرجه من ذلك البيت فعرفنا زن الدنيا دار تتحير فيها الابصار وضرب لأهلها فيها الأجال فمن وجد الحلاوة القليلة التى تكون في الدنيا واشغل نفسه بها كان من الهالكين حيث أثر أمر دنياه على آخرته ومن يؤثر أمر اخرتة على دنياه ولم يلتفت الى تلك الحلاوة القليلة كان من الفائزين قال شماس قد سمعت ما ذكرت من امر الدنيا والآخرة وقبلت ذلك منك ولكنى قد رأيتهما مسلطين على الانسان فلابد له من ارضائهما معا وهما مختلفان فان اقبل العبد على طلب المعيشة فذلك اضرار بروحه فى المعاد وان اقبل على الآخرة كان ذلك اضرار بجسده وليس له سبيل إلى ارضاء المتخالفين معا قال الغلام أنه من حصل المعيشة فى الدنيا تقويه على الآخرة فانى رأيت امر الدنيا والآخرة مثل ملكين عادل وجائر وكانت أرض الملك الجائر ذات اشجار واثمار ونبات وكان ذلك الملك لا يدع أحداً من التجار إلا اخذ ما له وتجارته وهم صابرون على ذلك لما يصيبون من خصب تلك الأرض فى المعيشة وأما الملك العادل فانه بعث رجلا من اهل ارضه واعطاه مالا وافرا وامر أن ينطلق به إلى أرض الملك الجائر ليبتاع به جواهر منها فانطلق ذلك الرجل بالمال حتى دخل تلك الأرض فقيل للملك أنه جاء إلى أرضك رجل تاجر ومعه مال كثير يريد أن يبتاع به جواهر منها فارسل اليه واحضره وقال له من أنت ومن اين اتيت ومن جاء بك إلى أرضى وما حاجتك فقال له انى من أرض كذا وكذا وأن ملك تلك الأرض اعطانى مالا وأمرنى ان ابتاع له به جواهر من هذه الأرض فامتثلت امره

وجئت فقال لـه الملك ويحك اما علمت صنعى باهل ارضى من اتى آخذ مـالهم فى كل يوم فكيـف تأتيني بمالك وهـا أنت مقيم فى أرضى مـنذ كذا وكذا فقال له الـتاجر ان المال ليس لى مـنه شيء وانما هو امانـة تحت يدى حتى أوصله إلـى صاحبه فقال لـه أنى لست بتاركك تأخذ معيـشتك من أرضى حتى تفدى نفسك بهذا المـال جميعه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة العاشرة بعد التسعمائة

قالـت بلغنـى أيها الملـك السعـيد أن الملك الجـائر قال لـلتاجر الـذى يريد أن يشـترى الجواهر مـن أرضه لا يمكن أن تـأخذ معاشا مـن أرضي حتى تفـدى نفسك بـهذا المال أو تهلك فـقال الرجل فى نفسـه قد وقعت بين ملـكين وقد علمت أن جور هـذا الملك عام علـى كل من أقام بـارضه فان لـم أرضه كان هلاكـى وذهاب المال لابـد منها ولـم اصب حاجتي وان أعـطيته جميع المـال كان هلاكى عند المـلك صاحب المال لابد منـه وليس لى حيلة سوى أنى أعطيه من هذا المال جزأ يسـيراً وأرضيه به وأدفع عن نفسى وعن هذا المال الهـلاك واصيب من خـصب هذه الارض قـوت نفسي حـتى ابتـاع ما اريد من الجـواهر واكون قـد ارضيته بمـا اعطيـته واخذ نصـيبى مـن أرضه هذه واتـوجة إلى صاحـب المال بحاجته فاني أرجوا من عدله وتجاوزه ما لا أخاف معه عقوبة فيما أخذ هذا الملك من المال خصوصاً إذا كان يسيرا ثم ان التاجر دعا للمـلك وقال له ايها الملك انا افتدى نفسى وهذا المال بجزء صغير منـي منذ دخلت ارضك حتى أخرج منها فقبـل الملك منه ذلك وخلى سبيلـه سنة فاشترى الـرجل بماله جميعـه جواهر وانطلق الى صـاحبه فالملك الـعادل مثال للآخرة والجـواهر التى بـارض الملك الجائـر مثال للحـسنات والعـمل الصالـح والرجل صاحب المال مـثال لمن طلب الدنـيا والمال الذى معه مثـال لحياة الإنسان فلـما رأيت ذلك علمت انه ينبغى لمن يطلب المعيشة فى الدنيا ان لا يخلى يوما عن طلب الآخرة فيكون قد ارضى الدنيا بما نالـه من خصب الأرض وارضى الآخرة بما يصرف من حياتـه فى طلبها قال شماس فاخبرنـي هل الجسد والروح سواء فى الثواب والعقاب انما يـختص بالعقاب صاحب الشهوات وفاعـل الخطيئات قال الغلام قد يكون الميل إلى الـشهوات والخطيئات

موجبا للثواب بحبس النفس عنها والتوبة منها والأمر بيد من يفعل ما يشاء وبضدها تتميز الأشياء عـلى أن المعاش لابد منـه للجسد ولا جـسد إلا بالروح وطهارة الـروح باخلاص النـية فـى الدنيـا والألتـفات إلى مـا ينفـع فى الآخـرة فهمـا فرسـا رهان ورضيـعا لـباب ومشتركان فى الأعمال وبـاعتبار النية تفصيل الأجمال وكذلـك الجسد والروح مشتركان فى الأعمـال وفى الثواب والـعقاب وذلك مـثل الأعمى والمـقعد اللـذين أخذهمـا رجل صاحب بستان وادخلهما بستانه وأمرهما أن لا يفـسدا فيه ولا يصنعا فيه امرا يضربه فلما طابت اثمار البستان قال المقعد للأعمى ويحك انـى أرى اثمارا طيبه وقد اشتهيتها ولست اقدر على القيام إليهـا لاكل منها فقم أنت لأنك صحيح الرجلين وأتنـا منها بما نأكل فقال الأعمى ويحـك قد ذكرتها لى وقـد كنت عنها غافـلا ولست اقدر على ذلـك لأني لست ابصرها فما الحيلة فـى تحصيل ذلك فبينما هما كذلك إذ اتاهما النـاظر على البستان وكان رجلا عالما فقال لـه المقعد ويحك يا ناظر أنا قد اشـتهيت شيئأ من هذه الـثمار ونحن كما ترى أنا مقـعد وصاحبى هذا اعمـى لا يبصر شيئا فمـا حيلتنا فقـال لهما الناظر ويـحكما الستما تعلـمان ما قد عاهدكما عليه صاحـب البستان من انكما لا تتعرضـا لشىء مما يؤثر فيه الفساد فانتهيا ولا تفعلا فقالا له لابد لنـا من ان نصيب من هذه الثمار مانأ كله فاخبرنا بما عندك من الحـيلة فلما لم ينـتهيا عن رأيهما قـال لهما الحيلة فى ذلـك أن يقوم الأعمى ويحملك ايها المقعد على ظهره ويدنيك مـن الشجرة التى تعجبك اثمارها حتى إذا أدناك منها تجني أنـت ما أصبت من الثمار فقام الأعـمى وحمل المقعد وجعل المقـعد يهديه إلى السبيل حتى أدناه إلـى شجرة فصار المقعد يأخذ منها ما احب ولـم يزل ذلك دأبهما حتى افسدا ما فى البستان من الشجر وإذا بصاحب الـبستان قد جاء وقال لهما ويحكما ما هذه الفعال الم اعاهدكما على ان لا تفسدا فى هذا الـبستان فقالا له قد علمت اننا لم نقدر أن نصل إلى شىء مـن الأشياء لان أحدنا مقعد لا يـقوم والآخر أعمى لا يبصر مـا بين يديه فما ذنبنا فقال لهمـا صاحب البستان لعلكما نظنان انى لست أدرى كـيف صنعتما وكيف افسدتما فـى بستانى كانى بـك ايها الاعمى قد قمت وحـملت المقعد علـى ظهرك وصار يهـديك الـسبيل حـتى أوصـلته إلـى الشجـر ثم أنه أخـذهما وعـاقبـهما عـقوبة شـديدة واخرجهـما من البـستان فالأعمـى مثال للـجسد لأنه لا يـبصر إلا بالنـفس والمقعـد مثال

للنفس التى لا حركة لـها إلا بالجسد وأما البستان فانه مثال للعـمل الذى يجازى به العبد والناظـر مثال للـعقل الذى يـأمر بالخير ويـنهى عن الـشر فالجسـد والروح مشتـركان فى الثواب والعقاب قال له شماس صدقت وقد قبلت قولك هذا فأخبرنى أى العلماء عندك أحمد قال الـغلام من كان بالله عـالماً وينفعه علـمه قال شماس ومن ذلك قـال الغلام من يلتمـس رضى ربه ويتجنب سخـطه قال فايهم افضـل قال الغلام من كان باللـه أعلم قال شماس فمن اشدهـم اختبارا قال من كان من العمل بالعلم صبارا قال شماس اخبرنى من ارقهم قـلبا قال أكثرهـم استعدادا للـموت وذكرا واقلهـم املا لأن من أدخل على نـفسه طوارق الموت كان مثل الذى ينظر فى المرآة الصافية فانه يعرف الحقيقة ولا تزداد المرآة إلا صفاء وبريقا قال شماس أى الكنوز احسن قال كنوز السماء قال فأى كنوز السماء احسن قال تـعظيـم الله وتحـميده قال فـاى كنوز الأرض افـضل قال اصـطناع المـعروف وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة الحادية عشرة بعد التسعمائة

قالت بلغنى ايـها الملك السعيد أن الوزير شماس لما قال لابن الملك أى كنوز الأرض افضل قال لـه اصطناع المعروف قال صـدقت وقد قبلت قـولك هذا فاخبرنى عـن الثلاثة المختلفة العلم والرأى والذهن وعن الذى يجمع بينها قال الغلام انما العلم من التعلم وأما الرأى فانه من التـجارب وأما الذهن فانه من التفكـر وثباتهم واجتماعهم فـى العقل فمن اجتمعت فيـه هذه الثلاث خصال كان كاملا ومن جـمع اليهن تقوى الله كان مـصيبا قال شماس صـدقت وقد قبـلت منك ذلك فـاخبرنى عـن العالم العـليم ذى الرأى الـسديد والفطنـة الوقادة والذهن الفائـق الرائق هل يغيـره الهوى والشهوة عن هـذه الحالات التى ذكرت قال الـغلام أن هاتين الخصلـتين إذا دخلتا عـلى الرجل غيـرتا علمه وفهـمه ورأيه وذهنه وكان مـثل العقاب الكاسـر الذى عن القنص محـاذر المقيم فى جو الـسماء لفرط حذقه فبيـنما هو كذلك إذ نظر رجلا صيـاد قد نصب شركه فلما فرغ الـرجل من نصب الشرك وضع فيـه قطعه لحم فعند ذلـك ابصر العقاب القطـعة اللحم فغلب عـليه الهوى والشهوة حتى نسـى ماشاهد من الشرك ومن سوء الحال لكل من وقع مـن الطائر فانقض من جو الـسماء حتى وقع على القـطعة اللحم فاشتـبك في الشرك فلما جـاء الصياد رأى

العقاب فى شركـه فتعجب عجبا شديدا وقـال انا نصبت شركى ليقع فـيه حمام أو نحوه من الطـيور الضعيـفة فكيف وقـع فيه هذا العـقاب وقد قيل أن الـرجل العاقل إذا حـمله الهوى والشهوة على يتدبر ذلك الامر بعقله فيمـتنع مما حسناه ويقهر بعقله شهوته وهواه فإذا حـمله الـهوى والشهـوة على أمـر ينبـغى أن يجـعل عقـله مثل الـفارس الماهـر فى فروسيته إذا ركب الـفرس الأرعن فانه يجذبه باللـجام الشديد حتى يستقيـم ويمضي معه على ما يريـد وأما من كان سفيها لا علم لـه ولا رأى عنده والأمور مشتبهة عـليه والهوى والشهوة مسلطان عليه فانه يعمل بشـهوته وهواه فيكون من الهالكين ولا يكون فى الناس اسوأ حالا منه قـال شماس صدقت فيما قلت وقـد قبلت ذلك منك فاخبرنـى متى يكون العلم نـافعاً والعقل لـوبال الهوى والشهـوة دافعاً قال الغلام إذا صـرفهما صاحبـهما فى طلب الآخرة لأن العقل والعلم كليهما نافعان ولكـن ليس ينبغى لصاحبهما ان يصرفهما فى طلب الدنيـا إلا بمقدار ما يصيب به قوته منـها ويدفع عن نفسه شرها ويـصرفهما في عمل الآخرة قال فاخبرنى ما احق ان يلزم الانسان ويـشغل به قلبه قال العمل الصالح قال فاذا فعل الرجل ذلك شغله عن معاشه كيف يفعل فى المعيشة التى لابد له منها قال الغلام أن نهاره اربـعة وعشرون ساعة فـينبغى له أن يـجعل منها جـزءا واحد فى طلب المعـيشة وجزأ واحدا للـدعة والراحة ويصرف الباقـى فى طلب العلم لان الانسـان إذا كان عاقلا وليس عنده علم فانما هو كالأرض المجدبة التى ليس فيها موضع للعمل والغرس والنبات فإذا لم تهيأ للعمل وتغرس لا ينفع فيها ثمر وإذا هيأت للعمل وغرست انبتت ثمرا حسنا كذلك الانسـان بغير علم لانفع بـه حتى يغرس فيه العـلم فاذا غرس فيه العلـم أثمر قال شماس فـاخبرنى عـن العلم بـغير عقـل ما شأنه قـال كعلم الـبهيمـة التى تعـلمت أو أن مطعمها ومشربها واوان يقظتها ولا عقل لها قال شماس قد اوجزت فى الاجابة عن ذلك ولكن قد قـبلت منك هذا الكلام فـاخبرنى كيف ينـبغى ان اتوقى السلطـان قال الغلام لا تجعل له عليك سبيلاً قال وكيف استطيع أن لا أجعل له على سبيلا وهو مسلط على وزمام امري بيده قال الغلام انما سلطانه عليك بحقوقـه التى قبلك فاذا اعطيته حقه فلا سلطان له عليك قال شمـاس ما حق الملك على الوزير قال الـنصيحة والاجتهاد فى السـر والعلانية والرأى السديد وكتم سره وأن لا يخفى عنه شيئاً ممـا هو حقيق بالاطلاع عليه وقلة الغفلة عمـا قلده اياه مـن قضاء حـوايجه وطـلب رضاه بكـل وجه واجتـناب سخـطه عليـه قال

شماس فاخبرنى ما الذى يفعله الوزير مع الملك قال الغلام إذا كنت وزير الملك واحببت ان تسلم منه فليكن سمعك وكلامك له فوق ما يؤمله منك وليكن طلبك منه الحاجة على قدر منزلتك عنده واحذر وأن تنزل نفسك منزلة لم يرك لها اهلا فيكون ذلك منك مثل الجراءة عليه فاذا اغتررت بحلمه ونزلت نفسك منزلة لم يرك لها أهلا تكون مثل الصياد الذى يصطاد الوحوش فيسلخ جلودها لحاجته اليها ويطرح لحومها فجعل الاسد يأتى إلي ذلك المكان فيأكل من تلك الجيفة فلما كثر تردده إلى ذلك المحل استأنس بالصياد والفه واقبل الصياد يرمي اليه ويمسح بيده على ظهره وهو يلعب بذيله فعندما رأى الصياد سكون الأسد له واستئناسه به وتذلله اليه قال فى نفسه أن هذا الأسد قد خضع إلى وملكته وما أرى إلا أنى أركبه واسلخ جلد مثل غيره من الوحوش فتجاسر الصياد ووثب على ظهر الأسد وطمع فيه فلما رأى الأسد ما صنع الصياد غضب غضباً شديداً ثم رفع يده وضرب الصياد فدخلت مخالبه فى امعائه ثم طرحه تحت قوائمه ومزقه تمزيقاً فمن ذلك علمت انه ينبغى للوزير أن يكون عند الملك على حسب ما يرى من حاله ولا يتجاسر عليه لفضل رأيه فيتغير الملك عليه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة الثانية عشرة بعد التسعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد أن الغلام ابن الملك جليعاد قال لشماس الوزير ينبغي للوزير أن يكون عند الملك على حسب ما يرى من حاله ولا يتجاسر عليه لفضل رأيه فيتغير الملك عليه قال شماس فاخبرنى ما الذي يتزين به الوزير عند الملك قال الغلام اداء الأمانة التى فوض اليه امرها من النصيحة وسداد الرأى وتنفيذه لاوامره قال شماس اما ما ذكرت من ان حق الملك على الوزير أن يجتنب سخطه ويفعل ما يقتضى رضاه ويهتم بما قلده اياه فانه امر واجب ولكن اخبرنى ما الحيلة إذا كان الملك انما رضاه بالجور وارتكاب الظلم والعسف فما حيلة الوزير إذا هو ابتلى بعشرة ذلك الملك الجائر فانه أن اراد ان يصرفه عن هواه وشهوته ورأيه فلا يقدر على ذلك وأن هو تابعه على هواه وحسن له رأيه حمل وزر ذلك وصار للرعية عدوا فما تقول فى هذا فاجاب الغلام قائلا إن ما ذكرت ايها الوزير من الوزر والإثم انما هو إذا تابعه على ما ارتكبه من الخطأ ولكن يجب على الوزير اذا شاوره الملك في مثل هذا ان يبين له طريق العدل والانصاف ويحذره من الجور والاعتساف ويعرفه حسن السيرة فى الرعية ويرغبه فيما فى ذلك من

الثواب ويحذره عما يلزمه من العقاب فان مال وعطف الى كلامه حصل المراد والا فلا حيلة له إلا بمفارقته اياه بطريقة لطيفة لأن فى المفارقة لكل واحد منهما الراحة قال الوزير فاخبرنى ما حق الملك على الرعية وما حق الرعية على الملك قال الذى يأمرهم به يعملونه بنية خالصة ويطيعونه فيما يرضيه ويرضي الله ورسوله وحق الرعية على الملك حفظ اموالهم وصون حريمهم كما أن للملك على الرعية السمع والطاعة وبذل الأنفس دونه واعطاءه واجب حقه وحسن الثناء عليه بما أولاهم من عدله واحسانه قال شماس قد بينت لى ما سألتك عنه من حق الملك والرعية فاخبرنى هل بقى للرعية شىء على الملك غير ماقلت قال الغلام نعم حق الرعية على الملك أوجب من حق الملك على الرعية وهو أن ضياع حقهم عليه اضر من ضياع حقه عليهم لأنه لا يكون هلاك الملك وزوال ملكه ونعمته إلا من ضياع حق الرعية فمن تولى ملكا يجب عليه أن يلازم ثلاثة أشياء وهى اصلاح الدين واصلاح الرعية واصلاح السياسة فبملازمة هذه الثلاثة يدوم ملكه قال فاخبرنى كيف ينبغي أن يستقيم فى اصلاح الرعية قال باداء حقهم واقامة سنتهم واستعمال العلماء والحكماء لتعليمهم وانصاف بعضهم من بعض وحقن دمائهم والكف عن أموالهم وتخفيف الثقل عنهم وتقوية جيوشهم قال فاخبرنى ما حق الوزير على الملك قال الغلام ليس على الملك حق لاحد من الناس أوجب من الحق الواجب عليه للوزير لثلاث خصال الأولى للذى يصيبه معه عند خطأ الرأي والانتفاع العام للملك والرعية عند سداد الرأى الثانية ليعلم الناس حسن منزلة الوزير عند الملك فتنظر اليه الرعية بعين الاجلال والتوقير وخفض الجناح والثالثة أن الوزير إذا شاهد ذلك من الملك والرعية دفع عنهم ما يكرهونه ووفى لهم بما يحبونه قال شماس قد سمعت جميع ما قلته لى من صفات الملك والوزير والرعية وقبلته منك فاخبرنى ما ينبغى لحفظ اللسان عن الكذب والسفاهة وسب العرض والافراط فى الكلام قال الغلام ينبغى للإنسان أن لا يتكلم إلا بالخير والحسنات ولا ينطق فى شأن مالا يعنيه ويترك النميمة ولا ينقل عن احد حديث سمعه منه لعدوه ولا يطلب صديقه ولا لعدوه ضرورة عند سلطانه ولا يعبأ بمن يرتجى خيره ويتقى شره إلا الله تعالى لأنه هو الضار النافع على الحقيقة ولا يذكر لأحد عيباً ولا يتكلم بجهل لئلا يلزمه الوزر والاثم من الله والبغض بين الناس وأعلم أن الكلام مثل السهم إذا نفذ لا يقدر احد على رده وليحذر أن يودع سره عند من يفشيه فربما يقع فى ضرر افشائه بعد أن يكون على ثقة من الكتمان وأن يكون مخفيا لسره عن

صديقه أكثر من اخفـائه عن عدوه فان كتمان السر عند جميـع الناس من أداء الأمانة قال شماس فأخبرنى عن حسن الخلق مـع الأهل والأقارب قال الغلام أنه لا راحة لبنى آدم إلا بحسن الخلق ولكن يـنبغى أن يصرف إلى الأهل ما يستحقونه وإلـى اخوانه ما يجب لهم قال فأخبرنى ما الـذى يجب أن يصرفه إلى الأهل قال أما الذى يصرفه لـلوالدين فخفض الجنـاح وحلاوة الـلسـان ولين الجـانب والاكـرام والوقـار وأما الـذى يصـرفه لـلاخوان فالنصيحة وبذل المال ومساعدتـهم على اسبابهم والـفرح لفرحهم والإغضاء عـن ما يقع منهم من الهفوات فإذا عرفوا منه ذلك قابلوه بـاعزما عندهم من النصيحة وبذلوا الأنفس دونه فـإذا كنت من أخـيك علـى ثقة فابـذل له ودك وكن مسـاعدا له عـلى جميـع أموره وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة الثالثة عشرة بعد التسعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد أن الغـلام ابن الملك جليعاد لما سأله الوزير شماس عن المسائل المتقدمة ورد له اجوبتها قال له الوزير شماس أنى أرى الأخوان ضنفين اخوان ثقة واخوان معـاشرة اما اخوان فـالثقة فانـه يجب لهـم ما وصفت فاسـألك عن غيـرهم من أخوان المـعاشرة قـال الغلام أمـا أخوان المعـاشرة فانك تـصيب مـنهم لـذة وحسن خـلق وحلاوة لفـظ وحسن معاشـرة فلا تقطع مـنهم لذاتـك بل ابذل لهم مـثل ما يبذلـونه لك وعاملهم بمـثل ما يعاملونك بـه من طلاقة الوجه وعذوبه الـلسان فيطيب عيـشك ويكون كلامك مـقبولا عنـدهم قال شمـاس قد عرفنـا هذه الأمور كلـها فأخبـرني عن الأرزاق المقدرة للخـلق من الخالق هل هى مقـسومة بين الناس والحيوان لـك واحد رزق إلى تمام اجله وإذا كان الأمر كذلك مـا الذي يحمل طالب المعيشة على ارتكـاب المشقة فى طلب ما عرف انه ان كان مقدرا له فلابد من حصوله وان لـم يرتكب مشقة السعى وأن لـم يكن مقدرا له فـلا يتحصل له ولـو سعى اليه غايـه السعى فهل يـترك السعى ويكـون على ربه متوكلاً ولجسده ونفسه مريحـاً قال الغلام انا قد رأيـنا أن لكل احد رزقاً مقـسوماً واجلا محتوماً ولـكن لكل رزق طريق واسباب فصاحـب الطلب يصيب فى طلبـه الراحة بترك الطلب ومع ذلك لابد من طلب الرزق غير أن الطالب على ضربين اما أن يصيب وأما أن يحرم فراحة المصيب فى الحالتين اصابة رزقه وكون عاقبة طلبه حميدة وراحة المحروم فى ثلاث خصال الاستعـداد لطلب رزقه والتنزه عن ان يكون كلا عـلى الناس والخروج عن عهدة الملامـة قال شماس اخبرنى عـن باب طلب المعيشـة قال الغلام يستحـل الانسان ما

احله الله ويحرم ما حرمه الله عز وجل وانقطع بينهما الكلام لما وصلا إلى هذا الحد ثم قام شماس هو ومن حضر من العلماء وسجدوا للغلام وعظموه ويجلوه وضمه ابوه إلى صدره ثم بعد ذلك اجلسه على سرير الملك وقال الحمد لله الذى رزقنى ولدا تقر به عيناى فى حياتى ثم قال الغلام لشماس ومن حضر من العلماء ايها العالم صاحب المسائل الروحانية ان لم يكن فتح الله على من العلم إلا بشىء قليل فانى قد فهمت قصدك فى قبولك منى ما اتيت به جوابا عن ما سألتنى سواء كنت فيه مصيباً أو مخطئا ولعلك صفحت عن خطئه وأنا أريد أن سألك عن شىء عجز عنه رأيى وضاق منه ذرعى وكل عن وصفه لسانى لأنه أشكل على اشكال الماء الصافى فى الاناء الأسود فاحب منك أن تشرحه لى حتى لا يكون شىء منه مبهما على مثلى فيما يستقبل مثل ابهامه على فيما مضى لأن الله كما جعل الحياة بالماء والقوة بالطعام وشفاء المريض بمداواة الطبيب جعل شفاء الجاهل يعلم العالم فانصت إلى كلامى قال شماس ايها المضىء العقل صاحب المسائل الصالحة ومن شهد له العلماء كلهم بالفضل لحسن تفضيلك للأشياء وتقسيمك اياها وحسن اصابتك فى اجابتك عما سألتك عنه قد علمت انك لست تسألنى عن شىء إلا وأنت فى تأويله اصوب رأيا واصدق مقالالان اللّه قد أتاك من العلم ما لم يؤت احدا من الناس فأخبرنى عن هذه الأشياء التى تريد أن تسألنى عنها قال الغلام أخبرنى عن الخالق جلت قدرته من أى الأشياء خلق الخلق ولم يكن قبل ذلك شىء وليس يرى فى هذه الدنيا شىء إلا وهو مخلوق من شىء والبارى تبارك وتعالى قادر على أن يخلق الأشياء من لاشىء ولكن اقتضت ارادته مع كمال القدرة والعظمة أنه لم يخلق شيئا إلا من شئ قال الوزير شماس اما صناع الآلات من الفخار وغيره من الصنائع لا يقدرون على ابتداع شىء إلا من شىء اذ هم مخلوقون وأما الخالق الذى صنع العالم بهذه الصنعة العجيبة فان شئت ان تعرف قدرته تبارك وتعالى على ايجاد الأشياء فاطل الفكر فى اصناف الخلق فانك ستجد آيات وعلامات دالة على كمال قدرته وانه قادر على ان يخلق الأشياء من لاشىء بل أوجدها بعد العدم المحض لأن العناصر التى هى مادة الأشياء كانت عدما محضا وقد اوضحت لك ذلك حتى لا تكون فى شك منه ويبين لك ذلك آية الليل والنهار فانهما يتعاقبان حتى إذا ذهب النهار وجاء الليل خفى علينا النهار ولم نعرف له مقرا وإذا ذهب الليل بظلمته ووحشته جاء النهار ولم نعرف لليل مقر أو إذا اشرقت علينا الشمس لا نعرف اين يطوى نهارها وإذا غربت لم تعرف مستقر غروبها

وامثال ذلـك من افعال الخالق عـز اسمه وجلت قـدرته كثير مما يحير أفكار الأذكـياء من المخاليق قـال الغلام ايها العالـم انك عرفتنى من قدرة الخـالق ما لا يستطاع انـكاره ولكن اخبرنى كيف ايـجاده لخلقه قال شماس انما الخلق مـخلوقة بكلمته التـى هى موجودة قبل الدهر وبها خلق جـميع الأشياء قال الغلام ان الله تعاظم اسمـه وارتفعت قدرته انما اراد ايجاد الخلق قبـل وجودهم قال شماس وبارادته خلقـهم بكلمته فلولا أن له نـطقا واظهر كلمة لم تكن الخليقة موجودة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة الرابعة عشرة بعد التسعمائة

قالت بلغـنى ايها الملك السعـيد أن الغلام لما سأل شماسـها عن المسائل المتقـدمة اجابه عنها ثم قال له يابـنى انه لا يخبرك أحد من الناس بغير ما قلتـه إلا بتحريف الكلام الوارد فى الشرائـع عن موضعه وصرف الحـقايق عن وجوهها ومـن ذلك قولك أن الكلـمة لها استطاعة اعوذ بالله من هذه العقيدة بل قولنا فى الله عز وجل انه خلق الخلق بكلمته معناه أنه تعالى واحد فى ذاته وصـفاته وليس معناه أن كلمة الله لها قـدرة بل القدرة صفة لله كما أن الكلام وغيره من صفات الكمال صفات الله تعالي شأنه وعز سلطانه فلا يوصف هو دون كلمتـه ولا توصف كلمته دونه فـالله جل ثناؤه خلق بكـلمته جميع خلـقه وبغير كلمته لم يخلق شيئا وانما خلق الأشياء بكـلمته الحق فبالحق نحن مخلوقون قال الغلام قد فهمت مـن امر الخالق وعزة كلـمته ما ذكرت وقبـلت ذلك منك بفـهم ولكنى سمـعتك تقول انما خلق الخلق بكلمته الحق والحق ضد الباطل فمن أين عرض الباطل وكيف يمكن عروضه للحـق حتى يشتبه به ويلـتبس على المخلوقين فيـحتاجوا إلى الفصل بيـنهما وهل الخالق عز وجل محب لهذا الباطل أم باغض له فان قلت انه محب للحق وبه خلق خلقه وباغض لـلباطل فـمن اين دخل هذا الـذى يبغضـه الخالق على مـا يحبه وهـي الحق قال شماس ان الله لما خلق الانسان بالحق ولم يكن الانسان محتاجاً إلى توبة حتى دخل الباطل على الحق الذى هو مخلوق به بسبب الاستطاعة التى جعلها الله فى الانسان وهى الإرادة والميل المسـمى بالكسب فـلما دخل الباطل عـلى الحق بهذا الاعتـبار التبس البـاطل بالحق بسبب إرادة الإنـسان واستطاعتـه والكسب الذى هو الجزء الاخـتيارى مع ضعف طـبيعة الانسان فخلق الله له الـتوبة لتصرف عنه ذلك الباطل وتثبته علـى الحق وخلق له العقوبة ان هو أقام علـى ملابسة الباطل قـال الغلام فاخبرنى مـا سبب عروض هذا الباطـل للحق حتى التبس به وكيـف وجبت العقوبة على الانسان حتي احتـاج إلى التوبة قال شماس أن

الله لما خلق الانسان بالحق جعله محبا له ولـم يكن له عقوبة ولا توبة واستمر كذلك حتى ركب الله فيه النفس التـى هى من كمال الانسانـية مع ما هى مطبوعة عليه مـن الميل إلى الشهوات فنشأ من ذلك عروض الباطل والتبـاسه بالحق الذى خلق الانسان به وطبع على حبه فلما صار الانـسان إلى هذه الغاية زاغ عن الحق بالمعصيـة ومن زاغ عن الحق انما يقع فى الباطل قـال الغلام أن الحق انما دخل عليه البـاطل بالمعصية والمخالفـة قال شماس وهو كذلك لأن الله يـحب الانسان ومن زيادة محبتـه له خلق الانسان محتاجـاً اليه وذلك هو الحق بعينـه ولكن ربما استرخى الانسان عن ذلـك بسبب ميل النفس إلـى الشهوات ومال الى الخـلاف فصار الى ذلـك الباطل بـالمعصـية التى بـها عصـى ربه فاستـوجب العقـوبة وبازاحة الباطل عنه بـتوبته ورجوعه الى محبة الحق استوجب الـثواب قال الغلام اخبرنى عن مبدأ المخالفة مع أن الخلق مرجعهم جمـيعاً إلى أن وجد بنى آدم وقد خلقه الله بالحق فكيف جلب المعصية لنفسه ثم قربت مصعيته بـالتوبة بعد تركيب النفس فيه ليكون عاقبته الثواب أو الـعقاب ونحـن نرى بعض الخـلق مقيـما على المخـالفة مائـلا إلى ما لا يحـبه مخالفا لمقتضى اصل خلقته من حب الحق مستوجباً لسخط ربه عليه ونرى بعضهم مقيماً على رضى خالقه وطاعته مستوجباً للرحـمة والثواب فما سبب الاختلاف الحاصل بينهم قال شماس ان أول نزول هذه المعـصية بالخلق انما كان بسبب ابلـيس الذى كان اشرف ما خلق الله جل سمـه من الملائكة والأنس والجن وكان مطبوعاً على المحـبة لا يعرف غيرها فلما انفرد بهذا الأمـر داخله العجب والعظمة والتجبر والتكـبر عن الايمان والطاعة لأمر خالقـه فرده الله دون الخـلايق جميعـهم واخرجه مـن المحبة وصير مـثواه إلى نفسه فى المعصـية فحين علـم أن الله جل اسمـه لا يحب المعصية ورأى آدم وما هو فيـه من ذلك الحق والمحبة والطاعة لخالقه داخله الحسد فاستعمل الحيلة فى صرفه لآدم عن الحق ليكون مشتركاً معه فى الباطل فلزم آدم العقوبة لميـله إلى المعصية التى زينها له عدوه وانقياده إلى هواه حيث خالـف وصية ربه بسبب عروض البـاطل ولما علم الخالق جل ثـناؤه وتقدست اسماؤه ضعف الانسان وسرعة ميله إلى عدوه وتركـه الحق جعل له الخالق برحمته التوبة لينهض بهـا من ورطة الميـل إلى المعصـية ويحمـل سلاح التوبـة فيقهـر به عدوه ابلـيس وجنـوده ويرجع إلـى الحق الـذى هو مطـبوع علـيه فـلما نـظر ابليس أن الـله جل ثـناؤه وتقدست اسـماؤه قد جعل له أمـدا ممتدا بادر الى الانسـان بالمحاربة وادخل علـيه الحيل ليخرجه من نعمـة ربه ويجعله شريكا فى السخط الذي استوجـبه هو وجنوده فجعل الله

جل ثناؤه لـلانسان استـطاعة التوبـة وامره ان يلزم الحـق ويداوم عليه ونـهاه عن المعـصية والخلاف والهمة ان له علي الارض عدوا محاربا لا يفتـر عنه ليله ونهاره فبذلك استحق الانسان ثوابا ان لازم الحق الذي جبـلت طبيعته على حبه وعقابا ان غلبـته نفسه ومالت به إلى الشهوات وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الخامسة عشرة بعد التسعمائة

قالت بلـغني ايها الملك السـعيدان الغلام لما سأل شـماس عن المسائل المتقـدمة واجابه عنـها قال لـه بعد ذلـك اخبرنـي باي قوة استـطاع الخلـق ان يخالـفوا خالـقهم وهـو في غاية العظمة كما وصفت مع انه لا يقهره شيء ولا يخرج عن ارادته الا ترى انه قادر على صرف خلقه عن هذه المعصية والزامهم المحبـة دائما قال شماس ان الله تعالى جل اسمه عادل منصـف رؤوف بأهل محبته قـد بين لهم طريق الخيـر ومنحهم الاستطـاعة والقدرة على فعـل ما ارادوا من الخير فان عـملوا بخلاف ذلك صـاروا في الهلاك والمعصـية قال الغلام اذا كان الخالق هو الذي منحهم الاستطـاعة وهم بسببها قادرون على فعل ما ارادوا فلاي شيء لم يحـل بينهم وبين ما يريدون مـن الباطل حتى يردهم إلـى الحق قال شماس ذلك لعظيم رحمته وبـاهر حكمته لأنه كما سبق منه لابليس الـسخط ولم يرحمه كذلك سبقت منه لآدم الرحمة بالتوبة فرضى عنه بعد سخطه عليه قال الغلام هذا هو الحق بعينه لانه هوالمجازي لكل احد على عمله وليس خالق غير الله له القدرة على كل شيء ثم قال الغلام هل خلق اللـه ما يحب وما لا يحب او انما خلق ما يحـب لا غيره قال شماس قد خلق كل شـيء ولم يرض الا ما يحب قـال الغلام ما بال هذيـن الشيئين احدهـما يرضى الله ويوجب الثواب لصاحبه والآخر يغضب الله فيحل العذاب بصاحبه قال شماس بين لي هذيـن الامرين وفهمـني اياهما حـتى اتكلم في شـأنهما قال الـغلام هما الخيـر والشر المركبان فـي الجسم والروح قال شمـاس أيها العاقل اراك قـد علمت ان الخير والـشر من الاعمال التي يعملها الجسد والروح فسمى الخير منهما خيرا لكونه فيه رضى الله وسمى الشر شرا لكونه فيه سخط الله وقد وجب علـيك ان تعرف الله وترضيه بفعل الخير لانه امرنا بذلك ونهانا عن فعل الشر قال الغـلام اني ارى هذين الشيئين اعني الخير والشر انما يعمـلهما الحـواس الخمس المعـروفة في جسد الإنـسان وهي محـل الذوق الناشـيء عنه

الكلام والسمع والبصر والشم واللمس فأحب ان تعرفني هل هذه الحواس الخمس خلقت للخير جميعا ام للشر قال شماس افهم ايها الانسان بيان ما سألت عنه وهو الحجة الواضحة وضعها في ذهنك واشربها قلبك وهوان الخالق تبارك وتعالي خلق الانسان بالحق وطبعه على حبه ولم يصدر عنه مخلوق الا بالقدرة العلية المؤثرة في كل حادث ولا ينسب تبارك وتعالى الا إلى الحكم بالعدل والانصاف والاحسان وقد خلق الانسان لمحبته وركب فيه النفس المطبوعة علي الميل إلى الشهوات وجعل له الاستطاعة وجعل هذه الحواس الخمس سببا للنعيم او الجحيم قال الغلام وكيف ذلك قال شماس لأنه خلق اللسان للنطق واليدين للعمل والرجلين للمشي والبصر للنظر والاذنين للسماع وقد اعطى كل واحدة من هذه الحواس استطاعة رهيجها على العمل والحركة وامر كل واحدة منها ان لا تعمل الا برضائه والذى يرضيه من النطق الصدق وترك ما هو ضده الذي هو الكذب ومما يرضيه من البصر صرف النظر إلى ما يحبه اللّه وترك ضده وهو صرف النظر إلى ما يكرهه اللّه كالنظر إلي الشهوات ومما يرضيه من السمع ان لا يستمع إلا إلى الحق كالموعظة وما في كتب اللّه وترك ضده وهوان يسمع إلى ما يوجب سخط اللّه ومما يرضيه من اليدين ان لا يقبضا ما خولهمااللّه بل يصرفاه على وجه يرضيه وترك ضده وهو الامساك او صرف ما خولهما اللّه في معصية ومما يرضيه من الرجلين ان يكون سعيهما في الخير كقصد التعليم وترك ضده وهوان يمشيا في غير سبيل اللّه وما سوى ذلك من الشهوات التي يعملها الانسان فانه يصدر من الجسد بامر الروح ثم الشهوة التي تصدر من الجسد نوعان شهوة التناسل وشهوة البطن فالذي يرضي اللّه من شهوة التناسل انها لا تكون إلا حلالا وسخطه ان تكون حراما واما شهوة البطن الاكل والشرب والذي يرضي الله من ذلك ان لا يتعاطى منه كل احد إلا ما احله اللّه له قليلا كان او كثيرا ويحمد اللّه ويشكره والذي يغضب اللّه منه ان يتناول ما ليس له بحق وما سوى ذلك من هذه الاحكام باطل وقد علمت ان اللّه خلق كل شيء ولا يرضي الا بالخير وامر كل عضو من اعضاء الجسد ان يفعل ما اوجبه عليه لانه هو العليم الحكيم قال الغلام فاخبرني هل سبق في علم اللّه تعالى جلت قدرته أن آدم سبب للأكل من الشجرة التى نهاه الله عنها حتى كان من أمره ما كان وبذلك خرج من الطاعة الى المعصية. قال شماس نعم أيها العالم قد سبق ذلك فى علم الله قبل ان يخلق آدم وبيان ذلك ودليله ما

تقدم له من التحذير عن الاكل واعلامه بانه اذا اكل منها يكون عاصيا وذلك من طريق العدل والانصاف لئلا يكون لادم حجة يحتج بها على ربه فلما ان سقط في الورطة والهفوة وعظمت عليه المعيرة والمعتبة جرى ذلك في نسله من بعده فبعث اللّه تعالى الانبياء والرسل واعطاهم كتبا فاعلمونا بالشرائع وبينوا لنا ما فيها من المواعظ والاحكام وفصلوه لنا واوضحوا لنا السبيل الموصل وبينوا لنا ما يجب ان نفعله وما يجب ان نتركه فنحن مسلطون بالاستطاعة فمن عمل بهذه الحدود قد اصاب وربح ومن تعدى هذه الحدود وعمل بغير هذه الوصايا قد خالف وخسر في الدارين وهذه سبيل الخير والشر فقد علمت ان اللّه قادر على جميع الاشياء وما خلق الشهوات لنا الا برضائه وارادته وامرنا ان نأخذها على وجه الحلال لتكون لنا خيرا وإذا استعملناها على وجه الحرام فانها تكون لنا شرا فما اصابنا من حسنة فمن اللّه تعالى وما اصابنا من سيئة فمن انفسنا معاشر المخلوقين لا من الخالق تعالى اللّه عن ذلك علوا كبيرا وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة السادسة عشرة بعد التسعمائة

قال بلغني ايها الملك السعيد ان الغلام ابن الملك جليعاد لما سأل الوزير شماس عن هذه المسائل ورد له اجويتها قال له ما وصفته مما ينسب إلى الله تعالى ومما ينسب إلى خلقه قد فهمته فاخبرني عن هذا الامر الذي حير عقلي فرط التعجب منه فاني عجبت من ولد بني آدم وغفلتهم عن الآخرة وتركهم الذكرى لها ومحبتهم للدنيا وقد علموا انهم يتركونها ويخرجون منها وهم صاغرون قال شماس نعم فان الذي تراه من تغيرها وغدرها باهلها دليل انه لا يدوم لصاحب النعيم نعيمه ولا لصاحب البلاء بلاؤه فليس يأمن صاحبها تغيرها وان كان قادرا عليها ومغتبطا بها فلابد ان يتغير حاله ويسرع اليه الانتقال وليس الانسان منها على ثقة ولا ينتفع بما هو فيه من زخرفها وحيث عرفنا ذلك عرفنا ان اسوأ الناس حالا من اغتر بها وسها عن الآخرة وان ذلك النعيم الذي قد اصابه لا يعادل ذلك الخوف والمشقة والاهوال التي تحصل له بعد الانتقال منها وعلمنا انه لو كان العبد يعلم ما يصيبه عند حضور الموت وفراقه ما هو فيه من اللذات والنعيم لكان رفض الدنيا وما فيها وتيقنا ان الآخرة خير لنا وانفع قال الغلام ايها العالم قد زالت هذه

الظلمة التي كانت علي قلبي بمصباحك المضيء وارشدتني إلى السبيل التي سلكتها من اتباع الحق واعطيتني سراجا انظر به فعند ذلك قام احد الحكماء الذين كانوا بالحضرة وقال انه إذا كان زمان الربيع فلابد ان يطلب الارنب مع الفيل مرعي وقد سمعت منكما اشياء من المسائل والتفاسير ما لم ار أني اسمعه ابدا فدعاني ذلك إلى ان اسألكما عن شيء فاخبراني ما خير مواهب الدنيا قال الغلام صحة الجسم ورزق حلال وولد صالح قال فاخبراني ما الكبير وما الصغير قال الغلام اما الكبير فهو ما صبر له أصغر منه واما الصغير فهو ما صبر لاكبر منه قال فاخبراني ما الاربعة اشياء التي تجتمع الخلائق فيها قال الغلام تجتمع الخلايق في الطعام والشراب ولذة النوم وشهوة النساء وفي سكرات الموت قال فما الثلاثة اشياء التي لا يقدر احد على تنحية القباحة عنها قال الغلام الحماقة وخسة الطبع والكذب قال فاي الكذب احسن مع انه كله قبيح قال الغلام الكذب الذى يضع عن صاحبه الضرر ويجر نفعا قال وأي الصدق قبيح وان كان كله حسناً قال الغلام كبر الإنسان بما عنده واعجابه به قال وما اقبح القبيح قال الغلام اذا اعجب الإنسان بما ليس عنده قال فاي الرجال احمق قال الغلام من كان ليس له همة الا في شيء يضعه في بطنه قال شماس ايها الملك انت ملكنا ولكن نحب ان تعهد لولدك بالملك من بعدك ونحن الخول والرعية فعند ذلك حث الملك من حضر من العلماء والناس على ان ما سمعوه منه يحفظونه ويعملون به وامرهم ان يمتثلوا امر ابنه فانه جعله ولي عهده من بعده ليكون خليفة على ملك والده واخذ العهد على جميع اهل مملكته من العلماء والشجعان والشيوخ والصبيان وبقية الناس ان لا يتخلفوا عليه ولا ينكثوا عليه امره فلما اتى على ابن الملك سبع عشرة سنة مرض الملك مرضا شديدا حتى اشرف على الموت فلما ايقن الملك ان الموت قد نزل به قال لاهله هذا داء الموت قد نزل بي فادعوا لي اقاربي وولدي واجمعوا لي اهل مملكتي حتى لا يبقى منهم احد الا ويحضر فخرجوا ونادوا الناس القريبين واجهروا بالنداء للناس البعيدين حتى حضروا باجمعهم ودخلوا على الملك ثم قالوا له كيف انت ايها الملك وكيف ترى لنفسك من مرضك هذا قال لهم الملك ان مرضى هذا هو الذي فيه القاضية وقد نفذ السهم بما قدره اللّه تعالى على وانا الان في آخر يوم من ايام الدنيا وأول يوم من أيام الآخرة ثم قال لابنه ادن مني فدنا منه الغلام وهو يبكي بكاء شديدا حتى كاد ان يبل فراشه والملك قد دمعت عيناه وبكى كل من حضر ثم

قال الملك لولده لاتبك فاني لست باول من جرى له هذا المحتوم لانه سائر على جميع ما خلقه الله فاتق الله واعمل خيرا يسبقك إلي الموضع الذي تقصده جميع الخلائق ولا تطع الهوى واشغل نفسك بذكر الله في قيامك وقعودك ويقظتك ونومك واجعل الحق نصب عينك وهذا آخر كلامي معك والسلام وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة السابعة عشرة بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك جليعاد لما اوصى ولده بهذه الوصية عهد له بالملك من بعده قال الغلام لابيه قد علمت ياابتى اني لم ازل لك مطيعا ولوصيتك حافظا ولامرك منفذا ولرضاك طالبا وانت لي نعم الاب فكيف اخرج بعد موتك عما ترضي به وانت بعد حسن تربيتي مفارق لي ولا اقدر على ردك علي فاذا حفظت وصيتك صرت بها سعيدا وصار لي النصيب الاكبر فقال له الملك وهو في غاية الاستغراق من سكرات الموت يابني الزم عشر خصال ينفعك الله بها في الدنيا والآخرة وهن إذا اغتظت فاكظم غيظك واذا بليت فاصبرو واذا نطقت فاصدق واذا وعدت فاوف وإذا حكمت فاعدل واذا قدرت فاعف واكرم فؤادك واصفح عن اعدائك وابذل معروفك لعدوك وكف اذاك عنه والزم ايضا عشر خصال اخرى ينفعك الله بها في اهل مملكتك وهي اذا قسمت فاعدل وإذا عاقبت بحق فلا تجيرو اذا عاهدت فاوف بعهدك واقبل النصح واترك اللجاجة وألزم الرعية بالاستقامة على الشرائع والسنن الحميدة وكن حاكما عادلا بين الناس حتي يحبك كبيرهم وصغيرهم ويخافك عاتيهم ومفسدهم ثم قال للحاضرين من العلماء والامراء الذي كانوا حاضرين عهده لولده بالملك من بعده اياكم ومخالفة امر ملككم وترك الاستماع لكبيركم فان في ذلك هلاكا لارضكم وتفريقا لجمعكم وضررا لابدانكم وتلفا لاموالكم فتشمت بكم اعداؤكم وها انتم علمتم ما عاهدتموني عليه فهكذا يكون عهدكم مع هذا الغلام والميثاق الذي بيني وبينكم يكون ايضا بينكم وبينه وعليكم بالسمع والطاعة لامره لان في ذلك صلاح احوالكم واثبتوا معه علي ما كنتم معي فتستقيم اموركم ويحسن حالكم وها هوذا ملككم وولى نعمتكم والسلام ثم بعد هذا اشتدت به سكرات الموت والتجم لسانه فضم ابنه اليه وقبله وشكر الله ثم قضى نحبه وطلعت روحه فناح عليه جميع رعيته واهل مملكته ثم انهم كفنوه ودفنوه باكرام

وتبجيل واعظام ثم رجعوا والغلام معهم فالبسوه حلة الملك وتوجهوه بتاج والده والبسوه الخاتم في اصبعه وأجلسوه علي سرير الملك فسار الغلام فيهم بسيرة ابيه من الحلم والعدل والاحسان مدةيسيرة ثم تعرضت له الدينا وجذبته بشهواتها فاستغنم لذاتها واقبل على زخارف امورها وترك ما كان قلده ابوه من المواثيق ونبذ الطاعة لوالده واهمل مملكته ومشى فيما فيه هلاكه واشتد به حب النساء فصار لا يسمع بامرأة حسناء الا ويرسل اليها ويتزوج بها فجمع من النساء عددا اكثر مما جمع سليمان بن داود ملك بني اسرائيل وصار يختلي كل يوم بطائفة منهن ويستمر مع من يختلي بهن شهرا كاملا لا يخرج من عندهن ولا يسأل عن ملكه ولا عن حكمه ولا ينظر في مظلمة من يشكو اليه من رعيته واذا كاتبوه فلا يرد لهم جوابا فلما رأوا منه ذلك وعاينوا ما هو منطو عليه من ترك النظر في امورهم واهماله لأمور دولته وامور رعيته تحققوا انهم عن قليل يحل بهم البلاء فشق ذلك عليهم واقبل بعضهم على بعض يتلاومون فقال بعضهم لبعض امشوا بنا شماس كبير وزرائه نقص عليه امرنا ونعرفه ما يكون من امر هذا الملك لينصحه والا فعن قليل يحل بنا البلاء فان هذا الملك قد ادهشته الدنيا بلذاتها وختنته باشطانها فقاموا واتوا شماس وقالوا له ايها العالم الحكيم إن هذا الملك قد أدهشته الدنيا بلذاتها وختنته بأشطانها فأقبل على الباطل وسعى فى فساد مملكة وبفساد المملكة تفسد العامة ويصير امرنا إلي الهلاك وسببه اننا نمكث شهرا واياما لا نراه ولا يبرز الينا من رعيته لغفلته عنهم واننا قد اتينا اليك لنخبرك بحقيقة الامور لانك أكبرنا واكمل منا وليس ينبغي ان يكون بلاء في ارض انت مقيم بها لانك اقدر احد على اصلاح هذا الملك فانطلق وكلمه لعله يقبل كلامك ويرجع إلى الله فقام شماس ومضى إلي حيث اجتمع بمن يمكنه الوصول إليه وقال له ايها الولد الجيد اسألك ان تستأذن لي في الدخول للملك لان عندي امرا اريد ان انظر وجهه واخبره به واسمع ما يجيبني به عنه فاجاب الغلام قائلا والله ياسيدي من منذ شهر لم يأذن لاحد في الدخول عليه ولا أنا فطول هذه المدة ما رأيت له وجها ولكن ادلك على من يستأذنه لك وهو انك تتعلق بالوصيف الفلاني الذي يقوم على رأسه ويأخذ له الطعام من المطبخ فاذا خرج إلى المطبخ ليأخذ الطعام اسأله عما بدا لك فأنه يفعل لك ما تريد فانطلق شماس إلى باب المطبخ وجلس قليلا واذا بالوصيف قد اقبل واراد الدخول في المطبخ فكلمه شماس قائلا له يابني احب ان اجتمع بالملك لاخبره بكلام يخصه فمن

فضلك إذا فرغ من غدائه وطابت نفسه ان تكلمه لي وتأخذ لي منه اذنا بالدخول عليه لكي أكلمه بما يليق به فقال الوصيف سمعا وطاعة فلما اخذ الوصيف الطعام وتوجه به إلى الملك واكل منه فلما طابت نفسه قال له الوصيف ان شماس واقف بالباب يريد منك الأذن في الدخول عليك ليعلمك بامور تختص بك ففزع الملك وارتاب من ذلك وامر الوصيف بادخاله عليه وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الثامنة عشرة بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك لما امر الوصيف بادخال شماس عليه خرج الوصيف إلى شماس ودعاه إلى الدخول فلما دخل على الملك خرّ ساجدا وقبل يدى الملك ودعا له فقال الملك ما أصابك ياشماس حتى طلبت الدخول علي فقال ان لي مدة لم ار وجه سيدي الملك وقد اشتقت اليك كثيرا فها انا شاهدت طلعتك وجئت اليك بكلام اذكره لك ايها الملك المؤيد بكل نعمة فقال له قل ما بدا لك فقال شماس اعلم ايها الملك ان الله تعالى رزقك من العلم والحكمة على حداثةسنك ما لم يرزقه احدا من الملوك قبلك وان الله تمم لك ذلك بالملك وان الله يحب انك لا تخرج عما خولك اياه إلي غيره بسبب عصيانك له فلا تحاربه بذخائرك بل ينبغي ان تكون لوصاياه حافظا ولاموره طائعا لاني قد رأيتك منذ ايام قلائل نسيت اباك ووصيته ورفضت عهده واضعت نصحه وكلامه وزهدت عدله واحكامه ولم تذكر نعمة الله عليك ولم تقيدها بشكره قال الملك وكيف ذلك وما سببه قال شماس سببه انك تركت تعهد امور مملكتك وما قلدك اياه من امور رعيتك واقبالك على النفس فيما حسنته لك من قليل شهوات الدنيا وقد قيل ان اصلاح الملك والدين السبيل والرعية فما ينبغي للملك أن يحافظ عليه والرأى عندى أيها الملك أن تحسن النظر فى عاقبتك فإنك تجد الواضح الذي فيه النجاة ولا تقبل على اللذة القليلة الفانية الموصلة إلى ورطة الهلاك فيصيبك ما اصاب صياد السمك فقال له الملك وكيف كان ذلك قال شماس قد بلغني ان صيادا قد اتى إلى نهر ليصطاد منه على عادته فلما وصل إلى النهر ومشي على الجسر ابصر سمكة عظيمة فقال في نفسه ليس لي حاجة بالمقام ها هنا فانا امشي واتبع هذه السمكة إلى حيث تذهب حتى آخذها وهي تغنيني عن الصيد مدة ايام فتعرى من ثيابه ونزل خلف السمكة فأخذه جريان الماء إلى ان ظفر

بالسمكة وقبض عليها ثم التفت فوجد نفسه بعيدا عن الشاطيء فلما رأي ما قد صنع به جريان الماء لم يترك السمكة ويرجع بل خاطر بنفسه وقبض عليها بيديه وترك جسده سابحا مع جريان الماء فما زال يسحبه الماءإلى ان رماه في وسط دوامة لا يدخلها احد ويخلص منها فصار يصيح ويقول انقذوا الغريق فاتاه ناس من الحافظين على البحر وقالوا له ما شأنك وما دهاك حتى القيت نفسك في هذا الخطر العظيم فقال لهم أنا الذي تركت السبيل الواضح الذي فيه النجاة واقبلت على الهوى والهلكة فقالوا يا هذا كيف تركت سبيل النجاة وادخلت نفسك في هذه الهلكة وانت تعرف من قديم انه ما دخل ها هنا احد وسلم فما الذي منعك عن رمي ما في يدك ونجاة نفسك فكنت تنقذ روحك ولا تقع في هذا الهلاك الذي لا نجاة منه والان ليس احد منا ينقذك من هذه الهلكة فقطع الرجل الرجاء من حياته وفقد ما كان بيده مما حملته نفسه عليه وهلك هلاكا عظيما وما ضربت لك ايها الملك هذا المثل الا لاجل ان تدع هذا الامر الحقير الذي فيه اللهو عن مصالحك وتنظر فيما انت متقلده من سياسةرعيتك والقيام بنظام ملكك حتى لا يرى احد فيك عيبا قال الملك ما الذي تأمرني به قال شماس اذا كان في غدوانت بخير وعافية فائذن للناس بالدخول عليك وانظر في احوالهم واعتذر اليهم ثم عدهم من نفسك بالخير وحسن السيرة فقال شماس انك تكلمت بالصواب واني فاعل ما نصحتني به في غد ان شاء الله تعالي فخرج شماس من عنده واعلم الناس بكل ما ذكره له فلما اصبح الصباح خرج الملك من حجابه واذن للناس في الدخول عليه وصار يعتذر اليهم ووعدهم انه يصنع لهم ما يحبون فرضوا بذلك وانصرفوا وصار كل واحد إلي منزله ثم ان بعض نساء الملك وكانت احبهن إليه واكرمهن عنده قد دخلت عليه فرأته متغير اللون متفكرا في اموره بسبب ما سمعه من كبير وزرائه فقالت له مالي اراك ايها الملك قلق النفس هل تشتكي شيئاً فقال لها لا وانما استغرقتني اللذات عن شئونى فما لي ولهذا الغفلة عن احوالي وعن احوال رعيتي وان استمريت على ذلك فعن قليل يخرج ملكي عن يدي فاجابته قائلة اني اراك ايها الملك مع عمالك ووزراءنك مغشوشا فانهم انما يريدون نكايتك وكيدك حتى لا تحصل لك من ملكك هذه اللذة ولا تغنم نعيما ولا راحج بل يريدون ان تقضي عمرك في اندفاع المشقة عنهم حتي ان عمرك يفني بالنصب والتعب وتكون مثل الذي قتل نفسه لاصلاح غيره أو تكون مثل الفتي واللصوص فقال الملك

وكيف كان ذلك فقال ذكروا ان سبعة من اللصوص خرجوا ذات يوم يسرقون على عادتهم فمروا على بستان فيه جوز رطب فدخلوا ذلك البستان واذا هم بولد صغير واقف بينهم فقالوا له يافتى هل لك ان تدخل معنا هذاالبستان وتطلع هذه الشجرة وتأكل من جوزها كفايتك وترمي لنا منها جوزا فأجابهم الفتى إلي ذلك ودخل معهم وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة التاسعة عشرة بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الفتى لما اجاب اللصوص ودخل معهم قال بعضهم لبعض انظروا إلي اخفنا واصغرنا فاصعدوه فقالوا ما نرى فينا الطف من هذا الفتي فلما اصعدوه قالوا يافتى لا تلمس من الشجرة شيئا لئلا يراك احد فيؤذيك فقال الفتى وكيف افعل فقالوا له اقعد في وسطها وحرك كل غصن منها تحريكا قويا حتى يتناثر ما فيه فنلتقطه وإذا فرغ ما فيها ونزلت الينا فخذ نصيبك مما التقطناه فلما صعد الفتي علي الشجرة صار يحرك كل غصن وحده والجوز يتناثر منها واللصوص يجمعونه فبينما هم كذلك وإذا بصاحب الشجرة واقف عندهم وهم علي ذلك الحال فقال لهم ما لكم ولهذه الشجرة فقالوا له لم نأخذ منها شيئا غير اننا مررنا بها فرأينا هذا الولد فوقها فاعتقدنا انه صاحبها فطلبنا منه ان يطعمنا منها فهز بعض الاغصان حتى انتثر منها الجوز ونحن ما لنا ذنب فقال صاحب الشجرة للغلام فما تقول انت فقال كذب هؤلاء ولكن انا اقول لك الحق وهو اننا اتينا جميعا إلي هنا فأمروني بالصعود علي هذه الشجرة لاهز الاغصان كي ينتثر عليهم الجوز فامتثلت امرهم فقال صاحب الشجرة لقد القيت نفسك في بلاء عظيم وهل انتفعت باكل شيء منها فقال الغلام ما اكلت منها شيئا فقال له صاحب الشجرة لقد علمت الآن حماقتك وجهلك وهو انك سعيت في تلف نفسك لاصلاح غيرك ثم قال للصوص مالي عليكم سبيل امضوا إلي حال سبيلكم وقبض على الولد وعاقبه وهكذا وزراؤك واهل دولتك يريدون ان يهلكوك لاصلاح امرهم ويفعلون بك مثل ما فعل للصوص بالفتى فقال الملك حقا ما قلته ولقد صدقت في خبرك فانا لا أخرج اليهم ولا اترك لذاتي ثم بات مع زوجته في ارغد عيش إلي ان اصبح الصباح فلما اصبح الصباح قام الوزير وجمع ارباب الدولة مع من حضر معهم من الرعية ثم جاءوا إلي باب الملك

مستبشرين فرحين فلم يفتح لهم الباب ولم يخرج اليهم ولم يأذن لهم بالدخول عليه فلما يئسوا من ذلك قالوا لشماس ايها الوزير الفاضل والحكيم الكامل اما ترى حال هذا الصبي الصغير السن القليل العقل الذي قد جمع إلى ذنوبه الكذب فانظر وعده لك كيف اخلفه ولم يوف بما وعد وهذا الذنب يجب ان تضيفه إلي ذنوبه ولكن نرجو ان تدخل اليه ثانيا وتنظر ما السبب في تأخيره ومعه عن الخروج فأنا غير منكرين على طباعه الذميمة مثل هذا الامر فانه بلغ غاية القساوة ثم ان شماس توجه إليه ودخل عليه وقال السلام عليك ايها الملك مالي اراك قد اقبلت على شيء يسير من اللذة وتركت الامر الكبير الذي ينبغي الاعتناء به وكنت مثل الذي له ناقة وهو منطو على لبنها فالهاه حسن لبنها عن ضبط زمامها فاقبل يوما على حلبها ولم يعتن بزمامها فلما احست الناقة بترك الزمام جذبت نفسها وطلبت الفضاء فصار الرجل فاقد اللبن والناقة مع ان ضرر مالقيه اكثر من نفعه فانظر ايها الملك فيما فيه صلاح نفسك ورعيتك فانه ليس ينبغي للرجل ان يديم الجلوس علي باب المطبخ من اجل حاجته إلى الطعام ولا ينبغي له ان يكثر الجلوس مع النساء من اجل ميله اليهن وكما ان الرجل يبتغي من الطعام ما يدفع الم الجوع ومن الشراب ما يدفع الم العطش كذلك ينبغي للرجل العاقل ان يكتفي من هذه الاربعة والعشرين ساعة بساعتين مع النساء في كل نهارويصرف الباقي في مصالح نفسه وفي مصالح رعيته ولا يطيل المكث مع النساء ولا الخلوة بهن اكثر من ساعتين فان ذلك فيه مضرة لعقله وبدنه لانهن لا يأمرن بخير ولا يرشدن إليه ولا ينبغي ان يقبل منهن قولا ولا فعلا وقد بلغني ان ناسا كثيرة هلكوا بسبب نسائهم فمنهم رجل هلك من اجتماعه بزوجته لكونه اطاعها فيما امرته فقال الملك وكيف كان ذلك قال شماس زعموا ان رجلا كان له زوجة وكان يحبها وكانت مكرمة عنده فكان يسمع قولها ويعمل برأيها وكان له بستان غرسه بيده جديدا فكان يأتي إليه في كل يوم ليصلحه ويسقيه فقالت له زوجته يوما من الايام اي شيء غرست في بستانك فقال لها كل ماتحبينه وتريدينه وها انا مجتهد في اصلاحه وسقيه فقالت له هل لك ان تاخذني وتفرجني فيه حتى اراه وأدعو لك دعوة صالحة فان دعائي مستجاب فقال نعم امهليني حتى آتى إليك في غدو آخذك فلمااصبح الرجل اخذ زوجته معه وتوجه بها إلى البستان ودخلا فيه وفي حال دخولهما نظر اليهما اثنان من الشباب على بعد فقال بعضهما لبعض ان هذا الرجل زان وان هذه المرأة زانية

وما دخلا هذا البستان الا ليزنيا فيه فتبعاهما لينظرا ما يكون من امرهما فاما الشابان فانهما وقفا على جانب البستان واما الرجل وزوجته فانهما لما دخلا البستان واستقرا فيه قال الرجل لزوجته ادعي لي الدعوة التي وعدتني بها فقالت لا ادعو لك حتى تقوم بحاجتي التي تبتغيها النساء من الرجال فقال لها ويحك ايتها المرأة اما كان مني في البيت كفاية وها هنا اخاف على نفسي من الفضيحة وربما اشغلتني عن مصالحي اما تخافين ان يرانا احد قالت فلانبالى من ذلك لاننا لم نرتكب فاحشة ولا حراما واما سقي هذا البستان ففيه مهلة وانت قادر على سقيه في اي وقت اردت ولم تقبل منه عذرا ولا حجة والحت عليه في طلب النكاح فعند ذلك قام ونام معها فعندما ابصرهما الشابان المذكوران وثبا عليهما وامسكوهما وقالا لهما لا نطلقكما لانكما من الزناة وان لم نواقع المرأة نرفع امركما إلى الحاكم فقال لهما الرجل ويحكما ان هذه زوجتي وانا صاحب البستان فما سمعا له كلاما بل نهضا على المرأة فعند ذلك صاحت واستغاثت بزوجها قائلة له لا تدع الرجال يفضحونني فاقبل نحوهما وهو يستغيث فرجع إليه واحد منهما وضربه بخنجره فقتله واتيا المرأة وفضحاها وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الموفية للعشرين بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الشاب لما قتل زوج المرأة رجع الشابان إلى المرأة وفضحاها وإنما قلنا لك هذا ايها الملك لتعلم انه ليس ينبغي للرجل ان يسمع من امرأة كلاما ولا يطيعها في امر ولا يقبل لها رأيا في مشورةفاياك ان تلبس ثوب الجهل بعد ثوب الحكمة والعلم او تتبع الرأي الفاسد بعد معرفتك للرأي الرشيد النافع فلا تتبع لذة يسيرة مصيرها إلى الفساد وما لها إلى الخسران الزائد الشديد فلما سمع الملك ذلك من شماس قال له انا في غد اخرج اليهم ان شاء الله تعالى فخرج شماس إلى الحاضرين من كبراء المملكة واعلمهم بما قال الملك فبلغ المرأة ما قاله شماس فدخلت على الملك وقالت له انما الرعية عبيد للملك والآن رأيت انك ايها الملك عبد لرعيتك بحيث تهابهم وتخاف شرهم وهم انما يريدون ان يختبروا باطنك فان وجدوك ضعيفا تهاونوا بك وان وجدوك شجاعا هابوك وكذلك يفعل وزراء السوء بملكهم لان حيلهم كثيرة وقد اوضحت لك حقيقة كيدهم فان وافقتهم على ما يريدون اخرجوك من امرك إلى مرادهم ولم يزالوا

ينقلونك من امر إلى امر حتى يوقعوك في الهلكة ويكون مثلك مثل التاجر واللصوص فقال الملك وكيف كان ذلك قالت بلغني انه كان تاجر له مال كثيرة فانطلق بتجارة ليبيعها في بعض المدن فلما انتهى إلى مدينة اكترى له بها منزلا ونزل فيه فنظره لصوص كانوا يراقبون التجار لسرقة متاعهم فانطلقوا إلى منزل ذلك التاجر واحتالوا في الدخول عليه فلم يجدوا لهم سبيلا إلى ذلك فقال له رئيسهم انا اكفيكم امره ثم انه انطلق فلبس ثياب الاطباء وجعل على عاتقه جرابا فيه شيء من الدواء واقبل ينادي من يحتاج إلى طبيب حتى وصل إلى منزل ذلك التاجر فرآه جالسا على غدائه فقال له اتريد لك طبيبا فقال له لست محتاجا إلى طبيب ولكن اقعد وكل معي فقعد اللص مقابله وجعل يأكل معه وكان ذلك التاجر جيد الاكل فقال اللص في نفسه لقد وجدت فرصتي ثم التفت إلى التاجر وقال له لقد وجب علي نصيحتك لما حصل لي من احسانك وليس يمكن ان اخفي عليك نصيحة وهواني اراك رجلا كثير الاكل وهذا سببه مرض في معدتك فان لم تبادر بالسعي على دوائك والآل امرك إلى الهلاك فقال التاجران جسمي صحيح ومعدتي سريعة الهضم وان كنت جيد الاكل فليس ببدني مرض ولله الحمد والشكر فقال له اللص انما ذلك بحسب ما يظهر لك والافقد عرفت ان في باطنك مرضا خفيا فان انت اطعتني فداو نفسك فقال التاجر واين اجد من يعرف دوائي فقال له اللص انما المداوي هو اللّه ولكن الطبيب مثلي يعالج المريض على قدر امكانه فقال له التاجر ارني الان دوائي واعطني منه شيئا فاعطاه سفوفا فيه صبر كثير وقال له استعمل هذا في هذه الليلة فاخذ منه ولما كان الليل تعاطى منه شيئا فرآه صبرا كريه الطعم فلم ينكر منه شيئا فلما تعاطاه وجد منه خفة في تلك الليلة فلما كانت الليلة الثانية جاء اللص ومعه دواء فيه صبر اكثر من الاول فاعطاه منه شيئا فلما تعاطاه اسهله تلك الليلة ولكنه صبر على ذلك ولم ينكره فلما رأى اللص ان التاجر اعتنى بقوله واستأمنه على نفسه وتحقق انه لا يخالفه انطلق وجاء بدواء قاتل واعطاه له فاخذه منه التاجر وشربه فعندما شرب ذلك الدواء نزل ما كان في بطنه وتقطعت امعاؤه واصبح ميتا فقام اللصوص واخذوا جميع ما كان للتاجر واني ايها الملك ما قلت لك هذا إلا لاجل انك لا تقبل من هذا المخادع كلاما فيلحقك امور تهلك بها نفسك فقال الملك صدقت فانا لا اخرج اليهم فلما اصبح الصباح اجتمع الناس وجاءوا إلى باب الملك وقعدوا اكثر النهار حتى يئسوا من خروجه ثم رجعوا إلى

شماس وقالوا له ايها الفيلسوف الحكيم والماهر العليم اما ترى هذا الولد الجاهل لا يزداد إلا كذبا علينا وان اخراج الملك من يده واستبدال غيره به فيه الصواب فتنتظم بذلك أحوالنا وتستقيم أمورنا ولكن أدخل إليه ثالثا واعلمه انه لا يمنعنا من القيام عليه ونزع الملك منه إلا احسان والده الينا وما اخذه علينا من العهود والمواثيق ونحن مجتمعون في غد عن آخرنا بسلاحنا ونهدم باب هذا الحصن فان خرج الينا وصنع لنا ما نحب فلا بأس وإلا دخلنا عليه وقتلناه وجعلنا الملك في يد غيره فانطلق الوزير شماس ودخل على الملك وقال له ايها الملك المنهمك في شهواته ولهوه ما هذا الذي تصنعه بنفسك فياهل ترى من يغريك علي هذا فان كنت انت الجاني على نفسك فقد زال ما نعهده لك من الصلاحية والحكمة والفصاحة فليت شعري من الذي حولك ونقلك من العلم إلي الجهل ومن الوفاء إلي الجفاء ومن اللين إلى القسوة ومن قبولك مني إلى اعراضك عني فكيف انصحك ثلاث مرات ولا تقبل نصيحتي واشير عليك بالصواب وتخالف مشورتي فاخبرني ما هذه الغفلة وما هذه اللهو ومن اغراك عليه اعلم ان اهل مملكتك قد تواعدوا على انهم يدخلون عليك ويقتلونك ويعطون ملكك لغيرك فهل لك قوة على جميعهم والنجاة من ايديهم او تقدر على حياة نفسك بعد قتلها فان كنت اعطيت هذا كله امنت من قبله فلا حاجة لك بكلامي وان كانت حاجتك إلى الدنيا والملك فافق لنفسك واضبط ملكك واظهر للناس قوة بأسك واعلمهم باعذارك فانهم يريدون انتزاع ما في يدك وتسليمه إلي غيرك وقد عزموا على العصيان والمخالفة وصار دليل ذلك ما يعلمونه من صغر سنك ومن انكبابك على اللهو والشهوات فان الحجارة إذا طال مكثها في الماء متى أخرجت منه وضرب بعضها بعضا انقدحت منها النار والآن رعيتك خلق كثير وهم يتوازرون عليك ويريديون نقل الملك منك إلى غيرك ويبلغون فيك ما يريدونه من هلاكك ويكون مثلك مثل الثعلب والذئب وادرك شهر زاد الصباح وسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الحادية والعشرون بعد التسعمائة

قال بلغني أيها الملك السعيد ان الوزير شماس قال للملك ويبلغون فيك ما يريدون من هلاكك ويكون مثلك مثل الثعلب والذئب فقال الملك وكيف كان ذلك قال زعموا

ان جماعة من الثعالب خرجوا ذات يوم يطلبون ما يأكلون فبينما هم يجولون في طلب ذلك وإذا هم بجمل ميت فقالوا في انفسهم قد وجدنا ما نعيش به زمانا طويلا ولكن نخاف ان يبغى بعضنا على بعض ويميل القوى بقوته على الضعيف فيهلك الضعيف منا فينبغي لنا ان نطلب حكما يحكم بيننا ونجعل له نصيبا فلا يكون للقوى سلاطة على الضعيف فبينما هم يتشاورون في شأن ذلك وإذا بذئب اقبل عليهم فقال بعضهم لبعض ان اصاب رأيكم فاجعلوا هذا الذئب حكما بيننا لانه اقوى الناس وابوه سابقا كان سلطانا علينا ونحن نرجو من الله ان يعدل بيننا ثم انهم توجهوا اليه واخبروه بما صار إليه رأيهم وقالوا لقد حكمناك بيننا لاجل ان تعطي كل واحد منا ما يقوته في كل يوم على قدر حاجته لئلا يبغى قوينا على ضعيفنا فيهلك بعضنا بعضا فاجابهم الذئب إلي قولهم وتعاطي امورهم وقسم عليهم في ذلك اليوم ما كفاهم فلما كان من الغد قال الذئب في نفسه ان قسمة هذا الجمل بين هؤلاء العاجزين لا يعود على منها شيء إلا الجزء الذي جعلوه لي وان اكلته وحدي فهم لا يستطيعون لي ضرا مع انهم غنم لي ولاهل بيتي فمن الذي يمنعني عن اخذ هذا لنفسي ولعل الله مسببه لي بغير جميلة منهم فالاحسن لي ان اختص به دونهم ومن هذا الوقت لا اعطيهم شيئا فلما اصبح الثعالب جاءوا إليه على العادة يطلبون منه قوتهم فقالوا له ياابا سرحان اعطانا مؤنة يومنا فأجابهم قائلا ما بقى عندي شيء اعطيه لكم فذهبوا من عنده على أسوأ حال ثم قالوا ان الله اوقعنا في هم عظيم مع هذا الخائن الخبيث الذي لا يتقي الله ولا يخافه وليس لنا حول ولا قوة ثم قال بعضهم لبعض انما حمله على هذا الامر ضرورة الجوع فدعوه اليوم يأكل حتى يشبع وفي غد نذهب إليه فلما اصبحوا توجهوا إليه وقالوا له ياأبا سرحان انما وليناك علينا لاجل ان تدفع لكل واحد منا قوته وتنصف الضعيف من القوى وإذا فرغ تجتهد لنا في تحصيل غيره ونصير دائما تحت كنفك ورعايتك وقد مسنا الجوع ولنا يومان ما اكلنا فاعطنا مؤنتنا وانت في حل من جميع ما تتصرف فيه من دون ذلك فلم يرد عليهم جوابا بل ازداد قسوة فراجعوه فلم يرجع فقال بعضهم لبعض ليس لنا حيلة إلا اننا ننطلق إلى الاسد ونرمي انفسنا عليه ونجعل له الجمل فان احسن لنا بشيء منه كان من فضله وإلا فهو احق به من هذا الخبيث ثم انطلقوا إلى الاسد واخبروه بما حصل لهم مع الذئب ثم قالوا له نحن عبيدك وقد جئناك مستجيرين بك لتخلصنا من هذا الذئب ونصير لك عبيدا فلما

سمع الاسد كلام الثعالب اخذته الحمية وغار لله تعالى ومضى معهم إلى الذئب فلما رأي الذئب الاسد مقبلا طلب الفرار من قدامه فجرى الاسد خلفه وقبض عليه ومزقه قطعا ومكن الثعالب من فريستهم فمن هذا عرفنا انه لا ينبغي لاحد من الملوك يتهاون في امر رعيته فاقبل نصيحتي وصدق القول الذي قلته لك واعلم ان اباك قبل وفاته قد أوصاك بقبول النصيحة وهذا آخر كلامي معك والسلام فقال الملك اني سامع منك وفي غد ان شاء الله تعالي اطلع إليهم فخرج شماس من عنده واخبرهم بأن الملك قبل نصيحته ووعده انه في غد يخرج إليهم فلما سمعت زوجة الملك ذلك الكلام منقولا عن شماس وتحققت انه لابد من خروج الملك إلى الرعية اقبلت علي الملك مسرعة وقالت له ما اكثر تعجبي من اذعانك وطاعتك لعبيدك اما تعلم ان وزراءك هؤلاء عبيد لك فلاي شيء رفعتهم هذه الرفعة العظيمة حتى اوهمتهم انهم هم الذين اعطوك هذا الملك ورفعوك هذه الرفعة وانهم اعطوك العطايا مع انهم لم يقدروا ان يفعلوا معك ادنى مكروه فكان من حقك عدم الخضوع لهم بل من حقهم الخضوع لك وتنفيذ امورك فكيف تكون مرعوبا منهم هذا الرعب العظيم وقد قيل إذا لم يكن قلبك مثل الحديد لا تصلح ان تكون ملكا وهؤلاء غرهم حلمك حتى تجاسروا عليك ونبذوا طاعتك مع انه ينبغي ان يكونوا مقهورين على طاعتك مجبورين على الانقياد إليك فان انت سارعت لقبول كلامهم واهملتهم على ما هم فيه وقضيت لهم ادنى حاجة على غير مرادك ثقلوا عليك وطمعوا فيك وتصير لهم هذه عادة فان اطعتني لا ترفع لاحد منهم شأنا ولا تقبل لاحد منهم كلاما ولا تطمعهم في التجاسر عليك فتصير مثل الراعي واللص فقال لها الملك وكيف كان ذلك قالت زعموا انه كان رجل راعي غنم وكان محافظا على رعايتهم فاتاه لص ذات ليلة يريد ان يسرق من غنمه شيئاً فرآه محافظا عليهم لا ينام ليلا ولا يغفل نهارا فصار يحاوله طول ليله فلم يظفر منه بشيء فلما اعيته الحيلة انطلق إلى البرية واصطاد اسدا وسلخ جلده وحشاه تبنا ثم اتى به ونصبه على محل عال في البرية بحيث يراه الراعي ويتحققه ثم اقبل اللص على الراعي وقال له ان هذا الاسد قد ارسلني إليك يطلب عشاء من هذه الغنم فقال له الراعي واين الاسد فقال له اللص ارفع بصرك ها هو واقف فرفع الراعي رأسه فرأي صورة الاسد فلما رآها ظن انها اسد حقيقة ففزع منها فزعا شديدا وادرك شهر زاد فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الثانية والعشرون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الراعي لما رأى صورة الاسد ظن إنها اسدٌ حقيقة ففزع منها فزعا شديدا واخذه الرعب وقال للص ياأخي خذ ما شئت ليس عندي مخالفة فاخذ اللص من الغنم حاجته وازداد طمعه في الراعي بسبب شدة خوفه فصار كل قليل يأتي إليه ويرعبه ويقول له ان الاسد يحتاج إلى كذا وقصده ان يفعل كذا ثم يأخذ من الغنم كفايته ولم يزل اللص مع الراعي على هذه الحالة حتى افنى غالب الغنم وانما قلت لك هذا الكلام ايها الملك لئلا يغتر كبراء دولتك هؤلاء بحلمك ولين جانبك فيطمعوا فيك والرأي السديد ان يكون موتهم اقرب مما يفعلونه بك فقبل الملك قولها وقال اني قبلت منك هذه النصيحة ولست مطيعا لمشورتهم ولا خارجا إليهم فلما اصبح الصباح اجتمع الوزراء واكابر الدولة ووجهاء الناس وحمل كل واحد مهم سلاحه معه وتوجهوا إلى بيت الملك ليهجموا عليه ويقتلوه ويولوا غيره فلما وصلوا إلى بيت الملك سألوا البواب ان يفتح لهم الباب فلم يفتح لهم فارسلوا ليحضروا نارا فيحرقوا بها الأبواب ثم يدخلوا فسمع البواب منهم هذا الكلام فانطلق بسرعة واعلم الملك ان الخلق مجتمعون على الباب وقال له انهم سألوني ان افتح لهم فابيت فارسلوا ليحضروا نارا فيحرقوا بها الأبواب ثم يدخلوا عليك ويقتلوك فبماذا تأمرني فقال الملك في نفسه اني وقعت في الهلكة العظيمة ثم ارسل خلف المرأة فحضرت فقال ان شماس لم يخبرني بشيء إلا وقد وجدته صحيحا وقد حضر الخاص والعام من الناس يريدون قتلي وقتلكم ولما لم يفتح لهم البواب ارسلوا ليحضروا النار يحرقون الأبواب فيحترق البيت ونحن داخله فماذا تشيرين علينا فقالت له المرأة لا بأس عليك ولا يهولنك امرهم فان هذا زمان يقوم فيه السفهاء علي ملوكهم فقال لها الملك فما تشيرين به على لافعله وما الحيلة في هذا الامر فقال له الرأي عندي انك تعصب رأسك بعصابة وتظهر انك مريض ثم ترسل إلى الوزير شماس فيحضر إليك ويرى حالك الذي انت فيه فإذا حضر فقل له قد اردت الخروج إلى الناس في هذا اليوم فمنعني هذا المرض فاخرج إلي الناس واخبرهم بما انا فيه واخبرهم اني في غد اخرج إليهم واقضي حوايجهم وانظر في احوالهم ليطمئنوا ويسكن غيظهم وإذا اصبحت فاستدع بعشرة من عبيد ابيك يكونون من اهل البأس والقوة وتكون آمنا على نفسك منهم ويكونون سامعين لقولك طائعين لامرك كاتمين لسرك حافظين

لودك ثم اوقفهم على رأسك وأمرهم ان لا يمكنوا احدا من الدخول عليك إلا واحدا بعد واحد فإذا دخل واحد فقل لهم خذوه واقتلوه وإذا اتفقوا معك على ذلك فاصبح ناصبا كرسيك في ديوانك وافتح بابك فانهم إذا رأوك فتحت الباب طابت نفوسهم واتوا لك بقلب سليم واستأذنوا في الدخول عليك فأذن لهم في الدخول واحدا بعد واحد كما قلت لك وافعل بهم مرادك ولكن ينبغي ان تبدأ بقتل شماس الكبير اولهم فانه هو الوزير الاعظم وهو صاحب الامر فاقتله أولا ثم بعد ذلك اقتل الجميع واحد ابعد واحد ولا تبق منهم من تعرف انه ينكث لك عهدا وكذلك كل من تخاف صولته فانك إذا فعلت بهم ذلك فانهم لا يبقى لهم قوة عليك وتستريح منهم الراحة الكلية ويصفو لك الملك وتعمل ما تحب واعلم انه لا حيلة لك انفع من هذه الحيلة فقال لها الملك ان رأيك هذا سديد وامرك فيه رشيد فلابد ان اعمل ما ذكرت ثم امر بعصابة فشد بها رأسه وتضاعف وارسل إلى شماس فلما حضر بين يديه قال له ياشماس قد علمت اني لك محب ولرأيك مطيع وانت لي كالأخ والوالد دون كل احد وتعرف اني اقبل منك جميع ما امرتني به وقد كنت امرتني بالخروج إلى الرعية والجلوس لأحكامهم وتحققت انها نصيحة منك لنا وقد اردت الخروج إليهم بالأمس فعرض لي هذا المرض ولست استطيع الجلوس وقد بلغني ان اهل المملكة متنغصون من عدم خروجي إليهم وهموا ان يفعلوا بي ما لا يليق من شرهم فأنهم غير عالمين بما انا فيه من المرض فاخرج إليهم وأعلمهم بحالي وما انا فيه واعتذر إليهم عني فاني تابع لما يقولون وفاعل ما يحبون فاصلح هذا الامر واضمن له عني ذلك فانك نصيح لي ولوالدي من قبلي وعادتك الإصلاح بين الناس وان شاء الله تعالى في غد اخرج إليهم ولعل مرضي ان يزول عني في هذه الليلة ببركة صالح نيتي وما ضمرته لهم من الخير في سريرتي فسجد شماس لله ودعا للملك وقبل يديه وفرح بذلك وخرج إلى الناس واخبرهم بما سمعه من الملك ونهاهم عما ارادوه واعلمهم بالعذر من سبب امتناع الملك عن الخروج واخبرهم انه وعده في غد بالخروج إليهم وانه يصنع لهم ما يحبون فانصرفوا عند ذلك إلى منازلهم وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الثالثة والعشرون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان شماس خرج إلى الدولة وقال لهم ان الملك في غد يخرج إليكم ويصنع لكم ما تحبون فانصرفوا إلى منازلهم هذا ما كان ما امرهم واما ما كان ما امر الملك فانه بعث إلى العشرة عبيد الجبابرة الذين اختارهم من جبابرة ابيه وكانوا ذوي عزم جليد وبأس شديد وقال لهم قد علمتم ما كان لكم عند والدي من الحظوة ورفعة الشأن والإحسان إليكم مع لطفه بكم واكرامه إياكم فأنا أنزلكم بعده عندي في درجة ارفع من تلك الدرجة وسأعرفكم سبب ذلك وانتم في امان الله مني ولكن اسألكم عن مسألة هل تكونون معي فيها طائعين لامري فيما اقوله لكم كاتمين لسرى عن جميع الناس ولكم مني الإحسان فوق ما تريدون حيث امتثلتم امري فاجابوه العشرة من فم واحد وكلام متوارد قائلين جميع ما تأمرنا به ياسيدنا نحن به عاملون ولا نخرج عن ما تشير به علينا مطلقا وانت ولي امرنا فقال لهم احسن الله لكم فانا الآن اعرفكم سبب اختصاصكم لمزيد الإكرام عندي هو انكم قد علمتم ما كان يفعله أبى بأهل مملكته من الإكرام وما عاهدهم عليه من أمرى واقرارهم له بأنهم لا ينكثون لي عهدا ولا يخالفون امري وقد نظرتم ما كان منهم بالامس فرأيت انه لا يزجرهم عن مثله الا نكالهم فلابد ان أوكلكم بقتل من اشير لكم بقتله سرا حتى ادفع الشر والبلاء عن بلادي بقتل اكابرهم ورؤسائهم وطريقة ذلك اني اقعد في هذا المقعد في هذه المقصورة في غد وأأذن لهم بالدخول علي واحدا بعد واحد وان يدخلوا من باب ويخرجوا من آخر فقفوا انتم العشرة بين يدي فاهمين لاشارتي وكل ما يدخل واحد فخذوه وادخلوا به هذا البيت واقتلوه واخفوا جثته فقالوا سمعا لقولك وطاعة لامرك فعند ذلك احسن إليهم وصرفهم وبات فلما اصبح طلبهم وامر بنصب السرير ثم لبس ثياب الملك واخذ في يده كتاب القضاء وامر بفتح الباب ففتح واوقف العشرة عبيد بين يديه ونادى المنادي من كان له حكومة فليحضر إلى بساط الملك فاتى الوزراء والقوّاد والحجاب ووقف كل واحد في مرتبته ثم امر بالدخول واحدا بعد واحد فدخل شماس الوزير اولا كما هي عادة الوزير الاكبر فلما دخل واستقر قدام الملك لم يشعر إلا والعشرة عبيد محتاطون به واخذوه وادخلوه البيت وقتلوه واقبلوا على باقي الوزراء ثم العلماء ثم الصلحاء فصاروا يقتلونهم واحدا بعد واحد حتى فرغوا من الجميع ثم دعا بالجلادين وامرهم بحط السيف

في من بقى منهم الشجاعة وقوة البأس فلم يتركوا احدا ممن يعرفون ان له شهامة إلا قتلوه ولم يتركوا الاسفلة الناس ورعاعهم ثم طردوهم ولحق كل واحد منهم بأهله ثم بعد ذلك اختلي الملك بلذاته واعطى نفسه شهواتها واتبع البغي والجور والظلم حتى سبق من تقدمه من اهل الشر وكانت بلاد هذا الملك معدن الذهب والفضة والياقوت والجواهر وجميع من حوله من الملوك يحسدونه علي هذه المملكة ويتوقعون له البلاء فقال في نفسه بعض الملوك المجاورين له اني ظفرت بما كنت اريد من اخذ هذه المملكة من يد هذا الولد الجاهل بسبب ما حصل من قتله لاكابر دولته واهل الشجاعة والنجدة الذين كانوا في ارضه فهذا هو وقت الفرصة وانتزاع ما في يده لكونه صغيرا ولا دراية له بالحرب ولا رأي له ولم يبق عنده من يرشده ولا يعضده فأنا اليوم افتح معه باب الشر وهو اني اكتب له كتابا وأعبث به فيه وابكته علي ما حصل منه وانظر ما يكون من جوابه فكتب له مكتوبا مضمونه بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فقد بلغني ما فعلت بوزرائك وعلمائك وجبابرتك وما اوقعت نفسك فيه من البلاء حتى لم يبق لك طاقة ولا قوة على دفع من يصول عليك حين طغيت وافسدت وان الله قد اعطاني النصر عليك وظفرني بك فاسمع كلامي وامتثل امري وابن لي قصرا منيعا في وسط البحر وان لم تقدر على ذلك فاخرج من بلادك وفز بنفسك فاني باعث إليك من اقصى الهند اثنى عشر كردوسا كل كردوس اثنا عشر الف مقاتل فيدخلون بلادك وينهبون اموالك ويقتلون رجالك ويسبون حريمك واجعل قائدهم بديعا وزيري وأمره أن يرسخ عليها محاصرا إلي ان يملكها وقد امرت هذا الغلام المرسل إليك انه لا يقيم عندك غير ثلاثة أيام فان امتثلت امري نجوت وإلا ارسلت إليك ما ذكرته لك ثم ختم الكتاب واعطاه للرسول فسار به حتى وصل إلي تلك المدينة ودخل علي الملك واعطاه الكتاب فلما قرأه الملك ضعفت قوته وضاق صدره والتبس عليه امره وتحقق الهلاك ولم يجد من يستشيره ولا من يستعين به ولا من ينجده فقام ودخل علي زوجته وهو متغير اللون فقالت له ما شأنك ايها الملك فقال لها لست اليوم بملك ولكني عبد للملك ثم فتح الكتاب وقرأه عليك فلما سمعته اخذت في البكاء وما عند النساء من الحيلة في الحروب والنساء لا قوة له ولا رأى لهن وانما القوة والرأي والحيلة للرجال في مثل هذا الأمر فلما سمع الملك منها ذلك الكلام حصل له غاية الندم والتأسف والكآبة على ما فرط منه في حق جماعته ورؤساء دولته وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الرابعة والعشرون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك لما سمع من زوجته ذلك الكلام حصل له غاية الندم والتأسف علي ما فرط منه من قتل وزرائه واشراف رعيته وتمنى الموت لنفسه قبل ان يرد عليه مثل هذا الخبر الفظيع ثم قال لنسائه لقد وقع لي منكن ما وقع للدراج من السحالف فقلن له وكيف كان ذلك فقال الملك زعموا ان سحالفا كانت في جزيرة من الجزائر وكانت تلك الجزيرة ذات اشجار واثمار وانهار فاتفق ان دراجا اجتاز بها يوما وقد اصابه الحر والتعب فلما اضر به ذلك حط من طيرانه في تلك الجزيرة التي بها تلك السحالف فلما رأى السحالف التجأ إليها ونزل عندها وكانت السحالف ترعى في جهات الجزيرة ثم ترجع إلى مكانها فلما رجعت من مسارحها إلى مكانها رأت الدراج فيه فما رأته اعجبها وزينه الله لها فسبحت خالقها واحبت هذا الدراج حبا شديدا وفرحت به ثم قال بعضها لبعض لا شك ان هذا من احسن الطيور فصارت كلها تلاطفه وتجنح إليه فلما رأي منها عين المحبة مال إليها واستأنس بها وصار يطير إلى اي جهة اراد وعند المساء يرجع إلى البيت عندها فإذا اصبح الصباح يطير إلى حيث اراد وصارت هذه عادته واستمر على هذا الحال مدة من الزمان فلما رأت السلاحف ان غيابه عنها يوحشها وتحققت أنها لا تراه إلا في الليل وإذا اصبح طار مبادرا ولا تشعر به مع زيادة حبها له قال بعضها لبعض ان هذا الدراج قد احببناه وصار لنا صديقا وما بقى لنا قدرة على فراقه فما يكون من الحيلة الموصلة إلى اقامته عندنا دائما لانه إذا طار يغيب عنا النهار كله ولا نراه إلا في الليل فاشارت عليها واحدة قائلة استريحوا ياأخواتي وانا اجعله لا يفارقنا طرفة عين فقال لها الجميع ان فعلت ذلك صرنا لك كلنا عبيدا فلما حضر الدراج من مسرحه وجلس بينها تقربت منه السحلفة المحتالة ودعت له وهنته بالسلامة وقالت له ياسيد اعلم ان الله رزقك منا المحبة وكذلك أودع قلبك محبتنا وصرت لنا في هذا القفر انيسا وأحسن اوقات المحبين إذا كانوا مجتمعين والبلاء العظيم في البعد والفراق ولكنك تتركنا عند طلوع الفجر ولم تعد إلينا إلا عند الغروب فيصير عندنا وحشة زائدة وقد شق علينا ذلك كثيرا ونحن في وجد عظيم بهذا السبب فقال لها الدراج نعم انا عندي محبة لكن واشتياق عظيم إليكن زيادة على ما عندكن وفراقكن ليس سهلا عندي ولكن ما بيدي حيلة في ذلك لكوني طيرا باجنحة فلا يمكنني المقام معكن دائما لان هذا ليس من طبعي

فان الطير ذا الاجنحة ليس له مستقر إلا في الليل لاجل النوم وإذا اصبح طار وسرح في اي موضع اعجبه فقالت له السحلفة صدقت ولكن ذا الاجنحة في غالب الاوقات لا راحة له لكونه لا يناله من الخير ربع ما يحصل له من المشقة وغاية المقصود للشخص الرفاهية والراحة ونحن قد جعل الله بيننا وبينك المحبة والالفة ونخشى عليك ممن يصطادك من اعدائك فتهلك ونحرم من رؤية وجهك فاجابها الدراج قائلا صدقت ولكن ما عندك من الرأي والحيلة في امري فقالت له الرأي عندي ان تنتف سواعدك التي تسرع بطيرانك وتقعد عندنا مستريحا وتأكل من اكلنا وتشرب من شربنا في هذه السرحة الكثيرة الاشجار اليانعة الاثمار ونقيم نحن وانت في هذا الموضع الخصب ويتمتع كل منا بصاحبه فمال الدراج إلي قولها وقصد الراحة لنفسه ثم نتف ريشه واحدة بعد واحدة حكم ما استحسنه من رأي السحلفة واستقر عندهن عائشا معهن ورضي باللذة اليسيرة والطرب الزائل فبينما هم على تلك الحالة وإذا بابن عرس قد مر عليه فرمقه بعينه وتأمله فرأه مقصوص الجناح لا يستطيع النهوض فلما رآه علي تلك الحالة فرح به فرحا شديدا وقال في نفسه ان هذا الدراج سمين اللحم قليل الريش ثم دنا منه ابن عرس وافترسه فصاح الدراج وطلب النجدة من السحالف فلم ينجدنه بل تباعدن عنه وانكمشن في بعضهن لما رأين ابن عرس قابضا عليه وحيث رأين ابن عرس يعذبه خنقهن البكاء عليه فقال لهن الدراج هل عندكن شيء غير البكاء فقلن له ياأخانا ليس لنا قوة ولا طاقة ولا حيلة فى أمر ابن عرس فحزن الدراج عند ذلك وقطع الرجاء من حيا نفسه وقال لهن ليس لكن ذنب إنما الذنب لي حيث اطعتكم ونتفت اجنحتي التي اطير بها فانا استحق الهلاك لمطاوعتي لكن ولا الومكن في شيء وانا الآن لا الومكن ايها النساء بل الوم نفسي وأؤدبها حيث لم تتذكر انكن سبب الهفوة التي حصلت من ابينا آدم ولأجلها خرج من الجنة ونسيت انكن اصل كل شر فاطعتكن بجهلي وخطأ رأيي وسوء تدبيري وقتلت وزرائي وحكام مملكتي الذين كانوا لي نصحاء في كل الامور وكانوا عزتي وقوتي علي كل امر اهمني فانا الآن لم اجد عوضا عنهم ولا أرى أي احد يقوم مقامهم وقد وقعت في الهلاك العظيم وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الخامسة والعشرون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد أن الملك لام نفسه وقال انا الذي اطعتكن بجهلي وقتلت وزرائي ولم اجد عوضا عنهم يقوم مقامهم وان لم يفتح الله علي بمن له رأي

سديد يرشدني إلي ما فيه خلاصي وقعت في الهلكة العظيمة ثم انه قام ودخل مرقده بعد ان نعي الوزراء والحكماء قائلا ياليت هؤلاء الاسود عندى في هذا الوقت ولو ساعة واحدة حتى اعتذر إليهم وانظرهم واشكوا اليهم امري وما حل بي بعدهم ولم يزل غريقا في بحر الهم طول نهاره لا يأكل ولا يشرب فلما جنّ الليل قام وغير لباسه ولبس ثيابا رديئة وتنكر وخرج يسوح في المدينة لعله يسمع من احد كلمة يرتاح بها فبينما هو يطوف في الشوارع وإذا هو بغلامين مختليين بأنفسهما جالسين بجانب حائط وهما مستويان في السن عمر كل واحد منهما اثنتا عشرة سنة فسمعهما يتحدثان مع بعضهما فدنا منهما الملك بحيث يسمع كلامهما ويفهمه فسمع واحدا منهما يقول للآخر اسمع ياأخي ما حكاه لي والدي ليلة امس من اجل ما وقع له في زرعه ويبسه قبل اوانه بسبب عدم المطر وكثرة البلاء الحاصل في هذه المدينة فقال له الآخر اتعرف ما سبب هذا البلاء قال له لا فان كنت تعرف انت فاذكره لي فاجابه قائلا نعم اعرفه واخبرك به اعلم ان بعض اصحاب والدي قال لي ان ملكنا قد قتل وزراءه وعظماء دولته من غير ذنب جنوه بل من اجل حبه للنساء وميله اليهن وان الوزراء نهوه عن ذلك فلم ينته وامر بقتلهم طاعة لنسائه حتى انه قتل شماس والدي وزيره ووزير والده من قبله وكان صاحب مشورته ولكن سوف تنظر ما يفعل الله به بسبب ذنوبهم فسينتقم لهم منه فقال الغلام وما عسي ان يفعل الله به بعد هلاكهم قال له اعلم ان ملك الهند الاقصى قد استخف بملكنا وبعث إليه كتابا يوبخه فيه ويقول له ابن لي قصرا في وسط البحر وان لم تفعل ذلك فأنا ارسل إليك اثنى عشر كردوسا كل كردوس فيه مائة الف مقاتل واجعل قائد هذه العساكر بديعا وزيري فيأخذ ملكك ويقتل رجالك ويسبيك مع حريمك فلما جاءه رسول ملك الهند الاقصى بهذا الكتاب امهله ثلاثة أيام واعلم ياأخي ان ذلك الملك جبار عنيد ذو قوة وبأس شديد وفي مملكته خلق كثير وان لم يحتل ملكنا فيما يمنعه منه وقع في الهلكة وبعد هلاك ملكنا يأخذ هذا الملك ارزاقنا ويقتل رجالنا ويسبي حريمنا فلما سمع الملك منهما هذا الكلام زاد اضطرابا ومال اليهما وقال في نفسه ان هذا الغلام لحكيم لكونه اخبر عن شيء لم يبلغه مني فان الكتاب الذي جاء من ملك اقصى الهند عندي والسر معي ولم يطلع احد على هذا الخبر غيري فكيف علم هذا الغلام به ولكن انا التجيء إليه وأكلمه واسأل الله ان يكون خلاصنا لديه ثم ان الملك دنا من الغلام بلطف وقال له ايها الولد الحبيب ما هذا

الذي ذكرته من اجل ملكنا فانه قد اساء كل الاساءة في قتل وزرائه وكبراء دولته لكنه في الحقيقة قد اساء نفسه ورعيته وانت صدقت فيما قلته ولكن عرفني ايها الملك من اين عرفت ان ملك الهند الاقصى كتب إلى ملكنا كتابا وبخه فيه وقال له هذا الكلام الصعب الذي قلته قال له الغلام قد علمت هذا من قول القدماء انه ليس يخفي علي الله خافية والخلق من بني آدم فيهم روحانية تظهر لهم الاسرار الخفية فقال له صدقت ياولدي لكن هل لملكنا حيلة أو تدبير يدفع به عن نفسه وعن مملكته هذا البلاء العظيم فاجاب الغلام قائلا نعم إذا ارسل الملك إلى وسألني ماذا يصنعه ليدفع به عدوه وينجو من كيده اخبرته بما فيه نجاته بقوة الله تعالى قال له الملك ومن يعلم الملك بذلك حتى يرسل إليك ويدعوك فأجابه قائلا اني سمعت عنه انه يفتش على اهل الخبرة والرأي الرشيد وإذا ارسل إلى سرت معهم إليه وعرفته بما فيه صلاحه ودفع البلاء عنه وان اهمل هذا الامر العسير واشتغل بلهوه مع نسائه واردت اني اعلمه بما فيه نجاته وتوجهت إليه من تلقاء نفسي فانه يأمر بقتلي مثل اولئك الوزراء وتكون معرفتي به سببا لهلاكي وتستقل الناس بي ويستنقصون عقلي واكون من مضمون قول من قال من كان علمه اكثر من عقله هلك ذلك العالم بجهله فلما سمع الملك كلام الغلام تحقق حكمته وتبين فضيلته وتيقن ان النجاة تحصل له ولرعيته علي يديه فعند ذلك اعاد الملك الكلام على الغلام وقال له من اين انت واين بيتك فقال له الغلام ان هذه الحائط توصل إلى بيتنا فتعهد الملك ذلك المكان ثم انه ودع الغلام ورجع إلى مملكته مسرورا فلما استقر في بيته لبس ثيابه ودعا بالطعام والشراب ومنع عنه النساء واكل وشرب وشكر الله تعالى وطلب منه النجاة والمعونة والمغفرة والعفو عن ما فعل بعلماء دولته ورؤسائهم ثم تاب إلى الله توبة خالصة وافترض على نفسه الصوم والصلاة الكثيرة بالنذر ودعا باحد غلمانه الخواص ووصف لهم مكان الغلام وامره ان ينطلق إليه ويحضره بين يديه برفق فمضى ذلك العبد إلى الغلام وقال له ان الملك يدعوك لخير يصل إليك من قبله ويسألك سؤالا ثم تعود في خير إلى منزلك فأجاب الغلام قائلا وما حاجة الملك التي دعاني من اجلها قال له الخادم ان حاجة مولاي التي دعاك من اجلها هي سؤال وجواب فقال له الغلام الف سمع والف طاعة لامر الملك ثم سار معه حتى وصل إلي الملك فلما صار بين يديه سجد لله ودعا للملك بعد ان سلم عليه فرد الملك عليه السلام وامره بالجلوس فجلس وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة السادسة والعشرون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الغلام لما جاء الملك وسلم عليه امره بالجلوس فجلس فقال له هل تعرف من تكلم معك بالامس قال الغلام نعم قال له فاين هو فأجابه بقوله هو الذي يكلمني في هذا الوقت فقال له الملك لقد صدقت ايها الحبيب ثم امر الملك بوضع كرسي في جانب كرسيه واجلسه عليه وامر باحضار اكل وشرب ثم امتزجا في الحديث إلي ان قال الملك للغلام انك ايها الوزير حدثتني بالامس حديثا وذكرت فيه ان معك حيلة تدفع بها عنا كيد ملك الهند فما هي الحيلة وكيف التدبير في دفع شره عنا فاخبرني لكي اجعلك اول من يتكلم معي في الملك واصطفيك وزيرا إلي واكون تابعا لرأيك في كل ما اشرت به علي واجيزك جائزة سنية فقال له الغلام جائزتك لك ايها الملك والمشورة والتدبير عند نسائك اللاتي اشرن عليك بقتل والدي شماس مع بقية الوزراء فلما سمع الملك منه ذلك خجل وتنهد وقال أيها الولد الحبيب وهل شماس والدك كما ذكرت فاجابه الغلام قائلا ان شماس والدي حقا وانا ولده صدقا فعند ذلك خشع الملك ودمعت عينا واستغفر الله وقال ايها الغلام اني فعلت ذلك بجهلي وسوء تدبير النساء وكيدهن عظيم ولكن اسألك ان تكون مسامحا لي واني جاعلك في موضع ابيك وأعلا مقاما من مقامه وإذا زالت هذه النقمة النازلة منا طوقتك بطوق الذهب واركبتك اعز مركوب وامرت المنادي ان ينادي قدامك قائلا هذا الولد العزيز صاحب الكرسي الثاني بعد الملك واما ما ذكرت من امر النساء فاني اضمرت الانتقام منهن وجعلته في الوقت الذي يريده الله تعالي فاخبرني بما عندك من التدبير ليطمئن قلبي فأجبه الغلام قائلا اعطني عهدا انك لا تخالف رأيي فيما أذكره لك وان اكون مما اخشاه في امان فقال له الملك هذاعهد الله بيني وبينك اني لا اخرج عن كلامك وانك عندي صاحب المشورة ومهما امرتني به فعلته والشاهد بيني وبينك علي ما اقول هو الله تعالي فعند ذلك انشرح صدر الغلام واتسع عنده مجال الكلام فقال ايها الملك ان التدبير والحيلة عندي انك تنظر الوقت الذي يحضر لك فيه الساعي طالبا الجواب بعد المهلة التي امهلته اياهافإذا حضر بين يديك وطلب الجواب ادفعه عنك وامهله إلي يوم آخر فعند ذلك يعتذر إليك بان ملكه حدد عليه أياما معلومة ويراجعك في كلامك فاطرحه ومهله إلي يوم آخر ولا تعين له ذلك اليوم فيخرج من عندك غضبان ويتوجه إلى وسط المدينة ويتكلم

جهرا بين الناس ويقول ياأهل المدينة إني ساعي ملك الهند الاقصى وهو صاحب بأس شديد وعزم يلين الحديد وقد ارسلني بكتاب إلي ملك هذه المدينة وحدد لي اياما وقال ان لم تحضر عقب الايام التي حددتها لك حلت بك نقمتي وها انا جئت إلي ملك هذه المدينة واعطيته الكتاب فلما قرأه مهلني ثلاثة ايام ثم يعطني جواب ذلك الكتاب فاجبته إلي ذلك لطفا به ورعاية لخاطره وقد مضت الثلاثة ايام واتيت اطلب منه الجواب فامهلني إلي يوم آخر وانا ليس عندي صبر فها انا منطلق إلى سيدي ملك الهند الأقصى واخبره بما وقع لي وانتم ايها القوم شاهدون بيني وبينه فعند ذلك يبلغك كلامه فارسل إليه واحضر بين يديك وكلمه بلطف وقل له ايها الساعي لاتلاف نفسه ما الذي حملك علي ملامتنا بين رعيتنا لقد استحقيت منا التلف عاجلا ولكن قالت القدماء العفو من شيم الكرام واعلم ان تأخير الجواب عنك ليس عجزا منا وانما هو لزيادة اشغالنا وقلة تفرغنا لكتابة جواب ملككم ثم اطلب الكتاب واقرأه ثانيا وبعد ان تفرغ من قراءته اكثر من الضحك وقل له هل معك كتاب غير هذا الكتاب فنكتب جوابا له ايضا فيقول لك ليس معي كتاب غير هذا الكتاب فأعد عليه القول ثانيا وثالثا فيقول لك ليس معي غيره اصلا فقل له ان ملككم هذا معدوم العقل حيث ذكر في هذا الكتاب كلاما يريد به تقويم نفوسنا لاجل ان نتوجه بعسكرن إليه فنغزوا بلاده وناخذ مملكته ولكن لا نؤاخذه في هذه المرة علي اساءته ادبه بهذا المكتوب لانه قاصر العقل ضعيف الحزم فالمناسب لمقدرتنا ان ننذره اولا ونحذره من ان يعود لمثل هذه الهذيانات فان خاطر بنفسه وعاد إلي مثلها استحق البلاء عاجلا واظن ان الملك الذي ارسلك جاهل أحمق غير مفكر في العواقب وليس له وزير عاقل سديد الرأي يستثيره ولو كان عاقلا لاستشار وزيرا قبل ان يرسل الينا مثل هذا الكلام السخرية ولكن له عندي جواب مثل كتابه وازيد وانا ادفع كتابه لبعض صبيان المكتب ليجيبه ثم ارسل إلي واطلبني فإذا حضرت بين يديك فاذن لي بقراءة الكتاب ورد جوابه فعند ذلك انشرح صدر الملك واستحسن رأي الغلام واعجبته حيلته فانعم عليه وخوله رتبة والده وصرفه مسرورا فلما انقضت الثلاثة ايام التي جعلها مهلة للساعي جاء الساعي ودخل على الملك وطلب الجواب فامهله الملك إلي يوم آخر فخرج الساعي إلى آخر إلى السوق وقال ياهل هذه المدينة اني رسول ملك الهند الاقصي إلي ملككم جئته برسالة وهو يماطلني في جوابها وقد انقضت المدة التي حددها لي ملكنا ولم يبق لملككم

عذر فأنتم تكونون شهداء على ذلك فلما بلغ الملك هذا الكلام ارسل إلى ذلك الساعي واحضره بين يديه وقال له ايها الساعي في اتلاف نفسه الست ناقلا كتابا من ملك إلي ملك وبينهما اسرار فكيف تخرج بين الناس وتظهر اسرارالملوك على العامة لقد استحقيت منا القصاص ولكن نحن نتحمل ذلك لاجل عود جوابك لهذا الملك الاحمق والانسب ان لا يرد له جوابا عنا الا اقل صبيان المكتب ودعا بحضور ذلك الغلام فحضر ولما دخل علي الملك والساعي حاضر سجد لله ودعا للملك بدوام العز والبقاء فعند ذلك رمى الملك الكتاب للغلام وقال له اقرأ هذا الكتاب واكتب جوابه بسرعة فاخذ الغلام الكتاب وقرأه وتبسم بالضحك وقال للملك هل ارسالك خلفي لاجل جواب هذا الكتاب فقال له نعم فاجاب بمزيد السمع والطاعة واخرج الدواة والقرطاس وكتب وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة السابعة والعشرون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الغلام لما اخذ الكتاب وقرأه اخرج في الوقت دواة وقرطاسا وكتب بسم الله الرحمن الرحيم السلام علي من فاز بالامان ورحمة الرحمن اما بعد فاني اعلمك ايها المدعو ملكا كبيرا اسما لا رسما انه قد وصل إلينا كتابك وقرأناه وفهمنا ما فيه من الخرافات وغريب الهذيانات فتحققنا جهلك وبغيك علينا وقد مددت يديك إلي ما لا تقدر عليه ولولا ان الرأفة اخذتنا علي خلق الله والرعية لما تأخرنا عنك واما رسولك فانه خرج إلي السوق ونشر اخبار كتابك على الخاص والعام فاستحق منا القصاص ولكن ابقيناه رحمة منا له لكونه معذورا معك ولم نترك قصاصه وقارا لك فاما ماذكرته في كتابك من قتلي لوزرائي وعلمائي وكبراء مملكتي فان ذلك حق ولكن لسبب قام عندي وما قتلت من العلماء واحدا إلا وعندي من جنسه الف اعلم منه وافهم واعقل وليس عندي طفل إلا وهو ممتلئ من العلوم وعندي عوض عن كل واحد من المقتولين من فضلاء نوعه ما لا اقدر ان احصيه وكل واحد من عسكري يقاوم كردوسا من عسكرك واما من جهة المال فان عندى معمل الذهب والفضة وأما المعادن فانها عندى كقطع الحجارة واما اهل مملكتى فانى لا أقدر أن اصف لك حسنهم وجمالهم وغناهم فكيف تجاسرت علينا وقلت لنا ابن لى قصرا فى وسط البحر فان هذا امر عجيب ولعله ناشيء عن سخافة عقلك لأنه لو كان لك عقل لكنت فحصت عن دفعات الامواج وحركات

الرياح وانا وأنا لك القصر واما زعمك انك تظفربى فحاشا لله من ذلك كيف يبغى علينا مثلك ويظفر بملكنا ان لله تعالى اظفرنى بك لكونك متعديا وباغيا علي بغير بحق فاعلم انك قد استوجبت العذاب من الله ومني ولكن انا اخاف الله فيك وفي رعيتك ولا اركب عليك إلا بعد النذارة فان كنت تخشى الله فعجل لي بارسال خراج هذه السنة وإلا لاأرجع عن الركوب عليك ومعي الف الف ومائة الف مقاتل كلهم جبابرة بافيال فاسردهم حول وزيرنا وآمره ان يقيم علي محاصرتك ثلاث سنوات نظير الثلاثة ايام التي امهلتها لقاصدك واتملك مملكتك بحيث لا اقتل منهااحدا غير نفسك ولا أسبى منها غير حريمك ثم صور الغلام في المكتوب صورته وكتب بجانبها ان هذا الجواب كتبه اصغر اولاد الكتاب ثم ختمه وسلمه إلى الملك فاعطاه الملك للساعي فاخذه الساعي وقبل يدي الملك ومضي من عنده شاكرا الله تعالي وللملك على حلمه عليه وانطلق وهو يتعجب مما رأي من حذق الغلام فلما وصل إلي ملكه وكان دخوله عليه في اليوم الثالث بعد الثلاثة ايام المحدودة له وكان الملك في ذلك الوقت ناصبا الديوان بسبب تأخير الساعي عن المدة المحدودة له فلما دخل عليه سجد بين يديه ثم اعطاه الكتاب فأخذه وسأل الساعي عن سبب ابطائه وعن احوال الملك وردخان فقص عليه القصة وحكى له جميع ما نظره بعينه وسمعه بإذنه فاندهش عقل الملك وقال للساعي ويحك ما هذه الاخبار التي تخبرني بها عن مثل هذا الملك فاجابه الساعي قائلا ايها الملك العزيز ها انا بين يديك فافتح الكتاب واقرأه يظهر لك الصدق من الكذب فعند ذلك فتح الملك الكتاب وقرأه ونظر فيه صورة الغلام الذي كتبه فايقن بزوال ملكه وتحير فيما يكون من امره ثم التفت إلي وزرائه وعظماء دولته واخبرهم بما جري وقرأ عليهم الكتاب فارتاعوا لذلك وارتعبوا رعبا عظيما وصاروا يسكنون روع الملك بكلام من ظاهر اللسان وقلوبهم تتمزق من الخفقان ثم ان بديعا الوزير الكبير قال اعلم ايها الملك ان الذي يقوله اخوتي من الوزراء لا فائدة فيه والرأي عندي انك تكتب لهذا الملك كتابا وتعتذر إليه فيه وتقول له انا محب لك ولوالدك من قبلك وما ارسلنا إليك الساعي بهذا الكتاب إلاعلي طريق الامتحان لك لننظر عزائمك وما عندك من الشجاعة والامور العلمية والعملية والرموز الخفية وما انت منطو عليه من الكمالات الكلية ونسأل الله تعالى ان يبارك لك في مملكتك ويشيد حصون مدينتك ويزيد في سلطانك حيثما كنت حافظا لنفسك فتتم امور رعيتك وارسله له مع

ساع اخر فقال الملك والله العظيم ان في هذا لعجبا عظيما كيف يكون هذا ملكا عظيما معتدّ للحرب بعد قتله لعلماء مملكته واصحاب رأيه ورؤساء جنده وتكون مملكته عامرة بعد ذلك ويخرج منها هذه القوة العظيمة واعجب من هذا ان صغار مكاتبها يردون عن ملكها مثل هذا الجواب لكن انا بسوء طمعي اشعلت هذه النار علي وعلي اهل مملكتي ولا ادري من يطفئها إلا رأي وزيري هذا ثم إنه جهز هدية ثمينة وخدما وحشما كثيرة وكتب كتابا مضمونه بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد ايها الملك العزيز وردخان ولد الاخ العزيز جليعاد رحمه الله وابقاك لقد حضر لنا جواب كتابنا فقرأناه وفهمنا ما فيه فرأينا فيه ما يسرنا وهذا غاية طلبنا لك من الله ونسأله ان يعلي شأنك ويشيد اركان مملكتك وينصرنك على اعدائك الذين يريدون بك السوء وأعلم ايها الملك ان أباك كان لى اخا وبنى وبيه عهود ومواثيق مدة حياته وما كان يرى منا إلاخيرا وكا نحن كذلك لانرى منه إلاخيرا ولما توفى وجلست على كرسى مملكته حصل عندنا غاية الفرح والسرور ولما بلغنا ما فعلت بوزرائك وا كابر مملكتك خشينا ان يصل خبر ذلك الى ملك غيرنا فيطمع فيك وكنا نظن أنك فى غفلة عن مصالحك وحفظ حصونك مهملا لامور مملكتك فكاتبناك بما ننبهك به فلمارأ يناك قدرددت لنا مثل هذا الجواب اطمأن قلبنا عليك متعك الله بمملكتك وجعلك معانا على شأنك والسلام ثم جهز له الهدية وارسلهااليه مع مائة فارس وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الثامنة والعشرون بعد التسعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان ملك الهند الاقصى لما جهز الهدية الى الملك وردخان ارسلها مع مائة فارس فساروا إلى أن أقبلوا على الملك وردخان وسلموا عليه ثم أعطوه الكتاب فقرأه وفهم معناه ثم أنزل رئيس المائة فارس فى محل يصلح له واكرمه وقبل الهدية منه وشاع خبرها عند الناس وفرح الملك بذلك فرحا شديدا ثم ارسل الى الغلام ابن شماس واحضره بين يديه واكرمه وارسل الى رئيس المائة فارس ثم طلب الكتاب الذى احضره من ملكه واعطاه للغلام ففتحه وقرأه فسر الملك بذلك سرورا كبيرا وصار يعاتب رئيس المائة فارس وهو يقبل يديه ويعتذر اليه ويدعوله بدوام البقاء وخلود النعم عليه فشكره الملك على ذلك واكرمه اكراما زائد واعطاه واعطى جميع من معه ما يليق بهم وجهز معهم هدايا وامر الغلام ان يكتب رد الجواب فعند ذلك كتب

الغلام الجـواب واحسن الخطاب واوجـز في باب الصـلح وذكر ادب الرسول ومـن معه الفرسان فـلما تم الكتاب عـرضه على الملك فـقال له الملك أقرأه أيـها الولد العزيـز لكى نعرف ما كتب فيه فعند ذلك قرأه الغلام بحضرة المائة فارس فاعجب الملك هو وكل من حضر نظامه ومعناه ثم ختمه الملك وسلمه إلي رئيس المائة فارس وصرفه وارسل معه من عسكره طائفة توصلهم إلى اطراف بلادهـم هذا ما كان من امر الملك والغلام واما ما كان من امر رئيس المائة فإنه اندهش عقله مما رآه من امر الغلام ومعرفته وشكر الله تعالي على قضاء مصلحته بسرعة وعلي قبول الصلح ثم انه سار إلي ان وصل إلى ملك اقصى الهند وقدم إليه الهدايا والتحف واوصل إليه العطايـا وناوله الكتاب واخبره بما نظر ففرح الملك بذلك فرحا شديدا وشكر الله تعالي واكرم رئيس المائة فارس وشكرهمته على فعله ورفع درجته وصار من ذلك الوقت في امن وامان وطمـأنينة وزيادة انشراح هذا ما كان من امر ملـك اقصى الـهند واما مـا كان من امـر الملك وردخـان فإنه استـقام مع الله ورجـع عن طريقته الرديئة وتاب إلى الله توبة خالصة عما كـان فيه وترك النساء جملة ومال بكليته إلي صلاح مملكـته والنظر بخـوف الله إلى رعيته وجعـل ولد شماس وزيرا عوضـا عن والدة وصاحب الرأي المقدم عنده فـي المملكة وكاتماً سره وامر بزينة مدينـته سبعة ايام وكذلك بقـية المدائـن وفرحت الـرعية بـذلك وزال الخوف والرعـب عنهـم واستبـشروا بالـعدل والانصاف وابتهلوا بـالدعاء للملك والوزير الذى ازال عنه وعنهـم هذا الغم وبعد ذلك قال الملك للوزير ما الرأي عندك في اتقان المملكة واصلاح الرعية ورجوعها إلي ما كانت عليهـا ولا من وجود الرؤساء والمدبريـن فعند ذلك اجابه الـوزير قائلا ايها الملـك العزيز الشأن الرأي عندي انك قبل كل شيء تبتديء بقطع امر المعاصي من قلبك وتترك ما كنت فيه مـن اللهو والـعسف والاشتـغال بالنسـاء لانك ان رجعت إلـى اصل المعاصـي تكون الضلالة الثانية اشد من الأولي فقال الملك وما هـي اصل المعاصي التي ينبغي ان اقلع عنها فأجابـه ذلك الوزير الصغـير السن الكـبير العقـل قائلا ايها الملـك الكبير اعـلم ان اصل المعصية اتباع هوي النساء والميل إليهن وقبول رأيـهن وتدبيرهن لان محبتهن تغير العقول الصافية وتـفسد الطباع السلـيمة والشاهد على قـولي من دلائل واضحة لو تفـكرت فيها وتتبعت وقائعها بامعان النظر لوجدت لك نـاصحا من نفسك واستغنيت عن قولي جملة فلا تشغل قلبك بذكرهن واقطع من ذهنك رسمهن لان الله تعالى امر بعدم الإكثار منهن علي يـد نبيه موسى حـتى قال بعض الملـوك من الحكماء لـولده ياولدي إذا استقـمت في

الملك من بعدي فلا تستكثر من النساء لئلا يضل قلبك ويفسد رأيك وبالجملة فالاستكثار منهن يفضي إلى حبهن وحبهن يفضي إلى فساد الرأي والبرهان على ذلك ما جرى لسيدنا سليمان بن داود عليهما السلام الذي خصه الله بالعلم والحكمة والملك العظيم ولم يعط احدا من الملوك التي تقدمت مثل ما اعطاه فكانت النساء سببا لهفوة والده ومثل هذا كثير ايها الملك وإنما ذكرت لك سليمان لتعرف أنه ليس لأحد أن يملك مثلما ملك حتى أطاعه جميع ملوك الأرض. واعلم أيها الملك ان محبة النساء اصل كل شر وليس لاحداهن رأي فينبغي للإنسان ان يقتصر منهن على قدر الضرورة ولا يميل إليهن كل الميل فإن ذلك يوقعه في الفساد والهلكة فإن اطعت قولي ايها الملك استقامت لك جميع امورك وان تركته ندمت حيث لا ينفعك الندم فأجابه الملك قائلا لقد تركت ما كنت فيه من فرط الميل إليهن وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة التاسعة والعشرون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك ورد خان لما قال لوزيره اني قد تركت ما كنت فيه من الميل إليهن واعرضت عن الاشتغال بالنساء جميعا ولكن ماذا اصنع فيهن جزاء علي ما فعلن لان قتل شماس والدك كان من كيدهن ولم يكن ذلك مرادي ولا عرفت كيف جري لي في عقلي حتى وافقتهن علي قتله ثم تأوه وصاح قائلا وأسفاه علي فقد وزيري وسداد رأيه وحسن تدبيره وعلى فقد نظرائه من الوزراء ورؤساء المملكة وحسن آرائهم الرشيدة فأجابه الوزير قائلا اعلم ايها الملك ان الذنب ليس للنساء وحدهن لانهن مثل بضاعة مستحسنة تميل إليها شهوات الناظرين فمن اشتهي واشترى باعوه ومن لم يشتر لم يجبره احد علي الشراء ولكن الذنب لمن اشترى وخصوصا إذا كان عارفا بمضرة تلك البضاعة وقد حذرتك ووالدي من قبلي كان يحذرك ولم تقبل منه نصيحة فأجابه الملك إنني اوجبت علي نفس الذنب كما قلت ايها الوزير ولا عذر لي إلا التقادير الإلهية فقال الوزير اعلم ايها الملك ان الله تعالي خلقنا وخلق لنا استطاعة وجعل لنا إرادة واختيارا فان شئنا فعلنا وان شئنا لم نفعل ولم يأمرنا إلا بخير علي سائر الاحوال وانما ينهانا عن الشر ولكن نحن بارادتنا نفعل ما نفعله صوابا كان أو خطأ فقال له الملك صدقت وانما كان خطئ مني لميلي إلى الشهوات وقد حذرت نفسي من ذلك مرارا وحذرني والدك شماس مرارا فغلبت نفسي علي عقلي فهل عندك شيء يمنعني عن ارتكاب هذا الخطأ حتى يكون عقلي غالباً على شهوات نفسي فأجاب الوزير نعم اني

اری شيئا يمنعك مـن ارتكاب هذا الخطأ وهو أن تنـزع عنك ثوب الجـهل وتلبـس ثوب العدل وتعصي هواك وتطيع مولاك وترجع إلى سـيرة الملك العادل ابيك وتعمل ما يجب عليك من حقـوق الله تعالي وحـقوق رعيتـك وتحافظ علـي دينك وعلـي رعيتك وعـلى سياسة نفسك وعلـى عدم قتل رعيتك وتنظر في عواقب الامور وتـنزل عن الظلم والجور والبغـي والفساد تـستعمـل العدل والإنصـاف والخضوع وتمتـثل اوامر الله تعـالي وتلازم الشفقة علي خليـقته الذين استخلفك عليهم وتواظب عـلي ما يوجب دعاءهم لك لانك إذا دام لك ذلك صـفا وقتك وعـفا الله برحمـته عنك وجـعلك مهـابا عند كـل من يراك وتتلاشـي اعداؤك ويهزم الله تعـالى جيوشهـم وتصير عـند الله مقبولا وعـند خلقه مـهابا محـبوبا فقـال له الملـك لقد احييت فؤادي ونـورت قلبي بـكلامك الحـلو وجليـت عين بصيرتي بعد العمى وانا عازم على ان افعل جـميع ما ذكرته لي بمعونة الله تعالى واترك ما كنت علـيه من البغي والشـهوات واخرج نفسي مـن الضيق إلى السعـة ومن الخوف إلي الامن وينبغـي ان تكون بذلك فرحا مسـرورا لأني صرت لك ابنا مع كبـر سني وصرت انت لي والدا حبيبا على صغر سنك وصار مـن الواجب علي بذل المجهود فيما تأمرني به وانا اشكر فـضل الله تعالي وفضـلك فان الله تعالى اولاني بـك من النعم وحسـن الهداية وسداد الـرأي ما يدفـع همي وغـمي وقد حـصلت سـلامة رعيـتي علـى يديك بـاشرف معرفتـك وحسن تدبيرك فأنـت الان مدبر لملكي لا أتـشرف عليك بسوي الجـلوس علي الكرسـي وكلما تفـعله جائز عـلى ولا راد لكلمـتك وان كنت صغـير السن لانك كـبير العقـل كثير المـعرفة فأشكـر الله الذي يسرك لي حـتى هديتـني إلى سبيـل الاستقامـة بعد الاعوجـاج المهلك قـال الوزير ايهـا الملك السـعيد اعلـم انه لا فضل لـي عليك فـي بذل النصيـحة لك لان قولي وفعـلي من بعض ما يـلزمني حيث كـنت غريس نعمـتك وليس هكـذا انا وحدي بـل والدي من قـبلي مـغمور بجـزيل نعـمتك فـنحن الجـميع مـقرون بجميـلك وفضلك فكيف لا نـقر بذلك وانت ايها الملـك راعينا وحاكمنا ومـحارب عنا اعداءنا ومتول حفظنا وحارسنا وباذل جهدك في سلامتنا واننا لو بذلنا أرواحنا في طاعتك لم نقـم بواجب شكـرك ولكن نتضـرع إلي الله تعالـى الذي ولاك علينـك وحكمك فـينا ونسأله ان يهب لك العمر الطويل ويمنحك النـجاح في جميع اعمالك ولا يمتحنك بمحنة في زمانك ويبلغك مـرادك ويجعلك مهابا إلي حين مماتك ويبسـط بالكرم سواعدك حتى تقود كل عالم وتقهر كل معاند ويوجد بك فـي مملكتك كل عالم وشجاع وينزع منها كل

جاهل وجبان ويرفع عن رعيتك الغلاء والبلاء ويزرع بينهم الألفة والمحبة ويمتعك من الدنيا بفلاحها ومن الآخرة بصلاحها بمنه وكرمه وخفي لطفه آمين انه علي كل شيء قدير وليس عليه امر عسير وإليه المرجع والمصير فلما سمع الملك منه هذا الدعاء حصل عنده غاية الفرح ومال إليه كل الميل وقال له اعلم ايها الوزير انك صرت عندي في مقام الأخ والولد والوالد وليس يفصلني منك إلا الموت وجميع ما تملكه يدي لك التصرف فيه وان لم يكن لي خلف تجلس علي تختي عوضا عني فأنت اولى من جميع اهل مملكتي فاوليك ملكي بحضرة اكابر مملكتي واجعلك ولي عهدي من بعدي إن شاء الله تعالي وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الموفية للثلاثين بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك وردخان قال لابن شماس الوزير سوف استخلفك عني واجعلك ولي عهدي من بعدي واشهد على ذلك اكابر مملكتي بعون الله تعالى ثم بعد ذلك دعا بكاتبه فحضر بين يديه فأمره ان يكتب إلي سائر كبراء دولته بالحضور إليه واجهر بالنداء في مدينته للحاضرين الخاص والعام وامر ان يجتمع الامراء والقواد والحجاب وسائر ارباب الخدم إلى حضرة الملك وكذلك العلماء والحكماء وعمل الملك ديوانا عظيما وسماطا لم يعمل مثله قط وعزم جميع الناس من الخاص والعام فاجتمع الجميع علي حظ واكل وشرب مدة شهر وبعد ذلك كسا جميع حاشيته وفقراء مملكته واعطي العلماء عطايا وافرة ثم اختار جملة من العلماء والحكماء بمعرفة ابن شماس وادخلهم عليه وامره ان ينتخب منهم سبعة ليجعلهم وزراء من تحت كلمته ويكون هو الرئيس عليهم فعند ذلك اختار الغلام ابن شماس منهم اكبرهم سنا واكملهم عقلا وأكثرهم دراية واسرعهم حفظا ورأي من بهذه الصفات ستة اشخاص فقدمهم إلي الملك والبسهم ثياب الوزراء وكلمهم قائلا انتم تكونون وزرائي تحت طاعة ابن شماس وجميع ما يقوله لكم أو يأمركم به وزيري هذا ابن شماس لا تخرجوا عنه ابدا ولو كان هو اصغركم سنا لانه اكبركم عقلا ثم ان الملك اجلسهم علي كراسي مزركشة على عادة الوزراء واجرى إليهم الأرزاق والنفقات ثم امرهم ان ينتخبوا من أكابر الدولة الذين اجتمعوا عنده في الوليمة من يصلح لخدمة المملكة من الاجناد ليجعل منهم رؤساء ألوف ورؤساء مئين ورؤساء عشرات ورتب لهم المرتبات وأجرى إليهم الأرزاق على عادة الكبراء ففعلوا ذلك في اسرع وقت وامرهم ايضا ان ينعموا على بقية من حضر

بالانعامات الجزيلة وان يصرفوا كل واحد إلي أرضه بعز واكرام وامر عماله بالعدل في الرعيةواوصاهم بالشفقة علي الفقراء والاغنياء وامر بإسعافهم من الخزنة علي قدر درجاتهم فدعا له الوزراء بدوام العز والبقاء ثم انه امر بزينة المدينة ثلاثة ايام شكرالله تعالي علي ما حصل له من التوفيق هذا ما كان من امر الملك ووزيره ابن شماس في ترتيب المملكة وامرائها وعمالها واما ما كان من امر النساء المحظيات من السراري وغيرهن اللاتي كن سببا لقتل الوزراء وفساد المملكة بحيلهن وخداعهن فإنه لما انصرف جميع من كان في الديوان من المدينة والقري إلى محله واستقامت امورهم امر الملك بالوزير الصغير السن الكبير العقل الذي هو ابن شماس ان يحضر بقية الوزراء فلما حضروا جميعاً بين يدي الملك اختلى بهم وقال لهم اعلموا أيها الوزراء اني كنت حائدا عن الطريق المستقيم مستغرقا في الجهل معرضا عن النصيحة ناقضا للعهود والمواثيق مخالفا لاهل النصح وسبب ذلك كله ملاعبة هؤلاء النساء وخداعهن اياي وزخرفة كلامهن وباطلهن لي وقبولي لذلك لاني كنت اظن ان كلامهن نصح بسبب عذوبته ولينه فإذا هو سم قاتل والآن قد تقرر عندي انهن لم يردن لي إلا الهلاك والتلف فقد استحققن العقوبة والجزاء مني علي جهة العدل حتى اجعلهن عبرة لمن اعتبر لكن فما الرأي السديد في إهلاكهن فأجابه الوزير ابن شماس قائلا ايها الملك العظيم الشأن انني قلت لك اولا ان الذنب ليس مختصا بالنساء وحدهن بل هو مشترك بينهن وبين الرجال الذين يطيعونهن لكن النساء يستوجبن الجزاء على كل حال لامرين الأول تنفيذ قولك لكونك الملك الاعظم والثاني لتجاسرهن عليك وخداعهن لك ودخولهن فيما لا يعنيهن وما لا يصلحن للتكلم فيه فهن احق بالهلاك ولكن كفاهن ما هو نازل بهن ومن الآن اجعلهن بمنزلة الخدم والامر إليك في ذلك وغيره ثم ان بعض الوزراء اشار على الملك بما قاله ابن شماس وبعض الوزراء تقدم إلى الملك وسجد له وقال ادام الله ايام الملك ان كان لابد ان تفعل بهن فعلة لهلاكهن فافعل ما اقوله لك فقال الملك ما الذي تقوله لي فقال له أن تأمر إحدى محاظيك بان تأخذ النساء اللاتي خدعنك وتدخلهن البيت الذي حصل فيه قتل الوزراء والحكماء وتسجنهن هناك وتأمران يعطي لهن قليل من الطعام والشراب بقدر ما يمسك ابدانهن ولا يؤذن إليهن في الخروج من ذلك الموضع اصلا وكل من ماتت بنفسها تبقي بينهن علي حالها إلي ان يمتن عن آخرهن وهذا اقل جزائهن لانهن كن سببا لهذه الفتنة العظيمة بل واصل جميع البلايا والفتن التي وقعت في الزمان

وصدق عليهن قول القائل ان من حفر بئرا لاخيه وقع فيه ولو طالت سلامته فقبل الملك رأيه وفعل كما قال له وارسل خلف اربع محظيات جبارات وسلم إليهن النساء وامرهن ان يدخلنهن محل القتلى ويسجنهن فيه واجرى لهن طعاما رديئا قليلا وشرابا رديئا قليلا فكان من امرهن انهن حزن حزنا عظيما وندمن علي ما فرط منهن وتأسفن تأسفا كثيرا واعطاهن الله جزاءهن في الدنيا من الخزي وأعد لهن العذاب في الآخرة ولم يزلن في ذلك الموضع المظلم المنتن الرايحة وفي كل يوم تموت ناس منهن حتى هلكن عن آخرهن وشاع خبر هذه الوقعة في جميع البلاد والأقطار وهذا ما انتهى إليه أمر الملك ووزرائه ورعيته والحمد لله مفني الامم ومحيي الرمم والمستحق للتجليل والاعظام والتقديس علي الدوام ومما يحكي ايضاً ان رجلين كانا في مدينة الاسكندرية وكان احدهما صباغا واسمه ابو قير وكان الثاني مزينا واسمه ابو صير وكانا جارين لبعضها في السوق وكان دكان المزين في جانب دكان الصباغ وكان الصباغ نصابا كذابا صاحب شر قويا كأنما صدغه منحوت من الجلمود أو مشتق من عتبة كنيسة اليهود لا يستحي من عيبة يفعلها بين الناس وكان من عادته انه إذا اعطاه احد قماشا ليصبغه بطلب منه الكرى أولا ويوهمه انه يشتري به اجزاء ليصبغ بها فيعطيه الكرى مقدما فإذا اخذه منه يصرفه على آكل وشرب ثم يبيع القماش الذي اخذه بعد ذهاب صاحبه ويصرف ثمنه في الأكل والشرب وغير ذلك ولا يأكل إلا طيبا من افخر المأكول ولا يشرب إلا من اجود ما يذهب العقول فإذا أتاه صاحب القماش يقول له في غد تجيء إلي من قبل الشمس فتلقى حاجتك مصبوغة فيروح صاحب الحاجة ويقول في نفسه يوم من يوم قريب ثم يأتيه في ثاني يوم على الميعاد فيقول له تعال في غد فإني امس ما كنت فاضيا لأنه كان عندي ضيوف فقمت بواجبهم حتى راحوا وفي غد قبل الشمس تعالي خذ قماشك مصبوغا فيروح ويأتيه في ثالث يوم فيقول له إني كنت امس معذور الآن زوجتي ولدت بالليل وطول النهار وانا اقضي مصالح ولكن في غد من كل بد تعال خذ حاجتك مصبوغة فيأتي له على الميعاد فيطلع له بحيلة أخرى من حيث كان ويحلف له وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الحادية والثلاثون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد أن الصباغ صار كلما اتى له صاحب الشيء يطلع له بحيلة من حيث كان ويحلف له ولم يزل يوعده ويخلف إذا جاءه حتى يقلق الزبون ويقول له كم تقول لي في غد اعطني حاجتي فإني لا اريد صباغا فيقول والله ياأخي انا

مستحي منك ولكن اخبرك بالصحيح والله يؤذي كل من يؤذي الناس في امتعتهم فيقول له اخبرني ماذا حصل فيقول اما حاجتك فإني صبغتها صباغا ليس له نظير ونشرتها على الحبل فسرقت ولا أدري من سرقها فإن كان صاحب الحاجة من اهل الخير يقول له يعوض الله علي وان كان اهل الشر يستمر معه في هتيكة وجرسة ولا يحصل منه شيئا ولو اشتكاه إلي الحاكم ولم يزل يفعل هذه الفعال حتى شاع ذكره بين الناس وصار الناس يحذر بعضهم بعضا من ابي قير ويضربون به الامثال وامتنعوا عنه جميعا وصار لا يقع معه إلا الجاهل بحاله ومع ذلك لابد له كل يوم من جرسة وهتيكة مع خلق الله فحصل له كساد بهذا السبب فصار يأتي إلى دكان جاره المزين ابي صير ويقعد في داخلها قصاد المصبغة وينظر إلي باب المصبغة وينظر إلى باب المصبغة فإن رأى أحدا جاهلا بحالة واقفا على باب المصبغة ومعه شيء يريد صباغه يقوم من دكان المزين ويقول مالك ياهذا فيقول له خذ اصبغ لي هذا الشيء فيقول له اي لون تطلبه لأنه مع هذا الخصال الدميمة كان يخرج من يده ان يصبغ سائر الألوان ولكنه لم يصدق مع احد ابدا والشقاوة غالبة عليه ثم يأخذ الحاجة منه ويقول له هات الكرى لقدام وفي غد تعال خذها فيعطيه الاجرة ويروح وبعد ان يتوجه صاحب الشيء إلى حال سبيله يأخذ هو ذلك الشيء ويذهب إلى السوق فيبيعه ويشتري بثمنه اللحم والخضار والدخان والفاكهة وما يحتاج إليه وإذا رأي احدا واقفا علي الدكان من الذين اعطوه حاجة ليصبغها فلا يظهر إليه ولا يريه نفسه ودام علي هذه الحالة سنين فاتفق له في يوم من الأيام انه اخذ حاجة من رجل جبار ثم باعها وصرف ثمنها وصار صاحبها يجيء إليه في كل يوم فلم يره في الدكان لأنه متي رأي احدا له عنده شيء يهرب منه في دكان المزين ابي صير فلما لم يجده ذلك الجبار في دكانه واعياه ذلك ذهب إلى القاضي واتاه برسول من طرفه وسمر باب الدكان بحضرة جماعة من المسلمين وختمها لأنه لم ير فيها غير بعض مواجير مكسرة ولم يجد فيها شيئا يقوم مقام حاجته ثم اخذ الرسول المفتاح وقال للجيران قولوا له يجيء بحاجة هذا الرجل ويأتي ليأخذ مفتاح دكانه ثم ذهب الرجل والرسول إلى حالهما فقال ابو صير لأبي قير ماداهيتك فإن كل من جاء لك بحاجة تعدمه اياها اين راحت حاجة هذا الرجل الجبار قال ياجاري انها سرقت مني قال ابو صير عجائب كل من اعطاك حاج بسرقها منك لص هل انت معاد جميع اللصوص ولكن اظن انك تكذب فاخبرني بقصتك قال ياجاري ما احد سرق مني شيئاً قال ابو صير وما تفعل في متاع الناس فقال له كل من اعطاني حاجة

ابيعها واصرف ثمنها قال له ابو صيرا يحل لك هذا من الله قال له ابو قير انما افعل هذا من الفقر لان صنعتي كاسدة وانا فقير وليس عندي شيء ثم صار يذكر له الكساد وقلة السبب وصار ابو صير يذكر له كساد صنعته ايضا ويقول انا اسطى ليس لي نظير في هذه المدينة ولكن لا يحلق عندي احد لكوني رجلا فقيرا وكرهت هذه الصنعة ياخي فقال له ابو قير الصباغ وانا ايضا كرهت صنعتي من الكساد ولكن ياخي ما الداعي لاقامتنا في هذه البلد فانا وانت نسافر منها نتفرج في بلاد الناس وصنعتنا في ايدينا رائجة في جميع البلاد فإذا سافرنا نشم الهواء ونرتاح من هذا الهم العظيم ولا زال ابو قير يحسن السفر لابي صير حتى رغب في الارتحال ثم انهما اتفقا علي السفر وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والثلاثون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان ابا قير لازال يحسن السفر لابي صير حتى رغب في الارتحال ثم انهما اتفقا علي السفر وفرح ابو قير بان ابا صير رغب في ان يسافر وانشد قول الشاعر

تغرب عن الاوطان في طلب العلا … وسافر ففى الاسفار خمس فوائد
تفرّج هم واكتساب معيشة … وعلم واداب وصحبة ماجد
وان قيل في الاسفار غم وكربة … وتشتيت شمل وارتكاب شدائد
فموت الفتى خير له من حياته … بدار هوان بين واش وحاسد

وحين عزما على السفر قال ابو قير لابي صير ياجري نحن صرنا اخوين ولا فرق بيننا فينبغي لنا ان نقرأ الفاتحة على أن عمالنا يكتسب ويطعم بطالنا ومهما فضل نضعه في صندوق فإذا رجعنا إلي الاسكندرية نقسمه بيننا بالحق والإنصاف قال ابو صير وهو كذلك وقرآ فاتحة علي ان العمال يكتسب ويطعم البطال ثم ان ابا صير قفل الدكان واعطى المفاتيح لصاحبها وابو قير ترك المفتاح عند رسول القاضي وترك الدكان مقفولة مختومة واخذا مصالحهما واصبحا مسافرين ونزلا في غليون في البحر المالح وسافرا في ذلك النهار وحصل لهما اسعاف ومن تمام سعد المزين ان جميع من كان في الغليون لم

يكن معهم احد من المزينين وكان فيه مائة وعشرون رجلا غير الريس والبحرية ولما حلوا قلوع الغليون قام المزين وقال للصباغ ياأخي هذا بحر نحتاج فيه إلي الأكل والشرب وليس معنا إلا قليل زاد وربما يقول لي أحد تعال يامزين احلق لي فاحلق له برغيف أو بنصف فضة أو بشربة ماء فانتفع بذلك انا وانت فقال له الصباغ لا بأس ثم حط رأسه ونام وقام المزين واخذ عدته والطاسة ووضع علي كتفه خرقة تغني عن الفوطة لانه فقير وشق بين الركاب فقال له واحد تعال ياسطى احلق لي فحلق له فلما حلق لذلك الرجل اعطاه نصف فضة فقال له المزين ياأخي ليس لي حاجة بهذا النصف الفضة ولو كنت اعطيتني رغيفا كان ابرك في هذا البحر لان لي رفيقا وزادنا شيء قليل فاعطاه رغيفا وقطعة جبن وملأ له الطاسة ماء حلوا فاخذ ذلك منه واكل وشرب ثم ان ابا صير المزين بعد ذلك حمل عدته واخذ الخرقة على كتفه والطاسة في يده وشق في الغليون بين الركاب فحلق لإنسان برغيفين ونصف فضة وليس في الغليون مزين غيره فماجاء المغرب حتي جمع ثلاثين رغيفا وثلاثين نصف فضة وصار عنده جبن وزيتون وبطارخ وصار كلما يطلب حاجة يعطونه إياها حتى صار عنده شيء كثير وحلق للقبطان وشكا له قلة الزاد فى السفر فقال له القبطان مرحبا بك هات رفيقك فى كل ليلة وتعشيا عندى ولا تحملاهما مادمتما مسافرين معا ثم رجع الى الصباغ فرآه لم يزل قائما فأيقظه فلما أفاق أبو قير رأى عند رأسه شيئا كثيرا من عيش وجبن وزيتون وبطارخ فقال له من أين لك ذلك فقال من فيض الله تعالى فأراد أن يأكل فقال له أبوصير لا تأكل يا أخى من هذا واتركه ينفعنا فى وقت آخر وأعلم أنى حلقت للقبطان وشكوت اليه قلة الزوادة فقال لى مر حبابك هات رفيقك كل ليلة وتعشيا عندى فأول عشائنا عند القبطان فى هذه الليلة فقال له أبوقير أنا دايخ من البحر ولا أقدر أن أقوم من مكانى فدعنى أتعشى من هذا الشيء ورح أنت وحدك عند القبطان فقال له لا بأس بذلك ثم جلس يتفرج عليه وهو يأكل فرآه يقطع اللقمة كما يقطع الحجار من الجبل ويبتلعها ابتلاع الفيل الذى له أيام ماأكل ويلتهم اللقمة قبل ازدراد التى قبلها ويحملق عينيه فيما بين يديه حملقة الغول وينفخ نفخ الثور الجائع على التبن والفول واذا بنوتي جاء وقال يا أسطى يقول لك القبطان هات رفيقك وتعال للعشاء فقال أبو صير لأبى قير اتقوم بنا فقال له أنا لا أقدر على المشى فراح المزين وحده فرأى القبطان جالسا وقدامه سفرة فيها عشرون لونا أو أكثر وهو وجماعته ينتظرون المزين ورفيقه فلما رآه القبطان قال له أين رفيقك فقال له ياسيدى

انه دايخ من البحر فقال له القبطان لا بأس عليه ستزول عنه الدوخة تعال أنت تعش معنا فإني كنت في انتظارك ثم ان القبطان عزل صحن كباب وحط فيه من كل لون قصار يكفي عشرة وبعد أن تعشى المزين قال له القبطان خذ هذا الصحن معك الى رفيقك فأخذه أبو صير وأتى به الى أبي قير فرآه يطحن بأنيابه فيما عنده من الأكل مثل الجمل ويلحق اللقمة باللقمة على عجل فقال له هات فناوله الصحن فأخذه منه وهو ملهوف عليه وعلى غيره من الأكل مثل الكلب الكاشر أو السبع الكاسر أو الرخ اذا انقض على الحمام والذى كاد أن يموت من الجوع ورأى شيئا من الطعام وصار يأكل فتركه أبوصير وراح الي القبطان وشرب القهوة هناك ثم رجع الى أبي قير فرآه قد أكل جميع مافى الصحن ورماه فارغا وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الثالثة والثلاثون بعد التسعمائة

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أباصير لما رجع الى أبي قيس فرآه قد أكل مافى الصحن ورماه فارغا فأخذه وأوصله الى بعض أتباع القبطان ورجع الى أبي قير ونام الى الصباح فلما كان ثانى الأيام صار أبو صير يحلق وكلما جاء له شيء يعطيه لأبى صير وأبو صير يأكل ويشرب وهو قاعد لايقوم الا لازالة الضرورة وكل ليلة يأتى له بصحن ملآن من عند القبطان واستمر على هذه الحالة عشرين يوما حتى رسى الغليون على ميناء مدينة فطلعا من الغليون ودخلا تلك المدينة وأخذا لهما حجرة فى خان وفرشها أبو صير واشترى جميع مايحتاجون اليه وجاء بلحم وطبخه وأبوقير نائم من حين دخل الحجرة ولم يستيقظ حتى أيقظه أبو صير ووضع السفرة بين يديه فلما أفاق أكل وبعد ذلك قال لا لاتؤاخذنى فانى دايخ ثم نام واستمر على هذه الحالة أربعين يوما وكل يوم يحمل المزين العدة ويدور فى المدينة فيعمل بالذى فيه النصيب ويرجع فيجد أبا قير نائما فينبهه وحين ينتبه يقبل على الأكل بلهفة فيأكل أكل من لايشبع ولا يقنع ثم ينام ولم يزل كذلك مدة أربعين يوما أخرى وكلما يقول له أبو صير اجلس ارتاح وأخرج تفسح فى المدينة فانها فرجة وبهجة وليس لها نظير فى المدائن يقول له أبو قير الصباغ لا تؤاخذنى فانى دايخ فلا يرضى أبو صير المزين أن يكدر خاطره ولا يسمعه كلمة تؤذيه وفى اليوم الحادى والأربعين مرض المزين لم يقدر أن يسرح فسخر بواب الخان فقضى لهما حاجتهما وأتى لهما بما يأكلان وما يشربان كل ذلك وأبوقير يأكل وينام ومازال المزين يسخر بواب الخان فى قضاء حاجته مدة أربعة أيام وبعد ذلك اشتد المرض على المزين حتى غاب عن

الوجود من شدة مرضه وأما أبوقير فانه أحرقه الجوع فقام وفتش فى ثياب أبى صير فرأى معه مقدارا من الدراهم فأخذه وقفل باب الحجرة على أبى صير ومضى ولم يعلم أحدا وكان البواب فى السوق فلم يره حين خروجه ثم ان أباقير عمد الى السوق وكسا نفسه ثيابا نفيسة وصار يدور فى المدينة ويتفرج فرآها مدينة ما وجد مثلها فى المدائن وجميع ملبوسها أبيض وأزرق من غير زيادة فأتى الى صباغ فرأى جميع مافى دكانه أزرق فأخرج له محرمة وقال له يامعلم خذ هذه المحرمة واصبغها وخذ أجرتك فقال له أن أجرة صباغ هذه عشرون درهما فقال له نحن نصبغ هذه فى بلادنا بدرهمين فقال له راح اصبغها فى بلادكم وأما أنا فلا أصبغها الا بعشرين درهما لا تنقص عن هذا القدر شيئا فقال له أبو قير أى لون تريد صبغها قال له الصباغ اصبغها زرقاء قال له أبوقير أنا مرادى أن تصبغها الى حمراء قال له لا أدرى صباغ الأحمر قال خضراء قال لا أدرى صباغ الأخضر قال صفراء قال له لا أدرى صباغ الأصفر وصار أبوقير يعدد له الألوان لونا بعد لون فقال له الصباغ نحن فى بلادنا أربعون معلما لايزيدون واحد ولا ينقصون واحدا واذا مات منا واحد نعلم ولده وان لم يخلف ولدا تبقى ناقصين واحدا والذى له ولدان نعلم واحد منهما فان مات علمنا أخاه وصنعتنا هذه مضبوطة ولا نعرف أن نصبغ غير الأزرق من غير زيادة فقال له أبوقير الصباغ أعلم أنى أنا صباغ وأعرف أن أصبغ سائر الألوان ومرادى أن تخدمنى عندك بالأجرة وأنا أعلمك جميع الألوان لأجل أن تفتخر بها على كل طائفة الصباغين فقال له نحن لانقبل غريبا يدخل فى صنعتنا ابدا فقال له واذا فتحت لى مصبغة وحدى قال له لايمكنك ذلك ابدا فتركه وتوجه الى الثانى فقال له كما قال له الأول ولم يزل ينتقل من صباغ الى صباغ حتى طاف على الأربعين معلما فلم يقبلوه لا أجيرا ولا معلما فتوجه الى شيخ الصباغين وأخبره فقال له اننا لانقبل غريبا يدخل فى صنعتنا فحصل عند أبى قير غيظ عظيم وطلع يشكو الى ملك تلك المدينة وقال له ياملك الزمان أنا غريب وصنعتى الصباغة وجرى لى مع الصباغين ماهو كذا وكذا وأنا أصبغ الأحمر ألوانا مختلفة كوردى وعنابى والأخضر ألوانا مختلفة كزرعى وفستقى وزيتى وجناح الدرة والأسود ألوانا مختلفة كفحمى وكحلى والأصفر ألوانا مختلفة كنارنجى وليمونى وصار يذكر له سائر الألوان ثم قال ياملك الزمان كل الصباغين الذين فى مدينتك لايخرج من أيديهم أن يصبغوا شيئا من هذه الألوان ولا يعرفون الا صباغ الأزرق ولم يقبلونى أن أكون عندهم معلما ولا أجيرا فقال له الملك قد صدقت فى ذلك

ولكن أنا أفتح لك مصبغة وأعطيك رأس مال وما عليك منهم وكل من تعرض لك شنقته على باب دكانه ثم أمر البنائين وقال لهم امضوا مع هذا المعلم وشقوا أنتم واياه فى المدينة وأى مكان أعجبه فأخرجوا صاحبه منه سواء كان دكانا أوخانا أو غير ذلك وابنوا له مصبغة على مراده ومهما أمركم به فافعلوه ولا تخالفوه فيما يقول ثم ان الملك ألبسه بدلة مليحة وأعطاه ألف دينار وقال له اصرفها على نفسك حتى تتم البناية وأعطاه مملوكين من أجل الخدمة وحصانا بعدة مزركشة فلبس البدلة وركب الحصان وصار كأنه أمير وأخلى له الملك بيتا وأمر بفرشه ففرشوه له وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والثلاثون بعد التسعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الملك أخلى بيتا لأبى قير وأمر بفرشه ففرشوه له وسكن فيه وركب فى ثانى يوم وشق فى المدينة والمهندسون قدامه ولم يزل يتأمل حتى أعجبه مكان فقال هذا المكان طيب فأخرجوا صاحبه منه وأحضروه إلى الملك فأعطاه ثمن مكانه زيادة على مايرضيه ودارت فيه البناية وصار أبو قير يقول للبنايين ابنوا كذا وكذا وافعلوا كذا وكذا حتى بنوا له مصبغة ليس لها نظير ثم حضر الى الملك وأخبره بأن المصبغة تم بناؤها وانما تحتاج لثمن الصباغ من أجل ادارتها فقال له الملك خذ هذه الأربعة آلاف دينار واجعلها رأس مال وأرنى ثمرة مصبغتك فأخذها ومضى الى السوق فرأى النيلة كثيرة وليس لها ثمن فاشترى جميع مايحتاج اليه من حوايج الصباغ ثم أن الملك أرسل اليه خمسمائة شقة من القماش فدور الصبغ فيها وصبغها من سائر الألوان ثم نشرها قدام باب المصبغة فلما مر الناس عليها رأوا شيئا عجيبا عمرهم مارأوا مثله فازدحمت الخلايق على باب المصبغة وصاروا يتفرجون ويسألونه ويقولون له يامعلم ما اسم هذه الألوان فيقول لهم هذا أحمر وهذا أصفر وهذا أخضر ويذكر لهم أسامى الألوان فصاوا يأتونه بشىء من القماش ويقولون له اصبغ لنا مثل هذا وهذا وخذ ماتطلب ولما فرغ من صباغ قماش الملك أخذه وطلع به الى الديوان فلما رأى الملك ذلك الصباغ فرح به وأنعم عليه انعاما زائدا وصار جميع العسكر يأتون اليه بالقماش ويقولون له اصبغ لنا هكذا فيصبغ لهم على أغراضهم ويرمون عليه الذهب والفضة ثم أنه شاع ذكره وسميت مصبغته مصبغة السلطان ودخل عليه الخير من كل باب وجميع الصباغين لم يقدر أحدهم منهم أن يتكلم معه وانما كانوا يأتونه ويقبلون يديه ويعتذرون اليه مما سبق

منهم فى حقه ويعرضون أنفسهم عليه ويقولون له اجعلنا خدماء عندك فلم يرض أن يقبل واحدا منهم وصار عنده عبيد وجوارى وجمع مالا كثيرا هذا ماكان من أمر أبى قير واما ماكان من أمر أبى صير فانه لما قفل عليه أبوقير باب الحجرة بعد أن أخذ دراهمه راح وخلاه وهو مريض عن الوجود فصار مرميا فى تلك الحجرة والباب مقفول عليه واستمر كذلك ثلاثة أيام فانتبه بواب الخان الى باب الحجرة فرآه مقفولا ولم ير أحد من هذين الاثنين الى المغرب ولم يعلم لهما خبرا فقال فى نفسه لعلهما سافرا ولم يدفعا أجرة الحجرة أو ماتا أو ماخبرهما ثم انه أتى الى باب الحجرة فرآه مقفولا وسمع أنين المزين فى داخلها ورأى المفتاح فى الضبة ففتح الباب ودخل فرأى المزين يئن فقال له لا بأس عليك أين رفيقك فقال له والله انى أفقت من مرضى الا فى هذا اليوم وصرت أنادى وما أحد يرد علىّ جوابا بالله عليك ياأخى أن تنظر الكيس تحت رأسى وتأخذ منه خمسة أنصاف وتشترى لى بها شيئا اقتات به فانى فى غاية الجوع فمد يده وأخذ الكيس فرآه فارغا فقال للمزين ان الكيس فارغ مافيه شيء فعرف أبوصير المزين أن أبا قير أخذ مافيه وهرب فقال له أما رأيت رفيقى فقال له من مدة ثلاثة أيام ما رأيته وما كانت أظن الا انك سافرت أنت وإياه فقال له المزين ماسافرنا وانما طمع فى فلوسى فأخذها وهرب حين رآنى مريضا ثم أنه بكى وانتحب فقال له بواب الخان لا بأس عليك وهو يلقى فعله من الله ثم أن بواب الخان راح وطبخ له شوربة وغرف له صحنا وأعطاه اياه ولم يزل يتعهده مدة شهرين وهو يكلفه من كيسه حتى عرق وشفاه الله من المرض الذى كان به ثم قام على أقدامه وقال لبواب الخان أن أقدرنى الله تعالى جازيتك على مافعلت مع من الخير ولكن لايجازى الا الله من فضله فقال له بواب الخان الحمد لله على العافية أنا مافعلت معك ذلك الا ابتغاء وجه الله الكريم ثم ان المزين خرج من الخان وشق فى الأسواق فأتت به المقادير إلى السوق الذي فيه مصبغة أبى قير فرأى الأقمشة ملونة بالصباغ منشورة فى باب المصبغة والخلايق مزدحمة يتفرجون عليها فسأل رجال من أهل المدينة وقال له ماهذا المكان ومالى اراى الناس مزدحمين فقال له المسئول ان هذه مصبغة السلطان التى أنشأها الرجل غريب اسمه أبو قير وكلما صبغ ثوبا نجتمع عليه ونتفرج على صباغه لأن بلادنا مافيها صباغون يعرفون صباغ هذه الألوان وجرى له مع الصباغين الذين فى البلد ماجرى وأخبره بكل ماجرى ففرح أبوصير وقال فى نفسه الحمد لله الذى فتح عليه وصار معلما والرجل معذور لعله التهى عنك بالصنعة ونسيك ولكن أنت

عملت معه معروفـا وأكرمته وهو بطال فمتى رآك فرح بك وأكرمك فـى نظير ما أكرمته ثم انه تقدم الى جهة باب المصبغـة فرأى أبا قير جالسا علـى مرتبة عالية فوق مـصطبة فى باب المـصبغة وعـليه بدلـة من ملابـس الملوك وقدامـه أربعة عـبيد وأربعـة مماليك بـيض لابسين أفخـر الملابس ورأى الصنايعـية عشرة عبيد واقفـين يشتغلون لأنه حـين اشتراهم علمهم صـنعة الصباغة وهو قاعد بـين المخدات كأنه وزير أعظم أو ملك أفـخم لايعمل شيئـا بيده وانما يـقول لهم افـعلوا كذا وكذا فـوقف أبو صيـر قدامه وهو يـظن أنه اذا رآه يفرح به ويسـلم عليه ويكرمه ويـأخذ بخاطره فلما وقـعت العين فى العين قال لـه أبوقير ياخبيث كم مرة وأنا أقول لك لاتقف فـى باب هذا الدولاب هل مرادك أن تفضحنى مع الناس ياحرامى امـسكوه فجرت خلفه العبيـد وقبضوا عليه وقام أبوقير عـلى حيله وأخذ عصا وقال ارمـوه فرموه فضربه على ظـهره مائة ثم قلبوه فـضربه على بطنه مـائة وقال له ياخبيث ياخائن ان نظرتك بعد هذا اليوم واقـفا على باب هذه المصبغة أرسلتك الى الملك فى الحـال فيلسـمك الى الوالـى ليرمى عـنقك أمشـى لا بارك الله لـك فذهب من عـنده مكسور الخاطر بسبب ماحصل له من الضرب والترذيل فقال الحاضرون لأبى قير الصباغ أى شىء عمـل هذا الرجل فـقال لهم أنه حـرامى يسرق أقـمشة النـاس وأدرك شهرزاد الصباح فسكت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الخامسة والثلاثون بعد التسعمائة

قالت بلغـنى أيها الملك السعيـد أن أبا قير ضرب أباصير وطرده وقـال للناس ان هذا حرامى يـسرق أقمشـة الناس فانـه سرق منى كم مـرة من القمـاش وأنا أقول فى نـفسى سامحه الله فإنه رجل فقير ولـم أرض أن أشوش عليـه وأعطى الناس ثمن أقمشتهم وانهاه بلطف فلم ينتبه فان رجع مرة غير هذه المرة أرسلته الى الملك فيقتله ويريح الناس من أذاه فصار الناس يشتمـونه بعد ذهابه هذا ماكان من أمر أبى قير وأمـا ما كان من أمر أبى صير فانه رجـع الى الخان وجلس يتـفكر فيمـا فعل به أبو قـير فلم يزل جالـساً حتى برد عـليه الضرب ثم خـرج وشق فى أسواق المدينـة فخطر ببالـه أنه يدخل الحمام فـسأل رجلا من أهل المدينة وقـال له يا أخى من أين طريق الحمام فـقالله وما يكون الحمام فـقال له موضع تغتسـل فيه الناس ويزيـلون ماعليهـم من الأوساخ وهو من أطيـب طيبات الدنيـا فقال له

عليك بالبحر قال انا مرادى الحمام قال له نحن لم نعرف الحمام كيف يكون فاننا كلنا نروح إلى البحر حتى الملك اذا أراد أن يغتسل فانه يروح الى البحر فلما علم أبوصير أن المدينة لم يكن فيها حمام وأهلها لاتعرف الحمام ولا كيفيته مضى الى ديوان الملك ودخل عليه وقبل الأرض بين يديه ودعا له وقال له أنا رجل غريب البلاد وصنعتى حمامى فدخلت مدينتك وأردت الذهاب الى الحمام فما رأيت فيها ولا حماما واحدا أو المدينة التى تكون بها هذه الصفة الجميلة كيف تكون من غير حمام مع أنه من أحسن نعيم الدنيا فقال له الملك أى شيء يكون الحمام فصار يحكى له أوصاف الحمام وقال له لاتكون مدينتك مدينة كاملة الا اذا كان بها حمام فقال له الملك مر حبابك والبسه بدلة ليس لها نظير وأعطاه حصانا وعبيدين ثم أنعم عليه بأربع جوار ومملوكين وهيأ له دارا مفروشة وأكرمه أكثر من الصباغ وأرسل معه البنايين وقال لهم الموضع الذى يعجبه ابنوا له فيه حماما فأخذهم وشق بهم فى وسط المدينة حتى أعجبه مكان فأشار لهم عليه فدروروا فيه البناية وصار يرشدهم الى كيفيته حتى بنوا له حماما ماليس له نظير ثم أمرهم بنقشه فنقشوه نقشا عجيبا حتى صار بهجة للناظرين ثم طلع الى الملك وأخبره بفراغ بناء الحمام ونقشه وقال له أنه لم يكن ناقصا غير الفرش فأعطاه الملك عشرة آلاف دينار فأخذها وفرش الحمام وصف فيه الفوط على الحبال وصار كل من مر علي باب الحمام يشخص له ويحتار فكره فى نقشه وازدحمت الخلايق على ذلك الشيء الذي مارأوا مثله فى عمرهم وصاروا يتفرجون عليه ويقولون أى شيء هذا فيقول لهم أبو صير هذا حمام فيتعجبون منه ثم أنه سخن الماء ودور الحمام وعمل سلسبيلا فى الفسقية يأخذ عقل كل من رآه من أهل المدينة وطلب من الملك عشرة مماليك دون البلوغ فأعطاه عشرة مماليك مثل الأقمار فصار يكبسهم ويقول لهم افعلوا مع الزباين هكذا ثم أطلق البخور وأرسل مناديا ينادى فى المدينة ويقول ياخلق الله عليكم بالحمام فانه يسمى حمام السلطان فأقبلت عليه الخلائق وجعل يأمر المماليك ان يغسلوا أجساد الناس وصارت الناس ينزلون المغطس ويطلعون وبعد طلوعهم يجلسون فى الليوان والمماليك تكبسهم مثل ما علمهم أبو صير واستمر الناس يدخلون الحمام ويقضون حاجتهم منه ثم يخرجون بلا أجرة مدة ثلاثة أيام فى اليوم الرابع عزم الملك الى الحمام فركب هو وأكابر دولته وتوجهوا الى الحمام فقلع ودخل فدخل أبو صير وكبس الملك وأخرج من جسده الوسخ مثل الفتائل

وصار يريه له ففرح الملك وصار لوضع يده على بـدنه صوت من النعومة والنظافة وبعد أن غسل جسده مزج له مـاء الورد بماء المغطس فنزل الملك فى المغـطس ثم خرج وجسده قد ترطب فحصل له نشاط عمره ما رآه ثم بعد ذلك أجلسه فى الليوان وصارت المماليك يكبسونـه والمباخر تفوح بالعـود الند فقال الملك يامـعلم أهذا هو الحمام قال نـعم فقال له وحياة رأسـى أن مدينتى مـاصارت مدينة الا بـهذا الحمام ثم قـال له أنت تأخذ عـلي كل رأس أى شيء أجرة قال أبوصير الذى تأمر لى به آخذه فأمر له بألف دينار وقال له كل من اغتسـل عندك خذ منه الـف دينار فقال له الـعفو ياملك الـزمان ان الناس ليسـوا سواء بل فيهم الـغنى وفيهم الفقـير واذا أخذت من كل واحد ألف ديـنار يبطل الحمام فان الـفقير لايقدر عـلى الألف دينـار قال الملك وكيـف تفعل فى الأجـرة قال اجعل الأجـرة بالمروءة فكل من يـقدر على شيء وسمحت بـه نفسه يعطيه فتأخذ من كل انسان علـى قدر حاله فان الأمر اذا كان كذلك تأتى الينا الخلائق والذى يكـون فقيرا على قدر ماتسمح به نفسه فاذا كان الأمر كذلك يدور الحمام ويبقى له شأن عظيم وأما الألف دينار فانها عطية الملك ولا يقدر عـليها كل أحد فـصدق عليه أكـابر الدولة وقالـوا هذا هو الحق ياملـك الزمان أتحسب ان الناس كلهم مثلك أيها الملك الـعزيز قال الملك ان كلامكم صحيح ولكن هذا رجل غريـب فقير واكرامـه واجب علينـا فانه عمل فـى مدينتنـا هذا الحمام الذى عـمرنا مارأينا مثله ولا تزينـت مدينتنا وصار لها شأن الأبهة فاذا أكرمنا بـزيادة الأجرة ماهو كثير فقالوا اذا كنت تكرمـه فأكرمه من مالك وأكرام الفقير من الملـك بقلة أجرة الحمام لأجل أن تدعو لك الرعية وأما الألف دينار فنحن أكابر دولتك ولا تسمح أنفسنا باعطائها فكيف تسمح بذلـك نفوس الفقراء فقال المـلك يا أكابر دولتى كل مـنكم يعطيه الا ماتـسمح به نفـسه فقال لا بـأس بذلك فجـعلت الأكـابر يعطـيه كل واحـد منهم مـائة دينار وجـارية ومملوكا وعـبدا وكان عدد الأكابر الذيـن اغتسلوا مع الملـك فى هذا اليوم أربعمـائة نفس وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة السادسة والثلاثون بعد التسعمائة

قالت بلغنى أيهـا الملك السعيد أنه كان عدد الأكابر الذين اغتـسلوا مع الملك فى ذلك اليوم أربعمائة نفس فصاروا جملة ما اعطوه من الدنانير اربعين الف دينار ومن المماليك

اربعمائة مملوك ومن العبيد اربعمائة عبد ومن الجواري اربعمائة جارية وناهيك بهذه العطية واعطاه الملك عشرة آلاف دينار وعشرة مماليك وعشر جوار وعشرة عبيد فتقدم ابو صير وقبل الارض بين ايادي الملك وقال له ايها الملك السعيد صاحب الرأي الرشيد اي مكان يسعني بهذه المماليك والجواري والعبيد فقال له الملك انا ما امرت دولتي بذلك إلا لاجل ان نجمع لك مقدارا عظيما من المال لانك ربما تفكرت بلادك وعيالك واشتقت اليهم واردت السفر إلى اوطانك فتكون اخذت من بلادنا مقدارا جسيما من المال تستعين به علي وقتك في بلادك قال يا ملك الزمان اعزك الله ان هذه المماليك والجواري والعبيد الكثيرة شأن الملوك ولو كنت امرت لي بمال نقد لكان خير إلي من هذا الجيش فإنهم يأكلون ويشربون ويلبسون ومهما حصلته من المال لا يكفيهم في الانفاق عليهم فضحك الملك وقال والله انك قد صدقت فانهم صاروا عسكرا جرارا وانت ليس لك مقدرة علي الانفاق عليهم ولكن اتبيعهم لي كل واحد بمائة دينار فقال بعتك اياهم بهذا الثمن فارسل الملك إلي الخازندار ليحضر له المال فاحضره واعطاه ثمن الجميع بالتمام والكمال ثم بعد ذلك انعم بهم على اصحابهم وقال كل من يعرف عبده أو جاريته أو مملوكه فليأخذه فانهم هدية مني اليكم فامتثلوا امر الملك واخذ كل واحد منهم ما يخصه فقال له ابو صير اراحك الله يا ملك الزمان كما ارحتني من هؤلاء الغيلان الذين لا يقدران يشبعهم الا الله فضحك الملك من كلامه وصدق عليه ثم اخذا أكابر دولته وذهب من الحمام إلي سرايته وبات تلك الليلة ابو صير وهو يصرد الذهب ويضعه في الاكياس ويختم عليه وكان عند عشرون عبدا وعشرون مملوكا واربع جوار برسم الخدمة فلما اصبح الصباح فتح الحمام وارسل مناديا ينادي ويقول كل من دخل الحمام واغتسل فانه يعطي ما تسمح به نفسه وما تقتضيه مروءته وقعد ابو صير عند الصندوق وهجمت عليهالزباين وصار كل من طلع يحط الذي يهون عليه فما امسي المساء حتى امتلأ الصندوق من خير الله تعالى ثم ان الملكة طلبت دخول الحمام فلما بلغ ابا صير ذلك قسم النهار من اجلها قسمين وجعل من الفجر إلي الظهر قسم الرجال ومن الظهر إلي الغروب قسم النساء ولما اتت الملكة اوقف جارية خلف الصندوق وكان علم اربع جوار البلانة حتي صرن بلانات ماهرات فلما دخلت الملكة اعجبها ذلك وانشرح صدرها وحطت الف دينار وشاع ذكره في المدينة وصار كل من دخل يكرمه سواء كان غنيا أو فقيرا فدخل عليه

الخير مـن كل باب وتعرف بأعـوان الملك وصار له أصـحاب وأحباب وصار الملـك يأتي إليه في الجـمعة يوما ويعطيـه الف دينار وبقية ايام الجـمعة للأكابر والفقـراء وصار يأخذ بخاطر الناس ويلاطفهم غاية الملاطفة فأتفق ان قبطان الملك دخل عليه في الحمام يوما من الأيام فقلع ابو صيـرودخل معه وصار يكبسه ولاطفه ملاطفـة زائدة ولما خرج من الحمام عمل لـه الشربات والقهـوة فلما اراد ان يعـطيه شيئـا حلف انه لا يأخذ مـنه شيئا فـحمل القبطان جميلته لما رأي من مزيد لطفه به واحـسانه إليه وصار متحيرا فيما يهديه إلي ذلك الحمامي في نظير اكرامه له هذا ما كان من امـر ابي صير واما ما كان من امر ابي قير فإنه سمع جمـيع الخلايق يلهـجون بذكر الحمام وكـل منهم يقول ان هـذا الحمام نعيم الـدنيا بلاشك ان شاء الله يافلان تدخل بناغدا هذا الحمام الـنفيس فقال ابو قير في نفسه لابد ان اروح مثل الناس وانظر هذا الحمام الذى اخذ عقول الناس ثم انه لبس افخر ما كان عنده من الملابس وركـب بغلة واخذ معه اربعة عبيد واربعة مماليك يمشون خلفه وقدامه وتوجه إلي الحمام ثم إنـه نزل في باب الحمام فلمـا صار عند الباب شم رايحـة العود الند ورأي ناسا داخلين وناسا خـارجين ورأى المساطب ملآنة من الاكابر والاصاغر فـدخل الدهليز فرآه ابو صير فقام اليه وفرح به فقال لـه أبوقير هل هذا شرط أولاد الحلال وأنا فتحت لى مصبـغة وبقيت مـعلم البـلد وتعرفت بـالملك وصرت فى سـعادة وسيادة وأنـت لا تأتى عندى ولا نسأل عـنى ولا تقول أين رفيقى وأنا عـجزت وأنا أفتش عليك وابـعث عبيدى ومماليـكى يفتـشون عليك فـى الخانات وفى سـائر الأماكن فلا يـعرفون طريـقك ولا حد يخبرهـم بخبرك فقال له أبـو صير اماجئت اليـك وجعلتنى لصـا وضربتنى وهتكـتنى بين الناس فاغتم أبوقير وقال أى شيء هذا الكلام هل هو أنت الذى ضربتك فقال له أبو صير نعم هو أنا فخلف له أبوقير الف يمين انه ماعرفه وقال انما كان واحدا شبيهك يأتى فى كل يوم ويسرق قماش النـاس فظننت أنك هو وصار يتندم ويضرب كـفا على كف ويقول لا حول ولا قوة لا بـالله العظـيم قد أسأناك ولـكن ياليتـك عرفتنى بـنفسك وقلـت أنا فلان فالعيب عندك لكـونك لم تعرفنى بنفسك خصوصا وأنا مدهـوش من كثرة الأشغال فقال له أبوصير سامحك الله يارفيقى وهذا الشـيء كان مقدرا فى الغيب والجبر على الله ادخل اقلع ثيابك واغتسل وانـبسط فقال له بالله عليك أن تسامحنى يا أخـى فقال له أبرء الله فى ذمتـك وسامحك فـانه كان أمر مـقدر على فـى الأزل ثم قال أبو قـير ومن أين لـك هذه السيادة فـقال له الذى فتح عليـك فتح على فانى طلـعت الى الملك وأخبرته بـشأن الحمام

فأمر لي ببنائه فقال له أبوقير وكما انك معرفة الملك فأنا الآخر معرفته وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة السابعة والثلاثون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان ابا قير لما تعاتب هو وابو صير قال له كما انت معرفة الملك انا الآخر معرفته وان شاء الله تعالى انا اخليه يحبك ويكرمك زيادة على هذا الاكرام من اجلي فإنه لم يعرف انك رفيقي فانا اعرفه بانك رفيقي واوصيه عليك فقال له ما احتاج إلى وصية فان المحنن موجود وقد احبني الملك هو وجميع دولته واعطاني كذا وكذا واخبره بالخبر ثم قال له اقلع ثيابك خلف الصندوق وادخل الحمام وانا ادخل معك لاجل ان اكيسك فخلع ما عليه ودخل الحمام ودخل معه ابو صير وكيسه وصبنه والبسه واشتغل به حتى خرج فلما خرج احضر له الغدا والشربات وصار جميع الناس يتعجبون من كثرة اكرامه له ثم بعد ذلك اراد ابو قيران يعطيه شيئا فحلف انه لا يأخذ منه شيئا وقال له استح من هذا الامر وانت رفيقي وليس بيننا فرق ثم ان ابا قير قال لابي صير يارفيقي والله ان هذا الحمام عظيم ولكن صنعتك فيه ناقصة فقال له وما نقصها قال له الدواء الذي هو اعقد الزرنيخ والجير الذي يزيل الشعر بسهولة فاعمل هذا الدواء فإذا اتى الملك فقدمه إليه وعلمه كيف يسقط به الشعر فيحبك حبا شديدا ويكرمك فقال له صدقت ان شاء الله اصنع ذلك ثم ان ابا قير خرج وركب بغلته وذهب إلي الملك ودخل عليه وقال له انا ناصح لك ياملك الزمان فقال له وما نصيحتك فقال بلغني خبر وهو انك بنيت حماما قال نعم قد اتاني رجل غريب فانشأته له كما انشأت لك هذه المصبغة وهو حمام عظيم وقد تزينت مدينتي به وصار يذكر له محاسن ذلك الحمام فقال له ابو قير وهل دخلته قال نعم قال الحمد لله الذي نجاك من شر هذا الخبيث عدو الدين وهو الحمامي فقال له الملك وما شأنه قال ابو قير اعلم ياملك الزمان انك ان دخلته بعد هذا اليوم فإنك تهلك فقال له لاي شيء فقال له ان الحمامي عدوك وعدو الدين فإنه ما حملك على انشاء هذا الحمام إلا لان مراده ان يدخل عليك فيه السم فإنه صنع لك شيئا وإذا دخلته يأتيك به ويقول لك هذا دواء كل من دهن به تحته يرمي الشعر منه بسهولة وليس هو بدواء بل هوداء عظيم وسم قاتل وان هذا الخبيث قد وعده سلطان النصاري انه

ان قتلـك يفك له زوجـته واولاده من الاسر فـان زوجته واولاده مأسـورون عند سلـطان النصـارى وكنت مأسورا معـه في بلادهم ولكن انـا فتحت مصبـغة وصبغت لهـم الوانا فاستعـطفوا عليّ قلب المـلك فقال لي الملك اي شـيء تطلب فطلبـت منه العتق فاعـتقني وجئت إلي هذه المـدينة ورأيته في الحمام فـسألته وقلت له كيـف كان خلاصك وخلاص زوجتك واولادك فـقال لـم ازل انا وزوجـتي واولادي مأسورين حـتى ان ملك الـنصارى عمل ديوانا فحضرت في جملة من حضر وكنت واقفا من جملة الناس فسمعتهم فتحوا مذاكرة المـلوك إلي ان ذكروا ملـك هذه المدينة فـتأوّه ملك النـصارى وقال ما قهـرني في الدنـيا إلا ملك المـدينة الفـلانية فكـل من تحيل لـي علي قـتله فإنـي اعطيه كـل ما يتمـنى فتقدمت أنا إليه وقـلت له إذا تحيلت لك على قتله هل تعتـقني انا وزوجتي واولادي فقال لي نعـم اعتقكم واعـطيك كل ما تـتمنى ثم انـي اتفقت انا واياه علي ذلك وارسلـني في غليون إلـى هذه المدينة وطلعـت إلى هذا الحمام وقد اصطنـعت له شيئا فيـه سم فإذا جاء اقول له خذ هذا الدواء وادهن به تحـتك فإنه يسقط الشعر فيأخذه ويدهـن به تحته فيلعب السم فيـه يوما وليلة حتـى يسرى إلى قلبه فـيهلكه والسلام فـلما سمعت منـه هذا الكلام خفت علـيك لان خيرك عليّ وقد اخـبرتك بذلك فلـما سمع الملك هذا الـكلام غضب غضبا شديدا وقال للـصباغ اكتم هذا السر ثم طلب الرواح إلى الحمـام حتى يقطع الشك باليقين فلما دخل الملك الحمام تعرى ابو صير علي جرى عادته وتقيد بالملك وكيسه وبعد ذلك قال لـه ياملك الزمـان اني عملت دواء لـتنظيف الـشعر التحـتاني فقال احـضره لي فاحضره بين يديه فرأي رايحتـه كريهة فصح عنده انه سم فغـضب وصاح على الاعوان وقال امسـكوه فقبض عـليه الاعوان وخرج المـلك وهو ممتـزج بالغضب ولا احـد يعرف سبب غضبه ومن شدة غضب الملك لـم يخبر احدا ولم يتجاسر احد على ان يسأله ثم انه لبس وطلع الديوان ثم أحضر ابا صير بين يديه وهو مكتف ثم طلب القبطان فحضر فلما حضر القبطان قـال له الملك خذ هذا الخبيث وحطـه في زكيبة وحط في الزكيبـة قنطارين جيرا من غير طفـي واربطها عليـه هو والجير ثم ضعـها في الزورق وتعالـى تحت قصري فتراني جالسا في شباكه وقل لي هل ارميـه فاقول لك ارمه فإذا قلت لك ذلك فارمه حتى

ينطفي الجير عليه لاجل ان يموت غريقا حريقا فقال سمعا وطاعة ثم اخذه من قدام الملك إلي جزيرة قصاد قصر الملك وقال لابي صير ياهذا انا جئت عندك مرة واحدة في الحمام فاكرمتني وقمت بواجبي وانبسطت منك كثيرا وحلفت انك لم تأخذ مني اجرة وانا قد احببتك محبة شديدة فاخبرني ما قضيتك مع الملك واي شيء صنعت من المكاره حتى غضب عليك وامرني ان تموت هذه الميتة الرديئة فقال له والله ما عملت شيئا وليس عندي علم بذنب فعلته معه يستوجب هذا وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الثامنة والثلاثون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان القبطان لما سأل ابا صير عن سبب غضب الملك عليه قال له والله ياخي ما عملت معه شيئا قبيحا يستوجب هذا فقال له القبطان ان لك عند الملك مقاما عظيما ما ناله احد قبلك وكل ذي نعمة حسود فلعل احدا حسدك على هذه النعمة ورمى في حقك بعض كلام عند الملك حتى ان الملك غضب عليك هذا الغضب ولكن مرحبا بك وما عليك من بأس فكما انك اكرمتني من غير معرفة بيني وبينك فانا أخلصك ولكن إذا خلصتك تقيم عندي في هذه الجزيرة حتى يسافر من هذه المدينة غليون إلى ناحية بلادك فأرسلك معه فقبل ابو صير يد القبطان وشكره على ذلك ثم انه احضر الجير ووضعه في زكيبة ووضع فيها حجرا كبيرا قدر الرجل وقال توكلت على الله ثم ان القبطان اعطى ابا صير شبكة وقال له ارم هذه الشبكة في البحر لعلك تصطاد شيئا من السمك لان سمك مطبخ الملك مرتب عليّ في كل يوم وقد اشتغلت عن الصيد بهذه المصيبة التي اصابتك فاخاف ان يجدوه غلمان الطباخ ليطلبوا السمك فلم يجدوه فإذا كنت تصطاد شيئا فانهم يجدونه حتى اروح اعمل الحيلة تحت القصر واجعل اني رميتك فقال له ابو صير انا اصطاد ورح انت والله يعينك فوضع الزكيبة في الزورق وسار إلى ان وصل تحت القصر فرأي الملك جالسا في الشباك فقال ياملك الزمان هل ارميه فقال له ارمه واشر بيده وإذا بشيء برق ثم سقط في البحر وإذا بالذي سقط في البحر خاتم الملك وكان مرصودا بحيث إذا غضب الملك على احد واراد قتله يشير عليه باليد اليمنى التي فيها الخاتم فيخرج من الخاتم بارقة فتصيب الذي يشير عليه فتقع رأسه من بين كتفيه وما اطاعته العساكر ولا قهر الجبابرة الا بسبب هذا الخاتم فلما وقع الخاتم من اصبعه كتم

امره ولم يقـدر ان يقول خاتمي وقع في البـحر خوفا من العسكـر ان يقوموا عليه فيـقتلوه فسكت هذا مـا كان من امر الملك واما ما كان مـن امر ابي صير فإنه بعد ذهـاب القبطان اخذ الشبـكة وطرحها في البـحر وسحبها فطلـعت ملآنة سمكا ثـم طرحها ثانيا فـطلعت ملآنة سمكا أيضا ولم يزل يطرحها وهي تطلع ملآنة سمكا حتى صار قدامه كوم كبير من السمك فقال في نفسه والله ان لي مدة طويلة ما اكلت السمك ثم انه نقى له سمكة كبيرة سميـنة وقال لما يأتي الـقبطان اقول لـه يقلي لي هـذه السمكة لا تغـذي بها ثم انه ذبـحها بسكين كانت معه فعلقت السكين في نخشوشها فرأى خاتم الملك فيه لانها كانت ابتلعته ثم ساقتـها القدرة إلي تلك الجـزيرة ووقعت في الشبكـة فاخذ الخاتم ولبسه فـي خنصره وهو لا يعلم مـا فيه من الخواص وإذا بغلامين من خدام الـطباخ اتيا لطلب الـسمك فلما صارا عنـد ابي صير قالا يارجـل اين راح القبطان فـقال لا ادري وأشار بيده اليـمنى وإذا برأسي الغلامين وقعا مـن بين أكتافهما حين أشار إليهما وقال لا أدرى فـتعجب ابو صير من ذلك وجعل يقول ياترى مـن قتلهما وصعبا عليه وصار يتفكـر في ذلك وإذا بالقبطان اقبل فرأي كوما كبيرا من السمك ورأي الاثـنين مقتولين ورأي الخاتم في اصبع ابي صير فقال له ياأخي لا تحرك يدك فيها الخاتم فإنك ان حركتـها قتلتني فتعجب من قوله لا تحرك يدك التي فيـها الخاتم لانك ان حركتها قـتلتني فلما وصـل له القبطان قال من قـتل هذين الغلامين قال له ابـو صير والله ياأخي لا ادري قال صدقت ولكن اخـبرني عن هذا الخاتم من اين وصل إلـيك قال رأيته في نـخشوش هذه السمـكة قال صدقت فإنـي رأيته ماز لا يبرق من قصر الملك حتى سقط في البـحر وقت ان أشار إليك وقال لي ارمه فإنه لما اشار رميت الزكيـبة وكان سقط من اصبعـه ووقع في البحر فابتـلعته هذه السمكـة وساقها الله إليك حتى اصطدتـها فهذا نصيبك ولكن هل تعرف خـواص هذا الخاتم قال ابو صير لا أدري له خواصا فقال القبطان اعلم ان عسكر ملكنا ما اطاعوه إلا خوفا من هذا الخاتم لانه مرصود فإذا غضب الملك على احد واراد قتله يشيـر به عليه فتقع رأسه من بين كتفيه فان بارقة تخرج من هذا الخاتم ويتصل شعاعها بالمغـضوب عليه فيموت لوقته فلما سمع ابو صير هذا الكـلام فرح فرحا شديدا وقال للقبـطان ردني إلي المدينة فقال لـه القبطان اردك فإني ما بـقيت اخاف عليك مـن الملك فإنك متى اشـرت بيدك واضمرت على قـتله فان رأسه تقع بين يـديك ولو كنت تطلب قـتل الملك وجميع العـسكر فإنك تقتلـهم من غير عاقة ثم انزله في الزورق وتوجه به إلي المدينة وادرك شهر زاد الصباح.

فلما كانت الليلة التاسعة والثلاثون بعد التسعمائة

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن القبطان لما أنزل أباصير في الزورق توجه به إلى المدينة فلما وصل إليها طلع إلى قصر الملك ثم دخل الديوان فرأى الملك جالسا والعسكر بين يديه وهو في غم عظيم من شأن الخاتم ولم يقدر أن يخبر أحد من العسكر بضياع الخاتم فلما رآه الملك قال له أما رميناك في البحر كيف فعلت حتى خرجت منه فقال له ياملك الزمان لما أمرت برميي في البحر أخذني قبطانك وسار بي إلى جزيرة وسألني عن سبب غضبك علي وقال لي أي شيء صنعت مع الملك حتى أمر بموتك فقلت له والله ماأعلم أني عملت معه شيئا قبيحا فقال لي أن لك مقاما عظيما عند الملك فلعل أحدا حسدك ورمى فيك كلاما عند الملك حتى غضب عليك ولكن أنا جئتك في حمامك فاكرمتني ففي نظير إكرامك أياي في حمامك أنا أخلصك وأرسلك إلى بلادك ثم حط في الزورق حجرا عوضا عني ورماه في البحر ولكن حين اشرت له علي وقع الخاتم من يدك في البحر فابتلعته سمكة وكنت أنا في الجزيرة اصطاد سمكا فطلعت تلك السمكة في جملة السمك فاخذتها واردت أن اشويها فلما فتحت جوفها رأيت الخاتم فيه فأخذته وجعلته في اصبعي فأتاني اثنان من خدام المطبخ وطلبا السمك فأشرت إليهما وأنا لا أدري خاصية الخاتم فوقعت رؤوسهما ثم آتى القبطان فعرف الخاتم وهو في اصبعي واخبرني برصده فاتيت به إليك لأنك عملت معي معروفا واكرمتني غاية الإكرام وماعملته معي من الجميل لم يضع عندي وهذا خاتمك فخذه وان كنت فعلت معك شيئا يوجب القتل فعرفني بذنبي واقتلني وانت في حل من دمي ثم خلع الخاتم من اصبعه وناوله للملك فلما رأى الملك مافعل أبو صير من الاحسان أخذ الخاتم منه وتختم به وردت له روحه وقام على أقدامه واعتنق أباصير وقال يارجل أنت من خواص أولاد الحلال فلا تؤاخذني وسامحني مما صدر مني في حقك ولو كان أحد غيرك ملك هذا الخاتم ماكان اعطاني إياه فقال ياملك الزمان إن أردت أن اسامحك فعرفني بذنبي الذي أوجب غضبك علي حيث أمرت بقتلي فقال له والله انه ثبت عندي أنك برئ وليس لك ذنب في شئ حيث فعلت هذا الجميل وإنما الصباغ قد قال لي كذا وكذا واخبره بما قاله الصباغ فقال ابو صير والله ياملك الزمان أنا لا أعرف ملك النصارى ولا عمري رحت بلاد النصارى ولا خطر ببالي أني اقتلك ولكن هذا الصباغ كان رفيقي وجاري في مدينة

اسكندرية وضاق بنا العيش هناك فخرجنا منها لضيق المعاش وقرأنا مع بضعنا فاتحة على أن العمال يطعم البطال وجرى لى معه كذا وكذا واخبره بجميع ماقد جرى له أبى قير الصباغ وكيف اخذ دراهمه وفاته ضعيفا في الحجرة التى فى الخان وان بواب الخان كان ينفق عليه وهو مريض حتى شفاه الله ثم طلع وسرح فى المدينة بعدته على العادة فبينما هو فى الطريق أذ رأى مصبغة عليها ازدحام فنظر فى باب المصبغة فرأى أبا قير جالسا على مصطبة هناك فدخل ليسلم عليه فوقع له منه ماوقع من الضرب والإساءة وادعى عليه أنه حرامى وضربه ضربا مؤلما وأخبر الملك بجميع ماجرى له من أوله إلى آخره ثم قال ياملك الزمان هو الذى قال لى أعمل الدواء وقدمه للملك فإن الحمام كامل فى جميع الأمور إلا أن هذا الدواء مفقود منه وأعلم ياملك الزمان أن هذا الدواء لا يضر ونحن نصنعه فى بلادنا وهو من لوازم الحمام وأنا كنت نسيته فلما أتانى الصباغ وأكرمته ذكرنى به وقال لى أعمل الدواء وارسل يامالك الزمان هات بواب الخان الفلانى وصنايعية المصبغة وأسأل الجميع عن ماأخبرتك به فأرسل الملك إلى بواب الخان وإلى صنايعية المصبغة فلما حضر الجميع سألهم فاخبروه بالواقع فأرسل إلى الصباغ وقال هاتوه حافيا مكشوف الرأس مكتفا وكان الصباغ جالسا فى بيته مسروراً بقتل أبى صير فلم يشعر إلا وأعوان الملك هجموا عليه والضرب فى قفاه ثم كتفوه وحضروا به قدام الملك فرأى أباصير جالسا فى جنب الملك وبواب الخان وصنايعية المصبغة واقفين أمامه فال له بواب الخان أما هذا رفيقك الذى سرقت درهمه وتركته عندى فى الحجرة ضعيفاً وفعلت معه ماهو كذا وكذا وقال له صنايعية المصبغة أما هذا الذى أمرتنا بالقبض عليه وضربناه فتبين للملك قباحة أبى قير وأنه يستحق ماهو أشد من تشديد منكر ونكير فقال الملك خذوه وجرسوه فى المدينة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة الموفية للأربعين بعد التسعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الملك لما سمع كلام بواب الخان وصنايعية المصبغة تحقق خبث أبى قير فأقام عليه النكير وقال لأعوانه خذوه وجرسوه فى المدينة وحطوه فى زكيبة وارموه فى البحر فقال أبو صير ياملك الزمان شفعنى فيه فانى سامحته من جميع مافعل بى فقال الملك ان كنت سامحته فى حقك فأنا لا يمكن أن اسامحه فى حقى ثم

صاح وقال خذوه فاخذوه وجرسوه وبعد ذلك وضعوه فى زكيبة ووضعوا معه الجير ورموه فى البحر فمات غريقا حريقا وقال الملك يااباصير تمن على تعط فقال له تمنيت عليك أن ترسلنى إلى بلادنى فانى مابقى لى رغبة فى القعود هاهنا فاعطاه شيئا كثيرا زيادة على ماله ونواله ومواهبه ثم أنعم عليه بغليون مشحون بالخيرات وكان بحريته مماليك فوهبهم له أيضا بعد أن عرض عليه أن يجعله وزيراً فما أرضى ثم ودع الملك وسافر وجميع مافى الغليون ملكه حتى النواتية مماليكه ومازال سائرا حتى وصل إلى ارض اسكندرية ورسوا على جانب اسكندرية وخرجوا إلى البر فرأى مملوكا من مماليكه زكيبة فى جانب البر فقال ياسيدى ان فى جنب شاطئ البحر زكيبة كبيرة ثقيلة وفيها مربوط ولا ادرى مافيها فاتى ابو صير وفتحها فرأى فيها أبا قير قد دفعه البحر إلى جهة اسكندرية فأخرجه ودفنه بالقرب من اسكندرية وعمل له مزارا وأوقف عليه أوقافا وكتب على باب الضريح هذه الأبيات .

المرء يعرف في الأنام بفعله ... وفعائل الحر الكريم كاصله
لا تستغيب فتستغاب فربما ... من قال شيئا قيل فيه بمثله
وتجنب الفحشاء لا تنطق بها ... مادمت في جد الكلام وهزله
فالكلب ان حفظ المكارم يقتني ... وغدا الهزبر مسلسلا من جهله
والبحر تعلو فوقه جيف الفلا ... والدر منبوذ باسفل رمله
ماكان عصفور يزاحم باشقا ... إلا لطيشته وخفة عقله
في الجو مكتوب على صحف الهوى ... من يفعل المعروف فاز بمثله
اياك تجني سكرا من حنظل ... فالشئ يرجع في المذاق لأصله

ثم أن اباصير أقام مدة وتوفاه الله فدفنوه بجوار قبر رفيقه أبى قير ومن اجل ذلك سمى هذا المكان بأبى قير وأبى صير واشتهر الآن بأنه أبو قير وهذا مابلغنا من حكايتهما فسبحان الباقى على الدوام وبارادته تصرف الليالى والأيام.

وما يحكى أيضا أنه كان رجل صياد اسمه عبد الله وكان كثير العيال وله تسعة أولاد وأمهم وكان فقيرا جدا لا يملك إلا الشبكة وكان يروح كل يوم إلى البحر ليصطاد فإذا

اصطاد قليلاً يبيعه وينفقه على أولاده بقـدر مارزقه الله وأن اصطاد كثيرا يطبخ طبخة طيبة ويأخذ فاكهة ولم يـزل يصرف حتى لا يبقى معه شئ ويقول فى نـفسه زرق غدا يأتى فى غد فلما وضعت زوجته صاروا عشرة أشخاص وكان الرجل فى ذلك اليوم لا يملك شيئا أبداً فقـالت له زوجته ياسـيدى انظر لى شيـئا اتقوت به فقـال لها أنا سارح علـي بركة الله تعالى إلى البحر فى هذا اليوم علي بخت هـذا المولود الجديدد حتى ننظر سعده فقالت له توكل على الله فاخذ الشبكة وتوجه إلى البحـر ثم انه رمى الشبكة على بخت ذلك الطفل الصغير وقـال اللهم اجعل رزقه يسيـرا غير عسير وكثيـرا غير قليل وصبر علـيها مدة ثم سحبهـا فخرجت ممتلـئة عفشا ورملا وحصـى وحشيشا ولم ير فـيها شيئا مـن السمك لا كثيـرا ولا قليلا فرمـاها ثاني مرة وصبـر عليها ثـم سحبها فـلم ير فيها سـمكا فرمى ثـالثا ورابعاً وخامـساً فلم يطلع فيـها سمك فانتقـل إلى مكان آخر وجعل يطـلب رزقه من الله تعالى ولـم يزل على هذه الحالة إلى آخـر النهار فلم يصـطد ولا صيرة فتعجب فـى نفسه وقال هل هذا المـولود خلقه الله من غـير رزق فهذا لا يكون ابـدا لأن الذى شق الاشداق تكفـل لها بالأرزاق فالله تـعالى كريم رزاق ثم أنـه حمل الشبـكة ورجع مكسـور الخاطر وقلبه مـشغول بعياله فانـه تركهم بغير أكـل ولا سيما وزوجته نفسـاء ولازال يمشى وهو يقول فى نفسه كيف العمل وماذا أقول للأولاد فى هذه الليلة ثم أنه وصل قدام فرن خباز فرأى عليه زحمة وكـان الوقت وقت غلاء وفى تلك الأيام لا يوجد عنـد الناس من المؤنة إلا قليـل والناس يعرضـون الفلوس عـلي الخباز ولا ينـتبه لأحد منـهم من كثـرة الزحام فوقف ينظر ويشم ريحة العيش السخن فصارت نـفسه تشتهيه من الجوع فنظر إليه الخباز وصاح عليه وقال تعالى ياصياد فتقدم إليه فـقال له : أتريد عيشا فسكت فقال له: تكلم ولا تستحى فالله كريم ان لم يـكن معك دراهم فأنا اعطيك واصبر عليك حـتى يجيئك الخير فقال لـه: والله يامعلم مـامعى دراهم لكـن اعطنى عـيشا كفايـة عيالى وارهن عـندك هذه الشبكة إلى غد فقال له يامسكين ان هذه الشبكة دكانك وباب رزقك فإذا رهنتها بأى شئ تصطاد ، فـأخبرنى بالقـدر الذى يكفيك قـال : بعشرة انصاف فـضة فاعطاه خبـزا بعشرة أنصاف ثم أعـطاه عشرة انصاف فـضة وقال له خذ هذه الـعشرة انصاف واطبـخ لك بها طبخة فيبقى عـندك عشرون نصف فضة وفى غد هات لى بها سـمكا وإن لم يحصل لك شئ تعال خذ عيشـك وعشرة أنصاف وأنا أصبر عليك حتى يـأتيك الخير وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة الحادية والأربعون بعد التسعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الخباز قال للصياد خذ ماتحتاج إليه وأنا أصبر عليك حتى يأتيك الخير وبعد ذلك هات لى بما استحقه عندك سمكا ، فقال له آجرك الله تعالى وجزاك عنى كل خير ثم أخذ العيش والعشرة أنصاف فضة وراح مسرورا واشترى له ماتيسر ودخل على زوجته فرآها قاعدة تأخذ بخاطر الأولاد وهم يبكون من الجوع وتقول لهم فى هذا الوقت يأتى ابوكم بما تأكلونه فلما دخل عليهم حط لهم العيش فاكلوا واخبر زوجته بما حصل له فقالت له الله كريم وفى ثانى يوم حمل شبكته وخرج من داره وهو يقول أسألك يارب ان ترزقنى فى هذا اليوم بما يبيض وجهى مع الخباز فلما وصل إلى البحر صار يطرح الشبكة ويجذبها فلم يخرج فيها سمك ،لم يزل كذلك إلى آخر النهار ولم يحصل شيئا فرجع وهو فى غم عظيم وكان طريق بيته على فرن الخباز فقال فى نفسه من اين اروح إلى دارى ولكن اسرع خطوى حتى لا يرانى الخباز فلما وصل إلى فرن الخباز رأى زحمة فاسرع فى المشى من حيائه من الخباز حتى لا يراه وإذا بالخباز رفع بصره فصاح وقال ياصياد تعال خذ عيشك ومصروفك فإنك نسيت قال لا والله مانسيت وانما استحيت منك فإنى لم اصطد سمكا فى هذا اليوم فقال له لا تستحى أما قلت لك على مهلك حتى يأتيك الخير ثم اعطاه العيش والعشرة أنصاف وراح إلى زوجته واخبرها بالخبر فقالت له الله كريم ان شاء الله يأتيك الخير وتوفيه حقه ولم يزل على هذه الحالة مدة اربعين يوما وهو فى كل يوم يروح إلى البحر من طلوع الشمس إلى غروبها ويرجع بلا سمك ويأخذ عيشا ومصروفا من الخباز ولم يذكر له السمك يوما من الأيام ولم يهمله مثل الناس بل يعطيه العشرة أنصاف والعيش وكلما يقول له ياأخى حاسبنى يقول له رح ماهذ وقت الحساب حتى يأتيك الخير فاحاسبك فيدعو له ويذهب من عنده شاكرا له وفى اليوم الحادى والأربعين قال لامرأته مرادى أن اقطع هذه الشبكة وارتاح من هذه العيشة ، فقالت له لاى شئ قال لها كأن رزقى انقطع من البحر فالى متى هذ الحال والله انى ذبت حياء من الخباز فأنا مابقيت اروح إلى البحر حتى لا اجوز على فرنه فإنه ليس لى طريق إلا على فرنه وكلما جزت عليه ينادينى ويعطينى العيش والعشرة انصاف وإلى متى وأنا اتداين منه ، قالت له الحمد لله تعالى الذى عطف قلبه عليك فيعطيك القوت وأى شئ

تكره من هـذا ، قال بقي له على قـدر عظيم من الدراهـم ولا بد أنه يطلب حقـه قالت له زوجته هل آذاك بكلام ، قال لا ولم يرض أن يحاسبنـي ويقول لى حتى يأتيك الخير قالت فإذا طالبك قل لـه حتى يأتى الخير الذى نرتجيـه أنا وأنت فقال لها متى يجـيئ الخير الذى نرتجيه قالت له الله كريم قال: صدقت ثم حمل شـبكته وتوجه إلى البحر وهو يقول يارب ارزقنى ولو بسمكة واحدة حتى اهديها إلى الخباز ثم انه رمى الشبكة فى البحر ثم سحبها فوجدها ثقيلة فمازال يـعالج فيا حتى تعب تعباً شديداً فلما اخرجـها رأى فيها حمارا ميتاً منفوخاً وريحته كريهة ، فسئمت نفسه ثم خلصه من الشبكة وقال لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيـم قد عجزت وأنا أقول لهذه المرآة مابقى لى رزق فى الحـبر دعينى اترك هذه الصنـعة وهى تقول لى الله كـريم سيأتيك الخيـر فهل هذا الحمـار الميت هو البحـر ثم انه حصل له غم شديد وتوجـه إلى مكان آخر ليبعد عن رايحة الحمار واخـذ الشبكة ورماها وصبر علـيه ساعة زمانية ثـم جذبها فرأها ثقـيلة فلم يزل يـعالج فيها حتـى خرج الدم من كفيه فـلما أخرج الشبـكه رأى فيها آدميا فـظن انه عفريت من عـفاريت السيد سـليمان الذين كان يحبسهم فـى قماقم النحاس ويرميهم فى البحر فلما انـكسر القمقم من طول السنين خرج مـنه ذلك العفريت وطلع فـى الشبكة فهرب منه وصـار يقول الامان الامان ياعفريت سليمـان فصاح عليه الآدمى من داخل الشبكة وقال تعـال ياصياد لا تهرب منى فانى آدمى مثلك فخلـصنى لتنال اجرى فلما سمع كلامه الصيـاد اطمأن قلبه وجاءه وقال له اما انت عفريـت من الجن قال لا انما أنا انسى مؤمن بالله ورسولـه قال له ومن رماك فى البحـر قال له أنا من أولاد البـحر كنت دائرا فرمـيت على الشبـكة ونحن اقوام مطـيعون لاحكام الله ونشـفق على خلق الله تعالـى ولولا أنى أخاف وأخشى ان أكون مـن العاصين لقطعـت شبكتك ولكن رضيـت بما قدر الله على وانت اذا خلـصتنى تصير مالـكا لى وأنا أصير اسيرك فهل لك أن تعـتقنى ابتغاء وجه الله تعالى وتعاهدنى وتبـقى صاحبى اجيئك كل يوم فى هـذا المكان وانت تأتينى وتجـئ لى معك بهدية مـن ثمار البر فإن عندكـم عنباً وتينا وبطـيخا وخوخاً ورمانا وغير ذلك وكـل شئ تجيء به إلى مقبول منك ونـحن عندنا مرجان ولؤلـؤ وزبرجد وزمرد وياقوت وجـواهر فأنا املأ لك المشـنة اليت تجيئ لـى فيها بالفاكهة معادن مـن جواهر البحر فما تقول ياأخى فى هذا الكلام ، قـال له الصياد الفاتحة بينى وبينك علي هذا الكلام فقرأ كل منهمـا الفاتحة وخلصه من الشبكة ثم قال له الصياد

ما اسمك قال : اسمى عبد الله البحرى فاذا أتيت إلى هذا المكان ولم ترنى فناد وقل اين انت ياعبد الله يابحرى فاكون عندك فى الحال وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة الثانية والأربعون بعد التسعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن عبد الله البحرى قال له إذا اتيت إلى هذا المكان ولم ترنى فناد وقل اين ياعبد الله يابحرى فأكون عندك فى الحال وأنت مااسمك فقال الصياد اسمى عبد الله قال انت عبد الله البرى وأنا عبد الله البحرى فقف هنا حتى اروح وآتيك بهدية فقال له سمعا وطاعة فراح عبد الله البحرى فى البحر فعند ذلك ندم عبد الله البرى على كونه خلصه من الشبكة وقال فى نفسه من اين اعرف انه يرجع إلى وإنما هو ضحك على حتى خلصته ولو ابقيته كنت أفرج عليه الناس فى المدينه وآخذ عليه الدراهم من جميع الناس وادخل به بيوت الاكابر فصار يتندم على اطلاقه ويقول لنفسه راح صيدك من يدك فبينما هو يتأسف علي خلاصه من يده وإذا بعبد الله البحرى رجع إليه ويداه مملؤتان لؤلؤاً ومرجانا وزمردا وياقوتا وجواهر ، وقال له خذ ياأخى ولا تؤاخذنى فإنه ماعندى مشنة كنت املؤها لك ، فعند ذلك فرح عبد الله البرى واخذ منه الجواهر وقال له كل يوم تأتى إلى هذا المكان قبل طلوع الشمس ثم ودعه وانصرف ودخل البحر وأما الصياد فإنه دخل المدينة وهو فرحان ولم يزل ماشيا حتى وصل إلي فرن الخباز وقال له ياأخى قد اتانا الخير فحاسبنى قال له مايحتاج إلى حساب ان كان معك شئ فاعطنى وإن لم يكن معك شئ فخذ عيشك ومصروفك ورح إلى أن يأتيك الخير، فقال له ياصاحبى قد اتانى الخير من فيض الله وقد بقى لك عند جملة كثيرة ولكن خذ هذا وكبش له كبشة من لؤلؤ ومرجان وياقوت وجواهر وكانت تلك الكبشة نصف مامعه فاعطاها للخباز وقال له اعطنى شيئا من المعاملة اصرفه فى هذا اليوم حتى أبيع هذه المعادن فاعطاه كل ماكان تحت يده من الدراهم وجميع مافى المشنة التى كانت عنده من الخبز وفرح الخباز بتلك المعادن وقال للصياد أنا عبدك وخدامك وحمل جميع العيش الذى عنده على رأسه ومشى خلفه إلى البيت فاعطى العيش لزوجته وأولاده ثم راح إلى السوق وجاء باللحم والخضار وسائر اصناف الفاكهة وترك الفرن واقام طول ذلك اليوم وهو يتعاطى خدمة

عبد الله البرى ويقضى له مصالحه فقال له الصياد ياأخى تعبت نفسك قال له الخباز هذا واجب على لانى صرت خدامك واحسانك قد غمرنى فقال لـه أنت صاحب الإحسان على فى الضيق والغلاء وبات معه تلك الليلة علي اكل طيب ثم ان الخباز صار صديقا للصياد واخبر زوجته بوقعته مع عبد الله البحرى ففرحت وقالت له اكتم سرك لئلا تتسلط عليك الحكام فقال لها ان كتمت سرى عن جميع الناس فلا اكتمه عن الخباز ثم انه أصبح فى ثانى يوم وكان قد ملأ مشنة فاكهة من سائر الأصناف فى وقت المساء ثم حملها قبل الشمس وتوجه إلى البحر وحطها على جنب الشاطئ وقال أين انت ياعبد الله يابحرى ، وإذا به يقول لـه لبيك وخرج إليـه فقدم له الفاكهة فحملها ونزل بها وغطس فى البحر وغاب ساعة زمانية ثم خرج ومعه المشنة ملآنة من جميع اصناف المعادن والجواهر فحملها عبد الله البرى علي رأسه وذهب بها فلما وصل إلى فرن الخباز قال له ياسيدى قد خبزت لك أربعين كف شريك وارسلتها إلى بيتك وهاأنا اخبز العيش الخاص فمتى خلص اوصله إلى البيت واروح لاجئ لك بالخضار واللحم فكبش له من المشنة ثلاث كبشات واعطاه اياها وتوجه إلى البيت وحط المشنة واخذ من كل صنف من اصناف الجواهر جوهرة نفيسة ثم ذهب إلى سوق الجواهر ووقف على دكان شيخ السوق وقال اشتر منى هذه الجواهر ، فقال له أرنى اياها فاراه اياها فقال له عندك غير هذا قال عندى مشنة ممتلئة قال له اين بيتك قال له فى الحارة الفلانية فأخذ منه الجواهر وقال لأتباعه امسكوه فإنه هو الحرامى الذى سرق مصالح الملكة زوجة السلطان ثم أمرهم ان يضربوه فضربوه وكتفوه وقام الشيخ هو وجميع أهل سوق الجواهر وصاروا يقولون مسكنا الحرامى وبعضهم يقول ماسرق متاع فلان إلا هذا الخبيث . وبعضهم يقول ماسرق جميع مافى بيت فلان إلا هو وبعضهم يقول كذا وبعضهم يقول كذا كل ذلك وهو ساكت ولم يرد علي احد منهم جوابا ولم يبد له خطاب حتى اوقفوه قدام الملك فقال الشيخ : ياملك الزمان لما سرق عقد الملك ارسلت اعلمتنا وطلبت منا وقوع الغريم فاجتهدت أنا من دون الناس واوقعت لك الغريم وهاهو بين يديك وهذه الجواهر خلصناها من يده ، فقال الملك للطواشى : خذ هذه المعادن وارها للملكة وقل لها هل هذا متاعك الذى ضاع من عندك ، فاخذها الطواشى ودخل بها قدام الملكة فما رأتها تعجبت منها وارسلت تقول للملك انى رأيت عقدى فى مكانى وهذا ماهو متاعى ولكن هذه

الجواهر أحسن من جواهـر عقدى فلا تظلم الرجل وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة الثالثة والأربعون بعد التسعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن زوجة الملك لما ارسلت تقول له هذا ماهـو متاعى ولكن هذه الجواهر احسن من جواهر عقدى فلا تظلم الرجل وان كان يبيعها فاشترها منه لبنتك ام السعود لنضعها لها فى عقد فلما رجع الطواشى واخبر الملك بما قالته الملكة لعن شيخ الجواهرية هو وجماعته لعنة عاد وثمود ، فقالوا : ياملك الزمان أنا كنا نعرف ان هذا الرجل صياد فاستكثرنا ذلك عليه وقد ظننا أنـه سرقها فقال : ياقبحاء اتستكثرون النعمة على مؤمـن ، فلاى شئ لم تسألوه ربما رزقه الله تعالى بهـا من حيث لا يحتسب فكيف تجعلونه حراميا وتفضحونه بين العالم اخرجوا لا بارك الله فيكم فخرجوا وهم خائفون .

هذا ماكان من أمرهم وأما ماكان من أمر الملـك فانه قال يارجل بارك الله لك فيما أنعم به عليك وعليك الأمان ولكن اخبرنى بالصحيح من أين لك هذه الجواهر فإنى ملك ولم يوجد عندى مثلها فـقال ياملك الزمان أنا عندى مشنة ممتلئـة منها وهو أن الأمر كذا وكذا واخبره بصحبته لعبد الله البحرى وقال له أنه قد صار بـين وبينه عهد على أننى كل يوم أملأ له المشنة فاكهة وهو يملؤها لى من هذه الجـواهر ، فقال له يارجل هذا نصيبيك ولكن المال يحتاج إلى الجاه ، فأنا ادفع عنك تسلـط الناس عليك فى هذه الأيام ولكن ربما عزلت أو مت وتولى غيرى فإنـه يقتلك من أجل حب الدنيا والطمـع فمرادى أن ازوجك ابنتى واجعلك وزيرى واوصى لك بالملك من بعدى حـتى لا يطمع فيك احد بعد موتى ثم ان الملك قال خذوا هـذا الرجل وادخلوه الحمام . فأخـذوه وغسلوا جسده والبسـوه ثيابا من ثياب الملـوك وأخرجوه قـدام الملك فجـعله وزير لـه وارسل السعـاة واصحاب النـوبة ، وجميع نسـاء الاكابر إلى بيته فالبسـوا زوجته ملابس نساء الملوك هـى وأولادها وأركبوها فى تختروان ومشت قدامها جميع نساء الاكابر والعساكر والسعاة واصحاب النوبة واتوا بهـا إلى بيـت الملك والطـفل الصـغير فـى حضنـها وادخلـوا اولادها الكبـار على المـلك فأكرمهـم وأخذهم على حجـرة وأجلسهم فى جانبه وهم تسعة أولاد ذكـور وكان الملك

معدوم الذرية مارزق غير تلك البنت التى اسمها أم السعود وأما الملكة فإنها اكرمت زوجة عبد الله البرى وانعمت عليها وجعلتها وزيرة عندها وأمر الملك بكتب كتاب عبد الله البرى على ابنته وجعل مهرها جميع ماكان عنده من الجواهر والمعادن وفتحوا باب الفرح وامر الملك أن ينادى بزينة المدينة من أجل فرح ابنته وفى اليوم الثانى بعد ان دخل على بنت الملك وازال بكارتها طل الملك من الشباك فرأى عبد الله حاملاً على رأسة مشنة ممتلئة فاكهة فقال له ماهذا الذى معك يانسيبى وإلى أين تذهب فقال إلى صاحبى عبد الله البحرى ، فقال له : يانسيبى ماهذا وقت الرواح إلى صاحبك فقال : اخاف أن اخلف معه الميعاد فيعدنى كذابا ويقول لى ان الدنيا ألهتك عنى ، قال : صدقت رح إلى صاحبك اعانك الله فمشى فى البلد وهو متوجه إلى صاحبه وكانت الناس قد عرفته فصار يسمع الناس يقولون هذا نسيب الملك رايح يبدل الاثمار بالجواهر والذى يكون جاهلا به ولا يعرفه ، يقول يارجل بكم الرطل تعال بعنى ، فيقول له انتطرنى حتى ارجع إليك ولا يغم احداً ثم راح واجتمع بعبد الله البحرى واعطاه الفاكة وابدلها له بالجواهر ولم يزل على هذه الحالة وفى كل يوم يمر على فرن الخباز فيراه مقفولا وداوم على ذلك مدة عشرة أيام فلما لم ير الخباز ورأى فرنه مقفولا فقال فى نفسه ان هذا شئ عجيب ياترى اين راح الخباز ثم أنه سأل جاره فقال له ياأخى اين جارك الخباز فما فعل الله به ، قال ياسيدى انه مريض لا يخرج من بيته قال له أين بيته ، قال له فى الحارة الفلانية ، فعمد إليه وسأل عنه فلما طرق الباب طل الخباز من الطاقة فرأى صاحبه الصياد وعلى رأسة مشنة ممتلئة فنزل إليه وفتح له الباب ورمى روحه عليه وعانقه وقال له كيف حالك ياصاحبى فإنى كل يوم امر على الفرن فاراه مقفولا ثم سألت جارك فاخبرنى أنك مرض فسألت عن البيت لأجل ان اراك فقال له الخباز جزاك الله عنى كل خير فليس بى ممرض وإنما بلغنى ان الملك اخذك لأن بعض الناس كذب عليه وادعى انك حرامى فخفت أنا وقفلت الفرن واختفيت ، قال : صدقت ثم أنه اخبره بقضيته وماوقع له مع الملك وشيخ سوق الجواهر، وقال له ان الملك قد زوجنى ابنته وجعلنى وزيره ثم قال له خذ ما فى هذه المشنة نصيبك ولا تخف ، ثم خرج من عنده بعد أن اذهب عنه الخوف وراح إلى الملك بالمشنة فارغة فقال له الملك : يانسيبى كأنك مااجتمعت برفيقك عبد الله البحرى فى هذا اليوم ، فقال :

رحت له والذى اعطاه لى اعطيته إلى صاحبى الخباز ، فإن له على جميلا، قال من يكون هذا الخباز ، قال أنه رجل صاحب معروف وجرى لى معه فى أيام الفقر ماهو كذا وكذا ولم يهملنى يوماً ولا كسر خاطرى ، قال الملك: مااسمه ، قال اسمه عبد الله الخباز وأنا اسمي عبد الله البرى وصاحبى اسمه عبد الله البحرى ، قال الملك وأنا اسمى عبد الله وعبيد الله كلهم اخوان فارسل إلى صاحبك الخباز هاته لنجعله وزير ميسرة فارسل إليه فلما حضر بين يدى الملك البسه بدلة وزير وجعل وزير الميسرة وجعل عبد الله البرى وزير الميمنة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة الرابعة والأربعون بعد التسعمائة

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الملك جعل عبد الله البرى نسيبه وزير الميمنة وعبد الله الخباز وزير الميسرة ، واستمر عبد الله على تلك الحالة سنة كاملة وهو فى كل يوم يأخذ المشنة ممتلئة فاكة ويرجع بها ممتلئة جواهر ومعادن ولما فرغت الفواكه من البساتين صار يأخذ زبيباً ولوزا وبندقا وجوزا وتينا وغير ذلك وجميع مايأخذه له يقبله منه ويرد له المشنة ممتلئة جواهر على عادته ، فاتفق يوما من الأيام أنه اخذ المشنة ممتلئة نقلا على عادته فأخذها منه وجلس عبد الله البرى على الشاطئ وجلس عبد الله البحرى فى الماء قرب الشاطئ وصارا يتحدثان مع بعضهما ويتداولان الكلام بينهما حتى انجرا إلى ذكر المقابر فقال البحرى ياأخى انهم يقولون أن النبى ﷺ مدفون عندكم فى البر فهل تعرف قبره قال نعم قال له فى أى مكان هو قال له فى مدينة يقال لها طيبة قال وهل تزوره الناس أهل البر قال نعم، قال هنيئا لكم ياأهل البر بزيارة هذا النبى الكريم الرؤف الرحيم الذى من زاره استوجب شفاعته وهل انت زرته ياأخى ، قال لا لأنى كنت فقيرا ولا أجد ما أنفقه فى الطريق وما استغنيت إلا من حين عرفتك وتصدقت على بهذا الخير ولكن قد وجبت على زيارته بعد ان أحج بيت الله الحرام ومامنعنى عن ذلك إلا محبتك فإنى لا أقدر أن افارقك يوما واحدا فقال له وهل تقدم محبتى على زيارة قبر محمد ﷺ الذى يشفع فيك يوم العرض على الله وينجيك من النار وتدخل الجنة بشفاعته وهل من أجل حب الدنيا تترك زيارة قبر نبيك محمد ﷺ، فقال لا والله وان زيارته مقدمة عندى على كل شئ ولكن اريد منك اجازة ازوره فى هذا العام قال اعطيتك الإجازة بزيارته وإذا وقفت على

قبـره فاقرئه مـنى السلام وعـندى امانـة فادخل معـى فى البـحر حتى اخـذك إلى مدينـتى وادخلك بيتى واضيفك واعطيك الامانة لتضعها على قبر النبى ﷺ وقل له يارسول الله ان عبد الله البحرى يقرؤك السلام وقد اهدى اليك هـذه الهدية وهو يرجو منك الشفاعة من النار فقال له عبد الله البرى ياأخى أنت خلـقت فى الماء ومسكنك الماء وهو لا يضرك فهل إذا خرجت منه إلى البر يحصل لك ضرر ، قال نعم ينشف بدنى وتهب على نسمات البر فأموت قال له وأنا كذلك خـلقت فى البر ومسكنى البر فإذا دخلـت البحر يدخل الماء فى جوفى ويخنقنى فـأموت قال له لا تخف من ذلك فإنى آتيك بدهن تـدهن به جسمك فلا يضرك الماء ولو كـنت تقضى بقية عمرك وأنـت دائر فى البحر تنام وتقـوم فى البحر ولا يضرك شئ قـال ، إذا كان الأمر كذلك فلا بأس هـات لى الدهان حتى أجـربه و قال وهو كذلك ثم أخذ المشنة ونـزل فى البحر وغاب قليلا ثم رجع ومعه شحـم مثل شحم البقر لونه اصفر كلون الذهـب ورائحته زكية فقال له عبد الله البرى ماهـذا ياأخى فقال له هذا شحم كبد صنف من اصـناف السمك يقال له الدندان وهو أعظم أصنـاف السمك خلقه وهو اشد اعدائنا علينا وصورته أكبـر صورة توجد عندكم من دواب البر ولو رأى الجمل أو الفيل لابـتلعه قال له ياأخـى وما يأكل هذا المشـوم ، فقال له يأكل من دواب الـبحر أما سمعت انه يقال فى المثل ، مثل سمك البـحر القوى يأكل الضعيف ، قال صدقت ولكن هل عندكم من هذا الدنـدان فى البحر كثير قال ، عندنا شئ لا يحـصيه إلا الله تعالى، قال عبد الله البرى أنى اخاف إذا نـزلت معك ان يصادفنى هذا النوع فيأكـلنى ، قال له عبد الله البحرى لا تخف فـإنه متى رآك عرف انك ابن آدم فيخاف منـك ويهرب ولا يخاف من أحد فى البحر مثـل مايخاف من ابن آدم لأنه متى أكل ابن آدم مات مـن وقته وساعته فإن شحم ابـن آدم سم قاتل لهذا الـنوع ، ونحن مانجـمع شحم كبده إلا مـن أجل ابن آدم إذا وقع فى البـحر غريقاً فإنـه تتغير صورتـه وربما تمزق لحمه فيـأكله الدندان لظـنه أنه من حيوان البحر فيموت فنعثر به ميتاً فنـأخذ شحم كبده وندهن به أجسامنا وندور فى البحر فأى مـكان كان فـيه ابـن آدم إذا كان فيـه مائة أو مـائتان أو ألـف أو أكثـر من ذلك الـنوع وسمـعوا صيـحة ابن آدم فـإن الجميـع يموتون لـوقتهـم من صيـحته مـرة واحدة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة الخامسة والأربعون بعد التسعمائة

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن عبد الله البحرى قال لعبد الله البرى وإذا سمع ألف من هذا النوع أو أكثر من ابن آدم صيحة واحدة يموتون لوقتهم ولا يقدر احد منهم أن ينتقل من مكانه، فقال عبد الله البرى توكلت على الله ثم قلع ماكان عليه من الملبوس وحفر فى شاء البحر ودفن ثيابه وبعد ذلك دهن جسمه من فرقه إلى قدمه بهذا الدهن ثم نزل فى الماء وغطس وفتح عينيه فلم يضره الماء .

مضى يمينا وشمالا ثم جعل إن شاء يعلو وإن شاء ينزل إلى القرار ورأى ماء البحر مخيما عليه مثل الخيمة ولا يضره فقال له عبد الله البحرى ماذا ترى ياأخي. قال : له ارى خيراً ياأخي وقد صدقت فى ماقلت فإن الماء ماضرنى قال له اتبعني فتبعه ولا زال يمشيان من مكان إلى مكان وهو يرى أمامه وعن يمينه وعن شماله جبالا من الماء فصار يتفرج عليها وعلى أصناف السمك وهى تلعب فى البحر البعض كبير والبعض صغير وفيه شئ يشبه الجاموس وشئ يشبه البقر وشئ يشبه الكلاب وشئ يشبه الأدميين وكل نوع قربا منه يهرب حين يرى عبد الله البرى ، فقال للبحرى : ياأخى مالى أرى كل نوع قربنا منه يهرب منا ، فقال له مخافة منك لأن جميع ماخلقه الله يخاف من ابن آدم ولا زال يتفرج على عجائب البحر حتى وصلا إلى جبل عال فمشى عبد الله البرى بجانب ذلك الجبل فلم يشعر إلا وصيحة عظيمة فالتفت فرأى شيئا أسود منحدراً عليه من ذلك الجبل وهو قدر الجمل أو أكبر وصار يصيح فقال له ماهذا ياأخي قال له البحرى هذا الدندان فإنه نازل فى طلبى مراده أن يأكلنى فصح عليه ياأخي قبل أن يصل إلينا فيخطفنى ويأكلنى فصاح عليه عبد الله البرى واذا هو وقع ميتا فلما رآه ميتا ، قال سبحان الله وبحمده أنا لا ضربته بسيف ولا بسكين كيف هذه العظمة التى فيها هذا المخلوق ، ولم يتحمل صيحتى بل مات ، فقال له عبد الله البحرى لا تعجب فوالله ياأخي لو كان من هذا النوع ألف أو ألفان لم يتحملوا صحية ابن آدم ثم مشيا إلى مدينة فرأيا أهلها جميعاً بنات وليس فيهن ذكور، فقال ياأخى ماهذه المدينة وماهذه البنات ، قال له : هذه مدينة البنات لأن أهلها من بنات البحر ، قال هل فيهن ذكور ، قال: لا قال وكيف يحبلن ويلدن من غير ذكور ، قال : ان ملك البحر ينفيهم إلى هذه المدينة وهن لايحبلن ولا يلدن وإنما كل واحدة غضب

عليها من بنات البحر يرسلها إلى هذه المدينة ولا تقدر أن تخرج منها ، فإن خرجت منها فإن كل مارآها من دواب البحر يأكلها وأما غير هذه المدينة ففيهرجال وبنات، قال له هل فى البحر مدن غير هذه المدينة قال له كثير ، قال : وهل عليكم سلطان فى البحر ، قال له: نعم. قال له ياأخي : إني رأيت فى البحر عجائب كثيرة ، قال له : واي شئ رأيت من العجائب ؟ اما سمعت صاحب المثل يقول عجائب البحر اكثر من عجائب البر ، قال : صدقت .

ثم أنه صار يتفرج على هذه البنات فرأى لهن وجوها مثل الأقمار وشعورا مثل شعور النساء ولكن لهن اياد وأرجل فى بطونهن ولهن اذناب مثل اذناب السمك ، ثم أنه فرجه على أهل تلك المدينة وخرج به ومشى قدامه إلي مدينة أخرى فرآها ممتلئة خلايق ،اناثا وذكورا ، صورهم مثل صور البنات ، ولهم اذناب ولكن ليس عندهم بيع ولا شراء مثل أهل البر وليسوا لابسين بل الكل عرايا ، مكشوفو العورة ، فقال له ياأخي انى أرى الاناث والذكور مكشوفين العورة فقال له لأن أهل البحر لا قماش عندهم فقال له يا أخي كيف يصنعون إذا تزوجوا ، فقال له : هم لا يتزوجون بل كل من اعجبته انثي يقضي مراده منها ، قال له : إن هذا شئ حرام ولأى شيء لا يخطبها ويمهرها ويقيم لها فرحا ويتزوجها بما يرضى الله ورسوله قال له ليس كلنا ملة واحدة فإن فينا مسلمين موحدين ، وفينا نصارى ويهودا ، وغير ذلك والذى يتزوج منا خصوص المسلمين ، فقال انتم عريانون ولا عندكم بيع ولا شراء ، فأى شئ يكون مهر نسائكم ، هل تعطونهن جواهر ومعادن ، قال له أن الجواهر احجار ليس لها عندنا قيمة ، وإنما الذى يريد أن يتزوج يجعلون عليه شيئا معلوما من اصناف السمك يصطاده قدر ألف أو ألفين أو أكثر أو أقل بحسب مايحصل عليه الاتفاق بينه وبين أبى الزوجة ، فلما يحضر المطلوب تجتمع أهل العريس وأهل العروسة ويأكلون الوليمة ، ثم يدخلونه على زوجتهن، وبعد ذلك يصطاد من السمك ويطعمها وإذا عجز تصطاد هي وتطعمه ، قال وإن زنى بعضهم ببعض كيف يكون الحال ، قال أن الذى يثبت عليه هذا الأمر، إن كان انثى ينفونه إلى مدينة البنات ، فإذا كانت حاملا من الزنا فإنهم يتركونها إلى أن تلد فإن ولدت بنتا ينفونها معها وتسمى زانية بنت زانية، ولم تزل بنتا حتى تموت وإن كان المولود ذكرا، فإنهم يأخذونه إلى الملك سلطان البحر فيقتله ، فتعجب عبد الله البرى من ذلك ، ثم ان عبد الله البحرى اخذه إلى مدينة أخرى ، وبعدها اخرى وهكذا ، ومازال يفرجه حتى فرجه على ثمانين مدينة وكل مدينة

يرى أهلهـا لا يشبهون أهل غيـرها من المدن ، فقال له : يـاأخى هل بقى فى البـحر مدائن قال وأى شىء رأيت مـن مدائن البحر وعـجائبه وحق النـبى الكريم الرؤوف الرحـيم لو كنت فـرحتك ألف عـام فى كل يوم ألـف مدينة وارتبـك فى كل مديـنة ألف اعجـوبة ما أريتك قيـراطا من أربعة وعشـرين قيراطا من مـدائن البحر وعجـائبه وانما فرجتـك على ديارنا وأرضنا فقال له ياأخى حيث كان الأمر كذلك يكـفينى ماتفرجت عليه فإنى سئمت من أكل السمك ومضى لى فى صحبتك ثمـانون يوماً وانت لا تطعمنى صباحاً ومساء إلا سمكا طريا لا مشـويا ولا مطبوخاً ، فقال له أى شئ يكون المطبـوخ والمشوى ، قال له عبد الله البرى ، نـحن نشوى السـمك فى النار ، ونـطبخه ونجـعله اصنافـا ونصنع منـه انواعا كثيرة، فقـال له البحرى : ومن اين تأتى لـنا النار فنحن لا نعرف المـشوى ولا المطبوخ ولا غير ذلك ، فقال لـه البرى ، نحن نقليه بالـزيت والشيرج ، فقال له البحـرى : ومن اين لنا الزيت والشيرج ونحن فى هذا البحر لا نعرف شـيئا مما ذكرته ، قال صدقت ولكن ياأخى قد فرجتـنى على مدائن كـثيرة ولـم تفرجـنى على مدينـتك قال له أما مدينتى فاننا فـتناها بمسافـة وهى قريبة مـن البر الذى أتيـنا منه وإنما تـركت مدينتـى وجئت بك الى هـنا لأنى قصـدت أن أفرجك عـلى مدائن الـبحر ، قـال له يكـفينـى ماتفرجـت عليـه ومرادى ان تفرجنى على مدينتك ، قال له وهو كذلك ، ثـم رجع به إلي مدينته فلما وصل إليها ، قال له هذه مدينتى ، فرآها مـدينة صغيرة عن المدائن التى تفرج عليهـا ، ثم دخل المدينة ومعه عبـد الله البحرى ، إلـى أن وصل إلى مغـارة ، قال له هذا بـيتى ، وكل بـيوت هذه المديـنة كذلك مغارات كبار وصـغار فى الجبال وكذلك جميع مدائن البحـر على هذه الصفة ، فإن كل من اراد أن يصنع له بيتا يروح إلى الملـك ويقول له مرادى ان اتخذ بيتا فى المكان الفلانـي، فيرسل الملك مـعه طائفة مـن السمك يسـمون النقارين ويـجعل كراهم شـيئا معلـوما من السـمك ولهم مـناقير تـفتت الحجـر الجلمود فـيأتون إلى الجـبل الذى ارداه صاحب البيت وينقرون فيه البـيت وصاحب البيت يصـطاد لهم من السمك ويـلقمهم حتى تتم المغـارة فيذهبون وصاحب البيت يـسكنه وجميع أهل البحـر على هذه الحالة لا يتعاملون مـع بعضهـم ولا يخدمون بـعضهم إلا بالسـمك وكلهم سمـك، ثم قال له: أدخل ، فدخل ، فقال عبد الله البحرى: يابنتى، وإذا بابنته اقبلت عليه ولها وجه مدور مثل

القمر ولها شعر طويل وردف ثقيل وطرف كحيل وخصر نحيل ، ولكنها عارية ولها ذنب ، فلما رأت عبد الله البرى مع ابيها ، قالت له : ياأبي ماهذا الأزعر الذى جئت به معك ، فقال لها يابنتى هذا صاحبى البرى الذى كنت أجئ لك من عنده بالفاكهة البرية ، تعالى سلمي عليه، فتقدمت وسلمت عليه بلسان فصيح وكلام بليغ ، فقا لها أبوها هاتى زادا لضيفنا الذى حلت علينا بقدومه البركة ، فجاءت له بسمكتين كبيرتين كل واحدة منهما مثل الخاروف ، فقال له ، كل فاكل غصبا عنه من الجوع لأنه سئم من أكل السمك وليس عندهم شئ غير السمك ، فمامضى حصة إلا وامرأة عبد الله البحرى أقبلت وهى جميلة الصورة ، ومعها ولدان كل ولد فى يده فرخ سمك يقرش فيه كما يقرش الإنسان فى الخيارة ، فلما رأت عبد الله البرى مع زوجها ، قالت : أى شئ هذا الأزعر وتقدم الولدان واختهما وامهم وصاروا ينظرون إلى دبر عبد الله البرى ويقولون أى والله انه ازعر ويضحكون عليه ، فقال له عبد الله البرى ، ياأخى هل انت جئت بى لتجعلنى سخرية لاولادك وزوجتك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة السادسة والأربعون بعد التسعمائة

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن عبد الله البرى قال لعبد الله البحرى : ياأخى هل انت جئت بى لتجعلنى سخرية لاولادك وزوجتك ، فقال له عبد الله البحرى ، العفو ياأخى فإن الذى لاذنب له غير موجود عندنا وإذ وجد واحد من غير ذنب يأخذه السلطان ليضحك عليه ولكن ياأخى لا تؤاخذ هؤلاء الأولاد الصغار والمرأة ، فإن عقولهم ناقصة ، ثم صرخ عبد الله البحرى على عياله ، وقال لهم اسكتوا فخافوا وسكتوا وجعل يأخذ بخاطره فبينما هو يتحدث معه وإذا بعشرة أشخاص كبار شداد غلاظ اقبلوا عليه وقالوا ياعبد الله انه بلغ الملك أنه عندك ازعر من زعر البر ، فقال لهم نعم وهو هذا الرجل ، فإنه صاحبى اتانى ضيفا ومرادى أن ارجعه إلى البر ، قالوا له إننا لا نقدر أن نروح إلا به فإن كان مرادك كلاما فقم وخذه واحضر به قدام الملك والذى تقوله لنا قله للملك فقال عبد الله البحرى ، ياأخى العذر واضح ولا يمكننا مخالفة الملك ولكن امض معى للملك وأنا اسعى فى خلاصك منه ان شاء الله ولا تخف فإنه متى راك عرف انك من أولاد البر ومتى علم انك برى فلابد أنه يكرمك ويردك إلى البر فقال عبد الله البرى الرأى رأيك ،

فانا اتوكل على الله وامشى معك ثم اخذه ومضى به إلى أن وصل إلى الملك فلما رآه الملك ضحك وقال مرحباً بالأزعر وصار كل من كان حول الملك يضحك عليه ويقول أي والله انه ازعر ، فتقدم عبد الله البحرى إلى الملك واخبره باحواله وقال له هذا من أولاد البر وصاحبي وهو لا يعيش بيننا لانه لا يحب أكل السمك إلا مقليا أو مطبوخاً والمراد انك تأذن لى فى ان ارده إلى البر فقال له الملك حيث كان الأمر كذلك وأنه لا يعيش عندنا فقد أذنت لك فى ان ترده إلى مكانه بعد ضيافة ثم أن الملك قال هاتوا له الضيافة ، فاتوا له بسمك اشكالا وألوانا فاكل امتثالا لامر الملك، ثم قال له الملك، تمن على فقال عبد الله البرى اتمنى عليك أن تعطينى جواهر ، فقال خذوه إلى دار الجواهر ودعوه يقى مايحتاج إليه ، فاخذه صاحبه إلى دار الجواهر ، ونقى على قدر ماأراد ، ثم رجع به إلى مدينته وأخرج له صرة وقال له خذ هذه امانة أوصلها إلى قبر النبى ﷺ ، فاخذها وهو لا يعلم مافيها ثم خرج معه ليوصله إلى البر فرأى فى طريقه غناء وفرحا وسماطا مدودا من السمك والناس يأكلون ويغنون وهم فى فرح عظيم ، فقال عبد الله البرى لعبد الله البحرى ، مالهؤلاء الناس فى فرح عظيم ،هل عندهم عرس ، فقال البحرى ليس عندهم عرس وإنما مات عندهم ميت ، فقال له هل انتم إذا مات عندكم ميت تفرحون له وتغنون وتأكلون ، قال نعم ، وانتم ياأهل البر ماذا تفعلون ، قال البرى إذا مات عندنا ميت نحزن عليه ونبكى والنساء يلطمن وجوههن ويشققن جيوبهن حزنا على من مات ، فحملق عبد الله البحرى عينيه فى عبد الله البرى وقال له هات الامانة ، فاعطاها له ثم اخرجه إلى البر وقال له قد قطعت صحبتك وودك ، فبعد هذا اليوم لا ترانى ولا اراك ، فقال له لماذا هذا الكلام ، فقال له أما انتم ياأهل البر أمانة الله ، فقال البرى: نعم. قال: فكيف لا يهون عليكم أن الله يأخذ أمانته بل تبكون عليها وكيف اعطيك امانة النبى ﷺ وانتم إذا اتاكم المولود تفرحون به مع ان الله تعالى يضع فيه الروح امانة ، فإذا اخذها تصعب عليكم وتبكون وتحزنون ، فمالنا فى رفقتكم حاجة ثم تركه وراح إلى البحر ثم ان عبد الله البرى لبس حوايجه واخذ جواهره وتوجه إلى الملك فتلقاه باشتياق وفرح به وقال له كيف انت يانسيبى وماسبب غيابك عنى هذه المدة ، فأخبره بقصته ومارآه من العجائب فى البحر فتعجب الملك من ذلك ثم اخبره بما قاله عبد الله البحرى ، فقال له هل أنت الذى اخطأت

فى خبرك بهذا الخبر ، ثم أنه استمر مدة من الزمان وهو يروح إلى جانب الصخر ويصيح على عبد الله البحرى ، فلم يرد عليه ولم يأت إليه فقطع عبد الله البرى الرجاء منه وأقام هو الملك نسيبه وأهلهما فى أسر حال وأحسن أعمال حتى أتاهم هادم اللذات ومفرق الجماعات وماتوا جميعاً فسبحان الحى الذى لا يموت ذو الملك والملكوت وهو على كل شئ قدير وبعباده لطيف خبير .

ومما يحكي ايضا ان الخليفة هارون الرشيد ارق ذات ليلة ارقا شديدا فاستدعى مسرورا فحضر ، فقال : ائتنى بجعفر بسرعة فمضى واحضره ، فلما وقف بين يديه قال ياجعفر انه قد اعترانى فى هذه الليلة ارق فمنع عنى النوم ولا اعلم مايزيله عنى ، قال ياأمير المؤمنين قد قالت الحكماءالنظر إلى المرآه ودخول الحمام واستعمال الغناء يزيل الهم والفكر فقال : ياجعفر انى فعلت هذا كله فلم يزل عنى شيئا ،وأنا اقسم بآبائى الطاهرين أن لم تتسبب فيما يزيل عنى ذلك لاضربن عنقك، قال : ياأمير المؤمنين هل تفعل ماأشير به عليك ، قال وما الذى تشير به على ، قال ان تنزل بنا فى زورق وننحدر به في بحر الدجلة مع الماء إلى محل يسمى قرن الصراط لعلنا نسمع مالم نسمع أو ننظر مالم ننظر ، فإنه قد قيل تفريج الهم بواحد من ثلاثة امور ، ان يرى الإنسان مالم يكن رأه أو يسمع مالم يكن سمعه أو يطأ ارضًا لم يكن يطؤها فلعل ذلك يكون سببا لزوال القلق عنك ياأمير المؤمنين فعند ذلك قام الرشيد من موضعه وصحبته جعفر واخوه الفضل واسحاق النديم وأبو نواس وأبو دلف ومسرور السياف وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة السابعة والأربعون بعد التسعمائة

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد ان الخليفة لما قام من موضعه وصحبته جعفر وباقى جماعته دخلوا حجرة الثياب ولبسوا كلهم ملابس التجار وتوجهوا إلى الدجلة ونزلوا فى زورق مزركش بالذهب وانحدروا مع الماء حتى وصلوا إلى الموضع الذى يريدونه فسمعوا صوت جارية تغنى على العود وتنشد هذه الأبيات .

أقــول لـه وقــد حـضـر الـعـقــار | وقـد غـنـى عـلـى الأيـك الـهـزار
إلـي كـم ذا الـتـأنـي عـن سـرور | افـق مـاالـعـمـر إلا مـسـتـعـار
فـخـذهـا مـن يـدي خـل عـزيـز | بـجـفـنـيـه فـتـور وانـكـسـار
زرعـت بـخـده وردا طـريـا | فـاثـمـر فـي الـسـوالـف جـلـنـار
وتحـسـب مـوضـع الـتـخـمـيـش فـيـه | رمـادا خـامـدا والخـد نـار
يـقـول لـي الـعـذول تـسـل عـنـه | فـاعـذري وقـد نم الـعـذر

فلما سمع الخليفة هذا الصوت قال ياجعـفر ماأحسن هذا الصوت قال جعفر يامولانا ما طرق سمعى أطيب ولا أحسن من هذا الغناء ولكن ياسيدى ان السماع من وراء جدار نصف سماع فكيف بالسماع من خلف ستر ، فقال انهض بنا ياجعفر حتى نتطفل على صاحب هذه الدار لعلنا نرى المغنية عيانا قال جعفر سمعاً وطاعة ، فصعدوا من المركب واستأذنوا فى الدخول وإذا بشاب مليح المنظر عذب الكلام فصيح اللسان قد خرج إليهم وقال أهلا وسهلا ياسادة المنعمين على ادخلوا بالرحب والسعة فدخلوا وهو بين ايديهم فرأوا الدار بأربعة أوجه وسقفها بالذهب وحيطانها منقوشة باللازورد وفيها ايوان به سدلة جميلة وعليها مائة جارية كأنهن اقمار ، فصاح عليهن فنزلن عن اسرتهن ثم التفت رب المنزل إلى جعفر وقال ياسيدى أنا ماأعرف منكم الجليل من الأجل بسم الله ليتفضل منكم من هو أعلى فى الصدر ويجلس اخوانه كل واحد فى مرتبته ، فجلس كل واحد فى منزلته وقام مسرور فى الخدمة بين ايديهم ثم قال لهم صاحب المنزل ياأضيافى عن اذنكم هل احضر لكم شيئاً من المأكول ، قالوا له نعم ، فامر الجوارى باحضار الطعام قبلت اربع جوار مشدودات الأوساط بين أيديهن مائدة وعليها من غرائب الألوان مما درج وطار وسبح فى البحار من قطا وسمان وافراخ وحمام ومكتوب على حواشى السفرة من الأشعار ماينـاسب المجلس فاكلوا علي قدر كفايتهم ، ثم غسلوا ايديهم فقال الشاب ياسادتى ان كان لكم حاجة فاخبرونا بها حتى نتشرف بقضائها ، قالوا نعم ، فإننا ماجئنا منزلك إلا لأجل صوت سمعناه من وراء حائط دارك فاشتهينا ان نسمعه ونعرف صاحبته ، فان رأيت ان تنعم علينا بذلك كان من مكارم اخلاقك ثم نعود من حيث جئنا

فقال مرحبا بكم ، ثم التفتت إلى جارية سوداء وقال احضرى سيدتك فلانة فذهبت الجارية ثم جاءت ومعها كرسى فوضعته ثم ذهبت ثانيا وأتت ومعها جارية كانها البدر فى تمامه فجلست علي الكرسي ثم ان الجارية السوداء ناولتها خرقة من أطلس فاخرجت منها عودا مرصعا بالجواهر واليواقيت وملاويه من الذهب وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة الثامنة والأربعون بعد التسعمائة

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الجارية لما اقبلت جلست على الكرسى واخرجت العود من الخريطة وإذا هو مرصع بالجواهر واليواقيت وملاويه من الذهب فشدت اوتاره لرنات المزاهر وهى كما قال فيها وفى عودها الشاعر .

حضنته كالام الشفيقة بابنها ... في حجرها وجلت عليه ملاويه
ماحركت يدها اليمين لجسه ... إلا واصلحت اليسار ملاويه

ثم ضمت العود إلى صدرها وانحنت عليه انحناء الوالدة على ولدها وجست أوتاره فاستغاث كما يستغيث الصبى بامه ثم ضربت عليه وجعلت تنشد هذه الأبيات

جاد الزمان بمن احب فاعتبا ... ياصاحبى فادر كؤوسك واشربا
من خمره مامازجت قلب امرئ ... إلا واصبح بالمسرة مطربا
قام النسيم بحملها في كاسها ... ارأيت بدر التم يحمل كوكبا
كم ليلة سمرت فيها بدرها ... من فوق دجلة قد اضاء الغيهبا
والبدر يجنح للغروب كانما ... قد مد فوق الماء سيفا مذهبا

فلما فرغت من شعرها بكت بكاء شديدا وصاح كل من فى الدار بالبكاء حتى كادوا ان يهلكوا ومامنهم أحد إلا وغاب عن وجوده ومزق أثوابه ولطم علي وجهه لحسن غنائها فقال لرشيد ان غناء هذه الجارية يدل على أنها عاشقة مفارقة ، فقال سيدها أنها ثاكلة لامها وابيها فقال الرشيد ماهذا بكاء من فقد اباه وامه وإنما هو شجو من فقد محبوبه وطرب الرشيد من غنائها وقال لاسحاق والله مارأيت مثلها فقال اسحاق ياسيدى لأنى لا اعجب غاية العجب ولا املك نفسى من الطرب وكان الرشيد مع ذلك كله ينظر إلى صاحب الدار ويتأمل فى محاسنه وظرف شمائله فرأى فى وجهه اثر اصفرار فالتفت

إليه وقال له يافتى فقال لبيك ياسيدى هل تعلم من نحن ، قال لا فقال له جعفر أتحب ان نخبرك عن كل واحد باسمه ، فقال نعم، فقال جعفر هذا أمير المؤمنين وابن عم سيد المرسلين وذكر له بقية أسماء الجماعة وبعد ذلك قال الرشيد اشتهى ان تخبرنى عن هذا الاصفرار الذى فى وجهك هل هو مكتسب أو أصلى من حين ولادتك قال ياأمير المؤمنين ان حديثى غريب أمرى عجيب لو كتب بالابر على آماق البصر لكان عبرة لمن اعتبر ، قال اعلمنى به لعل شفاك يكون على يدى ، قال ياامير المؤمنين اوزعنى سمعك واخل لى زرعك قال هات فحدثنى فقد شوقتنى إلى سماعه ، فقال اعلم ياأمير المؤمنين انى رجل تاجر من تجار البحر واصلى من مدينة عمان وكان ابى تاجرا كثير المال وكان له ثلاثون مركبا تعمل فى البحر اجرتها فى كل عام ثلاثون الف دينار وكان رجلا كريما وعلمنى الخط وجميع مايحتاج إليه الشخص فلما حضرته الوفاة دعانى واوصانى بما جرت به العادة ثم توفاه الله تعالى إلى رحمته وابقى الله امير المؤمنين وكان لابى شركاء يتجرون فى ماله ويسافرون فى البحر فاتفق فى بعض الايام انى كنت قاعد فى منزلى مع جماعة من التجار اذ دخل على غلام من غلمانى وقال ياسيدى إن بالباب رجلا يطلب الاذن فى الدخول عليك فأذنت له فدخل وهو حامل على رأسه شيئا مغطى فوضعه بين يدى وكشفه فإذا فيه فواكه بغير اوان وملح وطرائف ليست فى بلادنا فشكرته على ذلك واعطيته مائه دينار وانصرف شاكرا ثم فرقت ذلك على كل من كان حاضرا من الأصحاب ثم سألت التجار من اين هذا فقالوا انه من البصرة ،وأثنوا عليه وصاروا يصفون فى حسن البصرة واجمعوا على انه ليس فى البلاد حسن من بغداد ومن أهلها وصاروا يصفون بغداد وحسن اخلاق اهلها وطيب هوائها وحسن تركيبها فاشتاقت نفسى إليها وتعلقت آمالى برؤيتها فقمت وبعت العقارات والاملاك وبعت المراكب بمائة ألف دينار وبعت العبيد والجوارى وجمعت مالى فصار ألف ألف دينار غير الجواهر والمعادن واكتريت مركبا وشحنتها بأموالى وسائر متاعى وسافرت بها اياما وليالى حتى جئت إلى البصرة فأقمت بها مدة ثم استأجرت سفينة ونزلت مالى فيها وسرنا منحدرين اياما قلائل حتى وصلنا إلى بغداد فسألت أين تسكن التجار واى موضع اطيب للسكان فقالوا فى حارة الكرخ ، فجئت إليها واستأجرت دارا فى درب يسمى درب الزعفران ونقلت جميع مالى إلى تلك الدار فأقمت فيها مدة ثم توجهت فى بعض الأيام إلى إلى

الفرجة ومعى شئ من المال وكان ذلك اليوم يوم الجمعة فأتيت إلى جامع يسمى جامع المنصور تقام فيه الجمعة وبعد أن خلصنا من الصلاة وخرجت مع الناس إلى موضع يسمى قرن الصراط فرأيت فى ذلك المكان موضعاً عاليا جميلا وله روسن مطل على الشاطئ وهناك شباك فذهبت فى جملة الناس إلى ذلك المكان فرأيت شيخا جالسا وعليه ثياب جميلة وتفوح منه رايحة طيبة وقد سرح لحيته فافترقت على صدره فرقتين كانها قضب من لجين وحوله اربع جوارى وخمسة غلمان ، فقلت لشخص ماسم هذا الشيخ وماصنعته ، فقال هذا طاهر ابن العلاء وهو صاحب الفتيات كل من دخل عنده يأكل ويشرب وينظر إلى الملاح فقلت له والله ان لى زمانا أدور على مثل هذا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة التاسعة والأربعون بعد التسعمائة

قالت : بلغنى أبها الملك السعيد أن الشاب لما قال والله لى زمانا وانا أدور على مثل هذا ثم قال فتقدمت إليه ياأمير المؤمنين وسلمت عليه وقلت له ياسيدى ان لى عندك حاجة ، فقال ماحاجتك قلت اشتهى ان اكون ضيفك فى هذه الليلة ، فقال حبا وكرامة ، ثم قال ياولدى عندى جوار كثير منهم من ليلتها بعشرة دنانير ومنهم من ليلتها بأربعين دينارا ومنهم من ليلتها بأكثر ، فاختار من تريد فقلت اختار التى ليلتها بعشرة دنانير ثم وزنت له ثلاثمائة دينار عن شهر فسلمنى لغلام فاخذنى ذلك الغلام وذهب بى إلى حمام فى القصر وخدمنى خدمة حسنة فخرجت من الحمام وآتى بى إلى مقصورة وطرق الباب فخرجت له جارية فقال لها خذى ضيفك فتلقتنى بالرحب والسعة ضاحكة مستبشرة وادخلتنى دارا عجيبة مزركشة بالذهب فتأملت فى تلك الجارية فرأيتها كالبدر ليلة تمامه وفى خدمتها جاريتان كانهما كوكبان ثم اجلستنى وجلست بجانبى ثم اشارت إلى الجوارى فاتين بمائدة فيها من انواع اللحوم من دجاج وسمان وقطا وحمام فاكلنا حتى اكتفينا ومارأيت فى عمرى الذ من ذلك الطعام فلما اكلنا رفعت تلك المائدة واحضرت مائدة الشراب والمشموم والحلوى والفواكه واقمت عندها شهرا على هذا الحال فلما فرغ الشهر دخلت الحمام وجئت إلى الشيخ وقلت ياسيدى اريد التى ليلتها بعشرين دينار ،

فقال زن الذهب فمضيت واحضرت الذهب فوزنت له ستمائة دينار عن شهر فنادى غلاما وقال له خذ سيدك فاخذنى وادخلنى الحمام فلما خرجت اتى بى إلي باب مقصورة وطرقه فخرجت منه جارية فقال لها خذى ضيفك فتلقتنى باحسن ملتقى وإذا حولها اربع جوار ثم امرت باحضار الطعام فحضرت مائدة عليها من سائر الاطعمة فأكلت ولما فرغت من الأكل ورفعت المائدة اخذت العود وغنت بهذه الأبيات :

ايا نفحات المسك من ارض بابل ... بحق غرامي ان تؤدي رسائلي
عهدت بهاتيك الاراضي منازلا ... لاحبابنا اكرم بها من منازل
وفيها التي في حبها كل عاشق ... تعني ولم يرتد منها بطائل

فاقمت عندها شهرا ثم جئت إلى الشيخ وقلت له اريد صاحبة الأربعين دينار فقال زن لى الذهب فوزنت له عن شهر الفا ومائتى دينار ومكثت عندها شهرا كأنه يوم واحد لما رأيت من حسن المنظر وحسن العشرة ، ثم جئت إلى الشيخ وكنا قد امسينا فسمعت ضجة عظيمة واصواتا عالية فقلت له ماالخبر فقال لى الشيخ ان هذه الليلة عندنا اشهر الليالى وجميع الخلائق يتفرجون على بعضهم فيها فهل لك ان تصعد على السطح وتتفرج على الناس فقلت نعم وطلعت على السطح فرأيت ستارة حسنة ووراء الستارة محل عظيم وفيه سدلة وعليها فرش مليح وهناك صبية تدهش الناظرين حسنا وجمالا وقدا واعتدالا وبجانبها غلام يده على عنقها وهو يقبلها وتقبله فلما رأيتهما ياامير المؤمنين لم املك نفسى ولم اعرف اين أنا لما بهرنى من حسن صورتها لما نزلت سألت الجارية التى أنا عندها واخبرتها بصفتها فقالت مالك ومالها فقلت والله انها اخذت عقلى فتبسمت وقالت ياأبا الحسن ألك فيها غرض فقلت أى والله فإنها تملكت قلبى ولبى فقالت هذه ابنه طاهر بن العلاء وهى سيدتنا وكلنا جواريها اتعرف ياابا الحسن كم ليلتها ويومها ، قلت لا قالت خمسمائة دينار وهى حسرة فى قلوب الملوك فقلت والله لاذهبن مالى كله علي هذه الجارية وبت اكابد الغرام طول ليلى فلما اصبحت دخلت الحمام ولبست افخر ملبوس من ملابس الملوك وجئت إلى ابيها وقلت ياسيدى اريد التى ليلتها خمسمائة دينار ، فقال زن الذهب ، فوزنت له عن كل شهر خمسة عشر ألف دينار

فاخذها ثم قال للغلام اعمد به إلى سيدتك فلانة فاخذنى واتى بى دارا لم تر عينى اظرف منها على وجه الأرض فدخلتها فرأيت الصبية جالسة فلما رأيتها ادهشت عقلى بحسنها ياأمير المؤمنين وهى كالبدر فى ليلة اربعة عشر وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة الموفية للخمسين بعد التسعمائة

قالت : بلغنى أبها الملك السعيد أن الشاب لما حدث امير المؤمنين بصفات الجارية قل له وهى كالبدر فى ليلة اربعة عشر ذات حسن وجمال واعتدال والفاظ تفضح رنات المزاهر كانها المقصودة بقول الشاعر :

قالت وقد لعب الغرام بعطفها ... في جنح ليل سابل الاحلاك
ياليل هل لي في دجاك مسامر ... او هل لهذا الكس من نياك
ضربت عليه بكفها وتنهدت ... كتنهد الاسف الحزين الباكي
والثغر بالمسواك يظهر حسنه ... والاير للاكساس كالمسواك
يامسلمون اما تقوم ايوركم ... ما فيكم احد يغيث الشاكى
فانقض من تحت الغلائل قائما ... ايرى وقال لها اتاك اتاكى
وحللت عقد ازارها فتفزعت ... من انت قلت فتى اجاب نداكى
وغدوت ارهزها بمثل ذراعها ... رهز اللطيف يضرب الاوراك
حتى اذا ما قمت بعد ثلاثة ... قالت هناك النيك قلت هناكى

وما احسن قول الآخر

ولو انها للمشركين تعرضت ... لباؤابها من دون اصنامهم ربا
ولو تفلت فى البحر والبحر مالح ... لاصبح ماء البحر من ريقها عذبا
ولوانها فى الشرق لاحت لراهب ... لخلى سبيل الشرق واتبع الغربا

وما أحسن قول الآخر

نظرت اليها نظرة فتحيرت دقايق فكرى فى بديع صفاتها
فاوحى اليها الوهم انى احبها فاثر ذاك الوهم فى وجناتها

فسلمت عليها فقالت أهلا وسهلا ومرحبا وأخذت بيدى يا أمير المؤمنين وأجلستنى إلى جانبها فمن فرط الاشتياق بكيت مخافة الفراق وأسبلت دمع العين وأنشدت هذين البيتين

أحب ليالى الهجر لا فرحا بها عسى الدهر يأتى بعدها بوصال
وأكره أيام الوصال لأننى أرى كل شىء معقبا بزوال

ثم أنها صارت تؤانسنى بلطف الكلام وأنا غريق فى بحر الغرام خائف فى القرب ألم الفراق من فرط الوجد والاشتياق وتذكرت لوعة النوى والبين فانشدت هذين البيتين

فكرت ساعة وصلها فى هجرها فجرت مدامع مقلتى كالعندم
فطفقت امسح مقلتى فى جيدها من عادة الكافور امساك الدم

ثم أمرت باحضار الأطعمة فأقبلت أربع جوار نهدا بكار فوضعن بين أيدينا من الأطعمة والفاكهة والحلوى والمشموم والمدام ما يصلح للملوك فأكلنا يا أمير المؤمنين وجلسنا على المدام وحولنا الرياحين فى مجلس لا يصلح إلا للملك ثم جاءتها يا أمير المؤمنين جارية بخريطة من الابريسم فأخذتها وأخرجت منها عودا فوضعته فى حجرها وجست أوتاره فاستغاث كما يستغيث الصبى بامه وأنشدت هذين البيتين

لا تشرب الراح الامن يدى رشاء تحكيه فى رقة المعنى ويحكيها
أن المدامة لا يلتذ شاربها حتى يكون نقى الخدس قيها

فاقمت يا أمير المؤمنين عندها على هذه الحالة مدة من الزمان حتى نفذ جميع مالى فتذكرت وأنا جالس معها مفارقتها فنزلت دموعى على خدى كالأنهار وصرت لا أعرف

الليل من النهار فقالت لأى شىء تبكى فقلت لها يا سيدتى من حين جئت إليك وأبوك يأخذ منى فى كل ليلة خمسمائة دينار وما بقى عندى شىء من المال وقد صدق الشاعر حيث قال

الـفـقـر فـى أوطـانـنـا غـربـة   والمـال فـى الـغـربـة أوطـان

فقالت أعلم أن أبى من عادته أنه إذا كان عنده تاجر وافتقر فانه يضيفه ثلاثة أيام ثم بعد ذلك يخرجه فلا يعود إلينا أبدا ولكن اكتم سرك واخف أمرك وأنا أعمل حيلة فى اجتماعى بك إلى ما شاء الله فإن لك فى قلبى محبة عظيمة واعلم أن جميع مال أبى تحت يدى وهو لا يعرف قدره فأنا أعطيك فى كل يوم كيسا فيه خمسمائة دينار وأنت تعطيه لأبى وتقول له ما بقيت أعطى الدراهم الايوما بيوم وكلما دفعته إليه فأنه يدفعه إلى وأنا أعطيه لك ونستمر هكذا إلى ما شاء الله فشكرتها على ذلك وقبلت يدها ثم أقمت عندها يا أمير المؤمنين على هذه الحالة مدة سنة كاملة فاتفق فى بعض الأيام أنها ضربت جاريتها ضربا وجيعا فقالت لها والله لاوجعن قلبك كما أوجعتنى ثم مضت تلك الجارية إلى أبيها وأعلمته بأمرنا من أوله إلى آخره فلما سمع طاهر بن العلاء كلام الجارية قام من ساعته ودخل على وأنا جالس مع ابنته وقال لى يا فلان قلت له لبيك قال عادتنا أنه إذا كان عندنا تاجر وافتقر أننا نضيفه ثلاثة أيام وأنت لك سنة عندنا تأكل وتشرب وتفعل ما تشاء ثم التفت إلى غلمانه وقال اخلعوا ثيابه ففعلوا وأعطونى ثيابا رديئة قيمتها خمسة دراهم ودفعوا لى عشرة دراهم ثم قال لى اخرج فأنا لا أضربك ولا أشتمك واذهب إلى حال سبيلك وأن أقمت فى هذه البلدة كان دمك هدرا فخرجت يا أمير المؤمنين برغم أنفى ولا أعلم أين أذهب وحل فى قلبى كل هم فى الدنيا وأشغلنى الوسواس وقلت فى نفسى كيف أجئ فى البحر بمائة ألف ألف من جملتها ثمن ثلاثين مركبا ويذهب هذا كله فى دار هذا الشيخ النحس وبعد ذلك أخرج من عنده عريانا مكسور القلب فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ثم أقمت فى بغداد ثلاثة أيام لم أذق طعاما ولا شرابا وفى اليوم الرابع رأيت سفينة متوجهة إلى البصرة فنزلت فيها واستكريت مع صاحبها إلى أن وصلت إلى البصرة فدخلت السوق وأنا فى شدة الجوع فرآنى رجل يقال فقام إلى وعانقنى لأنه كان صاحبا لى ولأبى من قبلى وسألنى عن حالى فأخبرته بجميع ما جرى لى

فقال لى والله ما هذه فعال عاقل ومع هذا الـذى جرى لك فأى شيء فى ضميرك تريد ان تفعله فـقلت له لا أدرى ماذا أفعل فقال أتجـلس عندى وتكتب خرجى ودخلى ولك فى كل يوم درهمان زيادة علـى أكلك وشربك فاجبته إلى ذلك وأقمت عنـده يا أمير المؤمنين سنة كاملة أبيع وأشترى إلى أن صار معى مائة ديـنار فاستأجرت غرفة على شاطيء البحر لعل مركبا تـأتى ببضاعة فاشترى بالدنانير بضاعة وأتوجه بها إلى بغداد فـاتفق فى بعض الأيام أن المراكب جاءت وتوجه إليها جميع التجار يشترون فرحت معهم وإذا برجلين قد خرجا من بطن المركب ونصبا لهما كرسيين وجلسـا عليهما ثم أقبل التجار عليهما لأجل الشراء فقالا لـبعض الغلمان أحضروا الـبساط فاحضروه وجاء واحد بخـرج فاخرج منه جرابا وفتحه وكبه عـلى البساط وإذا به يخطف البصر لما فيه مـن الجوهر واللؤلؤ والمرجان والياقوت والعقيق من سائر الألوان وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الحادية والخمسون بعد التسعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الشاب لـما أخبر الخليفة بقضية التجار وبالجراب وما فيه من سائـر أنواع الجواهر قال يا أمير المؤمـنين ثم أن واحدا من الرجلين الجـالسين على الكراسى التفت إلى التجار وقال لهم يا معاشـر التجار أنا ما أبيع فى يومى هذا لأنى تعبان فتزايدت التجار فى الثمن حتى بلغ مقداره أربعمائة دينار فقال لى صاحب الجراب وكان بينى وبينه معرفة قديمة لماذا لم تتكلم ولـم تزود مثل التجار فقلت له والله يا سيدى ما بقى عندى شيء من الدنـيا سوى مائة دينار واستحيـت منه ودمعت عينى فنظـر إلى وقد عسر عليه حالى ثم قال لـلتجار اشهدوا على أنى بعت جميع مـا فى الجراب من أنواع الجواهر والمعادن لهذا الرجل بمائة دينار وأنا أعرف أنه يساوى كذا وكذا ألف دينار وهو هدية منى إليه فـاعطانى الخرج والجراب والـبساط وجميع مـا عليه من الجـواهر فشكرته عـلى ذلك وجميع مـن حضر من التجـار اثنوا عليه ثم أخـذت ذلك ومضيت به إلـي سوق الجواهر وقعدت أبـيع واشترى وكـان من جملة هـذه المعادن قرص تـعويذ صنعـة المعلمـين زنته نصف رطـل وكان أحمر شديد الحـمرة وعليه أسـطر مثل دبيـب النمل من الجانـبين ولم أعرف منفـعته فبعت وأشتـريت مدة سنة كاملة ثـم أخذت قرص التعويذ وقـلت هذا له عندى مدة لا أعرفه ولا أعرف مـنفعته فدفعته إلى الدلال فأخـذه ودار به ثم عاد وقال ما

دفع فيه أحد من التجار سوى عشرة دراهم فقلت ما أبيعه بهذا القدر فرماه فى وجهى وانصرف ثم عرضته للبيع يوما آخر فبلغ ثمنه خمسة عشر درهما فأخذته من الدلال مغضبا ورميته عندى فبينما أنا جالس يوما إذ أقبل على رجل فسلم على وقال لى عن أذنك هل أقلب ما عندك من البضائع قلت نعم وأنا يا أمير المؤمنين مغتاظ من كساد قرص التعويذ فقلب الرجل البضاعة ولم يأخذ منها سوى قرص التعويذ فلما رآه يا أمير المؤمنين قبل يده وقال الحمد لله ثم قال يا سيدى تبيع هذا فازداد غيظى وقلت له نعم فقال لى كم ثمنه فقلت له كما تدفع أنت فيه قال عشرين دينارا فتوهمت أنه يستهزئ بى فقلت اذهب إلى حال سبيلك فقال لى هو بخمسين دينارا فلم أخاطبه فقال بألف دينار هذا كله يا أمير المؤمنين وأنا ساكت ولم أجبه وهو يضحك من سكوتى ويقول لأى شيء لم ترد على فقلت له أذهب إلي حال سبيلك وأردت أن أخاصمه وهو يزيد الفا بعد ألف ولم أرد عليه حتى قال أتبيعه بعشرين ألف دينار وأنا أظن أنه يستهزئ بى فاجتمع علينا الناس وكل منهم يقول لى بعه وأن لم يشتر فنحن الكل عليه ونضربه ونخرجه من البلد فقلت له هل أنت تشترى أو تستهزئ فقال هل أنت تبيع أو تستهزئ قلت له أبيع قال هو بثلاثين ألف دينار خذها وامض البيع فقلت للحاضرين اشهدوا عليه ولكن بشرط أن تخبرنى ما فائدته وما نفعه قال امض البيع وأنا أخبرك بفائدته ونفعه فقلت بعتك فقال الله على ما أقول وكيل ثم أخرج الذهب وقبضنى إياه وأخذ التعويذ ووضعه فى جيبه ثم قال لى هل رضيت قلت نعم فقال أشهدوا عليه أنه أمضي البيع وقبض الثمن ثلاثين ألف دينار ثم أنه التفت إلي وقال لى يا مسكين والله لو أخرت البيع لزدناك إلى مائة ألف دينار بل إلى ألف ألف دينار فلما سمعت يا أمير المؤمنين هذا الكلام نفر الدم من وجهى وعلا عليه هذا الاصفرار الذى أنت تنظره من ذلك اليوم ثم قلت له أخبرنى ما سبب ذلك وما نفع هذا القرص فقال أعلم أن ملك الهند له بنت لم ير أحسن منها وبها داء الصداع فاحضر الملك أرباب الأقلام وأهل العلوم الكهان فلم يرفعوا عنها ذلك فقلت له وكنت حاضرا بالمجلس أيها الملك أنا أعرف رجلا يسمى سعد الله البابلى ما على وجه الأرض أعرف منه بهذه الأمور فان رأيت أن ترسلنى إليه فافعل فقال اذهب إليه فقلت له أحضر لى قطعة من العقيق فأحضر لى قطعة كبيرة من العقيق ومائة ألف دينار وهدية فأخذت ذلك وتوجهت إلى بلاد بابل فسألت عن الشيخ فدلونى عليه ودفعت له المائة ألف دينار

والهدية فأخذ ذلك منى ثم أخذ القطعة العقيق وأحضر حكاكا فعملها هذا التعويذ ومكث الشيخ سبعة أشهر يرصد النجم حتى اختار وقتا للكتابة وكتب عليه هذا الطلاسم التى تنظرها ثم جئت به إلى الملك وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الثانية والخمسون بعد التسعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الشاب قال لأمير المؤمنين أن الرجل قال لى فأخذت هذا التعويذ وجئت به إلى الملك فلما وضعه على ابنته برئت من ساعتها وكانت مربوطة فى أربع سلاسل وكل ليلة تبيت عندها جارية فتصبح مذبوحة فمن حين وضع عليها هذا التعويذ برئت لوقتها وفرح الملك بذلك فرحا شديدا وخلع على وتصدق بمال كثير ثم وضعه فى عقدها فاتفق أنها نزلت يوما فى مركب هى وجواريها تتنزه فى البحر فمدت جارية يدها إليها لتلاعبها فانقطع العقد وسقط فى البحر فعاد من ذلك الوقت العارض لابنة الملك فحصل للملك ما حصل من الحزن فاعطانى مالا كثيرا وقال لى اذهب إلى الشيخ ليعمل لها تعويذا عوضا عنه فسافرت إليه فوجدته قد مات فرجعت إلى الملك وأخبرته فبعثنى أنا وعشرة أنفس نطوف فى البلاد لعلنا نجد لها دواء فاوقعنى الله به عندك فاخذه منى يا أمير المؤمنين وانصرف فكان ذلك الأمر سببا للاصفرار الذى فى وجهى ثم أنى توجهت إلى بغداد ومعى جميع مالى وسكنت في الدار التى كنت فيها فلما أصبح الصباح لبست ثيابى وجئت إلى بيت طاهر بن العلاء لعلى أرى من أحبها فإن حبها لم يزل يتزايد فى قلبى فلما وصلت إلى داره رأيت الشباك قد انهدم فسألت غلاما وقلت له ما فعل الله بالشيخ فقال يا أخى أنه قدم عليه فى سنة من السنين رجل تاجر يقال له أبو الحسن العمانى فاقام مع ابنته مدة من الزمان ثم بعد أن ذهب ماله أخرجه الشيخ من عنده مكسور الخاطر وكانت الصبية تحبه حبا شديدا فلما فارقها مرضت مرضا شديدا حتى بلغت الموت وعرفت أبوها بذلك فارسل خلفه فى البلاد وقد ضمن لمن يأتى به مائة ألف دينار فلم يره أحد ولم يقع له على أثر وهى إلى الآن مشرفة على الموت قلت وكيف حال أبيها قال باع الجوارى من عظم ما أصابه فقلت له هل أدلك على أبى الحسن العمانى فقال بالله عليك يا أخى أن تدلنى عليه فقلت له أذهب إلى أبيها وقل له البشارة عندك فإن أبا الحسن العمانى واقف على الباب فذهب الرجل يهرول كأنه بغل انطلق من طاحون ثم

غاب ساعة وجاء وصحبته الشيخ فلما رأنى رجع إلى داره وأعطى الرجل مائة ألف دينار فأخذها وأنصرف وهو يدعو لى ثم أقبل الشيخ وعانقنى وبكى وقال يا سيدى أين كنت فى هذه الغيبة قد هلكت أبنتى من أجل فراقك فأدخل معى إلى المنزل فلما دخلت سجد شكر الله تعالى وقال الحمد لله الذى جمعنا بك ثم دخل لابنته وقال لـه قد شفاك الله من هذا المرض فقالت يا ابتى ما ابرىء من مرضى إلا إذا انظرت وجه أبى الحسن فقال إذا أكلت أكلة ودخلت الحمام جمعت بينكما فلما سمعت كلامه قالت أصحيح ما تقول قال لها والله العظيم أن الذى قلته صحيح فقالت والله أن نظرت وجهه ما احتاج إلى أكل فقال لغلامه أحضر سيدك فدخلت فلما نظرت إلى يا أمير المؤمنين وقعت مغشيا عليها فلما أفاقت أنشدت هذا البيت

وقد يجمع الله الشتيتين بعدما   يظنان كل الظن أن لا تلاقيا

ثم استوت جالسة وقالت والله يا سيدى ما كنت أظن أنى أرى وجهك إلا أن كان مناما ثم أنها عانقتنى وبكت وقالت يا أبا الحسن الآن أكل وأشرب فاحضروا الطعام والشراب ثم صرت عندهم يا أمير المؤمنين مدة من الزمان وعادت لما كانت عليه من الجمال ثم أن أباها استدعى بالقاضى والشهود وكتب كتابها على وعمل وليمة عظيمة وهى زوجتى إلى الآن ثم أن ذلك الفتى قام من عند الخليفة ورجع إليه بغلام بديع الجمال بقد ذى رشاقة واعتدال وقال له قبل الأرض بين أيادى أمير المؤمنين فقبل الأرض بين يدى الخليفة فتعجب الخليفة من حسنه وسبح خالقه ثم أن الرشيد انصرف هو وجماعته وقال يا جعفر ما هذا إلا شىء عجيب ما رأيت ولا سمعت باغرب منه فلما جلس الرشيد فى دار الخلافة قال يا مسرور قال لبيك يا سيدى قال أجعل فى هذا الايوان خراج البصرة وخراج بغداد وخراج خراسان فجمعه فصار مالا عظيما لا يحصى عدده إلا الله ثم قال الخليفة يا جعفر قال لبيك قال أحضر لى أبا الحسن قال سمعا وطاعة ثم أحضره فلما حضر قبل الأرض بين يدى الخليفة وهو خائف أن يكون طلبه له بسبب خطأ وقع منه وهو عنده بمنزله فقال الرشيد يا عمانى قال له لبيك يا أمير المؤمنين خلد الله نعمه عليك فقال اكشف هذه الستارة وكان الخليفة أمرهم أن يضعوا مال الثلاثة أقاليم ويسبلوا عليه الستارة فلما

كشف العمانى الستارة عن الأيوان أندهش عقله من كثرة المال فقال الخليفة يا أبا الحسن أهذا المال أكثر أم الذى فاتك من قرص التعويذ فقال بل هذا يا أمير المؤمنين أكثر باضعاف كثيرة قال الرشيد أشهدوا يا من حضر أنى وهبت هذا المال لهذا الشاب فقبل الأرض واستحى وبكى من شدة الفرح بين يدى الرشيد فلما بكى جرى الدمع من عينه على خده فرجع الدم إلى محله فصار وجهه كالبدر ليلة تمامه فقال الخليفة لا إله إلا الله سبحان من يغير حالا بعد حال وهو باق لا يتغير ثم أتى بمرآة واراه وجهه فيها فلما رآه سجد شكرا لله تعالى ثم أمر الخليفة أن يحمل إليه المال وسأله أنه لا ينقطع عنه لأجل المنادمة فصار يتردد إليه أن توفى الخليفة إلى رحمة الله تعالى فسبحان الذى لا يموت ذى الملك والملكوت ومما يحكى أيضا أيها الملك السعيد أن الخصيب صاحب مصر كان له ولد ولم يكن أحسن منه وكان من خوفه عليه لا يمكنه من الخروج إلا لصلاة الجمعة فمر وهو خارج من صلاة الجمعة على رجل كبير وعنده كتب كثيرة فنزل عن فرسه وجلس عنده وقلب الكتب وتأملها فرأى فيها صورة امرأة تكاد أن تنطق لم ير أحسن منها على وجه الأرض فسلبت عقله وأدهشت لبه فقال له يا شيخ بعنى هذه الصورة فقبل الأرض بين يديه ثم قال يا سيدى بغير ثمن فدفع له مائة دينار وأخذ الكتاب الذى فيه هذه الصورة فصار ينظر إليها ويبكى ليله ونهاره وامتنع من الطعام والشراب والمنام وقال فى نفسه لو سألت الكتبى عن صانع هذه الصورة من هو لربما أخبرنى فإن كانت صاحبتها فى الحياة توصلت إليها وأن كانت صورة مطلقة تركت التولع بها ولا أعذب نفسى بشىء لا حقيقة له وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الثالثة والخمسون بعد التسعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الشاب لما قال فى نفسه لو سألت الكتبى عن هذه الصورة لربما أخبرنى فإن كانت صورة مطلقة تركت التولع بها ولا أعذب نفسى بشىء لا حقيقة له فلما كان يوم الجمعة مر على الكتبى فنهض إليه قائما فقال له يا عم أخبرنى من صنع هذه الصورة قال يا سيدى صنعها رجل من أهل بغداد يقال له أبو القاسم الصندلانى فى حارة تسمى حارة الكرخ وما أعلم صورة من هى فقام الغلام من عنده ولم

يعلم بحاله أحدا مـن أهل مملكته ثم صلى الجمعة وعاد إلى البـيت فأخذ جرابا وملأه من الجواهر والذهب وقيمة الجواهر ثلاثون الف دينـار ثم صبر إلى الصباح وخرج ولم يعلم أحدا ولحق قافلة فرأى بدويا فقال له يا عم كـم بينى وبين بغداد فقال له يا ولدى أين أنت وأين بغداد أن بينـك وبينها مسيرة شهرين فـقال له يا عم أن وصلتنى إلى بـغداد أعطيتك مائة دينار وهذه الفرس التـى تحتي وقيمتـها ألف دينار فقـال له البدوى الله على مـا نقول وكيل ولكن لا تنزل فى هذه الليلة إلا عندى فـاجابه إلى قوله وبات عنده فلما لاح الفجر أخذه البـدوى ثم سار به سريعـا فى طريق قريـب طمعا فى تـلك الفرس التى وعـده بها ومازالا سائرين حـتى وصلا إلي حيطان بغداد فـقال له البدوى الحمد لله علـى السلامة يا سيدى هـذه بغداد ففـرح الغلام فرحـا شديدا و نزل عـن الفرس وأعطـاها للبـدوى هى والمائة دينار ثم أخذ الجـراب وسار يسأل عن حاره الكرخ وعن محل التـجار فساقه القدر إلى درب فيه عشر حجر خمسة تقابل خمسة وفى صدر الدرب باب بمصراعين له حلقة من فضة وفى الباب مصطبتان من الرخام مـفروشتان باحسن الفرش وفى أحداهما رجل جالس وهو مهاب حسن الصورة وعليه ثياب فاخرة وبين يديه خمسة مماليك كأنهم أقمار فلما رأى الـغلام ذلك عرف العلامة التـى ذكرها له الكتبـى فسلم على الرجل فـرد عليه السـلام ورحب به وأجلـسه وسأله عـن حاله فقـال له الغلام أنـا رجل غريب وأريـد من احسـانك أن تنـظر لى فـى هذا الدرب دارا لاسـكن فـيها فـصاح الرجـل وقال يا غـزالة فخرجـت إليه جارية وقـالت لبيك يا سـيدى فقال خذى مـعك بعض خدم واذهـبوا إلى حجرة ونظـفوها وافرشوها وحطوا فـيها جميع ما يحـتاج إليه من آنية وغيـرها لأجل هذا الشاب الحسن الصورة فـخرجت الجارية وفعلت ما أمرها به ثـم أخذه الشيخ وأراه الدار فقال له الغلام يا سيدى كم أجرة هذه الدار فقـال له يا صبيح الوجه أنا ما آخذ منك أجرة مادمت فـيها فشـكره على ذلك ثـم أن الشيخ نـادى جارية أخرى فخـرجت جارية كـأنها الشمـس فقال لها هـاتى الشطرنج فـأتت به ففرش المـملوك الرقعـة وقال الشيخ لـلغلام أتلعب معى قال نعم فـلعب معه مرات والغلام يغلبه فقال أحسنـت يا غلام ولقد كملت صفاتـك والله ما فى بغداد مـن يغلبنـى وقد غلبـتنى أنت ثم بـعد أن هيأوا الدار بـالفرش وسائر ما يـحتاج إليه سلـم إليه المفاتيـح وقال له يا سيدى ألا تـدخل منزلى وتأكـل عيشى فنتشـرف بك فاجابة الغـلام إلى ذلك ومشى معـه فلما وصلا إلى الـدار رأى دارا حسنة

جميلة مزركشة بالذهب وفيها من جميع التصاوير وفيها من أنواع الفرش والامتعة ما يعجز عن وصفه اللسان ثم صار يحييه وأمر باحضار الطعام فاتوا بمائدة من شغل صنعاء اليمن فوضعت وأتوا بالطعام الوانا غريبة لم يوجد أفخر منها ولا الذ فأكل الغلام حتى اكتفى ثم غسل يديه وصار الغلام ينظر إلى الدار والفرش ثم التفت إلى الجراب الذى كان معه فلم يره فقال لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم أكلت لقمة تساوى درهما أو درهمين فذهب منى جراب فيه ثلاثون ألف دينار ولكن استعنت بالله ثم سكت ولم يقدر أن يتكلم وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الرابعة والخمسون بعد التسعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الغلام لما رأى الجراب مفقودا حصل له غم كبير فسكت ولم يقدران يتكلم فقدم الشيخ الشطرنج وقال للغلام هل تلعب معى قال نعم فلعب فغلبه الشيخ فقال الغلام أحسنت ثم ترك اللعب وقام فقال له مالك يا غلام فقال أريد الجراب فقام اخرجه له وقال هاهو يا سيدى هل ترجع إلى اللعب معى قال نعم فلعب معه فغلبه الغلام فقال الرجل لما اشتغل فكرك بالجراب غلبتك فلما جئت به إليك غلبتنى ثم قال له يا ولدى أخبرنى من أى البلاد أنت فقال من مصر فقال له وما سبب مجيئك إلى بغداد فاخرج له الصورة وقال أعلم يا عم أنى ولد الخصيب صاحب مصر وقد رأيت هذه الصورة عند رجل كتبى فسلبت عقلى فسألت عن صانعها فقيل لى أن صانعها رجل بحارة الكرخ يقال له أبو القاسم الصندلانى بدرب يعرف بدرب الزعفران فأخذت معى شيئا من المال وجئت وحدى ولم يعلم بحالى أحد وأريد من تمام احسانك أن تدلنى عليه حتى اسأله عن سبب تصويرة لهذه الصورة وصورة من هى ومهما أراده منى فأنى أعطيه أياه فقال والله يا بنى انى أنا أبو القاسم الصندلانى وهذا أمر عجيب كيف ساقتك المقادير إلى فلما سمع الغلام كلامه قام إليه وعانقه وقبل رأسه ويديه وقال له بالله عليك أن تخبرنى بصورة من هى فقال سمعا وطاعة ثم قام وفتح خزانة وأخرج منها عدة كتب كان صور فيها هذه الصورة وقال أعلم يا ولدى أن صاحبة هذه الصورة بنت عمى وهى فى البصرة وأبوها حاكم البصرة يقال له أبو الليث وهى يقال لها جميلة وما على وجه الأرض أجمل منها ولكنها زاهدة فى الرجال ولم تقدر أن تسمع ذكر رجل فى

مجلسها وقد ذهبت إلى عمى بقصد أنه يزوجنى بها وبذلت له الأموال فلم يجبنى إلى ذلك فلما علمت ابنته بذلك اغتاظت وأرسلت إلى كلاما من جملته أنها قالت أن كان لك عقل فلا تقم بهذه البلدة والا تهلك ويكون ذنبك فى عنقك وهى جبارة من الجبابرة فخرجت من البصرة وأنا منكسر الخاطر وعملت هذه الصورة فى الكتب وفرقتها فى البلاد لعلها تقع فى يد غلام حسن الصورة مثلك فيتحيل فى الوصول إليها لعلها تعشقه وأكون قد أخذت عليه العهد أنه إذا تمكن منها يرينى اياها ولو نظرة من بعيد فلما سمع إبراهيم ابن الخصيب كلامه أطرق رأسه ساعة وهو يتفكر فقال له الصندلانى يا ولدى أنى ما رأيت ببغداد أحسن منك وأظن أنها إذا نظرتك تحبك فهل يمكنك إذا اجتمعت بها وظفرت بها أن ترينى اياها ولو نظرة من بعيد فقال نعم فقال إذا كان الأمر كذلك فاقم عندى إلى أن تسافر فقال لا أقدر على المقام فإن فى قلبى من عشقها نارا زائدة فقال له اصبر حتى أجهز لك مركبا فى ثلاثة أيام لتذهب فيها إلى البصرة فصبر حتى جهز له مركبا ووضع فيها كل ما يحتاج إليه من ماكول ومشروب وغير ذلك وبعد الثلاثة أيام قال للغلام تجهز للسفر فقد جهزت لك مركبا فيها سائر ما تحتاج إليه والمركب ملكى والملاحون من أتباعى وفى المركب ما يكفيك إلى أن تعود وقد وصيت الملاحين أن يخدموك إلى أن ترجع بالسلامة فنهض الغلام ونزل فى المركب وودعه وصار حتى وصل إلى البصرة فاخرج الغلام مائة دينار للملاحين فقالوا له نحن أخذنا الأجرة من سيدنا فقال لهم خذوها أنعاما وأنا لا أخبره بذلك فاخذوها منه ودعوا له ثم دخل الغلام البصرة وسأل أين مسكن التجار فقالوا له فى خان يسمى خان حمدان فمشى حتى وصل إلى السوق الذى فيه الخان فامتدت إليه الأعين بالنظر من فرط حسنه وجماله ثم دخل الخان مع رجل ملاح وسأل عن البواب فدلوه عليه فرآه شيخا كبيرا مهابا فسلم عليه فرد عليه السلام فقال يا عم هل عندك حجرة ظريفة قال نعم ثم أخذه هو والملاح وفتح لهما حجرة ظريفة مزركشة بالذهب وقال يا غلام أن هذه الحجرة تصلح لك فاخرج الغلام دينارين وقال له خذ هذين حلوان المفتاح فأخذهما ودعا له وأمر الغلام الملاح بالذهاب إلى المركب ثم دخل الحجرة فاستمر عند بواب الخان وخدمه وقال له يا سيدى حصل لنا بك السرور فاعطاه الغلام دينارا وقال له هات لنا به خبزا ولحما وحلوى وشرابا فأخذه وذهب إلى السوق ورجع إليه وقد اشترى ذلك بعشرة دراهم وأعطاه الباقى فقال له

الغلام أصرفه على نفسك ففرح بواب الخان بذلك فرحا عظيما ثم ان الغلام أكل مما طلبه قرصا واحدا بقليل من الادم وقال لبواب الخان خذ هذا إلى أهل منزلك فأخذه وذهب به إلى أهل منزله وقال لهم ما أظن أن أحدا على وجه الأرض أكرم من الغلام الذى سكن عندنا فى هذا اليوم ولا أحلى منه فإن دام عندنا حصل لنا الغنى ثم أن بواب الخان دخل على إبراهيم فرآه يبكى فقعد وصار يكبس رجليه ثم قبلهما وقال يا سيدى لأى شىء تبكى لا أبكاك الله فقال يا عم أريد أن أشرب أنا وأنت فى هذه الليلة فقال له سمعا وطاعة فاخرج له خمسة دنانير وقال له اشتر لنا بها فاكهة وشرابا ثم دفع له خمسة دنانير أخرى وقال له اشتر لنا بهذه نقلا ومشموما وخمس دجاجات سمان وأحضر لى عودا فخرج واشترى له ما أمره به وقال لزوجته أصنعى هذا الطعام وصفى لنا هذا الشراب وليكن ما تصنعينه جيدا فإن هذا الغلام قد عمنا باحسانه فصنعت زوجته ما أمرها به على غاية المراد ثم أخذه ودخل به على إبراهيم ابن السلطان وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الخامسة والخمسون بعد التسعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن بواب الخان لما صنعت زوجته الطعام والشراب أخذه ودخل به على ابن السلطان فاكلا وشربا وطربا فبكى الغلام وأنشد هذين البيتين

يا صاحبى لو بذلت الروح مجتهدا وجملة المال والدنيا وما فيها
وجنة الخلد والفردوس أجمعها بساعة الوصل كان القلب شاريها

ثم شهق شهقة عظيمة وخر مغشيا عليه فتنهد بواب الخان فلما أفاق قال له بواب الخان يا سيدى ما يبكيك ومن هى التى تريدها بهذا الشعر فأنها لا تكون إلا ترابا الأقدامك فقام الغلام وأخرج بقجة من أحسن ملابس النساء وقال له خذ هذه إلى حريمك فأخذها منه ودفعها إلى زوجته فأتت معه ودخلت على الغلام فإذا هو يبكى فقالت له فتت أكبادنا فعرفنا بأى مليحة تريدها وهى لا تكون الاجارية عندك فقال يا عم أعلم أنى أنا ابن الخصيب صاحب مصر وأنى متعلق بجميلة بنت الليث العميد فقالت زوجة بواب الخان الله الله يا أخى ان تترك هذا الكلام لئلا يسمع بنا أحد فنهلك فانه ما

على وجه الأرض أجبر منها ولا يقدر أحد أن يذكر لها اسم رجل لأنها زاهدة في الرجال فيا ولدي أعدل عنها لغيرها فلما سمع كلامها بكى بكاء شديدا فقال له بواب الخان مالي سوى روحي فأنا أخاطر بها في هواك وأدبر لك أمرا فيه بلوغ مرادك ثم خرجا من عنده فلما أصبح الصباح دخل الحمام ولبس حلة من ملبوس الملوك وإذا ببواب الخان هو وزوجته قدما عليه وقالا له يا سيدي أعلم أن هنا رجلا خياطا أحدب وهو خياط السيدة جميلة فاذهب إليه وأخبره بحالك فعساه يدلك على ما فيه وصولك إلى أغراضك فقام الغلام وقصد دكان الخياط الأحدب فدخل عليه فوجد عنده عشرة مماليك كأنهم الأقمار فسلم عليهم فردوا عليه السلام وفرحوا به وأجلسوه وتحيروا في محاسنه وجماله فلما رآه الأحدب اندهش عقله من حسن صورته فقال له الغلام أريد أن تخيط له جيبي فتقدم الخياط وأخذ فتلة من الحرير وخاطه وكان الغلام قد فتق جيبه عمدا فلما خاطه أخرج له خمسة دنانير وأعطاها له وانصرف إلى حجرته فقال الخياط أي شيء عملته لهذا الغلام حتى أعطاني الخمسة دنانير ثم بات ليلته يفكر في حسنه وكرمه فلما أصبح الصباح ذهب إلى دكان الخياط الأحدب ثم دخل وسلم عليه فرد عليه السلام وأكرمه ورحب به فلما جلس قال للأحدب ياعم خيط لي جيبي فأنه فتق ثانيا فقال له يا ولدي على الرأس والعين ثم تقدم وخاطه فدفع له عشرة دنانير فأخذها وصار مبهوتا من حسنه وكرمه ثم قال والله يا غلام أن فعلك هذا لابد له من سبب وما هذا خبر خياطة جيب ولكن أخبرني عن حقيقة أمرك فإن كنت عشقت واحدا من هؤلاء الأولاد فوالله ما فيهم أحسن منك وكلهم تراب أقدامك وهاهم عبيدك بين يديك وأن كان غير هذا فأخبرني فقال يا عم ما هذا محل الكلام فان حديثي عجيب وأمري غريب قال فإذا كان الأمر كذلك فقم بنا في خلوة ثم نهض الخياط وأخذ بيده ودخل معه حجرة في داخل الدكان وقال له يا غلام حدثني فحدثه بأمره من أوله إلى آخره فبهت من كلامه وقال يا غلام اتق الله في نفسك فإن التي ذكرتها جبارة زاهدة في الرجال فاحفظ يا أخي لسانك وإلا فانك تهلك نفسك فلما سمع الغلام كلامه بكى بكاء شديدا ولزم ذيل الخياط وقال أجرني يا عم فاني هالك وقد تركت ملكي وملك أبي وجدي وصرت في البلاد غريبا وحيدا ولا صبر لي عنها فلما رأى الخياط ما حل به رحمه وقال يا ولدي ما عندي إلا نفسي فاخاطر بها في هواك فأنك قد جرحت قلبي ولكن في غد أدبر لك أمراً يطيب به

قلبك فدعا له وانصرف إلى الخان فحدث بواب الخان بما قاله الأحدب فقال له قد فعل معك جميلا فلما أصبح الصباح لبس الغلام أفخر ثيابه وأخذ معه كيسا فيه دنانير وأتى إلى الأحدب فسلم عليه وجلس ثم قال له يا عم أنجز وعدى فقال له قم فى هذه الساعة وخذ ثلاث دجاجات سمان وثلاث أواق من السكر النبات وكوزين لطيفين واملأهما شرابا وخذ قدحا وضع ذلك فى كارة وأنزل بعد صلاة الصبح فى زورق مع ملاح وقل له أريد أن تذهب بى تحت البصرة فإن قال لك ما أقدر أن أعدى أكثر من فرسخ فقل له الرأى لك فإذا عدى فرغبة بالمال حتى يوصلك فإذا وصلت فأول بستان تراه فانه بستان السيدة جميلة فإذا رأيته فأذهب إلى بابه ترى درجتين عاليتين عليهما فرش من الديباج وجالس عليهما رجل أحدب مثلى فاشكو إليه حالك وتوسل به فعساه أن يرثى لحالك ويوصلك إلى أن تنظرها ولو نظرة من بعيد وما بيدى حيلة غير هذا وأما إذا لم يرث لحالك فقد هلكت أنا وأنت وهذا ما عندى من الرأى والأمر إلى الله تعالى فقال الغلام استعنت بالله ما شاء الله كان ولا حول ولا قوة إلا بالله ثم قام من عند الخياط الأحدب وذهب إلى حجرته وأخذ ما أمره به فى كارة لطيفة ثم أنه لما أصبح جاء إلى شاطىء الدجلة وإذا هو برجل ملاح نائم فايقظه وأعطاه عشرة دنانير وقال له عدنى إلى تحت البصرة فقال له يا سيدى بشرط أنى لا أعدى أكثر من فرسخ وأن تجاوزته شبرا هلكت أنا وأنت فقال له الرأى لك فأخذه وأنحدر به فلما قرب من البستان قال يا ولدى من هنا ما أقدر أن أعدى فإن تعديت هذا الحدّ هلكت أنا وأنت فاخرج له عشرة دنانير أخرى وقال له خذ هذه النفقة لتستعين بها على حالك فاستحى منه وقال سلمت الأمر لله تعالى وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة السادسة والخمسون بعد التسعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الغلام لما أعطى للملاح العشرة دنانير الأخرى أخذها وقال سلمت الأمر لله تعالى وانحدر به فلما وصل إلى البستان نهض الغلام من فرحته ووثب من الزورق وثبة مقدار رمية رمح ورمى نفسه فرجع الملاح هاربا ثم تقدم الغلام فرأى جميع ما وصفه له الأحدب من البستان ورأى بابه مفتوحا وفى الدهليز سرير من العاج جالس عليه رجل أحدب لطيف المنظر عليه ثياب مذهبة وفى يده دبوس

من فضة مطلـى بالذهب فنهض الغلام مسـرعا وانكب على يده وقبلهـا فقال له من أنت ومن أين أتـيت ومن أوصلـك إلى هاهنا يـا ولدى وكان ذلك الـرجل لما رأى إبراهـيم بن الخصيب انـبهر من جماله فقـال له إبراهيم يا عم أنـا صبى جاهل غريب ثم بـكى فرق له وأصعده على الـسرير ومسح له دموعه وقـال له لا بأس عليك ان كنت مـديونا قضى الله دينك وأن كـنت خائفا امن الله خـوفك فقال يا عم مـا بى خوف ولا على دين ومـعى مال جزيل بحمد الله وعونه فـقال له يا ولدى ما حاجتك حتى خاطرت بنـفسك وجمالك إلى محل فيه الهلاك فحكى له حكايته وشرح له أمره فلما سمع كلامه أطرق رأسه ساعة إلى الأرض وقال هل الذى ذلـك على الخياط الأحدب قـال له نعم قال هذا أخـى وهو رجل مبارك ثـم قال يا ولدى لـولا أن محبتـك نزلت فى قلـبى ورحمتـك لهلكـت أنت وأخى وبواب الخان وزوجته ثم قال أعلم أن هذا البستـان ما على وجه الأرض مثله وأنه يقال له بستان الـلؤلؤة وما دخله أحد مدة عـمرى إلا السلطان وأنا وصـاحبته جميلة وأقـمت فيه عشرين سـنة فما رأيت أحدا جـاء إلى هذا المكان وكل أربـعين يوما تأتى فـى المركب إلى هاهنا وتصعد بين جواريها فى حلة أطلس تحمل أطرافها عشر جوار بكلاليب من الذهـب إلى أن تدخل فلم أر منهـا شيئا ولكن أنا مالى إلا نفسى فأخاطر بهـا من أجلك فعند ذلك قبـل الغلام يـده فقال لـه أجلس عـندى حتى أدبـر لك أمرا ثـم أخذ بيـد الغلام وأدخـله البستان فلما رأى إبراهيم ذلك البستان ظن أنـه الجنة ورأى الأشجار ملتفة والنخيل باسقة والمياه متدفقة والاطيار تناغى بأصوات مختلفة ثم ذهب به إلى قبة وقال له هذه التى تقعد فيها السيدة جـميلة فتأمل تلك القبة فـوجدها من أعجب المتنزهات وفيهـا سائر التصاوير بالذهب واللازورد وفيهـا أربعة أبواب يصعد إليها بخمس درج وفى وسـطها بركة ينزل إليهـا بدرج من الذهـب وتلك الدرج مرصـعة بالمعـدن وفى وسط البركـة سلسبـيل من الذهب فيه صور كبـار وصغار والماء يخرج من أفواهها فإذا صفـقت الصور عند خروج الماء بأصوات مختلفة تـخيل لسامعها أنه فى الجنة وحول القبة ساقيـة قواديسها من الفضة وهى مكسوة بالديباج وعـلى يسار الساقية شباك من الفضة مطل عـلى برج أخضر فيه من سائر الـوحوش والغزلان والأرانـب وعلى يميـنها شباك مـطل على مـيدان فيه مـن سائر الطيور وكلها تغرد بأصوات مختلفـة تدهش السامع فلما رأى الغلام ذلك أخذه الطرب وقعد فى باب البستان وقعد البستانى بجانـبه فقال لى كيف ترى بستانى فقال له الغلام هو

جنة الدنيا فضحك البستاني ثم قام وغاب عنه ساعة وعاد ومعه طبق فيه دجاج وسمان ومأكول مليح وحلوى من السكر فوضعه بين يدى الغلام وقال له كل حتى تشبع قال إبراهيم فأكلت حتى اكتفيت فلما رآنى أكلت فرح وقال والله هكذا شأن الملوك أولاد الملوك ثم قال يا إبراهيم أى شيء معك فى هذه الكارة فحللتها بين يديه فقال أحملها معك فانها تنفعك إذا حضرت السيدة جميلة فانها إذا جاءت لا أقدر أن أدخل لك بما تأكل ثم قام وأخذ بيدى وأتى بى إلى مكان قبال قبة جميلة فعمل عريشة بين الأشجار وقال له اصعد هنا فإذا جاءت فانك تنظرها وهى لا تنظرك وهذا أكثر ما عندى من الحيلة وعلى الله الاعتماد فإذا غنت فاشرب على غنائها فإذا ذهبت فارجع من حيث جئت ان شاء الله مع السلامة فشكره الغلام وأراد أن يقبل يده فمنعه ثم أن الغلام وضع الكارة فى العريشة التى عملها له ثم قال له البستانى يا إبراهيم تفرج فى البستان وكل من أثماره فإن ميعاد حضور صاحبتك فى غد فصار إبراهيم يتنزه فى البستان ويأكل من أثماره وبات ليلته عنده فلما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح صلى إبراهيم الصبح وإذا بالبستانى جاءه وهو مصفر اللون وقال له قم يا ولدى واصعد إلى العريشة فإن الجوارى قد اتين ليفرشن المكان وهى تأتى بعدهن وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة السابعة والخمسون بعد التسعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الخولى لما دخل على إبراهيم ابن الخصيب فى البستان قال له قم يا ولدى أصعد إلى العريشة فإن الجوارى قد أتين ليفرشن المكان وهى تأتى بعدهن وأحذر من أن تبصق أو تمخط أو تعطس فنهلك أنا وأنت فقام الغلام وصعد إلى العريشة وذهب الخولى وهو يقول رزقك الله السلامة يا ولدى فبينما الغلام قاعد وإذا بخمس جوار أقبلن لم ير مثلهن أحد فدخلن القبة وقلعن ثيابهن وغسلن القبة ورششنها بماء الورد وأطلقن العود والعنبر وفرشن الديباج وأقبل بعدهن خمسون جارية ومعهن آلات الطرب وجميلة بينهن من داخل خيمة حمراء من الديباج والجوارى رافعات أذيال الخيمة بكلاليب من الذهب حتى دخلت القبة فلم ير الغلام منها ولا من أثوابها شيئاً فقال فى نفسه والله أنه ضاع جميع تعبى ولكن لابد لى من أن أصبر حتى أنظر كيف يكون

الأمر فقدمت الجوارى الأكل والشرب ثم أكلن وغسلن أيديهن ونصبن لها كرسيا فجلست عليه ثم ضربن بالات الملاهى جميعهن وغنين بأصوات مطربة لا مثل لهن ثم خرجت عجوز قهرمانة فصفقت ورقصت فجذبها الجوارى وإذا بالستر قد رفع وخرجت جميلة وهى تضحك فرأها إبراهيم وعليها الحلى والحلل وعلى رأسها تاج مرصع بالدر والجوهر وفي جيدها عقد من اللؤلؤ وفي وسطها منطقة من قضبان الزبرجد وحبالها من الياقوت واللؤلؤ فقام الجوارى وقبلن الأرض بين يديها وهى تضحك قال إبراهيم بن الخصيب فلما رأيتها غبت عن وجودي وأندهش عقلي وتحير فكرى بما بهرنى من جمال ولم يكن على وجه الأرض مثله ووقعت مغشيا على ثم أفقت باكى العينين وأنشدت هذين البيتين

أراك فلا أردّ الطرف كى لا　　　يكون حجاب رؤيتك الجفون
ولو أنى نظرت بكل لحظ　　　لما استوفت محاسنك العيون

فقالت العجوز للجوارى ليقم منكن عشرة يرقصن ويغنين فلما رأهن إبراهيم قال فى نفسه أشتهى أن ترقص السيدة جميلة فلما أنتهى رقص العشر جوارى أقبلن حولها وقلن يا سيدتنا نشتهى أن ترقصى فى هذا المجلس ليتم سرورنا بذلك لأننا ما رأينا أطيب من هذا اليوم فقال إبراهيم بن الخصيب فى نفسه لاشك أن أبواب السماء قد فتحت وأستجاب الله دعائى ثم قبل الجوارى أقدامها وقلن لها والله ما رأينا صدرك مشروحا مثل هذا اليوم فما زلن يرغبنها حتى قلعت أثوابها وصارت بقميص من نسيج الذهب مطرز بأنواع الجواهر وأبرزت نهودا كأنهن الرمان وأسفرت عن وجه كالبدر ليلة تمامه فرأى إبراهيم من الحركات مالم ير فى عمره مثله ولما أتت فى رقصها بأسلوب غريب وابتداع عجيب حتى انستنا رقص الحبب فى الكؤس وأذكرتنا ميل العمائم عن الرؤس وهى كما قال فيها الشاعر

كما أشتهت خلقت حتى إذا أعتدلت　　　فى قالب الحسن لا طول ولا قصر
كأنها خلقت من ماء لؤلؤة　　　فى كل جارحة من حسنها قمر

وكما قال الآخر

وراقص مثل غصن البان قامته تكاد تذهب روحي من تنقله
لا يستقر له في رقصة قدم كأنما نار قلبي تحت أرجله

قال إبراهيم فبينما أنا أنظر إليها إذ لاحت منها التفاتة إلى فرأتني فلما نظرتني تغير وجهها فقالت لجواريها غنوا أنتم حتى أجيء اليكن ثم عمدت إلى سكين قدر نصف ذراع وأخذتها واتت نحوي ثم قالت لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فلما قربت مني غبت عن الوجود فلما رأتني ووقع وجهها في وجهي وقعت السكين من يدها وقالت سبحان مقلب القلوب ثم قالت لي يا غلام طب نفسا ولك الأمان مما تخاف فصرت أبكي وهي تمسح دموعي بيدها وقالت يا غلام أخبرني من أنت وما جاء بك إلى هذا المكان فقبلت الأرض بين يديها ولزمت ذيلها فقالت لا بأس عليك فوالله ما ملأت عيني من ذكر غيرك فقل لي من أنت قال إبراهيم فحدثتها بحديثي من أوله إلى آخره فتعجبت من ذلك وقالت لي يا سيدي أناشدك الله هل أنت إبراهيم بن الخصيب قلت نعم فانكبت على وقالت يا سيدي أنت الذي زهدتني في الرجال لأنني لما سمعت أنه وجد في مصر صبي لم يكن على وجه الأرض أجمل منه هويتك بالوصف وتعلق قلبي بحبك لما بلغني عنك من الجمال الباهر وصرت فيك كما قال الشاعر

أذني لقد سبقت في عشقه بصري والأذن تعشق قبل العين أحيانا

فالحمد لله الذي أراني وجهك والله لو كان أحد غيرك لكنت صلبت البستاني وبواب الخان والخياط ومن يلوذ بهم ثم قالت لي كيف احتال على شيء تأكله من غير اطلاع جواري فقلت لها أن معي ما نأكل وما نشرب ثم حللت الكارة بين يديها فأخذت دجاجة وصارت تلقمني والقمها فلما رأيت ذلك منها توهمت أنه منام ثم قدمت الشراب فشربنا كل ذلك وهي عندي والجواري تغني ومازلنا كذلك من الصبح إلى الظهر ثم قامت وقالت قم الآن هيء لك مركبا وأنتظرني في المحل الفلاني حتى أجيء إليك فما بقي لي صبر على فراقك فقلت يا سيدتي أن معي مركبا وهي ملكي والملاحون في أجارتي وهم في انتظاري فقالت هذا هو المراد ثم مضت إلى الجواري وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الثامنة والخمسون بعد التسعمائة

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن السيدة جميلة لما مضت إلى الجوارى قالت لهن قمن بنا لنروح إلى قصرنا فقلن لها كيف نقوم فى هذه الساعة وعادتنا أننا نقعد ثلاثة أيام فقالت أنى أجد فى نفسي ثقلا عظيما كأنى مريضة وأخاف أن يثقل على ذلك فقلن لها سمعا وطاعة فلبسن ثيابهن ثم توجهن إلى الشاطىء ونزلن فى الزورق وإذا بالبستانى قد أقبل على إبراهيم وما عنده علم بالذى جرى له فقال يا إبراهيم مالك حظ فى التلذذ برؤيتها فإن من عادتها أن تقيم هنا ثلاثة أيام وأنا أخاف أن تكون رأتك فقال إبراهيم ما رأتنى ولا رأيتها ولا خرجت من القبة قال صدقت يا ولدى فأنها لو رأتك لكنا هلكنا ولكن أقعد عندى حتى تأتى فى الأسبوع الثانى وتراها وتشبع من النظر إليها فقال إبراهيم يا سيدى أن معى مالا وأخاف عليه وورائى رجال فأخاف أن يستغيبونى فقال يا ولدى أنه يعز على فراقك ثم عانقه وودعه ثم أن إبراهيم توجه إلى الخان الذى كان نازلا فيه وقابل بواب الخان وأخذ ماله فقال له بواب الخان خبر خيرا إن شاء الله فقال له إبراهيم أنى ما وجدت إلى حاجتى سبيلا وأريد أن أرجع إلى أهلى فبكى بواب الخان وودعه وحمل أمتعته ووصله إلى المركب وبعد ذلك توجه إلى المحل الذى قالت له عليه وأنتظرها فيه فلما جن الليل وإذا بها قد أقبلت عليه وهى فى زى رجل شجاع بلحية مستديرة ووسط مشدود بمنطقة وفى إحدى يديها قوس ونشاب وفى الأخرى سيف مجرد وقالت له هل أنت ابن الخصيب صاحب مصر فقال لها إبراهيم هو أنا فقالت له وأى علق أنت حتى جئت تفسد بنات الملوك قم كلم السلطان قال إبراهيم فوقعت مغشيا على وأما الملاحون فأنهم ماتو فى جلودهم من الخوف فلما رأت ما حل بى خلعت تلك اللحية ورمت السيف وحلت المنطقة فرأيتها هى السيدة جميلة فقلت لها والله أنك قطعت قلبى ثم قلت للملاحين أسرعوا فى سير المركب فحلوا الشراع وأسرعوا فى السير فما كان إلا أيام قلائل حتى وصلنا إلى بغداد وإذا بمركب واقفة على جانب الشط فلما رأنا الملاحون الذين فيها صاحوا على الملاحين الذين معنا وصاروا يقولون يا فلان ويا فلان نهنيكم بالسلامة ثم دفعوا مركبهم على مركبنا فنظرنا فإذا فيها أبو القاسم الصندلانى فلما رأنا

قال أن هذا هو مطلوبى أمضوا فى وداعة الله وأنا أريد التوجه إلى غرض وكان بين يديه شمعة ثم قال لى الحمد لله على السلامة هل قضيت حاجتك قلت نعم فقرب الشمعة منا فلما رأته جميلة تغير حالها وأصفر لونها ولما رآها الصندلانى قال أذهبوا فى أمان الله أنا رايح إلى البصرة فى مصلحة للسلطان ولكن الهدية لمن حضر ثم أحضر علبة من الحلويات ورماها فى مركبنا وكان فيها البنج فقال إبراهيم يا قرة عينى كلى من هذا فبكت وقالت يا إبراهيم أتدرى من هذا قلت نعم هذا فلان قالت أنه ابن عمى وكان سابقا خطبنى من والدى فما رضيت به وهو متوجه إلى البصرة فربما يعرف أبى بنا فقلت يا سيدتى هو لا يصل إلى البصرة حتى نصل نحن إلى الموصل ولم يعلما بما هو مخبؤ لهما فى الغيب فأكلت شيئاً من الحلاوة فما نزلت جوفى حتى ضربت الأرض برأسى فلما كان وقت السحر عطست فخرج البنج من منخرى وفتحت عينى فرأيت نفسى عريانا مرميا فى الخراب فلطمت على وجهى وقلت فى نفسى أن هذه حيلة عملها على الصندلانى فصرت لا أدرى أين أذهب وما على سوى سروال فقمت وتمشيت قليلا وإذا بالوالى أقبل على ومعه جماعة بسيوف ومطارق فخفت فرأيت حماما خربا فتواريت فيه فعترت رجلى فى شىء فوضعت يدى عليه فتلوثت بالدم فمسحتها فى سروالى ولم أعلم ما هو ثم مددت يدى إليه ثانيا فجاءت على القتيل وطلعت رأسه فى يدى فرميتها وقلت لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ثم دخلت زاوية من زوايا الحمام وإذا بالوالى وقف على باب الحمام وقال أدخلوا هذا المكان وفتشوا فدخل منهم عشرة بالمشاعل فمن خوفى دخلت وراء حائط فتأملت تلك المقتول فرأيته صبية ووجهها كالبدر ورأسها فى ناحية وجثتها فى ناحية وعليها ثياب ثمينة فلما رأيتها وقعت الرجفة فى قلبى ودخل الوالى وقال فتشوا جهات الحمام فدخلوا الموضع الذى أنا فيه فنظرنى رجل منهم فجاءنى وبيده سكين طولها نصف ذراع فلما قرب منى قال سبحان الله خالق هذا الوجه الحسن يا غلام من أين أنت ثم أخذ بيدى وقال يا غلام لأى شىء قتلت هذه المقتولة فقلت والله ما قتلتها ولا أعرف من قتلها وما دخلت هذا المكان إلا فزعا منكم وأخبرته بقصتى وقلت له بالله عليك لا تظلمنى فأنى مشغول بنفسى فأخذنى وقدمنى إلى الوالى فلما رأى على يدى أثر الدم قال هذا لا يحتاج إلى بينة فاضربوا عنقه وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة التاسعة والخمسون بعد التسعمائة

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن ابن الخصيب قال فلما قدموني إلى الوالي ورأى على يدي الدم قال هذا لا يحتاج إلى بينة فاضربوا عنقه فلما سمعت هذا الكلام بكيت بكاء شديدا وجرت مني دموع العين وأنشدت هذين البيتين

مشيناها خطى كتبت علينا ومن كتبت عليه خطى مشاها
ومن كان منيته بارض فليس يموت في أرض سواها

ثم شهقت شهقة فوقعت مغشيا على فرق لي قلب الجلاد وقال والله ما هذا وجه من قتل فقال الوالي اضربوا عنقه فاجلسوني في نطع الدم وشدوا على عيني غطاء وأخذ السياف سيفه واستأذن الوالي وأراد أن يضرب عنقي فصحت واغربتاه وإذا بخيل قد أقبلت وقائل يقول دعوه أمنع يدك يا سياف وكان لذلك سبب عجيب وأمر غريب وهو أن الخصيب صاحب مصر كان قد أرسل حاجبه إلى الخليفة هارون الرشيد ومعه هدايا وتحف وصحبته كتاب يذكر له فيه أن ولدي قد فقد مني منذ سنة وقد سمعت أنه ببغداد والمقصود من أنعام خليفة الله أن يفحص عن خبره ويجتهد في طلبه ويرسله إلى مع الحاجب فلما قرأ الخليفة الكتاب أمر الوالي أن يبحث عن حقيقة خبره فلم يزل الوالي والخليفة يسألان عنه حتى قيل له أنه بالبصرة فاخبر الخليفة بذلك فكتب الخليفة كتابا وأعطاه للحاجب المصري وأمره أن يسافر إلى البصرة وأن يأخذ معه جماعة من أتباع الوزير فمن حرص الحاجب على ولد سيده خرج من ساعته فوجد الغلام في نطع الدم مع الوالي فلما رأى الوالي الحاجب وعرفه ترجل إليه فقال له الحاجب ما هذا الغلام وما شأنه فأخبره بالخبر فقال الحاجب والحال أنه لم يعرف أنه ولد السلطان أن وجه هذا الغلام وجه من لا يقتل وأمره بحل وثاقه فحله فقال قدمه إلى فقدمه إليه وكان قد ذهب جماله من شدة ما قاساه من الأهوال فقال له الحاجب أخبرني بقضيتك يا غلام وما شأن هذه المقتولة معك فلما نظر إبراهيم إلى الحاجب عرفه فقال له ويلك أما تعرفني أما أنا إبراهيم ابن سيدك فلعلك جئت في طلبي فامعن الحاجب فيه النظر فعرفه غاية المعرفة

فلما عرفه أنكب علـى أقدامه فلما رأى الوالى ما حصل من الحاجـب أصفر لونه فقال له الحاجب ويلك يا جبـار هل كان مرادك أن تقتل ابن سيدى الخصيب صـاحب مصر فقبل الوالى ذيل الحـاجب وقال له يا مولاى مـن أين أعرفه وأنما رأينـاه على هذه الصفـة ورأينا الصبية مقتولة بـجانبه فقال له ويلك أنك لا تصلح للولاية هذا غـلام له من العمر خمسة عشر عاما وما قتل عصفورا فكيف يقتل قتـيلا هلا أمهلته وسألته عن حاله ثم قال الحاجب والوالى فـتشوا على قـاتل الصبيـة فدخلوا الحمام ثـانيا فرؤا قاتـلها فاخذوه وأتـوا به إلى الوالى فأخـذه وتوجه به إلى دار الخلافة وأعـلم الخليفة بما جـرى فأمر الرشيد بقـتل قاتل الصبية ثم أمر باحضـار ابن الخصيب فلما تمثل بين يديه تبسم الـرشيد فى وجهة وقال له أخبرنى بقضيتك وما جرى لك فحدثه بحـديثه من أوله إلى آخره فعظم ذلك عنده فنادى مسرورا الـسياف وقال أذهب فـى هذه الساعة وأهـجم على دار أبـى القاسم الصـندلانى وأتنى به وبالصبيـة فمضى من ساعته وهجم على داره فرأى الصبـية فى وثاق من شعرها وهى فى حالة التلف فحـلها مسرور وأتى بها وبالصندلانى فلما رأهـا الرشيد تعجب من جمالها ثم التفت إلى الصندلانى وقال خذوه وأقطعوا يديه الذى ضرب بهما هذه الصبية وأصلبـوه وسلموا أموالـه وأملاكه إلى إبراهـيم ففعـلوا ذلك فبيـنماهم كذلـك وإذا بأبى الليث عامل البصرة والد الـسيدة جميلة قد أقبل عليهم يستغيث بـالخليفة من إبراهيم بن الخصـيب صاحـب مصر ويشـكو إليـه أنه أخذ ابـنته فـقال له الـرشيد أنه كـان سببـا فى خلاصها من العذاب والـقتل وأمر باحضار ابن الخصيب فلما حـضر قال لأبى الليث ألا ترضى أن يكون هـذا الغلام ابن سلطان مصر بـعلا لابنتك فقال سمعـا وطاعة لله ولك يا أمير المؤمنين فدعا الخليفة بالقاضى والـشهود وزوج الصبية بابراهيم بن الخصيب ووهب له جميع أموال الصندلانى وجهزه إلـى بلاده وعاش معها فى أتم سرور واوفى حبور إلى أن أتاهم هادم اللذات ومـفرق الجماعات فسبحان الحى الذى لا يموت وممـا يحكى أيضا أيها الملك السعيد أن المـعتضد بالله كان عالى الهمة شريف النفس وكـان له ببغداد ستمائة وزير وما كان يـخفى عليه مـن أمور الناس شيء فخرج يـوما هو وابن حمدون يـتفرجان على الرعايا ويسمعان ما يتجدّد من أخبار الناس فحمى عليهم الحر والبعير وقد انتهيا إلى

زقاق لطيف فى شارع فدخلا ذلك الزقاق فرأيا فى صدر الزقاق دارا حسنة شامخة البناء تفصح عن صاحبها بلسان الثناء فقعدا على الباب يستريحان فخرج من تلك الدار خادمان كالقمرين فى ليلة أربع عشرة فقال أحدهما لصاحبه لو استأذن اليوم ضيف لأن سيدى لم يأكل إلا مع الضيفان وقد صرنا إلى هذا الوقت ولم أر أحدا فتعجب الخليفة من كلامهما وقال أن هذا دليل على كرم صاحب الدار ولابد أن ندخل داره وننظر مرؤته ويكون ذلك سببا فى نعمة تصل إليه منا ثم قال للخادم استأذن سيدك فى قدوم جماعة أغراب وكان الخليفة فى ذلك الزمان إذا أراد الفرجة على الرعية تنكر فى زى التجار فدخل الخادم على سيده وأخبره ففرح وقام وخرج إليهما بنفسه وإذابه جميل الوجه حسن الصورة وعليه قميص نيسابورى ورداء مذهب وهو مضمخ بالطيب وفى يده خاتم من الياقوت فلما رآهما قال أهلا وسهلا بالسادة المنعمين علينا غاية الانعام بقدومهم فلما دخلا تلك الدار رأياها تنسى الأهل والأوطان كأنها قطعة من الجنان وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الموفية للستين بعد التسعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الخليفة لما دخل الدار هو ومن معه رأياها تنسى الأهل والأوطان كأنها قطعة من الجنان ومن داخلها بستان فيه من سائر الأشجار وهى تدهش الأبصار وأماكنها مفروشة بنفايس الفرش فجلسوا وجلس المعتضد يتأمل الدار والفرش فقال ابن حمدون فنظرت إلى الخليفة فرأيت وجهه قد تغير وكنت أعرف من وجهه حال الرضى والغضب فلما رأيته قلت فى نفسى يا ترى ما باله حتى غضب ثم جاؤا بطشت من الذهب فغسلنا أيدينا ثم جاؤا بسفرة من الحرير وعليها مائد من الخيزران فلما أنكشفت الاغطية عن الأوانى رأينا طعاما كزهر الربيع فى عز الأوان صنوانا وغير صنوان ثم قال صاحب الدار بسم الله يا سادتنا والله أن الجوع قد أمضنى فانعموا على بالأكل من هذا الطعام كما هو أخلاق الكرام وصار صاحب الدار يفسخ الدجاج ويضعه بين أيدينا ويضحك وينشد الأشعار ويورد الأخبار ويتكلم بلطائف ما يليق بالمجلس قال ابن حمدون فأكلنا وشربنا ثم نقلنا إلى مجلس آخر يدهش الناظرين تفوح منه الروايح

الزكية ثم قدم لنا سفرة فاكهة جنية وحلويات شهية فزادت أفراحنا وزالت أتراحنا قال ابن حمدون ومع ذلك لم يزل الخليفة فى عبوس ولم يتبسم لما فيه فرح النفوس مع أن عادته أنه يحب اللهو والطرب ودفع الهموم وأنا أعرف أنه غير حسود ولا ظلوم فقلت فى نفسى يا ترى ما سبب عبوسه وعدم زوال بؤسه ثم جاؤا بطبق الشراب ومجمع شمل الأحباب وأحضروا الشراب المروق وبواطى الذهب والبلور والفضة وضرب صاحب الدار على باب مقصورة بقضيب من الخيزران وإذا بباب المقصورة قد فتح وخرج منه ثلاث جوار نهد ابكار وجوههن كالشمس فى رابعة النهار وتلك الجوارى ما بين عوادة وجنكية ورقاصة ثم قدم لنا النقل والفواكه قال ابن حمدون فضرب بيننا وبين الثلاث جوار ستارة من الديباج وشراريبها من الابريسم وحلقاتها من الذهب فلم يلتفت الخليفة إلى هذا جميعه وصاحب الدار لم يعلم من هو الذى عنده فقال الخليفة لصاحب الدار أشريف أنت قال لا يا سيدى إنما أنا رجل من أولاد التجار أعرف بين الناس بأبى الحسن على بن أحمد الخراسانى فقال له الخليفة أتعرفنى يا رجل قال والله يا سيدى لم يكن لى معرفة بأحد من جنابكم الكريم فقال له ابن حمدون يا رجل هذا أمير المؤمنين المعتضد بالله حفيد المتوكل على الله فقام الرجل وقبل الأرض بين يدى الخليفة وهو يرتعد من خوفه وقال يا أمير المؤمنين بحق أبائك الطاهرين أن كنت رأيت منى تقصيرا وقلة أدب بحضرتك أن تعفو عنى فقال الخليفة أما ما صنعته معنا من الأكرام فلا مزيد عليه وأما ما أنكرته عليك هنا فأن أصدقتنى حديثه وأستقر ذلك بعقلى نجوت منى وأن لم تعرفنى حقيقته أخذتك بحجة واضحة وعذبتك عذابا لم أعذب أحدا مثله قال معاذ الله أن أحدث بالمحال وما الذى أنكرته على يا أمير المؤمنين فقال الخليفة أنا من حين دخلت الدار وأنا أنظر إلى حسنها واوانيها وفراشها وزينتها حتى ثيابك فإذا عليها اسم جدى المتوكل على الله قال نعم أعلم يا أمير المؤمنين أيدك الله أن الحق شعارك والصدق رداؤك ولا قدرة لأحد على أن يتكلم بغير الصدق فى حضرتك فأمره بالجلوس فجلس فقال له حدثنى فقال أعلم يا أمير المؤمنين أيدك الله بنصره وحفك بلطائف أمره أنه لم يكن ببغداد

أحد أيسر مني ولا مـن أبي ولكن أخل لى ذهنك وسمعك وبصرك حـتى احدثك بسبب مالنكرتـه على فقال له الخـليفة قل حديثـك فقال اعلم ياأمـير المؤمنين انه كـان أبي بسوق الصيارف والعطاريـن والبزارين وكان له في كل سوق حانوت ووكيـل وبضائع من سائر الأصنـاف وكان له حجـرة من داخل الدكـان التي بسـوق الصيارف لاجـل الخلوة فيـها وجعل الدكان لاجل البـيع والشراء وكان ماله يكثر عن العد ويزيـد عن الحد ولم يكن له ولد غيـرى وكان محبا لـى وشفوقا عـلى فلما حـضرته الوفاة دعـانى وأوصانى بـوالدتى وبتقوى الله تعالى ثم مات رحمه الله تعالى وابقى امير المؤمنين فاشتغلت باللذات واكلت وشربت ثم اتخـذت الاصحاب والاصدقاء وكانت امى تـنهانى عن ذلك وتلومـنى عليه فلم اسمع منها كلاما حتى ذهب المال جميعه وبعت العقارات ولم يبق لى شئ غير الدار التى أنـا فيها وكانت دارا حـسنة ياامير المـؤمنين فقلـت لأمى اريد أن ابيع الدار فـقالت : ياولدى إن بعتها تفـتضح ولا تعرف لك مكانا نأوى إليه فقلـت هى تساوى خمسة آلاف دينار فاشترى من جملة ثمنها دارا بألف دينـار ثم اتجر بالباقى ، فقالت اتبيعنى هذه الدار بهذا المـقدار قلت نـعم فجاءت إلـى طابق وفتـحته واخرجـت منه إناء مـن الصينـى فيه خمسة آلاف دينار فتـخيل لى أن الدار كلها ذهب فقالت لـى ياولدى لا تظن ان هذا المال مال ابيـك والله ياولدى انه من مـال ابى وكنت ادخرتـه لوقت الحاجـة إليه فإنى كـنت فى زمن ابيـك غنية عن الاحتـياج إلى هذا المال فـأخذت المال منهـا ياامير المؤمنـين وعدت لما كنت علـيه من المأكل والمشرب والـصحبة حتى نـفدت الخمسة آلاف دينار ولـم اقبل من امى كلاما ولا نصيحة ثم قلت لها مرادى ان ابـيع الدار ، فقالت : ياولدى قد نهيتك عن بيعها لـعلمى أنك محتاج إلـيها فكيف تريد بـيعها ثانيا ، فقـلت لها لا تطيلى عـلى الكلام فلابد من بيعها ، فقالت بعنى اياها بخـمسة عشر ألف دينار بشرط ان اتولى امورك بنفسى ، فبعتـها لها بذلك المـبلغ على ان تتولـى امورى بنفسهـا فطلبت وكلاء أبـى واعطت كل واحد منهم ألف دينار وجعلت المال تحت يدها والأخذ والعطاء معها واعطتنى بعضها من المال لاتجر فيه، وقـالت لى اقعد انت فى دكان ابيك فـفعلت بما قالت امى ياامـير المؤمنين وجئت إلي الحجرة التـى فى سوق الصيارف وجاء اصحابى وصاروا يشـترون منى وابيع لهم وطاب لى الربح وكثر مالى فلما رأتنى امى على تلك الحالة الحسنة اظهرت لى ماكان مدخرا عندهـا من جوهر ومعدن ولؤلؤ وذهـب ثم عادت لى املاكى التى كـان وقع فيها

التفـريظ وكثر مالـى كما كان ومـكثت على هـذ الحال مدة وجاء وكلاء أبـى فاعطيـتهم البضـائع ثم بنيت حـجرة ثانية من داخـل الدكان فبينـما أنا قاعد فيـها على عادتى يـاامير المؤمنين وإذا بجارية قد أقـبلت على لم تر العيون اجمل منها منـظرا فقالت : هذه حجرة أبى الحسـن على بن احمد الخـراسانى قلت لهــا نعـم ، قـالت اين هو ؟ فقلـت : هو أنا ولكن انـدهش عقلى مـن فرط جمالهــا ياامير المـؤمنين ، ثم انهـا جلست وقالـت لى قل لغـلامك يـزن لى ثلاثـمائـة دينار فـامرتـه ان يزن لـها ذلك المـقدار فـوزنه لهـا فاخـذته وانصرفت ، وأنا ذاهل العقل ، فقال لى غلامـى : اتعرفها ، قلت لا والله ، قال : فلم قلت لى زن لهـا فقلت : والله إنـى لم أدر ما أقول ممابـهرنى من حـسنها وجمـالها فقـام الغلام وتبعها من غير عـلمى ثم رجع وهو يبكى وبوجهه أثر ضربة ، فقـلت له : مابالك قال أنى تبـعت الجارية لانـتظر اين تـذهب ، فلمـا احست بى رجـعت وضربتـنى هذه الضـربة ، فكادت ان تتلف عينى ثم مكثت شهرا لـم أرها ولم تأت وأنا ذاهل العقل فى هواها ياامير المؤمنين فلما كان اخر الشهر وإذا بها جاءت وسلمت على فكدت ان اطير فرحا فسألتنى عن خـبرى وقلـت لعلـك قلت فـى نفسـك ماشـأن هـذه المحـتالة ، كـيف اخذت مـالى وانصـرف ، فقلـت : والله ياسـيدتى ان مـالى وروحى مـلك لك فـاسفـرت عن وجهـها وجلـست لتسـتريح والحلـى والحلل تلـعب على وجـهها وصدرهـا ثم قالت لـى زن لى ثلاثمائة دينار ، فقلت : سمعا وطاعة ، ثم وزنت لـها الدنانير فاخذتها وانصرفت فقلت للغلام اتبعها فتـبعها ثم عاد وهو مبهوت ومضت مدة وهى لم تأت فـبينما أنا جالس فى بعض الأيام وإذا بـها قد اقبلت علـى وتحدثت ساعة ثم قـالت لى زن لى خمسمـائة دينار فإنى قد احتجت إليها فاردت أن أقول لها علـى أى شئ اعطيك مالى فمنعنى فرط الغرام من الكلام وأنا ياأمير المؤمـنين كلما رأيتها ترتعد مفاصلى ويصـفر لونى وانسى ماأريد أن اقول واصير كما قال الشاعر

فـمـاهـو إلا أن أراهـا فـجـاءة فـابـهـت حـتـى لا اكـاد اجـيـب

ثم وزنت لهـا الخمسمائة ديـنار فأخذتها وانـصرفت ، فقمت وتـبعتها بنـفسى إلى أن وصلت إلى سوق الجواهـر فوقفت على انسان فاخذتـه منه عقدا والتفتت فرأتـنى فقالت زن لى خمسمائة دينار ، فلما نظرنى صاحب العقد قام إلى وعظمنى قلت له اعطها العقد وثمـنه على فـقال: سمـعا وطاعة ، فـاخذت العقـد وانصرفـت وادرك شهرزاد الصـباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة الحادية والستون بعد التسعمائة

قالت : بلغني أيها الملك السعيد أن أبا الحسن الخراساني قال : فقلت له اعطها العقد وثمنه علي ، فاخذت العقد وانصرفت فتبعتها حتى جاءت إلى الدجلة ونزلت في مركب فاوميت إلى الأرض لاقبلها بين يديها فذهبت وضحكت ومكثت واقفا انظرها إلى ان دخلت قصرا فتأملته فإذا هو قصر الخليفة المتوكل فرجعت ياامير المؤمنين وقد حل بقلبي كل هم في الدنيا وكانت قد اخذت مني ثلاثة آلاف دينار فقلت في نفسي قد اخذت مالي وسلبت عقلي وربما تلفت نفسي في هواها ثم رجعت إلى داري وقد حدثت امي بجميع ماجرى لي فقالت لي : ياولدي اياك أن تتعرض لها بعد ذلك فتهلك ، فلما رحت إلي دكاني جاءني وكيلي الذي بسوق العطارين وكان شيخاً كبيرا ، فقال لي ياسيدي مالي اراك متغير الحال يظهر عليك اثر الكآبة فحدثني بخبرك فحدثته بجميع ماجرى لي معها فقال لي : ياولدي ان هذه من جواري قصر امير المؤمنين وهي محظية الخطيفة فاحتسب المال لله تعالى ولا تشغل نفسك بها ، وإذا جاءتك فاحذر ان تتعرض لك واعلمني بذلك حتى ادبر لك أمر لئلا يحصل لك تلف ، ثم تركني وذهب وفي قلبي لهيب النار فلما كان آخر الشهر وإذا بها قد اقبلت على ففرحت بها غاية الفرح فقالت لي ماحملك على أن تتبعني ، قلت لها حملني على ذلك فرط الوجد الذي بقلبي وبكيت بين يدها فبكت رحمة لي وقالت والله مافي قلبك شئ من الغرام إلا وفي قلبي اكثر منه ولكن كيف اعمل والله مالي من سبيل غير أني اراك في كل شهر مرة ثم دفعت إلي ورقة وقالت خذ هذه إلى فلان الفلاني فإنه وكيلي واقبض منه مافيها قلت ليس لي حاجة بمال ومالي وروحي فداك ، فقالت سوف ادبر لك امرا يكون فيه وصولك إلي وإن كان فيه تعب لي ثم ودعتني وانصرفت فجئت إلى الشيخ العطار واخبرته بما جرى لي فجاء معي إلى دار المتوكل فرأيتها هي المكان الذي دخلت فيه الجارية فصار الشيخ العطار متحيراً في حيلة يفعلها ثم التفت فرأى خياطا قبال الشباك المطل على الشاطئ وعنده صناع فقال بهذا تنال مرادك ولكن افتق جيبك وتقدم إليه وقل له أن يخيطه لك فإذا خاطه فادفع له عشرة دنانير فقلت له سمعا وطاعة ثم توجهت إلى ذلك الخياط واخذت معي شقتين من الديباج الرومي وقلت له فصل هاتين اربعة ملابس اثنين فرجية واثنين غير فرجية ، فلما فرغ من

تفصيل الملابس وخياطتها اعطيته اجرته زيادة عن العادة بكثير ثم مد يده إلى بتلك الملابس ، فقلت خذها لك ولمن حضر عندك وصرت اقعد عنده واطيل القعود معه ثم فصلت عنده غيرها ، وقلت له علقه على وجه الدكان لمن ينظره فيشتريه ففعل وصار كل من خرج من قصر الخليفة واعجبه من الملابس وهبته له حتى البواب فقال لى الخياط يوما من الأيام اريد ياولدى ان تصدقنى حديثك لانك فصلت عندى مائة حلة ثمينة وكل حلة تساوى جملة من المال ووهبت غالبها للناس وهذا ماهو فعل تاجر ، لان التاجر يحاسب على الدرهم ومامقدار رأس مالك حتى تعطى هذه العطايا ومايكون مكسبك فى كل عام فاخبرنى خبرا صحيحاً حتى اعاونك على مرادك ثم قال : اناشدك الله اما انت عاشق قلت نعم ، فقال لمن قلت لجارية من جوارى قصر الخليفة ، فقال قبحهن الله كم يفتن الناس ثم قال لى هل تعرف اسمها قلت لا ، فقال صفها لى ، فوصفتها له فقال ويلاه هذه عوادة الخليفة المتوكل المحظية عنده لكن لها مملوك فاجعل بينك وبينه صداقة لعله يكون سببا فى اتصالك بها فبينما نحن فى الحديث وإذا بالمملوك مقبل من باب الخليفة وهو كأنه القمر فى ليلة اربع عشرة وبين يدى الثياب التى خاطها لى الخياط وكانت من الديباج من سائر الألوان فصار ينظر إليها ويتأمل ثم أقبل على فقمت إليه وسلمت عليه فقال من انت ، فقلت رجل من التجار قال اتبيع هذه الثياب قلت نعم ، فاخذ منها خمسة وقال بكم هذ الخمسة ، فقلت هى هدية منى إليك عقد صحبة بينى وبينك ففرح بها ثم جئت إلى بيتى وأخذت له ملبوسا مرصعاً بالجواهر واليواقيت قيمته ثلاثة آلاف دينار وتوجهت به إليه فقبله منى ثم اخذنى ودخل بى حجرة فى داخل القصر وقال لى فما اسمك بين التجار فقلت له رجل منهم ، فقال : قد رابنى امرك ، فقلت لماذا ؟ قال لأنك اهديت لى شيئا كثيراً ملكت به قلبى وقد صح عندى انك ابو الحسن الخراسانى الصيرفى فبكيت ياامير المؤمنين فقال لى : لم تبك فوالله ان التى تبكى من اجلها عندها من الغرام بك اكثر مما عندك من الغرام بها واعظم وقد شاع عند جميع جوارى القصر خبرها معك ثم قال لى واى شئ تريد ، فقلت اريد انك تساعدنى على بليتى فوعدنى إلى غد فمضيت إلى دارى فلما اصبحت توجهت إليه ودخلت حجرته فلما جاء قال اعلم انها لما فرغت من خدمتها عند الخليفة بالامس ودخلت حجرتها حدثتها بحديثك جميعه وقد عزمت على الإجتماع بك فاقعد عندى إلى آخر النهار فقعدت عنده فلما جن الليل وإذا بالمملوك أتى

ومعه قميص منسوج من الذهب وحلة من حلل الخليفة فالبسنى اياها وبخرنى فصرت اشبه الخليفة ثم اخذنى إلى محل فيه الحجر صفين من الجانبين وقال لى هذه حجر الجوارى الخاص فإذا مررت عليها فضع على كل باب من الابواب حبة من الفول لان من عادة الخليفة ان يفعل هكذا فى كل ليلة وادرك شهرزاد الصباح عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة الثانية والستون بعد التسعمائة

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن المملوك لما قال لابى الحسن فإذا مررت عليها فضع على كل باب من الأبواب حبة من الفول لان من عادة الخليفة ان يفعل هكذا إلى ان تأتى إلى الدرب الثانى الذى على يدك اليمنى فترى حجرة عتبة بابها من المرمر فإذا وصلت إليها فمسها بيدك وان شئت فعد الأبواب فهى كذا وكذا بابا فادخل الباب الذى علامته كذا وكذا فتراك صاحبتك وتأخذك عندها وأما خروجك فإن الله يهون على فيه ولو اخرجك فى صندوق ، ثم تركنى ورجع وصرت امشى واعد الأبواب واضع على كل باب حبة فول فلما صرت فى وسط الحجر سمعت ضجة عظيمة ورأيت ضوء شموع واقبل ذلك الضوء نحوى حتى قرب منى فتأمتله فإذا هو الخليفة وحوله الجوارى ومعهن الشمع فسمعت واحدة منهن تقول لصاحبتها يااختى هل نحن لنا خليفتان ان الخليفة قد جاز على حجرتى وشممت منه رايحة العطر والطيب ووضع حبة الفول على حجرتى كعادته وفى هذه الساعة ارى ضوء شموع الخليفة وهاهو مقبل معه فقالت ان هذا أمر عجيب لان التزيي بزى الخليفة لا يجسر عليه احد ثم قرب الضوء منى فارتعدت اعضائى وإذا بخادم يصيح على الجوارى ويقول هنا فانعطفوا إلى حجرة من الحجر ودخلوا ثم خرجوا ومشوا حتى وصلوا إلى بيت صاحبتى فسمعت الخليفة يقول هذه حجرة من ، فقالوا هذه حجرة شجرة الدر ، فقال نادوها فنادوها فخرجت وقبلت اقدام الخليفة ، فقال لها اتشربين الليلة ، فقالت : ان لم يكن لحضرتك والنظر إلى طلعتك فلا اشرب فإننى لا اميل إلى الشراب فى هذه الليلة فقال للخادم قل للخازن يدفع لها العقد الفلانى ثم أمر بالدخول إلى حجرتها فدخلت وبين يديه الشموع وإذا بجارية امامهم وضوء وجهها غالب على ضوء الشمعة التى بيدها فقربت منى وقالت من هذا ثم قبضت على واخذتنى إلى حجرة من الحجر وقالت لى من أنت فقبلت الأرض بين يديها وقلت

لها اناشدك الله يامولاتي ان تحقني دمي وترحميني وتتقربي إلى الله بانقاذ مهجتي وبكيت فزعا من الموت فقالت لاشك انك لص فقلت لا والله ماأنا لص فهل ترى على اثر اللصوص ، فقالت اصدقني خبرك وأنا اجعلك في امان فقلت أنا عاشق جاهل احمق قد حملتني الصبابة وجهلي على ماترين مني حتي وقعت في هذه الورطة ، فقالت قف هنا حتى اجيئ إليك ثم خرجت وجاءتني بثياب جارية من جواريها والبستني تلك الثياب في تلك الزاوية وقالت اخرج خلفي فخرجت خلفها حتى وصلت إلى حجرتها وقالت ادخل هنا فدخلت حجرتها فجاءت بي إلى سرير وعليه فرش عظيم وقالت اجلس لا بأس عليك أما انت أبو الحسن الخراساني الصيرفي قلت بلى قالت : قد حقن الله دمك ان كنت صادقا ولم تكن لصا فانك تهلك لاسيما وانت في ذي الخليفة ولباسه وبخوره وأما أن كنت أبا الحسن علي الخراساني الصيرفي فإنك قد امنت ولا بأس عليك لانك صاحب شجرة الدر التي هي اختي فإنها لا تقطع ذكرك ابدا وتخبرنا كيف اخذت منك المال ولم تتغير وكيف جئت خلفها إلى الشاطئ واوميت لها إلى الأرض تعظيما وفي قلبها منك النار اكثر مما في قلبك منها ولكن كيف وصلت إلى هاهنا ابامرها أم بغير امرها ، بل خاطرت بنفسك ومامرادك من الاجتماع بها، فقلت والله ياسيدتي إني أنا الذي خاطرت بنفسي وماغرضي من الاجتماع بها إلا النظر والاستماع لحديثها ، فقالت : احسنت فقلت ياسيدتي الله شهيد على ماأقول ان نفسي لم تحدثني في شأنها بمعصية ، فقالت بهذه النية نجاك الله ووقعت رحمتك في قلبي ثم قالت لجاريتها يافلانة امضي إلى شجرة الدر وقولي لها ان اختك تسلم عليك وتدعوك فتفضلي عندها في هذه الليلة على جري عادتك فإن صدرها ضيق فتوجهت إليها ثم عادت وخبرتها انها تقول متعني الله بطول حياتك وجعلني فداك والله لو دعوتني إلى غير هذا ماتوقفت لكن يضرني صداع الخليفة وانت تعلمين منزلتي عنده فقالت للجارية ارجعي إليها وقولي لها انه لابد من حضورك لسر بينك وبينها فتوجهت الجارية وبعد ساعة جاءت مع الجارية ووجهها يضئ كأنه البدر فقابلتها واعتنقتها وقالت ياابا الحسن اخرج إليها وقبل يديها وكنت في مخدع في داخل الحجرة فخرجت إليها ياامير المؤمنين ، فلما رأتني القت نفسها على وضمتني إلى صدرها وقالت لي كيف صرت بلباس الخليفة وزينته وبخوره ثم قالت حدثني بما جرى لك فحدثتها بما جرى لي وبما قاسيته من خوف وغيره ، فقالت يعز على ماقاسيته

من أجلي والحمد لله الذى جعل العاقبة إلى السلامة وتمام السلامة دخولك فى منزلى ومنزل اختى ثم اخذتنى إلي حجرتها ، وقالت لاختها انى قد عاهدته ان لا اجتمع معه فى الحرام ولكن كما خاطر بنفسه وارتكب هذا الهول لاكونن ارضا لوطئ قدميه وترابا لنعلية وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة الثالثة والستون بعد التسعمائة

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الجارية قالت لاختها انى قد عاهدته إنى لا اجتمع معه فى الحرام ولكن كما خاطر بنفسه وارتكب هذه الاهوال لاكونن ارضا لوطئ قدميه وترابا لنعليه ، فقالت لها اختها ، بهذه النية نجاه الله تعالى فقالت سوف ترين ماأصنع حتى اجتمع معه فى الحلال ، فلابد ان ابذل مهجتى فى التحيل على ذلك فبينما نحن فى الحديث وإذا بضجة عظيمة فالتفتنا فرأينا الخليفة قد جاء يريد حجرتها من كثرة ماهو كاف بها فاخذتنى ياامير المؤمنين وحطتنى فى سرداب وطبقته على وخرجت تقابل الخليفة فلاقته ثم جلس فوقفت بين يديه وخدمته ثم امرت باحضار الشراب وكان الخليفة يحب جارية اسمها البنجة وهى ام المعتز بالله وكانت تلك الجارية قد هجرته وهجرها فلعز الحسن والجمال لا تصالحه والمتوكل لعزة الخلافة والملك لا يصالحها ولا يكسر نفسه لها مع ان فى قلبه منها لهيب النار ولكنه تشاغل عنها بنظرائها من الجوارى والدخول إليهن فى حجراتهن وكان يحب غناء شجرة الدر فامرها بالغناء فأخذت العود وشدت الاوتار وغنت بهذه الأشعار .

عجبت لسعى الدهر بينى وبينها ... فلما انقضى مابيننا سكن الدهر
هجرتك حتى قيل لا يعرف الهوى ... وزرتك حتى قيل ليس له صبر
فيا حبها زدنى جوى كل ليلة ... ويا سلوة الأيام موعدك الحشر
لها بشر مثل الحرير ومنطق ... رخيم الحواشى لا هراء ولا نذر
وعينان قال الله كونا فكانتا ... فعولان بالالباب ماتفعل الخمر

فلما سمعها الخليفة طرب طربا شديداً وطربت أنا ياامير المؤمنين فى السرداب ولولا لطف الله تعالى لصحت وافتضحنا ثم انشدت ايضا هذه الأبيات :

اعــانقـه والـنـفس بـعـد مـشـوقـة   إلـيـه وهــل يـعـد الـعــنـاق تـدان
والـثــم فـاه كــى تـزول حــرارتـي   فـيـشـتـد مـاالـقـى مـن الـهـيـمـان
كـأن فـوادى لـيـس يـبـرى غـلـيـلـه   سـوى ان تـرى الـروحان يمـتـزجـان

فطرب الخليفـة وقال تمنى علي ياشجرة الدر فقـالت اتمنى عليك عتقى يـاامير المؤمنين لما فيـه من الثواب فـقال انت حرة لـوجة الله تعالـى فقبلـت الأرض بين يديه فـقال خذى العود وقولـى لنا شيئاً فى شأن جـاريتى التى انا متعـلق بهواها والناس تطـلب رضاى وانا اطلب رضاها فاخذت العود وانشدت هذين البيتين :

اياربـة الحسـن التـى اذهبـت نسـكي   عـلى كـل احوالـى فـلابد لـى منـك
فـامـا بـــذل وهـو الـيـق بــالـهـوى   وامـا بـعـز وهـو الــيـق بـالمـلـك

فطرب الخـليفة وقـال خذى العود وغـنى شعر يـتضمن شـرح حالى مع ثـلاث جوار ملكن قيادي ومنـعن رقادى وهن انت وتلك الجارية الهاجرة واخرى لا اسمـيها ليس لها مناظرة فاخذت العود واطربت النغمات وانشدت هذه الأبيات :

مـلـك الثـلاث الـغـانـيـات عنـانـي   وحـلـلـن مـن قـلـبـى اعـز مـكـانـي
مـالـى مـطـاع فـى الــبـريـة كـلـهـا   واطـيـعـهـن وهـن فـى عـصـيـانـي
مـــاذاك إلا ان سـلـــطـــان الـهـــوى   وبـه غـلـبن اعـز مــن سـلـطـــانـي

فتعجب الخليفة من موافقة هذا الشعر لحاله غاية العجب ومال به إلى مصالحة الجارية الهـاجرة الطـرب ثم خرج وقصـد حجرتـها فسـبقت جـاريه واخبـرتها بقـدوم الخليـفة فاستقبلته وقبلت الأرض بين يديه ثم قبلـت قدميه فصالحها وصالحته هذا ماكان من امره واما ماكـان من امر شجـرة الدر فإنها جـاءت إلى وهى فرحـانة وقالت انـى صرت حرة بقدومك المبارك ولعل الله يعينني على مـاأدبره حتى اجتمع بك فى الحلال فقلت : الحمد لله فبينما نحن فى الحديث وإذا بخادمها قددخل عـلينا فحدثناه بما جرى لنا فقال الحمد لله الذى جعل اخره خيرا ونسأل الله ان يتم ذلك بخروجك سالما فبينما نحن فى الحديث وإذا

بالجارية اختها قد جاءت وكانت اسمها فاتر فقالت يااختى كيف تعمل حتى نخرجه من القصر سالما فإن الله تعالى من على بالعتق وصرت حرة ببركة قدومه ، فقالت لها ليس لى حيلة فى خروجه إلا بان البسه ثياب النساء ، ثم جاءت ببدلة من ثياب النساء فالبستنيها ثم خرجت ياامير المؤمنين فى ذلك الوقت فلما جئت إلى وسط القصر وإذا بامير المؤمنين جالس والخدم بين يديه فنظر إلى وانكرنى غاية الانكار ، فقال لحاشيته اسرعوا وأتونى بهذه الجارية الذاهبة فلما اتوا بى رفعوا نقابى فلما رآنى عرفنى وسألنى فاخبرته بالخبر ولم اخف عليه شيئا فلما سمع حديثى تفكر فى امرى ثم قام من وقته وساعته ودخل حجرة شجرة الدر فقال كيف تختارين علي بعض اولاد التجار ، فقبلت الأرض بين يديه وحدثته بحديثها من اوله إلى آخره على وجه الصدق فلما سمع كلامها رحمها ورق قلبه لها وعذرها فى العشق واحواله ثم انصرف ودخل عليها خادمها وقال لها طيبى نفسك ان صاحبك لما حضر بين يدى الخليفة سأله فاخبره كما خبرته حرفا بحرف ثم رجع الخليفة واحضرنى بين يديه وقال لى ماحملك على التجارى على دار الخلافة فقلت ياأمير المؤمنين حملنى على ذلك جهلى والصبابة والاقبال على عفوك وكرمك ثم بكيت وقبلت الأرض بين يديه فقال عفوت عنكما ثم امرنى بالجلوس فجلست فدعا بالقاضى احمد بن ابى دؤاد وزوجنى بها وأمر بحمل جميع ماعندها إلى وزفوها على فى حجرتها وبعد ثلاثة أيام خرجت ونقلت جميع ذلك إلى بيتى فجميع ماتنظرة ياامير المؤمنين في بيتى وتنكره كله من جهازها ثم إنها قالت لى يوما من الأيام اعلم ان المتوكل رجل كريم واخاف ان يتذكرنا او يذكرنا عنده احد من الحساد فاريد ان اعمل شيئا يكون فيه الخلاص من ذلك ، قلت ماهو ، قالت اريد ان استأذنه فى الحج والتوبة من الغناء ، فقلت لها نعم الرأى الذى اشرت إليه فبينما نحن فى الحديث وإذا برسول الخليفة قد جاءنى فى طلبها لانه كان يحب غناءها فمضت وخدمته قال لها لا تنقطعى عنا ، فقالت سمعا وطاعة فاتفق انها ذهبت إليه فى بعض الأيام وكان قد ارسل إليها على جرى العادة فلم اشعر إلا وقد جاءت من عندة ممزقة الثياب باكية العين ففزعت من ذلك وقلت أنا لله وإنا إليه راجعون وتوهمت انه امر بالقبض علينا فقلت لها هل المتوكل غضب علينا ، فقالت واين المتوكل ان المتوكل قد انقضى حكمه وانمحى رسمه فقلت اخبرينى بحقيقة الأمر فقالت انه كان جالسا وراء الستارة يشرب وعنده الفتح بن خاقان وصدقه بن صدقة فهجم عليه

ولده المنتصر هو جماعه من الاتراك فقتله وانقلب السرور بالشرور والحظ الجميل بالبكاء والعويل فهربت أنا والجارية وسلمنا الله ثـم قمت فى الحال ياامير المؤمنين وانحدرت إلى البصـرة وجاءنى الخبر بـعد ذلك بوقوع الحـرب بين المنتـصر والمستعـين فخفت فنـقلت زوجتى وجميع مالى إلـى البصرة وهذه حكايتى ياامير المؤمنين لازدتهـا حرفا ولا نقصتها حرفا فجمـيع مانظرته فى بيتـى ياامير المؤمنين مما عـليه اسم جدك المتوكل هو مـن نعمته علينا لان اصل نعمتنا من اصولك الاكرمين وانتم اهل النعم ومعدن الكرم ففرح الخليفة بذلك فرحا شديدا وتعجب من حديثه ثم اخرجـت للخليفة الجارية واولادى منها فقبلوا الأرض بين يديه فتعجب من جمالهم واستدعى بدواة وكتب لنا برفع الخراج عن املاكنا عشريـن سنة ففـرح الخليفة واتـخذه نديما إلـى ان فرق الدهر بـينهم وسكـنا القبـور بعد القصور فسبحان الملك الغفور ... ومما يحكـى أيضاً ايها الملك السسعيد انه كان فى قديم الزمان رجل تاجر اسمه عبد الرحمن قد زرقه الله بنتا وولدا فسمى البنت كوكب الصباح لشدة حسنـها وجمالها وسمى الـولد قمر الزمان لشدة حـسنه ولما نظر مااعطـاهما الله من الحسن والجـمال والبهاء والاعتـدال خاف عليهـما من اعين النـاظرين والسنة الحـاسدين ومكر الماكرين وتحـيل الفاسقين فحجبهـما عن الناس فى قصر مدة اربعـة عشر سنة ولـم يرهما احد غير والديهـما وجارية تتعاطى خدمتهما وكان والدهمـا يقرأ القرآن كما انزله الله وكذلك امهمـا تقرأ القرآن فصارت الام تقرئ بـنتها والرجل يقرئ ولده حـتى حفظا القرآن وتعلما الخط والحساب والفنون والآداب من ابيـهما وامهما ولـم يحتاجا إلى معلم فلما بلغ الولد مبلغ الرجال قالت للتاجر زوجته إلى متى وانت حاجب ولدك قمر الزمان عن اعين الناس اهـو بنت أو غلام فقال لها غـلام ، قالت : حيث كان غلاما لـم لم تأخذه معك إلى السوق وتقعده فى الدكان حتى يعـرف الناس ويعرفوه لأجل ان يشتهر عندهم انه ابنك وتعـلمه البيع والشراء وربما يحـصل لك امر فيكون الناس قـد عرفوا انه ولدك فيضـع يده على مخلـفاتك واما إذا مت علـى هذه الحالة وقال للـناس أنا ابن التاجـر عبد الرحمن فإنهم لا يـصدقونه بل يقولون له مارأيناك ولا نعـرف ان له ولدا وتأخذ اموالك الحكام ويـصير ولدك محـروما وكذلك البـنت مرادى ان اشهرهـا عند الناس لـعل احدا كفوأ لهـا يخطبها فنـزوجها له نفرح بهـا فقال لها مخـافة عليهما مـن أعين الناس وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة الرابعة والستون بعد التسعمائة

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن زوجة التاجر لما قالت له ذلك الكلام قال لها مخافة عليهما من اعين الناس لانى محب لهما والمحب شديد الغيرات وقد احسن من قال هذه الأبيات :

اغار عليك من نظرى ومني ومنك ومن مكانك والزمان
ولو انى وضعتك فى عيوني دواما ماسئمت من التداني
ولو واصلتني فى كل يوم إلى يوم القيامة ماكفاني

فقالت له زوجته : توكل على الله ولا بأس على من يحفظه الله وخذه فى هذا اليوم معك إلى الدكان ثم انها البسته بدلة من افخر الملابس فصار فتنة للناظرين وحسرة فى قلوب العاشقين واخذه ابوه معه ومضى به إلى السوق فصار كل من رأه يفتتن به ويتقدم إليه ويبوس يده ويسم عليه وصار ابوه يشتم الناس حيث تبعوه لقصد الفرجة وصار البعض من الناس يقول ان الشمس قد طلعت فى المحل الفلانى واشرقت فى السوق البعض يقول مطلع البدر فى الجهة الفلانية والبعض يقول ظهر هلال العيد على عباد الله وصاروا يلمحون إلى الولد بالكلام ويدعون له وقد حصل لابيه خجل من كلام الناس ولا يقدر ان يمنع احدا منهم عن الكلام وصار يشتم امه ويدعو عليها لانها هى التى كانت سببا فى خرجه والتفت ابوه فرأى الخلائق مزدحمين عليه خلفه وقدامه وهو ماش إلى أن وصل إلى الدكان ففتح الدكان وجلس واجلس ولده قدامه والتفت إلى الناس فرأهم قد سدوا الطريق وصار كل من مر به من رايح وغاد يقف قدام الدكان وينظر إلى ذلك الوجه الجميل ولا يقدر ان يفارقه وانعقد عليه اجماع النساء والرجال متمثلين بقول من قال :

خلقت الجمال لنا فتنة وقلت لنا ياعبادى اتقون
انت جميل تحب الجمال فكيف عبادك لا يعشقون

فلما رأى التاجر عبد الرحمن الناس مزدحمين عليه وواقفين صفوفا نساء ورجالا لديه شاخصين لولده خجل غاية الخجل وصار متحيراً فى امره ولم يدر ماذا يصنع فلم يشعر إلا ورجل درويش من السياحين وعليه شعار عباد الله الصالحين قد اقبل عليه من طرف السوق ثم تقدم إلى الغلام وصار ينشد الاشعار ويرخي الدموع الغزار فلما رأى قمر الزمان جالسا كأنه قضيب البان نابت على كثيب من الزعفران افاض دمع العين وانشد هذين البيتين :

رأيت غصنا على كثيب | شبيه بدر إذا تلألأ
فقلت ما الاسم قال لؤلؤ | فقلت لى لى فقال لالا

ثم ان الدرويش صار يمشى الهوينا ويمسح شيبته بيده اليمنى فانشق لهيبته قلب الزحام فلما نظر إلى الغلام اندهش منه العقل والناظر وانطبق عليه قول الشاعر:

فبينما ذاك المليح فى محل | من وجهه هلال عيد الفطر هل
اذا بشيخ ذى وقار قد اهل | معتمدا فى مشيه على مهل

يرى عليه أثر للزهد

قد مارس الايام والليالي | وخاض فى الحرام والحلال
وهام بالنساء والرجال | ورق حتى صار كالخلال

وعاد عظما باليافى جلد

وكان فى ذا الفن اعجميا | الشيخ عنده يرى صبيا
وفى محبة النساء عذريا | فى الخصلتين ماهرا غويا

إفزينب لديه مثل زيد

يهيم بالحسنا ويهوى الحسنا | ويندب الربع ويبكى الدمنا
تخاله من فرط شوق غصنا | مع الصبا إلى هناك أو هنا

من الجمود من طباع الصلد

وكان فى فن الهوى خبيرا | مستيقظا فى امره بصيرا
وجاب منه السهل والعسيرا | وعانق الظبية والغريرا

وهام بالشيب معا والمراد

ثم تقدم إلى الولد واعطاه عرق ريحان فمد ابوه يده إلى جيبه واخرج له ماتيسر من الدرهم وقال خذ نصيبك يادرويش واذهب إلى حال سبيلك فاخذ منه الدراهم وجلس على مسطبة الدكان قدام الولد وصار ينظر إلى الولد ويبكى ويتحسر حسرات متتابعة ودموعه كالعيون النابعة فصارت الناس تنظر إليه وتعترض عليه وبعضهم يقول كل الدروايش فساق وبعضهم يقول ان الدرويش فى قلبه من عشق الولد احتراق واما ابوه فانه لما عاين هذا الحال قام وقال قم ياولدى حتى نقفل الدكان ونروح إلى بيتنا ولا يتبقى لنا فى هذا اليوم بيع ولا شراء الله تعالى يجازى امك بما فعلت معنا فإنها هى التى تسببت فى هذا كله ثم قال يادرويش قم حتى اقفل الدكان فقام الدرويش وقفل التاجر دكانه واخذ ولده ومشى فتبعهما الدرويش والناس إلى ان وصلا إلى منزلهما فدخل الولد المنزل والتفت التاجر إلى الدرويش وقال له ماتريد يادرويش ومالى التبكى ، فقال ياسيدى اريد ان اكون ضيفك فى هذه الليلة والضيف ضيف الله تعالى فقال مرحبا بضيف الله ادخل يادرويش وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة الخامسة والستون بعد التسعمائة

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الدرويش لما قال للتاجر والد قمر الزمان انا ضيف الله فقال له التاجر مرحبا بضيف الله ادخل يادرويش وقال التاجر فى نفسه ان كان هذا الدرويش عاشقا للولد وطلب منه فاحشة فلابد ان اقتله فى هذه الليلة واخفى قبره وان كان ماعنده فساد فإن الضيف يأكل نصيبه ثم انه ادخل الدرويش هو وقمر الزمان فى قاعة وقال سرا لقمر الزمان ياولدى اجلس بجانب الدرويش وناغشة ولاعبه بعد ان اخرج من عندكما فان طلب منك فسادا فانا اكون ناظرا لكما من الطاقة المطلة على القاعة فانزل اليه واقتله ثم ان الولد لما اختلى به الدرويش فى تلك القاعة قعد بجانب الدرويش فصار الدرويش ينظر إليه ويتحسر ويبكى وإذا كلمه الولد يرد عليه برفق وهو يرتعش ويلتفت الى الولد ويتنهد ويبكى الى أن آتى العشاء فصار يأكل وعينه من الولد ولا يفتر عن البكاء فلما مضى ربع الليل وفرغ الحديث وجاء وقت النوم قال ابو الولد ياولدى تقيد بخدمة عمك الدرويش ولا تخالفه واراد ان يخرج فقال له الدرويش ياسيد خذ

ولدك معك او نم عندنا ، قال لا وهاهو ولدى نائم عندك ربما تشتهى نفسك شيئا فولدى يقضى حاجتك ويقوم بخدمتك ثم خرج وخلاهما وقعد فى قاعة ثانية فيها طاقة تطل على القاعة التى هما فيها هذا ماكان من امر التاجر واما ماكان من امر الولد فإنه تقدم إلى الدرويش وصار يناغشة ويعرض نفسه عليه فاغتاظ الدرويش وقال له ماهذا الكلام ياولدى اعوذ بالله من الشيطان الرجيم اللهم ان هذا منكر لا يرضيك ابعد عنى ياولدى ثم قام الدرويش من مكانه وقعد بعيدا عن الولد فتبعه الولد ورمى روحه عليه وقال له لا شئ يادرويش تحرم نفسك من لذة وصالى وأنا قلبى يحبك فازداد غيظ الدرويش وقال له ان لم تتمنع عنى ناديت اباك واخبره بخبرته فقال له ان ابى يعرف اننى بهذه الصفة ولا يمكن انه يمنعنى فاجبر بخاطرى لاى شئ تتمنع عنى اما اعجبتك فقال له والله ياولدى مافعل ذلك ولو قطعت بالسيوف البواتر وانشد قول الشاعر:

ان قلبى يهوى الملاح ذكورا ... وانا ثا ولست بالمتوانى
بل اراهم اصائلا وبكوراً ... لم اكن لائطا ولا انا زانى

ثم بكى وقال له قم افتح لى الباب حتى اروح إلى حال سبيلى انا مابقيت انام فى هذا المكان ثم قام على قدمية فتعلق به الولد وصار يقول له انظر لاشراق وجهى وحمرة خدى ولين معاطفى ورقة شفايفى ثم كشف له عن ساق يخجل الخمر والساقى ورنا إليه بحظ يعجز السحر والراقى وكان بديع الجمال رخيم الدلال كما قال فيه بعض من قال :

لم انسه مذ قام بكشف عامدا ... عن ساقه كاللؤلؤ البراق
لا تعجبوا من ان تقوم قيامتى ... ان القيامة يوم كشف الساقى

ثم بين له الغلام صدره وصار يقول له انظر إلى نهودى فانها احسن من نهود البنات وريقى احلى من السكر النبات فدع الورق والزهادة وخلنا من النسك والعبادة واغتنم وصالى وتمل بجمالى ولا تخف من شئ ابدا وعليك الامان من الردى واترك هذه البلاد فانها بئست العادة وصار يريه ماخفى من محاسنه ويبديه ويثنى عنان عقله بتثنيه والدرويش يلفت وجهه ويقول اعوذ بالله استحى ياولدى ان هذا شئ حرام لا أفعله ولا

فى المنام فشدد عـليه الغلام فانفلت منه الـدرويش واستقبل القبلة وصار يـصلى فلما راه يصلى تركه حتى صـلي ركعتين وسلم واراد ان يتقدم إليه فنوى الـصلاة ثاني مرة وصلى ركعتين ولـم يزل يفعل هكذا ثالثا ورابعـا وخامسا فقال له الولد ماهذه الصلاة هل مرادك ان تطير علـى السحاب اضعت حظنـا وانت طول الليل فى المحراب ثـم ان الغلام ارتمى عليه وصار يـبوسه بين عينيه فـقال له ياولدى اخز عنك الـشيطان وعليك بطـاعة الرحمن فقال له ان لم تفعل بى ماارید انادی ابی وأقول له ان الدرويش يريد ان يفعل بى الفاحشة فيدخل عليك ويضربك حتى يكسر عظمك على لحمك كل هذا وابوه ينظر بعينه ويسمع باذنه فثبت عند ابى الولد ان الدرويش ماعـنده فساد وقال فى نفسه لو كان هذا الدرويش مفسودا مـاكان يتحمل هذه المشقة كلها ثم ان الـولد صار يحاول الدرويش وكـلما نوى الصلاة قطـعها عليه حـتى اغتاظ الدرويش غـاية الغيظ واغلـظ على الولد وضربـه فبكى الولد فدخل عـليه ابوه ومسح دموعه واخذ بـخاطره وقال للدرويش يااخـى حيث كنت على هذه الحـالة لاى شئ تبكي وتـتحسر حين رأيت ولـدى هل لهـذا من سـبب ، قال له نعم ، فقـال له انا لما رأيتك تبكـى عند رؤيته ظننـت فيك السوء فامرت الولـد بهذا الامر حتى اجربك واضمرت انى إذا رأيتك تطلب منه فاحشة ادخل عليك واقتلك فلما رأيت ماوقع منك عرفت انك من الصلاح على غاية ولكـن بالله عليك ان تخبرنى بسبب بكائك فتنهد الدرويش وقـال له ياسيدى لا تحرك على ساكن الجراح فقال لابـد ان تخبرنى فقال اعلم اننـى درويش سياح فى البلاد والاقطـار لاعتبر باثار خالـق الليل والنهار فاتـفق انى دخلت مدينـة البصرة فى يوم جمعة ضحـوة النهار وادرك شهرزاد الصباح فـسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة السادسة والستون بعد التسعمائة

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الدرويـش لما قال للتاجر انني درويش سياح فاتفق انني دخلت مدينة البـصرة فى يوم جمعة ضحوية النهار فرأيت الدكـاكين مفتوحة وفيها مـن سائـر الأصنـاف والبـضايـع والمآكـل والمشـرب وهى خـاليـة ليس فيـها رجـل ولا

امرأة ولا بنت ولا ولد وليس في الشوارع والأسواق كلاب ولا قطط ولا حس حسيس ولا أنس انيس فتعجبت من ذلك وقلت ياترى اين راح اهل هذه المدينة بقططهم وكلابهم ومافعل الله بهم وكنت جائعا فاخذت عيشا سخنا من فرن خباز ودخلت دكان زيات وبسست العيش بالسمن والعسل واكلت وطلعت دكان شربات فشربت مااردت ورأيت القهوة مفتوحة فدخلتها ورأيت فيها الكبارج علي النار ممتلئة بالقهوة وليس فيها احد وشربت كفايتي وقلت ان هذا لشئ عجيب كان اهل هذه المدينة اتاهم الموت فماتوا كلهم في هذه الساعة أوخافوا من شئ نزل بهم فهربوا وماقدروا ان يقفلوا دكاكينهم فبينما أنا افكر في هذا الأمر وإذا بصوت نوبة تدق فخفت واختفيت حصة من الزمان وصرت انظر من خلال الخروق فرأيت جواري كأنهن الأقمار قد مشين في السوق زوجا زوجا من غير غطاء بل مكشوفات الوجوه وهن اربعون زوجا بثمانين جارية ورأيت وليدة راكبة علي جواد لا يقدر ان ينقل اقدامه مما عليه وعليها من الذهب والفضة والجواهر وتلك الوليدة مكشوفة الوجه من غير غطاء وهي مزينة بأفخر الزينة ولابسة افخر الملبوس وفي عنقها عقد من الجواهر وفي صدرها قلائد من الذهب وفي يديها اساور تضئ كالنجوم وفي رجليها خلاخل من الذهب مرصعة بالمعادن والجواري قدامها وخلفها وعن يمنيها وعن شمالها وبين يديها جارية مقلدة بسيف عظيم قبضته من زمرد وعلائقه من ذهب مرصع بالجواهر فلما وصلت تلك الصبية إلى الجهة التي قدامي حبست عنان الجواد وقالت يابنات اني قد سمعت حسن شئ في داخل هذا الدكان ففتشنه لئلا يكون فيه احد مستخف ومراده ان يتفرج علنيا ونحن مكشوفات الوجوه ففتشن الدكان الذي قدام القهوة التي انا مستخف فيها وبقيت انا خائفا فرأيتهن قد خرجن برجل وقلن لها ياسيدتنا قد رأينا هنا رجلا وهاهو بين يديك فقالت للجارية التي معها السيف ارمي عنقه فتقدمت إليه الجارية وضربت عنقه ثم تركته مطروحا على الأرض ومضين ففزعت انا لما رأيت هذه الحالة ولكن تعلق قلبي بعشق الصبية وبعد ساعة ظهر الناس وصار كل من كان له دكان يدخلها ودرجت الناس في الاسواق والتموا علي المقتول يتفرجون عليه فخرجت أنا من المكان الذي كنت فيه سرا ولم ينتبه لي احد ولكن تملك قلبي عشق تلك الصبية فصرت اتجسس عليها سرا فلم يخبرني احد عنها بخبر ثم اني خرجت من البصرة وفي قلبي من عشقها حسرة فلما رأيت ابنك هذا

رأيته اشبه الناس بتلك الصبية فاذكرني بها وهيج علي نار الغرام واضرم بقلبي لهيب الهيام وهذا سبب بكائي ثم انه بكي بكاء شديدا ماعليه من مزيد وقال ياسيدي بالله عليك ان تفتح لي الباب حتى اذهب إلى حال سبيلي ففتح له الباب وخرج هذا ماكان من امره واما ماكان من امر قمر الزمان فإنه لما سمع كلام الدرويش اشتغل باله بعشق تلك الصبية وتمكن منه الغرام وهاج به الوجد والهيام فلما اصبح الصباح قال لابيه كل اولاد التجار يسافرون البلاد لتحصيل المراد وليس منهم واحد إلا وابوه يجهز له بضاعة فيسافر بها ويربح فيها ولاي شئ ياابي لم تجهز لي تجارة حتي اسافر بها وانظر سعدي فقال له ياولدي ان التجار مقلون من المال فيسفرون اولادهم من اجل الفوائد والمكاسب وجلب الدنيا واما انا فعندي اموال كثيرة وليس عندي طمع فكيف اغربك وأنا لا اقدر علي فراقك ساعة خصوصا وانت فريد من الجمال والحسن والكمال واخاف عليك فقال له ياابي لا يمكن إلا ان تجهز لي متجرا لاسافر به والا اغافلك واهرب ولو من غير مال ولا تجارة وان اردت تطيب خاطري فجهز لي بضاعة حتي اسافر واتفرج علي بلاد الناس فلما رأه ابوه متعلقاً بالسفر اخبر زوجته بهذا الخبر وقال لها ان ولدك يريد ان اجهز له متجرا ليسافر به إلى بلاد الغربة مع ان الغربة كربة فقالت له زوجته ماذا يضرك من ذلك ان هذه عادة أولاد التجار فكلهم يتفاخرون بالاسفار والمكاسب فقال لها ان غالب ا لتجار فقراء يطلبون كثرة المال واما أنا فمالي كثير فقالت له زيادة الخير لا تضر وان كنت انت لا تسمح له بذلك فانا اجهز له متجرا من مالي فقال التاجر انى اخاف عليه من الغربة لانها يئست الكربة قالت لابأس بالاغتراب الذى فيه الاكتساب وإلا يذهب ولدنا ونطلبه فلا نراه ونفتضح بين الناس فقبل التاجر كلام زوجته وجهز متجرا لولده بتسعين الف دينار واعطته امه كيسا فيه اربعون فصا من ثمين الجواهر اقل قيمة الواحد خمسمائة دينار وقالت ياولدي احتفظ علي هذه الجواهر فإنها تنفعك فاخذ قمر الزمان جميع ذلك وسافر إلي البصرة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة السابعة والستون بعد التسعمائة

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن قمر الزمان أخذ جميع ذلك وسافر إلى البصرة وكان قد وضع الجواهر في كمر وشده علي وسطه ولم يزل مسافراً حتي لم يبق بينه وبين

البصـرة إلا مرحلة واحدة فـخرج عليه الـعرب وعروه وقتلـوا رجاله وخدمه فـرقد بين قتيلين ولطخ روحه بـالدم فظن العرب انه مقتول فتركوه ولم يـتقرب منه احدا ثم اخذوا امواله وراحوا فلـما راح العرب إلى حال سبيلهـم قام قمر الزمان من بين القـتلي ومشي وهو لا يملـك شيئا غير الـفصوص التي عـلي حزامه ولم يـزل سائرا حتي دخل الـبصرة فاتفق ان دخـوله كان في يوم جمعـة وكانت المدينة خالـية من الناس كما اخـبر الدرويش فرأي الأسواق خالية والدكاكين مفتوحة وهي ممتـلئة بالبضائع فاكل وشرب وصار يتفرج فبينما هو كذلك اذ سمع النوبة تدق فاختـفى في دكان إلى ان جاءت البنات فتفرج عليها ولما رأي الصبيـة راكبة اخذه العشق والغرام وملـكه الوجد والهيام حتي صار لا يـستطيع القيام وبعد حـصة من الزمان ظهرت الناس وملأت الأسواق فذهـب إلى السوق وتوجه إلى رجل جوهـري واخرج له حجرا من الاربعين يـساوي ألف دينار فباعـه له ورجع إلى محله ثم بات تلك الليلة فلما اصبح الصباح غير حوايجه ودخل الحمام وطلع كأنه البدر التمام ثـم باع اربعة فصوص بـاربعة آلاف دينار وصار يـتفرج في شوارع البـصرة وهو لابس افخر الملابس حتي وصل إلى سوق فرأي فيـه رجلا مزينا فدخل عنده وحلق رأسه وعمل معه صحبة ثم قال له ياوالدي انا غريب البلاد وبالامس دخلت هذه المدينة فرأيتها خالية من السكان ومافيها احد من انس ولا جان ثـم اني رأيت بناتا وبينهم صبية راكبه في موكـب واخبره بمـا رأي فقال له يـاولدي هل اخـبرت غيـري بهذا الخبـر قال لا فقـال له ياولـدي اياك ان تذكر هـذا الكلام قدام احـد غيري فـإن كل الناس لا يـكتمون الـكلام والاسرار وانت ولد صغير فاخاف عليك ان ينـتقل الكلام من ناس إلى ناس حتي يصل إلي اصحابه فيقتلوك واعلم ياولدي ان هـذا الذي رأيته مااحد رأه ولا يعرفه في غير هذه المدينة واما اهل البصرة فانهم يموتون بهذه الحـسرة وفي كل يوم جمعة عندضحوة النهار يحبسون الكلاب والقـطط ويمنعونها عن المشي في الأسواق وجميـع اهل المدينة يدخلون الجوامع ويغلقون عـليهم الابواب ولا يقدر احد منهم ان يمَر فـي السوق ولا ان يطل من طاقة ولا يعـرف احد ماسبب هذه البـلية ولكن ياولـدى فى هذه الليلة اسـأل زوجتي عن سببـها فانها داية تـدخل بيوت الاكابر وتـعرف اخبار هذه المديـنة فان شاء الله تعالـي تأتي عندي فى غد وانـا اخبرك بما تخبرني به فـكبش كبشة من الذهـب وقـال ياوالدي خذ هذا الذهـب واعـطه لزوجتـك فانها صـارت امي وكبش كبـشة ثانيـة وقال خذ هذا لـك فقال

المزين ياولدي اجلس مكانك حتي اروح إلى زوجتي واسألها واجيئ إليك بالخبر الصحيح ثم تركه في الدكان وراح إلى زوجته واخبرها بشأن الغلام وقال لها مرادي ان تخبريني بحقيقة أمرهذه المدينة حتي اخبر به هذا الشاب التاجر فإنه متولع بالاطلاع علي حقيقة امرها من امتناع الناس والحيوانات عن الاسواق في ضحوة يوم الجمعة واظن انه عاشق وهو كريم سخي فإذا اخبرناه يحصل لنا منه خير كثير فقالت له رح هاته وقل له تعال كلم امك زوجتي فانها تقرئك السلام وتقول لك ان الحاجة مقضية فذهب إلى الدكان فرأي قمر الزمان ينتظره فاخبره بالخبر وقال له ياولدي اذهب بنا إلى امك زوجتي فإنها تقول لك ان الحاجة مقضية ثم اخذه وسار به حتي دخل علي زوجته فرحبت به واجلسته ثم انه اخرج مائة دينار واعطاها لها وقال لها ياامي اخبريني عن هذه الصبية من تكون فقالت ياولدي اعلم ان سلطان البصرة قد جاءته جوهرة من عند ملك الهند فاراد ان يثقبها فاحضر جميع الجوهرية وقال لهم اريد منكم ان تثقبوا لي هذه الجوهرة والذي يثقبها له علي تمنية فمهما تمناه اعطيته له وان كسرها فاني ارمي رأسه فخافوا وقالوا ياملك الزمان ان الجوهر سريع العطب وقل ان يثقبه احد ويسلم لان الغالب عليه الكسر فلا تحملنا مالا نطيق فنحن لا يخرج من ايدينا ان نثقب هذه الجوهرة وإنما شيخنا اخبر منا فقال الملك ومن شيخكم قالوا له المعلم عبيد وهو اخبر منا بهذه الصناعة وعنده اموال كثيرة وله معرفة جيدة فارسل إليه واحضره بين يديك وأمره ان يثقب لك هذه الجوهره فارسل إليه وامره بثقبها وشرط عليه الشرط المذكور فاخذها وثقبها على مزاج الملك فقال له تمن علي يامعلم فقال ياملك الزمان امهلني إلى غد والسبب في ذلك انه اراد ان يشاور زوجته وكانت زوجته تلك الصبية التي رأيتها في الموكب وكان يحبها محبة شديدة ومن عظم محبته لها أنه كان لا يفعل شيئا إلا إذا شاورها فيه ولاجل ذلك امهل التمنية حتي يشاورها فلما اتي إليها قال لها اني ثقبت للملك جوهرة واعطاني تمنية وقد امهلتها حتي اشاورك فاي شئ تريدين حتي اتمناه قالت نحن عندنا اموال لا تأكلها النيران ولكن ان كنت تحبني فتمن علي الملك انه ينادي في شوارع البصرة ان اهلها يدخلون الجوامع يوم الجمعة قبل الصلاة بساعتين ولا يبقي في البلد كبير ولا صغير حتي يكون في المسجد أو في البيت وتقفل عليهم ابواب المساجد والبيوت ويتركون دكاكين البلد مفتوحة وأنا اركب بجواري واشق في المدينة ولا ينظرني احد من طاقة ولا من شباك وكل من عثرت

به قتلته فراح إلى الملك وتمني عليه هذه الأمنية فاعطاه ماتمناه ونادي بين أهل البصرة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة الثامنة والستون بعد التسعمائة

قالت : بلغني أيها الملك السعيد أن الملك لما اعطي الجوهري ماتمناه ونادي بين اهل البصرة بما تمناه قالوا : اننا نخاف علي البضايع من القطط والكلاب فامر الملك بحبسها في ذلك اليوم حتي تخرج الناس من صلاة الجمعة وصارت تلك الجارية تخرج في كل يوم جمعة قبل الصلاة بساعتين وتوكب بجواريها في شوارع البصرة ولا يقدر احد ان يمر في السوق ولا ان يطل من طاقة ولا من شباك فهذا هو السبب وقد عرفتك بالجارية ولكن ياولدي هل مرادك معرفة خبرها أو مرادك الاجتماع بها ، فقال ياامي مرادي الاجتماع بها فقالت اخبرني بما عندك من الذخائر الفاخرة ، فقال ياأمي عندي من ثمين المعادن اربعة اصناف صنف ثمن كل واحد منه خمسمائة دينار وصنف ثمن كل واحد منه سبعمائة دينار وصنف ثمن كل واحد منه ثمانمائة دينار وصنف ثمن كل واحد منه الف دينار قالت له : وهل تسمح نفسك باربعة منها . قال نفسي تسمح بالجميع ، قالت قم ياولدي من غير مطرود وأخرج منها فصا يكون ثمنه خمسمائة دينار واسأل عن دكان المعلم عبيد شيخ الجوهرية واذهب إليه تراه جالسا في دكانه وعليه ثياب فاخرة وتحت يده الصناع فسلم عليه واجلس علي الدكان واخرج الفص وقل له يامعلم خذ هذا الحجر وصغه لي خاتما بالذهب ولا تجعله كبيرا بل اجعله قدر مثقال غير زيادة واصنعه جيدا ثم اعطه عشرين دينار واعط الصناع كل واحد دينارا واقعد عنده حصة وتحدث معه وإذا اتاك سائل فاعطه دينار واظهر الكرم حتي يتولع بمحبتك ثم قم من عنده ورح إلى منزلك وبت هناك فإذا اصحبت فهات معك مائة دينار واعطها لابيك فانه فقير قال وهوكذلك ثم خرج من عندها وذهب إلى الوكالة واخذ فصا ثمنه خمسمائة دينار وعمد به إلى سوق الجواهر واسأل عن دكان المعلم عبيد شيخ الجوهرية فدلوه على دكانه فلما وصل الى الدكان رآى شيخ الجوهرية رجلا مهابا وعليه ثياب فاخرة وتحت يده اربعة صناع فقال له السلام عليكم فرد عليه السلام ورحب به واجلسه فلما جلس اخرج له الفص وقال له يامعلم اريد منك ان تصوغ لي هذا الحجر خاتما بالذهب ولكن اجعله قدر مثقال من غير زيادة

وصغه صياغة طيبة ثم اخرج له عشرين ديناراً وقال له خذ هذه في نظير نقشه والاجرة باقية ثم اعطي كل صانع ديناراً فاحبه الصناع واحبه المعلم عبيد وقعد يتحدث معه وصار كل من اتاه من السائلين يعطيه دينارا فتعجبوا من كرمه ثم ان المعلم عبيد كان عنده عدة في بيته مثل العدة التى في الدكان وكان من عادته انه إذا اراد ان يصنع شيئا غريبا يشتغله في بيته حتي ان الصناع لا يتعلمون منه الصنعة الغريبة وكانت الصبية زوجته تجلس قدامه فإذا كانت قدامه ونظر إليها فإنه يصنع كل شئ غريب في صناعته بحيث لا يليق إلا بالملوك فقعد يصنع هذا الخاتم صنعة عجيبة في البيت فلما رأته زوجته قالت له مامرادك ان تصنع بهذا الفص قال اريد ان اصوغه خاتما بالذهب فان ثمنه خمسمائة دينار فقالت له لمن قال غلام تاجر جميل الصورة له عيون تجرح وخدود تقدح وله فم كخاتم سليمان ووجنات كشقائق النعمان وشفائف حمر كالمرجان وله عنق مثل اعناق الغزلان وهو ابيض مشرب بحمرة ظريف لطيف كريم فعل كذا كذا وصار تارة يصف لها حسنه وجماله وتارة يصف لها كرمه وكماله ولازال يذكر لها محاسنه وكرم اخلاقه حتي عشقها فيه ولم يكن احد اعرص من الذي يصف لزوجته انسانا بالحسن والجمال وفرط سخائة بالمال فلما فاض بها الغرام قالت له هل يوجد فيه شئ من محاسني فقال لها جميع محاسنك كلها فيه وهو شبيهك في الصفة وربما كان عمره قدر عمرك ولولا اني اخاف علي خاطرك لقلت انه احسن منك بالف مرة فسكتت ولكن التهبت نار محبته في قلبها ثم ان الصايغ لم يزل يتحدث معها في تعداد محاسنه حتي فرغ من صياغة هذا الخاتم ثم ناوله لها فلبسته فجاء علي قدر اصبعها فقالت له ياسيدي ان قلبي حب هذا الخاتم واشتهي انه يكون لي ولا انزعه من اصبعي فقال لها اصبري فان صاحبه كريم وانا اطلب ان اشتريه منه فإن باعني اياه جئت به إليك وان كان عنده حجر آخر اشتريه واصوغه مثله وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة التاسعة والستون بعد التسعمائة

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الجوهري قال لزوجته اصبرى فان صاحبه كريم وانا اطلب ان اشتريه منه فإن باعني اياه جئت به إليك وان كان عنده حجر آخر اشتريه واصوغه لك مثله هذا ماكان من امر الجوهري وزوجته واما ماكان من امر قمر الزمان

فإنه بات في منزله فلما اصبح اخذ مائة دينار واتي إلى العجوز زوجة المزين وقال لها خذي هذه المائة دينار فقالت له اعطها لابيك فاعطاها له ثم انها قالت له هل فعلت كما قلت لك قال نعم قالت له : قم توجه الان إلي شيخ الجوهرية فإذا اعطاك الخاتم فضعه في رأس اصبعك وانزعه بسرعة وقل له يامعلم اخطأت ان الخاتم جاء ضيقا فيقول لك ياتاجر هل اكسره واصوغه واسعا فقل له لا احتاج إلي كسره وصياغته ثانيا ولكن خذه واعطه لجارية من جواريك واخرج له حجرا آخر يكون ثمنه سبعمائة دينار وقل له خذ هذا الحجر صغه لي فإنه احسن من ذلك واعطه ثلاثين دينارا واعطي لكل صانع دينارين وقل له هذه الدنانير في نظير نقشه والاجرة باقية ثم ارجع إلى منزلك وبت هناك وتعال في الصباح ومعك مائتان دينار وانا اكمل لك بقية الحيلة ثم انه ذهب الي الجوهري فرحب به واجلسه علي الدكان فلما جلس قال له هل قضيت الحاجة قال نعم واخرج له الخاتم فاخذه في رأس اصبعه ثم نزعه سريعاً وقال اخطأت يامعلم ورماه له وقال له أنه ضيق علي اصبعي فقال له الجوهري ياتاجر هل اوسعه قال لا ولكن خذه احسانا والبسه لبعض جواريك فان ثمنه تافه لانه خمسمائة دينار فلا يحتاج إلى صياغته ثانيا ثم اخرج له فصا آخر ثمنه سبعمائة دينار وقال له اصنع هذا ثم اعطاه ثلاثين دينار واعطي كل صانع دينارين فقال له ياسيدي لما نصوغ الخاتم نأخذ اجرته قال هؤلاء في نظير نقشه والاجرة باقية ثم تركه ومضى فاندهش الجوهري من شدة كرم قمر الزمان وكذلك الصناع ثم ان الجوهري ذهب إلى زوجته وقال لها يافلانه مارأت عيني اكرم من هذا الشاب وانت بختك طيب لانه اعطاني الخاتم بلا ثمن وقال لي اعطه لبعض جواريك وحكي لها القصة ثم قال لها اظن ان هذا الولد ماهو من اولاد التجار وإنما هو من أولاد الملوك والسلاطين وصار كلما مدحه تزداد فيه غراما ووجدا وهياما ثم لبست الخاتم والجوهري صاغ له الثاني اوسع من الأول بقليل فلما فرغ من صياغته لبسته في اصبعها من داخل الخاتم الأول ثم قالت ياسيدى انظر ماالحسن الخاتمين في اصبعي فاشتهي ان يكون الخاتمان لي فقال لها اصبري لعلي اشتري الثاني لك ثم بات فلما اصبح اخذ الخاتم وتوجه إلى الدكان هذا ماكان من امره واما ماكان من امر قمر الزمان فإنه أصبح متوجها إلى العجوز زوجة المزين واعطاها مائتي دينار فقالت له : توجه إلي الجوهري فإذا اعطاك الخاتم فضعه في اصبعك وانزعه سريعاً وقل اخطأت يامعلم ان الخاتم جاء واسعا والمعلم

الذي يكـون مثلك إذا اتاه مـثلي بشغـل ينبغـي ان يأخذ القيـاس فلو كنت اخـذت قياس اصبعي مـااخطأت واخرج له حجـرا آخر يكون ثمنه ألـف دينار وقل له خذ هـذا اصنعه واعط هذا الخـاتم إلى جارية من جواريـك ثم اعطه اربعـين ديناراً واعط كل صانـع ثلاثة دنانير وقـل له هذا في نظيـر نقشه واما الأجرة فـإنها باقية وانـظر ماذا يقول لك ثـم تعال ومعك ثلاثمائة دينار واعـطها لابيك يستعين بها علي وقته فإنـه رجل فقير الحال ، فقال : سمعا وطاعـة ثم انه توجه إلي الجوهري فرحـب به واجلسه ثم اعطاه الخـاتم فوضعه في اصبعـه ونزعه بسرعة وقـال له ينبغـي للمعلـم الذي مثلك إذا اتاه مـثلي بشغـل ان يأخذ قياسه فلـو كنت اخذت قياس اصبعي مـااخطأت ولكن خذه واعطه لبـعض جواريك ثم اخرج له حجـرا ثمنه ثمانمائـة دينار وقال له خذ هذا واصنـعه لي خاتما علي قـدر اصبعي فقال صـدقت والحق معك فاخـذ القياس واخرج له اربـعين دينارا وقال له خـذ هذه في نظير نقشـه والاجرة باقية ، فقال له ياسيدي كم اجـرة اخذناها منك فاحسانك علـينا كثير فقال له لا بأس ثم انه تحـدث معه حصة وصار كلما يمر به سائل يعـطه دينارا وبعد ذلك تركه وانصرف هذا ماكـان من امره واما ماكان من امر الجوهري فإنه تـوجه إلى بيته وقال لزوجته ماكـرم هذا الشاب التاجر فما رأيـت اكرم منه لا اجمل منه ولا احلـى من لسانه وصار يذكر لـها محاسنه وكرمـه ويبالغ في مديحه فـقالت له ياعديم الذوق حـيث كنت تعرف فيه هذه الصفات وقد اعطاك خاتمين ثمينـين ينبغي لك ان تعزمه وتعمل له ضيافة وتتودد إليه فإذا رأي منك المـودة وجاء منزلنا ربما تنال منه خيرا كثـيرا وان كنت لا تسمح له بضيافـة فاعزمه وانا اعمل له الـضيافة من عندي فقـال لها هل انت تعرفين انـني بخيل حتي تقولي هذا الكلام ، قالت له ماانت بخيل ولكنك عديم الذوق فاعزمه في هذه الليلة ولا تجيء بدونه وان امتنع فاحلف عليه بالطلاق واكد عليه فقال لها على الرأس والعين ثم انه صاغ الخاتم ونام واصبح في ثالث يوم متوجهـا إلى الدكان وجلس فيها هذا ماكان من امره اما ماكـان من امر قمر الزمان فـانه اخذ ثلاثمائة ديـنار وتوجه إلى العجـوز واعطاها لزوجها فقالت له ربمـا يعزم عليك في هذا اليوم فإذا عزم عليك وبـت عنده فمهما جرى لك فاخبرني به في الصباح وهات معك اربعمائة دينار واعطها لابيك فقال سمعا وطاعة وصار كلـما فرغت مـنه الدراهم يـبيع من الاحجـار ثم انه توجـه إلى الجوهري فـقام له واخذه بالاحـضان وسلم علـيه وعقد معـه صحبة ثم انـه اخرج له الخاتم فرأه عـلي قدر

اصبعه فقال له بارك الله فيك ياسيد المعلمين ان الصياغة موافقة ولكن الفص ليس علي مرادي وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة الموفية للسبعين بعد التسعمائة

قالت : بلغني أيها الملك السعيد أن قمر الزمان لما قال للجوهري ان الصياغة موافقة ولكن الفص ليس علي مرادي لان عندي احسن منه فخذه واعطه لبعض جواريك واخرج له غيره واخرج له مائة دينار وقال له خذ اجرتك ولا تؤاخذنا فاننا اتعبناك فقال له ياتاجر ان الذي تعبنا فيه قد اعطيتنا اياه وتفضلت علينا بشئ كثير وانا قلبي تعلق بحبك ولا اقدر علي فراقك فبالله عليك ان تكون ضيفي في هذه الليلة وتجبر بخاطري فقال لا بأس ولكن لابد ان اتوجه إلي الخان لاجل ان اوصي اتباعي واخبرهم بانني غير بائت في الخان حتي لا ينتظروني فقال له انت نازل في أي خان قال في الخان الفلاني فقال اجيئ إليك هناك فقال لا بأس ثم أن الجوهري توجه إلي ذلك الخان قبل المغرب خوفا من غضب زوجته عليه ان دخل البيت بدونه ثم انه اخذه ودخل به في بيته وجلسا في قاعة ليس لها نظير وكانت الصبية رأته حين دخوله فافتتنت به ثم صارا يتحدثان إلي ان جاء العشاء فاكلا وشربا وبعد ذلك جاءت القهوة الشربات ولم يزل يسامره إلى وقت العشاء فصليا الفريضة ثم دخلت عليهما جارية ومعها فنجانان من المشروب فلما شربا غلب عليهما النوم فناما ثم جاءت الصبية فرأتهما نائمين فنظرت في وجه قمر الزمان فاندهش عقلها من جماله وقالت كيف ينام من عشق الملاح ثم قلبته على قفاه وركبت علي صدره ومن شدة غيظها من غرامه نزلت علي خدوده بعلقه بوس حيت اثر ذلك في خده فاشتدت حمرته وزهت وجنته ونزلت علي شفته بالمص ولم تزل تمص شفته حتي خرج الدم في فمها ومع ذلك لم تنطفئ نارها ولم يرو أوارها ولم تزل معه بين بوس وعناق والتفاف ساق علي ساق حتي اشرق جبين الصباح وتبلج الفجر ولاح ثم وضعت في جيبه اربعة عواشق وتركته وراحت وبعد ذلك ارسلت جاريتها بشئ مثل النشوق فوضعته في مناخيرهما فعطسا وافاقا فقالت لهما الجارية اعلموا ياأسيادي ان الصلاة وجبت فقوموا لصلاة الصبح واتت لهما بالطشت والابريق ثم قال قمر الزمان يامعلم ان الوقت جاء وقد تجاوزنا الحد في النوم فقال الجوهري للتاجر ياصاحبي ان نوم هذه القاعة

ثقيل كلما انام فيها يجري لي هذا الأمر فقال صدقت ثم ان قمر الزمان أخذ يتوضأ فلما وضع الماء علي وجهه احرقته خدوده وشفته فقال عجائب إذا كان هوى القاعة ثقيلا واستغرقنا في النوم فما بال خدودي وشفتي تحرقني ، ثم قال يامعلم ان خدودي وشفتي تحرقني فقال اظن ان هذا من اكل الناموس فقال عجائب وهل يجري لك فيها مثلي قال لا ولكن اذا كان عندي ضيف مثلك يصبح يشكو من قرص الناموس ولا يكون ذلك إلا إذا كان الضيف مثلك امرد واما إذا كان ملتحيا فلا يعف عليه الناموس ومامنع الناموس عني إلا لحيتي كأن الناموس لا يهوى اصحاب اللحي فقال له صدقت ثم ان الجارية جاءت لهما بالفطور فافطرا وخرجا وراح قمر الزمان إلى العجوز فلما رأته قالت له اني ارى اثار الحظ على وجهك فاخبرني بما رأيت قال مارأيت شيئا وانما تعشيت أنا وصاحب المحل في قاعة وصلينا العشاء ثم نمنا فما افقنا إلا في الصبح فضحكت وقالت ماهذا الاثر الذي في خدك وعلي شفتك قال لها ان ناموس القاعة فعل معي هذه الفعال فقالت صدقت وهل جري لصاحب البيت مثل ماجري لك قال لا ولكنه اخبرني ان ناموس تلك القاعة لا يضر اصحاب اللحي ولا يعف إلا علي المرد وكلما يكون عنده ضيف فان كان أمرد يصبح يشكو من قرص الناموس وان كان ملتحيا فلا يجري له شئ من ذلك فقالت صدقت فهل رأيت شيئا غير هذا قال رأيت في جيبي اربعة عواشق قالت ارني اياها فاعطاها لها فاخذتها وضحكت وقالت ان معشوقتك قد وضعت هذه العواشق في جيبك قال وكيف ذلك قالت انها تقول لك بالإشارة لو كنت عاشقا مانمت فان الذي يعشق لا ينام ولكن انت لم تزل صغيرا ولا يليق بك إلا اللعب بهذه العواشق فما حملك علي عشق الملاح وقد جاءتك في الليل فرأتك نائما فقطعت خدودك بالبوس وحطت لك هذه الامارة ولكنها لا يكفيها منك ذلك لابد ان ترسل إليك زوجها فيعزم عليك في هذه الليلة فإذا رحت معه فلا تنم عاجلا وهات معك خمسمائة دينار وتعال اخبرني بما يحصل وانا اكمل لك الحيلة فقال لها سمعاً وطاعة ثم توجه إلى الخان هذا ماكان من امره واما ماكان من امر زوجة الجوهري فانها قالت لزوجها هل راح الضيف قال نعم ، ولكن يافلانه ان الناموس شوش عليه في هذه الليلة وقطع خدوده وشفته وأنا استحيت منه فقالت هذه عادة ناموس قاعتنا فانه لا يهوى إلا المرد ولكن اعزمه في الليلة الآتية فتوجه إليه في الخان الذي هو فيه وعزمه واتى به إلى القاعة فاكلا وشربا وصليا

العشاء فدخلت عليهما الجارية واعطت كل واحد فنجانا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة الحادية والسبعون بعد التسعمائة

قالت : بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية دخلت عليهما واعطت كل واحد فنجانا فشربا وناما فأتت الصبية وقالت له ياعلق كيف تنام وتدعي انك عاشق والعاشق لا ينام ثم ركبت صدره ولازالت نازلة عليه ببوس وعض ومص وهراش إلى الصباح ثم حطت إليه في جيبه سكينا وارسلت جاريتها عند الصباح فنبهتهما وخدوده كأنها ملتهبة بالنار من شدة الاحمرار وشفاهه كالمرجان بسبب المص والتقبيل فقال له الجوهري لعل الناموس شوش عليك قال لا لانه لما عرف النكتة ترك الشكاية ثم انه رأي السكين في جيبه فسكت ولما افطر وشرب القهوة خرج من عند الجوهري وتوجه إلى الخان وأخذ خمسمائة دينار وذهب إلى العجوز واخبرها بما رأي وقال لها اني نمت غصبا عني ولما اصبحت مارأيت شيئا غير سكين في جيبي فقالت له الله يحميك منها في الليلة القابلة انها تقول لك ان نمت مرة اخرى ذبحتك وانت معزوم عندهم في الليلة القابلة فان نمت ذبحتك فقال وكيف يكون العمل فقالت اخبرني بما تأكله وتشربه قبل النوم ، قال نتعشي علي عادة الناس ثم تدخل علينا جارية بعد العشاء وتعطي كل واحد منا فنجانا فمتي شربت فنجاني نمت ولا افيق إلا في الصباح فقالت له ان الداهية في الفنجان فخذه منها ولا تشربه حتي يشرب سيدها ويرقد وحين تعطيه لك الجاريه قل لها اسقيني ماء فتذهب لتجيئ إليك بالقلة فكب الفنجان خلف المخدة واجعل روحك نائما فلما ترجع إليك بالقلة تظن انك نمت بعد شرب الفنجان فتروح عنك وبعد حصة يظهر لك الحال واياك ان تخالف امري فقال سمعا وطاعة ثم توجه إلي الخان هذا ماكان من امره واما ماكان من امر زوجة الجوهري فانها قالت لزوجها اكرام الضيف ثلاث ليال فاعزمه مرة ثالثة فتوجه إليه وعزمه واخذه ودخل به القاعة فلما تعشيا وصليا العشاء وإذا بالجارية دخلت واعطت كل واحد فنجانا فشرب سيدها ورقد واما قمر الزمان فإنه لم يشرب فقالت له الجارية اما تشرب ياسيدي فقال لها انا عطشان هاتي القلة فذهبت لتجيئ إليه بالقلة فكب الفنجان خلف المخدة ورقد فلما رجعت الجارية رأته راقدا فاخبرت سيدتها بذلك وقالت انه لما شرب

الفنجان رقد فقالت الصبية ان موته احسن من حياته ثم اخذت سكينا ماضية ودخلت عليه وهي تقول ثلاث مرات وانت لم تلحظ الاشارة ياالحمق الان اشق بطنك فلما رأها مقبله عليه وفي يدها السكين فتح عينه وقام ضاحكا فقالت له مافهم هذه الاشارة من فطنتك بل بدلالة ماكر فاخبرني من اين لك هذه المعرفة قال من عجوز جري لي معها كذا وكذا واخبرها بالخبر فقالت له في غد اخرج من عندنا ورح إلى العجوز وقل لها هل بقي معك من الحيل زيادة عن هذ المقدار فإن قالت لك معي فقل لها اجتهدي في الوصول اليها جهارا وإن قالت مالي مقدرة وهذا آخر مامعي فاتركها عن بالك وفي ليلة غد يأتي إليك زوجي ويعزمك فتعال معه واخبرني وأنا اعرف بقية التدبير فقال لا بأس ثم بات معها بقية الليلة علي ضم وعناق واعمال حرف الجر باتفاق واتصال الصلة بالموصول وزوجها كتنوين الاضافة معزول ولم يزالا علي هذه الحالة إلى الصباح ثم قالت له انا مايكفيني منك ليلة ولا يوم ولا شهر ولا سنة وانما قصدي ان اقيم معك بقية العمر ولكن اصبر حتي اعمل لك مع زوجي حيلا تحير ذوي الالباب ونبلغ بها الآراب وادخل عليه الشك حتي يطلقني واتزوج بك واروح معك إلي بلادك وانقل جميع ماله ودخائره عندك واتحيل لك علي خراب دياره ومحو آثاره ولكن اسمع كلامي وطاوعني فيما اقوله لك ولا تخالفني فقال لها سمعا وطاعة وماعندي خلاف فقالت رح إلي الخان وان جاء زوجي وعزمك فقل له ياأخي ان ابن آدم ثقيل ومتي اكثر الترداد اشمأز منه الكريم والبخيل وكيف اروح عندك كل ليلة وارقد انا وانت في القاعة فان كنت انت لا تغتاظ مني فربما اغتاظ حريمك مني بسبب منعك عنه فإن كان مرادك عشرتي فخذ لي بيتا بجانب بيتك وتبقي انت تارة تسهر عندي إلى وقت النوم وأنا تارة اسهر عندك إلى وقت النوم ثم اروح إلى منزلي وانت تدخل حريمك وهذا الرأي احسن من حجبك عن حريمك كل ليلة فانه بعد ذلك يأتي إلي ويشاورني فاشير عليه ان يخرج جارنا فان البيت الذي هو ساكن فيه بيتنا والجار ساكن بالكري ومتي اتيت البيت يهون علينا بقية تدبيرنا ثم انها قالت له رح الان وافعل كما امرتك فقال لها سمعا وطاعة ثم تركته وراحت وهو جعل روحه نائما وبعد مدة اتت الجارية فنبهتهما فلما افاق الجوهري قال ياتاجر لعل الناموس شوش عليك قال لا فقال الجوهري لعلك اعتدت عليه ثم انهما افطرا وشربا القهوة وخرجا إلى اشغالهما وتوجه قمر الزمان إلى العجوز واخبرها بما جرى وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة الثانية والسبعون بعد التسعمائة

قالت : بلغني أيها الملك السعيد أن قمر الزمان لما توجه إلى العجوز اخبرها بما جري وقال لها انها قالت لي كذا وكذا وقلت لها كذا وكذا فهل عندك اكثر من هذا التدير حتي توصليني إلى الاجتماع بها جهارا فقالت ياولدي إلى هنا انتهي تدبيري وفرغت حيلي فعند ذلك تركها وتوجه إلى الخان ولما اصبح الصباح توجه إليه الجوهري عند المساء وعزمه فقال له لا يمكن اني اروح معك فقال له لماذا وآنا احببتك ومابقيت اقدر علي فراقك فبالله عليك ان تمضي معي فقال له ان كان مرادك طول العشرة معي ودوام الصحبة بيني وبينك فخذ لي بيتا بجانب بيتك وان شئت تسهر عندي وانا اسهر عندك وعند النوم يروح كل منا إلى بيته وينام فيه فقال له ان عندي بيتا بجانب بيتي وهو ملكي فامض معي في هذه الليلة وفي غد اخليه لك فمضي معه وتعشيا وصليا العشاء وشرب زوجها الفنجان الذي فيه العمل فرقد وفنجان قمر الزمان لا غش فيه فشربه ولم يرقد فجاءته وقعدت تسامره إلى الصباح وزوجها مرمي مثل الميت ثم انه صحا من النوم علي العادة وارسل احضر الساكن وقال له يارجل اخل لي بيتي فإني قد احتجت إليه فقال له علي الرأس والعين فاخلاه له وسكن فيه قمر الزمان ونقل جميع مصالحه فيه وفي تلك الليلة سهر الجوهري عندقمر الزمان ثم راح إلى بيته وفي ثاني يوم ارسلت الصبيه إلى معمار ماهر فاحضرته وارغبته بالمال حتي عمل لها سردابا من قصرها إلى قمر الزمان وجعل له طابقا تحت الارض فما يشعر قمر الزمان إلا وهي داخلة عليه ومعها كيسان من المال فقال لها من اين جئت فارته السرداب وقالت له خذ هذين الكيسين من ماله وقعدت تهارشه وتلاعبه إلي الصباح ثم قالت له انتظرني حتي اروح له وانبهه ليذهب إلي دكانه وأتي لك فقعد ينتظرها وانصرفت لزوجها وايقظته فقام وتوضأ وصلي وذهب إلي الدكان وبعد ذهابه اخذت اربعة اكياس وراحت إلي قمر الزمان من السرداب وقالت له خذ هذا المال وجلست عنده ثم انصرف كل منهما إلي حال سبيله فتوجهت إلي بيتها وتوجه قمر الزمان إلي السوق ولما رجع في وقت المغرب رأي عنده عشرة اكياس وجواهر وغير ذلك ثم ان الجوهري جاءه في بيته واخذه إلى القاعة وسهر فيها هو واياه فدخلت الجارية علي العادة واسقتهما فرقد سيدها وقمر الزمان ماصابة شئ لان فنجانه سالم لا غش فيه ثم اقبلت عليه الصبية فجلست تلاعبة وصارت الجارية تنقل المصالح إلى بيته من السرداب ولم يزالوا علي هذه الحالة إلى الصباح ثم ان الجارية نبهت سيدها

واسقتهما القهوة وكل منها راح إلى حال سبيله وفي ثالث يوم اخرجت له سكينا كانت لزوجها وهي صياغته بيده وكلفها خمسمائة دينار لم يوجد لها مثيل في حسن الصياغة ومن كثرة ماطلبها منه الناس وضعها في صندوق ولم تسمح نفسه ببيعها لاحد من المخلوقين ثم قالت له خذ هذه السكين وحطها في حزامك ورح إلى زوجي واجلس عنده واخرجها من حزامك وقل له يامعلم انظر هذه السكين فاني اشتريتها في هذا اليوم واخبرني هل انا مغلوب فيها أو غالب فانه يعرفها ويستحي ان يقول لك هذه سكينى فان قال لك من اين اشتريتها وبكم اخذتها فقل له رأيت اثنين من اللاوندية يتقاتلان مع بعضهما فقال واحد منهما للاخر اين كنت قال كنت عند صاحبتي وكل مااجتمع معها تعطيني دراهم وفي هذا اليوم قالت لي اني يدي لا تطول دراهم في هذا الوقت ولكن خذ هذه السكين فانها سكين زوجي فاخذتها منها ومرادي بيعها فاعجبتنى السكين ولما سمعته يقول ذلك قلت له اتبيعها لي فقال اشتر فاخذتها منه بثلاثمائة دينار فياترى هل هي رخيصة أو غالية وانظر مايقول لك ثم تحدث معه مدة وقم من عنده وتعالي إليّ بسرعة فتراني قاعدة في فم السرداب انتظرك فاعطني السكين فقال لها سمعا وطاعة ثم اخذ تلك السكين وحطها في حزامه وراح إلى دكان الجوهري فسلم عليه فرحب به واجلسه فرأي السكين في حزامه فتعجب وقال : في نفسه ان هذه سكيني ومن اوصلها إلى هذا التاجر وصار يفكر في نفسه ويقول ياترى هل هي سكيني أو سكين تشبهها وإذا بقمر الزمان اخرجها وقال يامعلم خذ هذه السكين تفرج عليها فلما اخذها من يده عرفها حق المعرفة واستحى ان يقول هذه سكيني وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلا المباح .

فلما كانت الليلة الثالثة والسبعون بعد التسعمائة

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الجوهري لما اخذ السكين من قمر الزمان عرفها واستحي ان يقول هذه سكيني ثم قال له من اين اشتريتها فاخبره بما اوصته به الصبية فقال له هذه بهذا الثمن رخيصة لانها تساوي خمسمائة دينار وانقادت النار في قلبه وارتبطت اياديه عن الشغل في صنعته وصار يتحدث معه وهو غريق في بحر الافكار وكلما كلمه الغلام خمسين كلمة يرد عليه بكلمة واحدة وصار قلبه في عذاب وجسمه في اضطراب وتكدر منه الخاطر وصار كما قال الشاعر :

لـم ادر قولا إذا حبوا مكالمتـي   أو كـلـموني يـروني غـائب الـفكـر
غـرقان فـي بحـر فـكر لا قـرار له   لا افـرق الـناس انـشـاها مـن الذكـر

فلما رأه تـغيرت حالته قال لـه لعلك مشغول في هـذه الساعة ثم قام من عـنده وتوجه إلى البيت بسرعة فرأها واقفة في باب السرداب تـنـتظره فلما رأته قالت له هل فعلت كما امرتك قال نعم قالت لـه ما قال لك قال لها قال لي انها رخيصة بهـذا الثمن لانها تساوى خمسـمائة دينار ولـكن تغيرت أحوالـه فقمت من عـنده ولم أدر ما جرى له بـعد ذلك فقالت هات السكين وما عليك منه ثم أخذت السكين وحطتها في موضعها وقعدت هذا ما ان كان من أمـرها وأماما كان من أمـر الجوهرى فإنه بعـد ذهاب قمر الزمان مـن عنده التهـبت بقلبـه النار وكثر عـنده الوسواس وقـال في نفسه لابـد ان أقوم واتفقد الـسكين واقطع الشك باليقين فقام واتى البيت ودخل علـى زوجته وهو ينفخ مثل الثعبان فقالت له مالك ياسـيدى فقال لها أين سـكيني قالت في الصـندوق ثم دقت صدرها بيـدها وقالت ياهمى لعلك تخاصـمت مع أحد فاتيت تطلب السكين لتضربه بهـا قال لها هاتى السكين اريني ايـاها قالت حـتى تحلف انـك لا تضرب بهـا أحد فحلـف لها ففـتحت الصـندوق واخرجتها لـه فصار يقلبها ويـقول أن هذا شئ عجيب ثم أنـه قال لها خذيها وحطـيها في مكانها قالت له اخبرني ما سبب ذلك قال لها أنـى رأيت مع صاحبنا سكينا مثلها واخبرها بالخبـر كله ثم قال لهـا ولما رأيتها فـى الصندوق قطعـت الشك باليـقين فقالت له لـعلك ظننت بي سوأ وجعلتنى صاحبة اللاوندى واعطـيته السكين فقال لها نعم انى شككت فى هذا الأمر ولكـن لما رأيت السكين ارتفـع الشك من قلبـى فقالت له يا رجل أنـت ما بقى فيك خير فصار يعتذر إليها حتى ارضـاها ثم خرج وتوجه إلى دكانه وفى ثانى يوم أعطت قمر الزمان ساعة زوجهـا وكان صنعها بيده ولم يكن عند أحد مثـلها ثم قالت له رح إلى دكانه واجلس عنده وقل له ان الذى رأيته بالأمس رأيته فى هذا اليوم وفى يده ساعة وقال لى اتشترى هذه الساعة فقالت له من اين لك هذه الساعة قال كنت عند صاحبتي فاعطتنى اياها فاشـتريتها منه بـثمانية وخمسين ديـنارا فانظر هل هى رخـصية بهذا الثمـن أو غالية وانظر ما يقـول لك واذا قمت من عنده فأتى بسـرعة واعطنى اياها فراح اليـه قمر الزمان وفعل معه ما أمرته بـه فلما رأها الجوهرى قال هذه تساوى سبعمـائة دينار وداخله الوهـم

ثم ان الغلام تركه وراح إلى الصبية واعطاها تلك الساعة واذا بزوجها دخل ينفخ وقال لها أين ساعتى قالت له هاهى حاضرة قال لها هاتيها فاتت له بها فقال لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم فقالت له يا رجل ما أنت بلا خبر فاخبرنى بخبرك فقال لها ماذا اقول انى تحيرت فى هذه الحالات ثم انشد هذه الأبيات :

تحيرت والرحمن لا شك فى أمرى ... وحاقت بى الاحزان من حيث لاادرى

سأصبر حتى يعم الصبر اننى ... صبرت على شئ أمر من الصبر

وما مثل مر الصبر صبرى وانما ... صبرت على شئ احر من الجمر

وما الأمر أمرى فى المراد وانما ... امرت بحسن الصبر من صاحب الأمر

ثم قال يا امرأة انى رأيت مع التاجر صاحبنا أولا سكينى وقد عرفتها لأن صياغتها اختراع من عقلى وليس يوجد مثلها واخبرنى بآخبار تغم القلب واتيت فرأيتها ورأيت معه الساعة ثانيا وصياغتها أيضا اختراع من عقلى وليس يوجد مثلها في البصرة واخبرنى أيضا باخبار تغم القلب فتحيرت في عقلى وما بقيت اعرف ما جرى لي فقالت له مقتضى كلامك انى خليلة ذلك التاجر وصاحبته واعطيته مصالحك وجوزت خيانتى فجئت تسألنى ولو كنت ما رأيت السكين والساعة عندى كنت أثبت خيانتى لكن يا رجل حيث انك ظننت بي هذا الظن ما بقيت اؤاكلك فى زاد ولا اشاربك فى ماء بعد هذا فاني كرهتك كراهة التحريم فصار يأخذ بخاطرها حتى ارضاها ثم خرج وتندم علي مقابلتها بهذا الكلام وتوجه إلى دكانه وجلس وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة الرابعة والسبعون بعد التسعمائة

قالت : بلغنى أيها الملك السعيد ان الجوهرى لما خرج من عند زوجته صار يتندم علي هذا الكلام ثم ذهب إلى الدكان وجلس معه فى الدكان وصار فى قلق شديد وفكر ما عليه من مزيد وهو ما بين مصدّق ومكذب وعند المساء آتى إلى البيت وحده ولم يأت بقمر الزمان معه فقالت له الصبية أين التاجر قال فى منزله قالت هل بردت الصحبة التي بينك وبينه قال والله انى كرهته مما جرى منه فقالت له قم هاته من شأنه خاطرى فقام

ودخل عليه بيته فرأى حوايجه منشورة فيه فعـرفها فقادت النار فى قلبه وصار يتنهد فقال قمر الزمان مالى اراك فـى فكر فاستحى ان يقول له ان حوايجى عنـدك من أوصلها اليك وانما قال لـه حصل عندى تـشويش ولكن قـم بنا إلى البيـت لنتسلـي هناك فقال دعـنى في محـلى فلا اروح معـك فحلـف عليه واخـذه ثم تعـشى معه وسـهر تلـك الليلـة وصار يتحـدث معه وهو غريـق فى بحر الأفكـار واذا تكلم الغـلام التاجر مائـة كلمة يرد عـليه الجوهرى بكلـمة واحدة ثم دخلت عليـهما الجارية بفنجـانين علي العادة فلمـا شربا رقد التاجـر ولم يرقد الغـلام لأن فنجانه غـير مغشوش ثـم دخلت الصبية علي قمـر الزمان وقالت له كيف رأيت هـذا القرنان الذى هو فى غفلته سكران ولا يعـرف مكايد النسوان فلابد ان اخدعه حتى يطـلقنى ولكن فى غدا تهيأ بهيئة جـارية واروح خلفك إلى الدكان وقل له يا معلم انى دخلت اليوم خان اليسيرجـية فرأيت هذه الجارية فاشتريتها بالف دينار فانظرها لى هل هى رخيصة بهذا الثمـن أو غالية ثم اكشف له عن وجهى ونهودى وفرجه على ثم خذنى وارجع بـى إلى منزلك وانا ادخل بيتى من السرداب حـتى انظر آخر أمرنا معه ثـم انهما امـضيا ليـلتهمـا على انس وصـفاء ومنادمـة وهراش وبسط وانـشراح الي الصباح وبعد ذلك ذهبت الي مكانهاوأرسلت الجـارية فايقظت سيدها وقمر الزمان فقاما وصليا الـصبح وافطرا وشربا الـقهوة وخرج الجوهرى إلـى دكانه وقمر الزمان دخـل بيته وإذا بالصبية خرجت له من السرداب وهى بصـفة جارية وكان أصلها جارية ثم توجه إلى دكان الجوهـرى ومشت خلـفه ولـم يزل ماشـــيا وهـى خلفه حتـى وصـل بهـا إلى دكان الجوهـرى فســــلم عليه وجـلس وقال يا معلم اني دخلـت اليوم خان اليسيرجـية بقصد الفرجـة فرأيت هذه الجارية فـى يد الدلال فاعجبـتنى فاشتريـتها بالف دينـار وقصدى ان تتفرج عليها وتـنظر هل هى رخيصة بهذا الثمن أم لا وكشف له عـن وجهها فرأها زوجته وهى لابسه افخر ملبوسها ومتزينه باحسن الزيـنة ومكحلة كما كانت تتزين قدامه فى بيته فعرفـها حق المعرفـة بوجهها ومـلبوسها وصيـغتها لانه صـاغها بيده ورأى الخـواتم التى صاغها جديدا لقمر الزمان في أصبعه وتحقـق عنده انها زوجته من سائر الجهات فقال لها ما اسمك يا جارية قالت حـليمة وزوجته اسمها حليمة فذكرت له الاسـم بعينه فتعجب من ذلك وقال له بكم اشـتريتها قال بالف دينار قال انك اخذتهـا بلاثمن لأن الالف دينار أقل من ثمن الخواتم وملبسها ومصاغها بلاشـئ فقال له بشرك الله بالخير وحيث اعجبتك

فانا أذهب بها إلى بيتى فقال افعل مرادك فاخذها وراح إلى بيته ونزلت من السرداب وقعدت فى قصرها هذا ما كان من أمرها وأماما كان من أمر الجوهرى فان النار اشتعلت فى قلبه وقال فى نفسه أنا اروح انظر زوجتى فإن كانت فى البيت تكون هذه الجارية شبيهتها وجل من ليس له شبيه وان لم تكن زوجتى فى البيت تكون هى من غير شك ثم انه قام يجرى إلى ان دخل البيت فرأها قاعدة بملبسها وزينتها التى رأها بها فى الدكان فضرب يدا على يد وقال لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم فقالت له يا رجل هل حصل لك جنون أو ما خبرك فما هذه عادتك لابد ان يكون لك أمر من الأمور فقال لها إذا كان مرادك ان اخبرك فلا تغتمى فقالت له قل قال ان التاجر صاحبنا اشترى جارية قدها مثل قدك وطولها مثل طولك واسمهامثل اسمك وملبسها مثل ملبسك وهى تشبهك فى جميع صفاتك وفى اصبعها خواتم مثل خواتمك ومصاغها مثل مصاغك فلما فرجنى عليها ظننت انها أنت وقد تحيرت فى أمرى ليتنا مارأينا هذا التاجر ولا صاحبناه ولا جاء من بلاده ولا عرفناه فانه كدر عيشتى بعد الصفاء وكان سببا فى الجفاء بعد الوفاء وادخل الشك في قلبى فقالت له طل فى وجهى لعلى اكون انا التى كنت معه والتاجر صاحبى وقد تلبست بصفة جارية واتفقت معه على ان يفرجك علي حتى يكيدك فقال اى شئ هذا الكلام أنا ما أظن بك ان تفعلى مثل هذه الفعال وكان ذلك الجوهرى مغفلا عن مكايدة النساء وما يفعلن مع الرجال ولم يسمع بقول من قال :

طحابك قلب في الحسان طروب ... بعيد الشباب عصر حان مشيب
يكلفنى ليلى وقد شط وليها ... وعادة عواد بيننا وخطوب
وان تسألونى بالنساء فاننى ... خبير بادواء النساء طبيب
إذا شاب رأس المرء او قل ماله ... فليس له من ودهن نصيب

وقول آخر

أعص النساء فتلك الطاعة الحسنة ... فلن يفوز فتى يعطى النسارسنه
يعقنه عن كمال فى فضائله ... ولو سعى طالبا للعلم الف سنه

وقـول الآخـر

ان الـنـسـاء شـيـاطـين خـلـقـن لـنـا اعـوذ بـالله مـن كـيـد الـشـيـاطـين

ومـن بهـــن رمــاه العشق مبتليـــا قـد ضـيـع الحـزم من دنيا ومن دين

ثم قـالت له ها أنـا قاعدة في قـصرى ورح أنت إلـيه في هذه الـساعة واطرق الـباب واحتل على الـدخول عليه بسرعة فاذا دخلـت ورأيت الجارية عنده تكون جاريتـه تشبهن وجل من ليـس له شبيه وان لم تر الجـارية عنده اكون انا الجـارية التى رأيتها مـعه ويكون ظنك بى الـسـوء محققا فقال صدقت ثـم تركها وخرج فقامت هى ونـزلت من السرداب وقعدت عند قمر الزمان واخـبرته بذلك وقالت له افتح الباب بسرعة وفرجـه على فبينما هما فـى الكلام واذا بالباب يـطرق فقال من بالـباب قال انا صاحبـك فانك فرجتنـى علي الجارية فـى السوق وفرحت لك بـها ولكن ما كمـلت فرحتى بهـا فأفتح الباب وفـرجنى عليهـا لا بأس بذلك ثم فتح لـه الباب فرأى زوجته قاعـدة عنده فقامت وقبـلت يده ويد قمر الزمان وتفرج علـيها وتحدث معه مدة فرأها لاتتميز عن زوجتـه بشئ فقال يخلق الله ما يشـاء ثم انه خرج وكثر فـي قلبه الوسـواس ورجع إلى بيتـه فرأى زوجته جالسـة لانها سبقتـه من السرداب حين خرج مـن الباب وادرك شهرزاد الصـباح فسكتت عـن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة الخامسة والسبعون بعد التسعمائة

قالت : بلغنى ايها الملك السعيد ان الصبية سبقت زوجها من السرداب حين خرج من الباب ثم قـعدت فى قصرها فلـما دخل عليها زوجـها قالت له أى شئ رأيت قـال رأيتها عند سيدها وهي تشبهك فقالت توجه إلى دكـانك وحسبك سوء الظن فما بقيت تظن بى سوأ فقال لها الأمر كـذلك فلا تؤاخذينى بما صدر منى قالت سامـحك الله ثم قبلها ذات اليمين وذات الشمال وراح إلـى دكانه فنزلت من السرداب إلى قمر الـزمان ومعها أربعة اكياس وقالـت له جهز حالك لسرعـة السفر واستعد لتـحميل المال بلا امهال حـتى افعل لك ما عـندى من الحيـل فطلع واشـترى بغلا وحمـل احمالا وجهـز تخطروانـا واشترى مماليك وخدما واخرج الجـميع من البلد ومابقى له عاقة واتى لـها وقال انى تممت أمورى فقالت له وأنا الاخـرى قد نقلت بقية ماله وجـميع ذخائره عندك وما خليـت له قليلا ولا

كثيـرا ينتفع به وكـل هذا محبة فـيك يا حبيـب قلبى فأنا افـديك الف مرة بزوجـى ولكن ينبـغى ان تذهب الـيه وتودعه وتـقول له انا اريد الـسفر بعـد ثلاثة أيام وجـئت لاودعك فاحسب ما انجمل لك عندى من أجرة البيت حتى اورده لك وتبرئ ذمتى وانظر ما يكون من جوابه وارجع إلىّ واخبرنى فانى عجزت وانا احتال عليه واغيظه لاجل ان يطلقنى فما آراه إلا متعـلقا بى وما بقـى لنا أحسن من الـسفر إلى بلادك فـقال لها ياحبـذا ان صحت الاحلام ثم راح إلى دكانه وجلس عنده وقال له يا معلم انا مسافر بعد ثلاثة أيام وما جئت إلا لاودعك والمـراد انك تحسب مـا انجمل لك عـندى من أجـرة البيت حـتى اعطيـه لك وتبرئ ذمتى فقال له ما هذا الكلام ان فضلك عـلىّ والله ما آخذ منك شيئا من أجرة البيت وحلـت علينـا البركـات ولكنـك توحشنـا بسفـرك ولولا أنه يـحرم علىّ لـتعرضـت لك ومنعتك من عيـالك وبلادك ثم ودعه وتباكيا بكاء شديدا ما عليـه من مزيد وقفل الدكان من ساعته وقال فى نفسه ينبغى ان اشيع صاحبى وصار كلما راح يقضى حاجة يروح معه واذ ادخل بيت قمر الزمان يـجدها فيه وتقف بين ايديهما وتخدمـهما وإذا رجع الى بيته يراها قاعدة هناك ولـم يزل يراها فى بيته إذ ادخله ويراها فى بيت قمر الزمان إذا دخله مدة الثلاثة أيـام ثم انها قالت له انـى نقلت جميع ما عـنده من الذخائر والأمـوال والفروش ولـم يبـق عـنـده إلا الجارية التى تدخل عليـكما بالشراب ولـكنى لا اقدر على فراقها لأنها قـريبتى وعزيـزة عندى وكاتمة لـسرى ومرادى ان اضربهـا واغضب عليـها واذا اتى زوجى أقول لـه أنا ما بقيت اقـبل هذه الجارية ولا اقـعد انا واياها فـى بيت فخذها وبـعها فيأخذها ليبـيعها فاشتريها انت حتى نأخـذها معنا فقال لا بأس ثم انها ضربـتها فلما دخل زوجها رأى الجارية تبكى فسألها عن سبب بكـائها فقالت ان سيدتى ضربتنى فدخل وقال ما فعلت هذه الجارية المـلعونة حتى ضربتها فقالت له يا رجـل انى اقول لك كلمة واحدة انا ما بقيت أقدر ان انظر هذه الجارية فخذها والا طـلقنى فقال ابيعها ولا اخالف لك أمرا ثم أنه أخذهـا معه وهو خارج الى الـدكان ومر بها على قـمر الزمان وكانت زوجـته بعد خروجه بالجارية مرقت من السرداب بسرعة إلى قـمر الزمان فادخلها فى التخطروان قبل ان يصل اليه الشيخ الجوهرى فلما وصل اليه ورأى قمر الزمان الجارية معه قال له ما هذه قال جاريتى التى كانت تسقينا الشراب ولكنهـا خالفت سيدتها فغضبت عليها وامرتنى ان ابيعها فـقال انها حيث بغضتهـا سيدتها ما بقى لهـا قعود عندها ولكن بعهـا لى حتى اشم

ريحتك فيها واجعلها خادمة لجاريتي حليمة فقال لابأس خذها فقال له بكم فقال أنا لا آخذ منك شيئا لأنك تفضلت علينا فقبلها منه وقال للصبية قبلي يد سيدك فبرزت له من التخطروان وقبلت يده ثم ركبت في التخطروان وهو ينظر اليها ثم قال له قمر الزمان استودعتك الله يا معلم عبيد ابرئ ذمتي فقال له ابرئ الله ذمتك وحملك بالسلامة إلى عيالك وودعه وتوجه إلى دكانه وهو يبكي وقد عز عليه فراق قمر الزمان لكونه كان رفيقا له والرفيق له حق ولكنه فرح بزوال الوهم الذى حصل عنده من أمر زوجته حيث سافر ولم يتحقق ما ظنه في زوجته هذا ما كان من امره واماما كان من أمر قمر الزمان فإن الصبية قالت له ان أردت السلامة فسافر بنا على غير طريق معهودة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة السادسة والسبعون بعد التسعمائة

قالت :بلغنى أيها الملك السعيد أن قمر الزمان لما سافر قالت له الصبية ان أردت السلامة تسافر بنا علي غير طريق معهودة فقال سمعا وطاعة ثم سلك طريقا غير الطريق التى تعهد الناس المشى فيها ولم يزل مسافرا من بلاد إلى بلاد حتي وصل إلى حدود قطر مصر ثم كتب كتابا وارسله الى والده مع ساع وكان والده التاجر عبد الرحمن قاعدا فى السوق بين التجار وفى قلبه من فراق ولده لهيب النار لأنه من يوم توجه ما اتاه من عنده خبر فبينما هو كذلك وإذا بالساعي مقبل وقال يا سادتى من فيكم اسمه التاجر عبد الرحمن فقالوا له ما تريد منه قال لهم ان معى كتابا من عند ولده قمر الزمان وقد فارقته عند العريش ففرح وانشرح وفرح له التجار وهنوه بالسلامة ثم أخذ الكتاب وقرأه فرأه من عند قمر الزمان إلى التاجر عبد الرحمن وبعد السلام عليك وعلى جميع التجار فإن سألتم عنا فلله الحمد والمنة وقد بعنا واشترينا وكسبنا ثم قدمنا بالصحة والسلامة والعافية فعند ذلك فتح باب الفرح وعمل الولائم وأكثر الضيافات والعزائم واحضر آلات والطرب واتى فى الفرح بأنواع العجب فلما وصل ولده إلى الصالحية خرج إلى مقابلته أبوه وجميع التجار فقابلوه واعتنقه والده وضمه إلى صدره وبكى حتى أغمى عليه ولما افاق قال له يوم مبارك يا ولدى حيث جمعنا بك المهيمن القادر ثم انشد قول الشاعر :

وقرب الحبيب تمام السرور وكأس الهناء علينا يدور
فأهلا وسهلا يلى مرحبا بنور الزمان وبدر البدور

ثم افاض من شدة الفرح دمع العين وانشد هذين البيتين

قمر للزمان يلوح فى اسفاره اشراقه اذ جاء من اسفاره
فشعوره في اللون ليل غيابه لكن شروق الشمس من ازراره

ثم ان التجار تقدموا اليه وسلموا عليه فرأوا معه احمالا كثيرة وخدما وتخطروانا وهو في دائرة واسعة فأخذوه ودخلوا به البيت فلما خرجت الصبية من التخطروان رأها أبوه فتنة لمن يراها ففتحوا لها قصرا عليا كأنه كنز انحلت عنه الطلاسم ولما رأتها أمه افتتنت بها وظنت أنها ملكة من زوجات الملوك وفرحت بها وسألتها فقالت لها أنا زوجة ولدك قالت حيث تزوج بك ينبغى لنا أننا نقيم لك فرحا عظيما حتى نفرح بك وبولدى هذا ما كان من أمرها وأما ما كان من أمر التاجر عبد الرحمن فإنه بعد انفضاض الناس ورواح كل واحد إلى حال سبيله اجتمع بولده وقال له يا ولدى ما تكون هذه الجارية عندك وبكم اشتريتها فقال له يا والدى انها ليست جارية وانما هى التى كانت سبب غربتى قال والده وكيف ذلك قال انها التى كان يصفها لنا الدرويش ليلة ما بات عندنا فإن آمالى تعلقت بها من ذلك الوقت ولا طلبت السفر إلا من أجلها حتى تعريت فى الطريق وأخذت العرب أموالى ومادخلت البصرة إلا وحدى وحصل لى كذا وكذا وصار يحكى لوالده من المبتدأ إلى المنتهى فلما فرغ من حديثه قال له ياولدى وبعد ذلك كله هل تزوجتها قال لا ولكن وعدتها أن اتزوج بها قال له هل مرادك الزواج بها قال أن كنت تأمرنى أفعل ذلك وإلا فلا اتزوجها قال له ان تزوجت بها اكون بريئاً منك فى الدنيا والآخرة وأغضب عليك غضبا شديدا كيف تتزوج بها وهى عملت هذه الفعل مع زوجها وكما عملتها مع زوجها على شأنك تعمل معك مثلها على شأن غيرك فإنها خائنة والخائن ليس له أمان فإن كنت تخالفنى اكون غضبانا عليك وان سمعت كلامى افتش لك على بنت احسن منها تكون طاهرة زكية فازوجك بها ولو كنت انفق عليها جميع مالى واعمل لك فرحا

ليس له نظير وافتخر بك وبها وإذا قال الناس فلان تزوج بنت فلان أحسن من ان يقولوا تزوج جارية معدومة النسب والحسب وصار يرغب ولده في عدم زواجها ويذكر له فى شأن ذلك عبارات ونكتا وأشعارا وآمثالا ومواعظ فقال قمر الزمان يا والدى حيث كان الأمر كذلك فلا علاقة لى بزواجها فلما قال قمر الزمان ذلك الكلام قبله أبوه بين عينيه وقال له أنت ولدى حقا وحياتك يا ولدى لابد لى من ان ازوجك بنتا ليس لها نظير ثم ان التاجر عبد الرحمن حط زوجة عبيد الجوهرى وجاريتها فى قصر عال وقفل عليهما وقيد بهما جارية سوداء توصل لهما اكلهما وشربهما وقال لها أنت وجاريتك تستمران محبوستين فى هذا القصر حتى أنظر لكما من يشتريكما وابيعكما له وان خالفت قتلتك أنت وجاريتك فانك خائنة ولا خير فيك فقالت له افعل مرادك فإنى استحق جميع ما تفعله معى ثم قفل عليهما الباب ووصى عليهما حريمه وقال لا يطلع عندهما أحد ولا يكلمها غير الجارية السوداء التى تعطيهما اكلهما وشربهما من طاقة القصر فقعدت هى وجاريتها تبكى وتتندم على ما فعلت بزوجها هذا ما كان من أمرها واماما كان من أمر التاجر عبد الرحمن فإنه أرسل الخطاب يخطبون بنتاذات حسب ونسب لولده فلازلن يفتشن وكلما رأين واحدة يسمعن بأحسن منها حتى دخلن بيت شيخ الإسلام فرأين بنته لم يكن لها نظير فى مصر وهى ذات حسن وجمال وقد واعتدال لانها أحسن من زوجة عبيد الجوهرى بالف طبقة فاخبرته بها فذهب هو والاكابرالى والدها وخطبوها منه وكتبوا الكتاب وعملوا لها فرحا عظيما ثم عمل الولائم وعزم فى أول يوم الفقهاء فعملوا مولدا شريفا وثانى يوم عزم التجار تماما ثم دقت الطبول وزمرت الزمور وزين الحارة والخط بالقناديل وفى كل ليلة تأتى سائر أرباب الملاعب ويلعبون أنواع اللعب وكل يوم يعمل ضيافة لصنف من أصناف الناس حتى عزم العلماء والأمراء والصناجق والحكام ولم يزل الفرح قائما مدة أربعين يوما وكل يوم يقعد التاجر ويستقبل الناس وولده يقعد بجانبه ليتفرج على الناس وهم يأكلون من السماط وكان فرحا ليس له نظير وفى آخر يوم عزم الفقراء والمساكين غريبا وقريبا فصاروا يأتون زمرا ويأكلون والتاجر جليس وابنه بجنبه فبينما هم كذلك وإذا بالشيخ عبيد زوج الصبية داخل فى جملة

الفقراء وهـو عريان تعبان وعلى وجهه أثر السـفر فلما رأه قمـر الزمان عرفه فقـال لأبيه انظر يا أبى إلى هذا الرجـل الفقير الذى دخل من الباب فنظر إليـه فرأه رث الثياب وعليه خلق جلبـاب يساوى درهمين وفي وجهه أصفرار يـعلوه غبار وهو مثل مقـاطيع الحجاج ويئن انـين المريض المحتـاج ويمشى بتـهافت ويميـل فى مشيـة ذات اليمين وذات الـشمال وتحقق فيه قول من قال :

الـفقـر يـرزى بالـفـــــتى دائمـا ... كمـا اصفرار الـشمس عـند المغـيب
يمـر بـين الـنـاس مسـتـخـفـيـا ... وان خـلا يـبـكـى بـدمـع صـبـيـب
وان يـغـب فـلـيـس يـعـنـى بــه ... ومـــله عنـــــد حضـور نـصيب
والله مـا الانـــسـان فـي أهـــلـه ... إذا ابتـلـى بالـفقـــر إلا غـــريـــب

ويقول الآخر

يمـشى الـفـقـيـر وكـل شئ ضـده ... والأرض تـغـلـق دونـه أبـوابـهـا
وتراه ممـقــــوتـا وليس بمـذنب ... ويـرى الـعـداوة لا يرى أسـبـابـهـا
حـتى الـكـلاب اذارات ذا نـعمــة ... اومـت اليـــه وحـركـت اذنـابـهـا
وإذا ترى يـوما فـقــــيرا بـائسـا ... نـبـحت عـليـه وكـشـرت انيـابـهـا

وما أحسن قول الشاعر

إذا صـحـب الـفـتى عـزا وسـعـدا ... تحـامـتــه المـكـاره والخـطـوب
وواصـله الحـبـيـــب بغـيـر وعـد ... طـفـيـلـيـا وقـاد لـه الـرقـيـب
وعـــد الـنـــاس ضـرطتــــه ... وقـالـوا ان فـسا قـد فـاح طيـب

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة السابعة والسبعون بعد التسعمائة

قالت بلـغنى ايها الملك السـعيد ان التاجر عبـد الرحمن لما قال له ولده انـظر إلى هذا الرجل الفقير قـال يا ولدى من هذا قال له هذا المعلم عبيـد الجوهرى زوج المرأة المحبوسة عندنا فقال له اهذا الـذى كنت تحدثنى عنه قال نعم وقد عرفته معـرفة جيدة وكان السبب

فى مجيئه أنه لما ودع قمر الزمان توجه إلى دكانه فجاءته دقة شغل فاخذها واشتغلها في بقية النهار وعند المساء قفل الدكان وذهب إلى البيت ووضع يده علي الباب،فانفتح فدخل فلم ير زوجته ولا الجارية ورأى البيت فى اسوء الأحوال منطبق عليه قوله من قال :

كانت خليات نحل وهى عامرة لما خلى نحلها عادت خليات

كأنها اليوم بالسكان ما عمرت اوغال سكانها فصل المنيات

فلما رأى الدار خالية التفت يمينا وشمالا ثم دار فيها مثل المجنون فلم يجد أحدا وفتح باب خزينته فلم يجد فيها شيئا من ماله ولا من ذخائره فعند ذلك فاق من سكرته وتنبه من غشيته وعرف ان زوجته هى التى كانت تتقلب عليه بالحيل حتى غدرته فبكى علي ما حصل له ولكنه كتم امره حتى لا يشمت به أحد من أعدائه ولا يتكدر أحد من أحبابه وعلم أنه إذا باح بالسر لا يناله الا الهتيكة والتعنيف من الناس وقال فى نفسه يافلان اكتم ما حصل لك من الخيال والوباب وعليك بالعمل بقول من قال :

إذا كان صدر المـــرء بالسر ضيقا فصدر الذى يستودع السر اضيق

ثم انه قفل بيته وقصد الدكان ووكل بها صانعا من صناعه وقال له ان الغلام التاجر صاحبى عزم علي ان أروح معه إلى مصر بقصد الفرجة وحلف أنه ما يرحل حتى يأخذنى معه بحريمى وأنت يا والدى وكيلى فى الدكان وان سألكم عنى الملك فقولوا له أنه توجه بحريمه إلى بيت الله الحرام ثم باع بعض مصالحه واشترى له جمالا وبغالا مماليك واشترى له جارية وحطها فى تخطروان وخرج من البصرة بعد عشرة أيام فودعه أحبابه وسافر والناس لا يظنون إلا أنه أخذ زوجته وتوجه إلى الحج وفرحت الناس وقد انقذهم الله من حبسهم فى المساجد والبيوت فى كل يوم جمعة وصار بعض الناس يقول لارده الله إلى البصرة مرة آخرى حتى لانحبس فى المساجد والبيوت فى كل يوم جمعة لان هذه الخصلة اورثت اهل البصرة حسرة عظيمة وبعضهم يقول اظنه لا يرجع من سفره بسبب دعاء أهل البصرة عليه وبعضهم يقول أن رجع لا يرجع إلا منكس الحال وفرح أهل البصرة بسفره فرحا عظيما بعد أن كانوا فى حسرة عظيمة حتى ارتاحت

قططهم وكلابهم فلما آتى يوم الجمعة نادى المنادى فى البلد على العادة بأنهم يدخلون المساجد قبل صلاة الجمعة بساعتين أو يستخفون فى البيوت وكذلك القطط والكلاب فضاقت صدورهم فاجتمعوا جميعا وتوجهوا إلى الديوان ووقفوا بين يدى الملك وقالوا له يا ملك الزمان ان الجوهرى أخذ حريمه وسافر إلى حج بيت الله الحرام وزال السبب الذى كنا نحبس من أجله فبأى سبب نحبس الآن فقال الملك كيف سافر هذا الخائن ولم يعلمنى لكن إذا جاء من سفره لا يكون الا خيرا روحوا إلى دكاكينكم وبيعوا واشتروا فقد ارتفعت عنكم هذه الحالة هذا ما كان من أمر الملك وأهل البصرة واما ماكان من أمر المعلم عبيد الجوهرى فإنه سافر عشرة مراحل فحل به ما حل بقمر الزمان قبل دخوله البصرة وطلعت عليه عرب بغداد فعروه واخذوا ما كان معه وجعل روحه ميتا حتى خلص وبعد ذهاب العرب قام ومشى وهو عريان إلى أن دخل بلدا فحنن الله عليه أهل الخير فستروا عورته بقطع من الثياب الخلقة وصار يسأل ويتقوت من بلد إلى بلد حتى وصل إلى مصر المحروسة فاحرقه الجوع فدار يسأل فى الأسواق فقال له رجل من أهل مصر يا فقير عليك ببيت الفرح كل واشرب فإن هناك فى هذا اليوم سماط الفقراء والغرباء فقال لا أعرف طريق بيت الفرح فقال له اتبعنى وأنا أريه لك فتبعه إلى أن وصل إلى البيت قال له هذا هو بيت الفرح فادخل ولا تخف فما على باب الفرح من حجاب فلما دخل رأه قمر الزمان فعرفه وأخبر به أباه ثم ان التاجر عبد الرحمن قال يا ولدى اتركه فى هذه الساعة ربما يكون جائعا فدعه يأكل حتى يشبع ويسكن روعة وبعد ذلك نطلبه فصبرا عليه حتى أكل واكتفى وغسل يديه وشرب القهوة والشربات السكر الممزوجة بالمسك والعنبر واراد ان يخرج فارسل خلفه والد قمر الزمان فقال له الرسول تعال يا غريب كلم التاجر عبد الرحمن فقال ما يكون هذا التاجر فقال له صاحب الفرح فرجع وظن أنه يعطيه احسانا فلما أقبل على التاجر رأى صاحبه قمر الزمان فغاب عن الوجود من الحياء منه وقام له قمر الزمان على الاقدام وأخذه بالاحضان وسلم عليه وتباكيا بكاء شديدا ثم أنه اجلسه بجانبه فقال له أبوه يا عديم الذوق ما هذا شأن ملاقاة الأصحاب أرسله أولا إلى الحمام وأرسل اليه بدلة تليق به وبعد ذلك اقعد معه وتحدث أنت واياه فصاح على بعض الخدام وأمرهم ان يدخلوه الحمام وأرسل اليه بدلة من

خاص الملبوس تساوى الف دينارا أو أكثر من ذلك المبلغ وغسلوا جسده والبسوه البدلة فصار كأنه شاه بندر التجار وكان الحاضرون سألوا قمر الزمان عنه حين غيابه فى الحمام وقالوا من هذا أين تعرفه فقال هذا صاحبى وقد انزلنى فى بيته وله على احسان لا يحصى فانه اكرمنى اكراما زائدا وهو من أهل السعادة والسيادة وصنعته جوهرى ليس له نظير وملك البصرة يحبه حبا كثيرا وله عنده مقام عظيم وكلام نافذ وصار يبالغ لهم فى مدحه ويقول أنه فعل معى كذا وكذا وانا صرت فى حياء منه ولا أدرى ما اجازيه به فى مقابلة ما صنعه معى من الاكرام ولم يزل يثنى عليه حتى عظم قدره عند الحاضرين وصار مهابا فى أعينهم فقالوا نحن كلنا نقوم بواجبه واكرامه من شأنك ولكن مرادنا ان نعرف ما سبب مجيئه إلى مصر وما سبب خروجه من بلاده وما فعل الله به حتى صار فى هذه الحالة فقال لهم يا ناس لا تتعجبوا ان ابن آدم تحت القضاء والقدر وما دام فى هذه الدنيا لا يسلم من الآفات وقد صدق من قال هذه الأبيات :

الدهر يفترس الرجال فلا تكن ... ممن تطيشه المناسب والرتب
واحذر من الزلات واجتنب الاسى ... واعلم بأن الدهر شيمته العطب
كم نعمة زالت با صغر نقمة ... ولكل شئ فى تقلبه سبب

اعلموا انى أنا دخلت البصرة فى اسوء من هذه الحالة وأشد من هذا النكال لأن هذا الرجل دخل مصر مستور العورة بالخلقان وأما أنا فأنى دخلت بلاده مكشوف العورة يد من خلف ويد من قدام ولا نفعنى إلا الله وهذا الرجل العزيز والسبب فى ذلك ان العرب عرونى واخذوا جمالى وبغالى واحمالى وقتلوا غلمانى ورجالى ورقدت بين القتلى فظنوا انى ميت فذهبو وفاتونى وبعد ذلك قمت ومشيت عريانا إلى أن دخلت البصرة فقابلنى هذا الرجل وكسانى وانزلنى فى بيته وقوّانى بالمال وجميع ما اتيت به معى ليس إلا من خير الله وخيره فعندما سافرت اعطانى شيئا كثيرا ورجعت إلى بلدى مجبور الخاطر وفارقته وهو فى سيادة وسعادة فلعله حدث له بعد ذلك نكبة من نكبات الزمان أوجبت له فراق الأهل والأوطان وجرى له فى الطريق مثل ما جرى لى ولأ عجب فى ذلك ولكن ينبغى الآن ان اجازيه على ما صنع معى من كريم الفعال وأعمل بقول من قال :

يـــا محسنـــا بـــالزمــــان ظنــا   هـل تدرى مـا يـفعـل الزمـــان
ما شئـت فاصنــع جميــل فعـــل   كمـا يـــدين الـفـــتى يـــدان

فبينما هـم فى هذا الكلام وأمثاله وإذا بالمعلم عـبيد مقبل عليهم كأنه شـاه بندر التجار فقام اليه الجميع وســـلموا عليه واجلسوه فى الصـــدر وقال لـه قمر الزمان يا صاحبى نهارك مـبارك سعيـد لا تحك لى على شئ جرى علىّ قبـلك فإن العـرب عروك وأخذوا منك مالا فإن المال فدى الأبـدان فلا تغم نفسك فإنى دخلت بلادك عريـانا وقد كسوتنى واكرمتنى ولـك على الإحسان الكثير فـأنا اجازيك وأدرك شهرزاد الصباح فـسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة الثامنة والسبعون بعد التسعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان قمر الزمان لما قال للمعلم عبيد الجوهرى انى دخلت بلادك عريـانا وقد كسوتـنى ولك علـىّ الإحسان الكثـير فانا اجازيـك وأفعل معـك كما فعلت معى بل أكثـر من ذلك فطب نفسا وقر عينا وصار يأخذ بخـاطره ومنعه من الكلام لئلايذكر زوجته وما فـعلت معه ولم يزل يعظه بمواعظ وأمثال وأشـعار ونكت وحكايات وأخبار ويسـليه حتى لحظ الجـوهرى ما أشار اليه قـمر الزمان من الكـتمان فكتم مـا عنده وتسلى بما سمعه من الأخبار والنوادر وأنشد قول الشاعر :

فى جبهة الدهر سطر لو نظــرت لـــه   ابكــاك مضمـونه من مقلتيك دما
ما سلـم الدهر بالـيمنى علــى أحـــد   إلا ويسـراه تسـقيه الردى كـظما

ثم أن قـمر الزمان ووالـده التاجر عـبد الرحـمن أخذا الجوهـرى ودخلا به في قـاعة الحريم واختليا به فقال له الـتاجر عبد الرحـمن نحن ما منـعناك من الكلام إلا خـوفا من الفـضيحة فـى حقك وحـقنا ولكـن نحن الآن فـي خلوة فاخـبرنى بمـا جرى بينـك وبين زوجتك وولدى فـاخبره بالقضية مـن المبتدى إلى المنتهـى فلما فرغ من قصتـه قال له هل الذنـب من زوجـتك أو من ولـدى قال له والله أن ولـدك ما عـنده ذنب لأن الـرجال لـها الطمع فى الـنساء والنساء عليهـم أن يمتنعن من الرجال فـالعيب عند زوجتى التـى خانتنى وفعـلت معى هذه الفعال فقام التاجر واخـتلى بولده وقال له يا ولدى أننا اختبرنا زوجته

وعرفنا انها خائنة ومرادى الآن ان اختبره وأعرف هل هو صاحب عرض ومروءة أو هو ديوث فقال له وكيف ذلك فقال مرادى أن احمله على الصلح مع زوجته فإن رضى بالصلح وسامحها فإني اضربه بسيف فاقتله وبعد ذلك اقتلها هي وجاريتها لأنه لا خير في حياة الديوث والزانية وأن نفر منها فإني ازوجه أختك وأعطيه بأكثر من ماله الذى أخذته منه ثم أنه رجع اليه وقال له يا معلم أن معاشرة النساء تحتاج إلى طول البال ومن كان يهواهن فإنه يحتاج إلى ساعة الصدر لأنهن يعربدن فى الرجال ويؤذينهم لعزتهم عليهم بالحسن والجمال فيستعظمن أنفسهن ويستحقرن الرجال ولاسيما إذا بانت لهن المحبة من بعولهن فيقابلنهم بالتيه والدلال وكريه الفعال من جميع الجهات فإن الرجل يغضب كلما رأى من زوجته ما يكره فلا يحصل بينه وبينها عشرة ولا يوافقهن إلا من كان واسع البال كثير الاحتمال وأن لم يتحمل الرجل زوجته ويقابل اساءتها بالسماح فإنه لا يحصل له فى عشرتها نجاح وقد قيل فى حقهن لو كن فى السماء لمالت اليهن أعناق الرجال ومن قدر وعفى كان أجره على الله وهذه المرأة زوجتك ورفيقتك وطالت عشرتها معك فينبغي أن يكون عندك لها السماح وهذا فى العشرة من علامات النجاح والنساء ناقصات عقل ودين وهى إن أساءت فأنها قد تابت وأن شاء الله لا ترجع إلى فعل ما كانت تفعله اولا فالرأى عندى انك تصطلح أنت واياها وأنا أرد لك أكثر من مالك وأن اقمت عندى فمرحبا بك وبها وليس لكما إلا ما يسركما وأن كنت تطلب التوجه إلى بلادك فأنا اعطيك ما يرضيك وهاهو التخطروان حاضر فركب زوجتك وجاريتها فيه وسافر إلى بلادك والذى يجرى بين الرجل وزوجته كثير فعليك بالتيسير ولا تسلك سبيل التعسير فقال الجوهرى يا سيدى وأين زوجتى فقال له ها هى فى هذا القصر فاطلع إليها واستوص بها من شأنى ولاتشوش عليها فإن ولدى لما جاء بها وطلب زواجها منعته عنها وحطيتها فى هذا القصر وقفلت عليها الباب وقلت فى نفسى ربما يجيئ زوجها فاسلمها إليه لأنها جميلة الصورة والتى مثل هذه لا يمكن زوجها أن يفوتها والذى حسبته حصل والحمد لله تعالى على اجتماعك بزوجتك وأما من جهة ابنى فانى خطبت له وزوجته غيرها وهذه الولائم والضيافات من أجل فرحة وفى هذه الليلة دخلته على زوجته وهاهو

مفتاح القصر الذى فيه زوجتك فخذه وافتح الباب وادخل على زوجتك وجاريتك وانبسط معها ويأتيكم الأكل والشرب ولا تنزل من عندها حتى تشبع منها فقال له جزاك الله عنى كل خير يا سيدى ثم أخذ المفتاح وطلع فرحانا فظن التاجران هذا الكلام أعجبه وأنه رضى به فأخذ السيف وتبعه من خلفه بحيث لم يره ثم وقف ينظر ما يحصل بينه وبين زوجته هذا ما كان من أمر التاجر عبد الرحمن وأما ما كان من أمر الجوهرى فإنه دخل على زوجته فرآها تبكى بكاء شديداً بسبب أن قمر الزمان تزوج بغيرها ورأى الجارية تقول لها كم نصحتك يا سيدتى وقلت لك أن هذا الغلام لا ينالك منه خير فاتركى عشرته فما سمعت كلامى حتى نهبت جميع مال زوجك واعطيته له وبعد ذلك فارقت مكانك وتعلقت فى هواه وجئت معه فى هذه البلاد وبعد ذلك رماك من باله وتزوج بغيرك ثم جعل آخر تعلقك به الحبس فقالت لها اسكتى يا ملعونة فإنه وأن تزوج بغيرى لابد أن أخطر يوما على باله فأنا لا اسلو مسامرته وأنا على كل حال اتسلى بقول من قال :

يا سادتى هل يخطرن ببالكم   من ليس يخطر غيركم فى باله
حاشكم ان تغفلوا عن حال من   هو غافل فى حالكم عن حاله

فلابد أنه يتذكر عشرتى وصحبتى ويسأل عنى وأنا لا ارجع عن محبته ولا أحول عن هواه ولو مت فى السجن فانه حبيبى وطبيبى وعشمى فيه أنه يرجع إلى ويعمل معى انبساطا فلما سمعها زوجها تقول هذا الكلام دخل عليها وقال لها يا خائنة ان عشمك فيه مثل عشم إبليس فى الجنة كل هذه العيوب فيك وأنا ما عندى خبر ولو علمت أن فيك عيبا من هذه العيوب ما كنت قنيتك عندى ساعة واحدة ولكن حيث تيقنت فيك ذلك ينبغى أن اقتلك ولو قتلونى فيك يا خائنة ثم قبض عليها بيديه الاثنين وانشد هذين هذين البيتين :

يا ملاحا اذهبتم صدق ودى   بالتجنى ولم تراعوا حقوقا
كم بكم صبوة علقت ولكن   بعد هذا الأسى كرهت العلوق

ثم اتكئ على زمارة حلقها وكسرها فصاحت الجارية واسيدتاه فقال لها يا عاهرة العيب كله منك حيث كنت تعرفين أن فيها هذه الخصلة ولم تخبرينى ثم قبض على

الجارية وخنقها كل ذلك حصل والتاجر ماسك السيف بيده وهو واقف خلف الباب ويسمع باذنه ويرى بعينه ثم أن عبيدا الجوهرى لما خنقها فى قصر التاجر كثرت عليه الأوهام وخاف عاقبة الأمر وقال فى نفسه أن التاجر إذا علم أنى قتلتهما فى قصره لابد أنه يقتلنى ولكن أسأل الله أن يجعل قبض روحى على الايمان وصار متحيرا فى أمره ولم يدر ماذا يفعل فبينما هو كذلك وإذا بالتاجر عبد الرحمن دخل عليه وقال له لا بأس عليك انك تستاهل السلامة وانظر هذا السيف الذى فى يدى فإنى كنت ضامرا على ان اقتلك أن صالحتها ورضيت عليها واقتل الجارية وحيث فعلت هذه الفعال فمرحبا بك ثم مرحبا ولا جزاؤك إلا أن ازوجك ابنتى أخت قمر الزمان ثم أنه أخذه ونزل به وأمر باحضار الغاسلة وشاع الخبر أن قمر الزمان ابن التاجر عبد الرحمن جاء بجاريتين معه من البصرة فماتا فصار الناس يعزونه ويقولون له تعيش رأسك وعوض الله عليك ثم غسلوهما وكفنوهما ودفنوهما ولم يعرف أحد حقيقة الأمر هذا ما كان من أمرى عبيد الجوهرى وزوجته وجاريته وأما ما كان من أمر التاجر عبد الرحمن فإنه أحضر شيخ الاسلام وجميع الاكابر وقال يا شيخ الإسلام اكتب كتاب بنتى كوكب الصباح على المعلم عبيد الجوهرى ومهرها قد وصلنى بالتمام والكمال فكتب الكتاب وسقاهم الشربات وجعلوا الفرح واحدا وزفوا بنت شيخ الإسلام زوجة قمر الزمان وأخته كوكب الصباح زوجة المعلم عبيد الجوهرى فى تختروان واحد فى ليلة واحدة وفى المساء زفوا قمر الزمان والمعلم عبيد سواء وادخلوا قمر الزمان على بنت شيخ الاسلام وادخلوا المعلم عبيد على بنت التاجر عبد الرحمن فلما دخل عليها رأها أحسن من زوجته وأجمل منها بالف طبقة ثم أنه ازال بكارتها ولما أصبح دخل الحمام مع قمر الزمان ثم اقام عندهم مدة فى فرح وسرور وبعد ذلك اشتاق إلى بلاده فدخل على التاجر عبد الرحمن وقال يا عم انى اشتقت إلى بلادي ولى فيها املاك وأرزاق وكنت اقمت فيها صانعا من صناعى وكيلا عنى وفى خاطرى أن اسافر إلى بلادى لابيع املاكى وارجع اليك فهل تأذن لى فى التوجه إلى بلادى من أجل ذلك فقال له يا ولدى قد اذنت لك ولا لوم عليك فى هذا الكلام فإن حب الوطن من الإيمان والذى ماله خير فى بلاده ماله خير فى بلاد الناس وربما انك إذا سافرت بغير زوجتك ودخلت بلادك يطيب لك فيها القعود وتصير متحيرا بين رجوعك إلى زوجتك وقعودك فى بلادك فالرأى الصواب أن

تأخذ زوجتك معك وبعد ذلك ان شئت الرجوع الينا فارجع أنت وزوجتك ومرحبا بك وبها لاننا ناس لا نعرف طلاقا ولا تتزوج منا امرأة مرتين ولا نهجر انسانا بطرا فقال ياعم اخاف ان ابنتك لا ترضى بالسفر معى إلى بلادى فقال له ياولدى نحن ماعندنا نساء تخالف بعولهن ولا نعرف امرأة تغضب على بعلها فقال له بارك الله فيكم وفى نسائكم ثم انه دخل على زوجته وقال لها أنا مرادى السفر إلى بلادى فما تقولين قالت ان ابى لازال يحكم على مادمت بكرا وحيث تزوجت فقد صار الحكم كله فى يد بعلى فانى لا اخالفه فقال لها بارك الله فيك وفى ابيك ورحم الله بطنا حملتك وظهرا القاك ثم بعد ذلك قطع علائقه واخذ فى اسباب السفر فاعطاه عمه شيئا كثيرا وودعا بعضهما ثم اخذ زوجته وسافر ولم يزل مسافرا حتى دخل البصرة فخرجت لملاقاته الاقارب والاصحاب وهم يظنون انه كان فى الحجاز وصار بعض الناس فرحانا بقدومه وبعضهم مغموما لرجوعه إلى البصرة وقال الناس لبعضهم انه يضيق علينا فى كل جمعة بحسب العادة ويحسبن فى الجوامع والبيوت حتى يحبس قططنا وكلابنا هذا ماكان من أمره وأما ما كان من امر ملك البصرة فإنه لما علم بقدومه غضب عليه وارسل اليه واحضره بين يديه وعنفه وقال له كيف تسافر ولم تعلمنى بسفرك فهل كنت عاجزا عن شئ اعطيه لك لتستعين به على الحج إلى بيت الله الحرام فقال له العفو ياسيدى والله ماحججت ولكن جرى لى كذا وكذا واخبره بما جرى له ومع زوجته ومع التاجر عبد الرحمن المصرى وكيف زوجه ابنته إلى أن قال له وقد جئت بها إلى البصرة، فقال له والله لولا انى اخاف من الله تعالى لقتلتك وتزوجت بهذه البنت الاصيلة من بعدك ولو كنت انفق عليها خزائن الاموال لانها لا تصلح إلا للملوك ولكن جعلها الله من نصيبك وبارك لك فيها فاستوص بها خيرا ثم انه انعم على الجوهرى ونزل من عنده وقعد معها خمس سنوات وبعد ذلك توفى إلى رحمة الله تعالى فخطبها الملك فما رضيت وقالت ايها الملك انا ماوجدت فى طائفتى امرأة تزوجت بعد بعلها فانا لا اتزوج احدا بعد بعلى فلا اتزوجك ولو كنت تقتلنى فارسل يقول لها هل تطلبين التوجه إلى بلادك فقالت : إذا فعلت خيراً تجازى به فجمع لها جميع اموال الجوهرى وزادها من عنده على قدر مقامه ثم ارسل معها وزيرا من وزرائه مشهورا بالخير والصلاح وارسل معه خمسمائة فارس فسار بها ذلك الوزير حتى اوصلها إلى ابيها واقامت من غير زواج حتى ماتت ومات الجميع وإذا

كانت هذه المرأة مارضيت ان تـبدل زوجها بعد موته بسلطان كيف تسـتوى بمن تبدله فـي حال حياته بـغلام مجهول الأصل والنسـب وخصوصا إذا كانت ذلك فى السفاح وعلى غيـر طريق سـنة الـنكاح ومـن ظن ان النـساء كلـهن سواء فـإن داء جنـونه ليـس له دواء فسبحان من له الملك والملكوت وهو الحى الذى لا يموت .

ومما يحكى أيضا ايهـا الملك السعيد ان الخليفة هارون الرشيد تـفقد خراج البلاد يوما من الايام فرأى خراج جميع البلاد والاقطار جـاء إلى بيت المال الا خراج البصرة فإنه لم يأت فى ذلك العام فنصـب ديوانا لهذا السبب وقال على بالوزير جعـفر فحضر بين يديه فقال له ان خـراج جميع الاقطار جـاء إلى بيت المال إلا خراج الـبصرة ، فإنه لم يـأت منه شئ فقال ياامير المؤمـنين لعل نائب البصرة حصل له امر الهـاه عن ارسال الخراج فقال له ان مدة حضـور الخراج عشرون يـوما فما عـذره فى هذه المدة حـتى لم يرسـل الخراج أو يرسل باقـامة العذر فقال له : يـاامير المؤمنين ان شئت ارسـلنا إليه مرسالا فـقال ارسل له باسحاق الموصلى النـديم ، فقال سمعا وطاعة لله ولك ياامير المؤمنـين ثم ان الوزير جعفر نزل إلى داره واحضر ابا سحاق الموصلى النديم وكـتب له خطا شريفا وقال له امض إلى عبد الله بن فاضل نائب مـدينة البصرة وانظر مالذى الهاه عن ارسال الخـراج ثم تسلم منه خراج البصرة بالتمام والكمال وأئتنى به سريعا فإن الخليفة تفقد خراج الاقطار فوجده قد وصل إلا خراج الـبصرة وان رأيت الخراج غيـر حاضر واعتذر إلـيك بعذر فهاتـه معك ليخبـر الخليفة بالعذر مـن لسانه فاجاب بالـسمع والطاعة واخذ خمـسة آلاف فارس من عسكر الوزير وسافر حتى وصل إلى مدينة البصرة فعلم بقدومه عبد الله بن فاضل فخرج بعسكره إليه ولاقاه ودخل به البصرة وطلع به قـصره وبقية العسكر نزلوا فى الخيام خارج البصـرة وقد عين لهم ابن فـاضل جميع مـايحتاجون إلـيه ولما دخل أبو اسحـاق الديوان وجلس عـلى الكرسى اجلـس عبد الله بن فاضـل بجانبه وجـلس الاكابر حوله عـلى قدر مراتبهم ثم بعد السلام قال له ابن فاضل ياسـيدى هل لقدومك علينا من سبب ، قال نعم انما جئت لطلب الخراج فإن الخليفة سأل عنه ومدة وروده قد مضت فقال ياسيدى ياليتك ماتعبـت ولا تحملت مشقة الـسفر فإن الخراج حاضر بالـتمام والكمال وقد كـنت عازما على ان ارسـله فى غد ولكن حـيث اتيت فانا اسـلمه إليك بعـد ضيافتك ثلاثـة أيام وفى

اليوم الـرابع احضر الخراج بـين يديك ولكن وجب عـلينا الآن اننـا نقدم إليك هـدية من بعض خـيرك وخير امـير المؤمنـين فقال له لا بـأس بذلك ثم انـه فض الديوان ودخـل به قصرا فـى داره ليس له نظيـر ثم قدم له لاصحـابه سفرة الطـعام فاكلوا وشربـوا وتلذذوا وطربوا ثم رفعت المائـدة وغسلت الايادى وجاءت القهوة والشربات وقـعدوا فى المنادمة إلى ثلث الليل ثم فرشوا له سريرا من العاج مـرصعا بالذهب الوهاج فنام عليه ونام نائب البصرة على سرير آخـر بجانبه فغلب السهر على ابى اسحـق رسول امير المؤمنين وصار يفكـر فى بحور الـشعر والنـظام لأنه من خـواص ندماء الخلـيفة وكان لـه باع عظيـم فى الأشعار ولـطائف الاخبار ولم يـزل سهران فى انشاء الـشعر إلى نصف الـليل فبينـما هو كذلك وإذا بعبد الله ابن فاضل قام وشد حزامه وفتح دولابا وأخذ منه سوطا واخذ شمعة مضـيئة وخرج مـن باب القصـر وهو يظن ان أبـا اسحاق نائـم وادرك شهرزاد الصـباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة التاسعة والسبعون بعد التسعمائة

قالت بلغـنى أيها الملك السعيـد : ان عبد الله بن فاضل لما خرج من بـاب القصر وهو يظن ان ابـا اسحاق النـديم نائم فلـما خرج تعجـب ابو اسحاق وقـال فى نفسـه إلى اين يذهب عبد الله بن فاضل بهذا السوط فلعل مراده ان يعذب احدا ولكن لابد لى من اتبعه وانظر مايصـنع فى هذه الليلة ثم ان ابا اسـحق قام وخرج وراءه قليلا قليلا بـحيث انه لم يره فرأى عبد الله فتح خزانة واخرج منها مائدة فـيها اربعة اصحن من الطعام وخبزا وقلة فيها ماء ثـم انه حمل المائدة والقلـة ومشى فتبعه ابو اسـحاق مستخفيا إلـى ان دخل قاعة فوقف ابو اسـحاق خلف باب القاعة مـن داخل وصار ينظر من خلال ذلـك الباب فرأى هذه القاعة واسعة ومفـروشة فرشا فاخرا وفى وسط تلك القاعة سريـر من العاج مصفح بالذهب الوهاج وذلك السرير مربوط فيه كلـبان فى سلسلتين من الذهب ثم انه رأى عبد الله حط المائدة على جانب فى مكان وشمر عـن اياديه وفك الكلب الأول فصار يتلوى فى يده ويـضع وجهه فـى الأرض كانه يـقبل الأرض بين يـديه ويعـوى عيا خـفيفا بـصوت ضعيـف ثم انه كتـفه ورماه علـى الارض وسحب السـوط ونزل به علـيه وضربه ضـربا وجيعـا من غير شفـقة وهو يتـلوى بين يديه ولا يـجد له خلاصا ولـم يزل يضربـه بذلك

السوط حتى قطع الانين وغاب عن الوجود ثم انـه اخذه وربطه فى مكانه وبعد ذلك اخذ الكلب الثانى وفعل به كما فعل بالأول ثم أنـه اخرج محرمة وصار يمسح لهما دموعهما ويأخذ بـخاطرهمـا ويقول لا تؤاخـذانى والله ماهذا بـخاطرى ولـم يـسهل علـى ولعل الله يجعل لـكما من هذا الضيـق فرجا ومخرجا ويدعـو لهما وحصل كل هـذا وابو اسحاق النديم واقف يسمع باذنـه ويرى بعينه وقد تعجب من هذه الحالة ثـم انه قدم إليهم سفرة الطعام وصار يلقمهما بيده حتى شبعا ومسـح لهما افواههما وحمل القلة وسقاهما وبعد ذلك حمل المـائدة والقلة والشـمعة واراد ان يخرج فسـبقه ابو اسحاق وجـاء إلى سريره ونام ولـم يره ولـم يعـرف انه تبعـه واطلع علـيه ثم ان عـبد الله وضع السـفرة والقلـة فى الخزانة ودخـل القاعة وفتح الـدولاب ووضع السوط فى محـله وقلع حوايجـه ونام هذا ماكان من امره واما ماكان من امر أبى اسحاق فإنه بات بقية تلك الليلة يفكر فى شأن هذا الأمر ولم يأته نوم من كثرة العجب وصار يقول فـى نفسه ياترى ماسبب هذه القضية ولم يزل يتـعجب إلى الصـباح ثم قاموا وصـلوا الصبـح وانحط لهم الـفطور فاكلـوا وشربوا القهوة وطلعوا إلى الديوان واشتغل ابو اسحاق بهذه النكتة طول النهار ولكنه كتمها ولم يسأل عبـد الله عنها وثانى لـيلة فعل بالـكلبين كذلك فـضربهما ثم صـالحهما واطعمـهما وسقاهمـا وتبعه ابو اسحـاق فرآه فعل بهمـا كاول ليلة وكذلـك ثالث ليلة ثـم انه احضر الخراج إلى ابى اسحاق النديم فى رابع يوم فاخذه وسافر ولـم يبد له شيئا ولم يزل مسافرا حتـى وصل إلى بغـداد وسلم الخراج إلـى الخليـفة ثم ان الخليـفة سأله عـن سبب تأخـير الخراج فـقال له ياامـير المؤمنـين رأيت عامل الـبصرة قد جـهز الخراج واراد ارسالـه ولو تأخرت يومـا لقابلنى فى الـطريق لكن رأيت من عبـد الله بن فاضل عجبا عـمرى مارأيت مثله ياامير المؤمنين، فقال الخليفة وماهو ياابا اسحاق قال رأيت ماهو كذا وكذا واخبره بما فعلـه مع الكلـبين وقال له رأيـته ثلاث ليال مـتواليات وهـو يعمل هـذا العمل فـيضرب الكلبين وبـعد ذلك يصالحهما ويأخـذ بخاطرهما ويطعمهـما ويسقيهما وأنا اتـفرج عليه بحيث لا يـرانى فقال له الخلـيفة فهل سألـته عن السبب فـقال له لا وحياة رأسك يـاامير المؤمنين ، فـقال الخليفة : ياابـا اسحاق امرتك ان ترجع إلى الـبصرة وتأتينى بـعبد الله ابن فاضل وبالكلبين فـقال ياامير المؤمنين دعنى من هذا فإن عبد الله بـن فاضل اكرمنى اكراما زائدا وقد اطلـعت على هذه الحالـة اتفاقا من غيـر قصد فاخبرتـك بها فكيف ارجـع إليه

وأجئ به فإن رجعت إليه لا ألقى لى وجها حياء منه فاللايق ارسال غيرى إليه بخط يدك فياتيك وبالكلبين ، فقال له ان ارسلت له غيرك ربما ينكر هذا الامر ويقول ماعندى كلاب اما إذا ارسلتك انت وقلت له انى رأيتك يعينى فإنه لا يقدر على إنكار ذلك فلابد من ذهابك إليه واتيانك به وبالكلبين وإلا فلابد من قتلك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة الموفية للثمانين بعد التسعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد : ان الخليفة هارون الرشيد قال لابى اسحاق لابد من ذهابك إليه واتيانك به وبالكلبين وإلا فلابد من قتلك فقال له ابو اسحاق سمعا وطاعة ياامير المؤمنين وحسبنا الله ونعم الوكيل وصدق من قال آفة الانسان من اللسان ، فانا الجانى على نفسى حيث اخبرتك ولكن اكتب لى خطا شريفا وانا اذهب إليه وآتيك به فكتب له خطا شريفا وتوجه به إلى البصرة فلما دخل على عامل البصرة قال له كفانا الله شر رجوعك ياابا اسحاق فمالى اراك رجعت سريعا لعل الخراج ناقص فلم يقبله الخليفة ، فقال ياامير عبد الله ليس رجوعى من اجل نقص الخراج فإنه كامل وقبله الخليفة ولكن ارجو منك عدم المؤاخذة فإنى اخطأت فى حقك وهذا الذى وقع منى مقدر من الله تعالى ، فقال له وماوقع منك ياأبا اسحاق اخبرنى فإنك حبيبى وأنا لا اؤاخذك فقال له اعلم انى لما كنت عندك اتبعتك ثلاث ليال متواليات وانت تقوم كل ليلة فى نصف الليل وتعذب الكلاب وترجع فتعجبت من ذلك واستحيت أن اسألك عنه ثم انى اخبرت الخليفة بخبرك اتفاقا من غير قصد فالزمنى بالرجوع إليك وهذا خط يده ولو كنت اعلم ان الامر يحوج إلى ذلك ماكنت اخبرته ولكن جرى القدر بذلك وصار يعتذر إليه فقال له حيث اخبرته فانا اصدق خبرك عنده لئلا يظن بك الكذب فانك حبيبى ولو اخبر غيرك كنت انكرت ذلك وكذبته فها انا اروح معك وآخذ الكلبين معى ولو كان فى ذلك تلف نفسى وانقضاء اجلى ، فقال له الله يسترك كما سترت وجهى عند الخليفة ثم انه اخذ هدية تليق بالخليفة واخذ الكلبين فى جنازير من الذهب وحمل كل كلب على جمل وسافروا إلى ان وصلوا إلى بغداد ودخل على الخليفة فقبل الأرض بين يديه فاذن له بالجلوس فجلس واحضر الكلبين بين يديه فقال الخليفة ماهذان الكلبان ياامير عبد الله

فصار الكلبان يقبلان الأرض بين يديه ويحركان اذنابهما ويبكيان كأنهما يشكوان إليه فتعجب الخليفة من ذلك وقال له : اخبرني بخبر هذين الكلبين وما سبب ضربك لهما واكرامهما بعد الضرب فقال له ياخليفة الله ماهذان كلبان وانما هما رجلان شابان ذوا حسن وجمال وقد واعتدال وهما اخواي وولدا امي وابي فقال الخليفة وكيف كانا آدميين وصارا كلبين قال ان اذنت لي ياامير المؤمنين اخبرك بحقيقة الخبر فقال اخبرني واياك والكذب فانه صفة اهل النفاق وعليك بالصدق فانه سفينة النجاة وسمة الصالحين فقال له اعلم ياخليفة الله إني إذا اخبرتك بخبرهما يكونان هما الشاهدان عليّ فان كذبت يكذباني وان صدقت يصدقاني فقال له هذان من الكلاب لا يقدران على نطق ولا جواب فكيف يشهدان لك أو عليك فقال لهما يااخواي إذا أنا تكلمت كلاما كذبا فارفعا رؤسكما وحملقا اعينكما وإذا تكلمت صدقا فنكسا رأسيكما وغضا اعينكما ، ثم أنه قال اعلم ياخليفة الله انا نحن ثلاثة اخوة امنا واحدة وابونا واحد وكان اسم ابينا فاضل وماسمى بهذا الاسم إلا لكون ام ابيه وضعت ولدين توأمين في بطن واحد فمات احدهما من وقته وساعته وفضل الثاني فسماه ابوه فاضلا ثم رباه واحسن تربيته إلى ان كبر فزوجه امنا ومات فوضعت اخي هذا أولا فسماه منصورا وحملت ثاني مرة ووضعت اخي هذا فسماه ناصرا وحملت ثالث ومرة وضعتني فسماني عبد الله وربانا حتى كبرنا وبلغنا مبلغ الرجال فمات وخلف لنا بيتا ودكانا ملآنا قماشا ملونا من سائر أنواع القماش الهندي والرومي والخراساني وغير ذلك وخلف لنا ستين ألف دينار فلما مات ابونا غسلناه وعملنا له مشهدا عظيما ودفناه لرحمة مولاه وعملنا له عتاقة وختمات وتصدقنا عليه إلي تمام الاربعين يوما ثم إني بعد ذلك جمعت التجار واشراف الناس وعملت لهم يوما عظيما وبعدما اكلوا قلت لهم ياتجار الدنيا فانية والآخرة باقية وسبحان الدائم بعد فناء خلقه هل تعلمون لاى شئ جمعتكم في هذا اليوم المبارك عندى قالوا سبحان الله علام الغيوب فقلت لهم ان ابي مات عن جملة من المال وأنا خائف ان يكون عليه تبعة لاحد من دين او رهن أو غير ذلك ومرادى خلاص ذمة أبي من حقوق الناس فمن كان له عليه شئ فليقل ان لي عليه كذا وكذا وأنا اورده له لاجل براءة ذمة أبي فقال لي التجار ياعبد الله ان الدنيا لا تغني عن الآخرة ولسنا اصحاب باطل وكل منا يعرف الحلال من الحرام ونخاف من الله تعالي ونجتنب اكل مال اليتيم ونعلم ان اباك رحمة الله

عليه كان دائما يبقي ماله عند الناس ولا يخلـى فى ذمته شيئا إلى احد ونحن دائما نسمعه وهو يقول انا خـائف من متاع الناس ودائما كـان يقول فى دعائه الهى انت ثـقتى ورجائى فلا تمتنى وعلـيه دين وكان من جملة طباعـه أنه إذا كان لاحد عليه شئ فإنه يـدفعه له من غير مطالبة وإذا كان لـه على احد شئ فإنه لا يطالبه ويقول له علـى مهلك وان كان فقيراً يسامـحه ويبرئ ذمته وان لـم يكن فقيرا ومـات يقول سامحه الله ممـا لى عنده ونحن كـلنا نشهد انه ليس لاحد عنده شئ فقلت بارك الله فيكم ثم انى التفت إلى اخوى هذين وقلت لهـما يااخوى ان ابـانا ليس عـليه لاحد شـئ وقد خلف لـنا هذا المال والـقماش والبـيت والدكان ونحـن ثلاثة اخوة كل منا يسـتحق ثلث هذا الشئ فـهل نتفق على عدم الـقسمة ويستمر مالنا مشتركا بيننا ونـأكل سواء ونشرب سواء أو نقسم القماش والأموال ويأخذ كل واحد منا حصته فقالا نقسم ويأخذ كل واحـد منا حصته ثم التفت إلي الكلبين وقال لهما هل جرى ذلك يااخوى فنكسا رؤسهما وغضـا عيونهما كأنهما قالا نعم ، ثم انه قال فاحضـرت قساما من طـرف القاضى يااميـر المؤمنين فقـسم بيننـا المال والقماش وجـميع ماخلفه لنا أبونا وجـعلوا البيت والدكان من قسمي فى نظير بـعض مااستحقه من الأموال ورضينا بذلك وصار البـيت والدكان فى قسمى وهما اخذا قسمهـما مالا وقماشا ثم انى فتحت الدكان وحطيـت فيه القماش واشتريت بجانب من المال الـذى خصنى زيادة على البيت، والدكان قماشا حتى ملأت الدكان وقعدت ابيع واشترى واما اخوى فانهما اشتريا قماشا واكـتريا مركبا وسافـرا فى البحر إلى بلاد النـاس فقلت الله يساعدهـما وأنا رزقى يأتينى وليس للراحة قيمة ودمت على ذلك مدة سنة كاملة ففتح الله على وصرت اكتسب مكاسب كـثيرة حتى صار عـندى مثل الذى خلـفه لنا ابونا فـاتفق لى يوما مـن الايام اننى كنت جالسا فى الدكان وعلى فروتان احداهما سمور والاخرى سنجاب لان ذلك الوقت كان فى فـصل الشتاء فى اوان اشـتداد البرد فبـينما انا كـذلك وإذا باخوى قد اقبـلا على وعلى بـدن كل واحد منهـا قميص خـلق من غير زيـادة وشفاهما بـيض من البـرد وهما ينتفضان فلما رأيتهما عسر على ذلك وحزنت عليهما أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة الحادية والثمانون بعد التسعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد : ان عبد الله بن فاضل لما قال للخليفة فلما رأيتهما ينتفضان عسر على ذلك وحزنت عليهما وطار عقلى من رأسى فقمت إليهما واعتنقتها وبكيت على حالهما وخلعت على واحد منهما الفروة السمور وعلى الآخر الفروة السنجاب وادخلتهما الحمام وارسلت إلى كل واحد منهما فى الحمام بدلة تاجر الفى وبعدما اغتسلا لبس كل واحد منهما بدلته ثم اخذتهما إلى البيت فرأيتهما فى غاية الجوع فوضعت لهما سفرة الاطعمة فاكلا واكلت معهما ولاطفتهما واخذت بخاطرهما ثم التفت إلى الكلبين وقال لهما هل جرى ذلك يااخوى فنكسا رؤسهما وغضا عيونهما ثم انه قال ياخليفة الله ثم انى سألتهما وقلت لهما كيف جرى لكما واين اموالكما فقالا سافرنا فى البحر ودخلنا مدينة تسمى مدينة الكوفة وصرنا نبيع القطعة القماش التى ثمنها علينا نصف بدينار بعشرة دنانير والتى بدينار بعشرين دينار وكسبنا مكاسبا عظيمة واشترينا من قماش العجم الشقة الحرير بعشرة دنانير وهى تساوى فى البصرة اربعين دينارا ودخلنا مدينة تسمى مدينة الكرخ فبعنا واشترينا وكسبنا مكاسب كثيرة وصار عندنا اموال كثيرة وجعلوا يذكرون لى البلاد والمكاسب فقلت لهما حيث رأيتما هذا الفرح والخير فمالى اراكما رجعتما عريانين فتنهدا وقالا يااخانا ماحل بنا إلا عين صائبة والسفر ماله امان فلما جمعنا تلك الأموال والخيرات وسقنا متاعنا فى مركب وسافرنا فى البحر بقصد التوجه إلى مدينة البصرة وقد سافرنا ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع رأينا البحر قام وقعد وارغى وازبد وتحرك وهاج وتلاطم بالامواج وصار الموج يقدح الشرار كلهيب النار واختلفت علينا الارياح والتطمت بنا المركب فى سن جبل فانكسرت وغرقنا وراح جميع ماكان معنا فى البحر وصرنا نخبط على وجه الماء يوما وليلة فارسل الله لنا مركبا اخرى فاخذتنا ركابها وصرنا من بلاد إلا بلاد ونحن نسأل ونتقوت مما نحصله بالسؤال وقاسينا الكرب العظيم وصرنا نقتلع من حوايجنا ونبيع ونتقوت حتى قربنا من البصرة وماوصلنا إلى البصرة حتى شربنا ألف حسرة ولو كنا سلمنا بما كان معنا كنا اتينا باموال تضاهى اموال الملك ولكن هذا مقدر من الله علينا فقلت لهما يااخوى لا تحملا هما فإن المال فدى الابدان والسلامة غنيمة وحيث كتبكم الله من السالمين فهذا غاية المنى وما الفقر والغنى إلا كطيف خيال ولله در من قال :

اذا سلمت هام الرجال من الردى فما المال الا مثل قص الاظافر

ثم قلت لهما ياأخوى نحن نقدر ان ابانا قد مات فى هذا اليوم وخلف لنا جميع هذا المال الذى عندى وقد طابت نفسى على اننا نقسمه بيننا بالسوية ثم احضرت قساما من طرف القاضى واحضرت له جميع مالى فقسمه بيننا واخذ كل منا ثلث المال فقلت لهما ياأخوى بارك الله للانسان فى زرقه إذا كان فى بلده فكل واحد منكما يفتح له دكانا ويقعد فيه لتعاطى الاسباب والذى له شئ فى الغيب لابد ان يحصله ثم سعيت لكل واحد منهما فى فتح دكان وملأته له بالبضايع وقلت لهما بيعا واشتريا واحفظا اموالكما ولا تصرفا منها شيئا وجميع مايلزم لكما من اكل وشرب وغيرهما يكون من عندى ثم قمت باكرامهما وصارا يبيعان ويشتريان فى النهار وعند المساء يبيتان فى بيتى ولم ادعهما يصرفان شيئا من اموالهما وكلما جلست معهما للحديث يمدحان الغربة ويذكران محاسنها ويصفان ماحصل لهما فيها من المكاسب ويغريانى على ان اوافقهما على التغرب فى بلاد الناس ثم قال للكلبين هل جرى ذلك ياأخوى فنكسا رأسيهما وغضا عيونهما تصديقا له ثم قال ياخليفة الله فما زالا يرغبانى ويذكران لى كثرة الربح والمكاسب فى الغربة ويأمرانى بالسفر معهما حتى قلت لهما لابد ان اسافر معكما من اجل خاطركما ثم انى عقدت الشركة بينى وبينهما وحملنا قماشا من سائر الاصناف النفيسة واكترينا مركبا وشحناها بالبضايع من انواع المتاجر ونزلنا فى تلك المركب جميع مانحتاج إليه ثم سافرنا من مدينة البصرة فى البحر العجاج المتلاطم بالامواج الذى الداخل فيه مفقود والخارج منه مولود ولازلنا مسافرين حتى طلعنا إلى مدينة من المدائن فبعنا واشترينا وظهر لنا كثرة المكسب ثم رحلنا منها إلى غيرها ولم نزل نرحل من بلد إلى بلد ومن مدينة إلى مدينة ونحن نبيع ونشترى ونربح حتى صار عندنا مال جسيم وربح عظيم ثم اننا وصلنا إلى جبل فالقى الريس المرساة وقال لنا ياركاب اطلعوا إلى البر تنجوا من هذا اليوم وفتشوا فيه لعلكم تجدوا ماء فخرج جميع من فى المركب وخرجت انا بجملتهم وصرنا نفتش على الماء وتوجه كل منا فى جهة وصعدت انا على اعلى الجبل فبينما انا سائر اذ رأيت حية بيضاء تسعى هاربة وراءها ثعبان اسود يسعى خلفها وهو مشوه الخلقة هائل المنظر ثم ان الثعبان لحقها وضايقها ومسكها من رأسها ولف ذيله على

ذيلها فصاحت فعرفت انه مفتر عليها فاخذتني الشفقة عليها وتناولت حجرا من الصوان قدر خمسة ارطال أو اكثر وضربت به الثعبان فجاء في رأسه فدقها فما اشعر إلا وتلك الحية انقلبت وصارت بنتا شابة ذات حسن وجمال وبهاء وكمال وقد واعتدال كأنها البدر المنير فاقبلت على وقبلت يدى ثم قالت لى سترك الله بسترين ستر من العار فى الدنيا وستر من النار فى الآخرة يوم الموقف العظيم يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من اتى الله بقلب سليم ثم قالت ياانسي انت قد سترت عرضي وصار لك على الجميل ووجب على جزاؤك ثم اشارت بيدها إلى الأرض فانشقت ونزلت فيها ثم انطبقت عليها الأرض فعرفت انها من الجن واما الثعبان فان النار قادت فيه واحرقته وصار رمادا فتعجبت من ذلك ثم انى رجعت إلي اصحابى واخبرتهم بما رأيت وبتنا تلك الليلة وعند الصباح قلع الريس الخطاف ونشر القلوع وطوى الاطراف ثم سافرنا حتى غاب البر عنا ولم نزل مسافرين مدة عشرين يوما ولم نر برا ولا طيرا وفرغ ماؤنا فقال الريس ياناس ان الماء الحلو قد فرغ منا فقلنا نطلع البر لعلنا نجد ماء فقال والله إنى تهت عن الطريق ولا اعرف طريقا يودينى إلى جهة البر فحصل لنا غم شديد وبكينا ودعونا لله تعالى ان يهدينا إلى الطريق ثم بتنا تلك الليلة فى اسوء حال والله در من قال :

وكم ليلة بت فى كربة ... يكاد الرضيع لها ان يشيب
فما اصبح الصبح إلا أتى ... نصر من الله وفتح قريب

فلما اصبح الصباح واشرق بنوره ولاح رأينا جبلا عاليا فلما رأينا ذلك الجبل فرحنا واستبشرنا به ثم اننا وصلنا إلى ذلك الجبل فقال الريس ياناس اطلعوا البر حتى نفتش على ماء فطلعنا كلنا نفتش على ماء فلم نر فيه ماء فحصل لنا مشقة بسبب قلة وجود الماء ثم انى صعدت على اعلا ذلك الجبل فرأيت خلفه دائرة واسعة مسافة سير ساعة أو اكثر فناديت اصحابى فاقبلوا على فلما اتوا قلت لهم انظروا إلى هذه الدائرة التى خلف هذا الجبل فانى ارى فيها مدينة عالية البنيان مشيدة الاركان ذات اسوار وبروج وروابى ومروج وهى من غير شك لا تخلو من الخيرات فسيروا بنا نمضى إلى هذه المدينة ونجيئ منها بالماء ونشترى مانحتاج إليه من زاد واللحم والفاكهة ونرجع فقالوا نخاف ان يكون اهل هذه المدينة كفارا مشركين اعداء الدين يقبضوا علينا ونكون اسرى تحت ايديهم او يقتلونا ونكون قد تسببنا فى قتل انفسنا حيث اوقعنا انفسنا فى الهلاك وسوء الارتباك والمغرور غير مشكور لانه على خطر من الاسواء كما قال فيه بعض الشعراء :

مادامت الأرض ارضا والسماء سماء   ليـس المغـر بمحمـود وان سلما

فنحن لا نغر بانفسنا فقلت لهم ياناس لا حكم لى عليكـم ولكن آخذ اخوتى واتوجه إلى هذه المدينة، فقـال لى اخوى نحن نخاف من هذا الامر ولا نروح معـك فقلت اما انا فقد عـزمت على الـذهاب إلى هذه المـدينة وتوكـلت على الله ورضـيت بما قدر الله عـلى فانتظـرانى حتى اذهب إليهـا وارجع اليكما وادرك شهـرزاد الصباح فسكتـت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة الثانية والثمانون بعد التسعمائة

قالت بلـغنى أيها الملك الـسعيد : ان عبد الله قال فانـتظرانى حتى اذهب الـيها وارجع إليكما ثم تركتهما ومشيت حتى وصلت إلى باب تلك المدينة فرأيتهما مدينة عجيبة البناء غريبة الـهندسة اسوارها عاليـة وابراجها محصنة وقـصورها شاهقة وأبوابهـا من الحديد الصينى وهى مزخرفـة منقوشة تدهش العقول فلما دخلت مـن البا رأيت دكة من الحجر وهناك رجل قاعد عليها وفى ذراعه سلسلة من النحاس الاصفر وفى تلك السلسلة اربعة عشر مـفتاحا فعـرفت ان ذلك الرجل بـواب المدينة والمـدينة لها اربـعة عشر بابـا ثم انى دنوت منه وقلت له السلام عـليكم فلم يرد على السلام فسلمت عليه ثـانيا وثالثا فلم يرد على الجـواب فوضعت يدى علـى كتفه وقلت لـه ياهذا لاى شئ لا ترد السـلام هل انت نائم او اصم أو غير مسلم حـتى تمنع رد السلام فلم يجبنى ولم يتحرك فـتأملت فيه فرأيته حجرا فقلت ان هذا شـئ عجيب هذا الحجر مصور بصورة ابن آدم ولـم يـنقص عنه غير النطق ثم تركته ودخلـت المدينة فرأيت رجلا واقفا فى الطريق فدنوت منـه وتأملته فرأيته حجرا ثم انـى لم ازل ماشيا فى شوارع تـلك المدينة وكلمـا رأيت انسانا ادنو منـه واتأمله فاجده حجرا وقـابلت امرأة عجوزا على رأسـها عقدة ثياب مهيـئة للغسيل فدنـوت منها وتأملتها فرأيتها من الحجر والعقدة من الـثياب التى على رأسها من الحجر ثم انى دخلت السوق فرأيت زيـاتا ميزانه منصوبة وقـدامه أصناف البضايع من الجـبن وغيره وكل ذلك من الحجر ثم انى رأيت سائر المتسببين جالسين فى الدكاكين وبعض الناس واقف وبعض الناس جالس ورأيت رجالا ونساء وصبيانا وكـل ذلك من الحجر ثم دخلت سوق التجار فرأيت كـل تاجر جالسـا فى دكانه والـدكان ممتلئـة بأنواع البضـايع وكل ذلك مـن الحجر ولكن الأقمشة كـنسيج العنكبوت فصرت اتفـرج عليها وكلما مسكت ثـوبا من القماش

يصير بين يدى هباء منثورا ورأيت صناديق ففتحت واحدا فوجدت فيه ذهبا فى اكياس فمسكت الاكياس فذابت فى يدى والذهب لم يزل على حاله فحملت منه على قدر ماطيقه وصرت اقول فى نفسى لو حضر اخوى معى لاخذا من هذا الذهب كفايتهما وتمتعا من هذه الذخائر التى لا اصحاب لها وبعد ذلك دخلت دكانا آخر فرأيت فيه اكثر من ذلك ولكن مابقيت اقدر ان احمل غير ماحملت ثم انى خرجت من ذلك السوق إلى سوق آخر ثم منه إلى سوق آخر وهكذا ولازلت أتفرج على مخلوقات مختلفة الاشكال وكلها من الحجارة حتى الكلاب والقطط من الحجارة ثم انى دخلت سوق الصاغة فرأيت فيه رجالا جالسين فى الدكاكين والبضايع عندهم بعضها فى ايديهم وبعضها فى اقفاص فلما رأيت ذلك ياامير المؤمنين رميت ماكان معى من الذهب وحملت من المصاغ ما اطيق حمله وخرجت من سوق الصاغة إلى سوق الجواهر فرأيت الجواهرية جالسين فى دكاكينهم وقدام كل واحد منهم قفص ملآن بأنواع المعادن كالياقوت والالماس والزمرد والبلخش وغير ذلك من سائر الاصناف واصحاب الدكاكين احجارا فرميت ماكان معى من المصاغ وحملت من الجواهر مااطيق حمله وبقيت اتندم حيث لم يكن اخوى معي حتى يأخذا من تلك الجواهر ما اراداه ثم انى خرجت من سوق الجواهر فمررت على باب كبير مزخرف مزين باحسن زينة ومن داخل الباب دكك وجالس على تلك الدكك خدام وجند واعوان وعساكر وحكام وهم لابسون افخر الملابس وكلهم احجار فلمست واحدا منهم فتناثرت ملابسه من على بدنه مثل نسيج العنكبوت ثم انى مشيت فى ذلك الباب فرأيت سراية ليس لها نظير فى بنائها واحكام صنايعها ورأيت فى تلك السراية ديوانا مشحونا بالاكابر والوزراء والأعيان والأمراء وهم جالسون على كراسى وكلهم احجار ثم انى رأيت كرسيا من الذهب الاحمر مرصعا بالدر والجواهر وجالس فوقه آدمى عليه افخر الملابس وعلى رأسه تاج كسروى مكلل بنفيس الجواهر التى لها شعاع مثل شعاع النهار فلما وصلت إليه رأيته من الحجر ثم انى توجهت من ذلك الديوان إلى باب الحريم ودخلت فيه فرأيت ديوانا من النساء ورأيت فى ذلك الديوان كرسيا من الذهب الاحمر مرصعا بالدر والجوهر وجالس فوقه امرأة ملكة وعلى

رأسها تاج مكلل بنفيس الجواهر وحولها نساء مثل الأقمار جالسات على كراسى ولابسات افخر الملابس الملونة بسائر الألوان وواقف هناك طواشية ايديهم على صدورهم كأنهم واقفون من اجل الخدمة وذلك الديوان يدهش عقول الناظرين بما فيه من الزخرفة وغريب النقش وعظيم الفرش ومعلق فيه ابهج التعاليق من البلور الصافي وفي كل قدرة من البلور جوهرة يتيمة لا يفي بثمنها مال فرميت مامعى ياامير المؤمنين وصرت اخذ من هذه الجواهر وحملت منها على قدر ماطيق وبقيت متحيرا فيما احمله وفيما اتركه لانى رأيت ذلك المكان كانه كنز من كنوز المدن ثم اين رأيت بابا صغيرا مفتوحا وفي داخله سلالم فدخلت ذلك الباب وطلعت اربعين سلما فسمعت انسانا يتلوا القرآن بصوت رخيم فمشيت جهة ذلك الصوت حتى وصلت إلى باب القصر فرأيت ستارة من الحرير مصفحة بشرايط من الذهب ومنظوم فيها اللؤلؤ والمرجان والياقوت وقطع الزمرد والجواهر به تضئ كضوء النجوم والصوت خارج من تلك الستارة فدنوت من الستارة ورفعتها فظهر لى باب قصر مزخرف يحير الافكار فدخلت من ذلك الباب فرأيت قصرا كانه كنز على وجه الدنيا ومن داخله بنت كانها الشمس الضاحية في وسط السماء الصاحية وهى لابسة افخر الملابس ومتحلية بانفس مايكون من الجواهر مع انها بديعة الحسن والجمال بقد واعتدال وظرف وكمال خصر نحيل وردف ثقيل وريق يشفى العليل واجفان ذات اعتلال كانها المرادة بقول من قال :

سلام علي مافي الثياب من القد ... ومافي بساتين الخدود من الورد
كأن الثريا عقلت في جبينها ... وباقي نجوم الليل في الصدر كالعقد
فلو لبست ثوبا من الود خالصا ... لادمي مجاني جسمها ورق الورد
ولو تفلت في البحر والبحر مالح ... لاصبح طعم البحر احلي من الشهد
ولو وصلت شيخا كبيرا علي عصى ... لاصبح ذاك الشيخ مفترس الاسد

ثم انه قال ياامير المؤمنين لما رأيت تلك البنت شغفت بها حبا وتقدمت إليها فرأيتها جالسة على مرتبة عالية وهى تتلو كتاب الله عز وجل حفظا على ظهر قلبها وصوتها كانه صرير ابواب الجنان إذا فتحها رضوان والكلام خارج من بين شفتيها يتناثر كالجواهر ووجهها ببديع المحاسن زاه وزاهر كما قال في مثلها الشاعر :

يــامــطــر بــابــلــغــاتــه وصــفــاتــه قــد زاد فــيــك تــشــوقــي وتــشــوفــي

شيــثان فـيـك تـذيب اربـاب الهـوي نـغـمـات داود وصـورة يــوسـف

فلما سمعـت نغماتها في تلاوة القرآن العـظيم وقد قرآ قلبي من فاتـك لحظاتها سلام قولا من رب رحيم تلجلجت في الكلام ولم احـسن السلام واندهش مني العقل والناظر وصرت كما قال الشاعر :

ماهزني الشوق حتى تهت عن كلمي ولا دخلـت الحمي الا لـسفـك دمي

ولا سـمـعـت كـلا مامـن عـواذلـنـا إلا لاشـهـد مـن اهواه فـي الـكـلـم

ثم تجلدت علي هول الغـرام وقلت لها السلام عليك ايتها السـيدة المصونة والجوهرة المكنونـة ادام الله قوائم سعدك ورفع دعائـم مجدك فقالت وعـليك مني السلام والـتحية والاكرام ياعـبد الله يابن فاضـل اهلا وسهلا ومرحـبا بك ياحـبيبي وقرة عـيني فقلـت لها ياسيدتـي من اين علمت اسـمي ومن تكوني انت ومـاشأن اهل هذه المدينـة حتي صاروا احجارا فمرادي ان تخبريـني بحقيقة الامر فإني تعجبت من هذه المـدينة ومن اهلها ومن كونها لم يوجد فيها احد إلا انت فبالله عليك ان تـخبريني بحقيقة ذلك علي وجه الصدق فقالت لي اجلس ياعبد الله وانا ان شاء الله تعالى احـدثك واخبرك بحقيقة امري وبحقيقة امر هذه المدينة واهلهـا علي التفصيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي الـعظيم فجلس إلي جانبها فقالت لي اعلم ياعبد الله يرحـمك الله اني بنت ملك هذه المدينة ووالدي هو الذي رأيته جالسا في الديوان علي الكرسي العالي والذي حوله اكابر دولته واعيان مملكته وكان ابي ذا بطش شديـد ويحكم علي ألف ألف مـائة وعشرين الف جندي وعـدة امراء دولته اربعة وعشـرون الفا كلهم حـكام واصحاب مناصب وتحـت طاعته من المدن الـف مدينة غير البـلدان والضياع والحصـون والقلاع والقرى وامراء الـعربان الذين تحت أمـير الف أمـير كل امير يـحكم عـلي عشريـن الف فارس وعـنده من الامـوال والذخائر والمـعادن والجواهر مـالا عين رأت ولا اذن سمعت وادرك شـهرزاد الصبـاح فسكتت عـن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة الثالثة والثمانون بعد التسعمائة

قالت : بلغني أيها الملك السعيد : ان بنت ملك مدينة الاحجار قالت ياعبد الله ان ابي كان عنده من الأموال والذخائر مالا عين رأت ولا اذن سمعت وكان يقهر الملوك ويبيد الابطال والشجعان في الحرب وحومة الميدان وتخشاه الجبابرة وتخضع له الاكاسرة ومع ذلك كان كافرا مشركا بالله يعبد الصنم دون مولاه وجيمع عساكره كفار يعبدون الاصنام دون الملك العلام فاتفق انه كان يوماً من الايام جالسا علي كرسي مملكته وحوله اكابر دولته فلم يشعر إلا وقد دخل عليه شخص فاضاء الديوان من نور وجهه فنظر إليه ابي فرآه لابسا حلة خضراء وهو طويل القامة واياديه نازلة إلي تحت ركبتيه وعليه هيبة ووقار والنور يلوح من وجهه فقال لابي ياباغي يامفتري إلى متي وانت مغرور بعبادة الاصنام وتترك عبادة الملك العلام قل اشهد ان لا إله إلا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله واسلم انت وقومك ودع عنك عبادة الاصنام فإنها لا تنفع ولا تشفع ولا يعبد بحق إلا الله رافع السموات بغير عماد وباسط الارضين رحمة للعباد فقال له من انت ابها الرجل الجاحد لعبادة الاصنام حتي تتكلم بهذا الكلام اما تخشي ان تغضب عليك الاصنام فقال له : ان الاصنام احجار لا يضرني غضبها ولا ينفعني ضاها فاحضر لي صنمك الذى انت تعبده وأمر كل واحد من قومك ان يحضر صنمه فإذا حضر جميع اصنامكم فادعوهم ليغضبوا علي وانا ادعو ربي ان يغضب عليهم وتنظرون غضب الخالق من غضب المخلوق فان اصنامكم قد صنعتموها انتم وتلبست بها الشياطين وهم الذين يكلمونكم من داخل بطون الاصنام فاصنامكم مصنوعة والهي صانع ولا يعجزه شئ فان ظهر لكم الحق فاتبعوه وان ظهر لكم الباطل فاتركوه فقالوا له ائتنا ببرهان ربك حتي نراه فقال ائتوني ببراهين اربابكم فامر الملك كل من كان يعبد ربا من الاصنام ان يأتي به فاحضر جميع العساكر اصنامهم في الديوان هذا ماكان من امرهم واما ماكان من امري فإني كنت جالسة في داخل ستارة تشرف علي ديوان ابي وكان لي صنم من زمردة خضراء جسمه قدر جسم ابن آدم فطلبه أبي فارسلته إليه في الديوان فوضعوه في جانب صنم ابي وكان صنم ابي من الياقوت وصنم الوزير من جوهر الالماس واما اكابر العساكر والرعية فبعض اصنامهم من البلخش وبعضها من العقيق وبعضها من المرجان وبعضها من العود القماري وبعضها من الابنوس وبعضها من الذهب وكل واحد منهم له صنم علي قدر ماتسمح به نفسه واما رعاع العساكر والرعية فعبض اصنامهم من الصوان وبعضها من

الخشب وبعضها من الفخار وبعضها من الطين وكل الاصنام مختلفة الالوان مابين اصفر واحمر واخضر واسود وابيض ثم قال ذلك الشخص لابي ادع صنمك وهؤلاء الاصنام تغضب علي فصفوا تلك الاصنام ديوانا وجعلوا صنم ابي علي كرسي من الذهب وصنمي إلى جانبه في الصدر ثم رتبوا الاصنام كل منها في مرتبة صاحبه الذي يعبده وقام ابي وسجد لصنمه وقال له ياالهي انت الرب الكريم وليس في الاصنام اكبر منك وانت تعلم ان هذا الشخص اتاني طاعنا في ربوبيتك مستهزئا بك ويزعم ان له الها اقوي منك ويأمرنا ان نترك عبادتك ونعبد الهه فاغضب عليه ياإلهي وصار يطلب من الصنم والصنم لا يرد عليه جوابا ولا يخاطبه بخطاب فقال له ياألهي ماهذه عادتك لانك كنت تكلمني إذاكلمتك فمالي اراك ساكتا لا تتكلم هل انت غافل او نائم فانتبه وانصرني وكلمني ثم هزه فلم يتكلم ولم يتحرك من مكانه فقال ذلك الشخص لابي مالي اري صنمك لا يتكلم قال له اظن انه غافل او نائم ، فقال له ياعدو الله كيف تعبد الها لا ينطق وليس له قدرة على شئ ولا تعبد الهي الذي هو قريب مجيب وحاضر لا يغيب ولا يغفل ولا ينام ولا تدركه الاوهام يري ولا يُري وهو علي كل شئ قدرير والهك عاجز لا يقدر على دفع الضرر عن نفسه وقد كان متلبسا به شيطان رجيم يضلك ويغويك وقد ذهب الان شيطانه فاعبد الله واشهد انه لا إله إلا هو ولا معبود سواه وانه لا يستحق العبادة غيره ولا خير إلا خيره واما الهك هذا فإنه لا يقدر علي دفع الشر عن نفسه فكيف يقدر علي دفعه عنك فانظر بعينك عجزه ثم تقدم وصار يصكه علي رقبته حتي وقع علي الارض فغضب الملك وقال للحاضرين ان هذا الجاحد قد صك الهي فاقتلوه فارادوا القيام ليضربوه فلم يقدر احد منهم ان يقوم من مكانه فعرض عليهم الاسلام فلم يسلموا فقال اريكم غضب ربي فقالوا ارنا فبسط يديه وقال الهي وسيدي انت ثقتي ورجائي فاستجب دعائي علي هؤلاء القوم الفجار الذين يأكلون خيرك ويعبدون غيرك ياحق ياجبار ياخالق الليل والنهار اسألك ان تقلب هؤلاء القوم احجارا فانك قادر ولا يعجزك شئ وانت علي كل شئ قدير فمسخ الله اهل هذه المدينة احجارا واما انا فاني حين رأيت برهانه اسلمت وجهي لله فسلمت مماصابهم ثم إن ذلك الشخص دنا مني وقال سبقت لك من الله السعادة ولله في ذلك ارادة وصار يعلمني واخذت عليه العهد والميثاق وكان عمري سبع سنين في ذلك الوقت وفي هذا الوقت صار عمري ثلاثين عاما ثم اني قلت له ياسيدي جميع مافي المدينة وجميع اهلها صاروا احجارا بدعوتك الصالحة وقد نجوت

انا حين اسملت علي يديك فانت شيخي فاخبرني باسمك ومدني بمددك وتصرف لي في شئ اقتات منه ، فقال لها اسمي ابو العباس الخضر ثم غرس لي شجرة من الرمان بيده فكبرت واورقت وازهرت واثمرت رمانة واحدة في الحال فقال كلي مما رزقك اللهتعالي واعبديه حق عبادته ثم علمني شروط الاسلام وشروط الصلاة وطريق العبادة وعلمني تلاوة القرآن وصار لى ثلاثة وعشرون عاما وانا اعبد الله في هذا المكان وفي كل يوم تطرح لى هذه الشجرة رمانة فآكلها واقتات بها من الوقت إلى الوقت والخضر عليه السلام يأتيني كل جمعة وهو الذي عرفني باسمك وبشرني بانك سوف تأتينى في هذا المكان وقد قال لي إذا اتاك فاكرميه واطيعي امره ولا تخالفيه وكوني له اهلا ويكون لك بعلا واذهبي معه حيث شاء فلما رأيتك عرفتك وهذا هو خبر هذه المدينة واهلها والسلام ثم انها ارتني شجرة الرمان وفيها رمانة فاكلت نصفها واطعمتني نصفها فما رأيت احلي ولا ازكي ولا اطعم من تلك الرمانة ثم قلت لها هل رضيت بما امرك به شيخك الخضر عليه السلام بان تكوني لي اهلا واكون لك بعلا وتذهبي معي إلى بلادي وامكث بك في مدينة البصرة فقالت نعم ان شاء الله تعالى فاني سميعة لقولك مطيعة لامرك من غير خلاف ثم اني اخذت عليها العهد الوثيق وادخلتني إلي خزانة ابيها واخذنا منها علي قدر ماستطعنا حمله وخرجنا من تلك المدينة ومشينا حتي وصلنا إلى اخوي فرأيتهما يفتشان علي فقالا لي أين كنت فانك ابطأت علينا وقلبنا مشغول بك واما رئيس المركب فإنه قال لي ياتاجر عبد الله ان الريح طاب لنا من مدة وانت عوقتنا عن السفر فقلت له لا ضرر في ذلك ولعل التأخير خير لان غيابي لم يكن فيه غير الاصلاح وقد حصل لي فيه بلوغ الامال ولله در من قال :

ومادري اذا يممت ارضا ... اريد الخير ايهما يليني

الخير الذي انا ابتغيه ... ام الشر الذي هو يبتغيني

ثم قلت لهم انظروا ماحصل لي في هذه الغيبة وفرجتهم علي مامعي من الذخائر واخبرتهم بما رأيت في مدينة الحجر وقلت لهم لو كنتم اطعتموني ورحتم معي كان يحصل لكم من هذا الشئ كثير وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة الرابعة والثمانون بعد التسعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد : ان عبد الله بن فاضل قال لهم ولاخويه لو رحتم معى لحصل لكم من هذا خير كثير فقالوا له والله لو رحـنا ماكنا نتستجري ان ندخل علي ملك المدينـة فقلت لاخـوي لا بأس عليـكما فالـذي معي يكفـينا جمـيعا وهذا نـصيبنـا ثم اني قسمت مـامعي اقساما عـلي قدر الجميع واعـطيت لاخوي والريس واخـذت مثل واحد منهم واعطيـت ماتيسر للخدامين والنـواتية ففرحوا ودعوا لي ورضوا بما أعـطيته لهم إلا اخوي ، فإنهما تغيرت احوالهما ولاجت عيونهمـا فلحظت ان الطمع تمكن منهما فقلت لهما ياأخوي اظـن ان الذي اعطيته لكما لم يـقنعكما ولكن انا اخوكـما وانتما اخوي ولا فرق بيـنى وبينكمـا ومالي ومالكـما شئ واحد وإذا مت لا يـرثني غيركمـا وصرت آخذ بخاطرهما ثم إنى انزلـت البنت في الغليون وادخلتها في الخزنة وارسلـت لها شيئا تأكله وقعدت اتحدث أنا واخوي فقالا لي يااخانا مامرادك ان تـفعل بهذه البنت البديعة الجمال فقلت لهما مرادي ان اكـتب كتابي عليها اذا دخلت البصرة واعمـل فرحا عظيما وادخل بها هناك ، فقال بعـضهما يااخي اعلم اني هذه الصبية بديعـة الحسن والجمال وقد وقعت محبـتها في قلـبي فمردي ان تعـطيها لي فـاتزوج بها انا وقـال الثاني : وانا الآخـر كذلك فاعطها لي لاتزوج بها فقلت لهما يااخوي انها قد اخذت علي عهد وميثاقا اني اتزوج بها فإذا اعطـيتها لواحد مـنكما اكون ناقـضا للعهد الـذي بيني وبينـها وربما حصل لهـا كسر خاطر لانها ما اتت معي إلا على شرط اني اتزوج بـها فكيف ازوجها لغيري واما من جهة انكما تحبانها فانا احبـها اكثر منكما علي انها لقطتي وكوني اعطيـها لواحد منكما هذا شئ لا يكون ابدا ولكن اذا دخلنا مدينة البصرة بالسلام انظر لكما بنتين من خيار بنات البصرة واخطبهما لكمـا وادفع المهر من مالي واجعل الفرح واحدا وندخل نحـن الثلاثة في ليلة واحدة واعرضا عن هـذه البنت فانها من نـصيبي فسكتا وقـد ظننت انهما رضيـا بما قلت لهما ثـم اننا سافرنا متـوجهين إلى ارض البصرة وصـرت ارسل إليها ماتأكـل وماتشرب وهي لا تخرج من خزنة المركب وانا انام بين اخوي علـي ظهر الغليون ولم نزل مسافرين علي هذه الحالة مدة اربعين يوما حتي بانت لنا مدينة البصرة ففرحنا باقبالنا عليهاوانا راكن إلي اخـوي ومطمئـن بهما ولا يـعلم الـغيب إلا الله تعـالي فنمـت تلك الـليلة فـبينمـا انا مستغرق فـي النوم ولم اشعر إلا وانا محـمول بين ايادي اخوي هذين واحد قـابض علي من سيقانـي والآخر من يدي لكونهمـا اتفقا علي تغريـقي في البحر من شأن تـلك البنت

فلما رأيت روحي محمولا بين ايديهما قلت يااخوي لاي شئ تفعلان معي هذه الفعال فقالا ياقليل الادب كيف تبيع خاطرنا ببنت فنحن نرميك في البحر من اجل ذلك ثم رموني فيه ثم انه التفت إلي الكلبين وقال احق ماقلته يااخوي ام لا فنكسا رأسيهما وصارا يعويان كانهما يصدقان قوله فتعجب الخليفة من ذلك ثم قال ياامير المؤمنين فلما رموني في البحر وصلت إلي القرار ثم نفضني الماء علي وجه البحر فما اشعر إلا وطائر كبير قدر الآدمي نزل علي وخطفني وطار بي في الجو الاعلي ففتحت عيني فرأيت روحي في قصر مشيد الاركان عالي البنيان منقوش بالنقوشات الفاخرة وفيه تعاليق الجواهر من سائر الاشكال والألوان وفيه جوار واقفة واضعة الايدي على الصدور وإذا بامرأة جالسة بينهن علي كرسي من الذهب الاحمر مرصع بالدر والجواهر وعليها ملابس لا يقدر الانسان ان يفتح عينه فيها من شدة ضياء الجواهر وفي وسطها حزام من الجواهر لا يفي بثمنه مال وعلى رأسها تاج ثلاث دورات يحير العقول والافكار ويخطف القلوب والابصار ثم ان الطير الذي كان خطفني انتفض فصار صبية كانها الشمس المضيئة فامعنت النظر فيها فإذا هي التي كانت في الجبل بصفة حية وكان الثعبان يقاتلها ولف ذيله علي ذيلها وانا حين رأيت الثعبان قهرها وغلب عليها قتلته بالحجر فقالت لها المرأة التي هي جالسة علي الكرسي لاي شئ جئت هنا بهذا الانسي فقالت لها ياامي ان هذا هو الذي كان سببا في ستر عرضي بين بنات الجان ثم قالت لي هل تعرف من انا قلت لا قالت انا التي كنت في الجبل الفلاني وكان الثعبان الاسود يقاتلني ويريد هتك عرضي وانت قتلته فقلت انما رأيت مع الثعبان حية بيضاء فقالت انا التي كنت حية بيضاء ولكني بنت الملك الاحمر ملك الجان واسمي سعيدة وهذه الجالسة هي امي واسمها مباركة زوجة الملك الاحمر والثعبان الذي كان يقاتلني ويريد هتك عرضي هو وزير الملك الاسود واسمه درفيل وهو قبيح الخلقة واتفق انه لما رآني عشقني ثم انه خطبني من ابي فارسل إليه ابي يقول له وما مقدارك ياقطاعة الوزراء حتي تتزوج بنات الملوك فاغتاظ من ذلك وحلف يمينا انه لابد ان يفضح عرضي كيدا وصار يقفو اثري ويتبعني اينما رحت ومراده ان يفضح عرضي وقد وقع بينه وبين ابي حروب عظيمةومشقات جسيمة ولم يقدر عليه ابي لكونه جبار مكارا ثم ان ابي كلما ضايقه وارد ان يظفر به يهرب منه وقد عجز ابي وصرت انا في كل يوم اتقلب اشكالا والوانا كلما انقلبت في صفة ينقلب هو في صفة ضدها وكلما هربت إلى ارض يشم رايحتي ويلحقني في تلك الأرض حتي

قاسيت منه مشقة عظيمة ثم انقلبت في صفة حية وذهبت إلى ذلك الجبل فانقلب في صفة ثعبان وتبعني فيه فوقعت في يده وعالجني وعالجته حتي اتعبني وركب علي وكان مراده ان يفعل بي مايشتهيه فاتيت انت وضربته بالحجر فقتلته وانا انقلبت بنتا واريتك روحي وقلت لك انه صار لك علي جميل لا يضيع إلا مع اولاد الزنا فلما رأيت اخويك فعلا بك هذه المكيدة ورمياك في البحر بادرت إليك وخلصتك من الهلاك ووجب لك الاكرام من امي وابي ثم انها قالت ياامي اكرميه في نظير ماستر عرضي فقالت مرحبا بك ياانسي فانك فعلت معنا جميلا تستحق عليه الاكرام وامرت لي ببدلة كنوزية تساوي جملة من المال واعطتي جملة من الجواهر والمعادن ثم انها قالت خذوه وادخلوه علي الملك فاخذوني وادخلوني علي الملك في الليوان فرأيته جالسا علي كرسي وبين يديه المردة والأعوان فملا رأيته زاغ بصري مما رأيته عليه من الجواهر فلما رآني قام علي الاقدام وقامت العساكر اجلالا له ثم حياني ورحب بي واكرمني غاية الاكرام واعطاني مما عنده من الخيرات وبعد ذلك قال لبعض اتباعه خذوه إلى بنتي توصله إلي المكان الذي جاءت به منه فاخذوني وذهبوا بي إلى سعيدة بنته فحملتني ثم طارت بي وبما معي من الخيرات هذا ماكان من امري وامر سعيدة واما ماكان من امر ريس الغليون فانه افاق علي الخبطة حين رموني في البحر فقال : ماالذى وقع في البحر فبكي اخوي وصار يخبطان علي صدروهما ويقولان ياضيعة اخينا فإنه اراد ان يزيل ضرورة في جانب الغليون فوقع في البحر ثم انها وضعا ايديهما علي مالي ووقع بينهما الاختلاف من جهة البنت وصار كل واحد منهما يقول مايأخذها غيري واستمرا علي الخصام مع بعضهما ولم يتذكرا اخاهما ولا غرقه وزال حزنهما فبينما هما في هذه الحالة وإذا بسعيدة نزلت بي في وسط الغليون وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة الخامسة والثمانون بعد التسعمائة

قالت بلغني أيها الملك السعيد : ان عبد الله ابن فاضل قال فبينما هما في هذه الحالة وإذا بسعيدة نزلت بي في وسط الغليون فرأني اخوي فعانقاني وفرحا بي وصارا يقولان ياخانا كيف حالك فيما جري لك ان قلبنا مشغول عليك فقالت سعيدة لو كان قلبكما عليه او كنتما تحبانه ماكنتما رميتماه في البحر وهو نائم ولكن اختارا لكما موتة تموتانها وقبضت عليهما وارادت قتلهما فصاحا قالا في عرضك ياخانا فصرت اتداخل عليها

واقول لها انا واقـع في عرضك لا تقتلي اخوي وهي تـقول لابد من قتلهما انهـما خائنان فمازلت الاطفها واستعـطفها حتي قالت من شأن خاطرك لا اقتلهمـا ولكن اسحرهما ثم اخرجت طـاسة وحطت فيـها ماء من ماء الـبحر وتكلـمت عليهـا كلاما لا يفهـم وقالت اخرجا من الصورة البشرية إلي الصورة الكلبية ثم رشـتهما بالماء فانقلبا كلبين كما تراهما ياخليفة الله ثم التفت إلـيهما وقال احق ماقلته يااخوي فنكسا رأسيهـما اكأنهما يقولان له صدقت ثم قال ياامير المؤمنين وبعد ان سحرتهما كلبين قالت لمن كان في الغليون اعلموا ان عبد الله ابن فاضل هذا صار اخي وانا اشق علـيه كل يوم مرة او مرتين وكل من خالفه منكم او عصي امره او اذاه باليد أواللسان فإني افـعل به مافعلت بهذين الخائنين واسحره كلبـا حتي ينقـضي عمره وهو فـي صورة الكلب ولـم يجد له خلاصـا فقال لها الجـميع ياسيدتـي نحن كلنا عـبيده وخدمه ولا نخالـفه ثم انها قالـت لي اذا دخلت البصـرة تفقد جميع مالـك فإن كان نقص منه شئ فاعـلمني وانا أجئ لك به مـن اي شخص كان ومن اي مكان كان ومن كـان آخذا له اسحره كلبا ثـم بعد ان تخزن اموالك حط فـي رقبة كل واحد من هذين الخـائنين غلا واربطهما في ساق الـسرير واجعلهما في سـجن وحدهما وكل ليـلة في نصف الـليل انزل لهـما واضرب كل واحد مـنهما علـقة حتي يغـيب عن الوجـود وان مضت ليـلة ولـم تـضربهـما فاني اجـيئ إليـك واضربك عـلقة وبعـد ذلك اضربهما فقلت لها سمعاً وطاعة ثم انهـا قالت لي اربطهما في الحبال حين تدخل البصرة فحطيت فـي رقبة كل واحد منهما حبـلا ثم ربطهما في الصاري وتوجـهت هي إلى حال سبيلها وفي ثاني يوم دخلنا البصرة وطلع الـتجار لمقابلتي وسلموا علي ولـم يسأل احد عن اخوي وانما صاروا يـنظرون إلي الكلاب ويـقولون لي يافلان ماذا تـصنع بهذين الـكلبين اللـذين جئت بـهما مـعك فاقول لـهم انى ربيـتهمـا في هذه السـفرة وجئـت بهما مـعى فيضـحكون عليهـما ولم يعرفوا انـهما اخوي ثم اني حـطيتهما فـي خزنة والتهيـت تلك الليـلة في توزيع الاحمـال التي فيها الـقماش والمعادن وكـان عندي التجار لاجـل السلام فاشتغلت بهم ولـم اضربهما ولـم اربطهما بالسلاسل ولـم اعمل معهما ضررا ثم نمت فما اشعر إلا وقد اتتـني سعيدة بنت الملك الاحمـر وقالت لي اما قلت لك حط فـي رقابهما السـلاسل واضـرب كل واحدمـنهـما علـقة ثـم انها قـبضـت علي واخـرجت الـسوط وضربتـنى علقـة حتي غبـت عن الوجود وبعـد ذلك ذهبت إلـي المكان الذي فـيه اخواي وضربت كل واحد منهـما علقة بالسوط حتي اشرف علي الموت وقـالت كل ليلة اضرب

كل واحد منهما علقـة مثل هذه العلقة وان مضت ليلة ولم تضربهـما فأنا اضربك فقلت ياسيـدتي في غد احط السـلاسل في رقابهمـا والليلة الآتـية اضربهما ولا ارفـع الضرب عنهما ليلة واحدة فـاكدت علي في الوصية بضربهما فلما اصبـح الصبح لم يهن علي ان اضع السلاسل فـي رقابهما فذهبت إلى صـايغ وامرته ان يعمل لهمـا اغلالا من الذهب فعملها وجئت بها ووضـعتها في رقابهما وربطتهما كما امرتني وفي ثـاني ليلة ضربتهما قهـرا عني وكـانت هذه الحـركة في مـدة خلافة المـهدي الخامـس من بنـي العبـاس وقد اصطحبت معه بارسـال الهدايا فقلدني ولاية وجعلني نائبا فـي البصرة ودمت علي هذه الحالة مدة مـن الزمان ثم اني قلت فـي نفسي لعل غيـظها قد برد فتـركتهما ليلـة من غير ضرب فاتتـني وضربتني عـلقة لم انس حرارتـها بقية عمـري فمن ذلك الوقت لـم اقطع عنهـما الضرب مدة خـلافة المهدي ولما تـوفي المهدي وتولـيت انت بعده وارسـلت إلي تقـرير الاستـمرار علـي مدينـة البصـرة وقد مضـي لي اثنـا عشر عـاما وانا فـي كل ليـلة اضربهما قهرا عني وبعدما اضربهما آخذ بخاطرهما واعتذر إليهما واطعمهما واسقيهما وهما مـحبوسان ولم يـعلم بهـما احد من خلـق الله تعالي حتـي ارسلت إلي ابـا اسحاق النـديم من اجل الخراج فـاطلع علـي سري ورجع إلـيك فاخبـرك فارسلـته ثانيـا تطلبـني وتطلبهـما فاجبت بالسمع والـطاعة واتيت بهما بـين يديك ولما سألتني عن حـقيقة الامر اخبرتك بالقصة وهـذه حكايتي فعند ذلك تعجب الخليفة هـارون الرشيد من حال هذين الكلـبين ثم قال وهـل انت في هذه الحـالة سامحت اخـويك مما صدر مـنهما فـي حقك وعفوت عنـهما ام لا فقال : ياسيـدي سامحـهما الله وابـرأ ذمتهما في الدنـيا والآخرة وانا محتاج لكونهما يسـامحاني لانه مضي لي اثنا عشر عاما وانا اضربهمـا كل ليلة علقة فقال له الخليفة ياعبد الله ان شاء الله تعالي انا اسعي فـي خلاصهما ورجوعهما آدميين كما كانا اولا واصلـح بينـكم وتعـيشون بـقية اعـماركم اخـوة متحـابين وكمـا انك سامـحتهـما يسامحانك فخذهـما وانزل إلى منزلك وفي هذه الليلة لا تضربـهما وفي غد مايكون إلا الخير فقال له ياسيدي وحياة رأسك ان تركتهمـا ليلة واحدة من غير ضرب تأتيني سعيدة وتضربني وأنا مالي جسد يتحمل ضربا فـقال له لا تخف فانا اعطيك خط يدي فإذا اتتك سعيـدة فاعطها الورقـة فإذا قرأتها وعفـت عنك كان الفـضل لها وان لـم تطـع امري كان امرك إلى الله ودعها تـضربك علقة وقدر انك نسيـتهما من الضرب ليلة وضـربتك بهذا

السبب وإذا حصل ذلك وخالفتني فإن كنت انا امير المؤمنين فاني اعمل خلاصي معها ثم ان الخليفة كتب لها قطعة ورقة مقدار اصبعين وبعدما كتبها ختمها وقال ياعبد الله إذا اتتك سعيدة فقل لها ان الخليفة ملك الانس امرني بعدم ضربهما وكتب لي هذه الورقة وهو يقرئك السلام واعطها المرسوم ولا تخش بأسا ثم اخذ عليه العهد والميثاق انه لا يضربهما فاخذهما وراح بهما إلى منزله وقال في نفسه ياترى مالذي يصنعه الخليفة في حق بنت سلطان الجن إذا كانت تخالفه وتضربني في هذه الليلة ولكن انا اصبر علي ضربي علقة واريح اخوي في هذه الليلة ولو كان يحصل لي من اجلهما العذاب ثم انه تفكر في نفسه وقال له عقله ولولا ان الخليفة مستند إلى سند عظيم ماكان يمنعك عن ضربهما ثم انه دخل منزله ونزع الاغلال من رقاب اخويه وقال توكلت علي الله وصار يأخذ بخاطرهما ويقول لهما لا بأس عليكما فان الخليفة السادس من بني العباس قد تكفل بخلاصكما وانا قد عفوت عنكما وان شاء الله تعالي يكون الاوان قد آن وتخلصان في هذه الليلة المباركة فابشرا بالهنا والسرور فلما سمعا هذا الكلام صار يعويان مثل عي الكلاب وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة السادسة والثمانون بعد التسعمائة

قالت بلغني أيها الملك السعيد : ان عبد الله بن فاضل قال لاخويه ابشرا بالهنا والسرور فلما سمعا هذا الكلام صارا يعويان مثل عي الكلاب ويمرغان خدودهما علي اقدامه كانهما يدعوان له ويتواضعان بين يديه فحزن عليهما وصار يملس بيده علي ظهورهما إلي ان جاء وقت العشاء فلما وضعوا السفرة قال لهما اجلسا فجلسا يأكلان معه علي السفرة فصارت اعوانه باهتين يتعجبون من اكله مع الكلاب ويقولون هل هو مجنون أو مختل العقل كيف يأكل نائب مدينة البصرة مع الكلاب وهو اكبر من وزير أما يعلم ان الكلب نجس وصاروا ينظرون إلى الكلبين وهما يأكلان معه اكل الحشمة ولا يعلمون انهما اخواه ومازالوا يتفرجون علي عبدالله والكلبين حتي فرغوا من الاكل ثم ان عبد الله غسل يديه فمد الكلبان ايديهما وصارا يغسلان وكل من كان واقفا صار يضحك عليهما ويتعجب ويقولون لبعضهم عمرنا مارأينا الكلاب تأكل وتغسل ايديها بعد اكل الطعام ثم انهما جلسا علي المراتب بجنب عبد الله بن فاضل ولم يقدر احد ان يسأله له عن ذلك واستمر الامر هكذا إلى نصف الليل ثم صرف الخدام وناموا ونام كل كلب علي سرير

وصار الخدام يقولون لبعضهم انه نام ونام معه الكلبان وبعضهم يقول حيث اكل مع الكلاب علي السفرة فلا بأس إذا ناموا معه وما هذا إلا حال المجانين ثم انهم لم يأكلوا مما بقي في السفرة من الطعام شيئا وقالوا كيف نأكل فضلة الكلاب ثم اخذوا السفرة بما فيها ورموها وقالوا انها نجسة هذا ماكان من امرهم واما ماكان من امر عبد الله بن فاضل فإنه لم يشعر إلا والارض قد انشقت وطلعت سعيدة وقالت ياعبد الله لاي شئ ماضربتهما في هذه الليلة ولاي شئ نزعت الاغلال من اعناقهما هل فعلت ذلك عنادا لي واستخفافا بامري ولكن انا الان اضربك واسحرك كلبا مثلهما فقال لها ياسيدتي اقسمت عليك بالنقش الذي علي خاتم سليمان بن داود عليهما السلام ان تحلمي علي حتي اخبرك بالسبب ومهما اردتيه بي فافعليه فقالت له اخبرني فقال لها اما سبب عدم ضربهما فان ملك الانس الخليفة امير المؤمنين هارون الرشيد امرني ان لا اضربهما في هذه الليلة وقد اخذ علي مواثيق وعهودا علي ذلك وهو يقرئك السلام واعطاني مرسوما بخط يده وامرني ان اعيطك اياه فامتثلت امره واطعته وطاعة امير المؤمنين واجبة وهاهو المرسوم فخذيه واقرأيه وبعد ذلك افعلي مرادك فقالت هاته فناولها المرسوم ففتحته وقرأته فرأت مكتوبا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من ملك الانس هارون الرشيد إلى بنت الملك الاحمر سعيدة اما بعد فان هذا الرجل قد سامح اخويه واسقط حقه عنهما وقد حكمت عليهم بالصلح وإذا وقع الصلح ارتفع العقاب فان اعترضتمونا في احكامنا اعترضناكم في احكامكم وخرقنا قانونكم وإن امتثلتم امرنا ونفذتم احكامنا فاننا ننفذ احكامكم وقد حكمت عليك بعدم التعرض لهما فان كنت تؤمنين بالله ورسوله فعليك بطاعة ولي الامر وان عفوت عنهما فانا اجازيك بما يقدرني عليه ربي وعلامة الطاعة ان ترفعي سحرك عن هذين الرجلين حتي يقابلاني في غد خالصين وان لم تخلصيهما فانا اخلصهما قهرا عنك بعون الله تعالى فلما قرأت ذلك الكتاب قالت ياعبد الله لا افعل شئ حتى اذهب إلى ابى وأعرض عليه مرسوم ملك الأنس وارجع إليك بالجواب بسرعة ثم اشارت بيدها إلى الأرض فانشقت ونزلت فيها فلما ذهبت طار قلب عبد الله فرحا وقال اعز الله امير المؤمنين ثم ان سعيدة دخلت علي ابيها واخبرته بالخبر وعرضت عليه مرسوم امير

المؤمنين فقبله ووضعه علي رأسه ثم قرأه وفهم مافيه وقال يابنتي ان امر ملك الانس علينا ماض وحكمه فينا نافذ ولا نقدر ان نخالفه فامضي إلى الرجلين وخلصيهما في هذه الساعة وقولي لهما انتما في شفاعة ملك الأنس فإنه ان غضب علينا اهلكنا عن آخرنا فلا تحملينا مالا نطيق فقالت له ياأبت إذا غضب علينا ملك الانس ماذا يصنع بنا ، قال لها : يابنتي انه يقدر علينا من وجوه الأول انه من البشر فهو مفضل علينا والثاني انه خليفة الله والثالث انه مصر علي ركعتى الفجر فلو اجتمعت عليه طوائف الجن من السبع ارضين لا يقدرون ان يصنعوا به مكروها فانه ان غضب علينا يصلي ركعتي الفجر يصيح علينا صيحة واحدة فنجتمع بين يديه طائعين ونصير كالغنم بين يدي الجزار ان شاء يأمرنا بالرحيل من اوطاننا إلى ارض موحشة لا نستطيع المكث فيها وان شاء هلاكنا امرنا بهلاك انفسنا فيهلك بعضنا بعضا فنحن لا نقدر علي مخالفة امره فان خالفنا امره احرقنا جميعا وليس لنا مفر من بين يديه وكذلك كل عبد داوم علي ركعتي الفجر فان حكمه نافذ فينا فلا تتسببي في هلاكنا من اجل رجلين بل امضي وخلصيهما قبل ان يحيق بنا غضب امير المؤمنين فرجعت إلى عبد الله ابن فاضل واخبرته بما قال ابوها وقالت له قبل لنا ايادي امير المؤمنين واطلب لنا رضاه ثم انها اخرجت الطاسة ووضعت فيها الماء وعزمت عليها وتكلمت بكلمات لا تفهم ثم رشتهما بالماء وقالت اخرجا من الصورة الكلبية إلى الصورة البشرية فعادا بشرين كما كانا أولا وانفك عنهما رصد السحر وقالا اشهد أن لا إله إلا الله واشهد أن محمداً رسول الله ثم انهما وقعا علي يد اخيهما وعلي رجليه يقبلانها ويطلبان منه السماح فقال لهما سامحاني انتما ثم انهما تابا توبة نصوحا وقالا قد غرنا ابليس اللعين واغوانا الطمع وربنا جازانا بما نستحقه والعفو من شيم الكرام وصارا يستعطفان اخاهما ويبكيان ويتندمان علي ماوقع منهما ثم انه قال لهما مافعلتم بزوجتي التي جئت بها من مدينة الحجر ، فقالوا لما اغوانا الشيطان ورميناك في البحر وقع الخلاف بينا وصار كل منا يقول انا اتزوج بها فلما سمعت كلامنا ورأت اختلافنا وعرفت اننا رميناك في البحر طلعت من الخزنة وقالت لاتختصما من اجلي فاني لست لواحد منكما زوجي راح البحر وانا اتبعه ثم انها رمت روحها في البحر وماتت فقال انها ماتت شهيدة فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ثم انه بكي عليها بكاء شديدا وقال لهما لا يصح

منكمـا ان تفعلا هذه الفعـال وتعدماني زوجتي فـقالا اننا اخطأنـا وربنا جازانا علي فـعلنا وهذا شئ قدره الله علينا قـبل ان يخلقنا فقبل عذرهما ثم ان سعيـدة قالت ايفعلان معك كل هذه الفـعال وانت تعفو عنـهما فقال يااختي مـن قدر وعفا كان اجره علـي الله فقالت خذ حذرك منهما فانـهما خائنات ثم ودعته وانصرفت وادرك شهرزاد الـصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة السابعة والثمانون بعد التسعمائة

قالـت : بلغنـي أيها المـلك السـعيد : ان عبـد الله لما حذرتـه سعيـدة من اخويه ودعـته وانصرفت إلـي حال سبيلها فـبات عبد الله بقية تلـك الليلة هو واخواه عـلي اكل وشرب وبسط وانشراح صـدر فلما اصبح الصباح ادخلـهما الحمام وعند خروجهـما من الحمام ألبس كل واحد منهمـا بدلة تساوي جملة من المال ثم انه طلب سفـرة طعام فقدموها بين يديه فـاكل هو واخواه فلـما نظرهمـا الخدام وعرفوا انهـما اخواه سلمـوا عليهمـا وقالوا للأمير عبدالله يامولانـا هناك الله باجتماعك علي اخويك العزيـزين وأين كانا في هذه المدة فقال لهما هما اللذان رأيتموهما في صـورة كلبين والحمد لله الذي خلصهما من السجن والعذاب الاليم ثم إنه اخذهما وتوجه إلى ديوان الخليفة هارون الرشيد ودخل بهما عليه وقبل الأرض بين يديـه ودعا له بدوام العز والنعم وازالـة البؤس والنقم فقال لـه الخليفة مرحبا بـك ياامير عبد الله اخبـرني بما جرى لك فقـال ياامير المؤمنين اعـز الله قدرك اني لما خذت اخوى وذهبت بهما إلى منزلي اطمأنيت عليـهما بسببك حيث تكفلت بخلاصهما وقلت فـي نفسي ان الملوك لا يـعجزون عن امر يجـتهدون فيه فان الـعناية تساعـدهم ثم نزعت الاغلال مـن رقابهما وتوكلـت علي الله واكلت انا وإيـاهما علي السفـرة فما رآني اتباعي آكل مـعهما وهما في صورة كلـبين استخفوا عقلـي وقالوا لبعضهم لعـله مجنون كيف يـأكل نائب الـبصرة مع الـكلاب وهو اكبر مـن الوزير ورموا مـافضل من الـسفرة وقالـوا لا نأكل مابـقي من الكـلاب وصاروا يسـفهون رأيي وانـا اسمع كلامـهم ولا ارد عليهم جوابا لعدم معرفتهم انهما اخوي ثم صرفتهم عندما جاء وقت النوم وطلبت النوم فما اشعر إلا والارض قد انشقت وخرجت سعيدة بنت الملك الاحمر وهي غضبانة علي

وعيناها مثل النار ثم اخبر الخليفة بجميع ماوقع منها ومن ابيها وكيف اخرجتهما من الصورة الكلبية إلي الصورة البشرية ثم قال وهاهما بين يديك ياامير المؤمنين فالتفت الخليفة فرآهما شابين كالقمرين فقال الخليفة جزاك الله عني خيرا ياعبد الله حيث اعلمتني بفائدة ماكنت اعلمها ان شاء الله لا اترك صلاة هاتين الركعتين قبل طلوع الفجر مادمت حيا ثم انه عنف اخوي عبد الله بن فاضل علي ماسلف منهما في حقه فاعتذرا قدام الخليفة فقال لهم تصافحوا وسامحوا بعضكم وعفا الله عما سلف ثم التفت إلى عبد الله وقال ياعبد الله اجعل اخويك معينين لك وتوص بهما واوصاهما بطاعة اخيهما ثم انعم عليهم وامرهم بالارتحال إلى مدينة البصرة بعد ان اعطاهم انعاما جزيلا فنزلوا من ديوان الخليفة مجبروين وفرح الخليفة بهذه الفائدة التي استفادها من هذه الحركة وهي المداومة علي صلاة ركعتين قبل الفجر وقال صدق من قال مصائب قوم عند قوم فوائد هذا ماكان من امرهم مع الخليفة واما ماكان من امر عبد الله بن فاضل فانه سافر من مدينة بغداد ومعه اخواه بالاعزاز والاكرام ورفع المقام إلى ان دخلوا مدينة البصرة فخرج الاكابر والاعيان لملاقاتهم وزينوا لهم المدينة وادخلوهم بموكب ليس له نظير وصار الناس يدعون له وهو ينثر الذهب والفضة وصار جميع الناس ضاجين بالدعاء له ولم يلتفت احد إلى اخويه فدخلت الغيرة والحسد في قلوبهما ومع ذلك كان عبد الله يداريهما مداراة العين الرمداء وكلما داراهما لا يزدادان إلا بغضا له وحسدا فيه وقد قيل في هذا المعني :

وداريت كل الناس لكنّ حاسدي   مدارته شطت وعزنوا لها
وكيف يداري المرء حاسد نعمة   اذا كان لايرضيه إلازوالها

ثم انه اعطي كل واحد منهما سرية ليس لها نظير وجعلهما بخدم وحشم وجوار وعبيد سود وبيض من كل نوع اربعين واعطي كل واحد منهما خمسين جوادا من الخيل الجياد وصار لهما جماعة واتباع ثم انه عين لهما الخراج ورتب لهما الرواتب وجعلهما معينين له وقال لهما ياأخوي انا وانتما سواء ولا فرق بيني وبينكما وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة الثامنة والثمانون بعد التسعمائة

قالت : بلغني أيها الملك السعيد : ان عبد الله رتب لاخويه الرواتب وجعلهما معينين له وقال لهما ياأخوي انا وانتما سواء ولا فرق بيني وبينكما فالحكم بعد الله والخليفة لي ولكما فاحكما في البصرة في غيابي وحضوري وحكمكما نافذ ولكن عليكما بتوقي الله في الاحكام واياكما والظلم فإنه ان دام دمر وعليكما بالعدل فانه ان دام عمر ولا تظلما العباد فيدعوا عليكما وخبركما يصل إلى الخليفة فتحصل فضيحة في حقي وحقكما فلا تتعرضا لظلم احد والذي تطمعان فيه من اموال الناس خذاه من مالي زيادة علي ماتحتاجان إليه ولا يخفي عليكما ماورد في الظلم من محكم الايات ولله در من قال هذه الآبيات :

الظلم في نفس الفتي كامن ... وليس إلا العجز يخفيه
ذو العقل لا ينهض في حاجة ... حتي يري الوقت يوافيه
لسان من يعقل في قلبه ... وقلب من يجهل في فيه
من لم يكن أكبر من عقله ... يقتله اصغر مافيه
اصل الفتي خاف ولكنه ... من فعله يظهر خافيه
من لم يكن عنصره طيبا ... لا يظهر الطيب من فيه
من قلد الاحمق في فعله ... كان له في الجهل مساويه
ومن اطلع الناس علي سره ... تنبهت له اعاديه
يكفي الفتي ماكان من شأنه ... وتركه ماليس يعنيه

ثم انه صار يعظ اخويه ويأمرهما بالعدل وينهاهما عن الظلم حتي ظن انهما احباه بسبب بذل النصيحة لهما ثم انه ركن اليهما وبالغ في اكرامهما ومع اكرامه لهما ما ازدادا إلا حسدا له وبغضا فيه ثم ان اخويه ناصرا ومنصورا اجتمعا مع بعضهما فقال ناصر لمنصور ياأخي إلى متي ونحن تحت طاعة اخينا عبد الله وهو فى هذه السيادة والامارة وبعد ماكان تاجرا صار أميرا وبعد أن كان صغيرا صار كبيرا ونحن لم نكبر

ولم يبق لنا قدر ولا قيمة وها هو ضحك علينا وعملنا معينين له ما معنى ذلك أليس أننا خدمته ومن تحت طاعته ومادام طيبا لا ترتفع درجتنا ولم يبق لنا شأن فلا يتم غرضنا إلا أن قتلناه وأخذنا أمواله ولا يمكن أخذ هذه الأموال إلا بعد هلاكه فإذا قتلناه نسود ونأخذ جميع ما فى خزائنه من الجواهر والمعادن والذخائر وبعد ذلك نقسمها بيننا ثم نهيئ هدية للخليفة ونطلب منه منصب الكوفة وأنت تكون نائب البصرة وأنا أكون نائب الكوفة أو أنك تكون نائب الكوفة وأنا أكون نائب البصرة ويبقى لكل واحد منا صورة وشأن ولكن لا يتم لنا ذلك إلا إذا أهلكناه فقال منصور أنك صادق فيما قلت ولكن ماذا نصنع معه حتى نقتله فقال نعمل ضيافة عند أحدنا ونعزمه فيها ونخدمه غاية الخدمة ثم نساهره بالكلام ونحكى له حكايات ونكتا ونوادر إلى أن يذوب قلبه من السهر ثم نفرش له حتى يرقد فإذا رقد نبرك عليه وهو نائم فنخنقه ونرميه فى البحر ونصبح نقول أن أخته الجنية اتته وهو قاعد يتحدث بيننا وقالت له يا قطاعة الأنس ما مقدارك حتى تشكونى إلى أمير المؤمنين أتظن أننا نخاف منه فكما أنه ملك نحن ملوك وأن لم يلزم أدبه فى حقنا قتلناه أقبح قتله ولكن بقيت أنا أقتلك حتى ننظر ما يخرج من يد أمير المؤمنين ثم خطفته وشقت الأرض ونزلت به فلما رأينا ذلك غشى علينا ثم استفقنا ولم ندر ما حصل له وبعد ذلك نرسل إلى الخليفة ونعلمه فانه يولينا مكانه وبعد مدة نرسل إلى الخليفة هدية سنية ونطلب منه حكم الكوفة وواحد منا يقيم فى البصرة والآخر يقيم بالكوفة وتطيب لنا البلاد ونقهر العباد ونبلغ المراد فقال له نعم ما أشرت به يا أخى ثم اتفقا على قتل أخيهما وصنع ناصر ضيافة وقال لأخيه عبد الله يا أخى أعلم أنى أنا أخوك ومرادى أنك تجبر بخاطرى أنت وأخى منصور وتأكلا ضيافتى فى بيتى حتى افتخر بك ويقال أن الأمير عبد الله أكل ضيافة أخيه ناصر لاجل أن يحصل لى بذلك جبر خاطر فقال له عبد الله لا بأس يا أخى ولا فرق بينى وبينك وبيتك بيتى ولكن حيث عزمتنى فما يأبى الضيافة إلا اللئيم ثم التفت إلى أخيه منصور وقال له أتروح معى إلى بيت أخيك ناصر ونأكل ضيافته ونجبر بخاطره فقال له يا أخى وحياة رأسك ما أروح معك حتى تحلف لى أنك بعدما تخرج من بيت أخى ناصر تدخل بيتى وتأكل ضيافتى فهل ناصر أخوك وأنا لست أخاك فكما جبرت بخاطره تجبر بخاطرى فقال لا بأس بذلك حبا وكرامة فمتى خرجت من دار أخيك أدخل دارك وكما هو أخى أنت أخى ثم أن ناصرا قبل يد أخيه عبد الله ونزل من الديوان وعمل الضيافة

وفى ثانى يوم ركب عبد الله وأخذ معه جملة من العسكر وأخاه منصورا وتوجه إلى دار أخيه ناصر فدخل وجلس هو وجماعته وأخوه فقدم لهم السماط ورحب بهم فأكلوا وشربوا وتلذذوا وطربوا وارتفعت السفرة والزبادى وغسلت الأيادى وأقاموا ذلك اليوم على أكل وشرب وبسط ولعب إلى الليل فلما تعشوا صلوا المغرب والعشاء ثم جلسوا على منادمة وصار منصور يحكى حكاية وناصر يحكى حكاية وعبد الله يسمع وكانوا فى قصر وحدهم وبقية العسكر فى مكان آخر ولم يزالوا فى نكت وحكايات ونوادر وأخبار حتى ذاب قلب أخيهم عبد الله من السهر وغلب عليه النوم وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة التاسعة والثمانون بعد التسعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن عبد الله لما طال عليه السهر وأراد النوم فرشوا له الفرش ثم قلع ثيابه ونام وناما بجانبه على فرش آخر وصبرا عليه حتى استغرق فى النوم فلما عرفا أنه استغرق فى النوم قاما وبركا عليه فافاق فرآهما باركين على صدره فقال لهما ما هذا يا أخويّ فقالا له ما نحن أخواك ولا نعرفك يا قليل الأدب وقد صار موتك أحسن من حياتك وحطا أيديهما فى رقبته وخنقاه فغاب عن الدنيا ولم يبق فيه حركة فظنا أنه مات وكان القصر على البحر فرموه فى البحر فلما وقع فى البحر سخر الله له درفيلا كان معتادا على مجيئه تحت ذلك القصر لأن المطبخ كان فيه طاقة تشرف على البحر وكانوا كلما ذبحوا الذبايح يرمون تعاليقها فى البحر من تلك الطاقة فيأتى ذلك الدرفيل ويلتقطها من على وجه الماء فاعتاد على ذلك المكان وكانوا فى ذلك اليوم قد رمو اسقاطا كثيرا بسبب الضيافة فأكل ذلك الدرفيل زيادة عن كل يوم وحصلت له قوة فلما سمع الخبطة فى البحر أتى بسرعة فرآه ابن آدم فهداه الهادى وحمله على ظهره وشق به فى وسط البحر ولم يزل ماشيا به حتى وصل إلى البر من الجهة الثانية والقاه على البر وكان ذلك المكان الذى أطلعه فيه على قارعة الطريق فمرت به قافله فرأوه مرميا على جانب البحر فقالوا هنا غريق القاه البحر على الشاطىء واجتمع عليه جماعة من تلك القافلة يتفرجون عليه وكان شيخ القافلة رجلا من أهل الخير وعارفا بجميع العلوم وخبيرا بعلم الطب وصاحب فراسة صادقة فقال لهم يا ناس ما الخبر فقالوا هذا غريق ميت فاقبل

عليه وتأمله وقال يا ناس هذا الشاب فيـه الروح وهذا من خيار أولاد الناس الأكابر وتربية العز والنعم وفيـه الرجاء أان شاء الله تعالى ثم أنه أخذه والبسه بـدلة وأدفاه وصار يعالجه ويلاطفه مدة ثلاث مراحل حتى أفاق ولكن حصلت له خضة فغلب عليه الضعف وصار شيخ القافلة يعالجـه باعشاب يعرفها ولم يزالوا مسافرين مدة ثـلاثين يوما حتى بعدوا عن البصرة بـهذه المسافة وهو يـعالج فيه ثم دخـلوا مدينة يقـال لها مدينة عـوج وهى فى بلاد العجم فـنزلوا فى خان وفرشوا له ورقـد فبات تلك الليلـة يئن وقد أقلق الناس مـن انينه فلما أصـبح الصباح أتى بواب الخـان إلى شيخ القافـلة وقال ما شأن هذا الضـعيف الذى عندك فأنه أقلقنا فقال هذا رأيته فى الطريق على جانب البحر غريقا فعالجته وعجزت ولم يشف فقال له أعرضه علـى الشيخة راجحة فقال له وما تكون الشيخـة راجحة فقال عندنا بنت بكر شـيخة وهى عذراء جميلة اسمـها الشيخة راجحة كل من كـان به داء يأخذونه إليها فيبيت عندها ليلة واحدة فيصبح معافى ولم يكن فيه شىء يضره فقال له شيخ القافلة دلنى علـيها فقال له احمـل مريضك فحمـله ومشى بواب الخان قدامـه إلى أن وصل إلى زاوية فرأى خلايـق داخلين بالنذور وخلايق خـارجين فرحانين فدخل بـواب الخان حتى وصل إلى الـستارة وقال دستـور يا شيخة راجـحة خذى هذا المـريض فقالت أدخـله من داخل هذه الـستارة فقال له أدخـل فدخل ونظر إليـها فرآها زوجته الـتى جابها من مـدينة الحجر فعـرفها وعرفته وسـلمت عليه وسلـم عليها فقـال لها من أتى بك إلـى هذا المكان فقـالت له لما رأيـت أخويك رميـاك فى البحـر وتخاصمـا على رميـت روحى فى البـحر فتناولنى شيخى الخضر أبو العباس وأتى بى إلى هذه الزاوية وأعطانى الاذن بشفاء المرضى ونادى فى هذه المدينة وكل مـن كان به داء فعليه بالشيخة راجحة وقـال لى أقيمى فى هذا المكان حتـى يأون الأوان ويأتى إليك زوجك فى هـذه الزاوية فصار كل مريـض يأتى إلى أكبسه فيصبح طيبا وشاع ذكرى بين العالم وأقبلت على الناس بالنذور وعندى الخير كثير وأنا فى عز واكرام وجميع أهل هذه البلاد يطلبون مـنى الدعاء ثم أنها كبسته فشفى بقدرة الله تعالى وكان الخضـر عليه السلام يحضر عندهـا فى كل ليلة جمعة وكانت تـلك الليلة التى اجتمع بها فيهـا ليلة الجمعة فلما جن الليل جلست هى واياه بـعد ما تعشيا من أفخر المأكول ثـم قعدا ينـتظران حضـور الخضر فبـينما هـما جالسـان وإذا به قد أقبـل عليهـما فحملـهما من الزاوية ووضعهـما فى قصر عبد الله بـن فاضل بالبصرة ثم تـركهما وراح

فلما أصبح الصباح تأمل عبد الله فى القصر فرآه قصره وعرفه وسمع الناس فى ضجة فطل من الشباك فرأى أخويه مصلوبين كل واحد منهما على خشبة والسبب فى ذلك أنهما لما رمياه فى البحر أصبحا يبكيان ويقولان أن أخانا خطفته الجنية ثم هيئا هدية وأرسلاها إلى الخليفة وأخبراه بهذا الخبر وطلبا منه منصب البصرة فأرسل أحضرهما عنده وسألهما فأخبراه كما ذكرناه فاشتد غضب الخليفة فلما جن الليل صلى ركعتين قبل الفجر على عادته وصاح على طوائف الجن فحضروا بين يديه طائعين فسألهم عن عبد الله فحلفوا له أنه لم يتعرض له أحد منهم وقالوا له ما عندنا خبر به فأتت سعيدة بنت الملك الأحمر وأخبرت الخليفة بخبره فصرفهم وفى ثانى يوم رمى ناصرا ومنصورا تحت الضرب فاقرا على بعضهما فغضب عليهما الخليفة وقال خذوهما إلى البصرة وأصلبوهما قدام قصر عبد الله هذا ما كان من أمرهما وأما ما كان من أمر عبد الله فإنه أمر بدفن أخويه ثم ركب وتوجه إلى بغداد وأخبر الخليفة بحكايته وما فعل معه أخواه من الأول إلى الآخر فتعجب الخليفة من ذلك وأحضر القاضى والشهود وكتب كتابه على البنت التى جاء بها من مدينة الحجر ودخل بها وأقام معها فى البصرة إلى أن أتاهم هادم اللذات ومفرق الجماعات فسبحان الحى الذى لا يموت.

ومما يحكى أيها الملك السعيد أنه كان فى مدينة مصر المحروسة رجل اسكافى يرقع الزرابين القديمة وكان اسمه معروفا وكان له زوجة اسمها فاطمة ولقبها العرة وما لقبوها بذلك إلا لأنها كانت فاجرة شرانية قليلة الحياء كثيرة الفتن وكانت حاكمة على زوجها وفى كل يوم تنسبه وتلعنه ألف مرة وكان يخشى شرها ويخاف من أذاها لأنه كان رجلا عاقلا يستحى على عرضه لكنه كان فقير الحال فإذا اشتغل بكثير صرفه عليها وإذا اشتغل بقليل انتقمت من بدنه فى تلك الليلة وأعدمته العافية وتجعل ليلته مثل صحيفتها وهى كما قال فى حقها الشاعر

كم ليلة قد بت مع زوجتى ... فى أشأم الأحوال قضيتها

يا ليتنى عند دخولى بها ... أحضرت سما ثم سميتها

ومن جملة ما أتفق لهذا الرجل من زوجته أنها قالت له يا معروف أريد منك فى هذه الليلة أن تجىء لى معك بكنافة عليها عسل نحل فقال لها الله تعالىَ يسهل لى حقها وأنا

أجئ بها لك فى هذه الليلة والله لم يكن معى دراهم فى هذا اليوم ولكن ربنا يسهل فقالت له أنا ما أعرف هذا الكلام وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الموفية للتسعين بعد التسعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن معروفا الاسكافى قال لزوجته الله يسهل بكلفتها وأنا أجئ بها إليك فى هذه الليلة والله لم يكن معى دراهم فى هذا اليوم لكن ربنا يسهل فقالت له أنا ما أعرف هذا الكلام ان سهل أو لم يسهل لا تجيئنى إلا بالكنافة التى بعسل نحل وأن جئت من غير كنافة جعلت ليلتك مثل بختك حين تزوجتنى ووقعت فى يدى فقال لها الله كريم ثم خرج ذلك الرجل والغم يتناثر من بدنه فصلى الصبح وفتح الدكان وقال أسألك يا رب أن ترزقنى بحق هذه الكنافة وتكفينى شر هذه الفاجرة فى هذه الليلة وقعد فى الدكان إلى نصف النهار فلم يأته شغل فاشتد خوفه من زوجته فقام وقفل الدكان وصار متحيرا فى أمره من شأن الكنافة مع أنه لم يكن معه من حق الخبز شيء ثم أنه مر على دكان الكنفانى ووقف باهتا وغرغرت عيناه بالدموع فلحظ عليه الكنفانى وقال يا معلم معروف مالك تبكى فاخبرنى بما أصابك فأخبره بقصته وقال ل أن زوجتى جبارة وطلبت منى كنافة وقد قعدت فى الدكان حتى مضى نصف النهار فلم يجئنى ولاحق الخبز وأنا خائف منها فضحك الكنفانى وقال لا بأس عليك كم رطل تريد قال خمسة أرطال فوزن له خمسة أرطال وقال له السمن عندى ولكن ما عندى عسل نحل وإنما عندى عسل قطر أحسن من عسل النحل وماذا يضر إذا كانت بعسل قطر فاستحى منه لكونه يصبر عليه بثمنها فقال له هاتها بعسل قطر فقلى له الكنافة بالسمن وغرقها بعسل قطر فصارت تهدى للملوك ثم أنه قال له أتحتاج عيشا وجبنا قال نعم فأخذ له بأربعة أنصاف عيشا وبنصف جبنا والكنافة بعشرة أنصاف وقال له أعلم يا معروف أنه قد صار عندك خمسة عشر نصفا رح إلى زوجتك واعمل حظا وخذ هذا النصف حق الحمام وعليك مهل يوم أو يومان أو ثلاثة حتى يرزقك الله ولا تضيق على زوجتك فأنا أصبر عليك حتى يبقى عندك دراهم فاضلة عن مصروفك فأخذ الكنافة والعيش والجبن وانصرف داعيا له وروح مجبور الخاطر وهو يقول سبحانك ربى ما أكرمك ثم أنه دخل عليها فقالت له هل جئت بالكنافة قال نعم ثم وضعها قدامها فنظرت إليها فرأتها بعسل قصب فقالت له أما

قلت لك هاتها بعسل نحل تعمل على خلاف مرادى وتعملها بعسل قصب فاعتذر إليها وقال لها أنا ما اشتريتها إلا مؤجلا ثمنها فقالت هذا كلام باطل أنا ما آكل كنافة إلا بعسل نحل وغضبت عليه وضربته بها فى وجهه وقالت له قم يا معرص هات لى غيرها ولكمته فى صدغه فقلعت سنة من أسنانه ونزل الدم على صدره ومن شدة الغيظ ضربها ضربة واحدة لطيفة على رأسها فقبضت على لحيته وصارت تصيح وتقول يا مسلمون فدخل الجيران ووخلصوا لحيته من يدها وقاموا عليها باللوم وعيبوها وقالوا نحن كلنا فى قبل أكل الكنافة التى بعسل القصب ما هذا التجبر على هذا الرجل الفقير أن هذا عيب عليك ولازالوا يلاطفونها حتى أصلحوا بينها وبينه ولكنها بعد ذهاب الناس حلفت ما تأكل من الكنافة شيئا فاحرقه الجوع فقال فى نفسه هى حلفت ما تأكل فأنا آكل ثم أكل فلما رأته يأكل صارت تقول له ان شاء الله يكون أكلها سما يهرى بدن البعيد فقال لها ما هو بكلامك وصار يأكل ويضحك ويقول أنت حلفت ما تأكلين من هذه فالله كريم فإن شاء الله فى ليلة غد أجئ لك بكنافة تكون بعسل نحل وتأكليها وحدك وصار يأخذ بخاطرها وهى تدعو عليه ولم تزل تسبه وتشتمه إلى الصبح فلما أصبح الصباح شمرت عن ساعدها لضربه فقال لها امهلينى وأنا أجئ لك بغيرها ثم خرج إلى المسجد وصلى وتوجه إلى الدكان وفتحها وجلس فلم يستقر به الجلوس حتى جاءه اثنان من طرف القاضى وقالا له قم كلم القاضى فان امرأتك اشتكتك إليه وصفتها كذا وكذا فعرفها وقال الله تعالى ينكد عليها ثم قام مشى معهما إلى أن دخل على القاضى فرأى زوجته رابطة ذراعها وبرقعها ملوث بالدم وهى واقفة تبكى وتمسح دموعها فقال له القاضى يا رجل ألم تخف من الله تعالى كيف تضرب هذه الحرمة وتكسر ذراعها وتقلع سنها وتفعل بها هذه الفعال فقال له ان كنت ضربتها أو قلعت سنها فاحكم فى بما تختار وإنما القصة كذا وكذا والجيران أصلحوا بينى وبينها وأخبره بالقصة من الأول إلى الآخر وكان ذلك القاضى من أهل الخير فاخرج له ربع دينار وقال له يا رجل خذ وهذا وأعمل لها به كنافة بعسل نحل واصطلح أنت وإياها فقال له أعطه لها فأخذته وأصلح بينهما وقال يا حرمة أطيعى زوجك وأنت يا رجل ترفق بها وخرجا مصطلحين على يد القاضى وراحت المرأة من طريق وزوجها راح من طريق آخر إلى دكانه وجلس وإذا بالرسل أتوا له وقالوا هات خدمتنا فقال لهم أن القاضى لم يأخذ منى شيئا بل أعطانى ربع دينار فقالوا لا علاقة لنا

بكون القاضى أعطاك أو أخذ منك فإن لم تعطنا خدمتنا أخذناها قهرا عنك وصاروا يجرونه فى السوق فباع عدته وأعطاهم نصف دينار ورجعوا عنه وحط يده على خده وقعد حزينا حيث لم يكن عنده عدة يشتغل بها فبينما هو قاعد وإذا برجلين قبيحى المنظر أقبلا عليه وقالا له قم يا رجل كلم القاضى فإن زوجتك اشتكتك إليه فقال لهما قد أصلح بينى وبينها فقالا له نحن من عند قاض آخر فإن زوجتك أشتكتك إلى قاضينا فقام معهما وهو يحتسب عليها فلما رآها قال لها أما أصطلحنا يا بنت الحلال قالت ما بقى بينى وبينك صلح فتقدم وحكى للقاضى حكايته وقال له أن القاضى فلان أصلح بيننا فى هذه الساعة فقال لها القاضى يا عاهرة حيث اصطلحتما لماذا جئتى تشكين إلى قالت أنه ضربنى بعد ذلك فقال لهما القاضى اصطلحا ولا تعد إلى ضربها وهى لا تعود إلى مخالفتك فاصطلحا وقال له القاضى أعطى الرسل خدمتهم فأعطى الرسل خدمتهم وتوجه إلى الدكان وفتحها وقعد فيها وهو مثل السكران من الهم الذى أصابه فبينما هو قاعد وإذا برجل أقبل عليه وقال له يا معروف قم استخف فإن زوجتك اشتكتك إلى الباب العالى ونازل عليك أبو طبق فقام وقفل الدكان وهرب فى جهة باب النصر وكان قد بقى معه خمسة أنصاف فضة من حق القوالب والعدة فاشترى بأربعة أنصاف عيشا وبنصف جبنا وهو هارب منها وكان ذلك فى فصل الشتاء وقت العصر فلما خرج بين الكيمان نزل عليه المطر مثل أفواه القرب فابتلت ثيابه فدخل العادلية فرأى موضعا خربا فيه حاصل مهجور من غير باب فدخل يستكن فيه من المطر وحوايجه مبتلة بالماء فنزلت الدموع من اجفانه وصار يتضجر مما به ويقول أين أهرب من هذه العاهرة أسألك يا رب أن تقيض لى من يوصلنى إلى بلاد بعيدة لا تعرف طريقى فيها فبينما هو جالس يبكى وإذا بالحايط قد انشقت وخرج له منها شخص طويل القامة ورؤيته تقشعر منها الابدان وقال له يا رجل مالك أقلقتنى فى هذه الليلة أنا ساكن فى هذا المكان من منذ مائتى عام فما رأيت أحدا دخل هذا المكان وعمل مثل ما عملت أنت فأخبرنى بمقصودك وأنا أقضى حاجتك فان قلبى أخذته الشفقة عليك فقال له من أنت وما تكون فقال له أنا عامر هذا المكان فأخبره بجميع ما جرى له مع زوجته فقال له أتريد أن أوصلك إلى بلاد لا تعرف

لك زوجتك فيها طريقا قال نعم قال له اركب فوق ظهرى فركب وحمله وطار به من بعد العشاء إلى طلوع الفجر وأنزله على رأس جبل عال وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الحادية والتسعون بعد التسعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن معروفا الاسكافى لما حمله المارد طار به وأنزله على جبل عال وقال يا انسى انحدر من فوق هذا الجبل ترى عتبة مدينة فادخلها فان زوجتك لا تعرف لك طريقا ولا يمكنها أن تصل إليك ثم تركه وراح فصار معروف باهتا متحيرا فى نفسه إلى أن طلعت الشمس فقال فى نفسه أقوم وأنزل من على هذا الجبل إلى المدينة فأن قعودى هنا ليس فيه فائدة فنزل إلى أسفل الجبل فرأى مدينة بأسوار عالية وقصور مشيدة وابنية مزخرفة وهى نزهة للناظرين فدخل من باب المدينة فرآها تشرح القلب الحزين فلما مشى فى السوق صار أهل المدينة ينظرون إليه ويتفرجون عليه واجتمعوا عليه وصاروا يتعجبون من ملبسه لأن ملبسه لا يشبه ملابسهم فقال له رجل من أهل المدينة يا رجل هل أنت غريب قال نعم قال له من أى البلاد قال من مدينة مصر السعيدة قال له الك زمان مفارقها قال له البارحة العصر فضحك عليه وقال يا ناس تعالوا انظروا هذا الرجل واسمعوا ما يقول فقالوا ما يقول قال أنه يزعم أنه من مصر وخرج منها البارحة العصر فضحكوا كلهم واجتمع عليه الناس وقالوا يا رجل أأنت مجنون حتى تقول هذا الكلام كيف تزعم أنك فارقت مصر بالأمس فى وقت العصر وأصبحت هنا والحال أن بين مدينتنا وبين مصر مسافة سنة كاملة فقال لهم ما مجنون إلا أنتم وأما إنا فأنى صادق فى قولى وهذا عيش مصر لم يزل معى طريا وأراهم العيش فصاروا يتفرجون عليه ويتعجبون منه لأنه لا يشبه عيش بلادهم وكثر الخلايق عليه وصاروا يقولون لبعضهم هذا عيش مصر تفرجوا عليه وصارت له شهرة فى تلك المدينة ومنهم ناس يصدقون وناس يكذبون ويهزأون به فبينما هم فى تلك الحالة وإذا بتاجر أقبل عليهم وهو راكب بغلة وخلفه عبدان ففرق الناس وقال يا ناس أما تستحون وأنتم ملتمون على هذا الرجل الغريب وتسخرون منه وتضحكون عليه ما علاقتكم به ولم يزل يسبهم حتى طردهم عنه ولم يقدر أحد أن يرد عليه جوابا وقال له تعال يا أخى ما عليك بأس من هؤلاء أنهم

لاحياء عندهم ثم أخذه وسار به إلى أن أدخله دارا واسعة مزخرفة وأجلسه فى مقعد ملوكى وأمر العبيد ففتحوا له صندوقا وأخرجوا له بدلة تاجر الفي والبسه أياها وكان معروف وجيها فصار كأنه شاه بندر التجار ثم أن ذلك التاجر طلب السفرة فوضعوا قدامهما سفرة فيها جميع الأطعمة الفاخرة من سائر الألوان فاكلا وشربا وبعد ذلك قال له يا أخى ما اسمك قال اسمى معروف وصنعتى أسكافى أرقع الزرابين القديمة قال له من أى البلاد أنت قال من مصر قال من أى الحارات قال له هل أنت تعرف مصر قال له أنا من أولادها فقال له أنا من الدرب الأحمر قال له من تعرف من الدرب الأحمر قال له فلان وفلان وعد له ناسا كثيرة قال له هل تعرف الشيخ أحمد العطار قال له هو جارى الحيط فى الحيط قال له هل هو طيب قال نعم قال له كم له من الأولاد قال ثلاثة مصطفى ومحمد وعلى قال له ما فعل الله باولاده قال أما مصطفى فانه طيب وهو عالم مدرس وأما محمد فانه عطار قد فتح له دكانا بجنب دكان أبيه بعد أن تزوج وولدت له زوجته ولد اسمه حسن قال بشرك الله بالخير قال وأما على فانه كان رفيقى ونحن صغار وكنت دائما العب أنا واياه وبقينا نروح بصفة أولاد النصارى وندخل الكنيسة ونسرق كتب النصارى ونبيعها ونشترى بثمنها نفقة فاتفق فى بعض المرات أن النصارى رأونا ومسكونا بكتاب فاشتكونا إلى أهلنا وقالوا لابيه إذا لم تمنع ولدك من أذانا اشتكيناك إلى الملك فأخذ بخاطرهم وضربه علقة فبهذا السبب هرب من ذلك الوقت ولم يعرف له طريقا وهو غائب له عشرون سنة ولم يخبر عنه أحد بخبر فقال له هو أنا على ابن الشيخ أحمد العطار وأنت رفيقى يا معروف وسلما على بعضهما وبعد السلام قال له يا معروف أخبرنى بسبب مجيئك من مصر إلى هذه المدينة فأخبره بخبر زوجته فاطمة العرة وما فعلت معه وقال له أنه لما اشتد على أذاها هربت منها فى جهة باب النصر ونزل على المطر فدخلت فى حاصل خرب فى العادلية وقعدت أبكى فخرج لى عامر المكان وهو عفريت من الجن وسألنى فأخبرته بحالى فاركبنى على ظهره وطار بى طول الليل بين السماء والأرض ثم حطنى على الجبل وأخبرنى بالمدينة فنزلت من الجبل ودخلت المدينة والتم الناس على وسألونى فقلت لهم أنى طلعت البارحة من مصر فلم يصدقونى فجئت أنت ومنعت عنى الناس وجئت بى إلى هذه الدار وهذا سبب خروجى من مصر وأنت ما سبب مجيئك هنا قال له غلب على الطيش وعمرى سبع سنين فمن ذلك الوقت وأنا دائر

من بلـد إلى بلد ومـن مدينة إلـى مدينة حـتى دخلت هـذه المدينة واسـمها أختـيان الختن فرأيت أهلهـا ناسا كراما وعندهم الـشفقة ورأيتهم يأتمنـون الفقير ويداينونـه وكل ما قاله يصدقـونه فيه فقـلت لهم أنا تـاجر وقد سبقت الحـملة ومرادى مكـان أنزل فيه حمـلتى فصدقونـى وأخلوا لى مكانا ثم أنـى قلت لهم هل فيكـم من يداينني ألف دينـار حتى تجئ حملتى وأرد له ما أخذتـه منه فأني محتاج إلى بعض مصالح قبل دخـول الحملة فاعطونى ما أردت وتوجـهت إلى سوق التـجار فرأيت شـيئا من البـضاعة فاشتـريته وفى ثـانى يوم بعته فربحت فيه خمسين دينارا واشتريـت غيره وصرت أعاشر الناس وأكرمهم فحبونى وصرت أبيع وأشترى فكثـر مالى وأعلم يا أخى أن صاحب المثل يقول الدنـيا فشر وحيلة والبلاد التى لا يعرفك أحد فيها مهما شئـت فافعل فيها وأنت إذا قلت لكل من سألك أنا صنعـتى اسكافى وفقـير وهربت من زوجتـى والبارحة طلعـت من مصر فلا يصـدقونك وتصير عندهم مسـخرة مدة أقامتك فى هذه المدينة وأن قلت حملنـى عفريت نفروا منك ولا يقرب منـك أحد ويقولون هذا رجـل معفرت وكل من تـقرب منه يحصـل له ضرر وتبقـى هذه الاشاعة قبيـحة فى حقى وحقـك لكونهم يعـرفون أنى من مصر قـال وكيف أصنع قال أنا أعلمك كيف تصنع ان شاء الله تعالى أعطيك فى غد ألف دينار وبغلة تركبها وعبدا يمشى قدامك حـتى يوصلك إلى باب سوق التجار فادخل علـيهم وأكون أنا قاعدا بين التجار فمتى رأيـتك أقوم لك وأسلم عليك وأقبل يدك وأعظم قـدرك وكلما سالتك عن صنف من الـقماش وقلت لك هل جئت معـك بشيء من الصنف الفلانى فـقل كثير وأن سألونى عنك أشكرك وأعظمك فى أعينـهم ثم أنى أقول لهم خذوا له حاصلا ودكانا واصفك بـكثرة المال والكرم وإذا أتـاك سائل فأعطه مـا تيسر فيثـقون بكلامى ويعـتقدون عظمتك وكرمك ويـحبونك وبعد ذلك أعزمك وأعزم جميع التـجار من شأنك وأجمع بينـك وبينهم حـتى يعرفوك جـميعهم وتعـرفهم وأدرك شهرزاد الـصباح فسكـتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والتسعون بعد التسعمائة

قالت بـلغنى أيهـا الملك السـعيد أن التاجـر على قال لمعـروف أعزمك وأعزم جـميع التجار من شـأنك وأجمع بينك وبيـنهم حتى يعرفوك جـميعهم وتعرفهـم لأجل أن تبيع وتشترى وتأخذ وتعطى مـعهم فما تمضى عليك مدة حتى تصير صـاحب مال فلما أصبح

الصباح أعطاه ألف دينار والبسه بدلة وأركبه بغلة وأعطاه عبدا وقال ابرأ الله ذمتك من الجميع لأنك رفيقى فواجب على اكرامك ولا تحمل هما ودع عنك سيرة زوجتك ولا تذكرها لاحد فقال له جزاك الله خيرا ثم أنه ركب البغلة ومشى قدامه العبد إلى أن أوصله إلى باب سوق التجار وكانوا جميعا قاعدين والتاجر على قاعد بينهم فلما رآه قام ورمى روحه عليه وقال له نهار مبارك يا تاجر معروف يا صاحب الخيرات والمعروف ثم قبل يده قدام التجار وقال يا أخواننا آنسكم التاجر معروف فسلموا عليه وصار يشير لهم بتعظيمه فعظم فى أعينهم ثم أنزله من فوق ظهر البغلة وسلموا عليه وصار يختلى بواحد بعد واحد منهم ويشكره عنده فقالوا له هل هذا تاجر فقال لهم نعم بل هو أكبر التجار ولا يوجد واحد أكثر مالا منه لأن أمواله وأموال أبيه وأجداده مشهورة عند تجار مصر وله شركاء فى الهند والسند واليمن وهو فى الكرم على قدم عظيم فاعرفوا قدره وارفعوا مقامه واخدموه وأعلموا أن مجيئه إلى هذه المدينة ليس من أجل التجارة وما مقصده إلا الفرجة على بلاد الناس لأنه غير محتاج إلى التغرب من أجل الربح والمكاسب لأن عنده أموالا لا تأكلها النيران وأنا من بعض خدمه ولم يزل يشكره حتى جعلوه فوق رؤوسهم وصاروا يخبرون بعضهم بصفاته ثم اجتمعوا عنده وصاروا يهادونه بالفطورات والشربات حتى شاه بندر التجار أتى له وسلم عليه وصار يقول له التاجر على بحضرة التجار يا سيدى لعلك جئت معك بشيء من القماش الفلانى فيقول له كثير وكان فى ذلك اليوم فرجه على أصناف القماش المثمنة وعرفه أسامى الأقمشة الغالى والرخيص فقال له تاجر من التجار يا سيدى هل جئت معك بجوخ أصفر قال كثير قال وأحمر دم الغزال قال كثير وصار كلما سأله عن شيء يقول له كثير فعند ذلك قال يا تاجر على أن بلديك لو أراد أن يحمل ألف حمل من القماشات المثمنة يحملها فقال له يحملها من حاصل من جملة حواصله ولا ينقص منه شيء فبينما هم قاعدون وإذا برجل سائل دار على التجار فمنهم من أعطاه نصف فضة ومنهم من أعطاه جديدا وغالبهم لم يعطه شيئا حتى وصل إلى معروف فكبش له كبشة ذهب وأعطاه اياها فدعا له وراح فتعجب التجار من ذلك وقالوا أن هذه عطايا ملوك فأنه أعطى السائل ذهبا من غير عدد ولولا أنه من أصحاب النعم الجزيلة وعنده شيء كثير ما كان أعطى السائل كبشة ذهب وبعد حصة أتته امرأة فقيرة فكبش وأعطاها وذهبت تدعو له وحكت للفقراء فاقبلوا عليه واحد بعد واحد

وصار كل من أتى لـه يكبش ويعطيه حتـى أنفق الألف دينار وبعد ذلك ضـرب كفا على كف وقال حسبنا الله ونعم الوكيل فقال له شاه بندر التجار مالك يا تاجر معروف قال كأن غالب أهل هذه المدينة فقراء ومساكين ولو كـنت أعرف أنهم كذلك كنت جئت معى فى الخرج بجانب من المال وأحسن به إلى الفقراء وأنـا خائف أن تطول غربتى ومن طبعى أنى لا أرد السائل ولم يبق معى ذهب فإذا أتانى فـقير ماذا قول له قال له قل له الله يرزقك قال ما هى عادتى وقد ركبـنى الهم بهذا السبب وكان مرادى ألف دينار أتـصدق بها حتى تجئ حملتى فقال لا بأس وأرسل بعض أتباعه فجاء له بألف دينار فاعطاه أياها فصار يعطى كل من مر به من الفقراء حـتى أذن الظهر فدخلوا الجامع وصلوا الظهـر والذى بقى معه من الألف دينار نثره علـى رؤس المصلين فانتبه له الناس وصاروا يـدعون له وصارت التجار تتعجـب من كثرة كرمه وسخـائه ثم أنه مال على تاجـر آخر وأخذ منه ألف دينـار وفرقها وصار التاجر على ينظر فعله ولا يقدر أن يتكلم ولم يزل على هذه الحالة حتى أذن العصر فدخل المسجد وصلـى وفرق الباقى فما قفلوا باب السوق حتـى أخذ خمسة الآف دينار وفرقها وكل من أخذ منه شيأ يقول لـه حتى تجئ الحملة أن أردت ذهبا أعطيك وأن أردت قماشـا أعطيك فإن عنـدى شيئا كثيرا وعند المسـاء عزمه التاجر عـلى وعزم معه الـتجار جميعا وأجلسه فى الصدر وصار لا يتكلم إلا بـالقماشات والجواهر وكلما ذكروا له شيئا يقول عنـدى منه كثير وثـانى يوم توجه إلى الـسوق وصار يميل علـى التجار ويأخذ منهم الأموال ويفرقـها على الفقراء ولـم يزل على هذه الحالـة مدة عشرين يوما حـتى أخذ من الناس ستين ألف دينار ولـم تأته حملة ولا كبة حامية فضجت النـاس على أموالهم وقالوا ما أتت حمـلة التاجر معـروف وإلى متى وهو يأخـذ أموال الناس ويعطـيها للفقـراء فقال واحد منهـم الرأى أن نتكلم مع بلـديه التاجر على فاتـوه وقالوا له يا تاجر علـى أن حملة التاجر مـعروف لم تأت فقال لهـم اصبروا فانها لابد أن تـأتى عن قريب ثم أنه اخـتلى به وقال له يا معروف ما هـذه الفعال هل أنا قلت لك قمر الخبز أو أحـرقه أن التجار ضجوا على أموالهم وأخبرونى أنه صار لهم عليك ستون ألف دينار أخذتها وفرقتها على الفقراء ومن أين تـسدّ دين النـاس وأنت لا تبيع ولا تـشترى فقال لـه أى شىء يجرى ومـا مقدار الستين ألـف دينار لما تجئ الحمـلة أعطيهم أن شاءوا قـماشا وأن شاءوا ذهبا وفـضة قال له التـاجر علـى الله أكبر وهل أنـت لك حمـلة قال كـثير قـال له الله والرجال عـليك وعـلى سماجتك هل أنـا علمتك هذا الكلام حتى تـقوله لى فأنا أخبر بك النـاس فقال له رح بلا

كثرة كلام هل أنا فقير أن حملتى فيها شىء كثير فإذا جاءت يأخذون متاعهم المثل مثلين أنا غير محتاج إليهم فعند ذلك اغتاظ التاجر على وقال له يا قليل الأدب لابد أن أريك كيف تكذب على ولا تستحى فقال له الذى يخرج من يدك افعله ويصبرون حتى تجئ حملتى ويأخذون متاعهم بزيادة فتركه وراح وقال فى نفسه أنا شكرته سابقا وأن ذممته الآن صرت كاذبا وأدخل فى قول من قال من شكر وذم كذب مرتين وصار متحيرا فى أمره ثم أن التجار أتوه وقالوا يا تاجر على هل كلمته قال لهم يا ناس أنا أستحى منه ولى عنده ألف دينار ولم أقدر أن أكلمه عليها وأنتم لما أعطيتموه ما شاورتمونى وليس لكم على كلام فطالبوه منكم له وان لم يعطكم فاشكوه إلى ملك المدينة وقولوا له أنه نصاب نصب علينا فإن الملك يخلصكم منه فراحوا للملك وأخبروه بما وقع وقالوا يا ملك الزمان أننا تحيرنا فى أمرنا مع هذا التاجر الذى كرمه زائد فانه يفعل كذا وكذا وكل شىء أخذه بفرقه على الفقراء بالكبشة فلو كان مقلا ما كانت تسمح نفسه أنه يكبش الذهب ويعطيه للفقراء ولو كان من أصحاب النعم كان صدقه ظهر لنا بمجىء حملته ونحن لا نرى له حملة مع أنه يدعى أن له حملة وقد سبقها وكلما ذكرنا له صنفا من أصناف القماش يقول عندى منه كثير وقد مضت مدة ولم يبن عن حملته خبر وقد صار لنا عنده ستون ألف دينار وكل ذلك فرقه على الفقراء وصاروا يشكرونه ويمدحون كرمه وكان ذلك الملك طماعا أطمع من أشعب فلما سمع بكرمه وسخائه غلب عليه الطمع وقال لوزيره لو لم يكن هذا التاجر عنده أموال كثيرة ما كان يقع منه هذا الكرم كله ولابد أن تأتى حملته ويجتمع هؤلاء التجار عنده ويبعثر عليهم أموالا كثيرة فأنا أحق منهم بهذا المال فمرادى أن أعاشره وأتودد إليه حتى تأتى حملته والذى والذى يأخذه منه هؤلاء التجار آخذه أنا وأزوجه ابنتى وأضم ماله إلى مالى فقال له الوزير يا ملك الزمان ما أظنه إلا نصابا والنصاب قد أخرب بيت الطماع وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الثالثة والتسعون بعد التسعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الوزير لما قال للملك لما قال للملك ما أظنه إلا نصابا والنصاب قد أخرب بيت الطماع قال له الملك يا وزير أنا أمتحنه وأعرف هل هو نصاب

أو صادق وهل هو تربية نعمة أولا قال الوزير بماذا تمتحنه قال الملك أن عندى جوهرة فأنا أبعث إليه وأحضره عندى وإذا جلس أكرمه وأعطيه الجوهرة فإن عرفها وعرف ثمنها يكون صاحب خيرونعم وأن لم يعرفها فهو نصاب محدث فاقتله أقبح قتله ثم أن الملك أرسل إليه وأحضره فلما دخل عليه سلم عليه فرد عليه السلام وأجلسه إلى جانبه وقال له هل أنت التاجر معروف قال نعم قال له أن التجار يزعمون أن لهم عندك ستين ألف دينار فهل ما يقولونه حق قال نعم قال له لم لم تعطهم أموالهم قال يصبرون حتى تجئ حملتى وأعطيهم المثل مثلين وأن أرادوا ذهبا أعطيهم وأن أرادوا فضة أعطيهم وأن أرادوا بضاعة أعطيهم والذى له ألف أعطيه ألفين فى نظير ما ستر به وجهى مع الفقراء فإن عندى شيئا كثيرا ثم أن الملك قال له يا تاجر خذ هذه وانظر ما جنسها وما قيمتها وأعطاه جوهرة قدر البندقة كان الملك اشتراها بألف دينار ولم يكن عنده غيرها وكان مستعزا بها فأخذها معروف بيده وقرط عليها بالابهام والشاهد فكسرها لأن الجوهر رقيق لا يتحمل فقال له الملك لأى شيء كسرت الجوهرة فضحك وقال يا ملك الزمان ما هذه جوهرة هذه قطعة معدن تساوى ألف دينار كيف تقول عليها أنها جوهرة أن الجوهرة يكون ثمنها سبعين ألف دينار وإنما يقال على هذه قطعة معدن والجوهرة مالم تكن قدرا الجوزة لا قيمة لها عندى ولا أعتنى بها كيف تكون ملكا وتقول على هذه جوهرة وهى قطعة معدن قيمتها ألف دينار ولكن أنتم معذورون لكونكم فقراء وليس عندكم ذخائر لها قيمة فقال له الملك يا تاجر هل عندك جواهر من الذى تخبر بها قال كثير فغلب الطمع على الملك فقال له هل تعطينى جواهر صحاحا قال له حتى تجئ الحملة أعطيك كثيرا ومهما طلبته فعندى منه كثير وأعطيك من غير ثمن ففرح الملك وقال للتجار روحوا إلى حال سبيلكم واصبروا عليه حتى تجئ الحملة ثم تعالوا خذوا مالكم منى فراحوا هذا ما كان من أمر معروف والتجار وأما ما كان من أمر الملك فأنه أقبل على الوزير وقال له لاطف التاجر معروف وخذ واعط معه فى الكلام واذكر له ابنتى حتى يتزوج بها ونغتنم هذه الخيرات التى عنده فقال الوزير يا ملك الزمان أن حال هذا الرجل لم يعجبنى وأظن أنه نصاب وكذاب فاترك هذا الكلام لئلا تضيع بنتك بلا شيء وكان الوزير سابقا ساق على الملك أن يزوجه البنت وأراد زواجها له فلما بلغها ذلك لم ترض ثم أن الملك قال له يا خائن أنت لا تريد لى خيرا لكونك خطبت ابنتى سابقا ولم ترض أن تتزوج بك فصرت الآن تقطع طريق

زواجها ومرادك أن بنتي تبور حتى تأخذها أنت فاسمع مني هذه الكلمة ليس لك علاقة بهذا الكلام كيف يكون نصابا كذابا مع أنه عرف ثمن الجوهرة مثل ما اشتريتها به وكسرها لكونها لم تعجبه وعنده جواهر كثيرة فمتى دخل على ابنتي يراها جميلة فتأخذ عقله ويحبها ويعطيها جواهر وذخائر وأنت مرادك أن تحرم ابنتي وتحرمني من هذه الخيرات فسكت الوزير وخاف من غضب الملك عليه وقال في نفسه أغر الكلاب على البقر ثم ميل على التاجر معروف وقال له ان حضرة الملك حبك وله بنت ذات حسن وجمال يريد ان يزوجها لك فما تقول فقال له لا بأس ولكن يصبر حتى تأتي حملتي فإن مهر بنات الملوك واسع ومقامهن أن لا يمهرن إلا بمهر يناسب حالهن وفي هذه الساعة ما عندي مال فليصبر على حتى تجئ الحملة فالخير عندي كثير ولابد أن أدفع صداقها خمسة الآف كيس وأحتاج إلى ألف كيس أفرقها على الفقراء والمساكين ليلة الدخلة وألف كيس أعطيها للذين يمشون في الزفة وألف كيس أعمل بها الأطعمة للعساكر وغيرهم وأحتاج إلي مائة جوهرة أعطيها للملكة صبيحة العرس ومائة جوهرة أفرقها على الجواري والخدم فأعطي كل واحدة جوهرة تعظيما لمقام العروسة وأحتاج إلى أن أكسي ألف عريان من الفقراء ولابد من صدقات وهذا شيء لا يمكن إلا إذا جاءت الحملة فإن عندي شيئا كثيرا وإذا جاءت الحملة لا أبالي بهذا المصروف كله فراح الوزير وأخبر الملك بما قاله فقال الملك حيث كان مراده ذلك كيف تقول عنه أنه نصاب كذاب قال الوزير ولم أزل أقول ذلك ففزع فيه الملك ووبخه وقال له وحياة رأسي أن لم تترك هذا الكلام لاقتلك فارجع إليه وهاته عندي وأنا مني له اصطفي فراح إليه الوزير وقال له تعال كلم الملك فقال سمعا وطاعة ثم جاء إليه فقال له الملك لا تعتذر بهذه الاعذار فان خزنتي ملآنة فخذ المفاتيح عندك وأنفق جميع ما تحتاج إليه وأعط ما تشاء وأكس الفقراء وافعل ما تريد وما عليك من البنت والجواري وإذا جاءت حملتك فاعمل مع زوجتك ما تشاء من الاكرام ونحن نصبر عليك بصداقها حتى تجئ الحملة وليس بيني وبينك فرق أبدا ثم أمر شيخ الإسلام أن يكتب الكتاب فكتب كتاب بنت الملك على التاجر معروف وشرع في عمل الفرح وأمر بزينة المدينة ودقت الطبول ومدت الأطعمة من سائر الألوان وأقبلت أرباب

الملاعب وصار التاجر معروف يجلس على كرسى فى مقعد وتأتى قدامه أرباب الملاعب والشطار والجنك وأرباب الحركات الغريبة والملاهى العجيبة وصار يأمر الخازندار ويقول له هات الذهب والفضة فيأتيه بالذهب والفضة وصار يدور على المتفرجين ويعطى كل من لعب بالكبشة ويحسن للفقراء والمساكين ويكسو العريانين وصار فرحا عجاجا وما بقى الخازندار يلحق أن يجيء بالأموال من الخزنة وكاد قلب الوزير ان ينفقع من الغيظ ولم يقدر ان يتكلم وصار التاجر على يتعجب من بذل هذه الأموال ويقول للتاجر معروف الله والرجال على صدغك أما كفاك أن أضعت مال التجار حتى تضيع مال الملك فقال له التاجر معروف لا علاقة لك وإذا جاءت الحملة أعوض ذلك على الملك باضعافه وصار يبدد فى الأموال ويقول فى نفسه كبة حامية فالذى يجرى يجرى والمقدر مامنه مفر ولم يزل الفرح مدة أربعين يوما وفى اليوم الحادى والأربعين عملوا الزفة للعروسة ومشى قدامها جميع سائر الأمراء والعساكر ولما دخلوا بها صار ينثر الذهب على رؤس الخلايق وعملوا لها زفة عظيمة وصرف أموالا لها مقدار عظيم وأدخلوه على الملكة فقعد على المرتبة العالية وأرخوا الستاير وقفلوا الأبواب وخرجوا وتركوه عند العروسة فخبط يدا على يد وقعد حزينا مدة وهو يضرب كفا على كف ويقول لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم فقالت له الملكة يا سيدى سلامتك مالك مغموما فقال كيف لا أكون مغموما وأبوك قد شوش على وعمل معى عملة مثل حرق الزرع الأخضر قالت وما عمل معك أبى قل لى قال أدخلنى عليك قبل أن تأتى حملتى وكان مرادى أقل ما يكون مائة جوهرة أفرقها على جواريك لكل واحدة جوهرة تفرح بها وتقول أن سيدى أعطانى جوهرة فى ليلة دخلته على سيدتى وهذه الخصلة كانت تعظيما لمقامك وزيادة فى شرفك فأنى لا أقصر ببذل الجواهر لأن عندى منها كثيرا فقالت له لا تهتم بذلك ولا تغم نفسك بهذا السبب أما أنا فما عليك منى لأنى أصبر عليك حتى تجيء الحملة وأما الجوارى فما عليك منهن قم أقلع ثيابك وأعمل انبساطا ومتى جاءت الحملة فاننا لاحقون على تلك الجواهر وغيرها فقام وقلع ما كان عليه من الثياب وجلس على الفراش وطلب النغاش ووقع الهراش وحط يده على ركبتها فجلست هى فى حجره والقمته شفتها فى فمه وصارت هذه الساعة تنسى الانسان أباه وأمه فحضنها وضمها إليه وعصرها فى حضنه وضمها إلى صدره ومص شفتها حتى سال العسل من فمها ووضع يده من تحت أبطها

الشمال فحنت أعضاؤه وأعضاؤها للوصال ولكزها بين النهدين فراحت بين الفخدين وتحزم بالساقين ومارس العملين ونادى يا أبا اللثامين وحط الذخيرة وأشعل الفتيل وحرر على بيت الابرة وأعطى النار فخسف البرج من الأربعة أركان وحصلت النكتة التى لا يسأل عنها وزعقت الزعقة التى لابد منها وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الرابعة والتسعون بعد التسعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن بنت الملك لما زعقت الزعقة التى لابد منها أزال التاجر معروف بكارتها وصارت تلك الليلة لا تعد من الأعمار لاشتمالها على وصل الملاح من عناق وهراش ومص ورضع إلى الصباح ثم دخل الحمام ولبس بدلة من ملابس الملوك وطلع من الحمام ودخل ديوان الملك فقام له من فيه على الأقدام وقابلوه باعزاز واكرام وهنوه وباركوا له وجلس بجانب الملك وقال أين الخازندار فقالوا هاهو حاضر بين يديك قال هات الخلع والبس جميع الوزراء والأمراء وأرباب المناصب فجاء له بجميع ما طلب وجلس يعطى كل من أتى له ويهب لكل أنسان على قدر مقامه وأستمر على هذه الحالة مدة عشرين يوما ولم يظهر له حملة ولا غيرها ثم أن الخازندار تضايق منه غاية الضيق ودخل على الملك فى غياب معروف وكان الملك جالسا هو والوزير لا غير فقبل الأرض بين يديه وقال يا ملك الزمان أنا أخبرك بشىء لأنك ربما تلومنى على عدم الاخبار به أعلم أن الخزنة فرغت ولم يبق فيها شىء من المال إلا القليل وبعد عشرة أيام نقفلها على الفارغ فقال الملك يا وزير حملة نسيبى تأخرت ولم يبن عنها خبر فضحك الوزير وقال له الله يلطف بك يا ملك الزمان ما أنت إلا مغفل عن فعل هذا النصاب الكذاب وحياة رأسك أنه لا حملة له ولا كبة تريحنا منه وإنما هو لم يزل ينصب عليك حتى أتلف أموالك وتزوج بنتك بلا شىء وإلى متى وأنت غافل عن هذا الكذاب فقال له يا وزير كيف العمل حتى نعرف حقيقة حاله فقال يا ملك الزمان لا يطلع على سر الرجل إلا زوجته فأرسل إلى بنتك لتأتى خلف الستارة حتى اسألها عن حقيقة حالة لأجل أن تختبره وتطلعنا على حالة فقال لا بأس بذلك وحياة رأسى أن تثبت أنه نصاب كذاب لاقتلنه أشأم قتلة ثم أنه أخذ الوزير ودخل به إلى قاعة الجلوس وأرسل إلى بنته فاتت

خلف الستارة وكان ذلك في غياب زوجها فلما أتت قالت يا أبي ما تريد قال كلمي الوزير قالت أيها الوزير ما بالك قال يا سيدتي أعلمي أن زوجك أتلف مال أبيك وقد تزوج بك بلا مهر وهو لم يزل يعدنا ويخلف الميعاد ولم يبن لحملته خبر وبالجملة نريد أن تخبرينا عنه فقالت أن كلامه كثير وهو في كل وقت يجئ ويعدني بالجواهر والذخائر والقماشات المثمنة ولم أر شيئا فقال يا سيدتي هل تقدري في هذه الليلة أن تأخذي وتعطي معه في الكلام وتقولي له أخبرني بالصحيح ولا تخف من شيء فأنك صرت زوجي ولا أفرط فيك فأخبرني بحقيقة الأمر وأنا أدبر لك تدبيرا ترتاح به ثم قربي وبعدي له في الكلام واريه المحبة وقرريه ثم بعد ذلك أخبرينا بحقيقة أمره فقالت يا أبت أنا أعرف كيف أختبره ثم أنها ذهبت وبعد العشاء دخل عليها زوجها معروف على جرى عادته فقامت له وأخذته من تحت أبطه وخادعته خداعا زائدا وناهيك بمخادعة النساء إذا كان لهن عند الرجال حاجة يرون قضاءها ومازالت تخادعه وتلاطفه بكلام أحلى من العسل حتى سرقت عقله فلما رأته مال إليها بكليته قالت له يا حبيبي يا قرة عيني يا ثمرة فؤادي لا أوحش الله منك ولا فرق الزمان بيني وبينك فإن محبتك سكنت فؤادي ونار غرامك أحرقت أكبادي وليس ثيك تفريط أبدا ولكن مرادي أن تخبرني بالصحيح لأن حيل الكذب غير نافعة ولا تنطلي في كل الأوقات وإلى متى وأنت تنصب وتكذب على أبي وأنا خائفة أن يفتضح أمرك عنده قبل أن ندبر له حيلة فيبطش بك فأخبرني بالصحيح ومالك إلا ما يسرك ومتى أخبرتني بحقيقة الأمر لا تخش من شيء يضرك فكم تدعي أنك تاجر وصاحب أموال ولك حملة وقد مضت لك مدة طويلة وأنت تقول حملتي حملتي ولم يبن عن حملتك خبر ويلوح على وجهك الهم بهذا السبب فإن كان كلامك ليس له صحة فأخبرني وأنا أدبر لك تدبيرا تخلص به ان شاء الله فقال لها يا سيدتي أنا أخبرك بالصحيح ومهما أردت فافعلي فقالت قل وعليك بالصدق فإن الصدق سفينة النجاة واياك والكذب فإنه يفضح صاحبه ولله در من قال

عليك بالصدق ولو أنه ... أحرقك الصدق بنار الوعيد

وابغ رضى الله فأغبى الورى ... من أسخط المولى وأرضى العبيد

فقال يا سيدتي أعلمي أني لست تاجرا ولا لي حملة ولا كبة حامية وإنما كنت في بلادي رجلا اسكافيا ولي زوجة اسمها فاطمة العرة وجرى لي معها كذا وكذا وخبرها بالحكاية من أولها إلى آخرها فضحكت وقالت أنك ماهر في صناعة الكذب والنصب فقال يا سيدتي الله تعالى يبقيك لستر العيوب وفك الكروب فقالت أعلم أنك نصبت على أبي وغررته بكثرة فشرك حتى زوجني بك من طمعه ثم أتلفت ماله والوزير منكر ذلك عليك وكم مرة يتكلم فيك عند أبي ويقول له أنه نصاب كذاب ولكن أبي لم يطعه فيما يقول بسبب أنه كان خطبني وأنا لم أرض به أن يكون لي بعلا وأكون له أهلا ثم أن المدة طالت وقد تضايق أبي وقال لي قرريه وقد قررتك وانكشف المغطى وأبي مصر لك على الضرر بهذا السبب ولكنك صرت زوجي وأنا لا أفرط فيك فإن أخبرت أبي بهذا الخبر ثبت عنده أنك نصاب كذاب وقد نصبت على بنات الملوك وأذهبت أموالهم فذنبك عنده لا يغفر ويقتلك بلا محالة ويشيع بين الناس أني تزوجت برجل نصاب كذاب وتكون فضيحة في حقي وإذا قتلك أبي ربما يحتاج إلى أن يزوجني إلى آخر وهذا شيء لا أقبله ولو مت ولكن قم الآن والبس بدلة مملوك وخذ معك خمسين ألف دينار من مالي وأركب على جواد وسافر إلى بلاد يكون حكم أبي لا ينفذ فيها واعمل تاجرا هناك واكتب لي كتابا وأرسله مع ساع يأتيني به خفية لاعلم في أي بلاد أنت حتى أرسل إليك كل ما طالته يدي ويكثر مالك فإن مات أبي أرسلت إليك فتجئ باعزاز واكرام وإذا مت أنت أو مت أنا إلى رحمة الله تعالى فالقيامة تجمعنا وهذا هو الصواب وما دمت طيبا وأنا طيبة لا أقطع عنك المراسلة والأموال قم قبل أن يطلع النهار عليك وتحتار ويحيط بك الدمار فقال لها يا سيدتي أنا في عرضك أن تودعيني بوصلك فقالت لا بأس ثم واصلها وأغتسل ولبس بدلة مملوك وأمر السياس أن يشدوا له جوادا من الخيل الجياد فشدوا له جوادا ثم ودعها وخرج من المدينة في آخر الليل وسار فصار كل من رآه يظن أنه مملوك من مماليك السلطان مسافر في قضاء حاجة فلما أصبح الصباح جاء أبوها هو والوزير إلى قاعة الجلوس وأرسل إليها أبوها فأتت خلف الستارة فقال لها أبوها يا بنتي ما تقولين قالت أقول سود الله وجه وزيرك فانه كان مراده أن يسود وجهي مع زوجي قال وكيف ذلك قالت أنه دخل علي أمس قبل أن أذكر له هذا الكلام وإذا بفرج الطواشي دخل علي وبيده كتاب وقال أن عشرة مماليك واقفون تحت شباك القصر وأعطوني هذا الكتاب وقالوا لي

قبل لنا أيادى سيدى معروف التاجر واعطه هذا الكتاب فإننا من مماليكه الذين مع الحملة وقد بلغنا أنه تزوج بنت الملك فاتينا له لنخبره بما حل بنا فى الطريق فأخذت الكتاب وقرأته فرأيت فيه من المماليك الخمسمائة إلى حضرة سيدنا التاجر معروف وبعد فالذى نعلمك به أنك بعدما فتنا خرج العرب علينا وحاربونا وهم قدر الفين من الفرسان ونحن خمسمائة مملوك ووقع بيننا وبين العرب حرب عظيم ومنعونا عن الطريق ومضى لنا ثلاثون يوما ونحن نحاربهم وهذا سبب تأخيرنا عنك وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الخامسة والتسعون بعد التسعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن بنت الملك قالت لابيها أن زوجى جاءه مكتوب من اتباعه مضمونه أن العرب منعونا عن الطريق وهذا سبب تأخيرنا عنك وقد أخذوا مننا مائتى حمل قماش من الحملة وقتلوا منا خمسين مملوكا فلما بلغه الخبر قال خيبهم الله كيف يتحاربون مع العرب لاجل مائتى حمل بضاعة وما مقدار مائتى حمل فما كان ينبغى لهم أن يتأخروا من أجل ذلك فإن قيمة المائتى حمل سبعة الآف دينار ولكن ينبغى أنى أروح إليهم وأستعجلهم والذى أخذه العرب لا تنقص به الحملة ولا يؤثر عندى شيئا وأقدر أنى تصدقت به عليهم ثم نزل من عندى ضاحكا ولم يغتم على ما ضاع من ماله ولا على قتل مماليكه ولما نزل نظرت من شباك القصر فرأيت العشرة مماليك الذين أتوا له بالكتاب كأنهم الأقمار كل واحد منهم لابس بدلة تساوى الفى دينار وليس عند أبى مملوك يشبه واحدا منهم ثم توجه مع المماليك الذين جاءوا له بالمكتوب ليجئ بحملته والحمد لله الذى منعنى أن أذكر له شيئا من الكلام الذى أمرتنى به فانه كان يستهزئ بى وبك وربما كان يرانى بعين النقص ويبغضنى ولكن العيب كله من وزيرك الذى يتكلم فى حق زوجى كلاما لا يليق به فقال الملك يا بنتى أن مال زوجك كثير ولا يفكر فى ذلك ومن يوم دخل بلادنا وهو يتصدق على الفقراء وأن شاء الله عن قريب يأتى بالحملة ويحصل لنا منه خير كثير وصار يأخذ بخاطرها ويوبخ الوزير وانطلت عليه الحيلة هذا ما كان من أمر الملك وأما ما كان من أمر التاجر معروف فانه ركب الجواد وسار فى البر الاقفر وهو متحير لا يدرى إلى أى البلاد يروح وصار من ألم الفراق ينوح وقاسى الوجد واللوعات وأنشد هذه الأبيات

غدر الزمان بشملنا فتفرقا والقلب ذاب من الجفا وتحرقا
والعين تقطر من فراق أحبتي هذا الفراق متى يكون الملتقى
يا طلعة البدر المنير أنا الذى فى حبكم ترك الفؤاد ممزقا
يا ليتنى لم أجتمع بك ساعة من بعد طيب وصالكم ذقت الشقا
مازال معروف بدنيا مغرما أن كان مات صبابة فلها البقا
يا بهجة الشمس المنيرة أدركى قلبا لمعروف المحبة محرقا
يا هل ترى الأيام تجمع شملنا ونفوز منها بالمسرة واللقا
ويضمنا قصر الحبيبة بالهنا واضم فيه معانقا غصن النقا
يا طلعة البدر المنيرة شمسه مازال وجهك بالمحاسن مشرقا
أنى لراض بالغرام وهمه حين السعادة فى الهوى عين الشقا

فلما فرغ من شعره بكى بكاء شديدا وقد انسدت الطرقات فى وجهة واختار الممات على الحياة ثم أنه مشى كالسكران من شدة حيرته ولم يزل سائرا إلى وقت الظهر حتى أقبل على بلد صغيرة فرأى رجلا حراثا قريبا منها يحرث على ثورين وكان قد اشتد به الجوع فقصد الحراث وقال له السلام عليكم فرد عليه السلام وقال مرحبا بك يا سيدى هل أنت من مماليك السلطان قال نعم قال أنزل عندى للضيافة فعرف أنه من الأجاويد فقال له يا أخى ما أنا ناظر عندك شيئا حتي تطعمنى اياه فكيف تعزم على فقال الحراث يا سيدى الخير موجود أنزل أنت وها هى البلد قريبة فاروح وأجئ لك بغداء وعليق لحصانك قال حيث كانت البلد قريبة فأنا أصل إليها فى مقدار ما تصل أنت إليها وأشترى مرادى من السوق وآكل فقال له يا سيدى أن البلد كفر صغير وليس فيها سوق ولا بيع ولا شراء سألتك بالله أن تنزل عندى وتجبر بخاطرى وأنا أذهب إليها وأرجع إليك بسرعة فنزل ثم أن الفلاح تركه وراح البلد ليجيء له بالغداء فقعد معروف ينتظره ثم قال فى نفسه أنا شغلنا هذا الرجل المسكين عن شغله ولكن أنا أقوم وأحرث عوضا عنه حتى يأتى فى نظير ما عوقته عن شغله ثم أخذ المحراث وساق الثيران فحرث قليلا وعثر المحراث

فى شىء فوقفت البهايم فساقها فلم تقدر على المشى فنظر إلى المحراث فراه مشبوكا فى حلقة من الذهب فكشف عنها التراب فوجد تلك الحلقة فى وسط حجر من المرمر قدر قاعدة الطاحون فعالج فيه حتى قلعه من مكانه فبان من تحت طابق بسلالم فنزل فى تلك السلالم فرأى مكانا مثل الحمام بأربعة لواوين الليوان الأول ملآن من الأرض إلى السقف بالذهب والليوان الثانى ملآن زمردا ولؤلؤا ومرجانا من الأرض إلى السقف والليوان الثالث ملآن ياقوتا وبلخشا وفيروزجا الليوان الرابع ملآن بالألماس ونفيس المعادن من سائر أصناف الجواهر وفى صدر ذلك المكان صندوق من البللور الصافى ملآن بالجواهر اليتيمة التى كل جوهرة منها قدر الجوزة وفوق ذلك الصندوق علبة صغيرة قدر الليمونة وهى من الذهب فلما رأى ذلك تعجب وفرح فرحا شديدا وقال يا هل ترى أى شىء فى هذه العلبة ثم أنه فتحها فرأى فيها خاتما من الذهب مكتوبا عليه أسماء وطلاسم مثل دبيب النمل فدعك الخاتم وإذا بقائل يقول لبيك لبيك يا سيدى فأطلب تعط هل تريد أن تعمر بلدا أو تخرب مدينة أو تقتل ملكا أو تحفر نهرا أو نحو ذلك فمهما طلبته فأنه قد صار بإذن الملك الجبار خالق الليل والنهار فقال له يا مخلوق ربى من أنت وما تكون قال أنا خادم هذا الخاتم القائم بخدمة مالكه فمهما طلبه من الأغراض قضيته له ولا عذر لى فيما يأمرنى به فانى سلطان على أعوان من الجان وعدة عسكرى اثنان وسبعون قبيلة كل قبيلة عدتها اثنان وسبعون الفا وكل واحد من الألف يحكم على ألف مارد وكل مارد يحكم على ألف عون وكل عون يحكم على ألف شيطان وكل شيطان يحكم على ألف جنى وكلهم من تحت طاعتى ولا يقدرون على مخالفتى وأنا مرصود لهذا الخاتم لا أقدر على مخالفة من ملكه وها أنت قد ملكته وصرت أنا خادمك فاطلب ما شئت فانى سميع لقولك مطيع لأمرك وإذا احتجت إلى فى أى وقت فى البر أو فى البحر فادعك الخاتم تجدنى عندك وإياك أن تدعكه مرتين متواليتين فتحرقنى بنار الأسماء وتعدمنى وتندم على بعد ذلك وقد عرفتك بحالى والسلام وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة السادسة والتسعون بعد التسعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن خادم هذا الخاتم لما أخبر معروفا بأحواله قال له معروف ما اسمك قال أسمى ابو السعادات فقال له يا أبا السعادات ما هذا المكان ومن

أرصدك فى هذه العلبة قال له يا سيدى هذا المكان كنز يقال له كنز شداد بن عاد الذى عمر إرم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد وأنا كنت خادمه فى حياته وهذا خاتمه وقد وضعه فى كنزه ولكنه نصيبك فقال له معروف هل تقدر أن تخرج ما فى هذا الكنز على وجه الأرض قال نعم أسهل ما يكون قال أخرج جميع ما فيه ولا تبق منه شيئا فأشار بيده إلى الأرض فانشقت ثم نزل وغاب مدة لطيفة وإذا بغلمان صغار ظراف بوجوه حسان قد خرجوا وهم حاملون مشنات من الذهب وتلك المشنات ممتلئة ذهبا وفرغوها ثم راحوا وجاءوا بغيرها ولازالوا ينقلون من الذهب والجواهر فلم تمض ساعة حتى قالوا ما بقى فى الكنز شىء ثم طلع له أبو السعادات وقال له يا سيدى قد رأيت أن جميع ما فى الكنز قد نقلناه فقال له ما هذه الأولاد الحسان قال هؤلاء أولادى لأن هذه الشغلة لا تستحق أن أجمع لها الأعوان وأولادى قضوا حاجتك وتشرفوا بخدمتك فاطلب ما تريد غير هذا قال له هل تقدر أن تجئ لى ببغال وصناديق وتحط هذه الأموال فى الصناديق وتحمل الصناديق على البغال قال هذا أسهل ما يكون ثم أنه زعق زعقة عظيمة فحضرت أولاده بين يديه وكانوا ثمانمائة فقال لهم لينقلب بعضكم فى صورة البغال وبعضكم فى صورة المماليك الحسان الذين أقل من فيهم لا يوجد مثله عند ملك من الملوك وبعضكم فى صورة المكارية وبعضكم فى صورة الخدامين ففعلوا كما أمرهم ثم صاح على الأعوان فحضروا بين يديه فأمرهم أن ينقلب بعضهم فى صورة الخيل المسرجة بسروج الذهب المرصع بالجواهر فلما رأى معروف ذلك قال أين الصناديق فاحضروهم بين يديه قال عبوا الذهب والمعادن كل صنف وحده فعبوها وحملوها على ثلاثمائة بغل فقال معروف يا أبا السعادت هل تقدر أن تجيء لى باحمال من نفيس القماش قال أتريد قماشا مصريا أو شاميا أو أعجميا أو هنديا أو روميا قال هات من قماش كل بلد مائة حمل على مائة بغل قال يا سيدى أعطنى مهلة حتى أرتب أعوانى لذلك وأمر كل طائفة أن تروح إلى بلد لتجئ بمائة حمل من قماشها وينقلب الأعوان فى صورة البغال ويأتون حاملين البضايع قال ما قدر زمن المهلة قال مدة سواد الليل فلا يطلع النهار إلا وعندك جميع ما تريد قال أمهلتك هذه المدة ثم أنه أمرهم أن ينصبوا له خيمة فنصبوها وجلس وجاءوا له بسماط وقال له أبو السعادات يا سيدى اجلس فى الخيمة وهؤلاء أولادى بين يديك يحرسونك ولا تخش من شىء وأنا رايح أجمع أعوانى وأبعثهم ليقضوا حاجتك ثم

ذهب أبو السعادت إلى حال سبيله وجلس معروف فى الخيمة والسماط قدامه وأولاد أبى السعادت بين يديه فى صورة المماليك والخدم والحشم فبينما هو جالس على تلك الحالة وإذا بالرجل الفلاح قد أقبل وهو حامل قصعة عدس كبيرة ومخلاة ممتلئة شعيرا فرأى الخيمة منصوبة والمماليك واقفة وأيديهم على صدورهم فظن أنه السلطان أتى ونزل فى ذلك المكان فوقف باهتا وقال فى نفسه يا ليتنى كنت ذبحت فرختين وحمرتهما بالسمن البقرى من شان السلطان وأراد أن يرجع ليذبح فرختين يضيف بهما السلطان فرآه معروف فزعق عليه وقال للمماليك هاتوه فحملوه هو والقصعة العدس وأتوا بهما قدامه فقال له ما هذا قال هذا غداؤك وعليق حصانك فلا تؤاخذنى فانى ما كنت أظن أن السلطان يأتى إلى هذا المكان ولو علمت ذلك كنت ذبحت له فرختين وضيفته ضيافة مليحة فقال معروف أن السلطان لم يجئ وإنما أنا نسيبه وكنت مغبونا منه وقد أرسل إلى مماليكه فصالحونى وأنا الآن أريد أن أرجع إلى المدينة وأنت قد عملت لى هذه الضيافة على غير معرفة وضيافتك مقبولة ولو كانت عدسا فأنا ما آكل إلامن ضيافتك ثم أمره بوضع القصعة فى وسط السماط وأكل منها حتى اكتفى وأما الفلاح فانه ملأ بطنه من تلك الأوانى الفاخرة ثم أن معروفا غسل يديه وإذن للمماليك فى الأكل فنزلوا على بقية السماط وأكلوا ولما فرغت القصعة ملأها له ذهبا وقال له أوصلها إلى منزلك وتعال عندى فى المدينة وأنا أكرمك فأخذ القصعة ملآنة ذهبا وساق الثيران وراح إلى بلده وهو يظن أنه نسيب الملك وبات معروف تلك الليلة فى أنس وصفاء وجاءوا له ببنات من عرايس الكنوز فدقوا الآلات ورقصوا أقدامه وقضى ليلته وكانت لا تعد من الأعمار فلما أصبح الصباح لم يشعر إلا والغبار قد علا وطار وانكشف عن بغال حامله أحمالا وهى سبعمائة بغل حاملة أقمشة وحولها غلمان مكارية وعكامة وضوية وأبو السعادات راكب على بغلة وهو فى صورة مقدم الحملة وقدامه تختروان له أربع عساكر من الذهب الأحمر الوهاج مرصعة بالجواهر فلما وصل إلى الخيمة نزل من فوق ظهر البغلة وقبل الأرض وقال يا سيدى أن الحاجة قضيت بالتمام والكمال وهذا التختروان فيه بدلة كنوزية لا مثل لها من ملابس الملوك فالبسها واركب فى التختروان وامرنا بما تريد فقال له يا أبا السعادات مرادى أن أكتب لك كتابا تروح به إلى مدينة خيتان الختن وتدخل على عمى الملك ولا تدخل عليه إلا فى صورة ساع أنيس فقال له سمعا وطاعة فكتب كتابا وختمه

فأخذه أبو السعادات وذهب به حتى دخل على الملك فرآه يقول يا وزير أن قلبي على نسيبي وأخاف أن تقتله العرب يا ليتني كنت أعرف أين يذهب حتى كنت أتبعه بالعسكر ويا ليته كان أخبرني بذلك قبل الذهاب فقال له الوزير الله يلطف بك على هذه الغفلة التي أنت فيها وحياة رأسك أن الرجل عرف أننا انتبهنا له فخاف من الفضيحة وهرب وما هو الا كذاب نصاب وإذا بالساعي داخل فقبل الأرض بين يدى الملك ودعا له بدوام العز والنعم والبقاء فقال له الملك من أنت وما حاجتك فقال له أنا ساع أرسلني إليك نسيبك وهو مقبل بالحملة وقد أرسل إليك معى كتابا وهاهو فاخذه وقرأه فرأى فيه بعد مزيد السلام على عمنا الملك العزيز فاني جئت بالحملة فاطلع وقابلني بالعسكر فقال الملك سود الله وجهك يا وزير كم تقدم في عرض نسيبي وتجعله كذابا نصابا وقد أتى بالحملة فما أنت إلا خائن فاطرق الوزير رأسه إلى الأرض حياء وخجلا وقال يا ملك الزمان أنا ما قلت هذا الكلام إلا لطول غياب الحملة وكنت خائفا على ضياع المال الذى صرفه فقال يا خائن أى شيء أموالي حيثما أتت حملته فأنه يعطيني عوضا عنها شيئا كثيرا ثم أمر الملك بزينة المدينة ودخل على بنته وقال لها لك البشارة أن زوجك عن قريب يجئ بحملته وقد أرسل إلى مكتوبا بذلك وها أنا طالع لملاقاته فتعجبت البنت من هذه الحالة وقال في نفسها أن هذا شيء عجيب هل كان يهزأ بي ويتمسخر على أو كان يختبرني حين أخبرني بأنه فقير ولكن الحمد لله حيث لم يقع مني تقصير في حقه هذا ما كان من أمره وأما ما كان من أمر التاجر على المصرى فانه لما رأى الزينة سأل عن سبب ذلك فقالوا له أن التاجر معروف نسيب الملك قد أتت حملته فقال الله أكبر ما هذه الداهية أنه قد أتاني هاربا من زوجته وكان فقيرا فمن أين جاءت له حملة ولكن لعل بنت الملك دبرت له حيلة خوفا من الفضيحة والملوك لا تعجز عن شيء فالله تعالى يستره ولا يفضحه وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة السابعة والتسعون بعد التسعمائة

قالت بلغني أيها الملك السعيد أن التاجر على لما سأل عن الزينة أخبروه بحقيقة الحال فدعا له وقال الله يستره ولا يفضحه وسائر التجار فرحوا وأنسروا لأجل أخذ أموالهم ثم أن الملك جمع العسكر وطلع وكان أبو السعادات قد رجع إلى معروف وأخبره بأنه بلغ

الرسالة فقال معروف حملوا فحملوا ولبس البدلة الكنوزية وركب فى التختروان وصار أعظم وأهيب من الملك بألف مرة ومشى إلى نصف الطريق وإذا بالملك قابله بالعسكر فلما وصل إليه رآه لابسا تلك البدلة وراكبا فى التختروان فرمى روحه عليه وسلم عليه وحياه بالسلام وجميع أكابر الدولة سلموا عليه وبان أن معروفا صادق ولا كذب عنده ودخل المدينة بموكب يفقع مرارة الأسد وسعت إليه التجار وقبلوا الأرض بين يديه ثم ان التاجر على قال له قد عملت هذه العملة وطلعت بيدك يا شيخ النصابين ولكن تستاهل فالله تعالى يزيدك من فضله فضحك معروف ولما دخل السراية قعد على الكرسى وقال أدخلوا أحمال الذهب فى خزانة عمى الملك وهاتوا أحمال الأقمشة فقدموها له وصاروا يفتحونها حملا بعد حمل ويخرجون ما فيه حتى فتحوا السبعمائة حمل فنقى أطيبها وقال أدخلوه للملكة لتفرقه على جواريها وخذوا هذا الصندوق الجواهر وأدخلوه لها لتفرقه على الجوارى والخدم وصار يعطى التجار الذين لهم عليه دين من الأقمشة فى نظير ديونهم والذى له ألف يعطيه قماشا يساوى الفين أو أكثر وبعد ذلك صار يفرق على الفقراء والمساكين والملك ينظر بعينه ولا يقدر أن يعترض عليه ولم يزل يعطى ويهب حتى فرق السبعمائة حمل ثم التفت إلي العسكر وجعل يفرق عليهم معادن وزمردا ويواقيت ولؤلؤا ومرجانا وغير ذلك وصار لا يعطى الجواهر إلا بالكبش من غير عدد فقال له الملك يا ولدى يكفى هذا العطا انه لم يبق من الحملة إلا القليل فقال له عندى كثير واشتهر صدقه وما بقى أحد يقدر أن يكذبه وصار لا يبالى بالعطاء لأن الخادم يحضر له مهما طلب ثم أن الخازندار أتى للملك وقال يا ملك الزمان أن الخزنة امتلأت وصارت لا تسع بقية الأحمال وما بقى من الذهب والمعادن أين نضعه فاشار له إلى مكان آخر ولما رأت زوجته هذه الحالة ازداد فرحها وصارت متعجبة وتقول فى نفسها يا هل ترى من أين جاء له كل هذا الخير وكذلك التجار فرحوا بما أعطاهم ودعوا له وأما التاجر على فانه صار متعجبا ويقول فى نفسه يا ترى كيف نصب وكذب حتى ملك هذه الخزائن كلها فانها لو كانت من عند بنت الملك ما كان يفرق على الفقراء ولكن ما أحسن قول من قال

ملك الملوك إذا وهب   لا تسألن عن السبب

الله يعطى من يشا   فكن على حد الأدب

هذا ما كان من أمره وأما ما كان من أمر الملك فانه تعجب غاية العجب مما رأى من معروف ومن كرمه وسخائه ببذل المال ثم بعد ذلك دخل معروف على زوجته فقابلته وهى متبسمة ضاحكة فرحانة وقبلت يده وقالت هل كنت تتمسخر على أو كنت تجربنى بقولك أنا فقير وهارب من زوجتى والحمد لله حيث لم يقع منى فى حقك تقصير وأنت حبيبى وما عندى أعز منك سواء كنت غنيا أو فقيرا وأريد أن تخبرنى ما قصدت بهذا الكلام قال أردت تجريبك حتى أنظر هل محبتك خالصة أو على شأن المال وطمع الدنيا فظهر لى أن محبتك خالصة وحيث كنت صادقة فى المحبة فمرحبا بك وقد عرفت قيمتك ثم انه اختلى فى مكان وحده ودعك الخاتم فحضر له أبو السعادات وقال له لبيك فاطلب ما تريد قال أريد منك بدلة كنوزية لزوجتى وحليا كنوزيا مشتملا على عقد فيه أربعون جوهرة يتيمة قال سمعا وطاعة ثم أحضر له ما أمره به فحمل البدلة والحلى بعد أن صرف الخادم ثم دخل على زوجته ووضعهما بين يديها وقال لها خذى والبسى فمرحبا بك فلما نظرت إلى ذلك طار عقلها من فرحتها ورأت من جملة الحلى خلخالين من الذهب مرصعين بالجواهر صنعة الكهنة واساور وحلقا وخزاما لا يتقوم بثمنها أموال فلبست البدلة والحلى ثم قالت يا سيدى مرادى أن أدخرها للمواسم والأعياد قال البسيها دائما فإن عندى غيرها كثير فلما لبستها ونظرها الجوارى فرحن وقبلن يديه فتركهن واختلى بنفسه ثم دعك الخاتم فحضر له الخادم فقال له هات لى مائة بدلة بمصاغها فقال سمعا وطاعة ثم أحضر له البدلات وكل بدلة مصاغها فى قلبها فاخذها وزعق على الجوارى فاتين إليه فأعطى كل واحدة بدلة فلبسن البدلات وصرن مثل الحور العين وصارت الملكة بينهن مثل القمر بين النجوم ثم أن بعض الجوارى أخبرن الملك بذلك فدخل الملك على ابنته فرآها تدهش من رآها هى وجواريها فتعجب من ذلك غاية العجب ثم خرج وأحضر وزيره وقال له يا وزير أنه حصل كذا وكذا فما تقول فى هذا الأمر قال يا ملك الزمان أن هذه الحالة لا تقع من التجار لأن التاجر تقعد عنده القطع الكتان سنين ولا يبيعها إلا بمكسب فمن أين للتجار كرم مثل هذا الكرم ومن أين لهم أن يحوزوا مثل هذه الأموال والجواهر التى لا يوجد منها عند الملوك إلا قليل فكيف يوجد عند التجار منها أحمال فهذا لابد له من سبب ولكن ان طاوعتنى أبين لك حقيقة الأمر فقال له أطاوعك يا وزير فقال له اجتمع عليه ووادده وتحدث معه وقل له يا نسيبى فى

خاطرى أن أروح أنا وأنت والوزير من غير زيادة بستانا لأجل النزهة فإذا خرجنا إلى بستان نحط سفرة المدام وأغصب عليه واسقيه ومتى شرب المدام ضاع عقله وغاب رشده فنسأله عن حقيقة أمره فإنه يخبرنا بأسراره والمدام فضاح ولله در من قال

ولما شربناها ودب دبيبها إلى موضع الأسرار قلت لها قفى
مخافة أن يسطو علىّ شعاعها فتظهر ندمانى على سرى الخفى

ومتى أخبرنا بحقيقة الأمر فاننا نطلع على حاله ونفعل به ما نحب ونختار فإن هذه الحالة التى هو فيها أخشى عليك من عواقبها فربما تطمع نفسه فى الملك فيشتمل العسكر بالكرم وبذل المال وبعز لك ويأخذ الملك منك فقال له الملك صدقت وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة الثامنة والتسعون بعد التسعمائة

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الوزير لما دبر للملك هذا التدبير قال له صدقت وباتا متفقين على هذا الأمر فلما أصبح الصباح خرج الملك إلى المقعد وجلس وإذا بالخدامين والسياس دخلوا عليه مكروبين فقال لهم ما الذى أصابكم قالوا يا ملك الزمان أن السياس تمروا الخيل وعلقوا عليها وعلى البغال التى جاءت بالحملة فلما أصبحنا وجدنا المماليك سرقوا الخيل والبغال وفتشنا الاصطبلات فما رأينا خيلا ولا بغالا ودخلنا محل المماليك فلم نر فيه أحدا ولم نعرف كيف هربوا فتعجب الملك من ذلك لأنه ظن أن الأعوان كانوا خيلا وبغالا ومماليك ولم يعلم أنهم كانوا أعوان خادم الرصد فقال لهم يا ملاعين ألف دابة وخمسمائة مملوك وغيرهم من الخدام كيف هربوا ولم تشعروا بهم فقالوا ما عرفنا كيف جرى لنا حتى هربوا فقال انصرفوا حتى يخرج سيدكم من الحريم وأخبروه بالخبر فانصرفوا من قدام الملك وجلسوا متحيرين فى هذا الأمر فبينما هم جالسون على تلك الحالة وإذا بمعروف قد خرج من الحريم فرآهم مغتمين فقال لهم ما الخبر فأخبروه بما حصل فقال وما قيمتهم حتى تغتموا عليهم أمضوا إلى حال سبيلكم وقعد يضحك ولم يغتظ ولم يغتم من هذا الأمر فطل الملك فى وجه الوزير قال أى شىء هذا الرجل الذى ليس للمال عنده قيمة فلا بد لذلك من سبب ثم أنهم تحدثوا معه ساعة

وقال الملك يا نسيبى خاطرى أن أروح أنا وأنت والوزير بستانا لأجل النزهة فما تقول قال لا بأس ثم أنهم ذهبوا وتوجهوا إلى بستان فيه من كل فاكهة زوجان أنهاره دافقة وأشجاره باسقة وأطياره ناطقة ودخلوا فيه قصرا يزيل عن القلوب الحزن وجلسوا يتحدثون والوزير يحكى غريب الحكايات ويأتى بابنكت المضحكات والألفاظ المطربات ومعروف مصغ إلى الحديث حتى طلع الغداء وحطوا سفرة الطعام وباطية المدام وبعد أن أكلوا وغسلوا أيديهم ملأ الوزير الكأس وأعطاه للملك فشربه وملأ الثانى وقال لمعروف هاك كأس الشراب الذى تخضع لهيبته أعناق الألباب فقال معروف ما هذا يا وزير قال الوزير هذه البكر الشيمطاء والعانس العذراء ومهدية السرور إلى السرائر التى قال فيه الشاعر

كانت لها أرجل الاعلاج دائرة   بالدوس فانتصفت مناروس العرب

يسقيكها من بنى الكفار بدر دجى   الحاظه للمعاصى أوكد السبب

ولله در القائل

فكأنها وكأن حامل كأسها   إذ قام يجلوها على الندماء

شمس الضحى رقصت فنقط وجهها   بدر الدجى بكواكب الجوزاء

رقت فكادت من لطيف مزاجها   تجرى كمجرى الروح فى الأعضاء

وما أحسن قول الشاعر

وبات بدر تمام الحسن معتنقى   والشمس فى فلك الكاسات لم تفل

وبت أنظر للنار التى سجدت   لها المجوس من الأبريق تسجد لى

وقول الآخر

وتمشت فى مفاصلهم   كتمشى البرء فى السقم

وقول الآخر

عجبت لعاصريها كيف ماتوا وقد تركوا لنا ماء الحياة

وأحسن من ذلك قول أبى نواس

دع عنك لومى فإن اللوم إغراء وداونى بالتى كانت هى الداء
صفراء لا تنزل الأحزان ساحتها لو مسها حجر مسته سمراء
قامت بابريقها والليل معتكر فلاح من ضوئها فى البيت لألاء
طافت على فتية ذل الزمان لهم فلا تصيبهم إلا بما شاءوا
من كف ذات حرفى زى ذى ذكر لها محبان لوطى وزناء
وقل لمن يدعى فى العلم معرفة حفظت شيأ وغابت عنك أشياء

وأحسن من الجميع قول ابن المعتز

سقى الجزيرة ذات الظل والشجر ودير عبدون هطال من المطر
فطالما نبهتنى للصبوح بها فى غرة الفجر والعصفور لم يطر
أصوات رهبان دير فى صلاتهم سود المدارع نعاءين فى السحر
كم فيهم من مليح الشكل مكتحل بالغنج يطبق جفنيه على حور
وزارنى فى قميص الليل مستترا يستعجل الخطو من خوف ومن حذر
وقمت أفرش خدى فى الطريق له ذلا وأسحب إذيالى على أثرى
ولاح ضوء هلال كاد يفضحنا مثل القلامة قد قدّت من الظفر
وكان ما كان مما لست أذكره فظن خيرا ولا تسأل عن الخير

ولله در القائل

أصبحت من أغنى الورى مستبشرا بالفرح
عندي نضار ذائب أكتاله بالقدح

وما أحسن قول الشاعر

تالله ما الكيميا في غيرها وجدت وكل ما قيل في أبوابها كذب
قيراط خمر على القنطار من حزن يعود في الحين أفراحا وينقلب

وقول الآخر

ثقلت زجاجات أتينا فرغا حتى إذا ملئت بصرف الراح
خفت فكادت أن تطير مع الهوى وكذا الجسوم تخف بالأرواح

وقول الآخر

وللكأس والصهباء حق معظم ومن حقها أن لا تضيع حقوقها
إذا مت فادفني إلى جنب كرمة تروي عظامي بعد موتي عروقها
ولا تدفني في الفلاة فانني أخاف إذا ما مت أن لا أذوقها

وما زال يرغبه في الشراب ويذكر له من محاسنه ما استطاب وينشده ما ورد فيه من الاشعار ولطائف الاخبار حتي مال إلي ارتشاف ثغر القدح ولم يبق له غيرها مقترح وما زال يملأ له وهو يشرب ويستلذ ويطرب حتي غاب عن صوابه ولم يميز خطأه من صوابه فلما علم ان السكر بلغ به الغاية وتجاوز النهاية قال له يا تاجر معروف والله اني متعجب من اين وصلت إليك هذه الجواهر التي لا يوجد مثلها عند الملوك الاكاسرة وعمرنا ما رأينا تاجرا حاز أموالا إلا مثلك ولا اكرم منك فان افعالك افعال ملوك وليست افعال

تجار فبالله عليك ان تخبرني حتي اعرف قدرك ومقامك وصار يمارسه ويخادعه وهو غائب العقل فقال له معروف انا لست تاجرا ولا من الملوك واخبره بحكايته من أولها إلي آخرها فقال له بالله عليك يا سيدي معروف انك تفرجنا علي هذا الخاتم حتي ننظر كيف صنعته فقلع الخاتم وهو في حال سكره وقال خذوا تفرجوا عليه فاخذه الوزير وقلبه وقال هل إذا دعكته يحضر الخادم قال نعم ادعكه يحضر لك وتفرج عليه فدعكه وإذا بقائل بقائل بقول لبيك يا سيدي اطلب تعط هل تخرب مدينة أو تعمر مدينة أو تقتل ملكا فمهما طلبته فاني افعله لك من غير خلاف فاشار الوزير إلي معروف وقال للخادم احمل هذا الخاسر ثم ارمه في اوحش الاراضي الخراب حتي لا يجد فيها ما يأكل ولا ما يشرب فيهلك من الجوع ويموت كمدا ولم يدر به أحد فخطفه الخادم وطار به بين السماء والارض فلما رأي معروف ذلك أيقن بالهلاك وسوء الارتباك فبكي وقال يا ابا السعادات إلي أين انت رايح فقال له انا رايح ارميك في الربع الخراب يا قليل الادب من يملك رصدا مثل هذا ويعطيه للناس يتفرجون عليه لكن تستاهل ما حل بك ولولا اخاف الله لرميتك من مسافة ألف قامة فلا تصل إلي الارض حتي تمزقك الرياح فسكت وصار لا يخاطبه حتي وصل به إلي الربع الخراب ورماه هناك ورجع وخلاه في الارض الموحشة وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

فلما كانت الليلة التاسعة والتسعون بعد التسعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الخادم اخذ معروفا ورماه في الربع الخراب ورجع وخلاه هذا ما كان من امره واما ما كان من امر الوزير فانه لما ملك الخاتم قال للملك كيف رأيت اما قلت لك ان هذا كذاب نصاب فما كنت تصدقني فقال له الحق معك يا وزيري الله يعطيك العافية هات هذا الخاتم حتي اتفرج عليه فالتف إليه الوزير بالغضب وبصق في وجهه وقال له يا قليل العقل كيف اعطيه لك وابقي خدامك بعد ان صرت سيدك ولكن انا ما بقيت ابقيك ثم دعك من الخاتم فحضر الخادم فقال له احمل هذا القليل الادب وارمه في المكان الذي رميت فيه نسيبه النصاب فحمله وطار به فقال له الملك يا مخلوق ربي اي شئ ذنبي قال له الخادم لا ادري وانما امرني سيدي بذلك وانا لا اقدر ان اخالف من ملك خاتم هذا الرصد ولم يزل طائرا به حتي رماه في المكان الذي فيه معروف ثم رجع وتركه هناك فسمع معروفا يبكي فاتي له واخبره وقعدا يبكيان علي

ما اصابهمـا ولم يجدا اكلا ولا شربا هذا مـا كان من امرهما واما ما كـان من امر الوزير فانه بعدما شتت معروفا والملك قام وخرج من الـبستان وارسل إلي جميع العسكر وعمل ديوانـا واخبرهم بمـا فعل مـع معروف والملـك واخبرهـم بقصـة الخاتم وقال لهـم ان لم تجعلوني عليكم سلطانا امرت خادم الخاتم ان يحملكم جميعا ويرميكم في الربع الخراب فتموتوا جوعا وعـطشا فقالوا له لا تفعل معنـا ضررا فاننا قد رضينا بك علينـا سلطانا ولا نعصي لك امرا ثم انهم اتفقوا علي سلطنته عليهم قهرا وخلع عليهم الخلع وصار يطلب من ابي الـسعادات كلـما اراده فيحـضر بين يديه فـي الحال ثم انه جـلس علي الـكرسي واطاعه العسكرو ارسـل إلي بنت الملك يقول لها حضري روحك فـاني داخل عليك في هذه الليلة لاني مشتاق اليك فبكت وصعب عليها ابوها وزوجها ثم انها ارسلت تقول له امهلني حتي تنـقضي العدة ثم اكتب كتابى وادخل علي في الحـلال فارسل يقول لها انا لا اعرف عـدة ولا طول مـدة ولا احتاج إلـي كتـاب ولا اعرف حلالا مـن حرام ولابـد من دخولي عليك في هذه الليلة فارسلت تقول له مرحبا بك ولا بأس بذلك وكان ذلك مكرا منها فلـما رجع له الجواب فرح وانشرح صدره لانـه كان مغرما بحبها ثـم انه امر بوضع الأطعمة بين جميع الناس وقال كلوا هذا الطعام فانه وليمة الفرح فاني اريد الدخول علي الملكة في هـذه الليلة فقال شيـخ الاسلام لا يحل لك الدخول علـيها حتي تنقضـي عدتها وتكتب كتابك علـيها فقال له انا لا اعرف عدة ولا مدة فلا تكثر علـي كلاما فسكت شيخ الاسلام وخاف من شـره وقال للعسكر ان هذا كـافر ولا دين له ولا مذهـب له فـلما جاء المساء دخل علـيها فرآها لابسة افخر ما عندها مـن الثياب ومزينة باحسن الزيـنة فلما رأته قابلته وهي ضاحكة وقالت له ليلة مباركة ولو كنت قتلت ابي وزوجي لكان احسن عندي فقال لها لابد ان اقتلهما فاجلسته وصارت تمازحه وتظهر له الوداد فلما لاطفته وتبسمت في وجهه طار عقله وانما خـادعته بالملاطفة حتي تظفر بالخاتم وتبدل فـرحه بالنكد علي ام ناصيته وما فعلت معه هذه الفعال إلا علي رأي ما قال

ولـقـد بـلـغـت بـحـيـلـتـي　　　مـا لـيس يـبـلـغ بـالـسـيـوف
ثـم انـثـنـيـت بـغـنـم　　　حـلـو المجـانـي والـقـطـوف

فلما رأي الملاطفة والابتسام هاج عليه الغرام وطلب منها الوصال فلما دنا منها تباعدت عنه وبكت وقال يا سيدي اما تري للرجل الناظر الينا بالله عليك ان تسترني عن عينه فكيف تواصلني وهو ينظر إلينا فاغتاظ وقال اين الرجل قالت ها هو في فص الخاتم يطلع رأسه وينظر إلينا فظن ان خادم الخاتم ينظر إليهما فضحك وقال لا تخافي ان هذا خادم الخاتم وهو تحت طاعتي قالت انا اخاف من العفاريت فاقلعه وارمه بعيدا عني فقلعه وحطه علي المخدة ودنا منها فرفصته برجلها في قلبه فانقلب علي قفاه مغشيا عليه وزعقت علي اتباعها فاتوها بسرعة فقالت امسكوه فقبض عليه اربعون جارية وعجلت باخذ الخاتم من فوق المخدة ودعكته واذا بابي السعادات اقبل يقول لبيك يا سيدتي فقالت احمل هذا الكافر وضعه في السجن وثقل قيوده فاخذه وسجنه في سجن الغضب ورجع وقال لها قد سجنته فقالت له اين ذهبت بابي وزوجي قال رميتهما في الربع الخراب قالت امرتك ان تأتيني بهما في هذه الساعة فقال سمعا وطاعة ثم طار من قدامها ولم يزل طائرا إلي ان وصل إلي الربع الخراب ونزل عليهما فرآهما قاعدين يبكيان ويشكوان لبعضهما فقال لهما لا تخافا قد اتاكما الفرج واخبرهما بما فعل الوزير وقال لهما اني قد سجنته بيدي طاعة لها ثم امرتني بارجاعكما ففرحا بخبره ثم حملهما وطار بهما فما كان غير ساعة حتي دخل بهما علي بنت الملك فقامت وسلمت علي ابيها وزوجها واجلستهما وقدمت لهما الطعام والحلوي وباتا بقية الليلة وفي ثاني يوم البست اباها بدلة فاخرة والبست زوجها بدلة فاخرة وقال يا ابى اقعد انت علي كرسيك ملكا علي ما كنت عليه اولا واجعل زوجي وزير ميمنة عندك واخبر عسكرك بما جري وهات الوزير من السجن واقتله ثم احرقه فانه كافر واراد ان يدخل عليّ سفاحا من غير نكاح وشهد علي نفسه انه كافر وليس له دين يتدين به واستوص بنسيبك الذي جعلته وزير ميمنة عندك فقال لها سمعا وطاعة يا بنتي ولكن اعطيني الخاتم أواعطيه لزوجك فقالت لا يصلح لك ولا له وانما الخاتم يكون عندي وربما احميه اكثر منكما ومهما اردتماه فاطلبا مني وانا اطلب لكما من خادم الخاتم ولا تخشيا بأسا مادمت انا طيبة وبعد موتي فشأنكما والخاتم فقال ابوها هذا هو الرأي الصواب يا بنتي ثم اخذ نسيبه وطلع إلي الديوان وكان العسكر قد باتوا في كرب عظيم بسبب بنت الملك وما فعل معها الوزير من انه دخل عليها سفاحا من غير نكاح وأساء الملك ونسيبه وخافوا أن تنتهك شريعة الاسلام لانه بان لهم انه كافر ثم

اجتمعوا في الديـوان وصاروا يعتقون شيخ الاسلام ويقولون له لماذا مـامتعه من الدخول على المملكة سفاحـا فقال لهـم يا ناس ان الرجل كـافر وصار مالكـا للخاتم وانـا وانتم لا يخرج من ايـدينا في حقه شئ فالله تـعالي يجازيه بفعـله واسكتوا انتم لـئلا يقتلكم فبـينما العسـاكر مجتمعـون في الديوان يتحـدثون في هذا الكلام واذا بـالملك داخل عليـهم في الديوان ومعه نسيبه معروف وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للالف

قالـت بلغنـي ايها الملـك السعيـد ان العسـاكر من شدة غـيظهم جـلسوا في الـديوان يتحدثون في شأن الوزيروما فعل بالملك ونسيبه وبنته واذا بالملك داخل عليهم في الديوان ومعه نـسيبه معـروف فلما رأته الـعساكر فرحـوا بقدومه وقامـوا له علي الاقدام وقـبلوا الارض بين يديه ثم جلس علي الكرسي واخبرهم بالقصة فزالت عنهم تلك الغصة وامر بزينـة المدينة واحضـر الوزير من الحـبس فلما مـرّ بالعساكـر صاروا يلعـنونه ويشتـمونه ويوبخونه حتي وصل إلي المـلك فلما تمثل بين يديه امر بقتله اشنع قتـلة فقتلوه ثم حرقوه وراح إلي سقر في اسوأ الاحوال واجاد فيه من قال:

فـلا رحـم الرحـمـن تـربـة عظـمـه ولا زال فـيـــهـا مـــنـكـــر ونـكـــيـــر

ثم ان الملك جـعل معروفا وزير مـيمنة وطابت لـهم الاوقات وصفت لهـم المسرات واستمروا علي ذلك خمـس سنوات وفي السنة السادسة مات الملك فجـعلته بنت الملك سلطانا مكان ابيها ولم تعطه الخاتم وكانت في هذه المدة حملت منه ووضعت غلاما بديع الجمال بـارع الحسن والكمـال ولـم يزل في حجـر الدادات حتي بـلغ من العمـر خمس سنـوات فمرضت امـه مرض الموت فـاحضرت معـروفا وقالـت له انا مـريضة قال لـها سلامتك يا حـبيبة قلبي فقالت لـه ربما اموت فلا تحتاج إلي اني اوصيـك علي ولدك وانما اوصيك بـحفظ الخاتم خوفا عـليك وعلي هـذا الغلام فقال مـا علي من يحفـظه الله بأس فقلعـت الخاتم واعطته له وفي ثـاني يوم توفيت إلي رحـمة الله تعالي واقام معـروف ملكا وصار يتـعاطي الاحكام فـاتفق له في بـعض الايام انه نـفض المنديل فـانفضت العـساكر فدخل من قدامـه إلي اماكنهم ودخل هو قاعـة الجلوس وجلس فيها إلي ان مـضي النهار

واقبل الليل بالاعتكار فدخل عليه ارباب منادمته من الاكابر علي عادتهم وسهروا عنده من اجل البسط والانشراح إلي نصف الليل ثم طلبوا الاجازة بالانصراف فاذن لهم وخرجوا من عنده إلي بيوتهم وبعد ذلك دخلت عليه جارية كانت مقيدة بخدمة فراشه ففرشت له المرتبة وقلعته البدلة والبسته بدلة النوم واضطجع فسارت تكبس اقدامه حتي غلب عليه النوم فخرجت من عنده وراحت إلي مرقدها ونامت هذا ما كان من امرها واما ما كان من امر الملك معروف فانه كان نائما فلم يشعر إلا وشي بجانبه في الفراش فانتبه مرعوبا وقال اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثم فتح عينه فرأي جانبه امرأة قبيحة المنظر فقال لها من انت قالت لا تخف انا زوجتك فاطمة العرة فنظر في وجهها فعرفها بمسخة صورتها وطول انيابها وقال من اين دخلت عليّ ومن جاء بك إلي هذه البلاد فقالت له في اي البلاد انت في هذه الساعة قال في مدينة خيتان الختن وانت متي فارقت مصر قالت في هذه الساعة قال لها وكيف ذلك قالت اعلم اني لما تشاجرت معك وقد اغراني الشيطان علي ضررك واشتكيتك إلي الحكام ففتشوا عليك فما وجدوك وسأل القضاة عنك فما رأوك وبعد ان مضي يومان لحقتني الندامة وعلمت ان العيب عندي وصار الندم لا ينفعني وقعدت مدة ايام وانا ابكي علي فراقك وقل ما في يدي واحتجت إلي السؤال لاجل القوت فصرت اسأل كل مغبوط ممقوت ومن حين فارقتنى وأنا آكل من ذل السؤال وصرت فى اسوأ الاحوال وكل ليلة اقعد ابكى على فراقك وعلى ما قاسيت بعد غيابك من الذل والهوان والتعسه والخسران وصارت تحدثه بما جري لها وهو باهت فيها إلي ان قالت وفي امس درت طول النهار اسأل فلم يعطني احد شيئا وصرت كلما اقبل علي احد وأسأله كسرة يشتمني ولا يعطينى شيئاً فلما اقبل الليل بت من غير عشاء فاحرقني الجوع وصعب عليّ ما قاسيت وقعدت ابكي وإذا بشخص تصور قدامي وقال لي يا امرأة لاي شئ تبكين فقلت انه كان لي زوج يصرف عليّ ويقضي اغراضي وقد فقد مني ولم اعرف اين راح وقد قاسيت الغلب من بعده فقال ما اسم زوجك قلت له اسمع معروف قال انا اعرفه اعلمي ان زوجك سلطان في مدينة وان شئت ان اوصلك إليه افعل ذلك فقلت له انا في عرضك ان توصلني إليه فحملني وطار بي بين السماء والارض حتي اوصلني إلي هذا القصر وقال ادخلي في هذه الحجرة تري زوجك نائما علي السرير فدخلت فرأيتك في هذه السيادة وانا ما كان في املي انك تفوتني وانا

رفيقتك والحمد لله الذي جمعني عليك فقال لها هل انا فتك أو انت التي فتني وانت تشتكيني من قاض إلي قاض وختمت ذلك بشكايتي إلي الباب العالي حتي نزلت عليّ اباطبق من القلعة فهربت قهرا عني وصار يحكي لها علي ما جري له إلي أن صار سلطانا وتزوج بنت الملك واخبرها بانها ماتت وخلف منها ولدا صار عمره سبع سنين فقالت له الذي جري مقدر من الله تعالي وقد تبت وانا في عرضك انك لا تفوتني دعنى آكل عندك العيش علي سبيل الصدقة ولم تزل تتواضع له حتي رق قلبه لها وقال لها توبي عن الشر واقعدي عندي وليس لك إلا ما يسرك فان عملت شيئا من الشر اقتلك ولا اخاف من احد فلا يخطر ببالك انك تشتكيني إلي الباب العالي وينزل لي ابو طبق من القلعة فاني صرت سلطانا والناس تخاف مني وانا لا اخاف إلا من الله تعالي فاني معي خاتم استخدام متى دعكته يظهر لي خادم الخاتم واسمه ابو السعادات ومهما طلبته منه يجئ به فان كنت تريدين الذهاب إلي بلدك اعطيك ما يكفيك طول عمرك وارسلك إلي بلادك بسرعة وان كنت تريدين القعود عندي فاني اخلي لك قصرا وافرشه لك من خاص الحرير واجعل لك عشرين جارية تخدمك وارتب لك المآكل الطيبة والملابس الفاخرة وتصيرين ملكة وتقيمين في نعيم زائد حتي تموتي أو اموت انا فما تقولين في هذا الكلام قالت انا اريد الاقامة عندك ثم قبلت يده وتابت عن الشر فافرد لها قصرا وحدها وانعم عليها بجوار وطواشية وصارت ملكة ثم ان الولد صار يذهب عندها وعند ابيه فكرهت الولد لكونه ما هو ابنها فلما رأي الولد منها عين الغضب والكراهة نفر منها وكرهها ثم ان معروفا اشتغل بحب الجواري الحسان ولم يفكر في زوجته فاطمة العرة لانها صارت عجوزا شمطاء بصورة شوهاء وسحنة معطاء اقبح من الحية الرقطاء خصوصا وقد اساءته اساءة لا مزيد عليها وصاحب المثل يقول الاساءة تقطع اصل المطلوب وتزرع البغضاء في ارض القلوب ولله در القائل:

احرص علي فرط القلوب من الاذي ... فرجوعها بعد التنافر يعسر

ان القلوب اذا تنافر ودها ... مثل الزجاجية كسرها لا يجبر

ثم ان معروفا لم يأوها لخصلة حميدة وانمـا عمل معها هذا الاكرام ابتغاء مرضات الله تعالـي ثم ان دنيا زاد قـالت لاختهـا شهر زاد ما اطيب هذه الالفـاظ التي هي اشـد اخذا للقـلوب من سواحر الالحـاظ وما احسن هذه الـكتب الغـريبة والنوادر الـعجيبة فـقالت شهرزاد واين هذا مما احدثكم به الليلة القابلة ان عشت وابقاني الملك فلما اصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح اصبح الملك منشرح الصدر ومنتـظرا لبقية الحكاية وقال في نفسه والله لا اقتلـها حتي اسـمع بقية حـديثها ثـم خرج إلي محـل حكمه وطلـع الوزير علـي عادته بالكفـن تحت ابطه فمكـث الملك في الحكم بين الـناس طول نهاره وبعـد ذلك ذهب إلي حريمه ودخل علي زوجته شهرزاد بنت الـوزير علي جري عادته وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية بعد الالف وهى آخر الكتاب

ذهب الملك إلي حريمه ودخـل علي زوجته شهر زاد بنت الوزير فقالت لـها اختها دنيا زاد اتممي لنا حكاية معروف قال حبا وكرامة ان اذن لي الملك بالحديث فقال لها الملك قد اذنت لك بالحديث لانني متشوق إلي سماع بقيته قالت بلغني ايها الملك أن الملك معروفا صار لا يعتني بزوجته من اجل النكاح وإنما كان يطـعمها احتسابا لوجه الله تعالي فلما رأته ممتنعا عن وصالـها ومشتغلا بغيرها بغضتـه وغلبت عليها الغيرة ووسوس لـها ابليس انها تأخذ الخاتم منه وتقتلـه وتعمل ملكة مكانه ثم انها خرجت ذات ليـلة من الليالي ومشت من قصـرها متوجـهة إلي القصـر الذي فيه زوجـها الملك معـروف واتفق بالامـر المقدر والقضاء المسطر ان معروفا كـان راقدا مع محظية مـن محاظيه ذات حسـن وجمال وقد واعتدال ومن حسن تقواه كان يقلع الخاتم مـن اصبعه إذا اراد ان يجامع احتراما للاسماء الشريفة الـتي هي مكتوبة علـيه فلا يلبسه إلا علـي طهارة وكانت زوجته فاطـمة العرة لم تخرج مـن موضعها إلا بـعد أن احاطت عـلما بانه إذا جـامع يقلع الخـاتم ويجعلـه علي المخدة حتي يتـطهر وكان من عادته انه متي جـامع يأمر المحظية ان تذهب مـن عنده خوفا علـي الخاتم واذا دخل الحمـام يقفل بـاب القصر حـتي يرجع مـن الحمام ويأخـذ الخاتم ويلـبسه وبـعد لـك كل من دخـل القصـر لا حرج علـيه وكانـت تعـرف هذا الامر كـله فخرجـت بالليل لاجل ان تـدخل عليه في الـقصر وهو مسـتغرق في النوم وتـسرق هذا

الخاتم بحيث لا يراها فلما خرجت كان ابن الملك في هذه الساعة قد دخل بيت الراحة ليقضي حاجة من غير نور فقعد في الظلام علي ملاقي بيت الراحة وترك الباب مفتوحا عليه فلما خرجت من قصرها رآها مجتهدة في المشي إلي جهة قصر أبيه فقال في نفسه هل يا تري لاي شئ خرجت هذه الكاهنة من قصرها في جنح الظلام واراها متوجهة إلي قصر ابي فهذا الامر لابد له من سبب ثم انه خرج وراءها وتبع اثرها من حيث لا تراه وكان له سيف قصير من الجوهر وكان لا يخرج إلي ديوان ابيه إلا متقلدا بذلك السيف لكونه مستعزا به فإذا رآه ابوه يضحك عليه ويقول ما شاء الله ان سيفك عظيم يا ولدي ولكن ما نزلت به حربا ولا قطعت به رأسا فيقول له لابد ان اقطع به عنقا يكون مستحقا للقطع فيضحك من كلامه ولما مشي وراء زوجة ابيه سحب السيف من غلافه وتبعها حتي دخلت قصر أبيه فوقف لها علي باب القصر وصار ينظر إليها فرآها وهي تفتش وتقول اين وضع الخاتم ففهم انها دائرة علي الخاتم فلم يزل صابرا عليها حتي لقيته فقالت ها هو والتقطته وارادت ان تخرج فاختفي خلف الباب فلما خرجت من الباب نظرت إلي الخاتم وقلبته في يدها وارادت ان تدعكه فرفع يده بالسيف وضربها علي عنقها فزعقت زعقة واحدة ثم وقعت مقتولة فانتبه معروف فرأي زوجته مرمية ودمها سائل وابنه شاهر السيف في يده فقال له ما هذا يا ولدي قال يا ابي كم مرة وانت تقول لي ان سيفك عظيم ولكنك ما نزلت به حربا ولا قطعت به رأسا وانا اقول لك لابد ان اقطع به عنقا مستحقا للقطع فها انا قد قطعت لك به عنقا مستحقا للقطع واخبره بخبرها ثم انه فتش علي الخاتم فلم يره ولم يزل يفتش في اعضائها حتي رأي يدها منطبقة عليه فاخذه من يدها ثم قال له انت ولدي بلاشك ولا ريب اراحك الله في الدنيا والآخرة كما ارحتني من هذه الخبيثة ولم يكن سعيها إلا لهلاكها ولله در من قال

إذا كان عون الله للمرء مسعفا ... تأتي له من كل امر مراده
وان لم يكن عون من الله للفتي ... فأول ما يجني عليه اجتهاده

ثم ان الملك معروفا زعق علي بعض اتباعه فاتوه مسرعين فاخبرهم بما فعلت زوجته فاطمة العرة وامرهم ان يأخذوها ويحطوها في مكان إلي الصباح ففعلوا كما امرهم ثم وكل بها جماعة من الخدام فغسلوها وكفنوها وعملوا لها مشهدا ودفنوها وما كان مجيئها من مصر إلا لترابها ولله در من قال:

مشيناها خطي كتبت علينا ... ومن كتبت عليه خطي مشاها

ومن كانت منيته بارض ... فليس يموت في ارض سواها

وما احسن قول الشاعر

وما ادري إذا يممت ارضا ... اريد الخير ايهما يلين

هل الخير الذى انا ابتغيته ... ام الشر الذي هو يبتغين

ثم ان الملك معروفا ارسل يطلب الرجل الحراث الذي كان ضيفه وهو هارب فلما حضر جعله وزير ميمنته وصاحب مشورته ثم علم ان له بنتا بديعة الحسن والجمال كريمة الخصال شريفة النسب رفيعة الحسب فتزوج بها وبعد مدة من الزمان زوج ابنه واقاموا مدة في ارغد عيش وصفت لهم الاوقات وطابت لهم المسرات إلي أن اتاهم هادم اللذات ومفرق الجماعات ومخرب الديار العامرات وميتم البنين والبنات فسبحان الحي الذي لا يموت وبيده مقاليد الملك والملكوت، وكانت شهرزاد في هذه المدة قد خلفت من الملك ثلاثة اولاد ذكور فلما فرغت من هذه الحكاية قامت علي قدميها وقبلت الارض بين يدي الملك وقالت له يا ملك الزمان وفريد العصر والاوان اني انا جاريتك ولي الف ليلة وليلة وانا احدثك بحديث السابقين ومواعظ المتقدمين فهل لي في جنابك من طمع حتي اتمني عليك امنية فقال لها الملك تمني يا شهرزاد فصاحت علي الدادات والطواشية وقالت لهم هاتوا اولادي فجاءوا لها بهم مسرعين وهم ثلاثة اولاد ذكور واحد منهم يمشي وواحد يحبي وواحد يرضع فلما جاءوا بهم اخذتهم ووضعتهم قدام الملك وقبلت الارض وقالت يا ملك الزمان هؤلاء اولادك وقد تمنيت عليك ان تعتقني من القتل اكراما لهؤلاء الأطفال فانك ان قتلتني يصير هؤلاء الاطفال من غير ام ولا يجدون من يحسن تربيتهم من النساء فعند ذلك بكي الملك وضم اولاده إلي صدره وقال يا شهرزاد والله اني قد عفوت عنك من قبل مجئ هؤلاء الاولاد لكوني رأيتك عفيفة نقية حرة تقية بارك الله فيك وفي ابيك وامك واصلك وفرعك واشهد الله عليّ اني قد عفوت عنك من كل شئ يضرك فقبلت يديه وقدميه وفرحت فرحا زائداً وقالت له اطال الله عمرك وزادك هيبة ووقارا وشاع السرور في سراية الملك حتي انتشر في المدينة وكانت ليلة لا تعد من

الاعمار ولونها ابيض من وجه النهار واصبح الملك مسرورا بالخير مغمورا فارسل إلي جميع العسكر فحضروا وخلع علي وزيره ابي شهرزاد خلعة سنية جليلة وقال له سترك الله حيث زوجتني ابنتك الكريمة التي كانت سببا لتوبتي عن قتل بنات الناس وقد رأيتها حرة نقية عفيفة زكية ورزقني الله منها بثلاثة اولاد ذكور والحمد لله علي هذه النعمة الجزيلة ثم خلع علي كامل الوزراء والامراء وارباب الدولة وامر بزينة المدينة ثلاثين يوما ولم يكلف احدا من اهل المدينة شيئا من ماله بل كامل الكلفة والمصاريف من خزانة الملك فزينوا المدينة زينة عظيمة لم يسبق مثلها ودقت الطبول وزمرت الزمور ولعبت كامل ارباب الملاعب واجزل لهم الملك العطايا والمواهب وتصدق علي الفقراء والمساكين وعم باكرامه سائر رعيته واهل مملكته واقام هو ودولته في نعمة وسرور ولذة وحبور حتي اتاهم هادم اللذات ومفرق الجماعات فسبحان من لا يفنيه تداول الاوقات ولا يعتريه شئ من التغيرات ولا يشغله حال عن حال وتفرد بصفات الكمال والصلاة والسلام علي امام حضرته وخيرته من خليقته سيدنا محمد سيد الانام وتضرع به إليه في حسن الختام.



ألف ليلة وليلة

مكتبة مدبولي
٦ ميدان طلعت حرب القاهرة ت: ٥٧٥٦٤٢١
MADBOULI BOOKSHOP
6 Talat Harb.SQ. Tel: 5756421